

البفاهيم القرآنية

رسالة في تفسير مفاهيم
القرآن الكريم

تأليف

أ. أحمد عبد الرزاق صريوس



التعريف بالمؤلف /

المحامي / احمد عبد الرزاق مريوش سلام العامري

تاريخ ومحل الميلاد / من مواليد ١٩٧٣م بمنطقة حرف الاعمور اعرواق حيفان محافظه تعز اليمن وبها درس الا
بتدائيه بمدرسه الشهيد عبد الرحمن مهيوب انعم بالعرين اعرواق ثم درس فى مدينه القاعده مديريه ذى سفال ثم
بمعهد مصعب بن عمير بالحديدة ثم درس بمعهد المعلمين العام(مدرسه سباء بمدينة القاعده) ثم التحق بكلية
الشريعة والقانون وعمل فى مجال المحاماه

الاقامه / ذى سفال اب الجمهوريه اليمنيه

العمل الحالى / محام مهتم بالفكر الاسلامى ودراسه القران الكريم وعلومه

المؤهل / ليسانس شريعته وقانون

الحاله الاجتماعيه متزوج من ثلاث نساء وله سبعة اولاد ثلاثه ذكور واربع بنات

المقدمه :

أبواب الفلاح: إضاءات في المنهج المفاهيمي لسورة المؤمنون
(مذكرة تعريفية واستراتيجية للكتاب)

أولاً : براعة الاستهلال) مقاصد الغاية ومرامي الهداية)

بين يدي هذا السفر المبارك، نلجُ إلى أعماق سورة "المؤمنون" لا باعتبارها نصاً للتلاوة فحسب، بل بوصفها "دستوراً استراتيجياً" لبناء الذات والمجتمع. يأتي هذا الكتاب للباحث أحمد عبد الرزاق مربوش العامري ليملاً فراغاً في المكتبة القرآنية المعاصرة، متجاوزاً حدود التفسير اللغوي الضيق إلى فضاء "الهندسة المفاهيمية"؛ حيث تتحول الآيات إلى وحدات بناء للشخصية المؤمنة القادرة على وراثة الأَرْض والفردوس معاً. إن هدف المؤلف ليس مجرد الشرح، بل نقل المؤمن من عالم "الرجاء" إلى عالم "اليقين"، وغرس الثقة بأن الفلاح حقيقة ثابتة ومحسومة بوعد الله.

ثانياً: المنهج البياني والتدبر الإيماني) أسلوب المؤلف)

ما يميز هذه الدراسة هو "الاشتقاق المنهجي" الرصين؛ حيث لا يقف المؤلف عند المعنى الظاهر، بل يستنطق الحرف) مثل دلالة "قد" في التحقيق والتقريب (والحركة والموقع الإعرابي ليرسم من خلالها ملامح الشخصية الفالحة. يجمع الباحث في أسلوبه بين "دقة القانوني" في رصد الضوابط، و"رؤية المربي" في استخراج التطبيقات، مما جعل الكتاب جسراً يربط بين جلال الوحي وواقع الحياة المعاصرة، متميزاً ببساطة لا تخل بالعمق، وقوة لا تفقر إلى الجمال.

ثالثاً: التميز والاستحقاق المعرفي) ما يجده الكتاب)

يتفرد هذا الكتاب عن غيره من التفاسير بتركيزه على "فقه المآلات" و"سنن التغيير". فبينما غلب على الكثير من الكتب الجانب السردى، انطلق المؤلف من فلسفة "المفهوم الاستراتيجي"، محولاً صفات المؤمنين من مجرد قائمة أخلاقية إلى "نظام تشغيل متكامل" يدير حياة الفرد من الخشوع في المحراب إلى الأمانة في المعاملات. الجديد هنا هو تقديم السورة كخارطة طريق للمستضعفين للوصول إلى التمكين المعرفي والأخلاقي.

رابعاً: جوهر المحتوى وهيكل المفاهيم

ينتظم الكتاب في عرض شمولي يتناول:

* عشرية الفلاح: تحليل دقيق للصفات العشر التي تضمن وراثة الفردوس.

* الصراع الكوني: المقابلة بين نفسية الطغيان ونفسية الإيمان من خلال قصص الأنبياء.

* الدلالات الصوتية: ربط أحكام التجويد بالمقاصد التربوية) كأثر المد في ترقيق القلب.

* مفهوم الوراثة: كيف يتحول الانضباط بالقيم إلى سيادة في الدنيا وفوز في الآخرة.

خامساً: الجمهور المستهدف والمنهج المعتمد

صيغ هذا الكتاب ليكون زاداً لـ:

* المصلحين والدعاة: كدستور عملي لبناء المجتمع المسلم.

* القادة والمربين: لغرس قيم الإتقان والعفة والأمانة.

* الناشئة: حيث يصلح الكتاب كمنهج تربوي مبسط يبني فيهم "عقلية المنتصر" والاعتزاز بالهوية الإيمانية، ويمكن تقديمه لهم كبرنامج تدريبي لبناء الشخصية.

سادساً: ثمار القراءة) ماذا ستتعلم؟)

من خلال سياحة القارئ في هذا الكتاب، سيخرج بـ:

* حصانة ذاتية: ضد فتن اللغو والشهوات والتشتت.

* فهم سنني: القدرة على قراءة الأحداث المعاصرة بمنظور قرآني.

* توازن نفسي: يجمع بين العمل الجاد والانكسار لله) ثقافة التوبة والرحمة.

خاتمة: دعوة لليقين

إن هذا الكتاب ليس للقراءة العابرة، بل هو "دليل امتياز" لكل من يطمح أن يكون من ورثة الفردوس.

هو رحلة تبدأ بكلمة "قد" لتحقيق اليقين، وتنتهي بطلب "الرحمة" لتحقيق التواضع، ليظل القارئ في

نهاية رحلته مردداً بلسان اليقين: "إن الفلاح ليس مجرد أمنية، بل هو استحقاق للمؤمنين الصادقين".

بسم الله الرحمن الرحيم
بطاقة تعريفية: سورة المؤمنون (منهج الفلاح والاستخلاف)

- 1/ عدد آيات السورة
* عدد آياتها 118 آية.
- 2/ مكان نزولها
* مكة: نزلت في مكة المكرمة، وتحديدًا في الفترة التي اشتد فيها الصراع بين الدعوة الإسلامية الناشئة وجحود قريش، مما جعل آياتها تنزل كالتثبيت واليقين لقلوب المستضعفين.
- 3/ ترتيب السورة
* في المصحف: هي السورة رقم (23) ، تقع في الجزء الثامن عشر.
* من حيث النزول: نزلت بعد سورة "الأنبياء" وقبل سورة "السجدة".
- 4/ أسماء السورة وسبب التسمية
* الاسم المشهور: "سورة المؤمنون".
* سبب التسمية: سُميت بهذا الاسم لافتتاحها بالحديث عن صفات المؤمنين الذين استحقوا الفلاح {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ}، ولأنها فصلت في خصالهم العبادية والأخلاقية والعملية التي تميزهم عن غيرهم، فكانت بمثابة "التعريف الهوياتي" للأمة المؤمنة.
- 5/ خصائص السورة
* سورة الفلاح: هي السورة الوحيدة التي افتتحت بتقرير الفلاح للمؤمنين بصيغة الماضي) قَدْ أَفْلَحَ (ليفيد التحقيق واليقين.
* التركيز على التوحيد: تمتاز بقوة الحجة في تقرير وحدانية الله وعرض أدلة الخلق) النشأة الأولى (والبعث.
* المنهج الأخلاقي: وضعت ضوابط دقيقة للمجتمع المسلم) الخشوع، الأمانة، العفة، البعد عن اللغو.(
- 6/ مناسبة السورة لما قبلها) سورة الأنبياء)
* انتهت سورة الأنبياء ببيان وحدة الأمة {إِنْ هَؤُلَاءِ أُمّتُكُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ} وجاءت سورة المؤمنون لتبين من هم أفراد هذه الأمة وما هي الصفات التي يجب أن يتحلوا بها ليكونوا خير أمة أخرجت للناس . فكان سورة الأنبياء عرضت "القذوات"، وسورة المؤمنون عرضت "المنهج والصفات".
- 7/ المناسبة بين مطلع السورة وخاتمتها
* المطلع: بدأ بتقرير الفلاح { قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ } .
* الخاتمة: انتهت بنفي الفلاح عن الكافرين { إِنَّهُ لَا يَفْلَحُ الْكَافِرُونَ } .
* الربط: هذا الإحكام يغلق دائرة السورة على حقيقة كبرى؛ وهي أن "الفلاح" صفة حصريّة ونتيجة حتمية للإيمان، وأن "الخراب" نتيجة حتمية للكفر والعتو.
- 8/ المواضيع الرئيسية للسورة
* صفات المؤمنين: الخشوع، الزكاة، العفة، الأمانة، الوفاء بالعهد.
* أدلة القدرة الإلهية: أطوار خلق الإنسان، وإنزال الماء، وإنبات الزرع.
* قصص الأنبياء كمنهج مواجهة: ذكر نوح، هود، موسى، وعيسى عليهم السلام، لإثبات وحدة الرسالة وتكذيب المعاندين.
* مشاهد القيامة: تصوير حالة الكافرين عند الموت ويوم البعث وندمهم ولحظة الحساب.
- 9/ مقاصد السورة
* تقرير حقيقة الإيمان: ربط الإيمان بالعمل والترك) فعل الصلاة والزكاة، وترك اللغو والفواحش.(
* بناء النفس المؤمنة: تحويل الإيمان من مجرد اعتقاد قلبي إلى سلوك منضبط يحقق السيادة و الوراثة.
* إثبات البعث والجزاء: مواجهة منكري البعث بالحجج العقلية والكونية.
* التمكين من خلال القيم: تعليم المؤمنين أن الفوز لا يتحقق بالقوة المادية المجردة، بل بالانضباط تحت لواء القيم الربانية.

أولاً :

تعد بداية سورة المؤمنون بحرف "قد" واحدة من أشد الافتتاحيات القرآنية طمأنة و يقيناً، وهي تحمل دلالات استراتيجية ونفسية هائلة، خاصة عند ربطها بسياق الوعد بالفلاح وبالظروف التي نزلت فيها السورة؛ إذ إنها نزلت في العهد المكي وفي وقت اشتد فيه الصراع بين الدعوة الإسلامية الناشئة وبين جحود قريش، وهي تقدم دستوراً أخلاقياً وروحياً متكاملًا .

الأمر الأول: دلالة "قد" حرف التحقيق والتقريب:

في اللغة العربية، "قد" إذا دخلت على الفعل الماضي أفادت التحقيق، أي وقوع الحدث بلا أدنى شك . وهذا لأن الإنسان قد يعمل لكن النجاح قد يتحقق أو لا يتحقق؛ ولهذا فإن القسم في هذه بـ (قد) يهدف إلى الثقة بالفلاح، فأراد بهذا:

* قلب الموازين في نفوس المؤمنين: بالإيمان واليقين بهذا الوعد، ولهذا لم يقل الله "سيفلح" (للمستقبل)، بل قال "أفلح" بصيغة الماضي، للإشارة إلى أن الفلاح أمر قد وقع وتقرر فعلاً - في علم الله وقضائه- حتى قبل أن يراه الناس . فأراد بهذا البداية قلب الموازين في نفوسهم نظراً لأن هذه الآيات نزلت والمسلمون يعيشون في شعاب مكة، وينظر إليهم من قبل سادة قريش على أنهم "خاسرون" و"مستضعفون". ولهذا قال "قد أفلح" بصيغة الماضي، وفيه الجزم بأنه قد قضي وقرغ منه في ميزان الله حتى وإن كان المؤمن في تلك اللحظة يعذب أو يضطهد في مكة.

المفهوم الثاني: الصيرورة

تعني "قد" أيضاً تقريب الماضي من الحاضر، وكأن الفلاح ملازم للمؤمن ملتصق به، لا ينفك عنه منذ لحظة إيمانه الصادق . فنحن نقرأ في كثير من سور القرآن منزلة المؤمنين، لكن هذه السورة سميت باسم "المؤمنون" ليفهم كل مؤمن أن هذه السورة تصف حقيقة المؤمن الصادق الذي يحافظ على المبادئ والقيم، فالسورة تعرف المؤمنين بالمبادئ التي يتحقق بتمسكهم بها فلاحهم في الدنيا والآخرة . من خلال هذه الإشارة الاستباقية بـ (قد)، تطمئن القلوب المرتجفة؛ فالفوز ليس احتمالاً " خاضعاً للظروف، بل هو حقيقة ثابتة كأنها حدثت وانتهت، فهي بذلك تقدم لهم:

* أ- الدعم النفسي: الافتتاح ببشارة الفلاح في وقت الشدة هو قمة التثبيت؛ فهو ينقل ذهن المؤمن من واقع العذاب المؤلم إلى أفق السيادة والخلود، مما يجعله يتحمل سياط التعذيب وهو يرى بعين الإيمان "الفلاح" المحقق.

* ب- إعادة تعريف الفوز: جاءت السورة لتقول للمؤمن إن مقياس الفلاح ليس "التمكن المادي" أو "السلامة الجسدية الآنية"، بل هو الثبات على المنهج.

الأمر الثاني: دلالة البداية في سياق "الوعد بالفلاح"

جاءت هذه البداية لتعيد تعريف "النصر" و"النجاح" للمؤمنين المستضعفين:

* حتمية النتيجة: "قد" هنا هي "صك ملكية"؛ الله يطمئن المؤمن بأن نتيجة معركته مع الحياة محسومة سلفاً . هذا اليقين هو الذي يجعل المؤمن يصمد أمام الجلال؛ لأنه لا ينتظر فلاحاً "قد يأتي"، بل هو يعيش في ظلال فلاح "قد تحقق" بوعد الله.

* الرد على المشككين: كان المشركون يقولون: "أهؤلاء من الله عليهم من بيننا؟"، وكانوا يرون المؤمنين "خاسرين". فجاءت "قد" لتصدم الواقع الجاهلي وتقرر حقيقة غيبية أقوى من الواقع المادي؛ الفلاح للمؤمن حصراً، والخسارة للكافر قطعاً.

المفهوم الثاني: دلالة تقرير حكم الفلاح وعلاقته بما قبله

تأتي سورة "المؤمنون" بعد سورة "الحج" في ترتيب المصحف . وفي نهاية سورة الحج قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون [الحج: 77]

* من الرجاء إلى اليقين: في ختام الحج علق الفلاح على "لعل" التي تفيد الرجاء (في حق العبد)، فجاءت فواتح سورة المؤمنون لتقرر النتيجة النهائية بـ "قد" التحقيقية.

* الترابط: سورة الحج أمرت بالعبادة لتحصيل الفلاح، وسورة المؤمنون أكدت أن من التزم بهذه الصفات فقد نال الفلاح فعلاً .

ملخص صفات الفلاح في السورة والدلالة التربوية:

- * الخشوع في الصلاة: السكينة وسط ضجيج الاضطهاد.
 - * الإعراض عن اللغو: الترفع عن سباب المشركين وأذاهم.
 - * العمل للزكاة: التكافل الاجتماعي رغم الفقر والحصار.
 - * حفظ الفروج والأمانات: صيانة المجتمع من التحلل الأخلاقي.
- المفهوم الثالث: ماذا تعني هذه البداية استراتيجياً؟

هذه الافتتاحية ترسم للمؤمن "عقلية المنتصر":

* الثبات النفسي: عندما تبدأ طريقك وأنت متأكد من الفوز) بسبب "قد" الحقيقية(، فإن تعب الطريق يصبح هيناً.

* التركيز على الشرط لا النتيجة: بما أن الفلاح "متحقق" ومنتته، فإن دور المؤمن ينحصر في "تحقيق الصفات" (الخشوع، الزكاة، الأمانة...)؛ الله تولى النتيجة بـ "قد"، وعلى العبد العمل باللوازم.

* الفلاح حالة ذهنية أولاً : "قد أفلح" تعني أن المؤمن فالح بكرامته وإيمانه وترفعه عن السفاسف، حتى وهو لا يملك درهما واحداً.

الخلاصة:

البعد بـ "قد" هو نقل للمؤمن من "عالم الرجاء" إلى "عالم اليقين". هي كلمة تمحو القلق من الغد وتجعل المؤمن يسير في الأرض وهو يرى "الفردوس" رأي العين؛ لأن الذي وعده استخدم حرفاً يقطع دابر الشك.

الأمر الثالث: دلالة اسم السورة "المؤمنون"

تسمية السورة بهذا الاسم ليست مجرد علامة، بل هي حصر لمصدر النجاة:

* الارتباط بالوصف: كأن السورة تقول إن "الإيمان" ليس مجرد كلمة بل هو هوية تتجسد في صفات الخشوع، البعد عن اللغو، الزكاة... تدعوهم إلى إخراج الإيمان من حيز التنظير إلى ميدان التطبيق. السورة تعرف المؤمنين بالمبادئ التربوية الهامة التي يتحقق بتمسكهم بها فلاحهم في الدنيا والآخرة كما أفادت بذلك الآية الأولى) قد أفلح المؤمنون(، ثم تتوالى بعد ذلك صفاتهم إلى آخر السورة.

* التمييز في بيئة كافرة: في بيئة تفتخر بالأنساب والأموال، جاء الاسم ليرفع شأن "الإيمان" كمعيار وحيد للتفوق البشري. ولهذا نجد أن الآيات تدعو المؤمنين إلى أن يكونوا على قدر المسؤولية وأن يتصفوا بهذه الصفة) صفة الإيمان (بأن تصبغ حياتهم بهذه الصفات الواردة في الآيات، ففي ذلك فلاحهم، وأن يعتزوا بهذه الهوية) الانتساب إلى مدرسة الإيمان(.

وكم نحن اليوم بحاجة إلى العودة إلى "مدرسة الفلاح" التي ترسمها هذه الآية، خاصة بعد أن اصطبغت حياتنا بطابع الحضارة الغربية، وأصبح المؤمنون يقعدون مقاعد التلاميذ في حين أن الغرب يقعدون في مقاعد المعلم. أصبح المؤمنون يقلدون الغرب في مآكلهم وملبسهم وحتى طريقة كلامهم وتفكيرهم -للأسف الشديد- ثم يتساءلون لماذا نحن بهذا التخلف والخيال؟ يبحثون عن حلول للخروج من الأزمة بأفكار غربية ويتوجهات شرقية تقليداً لليهود والنصارى، وهم يجهلون أن الفلاح هو المتمسك بدينهم، وأن هذا التقليد للغرب هو سبب السقوط والانهيال والخيال الذي تعيشه الأمة، كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم: (لنتبع سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟).

ولهذا فإن السورة تبرز لنا قيماً ومبادئ ذات قيمة عالية، لو طبقت في حياة المجتمع المسلم والدول المسلمة) أفراداً وأسرًا ومجتمعات وجماعات ودولاً " وأنظمة (فإن فيها التقدم والازدهار والتطور، بما تحمل من قيم تربوية ومبادئ إنسانية وأحكام ربانية، فهي منزلة من الحكيم الخبير، خالق البشرية، المدير الأمر، الخبير بمكان صلاحها وسؤدها وهو أحكم الحاكمين).

تضمنت السورة ثمانية مبادئ: الإيمان بالله، الخشوع في الصلاة، الإعراض عن اللغو، إيتاء الزكاة، حفظ الفرج، الأمانة، الوفاء بالعهد، والمحافظة على الصلوات في وقتها.

المفهوم الثاني:

تبرز فاتحة سورة المؤمنون في نهاية العصر المكي بمثابة "البيان الختامي للمرحلة المكية"، ووضع حجر الأساس للمرحلة المدنية القادمة. فبعد سنوات من الصراع الفكري والجسدي، جاءت هذه الافتتاحية لتؤكد أن الإسلام ليس مجرد "أفكار عابرة"، بل هو نظام قيمى ثابت لا يتغير بتغير الظروف. إليك دلالة هذا التوقيت ودوره في تأسيس التعاليم الربانية:

* إعلان النضج الإيماني واستحقاق التمكين: نزلت هذه السورة في أواخر العهد المكي، أي قبيل الهجرة بفترة وجيزة. الدلالة: البدء بـ) قد أفلح المؤمنون (هو إعلان من الله بأن الفئة المؤمنة قد اجتازت مرحلة الاختبار بنجاح، وأنها أصبحت مؤهلة تربوياً ونفسياً لقيادة المرحلة القادمة. التأسيس: الفلاح هنا لم يعلق على "النصر العسكري" الذي لم يكن قد حدث بعد، بل غلق على "الصفات الأخلاقية". هذا يؤسس لقاعدة ربانية أن التمكين في الأرض نتيجة حتمية لصلاح الذات والارتباط بالله.

* تثبيت المعيارية الأخلاقية) الدستور الثابت: (في نهاية العصر المكي، كان المجتمع القرشي يتخبط في معايير القوة والقبيلة. جاءت الافتتاحية لترسم صورة "المؤمن القياسي": الثبوت: ذكر صفات مثل الخشوع، الإعراض عن اللغو، وأداء الأمانة في ذروة الاضطهاد، يعني أن هذه التعاليم مبادئ مطلقة وليست "تكتيكات مؤقتة". الرسالة: الله يقول للمؤمنين: "حتى وأنتم تحت العذاب، لا تنازل عن الخشوع أو العفة أو الصدق". هذا التقرير أسس في نفوس الصحابة أن الدين جوهر أخلاقي صامد أمام الأعاصير السياسية.

* دور الافتتاحية في "الفصل النفسي" عن الجاهلية: كان المشركون يسخرون من فقر المؤمنين وضعفهم (الدلالة: كلمة) أفلح (في ختام العهد المكي كانت بمثابة "صدمة إيجابية" للمؤمنين؛ فهي تقلب الطاولة على مفاهيم الجاهلية. الجاهلية ترى الفلاح في "المال والجاه"، والقرآن يقرر في ختام المرحلة المكية أن "الفلاح في الصلة بالله والترفع عن الصفات". الأثر: هذا أدى إلى ثبات التعاليم في النفوس، بحيث دخلوا المدينة المنورة وهم يمتلكون حصانة ذاتية ضد بريق السلطة والمادة الذي سيواجهونه لاحقاً.

* التمهيد للانتقال من "الفرد" إلى "الدولة": الصفات التي بدأت بها السورة هي مزيج بين:

- * علاقة العبد بربه) خاشعون.
- * علاقة العبد بنفسه) عن اللغو معرضون، لفروجهم حافظون.
- * علاقة العبد بالمجتمع) للزكاة فاعلون، لأماناتهم وعهدهم راعون.
- * الدلالة التنظيمية: هذا الافتتاح في نهاية مكة كان بمثابة "المنهج الدراسي" الذي يجب أن يحمله المهاجرون معهم إلى المدينة؛ فلا يمكن بناء مجتمع مدني قوي دون أفراد يقصدون الأمانة والعهد ويضبطون غرائزهم.
- خلاصة الدور التأسيسي:

إن افتتاح سورة المؤمنون في ذلك التوقيت الحرج قد نقل الإسلام من كونه "دعوة للمستضعفين" إلى كونه "منهجاً للفالحين". لقد رسخت هذه الآيات أن:

- * الدين جوهر لا يتغير بالضعف أو القوة.
- * الفلاح حقيقة يراها المؤمن بقلبه قبل أن يراها بعينه.
- * القيم الأخلاقية هي الركيزة الوحيدة التي تبنى عليها الحضارات الناجحة.

المفهوم الثالث:

الربط بين ختام سورة "الحج" وافتتاح سورة "المؤمنون" يمثل أحد أروع وجوه "المناسبة بين السور" في القرآن الكريم، حيث ينتقل السياق من إعلان المرجعية والولاية إلى تجسيد صفات أوليائه المستحقين للفوز.

تحليل هذه العلاقة:

* من "الولاية" إلى "الولاء العملي": ختمت سورة الحج بقوله تعالى: (...) واعتصموا بالله هو مولاكم فنعيم المولى ونعم النصير [الحج: 78] (الدلالة: سورة الحج أثبتت أن الله هو "المولى") الناصر، والسيد، والظهير. (الربط: جاءت سورة المؤمنون لتبين صفات هؤلاء الذين اتخذوا الله مولى؛ فالفلاح في) قد أفلح المؤمنون (هو الثمرة المباشرة لكون الله هو المولى والنصير. فمن كان الله مولاه، فلا بد أن يفلح، ومن كان الله نصيره، فلا بد أن ينتصر وإن طال أمد البلاء.

* تحقيق الوعد بالتمكين: في نهاية الحج، أمر المؤمنون بالجهاد والاعتصام بالله، وفي مكة كان هذا الاعتصام يعني الصمود النفسي. العلاقة: جاء افتتاح "المؤمنون" كصك ملكية لهذا الفلاح. كأن المعنى: "بما أنكم اعتصمتم بالله) المولى، فقد تحقق لكم الفلاح) قد أفلح)؛ لأن ولاية الله لا تترك صاحبها للخيبة أو الخسران".

* التلازم بين "نعم المولى" و"الخشوع": هناك رابط دقيق بين شعور المؤمن بأن الله مولاه) في ختام الحج (وبين خشوعه في الصلاة) في أول المؤمنون. (فالذي يستشعر أن ملكوت السماوات والأرض بيد "مولاه"، يمتلئ قلبه هبة وتعظيماً، وهذا هو أصل الخشوع. والاعتصام بالله الذي ختمت به الحج هو المحرك الذي يجعله "يعرض عن اللغو" ويحافظ على "الأمانات".

* تكامل المنهج) النظرية والتطبيق):

* في نهاية سورة الحج نجد الأمر بالعبادة: اركعوا واسجدوا (هو الأساس، وفي بداية سورة المؤمنون نجد البناء بتوصيف العبادة: في صلاتهم خاشعون).

* في نهاية سورة الحج نجد أساس الخير بالأمر بفعله: وافعلوا الخير، وفي بداية سورة المؤمنون نجد تفصيل الخير: الزكاة، حفظ الفروج، الأمانة).

* في نهاية سورة الحج نجد إعلان الولاية: هو مولاكم، وفي بداية سورة المؤمنون نجد إعلان النتيجة: قد أفلح المؤمنون).

الخلاصة:

العلاقة هي علاقة "العلة بالمعلول"؛ فيما أن الله هو "نعم المولى ونعم النصير"، كان من البديهي و اليقيني أن يفلح المؤمنون الذين استمسكوا بولايته. لقد طمأنهم الله بأن ولايته ليست مجرد شعار بل هي ضامن للفلاح الدنيوي والأخروي إن هم التزموا بالمبادئ والصفات. وهذا لأنك قد تجد إنساناً متعاطفاً مع حزب سياسي مثلاً، لكنه لم يحول هذه المشاعر إلى عمل ميداني، ولهذا نجد أن النص يقول) قد أفلح المؤمنون؛ فالإيمان اعتقاد، فإذا لم يحول إلى عمل فلا قيمة لهذا الولاء.

الدرس الثاني

إن الخطاب بتخصيص المؤمنين الصادقين بالفلاح بهذه الآية، ثم يتبعها بذكر الصفات التي ينبغي أن

يتميز بها المؤمنون إذا أرادوا الفلاح، فيه:

المفهوم الأول: دعوة للانتقال من القول إلى العمل

كلمة "قد أفلح" تحمل مدلولات تربوية عميقة هامة في تربية الشخصية المؤمنة، وهو ما يدعونا إلى فهم هذه العبارات وتجاوز مجرد "تفسير الكلمات" إلى "فهم الاستراتيجية" التي تبني الشخصية المسلمة.

أولاً: معنى "الفلاح" وأوجه الشبه بين "المؤمن" و"الفلاح" (المزارع):
كلمة الفلاح في اللغة تعني الظفر بالمطلوب والنجاة من المكروب. ولكن عبقرية اللفظ تظهر في اشتقاقه من "الفلح" وهو الشق والقطع ومنها فلاحه الأرض.

أوجه الشبه بين المؤمن والمزارع (الفلاح):
* شق الصعاب: كما يشق الفلاح الأرض القاسية بمحراثه ليخرج منها الزرع، يشق المؤمن طريق الشهوات والمحن والشبهات ليصل إلى مرضاة الله.

* بذل الجهد قبل الثمر: لا يوجد فلاح يحصد قبل أن يزرع ويصبر، كذلك المؤمن يبذل الجهد في الخشوع والزكاة وحفظ العهد، وينتظر الحصاد في الدنيا) بالسكينة والتمكين (وفي الآخرة) بالفردوس.

* رعاية النبتة: الفلاح يتعهد زرعه بالرعاية والري والتنقية من الحشائش الضارة، والمؤمن يتعهد إيمانه بالإعراض عن "اللغو" الذي يمثل "الحشائش الضارة" التي قد تفسد محصوله الروحي.

* الانتظار والتوكل: الفلاح يضع البذرة ويتوكل على الله في إنزال المطر، والمؤمن يأخذ بالأسباب (العمل الصالح) ويتوكل على فضل الله في نيل الفلاح.

ثانياً: معنى كلمة "قد" مفتاح اليقين:
في اللغة، قد (الداخلية على الفعل الماضي تفيد التحقيق والتأكيد.

* دلالة اليقين: الله لم يقل "لعلهم يفلحون" أو "سيفلحون"، بل استخدم "قد" مع الفعل الماضي "أفْلَحَ".

* المعنى الاستراتيجي: كأن الله يقول للمؤمن: "يا من تعذب في مكة، فلاحك ليس احتمالاً مستقبلياً، بل هو واقع متحقق في علمي، فلا تلتفت لآلامك الآنية لأن النتيجة النهائية محسومة لصالحك". إنها كلمة تبني العزيمة الفولاذية.

ثالثاً: استراتيجية المؤمن في الحياة) خريطة الطريق إلى الخلود):
الآيات العشر الأولى من سورة المؤمنون لا تسرد صفات فحسب، بل ترسم "استراتيجية بناء الحضارة الفردية والاجتماعية":

* الاستراتيجية الروحية (المركز): "الخشوع في الصلاة"
* الهدف: بناء الاتصال الدائم بمصدر القوة) الله).

* خريطة الطريق: ابدأ يومك وكل مهامك بقلب حاضر؛ فالخشوع ليس مجرد حركة، بل هو "برمجة" للعقل ليبقى هادئاً ومستقراً أمام عواصف الحياة.

* الاستراتيجية العقلية والزمينية: "الإعراض عن اللغو"
* الهدف: حماية الوقت والطاقة من الهدر.

* خريطة الطريق: لكي تصل إلى "الخلود"، يجب ألا تشغل بالتوافه) اللغو). (المؤمن الاستراتيجي يترفع عن المعارك الجانبية والشتائم وما لا ينفع، ليركز طاقته في البناء.

* الاستراتيجية المالية والاجتماعية: "للزكاة فاعلون"
* الهدف: التطهير والنمو.

* خريطة الطريق: الفلاح ليس أنانية، بل هو عطاء؛ ممارسة الزكاة تقتل الشح وتجعل المجتمع يلتف حولك، وبذلك تضمن بقاءك ووراثتك للأرض.

* الاستراتيجية الأخلاقية) صيانة الطاقة): "لفروجهم حافظون"
* الهدف: حماية الأسرة وحفظ كرامة الإنسان.

* خريطة الطريق: الضبط الجنسي والأخلاقي يمنع التحلل النفسي والمجتمعي؛ فالإنسان الذي لا يحكم غرائزه لا يمكنه أن يرث الفردوس.

* الاستراتيجية العملية والسياسية: "لأماناتهم وعهدهم راعون"
* الهدف: بناء جسور الثقة) الموثوقية).

* خريطة الطريق: هذه قمة الاستراتيجية؛ فمن يفني بعهدده ويؤدي أمانته يصبح مرجعاً للناس وقائداً لهم. هذا هو "صك الملكية" الذي يجعلك وارثاً للأرض في الدنيا وللجنة في الآخرة.

رابعاً: الوصول إلى حياة الخلود) النتيجة النهائية):
الخريطة تبدأ بالقلب) خشوع (وتنتهي بالفعل) أمانة)، لتصل في النهاية إلى "الورثة". أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون.

* دلالة الورثة: الورثة تعني أن هذا المكان) الفردوس (قد خلق لك، وأنت استحققت ملكيته بهذه الاستراتيجية.

* دلالة الخلود: هو الفلاح النهائي، حيث لا تعب بعده، بل حصاد أبدي لما زرعه "الفلاح المؤمن" في

دنياه.
الخلاصة: سورة المؤمنون تقدم لك "نظام تشغيل" للحياة؛ إذا طبقته أصبحت "وارثاً" ناجحاً في الدنيا، ومخلداً في الفردوس في الآخرة.

المفهوم الثاني:

القرآن حين يقول) قد أفلح المؤمنون (ثم يتبعها بصفات محددة، فهو يرسم فاصلاً " دقيقاً بين "الإيمان الادعائي" وبين "الإيمان الاستحقاقي" الذي يثمر نجاحاً وفلاحاً.
أولاً: " من هو "المؤمن" الذي يحظى بالفلاح؟
ليس كل من نطق بالشهادتين داخلاً " بالضرورة في دائرة الفلاح المذكورة في هذه السورة؛ المؤمن هنا هو "المؤمن المتكامل" الذي اجتمعت فيه ثلاثة أركان:
* التصديق القلبي: اليقين بوجود الله ووحدانيته.
* الإقرار اللساني: شهادة الحق.
* العمل بمقتضى الإيمان: وهو ما ركزت عليه السورة.
لماذا هنالك مؤمن لا يحظى بالفلاح؟
لأن الإيمان قد يكون "مهزوزاً" أو "صورياً"؛ فالمؤمن الذي يسرق أو يخون الأمانة أو يضيع الصلاة هو مؤمن ناقص الإيمان بموجب نصوص أخرى، وبالتالي يسلب عنه وصف "الفلاح المطلق" الذي يورث الفردوس.
ثانياً: لوازم المعتقد كما تفصح عنها الآيات:
"لوازم المعتقد" هي الأعمال التي لا يستقيم الإيمان ولا يثبت إلا بها:
* الاستجابة الروحية) الخشوع): لا يعقل مؤمن يوقر خالقه ثم لا يخشع له؛ فالخشوع هو "لازم" التعظيم لله.
* تزكية النفس والمال) الزكاة): من لوازم الإيمان بالرزاق أن ينفق العبد مما رزقه الله؛ فالإيمان و البخل متناقضان لا يجتمعان في قلب فالح.
* الانضباط الأخلاقي) العفة): الإيمان ليس فوضى غريزية، بل لازمه السيطرة على الشهوات.
* الموثوقية الاجتماعية) الأمانة والعهد): هذا هو اللازم العملي الأخطر؛ فالإيمان من) الأمن)، فلا يكون المؤمن مؤمناً حقاً إلا إذا آمنه الناس على دمائهم وأموالهم.
ثالثاً: آثار الإيمان) الثمار التي يجنيها المؤمن):
* الآثار النفسية) السكينة والصلابة): الخلاص من القلق؛ فالخشوع يمنح المؤمن "مرساة" روحية تجعله ثابتاً وقت الأزمات. والترفع عن الصغائر يحمي العقل من التشتت ويمنحه وقاراً.
* الآثار السلوكية) الاستقامة والتميز): الانضباط الذاتي؛ حيث يتحول المؤمن إلى شخص محكوم بمنظومة قيمة لا يحتاج معها إلى رقابة خارجية.
* الآثار الاجتماعية) بناء بيئة الفلاح): شيوع الثقة؛ عندما يلتزم المؤمنون بالعهد تنخفض تكلفة التعامل في المجتمع وتسود الطمأنينة، وهذا من أسرار وراثة الأرض. والتكافل عبر الزكاة يذيب الحقد ويجعل المجتمع جسداً واحداً.
الخلاصة) الخريطة الذهنية للفلاح):
* المعتقد هو البذرة.
* اللوازم هي السقي والتقليم والحماية) الصفات المذكورة).
* الأثر هو الشجرة الباسقة التي تظلل المجتمع في الدنيا، وتثمر الفردوس في الآخرة.

المفهوم الثالث:

الربط بين "الخشوع" وبين "الصمود النفسي" في مكة يمثل استراتيجية قرآنية لبناء الإنسان من الداخل قبل مواجهة الخارج.
كيف كان الخشوع أداة للمقاومة النفسية ضد الاضطهاد؟
* الخشوع كملاذ آمن: في وقت كان المؤمن فيه يهان ويُعذب، كانت الصلاة بوضعية الخشوع تمثل انفصلاً " مؤقتاً عن الواقع المؤلم، حيث ينقل المؤمن تركيزه من عالم "الأسباب" السوط، الجوع (إلى "عالم المسبب" الله القوي)، مما يمنح الروح استراحة محارب.
* استعادة الكرامة المسلوقة: كان المشركون يحاولون إذلال المؤمنين؛ لكن الخشوع هو تذلل "اختياري" لله وحده. عندما يضع المؤمن جبهته خاشعاً لخالقه، فإنه يشعر بعزة داخلية تجعله يترفع عن الانكسار أمام الطغاة؛ فالذي انحنى لله خضوعاً لا يمكن لغير الله أن يكسره.
* السكينة في مواجهة "اللغو": الامتلاء بالخشوع يملأ الفراغ النفسي، فالمؤمن الخاشع لديه امتلاء داخلي يجعله لا يتأثر بسب أو سخرية المشركين، بل يمنحه ثباتاً انفعالياً يترفع به عن الإساءة.
* الخشوع واليقين بالفلاح: البدء بصفة "خاشعون" يشير إلى أن أول خطوات الفلاح تبدأ بإصلاح "الداخل"؛ فإذا استقر الخشوع في القلب أصبح الفوز نتيجة حتمية.
ملاحظة تربوية:

الخشوع هنا لم يكن مجرد هيئة جسدية، بل كان عملية إعادة بناء للشخصية المسلمة لتكون صلبة أمام الفتن، لبنة أمام الحق.

الدرس الثالث

إن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن: هل يقتصر الفلاح على الآخرة فقط أم يشمل الدنيا أيضاً؟ فهذا السؤال جوهرى يلمس صلب العقيدة الإسلامية وفهمنا لمنطق القرآن في تربية "الفلاح". قوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ} لا يقتصر أبداً على الآخرة، بل هو مفهوم جامع وشامل لخيري الدنيا والآخرة، ودلالة ذلك عميقة جداً خاصة في سياق العصر المكي.

1. المعنى اللغوي للفلاح

كلمة "الفلاح" مشتقة من "الشق"، ومنها الفلاح الذي يشق الأرض، وكأن المؤمن يشق طريق النجاح وسط الصعاب والفتن ليصل إلى الثمرة.

* في الدنيا: هو الظفر المطلوب، والسكينة، وحسن السمعة، والبركة، والغلبة بالحق.

* في الآخرة: هو الفوز بالرضوان، والنجاة من النار، والخلود في الجنان.

2. دلالة شمول الفلاح للدنيا رغم المعاناة

قد يتساءل البعض: كيف يكون "أفلاح" للمؤمن المعذب في مكة؟

* فلاح الطمأنينة: أعظم فلاح دنيوي هو الانتصار على النفس؛ فالمؤمن الذي يخشع في صلاته ويحفظ أمانته وهو تحت التهديد هو إنسان حر نفسياً، وهذا قمة الفلاح الدنيوي (أن تملك نفسك لا أن تملك الظروف).

* فلاح السمعة والذكر: خلد الله ذكر هؤلاء المستضعفين وجعلهم سادة البشر وقادة الأمم، بينما في ذكر جلاديهم أو صار لعنة، وهذا فلاح دنيوي مشهود.

* التمكين اللاحق: القرآن يبشرهم بأن هذا المنهج (الخشوع، العفة، الأمانة) هو "كتالوج" النجاح الدنيوي الذي سيفتح لهم مشارق الأرض ومغاربها لاحقاً في المدينة وما بعدها.

3. دلالة شمول الفلاح للآخرة

ختمت الآيات بقوله تعالى: {أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ} * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. {هنا تأكيد على أن الفلاح الدنيوي مهما كان عظيماً هو مجرد "عربون" أو مقدمة للفلاح الأكبر. واستخدام لفظ "الورثة" يدل على الاستحقاق والتمكين الذي لا يزول، بخلاف ملك الدنيا الزائل.

4. دلالة هذا الجمع) لماذا الدنيا والآخرة معاً؟

* ربط المادة بالروح: القرآن لا يريد مؤمناً "درويشاً" ينتظر الآخرة فقط، بل يريد إنساناً "فالحاً" في الدنيا بأخلاقه وإتقانه، وناجحاً في الآخرة بإيمانه.

* إقامة الحجة على الكفار: كان كفار مكة يقولون: "نحن أكثر أموالاً وأولاداً"، فجاءت الآية لتقرر أن الفلاح الحقيقي الذي يشمل بركة الدنيا وخلود الآخرة هو للمؤمنين فقط، أما نجاح الكافر فهو "متاع قليل".

* تثبيت المبدأ: لو كان الفلاح للآخرة فقط، لظن البعض أن الدين عبء دنيوي، ولو كان للدنيا فقط لصار مصلحة مادية؛ الجمع بينهما يجعل الدين "منهاج حياة كاملاً".

الخلاصة:

الفلاح في افتتاح السورة هو النجاح المطلق؛ يبدأ بشعور بالرضا والسكينة في القلب (دنيا)، ويمر بـ السيادة والتمكين للقيم (دنيا)، وينتهي بالخلود في الفردوس (آخرة).

المفهوم الأول

أن نربط هذا المعنى الشامل للفلاح بكيفية "ورثة" المؤمنين للأرض في الدنيا قبل وراثتهم للفردوس في الآخرة يمثل قانون الاستخلاف في القرآن؛ فالمؤمن الذي وصفت السورة صفاته لا يرث الجنة في الآخرة فحسب، بل هو المؤهل الوحيد لورثة الأرض وإصلاحها في الدنيا.

إليك كيف يتحول الفلاح الأخروي (ورثة الفردوس) إلى تمكين وورثة في الدنيا:

1. الوراثة الأخلاقية تسبق الوراثة المادية:

في العهد المكي، كان المشركون يملكون القوة المادية (المال والسلاح)، لكنهم كانوا يفتقرون لـ "الأمانة والوفاء بالعهد".

* الدلالة: عندما وصف الله المؤمنين بأنهم {لَا مَنَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ}، كان يؤسس للطبقة الحاكمة القادمة. بالدولة أو الحضارة لا تقوم على القوة العاشمة، بل على الموثوقية.

* النتيجة: المجتمع الذي يثق أفراداه في أمانة بعضهم البعض هو المجتمع الذي سيرث قيادة الناس؛ لأن الناس بطبعهم ينقادون للأمين الصادق.

2. "الفردوس" و"الأرض": علاقة التماثل:

قال تعالى في سورة الأنبياء: {أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ}، وهنا في سورة المؤمنون قال: {أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ} * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ. {

* الربط: اللفظ واحد (الورثة)، وكأن القرآن يشير إلى أن من استطاع أن يسود نفسه بالخشوع و

العفة والأمانة، فقد ملك "مفاتيح" قيادة الحياة.
* الدلالة: المؤمنون ورثوا "سيادة العالم" في القرن الأول الهجري لأنهم طبقوا دستور سورة المؤمنون؛ فكان القائد المسلم هو الأحرص على الأمانة والأبعد عن اللغو، مما جعل الشعوب تفتح لهم القلوب قبل المدن.

3. الانضباط الذاتي أساس "الدولة".
انظر إلى صفة: {والذين هم لقرؤهم حافظون} (وصفة: {للزكاة فاعلون}. هذا انضباط في أخطر غريزتين تدمران المجتمعات: الجنس والمال. (فالحضارات تسقط عندما ينغمس قادتها في الشهوات وكنز الأموال. لذا، فإن تأكيد السورة على هذه الصفات في مكة كان "تدريباً قيادياً"؛ فمن ضبط نفسه عن الحرام وهو فقير معذب، سيسوس أموال الدولة بالعدل وهو حاكم متمكن.

4. لماذا استخدم لفظ "الوراثة" تحديداً؟
الوراثة تعني انتقال الشيء من يد إلى يد دون جهد عظيم في "التحصيل"، وإنما بـ "الاستحقاق".
* في الدنيا: كأن الله يقول للمؤمنين: "اثبتوا على هذه الصفات، وستسقط عروش الأكاسرة والقيصرة في أيديكم كال ميراث؛ لأنهم فقدوا أمانتهم وضيعوا عهودهم فصاروا غير جديرين بالبقاء".
* في الآخرة: يرثون الفردوس كأنه نصيبهم المحتوم الذي كتب لهم منذ الأزل جزاء ثباتهم.

الخلاصة:
إن افتتاح سورة المؤمنون لم يكن مجرد وعظ، بل كان "إعلان جدارة". الله يخبر العالم في نهاية العهد المكي: هؤلاء هم الذين يستحقون أن تؤول إليهم مقاليد الأمور في الدنيا (وراثة الأرض)، وهم الذين ستؤول إليهم مقاعد الخلود في الآخرة (وراثة الفردوس)."

المفهوم الثاني

تحول "دستور الفلاح" في سورة المؤمنون من قيم أخلاقية في مكة إلى تشريعات وقوانين في المدينة، هو الذي بنى "الدولة النموذج". إليك كيف تجسدت هذه الوراثة عملياً بعد الهجرة:

1. من "الخشوع" إلى "النظام العام":
في مكة، كان الخشوع صلة روحية فردية، وفي المدينة تحول إلى صلاة الجماعة التي تنظم وقت المجتمع.

* التطبيق: الصلاة الخاشعة علمت الصحابة "الطاعة والانضباط"؛ فالكل يقف خلف إمام واحد، يتحركون بحركته، ويصمتون لصوته. هذا الانضباط العسكري والمدني هو الذي جعل جيش المسلمين لا يقهر؛ لأن "الخشوع" هدب نفوسهم قبل المعركة.

2. من "فعل الزكاة" إلى "النظام المالي":
في مكة، كانت الزكاة بمعنى التطهير والصدقة الاختيارية لتعويض المحتاجين، وفي المدينة أصبحت مؤسسة "بيت المال".

* التطبيق: تحولت صفة {للزكاة فاعلون} (إلى تشريع يمنع تكديس الثروة) التداول المالي. (هذا النظام هو الذي ورث الأرض؛ لأنه قضى على الفقر وسد الفجوة الطبقة التي كانت تفتك بالإمبراطوريات الرومانية والفارسية آنذاك.

3. من "حفظ الفروج" إلى "قانون الأسرة":
في مكة، كانت العفة خلقاً فردياً للمؤمن، وفي المدينة نزلت سورة "النور" التي تلي سورة المؤمنون في الترتيب والموضوع (لتضع حدود الزنا والذف وقوانين الاستئذان).

* التطبيق: أصبحت "العفة" سياسة دولة تحمي الأنساب والمجتمع من التفكك. الوراثة هنا تمثلت في بناء مجتمع متماسك داخلياً؛ فالمجتمع الذي لا تنهار أخلاقه، لا ينهار بنيانه السياسي.

4. من "رعاية الأمانة والعهد" إلى "القانون الدولي والتعاقدات":
هذه الصفة تحديداً كانت حجر الزاوية في نجاح الدولة بالمدينة:

* السياسة الخارجية: تجلت في صلح الحديبية؛ حين التزم النبي ﷺ بالعهد رغم قسوته. هذا الصدق في العهد هو الذي جعل القبائل العربية تدرك أن "كلمة المسلم" عقد لا ينكسر، فانضمت القبائل للإسلام م "ميراثاً" و"اقتناعاً".

* السياسة الداخلية: تحولت الأمانة إلى نظام "القضاء" و"الولاية"؛ فلم يولَ أحد منصباً إلا بأمانته، فصار المسؤول خادماً للأمة لا متسلطاً عليها.

دلالة "الوراثة" التاريخية:
عندما دخل المسلمون القدس أو دمشق أو بلاد الفرس، لم يجد الناس "غزاة" يتهبون، بل وجدوا "مؤمنين" يطبقون صفات هذه السورة:

* يحافظون على أمانات الناس (حتى غير المسلمين).

* يوفون بعهودهم) لا يغدرون.

* يترفعون عن اللغو) العيب والفساد.

لذلك ورثوا الأرض؛ لأن الشعوب فضلت "عدل المؤمنين" على "ظلم ملوكهم".
الخاتمة والربط النهائي:

افتتاح سورة المؤمنون ببشارة الفلاح في مكة كان "بناءً للنموذج"، والمدينة كانت "تطبيقاً للنموذج"، و التاريخ كان "شهادة على نجاح النموذج"، فكان الفلاح حقاً شاملاً:ً: للدنيا بالسيادة، وللآخرة بالفردوس.

المفهوم الثالث

دلالة التشبيه بين "الفلاح" الحارث للأرض وبين "المؤمن"؟ هذا التشبيه يضعنا أمام "فقه الاستراتيجية" في القرآن؛ فالمؤمن ليس مجرد عابد، بل هو "مستثمر" و "منتج" يسير وفق قوانين دقيقة تشبه قوانين الزراعة. إليك التفصيل في النسبة بين العمل والإنتاج، وكيفية الاعتناء ببذرة الإيمان كما ورد في الآيات: 1. النسبة بين العمل والإنتاج (قانون المضاعفة): في الزراعة، يضع الفلاح بذرة واحدة، فيعطيه الله سنابل في كل سنبله مائة حبة. * في حياة المؤمن: العمل (الخشوع، الزكاة، حفظ الأمانة (هو "البذرة" المحدودة بجهد الإنسان ووقت عمره القصير.

* أما الإنتاج (الفردوس والخلود (فهو "المحصول" الذي لا ينفد. * الدلالة: استخدام { قد أفلح } بصيغة الماضي يؤكد أن المحصول مضمون بنسبة 100 % إذا كانت البذرة صالحة؛ فالعلاقة ليست طردية فقط بل هي علاقة "كرم إلهي" يحول العمل القليل إلى خلود أبدي.

2. الاعتناء بالبذرة (الري والتسميد):

البذرة هنا هي "بذرة الإيمان" والتوحيد التي في القلب. * الري بالماء (الخشوع): كما لا تحيا الأرض بدون ماء، لا يحيا الإيمان بدون الخشوع في الصلاة. الخشوع هو "الري الدائم" الذي يمنع جفاف القلب وقسوته، فالصلاة الخاشعة تمد النفس بالمدد الروحي الذي يجعلها خضراء يانعة مستعدة للنمو. * التسميد (الزكاة وفعل الخير): السماد هو الذي يقوي ساق النبتة لتتحمل الرياح. والذين هم للزكاة قائلون { هو تسميد لنفس المؤمن بتطهيرها من الشح، وتسميد للمجتمع بالترابط، مما يجعل بيئة النمو قوية ومتماسكة.

3. الحفاظ على جودة الإنتاج من "الآفات" و"الجراد":

لا يكفي أن تزرع وتسقي، بل يجب أن تحمي زرعك. في سورة المؤمنون، حدد القرآن ثلاثة أنواع من الآفات:

* آفة "اللغو" (أسراب الجراد): اللغو هو كل ما لا فائدة فيه من القول والعمل. هو لك "الجراد" الذي يلهثم وقتك وجهك الروحي دون أن تشعر. والذين هم عن اللغو معرضون { هي "المبيدات" التي تمنع تآكل ثوابك وضياح تركيزك عن هدفك (الأسمي) (الفردوس).

* آفة "الشهوة المنفلتة" (الآفات الجرثومية): الشهوة غير المنضبطة تنخر في كيان الإنسان وتحطم جودة "ثمرة" أخلاقه. والذين هم لقرؤهم حافظون { هو السياج الحامي الذي يمنع "تلوث" المحصول وفساد الأنساب والمجتمع.

* آفة "الخيانة والغدر" (سوس المحصول): إذا نبتت الثمرة ولكن أصابها "السوس" من الداخل، فقدت قيمتها. والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون { هو ضمان جودة الثمرة من الداخل، ليكون المؤمن صادق المظهر والمخبر.

4. حماية المحصول من "الرياح العاتية" (السمود):

الرياح العاتية هي الفتن والاضطهاد كما في مكة. (ختام الصفات جاء بـ) والذين هم على صلواتهم يحافظون { المحافظة هنا هي تكرار الفعل والاستمرار عليه مهما كانت الظروف الجوية (ابتلاءات الحياة). هذا النبات هو الذي يحمي "المحصول" حتى يصل إلى مرحلة "القطاف" (الموت والبعث).

5. مرحلة "الحصاد" و"الورثة":

في نهاية الموسم، يحصد الفلاح ثمار تعبته.

* الربط: أولئك هم الوارثون. (الورثة هنا تعني أنك تعبته في "الفلاحة" (العمل)، لكنك ورثت "مزرعة جاهزة" (الفردوس) لا تحتاج فيها إلى تعب أو فلاح أخرى، بل هي عطاء ممتد وخلود تام. خريطة الطريق المختصرة:

* اختر البذرة: الإيمان.

* اسق بالماء: الخشوع الدائم.

* قو بالسماد: العطاء والزكاة.

* طارد الجراد: الإعراض عن كل تافه (اللغو).

* سيج المزرعة: العفة وحفظ الأمانة.

* اصبر على الرياح: المحافظة الدائمة على الصلاة.

* احصد الميراث: الفردوس الأعلى.

هذه هي الاستراتيجية الكاملة التي رسمتها السورة؛ تجعل من المؤمن شخصية منتجة، محمية، واعية

وهادفة، تزرع في دنيا فانية لتحصد في آخرة باقية.

المفهوم الرابع

تطبيق "استراتيجية المؤمن" المذكورة في السورة على واقعنا المعاصر يظهر إعجازاً تربوياً مذهلاً؛ ف الفتن الحديثة تستهدف بدقة تلك "النقاط الحيوية" التي حددتها السورة ك شروط للفلاح. إليك كيف تواجه هذه اللوازم الإيمانية الفتن المعاصرة:

1. فتنة "التشتت الرقمي" والرد عليها بـ) الخشوع:
نعيش في عصر "اقتصاد الانتباه"، حيث تتصارع التطبيقات لخطف تركيزك.
* الفتنة: تشتيت العقل، القلق الدائم، وضياح العمق الروحي.
* المواجهة بالخشوع: الخشوع في الصلاة هو "تدريب يومي على التركيز العميق". المؤمن الخاشع يستعيد السيطرة على عقله وقلبه 5 مرات يومياً، مما يمنحه حصانة ضد القلق الرقمي والتشتت الذهني، ويجعل اتصاله بالله هو المركز الذي لا يزعه ضجيج الإشعارات.
2. فتنة "السبلة الأخلاقية" والرد عليها بـ) لقرؤهم حافظون:
يواجه المؤمن اليوم ضغطاً هائلاً عبر الدراما والمنصات والدعوات للتحرر من أي قيد أخلاقي.
* الفتنة: جعل الحرام سهلاً ومتاحاً ومجماً بأسماء براقية.
* المواجهة بالعفة: صفة "حافظون" في السورة تعني الإيجابية في الحماية وليس مجرد الانكفاء. هي استراتيجية لبناء الذكاء العاطفي والجنسي؛ حيث يدرك المؤمن أن طاقته أئمن من أن تهدر في علاقات عابرة، وأن استقرار الأسرة هو "النواة الصلبة" التي تحمي المجتمع من الانهيار كما انهارت حضارات كبرى بسبب الانحلال.
3. فتنة "الاستهلاك والتافه" والرد عليها بـ) عَن اللغو مغرضون:
نحن في عصر "التربند" والجدل العقيم على منصات التواصل.
* الفتنة: استنزاف العمر في "اللغو" مشاهدة ما لا ينفع، التدخل فيما لا يعني، الجدل الذي لا يثمر عملاً.
* المواجهة بالإعراض: الإعراض هنا هو "قوة اختيارية"؛ فالمؤمن الاستراتيجي يمارس "الصيام الرقمي" عن التوافه. هو يدرك أن "الفلاح" يتطلب استثماراً في الوقت؛ لذا ينسحب من معارك "اللغو" ليوفر طاقته لبناء نفسه وعمارة الأرض.
4. فتنة "المادية الجشعة" والرد عليها بـ) للزكاة فاعلون:
يسود اليوم منطق "الرأسمالية المتوحشة" التي تقدس التراكم المادي الفردي.
* الفتنة: عبادة المال، الانعزال الطبقي، والقسوة تجاه المحتاج.
* المواجهة بالزكاة: تحويل المال من "معبود" إلى "أداة". فاعلون للزكاة {تعني أن المؤمن يمارس دور "المنعش" للاقتصاد الاجتماعي، مما يولد بركة في ماله وحماية لمجتمعه من الحقد الطبقي والجرائم الناتجة عن الحاجة.
5. فتنة "أزمة الثقة" والرد عليها بـ) لَأَمَانَتَهُمْ وَعَهْدَهُمْ رَاعُونَ:
في عصر العقود المعقدة والتحايل القانوني، يندر الرجل الذي "كلمته عهد".
* الفتنة: ضياح الموثوقية، الغش التجاري، ونقض الوعود لتحقيق مكاسب سريعة.
* المواجهة بالأمانة: هذه الصفة تجعل المؤمن "عملة نادرة" في سوق العمل والحياة. عندما يرى العالم مؤمناً يفي بعهده حتى لو خسر مادياً، فإنه يمثل "الدعوة الصامتة". هذه الموثوقية هي التي تفتح للمؤمنين أبواب القيادة والتمكين وراثة الأرض.
الختام: المؤمن "الناجح"
بهذه الصفات، لا يكون المؤمن مجرد شخص "متدين" بالمعنى الضيق، بل يتحول إلى "إنسان متفوق" أخلاقياً ونفسياً وعملياً. هو يمتلك) بوصلة (واضحة وسط ضباب الفتن، ويسير بخطى ثابتة نحو "وراثة الفردوس"؛ لأنه بدأ بوراثة "السيادة الأخلاقية" في الدنيا.

الدرس الرابع

ما هو مفهوم النجاح الحقيقي؟ وما هو الفرق بين الفلاح الدنيوي والفلاح الشامل في الدنيا والآخرة؟ يضعنا هذا السؤال أمام جوهر الوجود الإنساني؛ فالبشر جميعاً يركضون خلف "النجاح"، لكن القليل منهم من يدرك "الفلاح". وسورة المؤمنون جاءت لتعيد ضبط البوصلة وتضع ميزاناً إلهياً لا يخطئ للنجاح الحقيقي.

أولاً: الفرق بين "النجاح المادي" و"الفلاح الشامل":

هناك فرق دقيق وجوهري بين المصطلحين:

- * النجاح الدنيوي: غالباً ما يكون مجتزأً) نجاح في المال مع فشل في الأسرة، أو نجاح في السلطة مع قلق نفسي. (وهو نجاح مؤقت ينتهي بانتهاء مدة المنصب أو الموت.
- * الفلاح الشامل: هو "النجاح الحقيقي" الذي يجمع بين صلاح الحال في الدنيا) سكينه، كرامة، بركة (والفوز بالخلود في الآخرة؛ هو نجاح لا يعقبه ندم، ولا يتبعه فناء.

ثانياً: ميزان النجاح كما ترسمه الآيات:
القرآن في هذه السورة لا يزن الإنسان "بما يملك"، بل "بما يكون" عليه من صفات. الميزان يتكون من كفتين:

- * كفة الصلة بالخالق (الداخل):
- * هل أنت خاشع؟ ميزان السلام النفسي.
- * هل أنت محافظ على الصلاة؟ ميزان الاستمرارية والانضباط.
- * كفة الصلة بالمجتمع (الخارج):
- * هل أنت أمين ووفي بالعهد؟ ميزان الموثوقية.
- * هل أنت معطاء (وعفيف) حفظ فرج؟ ميزان الطهارة الاجتماعية.
- المفاجأة في الميزان القرآني أن الله لم يذكر "حجم الثروة" أو "نوع المنصب" كشرط للفلاح، بل ذكر "كيفية إدارة النفس والمال". فقد تكون غنياً وفالِحاً كعثمان بن عفان، وقد تكون فقيراً وفالِحاً كبلال بن رباح؛ لأن المعيار هو "القيم" لا "الماديات".
- ثالثاً: وقفة مع الذات.. ما هو مفهوم النجاح في نظرك؟
- من الضروري أن يتفحص كل واحد منا "فلتر" النجاح في عقله؛ لأن ما تعتبره نجاحاً سيوجه كل طاقات حياتك:
- * إذا كان نجاحك "مادياً محضاً": ستعيش في سباق محموم لا ينتهي، وسيكون القلق رفيقك لأن المادة متغيرة وزائلة، وستضطر أحياناً للتضحية بالأمانة أو العهد من أجل "المنصب"، وهنا تسقط في ميزان سورة المؤمنون.
- * إذا كان نجاحك "سلطوياً": ستفتقد لذة "الخشوع"؛ لأن كبرياء السلطة قد يمنع انكسار القلب لله، وستعيش في وهم القوة بينما أنت ضعيف أمام غرائذك.
- رابعاً: مفهوم النجاح الحقيقي الذي تعلمنا إياه السورة:
- النجاح الحقيقي في سورة المؤمنون هو "الاستثمار فيما يبقى"، ويمكن تلخيصه في ثلاث نقاط:
- * النجاح هو "الانتصار على النفس": أن تملك القدرة على الإعراض عن اللغو (التافه) وضبط الشهوة . من لا يملك نفسه، لا يعتبر ناجحاً مهما ملك من عقارات.
- * النجاح هو "الأثر الباقي": أن تعيش في المجتمع لك "وارث" للأخلاق؛ تؤدي الأمانة وتفي بالعهد فتكون حياتك "بناءً" لا "هدماً".
- * النجاح هو "النتيجة النهائية": السورة تنبهنا أن النجاح الذي لا ينتهي بـ) الفردوس (هو "خسارة مستترة". النجاح الحقيقي هو الذي تستطيع أن تأخذه معك بعد الموت.
- الخلاصة) خريطة النجاح الحقيقي):
- تقول لنا السورة: "لا تكن ناجحاً في دنيا فاشلة، بل كن فالِحاً بامتلاك قيم الخلود".
- * المال والجاه والسلطان هي "وسائل" وليست "غايات".
- * إذا خدمت هذه الوسائل صفاتك (خشوعك، أمانتك، عفئك)، فأنت ناجح وفالِح.
- * إذا هدمت هذه الوسائل صفاتك، فأنت مستدرج ومخفق مهما علا شأنك.

المفهوم الثاني

- إن ترجمة الإيمان من "مشاعر قلبية" إلى "واقع ملموس" هو الجوهر الذي لخصته سورة المؤمنون في صفاتها الست. الإيمان بدون عمل هو بذور بلا أرض، والعمل بدون إيمان هو شجر بلا جذور.
- إليك الخطة التشغيلية لتحويل إيمانك إلى واقع مستوحاة من "منهج الفلاح":
1. واقع الاتصال العميق (الصلاة والخشوع):
 - لا تجعل صلاتك مجرد حركات، بل حولها إلى "مركز قيادة" لليوم.
 - * التطبيق: خصص دقيقتين قبل كل صلاة لتهدئة ذهنك، قل لنفسك: "أنا الآن في حضرة ملك الملوك".
 - * الأثر الواقعي: ستتحوّل الصلاة من عبء زمني إلى محطة شحن تمنحك هدوءاً نفسياً يظهر في تعاملك مع ضغوط الحياة.
 2. واقع "الفلتر الذهني" (الإعراض عن اللغو):
 - الإيمان يظهر في وعيك بقيمة وقتك.
 - * التطبيق: اسأل نفسك قبل أي نقاش أو تصفح لهاتفك: "هل هذا الفعل يقربني من هدفي (الفردوس أم هو لغو؟" إذا كان لغواً، فانسحب بذلك.
 - * الأثر الواقعي: ستجد لديك طاقة وفراغاً للإبداع والعمل الحقيقي، وسترتفع هيبتك بين الناس لأنك لا تتدخل فيما لا ينفع.
 3. واقع "الطهارة المالية" (الزكاة):
 - الإيمان واقعياً هو "تفتيت الأنانية".
 - * التطبيق: لا تنتظر فقط زكاة المال السنوية، بل اجعل لك "زكاة يومية" من وقتك أو علمك أو مالك لمساعدة غيرك.

* الأثر الواقعي: ستشعر ببركة في رزقك، وتتخلص من عبودية المادة، ويصبح قلبك أكثر ليونة ورحمة.

4. واقع "الانضباط الأخلاقي" حفظ الفروج):

ترجمة الإيمان هنا هي "السيادة على الغريزة".

* التطبيق: ضع "حدوداً حمراء" لا تتجاوزها في علاقاتك ونظراتك؛ ليس خوفاً من الناس، بل حياة من الله.

* الأثر الواقعي: ستبني شخصية قوية موثوقة، وتحمي طاقتك النفسية من التشتت والندم، وتصون أسرتك.

5. واقع "الموثوقية والنزاهة" الأمانة والعهد):

هذا هو الاختبار الأكبر للإيمان في سوق العمل والتعامل.

* التطبيق: كن الشخص الذي إذا وعد وفى، وإذا استؤمن أدى، حتى في أبسط الأشياء) موعد، سر، عهد بسيط).

* الأثر الواقعي: ستصبح "برانداً" علامة تجارية بشرية (للمصداقية؛ الناس سيتعاملون معك ليقيناً منهم بأمانتك، وهذا هو مفتاح "ورثة الأرض".

نصيحة الختام:

ترجمة الإيمان تبدأ بـ "التدرج"؛ لا تحاول أن تكون خاشعاً بنسبة 100 % في يوم واحد، بل ابدأ بـ "المجاهدة". تذكر أن "الفلاح" لا يرى الثمر في يوم الزرع نفسه، بل يرى الأرض قد تشققت عن نبتة صغيرة... استمر في السقي بالعمل الصالح، وستجد إيمانك قد أصبح واقعاً يراه الناس في خلقك قبل أن يسمعه في كلامك.

المفهوم الثالث

أن المقصد الأساسي والهدف من الآيات هو بناء العقلية الواعية لمفهوم النجاح والتفوق، وتحويل آمنيات الإيمان إلى واقع حياة، أي صناعة الإنسان وفقاً للصورة التي يريدها الخالق؛ ولهذا سورة "المؤمنون" لا تقدم مجرد وعظ، بل هي "مانيفستو" بيان (للتغيير الاستراتيجي. فهي تنتقل بالعبد من "آمنيات الإيمان" إلى "هندسة الواقع".

إليك الشرح المفصل لكل نقطة في ملف بناء العقلية الإيمانية الواعية:

1. بناء العقلية الإيمانية الواعية) ماذا يعني النجاح؟)

* الكينونة لا الامتلاك: العقلية الواعية في السورة هي التي تفرق بين "الامتلاك" و"الكينونة".

* السيطرة على المقود: النجاح الشخصي ليس هو تكديس الأرقام، بل هو السيطرة على المقود؛ ف الشخصية الناجحة في السورة هي التي تقاوم الأهواء، الغريزة، اللغو، والكسل، وتوجه إمكانياتها لزراعة الخير.

* استخدام الإمكانيات: المؤمن لديه طاقة) وقت، مال، جهد؛ السورة تعلمه كيف يستثمرها، فالوقت الذي كان سيضيع في "اللغو" يستثمر في البناء، والمال الذي كان سيكنز يضح في "الزكاة". هذا هو الذكاء الاستراتيجي في إدارة الموارد البشرية والمالية.

2. تنمية العقول والنفوس) التألق في الاتجاه الصحيح)

الآيات تعمل كمحفزات نمو للنفس البشرية:

* تنمية العقل: بفرض "الإعراض عن اللغو"، يتدرب العقل على التركيز العالي؛ فالعقل الذي لا ينشغل بـ التوافه يتفرغ للإبداع وعمارة الأرض.

* تنمية النفس: الخشوع يمنح النفس "الصلابة المرنة"؛ صلبة أمام الفتن والمغريات، ومرنة) ساكنة) في مواجهة الكروب. هذا التألق يجعل العبد مؤهلاً "لإحداث التغيير"؛ لأنه ملك نفسه أولاً، ومن ملك نفسه ملك زمام التأثير في غيره.

3. تحويل الإيمان إلى واقع ملموس) معركة التغيير)

تؤكد الآيات أن الفلاح ليس "جائزة يانصيب" تنتظر، بل هو "محصول" يزرع:

* خوض المعركة: لا يمكن الاستمتاع بنصر الفردوس أو التمكين دون خوض معركة الجهاد الأكبر، وهو جهاد النفس.

* العمل المحسوس: السورة بدأت بـ "قد أفلح" ثم سردت أفعالا "مضارعة) يخشعون، معرضون، فاعلون، حافظون، راعون؛ هذه الأفعال تدل على الاستمرار والحركة. فالإيمان "السكوني" الذي يكتفي بالتمني هو إيمان ميت، أما الإيمان "الديناميكي" فهو الذي ينخرط في العمل الممهد للتغيير.

4. إصلاح وتطوير الذات) العزيمة والإرادة الصلبة)

التغيير والتجديد فطرة يحبها الناس، لكن "الإحجام" عنها سببه ضعف الإرادة:

* الداء والدواء: ضعف الإرادة هو "السرطان" الذي يقتل النهضة؛ السورة تعالج هذا بفرض "جدول صارم" المحافظة على الصلوات).

* الإرادة الصلبة: عندما يلزم المؤمن نفسه بالوقوف بين يدي الله خاشعاً، ويحفظ عهده وأمانته رغم المغريات، هو بذلك يمرن "عضلة الإرادة". التغيير يبدأ بـ "أراد" هو؛ أي استنهاض القوة الداخلية

لمواجهة ونقل العادات القديمة.

5.التعاون والعمل كفريق) تجاوز الوحشة)

الإنسان كائن اجتماعي، والسير الفردي في طريق الاستقامة قد يسبب "الوحشة" والارتداد:

* صيغة الجمع: لاحظ أن السورة لم تقل "قد أفلح المؤمن" بالمفرد، بل قالت {المؤمنون}، واستخدمت واو الجماعة في كل الصفات) يخشعون، معرضون، حافظون...)

* فريق العمل: هذا تأصيل لـ "العمل الجماعي"؛ فالمؤمن يحتاج إلى "بيئة حاضنة" فريق عمل . عندما ترى غيرك يخشع، ويؤدي الأمانة، ويترفع عن اللغو، تتقوى إرادتك.

* بناء المجتمع: التعاون في) الزكاة (ورعاية العهود (هو الذي يحول الأفراد إلى "بنیان مرصوص" . الوحشة تزول عندما تدرك أنك جزء من "أمة الفلاح" التي تسير معك نحو نفس الهدف.

خلاصة ملف التغيير في سورة المؤمنون

* المبدأ: الفلاح حتمي) قد.

* المنطلق: إصلاح الداخل) الخشوع.

* الأداة: إرادة صلبة ترفض التوافه) الإعراض عن اللغو.

* الميدان: حركة واقعية في المال والأخلاق) زكاة، عفة، أمانة.

* البيئة: عمل جماعي يشد بعضه بعضاً) المؤمنون.

بهذا التكامل تخرج السورة العبد من "غيوبة الانتظار" إلى "يقظة العمل"، ومن "وحشة الفردية" إلى "عزة الجماعة"، وصولاً إلى "ميراث الخلود".

المفهوم الرابع

أن هذه السورة تبين أهمية تقوية الإرادة كأول خطوة في مسيرة التغيير، ولهذا سوف نقوم باستنباط الخطة التشغيلية لتقوية الإرادة "عضلة الفلاح". هذه الخطة ليست مجرد نصائح، بل هي محاكاة للتدريبات النفسية التي خضع لها الجيل الأول في مكة ليتحولوا من "مستضعفين" إلى "وارثين للأرض".

المرحلة الأولى: تصفير العداد) الإعراض عن اللغو)

لا يمكن بناء إرادة قوية في عقل مشمتت؛ فالإرادة تحتاج إلى "مساحة فارغة" لتعمل.

* التدريب: اختر "لغو" واحداً يستهلك وقتك) منصة تواصل، جدال عقيم، عادة سلبية (وقرر الإعراض عنه تماماً لمدة أسبوع.

* الهدف: استعادة السيطرة على "قرارك"؛ فعندما تقول "لا" لشيء تافه، فأنت تقوي "نعم" للأشياء العظيمة.

* الرابط بالآية: {وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ}.

المرحلة الثانية: التركيز العميق) مدرسة الخشوع)

الإرادة تضعف بسبب القفز الذهني المستمر؛ الخشوع هو "تمرين الثبات".

* التدريب: في كل صلاة، اختر آية واحدة وفكر في معناها بعمق، تحدّ نفسك ألا يخرج عقلك خارج السجادة لمدة دقيقتين فقط.

* الهدف: تدريب العقل على "الانحياز" في طاعة واحدة؛ هذا يبني عزيمة ماضية تجعلك قادراً على التركيز في أهدافك الحياتية دون تشتت.

المرحلة الثالثة: صلابة الالتزام) رعاية العهد والأمانة)

الإرادة هي أن تفعل ما يجب فعله، لا ما تحب فعله.

* التدريب: أزم نفسك بـ "عهد" صغير مع شخص أو مع نفسك؛ مثلاً: "سأقرأ 5 صفحات يومياً"، أو "سأصل في موعدي تماماً"؛ لا تكسر هذا العهد مهما كانت الظروف.

* الهدف: الربط بين "الكلمة" و"الفعل"؛ فعندما تصبح كلمتك مقدسة عندك تصبح إرادتك حديدية، لا نك برمجت نفسك على أن "العهد" لا ينقض.

المرحلة الرابعة: قوة الدفع الجماعي) بيئة المؤمنين)

كما ذكرت، الوحشة تقتل الإرادة؛ فالفرد ضعيف بنفسه، قوي بإخوانه.

* التدريب: ابحث عن "شريك إنجاز" أو مجموعة لديها نفس الهم التطويري؛ اتفقوا على ورد يومي أو خصلة أخلاقية تتبعونها معاً.

* الهدف: كسر حاجز "الاستيحاء"؛ فعندما ترى زميلك يقاوم هواه تخجل أنت من السقوط. هذا هو العمل كفريق الذي يضاعف القوة الإرادية.

المرحلة الخامسة: الاستمرارية) المحافظة على الصلوات)

الخطر الأكبر على الإرادة هو "الحماس المؤقت".

* التدريب: ركز على "الاستدامة" وليس "الكثافة"؛ فعل صغير تدوم عليه) محافظة (خير من فعل كبير تنقطع عنه.

* الهدف: بناء "هوية" جديدة؛ أنت لا "تحاول" الصلاح، بل أنت "مؤمن" من صفاته المحافظة.

الختام: إن "ضعف الإرادة" ليس قدراً محتوماً، بل هو "ضعف في التمرين"؛ سورة المؤمنون هي صالة

الألعاب الرياضية للروح، إذا دخلتها بهذه النية، ستخرج بـ "إرادة صلبة" قادرة على زراعة الخير وورثة الفردوس. أنت الآن تملك الخريطة، وتملك الخطة.

الأمر الرابع

الآية فيها الإجابة على أسئلة "فلسفة الزمن" في التصور الإسلامي، حيث تعيد سورة المؤمنون هيكلة العقل البشري ليتجاوز النظرة الضيقة تحت أقدامه إلى "النظرة الاستراتيجية الممتدة" عبر الزمن وصو لا إلى الخلود.

إليك الشرح المفصل لبناء العقلية المستقبلية كما رسمتها الآيات:

1. بناء العقلية المستقبلية (الشد نحو المستقر الحقيقي)
 - * رؤية المال: العقلية المستقبلية في السورة ليست مجرد "تخطيط للغد"، بل هي "رؤية المال".
 - * الدلالة: بدأت السورة بـ {قد أفلح} وانتهت بـ {يَرْثُونَ الفردوس}؛ هذا "القوس الزمني" يشد أنظار المؤمن نحو الهدف النهائي.
 - * الأثر: المؤمن لا يرى أفعاله (الخشوع، الأمانة (كأعباء يومية، بل كـ "أقساط مدفوعة" في ملكية مستقبلية مؤكدة. هذا يجعل تفكيره "استشرافياً"؛ فهو يسأل دائماً: "كيف سيؤثر فعلي الآن على وضعي في الفردوس؟".

2. "المصير" كمحفز للسلوك والعلاقات
 - تعلمنا السورة أن نتطلع إلى ماهية "المصير" (الفردوس (كوقود لضبط الحركة الحالية:
 - * ضبط السلوك: عندما تستحضر صورة "الورثة والخلود"، يصبح من السهل عليك ضبط غريزتك (حفظ الفروج (أو ضبط لسانك) (الإعراض عن اللغو).
 - * توجيه العلاقات: المصير المشترك (المؤمنون (يجعلك تبني علاقاتك على "العهد والأمانة"، لأنك تدرك أن هذه العلاقات ستمتد إلى الجنة، فلا تفسدها بخيانة أو لغو في الدنيا.

3. التضحية بـ "العاجل" في سبيل "الأجل السعيد"
 - هذا هو جوهر الذكاء الاستثماري الروحي:
 - * المعادلة: العاجل هو اللغو، الشهوة المنفلتة، وإضاعة الوقت؛ والأجل هو الفلاح والخلود.
 - * التطبيق: السورة تدعو المؤمن لممارسة "تأجيل اللذة"، فالتضحية بمتعة اللغو الآن هي ثمن السكينة المستقبلية. المؤمن يدرك أن "العاجل" فان ومشوب بالكدر، بينما "الأجل" باق وخالص الصفاء، فيختار ا لأبقى على الأرشق.

4. الانتصار على الشهوات (سعادة الدارين)
 - الانتصار في معركة "الأهواء" ليس حرماناً، بل هو تحرر:
 - * في الدنيا: السعادة تأتي من عزة النفس والتحكم في القياد؛ فالشخص الذي يقود أهواءه -كما وصفت السورة- يعيش ملكاً، والعبد هو من استعبده شهوته.
 - * في الآخرة: هو الفوز الأكبر؛ فالفرح الحقيقي هو فرح "الناجي" الذي عبر جسر الشهوات بسلام.
5. الرؤية الإسلامية: الآخرة امتداد للدنيا
 - تبني الآيات رؤية تنفي الانفصال بين العالمين؛ فالآخرة ليست عالماً مفاجئاً، بل هي "نتيجة منطقية" للدنيا:

- * الامتداد: النجاح الدنيوي (منصب، مال (إذا لم يعزز بصفات سورة المؤمنون) أمانة، خشوع (فهو "نجاح مبتور" ينتهي بانتهاه الأنفاس.
- * التكامل: النجاح الحقيقي هو "النجاح المتعدي" الذي تبدأ ثمرته في الدنيا (سكينة وذكر حسن (وتكتمل في الآخرة) فردوس وخلود.
- 6. الدنيا "مزرعة" الحراثة العقلية الجادة)
 - النظرة المستقبلية تعني الربط بين جهد الحارث و"وفرة الحصاد":
 - * العمل الجاد: الفلاح (المزارع (لا ينام في وقت البذر وينتظر الثمر؛ كذلك المؤمن، السورة تضعه في حالة عمل دائم) يخشعون، فاعلون، راعون.
 - * معنى الحراثة: كل ركعة خاشعة هي بذر، كل كلمة طيبة هي سقي، كل عهد توفي به هو حماية للمحصول. العقلية المستقبلية تدرك أن "الاستمتاع" مكانه الحصاد الآخرة، أما الدنيا فهي "ميدان الكدح".

7. الأمور المترتبة على هذه العقلية
 - * الاستخلاف الواعي: يصبح المؤمن بئاءً في الأرض لأنه يخاف ضياع ميراثه الأخروي.
 - * الشجاعة الأخلاقية: لا يخشى المؤمن فوات مصلحة دنيوية إذا كان ثمنها التضحية بأمانته؛ لأن نظره "أبعد" من اللحظة الراهنة.
 - * التفاؤل الدائم: حتى في لحظات الانكسار المادي (كمكة)، يظل المؤمن "فالحاً" بيقينه في المستقبل الذي وعده الله به (قد).
 - الخلاصة: سورة المؤمنون تحول الإنسان من "كائن لحظي" يعيش لشهوته اليوم، إلى "إنسان كوني" يخطط لمستقبل يمتد لملايين السنين. هي تعلمنا أن النجاح ليس "محطة" نصل إليها، بل هو "طريق"

نسلكه بوعي تام بأن كل خطوة هنا هي غرسة هناك.

الأمر الخامس

سوف نختم رحلتنا بوضع تأمل ختامي حول: كيف يغير هذا الفهم نظرتنا لـ) الموت (من كونه "نهاية" إلى كونه "بوابة الاستلام" لميراث الفلاح؟.

في هذا الفهم لحقيقة الموت، نصل إلى "الخاتمة الكبرى" في الوعي الإيماني؛ حيث يتحول الموت في سورة المؤمنون من "شبح مخيف" أو "نهاية مأساوية" إلى "لحظة استحقاق" وبوابة لاستلام الميراث الذي ظل المؤمن "يفلحه" طوال عمره.

إليك التأمل الختامي في تحول مفهوم الموت بناءً على "عقلية الفلاح":
1. الموت كـ "لحظة انتقال الملكية"

عندما استخدم القرآن لفظ {الْوَثُونَ}، فإنه قلب موازين الرعب من الموت:

* في المنطق المادي: الموت هو اللحظة التي يفقد فيها الإنسان ممتلكاته (بيته، ماله، سلطانه).
* في منطق سورة المؤمنون: الموت هو اللحظة التي يستلم فيها المؤمن ممتلكاته الحقيقية. هو انتقال من دار "العمل" (المزرعة (إلى دار الجزاء) القصر؛ فالؤمن لا يموت ليفقد، بل يموت ليتر.

2. اليقين بـ "قد" عند سكرات الموت

تخيل المؤمن الذي عاش حياته وفي أذن قلبه صدى {قد أفلح}؛ إنه يواجه الموت برباطة جأش مذهلة. هو يعلم أن "التحقيق" الذي بدأ في الدنيا بكلمة "قد"، سيتحقق عياناً الآن. الموت بالنسبة له هو "العبور الأخير" نحو الوعد الصادق؛ لذا كان الصحابة -تلامذة هذه السورة- يقولون عند الموت: "فزت ورب الكعبة".

3. الصلاة كـ "بروفة" للقاء الختامي

الخشوع الذي تدرب عليه المؤمن في صلاته كان "لقاءً صغيراً" متكرراً مع الله.
* الدلالة: الموت هو "اللقاء الأكبر". المؤمن الذي أنس بالله في خلوات صلاته، لا يستوحش من لقائه عند وفاته؛ فالخشوع علمه كيف يسكن قلبه أمام جلال الله، فإذا جاء الموت، جاء كصديق يحمله إلى من كان يحب ويخشع له.

4. الموت كـ "شهادة جودة" للمحصول

عندما يرحل المؤمن وقد حافظ على أماناته وعهده وأعرض عن اللغو، فإنه يخرج من الدنيا بـ "صحيفة بيضاء". الموت هنا هو "ختم القبول" على ملف "النجاح الحقيقي". هو إعلان انتهاء معركة الأ هواء والشهوات بانتصار ساحق، وبداية زمن "الاستمتاع الأبدي" {هم فيها خالدون}.
الخلاصة الختامية لمنهج سورة المؤمنون

إن هذه السورة تبني "إنساناً مستقبلياً" بامتياز؛ إنساناً لا تكسره هزائم الدنيا لأن فلاحه محقق بـ "قد"، ولا تغره زينة الدنيا لأن عينه على "الفردوس"، ولا يرهبه الموت لأنه بوابة "الميراث".
هذه هي "استراتيجية الفلاح":

* بدايتها: إيمان و يقين.

* وسطها: عمل وانضباط وأخلاق.

* نهايتها: وراثة وخلود.

ثانياً: دور هذه الصفات في بناء الدولة والمؤسسات بالمدينة

لم تكن الصفات الواردة في مطلع سورة "المؤمنون" مجرد قائمة أخلاقية للفرد، بل كانت "هندسة اجتماعية" متكاملة صاغت مجتمع المدينة الأول وحولته من قبائل متناحرة إلى أمة تقود العالم.

إليك كيف ساهمت كل صفة في صياغة البنات الأولى للمجتمع المسلم:

1. الخشوع في الصلاة) بناء وحدة الصف والولاء)

* الأثر الاجتماعي: الصلاة الخاشعة الجماعية علمت المجتمع الأول "المساواة المطلقة"؛ حيث يقف الغني بجانب الفقير، والقرشي بجانب الحبشي) بلال).

* الصياغة: الخشوع وخذ القبلة الذهنية للمجتمع؛ فالمجتمع الذي يخشع لأمر الله في الصلاة يسهل عليه الانقياد لأوامره في السياسة والحرب والاقتصاد، مما خلق مجتمعاً منضبطاً ومنظماً خلف قيادة واحدة.

2. الإعراض عن اللغو) حماية الأمن القومي والنفسي)

* الأثر الاجتماعي: في مجتمعي مكة والمدينة، كانت الإشاعات والقصائد الهجائية وسيلة لتمزيق الصفوف.

* الصياغة: هذه الصفة خلقت مجتمعاً عالي الإنتاجية؛ حيث كفت الألسن عن الغيبة، النميمة، و الجدل العقيم. هذا وفر "الطاقة الكلامية" لتستثمر في العلم والذكر والبناء، مما حمى الجبهة الداخلية من التفكك عبر "القييل والقال".

3. الزكاة) تأسيس التكافل والتوازن الطبقي)

* الأثر الاجتماعي: المجتمع الجاهلي كان يقوم على الربا ونهب أموال الضعفاء.

* الصياغة: صفة الزكاة) فاعلون (لم تكن مجرد صدقة، بل كانت "ضريبة تضامن" حولت المجتمع إلى

"جسد واحد"؛ فالمهاجر الفقير وجد كفاية عند الأنصاري الغني، مما وأد الحقد الطبقي في مهده وأسس لاقتصاد يقوم على البركة لا على الجشع.

4. حفظ الفروج) صيانة النسيج الأسري والأنساب)

* الأثر الاجتماعي: كانت الجاهلية تعاني من اختلاط الأنساب وتعدد الأنماط المهيمنة للعلاقات.

* الصياغة: هذه الصفة أسست "الأسرة المستقرة" كأقوى وحدة في بناء الدولة. عندما أمن كل رجل على عرضه، وأمنت كل امرأة على كرامتها، تفرغ المجتمع للبناء بدلاً من الصراعات الناتجة عن التحلل الأخلاقي، مما ضمن نمو جيل جديد -جيل الصحابة- يتمتع بصحة نفسية وتربية سوية.

5. رعاية الأمانة والعهد) بناء رأس المال الاجتماعي والثقة)

* الأثر الاجتماعي: لا يمكن بناء دولة أو تجارة دون "ثقة".

* الصياغة: كانت هذه الصفة هي "الدعاية الكبرى" للإسلام؛ فعندما رأى العالم أن المسلم لا يخون الأمانة ولا ينقض العهد، تهافت الأمم على الدخول في حلفهم. هذه الصفة هي التي مكنت النبي من كتابة "وثيقة المدينة" مع اليهود والقبائل، لأن الجميع كان يثق في "وفاء المؤمنين".

6. المحافظة على الصلوات) تحقيق الاستدامة والنظام)

* الأثر الاجتماعي: المجتمع الناجح هو المجتمع المستمر في إنتاجه، لا المجتمع الذي يتحسس يوماً ويفتر أياماً.

* الصياغة: علمتهم هذه الصفة إدارة الوقت؛ فالיום المسلم مقسم إلى 5 محطات إجبارية للتجمع والتشاور والعبادة. هذا النظام الصارم خلق مجتمعاً يقطاً، منضبط المواعيد، وقادراً على الحشد والتحرك في أي لحظة.

الخلاصة: سورة المؤمنون لم تكن تصف أشخاصاً يعيشون في الصوامع، بل كانت تصف "المواطن الصالح" في دولة الإسلام الأولى؛ فكل صفة كانت بمثابة صمام "أمان" يمنع المجتمع من الانهيار الذي أصاب الأمم من حولهم.

المفهوم الثاني

كيف يمكن استعادة هذه "الصياغة المجتمعية" في واقعنا المعاصر المليء بالتحديات؟ إن استعادة هذه الصياغة المجتمعية في واقعنا المعاصر ليست ضرباً من الخيال، بل هي "ضرورة استراتيجية" للخروج من أزمت التفكك القيمي والضياح الهوياتي. سورة المؤمنون لا تقدم حلولاً "لزمن مضى"، بل تقدم "نظام تشغيل" صالحاً لكل زمان إذا أحسن تطبيقه.

إليك كيف يمكننا إسقاط هذه الصفات الست لإعادة بناء "المجتمع الفالح" اليوم:

1. من "فردية التدين" إلى "روح الجماعة" (الخشوع والمحافظة)

* التحدي المعاصر: نعيش في عصر "الفردانية"، حيث يعزل كل شخص في عالمه الرقمي.

* الاستعادة: تحويل الصلاة من "واجب ثقيل" إلى "ملتقى مجتمعي"؛ بتفعيل دور المسجد كمركز للتشاور وحل المشكلات والتعارف) كما كان في عهد النبوة. (الانضباط الجماعي في الصلاة هو التمرين الأول لاستعادة وحدة الصف في مواجهة التحديات الكبرى.

2. "تنقية الفضاء العام" (الإعراض عن اللغو)

* التحدي المعاصر: الانفجار المعلوماتي، "التريندات" التافهة، والجدال المستعر على منصات التواصل الذي يورث الشحناء.

* الاستعادة: تبني ثقافة "السمو الأخلاقي الرقمي"؛ فالمجتمع الذي يقرر جماعياً الإعراض عن "اللغو الرقمي" (التجسس، التنمر، نشر الإشاعات) (هو مجتمع يحمي أمنه النفسي ويوفر وقته للإبداع والعمل الحقيقي).

3. "الاقتصاد الأخلاقي" (الزكاة كأداة تنمية)

* التحدي المعاصر: الفجوات الطبقة الهائلة والأزمات الاقتصادية التي تولد الجريمة والحقد.

* الاستعادة: الانتقال من "الصدقة العابرة" إلى "المؤسسة التنموية"؛ بتفعيل الزكاة والوقف لإقامة مشاريع إنتاجية للشباب وتحويل الفقير من "مستهلك للمعونة" إلى "منتج في المجتمع". هذا هو المعنى الحقيقي لـ {للزكاة فاعلون}، أي تفعيل دور المال في إحياء الأمة.

4. حماية "الخلية الأولى" (العفة والوفاء)

* التحدي المعاصر: تفكك الأسر، ارتفاع نسب الطلاق، والسيولة الأخلاقية التي تهدد الأجيال القادمة.

* الاستعادة: جعل "العفة" و"رعاية العهد" قيمة مجتمعية علياً؛ فالمجتمع الذي يحترم العهد الزوجي ويصون الحرمات هو مجتمع يخرج أجيالاً "تتمتع بتوازن نفسي وقدرة على العطاء، بدلاً من أجيال مشتتة بين الصراعات الأسرية.

5. بناء "دولة الموتوقية" (الأمانة والعهد)

* التحدي المعاصر: الفساد الإداري، الغش التجاري، وعدم الالتزام بالمواعيد والعقود.

* الاستعادة: أن يصبح "صدق المؤمن" هو المحرك للاقتصاد؛ عندما يلتزم التاجر المسلم والموظف المسلم بالأمانة والعهد كجزء من دينه، سنخلق بيئة استثمارية جاذبة قائمة على "الثقة المطلقة"، مما يؤدي تلقائياً إلى وراثة الأرض اقتصادياً وسياسياً.

خريطة الطريق لاستعادة المجتمع الفالح:

- * التعليم: دمج قيم سورة المؤمنون في المناهج كـ "مهارات حياتية" وليست مجرد نصوص للحفظ.
- * القدوة: تفعيل هذه القيم في "النخبة" (المعلم، الأب، المسؤول)؛ فالمجتمع يقلد القوي الأمين.
- * المبادرة: عدم انتظار "التغيير الكلي"، بل البدء بـ "مجتمعات صغيرة فالحة" (أسرة، شركة، حي سكني) (تطبق هذه المعايير وتكون نموذجاً يحتذى به).
- الكلمة الختامية: سورة المؤمنون بدأت بـ "فلاح" وانتهت بـ "ميراث"؛ فالمجتمع الذي يتصف بهذه الصفات لا يحتاج أن يطالب بالسيادة، بل هي ستأتيه "وراثته" بحكم قوانين الله في الكون. إن الفلاح ليس حكرًا على جيل الصحابة، بل هو عرض مستمر لكل مجتمع يمتلك الإرادة للتحويل من "الغثائية" إلى "الفلاح".

ثانياً: بالوقوف على الآيات (١-١١) نجد أنها تبين الآتي

الأمر الأول: مقياس الفلاح بناءً على هذه الآيات

- الآيات تتحدث عن "مقاييس الفلاح"، فقد بدأت بقوله قد أفلح المؤمنون واليك تحليل هذه المقاييس وفقاً لهذه الآيات
- أولاً: مقاييس الفلاح الربانية في سورة المؤمنون (1) - (11)
- ترسم هذه الآيات "بروفايل" أو صورة متكاملة للشخص الناجح عند الله، وهي مقاييس سلوكية وروحية ومجتمعية:
- * الخشوع في الصلاة: {الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ}؛ وهو مقياس الاتصال الروحي والتركيز الذهني.
 - * الإعراض عن اللغو: {وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ}؛ وهو مقياس استثمار الوقت والترفع عن التفاهات وما لا ينفع.
 - * تزكية المال والذات: {وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ}؛ مقياس العطاء والمسؤولية الاجتماعية.
 - * العفة والمنظومة الأخلاقية: {وَالَّذِينَ هُمْ لِأَقْرَبِهِمْ حَافِظُونَ}؛ مقياس الانضباط الأخلاقي والسيطرة على الغرائز.
 - * الأمانة والوفاء بالعهود: {وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ}؛ مقياس الموثوقية والمصادقية في التعاملات.
 - * المداومة والالتزام: {وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ}؛ مقياس الاستمرارية والنظام.
- ثانياً: النجاح في أداء المهام عند تطابق المقاييس
- عندما يتبنى الشخص هذه المقاييس الربانية، فإنه ينجح في مهامه الدنيوية (عمل، دراسة، قيادة) بشكل استثنائي لأن:
- * الإعراض عن اللغو يجعله أكثر إنتاجية وتركيزاً في عمله.
 - * رعاية الأمانة والعهد تجعله شريكاً مثالياً وموظفاً نزيهاً يثق به الجميع.
 - * الخشوع والمحافظة على الصلاة يمنحانه توازناً نفسياً وهدوءاً تحت الضغط، مما يمنع الاحتراق الوظيفي.

ثالثاً: نصاب التوازن بين النجاح الدنيوي والأخروي

الآيات لا تطلب من الإنسان الانعزال، بل تضع "نصاباً" دقيقاً للتوازن:

- * النجاح الدنيوي كطريق للأخروي: الآيات ذكرت الأمانة، العهد، الزكاة، والعفة، وكلها ممارسات تتم في قلب الحياة الدنيا، مما يعني أن النجاح في الآخرة يمر عبر النجاح في إدارة شؤون الدنيا بأخلاق السماء.

- * الاستثمار في "الإرث" الحقيقي: وصفت الآيات الفائزين بـ "الوارثين"، والورثة هم من يملكون؛ ف المؤمن لا يترك الدنيا، بل "يملكها" ليوصلها نحو الفردوس.
- * التوازن بين الروح والمادة: (الصلاة = روح) + (الزكاة = مادة) + (الأمانة = معاملات)؛ هذا المثلث هو نصاب التوازن الذي يضمن للإنسان ألا يطفئ جانبه المادي على روحه، ولا روحه على واجباته الاجتماعية والمادية.

الخلاصة: الفلاح في سورة المؤمنون هو "النجاح الشامل" الذي يبدأ بضبط العلاقة مع الخالق وينتهي بضبط العلاقة مع المجتمع، ليكون الفردوس هو المكافأة الكبرى.

الأمر الثاني: الصفة الأولى (الخشوع في الصلاة)

المفهوم الأول

- تعد الصفة الأولى {الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ} هي مفتاح الفلاح وأساس بناء شخصية المؤمن، فهي ليست مجرد شعيرة، بل هي حالة ذهنية ونفسية تنعكس على كل تفاصيل حياة الإنسان.
- إليك شرح هذه الصفة وكيف تمثل مقياساً ربانياً للنجاح:
- * مفهوم الخشوع (التركيز والسكينة): الخشوع في اللغة هو الخضوع والسكون، وفي الصلاة يعني

حضور القلب بين يدي الله، وفراغ النفس من الشواغل الدنيوية أثناء الوقوف بين يديه.

* المقياس الرباني: "النجاح يبدأ من الداخل؛" إذا استطعت السيطرة على عقلك وقلبك لمدة دقائق، فأنت مؤهل لقيادة حياتك.

* المقياس البشري المقابل: التركيز فقط على الأداء الظاهري أو الحركات الآلية دون روح أو وعي.

* كيف ينجح الإنسان في مهامه من خلال "الخشوع"؟

الخشوع ليس محصوراً في السجادة، بل هو تدريب يومي عالي المستوى يمنح المؤمن مهارات يفقدها الكثيرون في عصرنا الحالي:

* قوة التركيز: في عصر التششت والإشعارات المستمرة، يعتبر الخشوع تدريباً على "التركيز العميق".

فالموظف أو الطالب الذي يتقن الخشوع يمتلك قدرة أعلى على فصل المؤثرات الخارجية والتركيز في مهمته الحالية بإتقان.

* الذكاء العاطفي والثبات: الخشوع يمنح النفس سكينه تجعل الإنسان هادئاً أمام ضغوط العمل وأزمات الحياة؛ فهو لا ينفعل بسرعة لأن لديه مركز ثقل داخلياً مرتبطاً بالخالق.

* إدارة الذات: القدرة على إلزام النفس بالوقوف والخشوع في أوقات محددة تعكس انضباطاً ذاتياً عالياً، وهو المحرك الأساسي لأي نجاح مهني.

* نصاب التوازن في هذه الصفة:

ترسم الآية توازناً دقيقاً بين "الواجب" و"الجودة":

* الآية لم تكتفِ بكلمة "يصلون"، بل أضافت "خاشعون".

* نصاب التوازن: أن النجاح الدنيوي لا يكفي فيه الحضور الجسدي فقط (كالتواجد في المكتب أو الفصل)، بل لا بد من حضور الوعي والإتقان. فالصلاة بلا خشوع كجسد بلا روح، وكذلك العمل بلا إخلاص وتركيز هو عمل باهت لا يؤدي للفلاح.

* أثر هذه الصفة على "مقاييس الفلاح":

حين يمتلك الإنسان صفة الخشوع، فإنه يتخلص من "الأنا" المتضخمة؛ لأن الوقوف بخشوع أمام العظيم يذكره بحجمه الحقيقي، مما يجعله:

* أكثر تواضعاً مع زملائه (نجاح اجتماعي).

* أكثر صدقاً مع نفسه (نجاح نفسي).

* أكثر إيماناً بأن النتائج بيد الله، مما يزيل عنه رعب الفشل (نجاح وجودي).

المفهوم الثاني

تقديم صفة الخشوع في الصلاة كأول ملمح من ملامح الفلاح في سورة المؤمنون ليس عفوية، بل هو ترتيب إلهي يحمل دلالات نفسية وتربوية وعملية عميقة لعدة أسباب جوهرية:

* الخشوع هو "المحرك الداخلي" (الإخلاص): كل الصفات التي تلت الخشوع (الزكاة، حفظ الفرج، الأمانة، الوفاء بالعهد) هي صفات ظاهرية تتعلق بالمعاملات مع الخلق، أما الخشوع فهو صفة باطنية تتعلق بالصلة بالخالق.

* الرسالة: الفلاح الحقيقي لا يبدأ من تغيير السلوك الخارجي فقط، بل يبدأ من "إصلاح القلب"؛ فإذا صلح القلب بالخشوع، سهّل على الإنسان ترك اللغو، وأداء الزكاة، وحفظ الأمانة.

* التدريب على الاستعلاء على المادة: الصلاة هي اقتطاع وقت من ضجيج الدنيا والسعي المادي للوقوف بين يدي الله.

* الرسالة: تقديم الخشوع يعني أن أول خطوة في طريق النجاح هي القدرة على "التحكم في الانبساط" والتحرر من أسر المادة؛ فمن لا يستطيع الخشوع لرب العالمين لدقائق سيصعب عليه الانضباط أمام شهوات الدنيا ومغرياتها.

* الخشوع هو "ميزان القبول": في مقاييس البشر، النجاح يُقاس بالكم (كم ربحت؟ كم أنجزت؟)، أما في مقياس الله، فالنجاح يُقاس بالكيف والجودة. الصلاة هي عماد الدين والخشوع هو روح الصلاة؛ وتقديم الخشوع يخبرنا أن "القيمة" أهم من "العدد"، وأن العمل -سواء كان صلاة أو وظيفة- لا قيمة له إذا فرغ من الإتقان والروح.

* تحقيق التوازن النفسي (السكينة): الفلاح رحلة طويلة شاقة تتطلب نفساً هادئة؛ الخشوع هو المصدر الذي يمد المؤمن بالطاقة والسكينة.

* الرسالة: البدء بالخشوع هو تزويد المؤمن بالوقود اللازم ليتمكن من تنفيذ بقية المتطلبات (الإعراض عن اللغو، كبح الشهوات، تحمل أعباء الأمانة)؛ فالخاشع هو الأكثر قدرة على الثبات والوفاء بالعهد.

مقارنة سريعة لتوضيح الفكرة:

* لو بدأت الآيات بالزكاة، لظننا أن الفلاح هو "القدرة المالية" فقط.

* لو بدأت بحفظ الفرج، لظننا أن الفلاح هو "العفة الجسدية" فقط.

لكن البدء بالخشوع جعل الفلاح يبدأ من "المركز" (القلب والعقل)، ليكون ما بعده مجرد ثمار لهذا الأصل الأصيل.

المفهوم الثالث

الكثير من الناس يقومون بأداء الصلاة دون خشوع ودون أن تظهر آثارها على سلوكهم؛ ولهذا عليك أن تدرك أن هناك فرقاً بين "الأداء الآلي" و"العبادة الحية"، وهو الفرق بين الجسد والروح. إليك التفصيل:

أولاً: الفرق بين صلاة الخشوع وصلاة العادة
الصلاة لـ "العادة" هي مجرد تفريغ لشحنة من الواجبات الحركية، بينما الصلاة بـ "خشوع" هي عملية شحن للروح

أوجه المقارنه	صلاه الخشوع الایمانیه	صلاة العادة الآلية
الوعي	حضور القلب واستشعار الوقوف أمام ملك الملوك (المقام الرباني)	غياب الذهن، والتفكير في مشاكل الدنيا والخطط القادمة.
السرعة	طمأنينة في كل ركن، وإعطاء كل حركة حقها من الزمن.	نقر كنقر الغراب، واستعجال للا انتهاء والعودة للحياة
الأثر النفسي	الشعور بالراحة "فيها" (السكينة والأمن)	الشعور بالراحة "منها" (التخلص من العبء).
التأثير السلوكي	تضبط السلوك وتطهر النفس لأنها اتصال حقيقي.	لا تنهى عن الفحشاء والمنكر لأنها حركات بلا معنى.

ثانياً: كيف تعالج قلبك عندما يفقد الخشوع؟

فقدان الخشوع مرض قلبي عارض يُعالج بالخطوات التالية:

* الاستعداد الذهني قبل الصلاة: لا تدخل الصلاة مباشرة من ضجيج الدنيا؛ اجلس دقيقة قبل التكبير واستشعر عظمة من ستقف أمامه.

* تجديد معاني الأذكار: لا تكرر الفاتحة والتسبيح كأشرطة مسجلة؛ توقف عند "إياك نعبد"، استشعر "سبحان ربي العظيم"، وغير السور التي تقرأها بانتظام لتكسر روتين العادة.

* المجاهدة: الخشوع ليس زراً تضغطه، بل هو جهاد؛ إذا سرحت عد فوراً واستغفر، ولا تستسلم للشيطان.

* تقليل اللغو خارج الصلاة: كما قالت السورة {وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ} جاءت بعد الخشوع مباشرة؛ لأن كثرة الكلام الضائع والتفاهات تملأ القلب بالضجيج، فلا يجد الخشوع مكاناً يسكن فيه.

ثالثاً: أهمية السكون والسكينة

السكون في الصلاة ليس مجرد توقف عن الحركة، بل هو "تصفير" لعدد القلق الدنيوي:

* جسدياً: يقلل من هرمونات التوتر (الكورتيزول) وبيعيد التوازن للجهاز العصبي.

* نفسياً: السكينة هي "الميناء" الذي ترسو فيه سفينة النفس المتعبة؛ فالخاشع يخرج بوضوح رؤية وقدرة على اتخاذ قرارات حكيمة لأن عقله "هدأ".

رابعاً: أهمية الصلاة في توجيه سلوك الإنسان

الصلاة هي البوصلة الأخلاقية اليومية؛ كيف توجه سلوكنا؟

* الاستقامة: المصلي يقرأ 17 مرة في الفريضة {اهدنا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}، وهذا تذكير مستمر بضرورة الاستقامة في العمل والتعامل.

* الانضباط والوقت: الالتزام بمواعيد الصلاة يدرّب الإنسان على احترام الوقت والعهود.

* الرقابة الذاتية: من يخشع في صلاته يستحي أن يظلم أو يغش، لأن شعور "الله يراني" يظل معه خارجها.

* التواصل: وضع الجبهة على الأرض في السجود يحطم الكبرياء الزائف، مما يجعل الإنسان ليناً في تعامله مع الناس.

الخلاصة: الصلاة هي "المختبر" الذي تُصقل فيه الشخصية المؤمنة؛ فإذا نجحت في الخشوع داخل هذا المختبر، نجحت في أداء مهامك الكبرى في الحياة.

المفهوم الثالث: الأسرار البلاغية والدلالات التجويدية

تحمل الآية الثانية {الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ} أسراراً بلاغية ودلالات تجويدية عميقة:

أولاً: اللامسات البلاغية في الآية

* تقديم الجار والمجرور (في صلاتهم): الترتيب الطبيعي هو "خاشعون في صلاتهم"، لكن تقديم الجار والمجرور يفيد الاختصاص والحصر؛ وكأن المؤمنين يحصرهم كامل تركيزهم داخل الصلاة فلا يشغلهم شاغل.

* الجملة الاسمية (هم... خاشعون): استخدام الجملة الاسمية بدلاً من الفعل "يخشعون" يدل على الثبوت والاستمرار؛ فالخشوع صفة ثابتة في شخصيتهم وليست حالة عارضة.

* الإضافة في (صلاتهم): إضافة الصلاة إليهم (صلاة + هم) توحى بالملازمة والتمكين، وأنها أصبحت

جزءاً من يومهم وليست مجرد طقس يُؤدونه غصاً.
 ثانياً: أحكام التجويد وعلاقتها بالمعنى
 التجويد ميزان يعطي كل حرف حقه، مما يعمق السكينة المطلوبة:
 * المد الطبيعي في (الذين) و(صلاتهم): مقداره حركتان، وهو يعطي القارئ فرصة لـ "التأني" وعدم السرعة، وهذا أول درجات الخشوع الجسدي.
 * إظهار الميم الساكنة في (صلاتهم خاشعون): حكمه "إظهار شفوي"، يتطلب انضباطاً في مخرج الحرف، ويرمز إلى اليقظة الذهنية للمؤمن الخاشع المدرك لما يقول.
 * حرف الخاء في (خاشعون): حرف مستعل (مفخم) من الدرجة الأولى؛ والتفخيم يعطي صوتاً قوياً يوحي بـ "الهيبة" والإجلال، وهو لب الخشوع.
 * مد العارض للسكون (خاشعون) عند الوقف: مقداره (2، 4، 6) حركات؛ وينتهي المقطع بسكون يمنح النفس لحظة هدوء، وهي ترجمة صوتية لمعنى السكينة.
 خلاصة التوازن: الآية بدأت بـ (الذين هم) لتثبيت الصفة، وقدمت (في صلاتهم) لتحديد الموطن، وانتهت بـ (خاشعون) بتفخيمها ومدها لتعيش المعنى صوتاً وقلباً.

الأمر الثاني: الصفة الثانية (الإعراض عن اللغو)

تنتقل بنا الآية {وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ} من دائرة "الصلة بالله" (الخشوع) إلى دائرة "إدارة الذات والوقت".
 المفهوم الأول: قيمة الوقت
 في مقاييس الفلاح، الوقت هو "وعاء العمل"؛ والآية تضع مصفاة (فلتر) على كل ثانية من عمرك؛ فإما أن يكون القول أو الفعل "حقاً" (نافعاً)، أو هو "لغو". الإعراض عن اللغو يوفر فائض الطاقة للإبداع والنجاز.

المفهوم الثاني: حفظ اللسان
 اللسان هو أكثر الأعضاء استهلاكاً للوقت بغير فائدة؛ واللغو يبدأ باللسان ثم يتحول لضياع للوقت وقسوة في القلب. المفلاح يدرك أن "الكلمة" طاقة، ومن يسيطر على لسانه يمتلك "الرزانة" و"الهيبة".
 المفهوم الثالث: الانتقائية في وسائل التواصل
 وسائل التواصل هي "مستنقع اللغو" الأكبر؛ وتطبيق الآية يكون بإلغاء متابعة المحتوى التافه، والدخول لهذه الوسائل بمهمة محددة لا تصفحاً عشوائياً يقتل الخشوع لاحقاً.

المفهوم الرابع: اختيار الرفقة
 المؤمن المفلاح "انتقائي" في أصدقائه؛ لأن البيئة التي يغلب عليها الهزل تقتل الطموح، والمعيار هو: اختر من إذا جلست معهم ارتفع وعيك، فالصاحب صاحب.

المفهوم الخامس: استثمار الوقت
 "نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل"؛ الخطة العملية هي استبدال اللغو بـ "البدائل النافعة" كـ القراءة أو التخطيط، وهذا هو الاستثمار الذي يفرق بين الناجح والفاشل.

المفهوم السادس: عزة النفس والمروءة
 كلمة "معرضون" تحمل أنفة وعزة؛ فالمفلاح يرى نفسه أكبر من أن يضيع وقته في مشاجرة تافهة، وهذا يمنحه وقاراً يحترمه الجميع.
 كيف تطبق هذه الآية؟

* قاعدة الـ 5 دقائق: قبل أي فعل اسأل نفسك: "هل هذا سيفيدني في دنيائي أو آخري؟"، إذا كان الجواب (لا)، فهو لغو فاعرض عنه.

* تنظيف البيئة الرقمية: خصص وقتاً لحذف التطبيقات التي تمثل لغواً بصرياً.

* الانسحاب الراجي: تدرب على إنهاء المحادثات التي تتحول للغو بأسلوب مهذب.

الخلاصة: الإعراض عن اللغو هو ذكاء عملي بامتياز وتوجيه كامل للطاقة نحو الأهداف الكبرى.

الدرس الثاني: تفصيل الصفة الثانية {وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ}

تمثل هذه الصفة "الدرع الواقى" للخشوع، وترسم ميزان الفلاح في استثمار رأس مال الإنسان (الوقت والجهد).

أولاً: اللمسات البلاغية

* تقديم الجار والمجرور (عن اللغو): لبيان شدة الاهتمام بتجنب اللغو تحديداً؛ فالمؤمن "متخصص" في تمييزه والابتعاد عنه لأنه العدو الأول لصفاء القلب.

* التعبير بـ "معرضون" (اسم فاعل): يدل على الديمومة والثبات؛ فالإعراض منهج حياة وليس موقفاً لمرة واحدة.

* حرف الجر "عن": يوحي بوجود مسافة؛ فالمؤمن يبتعد عن اللغو مسافة كافية (إعراض نفسي وجسدي).

ثانياً: العلاقة بالخشوع

هذا الترتيب يمثل قانون التوازن: الخشوع "تخلية وتحلية"، والإعراض عن اللغو "حماية" لتلك السكينة. من ملاً وقته باللغو تشتت ذهنه، فإذا دخل الصلاة وجد عقله مزدحماً، لذا الإعراض عن اللغو هو "استعداد غير مباشر" للصلاة.

ثالثاً: أحكام التجويد

* إظهار النون (عن اللغو): النون مكسورة لالتقاء الساكنين؛ وسرعة الانتقال توحى بـ "الحزم" وقوة الإرادة أمام اللغو.

* تفخيم الغين في (اللغو): الغين حرف مستعل؛ والتفخيم يعطي شعوراً بـ "الثقل" والذم لهذا الفعل، مما ينفر النفس منه صوتياً.
رابعاً: مقاييس الفلاح العملي

* الإنتاجية: اللغو هو كل ما لا فائدة فيه؛ والمقياس الرباني هو الإنتاجية.

* الذكاء الاجتماعي: الناجح يملك الشجاعة للانسحاب من الحوارات المستهلكة للطاقة.

* حفظ الطاقة الذهنية: توفير طاقة العقل للأمور العظيمة كالأمانات والعهود.

نصاب التوازن: التوازن لا يعني الجدية المفرطة، بل أن يكون الترويح عن النفس وسيلة للتقوي على الطاعة، وليس لغواً يضيع العمر.

الدرس الثالث: دقة حرف الجر "عن" وتعريف "اللغو"

أولاً: لماذا "عن اللغو" وليس "اللغو معرضون"؟

* المجاوزة والبعد: حرف "عن" يفيد المجاوزة؛ فالمؤمن يصنع مسافة بينه وبين اللغو.

* الاستعلاء والترفع: "عن" تعطي شعوراً بالأنفة؛ فالمصلي الخاشع ينظر للغو من "أعلى" فيترفع عنه.

* المجاهدة والإرادة: الإعراض "عن" الشيء يتطلب قراراً واعياً بالابتعاد عن الضجيج للحفاظ على التركيز.

ثانياً: ما هو اللغو؟ (التعريف الواسع)

اللغو ليس المحرمات فقط، بل يشمل:

* ما وراء الكذب: يشمل كل كلام أو فعل ساقط لا فائدة فيه، حتى وإن كان مباحاً في أصله.

* شمولية الدنيا والدين: اللغو هو كل نشاط لا يعود بثمرة؛ في الدين كالجدال العقيم، وفي الدنيا كقضاء الساعات في تتبع أخبار المشاهير.

الضابط الذهبي: "اللغو هو كل ما استوى وجوده وعدمه في ميزان المنفعة".

ثالثاً: اللغو والمروءة

يرتبط الإعراض عن اللغو بـ "الهيبة والوقار":

* تجنب الهزل المفرط والضحك الذي يميم القلب.

* ترك ما لا يعني الإنسان.

* تجنب مجالس الفراغ لمجرد قتل الوقت.

رابعاً: كيف يرفع هذا المفهوم قيمة الوقت؟

يتحول وقتك إلى "محفظة استثمارية" من خلال:

* الانتقائية: في الكلمات، والمعارك، والأصدقاء.

* التركيز: الذي يصنع المبدعين لأنهم لا يشتتون طاقاتهم.

* تزكية النفس: القلب الصافي يظل مستعداً لاستقبال الحكمة.

مثال عملي:

* الباطل: الكذب في تقرير العمل (إثم).

* اللغو: قضاء ساعة العمل في حديث عن "تريند" تافه (يقدر في الفلاح المهني).

* الفلاح: التركيز في العمل والإعراض عن الأحاديث الجانبية.

الدرس الرابع

تربية النفس على الإعراض عن اللغو هي عملية "فطام" للروح عن التشتت ونقله نوعية من فوضى الثثرة إلى نظام الإنجاز. إليك منهجاً عملياً لكيفية تربية نفسك، ولماذا يعتبر الإعراض حفظاً للقلب قبل اللسان.

أولاً: كيف تربى نفسك على الإعراض عن اللغو؟ خطوات عملية)

قاعدة ال-3 أسئلة) المصفة الذهبية:

قبل أن تنطق بكلمة أو تفتح تطبيقاً أو تشارك في مجلس أسأل نفسك:

* هل هذا حق؟ (صدق)

* هل هذا نافع؟ (فائدة في دين أو دنيا)

* هل الوقت مناسب؟

إذا سقط أحد الشروط، فالصمت أولى.

تعويد النفس على "خلوة الفكر":
 اللغو غالباً ما يكون هروباً من مواجهة النفس. خصص وقتاً يومياً للصمت التام والتفكير، هذا يقوي "عضلة الإرادة" لديك، ويجعلك تختار كلماتك بعناية بدلاً من أن تخرج عفوية تافهة.
 الاستبدال لا مجرد الحرمان:
 النفس لا تترك فراغاً؛ اشغل لسانك بـ (الذكر، التعلم، القراءة، التخطيط لعملك). (عندما يمتلئ يومك بـ "العظام"، ستستصغر "السفاسف" التي هي اللغو تلقائياً.
 تغيير البيئة (المؤثرات الخارجية):
 أصعب مراحل التربية هي الانسحاب من "مجالس اللغو" ****. ابدأ بتقليل التواجد في أماكن القيل و القال، واعتذر بلطف وعزة نفس. تذكر أن "الصاحب صاحب"، فابحث عن رفقة تعلو بهم همتك.
 الصيام الرقمي:
 حدد ساعات معينة تغلق فيها هاتفك تماماً؛ فوسائل التواصل هي أكبر مصنع للغو في العصر الحديث، وتربية النفس تبدأ من "السيطرة على إبهامك" قبل لسانك.
 ثانياً: لماذا الإعراض عن اللغو "حفظ للقلب قبل اللسان"؟
 هذه هي اللفتة الأعمق في الآية؛ فاللسان ليس إلا "مغرفة" لما في "قدر" القلب.
 القلب وعاء محدود الطاقة:
 كل كلمة لغو تسمعها أو تقولها تأخذ حيزاً من اهتمامك وتفكيرك. عندما تعرض عن اللغو، أنت تحمي قلبك من "الضجيج" مما يبقيه صافياً ومستعداً للخشوع (الصفة الأولى).
 رقة القلب وقسوته:
 كثرة الكلام بغير فائدة تورث قسوة القلب. اللغو يجعل الإنسان سطحيًا، لا يتأثر بالمواعظ ولا يستشعر الجمال. الإعراض عن اللغو يبقي القلب "رقيقاً"، سريع الاستجابة للحق، متصلاً بـ خالقه.
 اللسان يريد القلب:
 عندما تفتح باب اللسان لكل تافه فأنت تشرع أبواب قلبك لكل تشتت. الإعراض هو "حارس أمن" على باب القلب يمنع دخول الأفكار المسمومة والظنون السيئة والاهتمامات الدنيئة التي يغذيها **** اللغو.
 حفظ "هيبة" الروح:
 القلب الذي يشغل باللغو يفقد هيئته أمام نفسه وأمام الناس. الإعراض يمنح القلب "وقاراً" داخليًا، فتصبح النفس عزيزة لا تقبل الدون، وهذا هو جوهر المروءة التي ذكرتها في سؤالي السابق.
 ثالثاً: الربط بين الصفتين (الخشوع واللغو) والترتيب القرآني عبقرى:
 * (الخشوع) الآية (2) هو شحن للقلب بالنور.
 * (الإعراض عن اللغو) الآية (3) هو إغلاق الثقوب التي يتسرب منها هذا النور.
 النتيجة: من يربي نفسه على الإعراض عن اللغو، يجد حلاوة الخشوع في صلاته بكل سهولة، لأن قلبه لم يتسخ بضجيج النهار.

الدرس الخامس

يرتبط الإعراض عن اللغو بكلمة {قَدْ أَفْلَحَ} {ارتباطاً عضوياً ومصيرياً؛ فالقرآن لا يضع "صفات تكميلية" بل يضع "شروطاً" لتحقيق الفلاح. وإليك كيف يخدش ضياع الوقت فلاحك وإيمانك بناءً على هذا المفهوم الرباني:
 1. الارتباط بين الإعراض عن اللغو وكلمة "أفلح":
 * كلمة "الفلاح" في اللغة مأخوذة من "الفلاح" وهو الشق، كأن الفلاح هو الذي يشق طريق النجاح وسط العقبات.
 * اللغو كعقبة: اللغو هو "الضجيج" الذي يسد الطريق؛ فمن انغمس في اللغو، فقد القدرة على شق طريقه نحو الأهداف الكبرى.
 * (النمو) الزراعة: (الفلاح يطلق أيضاً على المزارع، والوقت هو "التربة" التي يزرع فيها المؤمن عمله. فإذا ملأ التربة بـ "الحشائش الضارة" (اللغو)، لن تجد بذور الإيمان مكاناً لتنمو وتثمر، وبذلك يضيع "الفلاح".
 2. كيف يخدش ضياع الوقت "إيمانك"؟
 قد يظن البعض أن ضياع الوقت في المباحات التي لا نفع فيها أمر بسيط، لكنه في الحقيقة ينهش من جسد الإيمان لعدة أسباب:
 * ضعف اليقين بالآخرة: المؤمن الموقن بأن لديه موعداً مع الله ليسأل عن عمره فيما أفناه، لا يمكن أن يضيع وقته بدم بارد. لذا، كلما زاد اللغو، دل ذلك على "غفلة" في القلب تخدش كمال الإيمان.
 * زهاب حلاوة الطاعة: القلب الذي يمتلئ بـ "تفاهات" أخبار المشاهير، الجدل العقيم، التصفح اللا نهائي (يصاب بـ "التخمة"، فلا يجد مكاناً لتدبر آية أو استشعار عظمة الله. هذا الخدش في الذوق لإيماني هو أخطر نتائج **** اللغو.
 * استسهال الصفات: اللغو هو "منطقة رمادية" كثرة الوقوف فيها تكسر الهيبة بينك وبين المحرمات .

من لا يحاسب نفسه على وقت ضائع سيصعب عليه محاسبتها على "غيبة" أو "نظر محرم".
3. كيف يخدش ضياع الوقت "فلاحك" الدنيوي والمهني؟
الفلاح الرباني يشمل الدنيا أيضاً، وضياع الوقت ينسف هذا الفلاح:
* تبديد الطاقة الذهنية: العقل البشري لديه كمية محدودة من "القرار" والتركيز يوميًا. إذا استهلكتها في اللغو، دخلت مهامك الكبرى) عملك، دراستك (وأنت مجهد ذهنيًا، فتؤذيها بضعف، وهذا ضد "الإيقان" الذي هو سمة المؤمن.
* فقدان الهيبة والمروءة: الشخص "اللاغي" كثير الكلام والتواجد في أماكن العبث لا يؤخذ كلامه بجدية في بيئة العمل أو المجتمع. الفلاح يتطلب "شخصية مؤثرة"، واللغو يسلبك هذا التأثير.
4. ميزان الفلاح) الوقت = الإيمان(:
تقول القاعدة التربوية: "الوقت هو الحياة". فإذا كانت صلاتك تمنحك "الصلة"، فالإعراض عن اللغو يمنحك "الصيانة".
الخطر: ضياع الوقت ليس "صفراً"، بل هو "خسارة بالسالب"؛ لأن الوقت الذي ضاع في اللغو كان من الممكن أن يكون "سجدة" أو "كلمة حق" أو "إنجازاً" مهنيًا يرفع شأن الأمة. هذا الفوات في الأرباح هو بحد ذاته خدش في "الفلاح".
نصاب التوازن العملي:
لا يعني الإعراض عن اللغو أن تكون آلة جامدة لا تبتسم ولا تمزح، بل يعني:
* القصد: أن يكون مزحك ترويحاً للاستمرار في الجِد، لا هدفاً بحد ذاته.
* السيطرة: أنت من يقود هاتفك ولسانك لا هما من يقودانك.
* الأثر: أن تخرج من كل مجلس وأنت "أفضل مما دخلت" أو على الأقل "لم تنقص".
تذكر: قد أفْلَحَ (جاءت بصيغة الماضي للتحقيق، وكأن الله يقول لك: "طريق النجاح جاهز ومضمون، فقط نظف حياتك من اللغو لتصل").

ثالثاً

نتقل الآن إلى المحطة الثالثة في رحلة الفلاح، وهي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾. هذه الصفة هي الجسر الذي يربط بين "صلاح النفس" و"إصلاح المجتمع"، وبين "القيم الروحية" و"التمكين المادي".
أولاً: اللمسات البلاغية في الآية
1. لماذا قال "فاعلون" ولم يقل "يؤتون"؟
**** في أغلب مواضع القرآن نجد "أتوا الزكاة"، لكن هنا استخدم "فاعلون". الدلالة: "الفعل" أعم وأشمل من الإيتاء. فهو يشمل السعي لتحصيل المال الحلال، وتطهير النفس، وإدارة عملية التكافل. المؤمن هنا ليس سلبياً ينتظر من يسأله، بل هو "فاعل" مبادر، يبحث عن وجوه النفع والنمو.
2. التعبير بالجملة الاسمية) هم... فاعلون(
الدلالة: تدل على أن "العطاء" أصبح هوية ثابتة وممارسة مستقرة في حياتهم، وليس مجرد حدث عابر أو صدقة موسمية.
ثانياً: مفهوم "الزكاة" في ميزان الفلاح) النماء والطهارة(
كلمة "زكاة" في اللغة تحمل معنيين متلازمين: الطهارة والنماء.
* الطهارة: تطهير النفس من الشح والبخل وتطهير المال من الحقوق المتعلقة به.
* النماء: البركة في المال المتبقي ونماء المجتمع اقتصادياً بتقليل الفوارق الطبقيّة.
ثالثاً: كيف ترفع هذه الصفة من قيمة "النجاح المادي"؟
**** بينما يرى المقياس البشري أن النجاح هو "التكديس" كم جمعت؟، يرى المقياس الرباني أن النجاح هو "التدوير والفاعلية".
* عقلية الوفرة: المفلح لا يخشى الفقر لأنه يعلم أن الإنفاق يورث النماء) في حسابات البركة(.
* المسؤولية المالية: المؤمن "فاعل للزكاة" يعني أنه حريص على أن يكون يداً علياً، مما يدفعه للعمل والإنتاج والتميز المهني ليمكّن ما يركي به.
رابعاً: التوازن بين "إعراض اللغو" و"فعل الزكاة"
هذا هو نصاب التوازن المذهل في سورة المؤمنون:
* الآية السابقة طلبت منك "الترك" ترك اللغو توفير الوقت والجهد.
* الآية الحالية تطلب منك "الفعل" بذل المال والجهد استثمار ما وفرت.
المعادلة: المؤمن لا يضيع وقته في "اللغو" ليفرغ طاقته لـ "الفعل" المثمر. فإذا وفرت ساعتين من القيل والقال) إعراض عن اللغو(، واستثمرتهما في عمل ينتج مالا - تزكي به) فعل الزكاة(، فقد حققت أعلى درجات الفلاح.
خامساً: التطبيق العملي في حياتك المعاصرة
* تزكية المهارات: **** لا تقتصر الزكاة على المال فقط؛ زكاة العلم تعليمه وزكاة الجاه نفع الناس. كن فاعلاً في تقديم خبراتك للآخرين.

- * المأسسة والاحترافية: "فاعلون" توحى بالعمل المنظم .لا تتصدق بعشوائية، بل ابحث عن الجمعيات والمشاريع التي تحقق أقصى أثر تنموي) .نماء).
- * الاستقلال المالي: اجعل هدفك من الفلاح الدنيوي أن تصل لمرحلة "المزكي" لا "الآخذ"، فهذا قمة التمكين والمروءة.
- هل تلاحظ الرابط؟
- * الخاشعون: ضبط الصلة بالخالق) روح).
- * المعرضون عن اللغو: ضبط استهلاك الوقت) عقل).
- * الفاعلون للزكاة: ضبط التعامل مع المادة والمجتمع) مال).

الأمر الثاني

- أن اختيار كلمة "فاعلون" في هذا الموضع هو من أسرار الإعجاز البياني في سورة المؤمنون، وهو المفتاح لفهم الربط بين طهارة المال وطهارة النفس .إليك التحليل الدقيق لهذا المفهوم:
- أولاً : لماذا قال "فاعلون" ولم يقل "مؤدون" أو "معطون"؟
- ****استخدام صفة "الفعل" هنا يحمل أبعاداً استراتيجية في بناء شخصية المفلح:
- * الشمولية) الأداء + الصناعة): "المعطي" هو من يسلم المال فقط، أما "الفاعل" فهو الذي يجعل من الزكاة "منظومة عمل"؛ هو يكدح ليحني المال الحلال، ويتحرى المستحقين، ويخطط لنفعهم .فالفعل يشمل كل مقدمات الزكاة ونتائجها.
- * المبالغة في الملازمة: "فاعلون" اسم فاعل يدل على أن الزكاة أصبحت "صناعة" له وديناً لا ينقطع؛ هو في حالة "فعل" مستمر تزكية لنفسه وتنمية لماله.
- * إرادة التغيير: "الأداء" قد يكون مجرد إسقاط واجب، أما "الفعل" فيوحي بالرغبة في إحداث أثر وتغيير في الواقع الاجتماعي والاقتصادي.
- ثانياً: الربط بين زكاة المال) التطهير المادي (وزكاة النفس ****) التطهير الأخلاقي)
- الزكاة في القرآن ليست "ضريبة"، بل هي عملية "غسيل وإعادة بناء". الآية تربط بينهما من خلال أصل الكلمة "زكا" التي تعني الطهارة والنماء معاً:
- * تطهير المال: يخرج منه حق الفقير الذي قد يشوبه كدر الشح أو شبهة الكسب، فيبقى المال صافياً مباركاً.
- * تطهير النفس: الزكاة هي تمرين عملي لكسر صنم المادة في القلب؛ النفس جبلت على حب **** التملك، فإذا فعلت الزكاة، فقد روضت غريزة التملك لصالح غريزة العطاء.
- ثالثاً: كيف تكون الزكاة وسيلة لتطهير النفس من الأدناس والمساوي؟
- ****كما ذكر المفسرون كابن كثير والقرطبي، الزكاة تعمل كمبضع جراح يستأصل الأورام الأخلاقية:
- * استئصال "الشح" (رأس الخطايا): يقول تعالى: {وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}. {الزكاة تدريب متكرر على العطاء، مما يحمي النفس من "الكلب" على الدنيا والحرص المذموم الذي يؤدي للمظالم.
- * التخلص من "الأثرة" و"الأنانية": عندما يكون المؤمن "فاعلاً" للزكاة، هو يخرج من سجن "أنا" إلى فضاء "نحن". هذا التوجه يطهر النفس من الكبر والتعالي على الفقراء، ويغرس فيها التواضع و الشعور بالآلام الآخرين.
- * تطهير القلب من "الحقد" و"الحسد" تطهير متبادل):
- * نفس الغني تتطهر من رؤية الفقير كعبء، بل تراه "باباً للجنة".
- * نفس الفقير تتطهر من الحسد للغني، لأنه يرى في مال الغني مصلحة له وأماناً لمجتمعه.
- * تهذيب "سلوك الاستهلاك": المفلح "الفاعل للزكاة" لا يفرق في الترف) البذخي (الذي هو نوع من اللغو، لأن شعوره بمسؤوليته المالية يجعله حكيماً في إنفاقه، منزهاً عن العبث والتبذير.
- رابعاً: نصاب التوازن في "فعل الزكاة"
- ترسم الآية توازناً بين "الاستغناء بالله" و"الاستغناء للمجتمع". المؤمن يجمع المال بقوة نجاح دنيوي ليعطي بقوة نجاح أخروي . (نصاب التوازن هو ألا تملك الدنيا وأنت تملكها؛ فالمال في يدك **** للفعل والعطاء لا في قلبك للشح والكنز.
- الخلاصة: الزكاة في سورة المؤمنون هي "فعل" يحول المسلم من كائن يستهلك الحياة إلى كائن يحيي الحياة؛ يظهر ماله بالنماء، ويطهر نفسه بالعطاء.

الأمر الثالث

- تحمل الآية الرابعة من سورة المؤمنون) والذين هُم للزكاة فاعلون (أسراراً بلاغية دقيقة في ترتيب كلماتها وحروفها، تعكس عظمة المنهج الرباني في بناء الشخصية "المفلحة". إليك التحليل البلاغي لهذه اللامسات:
- أولاً : دلالة "اللام" في) للزكاة (
- اللام هنا ليست مجرد حرف جر زائد بل لها دلالات عميقة عند علماء التفسير والبلاغة:

* لام التعليل والهدف: كأن المعنى: "هم لأجل تحصيل الزكاة) بمعنى تطهير أنفسهم وتنمية أموالهم (****فاعلون ومجتهدون؛ فالزكاة هي "الغاية" التي يسعى المؤمن لتحقيقها بكل طاقته.
* لام الاختصاص والتمكن: تشير اللام إلى قوة الارتباط بين المؤمن وبين هذا الركن، فهي لام تقوي معنى "الفعل"، وتدل على أن فعلهم متوجه بتركيز تام نحو هذا المورد العظيم) الزكاة.
ثانياً: سر تقديم الجار والمجرور) للزكاة (على) فاعلون)

القاعدة البلاغية تقول إن تقديم ما حقه التأخير يفيد الاهتمام والحصر، ولهذا التقديم هنا دلالات كبرى:

* القصر والاختصاص) الحصر: التقديم يوحي بأن هؤلاء المؤمنين لا يشغلهم "فعل" يضاها "فعل الزكاة"؛ كأنهم يقولون: "فعلنا واهتمامنا وجهدنا منصب بالدرجة الأولى على تزكية أنفسنا وأموالنا، لا على جمع الدنيا وتكديسها". هذا الحصر يخرجهم من دائرة "اللاهين" الذين يفعلون كل شيء إلا ما ينفعهم في آخرهم.

* العناية والتشريف: بتقديم كلمة "الزكاة"، رفع الله من شأنها لتكون هي المتصدرة في الذهن؛ فـ المؤمن المفلح يضع "حق الله وحق المجتمع) الزكاة(" نصب عينيه قبل أن يفكر في "فعل" التملك ****أو الاستمتاع الشخصي.

* ربط "الفعل" بـ "الهدف": عندما تقدم "الزكاة"، أنت تحدد وجهة "الفعل" قبل وقوعه؛ هذا يعلم المؤمن "القصدية"؛ أي ألا يكون عمله في الدنيا عشوائياً، بل هو يعمل) يفعل (بهدف سام وهو النماء والطهارة.

ثالثاً: اللفظة البلاغية في تقديم الزكاة على فاعلون

هناك لمحة بلاغية مذهلة تتعلق بـ "المسار النفسي" للمؤمن:

* من الذات إلى العطاء: الآية السابقة كانت عن "الخشوع" بينك وبين الله (و"الغو") بينك وبين نفسك. (تقديم "الزكاة" هنا ينقلك فوراً إلى "الأخر") المجتمع؛ فكان من البلاغة تقديم "الزكاة" لتأكيد أن نفع الآخرين هو الأولوية التي تبرهن على صدق إيمانك وفلاحك.

* التوافق مع الفواصل القرآنية: التقديم هنا يحافظ على "فاصلة الآية" المنتهية بالواو والنون (خاشعون، معرضون، فاعلون، حافظون (...)) مما يخلق جرساً موسيقياً وسكينة في السمع تساعد على تدبر المعنى واستقراره في القلب.

* إثبات الفاعلية: بتقديم "الزكاة"، أصبح "الفعل" مسنداً إليها بقوة؛ فالمؤمن ليس مجرد "مؤد" لواجب ثقيل، بل هو "فاعل" شغوف بالنتائج التي تحققها الزكاة من طهارة نفسية ورخاء اقتصادي.
الخلاصة في نصاب التوازن: تقديم "الزكاة" على "الفعل" يعلمنا أن "الغاية" (الزكاة) (تشرف) "الوسيلة" (الفعل)؛ فالمفلح الحقيقي هو من يرى أمواله وجهده "وسائل" لهدف أسمى، وهو أن يزكو بنفسه ويرتقي بمجتمعه، وهذا هو تمام التوازن بين المصلحة الخاصة والمصلحة العامة.

الأمر الرابع

إن الربط بين صفة "الخاشعين" الآية (2) وصفة "الفاعلين للزكاة" الآية (4) يمثل الهندسة الربانية لبناء "الشخصية المتكاملة" التي تجمع بين عمق الروح وحركة المادة، وبين الانزواء للعبادة والاندماج للنفع . إليك تحليل هذا الربط الدقيق ودلالات التوازن في شخصية المؤمن الفالح:

أولاً: كيف تربط صفة "الفاعلين" بصفة "الخاشعين"؟

* من "سكون القلب" إلى "حركة الجوارح": الخاشع في صلاته يكتسب طاقة روحية وسكينة داخلية . هذه الطاقة لا تظل حبسية المسجد بل تتحول في الآية الرابعة إلى "فعل" خارجي) الزكاة (الدلالة: الخشوع هو "المحرك"، وفعل الزكاة هو "الثمرة". الشخصية المتكاملة هي التي لا تغرق في الروحانيات وتنسى **** واقع الناس، ولا تغرق في الماديات وتنسى طمأنينة القلب.

* التدريب على "الاستسلام" و"البذل": في الصلاة يتدرب المؤمن على بذل "الوقت والجهد البدني" لله بخشوع. وفي الزكاة يتدرب المؤمن على بذل "المال" الذي هو شقيق الروح للناس. النتيجة: تكوين شخصية متحررة من عبودية "الأنا" وعبودية "المادة".

* الجودة والفاعلية: كما أن الصلاة لا تقبل بلا "خشوع" جودة باطنية، فإن الزكاة والعمل الديني لا يكتملان إلا بأن يكون المؤمن "فاعلاً" (إتقان ظاهري). (الربط يعلمنا أن "الإخلاص في الصلاة هو الوقود للإتقان في العمل".

ثانياً: دلالة ترتيب الآيات) الصلاة ـــ اللغو ـــ الزكاة)

هذا الترتيب يضع نصاب "التوازن بين حقوق الله وحقوق العباد" ويرسم خارطة طريق للمفلح:

* الصلاة) حق الله المحض: (بدأ بها لأنها "المركز" ****. المؤمن الذي لا يصلح صلته بخالقه أولاً ، لن يمتلك الدافع الأخلاقي المستمر لنفع العباد. الصلاة هي التي تمنحه "الرقابة الذاتية" التي تمنعه من الغش في المال أو الظلم في المعاملات.

* الإعراض عن اللغو) حماية الحقوق: (جاءت في المنتصف كـ "منطقة عبور". لكي تنتقل من "صيانة الروح" الصلاة (إلى "بناء المجتمع") الزكاة، يجب أن تطهر "وقتك ولسانك" من التفاهات. الدلالة: ضياع الوقت في اللغو يسرق منك الجهد الذي يفترض أن تبذله في "فعل الزكاة" ونفع الناس؛ فالمعرض عن

اللغو هو الشخص الأكثر فاعلية في المجتمع.

* الزكاة) حق العباد المرتبط بحق الله: (بعد أن خضع القلب) صلاة (وتنزه اللسان) إعراض عن لغو)، أصبح المؤمن مؤهلاً " لمد يده بالعطاء) زكاة (الدلالة: الفلاح لا يكتمل بمجرد "كف الأذى") ترك اللغو)، بل لا بد من "إيصال النفع") فعل الزكاة).

ثالثاً: التوازن بين حقوق الله وحقوق العباد في "الفلاح الرباني"

ترسم الآيات توازناً دقيقاً يختلف عن "النجاح البشري القائم على النفعية المحضة:

* المؤمن الفالح متعدد الأبعاد: هو عابد في محرابه) خاشع، وقور في مجلسه) معرض عن اللغو)، منتج ومعطاء في سوقه ومجتمعه) فاعل للزكاة).

* الدين ليس طقوساً فقط: تقديم الزكاة والوفاء بالعهود التي ستأتي لاحقاً في سياق "قد أفلح المؤمنون" يرسل **** رسالة حازمة: لا فلاح لمن انقطع عن الناس وترك واجباتهم، ولا فلاح لمن انغمس مع الناس ونسي حق ربه.

* المال وسيلة عبادة: عندما وصفت الزكاة بأنها "فعل" للمؤمن المفلاح، تحول السعي المادي وجمع **** المال الحلال إلى جزء من "الخطبة الإيمانية"؛ فالمؤمن القوي الغني الذي ينفع الناس بماله هو الأ قرب لتحقيق نموذج الفلاح الشامل.

الخلاصة: الشخصية المتكاملة في سورة المؤمنون هي شخصية "الساجد المنتج"؛ يسجد بقلبه خشوعاً، ويتحرك بجوارحه نفعاً وإصلاحاً، محققاً التوازن بين "عمارة الروح" و"استخلاص الأرض".

الأمر الخامس

دلالة فاعلون وعلاقتها بالفاعلية؟

تلمس هذه الأسئلة جوهر "المنهج الحركي" في القرآن الكريم؛ كلمة "فاعلون" في هذا السياق ليست مجرد وصف لأداء عبادة، بل هي إعلان عن ميلاد "الإنسان الفاعل" الذي يسبق عصره والأنظمة من حوله. إليك شرح مفهوم المبادرة والفاعلية وعلاقته بهذه الآية العظيمة:

1. مفهوم الفاعلية (في فاعلون)

في لغة الإدارة الحديثة، "الفاعلية هي القدرة على تحقيق النتائج المرجوة بأفضل الوسائل" ****.

القرآن استعمل صيغة اسم الفاعل (فاعلون (ليدل على:

* النشاط الذاتي: المؤمن لا يدفع للفعل دفعاً، بل هو "مصدر الفعل"؛ لديه محرك داخلي) إيماني (يجعله في حالة نشاط مستمر.

* إتقان العمل: "الفعل" في القرآن غالباً ما يقتزن بالقصد والعلم؛ فالمؤمن لا يتحرك عشوائياً، بل "يفعل" بإتقان، لأن الزكاة) تطهير النفس والمال (تتطلب دقة وتحرياً وإخلاصاً.

2. دلالة المبادرة قبل فرض الزكاة

هذه لفظة تاريخية وبلاغية مذهلة؛ سورة المؤمنون "مكية"، وفريضة الزكاة ذات الأنصبة المعروفة فرضت في "المدينة" ****. ماذا يعني ذلك؟ يعني أن المؤمن المفلاح لديه "روح المبادرة"؛ هو لا ينتظر "قانوناً" أو "فرضاً" لكي ينفع الناس.

* المبادرة الربانية: المؤمنون في مكة كانوا "فاعلين للزكاة" بمعنى أنهم كانوا يبادرون لتطهير أنفسهم بالصدقة، وإطعام الجوعى وفك الرقاب ومواساة الفقراء تلقائياً.

* الرسالة: الفلاح لا يناله "الامتثالون" فقط الذين يفعلون الواجب خوفاً من العقوبة، بل يناله "المبادرون" الذين يجعلون النفع طبعاً أصيلاً " فيهم قبل أن يطلب منهم.

3. الاستمرار والرعاية) وليس عملاً مؤقتاً)

استخدام الجملة الاسمية وصيغة الجمع) هم... فاعلون (توحي بالاستدامة:

* ليست فورة عاطفية: الفلاح الرباني لا يعرف "العمل الموسمي". المؤمن لا يتصدق فقط في رمضان أو عند الأزمات، بل هو "فاعل" بصيغة الدوام.

* الرعاية المستمرة: الزكاة ليست "رمي مال" للفقير، بل هي "فعل تزكية"؛ والتزكية عملية مستمرة تتطلب متابعة أثر هذا المال في المجتمع، ورعاية المحتاج حتى يستغني. هذا هو الفرق بين "المعطي" لمرة واحدة، وبين "الفاعل" الذي يبني مجتمعاً.

4. تفاني المسلم في خدمة الناس

تربط الآية بين "تزكية النفس" و"خدمة الخلق"؛ فالمسلم لا يرى في خدمة الناس "منة" عليهم، بل يراها حاجة لنفسه لكي تزكو وتطهر.

* التفاني المهني: عندما يكون المسلم "فاعلاً " في عمله) طبيباً، مهندساً، معلماً)، فإنه يرى إتقانه للعمل نوعاً من "الزكاة" (زكاة العلم والمهارة).

* الخروج من الذات: فاعلون للزكاة (تخرج المسلم من أنانيته الضيقة ليكون طاقة نفع عامة؛ هو "مبادر" في الإصلاح، "فعال" في حل المشكلات، "متقن" لمهامه لأنه يعلم أن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً " أن يتقنه.

5. الخلاصة: الفلاح في "الحركية"

الآيات 1) - (4) رسمت لنا مساراً تصاعدياً:

* الخشوع: سكون واستمداد للطاقة من الله.
 * الإعراض عن اللغو: حماية للوقت والجهد من الضياع.
 * الفعل (الزكاة): تفرغ تلك الطاقة وذلك الوقت في "مبادرات" نافعة ومستمرة.
 * الدرس العملي: إذا أردت أن تطبق "الفلاح" في حياتك، فلا تكن شخصاً ينتظر الأوامر، بل كن مبادراً؛ ابحث عن الثغرات في مجتمعك وعملك وسدها بإتقان، واجعل نفع الناس "مشروعاً فاعلاً" مستداماً لا يتوقف.

الأمر السادس

تحمل الآية الرابعة من سورة المؤمنون {وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ} أحكاماً تجويدية تخدم المعاني العميقة التي ناقشناها حول "الفاعلية" و"المبادرة". إليك تفصيل هذه الأحكام وربطها بالمفاهيم:
 أولاً: أحكام التجويد في الآية
 * الإظهار الشفوي (في) هم للزكاة)
 * الحكم: وقوع حرف اللام بعد الميم الساكنة، وحكمه الإظهار الشفوي (نطق الميم من مخرجها دون غنة زائدة).
 * الربط بالمعنى (الوضوح واليقظة): الإظهار يتطلب "يقظة" في النطق لفصل الميم عن اللام، وهذا يعكس مفهوم "الفاعلية الواعية"؛ فالمؤمن المفلح واضح في أهدافه لا يخلط بين حق نفسه وحق العباد (الزكاة)، بل يؤدي كل ذي حق حقه بوضوح وانضباط.
 * النبر والتشديد (في) الزكاة)
 * الحكم: تشديد الزاي (حرف شمسي).
 * الربط بالمعنى (القوة والحركة): التشديد في اللغة والجرس الصوتي يعطي إحياء بـ "القوة والا رتكاراً"؛ كلمة "للزكاة" بصوتها المشدد تشعر القارئ بثقل هذه المهمة وأهميتها في بناء المجتمع، فهي ليست "رخوة" بل هي ركن شديد يرتكز عليه الفلاح.
 * المد الطبيعي (في) للزكاة (و) فاعلون)
 * الحكم: مد الألف بمقدار حركتين.
 * الربط بالمعنى (الاستمرارية والديمومة): المد الطبيعي هو ميزان القراءة النفسي؛ وجود المد في "فاعلون" يعطي صوتاً ممتداً يوحي بـ "الاستمرار"؛ فالفعل هنا ليس لحظياً، بل هو حركة ممتدة في حياة المؤمن) كما ناقشنا في مفهوم الاستدامة والرعاية).
 * مد العارض للسكون (في) فاعلون (عند الوقف)
 * الحكم: مد (2) أو (4) أو (6) حركات مع سكون النون.
 * الربط بالمعنى (تحقيق الغاية والاستقرار): انتهاء الآية بمد طويل يتبعه سكون النون يرمز إلى "لاستقرار بعد الإنجاز"؛ المؤمن "يفعل" ويتحرك ويبادر، ثم يجد ثمرة هذا التعب "سكينة" واستقراراً في الدنيا والآخرة. النون الساكنة في النهاية تعطي شعوراً بـ "التمام"، أي تمام الفلاح لمن فعل الزكاة. ثانياً: دلالة الارتباط "الصوتي" بين الصلاة والزكاة
 إذا نظرت إلى خواتيم الآيات الثلاث الأولى:

{ * خَاشِعُونَ }
 { * مُعْرِضُونَ }
 { * فَاعِلُونَ }

ستجد أنها جميعاً تنتهي بنفس الوزن الإيقاعي (مد عارض للسكون). (الربط البلاغي والتربوي: هذا التماثل الصوتي يربط بين "الخشوع الروحي" و"الترك السلوكي للغو" و"الفعل المادي للزكاة" في حبل واحد؛ كأن **** القرآن يقول لك: "لا ينفك أحدها عن الآخر". الصوت المتشابه يوحي بوحدة المنهج؛ فلا فلاح لفعل الزكاة إن لم يكن خاشعاً، ولا فلاح للخاشع إن لم يكن فاعلاً "ومنتجاً ومبادراً". ثالثاً: الهمس في حرف الفاء (فاعلون)

* الحكم: حرف الفاء من حروف الهمس) فحثة شخص سكت).
 * الربط بالمعنى (اللطف في العطاء): الهمس هو جريان النفس عند النطق بالحرف. البدء بكلمة "فاعلون" بحرف مهموس يعطي جرساً لطيفاً يوحي بأن هذا الفعل (الزكاة والعطاء) (يجب أن يكون بـ "لطف ورحمة"، بعيداً عن المن والاذى؛ المؤمن "فاعل" قوي في أثره، لكنه "هموس" ولطيف في تعامله مع المحتاجين.
 ملخص الربط: أحكام التجويد في هذه الآية تنقلك من (الوضوح) الإظهار (إلى القوة) التشديد (ثم إلى الاستمرار) **** المد الطبيعي (لتصل في النهاية إلى التمام والاستقرار) المد العارض للسكون؛ هذا هو بالضبط مسار "المبادر المفلح".

رابعا

نصل الآن إلى المحطة الرابعة في بناء الشخصية المفلحة، وهي قوله تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ لِأَقْرَبِهِمْ خَافُونَ}. (هذه الصفة هي صمام الأمان الأخلاقي الذي يحمي الطاقة الحيوية للمؤمن من التبدد في

الشهوات المحرمة.

أولاً : اللمسات البلاغية في الآية

1. دلالة كلمة "حافظون" اسم الفاعل)

لم يقل "يحفظون" فعل مضارع (بل قال "حافظون". الدلالة: اسم الفاعل يدل على "اليقظة الدائمة"; ****الحفظ هنا ليس موقفاً عابراً بل هو "وظيفة" **** مستمرة يقوم بها المؤمن تجاه نفسه؛ هو في حالة حراسة دائمة لحدوده الأخلاقية، لا يغفل عنها أبداً.

2. تقديم الجار والمجرور) لفروجهم)

الدلالة: كما في الآيات السابقة، التقديم يفيد الاهتمام والحرص. فالمؤمن يركز جهده الإرادي على حفظ هذا الجانب تحديداً، لعلهم أن "الشهوة" هي المدخل الأكبر لضياع الفلاح والوقوع في الخسران. ثانياً: مفهوم "الحفظ" وعلاقته بالصفات السابقة

هنا تظهر عبقرية الترتيب القرآني في بناء "الإنسان المتكامل":

* (الخشوع) الروح: يملأ القلب بالسكينة.

* (الإعراض عن اللغو) العقل / الوقت: يحمي الفكر من التششت.

* (فعل الزكاة) المادة / المجتمع: يطهر المال وينفع الناس.

* (حفظ الفروج) الجسد / الغريزة: يحمي العفة والنسل.

الرباط العجيب: لا يمكن للإنسان أن يكون فاعلاً للزكاة منتجاً ومبادراً وهو مستعبد لشهواته؛ فإلّا انحلال الأخلاقي يستنزف الطاقة، ويضيع الوقت (لغو)، ويقتل الخشوع. لذا جاء "الحفظ" ليحمي المكتسبات السابقة.

ثالثاً: أحكام التجويد وربطها بالمعنى) قوة الضبط)

* (الإظهار الشفوي في) هم لفروجهم)

* الحكم: ميم ساكنة بعدها لام.

* الربط بالمعنى: الإظهار يرمز إلى "الفصل والحسم"؛ المؤمن **** يحسم أمره بوضوح؛ هناك "حلال" وهناك "حرام". هذا الوضوح الصوتي يعكس الوضوح الأخلاقي في شخصية المفلح؛ فلا مناطق رمادية في العفة.

* الميم في (لفروجهم حافظون)

* الحكم: في قراءة حفص الميم هنا ساكنة ومظهرة، لكن الضمة في الهاء) هم (والكسرة في الراء) لفروجهم (تتطلب "إحكاماً في النطق".

* الربط بالمعنى: إحكام مخارج الحروف في هذه الكلمات الطويلة يعكس "التحكم الذاتي"؛ من يضبط لسانه ومخارج حروفه بدقة يسهل عليه ضبط جوارحه وغرائزه.

* حرف الظاء المفخم في) حافظون)

* الحكم: حرف مستعمل ومطبق) أقوى درجات التفخيم.

* الربط بالمعنى: حرف الظاء بصوته القوي الممتلئ يوحي بـ "المنعة والقوة". كلمة "حافظون" بصوتها المفخم تعطي شعوراً بأن هذا الحفظ هو "درع حصين وسور عظيم" يحمي مروءة المؤمن من الانهيار.

رابعاً: نصاب التوازن في هذه الصفة) الواقعية الربانية)

القرآن لا يأمر بـ "الرهبانية" أو قتل الغريزة، بل يأمر بـ "الحفظ" وتوجيه الطاقة في مسارها الصحيح، وهذا ما تبينه الآيات التالية {إلا على أرواحهم}...

* التوازن: الفلاح هو أن تملك شهوتك لا أن تملكك.

* المروءة: حفظ الفرج هو قمة المروءة وعزة النفس؛ فالإنسان المفلح "أعز" من أن يكون عبداً لغريزة عابرة تذهب بوقاره وتفسد نجاحه.

خامساً: أثر "الحفظ" على النجاح الدنيوي) الحياة العملية)

المؤمن الذي يحفظ فرجه) ويشمل ذلك غض البصر والبعد عن المقدمات المحرمة):

* يحافظ على صفاء ذهنه فلا يتشتت في علاقات محرمة أو خيالات تستنزف إبداعه.

* يبني أسرة مستقرة، والأسرة المستقرة هي المحضن الأول للنجاح والإنجاز.

**** * يكتسب ثقة المجتمع؛ فالنزاهة الأخلاقية هي العملة الأغلى في عالم الأعمال والقيادة.

الخلاصة: صفة "الحفظ" هي التي تضمن "استدامة الفلاح"؛ فما فائدة الخشوع والزكاة إذا انهدم بنيان العفة؟ هي الحصن الذي يحمي الشخصية المفلحة من السقوط.

خامساً

تأتي الآية الخامسة من سورة المؤمنون {وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ} لتضع حجر الزاوية في صيانة "القوة الحيوية" للمؤمن؛ فالفلاح ليس مجرد إنجاز مادي أو روحاني بل هو طهارة جسدية تحفظ للإنسان نسيان كرامته ومروءته.

أولاً : المقصود بـ "الفروج" وكيفية حفظها

المقصود بالفروج في اللغة: "الفرج" هو الخلل أو الشق بين الشبطين، والمقصود به هنا عورات الإنسان

، والتعبير بكلمة "الفروج" يحمل إشارة إلى ضرورة "سد الثغرات" التي قد يتسلل منها الشيطان أو تنهار منها الأخلاق.

ثانياً: كيفية الحفظ

الحفظ في الآية ليس مجرد الامتناع عن "الفاحشة الكبرى"، بل هو منظومة وقائية تشمل:

- * حفظ البصر؛ لأنه بريد الزنا، وهو أول خط الدفاع.
 - * حفظ الفكر؛ بالامتناع عن الاسترسال في الخيالات التي تستنزف الطاقة النفسية.
 - * حفظ الجوارح؛ بالابتعاد عن الأماكن والمثيرات التي تخدش الحياء.
 - * الاستعفاف؛ باللجوء إلى الوسائل المشروعة (الزواج، أو الصبر والعمل) الصيام والاشتغال بالمعالي.
- ثالثاً: دلالة تقديم "حفظ الفروج" كصفة للمفلحين
- تقديم هذه الصفة في مطلع السورة (الآية 5) له دلالات استراتيجية في بناء الإنسان:
- * السيادة على النفس: المفلح هو سيد نفسه، والقدرة على كبح أقوى غريزة إنسانية (الجنس) هي الدليل الأكبر على امتلاك الشخص إرادة صلبة. من لم يحفظ فرجه، فإنه "عبد" لشهوته، والعبد لا يقود أمة ولا يبني فلاحاً مستداماً.

- * صيانة "الطاقة الإبداعية": يرى علماء النفس والتربية أن تشتت الغريزة يستهلك جزءاً كبيراً من ذكاء الإنسان وتركيزه؛ تقديم الحفظ يعني توفير هذه الطاقة لـ "الفعل" و"الزكاة" و"الخشوع".
- * أساس البناء الاجتماعي: الفلاح المجتمعي يبدأ من الأسرة، والأسرة تبدأ من العفة. تقديم هذه الصفة هو حماية للأنسب والمجتمع من التفكك.

رابعاً: ارتباط الآية بما قبلها) اكتمال البنيان)

تكتمل صورة المؤمن من خلال هذا الترتيب المذهل:

- * الصلة بالخالق (الخشوع): تمنح المؤمن الوازع الديني الداخلي.
 - * الصلة بالوقت (الإعراض عن اللغو): تمنحه "النشاط" والبعد عن الفراغ الذي هو مفسدة للشباب.
 - * الصلة بالمال (الزكاة): تمنحه التوازن المادي والقدرة على العيش الكريم الذي يسهل الزواج والعفة.
 - * الصلة بالجسد (حفظ الفروج): تأتي لتتوج هذا البنيان بـ "الطهارة الجسدية".
- الخلاصة: لا ينفع خشوع مع انحلال، ولا تنفع زكاة مع ضياع عرض؛ الحفظ هنا هو "السور" الذي يحمي

حديقة الإيمان (من النهب).

خامساً: كيف يحفظ "المبادر الفعال" طاقته وقيمه؟

المؤمن "المبادر" الذي وصفناه في آية الزكاة بـ "الفاعل"، يحتاج إلى "حصانة أخلاقية" لئلا ينهار مشروعه النهضوي:

- * التركيز العالي: الانهيار الأخلاقي يسبب تشتتاً ذهنياً. المبادر الفعال يدرك أن "حفظ الفرج" يبقي عقله صافياً للإبداع والابتكار في مهامه الدنيوية والأخروية.
- * المروءة والقُدوة: الفلاح يتطلب أن يكون الإنسان قدوة؛ الانهيار الأخلاقي يسقط "الهيبة". المبادر الذي يحفظ قيمه يحافظ على رأس ماله "الرمزي" وهو ثقة الناس فيه.
- * تحويل الطاقة: بدلاً من إهدار الطاقة في الشهوات المحرمة، يقوم المبادر الفعال بـ "تسامي" هذه الطاقة وتفرغها في العمل النافع، والإنتاج، وخدمة المجتمع) فعل الزكاة).
- * حماية الكرامة: العفة تمنح الإنسان "عزة نفس" تجعله لا ينحني لأحد ولا يبتذل نفسه، وهذه العزة هي وقود المبادرة والنجاح.

نصاب التوازن: الآية لا تطلب "إعدام" الغريزة، بل تطلب حفظها في إطارها؛ الآية التالية تفتح باب الزواج. التوازن هو: "أشبع فطرتك بما أحل الله ليتفرغ قلبك وعقلك لعمارة الأرض وعبادة الله".

المبحث الثاني

تأتي الآيتان السادسة والسابعة: {إِذَا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ} لتضع نصاب التوازن العبقري في المنهج الإسلامي، حيث لا مصادمة للفطرة ولا انفلات للشهوة.

إليك كيف وازن الإسلام في هذا الاستثناء بين الغريزة والانضباط:

- * الاعتراف بالواقعية البشرية) إشباع لا إعدام): الإسلام "دين فطرة" وليس دين "رهبانية". الاستثناء بـ {إِذَا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ} يقرر حقيقة كبرى؛ المقاييس البشرية المتطرفة إما انحلال كامل بدون قيود، أو كبت كامل) رهبانية تقتل الفطرة. (المقياس الرباني يعترف بأن هذه الغريزة طاقة قوية وموجودة، فلا يأمر بالغائها، بل يفتح لها "قناة شرعية" نظيفة للإشباع، وبذلك يحمي المؤمن من العقد النفسية والا ضطرابات السلوكية.

* الانضباط المؤسسي) توجيه الطاقة): كلمة "أزواجهم" تعني حصر الغريزة في إطار عقد و"ميثاق غليظ".

- * تحويل الشهوة إلى مسؤولية: في الإسلام، لا توجد علاقة عابرة بلا تبعات؛ الزواج يحول الغريزة إلى "بناء أسرة"، "تربية أطفال"، و"استقرار اجتماعي".

* النجاح في التوجيه: المؤمن المفلح هو الذي يوجه طاقته الجسدية لبناء وحدة اجتماعية منتجة

(الأسرة)، بدلا من تفتيتها في علاقات محرمة تهدف للمتعة اللحظية فقط.

* نفي "اللوم" (النفسى) {فإنهم غيروا ملومين} هذه لمسة نفسية مذهلة في الآية؛ فالإنسان حين يقضي شهوته في الحلال:

* التوازن النفسى: لا يشعر بالذنب أو تدني الذات، بل يشعر بالراحة والسكينة {غيروا ملومين}.

* أثر ذلك على الفلاح: غياب شعور الذنب يحرر طاقة الإنسان للإبداع والعمل فعل الزكاة (و الخشوع في الصلاة؛ فالضمير المعذب بالخطيئة لا يمكنه التركيز في معالي الأمور.

* خطورة التجاوز {فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون} {كلمة} العادون {من العدوان، وهو تجاوز الحد:

* الانضباط الصارم: بعد أن فتح الله باب الحلال الواسع، اعتبر أي محاولة للبحث عن إشباع خارج هذا الإطار "عدواناً".

* العدوان على ماذا؟ هو عدوان على النفس (بإذلالها)، عدوان على المجتمع (بإفساد الأنساب)، وعدوان على نظام الله (بالتمرد عليه).

* ميزان التوازن (الفطرة + التقوى): الآيات ترسم معادلة النجاح في إدارة الغريزة:

* الفطرة تشبع بالزواج (السكن والمودة).

* الانضباط يتحقق بـ "الحفظ" عما سوى ذلك.

* النتيجة: إنسان متوازن قوي الشخصية، يملك إرادته، ويحمي كرامته.

اللفتة البلاغية في كلمة "العادون": استخدام وصف "العادون" بدلا من "المخطئون" أو "العاصون" يوحي بأن الغريزة كالماء؛ إذا جرى في نهره (الزواج (نفع وسقى، وإذا "عدا" وتجاوز ضفافه صار فيضاً مدمراً يغرق صاحبه ويخرب بيئته.

الخلاصة: الإسلام لم يأت ليحرملك، بل جاء لـ "ينظّمك". والنجاح الحقيقي هو أن تقود غريزتك نحو بناء حياتك ودينك، لا أن تتركها تقودك نحو الهاوية.

الدرس الثاني

إن تقديم "الحفظ" ثم "الاستثناء" هو منهج تربوي متكامل لصناعة إنسان يملك زمام نفسه إليك التفصيل في هذه المحاور الجوهرية:

* لماذا قدم "الحفظ" على "الاستثناء"؟ تقديم قوله {لقرؤهم حافظون} {على الاستثناء} إلا على أزواجهم {له دلالات تربوية عميقة:

* تأسيس الأصل: الأصل في المؤمن هو "الانضباط والتعفف". الحفظ هو الحالة الذهنية الدائمة، و الزواج هو القناة التي تمارس فيها الغريزة.

* تغليب الإرادة: تقديم الحفظ يعلمنا أن الإنسان يجب أن يسيطر على غريزته "قبل" أن يمارسها . فمن لم يتعلم الحفظ وهو أعزب سيعصب عليه الوفاء وهو متزوج.

* حماية المبدأ: البدء بالحفظ يرفع من شأن "العفة" كقيمة عليا في ذاتها، وليست مجرد انتظار للزواج.

* دلالة وصفهم بـ "غير ملومين": هذا الوصف هو "صك براءة" إلهي يحرر الإنسان من عقدة الذنب التي توجد في بعض الأديان أو الفلسفات التي ترى الغريزة قذارة:

* التصالح مع الفطرة: الله يخبرك أن الاستمتاع بالحلال ليس نقصاً في الإيمان ولا خدشاً في "الفلاح".

* تفعيل "غير ملومين" في حياتنا: يعني أن يمارس الزوجان حياتهما بمودة واستمتاع دون خجل زائف؛ فالحلال طهارة وعبادة. هذا التوازن يحمي الإنسان من البحث عن "لذة مشوبة بالذنب" (الحرام).

* حفظ الفروج في عصر الانفتاح الرقمي: في زمن الشاشات والوصول السهل للمحرمات، يتحول "الحفظ" من فعل جسدي إلى "جهاد بصري ورقمي".

* الفترة الرقمية: الحفظ اليوم يبدأ بـ "إلغاء المتابعة" لكل ما يخدش الحياء.

* قاعدة الـ 3 ثوان: إذا وقع بصرك على محرم رقمي، فالانصراف عنه في أول 3 ثوان هو "فعل الحفظ".

* الخلوة بالهاتف: تربية النفس على أن "الله يراني في الفضاء الافتراضي كما يراني في الواقع".

* كيف تفعل العفة في حياتك؟ خطوات عملية:

* الاستعلاء بالهدف: اشغل نفسك بـ "الفلاح" (دراسة، عمل، دعوة)؛ النفس إذا فرغت تطلعت للشهوة.

* تجنب "اللغو" البصري: الإعراض عن المواقع والحوارات التي تثير الغريزة.

* البدائل النافعة: ممارسة الرياضة، القراءة، والرفقة الصالحة التي ترفع "نصاب الحياء" لديك.

* وقاية المجتمع من الأمراض والانهايار: الآية تعمل كـ "جهاز مناعة" للمجتمع:

* جسدياً: الحصر في الزواج يقطع الطريق على الأمراض التناسلية الفتاكة الناتجة عن تعدد العلاقات المحرمة.

* نفسياً: العلاقات العابرة تورث الاكتئاب والشعور بالتبذل والشبهة (أن يكون الإنسان مجرد شيء

- للمتعة). العفة تورث عزة النفس والاستقرار.
- * اجتماعياً: حماية الأنساب تضمن أن كل طفل يولد له أب يرعاه وأم تحضنه؛ مما يمنع التفكك الأسري.
 - * استقرار الأسرة وتربية الأجيال على الحياء: الأسرة هي المحضن؛ عندما يرى الأبناء الوالدين يحترمان حدود الله ينشأ لديهم "ذكاء أخلاقي" فطري.
 - * خلق الحياء: الحياء هو "درع الخصوصية". تربية الطفل على أن لجسده حرمة، وللنظر حدوداً، يصنع منه إنساناً قوياً أمام مغريات المراهقة.
 - * التعامل مع الجنس الآخر: الآلة تؤسس للتعامل قائم على "الاحترام المهني والإنساني" بعيداً عن "الابتذال الغريزي". المفلح يتعامل مع الجنس الآخر بوضوح وأمانة وعهد دون خضوع بالقول.
 - * مفهوم "العلاقات الآمنة" بناء لا هدم: ترسم هذه الآلة مبدأ "الأمن العاطفي".
 - * العلاقة الهادمة: هي التي تقوم على الاستهلاك اللحظي (الزنا، العلاقات المحرمة)، حيث يترك الطرفان بعضهما بالآم نفسية وضياح للحقوق.
 - * العلاقة الآمنة (الزواج): هي علاقة "بناء" تهدف لبناء بيت، سكن، نسل، ومستقبل؛ هي علاقة "ميثاق" عقد ("عهد") مما يوفر بيئة نفسية آمنة للإبداع والإنتاج.
 - الخلاصة: إن مقياس الفلاح هنا هو الانتقال من "فوضى الغريزة" إلى "نظام العفة". فالمؤمن المفلح هو الذي يبني مجتمعاً قائماً على الطهارة الجسدية التي هي شرط أساسي للنهضة المادية.

الدرس الثالث

- تأتي الآية السادسة من سورة المؤمنون {إِذَا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ} لترسم ملامح "الواقعية الإسلامية" في التعامل مع الفطرة البشرية، وهي مكمل لصفة حفظ الفروج وموضحة للمسار الشرعي الوحيد لتفريغ الطاقة الغريزية. إليك شرح المفاهيم مدمجة باللمسات البيانية وأحكام التجويد:
- * مفهوم "المشروعية والسكينة" الاستثناء والفتح: تبدأ الآية بأداة الاستثناء (إلا) (بعد صفة الحفظ، وهذا يوصل رسالة تربوية بالغة الأهمية:
 - * المفهوم: الإسلام لا يصادم الفطرة ولا يطلب "الرهبانية" التي تقتل الغريزة، بل يفتح لها باباً واسعاً ونظيفاً.
 - * اللمسة البيانية: تقديم الاستثناء هنا يوحي بأن "الأصل" هو العفة، والزواج هو "المسار" الذي يراد للمؤمن أن يسلكه.
 - * الربط بالتجويد: المد المنفصل في "إلا على" في قراءة حفص يمد (2) أو 4 أو 5 حركات. (هذا المد الصوتي يعطي مساحة من "التنفس" والراحة بعد ذكر الحزم في الحفظ، وكأن الصوت الممتد يفتح آفاق الحلال الواسع أمام المؤمن.
 - * مفهوم "الميثاق الغليظ" أزواجهم: كلمة {أزواجهم} تشير إلى عقد الزواج الرسمي والشرعي:
 - * المفهوم: الغريزة في الإسلام ليست متعة عابرة، بل هي "بناء أسري". ربط الغريزة بالزوجة يعني تحويل الشهوة إلى مسؤولية، ومودة ورحمة.
 - * اللمسة البيانية: الإضافة إلى الضمير "هم"؛ إضافة الأزواج إلى المؤمنين توحى بـ "الاختصاص و السكينة". الزوجة هي ملك لزوجها وزوجها ملك لها في إطار من الخصوصية التي لا يسمح لأحد باختراقها.
 - * الربط بالتجويد: إظهار الميم في {أزواجهم} أو {إظهار الشفوي للميم الساكنة يعطي نطقاً محدداً وقاطعاً. هذا الوضوح الصوتي يعكس "الوضوح التشريعي"؛ فلا خفاء في علاقة الزواج، فهي إشهار وعقد معلن بعيداً عن دهاليز العلاقات المحرمة المستترة.
 - * مفهوم "رفع الحرج النفسي" {فإنهم غير ملومين}: هذا الجزء من الآية هو "بلمس" لنفس المؤمن يزيل عنها أي شعور بالتدني عند ممارسة الفطرة:
 - * المفهوم: ممارسة العلاقة في الحلال ليست "قذارة" كما في بعض الفلسفات، بل هي فعل لا يلام عليه صاحبه، بل يؤجر عليه إذا نوى به العفة.
 - * اللمسة البيانية: التوكيد بـ "إن"؛ استخدم الله "إن" التوكيدية في قوله {فإنهم} ليترد أي شك أو وسوسة من قلب المؤمن، وليؤكد أن الاستمتاع بالحلال طهارة وكمال.
 - * الربط بالتجويد: غنة النون المشددة في "فإنهم"؛ الغنة هي صوت يخرج من الخيشوم يعطي رنيناً وجمالاً. هذه الغنة تطيل زمن النطق بالتوكيد مما يرسخ معنى "الطمأنينة والسكينة" في نفس السامع؛ فأنت في أمان شرعي ونفسي ما دمت في دائرة الحلال.
 - * مفهوم "العلاقات الآمنة والبناء الاجتماعي": الآية تهدف إلى بناء مجتمع مستقر نفسياً وجسدياً:
 - * الدرس المستفاد: العلاقات التي تهدف للبناء (الزواج) هي "العلاقات الآمنة". أما العلاقات الهادمة التي تأتي في الآية التالية فهي عدوان.
 - * اللمسة البلاغية في {غير ملومين}: نفى "اللوم" وهو أدنى درجات العقوبة، ليدل على الإباحة المطلقة والرضا الرباني عن هذا المسار.

* الربط بالتجويد: المد الطبيعي في "ملومين"؛ المد الطبيعي بمقدار حركتين يعطي انسيابية وسهولة في النطق، وهو ما يناسب حالة اليسر والسهولة التي شرعها الله في الحلال. الإسلام دين يسر، والحلال فيه فسيح ومنساب مع الطبيعة البشرية.

الرسائل والتوجيهات العملية للناس:

* التصالح مع الذات: لا تشعر بالخجل من فطرتك بل افتخر بأنك تضبطها بضابط الشرع.

* تيسير الزواج: بما أن الله جعل الزواج هو المخرج الوحيد لـ "غير الملومين"، فعلى المجتمع تيسير تكاليفه ليظل باب الحلال مفتوحاً.

* الاستمتاع الواعي: مارس حياتك الزوجية بروح العبادة، واعلم أن هذا المسار هو الذي يحميك من أن تكون من "العادين".

المبحث الثالث

بعد ذكر التوازن بين الفطرة والانضباط، تنتقل النصوص التحذير الصارم في الآية السابعة: {فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ}.

الأمر الأول

هذه الآية هي خاتمة الحزم والقاعدة الذهبية التي تضبط السلوك البشري، وتفصل بين الحق والباطل في العلاقات الإنسانية. إليك بيان للمسات البلاغية، أحكام التجويد والرسائل التوجيهية لهذه الآية: أولاً: اللغات البلاغية والبيانية

كلمة "العادون" (العدوان):

* لم يقل "العاصون" أو "المخطئون"، بل اختار "العادون" المشتقة من العدوان، وهو تجاوز الحد.

* الدلالة: تصوير الشهوة كأنها نهر له ضفاف (الزواج والحلال)، فإذا خرجت عن ضفافها صارت "عدواناً" يغرق صاحبه ويدمر المجتمع. الوصف بـ "العادون" يوحي بالاعتداء على الفطرة، وعلى حقوق الآخرين، وعلى حدود الله.

اسم الإشارة للبعد {أُولَٰئِكَ}:

* استخدم "أُولَٰئِكَ" التي تفيد البعد.

* الدلالة: الإشارة لـ "التحقير والبعد" عن مرتبة المؤمنين المفلحين؛ كأن من يتجاوز الحلال إلى الحرام قد صار في مكان بعيد ومنحط عن طهارة المجتمع الإيماني.

ضمير الفصل "هم":

* وقوع "هم" بين المبتدأ {أُولَٰئِكَ} والخبر {العادون}.

* الدلالة: يفيد القصر والتوكيد؛ أي هم "تحديداً" الذين استحقوا وصف العدوان الكامل، ولا عذر لهم بعدما فتح لهم باب الحلال.

ثانياً: أحكام التجويد وعلاقتها بالمعنى

المد المتصل في {أُولَٰئِكَ}:

* الحكم: مد واجب متصل (4) أو 5 حركات (لوقوع الهمزة بعد حرف المد في كلمة واحدة).

* الربط بالمعنى: طول المد هنا يعطي "ثقلاً" وجرساً صوتياً قوياً يشد انتباه السامع لخطورة الحكم الذي سيلحق بهذا الصنف من الناس.

توسط اللام القمرية في {العادون}:

* الحكم: اللام قمرية مظهرة، والعين حرف مستقل لكنه يأتي بعده ألف مدية فيعطيه وضوحاً.

* الربط بالمعنى: كلمة "العادون" تبدأ بـ "أل" التعريف التي تفيد الاستغراق، والنطق بوضوح العين المفتوحة يعطي طابعاً من الظهور والحزم؛ لا مواربة في أن هذا الفعل هو عدوان صريح.

المد العارض للسكون في {العادون}:

* المعنى: انتهاء الآية بسكون النون يعطي إحساساً بـ "الفصل النهائي"؛ لقد انتهى النقاش، وضع الحد، وهذا هو الحكم الفاصل (العدوان).

ثالثاً: الرسائل والدروس والتوجيهات منهج حياة):

* مبدأ "الحدود الواضحة": الآية تعلمنا أن الحرية في الإسلام ليست مطلقة بل هي "حرية منضبطة". الفلاح يقتضي أن تعرف أين تنتهي حدودك؛ من لا يعرف كلمة "لا" لشهوته، لا يمكنه أن يفلح في بناء مستقبله.

* حماية "العلاقات الآمنة": تعتبر الآية أي علاقة خارج إطار العقد الشرعي (الزواج) هي علاقة "هادمة" وليست "بناءة"؛ العلاقات المحرمة هي عدوان على كرامة الإنسان واستقرار المجتمع.

* الرسالة للشباب: الاستعلاء بالعفة: توجيه مباشر بأن البحث عن "وراء ذلك" المحرمات الرقمية، العلاقات العابرة (هو انحدار عن مرتبة "المؤمن المفلح" إلى مرتبة "العادي المعتدي"، العفة ليست ضعفاً، بل هي قمة القوة والسيطرة على الذات.

* الأمن النفسي والاجتماعي: تطبيق هذه الآية يمنع الأمراض النفسية (عقدة الذنب، القلق) والأمراض الجسدية، ويحفظ الأنساب من الضياع. المجتمع الذي يلتزم بـ "عدم العدوان" هو مجتمع متماسك

وقوي.
 رابعاً: كيف نطبق "عدم العدوان" في حياتنا؟
 * الاكتفاء بالحلال: أن يركز الإنسان طاقته وتفكيره في تطوير علاقته بزوجته وبناء بيته، بدلاً من تشتيت نظره وفكره فيما "وراء ذلك".
 * الرقابة الذاتية: تفعيل مفهوم "العدوان"؛ فالمؤمن يترفع عن أن يكون "معتدياً" على حدود الله، مما يصنع منه إنساناً راقياً في سلوكه.
 * الحياة: تربية النفس على أن تتجاوز هو "قبح" وخروج عن مقتضى المروءة والرجولة والأنوثة الطاهرة.
 الخلاصة: الآية السابعة هي "الخط الأحمر" الذي يحمي طهارة المجتمع، وبدون هذا الحسم، تضع قيم الخشوع والزكاة والأمانة في وحل الانحلال.

الأمر الثاني

تأتي الآية السابعة من سورة المؤمنون {فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ} (كحد فاصل وحاسم ، تضع النقاط على الحروف في منهج العفة والجنس في الإسلام.
 * ماذا تعني كلمة "وراء ذلك"؟ كلمة "وراء" في اللغة تدل على ما تجاوز الشيء وتخطاه.
 * المعنى: "ذلك" إشارة إلى ما أحل الله في الآية السابقة (الأزواج وما ملكت الأيمان (فكل ممارسة غريزية تقع خارج هذا الإطار الشرعي) كالزنا، الشذوذ، العادة السرية، أو أي علاقة محرمة (تدخل تحت وصف "وراء ذلك".
 * الدلالة: القرآن حدد "دائرة الحلال"، وما سواها فهو فضاء مرفوض وتجاوز للحدود.
 * كيف يرسم القرآن الحدود الواضحة؟ يرسمها بمنهج الحصر والإباحة المقيدة:
 * الوضوح: لم يترك الأمر للمزاج البشري أو العادات المتغيرة، بل حصر العلاقات الجسدية في "الميثاق الغليظ" (الزواج).
 * الحزم: استخدم أسلوب الشرط {فَمَنْ ابْتَغَىٰ}...ليؤكد أن النتيجة المترتبة على التجاوز هي وصف "العدوان".
 أحكام التجويد المحققة للمعنى:
 * مد المتصل في {أُولَٰئِكَ}: المد الطويل (4) - 5 حركات (يسترعي الانتباه والتحذير، وكأن الصوت الممتد يرسم "خطاً أحمر" عريضاً لا ينبغي تجاوزه.
 * الإظهار الشفوي في {هُمُ الْعَادُونَ}: وضوح الميم يرمز إلى وضوح الحكم؛ فلا لبس ولا غموض في أن هذا الفعل هو اعتداء صريح.
 * لماذا وصفهم بـ "العادون"؟ وما مخاطر الشهوة غير المنضبطة؟
 * "العادون" من العدوان، وهو تجاوز الحد المسموح به.
 * الاعتداء على النفس: الشهوة غير المنضبطة تستعبد الإنسان، وتجعله ذليلاً لغرائزه، وتورثه القلق النفسي وعقدة الذنب وضياع الكرامة.
 * الاعتداء على المجتمع: تؤدي لضياع الأنساب، تفكك الأسر، انتشار الأمراض، وهدم منظومة الثقة بين الناس.
 * عواقب العادون: الخروج من دائرة "الفلاح" المذكورة في أول السورة والحرمان من وراثة الفردوس، والاستحقاق للعقوبة الربانية.
 ربط التجويد بالمعنى:
 * اسم الإشارة للبعيد {أُولَٰئِكَ} (يوجي بعد هؤلاء عن مقام التكريم والتهادة.
 * المد العارض للسكون في {الْعَادُونَ}: ينتهي بصوت النون الساكنة التي تعطي شعوراً بالانغلاق و الحزم، وكأن باب الفلاح قد أغلق في وجه من أصر على العدوان.
 * كيف أحمي نفسي من أن أكون من "العادين"؟ لحماية نفسك من تجاوز الحدود، اتبع هذه الاستراتيجيات القرآنية:
 * سد الذرائع: الحماية تبدأ من "قبل" الوصول للحد (غض البصر، تجنب الخلوة المحرمة، فلترة المحتوى الرقمي).
 * الاستعلاء بالإيمان: تذكر أنك "مفلح" وتريد "الفردوس"، وهذا مقام لا يليق به الانحدار خلف نزوة عابرة.
 * تيسير الحلال: السعي للزواج المبكر أو الاستعانة بالصوم كما في الهدي النبوي لكسر حدة الشهوة.
 * الاشتغال بالمعالي: الشهوة تهاجم القلب الفارغ؛ فإذا كان قلبك مشغولاً بـ "فعل الزكاة" ورعاية "الأمانة" و"الخشوع"، فلن تجد الشهوة ثغرة للدخول.
 * تذكر وصف العادون: كلما دعتك نفسك لتجاوز الحد قل لها: "أأكون معتدياً باحثاً عما وراء الحد؟". إن كبرياء المؤمن يمنعه من أن يكون "عادي".
 الخلاصة: الآية السابعة هي جهاز إنذار أخلاقي تخبرك أن السعادة ليست في ملاحقة الذات الممنوعة،

بل في ضبط النفس داخل حدود الله لتنال الفلاح الأبدي.

سادساً:

بعد الحزم الأخلاقي، تنتقل سياق النصوص لصفة النضج الاجتماعي في الآية الثامنة {والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون}، وهذا فيه:

الأمر الأول

هذه الآية هي "عمود الخيمة" في العلاقات الإنسانية، وإليك تفصيل محتواها من دروس ورسائل بليغة:

أولاً: اللمسات البلاغية والبيانية في الآية

الجمع (في) أماناتهم (والإفراد في) عهدهم(:

* (الأمانات) جمع: لتدل على تشعب حقوق الناس وكثرتها؛ فهناك أمانة المال، وأمانة الأسرار، وأمانة النصيحة، وأمانة العمل؛ المؤمن مطالب بحفظها جميعاً مهما تعددت.

* (العهد) مفرد: لأن العهد "كلمة شرف" واحدة، والوفاء بها لا يتجزأ؛ كما يشير إلى "العهد الغليظ" مع الله الذي يندرج تحته كل عهد مع البشر.

اختيار وصف "راعون":

* لم يقل "مؤدون" أو "حافظون"، بل قال "راعون" من الرعي.

* الدلالة: الراعي هو من يتفقد رعيته باستمرار، يحميها من الذئاب، ويصلح شأنها ليل نهار. المؤمن "يرعى" أمانته؛ أي يظل مهموماً بها متيقظاً لعدم ضياعها، حريصاً على أدائها في وقتها وبأتم صورة.

تقديم الجار والمجرور {لأماناتهم وعهدهم}:

* الفائدة: الاهتمام والحصر. وكان لسان حال المؤمن يقول: "لا شاغل يشغلي عن رعاية عهدي". الأمانة عنده أولوية تتقدم على مصالحه الشخصية.

ثانياً: الرسائل والتوجيهات العملية (منهج حياة):

* الأمانة هي "رأس مال" المؤمن: لا فلاح لمن لا أمانة له؛ الصلاة والخشوع (آية 2) لا تكتمل إلا بهذا الصدق الاجتماعي. الدين ليس مجرد شعائر بل هو "استقامة في المعاملة".

* مبدأ "الرعاية" في العمل: إذا كنت موظفاً، فأنت "راع" لوقت العمل وجودة الإنتاج. لا تنتظر رقابة المدير، فصفتك أنك "راع" من تلقاء نفسك وبدافع إيمانك.

* العلاقات الآمنة (العهد): الآية تؤسس لمجتمع "آمن" عاطفياً ومادياً. عندما تعلم أن من أمانك "راع لعهدك"، ستتعامل معه بطمأنينة؛ الوفاء بالعهد هو ما يبني جسور الثقة في التجارة، الزواج والصدقة.

* الأمانة الرقمية في عصرنا: تشمل عدم تسريب الأسرار، احترام الخصوصية في المحادثات والصدق في نقل المعلومات (أمانة الكلمة).

رابعاً: كيف تفعل هذه الآية في حياتك؟

* جرد الالتزامات: ابحث في ذاكرتك عن كل وعد أعطيته لأهلك، لأطفالك، لزملائك، وابدأ برعايته وتنفيذه.

* كن صاحب كلمة: المؤمن لا يتكلم لمجرد الكلام بل يجعل من كل كلمة "عهداً" يرقاه.

* النزاهة المطلقة: الأمانة هي أن تؤدي الحق حتى لو لم يطالبك به أحد، وحتى لو كان الطرف الآخر ضعيفاً لا يستطيع أخذ حقه منك. بهذا الوفاء، يكون المؤمن قد بنى جداراً من الثقة يحميه ويحمي مجتمعه.

الأمر الثاني

الصفة السادسة، هي قصة الوفاء والمسؤولية في قوله تعالى: {والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون}؛ هذه الآية هي "ميزان الثقة" الذي يبني عليه صرح المجتمع الإسلامي المتماسك. إليك شرح المفاهيم مدمجة باللمسات البيانية وأحكام التجويد:

* مفهوم "شمولية الأمانة" {لأماناتهم وعهدهم}:

* المفهوم: جاءت كلمة "أماناتهم" بصيغة الجمع لتشمل كل ما استؤمن عليه الإنسان: أمانة الدين و التكاليف، أمانة الجوارح، أمانة الأسرار، أمانة الأموال، وحتى أمانة الكلمة. المؤمن المفلاح لا يختار أمانة ويترك أخرى، بل هو أمين في كل تفاصيل حياته.

* اللمسة البيانية: الجمع هنا يدل على الاستغراق والكثرة؛ فالحقوق المتعلقة بزمة المؤمن كثيرة ومتنوعة، والجمع يوحي بعظم المسؤولية الملقاة على عاتقه.

* الربط بالتجويد: المد الطبيعي في "أماناتهم"؛ الألفات المدية في الكلمة تعطي صوتاً ممتداً وواضحاً. هذا الوضوح الصوتي يعكس "الوضوح الأخلاقي"؛ فالأمانة تقتضي الصدق والبيان، ولا تحتل الغموض أو المواربة.

* مفهوم "وحدة العهد" {عاهدهم}:

*المفهوم

جاءت كلمة "عهد" بصيغة المفرد، والعهد هو الميثاق الذي يقطعه الإنسان على نفسه. اللمسة البيانية: الأفراد هنا يشير إلى أن "جنس العهد" واحد؛ فمن نقض عهداً صغيراً فقد نقض أصل الوفاء، كما يشير إلى العهد الغليظ مع الله الذي تنبثق منه كل العهود مع البشر، فالعهد كلمة شرف و الكلمة لا تتجزأ.

الربط بالتجويد: الهمس في الهاء "عهدهم": الهاء حرف مهموس يخرج من أقصى الحلق من الأعماق، هذا الصوت العميق يوحي بأن العهد ليس مجرد "قلق لسان"، بل هو عقيدة مستقرة في عمق القلب تخرج إلى الواقع وفاءً وتطبيقاً.

3. مفهوم الرعاية المستمرة) راعون(

المفهوم: لم يقل "مؤدون" بل قال "راعون"، من الرعي، والراعي هو الذي يتعهد رعيته بالحفظ والتفقد والإصلاح والحماية من الذئاب.

اللمسة البيانية: اسم الفاعل يدل على "الديمومة والاحتراف"، فالمؤمن "راع" لأمانته؛ أي أنه لا يغفل عنها أبداً، بل يظل في حالة استنفار ذهني وقلبي لضمان وصول الحقوق لأصحابها بأفضل صورة. الربط بالتجويد: المد العارض للسكون في "راعون": الوقف بالمد الطويل (2) أو 4 أو 6 حركات (مع سكون النون يعطي شعوراً بالتمكين والاستقرار؛ فالمؤمن يظل يرضى عهده بمد زمنه طويل من الصبر حتى يصل إلى خاتمة الاستقرار والسكينة) النون الساكنة (في الدنيا والآخرة).

4. مفهوم "اليقظة الاجتماعية") الإظهار الشفوي(

المفهوم: الربط بين صفات العفة السابقة وصفات الأمانة الحالية يبني الإنسان الموثوق، فلا فلاح لمن يخون ولا نجاح لمن يغدر.

الربط بالتجويد: إظهار الميم عند الواو في "أماناتهم وعهدهم": حذر علماء التجويد من إخفاء الميم عند الواو لقرب المخرجين، هذا الحذر الصوتي يخدم مفهوم "اليقظة الأخلاقية"؛ فالمؤمن المفلح شديد الانتباه لئلا تضيع أمانة صغيرة "تختفي" في زحمة انشغالاته، بل هو يظهر الوفاء بكل أمانة وعهد بوضوح تام.

الرسائل والتوجيهات العملية للناس:

* كن صاحب كلمة: المؤمن يعرف بصدق وعده، إذا قلت "نعم" فاجعلها ميثاقاً، وإذا قلت "لا" فاجعلها وضوحاً.

* الأمانة في العمل: إتقانك لوظيفتك هو "رعاية للأمانة"، وتأدية المهام بأمانة في غياب المدير هي قمة الفلاح.

* تربية الأجيال: علم طفلك أن الأمانة ليست في المال فقط، بل في حفظ سر الصديق والوفاء بـ الوعد البسيط؛ لأنها "هوية" المفلحين.

سابعاً:

نختم الآن هذه السلسلة الذهبية بالآية التاسعة: {والذين هم على صلواتهم يحافظون}، وهي الآية التي تغلق القوس الذي بدأ بالصلاة لتعيدنا إلى المحراب ولكن بشخصية جديدة صقلتها التجارب الأخلاقية والاجتماعية.

إليك شرح المفاهيم مدمجة باللمسات البيانية وأحكام التجويد:

1. مفهوم "المحافظة" مقابل "الخشوع" الاحتواء والحماية)

المفهوم: بدأت الصفات بالخشوع داخل الصلاة وختمت بالمحافظة خارج الصلاة وفي مواقيتها . المحافظة تعني ضبط المواعيد والأركان والوضوء والاستمرارية.

اللمسة البيانية: تقديم الجار والمجرور "على صلواتهم" على الفعل "يحافظون" يفيد القصر والاهتمام؛ ف الصلاة هي "الأولوية القصوى" التي يتمحور حولها يوم المؤمن المفلح، فلا يزاحمها شاغل.

الربط بالتجويد: المد الطبيعي في "صلواتهم" الألف المدية تعطي صوتاً ممتداً يوحي بـ "الامتداد الزمني"؛ فالمؤمن لا يصلي مرة ويقطع، بل هو في حالة محافظة ممتدة عبر الزمن) خمس صلوات كل يوم طوال العمر).

2. مفهوم "الشمولية والكرّة") صلواتهم(

المفهوم: جاءت "صلواتهم" بالجمع) في أغلب القراءات (لتدل على أن المحافظة تشمل كل الصلوات: الفجر في وقته، والظهر في وقته، وهكذا . لا يختار منها ما يسهل عليه ويترك ما يصعب.

اللمسة البيانية: استخدام الفعل المضارع "يحافظون" يدل على التجدد والاستمرار، فالمحافظة معركة يومية مع النفس والشيطان، والمؤمن في حالة تجدد دائم لهذا العهد.

الربط بالتجويد: همس الحاء في "يحافظون": الحاء حرف مهموس يخرج بلطف وسلاسة؛ مما يوحي بأن المحافظة على الصلاة لا ينبغي أن تكون عبئاً ثقيلاً "أو صراخاً، بل هي "صلة لطيفة" ومنظمة تتبع من حب المؤمن لربه ورغبته في لقائه.

3. مفهوم "صمام الأمان") إحكام المخارج(

المفهوم: الصلاة هي التي تحفظ كل الصفات السابقة) الزكاة، العفة، الأمانة؛ فمن حافظ على صلاته

حفظه الله في باقي شؤونه.
الربط بالتجويد: إطباق الظاء في "يحافظون": حرف الظاء حرف مستعل ومطبق، وهو من أقوى الحروف صوتاً. هذه القوة في النطق ترمز إلى "القوة في الالتزام"، فالمحافظة على الصلاة هي الدرع القوي) المطبق (الذي يحمي المؤمن من الانهيار الأخلاقي أو التكاسل الاجتماعي.
4. النتيجة الكبرى: مفهوم "الوراثة الأبدية") أولئك هم الوارثون)

المفهوم: هنا نصل إلى قمة الجبل، فمن جمع هذه الصفات السبع لم يعد مجرد "ناجح" بل أصبح "وارثاً"، والوارث يأخذ الملك دون عناء استحقاق محض بل بفضل ورحمة من الله كأنه حق ثابت له. اللمة البيانية: "أولئك هم": استخدام اسم الإشارة للبعد "أولئك" لرفع مكانتهم وعلو شأنهم، وضمير الفصل "هم" للحصر؛ أي هم ولا أحد غيرهم من يستحق هذا الفوز العظيم.
الربط بالتجويد: المد العارض للسكون في "الوارثون" و"الفردوس": ينتهي هذا المقطع بمدود مريحة وطويلة تعكس حالة "الخلود والاستقرار". بعد تعب "المحافظة" و"الرعاية" و"الحفظ" في الدنيا، يأتي الصوت الممتد الساكن ليعلن انتهاء زمن الكد وبدء زمن الراحة الأبدية في الفردوس.
الرسائل والتوجيهات النهائية) خاتمة الرحلة):

* دائرة الفلاح: بدأت الصلاة بالقلب) الخشوع (وانتهت بالجوارح) المحافظة؛ فإذا أصلحت صلاتك أصلح الله لك أمانتك وعفتك ووقتك.
* الاستحقاق: الفردوس ليس جائزة بسيطة، بل هو "ميراث" لمن عاش حياة "المؤمنون".
* التكامل: لا تحاول أخذ صفة وترك أخرى؛ فالبيان القرآني هنا جسد واحد إذا اشتكى منه عضو (مثل تضيق الأمانة) تدعى له سائر الجسد بالنقص في الفلاح.
الخلاصة: لقد رسمت لنا هذه الآيات خارطة طريق لـ "الإنسان السوبر" بمفهوم إيماني خاشع، منتج، عفيف، أمين، ومحافظ، وهذا هو الشخص الذي لا تليق به إلا جنة الخلد.

الأمر الثاني:

تعد الآية التاسعة {والذين هم على صلواتهم يحافظون} بمثابة "الإدارة العليا" لكل الصفات السابقة، فهي التي تضبط إيقاع حياة المسلم وتحمي إنجازاته من التشتت. إليك التفصيل في هذه المفاهيم الجوهرية:

1. إدارة الوقت والانضباط) الصلاة كـ "بوصلة" لليوم)
المفهوم: الآية لا تتحدث عن مجرد صلاة، بل عن نظام حياة؛ فالمسلم المفلاح لا يترك يومه للفوضى، بل يجعله محطات إيمانية ثابتة.

* منع التسويف: المحافظة على الصلاة في "مواقيتها" تدرب النفس على احترام "المواعيد النهائية"، فمن انضبط مع نداء الفجر والظهر صار من الصعب عليه التسويف في مهام عمله أو دراسته.
* ترتيب الأعمال: الصلاة تقسم اليوم إلى خمس كتل زمنية منتظمة، مما يجعل المسلم مديراً لوقته في الفطرة، يخطط لأعماله بين الصلوات، وهذا قمة الإنتاجية الحديثة.

2. الجودة والإتقان) أبعد من مجرد "المحافظة" الشكلية)
المفهوم: المحافظة في اللغة تعني "الصيانة والحراسة"؛ فالمؤمن لا يؤدي الصلاة كحركات آلية، بل يحافظ على كمالها وضوءها وأركانها، وخشوعاً.

الرسالة: إذا كان المسلم يحافظ على "جودة" صلاته أمام الله، فمن الطبيعي أن ينعكس ذلك على "جودة" عمله الدنيوي، فـ "المحافظة" هي ثقافة "الإتقان" التي تمنع الغش والتهاون.
3. الاستعلاء والشموخ) دلالة "على صلواتهم")

اللمة البلاغية: استخدام حرف الجر "على" يوحي بالاستعلاء والتمكن.
المفهوم: المسلم لا يساق إلى الصلاة وهو ذليل كسلان، بل هو "مستعل" بها المسيطر على ظروفه من أجلها، هي ليست عبئاً يقع عليه، بل هو "فوق" مشاغل الدنيا، يقودها ولا تقوده.
الانعكاس السلوكي: هذا الاستعلاء يمنح المؤمن "عزة نفس"؛ فلا ينحني لغير الله، ولا يذل نفسه لشهوة أو مال حرام؛ لأنه يستمد قوته من وقوفه المنتظم بين يدي ملك الملوك.

4. الفرق بين "يحافظون" و"يؤدون" أو "يقيمون"
* يؤدون: تعني مجرد الفعل، وقد تكون بلا روح أو بلا مواقيت.
* يقيمون: تركز على إقامة الأركان والخشوع داخل الصلاة نفسها.

* يحافظون) اللفظ المختار هنا: هي الأعم والأشمل؛ فهي تشمل الإقامة والأداء، وتضيف إليهما "الديمومة" و"الحراسة" من الضياع، هي تعني أن الصلاة أصبحت "حصناً" يحوطه المؤمن بقلبه وجوارحه فلا تخترقه الغفلة.

5. مراقبة الله المستمرة) الإحسان العملي)
المفهوم: المحافظة المتكررة طوال اليوم تجعل المسلم في حالة "اتصال دائم" مع الله.

النتيجة: هذا الاستحضار الدائم لعظمة الله يمنع المسلم من خيانة الأمانة أو الوقوع في الفواحش أو اللغو، فالصلاة هنا هي "الرقيب الداخلي" الذي يغني عن الرقابة الخارجية.
النتيجة النهائية: أولئك هم الوارثون * الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون. {الوارث هو الذي ينال

الملك بلا كد بعد طول كد، لقد انتهى زمن المجاهدة، الرعاية، الحفظ، والمحافظة، وجاء زمن "الوراثة" حيث الراحة الأبديّة في أرقى منازل الجنة.

سابعاً:

نصل الآن إلى خاتمة "الجوائز" ومنتهى الطموح البشري في الآيتين (10) - (11): أولئك هم الوارثون * الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون، هنا يتحول العمل إلى ملك، والجهد إلى خلود. إليك شرح المفاهيم والدروس النظرية والعملية مدمجة باللمسات البيانية وأحكام التجويد:

1. مفهوم "الوراثة الاستحقاقية" أولئك هم الوارثون)
المعنى والمفهوم: لم يقل "الفائزون" فقط، بل قال "الوارثون". والوارث في اللغة هو من يؤول إليه الشيء بعد جهد غيره، أو من يملك الشيء ملكاً مستقراً لا منازع له فيه.
الرسالة النظرية: تشير الآية وفق الأثر النبوي إلى أن لكل إنسان مقعداً في الجنة ومقعداً في النار، فإذا دخل أهل النار النار، ورث المؤمنون مقاعدهم في الجنة.
اللمسة البيانية:

* "أولئك هم": اسم الإشارة للبعيد "أولئك" لتعظيم شأنهم ورفع مكانتهم في أعالي الدرجات.
* ضمير الفصل) هم(: يفيد القصر والحصر؛ أي "هم وحدهم" الأحق بهذا الوصف دون سواهم من أهل اللغو والظلم.

* الربط بالتجويد: المد المتصل في "أولئك": يمد 4 أو 5 حركات وجوباً، هذا المد الطويل يمثل "صوت التكريم والاحتفاء"، وكأن النطق الممتد يشير إلى اتساع الملك الذي سيرثونه.
2. مفهوم "الفردوس" سقف طموح المؤمن)

المعنى والمفهوم: الفردوس هو أعلى الجنة وأوسطها، ومنه تفجر أنهار الجنة، وسقفه عرش الرحمن. الدرس العملي: المؤمن لا يرضى بالقليل؛ فكما كان مبادراً وفعالاً ومحافظاً في الدنيا كانت جائزته "الفردوس"، وهذا يعلم المسلم "علو الهمة" في كل شيء؛ في عبادته، دراسته، وإتقان عمله.
اللمسة البلاغية: تكرار كلمة "يرثون": للتأكيد على ثبوت الملكية وأنها حق لا رجعة فيه بفضل الله ورحمته.

الربط بالتجويد: همس السين في "الفردوس": حرف السين مهموس ورخو يعطي جرساً صوتياً فيه همس وسكينة، هذا الصوت اللطيف يناسب أجواء الجنة والراحة والنعيم المقيم بعد تعب المجاهدة في الدنيا.

3. مفهوم "الخلود" النهاية التي لا تنتهي)
المعنى والمفهوم: "هم فيها خالدون" تعني البقاء الأبدي الذي لا يعقبه موت ولا كدر ولا نصب. الفوائد التربوية: هذا المفهوم هو أكبر دافع للصبر على المشاق؛ فالمسلم يدرك أن "تعب الطاعة" مؤقت وأن نعيم الفردوس دائم، وهذا يقطع دابر القلق الوجودي ويمنح النفس استقراراً عظيماً.
اللمسة البيانية: الجملة الاسمية "هم فيها خالدون" بدلاً من الفعل "يخلدون" تفيد الثبوت والدوام المطلق الذي لا يتغير ولا يتبدل.

الربط بالتجويد: المد العارض للسكون في "خالدون": ينتهي المد بسكون النون، هذا المد الطويل الذي يختم السلسلة يعكس معنى "الأبدية والامتداد"، وسكون النون في النهاية يوحي بـ "القرار والاستقرار" التام فلا رحيل بعد هذا المنزل.

4. الرسائل والتوجيهات العامة) خلاصة الفلاح)
* العدل الإلهي: هذه الآية تربط النتائج) الجنة (بالمقدمات) الصفات السبع؛ فالفلاح ليس تمنياً، بل هو صناعة تبدأ من "الخشوع" وتنتهي بـ "المحافظة".

* الاستثمار الربح: الدنيا هي "رأس المال"، والصفات السبع هي "خطة العمل"، والفردوس هو "الأرباح". المسلم المفلح هو أذكى المستثمرين لأنه استبدل الفاني) الدنيا (بالباقى) الخلود).

* الرقابة والتحفيز: تذكر "الوراثة" عند كل فتنة شهوة أو خيانة أمانة؛ فهل يبيع العاقل "ميراث الفردوس" بلذة عابرة تجعله من "العادين"؟

5. دلالة الربط بين الأول والآخر
بدأت السورة بـ {قد أفلح المؤمنون} وانتهت بـ {هم فيها خالدون}.
الدرس التربوي: الفلاح الحقيقي ليس في "البدائيات" المتحمسة فقط، بل في "الخواتيم" المستقرة؛ فمن حافظ على إيمانه حتى النهاية ورث الفردوس.

الأمر الثاني:

تأتي هذه الخاتمة أولئك هم الوارثون * الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون {لتعبد صياغة مفهوم "النجاح" في عقل المسلم، محولة حياته من مجرد "بقاء بيولوجي" إلى "استثمار استراتيجي" هادف. إليك شرح هذه المفاهيم:

1. مفهوم "الاستثمار" للآخرة) رأس المال والأرباح)
المفهوم: الآية تقرر أن الجنة "ميراث"، والوراثة في المنطق القرآني لا تأتي إلا لمن ثبت "نسبه الإيماني" بالعمل.

* رأس المال: هو الوقت، الجوارح، المال، والعقل التي سخرت في الصفات السابقة) خشوع، كف عن اللغو، زكاة، عفة، أمانة).

* الأرباح: الفردوس، والاستثمار هنا يتميز بـ"العائد اللانهائي". في الاقتصاد البشري أي استثمار معرض للخسارة، أما في "استثمار الفردوس" فالعائد هو) خالدون (أي أرباح مستمرة لا تنقطع.
* اللبسة البيانية) الوارثون): اختيار لفظ الوارث يوحي بأن المؤمن يستلم نتيجة تعبته بضمان إلهي. هذا يبني عقلية "المستثمر الواثق" الذي لا يتردد في دفع الثمن) الصبر والالتزام (لأنه يرى العائد يقيناً.

2. إدراك الغاية) لماذا نحن هنا؟)

المفهوم: الالتزام بهذه الآية ينهي "تشتت الغايات"؛ فالمسلم المفلح لا يعيش لجمع المال لمجرد الجمع، بل ليكون فاعلاً للزكاة (ليراث الفردوس، ولا يحفظ فرجه لمجرد العادة بل ليكون من "الوارثين".
الدرس العملي: إدراك أن الفردوس هو "المستقر النهائي" يجعل الصعوبات الدنيوية "محطات عبور".
وليس نهاية العالم. هذا يمنح الإنسان مناعة نفسية ضد الإحباط؛ فالفشل في صفقة دنيوية لا يعني فشل "مشروع العمر" نحو الفردوس.

3. الحياة الحقيقية والمعنى) العيش بالأمل)

المفهوم: الحياة بلا غاية هي "موت معنوي". الالتزام بهذه الآيات يجعل لكل حركة معنى:

* في الصلاة: أنت لست مجرد مصل، أنت "تبني قصرك" في الفردوس.

* في الأمانة: أنت لست مجرد موظف نزيه، أنت "تؤكد استحقاقك" للميراث.

الأمل الموجه: الأمل في الفردوس ليس تمنياً سلبياً بل هو طاقة محركة؛ هو الذي يجعل الشاب يغض بصره في زمن الفتن، ويجعل الغني ينفق ماله في الأزمات؛ لأن عينه على "الفردوس".
الربط بالتجويد: المد العارض في "خالدون": صوت المد الممتد في نهاية الآية يعطي إيحاء بأن "القصة لم تنته". هذا المد يملأ قلب المؤمن بالأمل؛ فالحياة ليست هذه السنوات القصيرة بل هي "الأمتداد" الذي يصوره التجويد في كلمة "خالدون".

4. توجيه الطاقات نحو الهدف) تركيز الموارد)

المفهوم: الإنسان لديه طاقة محدودة. (الآيات 1) - (9 حددت أين تذهب هذه الطاقة، والآيتان 10) - (11 حددتا "الجائزة الكبرى".

الاستراتيجية: المؤمن يوجه طاقته نحو البناء الروحي) الخشوع والصلاة)، البناء السلوكي) العفة والأمانة)، والبناء المجتمعي) الزكاة والبعد عن اللغو).

النتيجة: هذا التوجيه يمنع هدر الطاقة في سقاسف الأمور) اللغو (أو في تدمير الذات) العدوان و الزنا. (الالتزام بالهدف يجعل الفرد إنساناً فعالاً " ومنتجاً؛ لأنه يعلم أن كل ثانية هي "سهم" في شركة الفردوس.

5. دروس تربوية في "صناعة المصير"

* السيادة والمسؤولية: أنت "وارث" لمصيرك، الله عرض عليك الفردوس، ورسم لك الطريق، وأعطاك الأدوات.

* السكينة الختامية: استخدام حرف السين المهموس في "الفردوس" والمد الساكن في "خالدون" يضع المسلم في حالة من السلام الداخلي؛ فهو يعلم أنه مهما كان العالم مضطرباً من حوله، فإن "استثماره" مع الله آمن ومحفوظ.

الخلاصة: الالتزام بهذه الآيات يحولك من عابر سبيل تائه في الدنيا إلى "شريك في ملكوت الله"، تعيش بيدك في الأرض وقلبك معلق بسقف الفردوس. هذا هو المعنى الحقيقي للحياة، وهذا هو الأمل الذي لا يخيب.

القسم الثاني: أطوار خلق الإنسان وعناية الله

تنتقل الآيات إلى الدلائل الإيمانية الدالة على رعاية الله للإنسان في أطوار مراحل خلق الإنسان، من أول وهلة حتى اكتمال تكوينه، والإمكانيات التي أعطاها الله للإنسان ليكون خليفة في الأرض. ففي ذلك بيان قدرة الله عز وجل المطلقة، وبيان حكمته من خلق الإنسان واستحقاقه للعبادة وحده لا شريك له؛ فهذه هي الغاية التي خلق الإنسان لأجلها، ولهذا يختم بذكر موت الناس والبعث والنشور والحساب والعقاب. فقال تعالى:

{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَفْثَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّفُثَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14) ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (15) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ. (16)}

أولاً -

تتناول الآية الثانية عشرة من سورة "المؤمنون" بداية أطوار خلق الإنسان في معجزة قرآنية تصف بدقة متناهية أصل التكوين البشري. يقول الله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ.}

الشرح والتفسير:

تبين الآية الكريمة مراحل خلق البشر، وتقسم المعاني هنا إلى شقين:

* خلق آدم عليه السلام: المقصود بـ "الإنسان" هنا هو أبو البشر آدم الذي خلقه الله مباشرة من طين.

* معنى "سلالة": السلالة في اللغة هي الشيء الذي يُسلّ ويُستخلص من شيء آخر. والمعنى أن الله استخلص مادة خلق آدم من صفوة الطين أو من جميع أنواع تراب الأرض.

من طين: تؤكد الآية على الأصل المتواضع والمادي للإنسان ليتذكر دائماً قدرة الخالق وعظمته، وفي نفس الوقت ليدرك أنه لولا الروح التي نفخها الله فيه ل بقي مجرد طين. ارتباطها بما بعدها:

هذه الآية هي "المرحلة الأولى"، حيث تتبعها الآيات التي تشرح كيفية تناسل ذرية آدم:

* سلالة من طين) خلق آدم).

* النطفة في قرار مكين.

* العلقه، فالمضغة، فالعظام، فكساء العظام باللحم.

خلاصة المعنى:

الله عز وجل يذكر الإنسان بأصله الأول؛ ليدعوه للتفكير في كيفية تحول هذا "الطين" الجامد إلى كائن حي سميع بصير وعاقل، مما يستوجب الشكر والعبادة. وهذا فيه

الأمر الأول

عليك أن تدرك أن الإسلام يحترم العقل البشري، ولهذا جعل الله الإيمان ثمرة القناعة الناتجة عن الدليل الذي يخاطب الله به عقل الإنسان. ولأن الإيمان هو التصديق بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار... إلخ، وهي من الأمور الغيبية، ولهذا نجد بعد ذكر صفات المؤمنين الذين يحظون بالفلاح تنتقل الآيات إلى بيان خلق الإنسان. فقال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَائِلَةٍ مِنْ طِينٍ...} حيث نلاحظ ابتداء الآية بـ (ولقد:) الواو حرف للقسم المقدر، اللام واقعة في جواب القسم، "قد" حرف تحقيق. هذا الاستهلال يوحى بأهمية الخبر القادم وضرورة الانتباه له؛ فهو له ارتباط بدعوة الفلاح في الآيات السابقة. فهذه الآية وما بعدها حيثيات لما ورد في الآيات السابقة من الدعوة إلى معرفة الله ومحبيه وعبادته وحده لا شريك له، والإذعان والخضوع والخشوع لله تعالى. ولهذا فإن الا ابتداء بالقسم) ولقد (يهدف إلى شد الانتباه، خاصة وأن هذه الكلمة فيها قلقلة صغرى في) ولقد؛ ف الدال الساكنة تقلقل قلقلة صغرى، وهذا الاضطراب الصوتي يشد انتباه السامع لبداية حقيقة كونية كبرى.

فالمولى يريد منا الانتباه والتأمل والتدبر في خلق الإنسان لتشاهد عناية ورعاية الله. وفي هذا جواب لمن يسأل: لماذا يطلب الله منا أن نخضع له بذل وخشوع وحب؟ فأخبرنا أنه تعالى قد تولى رعايتنا من قبل أن نخلق؛ فإذا كان الحب هو العطاء، فإن الإنسان لا يملك شيئاً ليعطي لأنه ملك لله. فالله سبحانه وتعالى هو الذي أوجدك من العدم وهو الذي منحك كل شيء.

فقال: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ}؛ فالتعبير بـ "خلقنا" باستخدام نا الفاعلين/ نون العظمة (لبيان جلالة الصانع وعظمة الفعل. يدعوك لتتأمل عظمة الخالق سبحانه وتعالى، فأنت تخضع لعظيم، إنه الخالق سبحانه وتعالى. ولهذا فعليك أن تتفكر في أصلك، انظر كيف أوجدك الله من العدم؛ ففي هذا التفكير ترى صفات الخالق سبحانه وتعالى وقدرته المطلقة. فالمولى يخاطب العقل البشري، ولهذا نجد المد المتصل في) الإنسان؛ فهذا المد يمنح القارئ مساحة زمنية للتفكير في هذا الكائن المعقد. انظر لنفسك لترى قدرة الله في إحياء الموتى؛ فمن أوجدك من العدم سهل عليه إعادتك إلى الحياة، فالعظمة هي للصانع لا المادة المصنوعة. فكانت هذه مقدمة لجذب الإنسان إلى التفكير في أصله ليرى عظمة الله تعالى. فالمراد بالإنسان هو آدم عليه السلام.

الأمر الثاني

بعد ذلك تنتقل الآية إلى بيان أن الشواهد الدالة على عظمة الخالق ورعايته وعنايته بهذا الإنسان هي في ذات الإنسان؛ فعليك أن تتفكر في المادة التي خلق الله منها آدم عليه السلام. فقال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَائِلَةٍ مِنْ طِينٍ.}

إن اختيار لفظ "سلالة" هنا ليس غير ذي معنى؛ فكلمة سلالة في اللغة العربية مشتقة من "سل الشيء من الشيء" أي استخرجه منه بلطف ورفق.

المعنى: أن الله استخلص مادة خلق آدم من "صفوة الطين" أو "خلاصة التراب". فالإنسان ليس طيناً عشوائياً، بل هو مستخلص من عناصر الأرض: المعادن والأملاح والماء التي يتكون منها الطين. فالله سبحانه وتعالى يخبرنا أنه استل من الطين الذي هو لازب من صلصال من حمأ مسنون (قبضة من جميع تراب الأرض وألوانه: الأسود والأبيض والأحمر وما بين ذلك، والخبيث والطيب. ولهذا نجد أن الناس ألوان عديدة: أسود وأبيض وأحمر، وطيب وخبيث وما بين ذلك. كما ورد في الحديث أن الله

خلق آدم من قبضة من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض؛ منهم الأحمر والأبيض والأسود وما بين ذلك... إلخ. وهذا فيه

الدرس الأول:

استشعار عناية الله ورعايته بنا وعظمته؛ فكلمة "سلالة" كما أوضحنا في اللغة مشتقة من "سل الشيء من الشيء" أي استخرجه برفق كاستخراج الشعرة من العجين. المعنى: السلالة هي "الخلاصة" أو "الصفوة" المستخلصة من شيء كلي (و. سلالة من طين (جاء التنكير هنا لإفادة "التعظيم" لنوع هذه السلالة، أو "التحقير" لأصل المادة لبيان قدرة الله في تحويل الطين الرخيص إلى إنسان مكرم. وهو ما يظهر العظمة للخالق سبحانه وتعالى هنا في أن الإنسان ليس أكوام طين عشوائية، بل هو خلاصة منتقاة بعناية إلهية. الله لم يقل "خلقنا الإنسان من طين" فحسب في هذه الآية، بل "من سلالة"؛ مما يوحي بالتقدير الإلهي لهذا المخلوق، وكأن جسدك هو الثمرة المنتقاة من عناصر الأرض الصماء.

الدرس الثاني) التذكير بالأصل:

الآية تخاطب كبرياء الإنسان:

- * التواضع: فعندما يقرأ الإنسان أنه خلق من "طين"، يدرك أن أصله من مادة أرضية بسيطة فلا يحق له التكبر.
- * قدرة الخالق: كيف حول الله هذا الطين الجامد الأصم إلى كائن حي، عاقل، مبصر ومتكلم؟ هذا دليل قاطع على وجود الخالق وعظمته.

الأمر الثالث: الحكمة من الربط بين "الفلاح" و"أصل الخلق"

تبدأ السورة بـ { قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ }، ثم تنتقل فوراً للحديث عن خلق الإنسان من سلالة من طين . وهذا فيه

الدرس الأول، حيث يحمل هذا الربط رسائل تربوية عميقة:

- * التكريم بالروح لا بالمادة: تبين الآية أن التكريم للإنسان ليس بالمادة وإنما يعود إلى النفخة بالروح ؛ فالنفخة العلوية هي التي جعلت الإنسان يتحدث ويتكلم. فذلك يدل على عظمة الله وبديع صنعه. ف الإخفاء الحقيقي (في) الإنسان (-النون الساكنة تختفي عند السين- كأنها ترمز للخفاء والسر في الروح التي لا نراها في هذا الجسد الطيني. لتفهم أن الروح هي مصدر التكريم، ولهذا فإن هذا الجسد بحاجة إلى الاتصال بربه؛ فالتكريم هو في الخضوع والخشوع لله تعالى في عبادة الله وحده.
- * كسر الكبر: لكي لا يغتر المؤمن بصلاته وخشوعه ونجاحه، يذكره الله بأصله (الطين (ليبقى متواضعاً. فمن عرف أن أصله تراب لا يتكبر على عباد الله.
- * بيان القدرة: من استطاع أن يحول الطين "الميت" إلى مؤمن "مفلح" يخشع في صلاته ويعرض عن اللغو هو إله يستحق العبادة وحده.
- * إثبات البعث: السياق يريد القول: من بدأ خلقكم من سلالة طين قادر على إعادتكم بعد أن تعودوا طيناً) تراباً (مرة أخرى).

الدرس الثاني: تحويل الآية إلى واقع حياة

أن تحويل فهم الآية من "مجرد تفسير نظري" إلى "منهج حياة" يجعلنا نرى أنفسنا والآخرين بمنظور مختلف تماماً. إليك أهم المفاهيم التي يمكننا تطبيقها في حياتنا العملية من قوله تعالى: { ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين }:

- * مفهوم "التواضع الذكي" (العودة للأصل): الآية تذكرنا أن أصلنا "طين". في حياتنا العملية عندما يرتفع شأنك) منصب، مال، شهرة)، تذكر أن المادة الخام التي كونت منها هي أبسط مادة في الأرض . التطبيق: تعامل مع الناس بلين؛ فالطين يتشكل ويلين ولا يتصلب كالحجر، والتكبر يتنافى مع طبيعتك الأصلية.
- * تقدير قيمة "المستخلص" (مفهوم الصفوة): كلمة "سلالة" تعني الخلاصة والصفوة. هذا يعلمنا أن القيمة ليست في "الكمية" بل في "النوعية". التطبيق: في عملك أو دراستك لا تهتم بكثرة الإنجازات السطحية، بل ركز على "خلاصة" جهدك وما ينفع الناس فعلياً. كن أنت "سلالة" في مجالك، أي الشخص المتميز والمصفى من الشوائب.
- * الاتصال بالطبيعة والبيئة: بما أننا سلالة من طين، فهناك رابط بيولوجي وروحي بيننا وبين الأرض . التطبيق: هذا المفهوم يدعونا للحفاظ على البيئة وعدم إفساد الأرض، لأنها "الأصل" الذي جئنا منه ومنها نأكل عن طريق النبات الذي يخرج من الطين؛ فاحترام الأرض هو احترام لأصلنا البشري.
- * مفهوم "التحول والتطوير" من طين إلى كائن عاقل: تأمل كيف حول الله الطين) مادة جامدة (إلى إنسان) كائن مفكر (هذا يعطينا أملاً كبيراً في التغيير. التطبيق: لا تحكم على نفسك أو على ا

لآخرين بوضعهم الحالي. إذا كان الطين قد صار إنساناً بقدرة الله، فأنت قادر على تحويل نقاط ضعفك إلى نقاط قوة، وتطوير مهاراتك من "الصفير" إلى "القمة".

* التوازن بين المادة والروح: الإنسان "طين" مادة (ونفخة من "روح" الله. التطبيق: في حياتك اليومية لا تغرق في الماديات فقط) طعام، مال، استهلاك (فتثقلك "طينية" الأرض، ولا تنسَ غذاء الروح) صلاة، تأمل، قيم؛ فالنجاح العملي يتطلب توازناً بين الجسد والروح.

ملخص المفهوم العملي: "تذكر أصلك لتتواضع، وانظر إلى سلاتك لتمييز، ووازن بين طينك وروحك لتسعد". الدرس العملي الأكبر من الآية هو "فلسفة البناء والتطوير".

الدرس الثالث

إذا تأملنا كيف تحول "الطين" -وهو مادة أولية بسيطة ورخيصة- إلى "إنسان" -وهو أعقد وأكرم كائن- يمكننا استخراج دروس ذهبية لحياتنا اليومية:

* لا تستهن بالبدايات البسيطة) مبدأ التحول: الطين في أصله مادة متواضعة، لكنه بالتدبير الإلهي صار بشراً سوياً. الدرس: في حياتك العملية، لا تحتقر مشروعاً صغيراً، أو مهارة بسيطة تبدأ بها، أو فكرة "طينية" خام. العبرة ليست في المادة الخام التي تبدأ بها، بل في "التطوير والعمل" الذي يطرأ عليها لتصبح شيئاً عظيماً.

* مفهوم "الاستخلاص" والتركيز) مبدأ السلالة: السلالة هي "الخلاصة" المصفاة من الطين. الدرس: في عصر الانفجار المعلوماتي وكثرة المشتتات، عليك أن تكون "سلالة" في تفكيرك. لا تشتت نفسك في كل شيء، بل استخلص "خلاصة" تجاربك وصب تركيزك في أفضل ما لديك. كن أنت "الخلاصة" المتميزة في عملك وسط الزحام.

* المرونة والتكيف) طبيعة الطين: الطين مادة مرنة تقبل التشكل واللين، لكنها إذا جفت وتصلبت تكسرت. الدرس: لكي تنجح عملياً، يجب أن تملك "مرونة الطين" في التعامل مع الأزمات وتغيرات الحياة؛ فالشخص "الصلب" الذي لا يتغير ولا يتقبل الرأي الآخر ينكسر، بينما الشخص المرن هو الذي يتشكل مع الظروف ليصل إلى آفاق جديدة.

* التواضع كقاعدة للانطلاق: الآية تردنا للأرض) الطين (لكي لا نفتر. الدرس: في بيئة العمل، "الغرور" هو المقبرة الأولى للإبداع؛ فعندما تدرك أن أصلك من طين يسهل عليك قبول النقد والتعلم من الآخرين والاعتراف بالخطأ. التواضع يجعلك قريباً من الناس، والقرب من الناس هو مفتاح النجاح القيادي والاجتماعي.

* الاستدامة وإدراك القيمة) الارتباط بالأرض: نحن من الأرض وإليها نعود، وبها نحيا. الدرس: هذا يعزز مفهوم المواطنة الصالحة والمسؤولية تجاه البيئة. في حياتك العملية أسأل نفسك: هل عملي يبني الأرض) يعمرها (أم يفسدها؟ فالنجاح الحقيقي هو الذي يترك أثراً طيباً في "الطين" الذي جئنا منه.

باختصار: الدرس العملي هو: "ابدأ بما لديك وإن كان طيناً، كن مرناً في تشكيله، ركز على الجودة) السلاسة، وحافظ على تواضعك لتستمر في الصعود".

الدرس الرابع

من الأهمية أن نبين في هذا الإطار كيف أن النصوص تربط بين المبنى) التجويد والبلاغة (وبين المعنى) المفاهيم والرسائل العملية (تظهر الآية كمنظومة متكاملة توجه سلوكنا اليومي، بما يحول فهم الآية من نظري إلى عملي.

التحليل الاندماجي لآية الخلق من الطين إلى التمكين:

{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَائِلَةٍ مِنْ طِينٍ.}

* مفهوم "قوة البدايات وتواضعها") الاستدلال بالصوت واللفظ: في حياتنا العملية كثيراً ما يمنعنا الكبر أو استصغار البدايات من النجاح؛ الآية تعالج هذا بتركيبة صوتية وبيانية مذهلة.

* اللمسة البيانية) التنكير: جاءت كلمتا "سلالة" و "طين" نكرات؛ في البلاغة تنكير "طين" هنا يفيد "التحقير الذاتي" لأصل المادة لكسر غرور الإنسان.

* أحكام التجويد) القلقلة: تبدأ الآية بـ) ولقد(، حيث تقلقل الدال الساكنة. هذا الاضطراب الصوتي القوي "يوقظ" الغافل، وكأنه "طرق" على باب الوعي ليتذكر أصله.

* الرسالة العملية: ابدأ مشروعك أو تعلمك من "الصفير" الطين (بكل تواضع؛ فالقلقلة في بداية الآية تعلمك أن "الاضطراب" في البدايات هو جزء من التحقق) قد التحقيقية (والوصول للنتيجة.

* مفهوم "التركيز والاستخلاص") الاستدلال بالإدغام والغنة: النجاح العملي يتطلب تصفية المشتتات و التركيز على "الخلاصة".

* اللمسة البلاغية) سلالة: اختيار "سلالة" دون "قطعة" أو "جزء" يشير إلى عملية "انتقاء"؛ فالسلا لة هي الصفوة المستخرجة برفق.

* أحكام التجويد) الإدغام بغنة: عند قوله) سلالة من (نجد إدغماً كاملاً " بغنة. صوت الغنة الرخيم الذي يخرج من الخيشوم يمثل "السلاسة" واللين في الاستخراج.

- * الرسالة العملية: كن "سلالة" في مجتمعك وعملك؛ لا تكن مجرد رقم بل كن "الخلاصة" المصفاة من الشوائب. الإدغام يعلمنا "الاندماج الذكي"؛ كيف تندمج في بيئة عملك كما يندمج التنوين في الميم لتخرج "غنة" أثراً طيباً (يميزك عن غيرك).
- * مفهوم "الهوية المختبئة" (الاستدلال بالإخفاء الحقيقي): داخل كل إنسان "إمكانات مخفية" تفوق أصله الطيني.
- * أحكام التجويد (الإخفاء): في كلمة) الإنسان (تخفى النون الساكنة عند السين؛ صوتياً النون موجودة لكنها مستترة.
- * الدلالة والمعنى: هذا الإخفاء يشير إلى "السر الإلهي" الروح (المخبوء داخل هذا الجسد الطيني).
- * الرسالة العملية: لا تحكم على الناس بظواهرهم "الطيني" أشكالهم أو فقرهم، فداخل كل إنسان "نون مخفية" من المواهب والقدرات. في الإدارة والتعامل، أبحث عن "المخفي" في موظفيك وأبنائك ولا تكتف بالظاهر.
- * مفهوم "المرونة والاستدامة" (الاستدلال بالمد العارض): الاستمرارية في العمل تتطلب "نفساً طويلاً" ومرونة في التلقي.
- * اللمسة البيانية) من ...من: تكرار حرف الجر "من" يفيد التفصيل والتراخي، مما يعطي انطباعاً بأن الخلق لم يكن خبط عشواء، بل "خطة" محكمة المراحل.
- * أحكام التجويد) المد العارض للسكون: عند الوقف على كلمة) طين، (نمد الياء مدّاً عارضاً 2) أو 4 أو 6 حركات.
- * الرسالة العملية: الوقف بالمد على كلمة "طين" يعطي شعوراً بالهدوء والسكينة والعودة للأرض .
- الدرس العملي هو "الهدوء النفسي"؛ مهما بلغت ضغوط الحياة وتوترها، غد إلى هدوء أصلك. المد الطويل يعلمك "الصبر" و"النفس الطويل" في بناء الذات؛ فإذا كان الطين يحتاج مراحل ليصبح إنساناً، فأهدافك تحتاج وقتاً لتحقيق.
- خلاصة الدمج التحليلي: إن الآية (بلاغتها) تصفية السلالة (وتجويدها) قلقة البداية، وإدغام اللين، وإخفاء السر، ومد النهاية (ترسم لنا خارطة طريق:
- * تواضع في بدايتك) قلقة ولقد.
- * صفراً أهدافك) إدغام سلالة).
- * قدر الجواهر المخفي فيك وفي غيرك) إخفاء الإنسان.
- * اتد وأصبر حتى تصل لغايتك) مد طين).

الدرس الخامس: العلاقة بين الأرض والإنسان

- تجلى في الآية 12 من سورة "المؤمنون" علاقة وجودية عميقة بين الإنسان والأرض، وهي علاقة تتجاوز مجرد التكوين المادي لتصل إلى أبعاد إيمانية وسلوكية غاية في الدقة.
- * العلاقة المادية: "سلالة من طين" في ميزان العلم: العلاقة بين الطين وجسدك ليست علاقة تشبيهية، بل هي علاقة مطابقة في العناصر.
- * الوحدة الكيميائية: أثبتت التحليلات الكيميائية أن العناصر الأساسية المكونة للقشرة الأرضية (الطين) هي ذاتها المكونة لجسد الإنسان: الكربون، الأكسجين، الهيدروجين، النيتروجين، الكالسيوم، المغنيسيوم، الحديد، والبوتاسيوم وغيرها.
- * سلسلة الغذاء: الإنسان لا يأكل الطين مباشرة، بل يأكل ما تخرجه الأرض من نبات أو ما يتغذى على هذا النبات من حيوان. هذا الغذاء يُستخلص منه) النطفة (التي هي "سلالة" أي خلاصة العناصر الأرضية التي تحولت من جماد إلى حياة.
- * البعد التربوي: الانتماء والمسؤولية تجاه الأرض: إدراكك بأنك ابن هذه الأرض من الناحية المادية يورثك مفاهيم تربوية هامة:
- * عمق الانتماء: تشعر برابطة رحم مع الأرض؛ فهي أصلك ومنها رزقك وإليها مستقرك. هذا الانتماء يمنعك من إفسادها أو تلويثها، تماماً كما تحافظ على بيتك.
- * مسؤولية العمارة: الله الذي استخلصك من هذه الأرض استخلفك فيها. فإذا كان أصلك طيناً، فإن وظيفتك هي تحويل هذا الطين إلى حضارة وقيم وجمال، وهو ما يعرف بـ "الاستعمار في الأرض" أي طلب عمارتها).
- * التواضع: عندما تدرك أن أرقى العقول وأقوى الأجساد أصلها حفنة تراب يذوب الكبر، وتتعامل مع الكائنات برفق لأنكم جميعاً من مصدر واحد.
- * دلالة الآية على البعث والنشور) الحجة العقلية: استخدام قصة الخلق في سورة المؤمنون لم يكن لمجرد السرد، بل هو برهان عقلي على قضية البعث:
- * قياس الأولى: الله تعالى يقول للمكبرين: انظروا كيف بدأتم من طين ميت، ثم نطفة لا ترى، ثم علقه.. إلخ. فالذي قدر على الإنشاء الأول من مادة خام) الطين، (هو من باب أولى قادر على "الإعادة" بعد أن يبلى الجسد ويعود لأصله الترابي.
- * القدرة على التحويل: تحويل الطين) جماد (إلى إنسان حي ناطق هو المعجزة الأكبر. أما إعادة

- الحي حياً فهي في مقاييس العقل أهون وأيسر؛ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يُعيدُه وهو أهونُ عليه.}
- * ربط السلالة بالقرار المكين: كما جعل الله للسلالة الطينية مستقراً في الرحم قرار مكين (لتتحول لخلق آخر، جعل للقبر والبعث نظاماً سيعيدك لخلق أبدي.
 - * اللمسات البيانية والرسائل الكونية:
 - * "خلقنا": جاءت بصيغة الجمع للتعظيم؛ فعملية خلق الإنسان معقدة لدرجة تذهل العقول، تشترك فيها نواميس كونية سخرها الخالق.
 - * "الإنسان": جاءت معرفة بـ) أل (الجنسية لتشمل كل البشر، فلا فضل لأحد على أحد في أصل المادة؛ الفضل فقط بالتقوى) الخلق الآخر.
 - المفاهيم المستنبطة) خلاصة الدرس):
 - * الجسد أمانة لأنه "مستخلص" ثمين من الأرض، يجب حفظه فيما يرضي واهبه.
 - * التوازن: أنت طين وروح؛ فلا تغلب طينيتك) شهواتك (على روحانيتك) إيمانك، ولا تهمل عمارة الأرض بحجة الزهد، فمنها خلقت ولها وُجدت.
 - * اليقين: الآية تنقلك من "الشك" إلى "عين اليقين" بطلاقة القدرة الإلهية.

الأمر السادس: الفهم السياقي) بداية الرحلة

- الآية هي "المحطة الأولى" في رحلة الخلق التي سردها السورة؛ فالفهم المتكامل يتطلب ربطها بما بعدها:
- * بدأ الإنسان آدم (من طين.
 - * ثم جعل نسله من نطفة.
 - * ثم علقه ..وهكذا.
 - وهذا فيه

الدرس الأول:

فالآية تؤصل للبداية لكي يستشعر الإنسان مراحل التكريم الإلهي له، وكيف نقله الله من مادة طينية إلى "خلق آخر" {فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ}.

الدرس الثاني:

- عند قراءة هذه الآيات، لا بد أن يتبادر إلى الذهن سؤال: لماذا لم يخلق الله الإنسان دفعة واحدة؟ فالله سبحانه وتعالى "قدير" يقول للشيء كن فيكون، وكان قادراً على إيجاد الإنسان في لحظة واحدة مكتملاً ، لكنه خلقه على مراحل) التدرج .(ولهذا فإن الإجابة على هذا السؤال مرتبطة بفلسفة الوجود ومنهج الحياة للآتي:
- أولاً : لماذا لم يخلق الإنسان دفعة واحدة؟ الحكم الإلهية)
- * إظهار طلاقة القدرة في التفاصيل: الخلق الدفعي يبهرك مرة واحدة، أما الخلق عبر مراحل) نطفة، علقه، مضغه (...فيجعلك تبهر في كل لحظة وفي كل طور .إنها دعوة للتفكير المستمر في كيفية تحول الماء المهيمن إلى عظام ولحم وأعصاب وأحاسيس.
 - * إثبات التربية والربوبية: الله هو "الرب"، والرب في اللغة هو الذي يربي الشيء وينقله من حال إلى حال حتى التمام .التدرج يرسخ في قلوبنا معنى أننا تحت رعاية "مربي" حكيم لا يجعل بالخلق ولا يهمله.
 - * توطئة لتعلم السنن الكونية: خلق الإنسان هو النموذج الأكبر لكل شيء في الكون) الزراعة، العلم، بناء الحضارات .(لو خلق الإنسان دفعة واحدة لظن أن النجاح في الحياة يأتي فجأة، لكن التدرج علمه أن لكل ثمرة وقتاً للنضج.
 - ثانياً: الدروس المستفادة من "سنة التدرج"
 - * قيمة الزمن: التدرج يعلمنا أن الزمن جزء من العلاج وجزء من البناء؛ لا يوجد "قفز" فوق سنن الله في الكون.
 - * الرفق بالذات والآخرين: كما رفق الله بنا وخلقنا في أطوار ولم يفاجئ أجساد أمهاتنا بجنين مكتمل فجأة، علينا أن نرفق بأنفسنا في التعلم والعبادة.
 - * الإتقان والترسيخ: البناء الذي يرتفع لبنة لبنة يكون أمتن وأقوى من البناء السريع الذي قد ينهار بلمحة عين؛ فكل طور في خلقك كان يمهد لصلابة الطور الذي يليه.
 - ثالثاً: كيف نطبق التدرج في تطوير أنفسنا؟) المنهج العملي)
 - يمكننا استلهام مراحل الخلق) نطفة -- علقه -- مضغه (وتحويلها إلى استراتيجية لتطوير الذات:
 - * مرحلة "النطفة") البذرة/ الفكرة: لا تحقرن أي فكرة أو هدف صغير .ابدأ بخطوة بسيطة جداً (قراءة صفحة واحدة، ممارسة الرياضة 5 دقائق؛) فالتدرج يبدأ بالاستمرارية لا بالقوة.
 - * مرحلة "العلقة") التعلق والتركيز: بعد البداية ابدأ بالتعلق بهدفك وملازمته؛ اجعل عادتك الجديدة تلتصق بجدولك اليومي كما تلتصق العلقه بجدار الرحم .الثبات في هذه المرحلة هو سر النجاح.

* مرحلة "المضغة" التشكيل والتفاصيل: هنا تبدأ بإضافة التفاصيل وتطوير المهارة. إذا كنت تتعلم لغة أبدأ بالقواعد ثم المحادثة، لا تشتت نفسك بكل الأطوار مرة واحدة.

* مرحلة "الخلق الآخر" النضج والروح: هذه هي مرحلة التميز، حيث تظهر نتائج تعبك. تذكر أنك لم تصل لهذا إلا لأنك احترمت المراحل السابقة.

لمسة بيانية وتوجيه تربوي:

في قوله تعالى: {ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً}... نلاحظ تكرار حرف العطف (ثم) (و) الفاء. (الفاء تدل على الترتيب والتعقيب، بينما) ثم (تدل على التراخي.

الرسالة: في رحلة تطويرك لنفسك، هناك مراحل تحتاج "سرعة" الفاء (لئلا تفتر همتك، ومراحل تحتاج "صبراً وأناة") ثم (لتنضج النتائج. فلا تستعجل ما يحتاج وقتاً، ولا تسوف ما يحتاج حزمًا.

الفائدة التربوية: من رام العلم جملة ذهب عنه جملة؛ إنما ينال العلم والتغيير على مر الأيام والليالي، تماماً كما كبرت أنت في رحم أمك يوماً بعد يوم.

الدرس الثالث: تطبيق مفهوم "التدرج" على كيفية بناء الخشوع في الصلاة

تطبيق مبدأ التدرج المستنبط من مراحل خلق الجنين على صفة "الخشوع" -التي افتتح الله بها صفات المؤمنين المفلحين- يعد من أعمق الروابط التربوية في سورة المؤمنون. فكما لا يصير الطين إنساناً سوى في لحظة، لا يصير القلب خاشعاً بضغطة زر. إليك خارطة طريق لبناء الخشوع مستلهمة من أطوار الخلق:

* مرحلة "النطفة": تهيئة البيئة والبدائيات الصغيرة

الجنين يبدأ بقطرة ماء في "قرار مكين".

التطبيق: ابدأ بتهيئة مكان صلاتك (قاراك المكين)؛ فالخشوع يبدأ قبل "الله أكبر" بتطبيب الثياب والسواك والتبكير.

الدرس: لا تبحث عن خشوع كامل في صلاة طويلة فجأة؛ ابدأ بالتركيز في "الفاتحة" فقط، أو في "تسبيحات السجود". هذه هي "نطفة" الخشوع التي ستنمو.

* مرحلة "العلقة": التعلق والاتصاق بالمعنى

العلقة تلتصق بجدار الرحم لتمتص الغذاء.

التطبيق: علق قلبك بأية واحدة أو ذكر واحد وتأمله. إذا قلت "الحمد لله"، قف عندها واستشعر نعم الله عليك.

الدرس: الخشوع هو "تعلق" القلب بجلال الله؛ إذا شرد ذهنك، أعده برفق كما تلتصق العلقة ولا تئأس.

* مرحلة "المضغة": التشكيل والتفاصيل الظاهرة

المضغة هي قطعة لحم تظهر عليها معالم التشكيل.

التطبيق: هنا يأتي دور خشوع الجوارح؛ ابدأ بتسكين حركات جسدك (النظر لموضع السجود، عدم العبث بالثياب).

الدرس: سكون الظاهر يجزئ خشوع الباطن. ابدأ بتشكيل هيئة الصلاة الصحيحة كما تشكل المضغة؛ فالله لا ينظر إلى صورة صلاتك فحسب بل إلى قلبك.

* مرحلة "العظام واللحم": بناء الهيكل الإيماني

العظام تعطي القوة، واللحم يعطي الجمال والستر.

التطبيق: العظام في الصلاة هي الأركان (الركوع والسجود الطويل)، واللحم هو السنن والتدبير.

الدرس: اجعل صلاتك قوية بأركانها (عظام)، وجميلة بأذكارها وتدبرها (لحم). (لا تقدم اللحم على العظام؛ أي لا تشغل بالكاء عاطفة (وأنت تسرق في الركوع والسجود) ركن).

* مرحلة "الخلق الآخر": نفخة الروح في الصلاة

هنا يتحول الجسد إلى كائن حي ناطق.

التطبيق: هذه هي اللحظة التي تشعر فيها أن الصلاة لم تعد واجباً ثقيلاً، بل أصبحت "قرة عين".

الدرس: الصلاة بدون خشوع هي جسد بلا روح؛ فالخشوع هو الروح التي تنفخ في حركات الصلاة لتحولها من "عادة" إلى "عبادة" تنهى عن الفحشاء والمنكر.

لمسات بلاغية تربوية في الربط:

في الآية 12 وصف الله السلالة بأنها "من طين"، وفي الآية 2 وصف الخاشعين بأنهم {في صلاتهم خاشعون}.

اللطيفة: الطين يتميز بالسكون واللين والتواضع، والخشوع في اللغة هو السكون والانخفاض. فكأن الله يقول لك: "خذ إلى أصلك الطيني في سكونه وتواضعه لتصل إلى حقيقة الخشوع".

الدروس المستفادة والرسائل:

* الصبر على النفس: التدرج في أطوار الخلق استغرق شهوراً؛ فلا تحزن إن لم تخشع من أول يوم، استمر في "المجاهدة" حتى تصل لمرحلة "الخلق الآخر".

* الاستمرارية: سلالة الطين لم تتوقف حتى صارت إنساناً؛ فلا تقطع صلاتك أو تترك السنن الرواتب لأنك لا تشعر بها، فالنمو يحدث وأنت لا تشعر.

* التكامل: الصلاة الخاشعة هي التي تبني المؤمن المفلح، كما أن النطفة السليمة هي التي تبني الجسد السوي.

خاتمة تدبرية: الله الذي جعل النطفة في قرار مكين، قادر أن يجعل قلبك في طمأنينة وخشوع؛ فقط اسلك سبيل التدرج واستعن بـ "أحسن الخالقين".

ثانياً

تعد الآيات (13) - (14) من سورة "المؤمنون" من أروع ما نزل في وصف أطوار الخلق، حيث يتجلى الإعجاز اللغوي والعلمي في أدق صوره. يقول تعالى: {ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ.}

الأمر الأول:

تشير الآية إلى تكوين أطوار الإنسان؛ فأصلك الأول هو الطين، أما أصلك الثاني الذي حصل منه التناسل فهو النطفة. فقال تعالى: {ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ.}

انظر إلى دقة الحروف والترتيب؛ كيف أن المولى استخدم (في) هذه الفقرة التي يبين فيها أنه جعل بعد ذلك التناسل وبقاء النوع الإنساني من خلال النطفة التي تخرج من ظهر الرجل وتستقر في رحم المرأة فيكون تكوين الجنين. وهذه عملية تحتاج إلى وقت وإمهال، مثلها مثل العلق؛ بينما استخدم الفاء في المضغة والعظام. فاستخدم (ثم) للدلالة على التراخي والمهلة؛ لأن هذه النقلات تحتاج وقتاً للتغير النوعي. بينما استخدم "فـ" (في) فخلقنا العلقة مضغة؛ لأن العلقة تبدأ بـ التحول سريعاً بمجرد انغراسها.

الدرس الأول:

فالمولى هنا يدعوك إلى تأمل عظمة الخالق سبحانه وتعالى كيف أنه جعل للتناسل وبقاء النوع الإنساني طريقة تختلف عن الطريقة الأولى التي خلق بها آدم. ولهذا قال تعالى: {ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ} وفي هذا تصغير للإنسان ليعرف حجمه أمام عظمة الله؛ فأصلك الأول طين تدوسه الأقدام وأصلك الثاني نطفة، فكيف تتكبر على خالقك؟ فهذه الآية فيها دعوة إلى الخضوع والخشوع لله تعالى وترك الكبر؛ فأنت بحاجة إلى الله لا يمكنك الاستغناء عنه وعن إنعامه ورعايته. ولهذا يقول تعالى: {ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ.}

فقلوه "قرار مكين": وصف عبقري للرحم؛ فهو "قرار" أي مستقر، و"مكين" أي متمكن ومحصن داخل حوض المرأة وعضلات الرحم القوية. هذا هو المكان الذي تستقر فيه النطفة في جدار الرحم، محاطاً بالحوض الذي يوفر له الحماية من الاهتزاز والسقوط نتيجة الكدمات في الظهر أو الرجات التي قد تصيب الأم.

فانظر إلى رعاية الله وحفظه لك وعنايته بك من قبل أن تأتي إلى الحياة؛ رعايته لك وأنت ما زلت نطفة. فالمكان الذي تستقر فيه النطفة محاط بحماية ورعاية الخالق الذي خلق للمرأة الحوض وهو لا يوجد في بنية الرجل. وفي ذلك إشارة إلى الربوبية والقدرة وكمال الإبداع في صنعه سبحانه وتعالى الذي أتقنه وأبدعه بتوفير وتهئية أسباب البقاء. وهذا ما تحمله الآية من معان عظيمة للنص، بل حتى حروف الكلمات تخدم هذا المعنى؛ فالإدغام (في) قرار مكين (-تداخل التنوين في الميم- يعطي صوتاً متصلاً قوياً يخدم معنى الالتحام والتمكين، فلا فجوة بين النطفة ومستقرها).

فالآية تقرر ضعف الإنسان وأن حماية الله هي التي تولت رعايته، والعناية به هي التي تحفظه من السقوط وهو نطفة بتوفير الحوض الذي يحفظه. هذه الحماية تكون للجسد؛ إنها توفر له مستقراً لينمو فيه. فهدف الآية: نقل الإنسان من التفكير في "أصله الطيني" (الآية السابقة) (إلى التفكير في "رعاية الله له" وهو في أضعف حالاته لترسيخ عقيدة الافتقار إلى الله ليعود إليه الوعي الذي يميزه عن بقية المخلوقات. فالكل يعيش على إنعام الله وهم محتاجون لعونه ورعايته؛ فالفرق بين المؤمن والكافر هو أن المؤمن يعي أنه يعيش عالة على إنعام الله وهو بحاجة إلى رعايته وعونه ورحمته. ولهذا فالله يبين للإنسان أن هذا الوعي هو "الحياة للروح"؛ فالروح بحاجة إلى الاتصال بربها لأنها ضعيفة هي الأخرى، فهي معرضة للاهتزاز والاضطراب عند أصغر حركة. فلا بد من "حوض" يحمي الروح من السقوط في وحل الدنيا، فتسقط إلى مرتبة أدنى من البهائم. ولهذا فهي بحاجة إلى "القرار" الذي تستقر فيه؛ فقلوه) في قرار مكين (يدعونا لنفهم ماذا يعني القرار.

مفهوم "القرار": الأرض تسمى قراراً لأنها مستقرة، والرحم سمي قراراً لأنه يستقر فيه ما كان متحركاً (النطفة). (المقصد هنا هو "البحث عن الاستقرار" كشرط أساسي للنمو؛ ولهذا فإن استقرار روحك يكون

بالعبودية لله بالخضوع والخشوع لله تعالى. فهذا هو الملجأ الذي يحفظ روحك وقلبك وعقلك من السقوط؛ خضوع حقيقي عن حب وإذعان وتعظيم لله نابعا عن معرفته ومحبه حتى يكون الاستقرار . فلا بد أن يكون هذا الحب صادرا من أعماق النفس الداخلية. مفهوم "المكين": ليس مجرد مكان، بل مكان ذو "مكنة" وقوة يحمي ما بداخله من العوارض الخارجية. وهذا ما أخبرنا الله به بقوله {والذين هم في صلاتهم خاشعون}. في الصلاة تعني بالمعنى العام إفراذه) أفراد الله (بالعبودية والألوهية والربوبية في خشيته وطاعته و التذلل لله؛ فهي تحفظ الروح والإنسان من الانحراف عن منهجه، وتحميه من شرور النفس والشيطان والهوى. وتجعله في حالة يقظة دائمة يراقب الله يحب الخير ومستعد لقبوله والانتفاع به، فتحميه من السقوط في وحل الشهوات والملذات والجاه والمال والسلطان والفتنة. فهي بمثابة الحوض الذي في رحم الأم الذي تولى الله به حفظ البدن من السقوط وهو ضعيف؛ كذلك فإن تعظيم الله وتوحيده هما اللذان يحفظان الإنسان من السقوط. فكلمة التوحيد هي التي تجعل العبد ثابتا لا يتزعزع كما أخبرنا الله في سورة {إبراهيم}: "مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ {...إلخ}.

الدرس الثاني: الدلالة النفسية والإيمانية من إعادة ذكر مراحل الخلق باستخدام "ثم" للتعقيب و التراخي

تعد "ثم" في سياق آيات الخلق في سورة "المؤمنون" أداة تربوية ونفسية هائلة تتجاوز مجرد الوظيفة اللغوية) العطف والتراخي (لتصبح رسالة طمأنينة وإعجاز. إليك التحليل النفسي والإيماني لا استخدامها:

أولا : (الدلالة النفسية) علاج العجلة والقلق)
* كسر حدة الاستعجال البشري: الإنسان بطبعه عجول {وكانَ الإنسانُ عَجُولًا}، يريد النتائج الفورية . حين يقرأ "ثم" بين الطين والنفطة وبين النفطة وما بعدها تمنحه الآية هدوءا نفسيا.
الشعور: هي دعوة للتنفس بعمق؛ إذا كان خلقك أنت) أعظم إعجاز (لم يحدث بلمحة بصر بل بـ "ثم"، فمن الطبيعي أن أهدافك ورزقك وشفاءك يحتاج إلى "ثم" الخاصة به.
* إعطاء قيمة لكل مرحلة) الاستمتاع بالمسار: نفسيا نحن نركز على "النتيجة النهائية" ونحتقر "المراحل الانتقالية". "ثم" تخبرك أن مرحلة "النفطة" لها وقتها واحترامها وقديستها، وكذلك مرحلة "القرار المكين".

الشعور: الشعور بالرضا عن الوضع الحالي حتى لو كان مجرد بداية) نفطة)، لأن "ثم" تضمن أن القادم موجود لكنه ينضج.

ثانيا: (الدلالة الإيمانية) تعظيم الربوبية)

* إثبات "القصد" لا الصدفة: الخلق السريع جدا قد يتخيل كأنه تفاعل كيميائي تلقائي، لكن استخدام "ثم" (التراخي والترتيب) يدل على وجود "إرادة واعية" تتدخل في كل طور.
الأثر الإيماني: هي تشعرك بأن الله "يدبر" الأمر؛ يراقب النفطة وهي تتحول، ينتظر الوقت الأنسب لتصبح علقه. هذا يورث القلب تعظيما لله "الصبور" الذي لا يعجله شيء.
* الثقة في الحكمة الإلهية: التراخي في "ثم" يعني أن هناك حكمة من الانتظار.
الأثر الإيماني: اليقين بأن تأخر استجابة الدعاء أو تأخر الرزق ليس إهمالا (حاشا لله)، بل هو "تراخي حكيم" يشبه تراخي مراحل خلقك لكي تخرج في أفضل صورة في النهاية.
ثالثا: كيف نشعرنا بدقة التدبير الإلهي؟

نشعرنا بذلك من خلال "هندسة الزمن"، وإليك كيف نلمس ذلك:

* تناسق "المسافة الزمنية" مع "حجم التغيير": في الآية (14) نجد "ثم" استخدمت في مواضع و الفاء في مواضع. "ثم" تأتي عندما يكون التحول جذريا) من مادة ميتة كالنفطة إلى مادة علقه حية)، مما يشعرك أن الله يعطي كل طور حقه الكامل من البناء والتركيب.

* مفهوم "الرعاية المستمرة": استخدام "ثم" يوحي بأن يد القدرة لم تترك الإنسان بعد خلق الطين بل بقيت ترعاه في "الفترة الفاصلة" حتى صار نفطة، ثم بقيت ترعاه في "القرار المكين" حتى صار علقه.

التأمل: هذا يشعرك بدقة التدبير؛ فالله لا يطلق الأسباب ويتركها، بل هو "القيوم" المستمر في خلقه طورا بعد طور.

* الربط بين أحكام التجويد والدقة: عندما تمد الميم في) ثم (بحركتين) الغنة)، فأنت تمارس زمن التراخي بصوتك. هذا المد الصوتي القصير يجعلك تشعر فيزيائيا بالفواصل الزمنية الذي وضعه الله لنضج الخلق. هو تدبير دقيق لدرجة أنه وضع للزمن "صوتا" في كتابه.

الخلاصة: "ثم" في الآية هي "بريد طمأنينة" يخبرك: لا تعجل؛ فالله الذي دبر خروجك من ضيق الرحم إلى سعة الدنيا عبر محطات "ثم" الموقوتة بدقة، سيدبر شؤون حياتك بنفس الدقة والحكمة.

الدرس الثالث

إليك هذه الخاطرة التربوية والوجدانية التي تدمج بين حقائق الخلق ونبض الحياة، لتكون زاداً لقلبك كلما شعرت بضيق الانتظار:

خاطرة: "فقه النعم" ...بين مراحل الخلق ومحطات العمر حين نقرأ قوله تعالى: {ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَطْفَةً} {و} ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً، فنحن لا نقرأ مجرد تسلسل زمني، بل نقرأ "قانون الرعاية الإلهية".

لماذا "ثم"؟ إنها تخبرك أن الله عز وجل لا يعجل بعجلة أحدكم؛ فبين كل طور وطور هناك "مسافة زمنية" هي في الحقيقة "فترة بناء". النطفة لا تصبح إنساناً بضغطة زر، بل بهدوء وتدرج تحت عين الله.

الرسالة النفسية لقلبك: إذا شعرت اليوم أن أمانيك قد تأخرت، أو أن أهدافك عالقة في مرحلة "النطفة" ولم تصبح "خلقاً آخراً" بعد، فتذكر أن خلف كل (ثم) في القرآن "تدبيراً دقيقاً" لا نراه.

* إن تأخر الرزق هو "ثم" نضوج.

* إن تأخر الشفاء هو "ثم" بناء.

* إن ضيق الحال هو قرار مكين ليشتد عودك قبل الظهور.

الرسالة التربوية والعملية

تعلم من خالقك "أدب الانتظار المبدع". فالنطفة في فترة "ثم" لم تكن خاملة، بل كانت تتحول وتتجهز.

* لا تقلق من الفجوات الزمنية في حياتك، المهم أن تكون في "قرار مكين" (طاعة، عمل، علم).
* استشعر غنة (ثم) (في صوتك وأنت تتدبر؛ فهي تمنحك نفساً طويلاً لتتقبل أن الإتقان يتطلب وقتاً).

الخلاصة:

من رعاك وأنت مادة "ميتة" في سلالة من طين، ثم نقلك بلطف "ثم" إلى "قرار مكين" ليحميك، لن يضيعك وأنت تسعى في أرضه. فثق بـ "ثم" الإلهية، فهي ليست للتأخير، بل للتحصير.

الدرس الرابع

إن تأملك في وصف "القرار المكين" هو رحلة إيمانية عميقة تأخذك من مجرد فهم "المكان" إلى استشعار "الأمان". عندما يستحضر قلبك هذه الآية، فإنه يلمس معاني تتجاوز حدود البيولوجيا لتصل إلى عمق الرعاية الإلهية:

1. دلالة "القرار": الاستقرار والاحتواء

* كلمة "قرار" في اللغة مشتقة من استقرار الشيء وثباته بعد حركة.

* المعنى القلبي: النطفة كانت في حالة حركة واضطراب، والرحم هو المكان الذي "قرت" فيه وسكنت.

* الاستشعار: استشعر أن الله عز وجل هو الذي "ثبتك" في هذا المكان؛ فالقلب يستحضر هنا معنى "السكنة" فكما جعل الله لك مستقراً وأنت نطفة، فإنه سبحانه هو "مقر" الأرواح وملأ القلوب عند اضطراب أمواج الحياة.

2. دلالة "المكين": القوة والتمكين والحفظ

* وصف القرار بأنه "مكين" على وزن "فعل" يوحي بأنه متمكن في مكانه، قوي في بنيانه.

* المعنى القلبي: "المكين" يعني الحصين الذي لا تصل إليه الآفات؛ فالرحم ليس مجرد وعاء، بل هو حصن هندسي معجز محاط بعظام الحوض، السائل الأمنيوسي، وجدران عضلية.

* الاستشعار: استشعر اسم الله "الحفيظ". أنت كنت في أضعف حالاتك، لا تملك يداً لتدفع ولا عقلاً لتدبر، ومع ذلك كنت في "أقوى مكان"؛ هذا يعلمك أن الحماية ليست بقوتك أنت، بل بـ "تمكين" الله لك.

3. كيف تستشعر رعاية الله قبل خروجك للعالم؟

يمكنك استشعار هذه الرعاية من خلال ثلاثة تأملات:

* تأمل "الضيف المكرم": تخيل أنك كنت ضيفاً في مملكة الرحم؛ كل شيء مسخر لك دون طلب منك، الأكسجين يصلك، الغذاء يأتيك مجهزاً، والفصالات تخرج عنك، والحرارة مضبوطة بدقة. هذا يستحضر في قلبك معنى "الربوبية": التربية والرعاية، فالله كان يربيك ويغذيك قبل أن تعرف من هو.

* تأمل "الحجاب المستور": يقول الله في آية أخرى: "في ظلمات ثلاث"؛ هذه الظلمات ليست للوحشة، بل هي "خلوة الرعاية". الله حجبك عن الدنيا ومؤثراتها لتنمو في هدوء. الاستشعار: استشعر أنك كنت تحت ولاية خاصة؛ فمن اعتنى بك في ظلمات الأرحام، أيعجز عن العناية بك في ضياء الدنيا؟

* تأمل "التهيؤ للغيب": بينما كنت في القرار المكين، كان الله يخلق لك روتيناً لن تتنفس بهما إلا بعد شهور، وعينين لن تبصر بهما الآن، وقدمين لن تمشي بهما في الرحم. الاستشعار: استشعر "اللطف الخبير"؛ هو يجهزك لغد لا تعرفه، ويعد لك أدوات لمعارك لم تخضها بعد. هذا يملأ قلبك ثقة بأن ما

تمر به الآن من ضيق أو بلاء قد يكون هو "التهيو" لمرحلة قادمة أعظم. الخلاصة الوجدانية:

عندما تردد "في قرار مكين"، قل لقلبك: يا قلب، الذي جعل لضعفي قراراً (يستقر به ولعجزي) مكينة (تحميه، لن يتركني في دروب الحياة تائهاً. إن رعاية الله لي بدأت قبل أن أبدأ، وستستمر حتى بعد أن أرحل.

الدرس الخامس

كيف تتجلى عظمة الخالق سبحانه وتعالى وقدرته في تحويل نطفة ضعيفة إلى إنسان كامل؟

تتجلى عظمة الخالق في هذا التحول من خلال "هندسة المستحيل"؛ حيث تلتقي قمة الضعف المادي بقمة الإتقان التصميمي. هذا التحول ليس مجرد عملية بيولوجية، بل هو سلسلة من المعجزات التي تبرز على وجود القيوم الذي يدير أدق التفاصيل. إليك تجليات هذه العظمة من خلال الربط بين الحقائق واللمسات البيانية:

1. الإعجاز في "الاستخلاص" مفهوم السلالة)

* تبدأ العظمة في اختيار مادة الخلق؛ فالإنسان لا يخلق من "كل" الماء، بل من سلالة) خلاصة متناهية الدقة.

* عظمة القدرة أن يودع الله كامل الصفات الوراثية، وطول الإنسان ولون عينيه، وبصمته وقدراته العقلية في "نطفة" لا ترى بالعين المجردة.

* اللمسة البيانية: كلمة "سلالة" توحى بالاستخراج برفق، وهو ما يفعله العلم اليوم حين يتحدث عن الحيوان المنوي الذي يستخلص من ملايين الخلايا ليلقح البويضة.

2. الإعجاز في "الحماية" القرار المكين)

* النطفة كائن في غاية الهشاشة، وأي تغير في الحرارة أو الوسط الكيميائي يقتلها.

* عظمة القدرة: تصميم "الرحم" كحصن حصين) قرار مكين. (هو مكان مظلم محمي بعظام الحوض، محاط بسائل ممتص للصدمات، ومزود بنظام تغذية ذاتي.

* التجلي الإيماني: الشعور بأن الله هو "الحفيظ"؛ فمن حفظك وأنت في هذا الضعف الشديد داخل مكان ضيق، هو القادر على حفظك في تقلبات الدنيا الواسعة.

3. الإعجاز في "التحول النوعي" من الموت إلى الحياة

* تأمل الانتقال بين الأطوار: نطفة) سائل (-) علقة) دم جامد (-) مضغة) قطعة لحم (-) عظام (هيكل صلب (-) لحم) كساء مرن).

* عظمة القدرة: كيف يتحول "السائل" إلى "عظم" صلب؟ هذه القفزة في طبيعة المادة لا يمكن أن تكون صدفة، بل هي تدبير "المصور".

* اللمسة البلاغية: استخدام حرف "الفاء" فخلقنا، فكسونا (يوحى بأن الله بمجرد أن يهيئ الطور يشرع فوراً في الذي يليه بإتقان مذهل، وكأنها لوحة ترسم بسرعة مذهلة ودقة متناهية.

4. الإعجاز في "النفخة" خلقاً آخر)

* تصل العظمة ذروتها في قوله تعالى: ثم أنشأناه خلقاً آخر).

* هنا ينتقل الجنين من مجرد "كتلة بيولوجية" إلى كائن بشري له روح، يسمع، يبصر، ويشعر.

* عظمة القدرة: الربط بين المادة) اللحم والعظم (والمعنى) العقل والروح؛ هذا الانفصال في الوصف بكلمة "آخر" يثبت أن الإنسان ليس مجرد تطور للمادة، بل هو نفخة إلهية كرمت هذا الطين.

الدرس السادس

في هذا الدرس سوف نقوم بربط معنى الحفظ الإلهي من خلال الربط بين "القرار المكين" في سورة المؤمنون وبين "الظلمات الثلاث" في سورة الزمر) يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث، فهو يمنحنا صورة إعجازية كاملة عن مفهوم "الرعاية الفائقة". إليك التحليل الاندماجي الذي يربط بين العلم واللفظ، والشعور الإيماني:

1. ماهية الظلمات الثلاث) هندسة الحفظ)

كشف العلم الحديث أن الجنين محاط بثلاث طبقات تمثل "الظلمات" التي ذكرها القرآن قبل 1400 عام:

* ظلمة جدار البطن: الدرع الخارجي.

* ظلمة جدار الرحم: وهو "القرار المكين" الذي تكلمنا عنه.

* ظلمة الغشاء الأمنيوسي: الغشاء الرقيق المحيط بالجنين مباشرة والذي يحتوي على السائل.

2. التلاحم بين "القرار المكين" و"الظلمات الثلاث" (الرؤية الوجدانية)

المفهوم القلبي	كيف يتجلى في الايات	الرسالة الايمانية لك
الحمايه المتعدده	القرار المتين (القوه الثابته) + الظلمات الثلاث (الحجب	الله لا يحميك بوسيله واحده بل يحيطك بطبقات من اللطف

والدفاع حتى وانت لا تدري	المتعدده)	
ليس كل ما يغيب عن بصرك يعني انه متوقف فالله يدبر امرك في خفاء ازماتك كما دبر خلقك في ظلمات الارحام	الخلق في الظلمات يعني ان الله يعمل لأجلك في صمت وبعيدا عن الاعين	العنايه في الخفاء
الضيق ليس دليلا على الهلاك بل قد يكون هو الحصن الذي تحتاجه لتنضج وتخرج خلقا اخر	الرحم مكان ضيق ومظلم لكنه وصف بالمكين	التمكن رغم الضيق

3.المسمة البيانية والتجويدية) الربط الصوتي)

- * في الظلمات الثلاث: كلمة) ظلمات (بجمعها وضمتها توحى بـ "التراكم" والإحاطة التامة.
- * في القرار المكين: نلاحظ حرف "القاف" القوي والمتكرر) قرار مكين .(القاف حرف "جهر واستعلاء"، وصوته القوي في التجويد يخدم معنى "الصلابة والمتانة".
- * الدمج: بينما تهمس لك كلمة "ظلمات" بالستر والخفاء، تأتي كلمة "قرار مكين" لتعطيك الشعور بـ الثبات والقوة. أنت "مستور" باللفظ، و"محمي" بالقدرة.
- 4.كيف نستشعر هذه العظمة في حياتنا؟ تأمل ختامي)

تخيل لو أن النطفة في قرارها المكين كانت تملك عقلا ، لظنت أن هذه "الظلمات الثلاث" هي نهاية العالم، وأن هذا الضيق هو السجن الأبدي .هي لا تعلم أن خلف هذه الجدران "دنيا" واسعة، وشمس وقمر وحياة.

الدرس العملي:

نحن الآن في الدنيا، وقد نمر بظروف تشبه الظلمات الثلاث) ضيق مالي، كرب نفسي، وحدة .(استشعر أنك في "رحم القدر". ثق أن الله الذي حول ضيق الرحم إلى سعة الدنيا، سيحول ضيق كربك إلى سعة فرجه. تذكر أنك كنت في "قرار مكين" برعاية الله وأنت نطفة، فكيف يضيعك وأنت "مؤمن" توحيده؟

ميثاق الثقة بالخالق:

- * آمن بالخفاء: الله يعمل لأجلك خلف الستار) الظلمات الثلاث.(
- * اطمئن للثبات: أنت في حصن الله الحصين) القرار المكين.(
- * انتظر التحول: الضيق دائما يتبعه "خلق" آخر) فتبارك الله أحسن الخالقين.(

الدرس السابع

أن يدرك الإنسان أنه بدأ من "نطفة" لا تملك من أمرها شيئا، في "قرار مكين" لم يصنعه بيده، فإذا استقر ذلك في وجدانه يصبح شكر الله على نعمة "العافية" ليس مجرد كلمة تقال باللسان، بل هو استراتيجية حياة ومنهجاً يتغلغل في كل حركاتك وسكناتك .إليك كيف يتحول شكرك من "عادة" إلى "عبادة وامتنان" بناءً على فهمك لأصلك:

1.الشكر بالاستشعار) شكر القلب)

- * العافية هي "الستر" الذي غطى الله به ضعفك الطيني.
- * المنهج: أن تعتقد يقيناً أن حركة يدك ونبض قلبك وسلامة عقلك هي "امتداد" للرعاية التي بدأت في القرار المكين ولم تنقطع.
- * التطبيق: كلما نظرت في المرأة ورأيت الخلق الآخر المكتمل، استحضر صورة "النطفة" الضعيفة، وقل بقلبك: "يا رب لولا تمكينك لي في القرار، وحفظك لي في أطوار الخلق لما كنت اليوم معافى".

2.الشكر بـ "حفظ النعمة") شكر الجوارح)

- * في الآية (14) قال تعالى: فكسونا العظام لحماً؛ هذا اللحم وهذه العظام هما أدواتك في الدنيا وشكرهما يكون باستخدامهما فيما خلقا له.
- * العين والأذن بدأتا في القرار المكين كأجهزة أولية أتمها الله؛ فشكر عافيتهما يكون بحفظهما عن الحرام.

* القوة البدنية: استخدم عافيتك في نجدة الضعيف، فكما كنت يوماً أضعف ما يكون) نطفة (وسخر الله لك الرحم ليحميك، سخر أنت عافيتك اليوم لتحمي وتساعد من لا قوة له.

3.الشكر بـ "زكاة البدن"

- * كل جارحة فيك هي "صدقة" تحتاج لزكاة لتستمر عافيتها.
- * المنهج: العافية ليست ملكاً خاصاً، بل هي "عربة") أمانة (عندك.
- * التطبيق: "كل سلامي من الناس عليه صدقة؛ الصلاة، ومساعدة الناس، والمشي في حاجتهم هي الطريقة العملية لقول "شكراً يا رب على القرار المكين الذي أخرجني معافى".

- 4.الشكر بـ "التواضع بالعافية"
- * المتكبر بالعافية ينسى "النطفة"، أما الشاكر فيتذكرها دوماً.
 - * المنهج: ألا ترى نفسك أفضل من المبتلى أو المريض، بل ترى نفسك "مستورا" بفضل الله.
 - * التطبيق: عندما ترى مريضاً، لا تنظر إليه بعين الشفقة المتعالية، بل بعين الانكسار لله، قائلاً: "الله م كما أخرجتني من ضيق الرحم بسلام، أخرج عبادك من ضيق المرض بعافية".
 - 5.الشكر بـ "استثمار الوقت" شكر النطفة)
 - * في الآية (14) قال: ثم أنشأناه خلقاً آخر؛ هذا الخلق الآخر هو أنت بعقلك وروحك.
 - * المنهج: عافية العقل والوقت هي أغلى ما تملك.
 - * التطبيق: الشاكر الحقيقي لا يضيع عافيته في التافهات، بل يستثمر هذا "الخلق الآخر" في عمارة الأرض، ونشر الخير، وترك أثر يبقى بعد فناء الجسد الطيني.
- خلاصة سجدة الشكر العملية:
- اجعل شكرك لله على العافية قائماً على هذه القاعدة: "يا رب أنت الذي مكنت لي في القرار المكين وأنا نطفة، فاجعل عافيتي في الدنيا قراراً مكيناً لمرضاتك، ولا تجعلني أستعمل قوتي فيما يغضبك".

المبحث الثاني

أهمية النظر والتفكير والتأمل في هذا الترتيب بذكر الله "القرار المكين" مباشرة بعد "النطفة"

الدرس الأول

- إن تأملك في هذا الترتيب) النطفة – القرار المكين (يفتح باباً واسعاً لإدراك "هندسة اللطف الإلهي"؛ فالله عز وجل لم يذكر "النطفة" ثم يتركها معلقة في سياق الآية، بل أتبعها فوراً بالمكان الذي يحفظها. إليك الأسرار العميقة لهذا الترتيب المتصل:
- 1.مراعاة شدة الضعف) الأمان قبل البيان):
 - * النطفة هي أضعف حالات الإنسان المادية، وهي مادة إذا خرجت للهواء فسدت، وإذا تركت دون رعاية تلاشت.
 - * الدلالة: ذكر الله "القرار المكين" فوراً ليطمئن القارئ وليطمئن الإنسان في فطرته أن الله لا يخلق شيئاً ثم يضيعه.
 - * المعنى التربوي: قبل أن يذكر الله "التحولات العظيمة" علقه، مضغاً، ذكر "البيئة" التي تحمي هذه التحولات. وهذا يعلمنا في حياتنا أن "الأمان" قبل "التغيير"؛ فلا يمكنك أن تطلب من شخص أو مشروع أن يتطور) يتحول (ما لم توفر له أولاً "بيئة آمنة مستقرة" قرار مكين).
 - 2.الربط بين "السبب" و"الحماية":
 - * النطفة هي "سبب" الوجود الإنساني، والقرار المكين هو "شرط" بقاء هذا السبب.
 - * الدلالة: الترتيب المباشر يقطع الطريق على فكرة "الصدفة". لو تأخر ذكر المكان لربما توهم العقل أن النطفة قد تنجو بنفسها، لكن الربط المباشر بكلمة "في" نطفة في قرار (يجعل الوجود والحفظ متلازمين).
 - * المعنى الإيماني: استشعر أن عناية الله "سابقة" لحاجتك. فقبل أن تبدأ النطفة بالانقسام والنمو، كان "المكان" جاهزاً ومعداً بأعلى درجات التمكين.
 - 3.تجلي اسم الله "القيوم" و"الحفيظ":
 - * الترتيب يظهر أن قيومية الله وحفظه لا تنفك عن خلقه لحظة واحدة.
 - * الدلالة: "القيوم" هو الذي يقوم على شؤون خلقه، وبمجرد أن وجدت النطفة، قامت قيومية الله بنقلها إلى المستقر الآمن.
 - * المعنى النفسي: هذا الترتيب يشعرك بـ "الاحتواء". الله لا يلقي بك في معترك الحياة أو مراحل الخلق ثم يبحث لك عن حل، بل "الحل" القرار (ملتصق بـ "الحدث") النطفة).
 - 4.التمهيد لعظمة "التحول" من السائل إلى الاستقرار:
 - * هناك تضاد بلاغي مبهر بين "النطفة" وهي سائل متدفق متحرك (وبين "القرار") وهو الثبات و السكون).
 - * الدلالة: ذكر القرار بعد النطفة مباشرة يوضح قدرة الله في "تسكين المتحرك"؛ فالسائل الذي كان يسبح صار الآن "مكيناً" مستقراً.
 - * الرسالة العملية: هذا الترتيب يمنحك الثقة في فترات "الشتات" في حياتك. عندما تشعر أن أمورك مشتتة كالنطفة، تذكر أن الله قادر بكلمة واحدة أن يجعل لها "قراراً مكيناً" تستقر فيه وتنمو.
- خلاصة التأمل في الترتيب:
- ذكر الله القرار بعد النطفة مباشرة ليقول لك: "يا عبدي، إن كنت تظن أنك بدأت ضعيفاً) نطفة، فانظر كيف أحطت بك بأسوار القوة) قرار مكين (قبل أن تطلبها. أنا الذي أويتك في رحم أمك وأنت نطفة، فكيف أتركك في رحابة أرضي وأنت تناديني؟". بهذا الترتيب، ينتقل قلبك من الوجع من "الضعف"

إلى الطمأنينة بـ "الحفظ".

الدرس الثاني: ميثاق الثقة بالتدبير الإلهي

بناءً على هذا التسلسل الإلهي العجيب الذي يزاوج بين "منتهى الضعف" و"غاية الحفظ"، نصيغ هذا الميثاق ليكون دستوراً لقلبك وعقلك في مواجهة تقلبات الحياة:

(مستوحى من رحلة النطفة إلى القرار المكين)

أنا العبد الذي آمن بربه، أقر وأعزم على الالتزام بالمبادئ التالية:

1. مبدأ الإيواء قبل الابتلاء:

* اليقين: كما أوجد الله "القرار المكين" للنطفة قبل أن تبدأ مراحل عنايتها في التحول، أيقن أن الله قد أعد لي "مخرجاً" قبل أن يقع بي "البلاء".

* العمل: لن أجزع من البدايات الضعيفة أو المشاريع المتعثرة، بل سأبحث عن رعاية الله الكامنة في قلب الصعاب.

2. مبدأ التمكين في ذروة الضعف:

* اليقين: أؤمن أن "مكاني" و"مكانتي" عند الله ليست بقوتي المادية، بل بتمكينه هو لي؛ فمن جعل النطفة "مكبنة" في الرحم، قادر على أن يجعلني "مكيناً" في عملي ومجتمعتي مهما كنت مستضعفاً.

* العمل: سأستمد قوتي من اعترافي بضعفي بين يدي الله، فكلما زاد افتقاري إليه، زاد تمكينه لي.

3. مبدأ "السكينة" وسط الحركة:

* اليقين: النطفة التي كانت تسبح في اضطراب وجدت "قرارها" في لحظة؛ أيقن أن شتات أمري، وتشتت فكري، واضطراب حياتي، سيهدأ بمجرد أن أضع ثقتي في "القيوم".

* العمل: سأبحث عن "قراري المكين" في سجودي وخلوتي مع الله، فهي الرحم الذي تنمو فيه روحي وتستعيد توازنها.

4. مبدأ الاستثمار في "فترة الخفاء":

* اليقين: كما نمت النطفة بعيداً عن الأعين في ظلمات ثلاث، أعلم أن أعظم إنجازاتي هي تلك التي أطبخها في "خفاء" الصبر والإخلاص بعيداً عن ضجيج الناس.

* العمل: سأعمل بصمت، وأتقن في السر، وأنتظر خلق الله الآخر بيقين الصابرين.

خاتمة الميثاق) مناجاة):

"اللهم يا من أويتني في قرار مكين وأنا نطفة لا أذكر، أو قلبي إلى ركنك الشديد، واجعل لي من كل ضيق مخرجاً، ومن كل هم فرجاً، وكما أحسنت خلقي في ظلمات الأرحام، فأحسن خلقي في ضياء الأيام.. فتباركت يا أحسن الخالقين".

الدرس الثالث

إن هذا التأمل يجعلك تشعر أن الظلمات المخيفة في حياتك تنتهي بالثقة بحفظ الله؛ فأنت عندما تقرأ هذه الآية تستشعر أن الله يحفظك كما حفظك في ظلمة الرحم، وقادر على تدبير أمورك في ظلمات الحياة. فهذا الشعور الذي يراودك هو جوهر اليقين، فالآية لم توضع في القرآن لمجرد السرد التاريخي لخلقك، بل لتكون قياساً إيمانياً تقيس عليه رعاية الله لك في كل شؤونك. إليك كيف تبني هذه الآية جسر الثقة بين حفظ الله لك في الماضي (الرحم) وحفظه لك في الحاضر (ظلمات الحياة):

1. برهان "القدرة المسبقة":

عندما تنظر إلى حياتك الآن وتواجه "ظلمة" الكرب أو ضيق الرزق، ذكر نفسك بالحقيقة التالية: في الرحم كنت أضعف ما يكون؛ لا تملك عقلاً ليفكر، ولا يداً لتبسطش، ولا لساناً لتطلب، ومع ذلك كنت في قرار مكين.

* الاستشعار: إذا كان الله قد احتضنك وسخر لك كل سبل الحياة وأنت في قمة عجزك، أبعجز عن احتضانك وأنت تناديه بلسانك وتتوجه إليه بقلبك وتتوسل إليه بعقلك؟ فحفظك جنيئاً هو "العربون" الذي يؤكد أنه سيحفظك كبيراً.

2. فلسفة "الظلمة هي مكان النضج":

نحن نخاف من ظلمات الحياة (الوحدة، الفقد، الفشل)، ولكن الآية تغير نظرتنا للظلام. ففي الرحم كانت الظلمات الثلاث هي حضانة الرحمة، وفيها تمت عظامك وتشكل لحمك. لم تكن الظلمة للسجن، بل كانت للستر والتربية.

* الاستشعار: عندما تمر بظلمة في حياتك الآن، استشعر أنها "رحم جديد"؛ الله يربيك فيها، ويصقل روحك، ويجهزك لـ "خلق آخر" وأنت لا تشعر. ظلمات الحياة هي "أماكن صناعة الرجال"، تماماً كما كانت ظلمات الأرحام مكان "صناعة الأجساد".

3. استحضار اسم الله "القيوم":

الآية تصف المكان بـ "المكين"، والتمكين صفة من صفات الله يعطيها لما يشاء. في الرحم مكن الله لك في مكان ضيق ليحميك من الصدمات.

* الاستشعار: الله هو "القيوم"، والقيومية لا تنام. كما مكن لك في بطن أمك، هو قادر أن يجعل لك "قراراً مكيناً" وسط العواصف. ثق أن الله يحتضن أمرك، وأنه يدبر لك من الأسباب ما لا تراه عينك، تماماً كما كان يوصل لك الغذاء عبر حبل سري لا تراه وأنت جنين.

4. الانتقال من "الضيق" إلى "السعة":
تأمل النهاية الحتمية لكل "قرار مكين": في الرحم انتهى الضيق بالخروج إلى سعة الدنيا.
* الاستشعار: كل كرب تعيشه الآن هو "مخاض" لفرج قريب. الآية تدعوك لتطمئن؛ فالله الذي أخرجك من "قرارك المكين" الأول إلى نور الدنيا، سيخرجك من ظلماتك الحالية إلى نور فرجه وسعته. خاطرة المواساة

"يا رب أنت الذي كنت معي حين لم يكن لي أحد، وحفظتني في مكان لم أصل إليه بجهدٍ.. إن كانت الدنيا قد أظلمت في عيني، فأني أستودعك أموري، موقناً أن يدك التي نسجت عظامي ولحمتي (في) القرار المكين، لن تتركني أهيم ضائعاً في دروب الأرض.. فاحتضن قلبي برحمتك، ودبر لي فأني لا أحسن التدبير".

هل تشعر الآن أن "الظلمة" في حياتك لم تعد مخيفة، بل أصبحت مكاناً تنتظر فيه لطف الله الخفي؟

الدرس الرابع

ينبغي عند معرفتك بضعف الإنسان أن يدفعك هذا الوصف إلى التساؤل عن كيفية تغيير هذا الوصف الدقيق لأصل خلقك) من نقطة (لنظرتك لنفسك. فهذا التساؤل يلمس جوهر الحكمة من ذكر هذه التفاصيل في القرآن؛ فهي ليست مجرد معلومات طبية، بل هي "علاج نفسي وكبرياء بشري". حين يتأمل الإنسان في أصله كـ "نطفة"، يحدث في نفسه انقلاب جذري يغير نظرتة لذاته وللآخرين من خلال عدة مستويات:

1. تحطيم وهم "الاستغناء" مفهوم الافتقار:

الإنسان المتكبر يشعر بـ "الاستغناء"، أي أنه صنع نفسه بنفسه.

* التغيير في نظرتك: الآية تعيدك إلى نقطة الصفر؛ كنت "نطفة"، وهي مادة يأنف الإنسان من مسها أو رؤيتها على ثوبه. هذا الوصف يكسر صنم "الأنا" بداخلنا.

* النتيجة: ستدرك أن كل قوتك الحالية، وذكاك، ومنصبك هي "عطايا" وليست "أصولاً" فيك. أنت لست "عصامياً" كما تظن، بل أنت "رباني"؛ فالله هو الذي أخرجك من هذا الضعف المهيمن إلى هذه القوة.

2. التساوي في "المادة الخام" العدالة البشرية):

التكبر يقوم على فكرة أنني "أفضل" من الآخر بسبب العرق أو المال أو النسب.

* التغيير في نظرتك: الآية توحد البشرية في نقطة في قرار مكين؛ الملك والفقير، والعالم والجاهل، كلهم مروا بنفس الرطوبة، ونفس الظلمات، ونفس الضعف.

* النتيجة: يسقط التفاضل الدنيوي؛ عندما تنظر للآخرين لن ترى ألقابهم، بل ستري "أصلهم" الذي هو أصلك. هذا يولد "التواضع القائم على المعرفة"، فكيف يتكبر نطفة على نطفة؟

3. إدراك "الجميل" والمستعان:

المتكبر يرى صفاته كأنها ملكية خاصة دائمة.

* التغيير في نظرتك: وصف "النطفة" يذكرك أن "الجمال" الذي تفتخر به كان "علقة" دماً متجمداً، وأن "قوتك" كانت "مضغة" قطعة لحم لا حول لها.

* النتيجة: تشعر بـ "الحياة" من الله، والحياة يطفئ نار الكبر. فبدلاً من أن تقول "أنا"، ستقول "هو" (سبحانه) (الذي صورني في أحسن صورة).

4. فلسفة "القرار المكين" والامتنان:

* التغيير في نظرتك: بدلاً من الغرور ستمتلئ بالامتنان؛ ستتذكر أنك لو لم تحفظ في "قرار مكين" لضعت وتلاشت حياتك قبل أن تبدأ.

* النتيجة: المتكبر شخص جاهد لينال مكانته، أما المتواضع فهو شخص يستشعر أن مكانته "هدية" وحفظ من الله؛ هذا الشعور يجعلك تنظر للآخرين برحمة وليس بتعال.

كيف تطبق هذا عملياً في لحظات الكبر؟

إذا شعرت يوماً بزهو النفس أو احتقار شخص آخر، استشعر هذه الرسالة الربانية:

* استحضِر "الخفاء": تذكر ظلمة الأرحام التي كنت فيها تائهاً لا تملك حتى أنفاسك.

* استحضِر "المادة": قل لنفسك: "أنا" الذي جنت من نطفة، هل يليق بي أن أتعالى على من هو حولي؟

* حول "الفخر" إلى "حمد": بدلاً من أن تفتخر بإنجازك، قل: "فتبارك الله أحسن الخالقين" الذي جعل من النطفة رجلاً يحقق هذه الإنجازات.

الخلاصة:

وصفك بـ "النطفة" هو "ميزان الاعتدال"؛ فهو لا يحقرك لدرجة اليأس) لأن الله كرمك وجعلك خلقاً آخر، ولكنه لا ينفخك لدرجة الطغيان) لأنه يذكرك بضعف بدايتك. (هو ميزان يجعلك تمشي على الأ

أرض "هونا"؛ لأنك تدرك قدر نفسك وعظمة خالقك.

المبحث الثالث: الربط بين العلم الحديث وما أخبر به القرآن

إليك هذا الختام المبهر الذي يربط بين "الوحي المسموع" القرآن (و"الكون المنظور") علم الأجنة، لتري كيف سبقت هذه الآيات العقل البشري بألف وأربعمئة عام، وكيف خدم "اللفظ" أدق التفاصيل العلمية: الإعجاز العلمي حين يصدق العلم الوحي ما سنذكره الآن لم يعرفه العالم إلا بعد اختراع "المجاهر الإلكترونية" في القرن العشرين، لكن القرآن صاغه بكلمات يسيرة ومبهرة:

1. مصطلح "سلالة" (جينات التكوين) علمياً، الإنسان لا يخلق من كامل السائل المنوي، بل من خلية واحدة (حيوان منوي واحد) (يستخلص من بين 300 مليون خلية).

* عظمة اللفظ: كلمة "سلالة" تعني لغوياً الشيء المستل من شيء آخر برفق. القرآن لم يقل "خلقنا إنساناً من الماء"، بل قال "من خلاصة مستلة"، وهو وصف دقيق لعملية الإخصاب التي اكتشفت حديثاً.

2. مصطلح "علقة" (التسمية المعجزة)

هذا المصطلح وحده كان سبباً في إسلام علماء أجنة كبار مثل (كيث مور).

* علمياً: الجنين في يومه الخامس عشر يكون له شكلان:

* شبه العلق (دودة العلق) (التي تعيش في البرك وتتغذى على امتصاص الدماء).

* يكون "عالقاً" فعلياً في جدار الرحم ليمتص الغذاء من دم الأم.

* عظمة اللفظ: كلمة "علقة" في اللغة تجمع المعنيين (التعلق، وشبه دودة العلق). (فالجنين في هذه المرحلة لا يملك قلباً ينبض، بل هو كتلة دم متجمدة الشكل "تتعلق" لتعيش، وهو ما تصفه الآية بدقة مذهلة).

3. مصطلح "مضغة" (أثر الأسنان)

* علمياً: في الأسبوع الرابع، تظهر على ظهر الجنين نتوءات تشبه تماماً "أثر الأسنان" في قطعة لبان أو لحم ممضوغة.

* عظمة اللفظ: لم يقل القرآن "قطعة لحم"، بل قال "مضغة"، وهذا الوصف (المورفولوجي - الشكل الظاهري) هو أدق وصف وصفه العلم لهذه المرحلة حتى اليوم.

4. "فكسونا العظام لحماً" (أسبقية التكوين)

* علمياً: كان يعتقد قديماً أن العظام واللحم يتكونان معاً، لكن العلم الحديث أثبت أن "الخلايا الغضروفية" (العظام) تتميز وتشكل أولاً، ثم تأتي الخلايا العظمية (اللحم) (لتلتف حولها وتكسوها).

* عظمة اللفظ: حرف "الفاء" (في) فكسونا (يثبت الترتيب والتعقيب؛ فالعظام تسبق الكساء اللحمي، وهذا سبق علمي قرآني قاطع).

الخلاصة الإيمانية: لماذا هذا الإعجاز؟

إن ذكر هذه التفاصيل الدقيقة في آيات سورة "المؤمنون" ليس لمجرد الإخبار العلمي، بل له مقاصد عليا:

* طمأنة المؤمن أن الذي أحكم خلقك وأنت "مضغة" لا ترى، هو أحكم وأقدر على إدارة تفاصيل حياتك المعقدة.

* إقامة الحجة أن هذا الكلام لا يمكن أن يكون من بشر في بيئة صحراوية قبل 1400 عام، بل هو من "أحسن الخالقين".

* الربط بين النشأة والبعث؛ فالقرآن يسرد هذه المراحل ليقول لك: "من بدأ هذا الخلق من سلالة من طين، قادر على إعادتك يوم القيامة".

ميثاق العمل بالآيات (12) - (14):

* التواضع: أصلك طين، فلا تتكبر.

* الإتقان: مراحل خلقك متقنة، فليكن عملك متقناً.

* الثقة: الله الذي رعاك في "القرار المكين" لن يضيعك في فوضى الحياة.

ثالثاً

تعد الآية 14 من سورة "المؤمنون" محطة إعجازية مذهلة في القرآن الكريم، فهي تفصل أطوار خلق الإنسان بأسلوب يجمع بين الدقة اللغوية والتسلسل المنطقي.

يقول الله تعالى: ((ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ.))

التفسير التحليلي للأطوار:

تنتقل الآية من مرحلة الغيب المتمثلة في "النطفة" إلى مراحل التجسيد:

* العلق: دم جامد يعلق بجدار الرحم.

- * المضغة: قطعة لحم صغيرة بقدر ما يمضغ، تبدأ فيها ملامح التخليق.
- * العظام واللحم: تشكيل الهيكل العظمي ثم إكساؤه بالعضلات (اللحم).
- * الخلق الآخر: نفخ الروح، حيث يتحول من مجرد "مادة بيولوجية" إلى "إنسان" ذي وعي وبصر.

المبحث الأول

- أولاً : التحليل المفاهيمي واللغوي لقوله تعالى: ثم خلقنا النطفة علقه) تأتي هذه الجملة ضمن السياق التفصيلي لأطوار الخلق البشري، وتمتاز بدقة لفظية عالية تحمل أبعاداً مادية ووظيفية:
- * حرف العطف) ثم (يفيد الترتيب مع التراخي الزمني، مما يؤسس لمفهوم "التدرج المرحلي" والانتقال من حالة فسيولوجية إلى أخرى بفواصل زمنية محددة ومقدرة.
- * النطفة: في دلالتها اللغوية تعني القليل من الماء، وهي تمثل نقطة البداية المتناهية في الصغر (البليضة الملقحة - الزيجوت).
- * علقه: هذه الكلمة هي المحور المفاهيمي هنا، وتحمل في الجذر اللغوي العربي ثلاث دلالات رئيسية تنطبق تماماً على هذا الطور:
- * التعلق والاستمسك: أي الشيء المعلق بغيره؛ وفي هذه المرحلة، يتعلق الجنين بجدار الرحم ليستمد الغذاء.
- * الدم الجامد) الخثرة: حيث يكون مظهر الجنين في هذه المرحلة أشبه بقطعة الدم الغليظ نظراً لتركز الأوعية الدموية فيه قبل أن يتمايز.
- * دودة العلق: وهي دودة تعيش في البرك وتتعلق بأجسام الكائنات لتمتص دماءها، وتكوين الجنين في هذه المرحلة يتطابق شكلياً ووظيفياً مع هذه الدودة من حيث استمداد الغذاء من دمها الأم.
- ثانياً: الرابط المنهجي بين تطور الخلق) الآية (14 والارتقاء السلوكي) الآية (3) في سورة "المؤمنون"، نجد أن النص يفتتح بصفات ترسم الشخصية المكتملة روحياً وسلوكياً، ومنها: (والذين هم عن اللغو معرضون) (الآية 3) ثم ينتقل ليستعرض أطوار التكوين المادي المعقد في الآيات (12) - (14) هذا الانتقال يؤسس لعدة روابط مفاهيمية عميقة:
- * غاية التعقيد المادي تنفي عبثية السلوك) اللغو): اللغو هو كل كلام أو فعل لا فائدة منه ولا غاية ترجى من ورائه) العبث والباطل. (عندما يستعرض النص دقة التحول من نطفة لا ترى بالعين المجردة إلى "علقه" تتعلق بالحياة بقوة، فإنه يقرر حقيقة منهجية: الكائن الذي صنع بهذه الدقة المتناهية والتقدير المحكم لم يخلق ليمارس العبث. إدراك الإنسان لعظمة ودقة خلقه المادي يوجب عليه إعلاء قيمته السلوكية بالابتعاد عن سفاسف الأمور واللغو.
- * مفارقة "التعلق" المادي و"الإعراض" السلوكي: هناك تقابل بلاغي ومفاهيمي دقيق؛ ففي طور "العلقه"، يمارس الإنسان) الجنين (أقصى درجات التعلق بجدار الرحم ليستمد أسباب الحياة المادية. في هذه المرحلة التي تمتزج فيها النطفة بالبويضة فتصير نقطة دم حمراء تعلق في جدار الرحم تتغذى بدم الأم، فهي تكون خلاصة ملايين الحيوانات المنوية، وتنعزل عن الحيوانات المنوية الميتة والشوائب التي لا فائدة منها، وتبقى بقعة دم صغيرة عالقة في الرحم لأنها بحاجة إلى تغذية كي تنمو وتكبر وتتغذى من دم الأم.
- وفي المقابل، يطالب النص هذا الإنسان بعد اكتماله ووعيه أن يمارس "الإعراض" وهو نقيض التعلق (عن اللغو وكل ما يميم القلب أو يششت الذهن. كان البناء السليم يتطلب التعلق بمصادر الحياة الحقيقية والانسلاخ من كل ما هو زائف؛ فالروح بحاجة إلى غذاء يخلصها من القاذورات التي لا فائدة ولا منفعة منها، وذلك بأن ينعزل عن كل ما لا فائدة منه، وأن يتعلق قلبه وينشغل بذكر الله. فهو بحاجة إلى غذاء الروح الذي يرتقي به كي ينمو سليماً، فيتغذى بالانشغال بذكر الله ويحرص على الانتفاع بوقته فيما فيه فائدة. ولكي ينتقل بروحه إلى مرحلة أفضل وأكرم مما سبق، فلا يتغذى على الجدل والنقاش الذي يؤدي إلى الأحقاد والضغائن، بل يسعى أن ينشغل بربه ومنهجه وحمل دعوته بترك كل مظاهر اللغو وأشكاله. فالروح بحاجة إلى أن تتصل بربها، فهو الذي نفخها في الجسد فأعطته شكل الإنسان، ومثلما أن "العلقه" تعلقت بأصلها) الرحم، كذلك الروح لا بد أن تتصل وتتصل بربها لتتغذى من منهجه.
- * "التدرج في بناء الشخصية" يوازي "التدرج في بناء الجسد": مثلما أن الجسد لا يكتمل طفرة واحدة، بل يمر بمحطات دقيقة) نطفة، علقه، مضغة، إلخ، فإن الشخصية الإيمانية والعلمية لا تبنى دفعة واحدة، بل تتطلب تدرجاً في التزكية والتفكير النقدي المستمر لمراجعة الأفعال والكلمات والتخلص من شوائب اللغو في رحلة الارتقاء نحو الفلاح) قد أفلح المؤمنون. (هذا التناغم بين البناء المادي للإنسان والبناء الأخلاقي يجعل من النص القرآني منظومة معرفية متكاملة لا تفصل فيها الحقائق العلمية عن الغايات السلوكية.
- ثالثاً: المقاصد والأهداف

* الاستدلال على البعث: من قدر على البدء من هذه الأطوار الضعيفة هو أهون عليه أن يعيد الخلق بعد الموت.

* إثبات الألوهية: ختم الآية بـ "فتبارك الله أحسن الخالقين" هو إقرار بأن هذا الإتقان لا يصدر إلا عن إله حكيم عليم.

رابعاً: الفوائد التربوية والتوجيهات العملية

* بناء الشخصية التحليلية: تدعونا الآية إلى "التفكر العلمي"؛ فالدين لا ينفصل عن العلم، والبحث في أسرار الجسد يقوي الإيمان.

* إتقان العمل: بما أن الله هو "أحسن الخالقين"، فإن المؤمن مطالب بالافتداء بهذا الإتقان في عمله (الإحسان).

* احترام الحياة: فهم هذه الأطوار الدقيقة يزرع فينا قدسية الروح البشرية في كل مراحلها.

خامساً: ما الذي نتعلمه ونتدرب عليه في حياتنا العملية؟

* الصبر على النتائج: كما لا يصبح الجنين إنساناً في يوم وليلة، كذلك مشاريعنا وأفكارنا تحتاج لنضج وتدرج؛ فلا تستعجل الثمار قبل أوانها.

* التطوير الذاتي (الخلق الآخر): ابحث دائماً عن "الخلق الآخر" في حياتك؛ لا تكتفِ بالنمو الجسدي أو الوظيفي، بل ابحث عن النمو الروحي والثقافي الذي يجعلك نسخة أفضل من نفسك.

* شكر النعمة بالاستخدام: الهيكل العظمي واللحم والحواس هي أدوات استخلاف، فمن واجبنا العملي استخدام هذه "الأدوات" فيما ينفع الخلق ويعمر الأرض.

أهم الدروس

الدرس الأول

تجلى في سورة "المؤمنون" وحدة موضوعية تربط بين أطوار الخلق البيولوجي (المادي) وبين صفات الفلاح (الإيماني) الروحي، حيث يبرز الانتقال من "العلاقة" إلى "المضغة" كحلقة وصل كبرى في مسيرة الارتقاء الإنساني.

أولاً: الشرح التفصيلي لقوله تعالى: "فخلقنا العلاقة مضغة"

هذا الطور يمثل قمة التحول في التكوين الجنيني الكلي:

* العلاقة: هي الدم الجامد الذي يتعلق بجدار الرحم، وهي مرحلة تتسم بالثبات والتعلق والاعتماد.

* المضغة: لغة هي قطعة اللحم بقدر ما يمضغ، ومن الناحية الإعجازية تظهر الأنسجة في هذه المرحلة وعليها آثار تشبه طبع الأسنان (الفقرات الأولية)، مما يعطيها شكل المادة الممضوغة.

* الفاء التعقيبية: في قوله "فخلقنا" تدل على سرعة التحول والترتيب، وهي "فاء التصريع" التي تنقل الجنين من حالة السيولة والتعلق (العلاقة) إلى حالة التماسك والتهيؤ للتشكيل (المضغة).

ثانياً: الارتباط بين ارتقاء المادة (الخلق) وارتقاء الروح (الزكاة)

ثمة خيط خفي يربط بين قوله (فَخَلَقْنَا الْعِلَاقَةَ مَضْغَةً) (الآية 14) وقوله (وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ) (الآية 4):

* مفهوم النماء والنمو: كلمة "الزكاة" في اللغة تعني الطهارة والنماء. كما أن الجنين "يزكو" وينمو جسدياً بانتقاله من علقه هامة إلى مضغة حية تبدأ فيها ملامح التخليق، فإن نفس المؤمن "تزكو" وتترقى بفعل الزكاة.

* الانتقال من "الأخذ" إلى "البذل": العلاقة كائن "أخذ" يمتص الغذاء ليتكون، والزكاة هي "بذل" وتخل. لا يصل الإنسان إلى تمام "خلقه" الإنساني إلا إذا ترفع عن صفة "العلاقة" (التعلق بالمادة والأخذ فقط) إلى صفة "الفاعلية" (تزكية النفس بالبذل).

* التدرج في الفلاح: بدأت السورة بصفات المؤمنين (الفلاح الروحي) (ثم ثنت بأطوار الخلق) الفلاح المادي، لتبين أن الذي أحسن خلقك في ضيق الرحم ونقلك من حال إلى حال هو الذي يشرع لك سبل التزكية ليرتقي بروحك من ضيق الدنيا إلى سعة الجنة.

ثالثاً: اللامات البلاغية والدلالات البيانية

* الطباق المعنوي: الانتقال من "العلاقة" (الدم) إلى "المضغة" (اللحم) (هو طباق بين الرقة والصلابة وبين الهلامية والتشكل، حيث يكون لها أشكال محددة وغير محددة تارة أخرى).

* التنكير: جاءت "علقه" و"مضغة" نكرة لتعظيم القدرة الإلهية في تحويل هذه الأجزاء المتناهية في الصغر إلى كائن بشري سوي.

* الاختصار بالإعجاز: جمع القرآن عمليات حيوية معقدة في كلمتين (علقه، مضغة)، وهو ما يعجز عنه البيان البشري في وصف التحول التركيبي للخلية.

الخلاصة:

إن الانتقال من العلاقة إلى المضغة هو هندسة مادية للجسم، والقيام بالزكاة هو هندسة روحية للنفس. كلاهما خروج من حالة الضعف والجمود إلى حالة القوة والنماء.

الدرس الثاني: ربط النشأة بالمسؤولية

بناءً على هذا التسلسل الإعجازي في سورة المؤمنون، تأتي الآية التي تليها مباشرة (الآية 15) لتربط هذا الإتقان البيولوجي بالمسؤولية والغاية النهائية، وهي قوله تعالى: ((ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ)).

قد يبدو الانتقال من "أحسن الخالقين" إلى "الموت" مفاجئاً، لكنه يحمل عمقاً تحليلياً ومنهجاً علمياً متكاملًا:

* مفهوم المسؤولية عن "الأمانة": الآية (14) شرحت كيف استثمر الله في خلقك وبنائك بأعلى درجات الإتقان (عظام، لحم، خلق آخر)، والآية (15) تخبرك أن هذا الاستثمار له "نهاية" و"موعد" تسليم.

الدرس العملي: الجسد والعقل ليسا ملكاً لك لتعبت بهما، بل هما "عهدة" ستحاسب على كيفية استهلاكها.

* التوازن بين "الإتقان" و"الزوال": هذا الربط يعلمنا فلسفة العمل في الحياة. الإتقان: ابن حياتك، وخطط لمشاريعك واهتم بصحتك وبحثك العلمي وكأنك تعيش أبداً (تطبيقاً للآية 14). الزوال: وفي نفس الوقت لا تجعل المادة تغطي على قيمك لأن المحطة القادمة هي الموت (تطبيقاً للآية 15).

* التطبيق في الحياة العملية (إدارة الأولويات): إذا علم الإنسان أنه "خلق" بـ "إتقان" ليكون "خليفة"، وأنه سيموت لينتقل للحساب، تترتب حياته كالتالي:

* التوثيق والتركيذ: كما اهتم القرآن بتوثيق أطوار الخلق بدقة (نطفة، علقة...). يجب أن يكون عملك المهني والبحثي منظماً دقيقاً، وموثقاً؛ فوضى العمل لا تليق بمخلوق خلق بهذا النظام.

* صناعة الأثر: الموت ليس نهاية بل هو انتقال؛ لذا فإن "الخلق الآخر" الذي ذكر في الآية السابقة يدعوك لتترك أثر باق؛ علم ينتفع به، أو عدل تنصره يتجاوز لحظة الموت.

التوجهات التربوية المستفادة:

* استثمار الوقت: إدراك حتمية الموت بعد إدراك عظمة الخلق يدفعك لاستغلال كل لحظة في "تطوير الذات".

* النظرة الكلية: لا تنظر لجزيئات حياتك (مشاكل اليومية) بمعزل عن الصورة الكبرى (بداية إعجازية ونهاية حتمية)، فهذا يمنحك هدوءاً نفسياً وقدرة على التحمل.

* تطوير "الملكة" التحليلية: القرآن يدعونا للنظر في "الصيرورة" (كيف كنا وكيف سنصبح)، وهذا ينمي فينا التفكير الاستراتيجي بعيد المدى.

الدرس الثالث

تفكك الآية 14 من سورة المؤمنون كبرياء الإنسان من خلال منهج "التأصيل المادي"، فهي تعيد رسم صورة الذات البشرية بعيداً عن الألقاب والمناصب والقوة الزائفة، وذلك عبر عدة مستويات إيمانية وعقلية:

* صدمة "الأصل المهيمن": تبدأ الآية برحلة العودة إلى الجذور (نطفة، علقة، مضغة). هذا التسلسل يذكر الإنسان بأنه لم يخلق نفسه، ولم يملك من أمره شيئاً في أهم مراحل تكوينه.

* إزالة الغرور: كيف يتكبر من بدأ حياته "علقة" (دم متجمد يعلق بغيره ليعيش)؟ أو "مضغة" لا حول لها ولا طول؟

* حقيقة النفس: الإنسان في أصله كائن "اتكالي" بالكامل على تدبير الخالق، وهذا يكسر حدة الاستغناء التي قد يشعر بها القوي أو الغني.

* الافتقار في أدق التفاصيل (كساء العظام): تأمل قوله تعالى "فكسونا العظام لحماً"، هنا نجد دقة متناهية؛ فلو زاد اللحم قليلاً لترهل الجسد، ولو نقص لبرزت العظام وتألم الإنسان.

الرسالة: أنت مفتقر إلى الله في "توازن" جسدك؛ أي خلل بسيط في هرمون أو خلية يحول القوي إلى ضعيف يبحث عن العلاج.

الدرس العملي: إدراك أن "الصحة" والقدرة على الحركة هي "إعارة" من الخالق وليست ملكية خاصة، مما يولد التواضع الدائم.

* "ثم أنشأناه خلقاً آخر": فضل الله لا شطارة العبد: الانتقال من الطور المادي (لحم وعظم) إلى الطور الإنساني (عقل، روح، إدراك) هو محض هبة إلهية.

توجيه تربوي: الغرور غالباً ما يأتي من الاعتزاز بالذكاء أو الموهبة. الآية تخبرك أن هذا "الخلق الآخر" (الوعي) هو الذي أنشأه الله فيك، ولولاه لكنت مجرد مادة حيوية لا قيمة لها.

النتيجة: الشعور بالامتنان يطرد الغرور؛ فالممتن يرى الفضل لصاحب الفضل، بينما المغرور يرى الفضل لنفسه.

* حتمية الاحتياج الدائم: كل طور في الآية يعتمد على ما قبله، وكلها تعتمد على إرادة الخالق (خلقنا، فكسونا، أنشأناه).

المفهوم العملي: الإنسان "مفتقر" في كل لحظة لمدد إلهي يبقيه على قيد الحياة. الغرور هو

"وهم الاستقلال"، والآية تثبت حقيقة "التبعية" للخالق. عندما يدرك الإنسان أنه كان "عدماً" ثم صار "شيئاً" بقدرة غيره، يستحي أن يرفع رأسه تكبراً على عباد الله أو تمرداً على أوامره. كيف نحول هذا الفهم لسلوك عملي؟

* عند النجاح: قل "فتبارك الله" بدلاً من "أنا فعلت"؛ لأن الله هو من أمدك بأدوات النجاح منذ كنت نطفة.

* عند الخطأ: تذكر أصلك (المضغة والعلة) لتعود سريعاً لمربع التواضع وطلب المغفرة.

* في التعامل مع الآخرين: انظر للناس جميعاً من خلال "وحدة الأصل"؛ فكلنا مررنا بهذه الأطوار الضعيفة، فلا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح.

رابعاً

بعد أن استعرضنا في الآية (14) كيف بدأ الإنسان من أقصى درجات الضعف (نطفة وعلة)، تأتي آيات التالية لتكتمل الدائرة وتكسر غرور النفس البشرية تماماً، حيث يقول الله تعالى في الآيات (15)، (16) من سورة المؤمنون: ((ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ)). إليك كيف تكتمل صورة التواضع والافتقار في الذهن البشري من خلال هذا الربط:

* حتمية "الرجوع للمادة" (كسر الكبرياء): كما بدأت الآية (14) بتحويل المادة الميتة (النطفة) إلى حياة، تخبرنا الآية (15) أن هذه الحياة ستعود "مادة" مرة أخرى.

المفهوم العملي: الموت هو "المساوي الكبير"؛ فلا فرق بين ملك ومملوك في القبر. هذا المشهد يزيل أي شعور بالاستعلاء، فالمصير واحد والجسد الذي اعتنى به الإنسان وتكبر به سيعود لأصله الترابي.

حقيقة النفس: الإنسان كائن موقوت، والغرور لا يليق بمن له نهاية محتومة.

الصفحة الثالثة

* الافتقار في "البعث" (الاحتياج المطلق): في قوله ((ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ))، نجد قمة الافتقار لله.

الدرس التربوي: في طور الخلق (آية 14) لم يملك الإنسان من أمره شيئاً، وفي طور البعث (آية 16) لن يملك أيضاً من أمره شيئاً.

الرسالة: أنت مفتقر لله ليوجدك أول مرة، ومفتقر إليه ليحييك بعد موتك. هذا الاعتماد الكلي على إرادة الخالق يورث في القلب عبودية "كاملة" وتواضعاً ينعكس على تعاملاتك اليومية.

* "أحسن الخالقين" مقابل "العمل الإنساني": حين ختم الله آية الخلق بـ ((فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ))، ثم أتبعها بذكر الموت والبعث، فإنه يضع الإنسان أمام حقيقته:

* التوجيه العملي: عملك مهما بلغ من الإتقان كقانوني أو باحث أو محترف هو عمل "قاصر" و"محدود" بزمانك ومكانك، أما إتقان الله فمطلق.

* إزالة الغرور العلمي: مهما بلغت من العلم والتحليل تذكر أن الله هو من "أنشأ فيك" هذه الملكة، وأن علمك هو قطرة في بحر "أحسن الخالقين".

الخلاصة التربوية:

هذا المنهج القرآني يربي فينا "الشخصية المتوازنة": عالية الهمة لأنها خلق آخر مكرم من الله، شديدة التواضع لأنها تعرف أصلها (نطفة) ومصيرها (موت) ومآلها (بعث وحساب).

الأمر الأول

في هذا المشهد القرآني ننتقل من "الهشاشة المطلقة" إلى "الهيكال الصلب"، وهو مسار هندسي وإلهي يعلمنا كيف تبني الأمور العظيمة من بدايات متواضعة. إليك التفصيل مع الربط البلاغي والعملي:

* مرحلة الهشاشة: "ثم خلقنا النطفة علة":

* البيان اللغوي: (النطفة) تعني القليل من الماء، و(العلة) هي الدم المتجمد الذي يعلق. الانتقال هنا من "سائل" إلى "هلامي" شديد الضعف.

* اللمسة البلاغية: استخدام حرف "ثم" الذي يفيد التراخي والترتيب يعطي مهلة زمنية للنفس لتدبر هذا التحول العجيب من ماء مهين إلى كائن يعلق بالرحم.

* المفهوم التربوي والعملي:

* درس التدرج: لا شيء يبدأ كبيراً؛ مشاريعك، أفكارك، ونجاحك يبدأ "نطفة" (فكرة صغيرة) ثم "علة" (تحتاج لمن يدعمها).

* التواضع: تذكر أن أصلك كان كائناً "عالقاً" لا يستغني عن غيره، فكيف تستغني عن خالقك؟

* التشكيل الأولي: "فخلقنا العلة مضغة":

* البيان اللغوي: (المضغة) هي قطعة لحم بقدر ما يمضغ. هنا تبدأ المادة بأخذ حجم وشكل ملموس.

* اللمسة البلاغية (السر في حرف الفاء): انتقل القرآن من "ثم" إلى "فـ" (فخلقنا). "الفاء" تفيد

التعقيب والسرعة؛ علمياً بمجرد أن تعلق النطفة، تبدأ الانقسامات الخلوية السريعة جداً لتكوين المضغة.

* المفهوم التربوي والعملي:
* اقتناص الفرص: بمجرد أن تجد فكرتك "مكاناً" (استقراراً)، يجب أن تعمل بسرعة (الفاء) لتشكيلها قبل أن تضيع.

* المرونة: المضغة لينة، وهذا يعلمنا ضرورة المرونة في مراحل التأسيس الأولى لأي عمل.
* التحول إلى الصلابة: "فخلقنا المضغة عظاماً":
* البيان اللغوي: هنا المعجزة؛ تحول اللحم اللين (المضغة) إلى نسيج صلب (عظام).
* اللمسة البلاغية: تكرار فعل "خلقنا" مع كل طور يؤكد أن هذا ليس تفاعلاً كيميائياً عشوائياً بل هو "صنعة مقصودة" في كل جزئية.

* المفهوم التربوي والعملي:
* بناء الأساس (الهيكل): لا يمكن بناء "اللحم" (النتائج) قبل بناء "العظام" (الأساسات القوية).
* في حياتك العملية: ابن قيمك ومبادئك (عظامك) لتكون صلبة قبل أن تهتم بالمظاهر (اللحم).
* التحول النوعي: الإنسان الناجح هو من يستطيع تحويل نقاط ضعفه "اللينة" إلى "نقاط قوة صلبة".

* الحماية والإكساء: "فكسونا العظام لحماً":
* البيان اللغوي: (الكساء) يوحى بالستر والجمال والحماية. العظم وحده مخيف وصعب الحركة ف جاء اللحم ليتم الوظيفة.

* اللمسة البلاغية: اختيار كلمة "فكسونا" بدلاً من "خلقنا" هنا؛ لأن اللحم يغطي العظم كالثوب، ولأن وظيفة العضلات هي تغليف الهيكل الصلب.
* المفهوم التربوي والعملي:

* اللين مع القوة: العظام هي "القوة" واللحم هو "اللين". القائد الناجح هو من يملك "عظاماً" من القرارات الحازمة مكسوة بـ "لحم" من الأخلاق والرحمة بالناس.

* تكامل الأدوار: لا غنى للمظاهر عن الجوهر، ولا قوة للجوهر بدون مظهر يحميه ويظهره.
* أسرار "التجويد" ودلالاتها المعنوية:

* المد المتصل في "أنشأناه": هذا المد الطويل يعطيك مساحة من الصوت لتخيل عظمة الانتقال من "كتلة بيولوجية" إلى "إنسان" متكامل (سمع، بصر، روح).

* القلقة في "خلقنا" (حرف القاف): القلقة تعني الاضطراب والتحرك صوتياً؛ توحى هذه القلقة بـ "الحركة الدائبة" والانقسامات المستمرة التي تحدث داخل الرحم، فالخلق عملية حية لا تهدأ.

* الغنة في "نطفة علقه": الإظهار هنا يعطي وضوحاً لكل مرحلة بذاتها، كأن القرآن يريدك أن تقف عند كل طور وتراه بوضوح قبل الانتقال لما بعده.

الخلاصة العملية لحياتك:

الآية تدعوك لبناء حياتك: ابدأ بـ "نطفة" (فكرة نقية). اجعلها "علقة" (اربطها بواقعك). حولها لـ "مضغة" (شكل ملامحها). أسس لها "عظاماً" (قواعد قانونية وعلمية صلبة). اكسها بـ "لحم" (الإحسان والجمال في التنفيذ).

الأمر الثاني

تنتقل الآية (14) من سورة المؤمنون في خاتمتها إلى مرحلة مفصلية تغير مجرى الوجود الإنساني من "بيولوجيا صماء" إلى "كينونة عاقلة"، وذلك في قوله تعالى: ((ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۖ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)). إليك التحليل التفصيلي لهذه المرحلة وربطها بالمنهج العملي واللمسات البيانية:

* مفهوم "الخلق الآخر": الاستخلاف والوعي:
* البيان اللغوي: كلمة "أنشأناه" توحى بالارتفاع والنمو والظهور، وهي تختلف عن "خلقنا"؛ فالإنشاء فيه معنى التربية والرعاية وبناء الشخصية.

* المفهوم التربوي: "الخلق الآخر" هو نفخ الروح، وهو ما منحك السمع والبصر، والفؤاد، والقدرة على النطق والتحليل.

* الدرس العملي: جسدك (العظام واللحم) تشترك فيه مع بقية الكائنات، لكن "خلقك الآخر" (عقلك وقيمك) هو ميزتك التنافسية.

* اللمسة البلاغية والبيانية: "ثم" الفاصلة:
* بلاغة الحرف: عاد القرآن لاستخدام "ثم" التي تفيد التراخي. لماذا؟ لأن الفارق بين "المادة" (لحم وعظم) وبين الروح والوعي هو فارق هائل وشاسع، وكأن هناك مسافة زمنية ومعنوية كبيرة بين أن تكون جسداً وبين أن تصبح "إنساناً" مكلفاً.

* التنكير في "خلقاً آخر": جاءت كلمة "خلقاً" و "آخر" نكرتين للتعظيم والتهويل، لتدل على أن هذا الطور الجديد شيء عجيب وخارج عن المألوف المادي.

* أسرار التجويد في "أنشأناه":
* الإخفاء (النون مع الشين): صوت الإخفاء هنا يضيف نوعاً من الخفاء و"السرية"؛ فالروح سر من أسرار الله لا يدركه أحد، وصوت الغنة الملازم للإخفاء يمهّد للسمع أننا بصدد مرحلة غيبية لا ترى بالعين.

التوجيه: لا تنشغل بتغذية "اللحم" وتنسى تغذية "الخلق الآخر" بالعلم والروحانيات.
* قمة التعظيم: "فتبارك الله أحسن الخالقين":
* اللمسة البيانية: بدأت الآية بأفعال المتكلم (خلقنا، فكسونا)، لكنها ختمت بالثناء المطلق (فتبارك الله).
* المفهوم العملي (معيّار الإحسان): وصف الله نفسه بأنه "أحسن الخالقين"، وهذا يضع للمؤمن "معيّاراً ذهبياً" في حياته العملية:
* الجودة الشاملة: إذا كان خالقك هو "الأحسن"، فيجب أن يكون عملك (سواء في كتابة مذكرة قانونية، أو بحث علمي، أو بناء مشروع) هو "الأحسن" إتقاناً وتنظيماً.
* التواصل العلمي: مهما بلغت دقة "الخلق البشري" (صناعة الروبوتات أو الذكاء الاصطناعي)، تظل صفة "الأحسن" لله وحده، مما يحميك من الغرور التقني.
* كيف نطبق "الخلق الآخر" في حياتنا المهنية؟
* بناء الشخصية التحليلية: "الخلق الآخر" يعني أنك تمتلك أداة (العقل) لفك التناقضات وفهم النصوص. لا تكن "مادة" تتلقى المعلومات، بل كن "خلقاً آخر" يحلل وينقد.
* الانتقال من "الكائن" إلى "المكوّن": لا تكتفِ بالبقاء (الأكل، الشرب، النوم) بل اسعَ لأن تنشئ أفكاراً ومشاريع (إنشاء) تليق بتكريم الله لك.
* إدراك "البصمة": كما أن لكل جنين بصمة خلوية، فإن لكل إنسان بصمة روحية في عمله. ابحث عن ميزتك التي تجعلك "خلقاً آخر" متميزاً في مجالك.

المبحث الثاني

إليك التحليل الاندماجي العميق للآية (14)، وهي أطول آية في هذا السياق، وأكثرها حركة وتفصيلاً، حيث نربط فيها بين إعجاز اللفظ (التجويد والبلاغة) وبين ديناميكية الحياة (التحول والإدارة).
التحليل الاندماجي للآية (14): هندسة التحول والإتقان
(ثم خلقنا النطفة علقّة فخلقنا العلقّة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين)).
* مفهوم "السرعة في التنفيذ": الاستدلال بالفاء العاطفة والغنة:
في إدارة المشاريع والحياة، هناك مراحل تحتاج "تأنيلاً" ومراحل تحتاج "سرعة حسم".
* اللمسة البلاغية: لاحظ الانتقال من (ثم) في بداية الآية إلى حرف (فاء) في (فخلقنا، فكسونا).
"ثم" تفيد التراخي (وقت للاستعداد)، أما "فاء" فتفيد التعقيب والسرعة.
* أحكام التجويد (الغنة المشددة): البدء بـ (ثم) مع غنة الميم المشددة يعطي مساحة زمنية للتهيؤ النفسي قبل الدخول في سبل التحولات السريعة التي تعقبها.
الرسالة العملية: تعلم فقه الوقت؛ هناك قرارات تحتاج منك وقتاً (ثم)، ولكن بمجرد البدء يجب أن تملك سرعة التنفيذ (فاء) لتلاحق الفرص قبل أن تضيع.
* مفهوم "المرونة والالتصاق بالهدف": الاستدلال بالإخفاء الحقيقي:
* اللمسة البيانية (علقّة): العلقّة هي الدم الجامد الذي "يتعلق" بجدار الرحم.
* أحكام التجويد (الإخفاء): في قوله (نطفة علقّة فخلقنا)، نجد إخفاءً للتثنية عند الفاء.
الرسالة العملية: الإخفاء الصوتي هنا يمثل "التغلغل والتركيز". لكي تنجح يجب أن تكون كـ "العلقّة" في تمسكك بهدفك؛ تلتصق به وتستمد منه مقومات بقاءك، مع الاحتفاظ بمرونة (الإخفاء) تتيح لك الانتقال للمرحلة التالية (المضغة) دون تكسر.
* مفهوم "تأسيس الهياكل قبل المظاهر": الاستدلال بالمد الطبيعي:
* اللمسة البلاغية: ((فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً))؛ القرآن قدم العظام (الهيكـل الصلب) على اللحم (المظهر الخارجي).
* أحكام التجويد (المد الطبيعي): المد في كلمة (عظاماً) و (العظام) يمنح الكلمة "طولاً" وثباتاً صوتياً.
الرسالة العملية: في حياتك المهنية، ابدأ ببناء "العظام" (الأساسات، المبادئ، القواعد القانونية و التقنية) قبل أن تهتم بـ "اللحم" (الديكور، التسويق، المظهر)؛ البناء الذي يسبقه "لحم" قبل "عظام" هو بناء هزيل ينهار سريعاً.
* مفهوم "اللمسة الإبداعية": الاستدلال بمد الصلة والإظهار:
* اللمسة البيانية (خلقاً آخر): بعد تفصيل المواد المادية (عظام، لحم)، جاء التعبير عن الروح بـ

"خلقاً آخر". هذا تعظيم لسر التميز البشري.

* أحكام التجويد (مد الصلة الصغرى والإظهار): في قوله (أنشأناه خلقاً) مد الصلة في الهاء يربط بين الجسد والروح، والإظهار في التنوين (خلقاً آخر) يعطي وضوحاً تاماً للصوت.
الرسالة العملية: بعد إتمام العمل الروتيني، ابحث عن "الخلق الآخر"؛ أي اللمسة الإبداعية التي تميزك عن الآخرين. الإظهار في التجويد هنا يعلمك الوضوح والشفافية في مخرجاتك النهائية لكي تبرز جودتها.

* مفهوم "الاحتفاء بالإتقان": الاستدلال بمد التعظيم والقلقلة:

* اللمسة البلاغية (فتبارك الله): تذييل الآية بالثناء على الله (أحسن الخالقين) بعد ذكر مراحل الإِتقان.
*

الرسالة العملية: عندما تنهي عملاً متقناً، لا تنسب الفضل لنفسك فحسب بل استشعر عظمة الخالق الذي وهبك العقل. الدرس العملي هو "الاحتفال بالإنجاز"؛ فالحمد والثناء (فتبارك الله) يزيدان من بركة العمل ويحفزانك للمزيد.
خلاصة الدرس العملي المدمج من الآية (14):
(ثم): خذ وقتك للتخطيط.

الأمر الأول

إن التأمل لهذه الآية يفتح باباً من أعظم أبواب اليقين؛ فمن الناحية البيولوجية والتدبرية، نحن أمام "انقلاب في الخصائص المادية" لا يقدر عليه إلا الله. ولهذا سوف نقوم بالإجابة التدبرية والتحليلية على التساؤلات محل التأمل:

1. كيف تتحول "المضغة" اللينة إلى "عظام" صلبة؟

هذا التحول هو تجسيد لاسم الله (البارئ) الذي يخلق الأشياء ويعطيها قواماً متناسباً مع وظيفتها.
* تغيير الطباع: الله سبحانه يرينا في هذه المرحلة أنه لا يعجزه "تصليد" اللين. فالمضغة التي هي مجرد خلايا متراكمة، تبدأ خلاياها بالتخصص لتتحول إلى نسيج غضروفي ثم عظمي.
* الرسالة التدبرية: من حول المضغة الرخوة إلى عظم صلب قادر على أن يجعل من ضعفك قوة ومن حيرتك ثباتاً. وهي إشارة إلى أن الأصل والجوهر يتبدل بأمر الله، فلا يستحيل عليه شيء.

2. لماذا ذكر الله العظام بعد المضغة مباشرة؟

العظام هي "عماد الخيمة" في الجسد البشري، والترتيب الإلهي هنا يحمل إعجازاً هندسياً:
* التأسيس قبل الكساء: في هندسة البناء، يتم وضع الهيكل الصلب (الخرسانة أو الحديد) أولاً، ثم يتم ملء الفراغات والكساء بالمواد اللينة. لو خلق اللحم العضلات (قبل العظام، لما وجد اللحم شيئاً يركز عليه أو يمنحه الشكل القوامي، ولصار الجسد مجرد كتلة هلامية.
* الحماية: العظام تخلق لتكون الدرع الحصين للأعضاء الحيوية التي ستتكون لاحقاً، وهذا يعكس صفة) الحفيظ).

3. سرعة التحول في حرف) الفاء):

استخدام حرف) الفاء في قوله "فخلقنا" يوحي بالتعقيب والترتيب السريع. بمجرد أن تصل المضغة إلى مرحلة النضج الكافي، تبدأ عملية "التعظم" مباشرة دون تراخ. هذا يخبرنا بأن عملية الخلق ليست عشوائية، بل هي جدول زمني دقيق لا يتقدم ولا يتأخر ثانية واحدة.
خلاصة الإجابة:

هذا التحول من "المضغة" إلى "العظام" هو انتقال من مرحلة المادة) لحم بلا شكل (إلى مرحلة الهندسة) هيكل ذو أبعاد. (وهو دليل على أن الله يضع القواعد والأساسات المتينة أولاً ليبنى عليها ما بعدها.

(هل تود أن أوضح لك كيف أثبت العلم الحديث أن الخلايا العظمية تبدأ في الظهور فعلاً داخل المضغة قبل كساء اللحم، توافقاً مع ترتيب الآية؟)

الأمر الثاني

إن مما يتبادر إلى الذهن عند الوقوف على هذا التحويل من المضغة إلى العظام هو: ما الحكمة و المقصد من وجود العظام قبل اللحم؟ حيث إن الإجابة عن هذا السؤال تكشف عن ملمح تربوي ونفسي عميق، وما يزيد من ذلك حين نربط ذلك بأحكام التجويد في الآية؛ نجد أن الأداء الصوتي للقرآن ليس مجرد زينة، بل هو وعاء يحمل المعنى ويجسده.
إليك الإجابة والربط:

1. الحكمة في "القوة الداخلية") العظام (قبل "الجمال الظاهري") اللحم):

ذكرنا أن العظام هي العماد الخفي واللحم هو الكساء الظاهر.

* المفهوم: الله يبني فينا "الثبات" قبل "الحركة"، و"الجوهر" قبل "المظهر". العظام صلبة لتحمل، و اللحم لين ليتحرك.

* الربط بالتجويد (في كلمة "المضغة"، حرف الضاد فيه صفة الاستطالة والرخاوة، وهو صوت يوحى بالامتلاء واللين والتمطط، تماماً كطبيعة "المضغة" للحمية الرخوة. بينما في كلمة "عظاماً"، نجد حرف العين وحرف الظاء، وهو حرف استعلاء وإطباق، صوت قوي صلب ومفخم.

* المعنى: الانتقال الصوتي من رخاوة الضاد في "المضغة" إلى صلابة وتفخيم الظاء في "عظاماً" يجسد للمستمع والمردد عملية التحول من اللين إلى الصلابة التي تحدث في الرحم.

2. مفهوم "الثبات والمرونة" في الاستقامة:
العظام تعطي الاستقامة في "أحسن تقويم".

* المفهوم: لولا العظام لكان الإنسان منبسطاً كالمضغة؛ فالعظام هي "القانون" الذي يضبط شكل الجسد.

* الربط بالتجويد في كلمه عظاماً: (لاحظ حركة الألف الممدودة في "عظاماً"؛ المد هنا يعطي مديات صوتية واسعة توحى بالامتداد والارتفاع والاستقامة. هذا المد "يقوم" الكلمة ويمنحها هيئة صوتية تتناسب مع هيئة الهيكل العظمي الذي لولاه لما استقام ظهر الإنسان.

3. التدبر في السر والظهور) الخفاء والتجلي:
العظام تبنى في الخفاء لتظهر آثارها في استقامة الظاهر.

* الربط بالتجويد) الإدغام والتنوين: عند قوله "عظاماً فكسوناً"، لدينا حكم "الإخفاء الحقيقي" إخفاء التنوين عند الفاء).

* المفهوم التربوي: الإخفاء هنا يرمز إلى "المرحلة الانتقالية المستترة" داخل الرحم؛ فالعظام بعد أن خلقت "تختفي" تحت كساء اللحم. صوت الغنة "المخفي" يمهّد للانتقال من هيكل عظمي مكشوف إلى جسد مكسو باللحم، تماماً كما تخفى النون الساكنة لتتصل بما بعدها بلطف.

بهذا الربط، يصبح لسانك وهو يرتل الآية "يحكي" عملية الخلق، فتنتقل من أصوات "رخوة" إلى أصوات "صلبة" ثم إلى "إخفاء" وستر، تماماً كما فعل الخالق في ظلمات الرحم.

الأمر الثالث

ما العلاقة بين قضية البعث والنشأة الأخرى؟ وما دلالة الربط بين أحكام التجويد وقضية البعث و النشأة الأخرى؟

الدلالة هي أن الذي أوجد الإنسان من العدم قادر على البعث والنشور، وأما الربط بين هذه العلاقة وبين أحكام التجويد، فإن هذا الربط ينقلك من مجرد القراءة إلى "المعايشة" الصوتية لقدرة الله على الإحياء.

إليك كيف يخدم الأداء التجويدي مفهوم) من الرميم إلى الحياة (في هذه الآية:

1. صفة "الاستعلاء" في) الظاء (وعظمة الإحياء:
في قوله) عظاماً (، حرف) الظاء (هو حرف استعلاء وإطباق، وهو من أقوى الحروف صوتاً.

* المفهوم التدبري: العظام هي "أبقى" ما في الإنسان بعد موته، وهي التي تصبح رميمًا.

* الربط بالتجويد: صوت) الظاء (المفخم والمستعالي يملأ الفم صدًى وقوة؛ هذا "التفخيم" يرمز لعظمة الخالق الذي جعل من هذه العظام التي نراها صامته وهامدة هيكلًا "يحمل الحياة" بقوة الحرف تعزز في قلبك اليقين بأن من أعطى العظم هذه "الهيئة" الصوتية والصلابة المادية هو القادر على "نفخ" الحياة فيها مرة أخرى.

2. المد الطبيعي" في) عظاماً (وحركية البعث:
لاحظ المد بالألف في وسط كلمة) عظاماً (ومد العوض في آخرها عند الوقف.

* المفهوم التدبري: المد هو "نفس" وصوت ممتد.

* الربط بالتجويد: هذا الامتداد الصوتي يكسر حدة "الجمود"؛ فالعظام في القبر جامدة صامته، لكن المد في الكلمة يعطي إحياءً بالامتداد والحركة. كأن الصوت يخبرك أن قصة "العظام" لم تنته بكونها عظاماً، بل هناك "مد" واستمرارية لحياة أخرى ستبعث فيها.

3. "الإخفاء" في) عظاماً فكسوناً (ولطف النشأة:
عندما تصل) عظاماً (بما بعدها يظهر حكم الإخفاء الحقيقي.

* المفهوم التدبري: البعث والنشأة وسر الحياة هي أمور "خفية" لا يعلم كنهها إلا الله.

* الربط بالتجويد: صوت الغنة في الإخفاء هو صوت يخرج من "الخيشوم" ممر خفي، وهو صوت رقيق ومستتر. هذا "الخفاء الصوتي" يجسد مرحلة) اللطف الإلهي؛ فكما أخفى الله العظام تحت اللحم في الرحم بلطف وسرية، سيخفي سر الإحياء في العظام الرميم ليخرجها خلقاً جديداً يوم القيامة.

لفتة تربوية:

عندما تقرأ هذه الكلمات بجودة وإتقان، فأنت لا تؤدي وظيفة لسانية فحسب، بل أنت تشهد بلسانك وصوتك على مراحل خلقك. فخروج الحرف من مخرجه بصفته القوية أو اللينة هو "محاكاة" لعملية التكوين الإلهي في جسدك.

الأمر الرابع

لمحات تدبرية سريعة تضعنا أمام "أسرار النظم القرآني"، حيث لا تأتي الحروف أو الترتيبات العلمية عبثاً، بل هي لآلئ مرصوفة بدقة متناهية. وهنا سوف نقف أمام بعض هذه اللمحات:

1. لماذا استخدم حرف الفاء "فخلقنا؟" أسرار اللغة:

حرف الفاء في لغة العرب يفيد "الترتيب والتعقيب السريع":

* المعنى التدبري: بمجرد أن تكتمل "المضغة" وتتهيأ للتحويل، يبدأ أمر الله بالخلق مباشرة. الفاء هنا تطرد أي توهم للبطء أو "المصادفة" في نمو الجنين.

* الرسالة: هي "سرعة التقدير الإلهي"؛ فبينما نرى نحن تسعة أشهر من الانتظار، فإن كل مرحلة فيها (مضغة، عظام، لحم) تحدث بتعاقب سريع ومحكم في نظام الخلايا بأمر الله {إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}.

2. التوافق مع الحقيقة العلمية (إعجاز العلم):

كان السائد قديماً أن اللحم والعظام يتكونان معاً، لكن القرآن حدد الترتيب بدقة: (المضغة (ثم) العظام (ثم) كساء اللحم).

* الحقيقة العلمية: أثبت علم الأجنة الحديث أن الكتلة الجنينية (المضغة) تظهر فيها "الفلات" التي يتخلق منها الهيكل العظمي أولاً، ثم تهجر الخلايا العضلية لتلتف حول هذه العظام (الكساء).

* المعنى التدبري: وصف القرآن للعظام كطور مستقل يلي المضغة وقبل الكساء هو "سبق علمي" لم يُعرف إلا بالمجاهر الحديثة، مما يزيدك يقيناً بأن هذا الكلام من لدن خبير بالخلق {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}.

3. انكسار الكبرياء البشري (التزكية والسلوك):

تأمل في التدرج من "مضغة" وهي قطعة لحم صغيرة لا حول لها ولا قوة، إلى "عظام" صلبة تمكن الإنسان من المشي والبطش والتكبر.

* المفهوم: حين يشتد عود الإنسان ويغتر بقوته، يذكره القرآن بأن أصل هذه "العظمة" الصلبة كان "قطعة لحم" لينة جداً تحت رحمة الله في ظلمات ثلاث.

* الرسالة: التدبر في "أصل المادة" يورث التواضع؛ فمن خلقك من هذا اللين وصيرك بهذا القوام قادر على أن يعيدك كما كنت. فكيف يتكبر من كانت بدايته مضغة ونهايته عظماً نخرة؟ ملخص الربط التجويدي لما سبق:

حتى في هذه اللمحات السريعة نجد أحكام التجويد حاضرة:

* الجهر والشدة في "فخلقنا": نطق القاف وهي حرف شديد ومجهور في وسط الكلمة يعطي إحساساً بـ "قوة التنفيذ" وقطع الأمر الإلهي، مما يتناسب مع سرعة "الفاء".

* الاستعلاء في "عظاما": يعطي الكلمة حجماً صوتياً يتناسب مع قوة الهيكل العظمي الذي لولاه لما استطاع الإنسان أن يقف شامخاً ليرتل القرآن.

الأمر الخامس

بتأمل الآية نجد أنها تربط بين مراحل نشأة الإنسان وما ورد في الآيات السابقة من صفات الفلاح؛ أي تربط بين "الهندسة البيولوجية" للجسد و"الهندسة الأخلاقية" للروح. فكما أن الجسد يحتاج إلى

هيكل صلب (عظام (ليحمل اللحم ويضبط حركته، فإن الروح تحتاج إلى هيكل قيم (تقويم الشهوة (ليضبط اندفاع العاطفة ويحمي النوع الإنساني.

إليك تفصيل هذا الربط البديع بين قوله تعالى {فَخَلَقْنَا الْمَضْغَةَ عِظَامًا} وبين صفة {وَالَّذِينَ هُمْ لِقُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ} (في مطلع السورة:

1. العظام والشرع: "قاعدة الثبات"

* في الجسد: العظام هي القوة الصلبة التي تسبق الكساء باللحم؛ لولا صلابة العظم لترهل اللحم وسقط ولم يؤدّ وظيفته.

* في السلوك: حفظ الفروج والالتزام بالمنهج الإلهي في النكاح هو بمثابة "العظام الأخلاقية". الشهوة (الميل اللحمي (بطبيعتها رخوة واندفاعية، فإذا لم تستند إلى هيكل صلب من التقوى والتشريع (العظام)، تحولت إلى بهيمية لا ضابط لها.

* الربط: تقديم خلق العظام على اللحم يعلمنا أن الانضباط والصلابة يجب أن يسبقا "الاستمتاع و الرخاوة".

2. تقويم قوة الحب وإرادة الشهوة:

* التمييز عن الحيوان: الحيوان تحركه الشهوة (اللحم بلا هيكل قيم يحكمها)؛ أما الإنسان فقد جعل الله له تقويماً {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}.

* الدلالة: عملية تحويل المضغة اللينة إلى عظام صلبة هي رسالة تربوية للروح؛ فكما قسّى الله أجزاءً من جسده (العظام (لتقوم ببندك، عليك أن "تقسّي" إرادتك أمام الشهوات لتقوم بروحك بإرادة العفاف هي "عظم الروح" الذي يحمي لحم الرغبة من السقوط في الوحل.

3. التناسل وبقاء النوع (النكاح لا السفاح):

* الوظيفة الحركية: العظام هي التي تمكن الإنسان من السعي والعمل والنكاح لإعمار الأرض.
* الوظيفة الغائية: حفظ الفروج هو الضمان الوحيد لبقاء النوع الإنساني "كريما؛ السفاح) الزنا (يهدم الأنساب ويضيع النوع، أما النكاح المبني على ميثاق غليظ صلب كالعظم فهو الذي يحفظ ثمرة التناسل.

* الربط: الانتقال من "مضغة" جنين (إلى "عظام" هو تمهيد لخروج إنسان جديد. هذا الإنسان لن يحافظ على نوعه إلا إذا كان لديه قوامه داخلية تحفظ فرجه وتوجه شهوته نحو الغاية السامية (التناسل الطاهر).

4. الربط بأحكام التجويد) تجسيد المفاهيم):

عند ربط "حفظ الفروج" بـ "خلق العظام"، نلاحظ في الأداء الصوتي:

* تكرار صفة الاستعلاء: في "حاف-ظون" حرف الظاء المطبق المستعلي يتكرر هنا كما في "عظاماً".
* الأثر التدبري: تكرار حرف الظاء بكل ما فيه من قوة وتفتيح وإطباق يربط في ذهن السامع بين صلابة العظم وصلابة العفة؛ فالحفظ يحتاج إلى قوة) ظاء، والعظم يمثل القوة) ظاء.
* الإخفاء في "عظاماً فكسوناً": يعكس مفهوم "الستر"؛ فالعظام تستر باللحم، والفرج يُستر باللباس و العفاف. هذا "الستر" هو الذي يميز الإنسان عن الحيوان الذي لا يستر عورة ولا يضبط غريزة.
خلاصة الربط:

الله سبحانه يعلمنا من خلال خلق العظام قبل اللحم أن القوة والمنهج والضابط) العظم (يجب أن يسبق المتعة واللين والشهوة) اللحم. (وحفظ الفروج هو التطبيق العملي لهذه القاعدة؛ فالمجتمع الذي يحفظ فروجه هو مجتمع له "هيكل صلب" لا ينهار، أما المجتمع الذي يتبع الشهوات فهو مجتمع "رخو" كالمضغة، لا قوام له ولا بقاء.

الأمر السادس

إن قوله تعالى { فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا } فيه إشارة إلى أن العظام بدأ خلقها قبل اللحم؛ لأنه لا بد من وجود شيء يحمل اللحم، وهذا الشيء لا بد أن يكون قوياً، وهذا ما اكتشفه العلم الحديث وبذلك بيان معجزة القرآن. كما أن الآية تبين أنه مثلما أن الجسد -الذي أصله من التراب- في عناية الخالق أثناء أطوار تكوينه جعل العظام قبل اللحم كي يحمل اللحم؛ فإن الروح بحاجة إلى تقويم قوة الحب والإرادة بحيث تحمل أمانة الخلافة. فلا بد من تطويع قوة الحب لتكون في الله عز وجل لتثبت جدارتك في استحقاق صفة الإيمان، ولا بد أن تضبط الشهوة بالإرادة القوية، ولذلك قال تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ لِقُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ... الخ}.

وهنا تلتقي "هندسة الخلق" تحول المضغة عظاماً (مع "هندسة السلوك") حفظ الفروج (بضبط قوة الشهوة التي أوجدت لبقاء النوع. فيكون الحب في الله وأداؤها للشهوة وإفراغها في الطريق الذي أمر الله به لبقاء النوع الإنساني بالنكاح الشرعي الذي يحفظ قوة الإنسان وما يميزه عن الحيوان، وهو ما يحتاج إرادة قوية. ولهذا فإن الفهم العميق للآيات يعني أن تربط بين "الصلابة البيولوجية" كشرط لحمل الجسد، وبين "الصلابة الإرادية" كشرط لحمل أمانة الخلافة.

وإليك تفصيل هذا الربط المنهجي في نقاط مركزة:

1. معركة "التصليد": من رغبة رخوة إلى إرادة صلبة

* في الخلق: "المضغة" تمثل المادة اللينة القابلة للتشكل بأي اتجاه، لكنها لا تصلح لإقامة قائمة؛ لذا كان لا بد من تحويلها إلى عظام) قوة صلبة).

* في السلوك: الشهوة بطبيعتها كـ "المضغة"؛ رغبة رخوة مندفعة ومتقلبة. الانتصار عليها في آية {وَالَّذِينَ هُمْ لِقُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ} هو عملية "تصليد" للإرادة.

* الربط: العبد الذي ينتصر على شهوته يحول "رخاوة" النفس إلى "صلابة" في الموقف. هذا "العظم الإرادي" هو الذي يجعله جديراً بحمل "لحم" المسؤولية والخلافة.

2. العظام كـ "هيكل الخلافة" السيادة على الذات):

* القوام: العظام هي التي تمنح الإنسان القوام المرفوع الذي يميزه عن الحيوان المنكب على وجهه.
* الخلافة: خليفة الله في الأرض لا يكون تابعا لشهوته كالمضغة التي تتبع من يمسها، بل يكون سيداً عليها.

* الاستنتاج: كما أن اللحم ينهار ويسقط لولا العظام، فإن "قوة الحب" التي هي طاقة هائلة لو لم تستند إلى "عظم" من العفة والتقوى، لتحولت إلى قوة تدميرية تهدم الإنسان والنسل. فالانتصار في معركة الفروج هو الذي يثبت أن هذا العبد يمتلك الهيكل الداخلي اللازم لتمثيل إرادة الله في الأرض.
3. استعمال "قوة الحب" فيما يرضي الله:

* توجيه الطاقة: الله لم يطلب إلغاء "المضغة" الشهوة/الميل، بل طلب تحويل جزء منها إلى "عظام" (ضوابط). (العظام لا تلغي اللحم بل "تحمله" وتوجه حركته؛ كذلك "العفة" لا تلغي الحب، بل تحمله ليكون حبا طاهراً نكاحاً وتناسلاً، فتتحول الطاقة من "فوضى الشهوة" إلى "نظام الخلافة".

* الجدارة: هنا يظهر مفهوم "الجدارة"؛ فالعبد الذي استعمل قوة إرادته لتطويع طاقة الحب في مسارها الشرعي، قد حاكى فعل الله في خلقه حيث طوع المادة الرخوة لتصبح هيكلًا قويًا.

4. الربط بأحكام التجويد) تجسيد معركة القوة):
 هذا المفهوم) الانتصار والقوة (يتجلى صوتياً في الآية عبر:
 * الشدة والجهر في القاف) فخلقنا): صوت القاف يحتاج إلى "حبس" للنفس والصوت ثم انطلاقه بقوة) قلقله. (هذا يصور لحظة "القرار والانتصار" في معركة الإرادة؛ فهي لحظة فيها شدة وانقباض ثم انطلاق نحو الفعل الصحيح.
 * الإطباق في الظاء) عظاماً): الإطباق هو إصاق جملة اللسان بالحنك الأعلى، وهو أقوى حركات الفم. هذا يجسد إحكام القبضة على الشهوة؛ فكما يطبق اللسان بقوة ليخرج حرف الظاء، يطبق المؤمن على شهوته بقوة العفة ليخرج "إنساناً" سوياً.
 * المد العوض في) عظاماً (عند الوقف: يعطي المد شعوراً بالاستقرار والتمكين، وهو حال العبد بعد الانتصار على شهوته؛ يشعر بـ "تمكين" واستقرار نفسي تماماً كاستقرار البدن على هيكله العظمي.
 خلاصة التدبر:

إن تحويل المضغة إلى عظام هو "آية كونية" تذكرنا بضرورة تحويل عواطفنا ورغباتنا إلى "مواقف صلبة". فالذي يحفظ فرجه هو إنسان امتلك "هيكلاً" عظمياً" لروحه، وبدون هذا الهيكل يظل الإنسان "مضغة" تتقاذفها الأهواء، ولا يصلح لمقام الخلافة السامي.

الأمر السابع

كما أن ما يلفت الانتباه هنا هو قوله تعالى) فخلقنا (بدلاً من) جعلنا؛ فما الفرق بينهما؟
 الفرق الدلالي بين اللفظين في هذا الموضع:
 1. "الخلق" هو الإيجاد من العدم والتقدير:
 كلمة) خلق (في اللغة تدور حول معنيين: التقدير) الهندسة الدقيقة)، والإيجاد على غير مثال سابق.
 * الدلالة في الآية: تحول "المضغة" إلى "عظام" ليس مجرد تغيير في الشكل، بل هو خلق جديد لمادة ذات خصائص مختلفة تماماً. فالمضغة) لحم (والعظم) نسيج كلسي صلب (يختلفان في التكوين الذري والوظيفي).
 * لماذا لم يقل جعلنا؟ "جعل" غالباً ما تستخدم لتحويل الشيء من حال إلى حال مع بقاء أصله (مثل جعل الطين إبريقاً)، أما "خلق" فتشير إلى أن الله أوجد في هذا الطور "ماهية جديدة" وقدر لها تقديرًا هندسيًا لا يمكن أن يكون مجرد صدفة أو تحول تلقائي.
 2. "الخلق" والسيادة على المادة) ربطاً بمعركة الشهوة):
 بما أنه قد ربطنا الموضوع بالانتصار على الشهوة، فإن استخدام "خلقنا" يحمل دلالة "السيادة المطلقة".
 * الفعل الإلهي: الخلق فعل يختص به الله وحده، واستخدامه هنا يشير إلى أن الله هو الذي "قَدَّرَ" لك هذه القوة) العظام).
 * الرسالة للسلوك: كما أن الله "خلق" العظم ليكون سيداً على حركة الجسد وحاملاً "للحم"، فإنه سبحانه هو الذي "خلق" فيك القدرة على أن تكون سيداً على شهوتك. فالعفة ليست "جعلية" عارضة، بل هي مطلب وجودي يتوافق مع الفطرة التي خلقك الله عليها.
 3: الفرق بين "الصيرورة" و"الإيجاد"
 * جعلنا: قد تفيد الصيرورة، أي صيرورة المضغة عظاماً، وهذا قد يوحي بأن المادة هي التي تطورت من تلقاء نفسها.
 * خلقنا: تنسب الفعل لله مباشرة بصيغة العظمة "نا"، لتؤكد أن هذا التحول الإعجازي هو تدخل إلهي مباشر؛ وهذا يقطع الطريق على الفلسفات المادية التي تدعي التطور العشوائي، ويؤكد أن الانتقال من "الرخاوة" إلى "الصلابة" هو قرار إلهي لتهيئة العبد لمقام الخلافة.
 4. الربط بأحكام التجويد) الفرق الصوتي)
 * كلمة "جعلنا": (حروفها) الجيم، العين، اللام (حروف وسطية، ليس فيها قوة "القاف" ولا انحباس "الخاء".
 * كلمة "فخلقنا": تبدأ بـ "الخاء" وهو حرف استعلاء فيه بحة وقوة، وتنتهي بـ "القاف" وهو حرف شدة وجهر وقلقله.
 * الأثر التدبري: نطق "فخلقنا" يتطلب مجهوداً عضلياً وصوتياً أكبر من "جعلنا"؛ هذا "الثقل الصوتي" يتناسب مع عظمة الحدث وهو تخليق العظام من العدم. والقلقله في القاف توحى بـ "الضربة الإلهية" التي شكلت المادة اللينة وصيرتها عظاماً صلبة، مما يعزز في نفس القارئ هيبة الخالق وقوة إرادته.
 الخلاصة:
 اختيار "فخلقنا" يؤكد أن طور العظام هو ميلاد جديد للقوة داخل الجنين، وهو ما يخدم فكرتك بأن العبد "يُخلق" خلقاً جديداً بانتصاره على شهوته، فينتقل من طور "الإنسان المادي" المضغة (إلى طور "الإنسان الرباني" العظام/ القوامه).

أخيراً:

إن الانتقال من مرحلة "المضغة" إلى مرحلة "العظام" يمثل قمة الإعجاز الهندسي في خلق الإنسان،

ويمكن تلخيص هذا التحول في النقاط التدبرية التالية:

1. تدبر تحول اللين إلى صلابة) القدرة المطلقة):

المضغة في اللغة هي قطعة اللحم بقدر ما يُمضغ، وهي مادة رخوة لا قوام لها، وتحولها إلى "عظام" صلبة هو إثبات لقدرة الخالق على تغيير طبائع الأشياء.

* بيولوجياً: يبدأ نسيج العظام بالظهور من وسط هذه المضغة اللينة، حيث تتصلب الخلايا لتشكل الهيكل الصلب.

* إيمانياً: من استطاع أن يخرج من "اللحم الرخو" عظاماً شديدة الصلابة، هو القادر على إحياء العظام وهي رميم، وهو القادر على تبديل حال العبد من الضعف إلى القوة بكلمة "كن".

2. الترتيب قبل الكساء) الحكمة الإلهية):

لماذا جاء ذكر العظام مباشرة بعد المضغة؟ لأن العظام هي "الأعمدة الحاملة" للجسد.

* التأسيس الهيكلي: لا يمكن بناء صرح أو خيمة دون أعمدة؛ فخلق العظام أولاً " يوفر المسند الذي سيلتف حوله اللحم) العضلات (لاحقاً).

* تحديد القوام: العظام هي التي تعطي الإنسان شكله المميز وقوامه المستقيم؛ لولا هذا الترتيب لكان الإنسان كتلة لحمية هلامية بلا هوية أو حركة منتظمة.

3. سرعة التحول في حرف "الفاء":

قوله تعالى "فخلقنا" بحرف الفاء يدل على الترتيب والتعقيب السريع. وهذا يشير إلى أن عملية "التحول" تبدأ مباشرة بمجرد اكتمال طور المضغة، وكأن هناك أمراً إلهياً فوراً للخلايا بأن تتخذ شكلاً ووظيفة جديدة تماماً. هذا الانضباط الزمني يطرد فكرة العشوائية، ويؤكد أن كل خلية في جسدك تسير وفق "منهاج" رباني دقيق لا يخطئ وقته.

الخلاصة التدبرية:

هذا التحول يعلمنا أن الله سبحانه يبني "الداخل" ويضع "الأساسات الصلبة" قبل أن يكسو الظاهر بـ الجمال؛ فالعظام هي جوهر القوة والخفاء، والمضغة هي أصل التكوين، والجمع بينهما هو كمال الصنعة.

المبحث الثالث: الانتقال من "خلق العظام" إلى "كساء اللحم"

"فكسونا العظام لحماً"، يعني الانتقال من مرحلة القوة إلى مرحلة الجمال، ولهذا فإن ربط ذلك بما ورد في صفات المؤمنين أهل الفلاح) والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون (يفتح باباً واسعاً لفهم فلسفة الجمال والستر في الإسلام. فإذا كانت العظام هي "الحقيقة الصلبة والمنهج"، فإن اللحم هو "الجمال و الرحمة والستر".

إليك شرح كيف يتجلى هذا التوازن الإلهي وربطه بالزينة الإيمانية) الوفاء بالعهد وأداء الأمانات):

1. تجلي الرحمة والجمال في "الكساء":

خلق الله العظام قوية لتحمل، لكنه سبحانه بجماله ورحمته لم يتركها بارزة خشنة؛ لأن العظم بمفرده -رغم قوته- يحمل مظهراً موحشاً وقاسياً.

* الرحمة في الليونة: كسا الله العظم باللحم ليجعل الجسد ليناً قابلاً للمس والتعامل، فخفف بـ اللحم من قسوة العظم.

* الجمال في التشكيل: اللحم هو الذي يعطي الإنسان تضاريسه الجمالية، ويمحو الهيكل العظمي الموحد ليجعل لكل إنسان وجهاً وهيئة وصورة متميزة) في أي صورة ما شاء ركبك).

* الستر: اللحم يعمل كستار إلهي يغطي دواخل الجسد، فيبدو الإنسان من الخارج جميلاً " سويًا، بينما في داخله تفاصيل معقدة تولاهها الخالق بالستر.

2. الربط بـ "الوفاء بالعهد وأداء الأمانات" كزينة للروح:

في مطلع السورة ذكر الله صفات المؤمنين) والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون؛ هذا الوفاء هو "اللحم الجمالي" الذي يكسو عظام "الإيمان".

* الأمانة كزينة: كما أن اللحم يزين العظم ويستره، فإن أداء الأمانة والوفاء بالعهد يزين شخصية الإنسان ويجعلها في عيون الخلق والخالق. الإنسان الذي يفي بعهده يبدو جميلاً " في تعامله، موثقاً في خلقه، تماماً كما يبدو الجسد المكسو باللحم جميلاً " سويًا.

* الستر الأخلاقي: الأمانة تستر عيوب النفس؛ فالإنسان الأمين يغطي بوفائه أي نقص آخر، بينما الخيانة تجعل الإنسان "عارياً" معنوياً، كالعظم الذي فقد كساؤه فصار منظره منفراً.

* مراقبة الله: كما أن الله هو الذي كسا العظام لحماً بـ "لطفه الخفي"، فإن المؤمن يراقب الله في الأمانات بـ "إخلاصه الخفي". الجمال الحقيقي للوفاء ينبع من كون المؤمن يفعل لله) في الخفاء (ليظهر أثره جمالاً " في السلوك أمام الناس؛ فالروح لا بد لها من غطاء ولباس يكسوها، لباس يعطيها الزينة، وهذا اللباس هو لباس التقوى كما قال تعالى في موضع آخر) ولباس التقوى ذلك خير).

التقوى هي التي تعطي للإنسان الزينة والجمال، والعهد والوفاء بالعهد والأمانات تحتاج إلى مراقبة الله عز وجل؛ لأن الإنسان في هذه الدنيا مؤتمن على جسده وعلى ماله وعلى سمعه وعلى بصره، فكل شيء لديه أمانة هي ملك لله عز وجل. ولذلك فالإنسان إذا خلا من التقوى يمكنه أن يخون

هذه الأمانات خاصة في الخلوات؛ لأن جميع تعاملات الإنسان -سواء مع نفسه أو مع غيره- هي عهود منبثقة من عهد الإيمان، ومن هنا نفهم معنى قوله تعالى) والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون (وبين هذه الآية.

3. الربط بأحكام التجويد) تجسيد الرقة والستر):

القرآن الكريم يصور هذا الكساء الجمالي عبر أصوات رقيقة في قوله تعالى "فكسونا العظام لحماً": * السين في) فكسونا(: حرف السين فيه صفة "الصفير" و"الهمس"; صوت السين يوحي بالنعومة والانسلاخ، تماماً كما يكسو اللحم العظام بنعومة ولطف.

* الحاء واللحظة الجمالية في) لحماً(: حرف الحاء حرف حلقي يخرج بنسمة هواء رقيقة؛ نطق كلمة "لحماً" يتطلب هدوءاً في المخارج، مما يجسد مفهوم الرحمة والسكينة التي تعقب مرحلة خلق العظام الصلبة.

* تنوين النصب) لحماً(: عند الوقف، الألف الممدودة في النهاية تعطي "سعة" واسترخاء في الصوت، وهو ما يتناسب مع الراحة والجمال الذي يوفره اللحم للبدن بعد اكتمال هيكله. الخلاصة: الجمال هو "كمال الوظيفة"

* في الجسد: الجمال هو أن يكسى العظم) القوة (باللحم) الرحمة.)

* في الأخلاق: الجمال هو أن تكسى القوة والسيادة على الذات) العفة (بالوفاء بالعهود وأداء الأمانات.)

العبد الذي يفني بعهد هو إنسان مكتمل "الخلق"; فقد أقام عظام دينه بالثبات وكساها بجمال الأمانة والوفاء، فأصبح في عمارة الأرض "خلقاً آخر" يفيض رحمة وجمالاً، تماماً كما اكتمل خلق الجنين بكساء اللحم. بهذا الربط البديع، يتضح أن القرآن لا يشرح "بيولوجيا" فقط، بل يبني "شخصية" كاملة.

المبحث الرابع: ثم أنشأناه خلقاً آخر)

نختم هذا التدبر بشرح قوله تعالى) ثم أنشأناه خلقاً آخر(. وكيف تمثل هذه المرحلة "تتويجاً" لرحلة الخلافة الإنسانية؟

تأتي خاتمة هذا الخلق الإعجازي في قوله تعالى: «ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ» (المؤمنون: 14)، لتمثل "لحظة التتويج" التي ينتقل فيها الكائن من مجرد "تكوين بيولوجي" (عظام ولحم) إلى "كائن إنساني" يحمل سر الخلافة.

إليك الربط النهائي لهذه المرحلة بجدارة الإنسان ومقام خلافته:

1. دلالة "النشأة الأخرى": نفخ الروح والسيادة:

* المفهوم: بعد أن اكتمل الهيكل (العظام) (والكساء) اللحم)، قال الله "أنشأناه" ولم يقل "خلقناه"؛ و النشوء فيه معنى الارتفاع والنمو والظهور. هي لحظة نفخ الروح التي جعلت من هذا الجسد كائناً عاقلاً لا، سميعاً بصيراً.

* الربط الأخلاقي: كما أن الجنين لا يصبح إنساناً كاملاً إلا بنفخ الروح، فإن العبد لا يصبح "خليفة" حقيقياً لله بمجرد الالتزام الظاهري، بل عندما تنفخ "روح الإخلاص" في أفعاله. الوفاء بالعهود وأداء الأمانات -التي ناقشناها- هي التي تجعل منك "خلقاً آخر" متميزاً عن سائر المخلوقات التي تأكل وتشرب وتتصلب أجسادها فقط.

2. "خلقاً آخر": التفرد والمسؤولية:

* التمييز عن الحيوان: الحيوان له عظام ولحم، لكنه لم ينشأ "خلقاً آخر" بهذا المعنى التكليفي.

* الإرادة: "الخلق الآخر" هو الإنسان الذي يملك إرادة الانتصار على شهوته (الفروج) (والوفاء بعهد) الأمانة.)

* الجدارة بالخلافة: هذه المرحلة هي التي أهلت الإنسان للسجود له من قبل الملائكة؛ إنها "نشأة الوعي". الوعي الذي يجعلك تستعمل "عظام" مبادئك و"لحم" رحمتك في عمارة الأرض وفق منهج الله. 3. الربط بأحكام التجويد) هيبة الختام والتعظيم):

تأمل كيف تنتهي الآية صوتياً لتعلن جلال هذا المشهد:

* المد المنفصل في) أنشأناه(: المد هنا يعطي مساحة زمنية وصوتية واسعة توحى بعظمة هذا "النشوء" وعلو قدره؛ كأن الصوت يمتد ليعبر عن امتداد أثر الروح في الجسد.

* الإخفاء في) أنشأناه(: وجود النون المخفاة قبل الشين يضفي نوعاً من "السرية" والغموض المحمود؛ فالروح التي جعلتك "خلقاً آخر" هي من أمر الله الخفي) قل الروح من أمر ربي(، وصوت الإخفاء يجسد هذا السر اللطيف.

*

خلاصة اللوحة التدريبية: هندسة النفس والجسد

بناءً على رحلتنا التدريبية، يمكننا تلخيص "منهاج الخلافة" من خلال هذه الآية:

* المضغة - العظام: هي مرحلة تأسيس القوة؛ الانتصار على رغبات النفس الرخوة) حفظ الفروج (لبناء هيكل إرادي صلب.

* العظام - اللحم: هي مرحلة "تأطير الجمال"؛ تحويل هذه القوة إلى ستر، ورحمة، ووفاء بالعهد، وأداء للأمانات التي تزين ظاهر الإنسان وباطنه.
* خلقاً آخر: هي مرحلة "إعلان الخلافة"؛ حيث تلتقي القوة (العزم مع الجمال) الخلق (لتنجج إنساناً ربانياً يعمر الأرض بروح الله.
« * فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ »: ليست مجرد تسبيح، بل هي إقرار بأن هذا التصميم الجسدي والأخلاقي هو أرقى صور الوجود، وأن الحفاظ على هذا "التصويب الإلهي" في نفوسنا هو جوهر العبادة.

رابعاً: تحليل الآية 15 من سورة "المؤمنون"

تعد الآية 15 من سورة "المؤمنون" محطة مركزية في بيان صيرورة الوجود الإنساني، حيث يقول الله تعالى: {ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ}. تأتي هذه الآية بعد استعراض دقيق لمراحل خلق الإنسان من نقطة وعلاقة وصولاً إلى كونه خلقاً آخر، لترتبط البداية بالنهاية الحتمية.
فيما يلي تحليل شامل وممنهج لهذه الآية الكريمة:

1. التفسير والبيان:

* المعنى العام: بعد أن ذكر الله أطوار الخلق العجيبة ونفخ الروح، أخبر أن هذه الحياة الدنيا ليست دار قرار، بل يعقبها الموت لا محالة.
* دلالة "ثم": تفيد التراخي الرتبي والزمني؛ أي أن هناك فترة زمنية (الحياة الدنيا) يقضيها الإنسان بعد اكتمال خلقه قبل أن ينتقل إلى طور الموت.
* التأكيد: استخدمت الآية أدوات توكيد قوية ("إن" واللام المزحلقة في "لميتون") (لقطع أي شك أو غفلة قد تعتري الإنسان تجاه هذه الحقيقة المطلقة).

2. المقاصد والأهداف:

* كسر الغرور: تذكير الإنسان بأنه مهما بلغت قوته في "الخلق الآخر"، فإن نهايته هي العجز والموت.
* الربط بالبعث: التمهيد للآية التي تليها) ثم إنكم يوم القيامة تبعثون؛ فالموت ليس عدماً بل هو جسر للجزاء.

* توازن الرؤية: جعل الإنسان ينظر للحياة كرحلة مؤقتة لها نقطة وصول محددة.

3. المفاهيم والدروس المستفادة:

* مفهوم الحتمية الكونية: الموت قانون يسري على الجميع، لا يستثنى أحداً مهما علا شأنه.
* مفهوم الانتقال: الموت ليس نهاية الوجود، بل هو انتقال من طور (الدنيا) (إلى طور) البرزخ).
* الدرس التربوي: أن الاستعداد للرحيل يبدأ من لحظة إدراك حقيقة "لميتون".
4. الجوانب البلاغية:

* اسمية الجملة: تعبير "لميتون" بالجملة الاسمية يدل على الثبوت والتحقق، فالموت صفة ثابتة مكتوبة على الأحياء.

* الإيجاز والإعجاز: بكلمات قليلة اختصرت الآية نهاية التاريخ الشخصي لكل إنسان.
* التناسب السامي: جاءت بعد ذكر "أحسن الخالقين" لبيان أن كمال الخلق في الدنيا (إلى طور) البرزخ).
الفناء، تمجيداً لعظمة الخالق المتفرد بالبقاء.
5. الحياة العملية: ما نتعلمه وما ندعونا إليه:

تتحول الآية من نص خبري إلى منهج عملي من خلال:

* التطبيقات العملية:

* ترتيب الأولويات: إدراك قصر الوقت يدفعنا لإنجاز المهام الأهم (العبادة، نفع الناس، عمارة الأَرْض (قبل فوات الأوان).

* النزاهة والعدل: من يعلم أنه سيموت ويحاسب، يمتنع عن الظلم وأكل حقوق الآخرين.
* التخطيط للمستقبل الحقيقي: كما يخطط الإنسان لمستقبله في الدنيا، تدعوه الآية للتخطيط لما بعد الموت بالعمل الصالح.

* ما ندعونا إليه الآية:

* اليقظة المستمرة: عدم الانغماس في الماديات لدرجة نسيان المصير.
* المسارعة في الخيرات: "لميتون" توحى بأن الأجل قد يأتي بغتة، مما يستوجب المبادرة.
* عمارة الأرض بنية الاستخلاف: أن تترك أثراً صالحاً، صدقة جارية، أو علماً يُنتفع به يستمر بعد انقطاع أجلنا.

6. تأملات وفوائد:

* تأمل في الترتيب: لماذا ذكر الموت بعد خلق الإنسان مباشرة؟ ليعلم الإنسان أن الموت ملتصق بالحياة، وأن كل نفس يندية من تلك اللحظة.

* الفائدة النفسية: ذكر الموت يورث الزهد في الفاني، والرضا بالقليل، والطمأنينة عند وقوع المصائب؛ فهو "هادم الذات ومخفف الأزمات".

7/ربط الآية 15 بسلوكيات الحياة اليومية) رؤية تحليلية)

تنتقل الآية) ثم إنكم بعد ذلك لميتون (من كونها حقيقة "بيولوجية" إلى كونها "قاعدة إدارية" لحياة ا

لإنسان:

- * مفهوم "الاستعداد الدائم": في العمل المهني نعد التقارير قبل مواعيد التسليم، والآية تدعونا لإعداد تقرير العمر قبل لحظة الموت المفاجئة؛ هذا يولد انضباطاً ذاتياً عالياً.
- * التوازن بين الطموح والزهدي: الآية لا تدعو لتترك العمل، بل لعدم "التأليه" للمادة. ابن القصور واعمل للعالم كأنك تعيش أبداً، ولكن بقلب يدرك أنه "ميت" غداً، مما يمنع الجشع والفساد.
- * فقه الأثر: بما أن الموت حتمية، فإن الذكاء العملي يقتضي تحويل "الفاني" إلى "باق"؛ علم يُنتفع به، صدقة جارية، بناء مؤسسي ناجح، ليبقى أثرك ممتداً بعد الآية 15.
- * تأمل في الربط اللغوي) الدقة البيانية):
- * لاحظ استخدام "ثم" في كل المراحل للدلالة على أن هناك فرصة زمنية بين كل طور وآخر .
- هذه "الفرصة" هي التي نسميها) العمر، وهي رأس مال الإنسان الوحيد.
- * التأكيد بـ "إن" و"اللام" (في) لميتون؛ لأن الإنسان بطبعه يميل لنسيان الموت والانغماس في الغفلة، فجاء التوكيد ليعيد الوعي لمساره الصحيح.

الدرس الأول: إنزال الآية 15 على الواقع العملي والمهني

إنزال الآية 15 من سورة "المؤمنون" على واقعنا العملي والمهني والاجتماعي يحولها من مجرد "خبر عن نهاية" إلى "دستور للإدارة والإنجاز". إليك تفصيل هذه الوقفات والرسائل في سياق الحياة العملية:

1. التفسير العملي) فقه المآلات):
 - * في حياتنا العملية، التفسير الحقيقي لهذه الآية هو "إدارة النهايات".
 - * كما أن لكل مشروع تاريخ انتهاء، فإن حياة الإنسان هي المشروع الأكبر الذي له نهاية حتمية.
 - * التفسير العملي هنا هو عدم الانغماس في الوسائل) أطوار الخلق والنمو (ونسيان الغايات) ما بعد الموت).
2. وقفات منهجية في الواقع التطبيقي:
 - * وقفة مع "تراكم الإنجاز": الآية جاءت بعد ذكر مراحل تطور دقيقة) نطفة، علقة، مضغة. (الوقفة العملية هنا هي أن الموت سيأتي ليحصد ثمار هذه المراحل؛ فهل ما بنيت في مراحل قوتك ونشاطك المهني يستحق أن يكون خاتمة لجهدك؟
 - * وقفة مع "توازن الطموح": النجاح العملي مطلوب، لكن الآية تضع "كابحاً" أمام الطموح غير المنضبط الذي قد يدفع الإنسان لسحق الآخرين من أجل منصب أو مال زائل.
3. الفوائد العملية) الذكاء الاستراتيجي):
 - * تجاوز الأزمان: إدراك حتمية الموت يقلل من وطأة الخسائر المادية أو المهنية. فإذا كانت الحياة نفسها مؤقتة، فإن فشل صفقة أو ضياع فرصة عمل ليس نهاية العالم.
 - * التحفيز الذاتي: "لميتون" تعني أن الوقت محدود، وهذا هو أكبر محفز للإنسان لكي لا يؤجل عمل اليوم إلى الغد.
4. الرسائل الجوهرية) رسائل للموظف والمسؤول):
 - * رسالة "الأمانة": المنصب والكرسي الذي تجلس عليه اليوم سيفارقك إما بالموت أو بالتقاعد؛ فاجعل ذكراك فيه طيبة.
 - * رسالة "الاستخلاف": أنت لست مالكا حقيقيا لما تحت يدك من موارد، بل أنت مستخلف لفترة وجيزة قبل الانتقال للطور التالي.
 - * رسالة "الجودة": بما أن العمل سينقطع بالموت، فليكن العمل الذي تتركه خلفك "إحساناً" يبقى أثره.
5. التوجيهات السلوكية) خارطة طريق):
 - * الاستعداد الدائم: كن جاهزاً دائماً لتسليم "عهدة" حياتك وعملك في أي لحظة وبأفضل صورة ممكنة.
 - * التوثيق والترتيب: وهذا يتقاطع مع اهتماماتك بالتنظيم؛ فالإنسان العملي الذي يدرك "لميتون" يحرص على ترتيب شؤونه، كتابة وصيته، توثيق حقوق الناس لديه، وتنظيم ملفات عمله لكي لا يضيع جهد من بعده.
 - * بناء الصف الثاني: في الإدارة، إدراك أنك لن تدوم في مكانك يوجهك لتدريب الآخرين ونقل الخبرة لضمان استمرار النفع.
6. الدروس المستفادة) التطبيق المهني):
 - * الدرس الأول: الحياة الدنيا هي فترة تجريبية لاختبار كفاءتك فيما سيأتي بعدها.
 - * الدرس الثاني: التواضع المهني؛ فمهما بلغت من العلم والدرجات الوظيفية، نهايتك هي نهاية أبسط عامل في مؤسستك.
 - الدرس الثالث: الاستثمار في الأصول الباقية) العلم، الصدقة، الولد الصالح، الأثر الحسن في بيئة العمل (هي الأصول الوحيدة التي لا تخضع لقانون الفناء في الآية.

: استخلاص المفاهيم من قوله تعالى "ثُمَّ إِنَّكُمْ بِغَدٍ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ" وتنزيلها على الحياة العملية

يحول هذه الحقيقة الكبرى إلى أدوات إدارية وسلوكية فعالة. إليك أهم هذه المفاهيم:

1. مفهوم إدارة الموارد المحدودة:
في عالم المال والأعمال، أثنى مورد هو "الزمن". الآلية تؤصل لمفهوم أن العمر "مشروع ذو مدة محددة".

* التطبيق العملي: التوقف عن التسويف؛ إدراك حتمية الموت يدفعك لإنهاء مهامك اليومية بأقصى كفاءة، لأن "الموعد النهائي" للحياة غير معلوم.

2. مفهوم "الأثر الممتد":
بما أن الذات ممتدة لا محالة، فإن الذكاء العملي يقتضي الاستثمار في "الأصول غير الفانية".
* التطبيق العملي: الدعوة إلى الله، خدمة محتاج، المساهمة في عمل خيري، بناء نظم عمل، تأليف كتب، وتدريب كوادر، وترك بصمات مهنية تظل تعمل وتنتج نفعاً وتؤجر عليها حتى بعد رحيلك "مت أنت وليبق أثرك".

3. مفهوم "تصغير النزاعات":
الموت هو القاسم المشترك الذي سيتساوى عنده المدير والموظف، الغني والفقير.
* التطبيق العملي: خفض سقف الصراعات الشخصية في بيئة العمل. هذا المفهوم يمنحك "سلاماً داخلياً" ويجعلك تركز على الإنجاز بدلاً من تبديد الطاقة في الخصومات؛ لعلمك أن الجميع راحلون.

4. مفهوم "الرقابة الذاتية":
الآلية تقع بين "الخلق الإعجازي" و"البعث للحساب"، والموت هو الجسر بينهما.
* التطبيق العملي: الأمانة المهنية دون الحاجة لرقيب بشري؛ المفهوم هنا هو أن "نهاية الخدمة" في الدنيا هي "بداية العرض" في الآخرة، مما يجعلك تتقن عملك وكأنك تراه في كتابك غداً.

5. مفهوم "المرونة النفسية":
إدراك "لميتون" يعطي حجماً حقيقياً للمشكلات العملية.
* التطبيق العملي: عدم الانهيار أمام الأزمات المهنية أو خسارة الصفقات؛ فإذا كانت الحياة نفسها ستنتهي، فإن أي مشكلة دون ذلك هي مشكلة قابلة للحل أو "مؤقتة"، مما يمنحك ثباتاً انفعالياً عالياً في مواجهة الضغوط.

6. مفهوم "التوثيق والشفافية":
بما أن الرحيل قد يكون مفاجئاً؛ "ثم" تدل على التراخي لكن الأجل مستتر.
* التطبيق العملي: الحرص على توثيق الحقوق، وكتابة العقود بدقة، وتنظيم الملفات؛ بحيث إذا غبت عن المشهد لأي سبب، لا تختل مصالح الناس ولا تضع حقوقهم. هذا هو "التنظيم الواعي" بالمصير.

خلاصة المفهوم العملي للآلية:
اعمل بمهنية الخالدين واستعد بروح الراحلين. الآلية هي دعوة لرفع جودة الحياة العملية وليس للقعود عنها؛ فالموت المحقق يستوجب عملاً "محققاً يبقى أثره".

الدرس الثالث: ما دلالة تذكر حتمية الموت ونهاية الرحلة الدنيوية وما هي الدروس المستفادة من فهم هذه الحقائق؟

إن تذكر حتمية الموت، كما جاء في قوله تعالى "ثُمَّ إِنَّكُمْ بِعَذَابِكُمْ لَمَيّتُونَ"، ليس دعوة للانقطاع عن الحياة، بل هو "بوصلة" لضبط المسار المهني والسلوكي. إن فهم هذه الحقيقة يمثل "نظام جودة شاملاً" لحياة الإنسان. إليك تحليل الدلالات والدروس المستفادة:

1. عدم الاغترار بالدنيا (مفهوم الحجم الحقيقي):
* الدلالة: إدراك أن الدنيا محطة عبور وليست "مستقراً".

* الدرس المستفاد: التحرر من عبودية المادة والمناصب؛ فمن يعلم أنه راحل لا يربط قيمته الشخصية بمكاسب فانية، مما يمنحه "مناعة نفسية" ضد الغرور عند النجاح، وضد اليأس عند الفشل. الدنيا في يده ليعمرها، وليست في قلبه لتملكه.

2. الاستعداد لليوم الآخر (التخطيط الاستراتيجي للمصير):
* الدلالة: تحويل اليقين بالموت إلى "خطة عمل" لما بعده.

* الدرس المستفاد: الانتقال من "العشوائية" إلى "القصدية". الاستعداد ليس مجرد شعور، بل هو "استثمار في الأصول الباقية". في حياتك العملية، يعني هذا أن يكون عملك مشروعاً لآخرك؛ فتتحول المهنة (محاماة، بحث، إدارة) إلى عبادة إذا أخلصت فيها النية وأديت فيها الحقوق.

3. ترقب الموت كدافع للعمل الصالح (قانون المسارعة):
* الدلالة: الموت هو "الموعد النهائي" الذي لا يقبل التمديد.

* الدرس المستفاد: فقه المبادرة. ترقب الموت يولد طاقة إيجابية لإنهاء المهام الصالحة الآن. "إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها"؛ فهذا الترقب يحول دون "التسويف" ويجعل الإنسان

يحرص على أن تكون كل لحظة في سجله هي لحظة بناء وعطاء.

4. إصلاح العمل والسلوك (الرقابة الذاتية الصارمة):

* الدلالة: اليقين بأن الموت ينهي فرصة التعديل ويبدأ "وقت العرض".

* الدرس المستفاد: تجريم الظلم والفساد. من يضع الموت نصب عينيه، يخشى أن يقبض وهو على معصية أو مظلمة. هذا يؤدي إلى تقويم السلوك المهني؛ فيصدق في قوله، ويعدل في حكمه، ويؤدي أمانته، لأن "صحيفة العمل" ستختم بلحظة الموت ولن تفتح إلا للحساب.

5. الموازنة بين متطلبات الدنيا والآخرة (العيش المتزن):

* الدلالة: الموت لا يلغي الحياة، بل يعطيها قيمتها الحقيقية كمزرعة للآخرة.

* الدرس المستفاد: التكامل لا التعارض. فهم حتمية الموت يدفعك لتعمير الدنيا بأفضل صورة لأنك مأمور بالإعمار، ولكن بقلب معلق بالآخرة. هي موازنة بين "إتقان السبب" و"تعلق القلب بالمسبب". أنت تبني في الدنيا بناءً متيناً ليس لأجل الدنيا بل للآخرة؛ فالمحامي عندما يدافع عن موكله ببراعة، ينبغي أن يكون ذلك ليس لأجل الدنيا فقط، بل ليكون هذا الإتقان هو زاده الذي يقابل به ربه، وهكذا.

الدرس الرابع: ماذا يعني مفهوم فقه المآلات وعلاقته بما ورد في الآية وكيف ننتفع من هذا الفهم في حياتنا العملية؟

يعد "فقه المآلات" من أرقى المفاهيم الأصولية والمقاصدية، وهو ببساطة: "النظر في عواقب الأفعال وما ستنتهي إليه الأمور قبل الإقدام عليها". إن الربط بين هذا الفقه والآية 15 من سورة المؤمنون "ثُمَّ إِنَّكُمْ يَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ" يمثل قمة الذكاء الإنساني في إدارة الحياة. إليك التفصيل:

أولاً: علاقة "فقه المآلات" بالآية الكريمة:

الآية تخبرنا بالمآل النهائي والمحتوم لكل إنسان (الموت). العلاقة هنا تكمن في:

* المآل الكلي: الآية تحدد نهاية الخط الزمني لكل نشاط بشري، مما يفرض على الإنسان أن يزن أفعاله الحالية بميزان مآله الأخير.

* كشف الغفلة: الإنسان بطبعه يغرق في "الوسائل" (النمو، المال، القوة)، فجاءت الآية لتذكره بـ "المآل" (النهاية)، ليكون فعله الحالي منضبطاً بنهايته المتوقعة.

* الربط السببي: كما أن النطفة مآلها أن تكون خلقاً سوياً، فإن الحياة الدنيا مآلها الموت، والموت مآله البعث. هذا التسلسل يفرض "التفكير الرجعي"، أي ابدأ من النهاية لتعرف كيف تبدأ الآن.

ثانياً: كيف ننتفع من هذا الفهم في حياتنا العملية؟

تطبيق فقه المآلات المستمد من الآية يغير طريقة إدارتك لعملك وبحوثك وقضاياك القانونية كالتالي:

* مآل الكلمة والموقف في العمل القانوني والبحثي:
* التطبيق: قبل كتابة دفع قانوني أو بحث علمي اسأل نفسك: "ما مآل هذا الكلام؟ هل سينصر حقاً أم سيثبت باطلاً؟".

* الانتفاع: ستجد نفسك تتجنب المواقف التي قد تحقق ربحاً مؤقتاً لكن مآلها "خزي" أو "مسؤولية" أمام الله بعد الموت. هذا يورثك "النزاهة الاستباقية".

* مآل الأثر المهني (بناء السمعة والذكر):

* التطبيق: النظر إلى عملك اليوم كأنه "تركة" ستخلفها وراءك.

* الانتفاع: يدفعك هذا لتجويد وإتقان العمل الذي تقوم به؛ فالحقوقي والباحث يدفعه هذا لتجويد الأرشفة وفهرسة البحوث وتنظيم القضايا بدقة؛ لأن مآل هذا الجهد أن يكون مرجعاً ونفعاً مستمراً يلحقك ثوابه بعد "الميتون". والمهندس يدفعه هذا إلى إتقان العمل بحيث لا يترك أي خلل في البناء، والمعلم يدفعه إلى تربية التلاميذ وبذل الجهد الذي يغرس في نفوسهم العلم النافع، وهكذا يصبح كل صاحب مهنة في المجتمع حريصاً على إتقان العمل وأداء ما يكلف به على أكمل وجه؛ لأنه موقن بأنه سوف يجد الثواب في الآخرة.

* مآل النزاعات والخصومات (الإدارة الأخلاقية):

* التطبيق: عند الدخول في خصومة مهنية، تذكر مآلها في ميزان الآية (الكل سيموت وسيقف الخصمان بين يدي الله).

* الانتفاع: هذا الفهم يجعلك تميل إلى "الصلح" أو "العدل المطلق" وتتجنب الفجور في الخصومة؛ لأنك تدرك أن المآل هو التساوي في التراب، فلا داعي لظلم مآله الحسرة.

* مآل إدارة الوقت والموارد:

* التطبيق: مآل كل دقيقة تقضيها هو أنها "تقتطع" من رصيدك المحدود للوصول إلى لحظة الوفاة.

* الانتفاع: الانتقال من "الإدارة العشوائية" إلى "الإدارة بالمقاصد"؛ ستجد نفسك ترفض المهام التافهة أو المشتتة لتركز على ما له "مآل" نفعي عظيم في الدنيا والآخرة.

ثالثاً: قاعدة ذهبية للعمل بموجب فقه المآلات:

< "لا تنظر إلى لذة الفعل الحالية، بل انظر إلى ما يؤول إليه عند انقطاع الأجل".

< * مثال تطبيقي من واقعك: المحاسب أو أمين السر عندما يقوم بتنسيق وفهرسة الملفات بدقة متناهية:

* الفعل الحالي: جهد بدني وذهني مرهق.
* فقه المآلات: المال هو حفظ حقوق الناس، تيسير العمل لمن بعدك، ونيل أجر الإتيان. عند الموت يظل هذا العمل في ميزان حسناتك؛ فهذا الفهم يجعل التعب "محبباً" والنظام "ضرورة".

الدرس الخامس: دلالة الآية كـ "مكبج أخلاقي" وفرصة للعمل

تعد الآية 15 من سورة المؤمنون "ثم إنكم بعد ذلك لميئون" بمثابة "المكبج الأخلاقي" واليقظة الشعورية التي تضبط إيقاع النفس البشرية. إنها ليست مجرد إخبار بوفاة، بل هي أداة تربوية لإعادة النفس إلى "نقطة الرشد".
أولاً: الآية كـ "فرامل" للنفس الأمارة بالسوء:

تعمل هذه الآية في النفس عمل "كوابح الطوارئ" عند المنحدرات الخطرة، وذلك من خلال:
* كسر حدة "طول الأمل": النفس الأمارة بالسوء تقتات على وهم "الخلود" أو "تأجيل التوبة". تأتي "لميئون" لتصد هذا الوهم، فتتوقف النفس عن التماهي في الظلم أو الجشع لعلها بصدمة النهاية.
* تحجيم الكبرياء المهني والاجتماعي: عندما تسوّل النفس لصاحب الجاه أو العلم أو القوة (كـ) المحامي في مرافعته أو الباحث في علمه) أن يتكبر، تذكره الآية أن "مآله" هو التراب كغيره، مما يجبرها على التواضع والعودة إلى الحق.

* كبج نزوات الاستحواذ: النفس تميل لجمع المال والسيطرة بغير حق؛ فإذا استحضرت "بعد ذلك لميئون"، ارتجفت يدها عن الحرام؛ لأنها تدرك أنها ستترك "المكاسب" وتحمل "المحاسب".
ثانياً: اللحظة الحالية كـ "فرصة عمل" (استثمار الآن):

الآية لم تقل "ستموتون" (فعل مستقبلي فقط)، بل جاءت بالجملة الاسمية المؤكدة (لميئون)، وكأن الموت صفة ملازمة للإنسان منذ الآن. وهذا يولد دلالات عملية:

* مفهوم "الزمن القابل للاستغلال": بما أن الموت حتمية بعد مراحل الخلق، فإن كل لحظة تعيشها الآن هي "استثناء مؤقت من حكم الموت"؛ هذه اللحظة هي الوحيدة التي تملك فيها القدرة على تعديل البحث، نصرة مظلوم، أو إصلاح نية.

* فلسفة "المبادرة قبل المغادرة": تذكر الموت يجعل الإنسان يعمل بروح المسافر الذي يخشى فوات الرحلة. في حياتك العملية، يدفعك هذا لإنجاز أعمالك بدقة وتنسيق "الآن"، لأنك لا تضمن أن تملك "يداً تكتب" أو "عقلاً يفكر" في الساعة القادمة.

* تحويل "الخوف" إلى "قوة إنتاجية": بدلاً من أن يكون الموت محبطاً، تجعله الآية دافعاً؛ فإذا كانت الفرصة ستنتهي، فالذكاء يقتضي ملء "وعاء الوقت" بأفضل المخرجات.
ثالثاً: العودة إلى الرشد (الاستفاقة الوجودية):

الرشد هو "حسن التصرف الموصل للنجاح". والآية تعيد الإنسان لرشده عبر:
* تصحيح المسار: إذا انحرف الإنسان في خصومة قانونية أو غفل في بحثه عن الهدف السامي، تأتي الآية لتقول: "قف، هل هذا ما تريد أن تختتم به حياتك؟".

* الوعي بالمسؤولية: الرشد يقتضي أن يعلم الإنسان أن كل "خلق" (مراحل الآيات 12-14) يتبعه "فناء" (آية 15) يتبعه "حساب" (آية 16). هذا التسلسل يفرض حتمية الالتزام بالحق في اللحظة الراهنة.

الوقف العملية لك (كحقوقى وباحث أو كطبيب أو مهندس أو معلم):
* المحامي: باعتبارك تدير قضايا وأبحاثاً ضخمة، فإن هذه الآية تمنحك "الرؤية الثاقبة". اجعل كل ورقة تنسقها، وكل دفع قانوني تكتبه بمثابة شهادة تقدمها في اللحظة التي تسبق الموت. إذا كانت اللحظة الحالية هي فرصتك الأخيرة، فاجعل جودتها تليق ببقاء الله.

* الطبيب: بما أنك تقوم بعمل ضخم متعلق بالإنسان، فاجعل كل عملية جراحية أو عمل تقوم به بمثابة عمل في اللحظة التي تسبق الموت؛ فإذا كانت هذه اللحظة فرصتك الأخيرة، فاحرص أن تخدم الناس بإخلاص بما يليق ببقاء الله.

* وهكذا كل صاحب مهنة عليه استشعار اللحظة بأنها آخر فرصة له ما قبل الموت، وأن هذا العمل الذي يقوم به سوف يقابل به الله، فليختر عملاً يليق ببقاء الله.

الدرس السادس: دلالة وأسرار تأكيد الموت بـ "ثم"، "إنكم"، واللام في "لميئون"

إن التركيب البياني في الآية 15 من سورة المؤمنون "ثم إنكم بعد ذلك لميئون" يمثل ذروة البيان القرآني في تقرير الحقائق؛ حيث اجتمعت فيه مؤكدات لفظية ومعنوية لردع النفس عن الغفلة.
أولاً: "أسرار أدوات التأكيد (لماذا هذا الحشد؟):

حشد الله تعالى في هذه الآية القصيرة خمسة أساليب للتأكيد لردع المنكر أو الغافل:

* التأكيد بـ (ثم): تفيد "التراخي الرتبي والزمني"؛ لتؤكد أن الموت ليس نهاية عشوائية، بل هو طور "منظم" يأتي بعد استيفاء مراحل الخلق والحياة. تعطي الإنسان "فرصة" للفهم؛ فبين خلقه وموته مساحة هي "العمر".

* التأكيد بـ (إن): حرف تأكيد ونصب لرفع الشك. الإنسان في سكرة الحياة وقوتها قد ينسى الموت، فجاءت (إن) لتقرر الحقيقة بصراحة.

* التأكيد بـ (كم) "ضمير الخطاب": الخطاب المباشر (إنكم) بدلا من الغيبة (إنهم). تحول الخبر من حقيقة عامة إلى "مواجهة شخصية"، مما يمنع الهروب خلف التعميمات ويحث على الترقب بالأعمال الصالحة.

* التأكيد باللام المخلقة في "لمَيِّتُونَ": لتقوية مضمون الجملة. وجود اللام مع (إن) يسمى "التأكيد المزدوج"، ولا يستخدم إلا في الأمور العظيمة التي ينزل فيها الإنسان منزلة المنكر للحقيقة بفعله وسلوكه وإن أقر بها بلسانه.

* التأكيد بالجملة الاسمية وصيغة "مَيِّتُونَ": لم يقل "ستموتون" (فعل)، بل قال "مَيِّتُونَ" (اسم فاعل). الاسم يدل على "الثبوت والاستقرار". الموت صفة لازمة لكل مخلوق، وصيغة الجمع تؤكد شمولية هذا القانون.

ثانياً: اللامات البيانية والجوانب البلاغية:

* التناسب: جاء التأكيد بعد ذكر أطوار الخلق العجيبة؛ فبعد أن أثبت الله قدرته على الإيجاد من العدم، أكد قدرته على الإعدام بعد الوجود.

* القصر والتحجيم: ذكر "بَعْدَ ذَلِكَ" إشارة إلى الحياة الدنيا، وهي عبارة قصيرة جداً لبيان أن عمر الإنسان مهما طال فهو "فصل قصير" في كتاب الوجود.

ثالثاً: علاقة "التجويد" بخدمة المعنى (الجانب الصوتي):

* الغنة في (ثم) و (إنكم): تعطي زمناً صوتياً يفرض على القارئ والسماع التوقف والتأمل لا ستيعاب الصدمة التنبهية والمصارعة للتوبة.

* المد العارض للسكون في (لمَيِّتُونَ): عند الوقف، يمثل صوتياً "خمود الحركة وانقطاع النفس"، وهو تمثيل للحالة التي تؤول إليها النفس عند الموت (هدوء بعد حركة).

* تشديد الياء في (لمَيِّتُونَ): يورث "ثقلاً" في النطق، مما يوحي بثقل الحقيقة وصعوبة الموقف، ويؤكد أن الموت "حق" لا مفر منه.

الخاتمة العملية لك كباحث منظم:

هذا الحشد من المؤكدات يوجهك إلى:

* اليقين المطلق: لا تترك مجالاً للشك في جودة عملك ونزاهتك.

* الصرامة في التنفيذ: اجعل منهجك مبنياً على الحقائق المؤكدة والتوثيق المحكم.

* السرعة في التوبة والعمل الصالح: والانتباه ألا يأتيك الموت وأنت في معصية.

الدرس السابع: العلاقة بين ذكر مراحل خلق الإنسان وحتمية الموت

تتجلى العلاقة بين مراحل الخلق (الآيات 12-14) وحتمية الموت (الآية 15) كعلاقة منطقية وعضوية وبيانية مبهرة:

* علاقة القدرة على البداية والقدرة على النهاية: استعراض مراحل الخلق برهان عملي على القدرة المطلقة. من قدر على إيجادك من "عدم" وتطوورك في "ظلمة الرحم"، هو بالأولى قادر على إنهاء هذه الرحلة بالموت.

* علاقة الكمال البشري والفناء الحتمي: بعد ذكر قمة الإتقان "فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ"، أتبعها مباشرة بـ "ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ". هذه العلاقة تكسر "غرور النفس" بالقوة والجمال؛ فمهما بلغت من كمال الخلقة، فإن هذا الجسد المتقن له "تاريخ صلاحية" ينتهي عنده، مما يعلمنا التواضع.

* علاقة "الحركة والسكون" (التدرج الوجودي): وصف الله مراحل الخلق بأنها سلسلة من التحولات الحركية (جعلناه، خلقنا، فكسوناه، أنشأناه). الموت في الآية 15 هو "التحول الأخير" في هذه السلسلة؛ فكما انتقلت من نطفة إلى علقة، ستنقل من الحياة إلى الموت.

فالموت هنا ما هو "طور جديد مكمل لرحلة الانتقالات البشرية"؟

4. علاقة "المنحة والمسؤولية":

ذكر أطوار الخلق (نطفة، علقة، مضغة، عظام، لحم) يعدد النعم والمنح الإلهية التي بُني بها جسدك. والربط بذكر الموت بعدها هو تذكير بأن هذه المنحة مستردة. أنت لا تملك هذا الجسد الذي قُصِّلَ على مقاسك بدقة، بل هو "عهدة" تنتهي عند الأجل؛ هذا الربط يولد شعوراً بالمسؤولية العملية: كيف قضيت حياتك بهذا الجسد قبل أن يُسترد منك؟

5. منظور "فقه المآلات" (رؤية عملية في هذا الربط):

يمكنك رؤية العلاقة كدورة حياة مشروع:

* المدخلات: سلالة من طين.

- * العمليات: أطوار النطفة والعلقة والعظام (مراحل الإعداد والتجهيز).
- * المخرج النهائي: {خلقاً آخر}، الإنسان في قمة عطائه.
- * نهاية الدورة: الموت.

الفائدة العملية من هذا الربط:

إن ذكر التعب والتفصيل في مراحل الخلق قبل الموت يشير إلى أن الله لم يخلقك بهذا التعقيد وإلتقان عبثاً لتنتهي "تراها" فقط، بل إن هذا الإلتقان في البداية (الخلق) والحتمية في الوسط (الموت) يشيران بالضرورة إلى عظمة النتيجة (البعث والحساب). خلاصة بيانية:

الآيات (12-14) هي آيات "القدرة والامتنان"، والآية (15) هي آية "القهر والامتحان". الربط بينهما يجعل الإنسان يعيش بين "شكر النعمة" على خلقه والاستعداد لـ "النقمة" عند الموت، مما يحقق التوازن السلوكي المطلوب في الحياة العملية.

خامسا

الآية 16 من سورة المؤمنون هي قوله تعالى: {ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ}. تأتي هذه الآية كخاتمة لسلسلة مهيبه من أطوار خلق الإنسان لتربط البداية البيولوجية بالنهاية المصيرية. إليك التحليل الشامل والعميق لهذه الآية:

التفسير اللفظي واللغوي:

* {ثُمَّ}: حرف عطف يفيد "التراخي الرتبي والزمني". هي تشير إلى وجود فجوة زمنية طويلة بين الموت والبعث، وتدل على أن البعث هو مرحلة تالية وعظيمة بعد استقرار الإنسان في القبر.

* {إِنَّكُمْ}: "إن" حرف تأكيد ونصب، والكاف للخطاب. استخدم التوكيد هنا لإزالة أي شك أو إنكار قد يطرأ على ذهن الجاحدين للبعث.

* {يَوْمَ الْقِيَامَةِ}: ظرف زمان متعلق بـ "تبعثون". وسُميت القيامة قيامة لأن الناس يقومون فيها من قبورهم لرب العالمين، ويقوم فيها الأشهاد، ويقام فيها العدل.

* {تُبْعَثُونَ}: فعل مضارع مبني للمجهول، والبعث في اللغة هو الإثارة والإرسال؛ والمقصود هنا إحياء الموتى وإخراجهم من القبور للحساب.

الدرس الأول: فلسفة البعث وآثارها كما تصورها الآية

إن الآية 16 من سورة المؤمنون وردت كخاتمة حتمية لرحلة تكوين الإنسان التي بدأت من طين، ولهذا فهي ليست مجرد إخبار بالغيب بل هي "دستور حركة" للحياة الدنيا، بما تحمله الآية من مدلولات لها آثار في الواقع التطبيقي في حياتنا العملية. وهذا فيه:

1. مفهوم التراخي الرتبي والوعي بالزمن (دلالة "ثم"):

استخدام حرف العطف "ثم" لغوياً يفيد التراخي، وبلاغياً يعطي مساحة زمنية وقدرية هائلة.

* الرسالة العملية: هذا الفاصل الزمني بين الموت والبعث يعلمنا "أدب الانتظار" و"الاستثمار طويل الأمد" في واقعنا. نحن نستعجل النتائج، لكن الآية توجهنا لضبط إيقاع حياتنا على أن الحصاد الحقيقي ليس غداً بل في "النشأة الأخرى".

* التوجيه: اشتغل في دنياك كأنك تبني صرحاً لن تراه إلا يوم القيامة؛ فالبعث هو "الموعد الرسمي" لاستلام المكافآت، مما يقتل في النفس الإحباط إذا ضاع حقك في الدنيا؛ فعليك بالصبر والاستثمار طويل الأمد. فالحصار في ذلك اليوم، ولهذا نجد أن الآية وردت فيها الميم المشددة في "ثم" التي تتطلب "غنة" بمقدار حركتين. هذه الغنة تعطي جرساً صوتياً فيه تمهل يتناسب مع معنى "التراخي" والانتظار الطويل قبل البعث؛ فأنغام هذه الأصوات قادرة على الوصول إلى أعماق النفس الداخلية لإيصال المعنى الذي تحمله الآية.

2. مفهوم اليقين المطلق ومواجهة التشكيك (دلالة "إنكم"):

تدعو الآية إلى الإيمان بالبعث وحتمية وقوعه إيماناً يقيناً لا شك فيه؛ ولهذا نجد أن الآية جاء فيها التأكيد بكلمة {إنكم}؛ فيها تأكيد البعث وأنه حقيقة حتمية، والتأكيد بـ (إنّ واسمها: الكاف والميم) هو تأكيد بلاغي يقطع دابر الشك ويزيل أي شك في البعث. لأن الكثيرين يرتكبون المعاصي رغم أنهم يزعمون أنهم مؤمنون بالله واليوم الآخر، فدل ارتكابهم للمعاصي على وجود شك في البعث و النشور والحساب والعقاب، وإلا لما أقدموا على ارتكاب المعصية. لأن من كان مؤمناً باليقين أن فعله هذا سوف يتبعه عقاب وحساب لن يقدم على ارتكاب المخالفة. ولهذا فإن الآية تهدف أن تغرس في النفوس قوة الإشفاق من العذاب لتصل بالبعد إلى مرتبة "الإيمان باليقين"؛ ولهذا نجد أن النون المشددة في {إنكم}، الغنة هنا تعطي قوة توكيدية، فالصوت المشدد يقرع الأذن ليثبت في القلب حقيقة أن البعث لا ريب فيه.

* الربط بالواقع: نحن نعيش في عصر "النسبية" والتشكيك في الغيبيات، الآية تبني في المسلم شخصية حازمة غير مترددة.

* الدرس التطبيقي: اليقين بالبعث يجب أن يتحول إلى صلابة أخلاقية؛ الموظف الذي يوقن بـ

"إنكم" لا يحتاج لمراقب بشري فوق رأسه، لأن "إن" التوكيدية غرست في النفوس روعة أن المحاكمة قادمة لا محالة.

3. مفهوم المسؤولية (الفردية والجمعية) (دلالة "تبعثون"):

"تبعثون": فعل مضارع مبني للمجهول، والبعث في اللغة هو الإثارة والإرسال والمقصود هنا إحياء الموتى وإخراجهم من القبور للحساب.

* وبناء الفعل للمجهول "تبعثون" يوحي بقهرية الحدث وعظمة الفاعل، بينما صيغة الجماعة تشير إلى أن الجميع سيقف في نفس المشهد لتفهم أن الوقوف بين يدي الله أمر لا بد منه. وهذا فيه دعوة إلى اليقظة، دعوة إلى الرقابة الذاتية، لأن الإنسان عندما يدرك أنه سيبعث يستيقظ ضميره ويراقب أفعاله. ولهذا نجد مجيء الغنة في "ثم" و"إنكم" تمنح القارئ وقتاً للتفكير، رنيناً صوتياً يتمشى مع هيبة الاستدعاء للحساب.

* الرسالة العملية: البعث ليس مجرد خروج من القبر، بل هو تفعيل للملفات المنسية. في حياتنا غلب ما نتهرب من نتائج أفعالنا، لكن الآية تدعونا لـ "تحمل المسؤولية".

* التطبيق: تعلم من "البعث" أن كل كلمة أو قرار تأخذه اليوم هو كائن حي سيبعث معك يوم القيامة، فاجعل مبعوثاتك حسنة. فهذه المسؤولية توجب عليك أن تعيش بهذه الآية بتحويل "الإيمان بالبعث" إلى "سلوك" من خلال الآتي:

* الاستعداد الدائم: أسأل نفسك قبل كل فعل: "هل يسرك أن تبعث بهذا العمل يوم القيامة؟".

* إبراء الذمة: بما أن هناك بعثاً وحساباً، بادر برد المظالم لأصحابها الآن قبل أن يكون الحساب بالحسنات والسيئات.

* ترتيب الأولويات: لا تجعل الدنيا هي الغاية القصوى؛ اجعل عملك المهني وتعاملك مع الناس وصدقك كلها بضاعة تجهزها ليوم البعث.

* الأمل عند المصائب: اليقين بالبعث يمنحك صبراً؛ لأنك تعلم أن كل حق ضاع في الدنيا سيسترد هناك.

الخلاصة والربط:

الآية (16) من سورة المؤمنون هي حلقة الوصل بين الخلق والحساب؛ هي تخبرنا أن "الضرورة البشرية لا تنتهي بالموت بل الموت هو بوابة العبور للحياة الحقيقية. بلاغة الآية في إيجازها تجعلها كـ "الناقوس" الذي يدق في وجدان المؤمن ليذكره: أنت قادم على الله، فماذا أعددت؟

4. مفهوم "العدل الكوني" واسترداد الحقوق (دلالة "يوم القيامة"):

{يَوْمَ الْقِيَامَةِ}: ظرف زمان متعلق بـ "تَبْعَثُونَ". وسُميت القيامة قيامة لأن الناس يقومون فيها من قبورهم لرب العالمين، ويقوم فيها الشهداء، ويقام فيها العدل. فأراد بهذا أن يغرس في النفوس استحضر عظمة هذا اليوم، ولهذا نجد مد "القيامة": المد الطبيعي والوضوح في مخارج الحروف يضفي رهبة وتفخيماً للفظ، مما يهيئ النفس لاستشعار عظمة اليوم. فالله يخبرنا أن البعث ليس خياراً بل هو ضرورة عقلية وشرعية ليكتمل ميزان العدل؛ ولهذا نجد تقديم {يَوْمَ الْقِيَامَةِ} على الفعل {تَبْعَثُونَ}، وهو يفيد التنبيه والتهويل من شأن ذلك اليوم وأهميته، فمحور التركيز هو زمن الحساب.

* الربط الواقعي: يرى الإنسان في حياته مظالم لا تنتهي، ومجرمين يفلتون من العقاب؛ الآية هنا تعمل كـ "صمام أمان" نفسي واجتماعي.

* التوجيه: تعامل مع الناس بمبدأ "يوم القيامة"؛ إذا كنت قوياً فلا تظلم، لأن الضعيف الذي تضطهده الآن سيبعث خصماً لك غداً. البعث هو الضمان الوحيد لاستقامة الأخلاق حتى في غياب القانون البشري. فالآية تبين لنا أن الحياة الدنيا ليست نهاية المطاف، بل هي مرحلة انتقالية، قنطرة للدار الآخرة، والهدف من البعث هو رد الحقوق والجزاء على العمل.

5. مفهوم "الكمال البشري" (الربط بأطوار الخلق السابقة):

عندما نربط هذه الآية بما قبلها (أطوار الجنين)، نجد درساً في "الاستمرارية".

* الدرس العملي: كما تحولت النطفة إلى علقة ثم مضغة ثم عظاماً بـ "نظام دقيق"، فإن بعثك ليس عشوائياً.

* الرسالة الربانية: أيها الإنسان لست سدى؛ وجودك له غاية، ونهايتك لها مآب، فالذي خلق أولاً يبعث ثانياً.

* الهدف والمقصد: الآية تهدف إلى إخراج الإنسان من دائرة "الحيوانية" التي تأكل وتشرب وتموت، إلى دائرة التكريم الإلهي الذي يبعث ليُخلد. نحن نتعلم أن حياتنا مشروع لا ينتهي بالموت، بل يكتمل بالبعث.

كيف نحول الآية إلى "منهج عمل" يومي؟

* فلترة الأهداف: كل هدف تضعه أسأل: هل يصمد هذا الهدف أمام مشهد "تبعثون"؟

* الأمانة المهنية: أحكام التجويد (الغنة والشدة) التي تعطي الآية قوة وجرساً، يجب أن تنعكس

في قوة وجوده عملك؛ فالمؤمن القوي هو من يعمل عمله وكأنه سيُعرض الآن في ساحة القيامة.
* إيجابية التغيير: التعلم من الآلية أن "الإعادة ممكنة"؛ فمن أحياء العظام وهي رميم، قادر على إحياء قلبك وطموحك وعلاقاتك المحطمة في الدنيا.
الخلاصة:

الآية 16 هي بوصلة الوجود؛ فهي تربط المادة (أطوار الخلق) بالروح (نفخ الروح) بالمصير (البعث)، لتصنع إنساناً متوازناً، يعمر الأرض وعينه على السماء، ويحسن العمل وعينه على الحساب.

الدرس الثاني: الفقه العلمي للقرآن

عليك أن تدرك أن الآيات القرآنية ليست مجرد ترف فكري يُخزن في العقول، فلا بد أن يخرج إلى الواقع العملي، ولهذا فنحن بحاجة إلى معرفة الفقه العلمي للقرآن. فعلينا أن ننظر إلى آية {ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ} بأنها ليست مجرد معلومة غيبية نصدقها بعقولنا، بل هي "محرك تشغيلي" للسلوك. ولهذا سوف نبين لك في هذا الدرس كيف نحول هذا الإيمان من حالة ذهنية باردة إلى قوة دافعة تربط القلب بالآخرة وتجعل الدنيا جسراً حقيقياً.

أولاً: تحويل الإيمان النظري إلى واقع عملي (قاعدة "الاستحضار")
الآية استخدمت جملة اسمية مؤكدة بـ "إن" وبالفعل المضارع "تُبْعَثُونَ"؛ عملياً، هذا يعني أن البعث قائم الآن في وعيك قبل أن يقع في الواقع.

* سياسة "العرض والمناقشة": قبل أن توقع ورقة، أو تتفوه بكلمة في خصومة، أو تأخذ حقاً ليس لك، استدع الفعل "تُبْعَثُونَ"؛ تخيل أن هذا الموقف بعينه سيعاد عرضه (بعثه) أمامك؛ هنا يتحول الإيمان من نص "محفوظ" إلى "رقيب ذاتي" يمنعك من الخطأ.

* الإتيان كدليل إيمان: إذا كنت تؤمن أنك ستبعث لتجزي، فإن "الجودة" في عملك -سواء كنت محامياً، مهندساً، أو عاملاً- تصبح عبادة. الإيمان النظري يقول "الله يراك"، أما الإيمان العملي بـ البعث فيقول "الله سيحاسبك على تفاصيل هذا العمل"، فتجود به خوفاً وطمعاً.
ثانياً: كيف تربط قلبك بالآخرة؟ (فلسفة "المركزية")

الآية جاءت بعد ذكر أطوار الخلق المادية (نطفة، علقة...) لتنتقل المركز من "الجسد الفاني" إلى "الروح الباقية".

* النظرة "البعثية" للأحداث: اربط مشاعرك بالنتائج النهائية لا البدايات المتعثرة؛ إذا فاتك رزق أو ظلمت، لا يحزن قلبك طويلاً؛ لأنك توقن بـ {يَوْمَ الْقِيَامَةِ}. الربط القلبي هنا يعني أن "بوصلة الرضا" عندك متصلة بمحطة الوصول، وليس بمحطة القطار التي تقف فيها الآن.

* الاستثمار في "الباقيات": القلب يتعلق بما يظن أنه سيدوم؛ عندما تقرأ الآية وتدرك أن الجسد سيبدى ثم يبعث، يبدأ قلبك بالتعلق بالقيم (الصدق، العدل، الإحسان) لأنها الوحيدة التي ستبعث معك وتكمل صورتك هناك.

ثالثاً: التعامل مع الدنيا كـ "جسر عبور" (فقه "العبور")
كلمة "ثم" في الآية هي مفتاح هذا المفهوم؛ فهي تعني أن هناك مرحلة "ما بعدية" هي الأهم؛ الجسر ليس للاستقرار، بل للمرور.

* قاعدة "الخفة في الأحمال": المسافر على الجسر لا يحمل معه أثاث بيته، بل يحمل "زاد الطريق". الآية تدعوك لتخفيف أحمالك من الذنوب والتعلق المفرط بالماديات، لأن الجسر لا يتحمل أوزان الثقيلة من المظالم.

* تحويل "العادات" إلى "طاعات": بما أنك تعبر الجسر، فكل فعل تفعله (نومك، أكلتك، بسمتك) انو بها التقوي على الوصول بسلام؛ هكذا تصبح الدنيا كلها مادة خام تصنع منها نعيماً للآخرة.

* عدم الانبهار بزيينة الجسر: قد يكون الجسر مزخرفاً، لكنه يظل جسراً؛ الآية تذكرك بنهاية الرحلة لتمنعك من "السكر" بخمرة الدنيا؛ إذا نجحت فقل "هذا زاد للآخرة"، وإذا فشلت فقل "موعدنا يوم البعث".

رابعاً: الرسائل والتوجيهات العملية من "اللمسات البيانية"
* من أحكام التجويد (الغنة والمد): الغنة المشددة في "ثم" تعطيك وقفة تأمل عملياً: تعود أن تأخذ "وقفة غنة" (سكنة تفكر) قبل أي قرار مصيري؛ أسأل نفسك: هل هذا القرار سيعبر بي الجسر بسلام؟

* من البناء للمجهول "تُبْعَثُونَ": أنت لست مخيراً في البعث تماماً كما لم تكن مخيراً في خلقك أول مرة. التوجيه العملي هنا هو "الاستسلام الواعي" لقدر الله، والعمل بجدية في المساحة المتاحة لك (الدنيا) لأن ما بعدها ليس بيدك.

الخلاصة العملية:

الآية تدعوك لتكون غريباً مسافراً ببذالك، مستقراً مطمئناً بقلبك في الدار الآخرة. اجعل شعارك اليومي: "أنا اليوم أزرع ما سأجني ثمار بعثه غداً".

الدرس الثالث: أهمية استشعار مشهد يوم القيامة وأثره

إن استشعار الآية الكريمة {ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ} يمثل نقطة تحول جذري في وعي المسلم، حيث تنقله من النظر الجزئي للعالم إلى النظر الكلي للوجود. إليك شرح هذه النقاط مدمجة في سياق عملي ومنهجي:

1. تأثير تدبر حتمية الموت والبعث على النظرة للمشاكل اليومية:
تتحول المشاكل اليومية عند استحضار هذه الآية من "كوارث محطمة" إلى "اختبارات عابرة".
* تقزيم الأزمات: عندما يوقن القلب بالبعث تصبح خسارة مالية أو مشكلة مهنية مجرد "خدش" في رحلة طويلة جداً. الآية تمنحك "مسافة أمان" نفسية؛ فالمشكلة التي تبدو اليوم نهاية العالم تتضاءل أمام مشهد الحشر.

* علاج القلق والتوتر: معظم قلقنا نابع من الخوف على المستقبل الديني؛ استشعار البعث يجعل مستقبلك الحقيقي هو "ما بعد الموت"، مما يبرد حرارة القلق على رزق فات أو حظ نقص، لأنك تعلم أن الاستيفاء الحقيقي هناك.

2. الاستعداد للبعث والموازنة بين الدنيا والآخرة:
المؤمن لا يعيش في صراع بين الدنيا والآخرة، بل يجعل الدنيا "مادة" لصناعة الآخرة.
* قاعدة "العمل المنتج": الاستعداد للبعث لا يعني ترك العمل، بل إتقانه؛ المؤمن يعمل في الدنيا بجد لأنه يرى أن نجاحه الديني النظيف هو "وقود" لمكانته في الآخرة.

* الموازنة الذكية: هي أن تمارس حياتك (زواج، تجارة، دراسة) كأنها عبادة؛ الآية تدفعك لتكون قوياً في الدنيا لتتفقد الناس، وزاهداً بقلبك لئلا تتركز إليها. الاستعداد للموت يكون بإنهاء الخصومات ورد الحقوق، وترك أثر طيب يبعث معك.

3. نفي فكرة العثية والإهمال (الحساب والجزاء):
الآية تنسف فلسفة "العدمية" أو أن الإنسان خلق سدى.

* منطقية الخلق: الربط بين أطوار الخلق (نطفة، علقة...) وبين البعث يؤكد أن هذا "الإحكام" في البداية لا يمكن أن ينتهي بـ "إهمال" في النهاية. العقل يأبى أن يتساوى الظالم والمظلوم في التراب للأبد.

* وظيفة المحاسبة: البعث هو الختم "القانوني" لرحلة الابتلاء. بدون البعث تصبح الحياة مسرحية بلا مغزى، لكن {تُبْعَثُونَ} تعيد المعنى لكل ذرة خير أو شر، وتغرس في النفوس أن "كل شيء محسوب"، مما يضبط السلوك الاجتماعي والقانوني للبشر.

4. استحضار مشهد البعث والربط بين الخلق والهدف:
عند نطقك بكلمة {تُبْعَثُونَ}، أنت لا تقرأ فعلاً "مستقبلياً" فحسب، بل تستحضر "يقظة كبرى".

* الخلق كدليل والبعث كغاية: الربط في السورة بين مراحل الجنين وبين البعث يقول لك: "إن الذي اعتنى بتفاصيل تكوينك في الرحم (مكاناً مكثفاً ومغلقاً)، سيعتني ببعثك من الأرض (مكاناً فسيحاً)".

* الهدف من الوجود: استحضار المشهد يجعل هدفك هو "تبييض الوجه" يوم العرض. هذا الاستحضار يحول قراءة القرآن من "تلاوة لسان" إلى "هزة وجدان"، حيث ترى نفسك خارجاً من القبر فتتساءل: "ما هي الهيئة التي أحب أن أبعث عليها؟". هذا السؤال هو أصل كل إصلاح في السلوك والعمل.

خلاصة تربوية ومهنية:
يمكنك النظر لهذه الآية كـ "محكمة استئناف عليا"؛ كل الأحكام والمظالم والاجتهادات التي لم تفصل فيها عدالة الأرض، ستبعث للحسم النهائي. هذا الإدراك يجعلك:

* في عملك: أكثر دقة وأمانة، لأن ملفاتك ستبعث معك.
* في قلبك: أكثر طمأنينة، لأن ربك لا يضيع لديه حق.

الدرس الرابع: المناسبة بين أطوار الخلق والموت والبعث

إن الربط بين "الخلق الأول" (نشأة الجنين) والبعث (إعادة الإحياء) هو أحد أقوى البراهين العقلية والمنطقية في القرآن الكريم. فالله سبحانه وتعالى ينتقل بك من "مختبر الأرحام" إلى "مشهد القيامة" ليثبت لك أن الإعادة أهون من البدء. إليك الربط المنهجي والتحليلي لهذه العلاقة:

1. القياس العقلي: "النشأة الأولى دليل الإعادة"
في الآية 14 وصف الله أطواراً مادية معقدة، وفي الآية 16 قال: {ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ}.

* المفهوم المنطقي: من استطاع تحويل "النطفة" (ماء مهين) إلى "إنسان" (خلق آخر بسمع وبصر وعقل)، لا يعجزه أن يعيد تجميع الرفات والتراب ليخلقه مرة أخرى.

* الدرس العملي: في حياتك المهنية، إذا نجحت في بناء مشروع من الصفر (الخلق الأول)، فلديك "الخبرة" والقدرة على ترميمه أو إعادة إنشائه إذا تعثر (البعث)؛ فالقدرة على التأسيس تستلزم القدرة على الإعادة.

2. مفهوم "الأمانة والاستحقاق":

لماذا خلقنا الله أطواراً ثم أماتنا ثم يبعثنا؟

* الربط التربوي: الطور الأول (الخلق) هو "منحة" وتجهيز، والبعث هو "امتحان" وحساب.
* الرسالة: "الخلق الآخر" (الوعي والروح) الذي وهبه الله لك في الرحم هو "الأداة" التي ستحاسب عليها يوم البعث. فالمادة (اللحم والعظم) تفتنى، ولكن "الأثر" الناتج عن هذا الخلق هو الذي يبعث معك.

3. اللمة البانية والتجويدية في الربط:

* حرف "ثم" المشترك: استخدم الله "ثم" في الانتقال بين أطوار الخلق ((ثم أنشأناه))، واستخدمها في الانتقال للموت والبعث ((ثم إنكم بعد ذلك لميئون * ثم إنكم يوم القيامة تبعثون)).
* الدلالة: "ثم" هنا تعطي مساحة زمنية (تراخي)؛ مساحة في الرحم للنمو، ومساحة في الدنيا للعمل، ومساحة في القبر للانتظار. هذا الترتيب يزرع فيك "الاستقرار النفسي" بأن كل شيء يسير وفق جدول زمني إلهي دقيق.

* الغنة في {إنكم}: تكرر "إن" المشددة في آيتي الموت والبعث مع الغنة الطويلة يؤكد على "الحتمية". الصوت المشدد يقرع أذن السامع ليتردد "الشك"؛ فكما أن خلقك حقيقة تراها، فإن بعثك حقيقة ستواجهها.

4. دروس من "الخلق" تعييننا على "البعث":

* اليقين بالقدرة: عندما تنظر في مرآة "الخلق" وتذكر أنك كنت نطفة، يتضاءل في عينك استبعاد "البعث".

* التوثيق والحساب: الآية 14 وثقت أطوار الجسد، والبعث سيوثق "أطوار العمل".
* الاستعداد المهني: بصفتك محامياً أو باحثاً أو طبيباً أو مهندساً أو معلماً أو طياراً، أنت تعلم أن كل "مقدمة" تؤدي إلى "نتيجة"؛ الخلق هو المقدمة، والبعث هو النتيجة الحتمية.

5. ما الذي تدعوننا إليه الآية في حياتنا العملية؟

* العمل لما بعد الموت: بما أن "البعث" حتمي، فليكن إنتاجك البحثي والقانوني خالصاً لوجه الله ليكون حجة لك لا عليك.

* إتقان "الخلق الآخر": بما أن الروح والعقل هما اللذان سيبعثان للحساب، فاجعل "تطويرك لذاتك" مركزاً على القيم والأخلاق والعدل.

* التواضع الدائم: البداية (نطفة) والنهاية (تراب) ثم (بعث) تجعل الإنسان يعيش في حالة "سكون" وتواضع بعيداً عن صراعات الغرور الزائف.

القسم الثالث من المقطع الأول

يقول تعالى:

«وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ (17) وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ (18) فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ تَحِيلٍ وَأَعْتَابَ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهَ كَثِيرَةً وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (19) وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدَّهْنِ وَصَيِّغٌ لِّلْكَالِينِ (20) وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۚ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بَطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (21) وَعَلَىٰ الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ» (22)

المقدمة

- أولاً : التحليل الموضوعي) دلائل القدرة والرعاية الإلهية)
- تنتقل الآيات من الحديث عن خلق الإنسان في الآيات السابقة لها إلى الحديث عن تهيئة الكون لا ستمرارية حياة هذا الإنسان، ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة محاور:
- * الإحكام في الخلق) الآية (17 : تتحدث عن خلق "سبع طرائق" السموات السبع، والتأكيد على أن الله ليس غافلاً عن خلقه، بل هو رقيب ومدبر لشؤونهم.
 - * دورة حياة الماء والنبات) الآيات 18 - (20:
 - * تفصيل في نعمة الماء المنزل "بقدر"؛ أي بمقدار دقيق لا يغرق الأرض ولا يشح عنها.
 - * الإشارة إلى خزانات المياه الجوفية "فأسكناه في الأرض" والقدرة على سلبها.
 - * ذكر الثمرات) النخيل والأعناب (وتخصيص شجرة "طور سيناء" الزيتون (بذكر خصائصها الغذائية) الدهن والصيغ.
 - * تذليل الأنعام ووسائل النقل) الآيات 21 - (22:
 - * الانتقال من النبات إلى الحيوان وتوضيح العبرة في الأنعام) الألبان، المنافع، اللحوم.
 - * الربط بين وسيلة النقل البرية) الأنعام (والبحرية) الفلك/السفن.
- ثانياً: الدلالات اللغوية والبيانية
- * "سبع طرائق": سميت السموات طرائق لأنها طرقت بعضها فوق بعض، أو لأنها طرق للملائكة والكواكب.
 - * "بقدر": توحى بالهندسة الإلهية الدقيقة، فلا زيادة تفسد الأرض ولا نقصان يهلك الزرع.
 - * "تخرج من طور سيناء": وصف الشجرة بمكان منبتها الأصلي، مما يعطيها خصوصية قدسية

وتاريخية.

* "تنبت بالدهن وصيغ للأكلين": الباء هنا للمصاحبة؛ أي تنبت ومعها دهنها، و"الصبيغ" هو ما يغمس فيه الخبز للأكل، وفيها إشارة لفوائد زيت الزيتون كغذاء ودواء.

* "العبرة": استخدام نكرة للتعظيم؛ أي أن في هذه الأنعام دلالة عظيمة لمن تأمل في كيفية تحول الطعام إلى لبن سائغ.

ثالثاً: القيم المستفادة

* الربط بين النعمة والمنعم: الآيات لا تسرد حقائق كونية فحسب، بل تربطها بصفات الله القادر الرقيب المنعم.

* التوازن البيئي: الإشارة إلى أن الماء ينزل بقدر ويخزن في الأرض، وهو أساس التنوع الحيوي (نخيل، أعناب، زيتون، أنعام).

الربط المنهجي بين الدلالات اللغوية للآيات (17) - (22) من سورة المؤمنون وبين الآثار النفسية والتربوية التي تعزز الانضباط الذاتي والوعي السلوكي

جدول الربط بين الدلالات اللغوية والآثار التربوية والنفسية

القاعدة اللغوية أو اللفظية | الدلالة المعنوية في الآية | الأثر النفسي | الأثر التربوي | السلوكي (ا)

1/ القاعدة: "وَمَا كُنَّا عَنْ الْخَلْقِ غَافِلِينَ" صيغة نفي مؤكدة لاسم الفاعل (غافلين) صيغة نفي مؤكدة لا سم الفاعل (غافلين)

* الدلالة :- استشعار الرقابة الإلهية الدائمة.

*الآثار التربوي : تعزيز الرقابة الذاتية: الاستشعار الدائم بأن الله مطلع يولد انضباطاً داخلياً يمنع العبد من التقصير أو التجاوز في حقوق الآخرين .

2/القاعدة الثانية:"وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ" الباء هنا للمصاحبة، ولفظ "بقدر" يعني بمقدار دقيق.

*الدلالة قيمة التقدير والاتزان.

*الآثار التربوي :غرس مبدأ "الاعتدال" في النفوس؛ فكما أن الماء بقدر، يجب أن تكون الانفعالات و النفقات والجهود "بقدر" لتحقيق النجاح وتجنب الإسراف .

3/القاعدة الثالثة "فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ": فعل "أسكناه" يوحي بالثبات والتمكين والأمان.

*الآثار التربوي الطمأنينة والأمان النفسي: إدراك أن النعم (كالماء والرزق) ليست عشوائية بل هي "مسكونة" ومحفوظة بقدرة إلهية، مما يقلل من القلق الوجودي وتوتر المستقبل .

4/القاعدة الرابعة "لعبرة" | نكرة للتعظيم) تنويع التعظيم .

*تنمية ملكة التفكير والتحليل .

*الآثار التربوي:تدريب النفس على عدم المرور العابر بالأحداث بل استخراج "العبرة" والدروس من كل ما يحيط بنا) نبات، حيوان، كون

5القاعدة الخامسة:"تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَيِّغٌ لِلْأَكْلِينَ"

*ذكر التفاصيل الدقيقة للثمرة (الدهن، الصبيغ)

**الاهتمام بالتفاصيل(الدقة) يهدف إلى. تربية الفرد على الدقة في عمله وبحثه، وتقدير الفوائد المتعددة للشيء الواحد، مما ينمي الذكاء العملي والاستفادة القصوى من الموارد .

التحليل التربوي والسلوكي المستفاد:

* الموازنة بين الحاجة والامتنان: الآيات تذكر النعم (فواكه، دهن، ألبان، ركوب) (لتربطها بـ "الأكل" و "المنافع" .تربوياً، هذا يعلم الإنسان أن يتمتع بنعم الحياة ولكن بوعي بحيث لا تتحول النعمة إلى عادة مسببة، بل تظل مصدراً دائماً للامتنان الذي يحفظ الصحة النفسية.

* إدراك السنن الكونية والاجتماعية: استخدام حرف "الفاء" (في) فأنشأنا، فأسكناه (يدل على الترتيب والتعقيب. هذا يرسخ في النفس مبدأ "السبب والنتيجة"؛ فالحصول على الثمر يتطلب سقاءً، والحصول على اللبن يتطلب رعاية الأنعام. هذا الفهم هو أساس النجاح المهني والانضباط السلوكي.

* شمولية الرعاية والتكامل: الربط بين السماء) الماء (والأرض) النبات (والأنعام والفلك يربي في الفرد "النظرة الكلية" للأمور؛ فالمشكلات لا تحل مجزأة، بل بفهم ترابط العوامل ببعضها تماماً كما تتكامل عناصر الحياة في هذه الآيات.

أولاً :

ابتدأت الدلائل الإيمانية التي تسوقها الآيات بلفت الانتباه إلى دليل) الإحكام في الخلق (فقال تعالى: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنْ الْخَلْقِ غَافِلِينَ».

الأمر الأول

يدعوك الحق سبحانه وتعالى إلى تأمل عظمة الخالق سبحانه وتعالى وإبداعه، فدليل القدرة في متناول نظرك. فقال تعالى: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنْ الْخَلْقِ غَافِلِينَ»؛ فالتوكيد بـ (اللام (و) قد (في قوله) ولقد (التي تفيد التحقيق تهدف إلى ترسيخ اليقين في نفس المؤمن بعظمة هذا البناء العلوي، وهو تمهيد لترسيخ اليقين بعظمة العلم الإلهي المحيط في نفس العبد المؤمن. ثم

إن القلقة في قوله) ولقد (و) خلقنا (قلقة صغرى في "الدال" و"القاف" ترتبط بهذا المعنى؛ لأن القلقة هي اضطراب الحرف وتحركه في مخرجه بقوة، فهي توحى بـ "قوة الإيجاد وعظمة الهزة الكونية" عند الخلق، فلفظ) خلقنا (بصوت القاف المقلقل يعطي شعوراً بالمتانة والصلابة في البناء الكوني. درس التربوي: كما أن الحرف يخرج بقوة واهتزاز ليثبت وجوده، على المؤمن أن يكون "قوي العقيدة صلب المنهج" في مواجهة فوضى العشوائية.

الأمر الثاني:

تدعو الآية الإنسان المؤمن إلى استشعار علو الحق وقدرته المطلقة؛ ولهذا يقول تعالى: «ولقد خلقنا فوقكم»؛ اختيار الطرف "فوق" يوحي بعلو القهر والقدرة ويشعر الإنسان بضعفه وافتقاره، فهو محاط بسقف من العظمة الإلهية التي تظله وترعاه. ولهذا يقول بعدها «سبع طرائق»؛ أي مجرات أو كواكب أو طبقات فوق الأرض وهي فوق مستوى الأرض، وأتبعها بذكر إحاطته علماً بكل شيء: «وَمَا كُنَّا عَنْ الْخَلْقِ غَافِلِينَ.» وهذا فيه:

المفهوم الأول: دلالة القدرة في "سبع طرائق" استخدام لفظ "طرائق" بدلاً من "سماوات" في هذا الموضع يحمل أبعاداً دقيقة في التصميم الإلهي: * التراكم والانتظام: الطرائق لغة هي الطبقات بعضها فوق بعض. إدراك القدرة هنا يأتي من تأمل هذا البناء الشاهق) سبع سماوات (الذي يقوم بلا أعمدة، وهو ما يعكس القوة المطلقة في الإمساك بهذا الكون.

* المسارات الكونية: تشير "الطرائق" أيضاً إلى مسارات الكواكب والنجوم والملائكة. إدراك القدرة يكمن في هندسة المسارات التي لا تختل ولا تصطم، مما يشير إلى قيومية دائمة لا تغفل عن حركة ذرة في ملكوته.

المفهوم الثاني: دلالة "فوقكم" تربية النفس على التعظيم والافتقار) كلمة "فوقكم" في الآية ليست مجرد تحديد مكاني بل هي دلالة تربوية عميقة: * إدراك العظمة الإلهية: التربية تبدأ من الشعور بـ "العلو المطلق" لله عز وجل، مما يفرس في نفس المتربي التواضع وينفي عنها الكبر؛ فكلمة أبصر الإنسان ما فوقه من بناء محكم) سبع طرائق، صغرت نفسه في عينه أمام عظمة الخالق.

* استشعار الحماية والولاية: تربوياً، كلمة "فوقكم" تعطي شعوراً بالسقف الإلهي الحامي. فالخالق الذي رفع هذه السماوات فوقنا هو القادر على حماية العبد وتدبير أمره، مما يورث الطمأنينة النفسية. والغنة (في) كنا(ترمز إلى اللطف لأن الغنة صوت يخرج من الخيشوم فيه رنة ولطافة، وهي ترمز هنا إلى اللطف الإلهي المصاحب لعملية الخلق والرعاية؛ فالله خلق بقوة ويرعى بلطف) غنة).

* مفهوم "العلوية والقهر": استشعار المؤمن أن الله "فوقه" يكسر صنم الكبرياء النفسي، ويجعل القانوني والباحث يتواضع أمام الحقائق، مدركاً أن فوق كل ذي علم عليم.

* مفهوم "المنهجية الكونية": بما أن السماء "طرائق" مسارات منظمة، فإن العشوائية في حياة المؤمن هي خروج عن السنن الكونية.

* التطبيق: تحويل الحياة إلى "طرائق" أهداف واضحة: مسار إيماني، مسار مهني، مسار بحثي).

المفهوم الثالث: أهمية التفكير والتأمل) المنهج المعرفي للكمال والجلال)

الدعوة للتفكير في "الطرائق السبع" هي دعوة لمنهج تربوي عقلي: * الانتقال من الأثر إلى المؤثر: التأمل في إتقان الخلق) الطرائق (يربي العقل على البحث عن صفات "الكمال" في الصانع. فالدقة تشير إلى العلم، والقوة تشير إلى القدرة، والجمال يشير إلى الجلال.

* تنمية الحاسة النقدية والجمالية: التأمل يخرج الإنسان من حالة "الاعتیاد" إلى حالة "الاندهاش"، وهي حالة تربوية تجعل القلب حياً، متصلاً دائماً بمصدر الجمال المطلق.

* علو الله وإحاطته) تربية الضمير والمراقبة الذاتية: الربط بين العلو المطلق) فوقكم (وبين العلم المحيط) وَمَا كُنَّا عَنْ الْخَلْقِ غَافِلِينَ (يؤسس لأهم قاعدة تربوية:

* تربية "المعية" الإلهية: حين يدرك المتربي أن الله الذي يعلو السماوات السبع لا تغيب عنه غائبة في الأرض، يتولد لديه مفهوم "المراقبة الذاتية". هذا المفهوم يغني عن الرقابة البشرية؛ لأن العبد يعلم أن عين الله لا تغفل.

* التوازن بين الهيبة والرجاء: العلو يورث "الهيبة"، ونفي الغفلة عن الخلق يورث "الرجاء" في كرم الله وعنايته. تربوياً، هذا التوازن هو الذي يحمي الشخصية من اليأس أو الغرور. إن هذه الآية تربى الإنسان على أن يكون ناظراً لـ "السماء" بقلبه وعقله، باحثاً عن عظمة الله في الأفاق، ومنعكساً ذلك في سلوكه بالانضباط والسمو الأخلاقي.

المفهوم الرابع: الربط بين "هندسة السماء" و"هندسة الحياة الشخصية" هو من أعظم الاستنباطات التربوية لهذه الآية. فالله سبحانه لم يصف السماء بأنها ركام أو بناء عشوائي، بل وصفها بأنها) سبع طرائق (أي طبقات منظمة، ومسارات محكمة، ونظام لا يختل.

إليك بيان أهمية تنظيم الحياة للمؤمن كاستجابة عملية لهذا النموذج الكوني:

* محاكاة النظام الكوني في السلوك البشري: المؤمن مأمور بأن يكون "خليفة" في الأرض، ومن مقتضيات الخلافة إقامة النظام.

* الطرائق كمسارات للأهداف: كما أن لكل كوكب في السماء "طريقة" مداراً (لا يخرج عنه، يجب أن يكون للمؤمن أهداف مرحلية) قصيرة، متوسطة، وبعيدة المدى.

* نبذ العشوائية: العيش بلا خطة هو مضادة للسنة الإلهية في الكون. السماء المنظمة فوقك تدعوك لأن يكون يومك، ومالك، ووقتك منظماً وفق "طرائق" واضحة.

* "طرائق المؤمن" تقسيم مجالات الحياة: يمكنك تحويل مفهوم "السبع طرائق" إلى منهج تنظيمي لحياتك، بحيث تجعل لكل جانب من جوانب شخصيتك مساراً (طريقة (منظماً):

* الطريقة الإيمانية: الصلاة، الأذكار، التدبر (- مسار متصل لا ينقطع.

* الطريقة المهنية: الإتقان، التطوير، الأمانة (- مسار لبناء الأرض.

* الطريقة الأسرية: الحقوق، التربية، الصلة.

* الطريقة المعرفية: القراءة، طلب العلم، البحث.

* الطريقة الجسدية: الصحة، الغذاء، الرياضة.

* الطريقة المالية: التخطيط، الكسب الحلال، الإنفاق المتزن.

* الطريقة الاجتماعية: نفع الناس، الأخلاق، العمل التطوعي.

* أهمية "الوضوح" في مواجهة "الغفلة": الربط بين الخلق المنظم (سبع طرائق (ونفي الغفلة) وما كنا عن الخلق غافلين (نعلمنا أن:

* التنظيم يطرد الغفلة: الإنسان العشوائي غالباً ما يكون غافلاً، تضع أوقاته سدى. أما الإنسان المنظم، فهو "يقظ" لكل دقيقة، مدرك لثمرة كل عمل يقوم به.

* المسؤولية عن التفاصيل: الله لا يغفل عن أصغر تفاصيل خلقه، وبالمثل تنظيم حياتك يجعلك مسؤولاً عن تفاصيل يومك مما يرفع من جودة إنتاجك وعطائك.

* الالتزام العملي كيف أبدأ؟: لتجعل من هذه الآية ثمرة في تنظيم حياتك، التزم بالآتي:

* التدوين والجدولة: ابدأ بكتابة "طرائقك" أهدافك بوضوح: فالمؤمن المنظم هو مؤمن قوي.

* المحاسبة الدورية: خصص وقتاً لمراجعة مساراتك؛ هل خرجت عن "المدار" الصحيح؟ تذكر أن الله يراقب غير غافل، فكن أنت أيضاً رقيباً على خطتك.

* التدرج (الطبقة): كما أن الطرائق طبقات فوق بعضها، ابدأ بأهداف صغيرة وابن فوقها أهدافاً أكبر. بهذا نكون قد ربطنا بين عظمة البناء السماوي وعظمة البناء النفسي والعملي للإنسان. الغاية القصوى من التدبر هي الانتقال من "المعرفة الذهنية" إلى "الاستقامة السلوكية".

الأمر الثالث:

خاتمة الآية 17 من سورة المؤمنون «وَمَا كُنَّا عَنْ الْخَلْقِ غَافِلِينَ»؛ قاعدة ذهنية في بناء العقيدة و السلوك، فهي تربط بين "عظمة الخلق" و"دقة الرعاية" كما يتضح من الآتي:

المفهوم الأول: المقصود بـ "وَمَا كُنَّا عَنْ الْخَلْقِ غَافِلِينَ" المعنى يتجاوز مجرد "العلم" إلى "الإحاطة والتدبير":

* نفي النقص: الغفلة هي زهول الغافل عما هو مقتضى علمه؛ الله عز وجل ينفي عن نفسه الغفلة ليؤكد كمال قيوميته، فخلق السماوات العظيمة لم يشغله عن تدبير شؤون أصغر المخلوقات.

* المعية العلمية: الله حاضر بعلمه وقدرته ولطفه في كل لحظة، هو لا يخلق الخلق ثم يتركهم لمصائرهم كما يزعم بعض الفلاسفة، بل هو "قيوم" قائم على كل نفس بما كسبت.

* الشمولية: الكلمة تشمل "الخلق" بكل أنواعهم (إنسان، حيوان، نبات، جماد (وفي كل أحوالهم (ظواهرهم، باطنهم، ماضيهم، مستقبلهم).

المفهوم الثاني: مفهوم مراقبة الله ورعايته كمفهوم عملي:

تحويل هذه الآية إلى مفهوم عملي يعني الانتقال من "الفكرة" إلى "الاستحضار":

* المراقبة (واجب العبد): هي دوام علم العبد باطلاع الخالق عليه؛ عملياً هي "الفرملة" النفسية التي تمنعك من الخطأ حين تغيب أعين البشر، وهي "المحرك" الذي يدفعك للإتقان حين لا يراك أحد.

* الرعاية (عطاء الرب): هي ثقة العبد بأن الله مطلع على حاجته، وضعفه، ومظلمته؛ عملياً هي اليقين بأن الله يدبر لك في الخفاء ما لا تدركه في العلن، وأنه لا ينسى سعيك ولا يغفل عن دعائك.

المفهوم الثالث: ماذا ينتج عن تطبيق هذا المفهوم (ثمار العملية)

إن استحضار أن الله "ليس غافلاً" ينتج شخصية مؤمنة تتسم بالآتي:

* الاستقامة في الخلوات كما في الجلوات: أكبر ثمرة لمفهوم عدم الغفلة هي النزاهة؛ عندما تدرك أن عين الله معك في مكتبك، وفي تعاملك مع زملائك، وفي هاتفك الشخصي، يرتفع مستوى انضباطك لأخلاقي تلقائياً.

* التحرر من عبودية رقابة البشر: الإنسان العشوائي يعمل لإرضاء الناس أو خوفاً من المدير. أما من يطبق الآية، فيعمل وفق "معياري إلهي ثابت"؛ هذا يمنحه استقلالية في الشخصية وقوة في الحق؛ لأنه يعلم أن المرجعية الكبرى (لا تغفل).

* الصبر الجميل والسكينة النفسية: حين تقع في أزمة أو تتعرض لظلم، تهمس لك الآية: "الله ليس غافلاً عنك". النتيجة: يزول الشعور بالوحدة أو "الضياع"؛ فالمؤمن يعلم أن حقه محفوظ، وأن ألمه مرصود، مما يبرد حرارة المصيبة في قلبه.

* جودة الإتقان (الإحسان): في علم الإدارة، يقال إن "الرقابة ترفع الأداء"؛ فكيف إذا كانت الرقابة من الخالق؟ تطبيق الآية ينتج "إتقاناً ذاتياً"، فأنت تحسن عملك ليس خوفاً من العقاب الدنيوي، بل لأنك تستحي أن يرى الله منك تقصيراً وهو الذي أحسن خلق "الطرائق السبع".

* ملخص النتائج العملية (الأثر الناتج عن) «وَمَا كُنَّا عَنْ الْخَلْقِ غَافِلِينَ»:

* الأخلاق: تحول الحياء من حياء "من الناس" إلى "حياء من الله".

* العمل: الانتقال من "أداء الواجب" إلى "بلوغ الإتقان".

* النفس: الانتقال من "القلق والاضطراب" إلى "الثقة والسكينة".

* الاجتماع: العدل والإنصاف؛ لأن الله مطلع على الحقوق والظلم.

هذه الآية هي "ميثاق الأمان" لكل مؤمن يسير في دروب الحياة.

المفهوم الرابع:

الآية 17 من سورة المؤمنون تضعنا أمام ميثاق عملي يضبط حركة الإنسان في الحياة. إليك الثمار السلوكية والتفسير العملي الذي ينبغي الالتزام به كمنهج حياة:

* اليقظة الدائمة ونبد الغفلة (الرقابة الذاتية): ما دام الله قد نفى عن نفسه الغفلة بقوله «وَمَا كُنَّا عَنْ الْخَلْقِ غَافِلِينَ»، فإن الثمرة السلوكية الأولى هي اليقظة الدائمة.

* تفعيل عين البصيرة: أن تعيش وأنت تعلم أن حركاتك وسكناتك، ونياتك الباطنة، مرصودة بعلم إلهي لا يغيب.

* التطبيق العملي: قبل البدء في أي عمل سواء كان مهنيًا أو شخصيًا، اسأل نفسك: "هل يرضى الله عن هذا العمل؟".

* هذا يورثك "الإحسان" وهو أن تعبد الله كأنك تراه.

2. الطمأنينة النفسية والثقة في التدبير

إدراك أن الذي أحكم بناء الطرائق السبع فوقك هو الذي يرعاك، يثمر سلوكاً نفسياً متزنًا:

* مواجهة الأزمات: الالتزام بعدم الجزع عند وقوع المصائب؛ لأن الذي لا يغفل عن خلقه قد قدر كل شيء بعلم وحكمة.

* التطبيق العملي: التخلص من القلق المفرط بشأن الرزق أو المستقبل؛ فمن أقام نظام الكون بهذا الإتيقان، لن يترك ضائعاً في تفاصيل حياتك الصغيرة.

3. المنهجية والنظام في العمل (الاقتداء بالخلق)

وصف السماوات بأنها "طرائق" طبقات منظمة ومسارات محكمة (يعطي درساً في الانضباط):

* نبذ العشوائية: كما أن الكون يسير وفق سنن ونظام صارم، يجب أن يكون سلوك المؤمن منظماً ومخططاً له.

* التطبيق العملي: التزام الدقة في المواعيد، وترتيب الأولويات في المهام اليومية، وإتيقان العمل؛ فالفوضى في حياة الإنسان لا تتناسب مع عظمة النظام الكوني الذي يعيش تحته.

4. التواضع وكسر كبرياء النفس

قوله تعالى {فوقكم} يذكر الإنسان بحجمه الحقيقي في هذا الوجود العظيم.

* خفض الجناح: مهما بلغت من علم أو سلطة أو جاه، فأنت تحت سقف من الخلق الإلهي العظيم الذي لا تدرك آخره.

* التطبيق العملي: التعامل مع الخلق بتواضع، وتجنب التعالي على الآخرين، واستشعار الافتقار الدائم للقوة الإلهية المدبرة.

الخلاصة العملية

اجعل من هذه الآية "بوصلة" يومية؛ فكلما رفعت رأسك إلى السماء أو شعرت بضيق، تذكر أن فوقك نظاماً محكمة، وأن هناك خالقاً لا يغفل عنك لحظة واحدة. هذا اليقين سيجعل سلوكك مزيحاً.

الأمر الرابع

إن الربط بين الأداء الصوتي (التجويد) وبين المعنى التفسيري هو أحد ركائز "المفاهيم القرآنية". فصوص الحرف وحركته في القرآن الكريم ليسا مجرد قواعد لسانية، بل هي أصوات تجسد المعاني وتعمق استقرارها في القلب. إليك استنباط الأحكام التجويدية من الآية 17 من سورة المؤمنون وربطها بالمفاهيم العظيمة للقدرة والعلم الإلهي:

- * القلقلة في قوله { ولقد
- * الحكم: قلقلة صغرى في "الدال" و"القاف".
- * الارتباط بالمعنى: القلقلة هي اضطراب الحرف وتحركه في مخرجه بقوة.
- * المفهوم المستنبط: توحى هذه القلقلة بـ "قوة الإيجاد وعظمة القدرة الكونية عند الخلق". و.

- اللفظ والصوت يعطي شعوراً بالمتانة والصلابة في البناء الكوني.
- * الدرس التربوي: كما أن الحرف يخرج بقوة واهتزاز ليثبت وجوده، على المؤمن أن يكون "قوي العقيدة" صلب المنهج في مواجهة فوضى العشوائية.
- * الدرس التربوي: سعة الأفق؛ فالمؤمن الذي يتأمل في سعة "الطرائق" يجب أن يتسع صدره وعقله للأهداف الكبيرة ولا يحصر نفسه في سفاسف الأمور
- * الغنة المشددة في} كنا{
- * الحكم: غنة أكمل ما تكون في النون المشددة.
- * الارتباط بالمعنى: الغنة صوت رخيم يخرج من الخيشوم، يتسم بالليونة والدوام.
- * المفهوم المستنبط: الغنة هنا في نون العظمة} كنا {المرتبطة بنفي الغفلة} وما كنا {توحي بـ "الطف الإلهي المستمر". فبينما السماء شديدة وبنائها قوي} قلقة، فإن رعاية الله لخلقه تتسم بالطف والديمومة} غنة.
- * الدرس التربوي: الجمع بين الهيبة والرجاء؛ هيبة الخالق في قدرته (الخلق)، ورجاء العبد في لطفه (الرعاية الدائمة).
- * الإظهار الشفوي في} فوقكم سبع[صُححت من إخفاء إلى إظهار حسب القاعدة التجويدية المذكورة في النص]
- * الحكم: إظهار شفوي الميم عند السين).
- * الارتباط بالمعنى: الإظهار هو البيان والوضوح التام.
- * المفهوم المستنبط: يعكس "الوضوح المنهجي". فالنظام الكوني ليس فيه لبس أو تداخل عشوائي؛ كل طبقة مستقلة وواضحة في مكانها} فوقكم.
- * الدرس التربوي: وضوح الأهداف؛ كما تظهر الميم بوضوح أمام السين، يجب أن تبرز أهداف المؤمن وخطوات حياته بوضوح تام بعيداً عن الغموض أو "غفلة" المقاصد.
- * المد العارض للسكون في} غافلين{
- * الحكم: مد عارض للسكون عند الوقف (2) أو 4 أو 6 حركات).
- * الارتباط بالمعنى: السكون هو الثبات والاستقرار.
- * المفهوم المستنبط: "نفي الغفلة يقتضي اليقظة الدائمة". الوقوف على} غافلين {بعد عارض يوحي بالاستقرار والثبات على حقيقة أن الله مطلع على كل شيء أبداً.
- * الدرس التربوي: الاستقامة؛ فالسكون في نهاية الآية هو دعوة لسكون القلب واطمئنانه تحت ظل الرقابة الإلهية، فلا يضطرب العبد ما دام ربه "غير غافل" عنه.
- بهذا نرى أن القرآن الكريم يُقرأ بالروح والحس قبل اللسان؛ فكل حكم تجويدي هو "إشارة" تربوية تعزز المفهوم الذي تنشده الآية.
- ثانياً: دورة المياه والحياة والنبات (الآيات 18) - (20)

المبحث الأول

- : تفسير الآية 18 من سورة المؤمنون، وهي قوله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَاهُ فِي الْاَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ}. يتضمن ذلك دلالات عميقة حول تدبير الخالق ونعمه على عباده.
- المعنى العام للآية:
- تنتقل الآيات من الحديث عن خلق الإنسان والسموات إلى الحديث عن الرزق والبيئة التي يعيش فيها، وتبرز قدرة الله في تسخير الموارد الأساسية للحياة.
- * "وأنزلنا من السماء ماء بقدر":
- بقدر أي: بمقدار محدد وحكمة دقيقة؛ ليس كثيراً فيغرق الأرض (كالطوفان)، ولا قليلاً فيشج الرزق وتموت الزروع.
- * التوازن: تشير الآية إلى ميزان دقيق في كمية الأمطار السنوية وتوزيعها بما يحقق مصلحة الخلق.
- * "فأسكناه في الأرض":
- * الإسكان: تعني أن الله جعل الأرض مستودعاً لهذا الماء، حيث يختزن في باطنها (المياه الجوفية، العيون، والآبار)، ولا يغور في أعماق سحيقة لا يمكن الوصول إليها، ولا يتبخّر كله بمجرد نزوله.
- * انظر إلى الصورة أعلاه؛ كيف تندفق المياه إلى جوف الأرض وتكون مخزوناً مائياً يبقى في طبقات الأرض القريبة، مما يسهل على الإنسان استخراجها والاستفادة منه في الشرب والزراعة.
- * "وإننا على ذهاب به لقادرون":
- * التنبيه والتحذير: الله سبحانه يذكر العباد بأن هذه النعمة (الماء العذب (ليست ذاتية أو دائمة بغير مشيئته؛ فهو قادر على إذهاب هذا الماء إما بجعله يغور في أعماق الأرض، أو بجعله مالحة أجاباً غير صالح للاستخدام.
- * الامتنان: الدعوة لشكر المنعم على هذه الهبة التي هي قوام الحياة.

دلالات لغوية وسياقية:
جاءت هذه الآية بعد ذكر "الطرائق السبع" السموات، لتؤكد أن الذي بنى هذا الكون المحكم هو نفسه الذي يرزق من فيه بتقدير دقيق. في سياق سورة المؤمنين، تهدف الآية لترسيخ اليقين في قلب المؤمن بعظمة الخالق وقدرته على الإحياء والإماتة والبعث والنشور.

الأمر الأول:

تستعرض الآية (18) من سورة المؤمنين مجموعة من المفاهيم المركزية التي تربط بين العقيدة، و الكون، وحياة الإنسان، ويمكن استخلاص أبرزها كالتالي:

الدرس الأول:

مفهوم "الإنزال بقدر" التوازن الكوني)

مفهوم الإنزال بقدر في الآية 18 من سورة المؤمنين يمثل قمة الإعجاز الذي يربط بين قوانين الفيزياء الكونية ودقة الصياغة اللغوية والأداء الصوتي، ويبين دقة بناء الكون بحكمة عالية خالية من الفوضى والعشوائية.

إليك الشرح المفصل لهذا المفهوم من ثلاثة جوانب متكاملة:

أولاً: التوازن الكوني) المفهوم العلمي والوجودي)

يرمز قوله تعالى {بقدر} إلى قانون "الميزان" الذي يحكم دورة المياه في الطبيعة:

* ثبات الكمية: أثبتت الدراسات الهيدروليكية أن كمية المياه التي تتبخر من البحار والمحيطات وتعود للأرض عبر الأمطار هي كمية ثابتة سنوياً (بقدر)، ولو اختلت هذه الكمية بالزيادة لغرقت الأرض ، أو بالنقصان لجفت الحياة.

* التوزيع النوعي: الإنزال بقدر يشمل أيضاً "النوعية"؛ حيث ينزل الماء عذباً فرائاً رغم أن معظمه متبخر من بحار مالحة، وهذا تقدير كوني محكم لضمان حياة الكائنات.

ثانياً: اللغات البيانية والبلاغية

تجلى بلاغة النص في اختيار الكلمات التي تعزز مفهوم التوازن والسيطرة:

* تعبير "بقدر": جاء التنكير هنا للتعظيم والشمول، أي بقدر دقيق يعجز البشر عن إحصائه أو التحكم فيه، وهو يوحى بالحكمة والإحكام.

* الفاء في قوله "فأسكناه": حرف عطف يفيد التعقيب والترتيب مع السرعة، مما يدل على أن الأرض مهياً فوراً لاستقبال هذا الماء؛ فبمجرد نزوله بقدر تقوم الجاذبية وطبقات الأرض بوظيفة "الإسكان" دون إبطاء.

* المقابلة البديعية: بين الإنزال) وأنزلنا (والإنهاب) بذهاب)، وبين السماء والأرض. هذه المقابلات تعطي صورة كاملة للهيمنة الإلهية على المورد من مصدره إلى مستقره.

* التأكيد باللام و "صيغه الجمع : في قوله {لقادرون}؛ اللام هي "اللام المزلقة" للتوكيد، وصيغة الجمع "نحن قادرون" للعظمة، وكلها أدوات بلاغية لبث الرهبة في النفس من ضياع النعمة.

ثالثاً: أحكام التجويد ودلالاتها المعنوية

عند تلاوة فقرة {وأنزلنا من السماء ماء بقدر} نجد أحكاماً تخدم المعنى:

* المد المتصل (في) السماء (و) ماء:)

* الحكم: مد واجب 4 أو 5 حركات.

* اللمسة: طول المد الصوتي يعطي إيحاءً بعلو المصدر) السماء (وغزارة العطاء) ماء، وكأن الصوت يمتد ليعبر عن سعة النعمة المنزلة.

* الإخفاء الحقيقي (في) وأنزلنا:)

* اللمسة: صوت الغنة هنا يمهد للنفس تهيئة لاستقبال الخبر، وفيه رقة تناسب نزول الماء اللطيف.

* إقلاب التنوين (في) ماء بقدر:)

* الحكم: قلب التنوين ميماً مخفأة عند الباء.

* اللمسة: هذا الحكم يتطلب "إحكاماً" في النطق بتلامس الشفتين برفق، وهو ما يتناسب صوتياً مع كلمة "بقدر" التي تعني الإحكام والضبط؛ فالنطق هنا يتسم بالانضباط الصوتي تماماً كما أن الإنزال منضبط بالقدر *.

لمفاهيم العملية لهذا المفهوم:

يعد مفهوم "الإنزال" في الآية الكريمة سواء في بدايتها "وأنزلنا" أو في تفاصيلها "بقدر" مدرسة متكاملة في إدارة الحياة والأعمال. فالفعل لا يشير فقط إلى الهطول، بل إلى تدفق الموارد من المصدر إلى المستفيد. إليك الدروس العملية:

* مفهوم الاستعداد من المصدر الصحيح:

* الدرس: الماء نزل من "السماء"؛ وهي إشارة إلى المصدر العالي والنقي والمستمر.

* التطبيق العملي: في حياتك المهنية والعلمية ابحث دائماً عن "المصادر الأصلية" والموثوقة للمعلومات والدخل. لا تعتمد على الروافد الضعيفة أو الملوثة، بل استمد طاقتك وخططك من قيم عليا ومصادر معرفية رصينة تضمن لك النقاء والاستمرارية.

- * مفهوم "التوقيت المناسب":
- * الدرس: الإنزال لم يكن دائماً بلا انقطاع، بل هو فعل يحدث في وقته المقدر.
- * التطبيق العملي: تعلم فن "إدارة التوقيت". ليس المهم أن تنجز المهمة فقط، بل أن "تنزل" جهدك وتدخلك في الوقت الذي يحتاج فيه العمل لذلك؛ فالتدفق الزائد في وقت غير مناسب قد يسبب الفوضى، والتأخر قد يسبب الجفاف؛ فالذكاء العملي هو إعطاء كل ذي حق حقه في وقته.
- * مفهوم "القدرة على الاستيعاب" (الأوعية):
- * الدرس: الإنزال يحتاج إلى أرض مستعدة لاستقباله {فأسكنه في الأرض}.
- * التطبيق العملي: قبل أن تطلب "الزيادة" في الرزق أو الفرص {الإنزال}، اسأل نفسك: هل هيأت لأرضية المناسبة؟ إذا نزل العلم ولم يجد عقلاً "منظماً ضاع". إذا نزل المال ولم يجد إدارة مالية حكيمة تبخر القاعدة: طور مهاراتك الأرض (لتكون وعاءً صالحاً لاستيعاب الفرص القادمة) {الإنزال}.
- * مفهوم "التدرج والمقدار" {بقدر}:
- * الدرس: الإنزال لم يكن دفعة واحدة مدمرة، بل كان بقدر.
- * التطبيق العملي: في تعلم مهارة جديدة أو البدء في مشروع اعتمد مبدأ "التدرج". لا تحاول "إنزال" كل طاقتك أو رأس مالك في يوم واحد؛ قسم أهدافك الكبرى إلى جرعات صغيرة ومقدرة تضمن لك "النمو" دون "الاحتراق المهني".
- * مفهوم "الجاهزية للتحويل من الإنزال إلى الإسكان":
- * الدرس: الإنزال مرحلة أولية والهدف النهائي هو الاستقرار والإنتاج.
- * التطبيق العملي: لا تفرح بمجرد وصول "الفرصة" أو "الربح" {الإنزال}، بل فكر فوراً في كيفية تحويلها إلى أصل مستقر {إسكان}. (الموظف الناجح هو من يحول الراتب {إنزال} إلى استثمار أو ادخار {إسكان})، والباحث الناجح هو من يحول المعلومة العابرة إلى معرفة راسخة.
- * ملخص الدروس في نقاط سريعة:
- * الجودة: تأكد من نقاء مصدرك {من السماء}.
- * الكمية: لا تندفع بكل قوتك بل تحرك بميزان {بقدر}.
- * الاستقبال: هيئ نفسك لتكون وعاءً صالحاً للفرص {فأسكنه}.
- * المرونة: كن مستعداً لأن الموارد قد تنقطع يوماً ما، فاستثمر وقت "النزل" لتأمين وقت "الانقطاع".

الدرس الثاني:

- مفهوم "الإسكان" {الاستيداع والتمكين}
- يمثل قوله تعالى {فأسكنه في الأرض} لفظة إلهية مذهلة تجمع بين الحقائق الجيولوجية واللطائف العقدية، حيث لا يقتصر الإنعام على مجرد "النزل"، بل يمتد إلى "الرعاية والحفظ" في باطن الأرض. إليك تحليل هذا المفهوم:
- * مفهوم "الإسكان" {الاستقرار والوديعه}:
- * لغوياً: "الإسكان" مشتق من السكون، وهو نقيض الاضطراب والحركة. فالمطر حين ينزل يكون في حالة حركة وسيلان، فلو تركه الله يسيل لضاع في المحيطات أو تبخر سريعاً.
- * بلاغياً: اختيار لفظ "أسكن" يوحي بأن الأرض أصبحت "سكناً" وبيتاً لهذا الماء، وفي ذلك إشارة إلى الأمان والحفظ؛ فالماء في باطن الأرض محفوظ من التلوث ومن التبخر بفعل الشمس، ومن الضياع السريع.
- * دلالة "فأسكنه" على نعمة الآبار والمياه الجوفية:
- تجلى عبقرية اللفظ في وصف كيفية تكون الآبار والعيون التي يعتمد عليها البشر خاصة في المناطق الجافة:
- * التخزين الهيدروليكي: الآلة تشير إلى قشرة الأرض وصخورها التي صممها الخالق لتكون "خزانات"؛ لولا هذه الخاصية {الإسكان}، لغار الماء في أعماق الأرض سحيقاً إلى لب الأرض بحيث لا يمكن استخراجها، أو لبقى على السطح فصار مستنقعات آسنة.
- * تيسير الوصول: "الإسكان" يعني أن الله جعله في طبقات قريبة تمكن الإنسان من حفر الآبار و الوصول إليه بجهد معقول.
- * الربط بين {فأسكنه} والآبار المنظور الإنعامي:
- عندما نتدبر كلمة "فأسكنه" نجد فيها ثلاثة أوجه من الإنعام المرتبط بالآبار:
- * الاستدامة) نعمة الوقت: الماء في البئر يظل صالحاً للاستخدام طوال العام، حتى في مواسم الجفاف؛ لأن الله "أسكنه" في مستودع لا تصله حرارة الصيف التي تجفف الأنهار.
- * التنقية الطبيعية: مرور الماء عبر طبقات الأرض "ليسكن" في باطنها يعمل كعملية "فلتر" وتصفية طبيعية، مما يجعل ماء الآبار والعيون عذباً ونقياً.
- * التحويل من "مفقود" إلى "موجود": لولا "الإسكان" لكان المطر ذكرى عابرة تنتهي بانتهاء الشتاء، لكن "الإسكان" جعله رصيداً مستمراً يسحب منه الإنسان عبر الآبار متى شاء.

* لمسة بيانية في "الفاء" فأسكناه: حرف "الفاء" هنا يفيد الترتيب والتعقيب المباشر، وهذا يعني أن الأرض "مبرمجة" إلهياً لاستقبال المطر فور نزوله؛ فبمجرد أن يلامس الماء التربة تبدأ عمليات التسرب والامتصاص لتسكن في مستقرها الأرضي. هذا التصميم المسبق للأرض لتكون وعاءاً للماء هو قمة الإنعام.

المفهوم الثاني:

يعد مفهوم "الإسكان" في الآيات الكريمة {فأسكنناه في الأرض} ركيزة أساسية في فن الإدارة والا ستدامة، فهو يمثل المرحلة التي تلي وصول المورد (الإنزال)، وهي مرحلة الحفظ والتمكين. إليك أهم المفاهيم والدروس العملية المستنبطة:

* مفهوم "تحويل المورد إلى أصل":
* الدرس: المطر في السماء مورد متحرك، لكنه بمجرد دخوله الأرض واستقراره فيها) إسكانه (يصبح "أصلاً ثابتاً" مياه جوفية).
* التطبيق العملي: لا تكثف بالدخل الشهري أو المعلومات العابرة كموارد متدفقة فقط. ابحث دائماً عن كيفية "إسكانها"، أي تحويل الراتب إلى استثمار طويل الأمد، وتحويل المعلومات المشتتة إلى معرفة منظمّة أو مهارة ثابتة. العبرة ليست بما "ينزل" عليك، بل بما "يستقر" عندك.
تأملات في الآية (18) من سورة المؤمنون

2. مفهوم "الأوعية الحاضرة"

* الدرس: لولا طبيعة الأرض المهيأة والطبقات الصخرية التي تمسك الماء، لضاع المطر سدى.
* التطبيق العملي في عملك أو مشروعك: قبل أن تطلب "التوسع" أو "الربح"، اهتم بـ "البنية التحتية".

* القاعدة: إذا زادت مبيعاتك) إنزال (دون وجود نظام محاسبي وإداري قوي) إسكان، فسيضيع الربح في الفوضى؛ فقوة "الإسكان" تعتمد على جودة "الوعاء".

3. مفهوم "الادخار الاستراتيجي"

* الدرس: الإسكان هو مخزن الطوارئ الإلهي؛ فالماء يدخر في باطن الأرض لسنوات الجفاف.
* التطبيق العملي: طبق مبدأ الخزان الجوفي في مالك ووقتك وجهدك؛ خصص جزءاً من مواردك لا يُمس في وقت الرخاء، ليكون هو "السكن" الذي تلجأ إليه في الأزمات. فالشخص الناجح هو من يملك رصيداً مسكوناً يحميه من تقلبات "الإنزال".

4. مفهوم "الاستدامة والهدوء"

* الدرس: "الإسكان" مشتق من السكون، وهو ما يعطي الماء القدرة على البقاء دون تبخر سريع.
* التطبيق العملي في إدارة الذات: تعلم أن "الاستقرار والتركيز" هما مفتاح الإنتاجية. فتشتت الجهود والحركة الدائمة بلا هدف يضع الطاقة كالمطر الذي يسيل على الصخر الأصم. لكي تنتج "بئراً" من الإبداع، يجب أن تسكن فكرك وتركز جهودك في نقطة واحدة لفترة كافية.

5. مفهوم "الحماية والخصوصية"

* الدرس: إبداع الماء في باطن الأرض يحميه من التلوث الخارجي ومن ضياع الشمس له.
* التطبيق العملي: أحط خططك المستقبلية وأصولك الهامة بشيء من الخصوصية والحماية. إن "إسكان" أفكارك ومشروعاتك في مراحلها الأولى بعيداً عن "ضجيج" الناقدين أو المنافسين يحميها حتى تنضج وتصبح "بئراً" يستقي منه الجميع.

الدرس الثالث:

مفهوم "القدرة على الإزهاق" (الافتقار والامتنان)

* المعنى: التذكير بأن النعمة ليست حقاً مكتسباً بل هي عطاء إلهي قابل للزوال.
* الدلالة: يرسخ في النفس مفهوم الافتقار إلى الله وشكره؛ فلو شاء الله لجعل الماء يغور في أعماق سحابة لا تدرّكها الأسباب البشرية. قوله تعالى: {وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ} (يأخذنا إلى واحد من أهم المفاهيم الإدارية والتربوية المعاصرة، وهو "إدارة المخاطر واليقظة الذهنية"؛ فهذا الجزء من الآية يمثل صمام الأمان الذي يحمي الإنسان من الغرور أو الغفلة.

1. مفهوم "النحوط وإدارة المخاطر"

* الدرس: التذكير بأن المورد) الماء / الرزق (ليس ملكاً ذاتياً دائماً، بل هو عرضة للزوال أو التغير في أي لحظة بمشيئة الله.

* التطبيق العملي: في أي مشروع أو عمل، لا تضع كل رهاناتك على مصدر واحد للدخل أو وسيلة واحدة للنجاح. التفكير في "سيناريو الذهاب" يجعلك تضع خطط طوارئ تحميك إذا تغيرت الظروف السوقية أو الشخصية.

2. مفهوم "المرونة والتكيف"

* الدرس: الإقرار بالقدرة على الإزهاق يكسر حالة "الجمود والركون للوضع الحالي".
* التطبيق العملي: يجب أن تكون لديك مرونة عالية؛ فإذا ذهب مورد معين، هل لديك المهارات اللا

ازمة للتحويل لمورد آخر؟ اليقين بأن النعم قد تتحول يدفعك لتطوير مهارات متعددة لضمان الاستمرارية تحت أي ظرف.

3. مفهوم "الصيانة الوقائية والارتقاء"

* الدرس: ذهاب الماء قد يكون بسبب غوره في الأرض أو فساد جودته.

* التطبيق العملي: لا تنتظر حتى "يذهب" المورد لتبدأ في التحرك؛ قم بالصيانة الدورية لعلاقاتك، لأجهزتك، ولصحتك. شكر النعمة عملياً يعني الحفاظ عليها وحسن استخدامها لضمان بقائها، فالإهمال هو أسرع طريق لـ "ذهاب" النعم.

4. مفهوم "التواضع المهني"

* الدرس: قوله {لِقَادِرُونَ} {يذكرنا بأن القوة الحقيقية لله، وأن ما نملكه هو "تمكين" مؤقت.

* التطبيق العملي: مهما بلغت من العلم أو الثراء، تجنب الغرور الوظيفي أو الكبر؛ فالتواضع يجعلك أكثر قرباً من فريق عملك وأكثر قدرة على التعلم من أخطائك، لأنك تدرك أن "الم نصب" أو "النجاح" هو وديعة قد تسترد.

5. مفهوم "الاستثمار في الباقيات"

* الدرس: إذا كان المورد المادي (الماء قابلاً للذهاب، فإن الأثر الناتج عن حسن استخدامه هو الذي يبقى.

* التطبيق العملي: استثمر في الأمور التي لا تذهب بسهولة، مثل: السمعة الطيبة، الأثر النافع، العلم الذي تورثه للآخرين، والعمل الصالح؛ فهذه هي "الأصول الحقيقية" التي لا تخضع لقانون "الذهاب" المادي.

خلاصة الدرس:

إن استشعار القدرة على "إذهاب" النعمة هو أعظم محفز للعمل بجدية، والشكر بصدق، والتخطيط بحكمة. بهذا نكون قد ربطنا الآية (18) بجوانب الحياة العملية (تخطيطاً، وإدارياً، وتحوطاً).

الدرس الرابع:

مفهوم "التسخير" الربط بين السماء والأرض)

* المعنى: الربط الوظيفي بين السماء) مصدر المطر (والأرض) مستودع الماء.)

* الدلالة: إظهار وحدة التدبير في الكون، وأن كل ما في السماوات مسخر لخدمة الحياة على الأرض بتقدير الخالق.

الدرس الخامس: مفهوم "الرزق والتدبير"

* المعنى: الآية ليست مجرد وصف طبيعي بل هي بيان لآلية الرزق.

* الدلالة: تؤكد أن الله هو "الرزاق" الذي يهيئ الأسباب (المطر، والوسائل) الأرض (والتنتائج) الزروع والثمار التي تذكرها الآية التالية مباشرة.)

الأمر الثاني:

تستخلص الآية 18 من سورة المؤمنون دروساً تربوية وإيمانية وعملية ترسم منهجاً لعلاقة الإنسان بالخالق وبالكون من حوله، ويمكن تلخيصها في:

* اليقين في حكمة التدبير الإلهي: أن كل شيء في هذا الكون مقدر بميزان دقيق {بقدّر}. {والتطبيق يزرع في نفس المؤمن الطمأنينة بأن الأرزاق والظروف ليست عشوائية، بل هي نتاج حكمة إلهية توازن بين العطاء والمنع بما ينفع الإنسان ولا يطفئه.

* إدراك "الافتقار الدائم للمنع": قوله تعالى {وإنّا على ذهاب به لقادرون} {يكسر شعور "الاستغناء" عند الإنسان. التطبيق هو تذكيرنا بأن الموارد الطبيعية هي هبات وليست حقوقاً مكتسبة بجهدنا فقط، مما يستوجب دوام الشكر.

* المسؤولية تجاه "الأمانة المودعة" (البيئة): قوله {فأسكنناه في الأرض} {يشير إلى أن الأرض مستودع أمانة لهذه النعمة. والتطبيق هو وجوب الحفاظ على مصادر المياه الجوفية والسطحية وعدم استنزافها.

* الاعتبار بعلامات "البعث والنشور": الربط بين إنزال الماء وإحياء الأرض. فكما أن الله ينزل الماء فيسكنه ثم يحيي به الأرض بعد موتها، فهو قادر على إحياء الموتى. فالآية درس في الاستدلال بالظواهر الكونية على الحقائق الغيبية.

الأمر الثالث:

عليك أن تدرك أن الآية القرآنية ليست مجرد نص يتلى ويتغنى بجماله، بل هي منهج عملي في حياتنا. لذا سوف نقوم باستلهام المنهج العملي في حياتنا اليومية للآية 18 من خلال الآتي:

* إدارة الموارد بمبدأ "القدر" التخطيط والتوازن: قوله تعالى {بقدّر} {يعلمنا أن النجاح يكمن في التوازن. التطبيق العملي هو تجنب الإسراف أو التقصير؛ فالعمل "بقدر" يعني وضع خطط مدروسة وميزانيات دقيقة تضمن تلبية الاحتياجات دون هدر) يسبب الطوفان/الأزمات (أو شح) يسبب

الجفاف/التعثر).

* أهمية "الإسكان" الادخار والاستدامة: قوله { فأُسْكِنَاهُ فِي الْأَرْضِ {يشير إلى تحويل المورد المتحرك (المطر (إلى مورد مستقر) مخزون جوفي. (والتطبيق هو ضرورة بناء مخزون استراتيجي؛ لا ينبغي استهلاك كل الدخل فور وصوله، بل يجب "إسكان" جزء منه لمواجهة الأوقات الصعبة.

* "إدارة المخاطر" والتوقع) التحوط: قوله { وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ {ينبها إلى أن الظروف قد تتغير فجأة. التطبيق العملي في عالم المال والأعمال هو وضع خطة بديلة دائماً. إدراك أن النعم قد تزول يدفعنا للعمل بجدية أكبر لتأمين بدائل وعدم الركون التام للوضع الحالي.

* صيانة الأصول والحفاظ على البيئة: الآية تصف الأرض كـ "مستودع طبيعي" للماء. التطبيق هو الحفاظ على نظافة وجودة مواردنا؛ فكما أن تلوث التربة يفسد الماء "المسكون"، فإن إهمال صيانة أدوات عملنا أو صحتنا يؤدي لضياع "الطاقة والإنتاجية" التي أودعها الله فينا.

ملخص السلوك العملي المستفاد:

* التخطيط: لا تعمل بعشوائية، بل "بقدر".

* الادخار: اجعل لنفسك مخزوناً "مسكوناً" للمستقبل.

* التواصل والحذر: تيقن أن الموارد زائلة فاستثمرها قبل "ذهابها".

الدرس الأول:

إليك صياغة الدروس العملية في شكل نقاط توجيهية لمنهج العمل والإدارة:

أولاً: توجيهات التخطيط والالتزام بقدر:

* الدقة في التقدير: لا تترك أمورك للعشوائية؛ حدد احتياجاتك بمقادير دقيقة تناسب الهدف، فلا إفراط يؤدي للهدر، ولا تفريط يؤدي للعجز.

* مبدأ "الحجم المناسب": تعلم أن القليل المستمر والمقدر بحكمة أفضل من الكثير المنهمر الذي قد يسبب الفرق) الأزمات المفاجئة).

ثانياً: توجيهات الاستدامة والادخار) فأُسْكِنَاهُ فِي الْأَرْضِ:

* بناء المخزون الاستراتيجي: اجعل لنفسك "مستودعاً" ادخار مالي، بنك معلومات، علاقات مهنية (تلجأ إليه عند انقطاع الموارد الخارجية.

* تحويل الفائض إلى أصول: لا تستهلك كل "مطر" دخل أو ربح يأتيك فوراً، بل ابحث عن طرق لـ "إسكانه" وتحويله إلى أصول ثابتة.

ثالثاً: توجيهات إدارة المخاطر) وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ:

* التحوط للتغيرات: ضع دائماً في حسابك "خطة طوارئ". إدراكك بأن الموارد قد تذهب يجعلك أكثر مرونة وقدرة على التكيف.

* عدم الركون للوفرة المؤقتة: الوفرة الحالية ليست ضماناً للمستقبل؛ استثمر "وقت الرخاء" لتأمين "وقت الشدة"، وتذكر أن دوام الحال من المحال.

رابعاً: توجيهات الكفاءة والإنتاجية:

* تهيئة البيئة الحاضنة: لكي يستقر الماء وينتج، يجب أن تكون الأرض صالحة؛ عملياً، هيئ بيئة عملك وصحتك لتكون وعاءاً صالحاً لاستقبال "الفرص" الماء (وتحويلها إلى "نتائج") ثمار).

خلاصة توجيهية:

"الإدارة الناجحة هي التي تستقبل الفرص بتقدير، وتحفظها بالادخار، وتستعد لتقلباتها بالحذر".

الدرس الثاني: وجوب ترك الإسراف

تجلى دلالة الآية من خلال ثلاثة محاور:

* دلالة لفظ "بقدر": الله سبحانه لم ينزل الماء عبثاً، بل بمقدار دقيق يحقق المصلحة دون مفسدة. ا. لإسراف في الموارد هو خروج عن القدر الذي وضعه الله ومخالفة للمنهج الكوني.

* دلالة "الإسكان" الأمانة والاستخلاف: قوله { فأُسْكِنَاهُ فِي الْأَرْضِ {يدل على أنه مخزون استراتيجي ووديعة. فالإسراف هو اعتداء على هذه "الوديعة". كل قطرة تهدر بغير حق هي استنزاف لمخزون جعل لغاية محددة.

* دلالة "القدرة على الإذهاب": ختم الله الآية بقوله { وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ {."الإسراف" هو نوع من كفر النعمة، والتهديد بـ "ذهاب" الماء هو رادع إلهي يوجب الاقتصاد لضمان بقاء المورد.

ملخص الدلالة الوعظية والعملية:

* الكون مبني على التوازن) بقدر (فكن متوازناً.

* الموارد أمانة مدخرة) فأُسْكِنَاهُ (فلا تضيع الأمانة.

* النعمة مهددة بالزوال) لقادرون (فحافظ عليها بالاقتصاد.

الدرس الثالث: تحليل الأمن المائي

تضع الآية "دستوراً" متكاملاً لإدارة الموارد المائية وحمايتها:

- * سياسة "التخطيط القائم على الميزانية المائية" (بقدر): وجوب حساب كمية المياه المتاحة مقابل الاحتياجات الفعلية، واستنباط مبدأ "الحصص المائية" للفرد والقطاع بحيث لا يتجاوز الاستهلاك "القدر" المتاح.
- * سياسة "حماية الخزانات الجوفية" (فأسكنه في الأرض): تجريم الاستنزاف الجائر والعمل على تقنيات شحن الخزانات الجوفية محاكاة للعملية الطبيعية.
- * سياسة "تنويع المصادر وإدارة الأزمات" (على ذهاب به لقادرون): التحوط للجفاف عبر بناء السدود وتطوير تقنيات التحلية والمعالجة. ووجوب وجود أنظمة "الإنذار المبكر" لمراقبة مناسيب المياه.
- الدروس المستفادة للوعي المجتمعي:
- * التحول من ثقافة الوفرة إلى ثقافة الندرة.
- * المسؤولية الجماعية في حماية "إسكان" الماء.

المبحث الثاني: المخرجات والنتائج التنموية

- قوله تعالى: {فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ تَحِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ}.
- تحدث الآية عن "المخرجات والنتائج التنموية" بعد الموارد السابقة:
- * مفهوم "الإنشاء" الاستثمار وتحويل المورد: (الماء) المورد الساكن (لم يبق ساكن بل تحول إلى "جنان". الدرس العملي: الموارد) المال، الوقت (لا قيمة لها ما لم تتحول إلى "مشاريع إنتاجية". ف النجاح ليس في امتلاك "رأس المال"، بل في "الإنشاء" به.
 - * مفهوم "التنوع الإنتاجي": ذكرت الآية النخيل) الغذاء الأساسي، والأعناب) اللذة، وفواكه كثيرة (التنوع والرفاهية). (الدرس العملي: ضرورة تنويع المحفظة الاستثمارية؛ لا تعتمد على مهارة واحدة، بل اجعل إنتاجك متنوعاً لضمان الاستقرار.
 - * مفهوم "الأولوية والمنافع المتعددة": قدمت الآية "منافع الاستمتاع والظل" على "منفعة القوت". الدرس العملي: المشروع الناجح هو الذي يحقق "قيمة مضافة" تتجاوز مجرد سد الحاجة الأساسية. اللمسات البيانية والبلاغية:
 - * حرف "به" (السببية): يعود على الماء؛ إذا أحسنت إدارة المورد "بقدر"، كانت النتيجة "جنان".
 - * الجمع في "جنان": ليدل على السعة والوفرة.
 - * تقديم "لكم" على "فيها": يفيد الاختصاص والامتنان؛ أي أن هذا الإنتاج مسخر لخدمة الإنسان.
 - الإسقاط على "إدارة المشروعات":
 - * (الموارد) الآية (18) : تأمين الموارد بدقة وحفظها.
 - * (التنفيذ) الآية (19) : البدء في العمل والتحويل) فأنشأنا).
 - * (النتائج) الآية (19) : جني الثمار المتنوعة.
 - * (الاستدامة): ضمان استمرار الأكل والانتفاع.
 - المحور الأول: دلالة صيغة نون الجمع في الآيتين 18 و 19
 - نون الجمع في الآية {18} وأنزلنا:
 - * دلالة "التعظيم" (نون العظمة): ليلفت انتباه العبد إلى ضخامة هذه النعمة؛ فالمطر قرار سيادي من "خالق عظيم".
 - * دلالة "تعدد الوسائط والجنود": تشترك في العملية الرياح، السحاب، والملائكة؛ فقله {أنزلنا} يشير إلى المنظومة الكونية الهائلة التي تعمل بأمره.
 - * دلالة الإحكام والسيطرة الكاملة: الربط بين صيغة الجمع وبين قوله {بقدر} {بوحى بالقدرة المطلقة. اللمة البيانية والربط بالتجويد:
 - * الغنة في {أنزلنا}: صوت الغنة المخفي يعطي نوعاً من "الهدوء" الذي يسبق الفعل العظيم، تماماً كما يسكن الجو قبل نزول المطر.
 - ما نتعلمه في حياتنا:
 - * التواضع أمام العظمة: استقبال النعمة بصيغة "الافتقار".
 - * تقدير العمل المؤسسي: كما سخر الله "منظومة" لإنزال الماء، نتعلم أن الأهداف العظيمة) كقانوني، مفكر، طبيب، أو سياسي (تحتاج إلى عمل جماعي ومنظم.
 - إلى منظومة عمل متكاملة وأسباب مدروسة وليس مجرد عمل عشوائي.

الأمر الثاني:

- سوف نربط هذه الدلالة (صيغة الجمع) بما ورد في الآية التالية (19): {فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ تَحِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ}.
- "نون العظمة" في وصف مرحلة الإنتاج والبناء؟ إن استمرار نون العظمة في قوله تعالى: {فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ} بعد قوله: {وَأَنْزَلْنَا} يعزز وحدة منظومة الإمداد الإلهي من المصدر وحتى الثمرة.
- إليك الدلالات العميقة لاستمرار صيغة الجمع في مرحلة الإنشاء:
- * دلالة "شمولية الرعاية" (من الإنزال إلى الإنشاء):

* المفهوم: لم يقل "أنزلنا.. فنبتت"، بل قال: {فأنشأنا}; فنون العظمة هنا تدل على أن الله لم يكتفِ بإنزال المادة الخام (الماء)، بل تولى برحمته وعظمته تدبير عملية البناء والنمو حتى صارت جنات.

* الدرس العملي: النجاح ليس مجرد بداية قوية (إنزال)، بل هو "متابعة دقيقة" (إنشاء). في عملك كقانوني، لا يكفي "إنزال" الدفوع، بل لا بد من "إنشاء" صياغة محكمة وبناء قانوني متكامل للمذكرة لتؤتي ثمارها.

* دلالة "تسخير القوى الكونية" في الإنشاء:

* المفهوم: الإنشاء (التنمية الزراعية) عملية معقدة تشترك فيها التربة، الشمس، الرياح، البكتيريا، والتفاعلات الكيميائية؛ وصيغة الجمع تشير إلى إدارة الله لكل هذه "الوسائط" لخدمة الإنسان.

* الرسالة: إذا كانت عظمة الله قد سخرت كل هذه القوى "لكم"، فمن باب أولى أن يستشعر الإنسان مسؤوليتك في عمارة الأرض، فلا يكون أقل شأنًا من هذه المنظومة المطيعة.

* دلالة "الامتنان المضاعف" (العظيم يعطي لخدمة الصغير):

* المفهوم: الربط بين "نحن" (نون العظمة) وبين {لكم} (أيها البشر الضعفاء).

* البلاغة: هذا يسمى في البلاغة "التفات التكريم"؛ فالعظيم سبحانه يتحدث بعظمته ليؤكد أنه سخر كل هذا الإعجاز لخدمة "أنت". وهذا يكسر حدة الكبرياء عند الإنسان ويستبدلها بالحب والا متنان.

اللمسة البيانية والربط بالتجويد في (فأنشأنا):

* الإخفاء الحقيقي في (فأنشأنا): النون الساكنة مع الشين تعطي صوتًا فيه "انتشار" (وهي صفة التفشي في الشين). وهذا الانتشار الصوتي يحاكي انتشار "الخضرة" وامتداد الجنات وتوسعها في الأرض؛ فالصوت يمهّد للصورة البصرية التي تصفها الآية.

* المد الطبيعي في "نا": حركتان فقط توحيان بالاستقرار والتمكين. فبعد حركة الإنزال السريعة جاء الإنشاء مستقرًا وثابتًا في الأرض كالجنات الراسخة.

الدرس: إن انتقال "نون العظمة" من الإنزال إلى الإنشاء يعلمنا "الاستمرارية"؛ فالله لا يبدأ أمرًا ثم يتركه، بل يتمه على أكمل وجه. فليكن عملك أنت أيضًا "بصيغة الجمع"؛ أي متكاملًا، منظّمًا، ومستقرًا حتى بلوغ الثمرة.

الأمر الثالث:

الربط بين نزول الماء واستقراره في الأرض وحصول إنشاء النبات، وبين استقرار النطفة في القرار المكين والشبه بينهما.

إن هذا الربط هو ملمح تدريجي مذهب ينم عن دقة ملاحظة تربط بين "آيات الآفاق" و"آيات الأرض" نفس". في سورة المؤمنون، نجد أن الله تعالى استخدم مفردات "الإسكان" و"القرار" لوصف هاتين الحالتين، مما يكشف عن تشابه بنيوي ووظيفي عميق.

أوجه التشابه بين إسكان الماء في باطن الأرض واستقرار النطفة في الرحم:

* مفهوم "القرار المكين" (الحماية والأمن):

* في الأرض: قال تعالى: {فأسكناه في الأرض}؛ فالأرض هنا تعمل كـ "مستودع" يحمي الماء من التبخر أو الضياع في باطن الأرض السحيق، ويحفظه في طبقات صالحة للاستخراج.

* في الرحم: قال تعالى (في السورة نفسها): {ثم جعلناه نطفة في قرار مكين}. فالرحم هو المستودع الذي يحمي النطفة من المؤثرات الخارجية والصدمات.

* التشابه: كلاهما "بيئة محصنة" أعدها الخالق بعناية لضمان بقاء "أصل الحياة" (الماء أو النطفة) في حالة استقرار تام حتى يحين موعد النماء.

* مفهوم "القدر المعلوم" (التوازن والتقدير):

* في الماء: نزل {بقدر}، أي بحساب دقيق يكفي للأرض ولا يغرقها.

* في النطفة: تتكون وتستقر بقدر محدد من الزمان والظروف الحيوية، لا تتقدم ولا تتأخر إلا بإذن الله.

* التشابه: كلاهما يخضع لمنظومة "التوقيت والكمية المحدودة" لضمان خروج النتيجة المثالية (الجنات في الأرض، أو الجنين في الإنسان).

* مفهوم "الإخراج" بعد "الكمون" (التحول العظيم):

* الماء: يسكن في ظلام الأرض، ثم يخرج بإذن الله لينشئ (جنات).

* النطفة: تسكن في ظلمات الرحم الثلاث، ثم تخرج لتكون خلقًا آخر.

* التشابه: السكون هنا ليس "موتًا"، بل هو فترة إعداد وتحول من طور المادة الساكنة إلى طور الحياة المتدفقة.

اللمسات البيانية والبلاغية:

* أ. دلالة "الإسكان" مقابل "القرار": في الماء استخدم {فأسكناه} وهو يوحي بالهدوء بعد الحركة

(نزل المطر)؛ فالماء الذي كان مضطرباً في السماء سكن واستقر في الأرض. في الإنسان استخدم {قرار مكين}؛ والقرار يعني الاستقرار التام، و"مكين" أي متمكن لا يسهل زحزحته، وهذا يتناسب مع أهمية الجنين وحمايته.

* ب. الربط بأحكام التجويد (اللمسة الصوتية): المد الطبيعي في {فأسكناه} يعطي صوتاً هادئاً مستقراً يوحي بأن الماء وجد "بيتاً" يرتاح فيه. والغنة في {نطفة} توحى باللطافة والدقة؛ فالنطفة كائن رقيق يحتاج إلى عناية إلهية فائقة، تماماً كما أن الماء في باطن الأرض يحتاج لطبقات رقيقة تحفظه.

الدرس المستفاد في حياتنا العملية:

عليك أن تدرك أن "الاستقرار" هو شرط "الإنتاج". كما لا تخرج الجنات إلا بماء "سكن" في الأرض، ولا يخرج الإنسان إلا بنطفة "استقرت" في الرحم؛ فإنك بحاجة إلى فترة "إسكان" واستقرار لكي تنتج. فالمفكر يحتاج إلى فترة إسكان واستقرار في عقله لتنضج أفكاره قبل أن تخرج للنور، وكذلك المعلم يحتاج ليقوم بدوره إلى استقرار وإسكان ليقوم بتربية الأجيال؛ فإذا كانت حياته غير مستقرة فمن الطبيعي أن يتوقف الإنتاج. الأمن الاستراتيجي (الحفاظ على الأصول: الماء في الأرض، والقيم في القلب) هو الذي يضمن بقاء الثمار في المستقبل.

الأمر الرابع:

سوف نربط في هذه الفقرة بين "الماء المنبت للجنات" و"الوحي المنبت للقلوب"، لنرى كيف أن القلب يشبه الأرض في استقباله لغيث السماء؟ فهذا الربط يمثل قمة الهرم في فهم المقاصد القرآنية؛ فاللَّهُ عز وجل الذي جعل الماء مادة حياة الأبدان، جعل الوحي مادة حياة القلوب، والعلاقة بينهما ليست مجرد تشبيه بل هي "قانون كوني" واحد يعمل في المادة والروح. أوجه التشابه بين غيث السماء (المطر) وغيث الأرواح (الوحي):

* مفهوم المصدر العلوي (النزول من السماء):
* في المادة: قوله {وأنزلنا من السماء ماء}؛ فالمطر لا يُصنع في الأرض، بل يأتي من علو ليحيي الموات.

* في الروح: الوحي (القرآن) نزل من السماء ليعيد الحياة للقلوب القاسية والجافة.
* الدرس العملي: كما تنتظر الأرض المطر، يجب أن يظل قلبك متطعلاً للسماء (للوحي) ليستمد منه النور والهدوء؛ فحلول مشكلاتنا الكبرى لا تأتي دائماً من "أرض" تفكيرنا القاصر، بل من "سماء" الهداية الربانية.

* مفهوم "القدر والإحكام" (بقدر):
* في المادة: المطر ينزل بقدر؛ لو زاد لأغرقنا، ولو نقص لجففنا.
* في الروح: التكليف والتشريعات القرآنية نزلت بقدر يطيقه الإنسان ويصلح به حاله.
* الدرس العملي: استيعابك للحقائق القانونية أو الإيمانية يجب أن يكون "بقدر"؛ لا تحمل نفسك أو غيرك فوق طاقتهم، بل تدرج في البناء كما يتدرج المطر في سقي الأرض.

* مفهوم "الإسكان" والوعاء (القلب كالأرض):
* في المادة: {فأسكناه في الأرض}؛ فالأرض التي تحفظ الماء هي الأرض "الحية" التي ستنبت.
* في الروح: القلب هو "أرض" الوحي؛ فالقلب المؤمن هو الذي "يسكن" آيات الله فيه، فلا تمر عليه مروراً عابراً، بل تستقر وتتغلغل في أعماقه.

* الدرس العملي: الفرق بين عالم وآخر ليس في كمية المعلومات (المطر)، بل في قدرة القلب على "إسكان" هذه المعرفة وتحويلها إلى وجدان وقيم راسخة.
السمات البيانية والربط بالتجويد:

* المد المتصل في (السماء): طول المد يوحي بـ "علو المصدر" وسعة العطاء؛ فالوحي كالمطر عطاء واسع لا ينضب ممتد من السماء إلى الأرض.

* الإقلاب في (ماء بقدر): التنوين المظهر عند الباء (في حكم الإقلاب/الإخفاء حسب القراءة، وهنا يقصد الضبط) يمنح نغمة "محكمة" ومنضبطة؛ وهذا الانضباط الصوتي يحاكي انضباط "الحجة" في الوحي ودقة التشريع في القرآن.

الدرس النهائي لقلبك وعقلك:

قلبك هو "الأرض" التي تستقبل غيث المعاني، تذكر دائماً:

* كن أرضاً طيبة: فالأرض السبخة لا ينفعها كثرة المطر، والقلب المتكبر لا ينفعه كثرة العلم.
* أسكن المعنى: لا تكتفِ بالقراءة السطحية؛ اجعل المعاني "تسكن" في فكرك حتى تنضج وتتحول إلى "جنات" من الحجج والبراهين.

* احذر الجفاف: الشكر والعمل هما اللذان يحفظان "ماء" الوحي في قلبك من الزهَاب والضياع.

المحور الثاني:

سنتناول الآن الآية 19 من سورة المؤمنون: {فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون} بشرح مفاهيمي دقيق يربط بين المعنى القرآني والأداء التجويدي:

* فقرة {فأنشأنا لكم به}: مفهوم "التحويل والفاعلية"
* المفهوم: تحويل المورد الخام (الماء) إلى أصل إنتاجي (جنات). الفاء تفيد "السرعة"، والباء في "به" تفيد "السببية"؛ أي أن الإدارة الجيدة للمدخلات تؤدي لنتائج فورية وملموسة.
* دور أحكام التجويد: الإخفاء الحقيقي في {فأنشأنا} بصوت الغنة يمنح نوعاً من اللطافة و التدرج، وهو ما يتناسب مع عملية "الإنبات" والنمو التي تحدث في خفاء وهدوء تحت الأرض قبل الظهور. والمد الطبيعي في {فأنشأنا} يوحي بسعة الخلق وعظمة الإنشاء الإلهي.
* فقرة {جنات من نخيل وأعناب}: مفهوم "الوفرة والتنوع الاستراتيجي"
* المفهوم: الجمع في "جنات" يوحي بتعدد المشاريع، وذكر "النخيل" (قوت أساسي) و"الأعناب" (لذة ورفاهية) يعلمنا مبدأ تنويع مصادر الدخل والجمع بين الضروري والتكميلي لضمان الاستقرار.
* دور أحكام التجويد: الغنة المشددة في {جنات} تضيء جواً من الامتلاء والبهجة الصوتية التي تناسب منظر الأشجار الكثيفة الملتفة. والإدغام بغنة في {جنات من} و{من نخيل} يرمز صوتياً إلى تداخل الأغصان واختلاط الثمار في الحديقة الغناء. والإدغام الناقص في {نخيل وأعناب} يخدم مفهوم "الوحدة في التنوع".

* فقرة {لكم فيها فواكه كثيرة}: مفهوم "القيمة المضافة والرفاهية"
* المفهوم: لم تكتفِ الآية بذكر القوت (النخل)، بل أضافت "فواكه كثيرة" لتدل على سعة الكرم والرفاهية. وكلمة {لكم} تقدمت لبيان الاختصاص؛ أي أن هذا الإنتاج كله موجه لخدمتكم وإسعادكم.
* دور أحكام التجويد: الإدغام بغير غنة في {أعناب لكم} "حزم صوتي" يؤكد استحقاق الإنسان لهذه المنفعة ووصولها إليه دون عوائق.

* فقرة {ومنها تأكلون}: مفهوم "الاستدامة والاكتفاء الذاتي"
* المفهوم: الغاية النهائية هي "الأكل" أي المنفعة المباشرة وتحقيق الاكتفاء. تقديم {منها} يفيد الحصر والامتنان؛ أي أن رزقكم الأساسي والأمن هو ما تنتجونه بأيديكم من هذه الأرض.
* دور أحكام التجويد: الإظهار الحلقفي في {ومنها} يوحي بـ "الوضوح والجلالة" في الرزق؛ فهو حلال وظاهر وميسر. والمد العارض للسكون في {تأكلون} يمنح شعوراً بالاستقرار والسكينة والرضا بعد رحلة العمل والإنتاج.

الدرس الثاني:

تجلى في الآية (19) دقة بالغة في استخدام أسلوب التخصيص (ذكر أنواع محددة) والتعميم (ذكر فئات شاملة)، وهذا التزاوج البياني يرسم لنا منهجاً متكاملًا في الحياة والعمل.

أولاً: دلالة التخصيص (نخيل وأعناب):
خص الله "النخيل والأعناب" لعدة أسباب: تعدد المنافع (غذاء، سكن، أمان اقتصادي، فاكهة، ظل، تصنيع)، والاستدامة والجمال (شجر معمر وصبور وملتف)، والتناسب البيئي (رموز عالمية للإنتاجية).
* ما نتعلم من التخصيص: التركيز على "الأصول القوية" في عملك؛ لا تشتت جهدك، بل ركز على الأصول التي تحقق أكبر نفع وأطول بقاء. والجودة قبل الكمية؛ فإتقان التخصص هو سر التميز. ثانياً: دلالة التعميم (جنات - فواكه كثيرة):

انتقلت الآية من التخصيص للتعميم لتشمل كل ما يبهج النفس وينفع البدن. كلمة "جنات" (نكرة ومجموعة) تدل على عدد غير محصور، و"فواكه كثيرة" تفتح باب الأمل في سعة الرزق وتنوع العطاء.

* ما نتعلم من التعميم: الشمولية في العطاء؛ فالله يرزقنا "الضروريات" و"التحسينات". وفتح آفاق الطموح؛ فلا تحصر نفسك في نتائج ضيقة.

ثالثاً: ما تدعونا إليه الآية:
تبني عقلية الوفرة المنظمة من خلال: إدارة الأولويات (الضروريات أولاً ثم الرفاهية)، والتكامل بين "الخاص" و"العام" (تخصص دقيق مع ثقافة واسعة)، والشكر على التفاصيل والعموم.

رابعاً: الدروس العملية المستفادة (المنهج التطبيقي):
* في الإدارة: "خصص" أهدافك الكبرى بوضوح، و"عمم" روح المبادرة والفوائد.
* في الاستثمار: ابحث عن "النخيل" (الثابت) و"الأعناب" (السريع النمو) ولا تغفل عن "الفواكه الكثيرة" (تنويع الدخل).

* في التربية: ركز على بناء القيم الأساسية (تخصيص)، واترك مساحة للإبداع والهوايات (تعميم).
الخلاصة: التخصيص يعطيك "العمق والاستقرار"، والتعميم يعطيك "السعة والانتشار".

الدرس الثالث: دلالة تكرار {لكم}
تكررت كلمة {لكم} مرتين: الأولى في {فأنشأنا لكم}، والثانية في {لكم فيها فواكه}. هذا التكرار

يحمل دلالات عميقة:

- * دلالة "التكريم والاستخلاف": تقديم {لكم} يفيد الاختصاص والتشريف؛ فلكل هذه المنظومة مسخرة لخدمتك أنت. والدرس هو استشعار المسؤولية كمدير ناجح لهذه الموارد.
- * دلالة "التحفيز والامتنان": ربط النعمة بالمنعم عليه يثير المحبة للخالق. والدرس في بيئة العمل هو ربط المهمة بمصلحة الشخص وتطوره.
- * دلالة "التمليك والتمكين": توهي بأن الثمار أصبحت في حوزتكم وتحت تصرفكم. وهذا يؤصل لحق الملكية والانتفاع ويدعو للعمل لتأمين حياة كريمة.
- * دلالة "القصدية في الإنتاج": الإنتاج مقصود لنفعكم وليس عشوائياً. والدرس هو ألا تجعل عملك هباءً؛ بل اجعل لكل مشروع جهة مستفيدة واضحة.

الدرس الرابع: نفي فكرة عبثية الخلق

الآية (19) رد بليغ على "العبثية"؛ فهي ترسم مساراً عملياً يربط بين السعي والتمتع المنضبط بالشكر.

- * دلالة "التسخير الموجه": تكرار {لكم} يقطع الطريق أمام الشعور بالضياع الكوني؛ فإذا كان الكون مسخراً لك، فمن غير المنطقي أن تكون أنت "عبثاً".
- * دلالة "الفاء" في {فأنشأنا}: الانتقال من توفر المورد (الماء) إلى البدء في الإنتاج (الإنشاء). العبثية تنتهي عندما يبدأ الإنسان في "الإنشاء والتعمير".
- * دلالة "التمتع الواعي": الاستمتاع بالطيبات جزء من العبادة إذا صحبه استشعار المصدر.
- * دلالة "الغاية النهائية" {ومنها تأكلون}: الربط بين الجنات العظيمة والأكل البسيط يعلمنا التواضع؛ فنحن نحيا لنعبد الله ونعمر أرضه، وهذه الدورة تنفي العبثية تماماً.
- الربط مع ختام السورة: بدأت السورة بذكر الجنات وختمت بسؤال: {أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً؟} وكان الآية (19) كانت الدليل المادي على أن هذا النظام المتقن له غاية عظيمة.

الدرس الخامس: إدارة الوقت

الوقت هو "المطر" الذي ينزل على عمرك؛ فإما أن تجعله "جنات" أو يضيع سدى.

- * وقت الإنشاء: الوقت للاستثمار؛ فكل ساعة تعلم هي "إنشاء" لجناتك المستقبلية.
- * الأولويات الزمنية: البدء بالأصول (وقت النخيل: العبادات، العمل الأساسي، الأسرة) ثم التحسينات (وقت الفواكه: الترفيه).
- * تعدد العوائد الزمنية: البحث عن الأعمال ذات العوائد المتعددة (كالقراءة) لتثمر الدقيقة الواحدة "فواكه كثيرة".
- * الاستمتاع بالمسار {ومنها تأكلون}: تخصيص وقت للراحة والاستمتاع بالنتائج لتجديد الطاقة.

المحور الثالث: دلالات الواو في الآيات

الواو في {ومنها تأكلون} ليست مجرد عطف، بل هي رابط بين "المتعة" و"البقاء".

- * دلالة "التنوع والشمول": تجمع بين متعة النظر (الجمال) ومنفعة الجسد (الأكل).
- * دلالة "الترتيب الوجودي": الأكل هو خاتمة سلسلة الإنتاج (ماء -> إسكان -> إنشاء -> جنات -> فواكه -> أكل).
- * دلالة "الحصر والتبويض": الواو مع "من" تدل على أن الأكل هو "بعض" فوائد الجنات (هواء، دواء، جمال).
- المسارات البيانية:
- * تقديم {ومنها}: يفيد الاختصاص؛ أي أن أكلكم الطيب هو من هذه الثمار المباركة.
- * الفعل المضارع {تأكلون}: يفيد التجدد والاستمرار؛ فالنعمة لا تنقطع ببركة الإنشاد الإلهي.
- * الوصل في الواو: صوت الواو (المجهور الرخو) يعطي اتصالاً يشعرك بأن دورة النعمة محكمة ومتصلة.
- * المد العارض للسكون في {تأكلون}: يمنح السامع فرصة للتلذذ بالمعنى واستشعار سعة الرزق.
- الدرس المستفاد لحياتك العملية:
- إذا كنت باحثاً أو محامياً، فإن الواو تعلمك "الربط المنطقي"؛ فكما ربطت الواو بين الإنشاء والأكل، اربط دائماً في مذكراتك بين الحجة والنتيجة.

الدرس الثاني

الربط بين الواو في "وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ" نهاية الآية (19) والواو في "وَشَجَرَةٍ" بداية الآية (20) يكشف عن بناء هندسي مهبر في النظم القرآني، حيث تتحول "الواو" من مجرد أداة ربط إلى "جسر إمداد" يربط بين نعم العام ونعم الخاص. وأبحاثك بين "الأسباب" و"النتائج" لا تجعل النتائج مقطوعة عما قبلها. واو المشاركة: اجعل عملك وجهدك دائماً له "واو" عاطفة للنفع؛ أنشأت بحثاً ونفعت به الناس، لا

تتوقف عند مرحلة الإنشاء، بل ابحث عن مرحلة "الإطعام" والنفع المتعدي.

إليك التحليل المفاهيمي والبلاغي لهذا الربط:

1. دلالة واو الاتصال والنمو) عطف النماء على النماء):

* المفهوم: الواو في "وَشَجَرَةً" تأتي لتعطف هذه الشجرة المباركة على "الجنات" المذكورة سابقاً.
* الدلالة: هي توحى بأن كرم الله لا يتوقف عند حد معين؛ فبعد أن خلق لكم الجنات العامة) نخيل وأعنان) عطف عليها استثماراً نوعياً وهو الزيتون. هذه الواو تسمى "واو التعداد التراكمي"، وهي تفتح شهية العقل لاستشعار كثرة النعم التي لا تحصى.

2. الربط بين "الأكل" و"الصناعة") تكامل الدورة الاقتصادية):

* الآية (19) ختمت بـ "تأكلون"؛ ركزت على الاستهلاك المباشر وسد الحاجة البيولوجية.

* الآية (20) بدأت بـ "وَشَجَرَةً"؛ انتقلت بنا عبر "الواو" إلى مستوى أرقى من الارتفاع) الدهن، الصبغ، العلاج).

* الدلالة: الواو هنا تربط بين "الأمن الغذائي" (الأكل و"الأمن الصناعي والصحي") الزيتون؛ هي تخبرك أن الذي أعطاك ما تأكله هو نفسه الذي أعطاك ما تتداوى به وتستضيء به.

اللمسات البيانية والبلاغية لكل فقرة:

* أ. ناصب "وَشَجَرَةً":

* البلاغة: كلمة "شجرة" منصوبة، والتقدير: وأنشأنا لكم شجرة).

* الدلالة: تكرر "الإنشاء" المقدر بعد الواو يوحي بأن كل نعمة جديدة هي "خلق جديد" وتدير خاص من الله وليست مجرد زيادة عددية؛ الواو هنا تحمل معها نون العظمة المستترة من الفعل السابق.

* ب. الانتقال من الجمع إلى الفرد:

* انتقلت الواو من جمع الجنات "جَنَاتٍ" إلى فردية الشجرة "وَشَجَرَةً".

* الدلالة: الواو تربط بين "الكثرة" التي تملأ العين، وبين "الوحدة النوعية" التي تملأ الحاجة. وهذا يعلمنا في الإدارة أن نهتم بالمشاريع الكبرى) الجنات (وبالتفاصيل النوعية) شجرة الزيتون (في آن واحد.

ربط الواو بأحكام التجويد) اللمسة الصوتية):

* الوصل بين اليتين: عند وصل "تأكلون" بـ "وَشَجَرَةً"، نجد تناغماً بين المد العارض في نهاية الآية الأولى وبين فتح الواو في الآية الثانية.

* الدلالة: الصوت الممتد في "تأكلون" ينتهي بفتحة الواو، مما يوحي بـ "الانشراح" وسعة العطاء . وكان النعمة الأولى تسلمك للنعمة الثانية بسلاسة تامة، دون انقطاع في فيض الكرم الإلهي.
الدرس المستنبط:

* استراتيجية "الواو" في التفكير: لا تجعل أفكارك جزءاً منعزلاً؛ استخدم "الواو" الربانية لتربط بين أهدافك؛ اجعل نجاحك في كسب القضية) الأكل (معطوفاً عليه تطوير المبدأ القانوني) الزيتون).
* التراكم المعرفي: بصفتك مهتماً بـ "مخطوطات المفاهيم القرآنية"، تذكر أن كل مفهوم جديد تدرسه هو "واو" عاطفة تضاف لمخزونك السابق، فتكتمل عندك صورة "الجنات الفكرية". هذه الواو هي خيط النور الذي يربط بين آيات السورة. هل تود أن نرى كيف مهدت هذه الواوات للوصول إلى الآية 21 التي تتحدث عن "الأنعام"، لتكتمل دائرة النعم) ماء - نبات - حيوان(؟).

الدرس الثالث

الواو في الآية (21): "وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ ۖ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ فِيهَا مَتَاعٌ كَثِيرٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ"؛ نكون قد وصلنا إلى ذروة "الهندسة الإنتاجية" في القرآن، حيث تكتمل الدورة من الجماد) الماء (إلى النبات) الجنات (وصولاً إلى الحيوان) الأنعام).

إليك الربط المفاهيمي والبلاغي والتجويدي لهذه الحلقة الجديدة:

1. مفهوم "تكامل السلسلة الغذائية") الواو والترتيب):

* المفهوم المستنبط: بعد أن استقر الماء في الأرض) الآية (18 فأثبت النبات) الآية 19 - (20، جاء الدور على ما يتغذى على هذا النبات وهي الأنعام.

* الدلالة: "الواو" هنا تربط بين المصدر النباتي والمصدر الحيواني؛ الله يمتن عليك بأنه سخر لك دورة حياة كاملة: الأرض تخدم النبات، والنبات يخدم الحيوان، والكل في النهاية يخدمك "أنت". هذا هو مفهوم "التسخير الشامل".

2. مفهوم "العبرة والتحويل الإعجازي") لعبرة):

* المفهوم المستنبط: كلمة "عبرة" مشتقة من العبور؛ أي العبور من المشاهدة الظاهرية إلى الحقيقة العميقة.

* الدلالة: كما استخرج الله "الدهن" من "شجرة" صلبة، يستخرج لك هنا "اللبن" الصافي من بين "قرث ودم". هو مفهوم "التنقية والاستخلاص"؛ كيف يخرج الله الجمال والمنفعة من وسط بيئات معقدة.

* اللمة الببانية: تقديم) لكم (في قوله) وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ {لببان أن الهدف الأول من وجود هذه الأنعام هو "اعتباركم وتفكيركم" قبل أن يكون "أكلكم".

3. مفهوم "تعدد المنافع") وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ):

* المفهوم المستنبط: الأنعام ليست للحم فقط، بل هي رأس مال متحرك) أوبار، جلود، ألبان، وسيلة نقل).

* الدلالة: تكرار جملة "وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ" التي وردت في "الجنات" وتكررت هنا في "الأنعام"؛ لتأكيد أن لكل هو "خاتمة" المنافع وليس وحدها. هذا يعلمنا في الإدارة والبحث "تعدد العوائد" للمشروع الواحد.

أحكام التجويد واللمسات الصوتية) الربط الحي):

* الإدغام بغنة (في) لَعِبْرَةٌ تُسْقِيكُمْ):

* الدلالة: الغنة الممتدة بين كلمة "عبرة" و "نسقيكم" تربط بين الجانب العقلي التفكير (والجانب الجسدي) الشرب). وكأن التفكير في عظمة الله هو الذي يروي الروح كما يروي اللبن الجسد.

دروس مستنبطة لواقع القانوني والفكري:

* منظومة التبعية: كما أن الأنعام تتبع النبات في الوجود، نجد في القانون "الفرع يتبع الأصل". تأمل كيف ترتبط الأحكام ببعضها البعض كما ترتبط نعم الله في هذه الآيات.

* الاستثمار في "المنافع الكثيرة": لا تنظر لعملك أو بحثك من زاوية واحدة) الأكل/ الربح المادي)، بل ابحث عن المنافع الكثيرة) الأثر الاجتماعي، تطوير الفكر، نصرة المظلوم).

* الاستخلاص والصبغة: كما يستخلص اللبن الصافي والدهن المبارك، حاول دائماً استخلاص "الحقيقة" من بين ركام الدفوع والأوراق الكثيرة لتخرج بـ "صبغة قانونية" بيضاء نقية.

الدرس الرابع

بوصولنا إلى الآية (22): "وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ"؛ نكون قد استكملنا أركان "الحضارة المتكاملة" في القرآن، فبعد تأمين الماء) الآية (18)، والغذاء والزراعة) الآية (19-20)، والثروة الحيوانية) الآية (21)، ينتقل السياق إلى وسائل الاتصال والنقل، ليربط بين البر والبحر في منظومة واحدة.

إليك التحليل المفاهيمي والبياني لهذا الربط:

1. مفهوم وحدة التدبير) الربط بين الحيوان والجماد):

* المفهوم المستنبط: الربط بين) الأنعام ("وَعَلَيْهَا") وبين) السفن ("وَعَلَى الْفُلْكِ") في جملة واحدة.

* الدلالة: الله يمتن على الإنسان بأنه سخر له نوعين من "الحوامل": حوامل) حيوية) الأنعام في البر ، وحوامل) صناعية) الفلك في البحر.

* الرسالة: هذا يعلمنا مفهوم "تكامل الوسائل"؛ فالحياة لا تستقيم بإنتاج الغذاء فقط، بل لا بد من وسيلة لنقله وتداوله. النعمة هنا هي "الحركة والقدرة على الانتشار".

2. مفهوم "التسخير المزدوج") قهر الصعاب):

* المفهوم المستنبط: الانتقال من "الأكل" إلى "الحمل".

* الدلالة: الأنعام التي ذكر الله أننا نأكل منها في الآية السابقة هي نفسها التي تحملنا وتحمّل أثقالنا؛ هذا هو قمة الاستثمار للمورد الواحد؛ فهو غذاء وكساء ووسيلة نقل.

* اللمة الببانية: تقديم الجار والمجرور "وَعَلَيْهَا" و "وَعَلَى الْفُلْكِ" للحصر والامتنان، أي أن الله هو الذي جعل هذه الأجسام قادرة على حمل أوزانكم الثقيلة، ولولاه لغصتم في رمال البر أو غرقتم في لحي البحر.

أحكام التجويد واللمسات الصوتية) التناغم بين البر والبحر):

* المد الطبيعي في "وَعَلَيْهَا" و "على":

* الدلالة: تكرار حرف "على" مع المد الطبيعي) حركتان) يعطي شعوراً بـ "الاستعلاء والتمكين". الصوت يوحي بالثبات فوق ظهر الدابة أو فوق سطح السفينة؛ هو نغم يبعث على الأمان أثناء الرحلة.

* الضم في "تُحْمَلُونَ":

* الدلالة: الفعل مبني للمجهول أو لما لم يسم فاعله، والابتداء بالضمّة يعطي شعوراً بـ "الاحتواء"؛ أنت لست الذي تحمل نفسك، بل هناك قوة إلهية "تحملك" وتكلك برعايتها؛ الصوت الضمير هنا يوحي بالضم والرعاية.

دروس مستنبطة لواقع القانوني والفكري:

* مفهوم "المسؤولية عن النقل": في الفقه والقانون هناك أحكام خاصة بـ "الحمولة" و "النقل". الآية تؤصل لشرعية الانتفاع بالوسائل المسخرة، وتعلمنا أن "الوسيلة" لا تقل أهمية عن "الغاية".

* العبور الفكري: كما تحملنا الأنعام والفلك عبر المسافات، تحملنا "المفاهيم القرآنية" التي تدرسها عبر الزمن؛ البحث العلمي هو "فلك" يعبر بك من ظلمات الجهل إلى نور المعرفة.

* تكامل الأدوار: لا تحتقر وسيلة صغيرة؛ فالفلك الخشب والجماد (يؤدي وظيفة لا تؤديها الأنعام) الروح والحياة (في الماء؛ كل مورد في حياتك له "تخصص" لا يسده غيره).

المبحث الثالث

نتنقل الآن إلى محطة إنتاجية فريدة في سورة المؤمنون، وهي قوله تعالى: {وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدَّهْنِ وَصَيِّغٌ لِلْأَكْلِينَ}. (بعد ذكر الجنات العامة) النخيل والأعناب،) خص الله شجرة الزيتون بالذكر لأهميتها الاستراتيجية التي تجمع بين الغذاء والصناعة والطب.

الأمر الأول: إليك التفسير التحليلي والمفاهيمي لهذه الآية:

1. المعنى العام للآية:

تنتقل الآيات من الحديث عن الحداثق المتنوعة) النخيل والأعناب (إلى شجرة فردية مباركة، وهي الزيتون، مبيناً موطنها الأصلي وفائدتها المزدوجة) غذاء وصناعة.

2. التحليل التفصيلي لل فقرات:

* أ. "وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ":

* التخصيص: خص الزيتون بالذكر لعظيم بركتها وطول عمرها) ألف عام وأكثر (وقدرتها على الإنتاج في التربة الصخرية.

* (الموطن) طور سيناء: جبل الطور بمصر هو الموطن الأصلي المشهور لهذه الشجرة، وذكره هنا يضفي قدسية وأصالة، لأنها البقعة التي كلم الله فيها موسى عليه السلام.

* ب. "تَنْبُتُ بِالدَّهْنِ":

* الدهن هو زيت الزيتون؛ وصفت الآية الشجرة بأنها تنبت مصحوبة بالدهن، وكأن الزيت يخرج منها جاهزاً، وهو إعجاز في بيان غزارة مادتها الزيتية.

* الفائدة الطبية: الزيت يستخدم دهاناً للجسم وشعراً وعلاجاً، وهو من أصح الدهون للإنسان.

* ج. "وَصَيِّغٌ لِلْأَكْلِينَ":

* الصيغ: هو الإدام) ما يغمس فيه الخبز،) وسمي صيغاً لأنه يصبغ الخبز) يلونه (عند غمسه فيه.

* المعنى البياني: تشير إلى أن الزيتون ليس مجرد ثمرة تؤكل، بل هو "محسن" للطعام يعطي لونا وطعماً وقيمة غذائية.

3. اللمسات البيانية والبلاغية:

* الربط بالآية السابقة: في الآية 19 قال "لَكُمْ"، أما هنا فقال "لِلْأَكْلِينَ"؛ ليشير إلى أن نفع الزيتون عام لكل من يأكل، فهو "منتج عالمي" يتجاوز الزمان والمكان.

* استخدام الفعل "تَخْرُجُ" و "تَنْبُتُ": يعطي صورة حية لحركة النمو والتدفق الحيوي لهذه الشجرة المباركة.

أهم المفاهيم:

المفهوم الأول: مفهوم "الأصالة والمكانة الاستراتيجية" (وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ):

* المفهوم المستنبط: أهمية اختيار "البيئة المثالية" للإنتاج؛ ذكر "طور سيناء" الموطن التاريخي والمكاني لأجود أنواع الزيتون، مما يعلمنا في حياتنا العملية أهمية التوطن الصناعي، أي أن لكل مشروع بيئة جغرافية وقانونية وثقافية تجعله ينمو بأفضل صورة. فالزيتون شجر معمر يضرب جذوره في التاريخ، مما يرمز إلى المشاريع العريقة التي لا تندثر بمرور الزمن، وهو ينمو في الصحراء ومن هنا تبرز أهمية اختيار البيئة المناسبة لكل مشروع لضمان أعلى جودة.

* اللمسات البيانية والبلاغية:

* التنكير في "وَشَجَرَةً": جاء التنكير هنا للتعظيم والتبجيل لهذه الشجرة المباركة، ولفت الانتباه لفرادتها عن بقية أشجار الجنات السابقة.

* الفعل "تَخْرُجُ": التعبير بالخروج يوحي بالقوة والاندفاع، فهي تشق الصخر في جبل الطور لتخرج، مما يرمز لإرادة النجاح في البيئات الصعبة وإلى بذل الجهد في المهام الصعبة؛ فالتميز في الصعاب، فخرج الشجرة من منطقة جبلية صخرية) الطور (يثبت أن النجاح المتميز ممكن حتى في البيئات الصعبة والقاسية إذا وجدت "الجذور القوية".

* دور أحكام التجويد:

* الإخفاء الحقيقي في "تَخْرُجُ": الغنة المرققة تعطي جرساً صوتياً لطيفاً يمهد لخروج النبتة من الأرض، وكأن الصوت ينسل برفق كما تنسل الشجرة من بين الصخور.

* المد المتصل في "سَيْنَاءَ": يمدد 4 أو 5 حركات، وطول المد هنا يمنح المهابة والامتداد لهذا المكان المقدس) طور سيناء،) مما يعزز مفهوم عظمة المصدر والشجرة المرتبطة به. وهذا يدعو إلى الاستثمار طويل الأمد؛ فالزيتون شجر معمر وهذا يدعونا لبناء مشاريع وأعمال تتسم بالديمومة والبركة وتخدم الأجيال القادمة.

المفهوم الثاني: مفهوم "استخراج الجوهر والقيمة المضافة" (تَنْبُتُ بِالدَّهْنِ):

* المفهوم المستنبط: تحول الثمرة من مادة خام إلى مادة مصنعة) الزيت / الدهن. (الآية لم تقل "تنبت بالزيتون" بل "بالدهن"، لتركز على "الخلاصة والمنفعة المركزة". عملياً، هذا يدعونا لاستخراج أفضل ما في قدراتنا ومهامنا) الدهن (بدلاً من الانشغال بالقشور.

- * اللمسات البيانية والبلاغية:
- * التعدية بالباء "إلْدُهْن": توحى بأن الدهن ملازم للشجرة وكأنه جزء من كيانها الحي، وليس مجرد مادة تستخرج منها لاحقاً، وهذا قمة الإعجاز في وصف غزارة الزيت فيها.
- * دور أحكام التجويد:
- * الإقلاب في "تَبَتْ": قلب النون ميماً عند الباء يتطلب إطباقاً ليناً للشفيتين؛ صوت الميم المكتوم هنا يشبه عملية الضغط والعصر الهادئة التي تجرى للزيتون لاستخراج دهنه. فالحكم التجويدي يخدم المعنى الميكانيكي لاستخراج المادة، يعلمنا ألا نتوقف عند المادة الخام (الثمرة)، بل نستخرج منها "الجوهر" (الدهن). (في عملك، ابحث دائماً عن استخلاص الفوائد العميقة من مهامك العادية).

المفهوم الثالث: مفهوم "التكامل والجمال الوظيفي" (وَصَيَغُ لِلْأَكْلَيْنِ):

- * المفهوم المستنبط: الزيتون ليس طعاماً مستقلاً، فحسب بل هو "صبغ" (إدام) (يحسن بقية الأ طعمة؛ هذا يمثل "التكامل الوظيفي"؛ أن يكون عملك مكملًا، ومحسناً لأعمال الآخرين، فتضفي "صبغة" من الجودة والجمال على كل ما تلمسه.
- * اللمسات البيانية والبلاغية:
- * كلمة "صَيَغُ": اختيار هذا اللفظ دون "إدام" يشير إلى تغلغل الزيت في الطعام وتغيير لونه وطعمه، وهو تشبيه بليغ للأثر العميق الذي يتركه المبدع في عمله.
- * التعميم في "لِلْأَكْلَيْنِ": الانتقال من "لكم" في الآية (19) إلى "لِلْأَكْلَيْنِ" يدل على أن نفع هذه الشجرة "عالمي" وعابر للحدود، فهي لكل آكل في الأرض.
- * دور أحكام التجويد:
- * الققللة الصغرى في "وَصَيَغُ": حرف الباء المقلقل يعطي نبرة قوية وارتجاجاً صوتياً يوحي بحيوية المادة السائلة) الزيت (وقدرتها على الحركة والتغلغل.
- * الإدغام بغير غنة في "وَصَيَغُ لِلْأَكْلَيْنِ": سرعة الانتقال من التنوين إلى اللام توحى بسرعة الاستجابة والانتفاع؛ فالزيت يصل لخلية الإنسان وينفع البدن بسرعة وسهولة.
- * الدرس العملي: كن في فريقك كالزيت، تحسن أداء الآخرين وتضيف "صبغة" من الجمال والجودة على العمل الجماعي. هذا هو مفهوم "التكامل الوظيفي".
- * المفهوم الرابع: دلالات التخصيص والتعميم في الآية (20):
- * التخصيص: خص الزيتون بالذكر بعد التعميم في "الجنات" الآية (19) لبيان فضله الاستثنائي كونه شجرة مباركة تجمع بين:
- * (الغذاء): للأكل.
- * (الدواء): دهان وعلاج.
- * (الطاقة): كان الزيت يستخدم للإضاءة قديماً.
- * التعميم في "لِلْأَكْلَيْنِ": لم يقل "لكم" كما في الآية السابقة، بل قال "لِلْأَكْلَيْنِ" بصيغة عامة تشمل كل من ينتفع بها من البشر في كل زمان ومكان، مما يدل على "عالمية المنتج" وقدرته على غزو الأسواق والبيئات المختلفة.
- * ثالثاً: ماذا نتعلم من هذه الآية في حياتنا العملية؟
- * استثمار الأراضي الصعبة: الزيتون يخرج من "الطور" بيئة جبلية صخرية، مما يعلمنا أن النجاح ممكن في الظروف الصعبة إذا اخترنا "المنتج المناسب" لتلك البيئة.
- * الاستدامة والبركة: الزيتون شجر يعيش مئات السنين؛ فليكن هدفك بناء "مشروعات مستدامة" تخدم الأجيال القادمة.
- * تعدد المسارات الوظيفية للمنتج الواحد: فكر كيف تجعل خدمتك مفيدة في أكثر من اتجاه) غذائي، جمالي، صناعي (تماماً كشجرة الزيتون.
- * خلاصة السلسلة:
- * الآية 18: أمن الموارد) الماء.
- * الآية 19: التنمية الزراعية والرفاهية) الجنات.
- * الآية 20: الصناعة المتخصصة والقيمة المضافة) الزيتون.

الأمر الثاني:

- تخصيص طور سيناء بالذكر في الآية 20
- تحمل دلالات عقدية وتاريخية وجغرافية عميقة تربط بين بركة "الشجرة" وبركة "المكان".
- أولاً: لماذا خص الله "طور سيناء" بالذكر في هذه الآية؟
- * دلالة "الأصالة والمنشأ": جبل الطور في سيناء هو الموطن الأصلي والأقدم لشجر الزيتون ومنه انتشرت إلى بقية بقاع الأرض. ذكر الموطن هنا يؤكد على "جودة الأصل"؛ فزيتون الطور يُضرب به المثل في الصفاء والبركة.
- * الربط بين البركة المادية والبركة الروحية: أراد الله أن يجمع في الآية بين نوعين من البركة: بركة

الشجرة) الزيتون (التي تمتد الأجسام بالدهن والغذاء، وبركة المكان) الطور (الذي هو مهبط الوحي ومسرح أحد أعظم الأحداث الإيمانية) تكليم الله لموسى عليه السلام).
* الإعجاز في "الاستنبات": شجر الزيتون يخرج من بين الصخور وفي بيئات جبلية قاسية. ذكر "الطور" وهو جبل صخري يؤكد قدرة الله على إخراج "الدهن" اللين السيال من قلب الحجر الصلب، وهذا قمة الإعجاز في استثمار الموارد في أصعب الظروف.

ثانياً: دلالة "الوادي المقدس" في القرآن الكريم:
ورد ذكر الوادي المقدس في القرآن الكريم بلفظ طوى (في سورتي طه والنازعات)، وتتجلى دلالة في المحاور التالية:

* دلالة "الاصطفاء والقدسية": قال تعالى: {إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى}. {التقديس هنا يعني الطهارة و البركة الخاصة. هو المكان الذي اختاره الله ليكون نقطة الاتصال المباشر بين السماء والأرض) التكليم، مما يجعله رمزاً لـ "مركزية الوحي".

* دلالة "التواضع والأدب مع النعمة": أمر الله موسى عليه السلام بخلع نعليه {فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ}. {هذه دلالة تربوية على أن الأماكن المباركة والعلوم الشريفة تتطلب "تجرداً وتواضعاً تاماً" قبل الدخول إليها أو الاستفادة منها.

* دلالة "الأمن والاستقرار": أقسم الله بهذا المكان في سورة التين {وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ}. {الربط بين الطور والبلد الأمين} مكة (يدل على أن الوادي المقدس هو أحد ركائز "الأمن الروحي" للبشرية، حيث بدأت منه شرائع عظيمة غيرت مجرى التاريخ. الملمات البيانية والربط بالتجويد:

* المد المتصل (في سِينَاءَ): (الدلالة: المد الطويل4) - 5 حركات (يعطي شعوراً بالامتداد والمهابة، وهو يتناسب مع "قدسية المكان" وعلو الجبل. الصوت الممتد يرسخ في ذهن السامع أن هذا ليس مجرد جبل عاد، بل هو مكان ذو شأن عظيم.

* الإخفاء (في من طور): (الدلالة: حسب قراءة حفص الإخفاء في نون "من")، ولكن عند الوقوف على كلمة "طور" أو استشعار نطقها بوضوح، نجد أن الطاء حرف استعلاء قوي؛ قوة حرف الطاء توجي بقوة وثبات الجبال المقدسة وصمودها عبر الزمن. ما نتعلمه من هذا الربط:

* احترام بيئة الإنتاج: كما قدس الله مكان إنتاج الزيتون (الطور)، يجب علينا احترام البيئات التي تخرج لنا الخيرات (الأرض، المصانع، مراكز العلم).

* الجمال مع المنفعة: الوادي المقدس جميل بقدسيته (روحياً ومفيداً بشجره) مادياً. (هكذا يجب أن تكون مشاريعنا نافعة ومباركة في آن واحد.

الأمر الثالث: استثمار الموارد

يعد قوله تعالى: "تَنْبُتُ بِالدَّهْنِ وَصَيِّغٌ لِلْأَكْلَيْنِ" قاعدة ذهبية في "اقتصاديات الاستثمار المريح" و "تعظيم القيمة المضافة"؛ فالمورد هنا ليس مجرد "شجرة"، بل هو منظومة إنتاجية متكاملة. إليك أهمية استثمار الموارد كما نستنبطها من هذه الآية الكريمة:

* مفهوم "تعظيم القيمة المضافة":
* المفهوم: الآية لم تمدح الشجرة لجمالها فقط، بل لمنتجها النهائي (بالدهن). (المورد الخام هو "الزيتون"، والاستثمار الحقيقي هو استخراج "الزيت" منه.

* التطبيق العملي: في حياتك المهنية، استثمار الموارد يعني ألا تترك الموهبة أو المادة الخام كما هي. النجاح يكمن في "العصر والتصنيع"؛ أي تحويل المجهود البدني إلى نتاج فكري أو مالي ذي قيمة عالية.

* مفهوم "الاستثمار المتعدد المنافع":

* المفهوم: الزيتون مورد يمنح الدهن (طاقة وعلاج و صيغ) غذاء وتحسين).
* التطبيق العملي: الاستثمار الذكي هو الذي يغطي أكثر من جانب. عند استثمار وقتك في تعلم مهارة جديدة (مثل البرمجة أو اللغات)، فأنت تبني ورقة رابحة للتوظيف (دهن) وأداة للتواصل (الافتتاح الثقافي) صيغ).

* مفهوم "الاستدامة والبركة":

* المفهوم: شجرة الزيتون شجر معمر يخرج من أرض صلبة (طور سيناء).
* التطبيق العملي: استثمار الموارد لا يعني الربح السريع "الخاطف"، بل بناء أصول ثابتة ومستدامة. المشروع الناجح هو الشجرة المباركة التي تظل تعطي وتنمو حتى في الظروف الصعبة (الارض الصخرية)، وتستفيد منها الأجيال المتعاقبة.

دروس عملية في استثمار مواردك الشخصية:

* لا تكتفِ بالمدخلات: وجود "الشجرة" (الشهادة العلمية (لا يكفي؛ لا بد من استخراج "الدهن" (الخبرة العملية).

* استهدف الأسواق الواسعة: الزيتون "للأكليين" (للعوم)؛ اجعل خدمتك أو استثمارك يحتاجه أكبر عدد

من الناس لضمان النجاح.
* الصبر على الأصول: كما تأخذ شجرة الزيتون وقتاً لتثمر، فإن الاستثمارات الكبرى تتطلب "نفساً طويلاً" وجذوراً عميقة في "سيناء" تخصصك. بهذا نكون قد أغلقنا دائرة "الاستثمار" من المنظور القرآني.

الأمر الرابع: دلالة التركيز على شجرة الزيتون

الدرس الأول: تتجلى دلالة التركيز على شجرة الزيتون في سياق الامتحان الإلهي من خلال عدة محاور استراتيجية:

- * دلالة "الجمع بين الغذاء والدواء والصناعة": خص الله هذه الشجرة بالذكر لأنها لا تقدم مجرد "فاكهة" للتلذذ كالأعنان، بل تقدم "مادة خام" (الدهن) تدخل في صلب احتياجات الإنسان:
- * غذاء: صيغ للأكليين.
- * علاجاً: دهناً يُستشفى به.
- * وقوداً: زيتها كان المصدر الأساسي للإضاءة قديماً.
- * الامتحان هنا: أن الله سخر لك صيدلية ومحطة طاقة ومائدة طعام في أصل نباتي واحد.
- * دلالة "البركة والاستمرارية": النماء غير المنقطع: وصفها القرآن في مواضع أخرى بأنها مباركة لا شرقية ولا غربية، وفي سياق سورة المؤمنون تأتي لتدل على:
- * طول العمر: الزيتون من أطول الأشجار عمراً، مما يرمز لنعمة "الأصول الثابتة" التي لا تنقطع بمرور الفصول.
- * الامتحان هنا: هو امتنان على "الاستقرار الاقتصادي"؛ فالنخل والعنب يحتاجان رعاية مستمرة، أما الزيتون فبركته ذاتية وصموده عال.
- * دلالة "القيمة المضافة": من الثمرة إلى الزيت: التركيز على خروج "الدهن" منها مباشرة في النظم القرآني يشير إلى كرم العطاء: في الأشجار الأخرى "تأكل الثمرة"، أما هنا فنحن نستخلص "روح الثمرة".
- * الامتحان هنا: أن الله لم يعطك المادة الخام فقط، بل أودع فيها "خلاصة" جاهزة للنفع بمجرد العصر، وهذا يعلمنا تقدير النعم التي تحمل في طياتها فوائد مضاعفة.
- * دلالة "التحدي والبيئة القاسية" (الطور): ربط الشجرة بـ "طور سيناء" بيئة جبلية صخرية (يحمل لفظة امتنان عميقة: الله يمتن على عباده بأنه يخرج لهم ألبان وأرطب الزيوت من "أصلد وأقسى" الصخور).
- * الامتحان هنا: طمأننة الإنسان بأن الرزق والبركة قد يأتيان من أماكن لا يتوقعها، وأن الضيق (الجبل الصخر) قد يكون مستودعاً للخير الوفير (الدهن والصيغ).
- * دلالة "العالمية والشمول" (للأكليين): في الجنات السابقة قال لكم، وهنا قال (للأكليين): هذا انتقال من "الامتنان الخاص" للعرب بمحاصيلهم، إلى "الامتنان العام" للبشرية جمعاء بهذا المنتج العالمي.
- * الامتحان هنا: هو استشعار نعم الله العابرة للقارات والتي تشترك فيها جميع الشعوب كمورد أساسي للصحة والجمال.
- * الخلاصة التربوية والعملية: التركيز على شجرة الزيتون في سياق الامتحان يعلمنا أن "أفضل النعم" هي:

- * ما كان متعدد المنافع) شامل.
- * ما كان صامداً أمام الأزمات) مستدام.
- * ما كان جوهره أتمن من مظهره) الدهن والصيغ.

الدرس الثاني: التداعي والعناية بالجسم:

يعد استنباط مفهوم "التداعي والعناية بالجسم" من الآية 20 "تَبَتُّ بِالذَّهْنِ وَصَيِّغُ لِلْأَكْلِيِّينَ" لفظة ذكية تربط بين النص القرآني وبين علوم الصحة والوقاية. فالآية لم تذكر الزيتون كمصدر للسعرات الحرارية فقط، بل وصفته بخصائص تجميلية وعلاجية غائرة في الدقة.

1. مفهوم "الدهن" كعلاج ووقاية) تَبَتُّ بِالذَّهْنِ):
* المفهوم المستنبط: كلمة "الدهن" في اللغة لا تقتصر على الأكل، بل تشمل كل ما يُدهن به الجسم (خارجياً (أو يُتناول) داخلياً). (الزيتون هو المصدر الطبيعي الأول لدهون "الأوميغا" والمواد المضادة للأكسدة.

* التطبيق العملي: تدعونا الآية للاهتمام بـ "الطب الوقائي". استخدام زيت الزيتون دهناً يحمي الجلد، وتناوله يحمي القلب والشرايين. هذا يرسخ لمبدأ أن "العناية بالجسم" تبدأ من اختيار نوعية الدهون التي ندخلها في بناء خلايانا.

2- مفهوم "الصبغة الحيوية") وصيغ للأكليين):
* المفهوم المستنبط: "الصبغ" يشير إلى تغلغل المادة في الشيء وتغيير خصائصه؛ زيت الزيتون "يصبغ" خلايا الجسم بخصائص مضادة للالتهاب والشيخوخة.

* التطبيق العملي: العناية بالجسم ليست "رفاهية"، بل هي عملية "تصبيغ" يومية. بما تأكله وما تدهن به جسمك (يترك أثراً) صبغة (على صحتك بعد سنوات؛ فالآلية تدعونا لاختيار المواد التي "تصبغ" أجسامنا بالصحة والقوة، لا بالسموم والأمراض).

3- شمولية العناية) الداخل والخارج):

* المفهوم المستنبط: الآلية جمعت بين الدهن الذي يصلح للدهان الخارجي والعلاج وبين الأكل الصبغ للأكليين).

* التطبيق العملي: العناية بالجسم مفهوم متكامل يشمل التداوي بالمواد الطبيعية، والعناية بالبشرة و الجمال، والتغذية العلاجية. فشجرة الزيتون هي صيدلية متكاملة تخرج من الأرض لتلي حاجات الجسم المختلفة.

دروس عملية في "العناية بالجسم" من وحي الآلية:

* العودة للطبيعة: جعل المواد الطبيعية مثل زيت الزيتون هي الخيار الأول في التداوي والعناية بالبشرة قبل اللجوء للمواد الكيميائية.

* الاستمرارية) البركة: (كما أن شجرة الزيتون مباركة ومعمرة، فإن العناية بالجسم يجب أن تكون سلوكاً مستداماً "طويل الأمد" ليؤتي ثماره في الكبر.

* الجودة والمصدر: الربط بين) طور سيناء (جودة) الدهن (يعلمنا ضرورة البحث عن "المنتجات الصحية الأصلية" لضمان أفضل نتائج تداوي وعناية.

ربط المفهوم بأحكام التجويد) اللمة العلاجية):

* الإقلاب في) تثبت: (كما ذكرنا سابقاً، الإقلاب يحتاج إلى "إطباق رقيق" للشفتين. هذا الهدوء في النطق يذكرنا بضرورة الرفق بالجسد عند التداوي والعناية به؛ فالعناية بالجسم عملية تلتف ورعاية وليست عملية قسرية.

* المد الطبيعي في) الأكليين: (الامتداد الصوتي هنا يوحي بالاستفادة الكاملة والامتصاص البطيء و المفيد للمواد العلاجية، مما يعزز فكرة الصبر على النتائج الصحية.

الدرس الثاني

مفهوم العناية النفسية وكيف يمكن لجمال "الجنات" و"خضرة الزيتون" أن تكون سبباً في التداوي النفسي وراحة البال؟

إن الربط بين جمال "الجنات" وخضرة "شجرة الزيتون" وبين "العناية النفسية" يمثل ذروة الاستنباط من هذه الآيات، حيث تتحول المشاهد المادية إلى "ترياق" للروح وعلاج للاضطرابات النفسية.

إليك كيف تساهم هذه المفاهيم في "التداوي النفسي" وراحة البال:

* مفهوم "السكون النفسي" (من) فأسكناه في الأرض):

* المفهوم المستنبط: قبل أن تظهر الجنات، كان هناك "إسكان" للماء؛ فالسكون هو أصل الاستقرار.

* التطبيق النفسي: العناية النفسية تبدأ من "إسكان" الأفكار المشتتة. كما أن الأرض تحفظ الماء وتجعله رصيداً، فإن العقل يحتاج إلى "خزان جوفي" من اليقين والطمأنينة ليواجه جفاف الأزمات؛ فراحة البال هي نتيجة "إسكان" الثقة في تدبير الله بقدر.

* مفهوم "العلاج بالجمال") جنات من نخيل وأعناب):

* المفهوم المستنبط: الجنة في اللغة هي البستان الذي "يجن") يستر (الأرض بخضرتة؛ الخضرة الممتدة وتنوع الألوان) النخيل الباسق والأعناب المتدلية).

* التطبيق النفسي: أثبتت الدراسات النفسية الحديثة أن النظر إلى الخضرة والماء يقلل من هرمون "الكورتيزول" هرمون التوتر؛ فالآلية تدعونا لـ "التأمل البصري" كنوع من التفريغ النفسي. وجود "الجنات" في حياتنا) سواء في الواقع أو كخيال إيماني (يمنح النفس شعوراً بالاتساع والوفرة ويطرد "عقلية الندرة" التي تسبب القلق.

* مفهوم "الصمود النفسي" (من) شجرة تخرج من طور سيناء):

* المفهوم المستنبط: الزيتون شجرة صبورة، تخرج من أرض صخرية جافة، ومع ذلك تعطي أثمن الزيوت.

* التطبيق النفسي: هذا هو مفهوم "المرونة النفسية"؛ تعلمك الشجرة أن "البيئة الصعبة") الأزمات (لا تمنع "الإنتاج المتميز". التداوي النفسي هنا يكمن في الاقتداء بالزيتونة؛ فمهما كانت ظروفك المحيطة صلبة كالصخر، يمكنك أن تخرج من داخلك "دهناً" وإبداعاً وصبراً يضيء حياتك وحياة الآخرين.

* مفهوم "الصبغة النفسية") وصبغ للأكليين):

* المفهوم المستنبط: الصبغ هو اللون والأثر الذي يتغلغل في الشيء.

* التطبيق النفسي: كما أن الزيت "يصبغ" الطعام، فإن "التفكير الإيجابي" والإيمان "يصبغ" الشخصية. العناية النفسية تعني أن تختار "الصبغة" التي تلون بها أيامك؛ هل تصبغها بلون التفاؤل و الرضا) لون الزيتون الأخضر الذهبي (أم بلون اليأس والقنوط؟ الآلية تشجعنا على "الاصطبغ" بنعم الله لتبدو آثارها على ملامحنا ونفوسنا.

ربط المفهوم النفسي بأحكام التجويد:

- * المد العارض للسكون (في) تأكلون (و) الاكلين):
- * اللمسة النفسية: الوقوف بمد طويل في نهاية الآيات يعطي النفس فرصة لـ "الزفير العميق" و الهدوء. هذا التوقف الصوتي يخدم الاستقرار النفسي؛ فهو ينهي الجملة بنغمة مستقرة وممتدة، مما يوحي بأن رزقك مستمر ونفسك مطمئنة.
- * الغنة (في) جنات):
- * اللمسة النفسية: صوت الغنة صوت "مؤنس" يخرج من أعماق الإنسان؛ تكرر الغنن في وصف الجنات يبعث على الأناقة والراحة النفسية، وكأن الصوت نفسه يطبطب على الروح بليوننة ورقة.
- * دروس عملية للعناية النفسية من الآيات:
- * خلوة التأمل: خصص وقتاً للنظر في الطبيعة أو صورها واستشعر "القدر" والإحكام الإلهي لتستعيد توازنك.
- * غذاء الروح: كما تهتم بـ "الدهن والزيت" لجسمك، اهتم بـ "الذكر" لروحك؛ فهو "الزيت" الذي يمنع صدام النفس واحتكاكها بالهموم.
- * الثبات في العواصف: تذكر أن جذور الزيتون أطول من أغصانها؛ فاجعل جذور "إيمانك" عميقة لتصمد أمام رياح التغيير النفسية.

الدرس الرابع

- آداب التعامل مع النعم المستنبطة من هذه السلسلة؟
- بناءً على هذا التسلسل القرآني المذهل الذي بدأ بقطرة الماء (الآية 18) وانتهى بجني الثمار والصناعة (الشفاء) الآيات 19 - (20)، نستنبط منظومة الآداب الراقية في التعامل مع النعم، والتي تجمع بين تقدير المورد وحسن استغلاله واستشعار منة الله فيه:
- * أدب الاعتراف بالمصدر (النسبة للمنع):
- * المبدأ: لاحظ أن الأفعال نسبت لله وحده: (أنزلنا)، (فأسكنناه)، (فأنشأنا).
- * الأدب العملي: ألا تغرك مهاراتك الإدارية أو ذكاؤك المهني في تحقيق النجاح؛ فالأدب يقتضي أن تقول: "هذا من فضل ربي"؛ فهذا الاعتراف هو "المثبت" للنعمة والمانع لزوالها.
- * أدب الاقتصاد وعدم الهدر (فقه القدر):
- * المبدأ: قوله (يعلمنا أن العطاء الإلهي موزون بدقة).
- * الأدب العملي: التعامل مع النعم (ماء، مال، وقت (بمسؤولية؛ فالإسراف في النعمة هو سوء أدب مع "المقدر" سبحانه. كن "مقدراً" في استهلاكك كما كان الله "مقدراً" في عطائه.
- * أدب "الإنتاجية لا الاستهلاكية" (بركة الاستثمار):
- * المبدأ: الله لم يعطنا "الجنات" جاهزة مباشرة، بل أنزل "الماء" لنقوم نحن بالعمل والزراعة (فأنشأنا لكم به).
- * الأدب العملي: من أدب النعمة أن "تثمر" في يدك؛ فإذا رزقت علماً فأنشئ به عملاً ، وإذا رزقت مالا فأنشئ به نفعاً؛ فالجلوس على النعمة دون تنميتها هو تعطيل لمراد الله منها.
- * أدب "المشاركة والانتفاع الجماعي" (لكم وللأكليين):
- * المبدأ: (في الآية 19 قال) لكم (تمكين شخصي)، (وفي الآية 20 قال) للأكليين (منفعة عامة).
- * الأدب العملي: ألا تستأثر بالنعمة وحدك؛ فالنعمة الحقيقية هي التي تفيض من "جنتك الخاصة" لتصبح "صبغاً للأكليين". بركة المال في الزكاة، وبركة العلم في التعليم، وبركة الجاه في قضاء حوائج الناس.
- * أدب اليقظة والحذر من الغرور) تذكر القدرة على السلب):
- * المبدأ: الختام بـ) وإنا على ذهاب به لقادرون).
- * الأدب العملي: أن تمسك النعمة بيد "المودع" لا بيد "المالك". هذا الأدب يجعلك متواضعاً عند القمة، ومستعداً عند الأزمة، وشاكراً في كل حال.
- ربط الختام بأحكام التجويد) الاستقرار النهائي):
- نلاحظ أن أغلب نهايات هذه الآيات تنتهي بـ "المد العارض للسكون" (القادرون، تأكلون، الاكلين):
- * اللمسة البيانية: هذا المد يعطي صوتاً ممتداً يليه "سكون" تام.
- * الأدب المستنبط: هو "سكون الرضا". فبعد السعي والإنتاج والتمتع يسكن قلب المؤمن شاكراً لربه، معترفاً بفضل، مستقراً في رحاب طاعته.

الدرس الخامس

- تحويل "استشعار الامتنان" إلى "سلوك عملي" هو الغاية الأسمى من هذه الآيات؛ فالحفاظ على البيئة واستثمار الموارد ليس مجرد نشاط "أخضر" حديث، بل هو صلب العبادة وشكر النعمة كما رسمته سورة المؤمنون.
- إليك كيف نترجم "شكر النعمة" إلى استراتيجيات عملية في حياتنا:
- * تطبيق "فقه القدر" في الاستهلاك (الاستدامة البيئية):

- * المفهوم: بما أن الماء نزل) بقدر، فإن شكره يكون بـ "الترشيد".
- * السلوك العملي:
- * تبني تقنيات الري الحديثة) بالتنقيط (بدلاً من الغمر) محاكاة لتقدير الله للمورد.
- * تقليل النفايات والهدر المنزلي؛ فكل مورد تستهلكه هو "قدر" موزون، والزيادة عنه هي إخلال بالتوازن الكوني.
- * استثمار "الأراضي الصعبة" (إحياء الموات):
- * المفهوم: شجرة الزيتون خرجت من طور سيناء) البيئة الصخرية.
- * السلوك العملي:
- * عدم إهمال الأراضي المهمشة أو المشاريع الصعبة. فشكر نعمة "العقل والقدرة" يكون باستثمار المساحات التي يراها الآخرون غير نافعة.
- * دعم مشاريع التشجير المثمر في المناطق الجبلية والوعرة، اقتداءً بنموذج الزيتون الإلهي.
- * تعظيم "القيمة المضافة للموارد" (الصناعة التحويلية):
- * المفهوم: الشكر لا يتوقف عند جني الثمرة، بل في تحويلها إلى دهن (و) صيغ.
- * السلوك العملي:
- * بدلاً من بيع الموارد الخام بأسعار زهيدة، يجب استثمارها وتحويلها صناعياً لزيادة نفعها وقيمتها.
- * في حياتك المهنية) كقانوني (لا تقدم المعلومة "خاماً" فقط، بل "عالجها بالتحليل والربط" لتخرج منها "دهناً") خلاصة قانونية تنفع بها موكلتك.
- الللمسة الختامية: الشكر "بالصبيغ"
- كما أن الزيت يصيغ الطعام ويحسنه، اجعل شكرك للنعمة "يصيغ" شخصيتك فتكون إنساناً "مباركاً" أينما حل نفع، وإذا أعطى أثمر، وإذا استثمر أبقي أثراً¹. "إن شكر النعمة هو القيد الذي يحفظ الموجود، والصيد الذي يجلب المفقود".

الأمر الخامس

- إليك "مصفوفة النجاح المتكاملة" المستنبطة من الآيات (18) - (20) من سورة المؤمنون، والتي تلخص دورة حياة أي مشروع ناجح، سواء كان مشروعاً شخصياً، مهنياً أو استثمارياً، برؤية تجمع بين المادة والروح:
- خارطة الطريق من "القدر" إلى "الاستدامة":
- * (إدارة الموارد): أنزلنا...بقدر؛ (مفهوم) المدخلات الذكية. (القيمة المستفادة: دقة التخطيط وحساب الميزانية المتاحة) وقت، مال، جهد.
 - * (الحفظ والأمن): فأسكنه في الأرض؛ (مفهوم) الأمان الاستراتيجي. (القيمة المستفادة: تأمين الموارد وحمايتها من الهدر أو الاستنزاف العشوائي).
 - * (التنفيذ والإنشاء): فأنشأنا لكم به؛ (مفهوم) الفاعلية والتحويل. (القيمة المستفادة: الانتقال من "المورد الساكن" إلى "المشروع القائم") العمل الفعلي.
 - * (التنوع والرفاهية): نخيل وأعناب...فواكه؛ (مفهوم) تعدد المسارات. (القيمة المستفادة: عدم الاعتماد على مصدر واحد؛ الجمع بين الأساسيات والكماليات).
 - * (القيمة المضافة): تثبت بالدهن؛ (مفهوم) الجوهر النوعي. (القيمة المستفادة: استخراج "خلاصة" المجهود؛ التميز بمنتج فريد وعالي الجودة).
 - * (التكامل والأثر): وصيغ للأكليين؛ (مفهوم) النفع المتعدي. (القيمة المستفادة: أن يكون نجاحك مكماً لنجاح الآخرين ومحسناً لبيئتك).
 - * (اليقظة والاستدامة): وإنا على ذهاب به لقادرون؛ (مفهوم) إدارة المخاطر. (القيمة المستفادة: التواضع الدائم ووضع خطط بديلة للطوارئ لضمان البقاء).
 - اللوحة الختامية: دورة الحياة الإنتاجية
 - تخيل هذه المنظومة كشجرة زيتون تضرب جذورها في طور سيناء) الأصالة، وتسقى بماء) بقدر (التوازن)، لتطرح "جئات" تنوع، ويستخرج منها "دهن" إبداع، يضيء للناس "صبغاً" جمالاً ونفعاً.
 - ما نتعلمه كـ "دستور حياة":
 - * لا عبثية: كل قطرة ماء وكل دقيقة من عمرك لها وظيفة محددة.
 - * لا عجز: الأرض الصخرية والظروف الصعبة أخرجت أفضل شجرة الزيتون؛ فالعجز في الإرادة لا في الموارد.
 - * ثالثاً: لا أنانية: النعم خلقت "لكم" لتكونوا "لغيركم" (للاكلين).
 - * التوازن: اعتنِ بجسمك) الدهن، وروحك) بركة الطور، وعقلك) الإنشاء والتقدير.
 - وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها

الأمر الأول

تصل بنا الآية (21) من سورة المؤمنون إلى مرحلة متقدمة من "التربية بالنظر"، حيث ينتقل السياق من الامتنان بالمنفعة المادية إلى الامتنان بـ "المنفعة العقلية والروحية"، كما يتضح من خلال الدلالات الآتية:

- * دلالة العبرة: التأمل في "المألوف":
- * الدلالة البيانية: كلمة "عبرة" مشتقة من "العبور"، فالمطلوب ليس مجرد "النظر" إلى الأنعام بل "العبور من خلالها" من صورتها المادية كحيوان) إلى (عظمة الخالق وحكمته.
- * التأمل في المألوف: تكمن المعجزة في أن الأنعام تحيط بنا لدرجة "الاعتیاد" الذي يورث الغفلة؛ فالقرآن هنا يكسر رتابة المألوف، فكون الحيوان يأكل عشباً أخضر ليخرج لبناً سائغاً أبيض خالصاً هو عملية كيميائية حيوية مذهلة تجري أمام أعيننا يومياً.
- * الرسالة: التأمل في المألوف هو أقصر الطرق لترسيخ الإيمان؛ لأن الأدلة ليست غائبة، بل هي "مجاورة" لنا في طعامنا ولباسنا، وتحتاج فقط إلى "عبرة" (جسر ذهني يربطها بالخالق).
- * استشعار النعم ودفع "آفة الاعتیاد":
- * خطورة الاعتیاد: أكبر عدو للشكر هو "الألفة"؛ أي أن يعتاد الإنسان النعمة حتى يظنها حقاً مكتسباً أو تحصيلاً حاصلًا. التأمل الدائم هو "الموقف" الذي يمنع النعمة من أن تتحول إلى "عادة" صامتة.
- * دور التأمل في الشكر: التأمل في تفاصيل النعمة) كيف نزل الماء، كيف استقر، كيف أنبت، كيف سخرت الدابة (يجعل العبد في حالة دهشة إيمانية مستمرة؛ فهذه الدهشة هي الوقود المحرك للسان بـ الحمد والجوارح بالطاعة.
- * عدم الاعتیاد: القرآن يعدد النعم) ماء، جنات، زيتون، أنعام (ليقول لك: "انظر للتفاصيل"، فكل تفصيل هو "تذكير" جديد يمنع قلبك من الركون إلى الغفلة.
- * معرفة قدر النعمة) لطيفة ابن القيم في "الفوائد":
- * معرفة "قدر النعمة" هي في حد ذاتها نعمة أعظم من النعمة ذاتها؛ لأن الكثيرين يملكون النعم وقليلون هم من يدركون قيمتها.
- * ما ذكره ابن القيم في "الفوائد": تحدث الإمام ابن القيم عن مراتب النعمة، وأشار إلى أن تمام النعمة ليس في وجودها فحسب، بل في ثلاثة أمور:
- * معرفة النعمة: أن يستبصر العبد وجودها ويعرف أنها من الله، وهذا ما تدعو إليه كلمة "عبرة".
- * قبول النعمة: بالرضا بها وعدم استقلالها) عدم رؤيتها قليلة.
- * الثناء بها: وهو صرفها في مرضاة الله.
- * يقول ابن القيم ما معناه: "إن الله إذا أنعم على عبد بنعمة، فإن تمام الإنعام عليه هو أن يشهده فقره إليها، ويشهده منته فيها". ومن أعظم ما ذكره هو أن "النعمة مصيدة"؛ فإما أن يصيدك بها الله لتشكره فتزداد، وإما أن تكون استدراجاً إذا لم تعرف قدرها. ويؤكد أن "معرفة العبد بجهله وعجزه" هي المفتاح الذي يجعله يرى "قدر النعمة"؛ فمن رأى نفسه لا يستحق شيئاً، استعظم من الله كل شيء.
- ربط المفهوم بأحكام التجويد) اللمسة الصوتية:
- * القلقة (في) لعبرة: حرف الباء المقلقل في وسط الكلمة يحدث هزة صوتية؛ هذه الهزة تشبه "الا ستفاقة" أو "المنبه" الذي يقرع أذن السامع ليوقظه من غفلة الاعتیاد ويحثه على العبور) التأمل.
- * التنوين (في) لعبرة نسقيكم: الإدغام بغنة هنا يعطي صوتاً موسيقياً ممتداً يوحي بفيض النعم واتصالها، وكأن "العبرة" الفكر (موصلة مباشرة لـ "السقيا") النفع).

الأمر الثاني

يعد استخدام العقل للتأمل في تسخير الكون هو الجسر الرابط بين المشاهدة المادية واليقين الإيماني . فالقرآن الكريم لا يطلب منا إيماناً أعمى، بل يدعونا لاستخدام "أدوات الإدراك" (العقل، السمع، البصر) لقراءة كتاب الكون المفتوح.

إليك أهمية استخدام العقل في هذا السياق وكيف يبني عظمة الخالق في النفس:

- * العقل كأداة لفك "شفرة التسخير":
- * المفهوم: الكون مليء بالموارد، لكن التسخير لا يتجلى إلا بالعقل؛ فالماء ينزل لكن العقل هو الذي يدرك قانون الجاذبية الذي جعله يستقر في باطن الأرض) فأسكناه، والأنعام موجودة لكن العقل هو الذي استنبط كيفية استخراج اللبن وتحويل الأوبار لبيوت.
- * زيادة الإيمان: عندما يدرك العقل أن هذه القوانين الفيزيائية والكيميائية ليست عشوائية بل هي مصممة خصيصاً لخدمة الإنسان، يوقن بأن وراء هذا النظام "مقدراً" حكيماً) بقدر، مما ينفى نظرية الصدفة تماماً.
- * إدراك "الجمال الإلهي" وراء "المنفعة المادية":

- * المفهوم: التأمل العقلي يكشف أن الله لم يسخر الكون لنا بأسلوب "وظيفي جاف" فقط، بل أضفى عليه مسحة من الجمال. فالعنب ليس للغذاء فقط بل هو جنات (تسر الناظرين، والأنعام ليست للحمل فقط بل) ولكم فيها جمال حين تريحون.
- * عظمة الخالق: هنا ينتقل الإيمان من مرحلة "الخوف والرهبة" إلى مرحلة "الحب والتعظيم". فـ العقل يدرك أن الخالق سبحانه جميل يحب الجمال، وأنه أكرم الإنسان ليس فقط بما يسد رمقه بل بما يبهج روحه ويريح نظره.
- * إدراك "وحدة المنظومة" التكامل الكوني):
- * المفهوم: العقل يربط بين نعم متباعدة) سماء، أرض، شجر، حيوان، فلك؛ هذا الربط يثبت أن "لأمر واحد"؛ لأن كل قطعة في هذا الكون تعمل بتناغم لتؤدي غرضاً واحداً وهو خدمة الإنسان. وحدة التصميم في الكون هي أقوى دليل عقلي على "وحدانية" الخالق وعظمته.
- ربط المفاهيم بأحكام التجويد) تجسيد العظمة صوتياً):
- * المد المتصل في) السماء: الطول في المد يعطي مساحة للعقل ليتفكر في "علو" المصدر وسعة الملك الإلهي، وكأن الصوت يمتد ليواكب امتداد السماء التي سخرت لنا.
- * القلقة في) لعبرة: القلقة "اضطراب" يتبعه استقرار؛ فالعقل يبدأ رحلته في التفكير بنوع من الحيرة والدهشة) اضطراب، ثم ينتهي باليقين) سكون الحرف، وهذا هو جوهر "العبرة".
- أثر التأمل الدائم على النفس) دفع الاعتياد):
- * الیقظة: التأمل يجعل النعمة "جديدة" في كل مرة؛ فكل شربة ماء هي معجزة كيميائية، وكل ثمرة هي مختبر بيولوجي متكامل.
- * التواضع: عندما يرى العقل عظمة الكون المسخر له يدرك الإنسان قدره الحقيقي؛ فهو "مكرم" بفضل الله وليس بذاته، مما يذيب كبرياء النفس ويستبدله بشكر الخالق.

الدرس الثاني

- مفهوم "العبور من المألوف" في حياتك اليومية يعني أن تحول كل ما تراه إلى عبادة تأملية. إليك خطة التأمل اليومي المصممة لتحويل المشاهدات المعتادة إلى رحلة إيمانية عميقة تربط بين "آيات الآفاق" و"آيات الأنفس":
- تم تقسيم الخطة إلى ثلاث محطات يومية:
- * المحطة الأولى: "تأمل الإمداد" عند الاستيقاظ وشرب الماء):
 - * تفعيل العقل: تذكر قوله تعالى) وأنزلنا من السماء ماء بقدر).
 - * التأمل: فكر في رحلة هذه القطرة؛ كيف نزلت بمقدار لا يغرق، وكيف سلكها الله في الأرض لتصل إليك عذبة نقية؛ فلولاً "إسكانها" لضاعت أو تبخرت.
 - * الثمرة: الشعور بـ "الأمان والافتقار"؛ فالله الذي أدار رحلة الماء المعقدة قادر على تدبير شؤونك المعقدة.
 - * المحطة الثانية: "تأمل النماء" عند تناول الطعام أو رؤية الخضرة):
 - * تفعيل العقل: تذكر قوله تعالى) فأنشأنا لكم به جنات (و) تنبت بالدهن).
 - * التأمل: انظر إلى "الصبغة" واللون والطعم؛ كيف أخرج الله من الماء الواحد ألواناً وطعوماً مختلفة؟ تأمل في زيت الزيتون كخلاصة مركزة للصبر والقوة المستمدة من "الجبل".
 - * الثمرة: الشعور بـ "الجمال والامتنان"؛ إدراك أن الله لم يعطك الحد الأدنى للبقاء، بل أعطاك "جنات" من المتعة والزينة.
 - * المحطة الثالثة: "تأمل التسخير" عند ركوب المواصلات أو التعامل مع الأنعام):
 - * تفعيل العقل: تذكر قوله تعالى) وعليها وعلى الفلك تحملون).
 - * التأمل: فكر في مفهوم "الحمل"؛ كيف ذلل الله لك الكائنات الضخمة، وألهم العقل صنع "الفلك"؟ فلولاً قانون "الطفو" و"التسخير" لظل الإنسان حبيس مكانه.
 - * الثمرة: الشعور بـ "العزة والمسؤولية"؛ فالله سخر لك الكون لتتحرك فيه وتعمره.
 - نصائح إيمانية للاستمرارية) بإرشاد ابن القيم):
 - * قاعدة "لحظة الدهشة": لا تسمح ليومك أن يمر دون توقف أمام "مألوف" لتستشعر عظمته.
 - * اربط النعمة بالمنعم: بدلاً من قول "الجو جميل"، قل "ما أجمل تدبير الخالق لهذا الجو"؛ فهذا يمنع اعتياد النعمة.
 - * دون "صيد الخاطر": دون ما تراه لتثبيته في القلب وتحويل الخاطرة إلى "عبرة" راسخة.

الدرس الثالث

- عندما ننظر إلى الأنعام، فإن القرآن يدعوكم ألا تتقف عند "جمال صورتها" بل أن تعبر بقلبك إلى جلال الخالق. إليك الخلاصة لـ "العبرة" في ثلاثة مستويات:
- * عبرة "التنقية والاستخلاص" اللبن الصافي):
 - * أكبر عبرة تزلزل القلب هي كيف يخرج الله لبناً خالصاً سائغاً من بين فرث ودم).

* استشعار القلب: يجب أن يستشعر قلبك قدرة الله على "الإصلاح" وسط "الفساد". فكما استخلص اللبن النقي من وسط الدم والفرث، هو سبحانه قادر على استخلاص قلبك من الفتن. وتطهير رزقك من الشوائب، وإخراج الخير من رحم الأزمات.

2. عبرة "التذليل والمسكنة" قهر العظمة باللطف)
انظر إلى ضخامة "الجمل" أو "الثور" وقوتها، ثم انظر كيف سخرها الله لطفل صغير يقودها فتنقاد له.

استشعار القلب: استشعر لطف الله بك؛ فلولا "التسخير" لكانت هذه الكائنات عدواً فاتكاً بالإنسان، لكن الله سلبها التمرد ومنحها الانقياد لتكون لك "حمالة أثقال".

الدرس: العبرة هنا هي التواضع؛ فكل ما تملكه من سلطة أو مال أو قوة في عملك (كقانوني أو حياتك هو تسخير من الله وليس بقوتك الشخصية).

3. عبرة "المعمل الحيوي المتكامل" الرحمة المجسدة)
الأنعام ليست مجرد "حيوان"، بل هي مؤسسة خدمية سخرت لك بالكامل:

* بطونها تعطيك اللبن.

* أوبارها وأشعارها تعطيك الدفء واللباس.

* ظهورها تحمل ثقلك وتختصر لك المسافات.

* لحمها يسد جوعك.

استشعار القلب: استشعر "الخصوصية في العطاء"؛ وكأن الله صمم هذا الكائن بكل تفاصيله ليكون "كتالوج" خدمات لك أنت. هذا الشعور يدفعك للحياء من الله؛ فكيف يسخر لك كل هؤلاء الجنود بينما تقصر أنت في شكره؟

العبرة من منظور ابن القيم) في كتاب الفوائد):

يشير ابن القيم إلى أن رؤية الأنعام يجب أن تذكرك بـ "فكر الذاتى وغنى الله المطلق"؛ فالله خلقها وهي لا تحتاج إليك، وسخرها لك وأنت أحوج ما تكون إليها. العبرة هنا هي أن تدرك أنك "ضيف" مكرم في ملكوت الله، وأن كل ما حولك هو "مائدة" أعداها المنعم لتقوى بها على طاعته.

لمسة تجويدية لترسيخ العبرة:

عندما تقرأ قوله تعالى: {وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ} (وتصل عند كلمة) عبرة):

* استشعر "القلقلة" في الباء) هزة في القلب.

* استشعر "الغنة" الممتدة عند الوصل.

هذا الصوت الممتد هو دعوة لقلبك أن يطيل التفكير، وألا يمر على مشهد "خروف" أو "ناقة" مرور الغافلين، بل مرور المستبصرين الذين يرون في كل حركة وسكنة لهذه الأنعام توقيع الخالق العظيم.

الأمر الثاني:

الربط بين قوله تعالى في سورة المؤمنون {تَسْقِيَكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا} وبين الآية التفصيلية في سورة النحل {مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبِئَآ خَالِصًا} (يمثل قمة الإعجاز الفسيولوجي) الوظيفي (الذي لم يدرك العلم تفاصيله إلا حديثاً، وهو دليل قاطع على كمال القدرة الإلهية).

إليك تحليل هذا الإعجاز وكيف يقودك لتعظيم الخالق:

1. الإعجاز العلمي: "المعمل الكيميائي الخفي"

العلم الحديث يخبرنا أن تكوين اللبن هو عملية "استخلاص" مذهلة تتم عبر مراحل:

* الفرث) هضم الغذاء: بعد أن تأكل الأنعام العشب يتحول في الكرش إلى "فرث" طعام مهضوم.

هنا تبدأ البكتيريا والأنزيمات بتحليل السليلوز وتحويله إلى أحماض دهنية ومواد أساسية.

* الدم) ناقل الأمانة: تمتص هذه المواد وتنقل إلى مجرى الدم. الدم هنا هو "وسيلة النقل" التي

تحمل المغذيات من الأمعاء إلى الغدد اللبنية) الضرع).

* الاستخلاص المذهل: في الغدد اللبنية، يتم اختيار مواد محددة من الدم، وترك مواد أخرى ليخرج

لبناً خالصاً.

* وجه الإعجاز: اللبن لا يختلط بفضلات الأمعاء) الفرث (ولا بصبغة الدم الحمراء، رغم أنه يستخلص

من بينهما؛ هو خروج "النقي" من قلب "المتضادين 2 / كمال القدرة في "الدقة والاختيار"

عندما تتأمل في قوله {تَسْقِيَكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا}، تدرك كمال القدرة من خلال:

* الفرز الإلهي: الدم يحتوي على فضلات ومواد قد تكون سامة، لكن الغدد اللبنية تعمل ببرمجة إلهية

فائقة لتسمح فقط بمرور البروتينات والسكريات والدهون التي يحتاجها الإنسان.

* السياق المتصل: الله يربط بين "الماء" الذي نزل من السماء وبين "اللبن" الذي نزل في الضرع؛ كلا

هما وسائل حيوية، وكلاهما نزل "بقدر" وبنظام معقد لضمان حياتك.

3. كيف تقودك هذه التفاصيل إلى معرفة الله؟

هذه الدقة تدفع قلبك للاعتراف بـ "القيومية" و"اللطيف".

* القيومية: أن الله قائم على كل خلية في بطن هذه الأنعام، يدير حركة الجزيئات من الأمعاء إلى

الدم إلى الضرع. هذا ليس نظاماً "آلياً" أصماً، بل هو تدبير مستمر.

* اللطف: أن الله سخر هذه العمليات الكيميائية المعقدة ليوفر لك كوب لبن "سائغاً" سهل البلع و المذاق. (لو اختل إنزيم واحد لفسد اللبن، لكن لطفه أتمه لك.
اللمسة البيانية والربط بالتجويد:

* الإدغام {في} تسقيكم ممّا: الميم مع الميم إدغام متماثلين بغنة كاملة تعطي صوتاً ناعماً متصلاً

* الدلالة: هذا الاتصال الصوتي يحاكي جريان اللبن وسلاسته. الغنة الطويلة تعطيك مساحة زمنية لتتخيل عملية السقيا المستمرة واللطيفة التي يقوم بها الخالق لك.

* كلمة) خالصاً: تبدأ بحرف "الخاء" وهو حرف استعلاء قوي، وتنتهي بتنوين الفتح.
* الدلالة: القوة في البداية تشير إلى قوة القدرة التي فصلت اللبن عن الدم، والسهولة في النهاية تشير إلى "خلوصه" وصفائه التام من أي شوائب.

دعاء التدبر) ختام السلسلة:

كان من هدي الصالحين عند رؤية آيات الإعجاز والتسخير أن يقولوا: "اللهم لك الحمد على نعمك التي لا تحصى، سبحان من سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين. اللهم اجعل ما أطعمتنا وقويت به أبداننا عوناً لنا على طاعتك، وزدنا علماً بك وتدبراً في كتابك".

الأمر الثالث:

دلالة مجيء التأكيد في قوله تعالى: {وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ} جاء أسلوب التأكيد في قوله تعالى: {وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ} باستخدام مؤكدين: الحرف الناسخ "إن" ولام التوكيد المزلحقة في قوله "لَعِبْرَةٌ" لغايات بلاغية ونفسية دقيقة، تتعلق بطبيعة "النعمة المألوفة" وعلاقتها بالعقل البشري:

1. كسر "آفة الاعتياد" وذهول الغفلة:

الأنعام كائنات نراها يومياً، ومن كثرة مخالطتها قد يظن الإنسان أنها مجرد حيوانات وجدت بالصدفة أو أنها تعمل بشكل آلي.

* الدلالة: جاء التأكيد بـ) إِنْ (واللام ليزيل هذا الركام من العادة، وكأن القرآن يطرق باب العقل بقوة ليقول: "حقاً ويقيناً، لا تغفلوا، فهذه الكائنات التي ترونها عادية هي في الحقيقة معجزة كبرى تستحق الوقوف".

2. أهمية "المقام" وقوة الحجة:

في سورة المؤمنون، السياق هو سياق بناء اليقين وذكر دلائل الربوبية والوحدانية.
* الدلالة: عندما يكون المقام مقام استدلال على عظمة الخالق يحسن استخدام المؤكدات لترسيخ الحقيقة في نفس السامع؛ فالتأكيد هنا ليس للشك في وجود الأنعام، بل للتأكيد على وجود "العبرة" بداخلها، وهي التي قد يغفل عنها الكثيرون.

3. التناسب مع "عظمة المخبر عنه":

المتحدث هو الله عز وجل، وهو يخبر عن صنعه المحكم.

* الدلالة: التأكيد هنا يعكس عظمة الصانع؛ فالفعل العظيم) تحويل الفرث والدم إلى لبن (يتناسب معه أسلوب لغوي قوي ومؤكد ليبين أن هذا ليس مجرد حدث طبيعي، بل هو "قرار إلهي" محكم لا يقبل الجدل.

اللمسة البيانية والجمالية في اللام:

تسمى هذه اللام لام التوكيد، وتسمى أيضاً "اللام المزلحقة" لأنها زحلت من صدر الجملة إلى الخبر كراهة الجمع بين حرفي توكيد.

* الأثر النفسي: وجود اللام في نهاية الجملة) لَعِبْرَةٌ (يجعل الذهن في حالة ترقب؛ فبعد أن بدأ بـ) إِنْ (ظل ينتظر الخبر، فجاءت اللام لتربط "العبرة" بالقلب ربطاً وثيقاً وتؤكد تأكيدها أخيراً.

ربط التأكيد بكتاب "الفوائد" لابن القيم:

يرى ابن القيم أن الله يؤكد على العبرة في النعم لأن النفس بطبعها تميل إلى نسيان المنعم عند الا نشغال بالنعمة. فالتأكيد هنا هو "حارس للوعي" يمنعك من أن تأكل وتشرب وتستمتع بالأنعام وأنت غافل عن الحكمة من وجودها

أحكام التجويد واللمسة الصوتية:

{ * وَإِنْ: غنة النون المشددة) حركتان.

* الدلالة: هذا الصوت القوي في البداية يشد انتباه السامع فوراً تنبيهاً.

{ * لَعِبْرَةٌ: القلقة في الباء.

* الدلالة: كما ناقشنا، القلقة هي "هزة صوتية"، واقترائها بلام التوكيد يجعل كلمة "عبرة" هي المركز الصوتي للآية، مما يرسخ مفهوم "التأمل" في أذن السامع وقلبه.

الدرس الثاني:

الربط بين التأكيد في آية الأنعام والتأكيد في آية الماء {وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ} (يكشف عن

توازن دقيق في التربية القرآنية بين الترغيب في النعمة والتحذير من زوالها.
إليك تحليل أسلوب التأكيد في مقام القدرة على سلب النعمة:

1. دلالة المؤكّداً (إنّ + اللام في مقام "القدرة":
في الآية 18 ، استخدم الله نفس الأدوات) إنّ المشددة واللام في "لقادرون" (لغرض مغاير تماماً: قطع
دأبر الغرور؛ فبعد أن ذكر الله إنزال المطر وإسكانه في الأرض، قد يظن الإنسان أن وجود الماء أصبح
"حقاً مكتسباً" أو "قانوناً طبيعياً" لا يتغير.
* الدلالة: جاء التأكيد المزدوج ليقرر حقيقة قاطعة أن الذي أوجد النعمة قادر تماماً وبنفس القوة
على إخفائها أو إفسادها. التأكيد هنا هو صمام أمان يحمي العبد من الطغيان بالنعمة.
2. الربط بين "العبرة" و"القدرة":

تأمل هذا التناظر المذهل في سورة المؤمنون:
* في الآية 21 أكد على "العبرة" ليرشدك كيف تستفيد من النعمة بعقلك.
* في الآية 18 أكد على "لقادرون" ليرشدك كيف تحافظ على النعمة بقلبك (بالخوف والشكر).
* الخلاصة: التأكيد في القرآن لا يأتي عبثاً، بل ليثبت "أصول العقيدة"؛ فأصل الانتفاع هو التأمل،
وأصل البقاء هو الاعتراف بالقدرة الإلهية.

لطيفة ابن القيم في "الفوائد" حول هذا التأكيد:
يتحدث ابن القيم عن أن النعم "شاردة"، وقيدها هو الشكر. ويشير إلى أن قوله { وَإِنَّا عَلَىٰ تَهَابٍ بِه
لِقَادِرُونَ } هو أشد أنواع التحذير؛ لأنه جاء بصيغة الجملة الاسمية المؤكدة. يقول ما معناه: "إن الله
أراك قدرته في الإيجاد ليطمعك، وأراك قدرته في الإسكان ليؤمّنك، ثم ذكر قدرته على الإذهاب
ليحذرك؛ فلا تركز إلى النعمة وتنسى المنعم".

اللمسات الصوتية والتجويدية (تحذير العظيم):
* تشديد النون في { وَإِنَّا } يجعل السامع في حالة انتباه كامل للتحذير القادم.
* المد الطبيعي في { وَإِنَّا }:

* الدلالة: نا (العظمة التي ناقشناها سابقاً، اقترانها بالتحذير يجعل العبد يدرك أن "الذهاب بالماء"
ليس بالأمر الصعب على من أنزله بعظمته.
* لام التوكيد في { لِقَادِرُونَ }:

* الدلالة: اللام هنا تفتح مخرج الصوت بقوة، والوقوف بالمد العارض للسكون) لقادرون (يعطي
شعوراً بـ "الإحكام"، وكأن الكلمة تغلق الباب أمام أي شك في قدرة الله على التصرف في ملكه.
الدرس الختامي:

إن اجتماع التأكيد على "العبرة" والتأكيد على "القدرة" في سياق واحد) سورة المؤمنون (يصنع للمسلم
"شخصية متوازنة"؛ فهو يتأمل لبيدع ويستثمر) بالعقل، وهو في ذات الوقت يشكر ويخضع) بالقلب؛
لأنه يدرك أن المنعم قادر على سلب ما أعطى.

رابعاً:

تأتي الآية (22) من سورة المؤمنون: { وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ } وتتوج سلسلة نعم "التسخير" التي
بدأتها الآيات السابقة، منتقلة بالإنسان من مرحلة "الاستقرار والرزق" إلى مرحلة "الحركة والانتشار".
إليك التفسير التفصيلي والدلالات العميقة لهذه الآية:

1. دلالة "الاقتران" بين البر والبحر:
* المعنى: قوله { وَعَلَيْهَا } {يعود على الأنعام} الإبل بصفة خاصة لأنها سفن البر، {وَعَلَى الْفُلْكِ} {أي
السفن.

* التفسير: الله عز وجل يجمع لك في جملة واحدة وسائط النقل في أصعب بيئتين: الفيافي
المترامية والبحار الهائجة.

* الرسالة: الله هو الذي جعل "الحيوان" يحمل أثقالك في البر، وجعل "الخشب والحديد" يحمل
جسمك في البحر؛ هذا الربط يؤكد أن "قانون الحمل" واحد، وهو إرادة الله وتسخيره، سواء كان
المحمول حياً (دابة (أو جماداً) سفينة).

2. دلالة "الحصر والاهتمام" (التقديم والتأخير):

* البلاغة: لم يقل "وتحملون عليها وعلى الفلك"، بل قدم الجار والمجرور { وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ }.
* التفسير: هذا التقديم يفيد "قصر الامتنان"؛ أي اعلموا أيها البشر أن حملكم وتنقلكم ليس بذكائكم
المحض، بل هو حصرياً بتسخير الله لهذه الوسائل لكم. لولا أن الله جعل الإبل قوية صبورة، وجعل
الماء يحمل السفن) قانون الطفو، لما استطعتم قطع المسافات.

3. دلالة "الفعل المبني لما لم يسم فاعله" { تُحْمَلُونَ }:

* البلاغة: جاء الفعل { تُحْمَلُونَ } (بضم التاء، للدلالة على أنكم "محمولون" بفعل فاعل غائب) وهو الله.
* التفسير: أنت تظن أنك أنت الذي تركب وتحرك، لكن الحقيقة أن هناك "قوة إلهية" هي التي
تحملك وتحمي وسيلة نقلك من العطب أو الغرق.

* الرسالة: استشعر الضعف البشري أمام عظمة الوسيلة؛ فأنت "مستسلم" لظهر الدابة أو لسطح

السفينة، والضامن الوحيد لوصولك هو الله.

اللمسة البيانية والربط بالتجويد:

* تكرر "على": تكرر حرف الاستعلاء) على (مرتتين يعطي شعوراً بـ "التمكين التام".
* المد الطبيعي في { وَعَلَيْهَا } : يمنح القارئ نغمة مستقرة توحى بالأمان والسكينة فوق ظهر الدابة.
* المد العارض للسكون في { تَحْمَلُونَ } : الوقوف بمد طويل (4) أو 6 حركات (يعطي فرصة للقلب ليستشعر طول الرحلة وعظم النعمة التي تيسر له هذا العبور الطويل بسلاسة.
الرسائل العملية والتربوية من الآية:

* استراتيجية "تنوع الوسائل": كما سخر الله لك البر والبحر، تعلم في حياتك المهنية ألا تقف عند وسيلة واحدة؛ إذا تعطلت "وسيلة برية"، فابحث عن "الفلك" التي تجري في بحر الفرص المتاحة.
* أدب "الركوب": الآية تذكرنا بدعاء الركوب) سبحانه الذي سخر لنا هذا؛ لأن الاعتراف بالمنعم عند بداية كل رحلة) سواء كانت سفراً حقيقياً أو مشروعاً جديداً (هو الذي يضمن البركة والوصول.
* الربط بالحضارة: الآية تؤصل لمفهوم التبادل والاتصال؛ فالهدف من الحمل ليس مجرد النقل، بل هو التواصل بين البشر وتبادل المنافع) الأكل والدهن والصبغ التي ذكرت في الآيات السابقة، مما يعني بناء مجتمع متكافل.
الختم التدبري:

بهذه الآية (22) يختم القرآن عقد "نعم التمكين المادي"؛ لقد وفر لك الماء لتعيش، والجنات لتأكل، والأنعام لتنتفع، والفلك لتتحرك.

الأمر الثاني:

عبارة { تَحْمَلُونَ } (في ختام هذه المنظومة هي كلمة "مفتاحية" تلخص فلسفة الوجود الإنساني؛ فهي تجمع بين طرفي النقيض في آن واحد: أقصى درجات الضعف البشري، وأقصى درجات التكريم والتسخير الإلهي.

إليك كيف تبرز هذه العبارة هذا التوازن الدقيق:

1. إبراز "ضعف الإنسان وحاجته" (الافتقار الذاتي):

اختيار الفعل المبني للمجهول) أو لما لم يسم فاعله { تَحْمَلُونَ } (بدلاً من "تركبون" أو "تسيرون"، يرسخ في القلب معاني الافتقار:

* العجز عن الاستقلال: الإنسان رغم ذكائه وقوته لا يملك وسيلة ذاتية لقطع الفيافي أو عبور المحيطات بجسده المجرد؛ هو دائماً بحاجة إلى "حامل" يحمله.

* الاستسلام للقدر: بمجرد أن تصبح "محمولاً" فوق ظهر دابة أو على سطح سفينة، فقد خرجت السيطرة الكاملة من يدك؛ أنت الآن رهين سلامة هذا الحامل وقوة القوانين التي تحكمه) قانون الطفو، قوة الدابة، وهذا يضعك في مقام "المضطر" الذي لا يملك لنفسه نفعا ولا ضراً إلا بالله.

* رسالة القلب: العبارة تهمس لك: "أنت ضعيف لدرجة أنك لا تستطيع الوصول لرزقك أو أهدافك إلا بمركب يحملك، فكيف تتكبر؟".

2. إبراز "تسخير الأسباب" (التكريم الإلهي):

وفي المقابل، فإن نفس الكلمة { تَحْمَلُونَ } تعكس رقي التعامل الإلهي مع هذا الكائن الضعيف:

* خدمة الكون للإنسان: الله لم يقل "احملوا أنفسكم"، بل سخر أجراماً ضخمة (الإبل والسفن) لتكون في خدمتك. هذا هو "التسخير"؛ أن يتحول القوي (الحيوان / البحر) إلى خادم للمكرم (الإنسان).

* تذليل الصعاب: العبارة توحى بـ "الراحة"؛ فالمحمول مخدوم. الله يريد منك أن تصل لغاياتك ببسر وسهولة، فسخر لك "الأسباب" لتكون جسراً يعبر بك المسافات الشاقة.

* رسالة العقل: "الأسباب" الدابة والسفينة (هي هدايا إلهية، والمؤمن يستخدم السبب) يركب السفينة (لكن قلبه مع "مسبب الأسباب" الذي يحمله حقيقة).

التناسب البلاغي والصوتي: الجمع بين الضعف والقوة في بناء الفعل { تَحْمَلُونَ }:

* تبدأ الكلمة بـ الضمة) ت(، والضم في اللغة يوحي بالاحتواء والرعاية، كأن الله "يضمك" برحمته ويحميك أثناء الحمل.

* تنتهي بـ الواو والنون) الجمع (ليبين أن هذه النعمة عامة وشاملة لكل البشر، لا يستغني عنها ملك ولا فقير.

* موقعها في الآية: جاءت بعد ذكر الأنعام والفلك لترتبط بين "الروح" (الأنعام) و"المادة" (الفلك)، وتؤكد أن الله يسخر لك كل أنواع الوجود (الحي والجماد) (ليحملك).

الخلاصة العملية لحياتك:

* عليك أن تعترف بفضل الآخرين؛ لأن ذلك الاعتراف هو جزء من شكر الله.

* في قوتك: مهما بلغت من قوة الحجة، تذكر أنك "محمول" بتوفيق الله؛ لولا أن سخر لك العقل و اللسان والقبول لما وصلت.

* التوازن: كن مستخدماً للأسباب بكل ذكاء) اركب الفلك، وظل مفتقراً لله بكل خضوع) استشعر أنك تحمل).

* هذا التوازن بين عجز العبد وعظمة التسخير هو لب العبودية.

أخيراً:

إليك "عقد التمكين العشر"، وهي الخلاصة المركزية للقيم الإيمانية والعملية المستنبطة من هذه الرحلة التدبرية في سورة المؤمنون (الآيات 18-22)، لتكون مرجعاً لك في فكرك وعملك:

- * قيمة "التوازن" ({} بقدر):
- * المبدأ: النجاح ليس بالوفرة الطاغية، بل بالمقدار المنضبط.
- * التطبيق: اجعل خططك وأهدافك "بقدر"، لا إفراط يورث الطغيان، ولا تفريط يورث العجز.
- * قيمة "الاستدامة" ({} فأستكثاه):
- * المبدأ: العبرة ليست في تحصيل المورد، بل في القدرة على حفظه وتخزينه.
- * التطبيق: ابن أصولاً فكرية ومالية مستدامة (كتابة المخطوطات، الادخار، توثيق العلم (لضمان بقاء الأثر).
- * قيمة "المسؤولية عن النعمة" ({} لقادرون):
- * المبدأ: اليقين بأن المنعم قادر على سلب النعمة كما أعطاه.
- * التطبيق: كسر الغرور المهني والذاتي، ومداومة الاستغفار والاعتراف بالفضل لله وحده.
- * قيمة "الإبداع والتطوير" ({} فأنشأتها):
- * المبدأ: تحويل المادة الخام (إلى مشروعات مثمرة) جنات.
- * التطبيق: لا تترك أفكارك مواد خام، بل "أنشئ" منها مخرجات مفيدة ومنظمة تسر الناظرين وتنفع الناس.
- * قيمة "الجودة النوعية" ({} تثبت بالدهن):
- * المبدأ: استخراج الصفة والجوهر من العمل.
- * التطبيق: احرص في بحثك القانوني أو الفكري على تقديم "الخلاصة" الدهن والصبغة الفريدة (التي تميز إنتاجك عن غيره).
- * قيمة "البقطة الذهنية" ({} لعبرة):
- * المبدأ: كسر آفة الاعتياد بالنظر المتأمل في المألوف.
- * التطبيق: كن باحثاً يرى ما لا يراه الآخرون في التفاصيل اليومية، واستلهم الحلول من تأمل قوانين الكون.
- * قيمة "النفع المتعدي" ({} ومنها تأكلون):
- * المبدأ: الغاية النهائية من كل إنتاج هي إطعام ونفع الآخرين.
- * التطبيق: اجعل في كل عمل تقوم به "حصصاً" لنفع الناس وقضاء حوائجهم، وليس فقط للربح الشخصي.
- * قيمة "الرحمة بالمسخرات" ({} تسقيكم):
- * المبدأ: اللطف الإلهي يتجلى في تحويل الصعب (فرث ودم (إلى سهل) لبن سائغ).
- * التطبيق: تعامل بلين ورحمة مع من يعملون تحت يدك أو الوسائل التي تستخدمها، اقتداءً بلطف اللطف الإلهي.
- * قيمة "المرونة والعبور" ({} تحملون):
- * المبدأ: تنوع الوسائل (بر وبحر) للوصول إلى الغايات.
- * التطبيق: إذا تعثرت وسيلة فلا تتوقف؛ فالله سخر لك "فلكاً" طرقاً بديلة (قد لا تراها إلا بالبحث والتوكل).
- * قيمة "الارتباط بالمصدر" ({} وأنزلنا من السماء):
- * المبدأ: كل خير أصله من السماء (الوحي والقدر).
- * التطبيق: اجعل بوصلتك دائماً نحو السماء؛ استمد منها التوفيق بالدعاء والهداية باتباع الوحي.

القسم الثالث من المقطع الاول

يقول تعالى
وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنْ الْخَلْقِ غَافِلِينَ (17) وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ (18) فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ تَحِيلٍ وَأَعْتَابَ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (19) وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبْغٌ لِلْأَكْلِينَ (20) وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (21) وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (22)
المقدمه

- أولاً : (التحليل الموضوعي) دلائل القدرة والرعاية الإلهية)
تنتقل الآيات من الحديث عن خلق الإنسان) في الآيات السابقة لها (إلى الحديث عن تهيئة الكون لا استمرارية حياة هذا الإنسان، ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة محاور:
- * الإحكام في الخلق (الآية 17) :
 - * نتحدث عن خلق "سبع طرائق" السموات السبع، والتأكيد على أن الله ليس غافلاً عن خلقه، بل هو رقيب ومدبر لشؤونهم.
 - * دورة حياة الماء والنبات (الآيات 18-20):
 - * تفصيل في نعمة الماء المنزل "بقدر" أي بمقدار دقيق لا يفرق الأرض ولا يشح عنها.
 - * الإشارة إلى خزانات المياه الجوفية) "فأسكناه في الأرض" (والقدرة على سلبها.
 - * ذكر الثمرات) النخيل والأعناب (وتخصيص "شجرة طور سيناء" الزيتون (بذكر خصائصها الغذائية الدهن والصبغ).
 - * تذليل الأنعام ووسائل النقل) الآيات 21-22):
 - * الانتقال من النبات إلى الحيوان، وتوضيح العبرة في الأنعام) الألبان، المنافع، اللحوم).
 - * الربط بين وسيلة النقل البرية) الأنعام (والبحرية) الفلك/السفن).
 - ثانياً: الدلالات اللغوية والبيانية
 - * "سبع طرائق": سُميت السموات طرائق لأنها طرقت بعضها فوق بعض، أو لأنها طرق للملائكة و الكواكب.
 - * "بقدر": توحى بالهندسة الإلهية الدقيقة، فلا زيادة تفسد الأرض ولا نقصان يهلك الزرع.
 - * "تخرج من طور سيناء": وصف الشجرة بمكان منبتها الأصلي، مما يعطيها خصوصية قدسية وتاريخية.
 - * "تنبت بالدهن وصبغ للأكلين": الباء هنا للمصاحبة، أي تنبت ومعها دهنها. و"الصبغ" هو ما يغمس فيه الخبز للأكل، وفيها إشارة لفوائد زيت الزيتون كغذاء ودواء.
 - * "لعبرة": استخدام نكرة للتعظيم، أي أن في هذه الأنعام دلالة عظيمة لمن تأمل في كيفية تحول الطعام إلى لبن سائغ.
 - ثالثاً: القيم المستفادة
 - * الربط بين النعمة والمنعم: الآيات لا تسرد حقائق كونية فحسب، بل تربطها بصفات الله) القادر، الرقيب، المنعم).
 - * التوازن البيئي: الإشارة إلى أن الماء يُنزل بقدر ويُخزن في الأرض، وهو أساس التنوع الحيوي (نخيل، أعناب، زيتون، أنعام).

الربط المنهجي بين الدلالات اللغوية للآيات (17-22) من سورة المؤمنون وبين الآثار النفسية و التربوية التي تعزز الانضباط الذاتي والوعي السلوكي:
جدول: الربط بين الدلالات اللغوية والآثار التربوية والنفسية

القاعده اللغوية أو اللفظية	الدلالة المعنوية في الآية	الأثر النفسي (السلوكي)	والتربوي
"وَمَا كُنَّا عَنْ الْخَلْقِ غَافِلِينَ" صبغة نفي مؤكدة لاسم الفاعل (غافلين).	صيغه نفي مؤكده لاسم الفاعل (غافلين)	تعزيز الرقابة الذاتية: الاستشعار الدائم بأن الله مطلع، يولد انضباطاً داخلياً يمنع العبد من التقصير أو التجاوز في حقوق الآخرين.	
وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ	الباء هنا للمصاحبة، ولفظ "بقدر" يعني بمقدار دقيق	قيمة التقدير والاتزان: غرس مبدأ "الاعتدال" في النفوس، فكما أن الماء بقدر، يجب أن تكون الانفعالات، والنفقات، و الجهود "بقدر" لتحقيق النجاح	

وتجنب الإسراف.		
الطمأنينة والأمان النفسي: إدراك أن النعم (كالماء والرزق) ليست عشوائية بل هي "مسكونة" ومحفوظة بقدرة إلهية، مما يقلل من القلق الوجودي وتوتر المستقبل.	فعل (أسكنه) يوحي بالثبات و التمكين والأمان	فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ
تنمية ملكة التفكير والتحليل: تدريب النفس على عدم المرور العابر بالأحداث، بل استخراج "العبرة" والدروس من كل ما يحيط بنا (نبات، حيوان، كون).	نكرة للتعظيم (تنوين التعظيم).	لُعْبْرَةً
الاهتمام بالتفاصيل (الدقة): تربية الفرد على الدقة في عمله وبحته، وتقدير الفوائد المتعددة للشيء الواحد، مما ينمي الذكاء العملي والاستفادة القصوى من الموارد	ذكر التفاصيل الدقيقة للغمرة الدهن، الصبغ).	تَنْبَتْ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٌ لِلْأَكْلَيْنِ

التحليل التربوي والسلوكي المستفاد:

1. الموازنة بين الحاجة والامتنان:
الآيات تذكر النعم (فواكه، دهن، ألبان، ركوب) لتربطها بـ "الأكل" و"المنافع". تربوياً، هذا يعلم الإنسان أن يتمتع بنعم الحياة ولكن بوعي بحيث لا تتحول النعمة إلى عادة منسية، بل تظل مصدراً دائماً للامتنان الذي يحفظ الصحة النفسية.
2. إدراك "السنن" الكونية والاجتماعية:
استخدام حرف "الفاء" في (فأنشأنا، فأسكناه) يدل على الترتيب والتعقيب. هذا يرسخ في النفس مبدأ "السبب والنتيجة"؛ فالحصول على الثمر يتطلب سقاءً، والحصول على اللبن يتطلب رعاية الأ نعام. هذا الفهم هو أساس النجاح المهني والانضباط السلوكي.
3. شمولية الرعاية والتكامل:
الربط بين السماء (الماء) والأرض (النبات) والأنعام والفلك، يربي في الفرد "النظرة الكلية" للأمور. ف المشكلات لا تحل مجزأة، بل بفهم ترابط العوامل ببعضها، تماماً كما تتكامل عناصر الحياة في هذه الآيات.

اولا

ابتدأت الدلائل الإيمانية التي تسوقها الآيات بلفت الإنتباه إلى دليل (الاحكام فى الخلق)
فقال تعالى(ولقدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنْ الْخَلْقِ غَافِلِينَ)

الأمر الأول

يدعوك الحق سبحانه وتعالى الى تأمل عظمه الخالق سبحانه وتعالى وإبداعه فـدليل قدره فى متناول نظرك فقال تعالى (وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنْ الْخَلْقِ غَافِلِينَ)
فالتوكيد ب (اللام) وقد بقوله (ولقد) التى تفيد التحقيق تهدف إلى ترسيخ اليقين فى نفس المؤمن بعظمة هذا البناء العلوي، وهو تمهيد لترسيخ اليقين بعظمة العلم الإلهي المحيط فى نفس العبد المؤمن ثم ان القلقلة فى قوله {ولقد} و {خلقنا} قلقلة صغرى فى "الدال" و"القاف". ترتبط بهذا المعنى لان القلقلة هي اضطراب الحرف وتحركه فى مخرجه بقوة. فهي توحى اى هذه القلقلة بـ "قوة الإيجاد" وعظمة الهزة الكونية عند الخلق. فلفظ {خلقنا} بصوت القاف المقلقل يعطي شعوراً بالمتانة والصلابة فى البناء الكوني.

* أدرس التربوي: كما أن الحرف يخرج بقوة واهتزاز ليثبت وجوده، على المؤمن أن يكون "قوي العقيدة" صلب المنهج فى مواجهة فوضى العشوائية.

الأمر الثانى

تدعوا الـايه الانسان المؤمن الى استشعار علو الحق وقدرته المطلقة ولهذا يقول تعالى (ولقد خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ) اختيار الظرف "فوق" يوحي بعلو القهر والقدرة، ويشعر الإنسان بضعفه وافتقاره، فهو محاط بسقف من العظمة الإلهية التي تطله وترعاه. ولهذا يقول بعدها (سبع طرائق)
اى مجرات أو كواكب أو طبقات فوق الارض وهي فوق مستوى الارض واتبعا بذكر احاطته علما بكل شىء (ما كنا عن الخلق غافلين)
وهذا فيه

المفهوم الاول

دلالة القدرة في "سبع طرائق"

استخدام لفظ "طرائق" بدلا من "سماوات" في هذا الموضع يحمل أبعادا دقيقة في التصميم الإلهي:

- * التراكم والانتظام: الطرائق لغة هي الطبقات بعضها فوق بعض. إدراك القدرة هنا يأتي من تأمل هذا البناء الشاهق (سبع سماوات) الذي يقوم بلا أعمدة، وهو ما يعكس القوة المطلقة في الإمساك بهذا الكون.

- * المسارات الكونية: تشير "الطرائق" أيضا إلى مسارات الكواكب والنجوم والملائكة. إدراك القدرة يكمن في "هندسة المسارات" التي لا تختل ولا تصطدم، مما يشير إلى قيومية دائمة لا تغفل عن حركة ذرة في ملكوته.



المفهوم الثاني

1. دلالة "فوقكم": تربية النفس على التعظيم والافتقار كلمة "فوقكم" في الآية ليست مجرد تحديد مكاني، بل هي دلالة تربوية عميقة:

- * إدراك العظمة الإلهية: التربية تبدأ من الشعور "بالعلو" المطلق لله عز وجل، مما يغرس في نفس المتربي التواضع وينفي عنها الكبر. فكلما أبصر الإنسان ما فوقه من بناء محكم (سبع طرائق)، صغرت نفسه في عينه أمام عظمة الخالق.

- * استشعار الحماية والولاية: تربوياً، كلمة "فوقكم" تعطي شعوراً بالسقف الإلهي الحامي. فالخالق الذي رفع هذه السماوات فوقنا هو القادر على حماية العبد وتدبير أمره، مما يورث الطمأنينة النفسية فالغنة في {كُنَّا}: تظهر هذا المعنى لأن الغنة صوت يخرج من الخيشوم فيه رنة ولطافة، وهي ترمز هنا إلى "اللطيف الإلهي" المصاحب لعملية الخلق والرعاية، فالله خلق بقوة (قلقلة) ويرعى بلطف (غنة).

- * مفهوم "العلوية والقهر": استشعار المؤمن أن الله "فوقه" يكسر صنم الكبرياء النفسي، ويجعل القانوني والباحث يتواضع أمام الحقائق، مدركاً أن فوق كل ذي علم عليم.

مفهوم "المنهجية الكونية": بما أن السماء "طرائق" (مسارات منظمة)، فإن العشوائية في حياة المؤمن هي خروج عن السنن الكونية.

- * التطبيق: تحويل الحياة إلى (طرائق أهداف) واضحة؛ مسار إيماني، مسار مهني، مسار بحثي

المفهوم الثالث أهمية التفكير والتأمل: المنهج المعرفي للكمال والجلال

الدعوة للتفكير في "الطرائق السبع" هي دعوة لمنهج تربوي عقلي:

- * الانتقال من الأثر إلى المؤثر: التأمل في إتقان الخلق (الطرائق) يربي العقل على البحث عن صفات "الكمال" في الصانع. فالدقة تشير إلى العلم، والقوة تشير إلى القدرة، والجمال يشير إلى الجلال.

- * تنمية الحاسة النقدية والجمالية: التأمل يخرج الإنسان من حالة "الاعتیاد" إلى حالة "الاندهاش"، وهي حالة تربوية تجعل القلب حياً، متصلاً دائماً بمصدر الجمال المطلق

*علو الله وإحاطته: تربية الضمير والمراقبة الذاتية

الربط بين العلو المطلق (فوقكم) وبين العلم المحيط (وما كنا عن الخلق غافلين) يؤسس لأهم قاعدة تربوية:

- * تربية "المعية" الإلهية: حين يدرك المتربي أن الله الذي يعلو السماوات السبع لا تغيب عنه غائبة في الأرض، يتولد لديه مفهوم "المراقبة الذاتية". هذا المفهوم يغني عن الرقابة البشرية؛ لأن العبد يعلم أن عين الله لا تغفل.

- * التوازن بين الهيبة والرجاء: العلو يورث "الهيبة"، ونفي الغفلة عن الخلق يورث "الرجاء" في كرم الله وعنايته. تربوياً، هذا التوازن هو الذي يحمي الشخصية من اليأس أو الغرور.

إن هذه الآية تربي الإنسان على أن يكون "ناظراً للسماء" بقلبه وعقله، باحثاً عن عظمة الله في الأفاق ، ومنعكساً ذلك في سلوكه بالانضباط والسمو الأخلاقي

المفهوم الرابع

الربط بين "هندسة السماء" و"هندسة الحياة الشخصية" هو من أعمق الاستنباطات التربوية لهذه الآية. فالله سبحانه لم يصف السماء بأنها ركام أو بناء عشوائي، بل وصفها بأنها {سَبْعَ طَرَائِقَ}؛ أي

طبقات منظمة، ومسارات محكمة، ونظام لا يختل.
إليك بيان أهمية تنظيم الحياة للمؤمن كاستجابة عملية لهذا النموذج الكوني:

1. محاكاة "النظام الكوني" في السلوك البشري
المؤمن مأمور بأن يكون "خليقة" في الأرض، ومن مقتضيات الخلافة إقامة النظام.
* الطرائق كمسارات للأهداف: كما أن لكل كوكب في السماء "طريقة" (مدارا) لا يخرج عنه، يجب أن يكون للمؤمن أهداف مرحلية (قصيرة، متوسطة، وبعيدة المدى).
* نبذ العشوائية: العيش بلا خطة هو مضادة للسنن الإلهية في الكون. السماء المنظمة فوقك تدعوك لأن يكون يومك، ومالك، ووقتك، ومنظماً وفق "طرائق" واضحة.
2. "طرائق" المؤمن: تقسيم مجالات الحياة
يمكنك تحويل مفهوم "السبع طرائق" إلى منهج تنظيمي لحياتك، بحيث تجعل لكل جانب من جوانب شخصيتك مساراً (طريقة) منظماً:

- * الطريقة الإيمانية: (الصلاة، الأذكار، التدبر) - مسار متصل لا ينقطع.
 - * الطريقة المهنية: (الإتقان، التطوير، الأمانة) - مسار لبناء الأرض.
 - * الطريقة الأسرية: (الحقوق، التربية، الصلة).
 - * الطريقة المعرفية: (القراءة، طلب العلم، البحث).
 - * الطريقة الجسدية: (الصحة، الغذاء، الرياضة).
 - * الطريقة المالية: (التخطيط، الكسب الحلال، الإنفاق المتزن).
 - * الطريقة الاجتماعية: (نفع الناس، الأخلاق، العمل الطوعي).
3. أهمية "الوضوح" في مواجهة "الغفلة"
الربط بين الخلق المنظم {سَبْعَ طَرَائِقَ} ونفي الغفلة {وَمَا كُنَّا عَنْ الْخَلْقِ غَافِلِينَ} يعلمنا أن:
* التنظيم يطرد الغفلة: الإنسان العشوائي غالباً ما يكون غافلاً، تضيع أوقاته سدى. أما الإنسان المنظم، فهو "يقظ" لكل دقيقة، مدرك لثمرة كل عمل يقوم به.
* المسؤولية عن التفاصيل: الله لا يغفل عن أصغر تفاصيل خلقه، وبالمثل، تنظيم حياتك يجعلك مسؤولاً عن تفاصيل يومك، مما يرفع من جودة إنتاجك وعطائك.

4. الالتزام العملي: كيف أبداً؟
لتجعل من هذه الآية ثمرة في تنظيم حياتك، التزم بالآتي:
* التدوين والجدولة: ابدأ بكتابة "طرائقك" (أهدافك) بوضوح. المؤمن المنظم هو مؤمن قوي.
* المحاسبة الدورية: خصص وقتاً لمراجعة مساراتك؛ هل خرجت عن "المدار" الصحيح؟ تذكر أن الله يراقب (غير غافل)، فكن أنت أيضاً رقيباً على خطتك.
* التدرج (الطبقية): كما أن الطرائق طبقات فوق بعضها، ابدأ بأهداف صغيرة وابن فوقها أهدافاً أكبر.

بهذا نكون قد ربطنا بين عظمة البناء السماوي وعظمة البناء النفسي والعملي للإنسان.
الغاية القصوى من التدبر هي الانتقال من "المعرفة الذهنية" إلى "الاستقامة السلوكية".

الأمر الثالث

خاتمة الآية 17 من سورة المؤمنون {وَمَا كُنَّا عَنْ الْخَلْقِ غَافِلِينَ} قاعدة ذهبية في بناء العقيدة والسلوك؛ فهي تربط بين "عظمة الخلق" و"دقة الرعاية" كما يتضح من الآتي

المفهوم الأول .

ب: المقصود بـ (وما كنا عن الخلق غافلين)

المعنى يتجاوز مجرد "العلم" إلى "الإحاطة والتدبير":

- * نفي النقص: الغفلة هي زهول الغافل عما هو مقتضى علمه. الله عز وجل ينفي عن نفسه الغفلة ليؤكد كمال قيوميته؛ فخلق السماوات العظيمة لم يشغله عن تدبير شؤون أصغر المخلوقات.
- * المعية العلمية: الله حاضر بعلمه، وقدرته، ولطفه في كل لحظة. هو لا يخلق الخلق ثم يتركهم لمصائرهم (كما يزعم بعض الفلاسفة)، بل هو "قيوم" قائم على كل نفس بما كسبت.
- * الشمولية: الكلمة تشمل "الخلق" بكل أنواعهم (إنسان، حيوان، نبات، جماد) وفي كل أحوالهم (ظواهرهم، باطنهم، ماضيهم، مستقبلهم).

المفهوم الثاني: مفهوم مراقبة الله ورعايته (كمفهوم عملي)

تحويل هذه الآية إلى مفهوم عملي يعني الانتقال من "الفكرة" إلى "الاستحضار":

- * المراقبة (واجب العبد): هي دوام علم العبد باطلاع الخالق عليه. عملياً: هي "الفرملة" النفسية التي تمنعك من الخطأ حين تغيب أعين البشر، وهي "المحرك" الذي يدفعك للإتقان حين لا يراك أحد.

* الرعاية (عطاء الرب): هي ثقة العبد بأن الله مطلع على حاجته، وضعفه، ومظلمته. عملياً: هي اليقين بأن الله يدبر لك في الخفاء ما لا تدركه في العلن، وأنه "لا ينسى" سعيك ولا يغفل عن دعائك.

المفهوم الثالث ماذا ينتج عن تطبيق هذا المفهوم (الثمار العملية)

إن استحضار أن الله "ليس غافلاً" ينتج شخصية مؤمنة تتسم بالآتي:

1. الاستقامة في "الخلوات" كما في "الجلوات"
أكبر ثمرة لمفهوم (عدم الغفلة) هي النزاهة. عندما تدرك أن عين الله معك في مكتبك، وفي تعاملك مع زملائك، وفي هاتفك الشخصي، يرتفع مستوى انضباطك الأخلاقي تلقائياً.
2. التحرر من "عبودية" رقابة البشر
الإنسان العشوائي يعمل لإرضاء الناس أو خوفاً من المدير. أما من يطبق الآية، فيعمل وفق "معياري إلهي ثابت". هذا يمنحه استقلالية في الشخصية وقوة في الحق؛ لأنه يعلم أن المرجعية الكبرى (الله) لا تغفل.
3. الصبر الجميل والسكينة النفسية
حين تقع في أزمة أو تتعرض لظلم، تهمس لك الآية: "الله ليس غافلاً عنك".
* النتيجة: يزول الشعور بالوحدة أو "الضياع". فالمؤمن يعلم أن حقه محفوظ، وأن ألمه مرصود، مما يبرد حرارة المصيبة في قلبه.
4. جودة الإتقان (الإحسان)
في علم الإدارة، يقال إن "الرقابة ترفع الأداء". فكيف إذا كانت الرقابة من الخالق؟
* تطبيق الآية ينتج "إتقاناً ذاتياً"؛ فأنت تحسن عملك ليس خوفاً من العقاب الديني، بل لأنك تستحي أن يرى الله منك تقصيراً وهو الذي أحسن خلق "الطرائق السبع".
ملخص النتائج العملية الأثر الناتج عن (وما كنا عن الخلق غافلين) |

١/ الأخلاق : تحول الحياء من "حياء من الناس" إلى "حياء من الله".
٢/ العمل : الانتقال من "أداء الواجب" إلى "بلوغ الإتقان"
٣/ النفس : الانتقال من "القلق والاضطراب" إلى "الثقة والسكينة".
٤/ الاجتماع : العدل والإنصاف؛ لأن الله مطلع على الحقوق والظلم.
هذه الآية هي "ميثاق الأمان" لكل مؤمن يسير في دروب الحياة.
المفهوم الرابع

الايه 17 من سورة المؤمنون تضعنا أمام ميثاق عملي يضبط حركة الإنسان في الحياة.
إليك الثمار السلوكية والتفسير العملي الذي ينبغي الالتزام به كمنهج حياة:
1. اليقظة الدائمة ونبد الغفلة (الرقابة الذاتية)
ما دام الله قد نفى عن نفسه الغفلة بقوله {وما كنا عن الخلق غافلين}، فإن الثمرة السلوكية الأولى هي:

* تفعيل عين البصيرة: أن تعيش وأنت تعلم أن حركاتك وسكناتك، ونياتك الباطنة، مرصودة بعلم إلهي لا يغيب.

* التطبيق العملي: قبل البدء في أي عمل (سواء كان مهنيًا أو شخصيًا)، اسأل نفسك: "هل يرضى الله عن هذا العمل؟". هذا يورثك "الإحسان" وهو أن تعبد الله كأنك تراه.

2. الطمأنينة النفسية والثقة في التدبير
إدراك أن الذي أحكم بناء "الطرائق السبع" فوقك هو الذي يرعاك، يثمر سلوكاً نفسياً متزناً:
* مواجهة الأزمات: الالتزام بعدم الجزع عند وقوع المصائب، لأن الذي لا يغفل عن خلقه قد قدر كل شيء بعلم وحكمة.

* التطبيق العملي: التخلص من القلق المفرط بشأن الرزق أو المستقبل؛ فمن أقام نظام الكون بهذا الإتقان، لن يترك ضائعاً في تفاصيل حياتك الصغيرة.

3. المنهجية والنظام في العمل (الاعتدال بالخلق)
وصف السماوات بأنها "طرائق" (طبقات منظمة ومسارات محكمة) يعطي درساً في الانضباط:
* نبذ العشوائية: كما أن الكون يسير وفق سنن ونظام صارم، يجب أن يكون سلوك المؤمن منظماً ومخططاً له.

* التطبيق العملي: التزام الدقة في المواعيد، وترتيب الأولويات في المهام اليومية، وإتقان العمل فالقوضى في حياة الإنسان لا تتناسب مع عظمة النظام الكوني الذي يعيش تحته.

4. التواضع وكسر كبرياء النفس
قوله تعالى {فوقكم} يذكر الإنسان بحجمه الحقيقي في هذا الوجود العظيم:

* خفض الجناح: مهما بلغت من علم أو سلطة أو جاه، فأنت تحت سقف من الخلق الإلهي العظيم الذي لا تدرك آخره.

* التطبيق العملي: التعامل مع الخلق بتواضع، وتجنب التعالي على الآخرين، واستشعار الافتقار الدائم للقوة الإلهية المدبرة.

الخلاصة العملية:
اجعل من هذه الآية "بوصلة" يومية؛ فكلما رفعت رأسك إلى السماء أو شعرت بضيق، تذكر أن فوقك نظاماً محكمة، وأن هناك خالقاً لا يغفل عنك لحظة واحدة. هذا يقين سيجعل سلوكك مزيحاً.

الأمر الرابع
إن الربط بين الأداء الصوتي (التجويد) وبين المعنى التفسيري هو أحد ركائز "المفاهيم القرآنية"؛

فصوت الحرف وحركته في القرآن الكريم ليسا مجرد قواعد لسانية، بل هي أصوات تجسّد المعاني وتعمق استقرارها في القلب. إليك استنباط الأحكام التجويدية من الآية 17 من سورة المؤمنون، وربطها بالمفاهيم العظيمة للقدرة والعلم الإلهي:

1. القلقة في قوله {ولقد} * الحكم: قلقة صغرى في "الدال" و"القاف". * الارتباط بالمعنى: القلقة هي اضطراب الحرف وتحركه في مخرجه بقوة. * المفهوم المستنبط: توحى هذه القلقة بـ "قوة الإيجاد" وعظمة الهزة الكونية عند الخلق. فاللفظ يعطي شعوراً بالمتانة والصلابة في البناء الكوني. * الدرس التربوي: كما أن الحرف يخرج بقوة واهتزاز ليثبت وجوده، على المؤمن أن يكون "قوي العقيدة" صلب المنهج في مواجهة فوضى العشوائية.

2. المد في {طرائق} * الارتباط بالمعنى: المد هو الإطالة والزيادة. * المفهوم المستنبط: المد في {طرائق} (4-5 حركات) يمثل "الاتساع والمساحة". السماء ليست بناءً ضيقاً، بل هي مسافات شاسعة وطبقات ممتدة. إطالة الصوت هنا تعكس "عظمة المدى" وعلو المسافات بين هذه الطرائق. * الدرس التربوي: سعة الأفق؛ فالمؤمن الذي يتأمل في سعة "الطرائق" يجب أن يتسع صدره وعقله للأهداف الكبيرة ولا يحصر نفسه في سفاف الأمور.

3. الغنة المشددة في {كتا} * الحكم: غنة أكمل ما تكون في النون المشددة. * الارتباط بالمعنى: الغنة صوت رخيم يخرج من الخيشوم، يتسم بالليونة والدوام. * المفهوم المستنبط: الغنة هنا في نون العظمة {كتا} المرتبطة بنفي الغفلة {وَمَا كُنَّا}. هي توحى بـ "اللفظ الإلهي" المستمر. فبينما السماء شديدة وبنائها قوي فإن رعاية الله لخلقه تتسم باللطف والديمومة (غنة). * الدرس التربوي: الجمع بين الهيبة والرجاء. هيبة الخالق في قدرته (الخلق)، ورجاء العبد في لطفه (الرعاية الدائمة).

4. الإخفاء الشفوي في {فوقكم سبع} * الحكم: إظهار شفوي (الميم عند السين). * الارتباط بالمعنى: الإظهار هو البيان والوضوح التام. * المفهوم المستنبط: يعكس "الوضوح المنهجي". النظام الكوني ليس فيه لبس أو تداخل عشوائي؛ كل طبقة مستقلة وواضحة في مكانها {فوقكم}. * الدرس التربوي: وضوح الأهداف؛ كما تظهر الميم بوضوح أمام السين، يجب أن تبرز أهداف المؤمن وخطوات حياته بوضوح تام بعيداً عن الغموض أو "غفلة" المقاصد.

5. المد العارض للسكون في {غافلين} * الحكم: مد عارض للسكون عند الوقف (2 أو 4 أو 6 حركات). * الارتباط بالمعنى: السكون هو الثبات والاستقرار. * المفهوم المستنبط: نفي الغفلة يقتضي "اليقظة الدائمة". الوقوف على {غافلين} بمد عارض يوحي بالاستقرار والثبات على حقيقة أن الله مطلع على كل شيء أبداً. * الدرس التربوي: الاستقامة؛ فالسكون في نهاية الآية هو دعوة لسكون القلب واطمئنانه تحت ظل الرقابة الإلهية، فلا يضطرب العبد ما دام ربه "غير غافل" عنه. بهذا نرى أن القرآن الكريم يُقرأ بالروح والحس قبل اللسان؛ فكل حكم تجويدي هو "إشارة" تربوية تعزز المفهوم الذي تنشده الآية.

ثانياً

دوره المياہ والحياء والنبات الايات (٢٠-١٨)

المبحث الأول

تفسير الآية 18 من سورة المؤمنون، وهي قوله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنْتَاهُ فِي الْأَرْضِ} وَإِنَّا عَلَىٰ تَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ، يتضمن دلالات عميقة حول تدبير الخالق ونعمه على عباده: المعنى العام للآية

تنتقل الآيات من الحديث عن خلق الإنسان والسموات إلى الحديث عن الرزق والبيئة التي يعيش فيها، وتبرز قدرة الله في تسخير الموارد الأساسية للحياة.

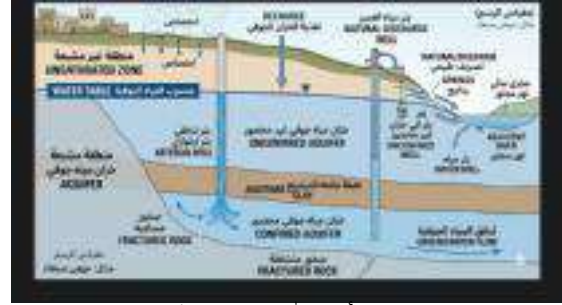


1. "وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ"

* بقدر: أي بمقدار محدد وحكمة دقيقة؛ ليس كثيراً فيغرق الأرض (كالطوفان)، ولا قليلاً فيشح الرزق وتموت الزروع.

* التوازن: تشير الآية إلى ميزان دقيق في كمية الأمطار السنوية وتوزيعها بما يحقق مصلحة الخلق.

2. "فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ"



* الإسكان: تعني أن الله جعل الأرض مستودعاً لهذا الماء، حيث يخزن في باطنها (المياه الجوفية، العيون، والآبار) ولا يغور في أعماق سحيقة لا يمكن الوصول إليها، ولا يتبخر كله بمجرد نزوله. انظر إلى الصورة اعلاه كيف تتدفق المياه إلى جوف الأرض وتكون مخزون مائي يبقى في طبقات الأرض القريبة مما يسهل على الإنسان استخراجها والاستفادة منه في الشرب والزراعة.

3. "وَأَنَا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ"

* التنبيه والتحذير: الله سبحانه يذكر العباد بأن هذه النعمة (الماء العذب) ليست ذاتية أو دائمة بغير مشيئته؛ فهو قادر على إذهاب هذا الماء إما بجعله يغور في أعماق الأرض، أو بجعله مالحة أجاباً غير صالح للاستخدام.

* الامتنان: الدعوة لشكر المنعم على هذه الهبة التي هي قوام الحياة.

دلالات لغوية وسياقية

* جاءت هذه الآية بعد ذكر "الطرائق السبع" (السموات)، لتؤكد أن الذي بنى هذا الكون المحكم هو نفسه الذي يرزق من فيه بتقدير دقيق.

* في سياق سورة المؤمنون، تهدف الآية لترسيخ اليقين في قلب المؤمن بعظمة الخالق وقدرته على الإحياء والإماتة، والبعث والنشور.

الامر الاول

تستعرض الآية (18) من سورة المؤمنون مجموعة من المفاهيم المركزية التي تربط بين العقيدة، و الكون، وحياة الإنسان، ويمكن استخلاص أبرزها كالتالي:

الدرس الاول

مفهوم "الإنزال بقدر" (التوازن الكون)

مفهوم "الإنزال بقدر" في الآية 18 من سورة المؤمنون يمثل قمة الإعجاز الذي يربط بين قوانين الفيزياء الكونية ودقة الصياغة اللغوية والأداء الصوتي. ويبين دقة بناء الكون بحكمه عاليه خاليه من الفوضى والعشوائية

إليك الشرح المفصل لهذا المفهوم من ثلاثة جوانب متكاملة:

أولاً: التوازن الكوني (المفهوم العلمي والوجودي)

يرمز قوله تعالى {بقدر} إلى "قانون الميزان" الذي يحكم دورة المياه في الطبيعة:

* ثبات الكمية: أثبتت الدراسات الهيدروليكية أن كمية المياه التي تتبخر من البحار والمحيطات وتعود للأرض عبر الأمطار هي كمية ثابتة سنوياً (بقدر)، ولو اختلت هذه الكمية بالزيادة لفرقت الأرض، أو بالنقصان لجفت الحياة.

* التوزيع النوعي: الإنزال بقدر يشمل أيضاً "النوعية"؛ حيث ينزل الماء عذبةً فرائاً رغم أن معظمه متبخر من بحار مالحة، وهذا تقدير كوني محكم لضمان حياة الكائنات.

ثانياً: المسات البيانية والبلاغية

تتجلى بلاغة النص في اختيار الكلمات التي تعزز مفهوم التوازن والسيطرة:

- * تعبير "بِقَدَرٍ": جاء التنكير هنا للتعظيم والشمول، أي بقدر دقيق يعجز البشر عن إحصائه أو التحكم فيه، وهو يوجي بالحكمة والإحكام.
- * الفاء في قوله "فَأَسْكَنَاهُ": حرف عطف يفيد التعقيب والترتيب مع السرعة، مما يدل على أن الأرض مهياة فوراً لاستقبال هذا الماء؛ فبمجرد نزوله بقدر، تقوم الجاذبية وطبقات الأرض بوظيفة "الإسكان" دون إبطاء.
- * المقابلة البديعية: بين الإنزال (وَأَنْزَلْنَاهُ) والإنهاب (بِذَهَابٍ)، وبين السماء والأرض. هذه المقابلات تعطي صورة كاملة للهيمنة الإلهية على المورد من مصدره إلى مستقره.
- * التأكيد باللام و صيغه الجمع : في قوله {لِقَادِرُونَ}؛ اللام هي "اللام المزلحقة" للتوكيد، وصيغة الجمع "نحن/قادرون" للعظمة، وكلها أدوات بلاغية لبث الرهبة في النفس من ضياع النعمة.
- ثالثاً: أحكام التجويد ودلالاتها المعنوية
- عند تلاوة فقرة {وَأَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ}، نجد أحكاماً تخدم المعنى:
- * المد المتصل في (السَّمَاءِ) و (مَاءً):
- * الحكم: مد واجب 4 أو 5 حركات.
- * اللمسة: طول المد الصوتي يعطي إيحاءً بعلو المصدر (السماء) وغزارة العطاء (ماء)، وكأن الصوت يمتد ليعبر عن سعة النعمة المنزلة.
- * الإخفاء الحقيقي في (وَأَنْزَلْنَاهُ):
- * اللمسة: صوت الغنة هنا يمهّد للنفس تهيئة لاستقبال الخبر، وفيه رقة تناسب نزول الماء اللطيف.
- * إقلاب التنوين في (مَاءً بِقَدَرٍ):
- * الحكم: قلب التنوين ميماً مخفاة عند الباء.
- * اللمسة: هذا الحكم يتطلب "إحكاماً" في النطق (تلامس الشفتين برفق)، وهو ما يتناسب صوتياً مع كلمة "بقدر" التي تعني الإحكام والضبط؛ فالنطق هنا يتسم بالانضباط الصوتي تماماً كما أن الإنزال منضبط بالقدر.
- * كما أن الوقوف عند كلمه بقدر تعطي نبرة قوية ومستقرة، مما يعزز معنى الثبات والقوة في هذا التقدير الإلهي.
- المفاهيم العملية لهذا المفهوم
- يعد مفهوم "الإنزال" في الآية الكريمة (سواء في بدايتها "وَأَنْزَلْنَاهُ" أو في تفاصيلها "بقدر") مدرسة متكاملة في إدارة الحياة والأعمال. فالفعل لا يشير فقط إلى الهطول، بل إلى تدفق الموارد من المصدر إلى المستفيد.
- إليك المفاهيم والدروس العملية المستفادة من "الإنزال" في حياتنا اليومية:
- 1. مفهوم "الاستمداد من المصدر الصحيح"
- * الدرس: الماء نزل "من السماء"؛ وهي إشارة إلى المصدر العالي والنقي والمستمر.
- * التطبيق العملي: في حياتك المهنية والعلمية، ابحث دائماً عن "المصادر الأصلية" والموثوقة للمعلومات والدخل. لا تعتمد على الروافد الضعيفة أو الملوثة، بل استمد طاقتك وخططك من قيم عليا ومصادر معرفية رصينة تضمن لك النقاء والاستمرارية.
- 2. مفهوم "التوقيت المناسب"
- * الدرس: الإنزال لم يكن دائماً بلا انقطاع، بل هو فعل يحدث في وقته المقدر.
- * التطبيق العملي: تعلم فن "إدارة التوقيت". ليس المهم أن تنجز المهمة فقط، بل أن "تنزل" جهدك وتدخل في الوقت الذي يحتاج فيه العمل لذلك. التدفق الزائد في وقت غير مناسب قد يسبب الفوضى، والتأخر قد يسبب الجفاف؛ فالذكاء العملي هو إعطاء كل ذي حق حقه في وقته.
- 3. مفهوم "القدرة على الاستيعاب" (الأوعية)
- * الدرس: الإنزال يحتاج إلى أرض مستعدة لاستقباله ("فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ").
- * التطبيق العملي: قبل أن تطلب "الزيادة" في الرزق أو الفرص (الإنزال)، اسأل نفسك: هل هيأت لأرضية مناسبة؟ * إذا نزل العلم ولم يجد عقلاً منظماً ضاع.
- * إذا نزل المال ولم يجد إدارة مالية حكيمة تبخر.
- * القاعدة: طور مهاراتك (الأرض) لتكون وعاءً صالحاً لاستيعاب الفرص القادمة (الإنزال).
- 4. مفهوم "التدرج والمقدار" (بقدر)
- * الدرس: الإنزال لم يكن دفعة واحدة مدمرة، بل كان "بقدر".
- * التطبيق العملي: في تعلم مهارة جديدة أو البدء في مشروع، اعتمد "مبدأ التدرج". لا تحاول "إنزال" كل طاقتك أو رأس مالك في يوم واحد. قسّم أهدافك الكبرى إلى جرعات صغيرة ومقدرة تضمن لك "النمو" دون "الاحتراق المهني".
- 5. مفهوم "الجاهزية للتحويل" (من الإنزال إلى الإسكان)
- * الدرس: الإنزال مرحلة أولية، والهدف النهائي هو الاستقرار والإنتاج.
- * التطبيق العملي: لا تفرح بمجرد وصول "الفرصة" أو "الربح" (الإنزال)، بل فكر فوراً في كيفية تحويلها إلى أصل مستقر (إسكان). الموظف الناجح هو من يحول الراتب (إنزال) إلى استثمار أو

ادخار (إسكان)، والباحث الناجح هو من يحول المعلومة العابرة إلى معرفة راسخة.
ملخص الدروس في نقاط سريعة:

- * الجودة: تأكد من نقاء مصدرك (من السماء).
- * الكمية: لا تندفع بكل قوتك، بل تحرك بميزان (بقدر).
- * الاستقبال: هيئ نفسك لتكون وعاءً صالحاً للفرص (فأسكنه).
- * المرونة: كن مستعداً لأن الموارد قد تنقطع يوماً ما، فاستثمر وقت "النزول" لتأمين وقت "الا

نقطاع.

الدرس الثاني

مفهوم "الإسكان" (الاستيداع والتمكين)

يمثل قوله تعالى {فَأَسْكَنْهُ فِي الْأَرْضِ} لفظة إلهية مذهلة تجمع بين الحقائق الجيولوجية واللطائف العقدية، حيث لا يقتصر الإنعام على "مجرد النزول"، بل يمتد إلى "الرعاية والحفظ" في باطن الأرض.

إليك تحليل هذا المفهوم ودلالاته على نعمة الآبار والعيون:

1. مفهوم "الإسكان" (الاستقرار والوديعة)

- * لغوياً: "الإسكان" مشتق من السكون، وهو نقيض الاضطراب والحركة. فالمطر حين ينزل يكون في حالة حركة وسيلان، فلو تركه الله يسيل لضاع في المحيطات أو تبخر سريعاً.
- * بلاغياً: اختيار لفظ "أسكن" يوحي بأن الأرض أصبحت "سكناً" وبيتاً لهذا الماء، وفي ذلك إشارة إلى الأمان والحفظ؛ فالماء في باطن الأرض محفوظ من التلوث، ومن التبخر بفعل الشمس، ومن الضياع السريع.

2. دلالة "فأسكنه" على نعمة الآبار والمياه الجوفية

تجلى عبقرية اللفظ في وصف كيفية تكون الآبار والعيون التي يعتمد عليها البشر (خاصة في المناطق الجافة):

- * التخزين الهيدروليكي: الآلة تشير إلى قشرة الأرض وصخورها التي صممها الخالق لتكون "خزانات" لولا هذه الخاصية (الإسكان)، لغار الماء في أعماق الأرض سحيقاً (إلى لب الأرض) بحيث لا يمكن استخراجه، أو لبقى على السطح فصار مستنقعات آسنة.
- * تيسير الوصول: "الإسكان" يعني أن الله جعله في طبقات قريبة تمكن الإنسان من حفر الآبار و الوصول إليه بجهد معقول.

3. الربط بين (فأسكنه) والآبار (المنظور الإنعامي)

عندما نتدبر كلمة "فأسكنه" نجد فيها ثلاثة أوجه من الإنعام المرتبط بالآبار:

- * الاستدامة (نعمة الوقت): الماء في البئر يظل صالحاً للاستخدام طوال العام، حتى في مواسم الجفاف، لأن الله "أسكنه" في مستودع لا تصله حرارة الصيف التي تجفف الأنهار.
- * التنقية الطبيعية: مرور الماء عبر طبقات الأرض "ليسكن" في باطنها يعمل كعملية "فلتر" وتصفية طبيعية، مما يجعل ماء الآبار والعيون عذباً ونقياً.
- * التحويل من "مفقود" إلى "موجود": لولا "الإسكان" لكان المطر ذكرى عابرة تنتهي بانتهاء الشتاء، لكن "الإسكان" جعله رصيذاً مستمراً يسحب منه الإنسان عبر الآبار متى شاء.

لمسة بيانية في "الفاء" (فَأَسْكَنْهُ)

حرف "الفاء" هنا يفيد الترتيب والتعقيب المباشر. وهذا يعني أن الأرض "مُبرمجة" إلهياً لاستقبال المطر فور نزوله؛ فبمجرد أن يلامس الماء التربة، تبدأ عمليات التسرب والامتصاص لتسكن في مستقرها الأرضي. هذا التصميم المسبق للأرض لتكون وعاءاً للماء هو قمة الإنعام.

المفهوم الثاني

يعد مفهوم "الإسكان" في الآية الكريمة (فَأَسْكَنْهُ فِي الْأَرْضِ) ركيزة أساسية في فن الإدارة والا ستدامة، فهو يمثل المرحلة التي تلي وصول المورد (الإنزال) وهي مرحلة الحفظ والتمكين. إليك أهم المفاهيم والدروس العملية المستنبطة من "الإسكان" لتطبيقها في حياتنا المهنية و الشخصية:

1. مفهوم "تحويل المورد إلى أصل"

- * الدرس: المطر في السماء مورد متحرك، لكنه بمجرد دخوله الأرض واستقراره فيها (إسكانه) يصبح "أصلاً" ثابتاً (مياه جوفية).
- * التطبيق العملي: لا تكتفِ بالدخل الشهري أو المعلومات العابرة كموارد متدفقة فقط. ابحث دائماً عن كيفية "إسكانها"؛ أي تحويل الراتب إلى استثمار طويل الأمد، وتحويل المعلومات المشتتة إلى معرفة منظمة أو مهارة ثابتة. العبرة ليست بما "ينزل" عليك، بل بما "يستقر" عندك.

2. مفهوم "الأوعية الحاضنة"

الدرس: لولا طبيعة الأرض المهيأة والطبقات الصخرية التي تمسك الماء، لضاع المطر سدى.

- * التطبيق العملي: في عملك أو مشروعك، قبل أن تطلب "التوسع" أو "الربح"، اهتم بـ "البنية التحتية". إذا زادت مبيعاتك (إنزال) دون وجود نظام محاسبي وإداري قوي (إسكان)، فسيضيع الربح

في الفوضى. القاعدة: قوة "الإسكان" تعتمد على جودة "الوعاء".

3. مفهوم "الإدخال الاستراتيجي"

* الدرس: الإسكان هو "مخزن الطوارئ" الإلهي؛ فالماء يُدخَر في باطن الأرض لسنوات الجفاف.
* التطبيق العملي: طبق مبدأ "الخزان الجوفي" في مالك ووقتك وجهدك. خصص جزءاً من مواردك لا يُؤمَس في وقت الرخاء، ليكون هو "السكن" الذي تلجأ إليه في الأزمات. الشخص الناجح هو من يملك "رصيдаً مسكوناً" يحميه من تقلبات "الإنزال".

4. مفهوم "الاستدامة والهدوء"

* الدرس: "الإسكان" مشتق من السكون، وهو ما يعطي الماء القدرة على البقاء دون تبخر سريع.
* التطبيق العملي: في إدارة الذات، تعلم أن "الاستقرار والتركيز" هما مفتاح الإنتاجية. تشتت الجهود (الحركة الدائمة بلا هدف) يضعف الطاقة كالمطر الذي يسيل على الصخر الصم. لكي تنتج "بثراً" من الإبداع، يجب أن "تسكن" فكرك وتركز جهودك في نقطة واحدة لفترة كافية.
5. مفهوم "الحماية والخصوصية"

* الدرس: إبداع الماء في باطن الأرض يحميه من التلوث الخارجي ومن ضياع الشمس له.
* التطبيق العملي: أحط خططك المستقبلية وأصولك الهامة بشيء من الخصوصية والحماية. "إسكان" أفكارك ومشروعاتك في مراحلها الأولى بعيداً عن "ضجيج" الناقدين أو المنافسين يحميها حتى تنضج وتصبح "بثراً" يستقي منه الجميع.
الدرس الثالث

مفهوم "القدرة على الإنهاض" (الافتقار والامتنان)

* المعنى: التذكير بأن النعمة ليست حقاً مكتسباً بل هي عطاء إلهي قابل للزوال.
* الدلالة: يرسخ في النفس مفهوم الافتقار إلى الله وشكره؛ فلو شاء الله لجعل الماء يغور في أعماق سحيقة لا تدرُكها الأسباب البشرية
فقله تعالى: {وإنّا علىٰ ذهابٍ بقادرون}، يأخذنا إلى واحد من أهم المفاهيم الإدارية والتربوية المعاصرة، وهو "إدارة المخاطر واليقظة الذهنية". هذا الجزء من الآية يمثل صمام الأمان الذي يحمي الإنسان من الغرور أو الغفلة.
إليك المفاهيم والدروس العملية المستنبطة من مفهوم "القدرة على الإنهاض":

1. مفهوم "التحوط وإدارة المخاطر"

الدرس: التذكير بأن المورد (الماء/الرزق) ليس ملكاً ذاتياً دائماً، بل هو عرضة للزوال أو التغير في أي لحظة بمشيئة الله.
* التطبيق العملي: في أي مشروع أو عمل، لا تضع كل رهاناتك على مصدر واحد للدخل أو وسيلة واحدة للنجاح. التفكير في "سيناريو الذهاب" (يجعلك تضع خطط طوارئ تحميك إذا تغيرت الظروف السوقية أو الشخصية.

2. مفهوم "المرونة والتكيف"

الدرس: الإقرار بالقدرة على الإنهاض يكسر حالة "الجمود" والركون للوضع الحالي.
* التطبيق العملي: يجب أن تكون لديك "مرونة" عالية. إذا ذهب مورد معين، هل لديك المهارات اللازمة زمة للتحويل لمورد آخر؟ اليقين بأن النعم قد تتحول يدفعك لتطوير مهارات متعددة لضمان الاستمرارية تحت أي ظرف.
3. مفهوم "الصيانة الوقائية والارتقاء"

* الدرس: ذهاب الماء قد يكون بسبب غوره في الأرض أو فساد جودته.
* التطبيق العملي: لا تنتظر حتى "يذهب" المورد لتبدأ في التحرك. قم بـ الصيانة الدورية لعلاقاتك، لأجهزتك، ولصحتك. شكر النعمة عملياً يعني الحفاظ عليها وحسن استخدامها لضمان بقائها، فالإهمال هو أسرع طريق لـ "ذهاب" النعم.

4. مفهوم "التواضع المهني"

* الدرس: قوله {يقادرون} يذكرنا بأن القوة الحقيقية لله، وأن ما نملكه هو "تمكين" مؤقت.
* التطبيق العملي: مهما بلغت من العلم أو الثراء، تجنب الغرور الوظيفي أو الكبر. التواضع يجعلك أكثر قرباً من فريق عملك وأكثر قدرة على التعلم من أخطائك، لأنك تدرك أن "المنصب" أو "النجاح" هو وديعة قد تسترد.

5. مفهوم "الاستثمار في الباقيات"

* الدرس: إذا كان المورد المادي (الماء) قابلاً للذهاب، فإن الأثر الناتج عن حسن استخدامه هو الذي يبقى.

* التطبيق العملي: استثمر في الأمور التي لا "تذهب" بسهولة، مثل: السمعة الطيبة، الأثر النافع، العلم الذي تورثه للأخريين، والعمل الصالح. هذه هي "الأصول الحقيقية" التي لا تخضع لقانون "الذهاب" المادي

> خلاصة الدرس:

> إن استشعار القدرة على "إنهاض" النعمة هو أعظم محفز للعمل بجدية، والشكر بصدق، والتخطيط بحكمة.

بهذا نكون قد ربطنا الآية (18) بجوانب الحياة العملية (تخطيطاً، وإدخاراً، وتحوطاً).

الدرس الرابع

مفهوم "التسخير" الربط بين السماء والأرض)

* المعنى: الربط الوظيفي بين السماء) مصدر المطر (والأرض) مستودع الماء.)
* الدلالة: إظهار وحدة التدبير في الكون، وأن كل ما في السموات مسخر لخدمة الحياة على الأرض بتقدير الخالق.

الدرس الخامس

مفهوم "الرزق والتدبير"

* المعنى: الآية ليست مجرد وصف طبيعي، بل هي بيان لآلية الرزق.
* الدلالة: تؤكد أن الله هو "الرزاق" الذي يهيئ الأسباب) المطر (والوسائل) الأرض (والنتائج) الزروع و الثمار التي تذكرها الآية التالية مباشرة.)
الامر الثاني

تستخلص الآية 18 من سورة المؤمنون دروساً تربوية وإيمانية وعملية، ترسم منهجاً لعلاقة الإنسان بالخالق وبالكون من حوله، ويمكن تلخيص هذه الدروس في النقاط التالية:

1. اليقين في "حكمة التدبير" الإلهي
* الدرس: أن كل شيء في هذا الكون مقدر بميزان دقيق (بقدر).
* التطبيق: يزرع في نفس المؤمن الطمأنينة بأن الأرزاق والظروف المحيطة به ليست عشوائية، بل هي نتاج حكمة إلهية توازن بين العطاء والمنع بما ينفع الإنسان ولا يطفئه.
2. إدراك "الافتقار الدائم" للمنع
* الدرس: قوله تعالى {وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهٖ لِقَادِرُونَ} يكسر شعور "الاستغناء" عند الإنسان.
* التطبيق: تذكيرنا بأن الموارد الطبيعية (كالماء) هي هبات وليست حقوقاً مكتسبة دائمة بجهدنا فقط، مما يستوجب دوام الشكر والتواضع أمام قدرة الله.
3. المسؤولية تجاه "الأمانة المودعة" (البيئة)
* الدرس: قوله {فَأَسْكِنَاهُ فِي الْأَرْضِ} يشير إلى أن الأرض مستودع أمانة لهذه النعمة.
* التطبيق: وجوب الحفاظ على مصادر المياه الجوفية والسطحية وعدم استنزافها أو تلويثها، لأن إبقائها في متناول أيدينا هو من تيسير الله الذي قد يرفعه عنا بسوء عملنا.
4. الاعتبار بعلاجات "البعث والنشور"
* الدرس: الربط بين إنزال الماء وإحياء الأرض (الذي تفصله الآية التالية).
* التطبيق: كما أن الله ينزل الماء فيسكنه ثم يحيي به الأرض بعد موتها، فهو قادر على إحياء الموتى؛ فالآية درس في "الاستدلال بالظواهر الكونية على الحقائق الغيبية".

الامر الثالث

عليك أن تدرك أن الإله القرآني ليس مجرد نص يتلو يتغنى بجماله بل هو منهج عملي في حياتنا ولهذا فإن اللازم عليك أن تبحث عن المنهج العملي للإله عندما تقرأها وهنا سوف نقوم باستلهاام المنهج العملي في حياتنا اليومية للإله 18 من سورة المؤمنون من خلال الآتي :

1. إدارة الموارد بمبدأ "القدر" (التخطيط والاعتزان)
* الدرس: قوله تعالى {يَقْدَرِ} يعلمنا أن النجاح والاستمرارية يكمنان في التوازن.
* التطبيق العملي: تجنب الإسراف أو التقصير في إدارة المال، والوقت، والجهد. العمل "بقدر" يعني وضع خطط مدروسة وميزانيات دقة تضمن تلبية الاحتياجات دون هدر يسبب الطوفان) الأزمات (أو شح يسبب الجفاف) التعثر.
2. أهمية "الإسكان" (الإدخار والاستدامة)
* الدرس: قوله تعالى {فَأَسْكِنَاهُ فِي الْأَرْضِ} يشير إلى تحويل المورد المتحرك) المطر (إلى مورد مستقر) مخزون جوفي.)
* التطبيق العملي: ضرورة بناء "مخزون استراتيجي" في حياتنا. لا ينبغي استهلاك كل الدخل أو الموارد فور وصولها، بل يجب "إسكان" جزء منها) إدخار (لمواجهة الأوقات الصعبة، تماماً كما تدخر الأَرْضُ الماء للزراعة في غير وقت المطر.
3. "إدارة المخاطر" والتوقع) التحوط)
* الدرس: قوله تعالى {وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهٖ لِقَادِرُونَ} يبينها إلى أن الظروف قد تتغير فجأة.
* التطبيق العملي: في عالم المال والأعمال، يجب دائماً وضع "خطة بديلة". إدراك أن النعم والموارد قد تزول لأسباب خارجة عن إرادتنا يدفعنا للعمل بجدية أكبر لتأمين بدائل، وعدم الركون التام للوضع الحالي مهما بدا مستقراً.
4. صيانة الأصول والحفاظ على البيئة
* الدرس: الآية تصف الأرض كـ "مستودع" طبيعي للماء.
* التطبيق العملي: الحفاظ على نظافة وجودة مواردنا) سواء كانت بيئية، صحية، أو حتى تقنية .) كما أن تلوث التربة يفسد الماء "المسكون" فيها، فإن إهمال صيانة أدوات عملنا أو صحتنا الجسدية

يؤدي لضياح "الماء" الطاقة والإنتاجية (الذي أودعه الله فينا).

ملخص السلوك العملي المستفاد:

* التخطيط: لا تعمل بعشوائية، بل "بقدر".

* الادخار: اجعل لنفسك مخزوناً "مسكوناً" للمستقبل.

* التواصل والحذر: تيقن أن الموارد زائلة فاستثمرها قبل "ذهابها".

الدرس الأول

إليك صياغة الدروس العملية من الآية (18) من سورة المؤمنون في شكل نقاط توجيهية مصممة لتكون منهجاً للعمل والإدارة الشخصية والمؤسسية:

أولاً: توجيهات التخطيط والالتزان (بقدر)

* الدقة في التقدير: لا تترك أمورك للعشوائية؛ حدد احتياجاتك من الموارد (وقت، مال، جهد) بمقادير دقيقة تناسب الهدف، فلا إفراط يؤدي للهدر، ولا تفريط يؤدي للعجز.

* مبدأ "الحجم المناسب": تعلم أن القليل المستمر والمقدر بحكمة أفضل من الكثير المنهمر الذي قد يسبب الغرق (الآزمات المفاجئة).

ثانياً: توجيهات الاستدامة والادخار (فأسكنه في الأرض)

* بناء المخزون الاستراتيجي: كما تسكن الأرض الماء للزراعة في وقت الجفاف، اجعل لنفسك "مستودعاً" (ادخار مالي، بنك معلومات، علاقات مهنية) تلجأ إليه عند انقطاع الموارد الخارجية.

* تحويل الفائض إلى أصول: لا تستهلك كل "مطر" (دخل أو ربح) يأتيك فوراً، بل ابحث عن طرق لـ "إسكانه" وتحويله إلى أصول ثابتة ومستقرة تضمن لك الاستمرارية.

ثالثاً: توجيهات إدارة المخاطر (وإنّا علىّ ذهابٍ به لقادرون)

* التحوط للتغيرات: ضع دائماً في حسابك "خطة طوارئ". إدراكك بأن الموارد قد تذهب أو تتغير طبيعتها يجعلك أكثر مرونة وقدرة على التكيف مع الآزمات.

* عدم الركوب للوفرة المؤقتة: الوفرة الحالية ليست ضماناً للمستقبل؛ استثمر "وقت الرخاء" لتأمين "وقت الشدة"، وتذكر أن دوام الحال من المحال.

رابعاً: توجيهات الكفاءة والإنتاجية

* تهيئة البيئة الحاضنة: لكي يستقر الماء ويُنْتِج، يجب أن تكون الأرض صالحة. عملياً، هيئ بيئة عملك وصحتك الجسدية لتكون وعاءاً صالحاً لاستقبال "الفرص" (الماء) وتحويلها إلى "نتائج" (ثمار).

< خلاصة توجيهية:

< "الإدارة الناجحة هي التي تستقبل الفرص بتقدير، وتحفظها بالادخار، وتستعد لتقلباتها بالحذر."

الدرس الثاني

تجلى دلالة الآية 18 من سورة المؤمنون على وجوب ترك الإسراف من خلال ثلاثة محاور رئيسية تربط بين التقدير الإلهي والمسؤولية البشرية:

1. دلالة لفظ "بقدر" (منهجية المقدار الأدنى والأمثل)

* المعنى: الله سبحانه، وهو الغني الكريم، لم ينزل الماء عبثاً أو بغير حساب، بل أنزله "بقدر" أي بمقدار دقيق يحقق المصلحة دون مفسدة.

* الدرس العملي: إذا كان الخالق العظيم يدبر الكون بميزان دقيق ولا يسرف في العطاء فوق الحاجة التي تسبب الغرق، فمن باب أولى أن يلتزم المخلوق الضعيف بهذا التوازن. الإسراف في استخدام الماء أو الموارد هو "خروج عن القدر" الذي وضعه الله، ومخالفة للمنهج الكوني في التقدير.

2. دلالة "الإسكان" (الأمانة والاستخلاف)

* المعنى: قوله {فأسكنه في الأرض} يدل على أن هذا الماء مخزون استراتيجي ووديعة أودعها الله في باطن الأرض لتنتفع بها الأجيال.

* الدرس العملي: الإسراف في الاستهلاك (سواء بالهدر أو التلويث) هو اعتداء على هذه "الوديعة". الآية تعلم الاقتصاد لأن المورد "مسكون" وليس "متجداً بلا نهاية" في يد الإنسان؛ فكل قطرة تهدر بغير حق هي استنزاف لمخزون جعل لغاية محددة (الإنبات والحياة).

3. دلالة "القدرة على الإذهاب" (التحذير من زوال النعمة)

* المعنى: ختم الله الآية بقوله {وإنّا علىّ ذهابٍ به لقادرون}.

* الدرس العملي: الربط بين النعمة والقدرة على سلبها هو أبلغ تحذير من الإسراف. في علم السلوك، "الإسراف" هو نوع من "كفر النعمة" وعدم تقدير قيمتها، والقاعدة الشرعية والكونية تقول إن "النعم تدوم بالشكر وتزول بالإسراف والبطر". التهديد بـ "ذهاب" الماء هو رادع إلهي يوجب على الإنسان الاقتصاد لضمان بقاء المورد.

ملخص الدلالة الوعظية والعملية:

تأمّرنا الآية بترك الإسراف لأن:

* الكون مبني على التوازن: (بقدر) فكن متوازناً.

* الدرس العملي: ضرورة "تنويع المحفظة الاستثمارية" أو الإنتاجية. في حياتك العملية، لا تعتمد على مهارة واحدة أو منتج واحد؛ اجعل إنتاجك متنوعاً يشمل "الأساسيات" و"الكماليات" لضمان الاستقرار في مختلف الظروف السوقية.

3. مفهوم "الأولوية والمنافع المتعددة" (لكم فيها.. ومنها تأكلون)
* المعنى: قدمت الآية "لكم فيها فواكه كثيرة" (منافع الاستمتاع، التجارة، الظل) على "ومنها تأكلون" (منفعة القوت الضروري).

* الدرس العملي: المشروع الناجح هو الذي يحقق "قيمة مضافة" تتجاوز مجرد سد الحاجة الأساسية. فكر في عملك: كيف تجعل خدمتك أو منتجك يحقق للعملاء "فوائد كثيرة" (جودة، راحة، جمال) وليس فقط "المنفعة الأساسية".

ثانياً: اللغات البيانية والبلاغية
* حرف "به" (السببية): قوله "به" يعود على الماء. وهذا ربط بلاغي يؤكد أن النتائج مرتبطة بوجود إدارة الموارد السابقة. إذا أحسنت إدارة "الماء بقدر"، كانت النتيجة "جنات".

* الجمع في "جَنَّاتٍ": جاءت جمعاً لتدل على السعة والوفرة، وهي مكافأة لمن أحسن التعامل مع "القدر" الإلهي.

* تقديم "لكم" على "فيها": يفيد الاختصاص والامتنان؛ أي أن كل هذا الإنتاج والنمو مسخر لخدمة الإنسان وتكريمه.

ثالثاً: الإسقاط على "إدارة المشروعات"

يمكننا استنباط دورة حياة المشروع من الآيتين (18 و19):

* الموارد (الآية 18): تأمين الموارد بدقة (بقدر) وحفظها (فأسكنها).

* التنفيذ (الآية 19): البدء في العمل والتحويل (فأنشأنا).

* النتائج (الآية 19): جني الثمار المتنوعة (فواكه كثيرة).

* الاستدامة: ضمان استمرار الأكل والانتفاع (ومنها تأكلون).

بهذا نرى كيف أن القرآن الكريم ينتقل بنا من "ثقافة الحفاظ على المورد" إلى "ثقافة التنمية والإنتاج".

المحور الأول

دلالة صيغه نون الجمع في الايات ١٨ - ١٩.

الأمر الأول

نون الجمع في الايه ١٨

تأتي صيغة الجمع في قوله تعالى {وَأَنْزَلْنَا} في الآية 18 من سورة المؤمنون لعدة دلالات بيانية وعقدية عميقة، تخدم سياق "العظمة" و"التدبير" الإلهي:

1. دلالة "التعظيم" (نون العظمة)

* المعنى: استخدام صيغة الجمع (نحن/أنزلنا) هو أسلوب عربي رصين يُراد به تعظيم الفاعل.
* الرسالة: الله سبحانه هو الواحد الأحد، لكنه يُعظم فعله (إنزال المطر) ليلفت انتباه العبد إلى ضخامة هذه النعمة. فالمطر ليس مجرد حدث طبيعي، بل هو قرار سيادي من "خالق عظيم" بيده ملكوت كل شيء.

2. دلالة "تعدد الوسائط والجنود"

* المعنى: في لغة القرآن، غالباً ما تأتي صيغة الجمع عندما يكون الفعل مرتبطاً بـ "وسائط" أو "أسباب" سخرها الله لتنفيذ أمره.

* الرسالة: عملية إنزال المطر تشترك فيها جنود الله (الرياح التي تسوق السحاب، السحاب الذي يحمل الماء، الملائكة الموكله بالقطر). (فقلوه) أنزلنا {يشير إلى المنظومة الكونية الهائلة التي تعمل بأمر الله الواحد لتحقيق هذا الغرض.

3. دلالة "الإحكام والسيطرة الكاملة"

* المعنى: الجمع يوحي بالقوة والقهر والسيطرة.

* الرسالة: الربط بين صيغة الجمع {وَأَنْزَلْنَا} وبين قوله {بِقَدْرٍ} (أي أننا بقوتنا وعظمتنا أنزلنا هذا الماء بمقدار محدد لا يزيد فيغرق، ولا ينقص فيهلك، وهذا يتطلب "قدرة مطلقة" وهي ما توحى به صيغة الجمع.

اللمسة البيانية والربط بالتجويد:

* الغنة (في) أنزلنا:

* الدلالة: صوت الغنة المخفى يعطي نوعاً من "الهدوء" الذي يسبق الفعل العظيم، تماماً كما يسكن الجو قبل نزول المطر الغزير.

ما نتعلمه من هذه الدلالة في حياتنا:

* التواضع أمام العظمة: إذا كان الله يتحدث عن أفعاله بصيغة العظمة، فعلى الإنسان (المتلقي للنعمة) أن يستقبلها بصيغة "الافتقار والتواضع".

* تقدير العمل المؤسسي: كما سخر الله "منظومة" بصيغة الجمع (لإنزال الماء، نتعلم أن الأهداف

العظيمة في حياتنا) كقانوني أو كمفكر أو كطبيب أو معلم أو مهندس أو مقاول أو سياسي تحتاج إلى منظومة عمل متكاملة وأسباب مدروسة، وليس مجرد عمل عشوائي.

الأمر الثاني

سوف نربط هذه الدلالة (صيغة الجمع) بما ورد في الآية التالية (19) {فَأَنْشَأْنَا}، لنرى كيف استمرت "نون العظمة" في وصف مرحلة الإنتاج والبناء؟ استمرار نون العظمة في قوله تعالى {فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ} بعد قوله {وَأَنْزَلْنَا} يعزز وحدة "منظومة الإمداد الإلهي" من المصدر وحتى الثمرة.

إليك الدلالات العميقة لاستمرار صيغة الجمع في مرحلة الإنشاء:

1. دلالة "شمولية الرعاية" (من الإنزال إلى الإنشاء)
* المفهوم: لم يقل "أنزلنا.. فنبئت"، بل قال {فَأَنْشَأْنَا}. نون العظمة هنا تدل على أن الله لم يكتفِ بإنزال المادة الخام (الماء)، بل تولى برحمته وعظمته تدبير عملية "البناء والنمو" حتى صارت جئات. * الدرس العملي: النجاح ليس مجرد "بداية قوية" (إنزال)، بل هو "متابعة دقيقة" (إنشاء). في عملك كقانوني، لا يكفي "إنزال" الدفع، بل لا بد من "إنشاء" صياغة محكمة وبناء قانوني متكامل للمذكرة لتؤتي ثمارها.

2. دلالة "تسخير القوى الكونية" في الإنشاء
* المفهوم: الإنشاء (التنمية الزراعية) عملية معقدة تشترك فيها (التربة، الشمس، الرياح، البكتيريا، التفاعلات الكيميائية). صيغة الجمع تشير إلى إدارة الله لكل هذه "الوسائط" لخدمة الإنسان. * الرسالة: إذا كانت عظمة الله قد سخرت كل هذه القوى "لكم"، فمن باب أولى أن يستشعر الإنسان نسان مسؤوليته في عمارة الأرض، فلا يكون أقل شأنًا من هذه المنظومة المطيعة.

3. دلالة "الامتنان المضاعف" (العظيم يُعطي لخدمة الصغير)
* المفهوم: الربط بين (نحن/نا العظمة) وبين {لكم} (أيها البشر الضعفاء). * البلاغة: هذا يسمى في البلاغة "التفات التكريم"؛ فالعظيم سبحانه يتحدث بعظمته ليؤكد أنه سخر كل هذا الإعجاز لخدمة "أنت". هذا يكسر حدة الكبرياء عند الإنسان ويستبدلها بالحب والا

متنان.

لللمسة البيانية والربط بالتجويد في {فَأَنْشَأْنَا}:

* الإخفاء الحقيقي في {فَأَنْشَأْنَا}:
* النون الساكنة مع الشين تعطي صوتًا فيه "انتشار" (وهي صفة التفشي في الشين).
* الدلالة: هذا الانتشار الصوتي يحاكي "انتشار الخضرة" وامتداد الجئات وتوسعها في الأرض. الصوت يمهّد للصورة البصرية التي تصفها الآية.

* المد الطبيعي في "نا":
* حركتان فقط، توحى بالاستقرار والتمكين. بعد حركة الإنزال السريعة، جاء الإنشاء مستقرًا وثابتًا في الأرض كالجئات الراسخة.

الدرس :

إن انتقال "نون العظمة" من الإنزال إلى الإنشاء يعلمنا "الاستمرارية". الله لا يبدأ أمرًا ثم يتركه، بل يتمه على أكمل وجه. فليكن عملك أنت أيضًا "بصيغة الجمع"؛ أي متكاملًا، منظّمًا، ومستمرًا حتى بلوغ الثمرة.

الأمر الثالث

الربط بين نزول الماء واستقراره في الأرض وحصول انشاء النبات وبين استقرار النطفة في القرار المكين والشبه بينهما

أن هذا الربط هو ملمح تدبري مذهل، ينم عن دقة ملاحظة تربط بين "آيات الآفاق" و"آيات الأ نفس". في سورة المؤمنون، نجد أن الله تعالى استخدم مفردات "الإسكان" و"القرار" لوصف هاتين الحالتين، مما يكشف عن تشابه بنيوي ووظيفي عميق.

إليك أوجه التشابه بين إسكان الماء في باطن الأرض واستقرار النطفة في الرحم:

1. مفهوم "القرار المكين" (الحماية والأمن)
* في الأرض: قال تعالى: {فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ}. الأرض هنا تعمل "كمستودع" يحمي الماء من التبخر أو الضياع في باطن الأرض السحيق، ويحفظه في طبقات صالحة للاستخراج.
* في الرحم: قال تعالى (في السورة نفسها): {ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ}. الرحم هو المستودع الذي يحمي النطفة من المؤثرات الخارجية والصدمات.
* التشابه: كلاهما "بيئة محصنة" أعدها الخالق بعناية لضمان بقاء "أصل الحياة" (الماء أو النطفة) في حالة استقرار تام حتى يحين موعد النماء.

2. مفهوم "القدر المعلوم" (التوازن والتقدير)
* في الماء: نزل {بقدر}، أي بحساب دقيق يكفي للأرض ولا يغرقها.
* في النطفة: تتكون وتستقر بقدر محدد من الزمان والظروف الحيوية؛ لا تتقدم ولا تتأخر إلا بإذن الله.

* التشابه: كلاهما يخضع لمنظومة "التوقيت والكمية المحدودة" لضمان خروج النتيجة المثالية (الجنات في الأرض، أو الجنين في الإنسان).

3. مفهوم "الإخراج بعد الكمون" (التحول العظيم)

* الماء: يسكن في ظلام الأرض، ثم يخرج بإذن الله لينشئ {جَنَات}.

* النطفة: تسكن في ظلمات الرحم الثلاث، ثم تخرج لتكون {خَلْقًا آخَر}.

* التشابه: السكون هنا ليس "موتًا"، بل هو فترة "إعداد" وتحول من طور المادة الساكنة إلى طور الحياة المتدفقة.

اللمسات البيانية والبلاغية (كل فقرة على حدة):

أ. دلالة "الإسكان" مقابل "القرار":

* في الماء استخدم {فَأُسْكَنَاهُ}: وهو يوحي بالهدوء بعد الحركة (نزل المطر)، فالماء الذي كان مضطرباً في السماء سكن واستقر في الأرض.

* في الإنسان استخدم {قَرَارٌ مَكِينٌ}: والقرار يعني الاستقرار التام، و"مكين" أي متمكن لا يسهل زحزحته، وهذا يتناسب مع أهمية الجنين وحمايته.

ب. الربط بأحكام التجويد (اللمسة الصوتية):

* المد الطبيعي في "فَأُسْكَنَاهُ": يعطي صوتاً هادئاً مستقراً يوحي بأن الماء وجد "بيتاً" يرتاح فيه.

* الغنة في "نُطْفَةٍ": صوت الغنة هنا يوحي باللطافة والدقة، فالنطفة كائن رقيق يحتاج إلى عناية إلهية فائقة، تماماً كما أن الماء في باطن الأرض يحتاج لطبقات رقيقة تحفظه.

الدرس المستفاد في حياتنا العملية:

عليك أن تدرك أن "الاستقرار" هو شرط "الإنتاج":

* كما لا تخرج الجنات إلا بماء "سكن" في الأرض، ولا يخرج الإنسان إلا بنطفة "استقرت" في الرحم؛ فإنك بحاجة إلى فترة "إسكان" واستقرار لكي تنتج فالفكر يحتاج إلى فترة إسكان واستقرار في عقله لتنضج أفكاره قبل أن تخرج للنور. وكذلك المعلم يحتاج ليقوم بدوره إلى استقرار وإسكان ليقوم بتربيته الأجيال فإذا كانت حياته غير مستقرة فإنه من الطبيعي أن يتوقف الإنتاج

* الأمن الاستراتيجي: الحفاظ على الأصول (الماء في الأرض، القيم في القلب) هو الذي يضمن بقاء الثمار في المستقبل.

الامر الرابع

سوف نربط في هذه الفقرة بين "الماء المنبت للجنات" و"الوحي المنبت للقلوب"، لنرى كيف أن القلب يشبه الأرض في استقباله لغيث السماء؟

فهذا الربط يمثل قمة الهرم في فهم المقاصد القرآنية؛ فالله عز وجل الذي جعل الماء مادة حياة الأبدان، جعل الوحي مادة حياة القلوب. والعلاقة بينهما ليست مجرد تشبيه، بل هي "قانون كوني" واحد يعمل في المادة والروح.

إليك أوجه الشابه بين غيث السماء (المطر) وغيث الأرواح (الوحي)، وكيف تتحول القلوب إلى جنات:

1. مفهوم "المصدر العلوي" (النزول من السماء)

* في المادة: قوله {وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً}، {المطر لا يصنع في الأرض، بل يأتي من علو ليحيي الموات}.

* في الروح: (الوحي) القرآن (نزل من السماء ليعيد الحياة للقلوب القاسية والجافة).

* الدرس العملي: كما تنتظر الأرض المطر، يجب أن يظل قلبك متطعلاً للسماء (ليستمد منه النور والهدوء؛ فحلول مشكلاتنا الكبرى لا تأتي دائماً من "أرض" تفكيرنا القاصر، بل من "سماء" الهداية الربانية).

2. مفهوم "القدر والإحكام" (يَقْدَرُ)

* في المادة: {المطر ينزل} يَقْدَرُ؛ لو زاد لغرقنا ولو نقص لجففنا.

* في الروح: التكليف والتشريعات القرآنية نزلت بقدر يطيقه الإنسان ويصلح به حاله.

* الدرس العملي: استيعابك للحقائق القانونية أو الإيمانية (يجب أن يكون "بقدر". لا تحمل نفسك أو غيرك فوق طاقتهم، بل تدرج في البناء كما يتدرج المطر في سقي الأرض).

3. مفهوم "الإسكان والوعاء" (القلب كالأرض)

* في المادة: {فَأُسْكَنَاهُ} في الأرض. الأرض التي تحفظ الماء هي الأرض "الحية" التي سئمت.

* في الروح: القلب هو "أرض" الوحي. القلب المؤمن هو الذي "يُسكن" آيات الله فيه، فلا تمر عليه مروراً عابراً، بل تستقر وتتغلغل في أعماقه.

* الدرس العملي: الفرق بين عالم وآخر ليس في كمية المعلومات (المطر)، بل في قدرة القلب على "إسكان" هذه المعرفة وتحويلها إلى وجدان وقيم راسخة

اللمسات البيانية والربط بالتجويد في هذه المنظومة:

أ. المد المتصل (في السَّمَاء):

* الدلالة: الطول في المد يوحي بـ "علو المصدر" وسعة العطاء. الوحي كالمطر؛ عطاء واسع لا ينضب، ممتد من السماء إلى الأرض.

ب. الإقلاب (في) ماءً بقدر:

* الدلالة: التنوين المظهر عند الباء) في حكم الإقلاب (يمنح نغمة "محكمة" ومنضبطة. هذا الانضباط الصوتي يحاكي "انضباط الحجة" في الوحي ودقة التشريع في القرآن.

الدرس النهائي لقلبك وعقلك:

قلبك هو "الأرض" التي تستقبل غيث المعاني. تذكر دائماً:

* كن أرضاً طيبة: فالأرض السبخة لا ينفعها كثرة المطر، والقلب المتكبر لا ينفعه كثرة العلم.

* أسكن المعنى: لا تكتفِ بالقراءة السطحية؛ اجعل المعاني "تسكن" في فكرك حتى تنضج وتتحول إلى "جنات" من الحجج والبراهين.

* احذر الجفاف: الشكر والعمل هما اللذان يحفظان "ماء الوحي" في قلبك من الذهاب والضياع.

المحور الثاني

سنتناول الآن الآية 19 من سورة المؤمنون: {فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ تَحِيلٍ وَأَعْتَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاقٍ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ}، بشرح مفاهيمي دقيق يربط بين المعنى القرآني والأداء التجويدي:

1. فقرة (فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ): مفهوم "التحويل والفاعلية"

* المفهوم المستنبط: هو تحويل المورد الخام (الماء) إلى أصل إنتاجي (جنات). الفاء تفيد "السرعة"، والباء في "به" تفيد "السببية"؛ أي أن الإدارة الجيدة للمدخلات تؤدي لنتائج فورية وملموسة.

* دور أحكام التجويد:

* الإخفاء الحقيقي في (فَأَنْشَأْنَا): صوت الغنة هنا يمنح نوعاً من اللطافة والتدرج في النطق، وهو ما يتناسب مع عملية "الإنبات" والنمو التي تحدث في خفاء وهدوء تحت الأرض قبل أن تظهر الجنات.

* المد الطبيعي في (فَأَنْشَأْنَا): يمنح صوتاً ممتداً يوحى بسعة الخلق وعظمة الإنشاء الإلهي.

2. فقرة (جَنَّاتٍ مِّنْ تَحِيلٍ وَأَعْتَابٍ): مفهوم "الوفرة والتنوع الاستراتيجي"

* المفهوم المستنبط: الجمع في "جنات" يوحى بتعدد المشاريع، وذكر "النخيل" (قوت أساسي) و"الأعنان" (لذة ورفاهية) يعلمنا مبدأ تنويع مصادر الدخل والجمع بين ما هو ضروري وما هو تكميلي لضمان الاستقرار.

* دور أحكام التجويد:

* الغنة المشددة في (جَنَّاتٍ): الغنة هي صوت رخيم يخرج من الخيشوم، وتكرارها في "جنات" و"من نخيل" يضيف جواً من الامتلاء والبهجة الصوتية التي تناسب منظر الأشجار الكثيفة الملتفة (الجنات).

* الإدغام بغنة في (جَنَّاتٍ مِّنْ) و (مِّنْ تَحِيلٍ): التداخل السلس بين الحروف في الإدغام يرمز صوتياً إلى تداخل أغصان الأشجار واختلاط الثمار في الجنة الواحدة، مما يعزز صورة "الحديقة الغناء" المتصلة.

* الإدغام الناقص في (تَحِيلٍ وَأَعْتَابٍ): الواو حرف لين، والإدغام هنا يجمع بين صنفين مختلفين (نخل وعنب) في نسيج صوتي واحد، مما يخدم مفهوم "الوحدة في التنوع".

3. فقرة (لَّكُمْ فِيهَا فَوَاقٍ كَثِيرَةٌ): مفهوم "القيمة المضافة والرفاهية"

* المفهوم المستنبط: لم تكتفِ الآية بذكر القوت (النخل)، بل أضافت "فواكه كثيرة" لتدل على سعة الكرم والرفاهية. "لكم" تقدمت لبيان الاختصاص، أي أن هذا الإنتاج كله موجه لخدمتكم وإسعادكم.

* دور أحكام التجويد:

* الإدغام بغير غنة في (أَعْتَابٍ لَّكُمْ): النطق هنا سريع ومباشر (من الباء إلى اللام فوراً)، وهذا "الحزم" الصوتي يؤكد استحقاق الإنسان لهذه المنفعة ووصولها إليه دون عوائق.

* المد في (فَوَاقٍ): مد طبيعي يبرز كثرة الأصناف وتعددتها.

* الثبات في الراء في (كثيرة): الراء هنا مفخمة (عند الوقف، والتفخيم يعطي جرساً صوتياً قوياً يخدم معنى "الكثرة" والوفرة، فليس العطاء قليلاً بل هو ضخم وكثير.

4. فقرة (وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ): مفهوم "الاستدامة والاكتفاء الذاتي"

* المفهوم المستنبط: الغاية النهائية من الدورة التنموية هي "الأكل" أي المنفعة المباشرة وتحقيق الاكتفاء. تقديم "منها" يفيد الحصر والامتنان؛ أي أن رزقكم الأساسي والأمن هو ما تنتجونه بأيديكم من هذه الأرض.

* دور أحكام التجويد:

* الإظهار الحلقي في (وَمِنْهَا): النطق بالنون واضحة صريحة يوحى بـ "الوضوح والجلال"؛ ف الرزق هنا حلال وظاهر وميسر لا خفاء فيه ولا تعقيد.

* المد العارض للسكون في (تَأْكُلُونَ): عند الوقف، يمتد الصوت (2 أو 4 أو 6 حركات)، هذا الامتداد الختامي يمنح شعوراً بالاستقرار والسكينة والرضا بعد رحلة العمل والإنتاج، تماماً كما يشعر الإنسان بالشبع والراحة بعد الأكل.

الدرس الثاني

تتجلى في الآية (19) من سورة المؤمنون دقة بالغة في استخدام أسلوب التخصيص (ذكر أنواع محددة) والتعميم (ذكر فئات شاملة)، وهذا التزاوج البياني يحمل دلالات عميقة ترسم لنا منهجاً متكاملًا في الحياة والعمل.

إليك شرح هذه الدلالات وما نتعلم منها:
أولاً: دلالة التخصيص (تخيّل وأعناب)

خصّ الله عز وجل "النخيل والأعناب" بالذكر من بين سائر الأشجار لعدة أسباب:
* تعدد المنافع: النخيل يمثل (الغذاء، السكن من السعف، الأمان الاقتصادي)، والأعناب تمثل (الفاكهة، الظل، التصنيع كالزبيب والخل).

* الاستدامة والجمال: النخيل شجر معمر صبور، والأعناب شجر ملتف جميل، والجمع بينهما يمثل الجمع بين "القوة" و"الجمال".

* التناسب البيئي: هما أهم محاصيل البيئة العربية، مما يجعل الخطاب قريباً وملموساً للمخاطبين الأوائل، وفي الوقت نفسه هما رمزان عالميان للإنتاجية العالية.
ما نتعلم من التخصيص:

* التركيز على "الأصول القوية": في عملك، لا تشتت جهدك في كل شيء؛ ركز على "الأصول" التي تحقق أكبر نفع وأطول بقاء

* الجودة قبل الكمية: تخصيص الأنواع الممتازة يدعونا إلى إتقان التخصص والتميز فيه.
ثانياً: دلالة التعميم (جَنَاتٍ - فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ)

انتقلت الآية من التخصيص إلى التعميم لتشمل كل ما يبهج النفس وينفع البدن:
* كلمة "جَنَاتٍ": جاءت نكرة ومجموعة لتدل على عدد غير محصور وأنواع لا تنتهي من البساتين.

* كلمة "فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ": تعميم يشمل كل ما يتفكه به الإنسان، مما يفتح باب الأمل في سعة الرزق وتنوع العطاء الإلهي.

ما نتعلم من التعميم:
* الشمولية في العطاء: أن الله لا يرزقنا "الضروريات" فقط (الأكل)، بل يرزقنا "التحسينات" (الفواكه).

* فتح آفاق الطموح: التعميم يدفعنا للتفكير في احتمالات واسعة للنجاح وعدم حصر أنفسنا في نتائج ضيقة.

ثالثاً: ما تدعونا إليه الآية بشأن هذه الدلالة
تدعونا الآية إلى تبني "عقلية الوفرة المنظمة"، وذلك من خلال:

* إدارة الأولويات: (التخصيص) يدعونا للاهتمام بالضروريات (النخيل/الأكل) أولاً، ثم (التعميم) يدعونا للتوسع في الرفاهية (الفواكه).

* التكامل بين "الخاص" و"العام": أن يكون لك تخصص دقيق تبذل فيه (تخصص)، مع امتلاك ثقافة عامة واسعة ومهارات متعددة (تعميم).

* الشكر على التفاصيل والعموم: أن نشكر الله على النعم المحددة التي نعرفها، وعلى النعم الكثيرة التي لا نحصيها (فواكه كثيرة).

رابعاً: الدروس العملية المستفادة (المنهج التطبيقي)

* في الإدارة: "خصّص" أهدافك الكبرى بوضوح، و"عمّم" روح المبادرة والفوائد على جميع أعضاء الفريق.

* في الاستثمار: ابحث عن "النخيل" (الاستثمار الثابت والمستدام) و"الأعناب" (الاستثمار السريع النمو)، ولا تغفل عن "الفواكه الكثيرة" (تنويع الدخل الصغير).

* في التربية: ركز على بناء "القيم الأساسية" في الأبناء (تخصص)، واترك لهم مساحة "للإبداع" و"الهوايات" المختلفة (تعميم).

< خلاصة الدرس:

< التخصيص يعطيك "العمق والاستقرار"، والتعميم يعطيك "السعة والانتشار". والنجاح هو أن تجمع بينهما كما جمعت الآية.

الدرس الثالث

دلالة تكرر لكم

تكررت كلمة {لكم} مرتين في الآية 19: الأولى في قوله {فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَاتٍ}، والثانية في {لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ}. هذا التكرار ليس مجرد تأكيد، بل يحمل دلالات عميقة في فن الخطاب الإلهي و التعامل مع النعم.

إليك دلالات "لكم" وما نستلهمه منها في حياتنا العملية:

1. دلالة "التكريم والاستخلاف"

* المعنى: تقديم "لكم" على الفعل أو المفعول يسمى في البلاغة "تقديم ما حقه التأخير"، وهو يفيد الاختصاص والتشريف. الله يخبرك أن هذه المنظومة الكونية (من مطر، وتربة، ونمو) مسخرة

لخدمتك أنت أيها الإنسان.
* **الدرس العملي:** استشعر قيمتك ومسؤوليتك؛ فأنت "المستفيد الأول" من هذا الكون، وهذا يوجب عليك أن تكون "مديراً ناجحاً" لهذه الموارد، لا مجرد مستهلك عابر.

2. دلالة "التحفيز والامتنان"
* **المعنى:** ذكر "لكم" يربط النعمة بالمنعم عليه مباشرة، مما يثير في النفس شعوراً بالامتنان و المحبة للخالق.

* **الدرس العملي:** في بيئة العمل، عندما تكلف شخصاً بمهمة، اربط نتائجها بمصلحته الشخصية وتطوره. "لكم" تعلم القائد أن تحفيز الفريق يبدأ من تبيان الفائدة التي ستعود عليهم من نجاح المشروع.

3. دلالة "التملك والتمكين"
* **المعنى:** "لكم" توحى بأن هذه الثمار والجنات أصبحت في حوزتكم وتحت تصرفكم.
* **الدرس العملي:** هذا المفهوم يؤصل لـ "حق الملكية والانتفاع". في حياتك المالية، "لكم" تدعوك للعمل والإنتاج لتكون لك "ملكيتك الخاصة" (جناتك الخاصة) التي تؤمن لك ولأسرتك حياة كريمة، بدلاً من الاعتماد الكلي على الآخرين.

4. دلالة "القصدية في الإنتاج"
* **المعنى:** وجود "لكم" يعني أن هذا الإنتاج مقصود لذاته ولنفعكم، وليس مجرد نمو عشوائي للنبات.

* **الدرس العملي:** لا تجعل عملك "هباءً"؛ اجعل لكل مشروع تقوم به "جهة مستفيدة" واضحة. اسأل نفسك دائماً: لمن هذا العمل؟ وما الفائدة التي سيجنيها؟ ما نتعلمه في حياتنا اليومية:

* تعزيز الثقة بالذات: أنت مكرم كونياً، فاستخدم قدراتك فيما وُجدت "لأجله".
* تحمل المسؤولية: "لكم" تعني أن المورد في عهدتكم، فالحفاظ عليه حفاظ على مصلحتكم الشخصية أولاً.

* عقلية العطاء: كما أن الله جعل الجنات "لكم"، اجعل أنت أيضاً جزءاً من علمك وجهدك "للاخرين" لتستمر دورة العطاء والبركة.

الدرس الرابع
نفى فكره عبثية الخلق
تعد الآية (19) من سورة المؤمنون {فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ...} رداً بليغاً ومباشراً على فكرة "العبثية" في الوجود. فهي ترسم مساراً عملياً للإنسان يربط بين الاستخلاف، السعي، والتمتع المنضبط بالشكر. إليك الدلالات التي تؤكد أننا خلقنا لغاية سامية تتجلى في عمارة الأرض:

1. دلالة "التسخير الموجه" (نحن مركز العناية)
* **المفهوم:** قوله تعالى {لكم} الذي تكرر في الآية، يقطع الطريق أمام الشعور بالضياع أو التهميش الكوني. هذا التسخير الهائل (مطر، تراب، جنات، نخيل، أعناب) لم يوجد ليتفرج عليه الإنسان، بل وُجد لخدمته.

* **الرسالة:** إذا كان الكون بكل عظمته قد سُخر "لك"، فمن غير المنطقي أن تكون أنت "عبثاً". وجود هذا الإمداد الإلهي المتقن يعني أن هناك "وظيفة" مطلوبة منك، وهي القيام بحق هذه النعم.

2. دلالة "الفاء" في (فَأَنْشَأْنَا): الانتقال من الوجود إلى الفعل
* **المفهوم:** الفاء هنا تربط بين توفر المورد (الماء في الآية 18) وبين البدء في الإنتاج (الإنشاء في الآية 19).

* **الرسالة:** الآية تدعونا للاقتداء بـ "الفعل الإلهي" في الإنشاء. الاستمتاع بالجنات لا يأتي بالخمول، بل بالسعي في الأرض وزراعتها واستثمار مائها. العبثية تنتهي عندما يبدأ الإنسان في "الإنشاء و التعمير" مستفيداً من الموارد المتاحة.

3. دلالة "التمتع الواعي" (لكم فيها فواكه كثيرة)
* **المفهوم:** الإسلام لا يدعو للرهبانية أو الحرمان، بل يبرز الجانب الجمالي والترفيهي (فواكه كثيرة).

* **الرسالة:** الاستمتاع بالطيبات هو جزء من العبادة إذا صحبه استشعار المصدر. الآية تعلمنا أن نتمتع بـ "وعي"، فالفواكه ليست مجرد سد جوع، بل هي دليل على كرم الخالق، والتمتع بها يجدد الطاقة للسعي والعمل.

4. دلالة "الغاية النهائية" (وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ)
* **المفهوم:** ختمت الآية بذكر الأكل، وهو أبسط وأهم حاجات البقاء.

* **الرسالة:** الربط بين "الجنات العظيمة" وبين "الأكل البسيط" يعلمنا التواضع والشكر. نحن نسعى للأكل، ونأكل لنحيا، ونحيا لنعبد الله ونعمر أرضه. هذه الدورة تنفي العبثية تماماً وتجعل لكل لقمة معنى وهدفاً.

ما نتعلمه من هذه الدلالات في حياتنا:

* نبد اليأس والكسل: من يقرأ "فأنشأنا لكم" يدرك أن الكون ينتظر "سعيه" ليخرج كنوزه. العبيثة هي أن تجلس في أرض الجنات وتنتظر الثمار دون عمل.
* التوازن بين المادة والروح: نتمتع بالفواكه (المادة) ونشكر المنعم (الروح). هذا التوازن هو ما يعطي للحياة قيمة ومعنى.

* عظمة المسؤولية: كلمة "لكم" تعني أنك "صاحب المشروع" في هذه الأرض. المدير الناجح لا يرى نفسه عبثاً، بل يرى نفسه مسؤولاً "عن استدامة الجنات ونمائها".
الربط مع ختام السورة:

من العجيب أن هذه السورة التي بدأت بذكر الجنات والنعيم، ختمت بسؤال استنكاري عظيم: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَتْنَكُمْ إِلَيْنَا لَا تُزْجَعُونَ} (الآية 115). وكأن الآية (19) كانت تقدم الدليل المادي (الجنات والرزق) على أن هذا النظام المتقن لا يمكن أن يكون لغير غاية.
الدرس الخامس

إن الربط بين مفهوم "عدم العبيثة" وبين "إدارة الوقت" كأهم مورد بشري، يجعل من الآية (19) خارطة طريق للإنجاح والنجاح المستدام. فالوقت هو "المطر" الذي ينزل على عمرك، فإما أن تجعله "جنات" وإما أن يضيع سدى.

إليك كيف ندير أوقاتنا بناءً على روح الآية:

1. مفهوم "وقت الإنشاء" (فأنشأنا لكم به)

* المفهوم: الآية تخبرنا أن الماء (المورد) وُجد لغرض "الإنشاء".

* التطبيق العملي: الوقت ليس "للقضاء بل "للاستثمار" للشخص الذي لا يرى حياته عبثاً ينظر إلى ساعاته كبدور؛ فكل ساعة يقضيها في تعلم مهارة أو إنجاز عمل هي عملية "إنشاء" لـجناته المستقبلية.

* القاعدة: اسأل نفسك في نهاية يومك: "ماذا أنشأت اليوم بهذا الوقت؟"

2. مفهوم "الأولويات الزمنية" (تخيل وأغْثاب)

* المفهوم: البدء بالأصول الثابتة (النخيل) ثم التوسع في (الأغْثاب والفواكه).

* التطبيق العملي: إدارة الوقت الذكية تبدأ بـ "الأهم قبل المهم".

* وقت النخيل: هو الوقت المخصص للواجبات الدينية، والعمل الأساسي، وبناء الأسرة (الأصول التي تبقى).

* وقت الفواكه: هو وقت الترفيه، والقراءات الجانبية، والهوايات (التحسينات).

* الخلل: العبيثة تظهر حين يستهلك الإنسان "وقت النخيل" في "قشور الفواكه" (التفاهات).

3. مفهوم "تعدد العوائد الزمنية" (لكم فيها فواكه كثيرة)

* المفهوم: استثمار واحد (الماء) أنتج فوائد لا تحصى.

* التطبيق العملي: ابحث عن "الأعمال ذات العوائد المتعددة". القراءة مثلاً هي استثمار زمني واحد يمنحك (علماً، وراحة نفسية، وطلاقة لسان، وخبرة عملية). هذا هو قمة "نفي العبيثة"؛ أن تجعل الدقيقة الواحدة تثمر "فواكه كثيرة".

4. مفهوم "الاستمتاع بالمسار" (ومِنْهَا تَأْكُلُونَ)

* المفهوم: الغاية هي الانتفاع والرضا.

* التطبيق العملي: إدارة الوقت لا تعني "الركض الدائم"، بل تعني تخصيص وقت "للأكل" من ثمار تعبك. التمتع بالنتائج (الراحة، المكافأة الذاتية) ضروري لتجديد الطاقة. من يرى حياته غير عبثية، يقدر قيمة "وقت الراحة" كما يقدر "وقت العمل".

الدرس النهائي في نفي العبيثة:

إن الذي أنزل الماء بقدر (الآية 18) قد أعطاك العمر بقدر، والذي أنشأ به الجنات (الآية 19) ينتظر منك أن تنشئ بعمرك ما يستحق الخلود. العبيثة هي "إهدار المطر على الصخر"، والنجاح هو "إسكان المطر في أرض العمل".

المحور الثالث

دلالات الواو في الايات

الدرس الاول

تأتي الواو في قوله تعالى { وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ } (في ختام الآية 19 من سورة المؤمنون لتؤدي وظيفة دلالية وبلاغية في غاية الدقة، فهي ليست مجرد حرف عطف يربط بين الكلمات، بل هي رابط بين "المتعة" و"البقاء".

إليك دلالات هذه الواو من منظور بياني وتدبري:

1. دلالة "التنوع والشمول" (واو الجمع)

* المعنى: الواو هنا تعطف جملة "منها تأكلون" على ما قبلها من نعم (الفواكه الكثيرة).

* الدلالة: هي توحى بأن هذه الجنات لم تخلق لغرض واحد، بل لأغراض متعددة؛ منها الجمال، ومنها الظل، ومنها الاستثمار، ومنها) وهو الأهم لبائكم (الأكل والارتزاق. فهي تجمع بين "متعة النظر" وبين "منفعة الجسد".

2. دلالة "الترتيب الوجودي" (الغاية النهائية)

- * المعنى: جاءت الواو لتعطف الأكل كخاتمة لسلسلة الإنتاج (ماء ← إسكان ← إنشاء ← جنات ← فواكه ← وأكل).
- * الدلالة: الواو تربط بين "الجهد الإلهي في الإنشاء" وبين "الانتفاع البشري". وكأنها تقول: كل ما سبق من دورة كونية هائلة) من السماء للأرض (نهايته ومنتهاه هو رزقك وأكلك أيها الإنسان.
3. دلالة "الحصر والتبويض") مع ومن(
- * المعنى: الواو هنا عطفت جملة بدأت بـ "منها" التي تفيد التبويض).
- * الدلالة: الواو مع "من" تدل على أن هذه الجنات فيها فوائد كثيرة جداً، والأكل هو "بعض" هذه الفوائد. وهذا يفتح أفق العقل ليفكر: ماذا يوجد في الجنات أيضاً غير الأكل؟) هواء نقي، أخشاب للبناء، دواء، جمال نفسي).
- اللمسات البيانية والبلاغية) كل فقرة على حدة):
- أ. تقديم الجار والمجرور) ومنها):
- * البلاغة: لم يقل "وتأكلون منها"، بل قال {ومنها تأكلون}.
- * الدلالة: التقديم هنا يفيد الاختصاص والاهتمام. أي أن أكلكم الأساسي والطيب والجيد إنما هو من هذه الثمار المباركة التي أنشأها الله لكم، وفي ذلك تشریف لغذاء الإنسان.
- ب. دلالة الفعل المضارع) تأكلون):
- * البلاغة: الفعل المضارع يفيد التجدد والاستمرار.
- * الدلالة: الواو تربطنا بنعمة "مستمرة" لا تنقطع؛ فكلما أكلتم منها، أثبتت الجنات غيرها، وهذا من بركة "الإسكان" و"الإنشاء" الإلهي.
- ربط الواو بأحكام التجويد) اللمة الصوتية):
- * الوصل في الواو:
- * الواو حرف "مجهور" و"رخو"، ونطقها يحتاج لضممة محكمة للشفتين.
- * الدلالة: صوت الواو هنا يعطي نوعاً من "الاتصال" وعدم الانقطاع. هي تربط النفس الأخير في الآية بما قبله، لتشعر أن دورة النعمة متصلة ببعضها البعض كالخاتمة المحكمة.
- * المد العارض للسكون في) تأكلون):
- * الدلالة: الوقوف على هذه الكلمة بمد طويل يمنح السامع فرصة لـ "التلذذ" بالمعنى. وكأن الصوت يمتد ليخبر عن سعة الرزق وكثرة الأكل وهناءة العيش في تلك الجنات.
- الدرس المستفاد لحياتك العملية:
- إذا كنت باحثاً أو محامياً فإن
- * الواو تعلمك "الربط المنطقي": كما ربطت الواو بين الإنشاء والأكل، اربط دائماً في مذكراتك وأبحاثك بين "الأسباب" و"النتائج". لا تجعل النتائج مقطوعة عما قبلها.
- * واو المشاركة: اجعل عملك وجهك دائماً له "واو" عاطفة للنفع؛ أنشأت بحثاً.. ونفعت به الناس. (لا تتوقف عند مرحلة الإنشاء، بل ابحث عن مرحلة "الإطعام" والنفع المتعدي).

الدرس الثاني

- الربط بين الواو في) ومنها تأكلون({نهاية الآية (19) والواو في) وشجرة({بداية الآية (20) يكشف عن بناء هندسي مهير في النظم القرآني، حيث تتحول "الواو" من مجرد أداة ربط إلى "جسر إمداد" يربط بين نعم العام ونعم الخاص.
- إليك التحليل المفاهيمي والبلاغي لهذا الربط:
1. دلالة "واو الاتصال والنمو") عطف النماء على النماء(
- * المفهوم: الواو في) وشجرة(تأتي لتعطف هذه الشجرة المباركة على "الجنات" المذكورة سابقاً.
- * الدلالة: هي توحى بأن كرم الله لا يتوقف عند حد معين؛ فبعد أن خلق لكم الجنات العامة) نخيل وأعناب(، عطف عليها "استثماراً نوعياً" وهو الزيتون. هذه الواو تسمى "واو التعداد التراكمي"، وهي تفتح شهية العقل لاستشعار كثرة النعم التي لا تحصى.
2. الربط بين "الأكل" و"الصناعة") تكامل الدورة الاقتصادية(
- * الآية 19 ختمت بـ) تأكلون(ركزت على الاستهلاك المباشر وسد الحاجة البيولوجية.
- * الآية 20 بدأت بـ) وشجرة(انتقلت بنا عبر "الواو" إلى مستوى أرقى من الانتفاع) الدهن، الصيغ، العلاج(.
- * الدلالة: الواو هنا تربط بين "الأمن الغذائي" الأكل (و "الأمن الصناعي والصحي") الزيتون. (هي تخبرك أن الذي أعطاك ما تأكله، هو نفسه الذي أعطاك ما تتداوى به وتستضيء به.
- اللمسات البيانية والبلاغية لكل فقرة:
- أ. ناصب) وشجرة(:
- * البلاغة: كلمة "شجرة" منصوبة، والتقدير) وأنشأنا لكم شجرة(.
- * الدلالة: تكرار "الإنشاء" المقدر بعد الواو يوحي بأن كل نعمة جديدة هي "خلق جديد" وتدبير خاص من الله، وليست مجرد زيادة عددية. الواو هنا تحمل معها "نون العظمة" المستترة من الفعل السابق.
- ب. الانتقال من الجمع إلى الفرد:

* انتقلت الواو من جمع الجنات {جَنَاتٍ} إلى فردية الشجرة {وَشَجَرَةً}.

* الدلالة: الواو تربط بين "الكثرة" التي تملأ العين، وبين "الوحدة النوعية" التي تملأ الحاجة. وهذا يعلمنا في الإدارة أن نهتم بالمشاريع الكبرى (الجنات وبالتفاصيل النوعية) شجرة الزيتون (في آن واحد).

ربط الواو بأحكام التجويد) اللمة الصوتية(:

* الوصل بين الآيتين:

* عند وصل {تَأْكُلُونَ} و {وَشَجَرَةً}، نجد تناغماً بين "المد العارض" في نهاية الآية الأولى وبين "فتح الواو" في الآية الثانية.

* الدلالة: الصوت الممتد في تأكلون (ينتهي بفتح الواو، مما يوحي بـ "الانصراف" وسعة العطاء . وكأن النعمة الأولى تسلمك للنعمة الثانية بسلاسة تامة، دون انقطاع في فيض الكرم الإلهي.

الدرس المستنبط :

* استراتيجية "الواو" في التفكير: لا تجعل أفكارك جزراً منعزلة؛ استخدم "الواو" الربانية لتربط بين أهدافك. اجعل نجاحك في كسب القضية/الأكلة (معطوفاً عليه) تطويراً وتقدماً /الزيتون).

* التراكم المعرفي: بصفتك مهتماً بمخطوطات "المفاهيم القرآنية"، تذكر أن كل مفهوم جديد تدرسه هو "واو" عاطفة تضاف لمخزونك السابق، فتكتمل عندك صورة "الجنات الفكرية".

هذه الواو هي خيط النور الذي يربط بين آيات السورة. هل تود أن نرى كيف مهدت هذه الواوات للوصول إلى الآية 21 التي نتحدث عن "الأنعام"، لتكتمل دائرة النعم (ماء - نبات - حيوان)؟

الدرس الثالث

الواو في الآية 21: {وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ} ^١ تستقيكم ممّا في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومِنْهَا تَأْكُلُونَ}، نكون قد وصلنا إلى ذروة "الهندسة الإنتاجية" في القرآن، حيث تكتمل الدورة من الجماد (الماء) إلى النبات (الجنات) وصولاً إلى الحيوان (الأنعام).

إليك الربط المفاهيمي والبلاغي والتجويدي لهذه الحلقة الجديدة:

1. مفهوم "تكامل السلسلة الغذائية" (الواو والترتيب)

* المفهوم المستنبط: بعد أن استقر الماء في الأرض (الآية 18) فأثبت النبات (الآية 19-20)، جاء الدور على ما يتغذى على هذا النبات وهي الأنعام.

* الدلالة: "الواو" هنا تربط بين المصدر النباتي و المصدر الحيواني. الله يمتنّ عليك بأنه سخر لك دورة حياة كاملة؛ الأرض تخدم النبات، والنبات يخدم الحيوان، والكل في النهاية يخدمك "أنت". هذا هو مفهوم "التسخير الشامل".

2. مفهوم "العبرة والتحويل الإعجازي" (لعبرة)

* المفهوم المستنبط: كلمة "عبرة" مشتقة من العبور؛ أي العبور من المشاهدة الظاهرية إلى الحقيقة العميقة.

* الدلالة: كما استخرج الله "الدهن" من "شجرة" صلبة، يستخرج لك هنا "اللبن" الصافي من بين "فرث ودم". هو مفهوم "التنقية والاستخلاص"؛ كيف يُخرج الله الجمال والمنفعة من وسط بيئات معقدة.

* اللمة البيانية: تقديم {لكم} في قوله {وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ}؛ لبيان أن الهدف الأول من وجود هذه الأنعام هو "اعتباركم" وتفكيركم، قبل أن يكون "أكلكم".

3. مفهوم "تعدد المنافع" (ولكم فيها منافع كثيرة)

* المفهوم المستنبط: الأنعام ليست للحم فقط، بل هي "رأس مال" متحرك (أوبار، جلود، ألبان، وسيلة نقل).

* الدلالة: تكرار جملة {وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ} التي وردت في "الجنات" وتكررت هنا في "الأنعام"؛ لتأكيد أن الأكل هو "خاتمة" المنافع وليس وحيداً. هذا يعلمنا في الإدارة والبحث "تعدد العوائد" للمشروع الواحد.

أحكام التجويد واللمسات الصوتية (الربط الحي):

* الإدغام بغنة في (لعبرة تستقيكم):

* الدلالة: الغنة الممتدة بين كلمة "عبرة" و "نسقيكم" تربط بين الجانب العقلي (التفكير) و الجانب الجسدي (الشرب). وكان التفكير في عظمة الله هو الذي يروي الروح كما يروي اللبن الجسد.

*

دروس مستنبطة لواقعك (القانوني والفكري):

* منظومة التبعية: كما أن الأنعام تتبع النبات في الوجود، نجد في القانون "الفرع يتبع الأصل". تأمل كيف ترتبط الأحكام ببعضها البعض كما ترتبط نعم الله في هذه الآيات.

* الاستثمار في "المنافع الكثيرة": لا تنظر لعملك أو بحثك من زاوية واحدة (الأكل/الربح المادي)، بل ابحث عن "المنافع الكثيرة" (الأثر الاجتماعي، تطوير الفكر، نصرة المظلوم).

* الاستخلاص والصبغة: كما يُستخلص اللبن الصافي والدهن المبارك، حاول دائماً استخلاص "الحقيقة" من بين ركام الدفوع والأوراق الكثيرة، لتخرج بـ "صبغة" قانونية بيضاء نقية.

الدرس الرابع

بوصولنا إلى الآية (22) : {وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفَلَكِ تَخْمَلُونَ}، نكون قد استكملنا أركان "الحضارة المتكاملة" في القرآن. فبعد تأمين الماء (الآية 18) ، والغذاء والزراعة (الآية 19-20) والثروة الحيوانية (الآية 21) ، ينتقل السياق إلى "وسائل الاتصال والنقل"، ليربط بين البر والبحر في منظومة واحدة.

إليك التحليل المفاهيمي والبياني لهذا الربط:

1. مفهوم "وحدة التدبير" الربط بين الحيوان والجماد)
* المفهوم المستنبط: الربط بين الأنعام (وعليها) وبين السفن) وعلى الفلك (في جملة واحدة.
* الدلالة: الله يمتنّ على الإنسان بأنه سخر له نوعين من "الحوامل": حوامل حيوية (الأنعام في البر) وحوامل صناعية (الفلك في البحر).
* الرسالة: هذا يعلمنا مفهوم "تكامل الوسائل"؛ فالحياة لا تستقيم بإنتاج الغذاء فقط، بل لا بد من وسيلة لنقله وتداوله. النعمة هنا هي "الحركة والقدرة على الانتشار".
2. مفهوم "التسخير المزدوج" قهر الصعاب)
* المفهوم المستنبط: الانتقال من "الأكل" إلى "الحمل".
* الدلالة: الأنعام التي ذكر الله أننا نأكل منها في الآية السابقة، هي نفسها التي تحملنا وتحمل أثقالنا. هذا هو قمة الاستثمار للمورد الواحد؛ فهو غذاء وكساء ووسيلة نقل.
* اللمسة البيانية: تقديم الجار والمجرور {وَعَلَيْهَا} {وَعَلَى الْفَلَكِ}؛ للحصر والامتنان، أي أن الله هو الذي جعل هذه الأجسام قادرة على حمل أوزانكم الثقيلة، ولولاه لغصتم في رمال البر أو غرقتم في لحي البحر.

أحكام التجويد والمسات الصوتية) التناغم بين البر والبحر):

- * المد الطبيعي (في) وَعَلَيْهَا (و) عَلَى:
- * الدلالة: تكرار حرف "على" مع المد الطبيعي) حركتان (يعطي شعوراً بـ "الاستعلاء والتمكين". الصوت يوحي بالثبات فوق ظهر الدابة أو فوق سطح السفينة. هو نغم يبعث على الأمان أثناء الرحلة.

* الضم (في) تَخْمَلُونَ):

- * الدلالة: الفعل مبني للمجهول) أو لما لم يُسمَ فاعله)، والابتداء بالضمّة يعطي شعوراً بـ "الاحتواء". أنت لست الذي تحمل نفسك، بل هناك قوة إلهية "تحملك" وتكلك برعايتها. الصوت الضمير هنا يوحي بالضم والرعاية.

دروس مستنبطة لواقعك القانوني والفكري:

- * مفهوم "المسؤولية عن النقل": في الفقه والقانون، هناك أحكام خاصة بـ "الحمولة" و"النقل". الآية تؤصل لشريعة الانتفاع بالوسائل المسخرة، وتعلمنا أن "الوسيلة" لا تقل أهمية عن "الغاية".
- * العبور الفكري: كما تحملنا الأنعام والفلك عبر المسافات، تحملنا "المفاهيم القرآنية" التي تدرسها عبر الزمن. البحث العلمي هو "قلك" يعبر بك من ظلمات الجهل إلى نور المعرفة.
- * تكامل الأدوار: لا تحتقر وسيلة صغيرة؛ فالفلك (الخشب والجماد (يؤدي وظيفة لا تؤديها الأنعام (الروح والحياة (في الماء. كل مورد في حياتك له "تخصص" لا يسده غيره.

المبحث الثالث

نتنقل الآن إلى محطة إنتاجية فريدة في سورة المؤمنون، وهي قوله تعالى: {وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدَّهْنِ وَصَيِّغٌ لِالْكَلِينِ}.

بعد ذكر الجنات العامة (النخيل والأعناب)، خصّ الله شجرة الزيتون بالذكر لأهميتها الاستراتيجية التي تجمع بين الغذاء والصناعة والطب.

الأمر الأول

إليك التفسير التحليلي والمفاهيمي لهذه الآية:

1. المعنى العام للآية

تنتقل الآيات من الحديث عن الحقائق المتنوعة (النخيل والأعناب (إلى شجرة فردية مباركة، وهي الزيتون، مبيناً موطنها الأصلي وفائدتها (المزدوجة) غذاء وصناعة).



2. التحليل التفصيلي لل فقرات

أ. "وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ"

* التخصيص: خص الزيتون بالذكر لعظيم بركتها وطول عمرها) ألف عام وأكثر (وقدرتها على الإنتاج في التربة الصخرية.

* (الموطن) طور سيناء: جبل الطور بمصر هو الموطن الأصلي المشهور لهذه الشجرة، وذكره هنا يضيف قدسية وأصالة، لأنها البقعة التي كلم الله فيها موسى عليه السلام.

ب. "تنبت بالدهن"

* الدهن: هو زيت الزيتون. وصفت الآية الشجرة بأنها تنبت "مصحوبة بالدهن"، وكأن الزيت يخرج منها جاهزاً، وهو إعجاز في بيان غزارة مادتها الزيتية.

* الفائدة الطبية: الزيت يُستخدم دهاناً للجسم وشعراً وعلاجاً، وهو من أصح الدهون للإنسان.

ج. "وصيغ لإكليل"

* الصيغ: هو الإدغام ما يغمس فيه الخبز. (وسمي صيغاً لأنه يصيغ الخبز) يلونه (عند غمسه فيه).

* المعنى البياني: تشير إلى أن الزيتون ليس مجرد ثمرة تؤكل، بل هو "مُحسن" للطعام يُعطي لونا وطعماً وقيمة غذائية.

3. اللمسات البيانية والبلاغية

* الربط بالآية السابقة: في الآية 19 قال "لكم"، أما هنا فقال "للاكلين"؛ ليشير إلى أن نفع الزيتون عام لكل من يأكل، فهو "منتج عالمي" يتجاوز الزمان والمكان.

* استخدام الفعل "تخرج" و"تنبت": يعطي صورة حية لحركة النمو والتدفق الحيوي لهذه الشجرة المباركة.

اهم المفاهيم

المفهوم الاول

مفهوم "الأصالة والمكانة الاستراتيجية"

وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ

* المفهوم المستنبط: هو اهمية اختيار "البيئة المثالية" للإنتاج. ذكر "طور سيناء" يحدد الموطن التاريخي والمكاني لأجود أنواع الزيتون، مما يعلمنا في حياتنا العملية أهمية "التوطن الصناعي"؛ أي أن لكل مشروع بيئة جغرافية وقانونية وثقافية تجعله ينمو بأفضل صورة. فالزيتون شجر معمر يضرب جذوره في التاريخ، مما يرمز إلى المشاريع العريقة التي لا تتدثر بمرور الزمن. وهو ينمو في الصحراء ومن هنا تبرز اهمية اختيار البيئة المناسبة لكل مشروع لضمان أعلى جودة

* اللمسات البيانية والبلاغية:

* التنكير (في) و"شجرة": جاء التنكير هنا للتعظيم والتبجيل لهذه الشجرة المباركة، ولفت الانتباه لفرادتها عن بقية أشجار الجنات السابقة.

* (الفعل) تخرُجُ: التعبير بالخروج يوحي بالقوة والاندفاع، فهي تشق الصخر في جبل الطور لتخرج ، مما يرمز لإرادة النجاح في البيئات الصعبة وإلى بذل الجهد في المهام الصعبة فالتميز في الصعاب: فخروج الشجرة من منطقة جبلية صخرية (الطور) يثبت أن النجاح المتميز ممكن حتى في البيئات الصعبة والقاسية إذا وُجدت "الجذور القوية".

* دور أحكام التجويد:

* الإخفاء الحقيقي (في) تخرُجُ: الغنة المرققة تعطي جرساً صوتياً لطيفاً يمهد لخروج النبتة من الأرض، وكأن الصوت ينسل برفق كما تنسل الشجرة من بين الصخور.

* المد المتصل (في) سَيْنَاءَ: يمد 4 أو 5 حركات، وطول المد هنا يمنح المهابة والانتساع لهذا المكان المقدس) طور سيناء، مما يعزز مفهوم "عظمة المصدر" والشجرة المرتبطة به وهذا يدعوا الى الاستثمار طويل الأمد: فالزيتون شجر معمر؛ وهذا يدعونا لبناء مشاريع وأعمال تتسم بالديمومة و البركة وتخدم الأجيال القادمة.

المفهوم الثاني

مفهوم "استخراج الجوهر والقيمة المضافة"

تنبت بالدهن

* المفهوم المستنبط: تحول الثمرة من "مادة خام" إلى "مادة مصنعة" (الزيت/الدهن). (الآية لم تقل "تنبت بالزيتون" بل "بالدهن"، لتركز على "الخلاصة والمنفعة المركزة". عملياً، هذا يدعونا لاستخراج أفضل ما في قدراتنا ومهامنا) الدهن (بدلاً من الانشغال بالقشور.

* اللمسات البيانية والبلاغية:

* التعديدية بالباء) بالدهن: توحى بأن الدهن ملازم للشجرة وكأنه جزء من كيائها الحي، وليس مجرد مادة تستخرج منها لاحقاً، وهذا قمة الإعجاز في وصف غزارة الزيت فيها.

* دور أحكام التجويد:

* الإقلاب (في) تنبت: قلب النون ميماً عند الباء يتطلب إطباقاً ليناً للشفتين. صوت الميم المكتوم هنا يشبه عملية "الضغط والعصر" الهادئة التي تجري للزيتون لاستخراج دهنه، فالحكم التجويدي يخدم المعنى الميكانيكي لاستخراج المادة يعلمنا ألا نتوقف عند المادة الخام (الثمرة)، بل نستخرج منها "الجوهر" (الدهن). في عملك، ابحث دائماً عن استخلاص الفوائد العميقة من مهامك العادية.

المفهوم الثالث مفهوم "التكامل والجمال الوظيفي"

وَصَيَغُ لِلَاكِلِينَ

- * المفهوم المستنبط: الزيتون ليس طعاماً مستقلاً ، فحسب، بل هو "صبغ" إدام (يُحسن بقية الأ طعمة. هذا يمثل "التكامل الوظيفي"؛ أن يكون عملك مكملاً ، ومحسناً لأعمال الآخرين، فتضفي "صبغة" من الجودة والجمال على كل ما تلمسه.
- * اللمسات البيانية والبلاغية:
- * كلمة) صَيَغُ): اختيار هذا اللفظ دون "إدام" يشير إلى تغلغل الزيت في الطعام وتغيير لونه وطعمه، وهو تشبيه بليغ للأثر العميق الذي يتركه المبدع في عمله.
- * التعميم (في) لِلَاكِلِينَ): الانتقال من "لكم" في الآية (19) إلى "للاكلين" يدل على أن نفع هذه الشجرة "عالمي" وعابر للحدود، فهي لكل أكل في الأرض.
- * دور أحكام التجويد:
- * القلقة الصغرى (في) وَصَيَغُ): حرف الباء المقلقل يعطي نبرة قوية وارتجاجاً صوتياً يوحي بحوية المادة السائلة) الزيت (وقدرتها على الحركة والتغلغل.
- * الإدغام بغير غنة (في) وَصَيَغُ لِلَاكِلِينَ): سرعة الانتقال من التنوين إلى اللام توحى بسرعة الا ستجابة والانتفاع؛ فالزيت يصل لخلية الإنسان وينفع البدن بسرعة وسهولة.
- الدرس العملي: كن في فريقك كالزيت؛ تحسن أداء الآخرين وتضيف "صبغة" من الجمال والجودة على العمل الجماعي. هذا هو مفهوم "التكامل الوظيفي".

المفهوم الرابع

- دلالة التخصيص والتعميم في الآية (20)
- * التخصيص: خص الزيتون بالذكر بعد التعميم في "الجنات" (الآية 19) لبيان فضله الاستثنائي كونه "شجرة مباركة" تجمع بين:
- * الغذاء: (للاكل).
- * الدواء: (دهان وعلاج).
- * الطاقة: (كان الزيت يُستخدم للإضاءة قديماً).
- * التعميم (في) لِلَاكِلِينَ): لم يقل "لكم" كما في الآية السابقة، بل قال "للاكلين" بصيغة عامة تشمل كل من ينتفع بها من البشر في كل زمان ومكان، مما يدل على "عالمية المنتج" وقدرته على غزو ا لأسواق والبيئات المختلفة.
- ثالثاً: ماذا نتعلم من هذه الآية في حياتنا العملية؟
- * استثمار الأراضي الصعبة: الزيتون يخرج من "الطور" (بيئة جبلية صخرية)، مما يعلمنا أن النجاح ممكن في الظروف الصعبة إذا اخترنا "المنتج" المناسب لتلك البيئة.
- * الاستدامة والبركة: الزيتون شجر يعيش مئات السنين؛ فليكن هدفك بناء "مشروعات مستدامة" تخدم الأجيال القادمة .
- * تعدد المسارات الوظيفية للمنتج الواحد: فكر كيف تجعل خدمتك مفيدة في أكثر من اتجاه (غذائي، جمالي، صناعي)، تماماً كشجرة الزيتون.
- < خلاصة السلسلة:
- < الآية 18: أمن الموارد (الماء).
- < الآية 19: التنمية الزراعية والرفاهية (الجنات).
- < الآية 20: الصناعة المتخصصة والقيمة المضافة (الزيتون).
- الامر الثاني
- تخصيص {طور سَيْنَاء} بالذكر في الآية 20 من سورة المؤمنون يحمل دلالات عقدية، وتاريخية، وجغرافية عميقة، تربط بين بركة "الشجرة" وبركة "المكان".
- إليك تحليل الأسباب والدلالات:
- أولاً : لماذا خص الله "طور سيناء" بالذكر في هذه الآية؟
- * دلالة "الأصالة والمنشأ":
- * جبل الطور في سيناء هو الموطن الأصلي والأقدم لشجر الزيتون، ومنه انتشرت إلى بقية بقاع الأرض. ذكر الموطن هنا يؤكد على "جودة الأصل"؛ فزيتون الطور يضرب به المثل في الصفاء والبركة.
- * الربط بين البركة المادية والبركة الروحية:
- * أراد الله أن يجمع في الآية بين نوعين من البركة: بركة الشجرة (الزيتون) التي تمد الأجسام بالدهن والغذاء، وبركة المكان (الطور) الذي هو مهبط الوحي ومسرح أحد أعظم الأحداث الإيمانية (تكليم الله لموسى عليه السلام).
- * الإعجاز في "الاستنبات":
- * شجر الزيتون يخرج من بين الصخور وفي بيئات جبلية قاسية. ذكر "الطور" (وهو جبل

صخري) يؤكد قدرة الله على إخراج "الدهن" اللين السيل من قلب الحجر الصلد، وهذا قمة الإعجاز في استثمار الموارد في أصعب الظروف.
ثانياً: دلالة "الوادي المقدس" في القرآن الكريم
ورد ذكر الوادي المقدس في القرآن الكريم بلفظ (طوى) في سورتي (طه والنازعات)، وتتجلى دلالاته في المحاور التالية:

1. دلالة "الاصطفاء والقدسية"
* قال تعالى: {إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى}. التقديس هنا يعني الطهارة والبركة الخاصة. هو المكان الذي اختاره الله ليكون نقطة الاتصال المباشر بين السماء والأرض (التكليم)، مما يجعله رمزاً لـ "مركزية الوحي".

2. دلالة "التواضع والأدب مع النعمة"
* أمر الله موسى عليه السلام بخلع نعليه: {فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ}. هذه دلالة تربوية على أن الأماكن المباركة والعلوم الشريفة تتطلب "تجرداً" وتواضعاً تاماً قبل الدخول إليها أو الاستفادة منها.
3. دلالة "الأمن والاستقرار"

* أقسم الله بهذا المكان في سورة التين: {وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ}. الربط بين الطور و البلد الأمين (مكة) يدل على أن الوادي المقدس هو أحد ركائز "الأمن الروحي" للبشرية، حيث بدأت منه شرائع عظيمة غيرت مجرى التاريخ.
اللمسات البيانية والربط بالتجويد
* المد المتصل في (سَيِّئَاء):

* الدلالة: المد الطويل (4-5 حركات) يعطي شعوراً بالامتداد والمهابة، وهو يتناسب مع "قدسية المكان" وعلو الجبل. الصوت الممتد يرسخ في ذهن السامع أن هذا ليس مجرد جبل عادٍ، بل هو مكان ذو شأن عظيم.
* الإخفاء في (من طُور):

* الدلالة: (حسب قراءة حفص الإخفاء في نون من)، ولكن عند الوقوف على كلمة "طور" أو استشعار نطقها بوضوح، نجد أن الطاء حرف استعلاء قوي. قوة حرف الطاء توحى بقوة وثبات الجبال المقدسة وصمودها عبر الزمن.
ما نتعلمه من هذا الربط:

* احترام بيئة الإنتاج: كما قدس الله مكان إنتاج الزيتون (الطور)، يجب علينا احترام البيئات التي تخرج لنا الخيرات (الأرض، المصانع، مراكز العلم).
* الجمال مع المنفعة: الوادي المقدس جميل بقدسيته (روحياً) ومفيد بشجره (مادياً). هكذا يجب أن تكون مشاريعنا؛ نافعة ومباركة في آن واحد.
الأمر الثالث

يُعد قوله تعالى في الآية 20 من سورة المؤمنون: {تَنْبُتُ بِالدَّهْنِ وَصَيِّغٌ لِلْأَكْلَيْنِ} قاعدة ذهبية في "اقتصاديات الاستثمار المربح" و**تعظيم القيمة المضافة**.* فال مورد هنا ليس مجرد "شجرة"، بل هو "منظومة إنتاجية" متكاملة.
إليك أهمية استثمار الموارد كما نستنبطها من هذه الآية الكريمة:

1. مفهوم "تعظيم القيمة المضافة"
* المفهوم: الآية لم تمدح الشجرة لجمالها فقط، بل لمنتجها النهائي {الدَّهْنِ}. المورد الخام هو "الزيتون"، والاستثمار الحقيقي هو استخراج "الزيت" منه.
* التطبيق العملي: في حياتك المهنية، استثمار الموارد يعني ألا تترك الموهبة أو المادة الخام كما هي. النجاح يكمن في "العصر والتصنيع"؛ أي تحويل المجهود البدني إلى نتاج فكري أو مالي ذو قيمة عالية.

2. مفهوم "الاستثمار المتعدد المنافع"
* المفهوم: الزيتون مورد يمنح {الدَّهْنِ} (طاقة وعلاج) و**{صَيِّغٌ} (غذاء وتحسين).
* التطبيق العملي: الاستثمار الذكي هو الذي يغطي أكثر من جانب. عند استثمار وقتك في تعلم مهارة جديدة (مثل البرمجة أو اللغات)، فأنت تبني ورقة رابحة للتوظيف (دهن) وأداة للتواصل والا نفتاح الثقافي (صبغ).

3. مفهوم "الاستدامة والبركة"
* المفهوم: شجرة الزيتون شجر معمر يخرج من أرض صلبة (طور سَيِّئَاء).
* التطبيق العملي: استثمار الموارد لا يعني الربح السريع "الخاطف"، بل بناء أصول ثابتة ومستدامة. المشروع الناجح هو "الشجرة المباركة" التي تظل تعطي وتنمو حتى في الظروف الصعبة (الأرض الصخرية)، وتستفيد منها الأجيال المتعاقبة.
دروس عملية في استثمار مواردك الشخصية:

* لا تكتفِ بالمدخلات: وجود "الشجرة" (الشهادة العلمية) لا يكفي؛ لا بد من استخراج "الدهن" (الخبرة العملية).
* استهدف الأسواق الواسعة: الزيتون {للأكليين} (لعموم)؛ اجعل خدمتك أو استثمارك يحتاجه أكبر

عدد من الناس لضمان النجاح.
* الصبر على الأصول: كما تأخذ شجرة الزيتون وقتاً لتثمر، فإن الاستثمارات الكبرى تتطلب نفساً طويلاً وجذوراً عميقة في "سيناء" تخصصك.
بهذا نكون قد أغلقنا دائرة "الاستثمار" من المنظور القرآني.

الامر الرابع

دلالة التركيز على شجرة الزيتون

الدرس الاول

تتجلى دلالة التركيز على شجرة الزيتون (الآية 20) في سياق الامتنان الإلهي من خلال عدة محاور استراتيجية تجعلها "النموذج الأكمل" للنعمة المستدامة، وهي كالآتي:

1. دلالة "الجمع بين الغذاء والدواء والصناعة"
خصَّ الله هذه الشجرة بالذكر لأنها لا تقدم مجرد "فاكهة" للتلذذ كالأعنان، بل تقدم "مادة خام" (الدهن) تدخل في صلب احتياجات الإنسان:

* غذاء: (صِبْغٌ لِلْكَالِينِ).

* علاجاً: (دهناً يستشفى به).

* وقوداً: (زيتها كان المصدر الأساسي للإضاءة قديماً).

* الامتنان هنا: أن الله سخر لك "صيدلية ومحطة طاقة ومائدة طعام" في أصل نباتي واحد.

2. دلالة "البركة والاستمرارية" (النماء غير المنقطع)
وصفها القرآن في مواضع أخرى بأنها "مباركة لا شرقية ولا غربية"، وفي سياق سورة المؤمنون تأتي لتدل على:

* طول العمر: الزيتون من أطول الأشجار عمراً، مما يرمز لنعمة "الأصول الثابتة" التي لا تنقطع بمرور الفصول.

* الامتنان هنا: هو امتنان على "الاستقرار الاقتصادي"؛ فالنخل والعنب يحتاجان رعاية مستمرة، أما الزيتون فبركته ذاتية وصموده عال.

3. دلالة "القيمة المضافة" (من الثمرة إلى الزيت)

التركيز على خروج "الدهن" منها مباشرة في النظم القرآني يشير إلى كرم العطاء:

* في الأشجار الأخرى نأكل "الثمرة"، أما هنا فنحن نستخلص "روح الثمرة".

* الامتنان هنا: أن الله لم يعطك المادة الخام فقط، بل أودع فيها "خلاصة" جاهزة للنفع بمجرد العصر، وهذا يعلمنا تقدير النعم التي تحمل في طياتها فوائد مضاعفة.

4. دلالة "التحدي والبيئة القاسية" (الطور)

ربط الشجرة بـ "طور سيناء" (بيئة جبلية صخرية) يحمل لفظة امتنان عميقة:

* الله يمتنّ على عباده بأنه يخرج لهم "ألين وأرطب" الزيتون من "أصلد وأقسى" الصخور.

* الامتنان هنا: طمأنة الإنسان بأن الرزق والبركة قد يأتيان من أماكن لا يتوقعها، وأن الضيق (الجبل الصخر) قد يكون مستودعاً للخير الوفير (الدهن والصبغ).

5. دلالة "العالمية والشمول" (للكالين)

في الجنات السابقة قال {لكم}، وهنا قال {للكالين}:

* هذا انتقال من "الامتنان الخاص" للعرب بمحاصيلهم، إلى "الامتنان العام" للبشرية جمعاء بهذا المنتج العالمي.

* الامتنان هنا: هو استشعار نعم الله العابرة للقارات، والتي تشترك فيها جميع الشعوب كمورد أساسي للصحة والجمال.

الخلاصة التربوية والعملية:

التركيز على شجرة الزيتون في سياق الامتنان يعلمنا أن "أفضل النعم" هي:

* ما كان متعدد المنافع (شامل).

* ما كان صامداً أمام الأزمات (مستدام).

* ما كان جوهراً أثمن من مظهره (الدهن والصبغ).

الدرس الثاني

يُعد استنباط مفهوم "التداوي والعناية بالجسم" من الآية 20 (تَنْبُتُ بِالدَّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْكَالِينِ) لفظة ذكية تربط بين النص القرآني وبين علوم الصحة والوقاية. فالآية لم تذكر الزيتون كمصدر للسعرات الحرارية فقط، بل وصفته بخصائص تجميلية وعلاجية غائرة في الدقة.

إليك كيفية استنباط هذا المفهوم وتطبيقه في حياتنا:

1. مفهوم "الدهن" كعلاج ووقاية (تَنْبُتُ بِالدَّهْنِ)

* المفهوم المستنبط: كلمة "الدهن" في اللغة لا تقتصر على الأكل، بل تشمل كل ما يُدهن به الجسم (خارجياً) أو يُتناول (داخلياً). الزيتون هو المصدر الطبيعي الأول لدهون "الأوميغا" والمواد المضادة للأكسدة.

* التطبيق العملي: تدعونا الآية للاهتمام بـ "الطب الوقائي". استخدام زيت الزيتون دهاناً يحمي

الجلد، وتناوله يحمي القلب والشرابين. هذا يرسخ لمبدأ أن "العناية بالجسم" تبدأ من اختيار نوعية الدهون التي ندخلها في بناء خلايانا.

2. مفهوم "الصبغة الحيوية" (وَصَيَغُ لِلْأَكْلِينِ)

* المفهوم المستنبط: "الصبغ" يشير إلى تغلغل المادة في الشيء وتغيير خصائصه. زيت الزيتون "يصبغ" خلايا الجسم بخصائص مضادة للالتهاب والشيخوخة.

* التطبيق العملي: العناية بالجسم ليست "رفاهية"، بل هي عملية "تصبغ" يومية. ما تأكله وما تدهن به جسمك يترك أثراً (صبغة) على صحتك بعد سنوات. الآلة تدعونا لاختيار المواد التي "تصبغ" أجسامنا بالصحة والقوة، لا بالسموم والأمراض.

3. شمولية العناية (الداخل والخارج)

* المفهوم المستنبط: الآلة جمعت بين الدهن (الذي يصلح للدهان الخارجي والعلاج) وبين الأكل (الصبغ للأكلين).

* التطبيق العملي: العناية بالجسم مفهوم متكامل؛ يشمل التداوي بالمواد الطبيعية، والعناية بالبشرة والجمال، والتغذية العلاجية. شجرة الزيتون هي "صيدلية متكاملة" تخرج من الأرض لتلبي حاجات الجسم المختلفة.

دروس عملية في "العناية بالجسم" من وحي الآلة:

* العودة للطبيعة: جعل المواد الطبيعية (مثل زيت الزيتون) هي الخيار الأول في التداوي والعناية بالبشرة قبل اللجوء للمواد الكيميائية.

* الاستمرارية (البركة): كما أن شجرة الزيتون مباركة ومعمرة، فإن العناية بالجسم يجب أن تكون سلوكاً مستداماً "طويل الأمد" ليؤتي ثماره في الكبر.

* الجودة والمصدر: الربط بين (طور سيناء) وجودة (الدهن) يعلمنا ضرورة البحث عن "المنتجات الصحية الأصلية" لضمان أفضل نتائج تداوي وعناية.

ربط المفهوم بأحكام التجويد (اللمسة العلاجية):

* الإقلاّب في (تَبَيَّنْ): كما ذكرنا سابقاً، الإقلاّب يحتاج إلى "إطباق رقيق" للشفتين. هذا الهدوء في النطق يذكرنا بضرورة "الرفق بالجسد" عند التداوي والعناية به، فالعناية بالجسم عملية تلتف ورعاية، وليست عملية قسرية.

* المد الطبيعي في (لَاكِلِينَ): الامتداد الصوتي هنا يوحي بالاستفادة الكاملة والامتصاص البطيء و المفيد للمواد العلاجية، مما يعزز فكرة الصبر على النتائج الصحية.

الدرس الثاني

مفهوم العناية النفسية وكيف يمكن لجمال "الجنات" و"خضرة الزيتون" أن تكون سبباً في التداوي النفسي وراحة البال؟

إن الربط بين جمال "الجنات" وخضرة "شجرة الزيتون" وبين "العناية النفسية" يمثل ذروة الاستنباط من هذه الآيات، حيث تتحول المشاهد المادية إلى "ترباق" للروح وعلاج للاضطرابات النفسية. إليك كيف تساهم هذه المفاهيم في "التداوي النفسي" وراحة البال:

1. مفهوم "السكون النفسي" من (فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ)

* المفهوم المستنبط: قبل أن تظهر الجنات، كان هناك "إسكان" للماء. السكون هو أصل الاستقرار. * التطبيق النفسي: العناية النفسية تبدأ من "إسكان الأفكار المشتتة". كما أن الأرض تحفظ الماء وتجعله رصيداً، فإن العقل يحتاج إلى "خزان جوفي" من اليقين والطمأنينة ليواجه جفاف الأزمات. راحة البال هي نتيجة "إسكان" الثقة في تدبير الله (بقدر).

2. مفهوم "العلاج بالجمال" (جَنَّاتٍ مِّنْ تَخِيلِ وَأَعْنَابِ)

* المفهوم المستنبط: الجنة في اللغة هي البستان الذي "يجن" (يستر) الأرض بخضرفته. الخضرة الممتدة وتنوع الألوان (النخيل الباسق والأعنان المتدلّية).

* التطبيق النفسي: أثبتت الدراسات النفسية الحديثة أن النظر إلى الخضرة والماء يقلل من هرمون "الكورتيزول" (هرمون التوتر). الآلة تدعونا لـ "التأمل البصري" كنوع من التفريغ النفسي. وجود "الجنات" في حياتنا (سواء في الواقع أو كخيال إيماني) يمنح النفس شعوراً بالاتساع والوفرة، ويطرد "عقلية الندرة" التي تسبب القلق.

3. مفهوم "الصمود النفسي" من (شَجَرَةٍ تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ)

* المفهوم المستنبط: الزيتون شجرة صبورة، تخرج من أرض صخرية جافة، ومع ذلك تعطي أثمرم الزيوت.

* التطبيق النفسي: هذا هو مفهوم "المرونة النفسية" تعلمك الشجرة أن "البيئة الصعبة" (الأزمات) لا تمنع "الإنتاج المتميز". التداوي النفسي هنا يكمن في الاقتداء بالزيتونة؛ فمهما كانت ظروفك المحيطة صلبة كالصخر، يمكنك أن تخرج من داخلك "دهناً" (إبداعاً وصبراً) يضيء حياتك وحياة الآخرين.

4. مفهوم "الصبغة النفسية" (وَصَيَغُ لِلْأَكْلِينِ)

* المفهوم المستنبط: الصبغ هو اللون والأثر الذي يتغلغل في الشيء.

* التطبيق النفسي: كما أن الزيت "يصبغ" الطعام، فإن "التفكير الإيجابي" والإيمان "يصبغ" الشخصية. العناية النفسية تعني أن تختار "الصبغة" التي تلون بها أيامك. هل تصبغها بلون التفاؤل والرضا (لون الزيتون الأخضر الذهبي) أم بلون اليأس والقنوط؟ الآية تشجعنا على "الاصطباغ" بنعم الله لتبدو آثارها على ملامحنا ونفوسنا.
ربط المفهوم النفسي بأحكام التجويد:
* المد العارض للسكون في (تأكلون) و (لأكلين):
* اللمسة النفسية: الوقوف بمد طويل في نهاية الآيات يعطي النفس فرصة لـ "الزفير العميق" والهدوء. هذا التوقف الصوتي يخدم "الاستقرار النفسي"؛ فهو ينهي الجملة بنغمة مستقرة وممتدة، مما يوحي بأن رزقك مستمر ونفسك مطمئنة.
* الغنة في (جَنَاتٍ):
* اللمسة النفسية: صوت الغنة صوت "مؤنس" يخرج من أعماق الإنسان. تكرار الغنن في وصف الجنات يبعث على الأُنس والراحة النفسية، وكان الصوت نفسه يطبطب على الروح بليوننة ورقة.
دروس عملية للعناية النفسية من الآيات:
* خلوة التأمل: خصص وقتاً للنظر في الطبيعة (أو صورها) واستشعر "القدر" والإحكام الإلهي لتستعيد توازنك.
* غذاء الروح: كما تهتم بـ "الدهن" والزيت لجسمك، اهتم بـ "الذكر" لروحك؛ فهو "الزيت" الذي يمنع صدام النفس واحتكاكها بالهموم.
* الثبات في العواصف: تذكر أن جذور الزيتون أطول من أغصانها؛ فاجعل جذور "إيمانك" عميقة لتصمد أمام رياح التغيير النفسية.
الدرس الرابع

"آداب التعامل مع النعم" المستنبطة من هذه السلسلة؟
بناءً على هذا التسلسل القرآني المذهل الذي بدأ بقطرة الماء (الآية 18) وانتهى بجني الثمار و الصناعة والشفاء (الآيات 19-20)، نستنبط "منظومة الآداب الراقية في التعامل مع النعم"، والتي تجمع بين تقدير المورد وحسن استغلاله واستشعار مئة الله فيه:
1. أدب "الاعتراف بالمصدر" (النسبة للمنعم)
* المبدأ: لاحظ أن الأفعال تُسبب لله وحده: {أَنْزَلْنَا}، {فَأَسْكَنَاهُ}، {فَأَنْشَأْنَا}.
* الأدب العملي: ألا تغزك مهاراتك الإدارية أو ذكاؤك المهني في تحقيق النجاح. الأدب يقتضي أن تقول: "هذا من فضل ربي". هذا الاعتراف هو "المثبت" للنعمة والمانع لزوالها.
2. أدب "الاقتصاد وعدم الهدر" (فقه القدر)
* المبدأ: قوله {يَقْدَرُ} يعلمنا أن العطاء الإلهي موزون بدقة.
* الأدب العملي: التعامل مع النعم (ماء، مال، وقت) بمسؤولية. الإسراف في النعمة هو سوء أدب مع "المقدر" سبحانه. كن "مقدراً" في استهلاكك كما كان الله "مقدراً" في عطائه.
3. أدب "الإنتاجية لا الاستهلاكية" (بركة الاستثمار)
* المبدأ: الله لم يعطنا "الجنات" جاهزة مباشرة، بل أنزل "الماء" لنقوم نحن بالعمل والزراعة {فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ}.
* الأدب العملي: من أدب النعمة أن "تثمر" في يدك. إذا رَزَقْتَ علماً فأنشئ به عملاً، وإذا رَزَقْتَ مالا فأنشئ به نفعاً. الجلوس على النعمة دون تنميتها هو تعطيل لمراد الله منها.
4. أدب "المشاركة والانتفاع الجماعي" (لكم وللأكلين)
* المبدأ: في الآية 19 قال {لَكُمْ} (تمكين شخصي)، وفي الآية 20 قال {لِلْأَكْلِينَ} (منفعة عامة).
* الأدب العملي: ألا تستأثر بالنعمة وحدك. النعمة الحقيقية هي التي تفيض من "جنتك الخاصة" لتصبح "صبغاً للأكلين". بركة المال في الزكاة، وبركة العلم في التعليم، وبركة الجاه في قضاء حوائج الناس.
5. أدب "اليقظة والحذر من الغرور" (تذكر القدرة على السلب)
* المبدأ: الختام بـ {وإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ}.
* الأدب العملي: أن تمسك النعمة بيد "المودع" لا بيد "المالك". هذا الأدب يجعلك متواضعاً عند القمة، ومستعداً عند الأزمة، وشاركراً في كل حال.
ربط الختام بأحكام التجويد (الاستقرار النهائي):
نلاحظ أن أغلب نهايات هذه الآيات تنتهي بـ "المد العارض للسكون" (لِقَادِرُونَ، تَأْكُلُونَ، لِلْأَكْلِينَ):
* اللمسة البيانية: هذا المد يعطي صوتاً ممتداً يليه "سكون" تام.
* الأدب المستنبط: هو "سكون الرضا". بعد السعي والإنتاج والتمتع، يسكن قلب المؤمن شاكراً لربه، معترفاً بفضل، مستقراً في رحاب طاعته.
الدرس الخامس

تحويل "استشعار الامتنان" إلى "سلوك عملي" هو الغاية الأسمى من هذه الآيات. فالحفاظ على البيئة واستثمار الموارد ليس مجرد "نشاط أخضر" حديث، بل هو صلب العبادة وشكر النعمة كما رسمته

سورة المؤمنون.

إليك كيف نترجم "شكر النعمة" إلى استراتيجيات عملية في حياتنا:

1. تطبيق "فقه القدر" في الاستهلاك (الاستدامة البيئية)

* المفهوم: بما أن الماء نزل {بقدر}، فإن شكره يكون بـ "الترشيد".

* السلوك العملي: * تبني تقنيات الري الحديثة (بالتنقيط) بدلا من الغمر (محاكاة لتقدير الله للمورد).

* تقليل النفايات والهدر المنزلي؛ فكل مورد تستهلكه هو "قدر" موزون، والزيادة عنه هي إخلال بالتوازن الكوني.

2. استثمار "الأراضي الصعبة" (إحياء الموات)

* المفهوم: شجرة الزيتون خرجت من {طور سيناء} (البيئة الصخرية).

* السلوك العملي: * عدم إهمال الأراضي المهمشة أو "المشاريع الصعبة". شكر نعمة "العقل والقدرة" يكون باستثمار المساحات التي يراها الآخرون غير نافعة.

* دعم مشاريع "التشجير المثمر" في المناطق الجبلية والوعرة، اقتداءً بنموذج الزيتون الإلهي.

3. تعظيم "القيمة المضافة" للموارد (الصناعة التحويلية)

* المفهوم: الشكر لا يتوقف عند جني الثمرة، بل في تحويلها إلى {دهن} و {صبيغ}.

* السلوك العملي: * بدلا من بيع الموارد الخام بأسعار زهيدة، يجب استثمارها وتحويلها (صناعيا) لزيادة نفعها وقيمتها.

* في حياتك المهنية (كقانوني): لا تقدم المعلومة "خاما" فقط، بل "عالجها" بالتحليل والربط لتخرج منها "دهنا" (خلاصة قانونية) تنفع بها موكلتك.

اللحمة الختامية: الشكر "بالصبيغ"

كما أن الزيت يصيغ الطعام ويحسنه، اجعل "شكرك للنعمة" يصيغ شخصيتك؛ فتكون إنسانا "مباركا" أينما حل نفع، وإذا أعطي أثم، وإذا استثمر أبقى أثرا.

< "إن شكر النعمة هو القيد الذي يحفظ الموجود، والصيد الذي يجلب المفقود".

الأمر الخامس

إليك "مصفوفة النجاح المتكاملة" المستنبطة من الآيات (18-20) من سورة المؤمنون، والتي تلخص دورة حياة أي مشروع ناجح، سواء كان مشروعاً شخصياً، مهنيًا، أو استثمارياً، برؤية تجمع بين المادة والروح:

خارطة الطريق: من "القدر" إلى "الاستدامة"

1/ إدارة الموارد: {أنزلنا... بقدر} :- (مفهوم المدخلات الذكية). القيمة المستفاده من هذا المفهوم دقة التخطيط وحساب الميزانية المتاحة (وقت، مال، جهد).

2/ الحفاظ والأمن الإيه المرتبطة بهذه المرحلة {فأسكنناه في الأرض} المفهوم المستنبط (الأمان الاستراتيجي) القيمة المستفاده :- تأمين الموارد وحمايتها من الهدر أو الاستنزاف العشوائي.

3/ التنفيذ والإنشاء الإيه المرتبطة بهذه المرحلة {فأنشأنا لكم به} المفهوم المستنبط (الفاعلية و التحويل) القيمة المستفاده: الانتقال من "المورد الساكن" إلى "المشروع القائم" (العمل الفعلي).

4. التنوع والرفاهية الإيه المرتبطة بهذه المرحلة {تخيّل وأغتاب... فواكه} مفهوم (تعدد المسارات) القيمة المستفاده: عدم الاعتماد على مصدر واحد؛ الجمع بين الأساسيات والكماليات.

5. القيمة المضافة الإيه {تنبّت بالدهن} (مفهوم الجوهر النوعي) القيمة المستفاده: استخراج "خلاصة" المجهود؛ التميز بمنتج فريد وعالي الجودة.

6. التكامل والأثر الإيه {وصيغ لإلكلين} (مفهوم نفع المتعدي) القيمة المستفاده: أن يكون نجاحك مكملا لنجاح الآخرين ومحسناً لبيئتك.

7. اليقظة والاستدامة الإيه {وإنا على ذهاب به لقادرون} (مفهوم إدارة المخاطر) القيمة المستفاده: التواضع الدائم ووضع خطط بديلة للطوارئ لضمان البقاء.

اللوحه الختامية (دورة الحياة الإنتاجية)

تخيل هذه المنظومة كشجرة زيتون تضرب جذورها في "طور سيناء" (الأصالة)، وتُسقى بماء "بقدر" (التوازن)، لتطرح "جنات" (تنوع)، ويُستخرج منها "دهن" (إبداع)، يُضيء للناس "صبيغا" (جمالا) ونفعاً).

ما نتعلمه لك "دستور حياة":

* لا عبثية: كل قطرة ماء وكل دقيقة من عمرك لها وظيفة محددة.

* لا عجز: الأرض الصخرية (الظروف الصعبة) أخرجت أفضل شجرة (الزيتون)؛ العجز في الإرادة لا في الموارد.

* لا أنانية: النعم خلقت "لكم" لتكونوا "لغيركم" (للالكيلين).

* التوازن: اعتن بجسمك (الدهن)، وروحك (بركة الطور)، وعقلك (الإنشاء والتقدير)..

ثالثا

وان لكم في الانعام لعبره نسقيكم مما فى بطونها

الأمر الأول

تصل بنا الآية (21) من سورة المؤمنون إلى مرحلة متقدمة من "التربية بالنظر"، حيث ينتقل السياق من الامتنان بالمنفعة المادية إلى الامتنان بـ "المنفعة العقلية والروحية". كما يتضح من خلال دلالات الآتي

1. دلالة) وإن لكم في الأنعام لعبرة: التأمل في المألوف في



* الدلالة البيانية: كلمة "عبرة" مشتقة من "العبور". فالمطلوب ليس مجرد "النظر" إلى الأنعام، بل "العبور" من خلالها) من صورتها المادية كحيوان (إلى) عظمة الخالق وحكمته).
* التأمل في المألوف: تكمن المعجزة في أن الأنعام تحيط بنا لدرجة "الاعتقاد" الذي يورث الغفلة. القرآن هنا يكسر "رتابة المألوف"؛ فكون الحيوان يأكل عشباً أخضر ليُخرج "لبناً سائغاً" أبيض خالصاً هو عملية كيميائية حيوية مذهلة تجري أمام أعيننا يومياً.

* الرسالة: التأمل في المألوف هو أقصر الطرق لترسيخ الإيمان؛ لأن الأدلة ليست غائبة، بل هي "مجاورة" لنا في طعامنا ولباسنا، وتحتاج فقط إلى "عبرة" (جسر ذهني) يربطها بالخالق.
2. استشعار النعم ودفع "آفة الاعتقاد"

* خطورة الاعتقاد: أكبر عدو للشكر هو "الألفة"؛ أي أن يعتاد الإنسان النعمة حتى يظنها حقاً مكتسباً أو تحصيلاً حاصلًا. التأمل الدائم هو "الموقف" الذي يمنع النعمة من أن تتحول إلى "عادة" صامتة.

* دور التأمل في الشكر: التأمل في تفاصيل النعمة (كيف نزل الماء، كيف استقر، كيف أنبت، كيف سُحرت الدابة (يجعل العبد في حالة "دهشة إيمانية" مستمرة. هذه الدهشة هي الوقود المحرك للسان بالحمد وللجوارح بالطاعة.

* عدم الاعتقاد: القرآن يعدد النعم (ماء، جنات، زيتون، أنعام (ليقول لك: "انظر للتفاصيل"، فكل تفصيل هو "تذكير" جديد يمنع قلبك من الركون إلى الغفلة.

3. معرفة قدر النعمة) لطيفة ابن القيم في "الفوائد")
معرفة "قدر النعمة" هي في حد ذاتها نعمة أعظم من النعمة ذاتها؛ لأن الكثيرين يملكون النعم، وقليلون هم من يدركون قيمتها.

* ما ذكره ابن القيم في "الفوائد":
تحدث الإمام ابن القيم عن مراتب النعمة، وأشار إلى أن تمام النعمة ليس في وجودها فحسب، بل في ثلاثة أمور:

* معرفة النعمة: أن يستبصر العبد وجودها ويعرف أنها من الله) وهذا ما تدعو إليه كلمة "عبرة".)
* قبول النعمة: بالرضا بها وعدم استقلالها) عدم رؤيتها قليلة).

* الثناء بها: وهو صرفها في مرضاة الله.
يقول ابن القيم ما معناه: "أن الله إذا أنعم على عبد بنعمة، فإن تمام الإنعام عليه هو أن يشهده فقره إليها، ويشهده منته فيها".

ومن أعظم ما ذكره في الفوائد بخصوص هذا السياق هو أن "النعمة مصيدة"؛ فإما أن يصيدك بها الله لشكره فتزداد، وإما أن تكون استدراجاً إذا لم تعرف قدرها. ويؤكد أن "معرفة العبد بجهله وعجزه" هي المفتاح الذي يجعله يرى "قدر النعمة"؛ فمن رأى نفسه لا يستحق شيئاً، استعظم من الله كل شيء.

ربط المفهوم بأحكام التجويد) اللمسة الصوتية):

* القلقلة (في) لعبرة: حرف الباء المقلقل في وسط الكلمة يحدث "هزة" صوتية. هذه الهزة تشبه "الا ستفاقة" أو "المنبه" الذي يقرع أذن السامع ليوقظه من غفلة الاعتقاد ويحثه على العبور) التأمل).

* التنوين (في) لعبرة تسقيكم: الإدغام بغنة هنا يعطي صوتاً "موسيقياً" ممتداً يوحي بفيض النعم واتصالها، وكأن "العبرة" الفكر (موصلة مباشرة لـ "السقياء" النفع).

الأمر الثاني

يعد استخدام العقل للتأمل في "تسخير الكون" هو الجسر الرابط بين المشاهدة المادية واليقين الإيماني. إن القرآن الكريم لا يطلب منا إيماناً أعمى، بل يدعونا لاستخدام "أدوات الإدراك" (العقل، السمع، البصر) لقراءة كتاب الكون المفتوح، وهو ما يظهر بجلاء في سلسلة الآيات التي تدارسناها في سورة المؤمنون.

إليك أهمية استخدام العقل في هذا السياق وكيف يبني عظمة الخالق في النفس:

1. العقل كأداة لفك "شفرة التسخير"
* المفهوم: الكون مليء بالموارد، لكن "التسخير" لا يتجلى إلا بالعقل. الماء ينزل، لكن العقل هو الذي يدرك قانون الجاذبية الذي جعله يستقر في باطن الأرض {فأسكتناه}. والأنعام موجودة، لكن العقل هو الذي استنبط كيفية استخراج اللبن وتحويل الأوبار لبيوت.
* زيادة الإيمان: عندما يدرك العقل أن هذه القوانين الفيزيائية والكيميائية (مثل كثافة الماء، وقوة تحمل الأنعام، وطبقات الأرض) ليست عشوائية بل هي "مصممة خصيصاً" لخدمة الإنسان، يوقن بأن وراء هذا النظام "مقدراً" حكيماً {يقدر}، مما ينفي نظرية الصدفة تماماً.
2. إدراك "الجمال الإلهي" وراء "المنفعة المادية"

* المفهوم: التأمل العقلي يكشف أن الله لم يسخر الكون لنا بأسلوب "وظيفي جاف" فقط، بل أضفى عليه مسحة من الجمال. فالعنب ليس للغذاء فقط بل هو {جَنَات} تسر الناظرين، والأنعام ليست للحمل فقط بل {ولَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تَرِيحُونَ}.
* عظمة الخالق: هنا ينتقل الإيمان من مرحلة "الخوف والرهبة" إلى مرحلة "الحب والتعظيم". العقل يدرك أن الخالق سبحانه "جميل يحب الجمال"، وأنه أكرم الإنسان ليس فقط بما يسد رمقه، بل بما يبهج روحه ويريح نظره.

3. إدراك "وحدة المنظومة" (التكامل الكوني)
* المفهوم: العقل يربط بين نعم متباعدة (سما، أرض، شجر، حيوان، فلك). هذا الربط يثبت أن "لا أمر واحد؛ لأن كل قطعة في هذا الكون تعمل بتناغم مع الأخرى لتؤدي غرضاً واحداً وهو خدمة الإنسان".

* ثبات الإيمان: هذا التكامل يقطع الطريق على أي تشتت ذهني؛ فوحدة "التصميم" في الكون هي أقوى دليل عقلي على "وحدانية" الخالق وعظمته.
ربط المفاهيم بأحكام التجويد (تجسيد العظمة صوتياً)
* المد المتصل في (السماء):

* الدلالة العقلية: الطول في المد يعطي مساحة للعقل ليتفكر في "علو" المصدر وسعة الملك الإلهي. وكأن الصوت يمتد ليواكب امتداد السماء التي سُخِرت لنا.
* القفلة في (العبرة):

* الدلالة العقلية: كما ذكرنا، القفلة "اضطراب" يتبعه استقرار. العقل يبدأ رحلته في التفكير بنوع من الحيرة والدهشة (اضطراب)، ثم ينتهي باليقين (سكون الحرف)، وهذا هو جوهر "العبرة".
أثر التأمل الدائم على النفس (دفع الاعتیاد)
كما أشرت سابقاً، فإن "الاستخدام الدائم للعقل" هو الترياق الوحيد لمرض "اعتیاد النعمة".
* اليقظة: التأمل يجعل النعمة "جديدة" في كل مرة؛ فكل شربة ماء هي معجزة كيميائية، وكل ثمرة هي مختبر بيولوجي متكامل.

* التواضع: عندما يرى العقل عظمة الكون المسخر له، يدرك الإنسان قدره الحقيقي؛ فهو "مكرم" بفضل الله وليس بذاته، مما يذيب كبرياء النفس ويستبدله بشكر الخالق.
من درر ابن القيم في "الفوائد" و "مفتاح دار السعادة":
يؤكد ابن القيم أن "أفضل العبادات هي عبادة التفكر؛ لأنها عمل القلب، ويقول:
<لو فكر الناس في عظمة الله لما عصوه".

< ويرى أن العقل إذا سار في طريق التأمل في الآيات (المشاهدة والمقروءة)، فإنه لا بد أن يصل إلى نتيجة واحدة وهي أن "هذا الرب العظيم، الجميل، القوي، الحكيم.. هو وحده الذي يستحق الشكر والعبادة".

هذا البناء العقلي هو ما يجعل إيمانك "راسخاً كالجبال" لا تهزه الشكوك

الدرس الثاني

أن مفهوم "العبور من المألوف" في حياتك اليومية يعني أن تحول كل ما تراه إلى عبادة تأملية ولهذا سوف نقدم لك "خطة التأمل اليومي" المصممة لتحويل المشاهدات المعتادة إلى رحلة إيمانية عميقة، تربط بين "آيات الأفاق" و"آيات الأنفس"، وتطبق مفهوم "العبور" الذي استنبطناه من قوله تعالى {العبرة}:

خطة "العبور من المألوف" (تأملات المؤمنين)

تم تقسيم الخطة إلى ثلاث محطات يومية، ترتبط مباشرة بالآيات التي تدارسناها:

المحطة الأولى: "تأمل الإمداد" (عند الاستيقاظ وشرب الماء)

* المشهد المألوف: كوب الماء الذي تشربه في الصباح.

* تفعيل العقل (العبور): تذكر قوله تعالى {وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ}.

* التأمل: فكر في رحلة هذه القطرة؛ كيف نزلت بمقدار لا يَغرق، وكيف سلكها الله في الأرض لتصل إليك عذبة نقية. لولا "إسكانها" في الأرض لضاعت في أعماق السحيق أو تبخرت.

* الثمرة: الشعور بـ "الأمان والافتقار"؛ فالله الذي أدار رحلة الماء المعقدة ليسكن في جوف الأ

أرض، قادر على تدبير شؤونك المعقدة.

المحطة الثانية: "تأمل النماء" (عند تناول الطعام أو رؤية الخضرة)

* المشهد المألوف: الفاكهة، الزيت، أو منظر الأشجار.

* تفعيل العقل (العبور): تذكر قوله تعالى {فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ} و {تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ}.

* التأمل: انظر إلى "الصبغة" واللون والطعم. كيف أخرج الله من الماء الواحد ألواناً وطعوماً مختلفة؟ تأمل في زيت الزيتون (الدهن) كخلاصة مركزة للصبر والقوة المستمدة من "الجبل".

* الثمرة: الشعور بـ "الجمال والامتنان"؛ إدراك أن الله لم يعطك الحد الأدنى للبقاء، بل أعطاك "جنات" من التنوع والمتعة والزينة.

المحطة الثالثة: "تأمل التسخير" (عند ركوب المواصلات أو التعامل مع الأنعام)

* المشهد المألوف: السيارة، الطائرة، أو رؤية الحيوانات (الأنعام).

* تفعيل العقل (العبور): تذكر قوله تعالى {وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ}.

* التأمل: فكر في مفهوم "الحمل". كيف ذلل الله لك هذه الكائنات الضخمة (الأنعام)، وكيف ألهم العقل البشري صنع "الفلك" التي تجري في البحر؟ لولا قانون "الطفو" وقانون "التسخير" لظل الإنسان حبيس مكانه.

* الثمرة: الشعور بـ "العزة والمسؤولية"؛ الله سخر لك الكون لتحرك فيه وتعمره، فما هو أثره في هذا الكون المسخر؟

نصائح إيمانية لضمان الاستمرارية (إبراهيم ابن القيم):

* قاعدة "لحظة الدهشة": لا تسمح ليومك أن يمر دون أن تتوقف للحظة واحدة أمام "مألوف" وتستشعر عظمته. ابن القيم يقول: "القلب في سيره إلى الله عز وجل بمنزلة الطائر"، والتأمل هو الجناح الذي يرفعه فوق العادات.

* اربط النعمة بالمنعم: بدلاً من قول "الجو جميل"، قل "ما أجمل تدبير الخالق لهذا الجو". هذا يمنع "اعتياد النعمة" ويجعل الشكر حاضراً دائماً.

* دَوِّن "صيد الخاطر": في كل ما تمر به تأمل إلى ما يحيط بك ودون ذلك لتثبيتها في القلب وتحولها من مجرد "خاطرة" إلى "عبرة" راسخة.

الختم بصوت اليقين (تجويد النفس):

عندما تنهي يومك، اقرأ هذه الآيات بتدبر، ومدِّ الحروف التي تعلمناها (المد المتصل والعارض) لتشعر باتساع رحمة الله وعظمته ملكه. اجعل لسانك يلهج بـ "الحمد لله" ليس ككلمة معتادة، بل كإقرار بعجز العقل عن حصر الثناء على من سخر كل هذا الكون لأجلك.

الدرس الثالث

عندما ننظر إلى الأنعام (الإبل، البقر، الغنم)، فإن القرآن يدعوكم ألا تقف عند "جمال صورتها" أو "لذة لحمها" فحسب، بل أن تغزُّ بقلبك من خلالها إلى جلال الخالق.

إليك الخلاصة المركزية للعبرة التي يجب أن يستشعرها قلبك، مقسمة إلى ثلاثة مستويات إيمانية:

1. عبرة "التنقية والاستخلاص" (اللبن الصافي)

أكبر عبرة تزلزل القلب هي كيف يخرج الله {لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ} من بين {قَرْنٍ وَدَمٍ}.

* استشعار القلب: يجب أن يستشعر قلبك قدرة الله على "الإصلاح" وسط "الفساد". فكما استخلص اللبن الأبيض النقي من وسط الدم والقرن، هو سبحانه قادر على استخلاص قلبك من الفتن، وتطهير رزقك من الشوائب، وإخراج الخير من رحم الأزمات.

2. عبرة "التذليل والمسكنة" (قهر العظمة باللطف)

انظر إلى ضخامة "الجمل" أو "الثور" وقوتهما، ثم انظر كيف سخرها الله لطفل صغير يقودها فتنقاد له.

* استشعار القلب: استشعر لطف الله بك. لولا "التسخير" لكانت هذه الكائنات عدواً فاتكاً بالإنسان، لكن الله سلبها التمرد ومنحها الانقياد لتكون لك "حمالة أثقال".

* الدرس: العبارة هنا هي التواضع؛ فكل ما تملكه من سلطة أو مال أو قوة في عملك أو حياتك هو "تسخير من الله" وليس بقوتك الشخصية.

3. عبرة "المعمل الحيوي المتكامل" (الرحمة المجسدة)

الأنعام ليست مجرد "حيوان"، بل هي مؤسسة خدمية سخرت لك بالكامل:

- * بطونها: تعطيك اللبن.
- * أوبارها وأشعارها: تعطيك الدفء واللباس.
- * ظهورها: تحمل ثقلك وتختصر لك المسافات.
- * لحمها: يسد جوعك.

* استشعار القلب: استشعر "الخصوصية في العطاء". وكأن الله صمم هذا الكائن بكل تفاصيله ليكون "كتالوج" خدمات لك أنت. هذا الشعور يدفعك للحياء من الله؛ فكيف يسخر لك كل هؤلاء الجنود بينما تقصر أنت في شكره؟

العبرة من منظور ابن القيم (في كتاب الفوائد)

يشير ابن القيم إلى أن رؤية الأنعام يجب أن تذكر بـ "فكر الذاتي وغنى الله المطلق".
< فالله خلقها وهي لا تحتاج إليك، وسخرها لك وأنت أحوج ما تكون إليها. العبرة هنا هي أن تدرك أنك "ضعيف" مكرم في ملكوت الله، وأن كل ما حولك هو "مائدة" أعدها المنعم لتقوى بها على طاعته.

لمسة تجويدية لترسيخ العبرة:

عندما تقرأ قوله تعالى: {وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ} وتصل عند كلمة {لَعِبْرَةٌ}:

* استشعر "القلقة" في الباء (هزة في القلب).

* استشعر "الغنة" الممتدة عند الوصل.

هذا الصوت الممتد هو دعوة لقلبك أن يطيل التفكير، وألا يمر على مشهد "خروف" أو "ناقة" مرور الغافلين، بل مرور المستبصرين الذين يرون في كل حركة وسكنة لهذه الأنعام توقيع الخالق العظيم.

الأمر الثاني

الربط بين قوله تعالى في سورة المؤمنون {تُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا} وبين الآية التفصيلية في سورة النحل {مَنْ بَيْنَ فَرَثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا} يمثل قمة الإعجاز الفسيولوجي (الوظيفي) الذي لم يدرك العلم تفاصيله إلا حديثاً، وهو دليل قاطع على كمال القدرة الإلهية.

إليك تحليل هذا الإعجاز وكيف يقودك لتعظيم الخالق:

1. الإعجاز العلمي: "المعمل الكيميائي الخفي"

العلم الحديث يخبرنا أن تكوين اللبن هو عملية "استخلاص" مذهلة تتم عبر مراحل:

* الفرث (هضم الغذاء): بعد أن تأكل الأنعام العشب، يتحول في الكرش إلى "فرث" (طعام مهضوم). هنا تبدأ البكتيريا والأنزيمات بتحليل السليلوز وتحويله إلى أحماض دهنية ومواد أساسية.

* الدم (ناقل الأمانة): تمتص هذه المواد وتنتقل إلى مجرى الدم. الدم هنا هو "وسيلة النقل" التي تحمل المغذيات من الأمعاء إلى الغدد اللبنية (الضرع).

* الاستخلاص المذهل: في الغدد اللبنية، يتم اختيار مواد محددة من الدم، وترك مواد أخرى، ليخرج {لَبَنًا خَالِصًا}.

< وجه الإعجاز: اللبن لا يختلط بفضلات الأمعاء (الفرث) ولا بصبغة الدم الحمراء، رغم أنه يُستخلص من بينهما! هو خروج "النقي" من قلب "المتضادين".

2. كمال القدرة في "الدقة والاختيار"

عندما تتأمل في قوله {تُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا}، تدرك كمال القدرة من خلال:

* الفرز الإلهي: الدم يحتوي على فضلات ومواد قد تكون سامة، لكن الغدد اللبنية تعمل ببرمجة إلهية فائقة لتسمح فقط بمرور البروتينات والسكريات والدهون التي يحتاجها الإنسان.

* السياق المتصل: الله يربط بين "الماء" الذي نزل من السماء وبين "اللبن" الذي نزل في الضرع؛ كلاهما سوائل حيوية، وكلاهما نزل "بقدر" وبنظام معقد لضمان حياتك.

3. كيف تقودك هذه التفاصيل إلى معرفة الله؟

هذه الدقة تدفع قلبك للاعتراف بـ "القيومية" و "اللطيف":

* القيومية: أن الله قائم على كل خلية في بطن هذه الأنعام، يدير حركة الجزيئات من الأمعاء إلى الدم إلى الضرع. هذا ليس نظاماً "آلياً" أصماً، بل هو تدبير مستمر.

* اللطف: أن الله سخر هذه العمليات الكيميائية المعقدة ليوفر لك كوب لبن "سائغاً" (سهل البلع و المذاق). لو اختل إنزيم واحد لفسد اللبن، لكن لطفه أتمه لك.

اللمسة البيانية والربط بالتجويد:

* {تُسْقِيكُمْ مِمَّا}:

* الميم مع الميم (إدغام متماثلين بغنة كاملة) تعطي صوتاً ناعماً متصلاً .

* الدلالة: هذا الاتصال الصوتي يحاكي "جريان اللبن" وسلاسته. الغنة الطويلة تعطيك مساحة زمنية لتتخيل عملية السقيا المستمرة واللطيفة التي يقوم بها الخالق لك.

* كلمة {خَالِصًا}:

* تبدأ بحرف "الخاء" وهو حرف استعلاء قوي، وتنتهي بتنوين الفتح.

* الدلالة: القوة في البداية تشير إلى قوة القدرة التي فصلت اللبن عن الدم، والسهولة في النهاية تشير إلى "خلوصه" وصفائه التام من أي شوائب.

دعاء التدبر (ختم السلسلة):

كان من هدي الصالحين عند رؤية آيات الإعجاز والتسخير أن يقولوا:

الأمر الثالث

دلالة مجى التأكيد في قوله تعالى (وان لكم فى الانعام لعبره)

جاء أسلوب التأكيد في قوله تعالى {وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ} باستخدام مؤكدين) حرف الناسخ إن، ولام التوكيد المزعجة في قوله لَعِبْرَةٌ (لغايات بلاغية ونفسية دقيقة، تتعلق بطبيعة "النعمة المألوفة"

وعلاقتها بالعقل البشري:

1. كسر "آفة الاعتياد" وذهول الغفلة
الأنعام كائنات نراها يومياً، ومن كثرة مخالطتها قد يظن الإنسان أنها "مجرد حيوانات" وجدت بـ الصدفة أو أنها تعمل بشكل آلي.

* الدلالة: جاء التأكيد بـ (إنّ واللام) (ليزيل هذا الركام من العادة، وكأن القرآن يطرق باب العقل بقوة ليقول: "حقاً ويقيناً، لا تغفلوا، فهذه الكائنات التي ترونها عادية هي في الحقيقة معجزة كبرى تستحق الوقوف".

2. أهمية "المقام" وقوة الحجة

في سورة المؤمنون، السياق هو سياق بناء اليقين وذكر دلائل الربوبية والوحدانية.
* الدلالة: عندما يكون المقام مقام استدلال على عظمة الخالق، يحسن استخدام المؤكدات لترسيخ الحقيقة في نفس السامع، فالتأكيد هنا ليس للشك في وجود الأنعام، بل للتأكيد على وجود "العبرة" بداخلها، وهي التي قد يغفل عنها الكثيرون.

3. التناسب مع "عظمة المخبر عنه"

المتحدث هو الله عز وجل، وهو يخبر عن صنعه المحكم.

* الدلالة: التأكيد هنا يعكس عظمة الصانع؛ فالفعل العظيم (تحويل الفرث والدم إلى لبن (يتناسب معه أسلوب لغوي قوي ومؤكد، ليبين أن هذا ليس مجرد حدث طبيعي، بل هو "قرار إلهي" محكم لا يقبل الجدل.

اللمسة البيانية والجمالية في اللام):

* تسمى هذه اللام "لام التوكيد"، وتسمى أيضاً "اللام المزلقة" لأنها زحلت من صدر الجملة إلى الخبر كراهة الجمع بين حرفي توكيد).

* الأثر النفسي: وجود اللام في نهاية الجملة {عبرة} يجعل ذهن في حالة ترقب، فيعد أن بدأ بـ (إنّ (ظل ينتظر الخبر، فجاءت اللام لتربط "العبرة" بالقلب ربطاً وثيقاً وتؤكد تأكيدهم أخيراً.
ربط التأكيد بكتاب "الفوائد" لابن القيم:

يرى ابن القيم أن الله يؤكد على العبرة في النعم لأن "النفوس بطبعها تميل إلى نسيان المنعم عند الا نشغال بالنعمة".

* فالتأكيد هنا هو "حارس للوعي"، يمنعك من أن تأكل وتشرب وتستمتع بالأنعام وأنت "غافل" عن الحكمة من وجودها.

أحكام التجويد واللمسة الصوتية:

(* وإنّ: غنة النون المشددة) حركتان).

* الدلالة: هذا الصوت القوي في البداية يشد انتباه السامع فوراً (تنبيهاً).

(* لعبرة: القلقة في الباء.

* الدلالة: كما ناقشنا، القلقة هي "هزة" صوتية، واقتراحها بلام التوكيد يجعل كلمة "عبرة" هي المركز الصوتي للآية، مما يرسخ مفهوم "التأمل" في أذن السامع وقلبه.

الدرس الثاني

الربط بين التأكيد في آية الأنعام والتأكيد في آية الماء ((وإنّا علىٰ ذهابٍ بهِ لقادرون)) يكشف عن توازن دقيق في التربية القرآنية بين "الترغيب في النعمة" و**"التحذير من زوالها".

إليك تحليل أسلوب التأكيد في مقام القدرة على سلب النعمة:

1. دلالة المؤكدات (إنّ + اللام) في مقام "القدرة"

في الآية 18، استخدم الله نفس الأدوات (إنّ المشددة واللام في "لقادرون") لغرض مغاير تماماً:

* قطع دابر الغرور: بعد أن ذكر الله إنزال المطر وإسكانه في الأرض، قد يظن الإنسان أن وجود الماء أصبح "حقاً مكتسباً" أو "قانوناً طبيعياً" لا يتغير.

* الدلالة: جاء التأكيد المزدوج ليقرر حقيقة قاطعة: أن الذي أوجد النعمة قادر تماماً وبنفس القوة على إخفائها أو إفسادها. التأكيد هنا هو "صمام أمان" يحمي العبد من الطغيان بالنعمة.

2. الربط بين "العبرة" و"القدرة"

تأمل هذا التناظر المذهل في سورة المؤمنون:

* في الآية 21 أكد على {لعبرة}: ليرشدك كيف تستفيد من النعمة بعقلك.

* في الآية 18 أكد على {لقادرون}: ليرشدك كيف تحافظ على النعمة بقلبك (بالخوف والشكر).

* الخلاصة: التأكيد في القرآن لا يأتي عبثاً، بل ليثبت "أصول العقيدة": فأصل الانتفاع هو التأمل، وأصل البقاء هو الاعتراف بالقدرة الإلهية.

لطيفة ابن القيم في "الفوائد" حول هذا التأكيد:

يتحدث ابن القيم عن أن النعم "شاردة"، وقيدها هو الشكر. ويشير إلى أن قوله {وإنّا علىٰ ذهابٍ بهِ لقادرون} هو أشد أنواع التحذير؛ لأنه جاء بصيغة الجملة الاسمية المؤكدة.

< يقول ما معناه: "إن الله أراك قدرته في الإيجاد ليُطعمك، وأراك قدرته في الإسكان ليؤمنك، ثم ذكر قدرته على الإذهاب ليحذرك؛ فلا تركز إلى النعمة وتنسى المنعم".

<

اللمسات الصوتية والتجويدية (تحذير العظيم):

* تشديد النون في (وإِنا):

* الدلالة: الغنة الطويلة هنا تعطي جرس إنذار خفي. الصوت الممتد يوحي بالهيبة والسطوة، مما يجعل السامع في حالة انتباه كامل للتحذير القادم.

* المد الطبيعي في (إِنا):

* الدلالة: (نا العظمة) التي ناقشناها سابقاً، اقترانها بالتحذير يجعل العبد يدرك أن "الذهاب بالماء" ليس بالأمر الصعب على من أنزله بعظمته.

* لام التوكيد في (لقادرون):

* الدلالة: اللام هنا تفتح مخرج الصوت بقوة، والوقوف بالمد العارض للسكون (لقادرون) يعطي شعوراً بـ "الإحكام". وكأن الكلمة تغلق الباب أمام أي شك في قدرة الله على التصرف في ملكه.

الدرس الختامي :

إن اجتماع التأكيد على "العبرة" والتأكيد على "القدرة" في سياق واحد (سورة المؤمنون) يصنع للمسلم "شخصية متوازنة"؛ فهو يتأمل ليبعد ويستثمر (بالعقل)، وهو في ذات الوقت يشكر ويخضع (بالقلب) لأنه يدرك أن النعم قادر على سلب ما أعطى.

رابعاً

تأتي الآية (22) من سورة المؤمنون: {وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ} لتتوج سلسلة نعم "التسخير" التي بدأتها الآيات السابقة، منتقلة بالإنسان من مرحلة "الاستقرار والرزق" إلى مرحلة "الحركة والاكتشاف".

إليك التفسير التفصيلي والدلالات العميقة لهذه الآية:

1. دلالة "الاقتران" (بين البر والبحر)

* المعنى: قوله {وَعَلَيْهَا} يعود على الأنعام (الإبل بصفة خاصة لأنها سفن البر)، و**{عَلَى الْفُلْكِ} أي السفن.

* التفسير: الله عز وجل يجمع لك في جملة واحدة وسائط النقل في أصعب بيئتين: الفياقي المترامية والبحار الهائجة.

* الرسالة: الله هو الذي جعل "الحيوان" يحمل أثقالك في البر، وجعل "الخشب والحديد" يحمل جسمك في البحر. هذا الربط يؤكد أن "قانون الحمل" واحد، وهو إرادة الله وتسخيره، سواء كان المحمول حياً (دابة) أو جماداً (سفينة).

2. دلالة "الحصر والاهتمام" (التقديم والتأخير)

* البلاغة: لم يقل "وتحملون عليها وعلى الفلك"، بل قدم الجار والمجرور {وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ}.
* التفسير: هذا التقديم يفيد قصر الامتنان. أي: اعلّموا أيها البشر أن حَمْلَكُمْ وتنقلكم ليس بذكائكم المحض، بل هو حصرياً بتسخير الله لهذه الوسائل لكم. لولا أن الله جعل الإبل قوية صبورة، وجعل الماء يحمل السفن (قانون الطفو)، لما استطعتم قطع المسافات.

3. دلالة "الفعل المبني لما لم يُسمَّ فاعله" (تَحْمَلُونَ)

* البلاغة: جاء الفعل {تَحْمَلُونَ} بضم التاء، للدلالة على أنكم "محمولون" بفعل فاعل غائب (وهو الله).

* التفسير: أنت تظن أنك أنت الذي تركب وتحرك، لكن الحقيقة أن هناك "قوة إلهية" هي التي تحملك وتحمي وسيلة نقلك من العطب أو الغرق.

* الرسالة: استشعر الضعف البشري أمام عظمة الوسيلة؛ فأنت "مُستسلم" لظهر الدابة أو لسطح السفينة، والضامن الوحيد لوصولك هو الله.

اللمسة البيانية والربط بالتجويد:

* تكرار "عَلَى": تكرار حرف الاستعلاء (على) مرتين يعطي شعوراً بـ "التمكين التام".

* المد الطبيعي في {وَعَلَيْهَا}: يمنح القارئ نغمة مستقرة توحى بالأمان والسكينة فوق ظهر الدابة.

* المد العارض للسكون في {تَحْمَلُونَ}: الوقوف بمد طويل (4 أو 6 حركات) يعطي فرصة للقلب ليستشعر "طول الرحلة" وعظم النعمة التي تيسر له هذا العبور الطويل بسلاسة.

الرسائل العملية والتربوية من الآية:

* استراتيجية "تنوع الوسائل": كما سخر الله لك البر والبحر، تعلم في حياتك المهنية ألا تقف عند وسيلة واحدة. إذا تعطلت وسيلة "برية"، فابحث عن "الفلك" التي تجري في بحر الفرص المتاحة.

* أدب "الركوب": الآية تذكرنا بدعاء الركوب (سيحان الذي سخر لنا هذا)؛ لأن الاعتراف بالمنعم عند بداية كل رحلة (سواء كانت سفرًا حقيقياً أو مشروعاً جديداً) هو الذي يضمن البركة والوصول.

* الربط بالحضارة: الآية تؤصل لمفهوم "التبادل والاتصال". فالهدف من الحمل ليس مجرد النقل، بل هو التواصل بين البشر، وتبادل المنافع (الأكل والدهن والصبغ) التي ذكرت في الآيات السابقة، مما يعني بناء مجتمع متكافل.

الختام التدبري:

بهذه الآية (22)، يختم القرآن عقد "نعم التمكين المادي". لقد وفر لك الماء لتعيش، والجنات لتأكل،

والأنعام لتنتفع، والفلك لتتحرك.

الأمر الثاني

عبارة {تَحْمَلُونَ} في ختام هذه المنظومة هي كلمة "مفتاحية" تلخص فلسفة الوجود الإنساني؛ فهي تجمع بين طرفي النقيض في آن واحد: أقصى درجات الضعف البشري، وأقصى درجات التكريم و التسخير الإلهي.

إليك كيف تبرز هذه العبارة هذا التوازن الدقيق:

1. إبراز "ضعف الإنسان وحاجته" (الافتقار الذاتي) اختيار الفعل المبني للمجهول (أو لما لم يُسمَّ فاعله) {تَحْمَلُونَ} بدلا من "تركبون" أو "تسيرون"، يرسخ في القلب معاني الافتقار:

* العجز عن الاستقلال: الإنسان رغم ذكائه وقوته، لا يملك وسيلة ذاتية لقطع الفيافي أو عبور المحيطات "بجسده المجرد". هو دائما بحاجة إلى "حامل" يحمله.

* الاستسلام للقدر: بمجرد أن تصبح "محمولا" فوق ظهر دابة أو على سطح سفينة، فقد خرجت السيطرة الكاملة من يدك. أنت الآن رهين سلامة هذا الحامل وقوة القوانين التي تحكمه (قانون الطفو، وقوة الدابة)، وهذا يضعك في مقام "المضطر" الذي لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا إلا بالله.

* رسالة القلب: العبارة تهمس لك: "أنت ضعيف لدرجة أنك لا تستطيع الوصول لرزقك أو أهدافك إلا لا بمركبٍ يحملك، فكيف تتكبر؟".

2. إبراز "تسخير الأسباب" (التكريم الإلهي)

وفي المقابل، فإن نفس الكلمة {تَحْمَلُونَ} تعكس رقي التعامل الإلهي مع هذا الكائن الضعيف:

* خدمة الكون للإنسان: الله لم يقل "احملوا أنفسكم"، بل سخر أجراما ضخمة (الإبل والسفن) لتكون في خدمتك. هذا هو "التسخير"؛ أن يتحول القوي (الحيوان/البحر) إلى خادم للمكرم (الإنسان).

* تذليل الصعاب: العبارة توحى بـ "الراحة"؛ فالمحمول مخدوم. الله يريد منك أن تصل لغاياتك بيسر وسهولة، فسخر لك "الأسباب" لتكون جسرا يعبر بك المسافات الشاقة.

* رسالة العقل: "الأسباب" (الدابة والسفينة) هي هدايا إلهية، والمؤمن يستخدم السبب (يركب السفينة) لكن قلبه مع "مسبب الأسباب" (الذي يحمله حقيقة).

التناسب البلاغي والصوتي (الجمع بين الضعف والقوة):

* في بناء الفعل {تَحْمَلُونَ}:

* تبدأ الكلمة بـ الضمة (تـ)، والضم في اللغة يوحي بالاحتواء والرعاية، كأن الله "يضمك" برحمته ويحميك أثناء الحمل.

* تنتهي بـ الواو والنون (الجمع)، لبيان أن هذه النعمة عامة وشاملة لكل البشر، لا يستغني عنها ملك ولا فقير.

* موقعها في الآية: جاءت بعد ذكر الأنعام والفلك، لتربط بين "الروح" (الأنعام) و"المادة" (الفلك)، وتؤكد أن الله يسخر لك كل أنواع الوجود (الحي والجماد) ليحملك.

الخلاصة العملية لحياتك :

عليك أن تعترف فضل الآخرين لأن ذلك الاعتراف هو جزء من شكر الله.

* في قوتك: مهما بلغت من قوة الحجة، تذكر أنك "محمول" بتوفيق الله، لولا أن سخر لك العقل واللسان والقبول لما وصلت.

* التوازن: كن "مستخدما للأسباب" بكل ذكاء (اركب الفلك)، وظل "مفتقرا لله" بكل خضوع (استشعر أنك تحمل).

هذا التوازن بين "عجز العبد" و"عظمة التسخير" هو لب العبودية

اخيرا

إليك "عقد التمكين العشر"؛ وهي الخلاصة المركزية للقيم الإيمانية والعملية المستنبطة من هذه الرحلة التدبرية في سورة المؤمنون (الآيات 18-22)، لتكون مرجعا لك في فرك وعملك:

ميثاق القيم العشر (منظومة النعم والتمكين)

1. قيمة "التوازن" (بِقَدَر)

* المبدأ: النجاح ليس بالوفرة الطاغية، بل بالمقدار المنضبط.

* التطبيق: اجعل خططك وأهدافك "بقدر"؛ لا إفراط يورث الطغيان، ولا تفريط يورث العجز.

2. قيمة "الاستدامة" (فَأَسْكِنَاهُ)

* المبدأ: العبرة ليست في تحصيل المورد، بل في القدرة على حفظه وتخزينه.

* التطبيق: ابن أصولا "فكرية ومالية مستدامة" (كتابة المخطوطات، الادخار، توثيق العلم) لضمان بقاء الأثر.

3. قيمة "المسؤولية عن النعمة" (لِقَادِرُون)

* المبدأ: اليقين بأن المنعم قادر على سلب النعمة كما أعطاه.

* التطبيق: كسر الغرور المهني والذاتي، ومداومة الاستغفار والاعتراف بالفضل لله وحده.

4. قيمة "الإبداع والتطوير" (فَأَنْشَأْنَا)
* المبدأ: تحويل المادة الخام (الماء) إلى مشروعات مثمرة (جنات).
* التطبيق: لا تترك أفكارك "مواد خام"، بل "أنشئ" منها مخرجات مفيدة ومنظمة تسر الناظرين وتنفع الناس.
5. قيمة "الجودة النوعية" (تَبَّتْ بِالذَّهْنِ)
* المبدأ: استخراج الصفة والجوهر من العمل.
* التطبيق: احرص في بحثك القانوني أو الفكري على تقديم "الخلاصة" (الدهن) والصبغة الفريدة التي تميز إنتاجك عن غيره.
6. قيمة "اليقظة الذهنية" (لَعِبْرَةٌ)
* المبدأ: كسر آفة الاعتیاد بالنظر المتأمل في المألوف.
* التطبيق: كن باحثاً "يرى ما لا يراه الآخرون" في التفاصيل اليومية، واستلهم الحلول من تأمل قوانين الكون.
7. قيمة "النفع المتعدي" (وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ)
* المبدأ: الغاية النهائية من كل إنتاج هي إطعام ونفع الآخرين.
* التطبيق: اجعل في كل عمل تقوم به "حصصاً" لنفع الناس وقضاء حوائجهم، وليس فقط للربح الشخصي.
8. قيمة "الرحمة بالمسخرات" (تُسْقِيكُمْ)
* المبدأ: اللطف الإلهي يتجلى في تحويل الصعب (فرث ودم) إلى سهل (لبن سائغ).
* التطبيق: تعامل بلين ورحمة مع من يعملون تحت يدك أو الوسائل التي تستخدمها، اقتداءً بـ اللطف الإلهي.
9. قيمة "المرونة والعبور" (تَحْمِلُونَ)
* المبدأ: تنوع الوسائل (بر وبحر) للوصول إلى الغايات.
* التطبيق: إذا تعثرت وسيلة، فلا تتوقف؛ فالله سخر لك "فلكاً" (طريقاً بديلة) قد لا تراها إلا بـ البحث والتوكل.
10. قيمة "الارتباط بالمصدر" (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ)
* المبدأ: كل خير أصله من السماء (الوحي والقدر).
* التطبيق: اجعل "بوصلتك" دائماً نحو السماء؛ استمد منها التوفيق بالدعاء، والهداية باتباع الوحي.

المقطع الثاني
آيات هذا المقطع تتحدث عن قصص الانبياء والصراع بين الحق والباطل منذ نوح عليه السلام حتى البعثة النبوية كنماذج تقدمها الآيات لتكون قدوة صالحه وقسمت ذلك الى خمسة اقسام

القسم الاول

ابتدأت بقصه نوح عليه السلام مع قومه قال تعالى

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (23) فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (24) إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جَنَّةٌ مَثَرَبِصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ (25) قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ (26) فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تَخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعَذَّقُونَ (27) فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَجَانَّ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (28) وَقُلْ رَبِّ أُنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ (29) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ (30)}

آيات هذا القسم تتضمن قصه نوح مع قومه (من التكليف الى التمكين) فهذه القصة تجسد صورة كامله للداعيه ترسم له جميع المعالم من اول نقطه التكليف الى اخر نقطه التمكين واليك التفاصيل

الفصل الاول

التكليف بحمل رايه التوحيد وكسر قيود الجاهليه
قال تعالى (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ)

الأمر الأول

سوف نقوم بتحليل الايه تحليلًا تفصيليًا على شكل فقرات (مقاطع شعورية ودلالية)، تربط بين التفسير، التطبيق العملي، والجماليات اللغوية والصوتية:

الفقره الاولى

"وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ" (منطلق التكليف والمسؤولية)
* المدلول والتفسير: إثبات وقوع الرسالة بأسلوب توكيدي، وبيان أن نوحًا عليه السلام لم يأت من تلقاء نفسه بل هو "مرسل" بمهمة محددة لبيئة يعرفها وتعرفه. ولهذا سوف نقف ونتدبر مدلولات إثبات وقوع ارسال نوح في الايه من عند الله من خلال الاتي

المفهوم الاول

لماذا ارسل الله الرسل وما فائده ذكر قصصهم في القرآن
أرسل الله الرسل وذكر قصصهم في القرآن الكريم لحكمة بالغة تتجاوز مجرد السرد التاريخي، لتصبح منهجية حياة ومرجعاً فكرياً لكل من يسعى للإصلاح أو يواجه تحديات في مجاله. ويمكن تلخيص الإجابة بناءً على الآيات التي تدارسناها في سورة المؤمنون وفق المحاور التالية:
أولاً : لماذا أرسل الله الرسل؟

* إقامة الحجة وقطع العذر:

لكي لا يكون للناس حجة على الله بعد الرسل. فالإنسان قد يضل بعقله أو يتبع هواه، فكان الرسول هو "المعيار" الذي يوضح الحق من الباطل بوضوح لا لبس فيه (كما في قول نوح: "أفلا تتقون").

* إخراج الناس من "التبعية" إلى "العبودية لله":

كان الناس قبل الرسل عبيداً للأصنام، أو لشهواتهم، أو لأصحاب النفوذ (المال). جاء الرسل لتحرير الإنسان وجعل مرجعيته العليا هي الخالق وحده، مما يمنحه كرامة واستقلالاً فكرياً.

* إرساء قيم العدل والأخلاق والحريه والشورى واحترام القانون :

الرسول ليس مجرد واعظ، وليس هو مصلح اجتماعي. بل أرسلهم الله لضبط سلوك البشر وتأسيس مجتمعات ودول قائمة على التقوى والأمانة بدلاً من الغابة والظلم. فدعوتهم الناس لعباده الله تشمل اقامه مجتمع مسلم واقتصاد مسلم ونظام سياسي مسلم وهكذا في شتى المجالات ثانياً: الغاية من ذكر قصص الانبياء (كقصه نوح عليه السلام)

إن ذكر قصة نوح في سورة المؤمنون تحديداً يهدف إلى تحقيق غايات استراتيجية للمؤمنين في كل عصر:

1. تثبيت فؤاد المصلح (الدعم النفسي)

عندما يقرأ الشخص الذي يتمسك بالحق (سواء كان محامياً، أو طبيباً، أو موظفاً نزيهاً) كيف سخر من نوح واثمهم بالجنون، ثم كيف كانت العاقبة له، يزداد ثباتاً. القصص هي "مصل" ضد الإحباط.

2. تقديم "النماذج القيادية" في الأزمات
قصة نوح تعلمنا فقه التعامل مع الأزمات المستعصية:
* كيف تبدأ بالدعوة الهادئة (آية 23).
* كيف تصمد أمام التنمر الاجتماعي (آية 24-25).
* كيف تنتقل من القول إلى العمل المادي وبناء الحلول (صناعة السفينة - آية 27).
3. بيان "سنن الله" في التغيير
القصص توضح لنا أن الصراع بين الحق والباطل هو "سنة كونية" متكررة. فالظلم له نهاية، والصبر له ثمرة، والباطل مهما علا فهو غثاء (كما انتهى حال المعارضين لنوح بالغرق).
4. العبرة من مآلات الأمور (التحذير والتبشير)
* التحذير: لمن يسلك مسلك "الملا" في الكبر والصد عن الحق، بأن مصيرهم الهلاك مهما بلغت قوتهم.
* التبشير: لمن يسلك مسلك نوح، بأن الله سيجعل له مخرجاً (منزلاً مباركاً) ونجاة من الضيق.
خلاصة تربوية ومهنية
الله ذكر لنا قصة نوح لنعلم أن "سفينة النجاة" في أي زمان ومكان تبنى بأمرين:
* عقيدة راسخة: (اعبدوا الله).
* عمل متقن وصبر جميل: (واصنع الفلك).

المفهوم الثاني

مفهوم "المرجعية العليا"؛ فالمصلح لا يستمد شرعيته من هواه، بل من منهج سماوي ثابت.
* الدروس في الحياة العملية: فمثلاً المحامي أو الباحث يجب عليك أن تستند في كل دعوى أو بحث إلى "مرجع نظامي" أو "أصل قانوني" يعطيك القوة والمصداقية. وكذلك فإن كل صاحب مهنة عليه أن يستند إلى مرجع له أصول ثابتة بعيداً عن الفوضى والعشوائية التي تسبب السقوط والا نهيار للدول والحضارات فكل شئ له مراجع وأصول تعطيه القوة والمصداقية فالطب له أصول ولهذا فإن الأنبياء هم الذين يحق لهم الحديث عن الله وأمور الغيب لانهم يتصلون بالله عن طريق الوحي فهم المصدر الموثوق به في الحديث عن الله وأمور الغيب والدين
المفهوم الثالث

الرسالة التي تحملها الآية

الآية تحمل رسالته إليك مضمونها "أنت صاحب رسالة"؛ وظيفتك ليست مجرد وسيلة رزق، بل هي تكليف لإصلاح خلل ما في محيطك. فالمسلم مكلف بالقيام بوظيفته الرسل لانه لارسول بعد الرسول صلى الله عليه وسلم والله يقول هنا (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا). فالآية تظهر ماهى وظيفته الرسل فالمعنى الرسل هم "سفراء الوحي" ووظيفتهم تتلخص في: البلاغ المبين، الهداية للطريق الصحيح، وإقامة الحجة على الناس، وإصلاح المجتمع. ولما كان لارسول بعد الرسول صلى الله عليه وسلم فإن امه ا لاسلام بمجملها ملزمه بالقيام بوظيفته الرسل بالبلاغ قال تعالى (لتكونوا شهداء على الناس) سورة الحج ولهذا فإن الدرس العملي: ان كل إنسان مسلم في موقعه هو "حامل رسالة". وظيفتك المهنية ليست مجرد كسب عيش، بل هي دور إصلاحي وتنويري في محيطك، تهدف من خلاله إلى نفع الناس ودلائهم على الخير بفعلك قبل قولك.
فعليك استشعار انك مكلف من الله بالقيام بهذه الوظيفة انظر الى قوله تعالى (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا) تجد ان المولى سبحانه وتعالى استخدم "نا" الفاعلين في (أرسلنا) للتعظيم، لبيان عظمة المرسل (الله) مما يضيف مهابة على المرسل (نوح) فاذا اردت ان تحظى بهذه المنزلة العظيمة فعليك أن تستشعر ان الدعوه الى الله واستنقاذ الناس من الكفر هي مهمه ووظيفته الانبياء الذين لهم منزل عند الله وعليك أن تدرك أن المهمه عظيمه وتحتاج إلى. حزم وقوه فالله يقول (ولقد ارسلنا نوحا) فا لقلقلة في (د) من (وَلَقَدْ): حرف الدال المقلقل يحدث "نبرة" قوية تنبه السامع وتؤكد صدق الخبر، مما يخدم مفهوم الحزم والجدية في بداية التكليف.

الفقرة الثانية: "فَقَالَ يَا قَوْمِ" (إستراتيجية التواصل والذكاء العاطفي)

- * المدلول والتفسير: نداء تليطف واستمالة، يذكرهم برابطة النسب والجوار قبل إلقاء النصيحة.
- * المفاهيم المستفادة:

المفهوم الاول

تهدف الآية إلى تربيته المسلم على. مهارات التعامل مع الآخرين من خلال الاحتواء النفسي كمهاراه لازمه لمن يتصدر الموقف ويحمل الدعوه ومن يحمل افكار جديده اذا أن الصراع بين القديم و الجديد لابد منه ولهذا تبرز اهميه الاحتواء النفسي:
مفهوم "الاحتواء النفسي"؛ ضرورة كسر الحواجز قبل طرح الأفكار التصحيحية.
* الدروس في الحياة العملية: عند مواجهة خصم أو تقديم نصيحة لزميل، ابدأ بما يجمعكم (الزمالة، المصلحة العامة) قبل طرح نقاط الاختلاف لتجنب الصدام.

* التوجيهات والرسائل: "الرفق مفتاح العقول؛ الكلمة الطبية هي الوعاء الذي يُقدم فيه الحق المر.
* اللمسات البيانية والبلاغية: نداء بـ "يا" والقرب بـ "قوم": إيجاز حذف الياء في (قوم) يدل على شدة القرب والحرص، وكأنه يقول: "يا من أنتم مني وأنا منكم".
* ان المد الطبيعي في (يا قوم) يعطي مساحة زمنية لـ "جذب الانتباه" وتهئ القلب لاستقبال الكلام، مما يخدم مفهوم التمهيد النفسي.

المفهوم الثاني

لماذا بدأ نوح نداءه يا قوم وماذا تعلمنا هذه الصيغة
نداء نوح عليه السلام بعبارة "يا قوم" ليس مجرد صياغة لغوية عابرة، بل هو استراتيجية تواصلية عميقة تحمل دلالات نفسية واجتماعية ضرورية لكل مصلح أو صاحب رسالة.
إليك تحليل أسباب هذا البدء وما نستلهمه منه في فن الدعوة والتعامل مع الآخرين:

أولاً: لماذا بدأ بـ "يا قوم"؟

* إثبات "وشيجة القربى" (الود والاتصال):

بإضافته القوم لنفسه (قومي)، هو يذكرهم بأنه واحد منهم؛ يسره ما يسرههم ويؤلمه ما يؤلمهم.
هذا النداء يكسر الحواجز النفسية ويشعر الطرف الآخر بأن المتحدث ليس "غريباً" أو "متعجلاً"
لفرض رأيه، بل هو "ناصح مشفق".
* نفي "التهمة والغرض الشخصي":

عندما يقول "يا قوم"، فكأنه يقول: "أنا منكم، وصلاحكم هو صلاحى، ونجاتكم هي نجاتى". هذا ينفي تهمة طلب الرئاسة أو التفضل عليهم (التي اتهمه بها الملأ لاحقاً)، فالإنسان لا يسعى للسيادة المتسلطة على أهله وعشيرته بل يسعى لرفعتهم.
* الاستثارة العاطفية:

النداء بالقومية والعلاقة الأسرية والاجتماعية يستنهض في المدعوين نخوتهم وحسن ظنهم بآبن جلدتهم، مما يجعلهم -من الناحية المنطقية- أكثر استعداداً للاستماع قبل الهجوم.
ثانياً: ماذا تعلمنا هذه الصيغة عن أسلوب الدعوة والرفق؟

تعلمنا هذه الصيغة "أدبيات التغيير الاجتماعي" والرفق بالمدعوين من خلال عدة ركائز:

1. الرفق قبل النقد (قاعدة اللين):

* الدرس: ابدأ بالنقاط المشتركة قبل نقاط الاختلاف.

* التطبيق: قبل أن تنصح أحداً بترك خطأ، أشعره أولاً بـ "بتقديرى له واعتزازى بعلاقتى به". الرفق ما كان في شيء إلا زانه"، ونوح بدأ باللين والتحبب رغم علمه بشركتهم.

2. التواضع في مقام النصيحة:

* الدرس: المصلح الحقيقي لا يضع نفسه في مقام "الأستاذ" والآخرين في مقام "الجهلة".

* التطبيق: صيغة "يا قوم" تضع الداعية والمدعو في مستوى واحد من المسؤولية. في حياتنا العملية، عندما تنصح زميلاً، استخدم عبارات مثل "نحن كفريق" أو "يهمنى مصلحتنا جميعاً"، فهذا أدعى للقبول.

3. الصبر على سوء الفهم:

* الدرس: الرفق يقتضي استيعاب ردود الفعل الغاضبة.

* التطبيق: رغم أنهم اتهموه بالضلال والجنون (كما في آيات أخرى وسياقات القصة)، ظل نوح متمسكاً بهذا النداء اللطيف، مما يعلمنا أن "طول النفس" و"سعة الصدر" هي أدوات الداعية الأساسية.

4. تحويل "العداء" إلى "مناصحة":

* الدرس: الدعوة ليست معركة للانتصار النفسي، بل هي محاولة لإنقاذ الطرف الآخر.

* التطبيق: الرفق بالمدعوين يعني التغافل عن إساءاتهم الشخصية في سبيل إيصال الحق. نوح لم يغضب لنفسه حين قالوا "به جنة"، بل ظل مشغولاً بنجاتهم (أفلا تتقون).
خلاصة تربوية ومهنية:

إن نداء "يا قوم" يعلمنا أن "مفتاح العقول هو القلوب". فإذا أردت أن يقبل الناس منك حقاً، فاجعلهم يشعرون أولاً بحبك وخوفك عليهم. فالنصيحة التي تقدم بـ "تعال" ترفض ولو كانت حقاً، والنصيحة التي تقدم بـ "رفق وقربى" تقبل أو على الأقل تحترم.

المفهوم الثالث

تحويل أسلوب نوح عليه السلام في نداء "يا قوم" إلى ممارسة مهنية، من أهم الأساليب التي يحتاجها الداعية والعامل والمهندس والطبيب والمعلم والمحامي والمدير والقائد لاهميه هذا الأسلوب فهو يقضى على الاستفزاز الذى يشكل عائقاً أمام قبول الآخرين ما تدعوهم اليه فهذا الأسلوب يعد ذكاءً استراتيجياً يُعرف في علم التفاوض بـ "الاستمالة المنطقية" والوجدانية ولهذا سوف اقوم بربط هذا الأسلوب اللطيف بكيفية صياغة الدفوع القانونية أو المذكرات الإيضاحية، بطريقه تقنع الخصم أو القاضى دون استفزاز كنموذج تدريبي يبين كيف يمكن تحويل هذا الرفق النبوي إلى

قوة إقناع قانونية لمن يمارس مهنة المحاماه كنموذج تدريبي :

1. استراتيجية "المصلحة المشتركة" (بدلاً من الصدام)
كما بدأ نوح بتذكيرهم بالرباط الذي يجمعه بهم (يا قوم)، ابدأً مذكرتك بالتركيز على "تحقيق العدالة" كهدف مشترك بينك وبين القاضي، وحتى بينك وبين الخصم في بعض سياقات الصلح.

* التطبيق: بدلاً من الهجوم المباشر على الخصم، ابدأً بعبارات مثل: "انطلاقاً من الحرص على استجلاء وجه الحق في هذه الدعوة..." أو "بناءً على ما يربط الأطراف من علاقات تعاقدية سابقة قامت على حسن النية..." هذا الأسلوب يقلل من حدة الدفاع النفسي لدى الطرف الآخر.

2. الرفق في "توصيف الخطأ" (النقد الموضوعي لا الشخصي)
نوح عليه السلام نقد "العبادة" (الفعل) ولم يشتم "الأشخاص". في القانون، الهجوم الشخصي على الخصم يضعف موقفك ويجعله يبدو "كيدياً".

* التطبيق: عند الرد على ادعاءات الخصم، استخدم صيغةً تنفي الفعل وتثبت الحق دون تجريح: "جانباً زميلي المحترم الصواب في تكييف هذه الواقعة" بدلاً من "الخصم يكذب أو يضل المحكمة". الرفق هنا يجعل القاضي يركز على "الحجة القانونية" بدلاً من "المشاحنة الشخصية".

3. استخدام "الاستفهام التقريري" للإقناع (أفلا تتقون)
استخدم نوح عليه السلام السؤال لتحريك عقولهم. في الحوار مع الآخرين فإن استخدام السؤال كافٍ لبناء القناعه في النفس فالمحامى مثلاً عندما يطرح أسئلةً بلاغية في المذكرات القانونية، المقدمه منه فإن السؤال البلاغي يوجه ذهن القاضي للاستنتاج الذي تريده وكأنه وصل إليه بنفسه. فالإيه تعلمنا فن الترافع

ولهذا عليك عند إعداد الدفع أن تختتم دفعك بتساؤل يفرض الحقيقة: مثل أن تقول لمن قدم دعوى ثبت بطلان عقد الوكالة أن تختتم دفعك بعبارته "إذا ثبت بالدليل القاطع بطلان عقد الوكالة، فهل يصح الاستناد إلى أي إجراء تلاه؟". هذا الأسلوب "الرفيق" في الطرح هو قمة الجرأة في الحق لأنه يترك للخصم مخرجاً وللقاضي قناعة.

4. التلطف في "عرض المطالب"
الرفق بالمدعويين يقتضي مخاطبتهم بما يحبون. مخاطبة المحكمة بالتبجيل (المحكمة الموقرة) والزملاء بالاحترام (الزميل العزيز) ليس مجرد بروتوكول، بل هو تطبيق لروح "يا قوم" في خلق بيئة مهنية ناضجة.

* التطبيق: صياغة الطلبات بأسلوب يظهر التواضع أمام القانون: "تلتمس عدالة المحكمة..." بدلاً من "يجب على المحكمة...". خاتمة عملية

إن "الرفق" الذي تعلمناه من نداء نوح هو قوة ناعمة. في مهنتك كقانوني، عندما تستخدم لغة راقية، هادئة، ومحترمة، فإنك تضع الخصم في موقف "المحرج" إذا ما اختار هو لغة هابطة، وتكسب ثقة القاضي الذي يبحث عن الحقيقة وسط ضجيج الخصومات

المفهوم الرابع

الرحمة بالعباد

تتجلى في نداء نوح: {يَا قَوْمُ} وفي أمر الله له بصناعة القلک: {فَاسْئَلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ}.

* المعنى: إرسال الرسل في حد ذاته هو رحمة لإنقاذ البشر من التيه والهلاك. وصناعة السفينة كانت وسيلة لرحمة المؤمنين وحتى الحيوانات من الطوفان.

* الدرس العملي: الرحمة هي "روح القانون". في ممارستك لعملك أو حياتك، يجب أن يكون هدفك هو النجاة للجميع وليس التشفى أو الإقصاء. القائد الناجح هو الذي يبني "سفينة" تسع الجميع وتنقذهم من الأزمات.

الفقرة الثالثة: "اغْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ" (جوهر المبدأ والنزاهة المطلقة)

* المدلول والتفسير: الدعوة لتوحيد القصد والوجهة لله وحده، ونفي أي سلطة أو معبود سواه.

* المفاهيم المستفادة:

المفهوم الأول

"التوحيد المهني والولاء للمبدأ": ألا يكون لقرارك شريك من هوى أو مصلحة أو خوف من بشر.

* الدروس في الحياة العملية: النزاهة تعني ألا يكون لضميرك "إله" (متحكم) غير الحق. فلا ترضخ لضغط ولا تمل مع هوى.

* التوجيهات والرسائل: "حدد بوصلتك!؛ إذا صلح الأصل (العقيدة/المبدأ) صلح كل ما يليه من عمل.

* للمسات البيانية والبلاغية: النفي بـ (ما) والاستغراق بـ (من): (ما لكم من إله) صيغة تنفي الأوهية عن غير الله نفيًا قاطعاً لا يدع مجالاً للشك، مما يخدم الوضوح والصرامة في الحق.

* أحكام التجويد ودورها: تفخيم لام لفظ الجلالة (الله): التفخيم الصوتي يزرع الهيبة والعظمة في

النفس، مما يتناسب تماماً مع جلال "التوحيد" وتفرد الخالق بالعبادة.

المفهوم الثاني

مضمون دعوة نوح عليه السلام وقيمها المركزية
تتلخص دعوة نوح في هذه الآية وما تبعها في عدة ركائز استراتيجية:

* وحدانية الألوهية (التوحيد):

الدعوة لم تكن لمجرد الإقرار بوجود الله، بل بـ "إفراد العبادة". فالمشكلة لم تكن في إنكار الخالق ، بل في اتخاذ شركاء معه.

* المنهجية الأخلاقية (التقوى):

ربط العبادة بالتقوى؛ فالعبادة ليست طقوساً جافة، بل هي وقاية (تقوى) تحجز الإنسان عن الظلم والفساد والشرك.

* إقامة الحجة العقلية:

استخدم نوح عليه السلام أسلوب التساؤل الفكري "أفلا تتقون" لتحريك عقولهم وجعلهم يراجعون موروثاتهم الوثنية التي لم تعد تتماشى مع العقل السليم.

* المسؤولية الجماعية:

خاطبهم بلفظ "يا قوم"، مما يشير إلى أن دعوته تهدف لإصلاح المجتمع ككل، وأن انحراف العقيدة يؤدي بالضرورة إلى هلاك الجماعة لا الفرد وحده.

ثالثاً: الرسائل السلوكية المستفادة

* التجرد: نوح عليه السلام بدأ دعوته بتعريف المصدر (الله) لا بتعريف نفسه، مما يعلمنا أن الهدف في أي عمل إصلاحى هو "الحق" وليس "الشخص".

* الصبر الجميل: الإشارة إلى "أرسلنا" تعني وجود مهمة شاقة تتطلب نفساً طويلاً أمام تكبر الخصوم ووصفهم له بأنه "بشر مثلهم".

المفهوم الثالث

كيف تستفيد من الآية في مراجعته علاقتك مع الله

تعد الآية 23 من سورة المؤمنون مرآة دقيقة يعرض الإنسان عليها نفسه ليقيس مدى توازن علاقته بخالقه. الاستفادة من هذه الآية في المراجعة الذاتية تتم عبر ثلاثة محاور أساسية:

1. مراجعة "بوصلة الولاء" (ما لكم من إله غيره)

العلاقة مع الله تبدأ بتقنية القلب من "الأنداد" الخفية.

* التساؤل الذاتي: هل هناك "إله" خفي يشارك الله في توجيه قراراتي؟ (مثل: الخوف الزائد من كلام الناس، الركض خلف المادة كغاية قصوى، أو الانصياع للهوى النفسي).

* التطبيق: المراجعة هنا تقتضي إعادة "الله" ليكون هو المركز. فإذا تعارض أمر الله مع مصلحة شخصية أو ضغط اجتماعي، تظهر حقيقة التوحيد في قلبك.

2. الانتقال من "الطقوس" إلى "العبودية الشاملة" (اعبدوا الله)

كثيراً ما تقتصر علاقتنا بالله على العبادات الشعائرية (صلاة، صيام)، لكن الآية تدعو لـ "العبادة" بمعناها الواسع.

* التساؤل الذاتي: هل يمتد أثر صلاتي ليكون "عبادة" في حياتي في سلوكي في تعاملتي مع الآخرين العبادة تمتد لتشمل الاقتصاد والسياسة وإقامه الدول وكل خطوه في حياتك

* التطبيق: العبادة الحقيقية هي تحويل كل فعل مهني أو حياتي إلى "طاعة" لله من خلال الإتيان والنزاهة. مراجعة العلاقة هنا تعني سد الفجوة بين "المصلى" و "ميدان العمل".

3. تفعيل "رادار التقوى" (أفلا تتقون)

هذا السؤال الاستنكاري هو دعوة لليقظة الدائمة.

* التساؤل الذاتي: هل أراقب الله في "الخلوات" كما أراقبه في "الجلوات"؟ هل أتقي الله في الكلمة التي أكتبها أو الشهادة التي أدلي بها؟

* التطبيق: التقوى هي "الحذر الأخلاقي". مراجعة العلاقة تقتضي تقييم مدى استحضارك لعظمة الله قبل الإقدام على أي فعل. إذا وجدت نفسك تتجراً على الصغائر، فهذا مؤشر على ضعف "الوقاية" (التقوى) في قلبك.

الخلاصة:

الاستفادة من الآية هي أن تدرك أن الله أرسل الرسل رحمةً بك ليدلوك على "طريق النجاة". مراجعة علاقتك بالله تعني أن تضع نفسك في "سفينة نوح" (سفينة الطاعة والعمل)، وتترك "هوى" الذي أغرق القوم الذين استكبروا.

الفقرة الرابعة: "أفلا تتقون" (محرك الرقابة الذاتية والتحفيز الذهني)

* المدلول والتفسير: تساؤل يحث على الحذر من عواقب الإعراض، ويدعو لليقظة من الغفلة.

* المفاهيم المستفادة:

المفهوم الاول

"التقوى الإجرائية"؛ وهي الحذر الدائم من الخطأ قبل وقوعه.
* الدروس في الحياة العملية: هي "الضمير المهني" الذي يجعلك تتساءل قبل كل إجراء: "هل هذا يرضي الله؟ هل هذا يحقق العدالة؟".

* التوجيهات والرسائل: "اجعل رقيبك داخلك"؛ التقوى تحميك حين تغيب الرقابة البشرية.
* اللسمات البيانية والبلاغية: الاستفهام التقريري: استخدام "الهمزة" و "الفاء" للترتيب والتعقيب، للدلالة على أن التقوى يجب أن تكون النتيجة التلقائية المباشرة لسماع الحق.
* أحكام التجويد ودورها: المد العارض للسكون في (تتقون): الوقوف بالمد مع السكون في نهاية الآية يعطي "صدى" للسؤال في العقل، ويترك فترة صمت تتيح للمخاطب التفكير في الإجابة، مما يعزز أسلوب التحفيز للهداية.

ملخص الفوائد والعلاقات

* الفائدة الكبرى: الآية تبدأ بـ "التأكيد" وتنتهي بـ "التساؤل"؛ لتخبرنا أن الحق حقيقة ثابتة، لكن الوصول إليه يحتاج إلى عقل يتساءل وقلب يتقي.
* الربط الشامل: الجماليات الصوتية (تجويد) تخدم البلاغة (لفظ)، والبلاغة تخدم المعنى (تفسير)، والمعنى يخدم السلوك (عمل).

المفهوم الثاني

التقوى والخوف من الله

جاءت في تساؤل نوح المستنكر: {أَفَلَا تَتَّقُونَ}.
* المعنى: التقوى هي "الوقاية" من سخط الله بامتثال أوامره، وهي المحرك الذي يحول المعرفة إلى سلوك.
* الدرس العملي: الخوف من الله هو "الخوف الإيجابي" الذي يمنعك من الظلم أو أكل حقوق الناس. هو الرقيب الداخلي الذي يعمل عندما تغيب أعين البشر، وهو الذي يضمن نزاهة التعاملات المالية والمهنية.

المفهوم الثالث

دور التقوى في توجيه السلوك

تعد التقوى في جوهرها "جهاز رقابة داخلي" فائق الدقة، وهي المحرك الأساسي الذي يحول القناعات الذهنية إلى سلوكيات منضبطة. إذا كان العلم هو "الخريطة"، فالتقوى هي "البوصلة" التي تمنع الانحراف أثناء السير.

إليك شرح لدور التقوى في توجيه السلوك من خلال ثلاثة أبعاد رئيسية:

1. الانتقال من "الرقابة الخارجية" إلى "الرقابة الذاتية"
في غياب التقوى، ينضبط سلوك الإنسان فقط عند وجود "سلطة" (قانون، مدير، كاميرا مراقبة). أما التقوى، فهي تجعل الإنسان يراقب نفسه بنفسه.
* الأثر السلوكي: الامتناع عن الخطأ ليس خوفاً من العقوبة البشرية، بل تعظيماً للمبدأ (مراقبة الخالق). وهذا يخلق شخصية موثوقة لا يتغير سلوكها بتغير الظروف أو غياب الرقيب.

2. التقوى كأداة لـ "ضبط الانفعالات" (الفرقان)
يقول الله تعالى: {إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا}. الفرقان هو القدرة على التمييز بين الحق والباطل في لحظات الالتباس.

* الأثر السلوكي: عندما يتعرض الشخص لموقف يستثير غضبه أو أطماعه، تعمل التقوى كـ "كابح" فوري. هي التي تمنع رد الفعل العنيف أو القرار المتهور، لأن المتقي يرى عواقب الفعل البعيدة قبل لذته القريبة.

3. تحويل "العمل العادي" إلى "قيمة أخلاقية"
التقوى تعيد تعريف الأفعال الروتينية؛ فإتقان العمل ليس مجرد وسيلة لزيادة الراتب، بل هو جزء من "تقوى الله".

* الأثر السلوكي: تظهر هنا "الأمانة المهنية". الموظف المتقي لا يحتاج إلى توصيف وظيفي معقد ليخلص في عمله، لأن التقوى تدفعه لتقديم "الإحسان" (أعلى مراتب الجودة) كجزء من عبادته.

خلاصة القول

التقوى في السلوك هي "الوقاية من السقوط الأخلاقي". فهي تحمي الفرد من أن يقوده هواه، وتجعل العقل هو القائد والمبدأ هو الموجه. في البيئة المهنية، الموظف أو المسؤول "المتقي" هو العملة النادرة لأنه يمتلك حصانة ذاتية ضد الفساد والتقصير.

المفهوم الرابع

دور التقوى في مواجهة "الضغوط المهنية" التي قد تدفع الشخص للتنازل عن مبادئه؟

تعد المواجهة بين التقوى و الضغوط المهنية واحدة من أدق الاختبارات التي يمر بها الشخص في حياته العملية، حيث تتحول التقوى هنا من مجرد "قيمة إيمانية" إلى "صلابة نفسية" تحمي الإنسان من الانكسار أمام المغريات أو التهديدات.

إليك كيف تعمل التقوى كدرع واق في بيئة العمل:

1. التحرر من "عبودية النتائج" مقابل "سلامة المنهج"

أكبر ضغط مهني يواجه المرء هو الخوف من فقدان الوظيفة أو ضياع ترقية إذا لم يمثل لقرار غير نزيه.

* دور التقوى: تمنح الفرد اليقين بأن "الرزق" ليس بيد المدير أو المؤسسة بل هو مقدر. هذا اليقين يقلل من القلق الوجودي، مما يجعله أقدر على قول "لا" للضغوط غير الأخلاقية بجرأة وثبات.

2. مواجهة "الاستقطاب" و "ضغط المجموعه

أحياناً يكون الضغط ليس من المدير، بل من الزملاء الذين اعتادوا على تجاوزات معينة (مثل التساهل في تقارير، أو قبول هدايا غير مشروعة).

* دور التقوى: تمنح الشخص "الفردية الأخلاقية". المتقي لا يسير خلف القطيع إذا كان القطيع يسير نحو الهاوية. التقوى تجعل مرجعيته (المبدأ) أقوى من مرجعيته (العادة الاجتماعية)، فيصبح هو المؤثر في محيطه بدلاً من أن يتأثر بانحرافهم.

3. الصمود أمام "الابتزاز الوظيفي"

قد يوضع الموظف في مواقف تجبره على الاختيار بين أمانته المهنية وبين "تسهيل" أمور غير قانونية لإرضاء أصحاب نفوذ.

* دور التقوى: تعمل كميزان للربح والخسارة الحقيقيين. المتقي يرى أن خسارة "السمعة والأمانة" أكبر بكثير من أي مكسب مادي زائل. هي تعطيه القدرة على استشراف العواقب القانونية والأخلاقية البعيدة (الوقاية)، مما يمنعه من الانزلاق في فخاخ قد تنهي مسيرته لاحقاً. خطوات عملية لتحويل "التقوى" إلى استراتيجية صمود مهني:

* وضوح الحدود الحمراء: لا تنتظر وقوع الضغط لتحديد موقفك. المتقي يضع "دستوراً شخصياً" لمبادئه قبل دخول أي مهمة.

* الشفافية كوقاية: عندما تعرض عليك ضغوط، تعامل معها بوضوح مهني عال. وثق قراراتك، واجعل ردودك مستندة إلى "القانون" و "المصلحة العامة"، فالوضوح هو أقوى سلاح للمتقي.

* البحث عن "البيئة المعينة": التقوى تزداد بالرفقة الصالحة والمهنية. ابحث عن زملاء يشاركونك نفس المبادئ لتشكلوا معاً "كتلة حرجة" تقاوم الفساد الإداري.

تأمل في سياق الآيات التي ناقشناها:

في قصة نوح عليه السلام، واجه "الملا" (أصحاب الجاه والمال) الذين حاولوا الضغط عليه وتشويه صورته (الآية 24). لكن "التقوى" التي دعاهم إليها كانت هي ذاتها السلاح الذي اعتصم به؛ فلم يتنازل عن دعوته مقابل قبولهم الاجتماعي، ولم يضعف أمام استهزائهم بصناعة السفينة

الأمر الثاني

تتضمن الآية 23 من سورة المؤمنون مفاهيم عميقة يمكن إسقاطها على حياتنا العملية والمهنية، بعيداً عن مجرد السياق التاريخي، وهي تقدم نموذجاً "للمصلح" أو "القائد" في مواجهة التحديات:

المفهوم الأول

مفهوم "المسؤولية الاجتماعية" (يا قوم)

* في العمل: لا ينفصل الفرد عن بيئته المهنية. النداء بـ "يا قوم" يعلمنا أن أي مبادرة تطويرية أو إصلاحية داخل مؤسسة يجب أن تنطلق من شعور بالانتماء للجماعة (فريق العمل)، وليس من برج عاجي.

* التطبيق: عندما ترى خلافاً في منظومة عملك، ابدأ نصيحتك بروح الشراكة والمصلحة العامة، ف الانتماء يكسر حدة الرفض لدى الآخرين.

المفهوم الثاني

وضوح "الرؤية والهدف الأسمى" (اعبدوا الله)

* في العمل: ضياع الأهداف الصغيرة وتشتت المهام غالباً ما يكون سببه غياب "الهدف المركز الأ كبر". دعوة نوح كانت صريحة ومباشرة (هدف واحد واضح).

* التطبيق: في أي مشروع، يجب تحديد "البوصلة" التي يرجع إليها الجميع عند الاختلاف. الوضوح في الغاية يمنع التخبط الإداري والنزاعات الجانبية.

المفهوم الثالث

معيار "الاستحقاق والنزاهة" (ما لكم من إله غيره)

* في العمل: تشير الآية إلى نفي الشركاء، وفي حياتنا العملية "الشركاء" قد يكونون المصالح الشخصية، المحاباة، أو الخضوع لضغوط غير مهنية تخل بميزان الحق.

* التطبيق: التفاني في العمل (الإخلاص) يقتضي ألا يكون هناك "سيد" لقرارك المهني سوى الحق والأمانة والقانون. النزاهة تعني عدم السماح للأهواء بمشاركة المبادئ في توجيه قراراتك. المفهوم الرابع مفهوم "الرقابة الذاتية" (أفلا تتقون) * في العمل: التقوى في السياق العملي هي "الضمير المهني". هي وقاية الفرد لنفسه من الوقوع في الخطأ أو التقصير دون الحاجة لرقيب خارجي. * التطبيق: بناء ثقافة العمل على "التقوى المهنية" يقلل من تكاليف الرقابة ويزيد من جودة المخرجات. السؤال (أفلا تتقون) هو دعوة دائمة لمراجعة الذات: هل نُؤدي عملنا بما يرضي الله ويحقق الأمانة؟

المفهوم الخامس مواجهة "مقاومة التغيير" * في العمل: نوح عليه السلام واجه منظومة قديمة مستقرة (الأصنام)، وأي فكرة جديدة أو نظام عمل متطور سيواجه مقاومة من أصحاب المصالح أو المتمسكين بالقديم. * التطبيق: التغيير يتطلب شجاعة في الطرح، وصبراً على النتائج، واستخدام الحجة المنطقية الهادئة بدلاً من الصدام العنيف.

المفهوم السادس اهمية الجراءة في الحق كمفهوم مستنبط من الآية تعتبر الجراءة في الحق أحد أسمى المفاهيم المستنبطة من الآية 23، وهي ليست مجرد "شجاعة" عارضة، بل هي موقف إراتيجي نابع من رسوخ العقيدة واليقين. في قول نوح عليه السلام: {يَا قَوْمِ اغْبُدُوا لِلَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}، نجد تجلياً واضحاً لهذه الجراءة التي يمكن تفصيل أهميتها في حياتنا العملية والمهنية كالتالي:

1. كسر "حاجز الهيبة" الزائف نوح عليه السلام وقف وحيداً أمام منظومة اجتماعية وسياسية واقتصادية مستقرة (الأصنام والمأل). الجراءة هنا تعني عدم الهيبة من "الكثرة" أو "النفوذ" عندما يكون الحق واضحاً. * في الواقع المهني: الجراءة في الحق تمنع الموظف أو القانوني من "المداينة" (النفاق الوظيفي). هي القدرة على قول: "هذا الإجراء غير قانوني" أو "هذا القرار يضر بالمصلحة العامة"، حتى لو كان القائل وحيداً في مواجهة الأغلبية.

2. المبادرة وطرح "البديل الإصلاحي" الجراءة في الآية لم تكن لمجرد النقد، بل كانت لتقديم حل جوهري. لم يكتف بنقد وضعهم، بل قدم البديل (عبادة الله وحده).

* في الواقع المهني: الجراءة الحقيقية هي "جرأة المبادرة". أن تملك الشجاعة لطرح رؤية تطويرية جديدة تخرج المؤسسة من ركودها، وتحمل مسؤولية هذا الطرح أمام المشككين.

3. حماية "الأمانة المهنية" من التآكل الصمت عن الحق هو أول خطوات الفساد الإداري. الجراءة في الحق تعمل كـ "صمام أمان" يمنع انحراف المسار قبل فوات الأوان.

* في الواقع المهني: عندما يجرؤ الشخص على قول الحق، فهو يحمي نفسه ويحمي مؤسسته من تبعات قانونية أو أخلاقية مستقبلية قد تكون كارثية. الفرق بين "الجرأة في الحق" و "الثور"

القيمة المضافة للجرأة في الحق: الجراءة في الحق تصنع "القيادة الأخلاقية". فالتناس قد يختلفون مع الشخص الجريء، لكنهم في النهاية يحترمونه وينفقون برأيه لأنه لا يتلون بتلون الظروف. إنها تحول الإنسان من "تابع" ينفذ الأوامر دون تفكير، إلى "شريك" حقيقي يضيف قيمة ويصحح المسار.

المفهوم السابع سوف نستعرض كيف تحولت هذه الجراءة إلى "ثبات" في مواجهة سخرية القوم أثناء صناعة السفينة (الآية 27) لنرى كيف تحولت الجراءة في الحق في الآية 27 إلى أرقى درجات "الثبات المهني والمبدئي". فبينما كانت الآية 23 تمثل "شجاعة الطرح"، تمثل الآية 27 "شجاعة الاستمرار" رغم الضغوط والسخرية.

يقول الله تعالى: {فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا...}. إليك كيف يتجلى هذا الثبات في واقعنا العملي:

1. الثبات ضد "التنمر المهني" وسخرية المحيط كان نوح عليه السلام يصنع سفينة في بيئة صحراوية لا بحار فيها، مما جعل قومه يسخرون من "منطقية" فعله.

* في الواقع العملي: عندما تتبنى مشروعاً تطويرياً أو نظاماً قانونياً جديداً غير مألوف، قد تواجه تهكماً من زملائك أو اتهامات بـ "المثالية الزائدة".

* مفهوم الثبات: أن تستمد ثقتك من صحة منهجك (بأعيننا ووحينا) وليس من تصفيق المحيطين بك. الجرأة هنا هي القدرة على العمل بصمت وإتقان وسط ضجيج المشككين.

2. الدقة في "التنفيذ" تحت الضغط (اصنع الثلج)
الجرأة في الحق لا تعني الشعارات فقط، بل تعني الالتزام بالمعايير الفنية الدقيقة حتى في أصعب الظروف.

* في الواقع العملي: الثبات هو ألا تسمح للضغوط النفسية أن تؤثر على جودة "مخرجاتك". نوح عليه السلام لم يكتف بالصبر، بل انشغل بالبناء (صناعة السفينة) بأعلى معايير الدقة الإلهية.

* التطبيق: الاستمرار في أداء المهام الموكلة إليك بأمانة قانونية أو فنية كاملة، رغم وجود إحباطات إدارية، هو أعلى أنواع الجرأة في الحق.

3. مفهوم "المعية الإلهية" كوقود للصمود (بأعيننا)
عندما يشعر المصلح أو المهني النزيه أنه "تحت المراقبة التقديرية" (بأعيننا)، يتولد لديه صمود لا يتوفر لغيره.

* في الواقع العملي: اليقين بأن إخلاصك في عملك مرصود ومقدر عند الله (أو أنه سيثمر ولو بعد حين) يجعلك لا تنتظر كلمة شكر من أحد. هذا الانفصال عن "شهوة الثناء" هو سر الثبات المهني الطويل.

خلاصة

الثبات هو "البرهان العملي" على صدق الجرأة. فمن يجرؤ على القول ثم يتراجع عند أول سخرية لم يكن صادقاً في جرأته، أما من يبني "سفينته" وسط الصحراء فهو الذي سيقود الناجين في النهاية.

الأمر الثالث

دور المصلح والداعية وأهميه الاستفادة من أسلوب ياقوم أفلا تتقون
تعد هذه الآية (23 من سورة المؤمنون) دستوراً متكاملًا لمن يتصدى لمهمة الدعوة والإصلاح، حيث ترسم منهجاً يجمع بين رقة العبارة، وعمق الاستثارة الفكرية، وقوة الضبط اللغوي والجمالي.

إليك تحليل لدور المصلح واستخدامه لهذه الأدوات البلاغية والبيانية للوصول إلى أعماق النفس:

1. دور المصلح في ضوء "يا قوم": الاحتواء النفسي ونبذ الاستفزاز
* الدور الرسالي: المصلح هنا ليس "قاضياً" يصدر الأحكام، بل هو "قريب" مشفق. كلمة "يا قوم" تكررت لتبني جسراً من الثقة.

* اللمسة البيانية: إضافة "قوم" إلى "يا المتكلم" المحذوفة) يا قوم (تفيد التودد والقرب الشديد . هي رسالة مبطنة تقول: "أنا جزء منكم، ما يضركم يضرني".

* الابتعاد عن الاستفزاز: لم يقل "يا أيها الضالون" أو "يا أيها المشركون"، بل اختار وصفاً يجمعهم ولا يفرقهم. وهذا يعلم المصلح أن اختيار الكلمة "الجامعة" مقدم على الكلمة "الفارقة" في بداية النص.

2. دور التحفيز في "أفلا تتقون": استجلاب الهداية بالتساؤل
* أسلوب التحفيز: لم يأت الأمر بالتقوى بصيغة جافة (اتقوا الله)، بل جاء بصيغة العرض والاستفهام التوبيخي اللطيف.

* اللمسة البلاغية: أفلا تتقون (تسمى "استفهاماً تقريرياً إنكارياً". الغرض منه ليس طلب الإجابة، بل هزّ الوجدان وجعل المدعو يسأل نفسه: "لماذا لا أتقي؟ وما الذي يمنعني من النجاة؟".

* الأثر النفسي: هذا الأسلوب يحفز "الرقابة الذاتية" بدلاً من "الخضوع للإكراه". الهداية التي تأتي من قناعة داخلية عبر سؤال محفز هي الأكثر ثباتاً.

3. توظيف أحكام التجويد واللمسات البيانية لخدمة الهدف
تخدم القواعد التجويدية في هذه الآية إيصال المعنى بوقار وهيبة تؤثر في السامع:

* المد الطبيعي في (يَا قَوْمِ اعْبُدُوا): عند مد كلمة "يا" يعطي النداء مساحة زمنية في أذن السامع لتنبيهه وجذب انتباهه قبل إلقاء الأمر العظيم (اعبدوا الله).

* القلقله في (وَلَقَدْ): حرف الدال المقلقل في البداية يعطي نوعاً من القرع والتنبيه والتوكيد؛ فالقلقله صوت قوي يشعر السامع بأن ما سيأتي هو خبر يقيني لا يحتمل الشك.

* التفخيم في لفظ الجلالة (الله): يأتي لفظ الجلالة مفخماً بعد فتح، مما يضفي هيبة وعظمة في روع المدعو، ليتناسب جلال الصوت مع عظمة الذات الإلهية المدعو لتمجيدها.

* المد العارض للسكون في (تَتَّقُونَ): الوقوف بالمد في نهاية الآية يعطي فرصة لـ "رنين المعنى" أن يستقر في النفس. السكون بعد المد يشبه لحظة الصمت التي تتبع السؤال المصيري، لتعطي فرصة للتفكير.

الخلاصة للمصلح والداعية:

إن هذه الآية تعلمك أن الوصول إلى "أعماق النفس" يتطلب مزج الحق بالرفق. فلا يكفي أن يكون قولك حقاً، بل يجب أن يكون مخرج الحروف (تجويداً) نابعاً من وقار، واختيار الكلمات (بلاغة) نابعاً من حكمة، ومناداة الناس (دعوة) نابعة من حب.

الفصل الثاني

معرفة الخصوم وتشخيص جبهه المعارضه
ترسم لنا الايه ٢٤ من سورة المؤمنون، صوره كامله تجسد "الثوره المضاده" وصدمة النخبة
المستكبرة أمام الحق. ولهذا سوف نقوم بتحليل الايه وتقسيمها إلى فقرات تجعل المشهد حيا أمام
عينيك، مع ربط الصوت بالمعنى والبلاغة بالتوجيه:
{فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ}

الفقرة الأولى: {فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ} (تشخيص جبهة المعارضة)

- * التفسير والمدلول: "الملا" هم النخبة، أصحاب الجاه والنفوذ الذين يملؤون العيون هيبة والصدور رهبة. هم أول من يتصدى للتغيير لأنهم المستفيدون من الوضع القائم.
- * اللامسات البيانية: التعبير بـ (الملا) يوحي بالتكتل والتحزب. فهم يقفون صفا واحدا بوجه الحق ووصفهم بـ (الذين كفروا) يوضح أن دافع الرد ليس منطقياً بل هو "الكفر" (التغطية على الحق) حماية لمصالحهم.
- * الأنغام الصوتية وأحكام التجويد:
* الفاء في (فقال): تفيد السرعة والتعقيب؛ أي أن ردهم كان جاهزاً وهجومياً، لم يمنحوا أنفسهم فرصة للتفكير.
- * التفعيم في (الملا) و(قال): القاف واللام المفخمة تعكس "الاستعلاء" و"الغطرسة" في نبرة صوته.
- * الرسائل والدروس:
* للمصلحين: اعلّموا أن أول مقاومة ستأتي من أصحاب المصالح (النخبة التقليدية).
* للأعداء: الكبر هو الغشاوة التي تمنعكم من رؤية الحقيقة مهما كانت واضحة.

الفقرة الثانية: {مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ} (استراتيجية التشويه والتقزيم)

- * التفسير والمدلول: محاولة إسقاط هيبة الرسالة من خلال "أنسنة" الرسول بأسلوب تحقيري. "هو واحد منكم، فكيف يتميز عنكم؟".
- * اللامسات البلاغية: أسلوب (القصير بـ "ما" و "إلا") للحصر والتحقير، كأنهم يقولون: "لا تبحثوا فيه عن معجزة، هو مجرد جسد وبشر". واستخدام اسم الإشارة (هذا) للتحقير (الإشارة للقريب لتقليل الشأن).
- * الأنغام الصوتية وأحكام التجويد:
* الهمس في حرف (ش) من (بشر): الهمس والرخاوة هنا يخدمان نشر "الوشوشة" والإشاعة و الشبهات بين الناس.
- * الإدغام في (بشر مثلكم): التنوين المتبوع بالميم (إدغام بغنة) يعطي رنيناً يوحي بالتكرار والإلحاح في إقناع العوام بهذه الشبهة.
- * الرسائل والدروس:
* للدعاة: احذروا من "شخصنة الخلاف"، فالباطل عندما يعجز عن رد الفكرة يهاجم صاحبها.
* للعوام: لا تنخدعوا بمن يحاول تقزيم العظماء بذريعة أنهم "بشر"، فالتميز يكون بالروح والمنهج لا بالجسد.

الفقرة الثالثة: {يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ} (اللعب على وتر التخويف والمكانة)

- * التفسير والمدلول: طعن في النوايا. اتهموه بأن دعوته ليست لله، بل هي "تسلق سياسي" ليصبح سيداً عليهم.
- * اللامسات البلاغية: اختيار فعل (يتفضل) يوحي بأنهم يصورون دعوته كنوع من التعالي الطبقي، لكي يستثيروا كبرياء الجماهير ضده.
- * الأنغام الصوتية وأحكام التجويد:
* الشدة في (يتفضل): تكرر حرف الضاد المشدد يصور "ثقل" التهمة والضغط النفسي الذي يمارسه الملا لتنفير الناس منه.
- * الرسائل والدروس:
* للمصلحين: ستتهمون في نواياكم، وسيقال إنكم تبحثون عن شهرة أو منصب؛ فاستعدوا بالنبات.
* التوجيه المهني: في القانون، هذا يسمى "الطعن في الغرض" لإسقاط مصداقية الخصم.

الفقرة الرابعة: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً} (المغالطة المنطقية والتعجيز)

- * التفسير والمدلول: وضع شروط مستحيلة للإيمان. "لماذا لم ينزل ملك؟".

- * اللامسات البلاغية: استخدام (لو) حرف امتناع لامتناع، للتعجيز وتبرير الكفر. وكلمة (ملائكة) للتفخيم والهروب من مواجهة "البشر" الذي يحمل الحق.
- * الأنغام الصوتية وأحكام التجويد:
- * المد المتصل في (شاء) و(ملائكة): المد الطويل هنا يجسد "المماثلة" و"التمطيط" في الجدل العقيم، ومحاولة تعظيم شروطهم التعجيزية بصوت ممتد.
- * الإخفاء في (لا تزل): صوت النون المخففة يعبر عن "الخفاء" في مكرهم وتدبيرهم للحقائق.
- * الرسائل والدروس:
- * للتلاميذ: تعلموا كشف "المغالطات المنطقية"؛ فالوحي نزل للبشر ليقتدوا ببشر، وليس للملائكة.

الفقرة الخامسة: {مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ} (سجن الماضي وتقديس الموروث)

- * التفسير والمدلول: الاستناد إلى "التاريخ" لرفض "الحق". الاحتجاج بالآباء هو العذر الدائم لكل من يخشى التفكير والتغيير.
- * اللامسات البلاغية: (ما سمعنا) نفي للسمع ليوحي بأن الحق "بدعة" أو "خرافة" لم تمر على أسلافهم، وكأن الحق يقاس بالقدم لا بالدليل.
- * الأنغام الصوتية وأحكام التجويد:
- * المد العارض للسكون في (الأولين): ينهي الآية بصوت منخفض وممتد، يجسد "الجمود" والركون إلى الماضي السحيق، وكأنهم يغلقون آذانهم عن المستقبل.
- * الرسائل والدروس:
- * للمعلمين: حذروا تلاميذكم من "التبعية العمياء" للموروث إذا خالف العقل والنقل الصحيح.
- * عبرة شاملة: الباطل قديم يتجدد بأساليبه (التشويه، التشكيك في النوايا، الاحتجاج بالماضي).

تجسيد الصورة الكلية:

تخيل المشهد: نوح عليه السلام يدعو برفق (يا قوم)، وفي المقابل تقوم "النخبة" (الملا) بحركة سريعة (ف- قال)، يلتفون حول الناس، يشيرون إليه باحتقار (ما هذا)، يهمسون في آذان العوام (بشر مثلكم)، يحركون مشاعر الغيرة (يريد أن يتفضل عليكم)، ثم يرفعون أصواتهم بحجج تعجيزية (لو شاء الله لا نزل ملائكة)، ويختمون بإغلاق العقول تماماً بالرجوع للمقابر (آباءنا الأولين). هذه الآية هي "مختبر" لفهم سيكولوجية الجماهير وكيف يقود "الملا" الرأي العام نحو الهاوية بصناعة "عدو وهمي" من المصلح الحقيقي وهذا فيه

الدرس الاول

دلالة ذكر الملاء للتعريف بالخصوم الذين يقفون في طريق الدعوة يعد استشعار الداعية لطبيعة "الخصوم" جزءاً أصيلاً من الوعي الاستراتيجي في العمل الإصلاحي. فالقرآن الكريم لم يذكر "الملا" في قصص الأنبياء عبثاً، بل ليرسم لنا خريطة طريق للقوى التي ستصطدم بالحق دوماً.

إليك تفصيل لهذه القضية الحيوية:

1. من هم الخصوم؟ (سيكولوجية الملا)
العدو الأول للدعوات الإصلاحية تاريخياً هو "الملا"، وهم: الأثرياء، أصحاب الجاه، والنخبة المتنفذة. أهمية استشعار ذلك:

- * تجنب الصدمة: حين يعلم الداعية أن الهجوم سيأتيه من "علية القوم"، لا يتفاجأ ولا يضعف.
- * تحديد لغة الخطاب: إدراك أن هؤلاء يمتلكون أدوات إعلامية ومادية قوية يتطلب خطاباً يجمع بين الحجة المنطقية والصلابة الأخلاقية.
- 2. أسباب وقوفهم في طريق الدعوة (لماذا هؤلاء بالذات؟)

هناك ثلاثة أسباب رئيسية تجعل "الأكابر" أعداءً طبيعيين لكل دعوة حق:

- * ارتباط المصالح بالفساد: غالباً ما تكون ثرواتهم ومكانتهم قائمة على وضع "غير عادل" (احتكار، ظلم، استغلال). والحق يطالب بـ "القسط" والعدل، مما يعني تقويض امتيازاتهم غير المشروعة.
- * الاستعلاء والطبقية: الحق يسوي بين الناس ("إن أكرمكم عند الله أتقاكم"). هذا المبدأ ينسف فكرة "السيادة العرقية أو المالية" التي يعيش عليها الملا، فلا يتقبلون أن يكونوا في صف واحد مع الفقراء والضعفاء.

* جمود الفكر (الولاء للموروث): الأكابر هم حراس "النظام القديم". أي فكرة جديدة تعني "تغييراً"، والتغيير يمثل مخاطرة لمن هم في قمة الهرم.

3. لماذا يخافون من ظهور الحق؟

يخافون لأن الحق "قوة كاشفة":

- * كشف الزيف: الحق يظهر أن مكانتهم ليست نتاج كفاءة، بل نتاج استبداد.
- * تحرر التابعين: الدعوة تحرر عقول "العوام" من التبعية العمياء، وإذا تحررت العقول، فقد "الملا" أدوات التحكم والسيطرة البشرية.

* المحاسبة: الحق يحمل معه منظومة "التقوى" و"مخافة الله"، وهو ما يعني وجود رقابة ومحاسبة تنهي حقبة "اللامسؤولية" التي يتمتعون بها.

4. الاغتيال المعنوي: السلاح القذر عندما يعجز المأ عن دحض "الفكرة"، يلجؤون لقتل "صاحب الفكرة" معنويًا. الاغتيال المعنوي هو محاولة إسقاط هيبة الداعية من خلال:

* التشويه النفسي: (به جنة) لقول إن كلامه غير عقلاني.
* الطعن في النوايا: (يريد أن يتفضل عليكم) لقول إنه يطلب الرئاسة والجاه وليس وجه الله.
* السخرية والتقليل: (بشر مثلكم) لإشعار الناس أنه لا ميزة له عليهم، فلا داعي لاتباعه.
5. مواجهة تحدي "الترف المادي"

الترف المادي ليس مجرد غنى، بل هو "حالة طغيان" ناتجة عن الغنى. يواجه هذا التحدي عبر:
* الزهد الإيجابي: لا يعني الفقر، بل أن يكون المال في يد الداعية لا في قلبه، فلا يُبتز به.
* الاستغناء بالله: الشعور بأن "العزة لله"، مما يجعل الداعية لا ينبهر بذهبهم ولا يخاف من فقرهم.

* تقديم النموذج البديل: إظهار أن السعادة الحقيقية في القيم والمبادئ، لا في تكديس الأموال.
6. دور الداعية في مواجهة كل ذلك

* الصمود والثبات: عدم التراجع أمام حملات التشويه، فالثبات هو الذي يحول "الإشاعة" إلى "شهادة قوة" لصالح الداعية.

* الرحمة بالمدعويين (العوام): عزل "المأ" المستكبرين عن "القوم" المضللين. يجب على الداعية أن يرفق بالعوام الذين خدعهم المأ، ويحاول فك أسر عقولهم.

* الوضوح الشديد: قطع الطريق على اتهامات "طلب السلطة" من خلال التأكيد الدائم (ما أسألكم عليه من أجر).

* بناء الحاضنة المؤمنة: كما فعل نوح في صناعة السفينة، على الداعية بناء "مجتمع مصغر" يتربى على القيم الصحيحة ليكون نواة للمجتمع الجديد.
خاتمة عملية:

إن وعيك بأن خصمك "مترب" و"مستكبر" يجعلك تستخدم لغة "يا قوم" (الاستعطاف) مع الناس، ولغة "أفلا تتقون" (التحدي الأخلاقي) مع المأ. أنت لا تحارب أشخاصًا، بل تحارب "منظومة ظلم" تتدثر بالمال والجاه.

الدرس الثاني

استراتيجيه الردع والاحتواء لمواجهة اعداء الحق بناءً على الأصول القرآنية التي استخلصناها من مواجهة نوح عليه السلام لـ "المأ"، إليك "استراتيجية الردع والاحتواء"؛ وهي خطة عمل قانونية ودعوية للتعامل مع حملات التشويه والاغتيال المعنوي في العصر الحديث:

المرحلة الأولى: "تفكيك خطاب التشويه" (التحليل الاستراتيجي)
قبل الرد، يجب فهم "هندسة الإشاعة" التي يستخدمها الخصوم (المأ الجدد)، وهي عادة ما تقوم على ثلاثة محاور:

* الشخصنة: تحويل القضية من "فكرة" إلى "عيوب شخصية" في الداعية.
* التخويف من التغيير: تصوير المصلح كمهدد للاستقرار الاجتماعي (يريد أن يتفضل عليكم).
* الوصم بالاستعلاء: اتهام الداعية بأنه يرى نفسه "أفضل" من الآخرين (أنسنة الداعية لتحقيره).

المرحلة الثانية: "قواعد المواجهة" (التطبيق العملي)
1. قاعدة "الثبات الهادئ" (ردع الاغتيال المعنوي)

* لا تنجر لمربعات الشتم أو الدفاع الشخصي المستمر. نوح عليه السلام لم يرد على تهمة "الجنون" بالصراخ، بل قال: {يا قوم ليس بي ضلالة}.

* وثق حالات القذف والتشهير دون أن تجعلها تشغلك عن رسالتك. اجعل "قوة عملك" وإنجازك على الأرض هي "الرد الموضوعي" الذي يكذب الإشاعة.

2. قاعدة "النزاهة المالية" (مواجهة تحدي الترف)
* الوضوح التام في مصادر التمويل ورفض العطايا المشروطة. شعار {ما أسألكم عليه من أجر} هو الدرع الذي يحطم تهمة "طلب السيادة" (يريد أن يتفضل عليكم).

* الالتزام بالشفافية المالية التامة والحسابات العلنية، لقطع الطريق على "المأ" الذين يستخدمون سلاح "الذمة المالية" لتشويه المصلحين.

3. قاعدة "استرداد الحاضنة" (فصل العوام عن المأ)
* الاستراتيجية: المأ يحاولون بناء جدار بينك وبين الناس.

* التطبيق: كُثف لغة (يا قوم)؛ أي ركز على القواسم المشتركة مع المجتمع. أثبت للناس بالعمل الميداني والخدمي أنك منهم ولهم، وأن "المأ" هم الذين يستغلونهم لحماية مصالحهم الخاصة.

المرحلة الثالثة: "إدارة التواصل عند الأزمات" (بروتوكول الرد) عند وقوع حملة تشويه كبرى، اتبع الخطوات التالية (مستوحاة من {أفلا تتقون}):

- * الرد بالسؤال الاستنكاري: بدلا " من الدفاع، اطرح أسئلة تحرك ضمير الجمهور. (مثال: "هل مصلحة الوطن في إخفاء الحقيقة أم في مواجهتها؟").
- * تحويل التهديد إلى فرصة: استخدم "التربص" الذي يمارسونه (فتربصوا به) كدليل على ضعف حجتهم؛ فالقوي يحاور، والضعيف يتربص وينتظر سقوط الآخر.
- * صناعة "السفينة" (البديل الملموس): لا تكتفِ بالرد القولي؛ ابن مؤسسات، أو برامج، أو مبادرات تكون هي "سفينة النجاة" التي يراها الناس واقعا ملموسا يتجاوز كل إشاعة.

الخلاصة المهنية والرسالية:

إن مواجهة "أصحاب المصالح" تتطلب "نفسا طويلا " و**"نزاهة مطلقة"**. تذكر أن "المال" يمتلكون (الوسائل)، لكنك تمتلك (الغايات). هم يمتلكون (الضجيج)، وأنت تمتلك (الحق). وكما انتهت قصة نوح بـ {الحمد لله الذي نجانا}، فإن العاقبة دائما لمن ثبت على المبدأ واستخدم الحكمة في المواجهة.

بهذا نكون قد رسمنا "خارطة الطريق" المتكاملة لمواجهة تحديات "المال" والترف المادي.

الدرس الثالث

في هذه الفقرة سنقدم لكم اربع نقاط تمثل "الترياق الوقائي " للأمراض التي وقع فيها "المال" في الآية 24. والتي ينبغي أن نحذر من تلك الأخطاء لتكون دورسا ايجابيه نبني بها الشخصيه المسلمه التي تحافظ على نفسها من أمراض الأمم السابقيه فالوقايه خير من العلاج واليك شرح لهذه النقاط والدرس التربويه .:

1. قبول الحق بغض النظر عن المنزلة

- * من الآية: هم رفضوا نوحا لأنه في نظرهم "بشر مثلهم" أقل منهم جاها.
- * الدرس: الحق لا يُعرف بالرجال، بل يُعرف الرجال بالحق. إذا جاءتك النصيحة من موظف ناشئ، أو طالب مبتدئ، أو حتى طفل، فاجعل معيارك "قيمة الكلام" لا "منصب المتكلم". الكبر هو "بَطَر الحق وغفط الناس".

2. عدم الضيق من تفوق الآخرين) التحرر من الحسد)

- * من الآية: اتهموه بأنه) يريد أن يتفضل عليكم؛ لأنهم ضاقت نفوسهم أن يكون له فضل أو تميز ليس عندهم.

- * الدرس: تميز زميلك في الدراسة أو العمل ليس انتقاصا منك. تعلم أن "المنافسة الشريفة" تدفعك لـ أمام، بينما "الحسد" الضيق من تفوقهم (يستهلك طاقتك ويعيق نموك. اجعل شعارك: "اللهم بارك له وزدني من فضلك".

3. نبذ التعالي في التعامل مع الناس

- * من الآية: استعلوا بلقب "المال" واحترقوا من دونهم.
- * الدرس: التواضع هو "المغنطيس" الذي يجذب القلوب. كلما زاد علمك أو مالك، زد رحمة بمن حولك. تذكر أن نوحا بدأ بـ "يا قوم"، وهي قمة التواضع، فكن في تعاملك "قريبا" لا "متعاليا".

4. الحذر من الأحكام المسبقة) التفكير النقدي)

- * من الآية: رفضوا الدعوة فوراً لأنهم) ما سمعنا بهذا في آبائنا؛ أي حكموا الماضي والجمود قبل الفحص.

- * الدرس: العقل الناضج هو الذي يفحص الفكرة الجديدة بـ "ميزان الدليل" لا بـ "ميزان العادة". لا تقل "هذا ما وجدنا عليه آباءنا/مدرأنا السابقين"، بل قل "هل هذا الطرح صحيح ومنطقي؟".

تطبيق عملي) مهني وتربوي):

في مهنتك كمدير لموسسه ما ، هذه الدروس تجعلك "اداري بارعا"؛ لأنك:

- * ستستمع لنصائح من هم تحت ادارتك قبولاً للحق

- * لن تحقد على زميل لانه نجح في أداء العمل اكثر

- وكذلك فإن المحامي لن يحقد على زميله لانه كسب قضيه ما

- * وسيحترم الخصم والقاضي) عدم التعالي).

هذه الدروس هي التي تجعل من "الإنسان" مصلحاً حقيقياً ينجو في "ابتلاء" الحياة

الدرس الرابع .

كيف نطبق هذه القواعد في حياتنا المهنة اذا أن هذه التوجيهات ليست متعلقه بالكفار بل هي سلوكا يمارس في حياتنا دون أن نشعر ولهذا سوف نأخذ موقفاً عملياً من واقع مهنة المحاماه واطح بالذكر أصحاب هذه المهنة باعتبار أن هذا المجال هو الواقع الذي اعيشه ولهذا حبيت ان اقدم تجارب واقعيه أتوجه بهذا الخطاب للاخوه الزملاء في هذا المجال لان دورهم يشبه إلى حد كبير دور الداعيه في إظهار الحق وسوف نطبق عليه الدروس المستنبطة من الآية (24)، مع بيان كيف تدعم أحكام التجويد هذه المعاني في وجدانك المهني:

الموقف العملي: "جلسة مرافعة أمام خصم شاب أو اجتهد قضاي جديد" تخيل أنك في قاعة المحكمة، وقدم المحامي الخصم (وهو خريج جديد) دفعا قانونيا مبنيا على "نظرية قانونية حديثة" أو "تفسير رقمي جديد" لم تعود عليه في ممارستك الطويلة.

أولا : التطبيق السلوكي للدروس الأربعة

* قبول الحق (تجاوز منزلة الشخص):

بدلا من أن تقول في نفسك: "ماذا يعلم هذا المبتدئ؟" (وهو فخ وقع فيه الملاء بقولهم: بشر مثلكم)، استمع للدفع بإنصاف. قد يكون الحق معه، وقبولك له هنا يحميك من خسارة القضية لاحقا بسبب الكبر.

* عدم الضيق من التفوق:

عندما تجد أن حجتك قوية وذكية، لا تشعر بالتهديد لمكانتك (كما خاف الملاء: يريد أن يتفضل عليكم). بل اعتبر تميزه حافزا لك لتطوير أدواتك القانونية.

* نبذ التعالي:

خاطب الزميل الشاب والمحكمة بأدب ووقار (روح يا قوم). التعالي يغلق القلوب، بينما التواضع المهني يجعل القاضي يميل للاستماع إليك بتقدير أكبر.

* الحذر من الأحكام المسبقة:

لا ترفض الدفع لمجرد أنك لم تسمع به من قبل (سجن ما سمعنا بهذا في آبائنا). القانون يتطور، والجمود على القديم دون فحص قد يجعلك "محاميا تقليديا" يغرق في طوفان الحداثة.

ثانيا: دلالة أحكام التجويد في ترسيخ هذه الدروس

لقد وضع الله في "صوت" هذه الآية ما يحذرنا من صفات الملاء، لتنبه أذنك قبل قلبك:

1. مد "المماطلة" في (شاء) و(ملائكة):

* الحكم: مد متصل (4-5 حركات).

* الدلالة المهنية: هذا المد الطويل يصور "التمطيط" والهروب من الحقيقة. عندما تماطل في قبول الحق الواضح، تذكر أنك تشبه "الملاء" في مدهم العقيم. اجعل رذك موجزا ومباشرا ولا "تمط" في الباطل.

2. إدغام "التشكيك" في (بشر مثلكم):

* الحكم: إدغام بغنة.

* الدلالة المهنية: الغنة صوت يخرج من الخيشوم فيه "طنين". هذا الطنين يجسد "الإشاعة" و الوشوشة التي حاول الملاء بثها. في مهنتك، احذر من "دندنة" الوشائيات أو بناء دفعوك على "القليل والقال"، بل اعتمد على وضوح الدليل.

3. استعلاء "الكبر" في (قال) و(الملاء):

* الحكم: تفخيم القاف واللام.

* الدلالة المهنية: التفخيم يعطي صوتا ضخما يملأ الفم. هذا يذكرك بصوت "المستكبرين". عندما تحدث في المحكمة، اجعل تفخيم صوتك "للحق" وللهيئة القانونية، وليس "للاستعلاء" على الناس.

4. سكون "الجمود" في (الأولين):

* الحكم: مد عارض للسكون.

* الدلالة المهنية: الانتهاء بسكون ممتد يوحي بالانغلاق. الملاء أغلقوا عقولهم عند "الآباء الأولين". تذكر أن هذا السكون يجب أن يكون "سكون تدبر" لتبدأ بعده انطلاقة جديدة، لا "سكون موت" فكري يمنعك من مواكبة كل جديد في علم القانون.

الخلاصة للداعية ولكل مسلم في مواقفه :

الآية (24) بصوتها وبلاغتها تقول لك: "لا تكن سجين ما تعرفه، ولا تكن عدو من لا تعرفه". النجاة المهنية والأخلاقية تكمن في أن تكون "مرنا مع الحق" و"صلبا مع المبدأ"

الدرس الخامس

لماذا يركز الكفار في ردهم على بشرية الرسول وأنهم لم يسمعوا بذلك من آباءهم وان الدعاة و الرسل يريدون مكاسب سياسية ومالية واجتماعية؟

المفهوم الاول

ركز الكفار في ردهم لدعوة نوح عليه السلام على استراتيجيات نفسية واجتماعية تهدف إلى حماية مكتسباتهم، وقد كشفت الآية (24) من سورة المؤمنون هذه الأدوات بوضوح باهر.

إليك التحليل العميق لأسباب هذا التركيز ومنطلقاته:

1. لماذا التركيز على "بشر مثلكم"؟ (استراتيجية النزع القدسي)

الهدف من هذه الجملة هو "التقزيم" و**"التسوية**؛ فالحق يحمل مهابة تجعل الناس ينصاعون له، لذا أراد الملاء كسر هذه المهابة من خلال:

* إلغاء الميزة: عندما يقولون "بشر مثلكم" فهم يوهمون العامة بأن نوحا لا يملك ما لا يملكون،

فإذا كان بشراً يأكل ويشرب ويمشي في الأسواق، فبأي حق يتبعونه؟
* إثارة الأنفة والكبر: اللعب على وتر "المساواة البشرية" لاستثارة كبرياء السامعين؛ كأنهم يقولون: "كيف تطيعون شخصاً هو في أصله مثلكم؟".

* الهروب من الحجة إلى الذات: بدلاً من مناقشة "صحة الكلام"، ركزوا على "هوية المتكلم"، وهي مغالطة منطقية شهيرة تهدف لصرف النظر عن جوهر الرسالة.

2. لماذا فسروا الدعوة بمنظور مادي (يريد أن يتفضل عليكم)؟
تفسير الدعوة بأنها "طلب للسيادة" (منظور مادي) يعكس طبيعة تفكير الملائكة أنفسهم، وذلك لعدة أسباب:

* الإسقاط النفسي: لأنهم لا يتحركون إلا لمصلحة مادية أو سلطة، ظنوا أن كل مصلح يتحرك لنفس الدوافع. هم لا يعرفون مفهوم "التضحية" أو "البلاغ لله".

* تسميم الأجواء: تصوير الدعوة كـ "انقلاب سياسي" أو "سعي للمنصب" يهدف لتغيير الناس منه؛ فالإنسان بطبعه ينفر من ممن يحاول "التفضل" عليهم أو استعبادهم، وبذلك حولوا "الناصح" إلى "منافس" في أعين القوم.

* إجهاد الثورة الأخلاقية: من السهل مواجهة شخص يطلب "سلطة" بصراع القوة، لكن من الصعب مواجهة شخص يطلب "أخلاقاً"، فجعلوا المعركة صراعاً على "الوجاهة" لا على "الحق".

3. دلالة "ما سمعنا بهذا" (سجن التقليد الأعمى)
قولهم (ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين) هو اعتراف صريح بهزيمتهم الفكرية، ودلالته:

* الاستدلال بالعدم: ادعوا أن "عدم سماعهم" بالشيء دليل على "بطلانه"، وهذا قمة الجهل؛ فالحق حق وإن لم يُسمع به من قبل.

* تقديس الموروث (الجمود): جعلوا "التاريخ" هو الحاكم على "الوحي"، واعتبروا أن آباءهم هم سقف المعرفة البشرية. أي فكرة لا تمر عبر مصفاة الماضي هي "بدعة" مرفوضة.

* رفض التفكير المستقل: الكلمة تعكس عجزهم عن استخدام عقولهم لفحص الدليل القائم أمامهم، فلجؤوا إلى "الاستظهار بالكثرة" و"القدم"، وهو هروب من مسؤولية القرار العقلي الفردي. دلالات أحكام التجويد في خدمة هذه المعاني:

* المد المتصل في (ملائكة): عندما اقترحوا نزول الملائكة كبديل للبشر، مدوا الكلمة صوتاً؛ وهذا المد يجسد "التعجيز والمماطلة". هم لا يريدون ملائكة حقيقية، بل يريدون حجة "بعيدة" تبرر بقاءهم على حالهم.

* الإظهار في (تَشَرُّ مثلكم): (عند قراءتها بالإظهار في بعض الروايات أو كسر التنوين لالتقاء الساكنين في سياقها) أو حتى قوة النطق بالباء والشين؛ توحى بـ "الفجاجة" في الطرح والحدة في الهجوم الشخصي.

* تفخيم القاف في (قَالَ - قَوْمِهِ): تعكس نبرة "الاستعلاء السلطوي"؛ فالتفخيم صوتي يملأ الفم، وكذلك الملائكة أرادوا ملء الفضاء بأصواتهم لإسكات صوت الحق الهادي. الدروس والرسائل المستفادة:

* للداعية والمصلح: لا تبتئس إذا اتهموك بطلب الشهرة أو "التريند"؛ فهذا هو سلاح الملائكة القديم (يريد أن يتفضل).

* للعوام: لا تقيسوا الأفكار بـ "عمرها" أو بـ "من قالها"، بل بـ "صحتها" و"برهانها".

* للأعداء: الهروب إلى "الآباء" هو اعتراف بضيق العقل عن استيعاب "الحاضر".

المفهوم الثاني

تشويه الحقائق عبر "الشخصنة" هو واحد من أخطر الأسلحة التي استخدمها "الملائكة" ضد الأنبياء، وهو سلاح يُستخدم حتى يومنا هذا لإجهاض أي فكرة إصلاحية.

إليك شرح هذا المفهوم وكيفية علاج السطحية التي تسمح بانتشاره:

أولاً: تشويه الحقائق بتحويل الدعوة إلى "شخصنة"

الشخصنة تعني: نقل الصراع من "محتوى الفكرة" إلى "ذات القائل". بدلاً من أن يناقش الكفار منطق نوح عليه السلام، ناقشوا "بشريته" و"نواياه".

1. آليات التشويه بالشخصنة:

* صرف الأنظار: عندما يكون الحق قوياً وواضحاً، يعجز الباطل عن الرد المنطقي، فيقوم بفتح "جبهة جانبية" تتعلق بشخص الداعية) ثوبه، فقره، عائلته، ماضيه (ليشغل الناس عن جوهر القضية.

* نزع المصداقية: الهدف هو إقناع الناس بأنه "إذا سقط القائل، سقط القول". فإذا نجحوا في تصوير المصلح كشخص يبحث عن وجاهة) يريد أن يتفضل، فإن الناس سيتشككون في كل كلمة يقولها حتى لو كانت صدقاً.

* تسميم البئر: وهو مصطلح منطقي يعني إلقاء تهمة على الشخص قبل أن يتكلم، بحيث يصبح كل ما يقوله لاحقاً غير مقبول. مثل قولهم: "إنه مجنون"، فمهما قال من حكمة، سيقول الناس: هذا كلام مجاني.

- ثانياً: علاج السطحية في التفكير
- السطحية هي "التربة الخصبة" التي تنمو فيها الشخصية؛ لأن الإنسان السطحي يرى الأشخاص ولا يرى الأفكار، ويسمع الرنين ولا يفهم المعنى.
- علاج السطحية من منظور الآيات التي حللناها:
1. الانتقال من "من قال" إلى "ماذا قال" (النقد الموضوعي)
 - * العلاج: تدريب العقل على فصل الفكرة عن صاحبها. إذا سمعت نقداً أو فكرة، اسأل نفسك: "هل الكلام في ذاته صحيح؟" بغض النظر عن كراهيتك أو حبك للقاتل.
 - * من الآية: لو فكر قوم نوح في "دعوة التوحيد" بدلاً من التفكير في "بشرية نوح"، لنجوا من الطوفان.
 2. فحص الدليل لا العادة) كسر التقليد الأعمى)
 - * العلاج: التوقف عن استخدام "هذا ما وجدنا عليه آباءنا" كدليل إثبات. يجب إخضاع الموروثات للفحص العقلي والشرعي.
 - * التطبيق: أسأل دائماً: "ما هو الدليل؟" وليس "من هو المؤيد لهذه الفكرة؟".
 3. التحليل العميق للنوايا) عدم القفز للنتائج)
 - * العلاج: عدم قبول التفسيرات المادية الجاهزة. عندما اتهموه بطلب الفضل، كان ذلك حكماً سطحيًا مبنيًا على الظن.
 - * التطبيق: ابحث عن "المقاصد الغائية" للعمل، وانظر إلى ثبات الشخص وتضحياته؛ فهي التي تكشف كذب التفسيرات المادية السطحية.
 4. إدراك "تعدد الأبعاد") للمسات البيانية كنموذج)
 - * العلاج: التدبر العميق. كما فعلنا في ربط أحكام التجويد بالمعاني؛ فهذا يعلمك أن النص الواحد له طبقات (صوتية، لغوية، تربوية، قانونية).
 - * التطبيق: لا تقرأ السطح فقط، بل ابحث عن "ما وراء النص". لماذا استخدم هذا اللفظ؟ ولماذا صمت هنا؟ هذا ينمي الذكاء التحليلي ويقضي على السطحية.
 - دورك كمصلح في المواجهة:
 - عليك أن تكون ثابتاً على الحق وابتعد عن "الشخصنة" ولا تنجر وراء تلك الأساليب لأحكام التجويد) ثبات القلب في الإله تقول لك كن كحرف القفل) القاف؛ قويا في نطقك بالحق، لا يتزحزح اضطراباً بل ثباتاً. لا تطل في الدفاع عن نفسك، بل أوجز في رد الشبهة وأطل في شرح "أصل النزاع الموضوعي قدم للناس شرحاً يرتقى بعقولهم من مستوى "الأشخاص" إلى مستوى "المبادئ والقيم".
 - بهذا نختم فلسفة المواجهة بين "العمق الرسالي" و"السطحية الاستكبارية".
- المفهوم الثالث
- خطوره التقليد في عاقله التقدم والتطور
- التقليد الأعمى هو بمثابة "فرامل" العقل التي تمنعه من الانطلاق، وفي قصة نوح عليه السلام، رأينا كيف كان قولهم {مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ} هو الجدار الذي حجزهم عن سفينة النجاة.
- إليك الأسباب العلمية والمنطقية التي تجعل التقليد الأعمى عائقاً أمام التطور والتقدم:
1. تعطيل الوظيفة الجوهرية للعقل (التحليل والنقد)
 - العقل البشري مُصمم ليكون "مختبراً" يفحص المدخلات، لكن التقليد الأعمى يحوله إلى "مخزن" فقط. عندما يكتفي المجتمع بتكرار أفعال السابقين دون سؤال "لماذا؟"، تموت مهارات النقد والتحليل، وهي الأدوات الأساسية التي بُنيت عليها الحضارات.
 2. الانفصال عن "الواقع المتغير"
 - الزمن يتحرك، والظروف تتغير، وما كان حلاً عبقرياً في عصر الآباء قد يكون "مشكلة" في عصرنا. لأبناء. التقليد الأعمى يجعل الإنسان يعيش بعقلية الماضي في تحديات الحاضر، مما يؤدي إلى الفشل الذريع في مواجهة المستجدات (مثلما فعل الكفار حين رفضوا "منهجية الوحي" الجديدة تمسكاً بأصنام قديمة).
 3. وأد الإبداع والابتكار
 - الإبداع يتطلب الخروج عن المألوف، والتقليد يقدر المألوف. في بيئة ترفع شعار "ليس في الإمكان أبدع مما كان"، يُعتبر كل مبكر "خارجاً عن الصف" أو "مجنوناً" (كما قالوا عن نوح: {بِهِ جِنَّةٌ}). هذا الجو يطرد العقول المبدعة ويقتل روح المبادرة.
 4. ضياع الفرص (الفرصة البديلة)
 - بينما كان نوح عليه السلام يبني "مستقبلاً" (السفينة)، كان قومه متمسكين بـ "الماضي" (الأرض التي ستغرق). التقليد يجعل الإنسان يرفض الحلول العظيمة لمجرد أنها "جديدة"، مما يجعله يدفع ضريبة غالية وهي الاستمرار في التخلف بينما يتقدم العالم من حوله.
 5. تحويل الوسائل إلى غايات

في كثير من الأحيان، يكون فعل "الآباء" مجرد وسيلة تناسب عصرهم، لكن المقلد يحول هذه "الوسيلة" إلى "صنم" أو "غاية" لا يجوز المساس بها، فيخسر الجوهر (الهدف) ويتمسك بالشكل (التقليد).

دلالة أحكام التجويد في التحذير من الجمود:

* المد العارض للسكون في (الأَوَّلِينَ): لاحظ كيف ينتهي الصوت بسكون ممتد وهادئ؛ هذا السكون يصور بيئة "الركود" وعدم الحركة. القرآن يعطينا هذا الصوت لنشعر بمدى ثقل الجمود الفكري الذي يمنع الإنسان من الارتقاء.

* الشدة في (تَتَّقُونَ): التاء المشددة توحى بـ "اليقظة" والعمل المتواصل. فالتقوى حركة وتجديد، بينما التقليد (آبائنا) سكون وتوقف.

كيف نواجه ذلك في مهنتك (القانونية والطب والاقتصاد)؟

في القانون، التقليد الأعمى يجعلك تتمسك بتفسيرات قانونية جامدة رغم تغير الظروف والاحتياجات الاجتماعية. التطور القانوني قام على "الاجتهاد"، والاجتهاد هو نقيض التقليد؛ فهو إعمال للعقل في النص لمواكبة الواقع. وفي التكنولوجيا يعنى انك تظل متمسك بأساليب قديمة فى حين أن الناس يتقدمون

وفى الاداره التقليد يحرمك من الانتفاع بالوسائل والأساليب الحديثه وفى الاقتصاد فان عدم استخدام التطور التكنولوجي فى اداره الاعمال يجعلك تفقد الميزات وتحرم من التقدم والازدهار

الخلاصة:

التقدم يتطلب احترام "تراكم الخبرات" (الآباء) ولكن مع إخضاعها لـ "اختبار المنطق" (العقل). النجاة في "السفينة" تتطلب ترك "الأرض" التي غمرها التقليد والتبعية.

المفهوم الخامس

أن الدعوة الى الاستفادة من الخبرات ونبذ التقليد لايعنى هذا مخالفه الاصول فالتجديد الوسائل وا لأساليب ينبغى أن يقترن مع التاصيل ولايعنى إغفال التراث ولهذا سوف نقدم لكم "خماسية الوعي"؛ وهي قواعد ذهبية صفتها بأسلوب رسالي عام، يصلح لخطاب العوام والمثقفين، والمعلمين والتلاميذ، وحتى الخصوم، لتمييز الخيط الرفيع بين "الاستفادة من التراث" وبين "السقوط في فخ التقليد الأعمى".

ميثاق العقل: كيف نستفيد من الماضي دون أن نسكن فيه؟

1.قاعدة "الأصل والمثال" (الجوهر لا الشكل)

* المبدأ: التراث والآباء قدموا لنا "أصولاً" عظيمة كالعدل، الصدق، والشجاعة، لكنهم قدموا أيضاً "أمثلة" تناسب زمانهم.

* التطبيق: خذ من الماضي "القيم الثابتة" الأصل، وجدّد في "الوسائل" المثال. (لا ترفض سفينة النجاة لأن آباءك لم يركبوها، بل اركبها لأنها تحقق "قيمة النجاة" التي أرادها آباؤك الصالحون.

2.قاعدة "المناصرة لا الزنانة" (الإرشاد لا القيد)

* المبدأ: اجعل تجارب من سبقوك "منارة" تضيء لك الطريق، ولا تجعلها "زنزانة" تحبس فيها عقلك.

* التطبيق: المقلد الأعمى يقول: "هذا ما سمعنا به"، أما المستفيد الذكي فيقول: "هذا ما تعلمناه، فكيف تطوره؟". استلهم من التاريخ الحكمة، لكن لا تسمح له بأن يكتب لك مستقبلك بنبأية عنك.

3.قاعدة "الدليل فوق الاعتقاد" (سلطان البرهان)

* المبدأ: قبول الفكرة يجب أن يبنى على "قوة برهانها" لا على "قدم زمانها".

* التطبيق: عندما تعرض عليك فكرة جديدة، اسأل: "هل هي حق؟" بدلاً من "هل هي مألوفة؟". تذكر أن طوفان الجهل غمر من قالوا: ما سمعنا بهذا، بينما نجى من اتبع الدليل الذي نطق به نوح عليه السلام.

4.قاعدة "الاحترام لا التقديس" (التقدير لا التبعية)

* المبدأ: نحن نحترم الآباء ونقدر جهودهم، لكننا لا نمجدهم صفة "العصمة".

* التطبيق: الاحترام يعني ألا نسخر من موروثهم، والتبعية تعني ألا نرى عيوبهم. الإنسان الحر هو من يقرأ تاريخه بعين الفاهم، فيأخذ "أصفى ما فيه" ويترك "ما كدره" غبار الزمن أو أخطاء البشر.

5.قاعدة "الابتلاء المستمر" (مسؤولية اللحظة)

* المبدأ: تذكر دائماً ختام الآيات { وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ }؛ أي أنك في اختبار خاص بزمانك أنت.

* التطبيق: الله لن يحاسبك على ما فعله آباؤك، بل سيحاسبك على ما فعلته أنت بعقلك وجوارحك في مواجهة تحديات عصرك. التقليد هو "هروب من المسؤولية"، والتفكير المستقل هو "شجاعة الـ متحان".

لمسات بيانية وصوتية لتعزيز الخطاب:

* عند الحديث عن "الماضي": استخدم نبذة "المد العارض للسكون" (الهادئة) كما في "الأولين" (لتعطي انطباعاً بالوقار والهدوء، مما يشعر المستمع أنك تحترم التاريخ ولا تهاجمه.

* عند الدعوة لـ "التغيير": استخدم نبذة "القلقلة" كما في "مبتلين" (لتشعرهم بالحركة والاهتزاز الإيجابي).

إيجابي الذي يولد اليقظة والتمحيص.
* استخدم "التساؤل الإنكاري": بأسلوب {أفلا تتقنون}، لتجعل المستمع هو من يكتشف التناقض في عقله بين "تقديس الماضي" و"تجاهل الحقيقة الماثلة أمام عينيه".
هذه القواعد تجعل منك شخصاً "متصلاً" بـ"جذوره" (أصالة) و"متطعلاً لسمائه" (معاصرة).
الخير

طبعاً ما اتحدث عنه هو في المسائل التي سمح الدين الإسلامي للإنسان أن يجتهد فيه أما ما فيه نص شرعي من الكتاب والسنة فلا اجتهد مع الناس فالذي اتحدث عنه هنا هو الجمود الفكري الذي كان وراء تخلف الأمة نتيجة التدين المغشوش الذي حصر العبادة بمفهومها الضيق والحسير جداً ومنح الآخرين إمكاناته النظر والتفكير وبلوغ العلوم والصناعات واتقان تدابير الحياة ليكونوا في خدمة عبادة الله المؤمنين به يعالجون قضاياهم ويديرون أزماتهم ويقومون بنياه عنهم على عماره الأرض ليتفرغوا لعبادة الله فهذه شكلت أزمه مازالت تعصف بالأمة حتى يومنا هذا نتيجة الفهم الضيق للإسلام فتصوروا أن الإسلام يكمن في لبس الثوب الأبيض القصير والعقود في المسجد الصلاة والحديث وعدم استعمال وسائل الانترنت ولا الصناعة والعيش بنفس أسلوب حياة السلف بالاعتماد على الحصر واكل التمر والعسل ورفض التمدن والتقدم والازدهار والتطور ولهذا فأنى لتواجه بهذه الرسالة عسى أن تفتح العقول وتدفعهم إلى التفكير وقد أطلقت عليها اسم:
[رسالة: ميثاق الوعي والحرية]

"أخي الكريم.. أختي الفاضلة..
الحياة في جوهرها {ابتلاء}، والاختبار الحقيقي ليس في قدرتنا على تكرار الماضي، بل في شجاعتنا على فهم الحاضر.
* الماضي منارة لا زلزلة: احترم تاريخك واستلهم منه الحكمة، لكن لا تجعل (ما سمعنا بهذا في آبائنا) قيداً يمنعك من رؤية الحق المائل أمام عينيك.
* قيمة الفكرة لا مكانة القائل: لا ترفض النصيحة لأن صاحبها (بشر مثلكم)، فالحق لا يُعرف به الجاه والمنصب، بل ببرهان المنطق ونور الصدق.
* البركة في التجديد: الله الذي أمر نوحاً بصناعة (الفلك) في بيئة صحراوية، يعلمنا أن النجاة تتطلب (فكراً مبدعاً) يكسر جمود التقليد ويواجه طوفان التحديات.
كن كحرف (القاف) في ثباته وقلقلته؛ صلباً في مبادئك، متحركاً في أساليبك، ولا تكن سجين (السكون) الذي يفرق في لجة التبعية العمياء.
{أفلا تتقنون}.. فتفتحوا للعقل آفاقه، وللروح سماواتها؟"
الفصل الثالث

مازالت الايات تتحدث عن طبيعه الخصم ومعركته مع الحق لكن في هذه المرحلة ينتقل فيها الخصوم من "المغالطة المنطقية" إلى "الاغتيال المعنوي" والتشخيص النفسي الزائف، لتكتمل صورة الحصار الإعلامي والاجتماعي ضد المصلح. قال تعالى
(أَنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جَنَّةٌ مَقْرَبَةٌ سَوْىَ سَائِرِ الْبَشَرِ)

الفقرة الأولى: {إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جَنَّةٌ مَقْرَبَةٌ سَوْىَ سَائِرِ الْبَشَرِ} (التيسير والمدلول)

- * التفسير والمدلول: بعد أن فشلوا في إقناع الناس بأنه "طالب سلطة" (آية 24)، انتقلوا للخطبة "ب" : اتهامه في قواه العقلية. جنة (أي جنون). والهدف هو إسقاط قيمة كلامه؛ فالمجنون لا يُحاسب ولا يُستمع إليه.
- * اللغات البيانية والبلاغية:
- * أسلوب القصر) إن...إلا: يفيد الحصر المطلق؛ أي "لا ترهقوا أنفسكم في تحليل كلامه، فالحقيقة المحصورة هي أنه مجنون".
- * التعبير ب-) به جنة: لم يقولوا "مجنون"، بل) به جنة (ليوهموا الناس أن هناك قوة خفية) جن (تلبسه، مما يثير "الخوف الغيبي" منه بدلاً من مجرد التعاطف مع مرضه.
- * الأنغام الصوتية وأحكام التجويد:
- * الكسرة المتكررة) إن - هي - به - جنة: الكسر في اللغة يميل إلى "السفول"، والأصوات المكسورة المتتالية هنا تجسد محاولتهم "الحط" من قدر نوح عليه السلام وإنزاله من مقام النبوة إلى مقام المرض والضعف.
- * الغنة المشددة في) جنة: الغنة صوت يخرج من الخيشوم، يطول زمنه، وهنا يجسد "الوسوسة" وإطالة أمد الإشاعة لترسخ في أذهان العوام.
- * الرسائل والتوجيهات:
- * للدعاة والمصلحين: عندما يعجز الخصم عن مواجهة "فكرك"، سيبدأ بمهاجمة "صحتك النفسية" أو "اتزانك". الثبات هنا هو الرد الوحيد.
- * لأعداء الإسلام: اتهام المصلحين بالجنون هو اعتراف ضمني بأن كلامهم "خارج عن المألوف"

لقوته وعمقه، لكنكم اخترتم أقرب تفسير يريح كبرياءكم.

الفقرة الثانية: {فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ} سياسة النفس الطويل والانتظار الغادر

* التفسير والمدلول: التربص (هو الانتظار مع المراقبة الشديدة وتمني وقوع المصيبة. هم يدعون الناس لتجاهله ومراقبته حتى يموت أو تظهر عليه علامات الانكسار.

* اللمسات البيانية والبلاغية:

* صيغة الأمر {فَتَرَبَّصُوا} هي "أمر استعلائي" من الملاء للجمهور، يهدف إلى تجميد أي تفاعل مع دعوة نوح، وإرغام المجتمع على اتخاذ وضع "المراقب السلبي".

* التعبير بـ {حَتَّى حِينٍ}: غاية مبهمة، تفتح باب الأمل للخصوم بأن النهاية قريبة، وهي وسيلة لتخدير الأتباع لكي لا يشعروا بالملل من طول المواجهة.

* الأنغام الصوتية وأحكام التجويد:

* حرف الصاد (في) تَرَبَّصُوا: الصاد حرف "إطباق" و"استعلاء" و"صغير"؛ صوت يخرج بضغط شديد يجسد "الحصار" النفسي والمراقبة للصيقة التي تضيق الخناق على المستهدف.

* المد الطبيعي (في) به - حين: يعطي نوعاً من "التمطيط" الزمني الذي يجسد طول مدة الانتظار والتربص.

* الرسائل والتوجيهات:

* للمعلمين والتلاميذ: تعلموا أن الباطل يستخدم "عامل الزمن" لإحباط المصلح. هم يراهنون على أنك ستمل أو تتراجع، فاجعل "نفسك" أطول من "تربصهم".

* للعوام: التربص هو سلاح العاجز؛ فبدلاً من أن يحاوروا نوحاً، قرروا انتظاره حتى يسقط. لا تقفوا في صف المتفرجين على الحق وهو يُحاصر.

تجسيد الصورة الكلية للسامع:

تخيل المشهد بعين قلبك: الملاء يقفون في حلقات، يرفعون أصواتهم بتأكيد جازم) إن هو إلا رجل)، ثم يقتربون من أذان الناس بهمس غليظ فيه غنة) به جنة)، ثم يرفعون أيديهم بإشارة "التوقف والانتظار" فتربصوا به)، والعيون تلمع بمكر الغدر) حتى حين). (هي صورة "الاستعلاء الإعلامي" الذي يحاول عزل المصلح في زناينة "الاتهام النفسي" والانتظار السلبي.

الآية تجسد كيف يتحول "الحق" في نظر المجتمع المضلل إلى "حالة مرضية" يجب مراقبتها بدلاً من اتباعها.

الآن، وبعد هذا الحصار الخانق) سياسياً، اجتماعياً، ونفسياً)، لم يبقَ لنوح عليه السلام إلا باب واحد .. باب السماء.

الأمر الأول

استراتيجيه الإسقاط النفسي التي يمارسها أصحاب المصلحة الملا ضد كل مصلح يعد اتهام نوح عليه السلام بـ "الجنون" في قوله تعالى: {إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جَنَّةٌ فْتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ}، حجر الزاوية في استراتيجية "الإسقاط النفسي" التي يمارسها أصحاب المصالح (الملاء) ضد كل مصلح.

إليك التحليل العميق لهذه القضية، وربطها بالواقع المعاصر ووسائل "الاغتيال المعنوي" الحديثة:

1. دلالة اتهام نوح بالجنون (لماذا الجنون بالذات؟)

* إسقاط الأهلية: الجنون يعني فقدان العقل، وبالتالي فإن كل ما يطرحه المصلح من حجج منطقية وقوانين إصلاحية يصبح "هذياناً" لا يستحق الرد العلمي.

* عزل الجمهور: الهدف هو إثارة "الشفقة" أو "الخوف" لدى العوام؛ فبدلاً من أن يستمع الناس لنوح كـ "قائد"، ينظرون إليه كـ "مريض"، مما يكسر جسر التواصل والقدوة.

* تبرير العنف: وصم المصلح بالجنون يعطي "شرعية" للملاء لمراقبته أو التضيق عليه (فتربصوا به)، بحجة حماية المجتمع من "خطر غير منضبط".

2. معركة "الصورة الذهنية" في بداية الدعوة

لماذا يستमित المصلح لكسب ود الجماهير، ويستमित الأعداء لتشويهه في البداية؟

* بناء "رصيد الثقة": في البداية، الناس لا يملكون حكماً مسبقاً، لذا فإن "الصورة الأولى" هي التي تحدد القبول. المصلح يسعى لإثبات صدقه ورحمته (يا قوم) ليفتح مغاليق القلوب.

* القبول النفسي قبل الاقتناع العقلي: الجماهير نادراً ما تقتنع بالمعادلات الجافة؛ هي تقتنع بـ "الشخص" أولاً. فإذا أحبوا الداعية ووثقوا في نزاهته، صار قبول دعوته سهلاً وتلقائياً.

* استراتيجية "الصد" المبكر: يدرك الأعداء أن "البذرة" إذا نمت وصارت شجرة، صعبٌ اقتلاعها. لذا يركزون على تشويه الصورة في المهد لقطع الطريق على أي "تعاطف" شعبي قد ينشأ.

3. مفهوم "الاغتيال المعنوي" في العصر الحديث

الاغتيال المعنوي هو قتل "هوية الشخص" وتدمير "سمعته" لإنهاء دوره الاجتماعي دون الحاجة لقتله جسدياً.

* تطور المصطلحات: قديماً قالوا "مجنون"، واليوم يستخدم الإعلام المعادي مصطلحات (متطرف،

متشدد، ظلامي، ساذج، رجعي).
* الهدف واحد: عزل المصلح عن "الوسطية" وعن "الجمهور العام"، وتصويره كشخص "خارج عن سياق العصر" أو "مهديد للسلم المجتمعي".

4. دور الإعلام، السينما، والمسرح في "صناعة التشويه"
لقد فطن أعداء الحق إلى أن "الدراما" أقوى من "الخطاب المباشر"، فاستخدموا الفن كأداة لاغتيال القدوة:

* نمطية الشخصية الملتزمة: حرصت بعض الإنتاجات السينمائية على إظهار "القدوة الحسنة" أو "الداعية" في صورة شخص (ساذج، أبله، أو متزمت غليظ القلب، أو منافق يتاجر بالدين).

* تغيب النموذج الملهم: من خلال السينما، يتم إبراز "البطل" في صورة الشخص المنفلت أخلاقياً، بينما يُهمش المصلح أو يُجعل مادة للسخرية (كوميديا التنمر)، لضمان عدم منح القدوة الحقيقية فرصة لقيادة الوعي الجمعي.

* محاصرة التأثير: الدراما تصنع "واقعاً موازياً"؛ فإذا رأى الشاب الداعية يُسخر منه في الشاشة، سينفر من الجلوس إليه في الواقع، وهذا هو قمة التلاعب بالعقول الذي مارسه المأقديماً بكلمة (به جنة).

5. كيف يواجه الداعية والمصلح هذا الاغتيال؟
* الاستعلاء بالإيمان: (بأعيننا ووحينا): الشعور بالرعاية الإلهية يمنح الحصانة ضد الألم النفسي الناتج عن السخرية.

* الاستمرار في البناء: نوح لم يتوقف عن صنع السفينة ليرد على تهمة الجنون؛ بل جعل "السفينة" (النجاح المادي والمؤسسي) هي الرد المفحم.

* القدوة العملية: كسر الصورة النمطية التي يصدرها الإعلام من خلال التواجد الفاعل، والذكاء الاجتماعي، والرحمة بالخلق، والتميز المهني.

تأمل في أحكام التجويد (الارتباط الصوتي):
* الغنة المشددة في (إنهم مَغْرَقُونَ): صوت الغنة هنا يمثل "نهاية الضجيج الإعلامي"؛ فمهما علا صوت التشويه (جنون، تطرف)، فإن الحقيقة الختامية هي غرق الباطل واستمرار الحق.

* الفلقلقة في (مُبْتَلِينَ): تذكرك بأن التشويه هو جزء من "الاختبار"؛ فلا تضطرب اضطراب انكسار، بل اضطراب "قلقلته" يتبعه استقرار وقوة.

الأمر الثاني

فلسفه الثبات في زمن الاهتزاز "منظومة الثبات والوعي" المستوحاة من سورة المؤمنين

المفهوم الاول

تعتبر "معركة الصورة" في الفكر الاستراتيجي المعاصر والقرآني هي المعركة الأم؛ لأن الإنسان لا يتبع "الفكرة" المجردة بقدر ما يتبع "النموذج" الذي يجسدها. فإذا سقط النموذج (الرمز)، سقطت الفكرة في وجدان الناس، وهنا تكمن "وجودية" المعركة.

إليك التحليل العميق لهذا الصراع الحيوي وكيفية الثبات فيه:

أولاً: لماذا "معركة الصورة" معركة وجودية؟

* اغتيال "الناقل" لقتل "الرسالة": الخصوم يدركون أن الحق قوي بذاته، لذا لا يهاجمون "القرآن" أو "المبادئ" مباشرة في البداية، بل يهاجمون "حاملها". فإذا نجحوا في وسم الداعية بـ (الجنون، الطمع، أو التطرف)، فقدوا الناس الثقة في "المصدر"، فتصبح الرسالة بلا قيمة لديهم.

* قطع "القدوة" عن "الأجيال": إسقاط الرموز يهدف لترك الشباب في تيه وفراغ قيمي. عندما يُشوّه الرمز، يبحث الناس عن "بديل"، وغالباً ما يكون البديل هو "البطل المزيف" الذي تصنعه آلة الإعلام المادية.

* تجريد الدعوة من "الحاضنة الشعبية": المعركة وجودية لأنها تهدف لعزل المصلح. الداعية بلا جمهور هو "صوت في واد"، وتشويه صورته يحول بين الناس وبين (سفينة النجاة)، مما يعني "فناء" المشروع الإصلاحية قبل أن يبدأ.

ثانياً: استراتيجية إسقاط الرموز (الآليات الحديثة)

* تضخيم الهفوات: تحويل الخطأ البشري الصغير إلى "خطيئة كبرى" لإثبات عدم الأهلية.

* نزع السياق: اقتطاع جملة أو موقف وتصويره بما يخدم تهمة (التطرف أو السذاجة).

* التشويه بالتبعية: ربط الداعية بجهات مشبوهة أو أجنداث خارجية لهدم وطنيته ومصداقيته.

ثالثاً: دور الداعية في الثبات على المبدأ (دستور المواجهة)

لمواجهة هذا الإعصار من التشويه، يحتاج الداعية إلى "درع قرآنية" صلبة مستمدة من ثبات نوح عليه السلام:

1. "الرقابة العليا" (بأعيننا ووحينا):

أول خطوات الثبات هي "الاستغناء بالله". عندما يستشعر الداعية أن الله يراه ويرعاه، تتضاءل في عينه "صورة الإعلام" و"ضجيج الشائعات". الثبات يبدأ من الداخل (اليقين) قبل أن يظهر في الخارج

(الصمود).

2. "قاعدة الإهمال الواعي" للضحيج:

نوح عليه السلام لم يتوقف ليحاكم كل من قال عنه "مجنون"، بل استمر في (صنع الفلك). الرد الحقيقي على الشائعات هو "الإنجاز"؛ فالسفينة عندما جرت في الموج كانت أبلغ رد على من سخروا من بنائها في الصحراء.

3. "الشفافية والوضوح" (ما أسألكم عليه من أجر):

أقوى سلاح ضد تشويه الصورة هو "النزاهة". عندما يرى الناس زهد الداعية في مصالحهم المادية، تنهار تهم الشخصية (يريد أن يتفضل عليكم). الثبات على المبدأ يتطلب ترفعا كاملا "عن حظوظ النفس".

4. "الذكاء العاطفي" مع الجماهير:

لا تدخل في معركة مع "الضحايا" (الجماهير المضللة)، بل اجعل معركتك مع "الجنة" (الملا). ابق قريبا من الناس، رحيمًا بهم، ليروا في سلوكك اليومي ما يكذب "الشاشة" و"الإشاعة". رابعا: علاقة ذلك بأحكام التجويد (فلسفة الثبات)

* ثبات "الحروف الشديدة": عندما تنطق حُرُوفًا مثل (القاف، الطاء، الدال)، هناك انحباس للصوت ثم انطلاق بقوة (قلقلة). هذا يعلمك أن "الضغط الإعلامي" (الانحباس) هو الذي يولد "قوة الانتشار" (الانطلاق) إذا ثبت على مخرجك الصحيح.

* رصانة "المدود": المد الطبيعي في كلمات مثل (قال) أو (تجأتا) يعطيك شعورا بالاستقرار والا متداد. الداعية الثابت هو الذي يمد نفسه الأخلاقي والمهني ولا يستعجل النتائج تحت ضغط الشائعات.

خلاصة القول:

إسقاط الرموز هو "تمهيد للأرض" لغزوها فكريا. وثباتك على المبدأ ليس مجرد حفاظ على "سمعة شخصية"، بل هو "حماية لثغر من ثغور الحق". الشائعة سحابة صيف، أما (صناعة السفينة) فهي الحقيقة التي ستبقى عندما يغرق الجميع.

المفهوم الثاني

"خطوات عملية" لإدارة الأزمات الشخصية والمهنية عند التعرض لحملة تشويه؟

إليك "بروتوكول الثبات وإدارة الأزمات"؛ وهي خطوات عملية مصاغة بعمق قرآني وذكاء استراتيجي، لتكون دليلا "لك وللمصلحين في مواجهة عواصف التشويه والاغتيال المعنوي:

1. مرحلة "التحصين النفسي" قبل الأزمة)

الارتباك عند سماع الشائعة هو أول هزيمة. لذا، عليك بناء "جدار الصد" الداخلي:

* توقع الهجوم: استصحب دائما أن (الجنون) و(التطرف) و(طلب الفضل) هي ضريبة طبيعية لكل صاحب مبدأ. هذا التوقع يفرغ الصدمة من قوتها.

* الاتصال بالمرجعية العليا: تذكر (بأعيننا ووحينا)؛ فمن كان الله رقيه، لم يضره ضحيج العبيد. اجعل رضا الخالق هو "البوصلة" التي لا تضطرب مهما هاج الموج.

2. مرحلة "الاستجابة الهادئة" أثناء الهجوم)

عندما تنطلق حملة التشويه، اتبع استراتيجية نوح عليه السلام:

* قاعدة "الصمت المنتج": لا تنجز ردود الأفعال السريعة والمتشنجة. انشغل بـ (صناعة الفلك)؛ أي استمر في مشروعك العملي. الإنجاز على الأرض هو "المكذب" الأكبر للإشاعة.

* فصل "الجمهور" عن "المحرض": لا تعاد الناس الذين صدقوا الإشاعة، بل تلطف بهم (يا قوم). وجه خطابك لعقولهم وقلوبهم، واترك "الملا" المحرضين يحترقون بضجيجهم.

* الوضوح القاطع: إذا استلزم الأمر ردًا، فليكن ردًا "موضوعيًا" ينفي التهمة بذكاء (إن هو إلا عبد، ما أسألكم عليه من أجر). انفر "الدافع المادي" تسقط تهمة الشخصية فوراً.

3. مرحلة "الهجوم المضاد بالحق" تغيير الصورة)

بدلاً من الدفاع عن نفسك، هاجم "المنطق السطحي" للخصوم:

* سؤال "أفلا تتقون": اطرح تساؤلات أخلاقية تخرج المزورين. (مثال: هل مصلحة المجتمع في تشويه المصلحين أم في مواجهة المفسدين؟).

* استخدام "القدوة العملية": دع سلوكك اليومي، ونزاهتك المالية، ورحمتك بالضعفاء تكون هي "الرسالة الإعلامية" الأقوى. الناس يصدقون ما يرونه من "خلق" أكثر مما يسمعون من "خطابة".

4. دور "الإعلام البديل" والحاضنة المؤمنة

بما أن الإعلام المعادي (السينما والمسرح) يسعى لاغتيال القدوات، فعليك:

* صناعة "إعلام الحقيقة": استخدم الأدوات المتاحة (النشر الرقمي، الجلسات المباشرة) لتقديم "النموذج الواقعي" للداعية المثقف، المتزن، والرحيم.

* بناء "السفينة" الجماعية: لا تواجه وحدك. ابن فريقاً ومجتمعاً يؤمن بفكرتك، ليكونوا هم "الشهود" على نزاهتك وصدقك أمام المجتمع.

خلاصة الموقف (بين التجويد والواقع):
عندما تسمع حملات التشويه، تذكر "القلقة" في كلمة (مُتَلَبِّين)؛ فهي اضطراب يعقبه استقرار. وتذكر "الغنة" في (تَجَانًا)؛ فهي صوت الرخاء والرحمة الذي يبقى بعد انقطاع صراخ الظالمين.
الثبات ليس جموداً، بل هو استمرار في الحركة نحو الهدف (الفلك) رغم الرياح العاتية.
الأمر الثالث

يعد لجوء أهل الباطل إلى أسلوب "التربص" و"الانتظار" بدلاً من المواجهة المباشرة استراتيجية قديمة-متجددة، كشفتها الآية (25) من سورة المؤمنون في قوله تعالى: {فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ}.
إليك التحليل العميق لهذه الاستراتيجية، ومفهوم "النفس الطويل الغادر"، وواجب الثبات في هذه المعركة الزمنية:

أولاً: لماذا يلجأ أهل الباطل للتربص بدلاً من المواجهة؟
* العجز عن المواجهة الفكرية: عندما تكون حجة الداعية قوية ومنطقية، يدرك أهل الباطل أن الصدام المباشر سيظهر هزيمتهم، فيلجؤون للانتظار لعل الأيام تأتي بـ "سقطة" أو "هفوة" للمصلح.
* استراتيجية "الاحتراق الذاتي": يراهنون على أن الدعوة ستفقد حماسها مع الوقت، أو أن الداعية سيميل وينكسر إذا لم يجد استجابة سريعة، فهم ينتظرون "موت الفكرة" بمرور الزمن.
* تجنب "صناعة البطل": المواجهة العنيفة والمباشرة قد تزيد من تعاطف الناس مع المصلح وتجعله "شهيداً" أو "رمزاً" للمظلومية، لذا يفضلون سياسة "الخنق البطيء" والتشويه المستمر خلف الكواليس.
ثانياً: دلالة {حتى حين} ومفهوم "النفس الطويل الغادر"

* دلالة {حتى حين}: الحين هو وقت غير محدد، مما يعني أن تربصهم ليس له سقف زمني. هم ينتظرون (متغيرات القدر) أو (نزول بلاء) أو (موت الداعية). هي كلمة تعكس "الأمل الخبيث" في زوال الحق دون جهد منهم.

* النفس الطويل الغادر: هو مفهوم يعني إدارة الصراع ببرود أعصاب، مع الاستمرار في "تسميم الأوجاء" بالشائعات. هو "انتظار غادر" لأنه لا يسعى للمنافسة الشريفة، بل ينتظر لحظة "ضعف" أو "مرض" أو "نكبة" لينقض فيها على المصلح وينهي دعوته.

ثالثاً: واجب المسلم والداعية في "معركة الزمن"
العدو يراهن على أنك "ستتعب"، فما هو الواجب؟

* الثبات الإستراتيجي (عدم الانكسار): يجب أن يدرك الداعية أن "الانتظار" هو جزء من الابتلاء. لا انكسار في هذه المرحلة هو "انتصار مجاني" للعدو. الثبات يعني الاستمرار في المبدأ بنفس القوة التي بدأ بها.

* الاستعداد لما بعد المرحلة (بناء السفينة): خلال فترة تربص الأعداء، كان نوح عليه السلام {يصنع الفلك}. لم يقض وقته في البكاء أو الندب، بل في "الإعداد المادي". الواجب هو استغلال فترات "الهدوء الماكر" لبناء المؤسسات، وتأهيل الكوادر، وتعميق الجذور.

* اليقين في "توقيت الله": هم يقولون (حتى حين)، والمؤمن يقول: {أليس الصبح بقريب}. معركة الزمن يربحها من يمتلك "يقيناً" أقوى بأن عاقبة التربص هي الخسران للظالمين.
رابعاً: التطبيق في واقعنا المعاصر

* في الإعلام والسياسة: نجد حملات "التجميد" أو "الحصار الاقتصادي والإعلامي" ضد المصلحين؛ حيث لا يقتلون جسدياً، بل يتركون للنسيان والتشويه البطيء (تربص).

* في الفكر: محاولة "تطبيع" الباطل بالتدرج، والرهان على أن الأجيال القادمة ستنسى الثوابت (حتى حين).

* رد الفعل المعاصر: لا بد من امتلاك "نفس أطول" من نفس الباطل. استثمار وسائل التواصل، و التعليم المستمر، والعمل الميداني الهادئ، لضمان بقاء "جذوة الحق" مشتعلة حتى لو طال زمن التربص.

ربط الأحكام الصوتية (التجويد) بالثبات:
* المد العارض للسكون في (حين): عندما تنتهي الآية بهذا المد الساكن، فإنه يعطي شعوراً بـ "التقرب". الصوت الممتد يوحي بطول الزمن، لكن السكون في النهاية يذكرنا بأن هذا "الحين" له نهاية حتمية، وأن باطلهم سيسكن ويموت بينما يبقى الحق.

* القلقة في (مُتَلَبِّين): هي تذكير دائم بأن هذا التربص والانتظار هو (ابتلاء) واختبار للصبر، و القلقة حركة اضطرابية تولد قوة، وهكذا يجب أن يكون حال الداعية؛ حيوية دائمة وسط ركود المتربصين.

الخلاصة:

أهل الباطل ينتظرون "سقوطك"، فاجعلهم ينتظرون "نجاحك". وبينما هم يتربصون بـ (حين) مجهول، كن أنت مشغولاً بـ (فلك) معلوم ينجيك وينجي من معك عند هبوب العاصفة.
بهذا نكون قد فككنا شفرة "الزمن" في الصراع بين الحق والباطل.

المفهوم الثاني

كيف يمكن تحويل هذه المفاهيم إلى "قواعد ذهبية للثبات" في واقعنا اليومي ؟
إليك "قواعد الثبات في مدرسة الصبر الاستراتيجي"؛ وهي تسع قواعد ذهبية مُستوحاة من صمود نوح عليه السلام في وجه (التربص)، صغتها لك بأسلوب رصين يجمع بين فقه الدعوة وفلسفة المواجهة، لتكون دستوراً لكل مصلح يواجه "سياسة النفس الطويل القادر":

أولاً : قواعد الوعي بطبيعة الصراع

* قاعدة "الزمن جندي من جنود الله":

أهل الباطل يراهنون على (حين) مجهول، والمؤمن يراهن على (وعد) معلوم. اعلم أن مرور الوقت ليس خصماً لك بل هو مصفاة تميز الخبيث من الطيب، وتكشف زيف المتربصين وطهارة الصادقين.

* قاعدة "التربص إقرار بالعجز":

استشعر القوة في داخلك؛ فلو كان خصمك قادراً على دحض حجتك لواجهك، لكن لجوءه للاعتذار والوشوشة (به جنة) هو اعتراف ضمني بأن منطقك أقوى من أن يكسر بالصدام المباشر.

* قاعدة "تفكيرك مفهوم الحين":

(حتى حين) عند الظالمين هي أمل في هلاكك، وعندك هي فرصة لـ "بناء السفينة". الحين ليس وقت ضائعاً، بل هو "زمن المهلة" الذي يُعطى لك لتكتمل أدوات نجاتك وتمكينك. ثانياً: قواعد السلوك أثناء التربص (الخطة التنفيذية)

* قاعدة "الإعراض الجميل":

لا تستهلك طاقة قلبك في مراقبة المتربصين بك. انشغل بمراد الله منك لا بمرادهم فيك. السكون النفسي أمام ضجيج الشائعات هو أول مسمار يُدق في نعش "الاغتيال المعنوي".

* قاعدة "العمل الصامت (صناعة الفلك)":

فترات التربص هي أوقات "التأسيس العميق". لا تنكسر ولا تتوقف؛ بل ضاعف جهدك في بناء المؤسسات، وتأليف الكتب، وتربية الأجيال. اجعل "نجاحك الملموس" هو الرد المفحم الذي يفاجئهم عند نهاية (الحين).

* قاعدة "اليقظة لا التوجس":

كن يقظاً لمكرهم دون أن تقع في فخ "التوجس" الذي يشل الحركة. الثبات يتطلب عيناً ترقب الغدر وأخرى تبني المجد، مستعينا بالرعاية الإلهية (بأعيننا).

ثالثاً: قواعد الثبات القلبي (المدد الغيبي)

* قاعدة "الاستغناء بالشهود الإلهي":

عندما يرمونك بالتطرف أو السذاجة أو الجنون، تذكر أنك (مبتلى) أمام عين الخالق. شهادة الله لك بالصدق تغنيك عن صخب المنصات وإفك المتربصين.

* قاعدة "نفس القلقة":

تعلم من أحكام التجويد؛ القلقة هي اضطراب الحرف ليظهر بقوة. اجعل ضغوط التربص "قلقة" تزيد من وضوح صوتك وجوهر رسالتك، ولا تجعلها "سكوناً" يمحو أثرك.

* قاعدة "النهاية الحتمية للباطل":

الباطل الذي ينتظر موتك سيموت هو بظلمه. (إنهم مغرورون) هي النتيجة القطعية التي تلي (حتى حين). استيقن بالنهاية لتهون عليك مشقة البداية.

تطبيق واقعي (رسالة للمصلح):

"يا من تربص بك الأقلام المأجورة والعدسات الخائنة.. لا تلتفت خلفك. نوح لم يسأل: 'متى سأرسو؟' بل انشغل بـ 'كيف أبني؟'. اجعل كل يوم من أيام (تربصهم) لبنة في جدار مجدك، وخطوة نحو سفينة نجاتك".

هذه القواعد تمثل "درعاً فكرياً" يحمي الداعية من التآكل الداخلي أثناء فترات الحصار والانتظار.

الفصل الرابع

إليك التحليل العميق للآية (26) من سورة المؤمنون، وهي لحظة الانعطاف الكبرى في القصة، حيث ينقطع الرجاء من البشر ويتصل بخالق القوى والقدر.

{قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كُنتُ بِنَاصِرٍ}

الفقرة الأولى: {قَالَ رَبِّ} (انكسار العبودية وعزة الالتجاء)

* التفسير والمدلول: بعد كل هذا الحصار الإعلامي والنفسي (بشر مثلكم، يريد أن يتفضل، به جنة)، لم يلتفت نوح عليه السلام للرد على "الملاء"، بل التفت إلى "المَلِك". نداء بلفظ الربوبية (رب) استحضاراً لصفة التربية، الرعاية، والقيام على شؤون العباد في أحلك الظروف.

* اللمسات البيانية والبلاغية:

* حذف حرف النداء (يا): في قوله (رب) دلالة بيانية على "القرب الشديد"؛ فالله أقرب إليه

من حبل الوريد، ولا يحتاج لوساطة أو نداء بعيد.
 * إيجاز الحذف في (رَبِّ): أصلها "ربي"، وحذف الياء هنا يعبر عن "الاضطرار والسرعة" في طلب الغوث، كأن الأنفاس تتسابق لتصل إلى السماء.
 * الأنغام الصوتية وأحكام التجويد:
 * الراء المفخمة في (رَبِّ): حرف الراء المفخم يملأ الفم بصوت قوي، يجسد "الاستناد إلى ركن شديد"؛ فبعد ضعف البشر يأتي تفخيم العظمة الإلهية ليمنح المصلح ثباتاً كالجبال.
 * الكسرة الشديدة تحت الباء (رَبِّ): الكسر هنا يصور "الانكسار والتذلل" بين يدي الله، وهو الا نكسار الذي يولد أعظم أنواع القوة البشرية.

الفقرة الثانية: {انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُون} (استراتيجية قلب الموازين)

* التفسير والمدلول: نوح عليه السلام لم يطلب "الانتقام" لنفسه، بل طلب "النصر" لمنهجه. (بما كذبون) أي: اجعل نصرك لي هو الرد الحاسم على تكذيبهم. وكأنه يقول: "يا رب، لقد بلغت الغاية في الصبر، ولم يبقَ إلا فعلك الذي يصدق قولِي".
 * اللمسات البيانية والبلاغية:
 * الباء في (بما): تسمى "باء السببية"؛ أي اجعل سبب النصر هو ذاته "التكذيب" الذي تعرضت له. وهذا منتهى الثقة بالله.
 * إيجاز الحذف في (كَذَّبُون): أصلها "كذبوني"، وحذف الياء هنا يخدم الفاصلة القرآنية (رؤوس الآيات) ويعطي إيقاعاً سريعاً يوحي بـ "نفاد الوقت" واقتراب ساعة الحسم.
 * الأنغام الصوتية وأحكام التجويد:
 * الصاد والراء في (انصُرْنِي): الصاد (حرف صفير واستعلاء) مع الراء (تفخيم) يخلقان صوتاً يشبه "دوي الانفجار" أو هبوب الريح العاصفة، مما يمهّد ذهن السامع لما سيحدث لاحقاً من طوفان مدمر.
 * النون المكسورة في (كَذَّبُون): الوقوف عليها بالمد العارض للسكون مع صوت النون النحيل يصور "أنين المصلح" المظلوم وشكواه التي ارتفعت إلى السماء لتغير وجه الأرض.
 * الرسائل، التوجيهات، والدروس المستفادة:
 * للدعاة والمصلحين: عندما يشتد الحصار وتسد الأبواب الأرضية، تذكر أن "باب السماء" لا يُغلق أبداً. دعاؤك ليس اعترافاً بالعجز، بل هو استخدام لأقوى سلاح في الوجود.
 * للعوام والتلاميذ: تعلموا أن العبرة ليست بـ "كثرة الخصوم" (الملا)، بل بـ "صدق المنهج". نوح وحده بكلمتين (رب انصُرني) كان أقوى من أمة كاملة كفرت.
 * لأعداء الإسلام: احذروا "دعوة المظلوم"؛ فالتريص الذي مارستموه (فتربصوا به) قابله نوح بالا لتجاء لخالق الزمن، ومن استنصر بالله فقد أعلن نهاية خصومه.
 * التوجيه المهني (القانوني): هذه الفقرة تمثل "الاستغاثة القضائية العليا"؛ عندما تُزيّف الأدلة الأ رضية ويُبْتهَم البريء بالجنون، ترفع المظلمة إلى "قاضي القضاة" الذي لا يضيع عنده حق.
 * تجسيد الصورة الكلية للسامع:
 * تخيل المشهد: نوح عليه السلام يقف وسط جموع تسخر وتتربص وتتهمه بالجنون، وفجأة ينصرف عنهم تماماً، يرفع بصره ونبض قلبه، يخرج صوتاً عميقاً مفخماً (رَبِّ)، ثم بصرخة الواثق المكلوم (انصُرْنِي)، يضع قضية "التكذيب" كلها بين يدي الله (بما كَذَّبُون). هنا يصمت البشر.. ويبدأ فعل القدر وهذا فيه .

الأمر الأول

استراتيجيه الدعاء

يعد الدعاء في المنهج القرآني، وخاصة في قصة نوح عليه السلام عند قوله: {رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُون}، انتقالاً استراتيجياً من "مخاطبة الخلق" الذين صمّوا آذانهم، إلى "مخاطبة الحق" الذي بيده ملكوت كل شيء.

إليك تفصيل هذه المفاهيم العميقة :

1. الدعاء: سلاح الفاعلية لا سلاح العاجز
 من الخطأ الفادح اعتبار الدعاء "ملاذ العاجزين" الذين تركوا العمل؛ بل هو "سلاح الأقوياء" الذين بذلوا وسعهم حتى بلغت الأسباب منتهاها، فاستجلبوا قوة السماء لتسديد عمل الأرض.
 * شحذ الهمة: الدعاء يخرج الداعية من دائرة "الضييق النفسي" بسبب تكذيب الناس، إلى سعة "الأمل الإلهي"، مما يجدد طاقته للاستمرار في (صناعة الفلك).
 * مصدر القوة: هو صلة "المحدود" (الإنسان) بـ "المطلق" (الله)، مما يمنح الداعية هيبة وثباتاً يكسر غطرسة المستكبرين.

2. دلالة استخدام كلمة رَبِّ

نوح عليه السلام لم يقل "يا الله" بل قال {رَبِّ}، وفي هذا دلالة تربوية عميقة:

* الربوبية والتربية: كلمة (الرب) توحى بالرعاية، التربية، والإصلاح. وكأن نوحاً يقول: "يا من رببيني على عينك، واصطفيتني لدعوتك، تولّ نصرّة هذا المنهج الذي استودعتني إياه".

* عقد الرجاء: النداء بـ "الرب" هو نداء الاستغاثة بمن يملك "التدبير"؛ مما يحول الدعاء من مجرد كلمات إلى "حالة تفويض" كاملة تمنح السكينة وسط الطوفان.

3. تحويل الشكوى: من "الخلق" إلى "الخالق"

عندما تضيق الأسباب، يقع الكثيرون في فخ "الشكوى للناس"، وهو ما يورث الذلة وينشر الإحباط.

* الدعاء كفعل وفاعلية: هو تحويل مسار الأزمة من "الضجيج البشري" إلى "المحراب الإلهي". هذا الفعل يحمي الداعية من الانكسار أمام الملاء؛ فمن يشتكي لله يظل عزيزاً أمام الناس، ومن يشتكي للناس يزداد هواناً عليهم.

4. الدعاء وصناعة "الشخصية الصامدة"

الدعاء هو "صمام الأمان" ضد الشخصية المهزوزة التي قد تبيع قيمها مقابل "عرض من الدنيا قليل" (تنازلات مهينة أو مدهانة للظلم).

* معقد الرجاء: حين يكون الله هو المبتدأ والمنتهى في قلب المصلح، تصبح الأزمات "محطات تقوية" لا "معاول هدم".

* الثبات على الحق: الدعاء بـ (انصرني) ليس طلباً للراحة، بل هو طلب لـ "تمكين الفكرة". الداعية يدعو وهو يمسك المطرقة ليبني السفينة؛ فالدعاء يثبت القلب، والعمل يثبت السفينة على الموج.

الخلاصة :

الدعاء في مرحلة "التربص" هو "إدارة للأزمة باليقين". هو الوقود الذي يمنع المحرك من التوقف، وهو النور الذي يجعل الداعية يرى (اليابسة) في عز (الطوفان).

الأمر الثاني

فلسفه التوقيت واليقين

إن تدبر توقيت دعاء نوح عليه السلام {رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُون} بعد تسعة قرون ونصف من الدعوة، يفتح لنا آفاقاً استراتيجية وتربوية مذهلة في فهم "فلسفة النصر" و"أدب الصبر".

إليك تحليل للمفاهيم المستنبطة من هذا التوقيت العظيم:

1. بلوغ "غايات الأسباب" لماذا الآن؟

نوح عليه السلام لم يدع بهذا الدعاء في السنة العاشرة ولا المائة، بل انتظره حتى استفرغ كل الوسائل البشرية الممكنة.

* المفهوم المستنبط: الدعاء بطلب النصر لا يكون "هروبا" من المواجهة في بدايتها، بل هو "إعلان" بأن الحجة قد أقيمت تماماً، وأن الأسباب الأرضية قد اكتملت، وحان وقت التدخل السماوي.

* الدرس: الداعية لا يستعجل النتائج؛ لأن النصر "ثمرة" لا تنضج إلا بعد تمام السقاية بالصبر والعمل.

2. الانتقال من "نصر الشخص" إلى "نصر المنهج"

بعد 950 سنة، لم يقل نوح "رب انتقم لي" أو "أرحني منهم"، بل قال {بِمَا كَذَّبُون}.

* المفهوم المستنبط: الأزمة لم تعد شخصية، بل أصبحت معركة بين "صدق الرسالة" و"كذب الجحود". الدعاء هنا هو طلب لـ "تحقيق الحقيقة" وتصديق المنهج أمام الجماهير.

* الدرس: الصبر الطويل يُصقي نية المصلح من حظوظ النفس، فلا يطلب النصر ليشفي صدره، بل ليعلي كلمة الحق.

3. مفهوم "الحين الإلهي" مقابل "الحين البشري"

الأعداء قالوا {فَتَرَيَصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ} وهم يقصدون وقتاً قريباً لهلاكه، أما الله فأخر "الحين" 950 سنة ليُرَبِّي جيلاً ويقيم حجة.

* المفهوم المستنبط: استجابة الدعاء لها "توقيت كوني" تقتضيه الحكمة، لا "توقيت انفعالي" يقتضيه الاستعجال البشري.

* الدرس: تأخر النصر ليس إهمالاً من الله، بل هو "إمهال" للظالمين ليزدادوا إثماً، و"تمحيص" للمؤمنين ليزدادوا ثباتاً.

4. الصبر الاستراتيجي وعدم الاستعجال

الاستعجال هو أكبر عدو للمصلحين؛ لأنه يورث الانكسار أو التنازل.

* أهمية الصبر: الصبر في قصة نوح لم يكن "صبر انتظار" (قعود)، بل كان "صبر بناء" (صناعة السفينة).

* عدم الاستعجال: من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه. نوح عليه السلام علمنا أن الداعية "يزرع" وقد لا يرى "الحصاد" إلا بعد قرون، وهذا هو قمة الإخلاص.

5. دلالة "الباء" (في) بِمَا كَذَّبُون

هذه الباء تسمى "باء السببية". وكأن نوحاً يقول: "يا رب، اجعل نفس الوسيلة التي استخدموها لتشويهني (التكذيب والشخصنة) هي سبب نصرتي وهلاكهم".

* الدرس: الله يقلب سلاح الأعداء عليهم؛ فالشائعات التي أطلقوها (مجنون، طالب فضل) صارت هي الحجة التي استوجبت هلاكهم حين جاء الطوفان وصدق نوح.

ماذا نتعلم من هذا الثبات الأسطوري؟

* المقياس ليس بالعدد: نوح عليه السلام مكث 950 سنة ولم يؤمن معه إلا قليل، ومع ذلك نصر الله دعوته وخلد ذكره. النجاح هو "الثبات على الحق" وليس كثرة الأتباع.
* الدعاء "وقود" المرحلة الأخيرة: عندما تشتد الأزمة ويطول أمد التربص، يكون الدعاء هو الرابط الذي يمنع الشخصية من "الاهتزاز" أو "بيع المبادئ".
* الشخصية المتماسكة: نوح لم يخرج من الأزمة "مهزوزاً"، بل خرج منها "قائداً" للبشرية الثانية. الدعاء مع الصبر يصنع شخصية صلبة لا تنكسر أمام عروض الدنيا الزائلة.
فهذه المفاهيم (فلسفة التوقيت واليقين)، لتعلم أن "تأخر الاستجابة" هو بحد ذاته جزء من "خطة النصر" التي يصنعها الله للمصلحين.

المفهوم الثاني

يُعد قصر دعاء نوح عليه السلام في قوله: {رَبِّ انصُرني بما كذبون} نموذجاً بليغاً في "أدب الا ستنصار"، واكتفاؤه بهذه الجملة المختصرة دون تفصيل في نوع النصر أو كيفية هلاك الأعداء يحمل دلالات عميقة في اليقين والسياسة الشرعية:

1. دلالة "الثقة المطلقة" في اختيار الخالق

عندما يكتفي الداعية بكلمة "انصُرني"، فإنه يُفوض (كيفية النصر) و***(توقيته)** لحكمة الله.
* المفهوم: نوح عليه السلام لم يقل "انصُرني بالفرق" أو "انصُرني بالريح"؛ لأنه يعلم أن الله هو "أعلم بسبيل النصر".

* التطبيق: هذا يعلم المصلح أن يدعو بـ "الغاية" (النصر والتمكين) ويترك "الوسيلة" لتقدير الله، فربما يكون النصر بصرف قلوب الناس، أو بهلاك الظالمين، أو بفتح آفاق لم تكن في الحسبان.
2. دلالة "الاكتفاء بعلم الله عن الشكوى"

التفصيل في الدعاء غالباً ما يكون لبيان الحال، لكن نوحاً بعد 950 سنة كان حاله "مكشوفاً" لربه لا يحتاج لتفصيل.

* المفهوم: في البلاغة، الإيجاز في مقام الاستغاثة يدل على (شدة الكرب)؛ فالمكروب لا يجد وقتاً لرص العبارات، بل يخرج "أهه" واحدة مكثفة.

* التطبيق: "رب انصُرني" هي صرخة المظلوم الذي استنفد كل طاقاته البشرية، وهي تدل على أن علاقة نوح بربه وصلت لمرحلة من القرب تجعل "الإشارة" تغني عن "العبارة".

3. دلالة "حسم المعركة" (بما كذبون)

اكتفى بذكر "السبب" (التكذيب) ليؤكد أن المعركة ليست شخصية.
* المفهوم: وكأنه يقول: "يا رب، لقد كذبوا رسالتك، فانتصر لرسالتك".

* التطبيق: هذا الإيجاز يحمي الداعية من "التشفي الشخصي". هو لا يطلب الانتقام لنفسه، بل يطلب نصره "الحقيقة" التي تم تشويهها بشائعات (الجنون) و(طلب الفضل).

4. دلالة "الأدب مع الربوبية"

استخدام "رب" مع فعل الأمر "انصُرني" بأسلوب موجز يعكس ذروة الأدب.
* المفهوم: العبد يسأل والحكيم يعطي. التفصيل الزائد في الدعاء قد يشبه "الإملاء" على الله (تعالى الله عن ذلك)، أما الإيجاز فهو تسليم بأن الله بصير بالعباد ومحيط بما يحتاجون.

ماذا نستنبط من هذا الإيجاز؟

* قوة التركيز: في الأزمات الكبرى، لا تشتت جهدك في التفاصيل الجانبية؛ بل ركز على "الأصل". (انصُرني) هي الهدف الاستراتيجي الوحيد.

* علاج "الشخصية المشتتة": الاستعجال في طلب "كيفية النصر" يورث القلق، أما الاكتفاء بطلب "أصل النصر" فيورث السكينة واليقظة لانتظار الفرج.

* البعد الصوتي (التجويد): لاحظ قصر الجملة وسرعة إيقاعها؛ مما يوحي بـ "الحسم". فبعد طول التربص (950 سنة)، جاء الدعاء كالرصاصة السريعة النافذة التي لا تقبل التأجيل.

الخلاصة التربوية:

اكتفاء نوح بـ "رب انصُرني" يدل على أن "اليقين إذا كمل.. قلّ الكلام". هو دعاء بـ "النفس الطويل" الذي تحول في لحظة صدق إلى "قرار سماوي" بإنهاء عصر الطغيان.

الامر الثالث

اداب الخصومه وفقه الدعوى

تحليل قوله تعالى {بِمَا كَذَّبُون} يفتح لنا باباً دقيقاً في فهم "أدب الخصومة" و"فقه الدعوة"، فالسبب هنا ليس مجرد رصد لواقعة "التكذيب"، بل هو تلخيص لمعركة وجودية استنفدت كل فرص الإصلا

ح.

إليك الشرح التدبري لعمق هذا السبب، وهل هو السبب الوحيد أم تعبير عن الاستحالة:

1. التكذيب كـ "عنوان" لمجموعة جرائم

عندما قال نوح {بِمَا كَذَّبُون}، لم يكن يقصد فقط "عدم التصديق باللسان"، بل كان "التكذيب" هو

المظلة التي تندرج تحتها كل الممارسات التي واجهها:

- * الشخصية واللاتهام بالجنون: (كذبوا) بصحة عقله.
 - * الاتهام بالطمع: (كذبوا) بنزاهة هدفه وادعوا أنه يريد "التفضل".
 - * السخرية والتربص: (كذبوا) بوعيده وجعلوا منه مادة للضحك.
 - * الصد عن سبيل الله: (كذبوا) بجدوى منهجه ومنعوا الناس من سماعه.
 - إذن: التكذيب هنا هو "وصف كلي" لحالة الاستعلاء التي سدت كل منافذ الحوار.
2. هل هو "استحالة" الاستمرار؟

نعم، استخدام الباء السببية هنا (بـما كذبون) يشير إلى أن المعركة وصلت إلى طريق مسدود

* استحالة التغيير: بعد 950 سنة، أصبح "التكذيب" هو الهوية الثابتة لهذا المجتمع. لم يعد هناك "باحث عن حق" بل "مصرّ على باطل".

* استحالة التعايش: التكذيب هنا تحول إلى "تربص" ومحاولة لإغلاق صوت الحق تماماً. الدعاء بـ النصر هنا هو اعتراف بأن "قواعد اللعبة الأرضية" قد انتهت، وأن الباطل قد أغلق كل الأبواب ولم يبقَ إلا "باب السماء".

3. "بما كذبون" كـ "قاعدة قانونية" للاستنصار

يمكننا النظر لهذه الجملة كـ "تكييف قانوني" للدعوى:

* نوح عليه السلام يقدم "بيئة" لربه: "يا رب، نصرتي ليست طلباً للراحة، بل هي نتيجة حتمية لفعلهم (التكذيب)".

* هو يربط "العقوبة" (النصر عليه) بـ "الجريمة" (التكذيب). فبما أنهم جعلوا التكذيب منهجاً ثابتاً لا يتغير، صار "تغيير الواقع" بالمعجزة (الطوفان) هو الحل الوحيد المتبقي.

4. دلالة "الإيجاز" في ذكر السبب

لماذا لم يقل "بما ضربوني" أو "بما سخروا مني"؟

* علو الهمة: الداعية الحقيقي يتجاوز الإيذاء الجسدي والشخصي. ما يؤلمه حقاً هو "تكذيب الرسالة".

* تركيز القضية: أراد نوح أن يقول إن جوهر الخلاف ليس "شخصياً" بل "عقائدياً". لو كان الخلا ف شخصياً لصبر، لكن بما أنه "تكذيب للحق"، فإن السكوت عنه يعني ضياع الرسالة. المفاهيم المستنبطة لمذكرتك:

* قاعدة الانتهاء: لا يُطلب النصر الإلهي الحاسم إلا بعد "استحالة" التأثير بالوسائل البشرية، وهذا ما لخصته كلمة (كذبون).

* سمو الهدف: الداعية يطلب النصر لـ "رفع كذبة التكذيب" عن الحق، وليس للانتقام من أشخاص المكذبين.

* الثبات حتى اللحظة الأخيرة: نوح انتظر حتى أصبح التكذيب "صفة ملازمة" للقوم لا يرجى معها صلاح، ليكون دعاؤه هو "كلمة الفصل" في تاريخ البشرية.

هذه هي "فلسفة السبب" في دعاء الاستنصار.

المفهوم الثالث

تحول نوح عليه السلام من دور "الداعية الصبور" إلى دور "المستنصر بالله" ليس تراجعاً عن الدعوة، بل هو قمة الثقة الاستراتيجية بالله بعد استنفاد الوسائل البشرية. هذا التحول يمثل انتقالاً من "بذل السبب" إلى "انتظار المسبب"، وفي طيات هذه الآيات دروس عميقة في الثقة واليقين:

أولاً: فقه التحول (من الدعوة إلى الاستنصار)

* الثقة بانتهاء "الفرصة البشرية":

لم يطلب نوح النصر إلا عندما تيقن بـ "وحي الله" أو بطول التجربة (950 سنة) أن هذا الجيل قد وصل إلى حالة "العقم الإيماني". التحول هنا يعني أن الداعية الواثق يعرف متى يضع "عصا الترحال" في إقناع الخلق، ليرفع "أكف الضراعة" لرب الخلق.

* الانتقال من "قوة المنطق" إلى "منطق القوة":

طوال القرون الماضية، كان نوح يستخدم "قوة الحجة" (المنطق). وعندما واجهه المأبى "قوة السلطة" والتشويه (الشخصنة والتربص)، لجأ إلى "القوة المطلقة" (الله). الثقة هنا تعني إدراك أن الحق لا يضيع ما دام له "رب" ينصره.

ثانياً: دروس الثقة بوعده الله في أشد الأوقات

1. الثقة في "توقيت الله" لا "استعجال البشر"

أكبر درس هو الصمود أمام عامل الزمن. الثقة الحقيقية هي التي لا تهتز بمضي القرون. نوح كان يثق أن "وعد الله" آتٍ حتماً، سواء رآه في حياته أو كان هو اللبنة الأخيرة فيه. في أشد أوقات (التربص)، كانت ثقته هي "البوصلة" التي لم تنحرف.

2. الثقة في "كفاية الله" ضد "كثرة الأعداء"

رغم أن "المأبى" كانوا يملكون الإعلام (التشويه)، والمال (السيادة)، والجمهور (الأتباع)، إلا أن نوحاً بكلمة

{رَبِّ} أثبت أن الفرد الواحد مع الله هو "الأغلبية المطلقة". الثقة هنا هي "الاستعلاء الإيماني" الذي يجعل الداعية يرى الأعداء (ذراً) في ملكوت الله.

3. الثقة في "عدالة الجزاء" بما كذبون)

ثقة نوح كانت تتجلى في يقينه بأن الله سيجعل "نفس أداة الجريمة" (التكذيب) هي "سبب العقوبة". هذه الثقة تمنح المصلح هدوءاً نفسياً؛ فهو يعلم أن الباطل يحمل بذور فناءه في داخله، وأن الله "يملي للظالم" ليأخذه أخذ عزيز مقتدر.

ثالثاً: ما نتعلمه من الآية عن "اليقين"

* اليقين يحمي من "الانكسار": لولا الثقة بوعد الله، لتحول نوح إلى "شخصية مهزوزة" تدهن الملاءم ليرضوا عنه. لكن اليقين جعله يطلب النصر وهو في قمة الشموخ.

* الدعاء هو "فعل الواثقين": عندما تدعو بـ {انصُرْني}، فأنت تبرهن على ثقتك بأن القوة الحقيقية ليست في (البرلمانات) أو (الجيش) أو (المنصات)، بل في "كلمة الله".

* الخروج من ضيق "الظن" إلى سعة "العلم": الأعداء يتربصون بـ "ظن" أنك ستفشل، وأنت تثبت بـ "علم" أن الله سينصرك.

الخلاصة:

الثقة في حياة نوح لم تكن "مشاعر باردة"، بل كانت "حراكاً إيجابياً". الثقة هي التي جعلته يمسك المطرقة ليبني السفينة في اليابسة، وهو يوقن أن الماء سيأتي من حيث لا يحتسب الخلق.

المفهوم الرابع

سرعه الاستجابة للدعاء

إن مجيء حرف "الفاء" في قوله تعالى في سورة القمر: {فَدَعَا رَبَّهُ أَتِي مَقْلُوبٌ فَأَنْتَضِرُ} (وهي الآية الشارحة لسرعة الاستجابة والتعقيب على تعنت الملاءم في سورة المؤمنون) يحمل دلالات بيانية ونفسية هائلة، تكشف عن "عاطفة الداعية" والتحول اللحظي من الصبر إلى الاستنصار.

إليك التفصيل الدقيق لدلالة هذا الحرف في سياق معركة الوعي والثبات:

أولاً: "الفاء" ودلالة الترتيب والتعقيب الذاتي

في لغة العرب، تفيد "الفاء" الترتيب والتعقيب المباشر دون تراخ.

* المعنى التربوي: بمجرد أن وصل "طغيان الملاءم" إلى ذروته (بالتكذيب والشخصنة والتربص)، لم يتردد نوح عليه السلام لحظة واحدة. "الفاء" هنا تعبر عن "انفجار المكنون"؛ فقد ضاق الصدر بالبشر، ففاضت الروح فوراً إلى رب البشر.

* الفاعلية: هي ليست فاء "العجز"، بل هي فاء "القرار". الداعية الواثق يقرر متى ينتهي وقت "المحاجة" ويبدأ وقت "المناجاة".

ثانياً: دور العاطفة في "لحظة الاستغاثة"

العاطفة في دعاء نوح ليست عاطفة "ضعف منكسر"، بل هي "عاطفة حق مهضوم".

* سرعة الاتصال: "الفاء" توحى بأن المسافة بين (الألم) و(الدعاء) كانت صفراً. هذا يعكس "حرارة العاطفة" ويقين الداعية بأن بابه الوحيد المفتوح هو باب السماء.

* عاطفة الانكسار لله (العبودية): في قوله {فَدَعَا رَبَّهُ}، لم يقل "فدعا الله"، بل اختار (الرب) لأن العاطفة هنا تتطلب "الحنان الأبوي" والرعاية الإلهية لمن ربي وصنع على عين الله.

ثالثاً: "الفاء" كجسر بين "الانسداد الأرضي" و"الانفتاح السماوي"

عندما قال الملاءم: {فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ}، جاء الرد بـ {فَدَعَا}.

* المفهوم الاستراتيجي: الأعداء خططوا لـ "حين" ممتد (زمن)، ونوح رد بـ "فاء" عاجلة (سرعة).

* الدرس: "الفاء" هنا تكسر رهان الأعداء على عامل الزمن؛ فهم يظنون أنهم يحاصرونه بالوقت، وهو يكسر حصارهم بـ "سرعة الاستجابة" الإلهية التي يولدها الدعاء الصادق.

رابعاً: دلالات التجويد المرتبطة بـ "الفاء"

* همس "الفاء": حرف الفاء حرف مهموس (يجري معه النفس). صوتياً، هذا الهمس يمثل "نفثة المصدور" و"بث الشكوى" الهادئة والقوية في آن واحد.

* القصر في (فَدَعَا): حركة الفاء الفتحة سريعة جداً، مما ينسجم صوتياً مع "سرعة اللجوء".

* ارتباطها بـ (أَتِي مَقْلُوبٌ): لاحظ كيف جاءت الفاء لتفتح الباب للاعتراف بـ (الغلبة البشرية) طلباً لـ (الغلبة الإلهية). فالعاطفة هنا هي "عاطفة التفويض التام".

المفاهيم المستنبطة:

* قاعدة "الفاء" التربوية: لا تسمح للأزمات أن "تتراكم" في صدرك حتى تخنقك؛ بل حولها بـ "فاء التعقيب" إلى دعاء وعمل.

* التوازن العاطفي: الداعية القوي هو من يملك عاطفة جياشة تجاه ربه (انكساراً) وعزيمة صلبة تجاه أعدائه (ثباتاً).

* الثبات الإيجابي: "الفاء" تدل على أن نوحاً لم يكن "سلبياً" ينتظر الموت، بل كان "مبادراً" يطلب التدخل العلوي لتغيير المسار التاريخي للبشرية.

بهذا نكون قد عمقنا فهم "اللحظة الفاصلة" في حياة نوح عليه السلام.

المفهوم الرابع

أهميه فقه الدعاء والاستنصار في حياتنا
عندما يواجه الإنسان تكذيباً لمبادئه أو ظلماً شخصياً يمس كرامته، يجد نفسه أمام مسارين: مسار الانتقام الشخصي (الذي يحركه الغضب والانتصار للذات)، ومسار الاستنصار بالله (الذي يحركه اليقين والترفع الرسالي) ولهذا فإن الاقتداء بنوح عليه السلام في قوله {رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُون} يعلمنا أن رفع الأمر لرب العزة ليس "هروباً" بل هو "أسمى درجات الحكمة والاستراتيجية"، وذلك للأسباب التالية:

1. التفرقة بين "الذات" و"الرسالة"
* الانتقام الشخصي: يجعل المعركة (أنا ضد فلان)، وهنا تضع القضية الكبرى في وحل الخلافات الجانبية.

* نهج نوح: جعل المعركة (الحق ضد التكذيب). هو لم يقل "انتقم لي لأنهم سخروا من ثيابي"، بل قال {بِمَا كَذَّبُون}. هو يدافع عن "الحقيقة" التي يحملها، وهذا يمنح صاحبه وقاراً وهيبة لا تتوفر للمنتقم لنفسه.

2. كفاية "الوكيل" عن "الوسيلة"
* عندما تنتقم لنفسك، فأنت تعتمد على قوتك المحدودة، وعلاقاتك، ولسانك، وقد تظلم أو تخطئ.
* عندما ترفع الأمر لرب العزة، فأنت توكل "العدل المطلق". الله سبحانه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وهو القادر على رد اعتبارك بطريقة لا تخطر لك على بال، وبأدوات (كطوفان نوح) لا يملكها أحد سواه.

3. السلام النفسي والثبات (علاج الشخصية المهزوزة)
* الانتقام الشخصي يترك القلب مليئاً بالغل والتوتر، مما يجعلك "رهينة" لتصرفات خصومك؛ فأنت تنفعل بما يفعلون.
* الاستنصار بالله يمنحك "السكينة". أنت أديت ما عليك، ورفعت شكوك لأعلى سلطة في الكون، ثم انشغلت بـ (صناعة الفلك). هذا النوع من الثبات هو الذي يحمي الداعية من الانكسار أو بيع مبادئه تحت ضغط الألم.

كيف نطبق ذلك اليوم؟

* في المهنة: إذا حاربك الزملاء أو "الملا" في عملك، لا تنشغل بالرد على الشائعات (الشخصنة)، بل ارفع قلبك بالدعاء واجعل "إتقانك وعملك" هو السفينة التي ستحملك وتغرق خصومك في بحر عجزهم.

* في المجتمع: عندما تثهم بالسذاجة أو التشدد، كن كنوح في "هدوئه الاستراتيجي". التفويض لله لا يعني الكسل، بل يعني أنك تعمل وأنت مطمئن لـ "النتيجة".
خاتمة (مسك الختام):

إن الاستنصار بالله هو "قمة الفاعلية". هو تحويل الظلم من "عائق" إلى "دافع" للاتصال بالقوة العظمى. وكما أن نوحاً لم يفرق مع الفارقين لأنه كان في "معية الله"، فإن كل من يرفع أمره لربه بصدق، سيجد نفسه يرسو على "جودي النجاة" بينما يغرق المكذبون في ركام أقوالهم.

المفهوم السادس

الفرق بين كذبون وكذّبوني

في لغة القرآن ودقائق رسم المصحف، الفرق بين كَذَّبُون (بحذف الياء، و) كَذَّبُونِي (بإثباتها، ليس مجرد فرق شكلي، بل هو فرق يحمل أبعاداً بلاغية ونفسية عميقة تتعلق بسياق الآية وحال الداعية. إليك التفصيل الدقيق لهذا الفرق في سياق بحثك:

1. من الناحية اللغوية والرسم

* كذبوني (بإثبات الياء): هي الأصل اللغوي، حيث الياء هي ياء المتكلم في محل نصب مفعول به.
* كذبون (بحذف الياء والاكْتفاء بالكسرة): تحذف الياء في الرسم القرآني لأغراض بلاغية وصوتية، وتظل الكسرة تحت "الثون" دليلاً على الياء المحذوفة.

2. الفوارق البلاغية والنفسية

أ. سرعة اللجوء والاضطرار (الإيجاز)

حذف الياء في قوله {رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُون} يعكس حالة "السرعة" و "الضيق".

* في مقام الاستغاثة والدعاء، يميل القرآن للإيجاز بالحذف؛ لأن المكروب لا يجد فضلاً من الوقت أو النقص لإطالة الكلمة.

* حذف الياء يجعل الكلمة تنتهي "بكسرة" سريعة، مما يوحي بأن الداعية يريد أن يرفع شكواه لله في أسرع وقت ممكن ليأتيه النصر.

ب. توحيد "جهة المعركة" (نصرة المنهج)

* عندما يُحذف) ياء المتكلم، يقل التركيز على "شخص" الداعية، ويصبح التركيز على "فعل التكذيب" ذاته.

* وكأن نوحاً عليه السلام يقول: "يا رب، انصربي بسبب هذا التكذيب الذي صار صفة لازمة لهم"، ف الحذف هنا يخدم "تجريد" القضية من الشخصية ويجعلها قضية) حق ضد تكذيب.

ج- الفاصلة القرآنية) التناسب الصوتي)

* الحذف يراعي رؤوس الآيات وجرسها الموسيقي. فكلمة) كَذَّبُونَ (تناسب صوتياً مع الفواصل التي قبلها وبعدها) مثل: المؤمنون، يبعثون، مبعوثون.

* هذا التناسب الصوتي يعطي شعوراً بـ "الإحكام"؛ فكما أن نظام الآيات محكم ومنتزِع بـ "ثون" ساكنة عند الوقف، فإن قدر الله محكم وسينتهي بنصر حاسم.

3.الدلالة على "الاستمرارية" و"القطع"

* قيل إن ذكر الياء) كذبوني (يُستخدم غالباً في مقام الإخبار عن حادثة معينة.

* أما حذف الياء) كذبون (في مقام الدعاء، فيوحي بأن التكذيب قد استغرق كل شيء، ولم يعد هناك متسع لذكر "الياء"، فكان "أنا" الداعية قد ذابت في "هم" الدعوة، فلم يذكر نفسه إلا بالكسرة الدالة عليه.

خلاصة للمذكرة البحثية:

استخدام) كَذَّبُونَ (بالحذف في دعاء نوح عليه السلام هو "إيجاز استغاثة". هو يعبر عن شخصية صامدة لا تلتفت لذاتها بقدر ما تلتفت لربها، وتطلب النصر بكلمات مقتضبة تدل على يقين بأن الله "يعلم" ما أصابها دون الحاجة للإطالة في ذكر "ياء المتكلم".

المفهوم السابع

الشخصية الصامدة التي لا تبغ قيمها أمام تربص الأعداء
تعد "الشخصية الصامدة" في المنهج القرآني، والمتمثلة في ثبات نوح عليه السلام أمام (الملا)، أرقى نموذج للنضج النفسي والإيماني. هي تلك الشخصية التي تمتلك "جهاز مناعة قيمياً" يمنعها من الذوبان في ضغوط الواقع أو الانكسار أمام حملات التشويه.
إليك شرح مفصل لأبعاد هذه الشخصية وكيف ترفض بيع قيمها:

1. الاستقلال عن "التقييم الخارجي"

الشخصية الصامدة لا تستمد قيمتها من "تصفيق الجماهير" ولا تهتز بـ "سخرية الأعداء".
* في قصة نوح: عندما وصموه بالجنون (به جنّة) أو طلب الفضل، لم يدافع عن نفسه بارتباك، ولم يحاول "تعديل" رسالته ليرضوا عنه.

* المفهوم: هو الشخص الذي يمتلك "مرجعية داخلية" صلبة (اليقين بالله)، تجعل نباح المكذّبين حوله لا يغير من قناعاته بصحة طريقه.

2. المناعة ضد "الاغتيال المعنوي"

العدو يتربص ليحطم "سمعتك" حتى تضطر للتنازل مقابل استعادة مكانتك. الشخصية الصامدة تدرك أن:

* الكرامة في المبدأ لا في المنصب: هي شخصية تقبل أن تسمى "مجنونة" في سبيل الحق، ولا تقبل أن تسمى "عاقلة" في ركاب الباطل.

* الثبات الاستراتيجي: تدرك أن (التربص) هو فخ لإضاعة الوقت، فترفض الانشغال بالرد على التفاهات وتنشغل بـ (صناعة الفلك).

3. رفض "المساومات" في أوقات الحصار

أخطر ما يواجه المصلح هو "العروض المغرية" أو "الضغوط الخائقة" أثناء فترة التربص (حتى حين).

* عدم الانكسار: الشخصية الصامدة لا تبغ مواقفها بـ "عرض من الدنيا قليل". هي تدرك أن التنازل الصغير اليوم هو سقوط كلي غداً.

* اليقين بالبدل الإلهي: هي شخصية تؤمن أن "الرزق" و"النصر" بيد الله، لذا لا تداهن (الملا) خوفاً من فقر أو طلباً لجاه.

4. كيف تُبنى هذه الشخصية؟

* الاتصال بالوحي: (بأعيننا ووحينا)؛ فالشعور بالمعية الإلهية هو الوقود الحقيقي للصمود.

* العمل المستمر: الفراغ يورث الهزيمة النفسية، بينما "العمل" (صناعة السفينة) يثبت القلب ويصرف الذهن عن أذى المتربصين.

* قبول الابتلاء: إدراك أن (التربص) و(التكذيب) هما "جزء من المسار" وليس عائقاً عنه؛ فالحق لا بد له من ضريبة.

الخلاصة :

الشخصية الصامدة هي التي "تشتري الخلود ببيع اللحظة". هي لا تبغ قيمها لأنها تدرك أن القيم هي "سفينة النجاة" الوحيدة، وأن أي ثمن يُعرض عليها مقابل التنازل هو في الحقيقة "ثمن غرقها".

هذه الشخصية هي التي تحول "التربص" من أزمة إلى "محطة تقوية" تخرج منها أصلب عوداً وأعمق يقيناً.

هل تود مني صياغة "اختبار ذاتي" بسيط يساعد المصلح على قياس مدى (صمود شخصيته) أمام الضغوط الاجتماعية والمهنية؟

خلاصه ماورد في الفصل الثالث والرابع .

الميثاق الختامي: فقه الثبات وإدارة معارك الوعي

(رؤية استراتيجية مستوحاة من منهج نوح عليه السلام - سورة المؤمنون)

1. تشخيص المعركة: سيكولوجية "الملا" وأدوات التشويه

* معركة الصورة الذهنية: يدرك أعداء الحق أن إسقاط "الرمز" هو أقصر طريق لإسقاط "الرسالة".

* أدوات الاغتيال المعنوي:

* الشخصية: (بشر مثلكم، يريد أن يتفضل عليكم)؛ لتحويل القضية من "وحي إلهي" إلى "طموح شخصي".

* الوصم النفسي: (به جنة)؛ لإسقاط الأهلية العقلية والاجتماعية وعزل الداعية عن الجماهير.

* التنميط الإعلامي: استغلال الفن والإعلام (قديماً وحديثاً) لتصدير صورة (المتطرف، الساذج، أو المعتوه) لتنفير الناس من القدوة.

2. فقه التعامل مع الزمن: استراتيجية "التربص"

* النفس الطويل الغادر: لجوء الباطل لقوله (فتربصوا به حتى حين)؛ وهو رهان على عامل الوقت لإحداث الانكسار النفسي أو انتظار سقطة للمصلح.

* الرد الاستراتيجي (صناعة الفلك):

* تحويل "زمن التربص" من وقت ضائع إلى "زمن بناء".

* عدم الاستعجال في طلب النتائج؛ فاليقين بأن "الحين الإلهي" آتٍ يمنح السكينة.

* الإنجاز العملي هو الرد الوحيد الذي يكسر حصار الشائعات.

3. الدعاء كفعل استراتيجي: نصرة المنهج لا الذات

* سلاح الأقوياء: الدعاء (رب انصرني بما كذبون) هو انتقال من "بذل السبب الأرضي" إلى "استجلاب المدد السماوي".

* دلالة الإيجاز: اكتفاء نوح بطلب النصر دون تفصيل يدل على ثقة مطلقة في تدبير الله، وترفع عن "التشفي الشخصي".

* التحول من الداعية للمستنصر: هو إعلان بأن الأسباب البشرية بلغت منتهاها (بعد 950 سنة)، وأن المعركة الآن هي معركة "الله" لنصرة دينه.

4. دروس الثبات واليقين (خلاصة التجربة)

* قاعدة "الاستغناء بالله": من استمد قيمته من (بأعيننا ووحينا)، لم يضره سخرية المتربصين (به جنة).

* علاج الشخصية المهزوزة: الثبات على المبدأ يحمي المصلح من بيع دينه بعرض زائل، ويجعل منه "قائداً" حتى وهو وحيد في سفينته.

* فلسفة "الفاء" في (فدعا): سرعة اللجوء للخالق عند اشتداد كرب الخلق، وتحويل الألم إلى "طاقة اتصال" لا إلى "حالة انكسار".

5. دلالات "الأداء الصوتي" في الثبات (رؤية تجويدية)

* الكسر (رَبِّ): انكسار الافتقار لله الذي يولد شموخ الاستعلاء على الباطل.

* القلقلة (مُتَّيِّلِينَ): الاضطراب الذي يولد قوة؛ فالمحن تصقل المعدن ولا تحطمه.

* المد العارض (حين): تذكير بأن لكل "أمد" نهاية، وأن سكون الباطل يعقبه طوفان الحق.

الخاتمة: مآل الصراع

إن السفينة التي بناها نوح في الصحراء كانت تبدو "جنونا" في أعين المتربصين، لكنها كانت "النجاة الوحيدة" عند هبوب العاصفة. كن صاحب "فلك" في واقعك؛ ابن مؤسستك، عمق علمك، ثبّت قيمك، ودع المتربصين في "حينهم" يغرقون، فالعاقبة دائماً لمن كان مع الله.

الفصل الخامس

آية "الاستجابة والعمل"، حيث يتحول الدعاء إلى خطة تنفيذية مادية، وتشكل ملامح النجاة وسط حصار الهلاك. فقال تعالى

{فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا} وَوَحَيْنَا إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تَخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرَقُونَ}

الفقرة الأولى: {فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا} (بروتوكول الرعاية والصناعة)

* التفسير والمدلول: الاستجابة الفورية (فـأوحينا) لم تكن بهلاك العدو مباشرة، بل بأمر نوح بـ العمل. (اصنع الفلك) هي تحويل الإيمان إلى "صناعة" وتقنية. (بأعيننا) تعني الرعاية المباشرة، و

(وحيًا) تعني الكتلوج أو الدليل الهندسي الإلهي لهذه السفينة.

* اللمسات البيانية والبلاغية:

* الباء في (بأعْيُنًا): تسمى باء "المصاحبة والملابسة"; أي أن عين الله ترقب كل مسمار وكل لوح خشب، مما يمنح العامل طمأنينة مطلقة.

* الجمع في (أعْيُنًا - وحيًا): يفيد التعظيم والتعدد في مظاهر الحماية والتدبير.

* الأنغام الصوتية وأحكام التجويد:

* الصاد في (اصْنَع): حرف "إطباق وصفر"; صوته حاد وقوي يجسد صوت "المناشير والمطارق" واحتكاك الأدوات بالخشب، مما ينقل السامع لجو الورشة والعمل الدؤوب.

* المد المتصل في (فَأَوْحَيْنَا): يعطي امتداداً زمنياً يصور نزول الوحي من السماء إلى الأرض بفيض من الرحمة.

* الرسائل والدروس:

* للمصلحين والعلماء: الاستغاثة بالله لا تعني التواكل؛ الله يعطيك "الخطأ" (الوحي) ويأمر بك بـ "العمل" (الصناعة). النجاة تصنع بالأيدي المؤمنة.

تأتي الآية 27 من سورة المؤمنون بصيغة {فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ} لتكون الجواب الإلهي القاطع والسريع على استغاثة نوح عليه السلام. حرف "الفاء" هنا هو بطل المشهد، فهو "فاء التعقيب" التي تفيد الفورية و السرعة، وكأن الوحي كان ينتظر فقط لحظة صدق الدعاء لينطلق بالخلاص

الدرس الأول

دلاله الاستجابة الفورية والمفاهيم العملية المستنبطة منها لحياتنا:

أولاً: دلالة الاستجابة الفورية {فَأَوْحَيْنَا}

* قصر المسافة بين الاضطرار والفرج:

حين قال نوح {انصُرْنِي}، جاء الرد بـ {فَأَوْحَيْنَا}. الحذف الزمني هنا يوحي بأن الله لا يترك وليه المصلح نهياً للحيرة بعد صدق اللجوء. السرعة تدل على "الرعاية الحاضرة" التي لا تغيب.

* الانتقال من "طلب النصر" إلى "خطة العمل":

الاستجابة لم تكن مجرد "طمأننة قلوب"، بل كانت "وحيًا بخطوات تنفيذية" (اصْنَع الْفُلْكَ). وهذا يعلمنا أن نصر الله قد يأتي في صورة "إلهام بفكرة" أو "توجيه لعمل" يغير الواقع.

* كسر رهانات المتربصين:

بينما كان الأعداء يخططون لـ (حين) ممتد من التربص، كانت (فاء) الاستجابة أسرع من مكرهم، مما يعني أن تدبير الله فوق تقديرات البشر الزمنية.

ثانياً: المفاهيم والرسائل العملية في حياتنا

1. الرسالة اليقينية: "فاء" الاستجابة مرهونة بـ "صدق" الاستغاثة

في حياتك المهنية أو الشخصية، عندما تضيق بك السبل وتواجه "تكذيباً" أو "تربصاً"، فإن الاستجابة الفورية لا تتطلب كثرة كلام، بل تتطلب "انكساراً" صادقاً. اليقين بأن الفرج قد يسبق ارتداد طرفك هو وقود الصمود.

2. التوجيه العملي: النصر "وحي" بالعمل وليس قعوداً للانتظار

الله لم ينزل الطوفان فوراً، بل أوحى إليه بـ (صناعة السفينة).

* الدرس: إذا دعوت الله بالنجاح أو النصر، فانتظر "فاء" التوفيق التي تفتح لك باباً للعمل أو فكرة لمشروع. الاستجابة الفورية قد تكون "فرصة" عرضت عليك، فكن يقظاً لاقتناصها.

3. مفهوم "المعية تحت المجهر" بأعيننا ووحينا)

كلمة {بأعْيُنًا} المقترنة بالاستجابة تعطي شعوراً بالأمان المطلق.

* التطبيق: عندما تعمل في بيئة معادية، استشعر أن الله يراقب تفاصيل جهدك. هذا الشعور يجعلك تعمل بدقة وإتقان (احترافية) لأنك "تصنع" مستقبلك تحت الرقابة الإلهية، وليس إرضاءً للبشر.

4. إدارة الأزمات: التوجيه بالوضوح والخطوات المحددة

الآية لم تقل "أوحينا إليه أننا سننصرك" فقط، بل أعطته تفاصيل دقيقة (اصنع، بأعيننا، فإذا جاء أمرنا..).

* التوجيه: عند وقوع الأزمة، لا تكتفِ بالدعاء العاطفي، بل ابحث عن "الوحي العملي" (الاستشارة، التخطيط، دراسة الأسباب). الاستجابة الحقيقية هي التي تمنحك "خارطة طريق" للخروج من المأزق.

ثالثاً: الدروس المستفادة للشخصية الصامدة

* لا تيأس من طول الأمد: نوح انتظر 950 سنة، لكن عندما جاءت ساعة الاستجابة كانت بـ "الفاء" السريعة. العبرة بخواتيم الأمور وبصدق اللحظة الأخيرة.

* الثبات على المبدأ يجلب المدد: لو انكسر نوح أمام (المأ) لما جاءته "الفاء". المدد الإلهي ينزل على القلوب الثابتة لا المهزوزة.

* الربط بين التجويد والواقع: الفتحة في (فَأَوْحَيْنَا) توحى بالفتح والانطلاق. هكذا هي حياة المؤمن؛ ضيق في الصدر بالدعاء، يتبعه "فتح" سريع في الواقع بالعمل والنجاح.

الخلاصة:

الاستجابة الفورية في الآية 27 هي "شهادة ميلاد" لواقع جديد. هي تخبر كل مصلح أن صرختك (رب انصري) هي المفتاح الذي يدير محرك النصر (فأوحينا). فإذا قُتِح لك باب "العمل" بعد "الدعاء"، فاعلم أنك في عين الرعاية، فامض في صناعة سفينتك ولا تلتفت للمتربصين.

الدرس الثاني

أهميه التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب
تعد التوجيهات الإلهية لنوح عليه السلام في الآية 27 من سورة المؤمنون: {فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْقُلُوكَ بِأَغْنَيْنَا وَوَحَيْنَا}، التأسيس القرآني الأسمى لمبدأ "التوازن بين التوكل والأخذ بالأسباب". فبعد تسعة قرون ونصف من الدعوة، لم يأت النصر بمعجزة تنزل من السماء بينما نوح جالس ينتظر، بل جاء الأمر ببدء "مشروع هندسي" شاق.
إليك تفصيل هذه الأهمية وتوجيهاتها في حياتنا العملية:

1. الأخذ بالأسباب: عبادة لا مجرد وسيلة
الله سبحانه قادر على إغراق الكافرين ونجاة المؤمنين بكلمة "كن"، لكنه أمر نوحاً بصناعة السفينة ليعلمنا أن:

* الأسباب جزء من التكليف: صناعة السفينة كانت "امتحاناً" لصدق نوح. التوكل الحقيقي هو الذي يدفعك للعمل، وليس الذي يبرر لك الكسل.

* إتقان السبب (بأعيننا): لم يطلب منه مجرد صنع "خشب"، بل طلب منه صناعة "فلك" تحت رقابة إلهية. وهذا يوجهنا إلى أن "الاحترافية" في العمل هي مقتضى الإيمان؛ فالمصلح يجب أن يكون أmeer الناس في مهنته (كقانوني، أو مهندس، أو طبيب).

2. التوكل: الروح التي تحرك الأسباب
الأخذ بالأسباب دون توكل هو "غرور"، والتوكل دون أخذ بالأسباب هو "عجز".
* التوجيه الإلهي: (بأعيننا ووحينا)؛ أي أنك يا نوح تبذل جهدك البدني، ونحن نتولى التسديد و التوجيه.

* المفهوم العملي: عندما تبدأ مشروعك أو قضيتك القانونية، ابذل أقصى جهد في البحث والتحضير (السفينة)، وقبلك مطمئن بأن النتائج بيد الله (التوكل). هذا التوازن يحميك من "القلق" إذا تأخرت النتائج، ومن "العجب" إذا نجحت.

3. السفينة كرمز لـ "إعداد القوة"
في بيئة صحراوية يندر فيها الماء، كان بناء سفينة ضخمة يبدو "غير منطقي" للمتربصين، لكنه كان "قمة المنطق" عند الله.

* الدرس: قد يستهزئ الناس من إعدادك وتخطيطك الطويل (بناء قدراتك، تعلم مهارات جديدة)، لكن هذا الإعداد هو الذي سينجيك عندما تهب "طوفانات" الأزمات المهنية أو الاجتماعية.
* الاستراتيجية: الأخذ بالأسباب هو "لغة الواقع"، والتوكل هو "لغة اليقين". المصلح الناجح هو من يتحدث اللغتين معاً.

4. الدروس والرسائل لحياتنا العملية
* قاعدة "اعقلها وتوكل": لا تنتظر معجزة لتغيير وضعك المالي أو المهني دون أن "تصنع سفينتك". اسع في الأرض، طور مهاراتك، وخذ بالأسباب المتاحة مهما بدت بسيطة.

* الثبات تحت السخرية: نوح كان يبني السفينة والناس يسخرون منه. الأخذ بالأسباب يتطلب "شجاعة" للاستمرار في مشروعك رغم "تربص" المحيطين.

* تكامل الأمداد: الجهد البشري (صناعة السفينة) التقى مع المدد الإلهي (وفجرنا الأرض عيونا) ليتحقق النصر. هكذا حياتنا: إبدأ بجهدك المقل، وسيأتيك المدد من حيث لا تحتسب.

5. التوجيهات النهائية للدرس:
* مفهوم "السببية الإيمانية": نحن نأخذ بالسبب لأن الله أمرنا بذلك، لا لأن السبب يخلق النتيجة بذاته.

* النجاة في "العمل": السفينة لم تكن مجرد وسيلة نقل، بل كانت "مدرسة" للصبر والعمل الجماعي.

* الرسالة لكل مصلح: دعاؤك (رب انصري) يجب أن يتبعه فوراً صوت مطرقتك وأنت تبني "سفينة" نجاحك. فالوحي (فأوحينا) جاء بالعمل ولم يأت بالراحة.
بهذا نكون قد أحكمنا الربط بين "الدعاء" و"العمل"

الدرس الثالث

الفائدة من أمر الله نوح بصناعه السفينه مع أن الله قادر أن ينزل سفينه جاهزه ؟
تحمّل صناعة نوح عليه السلام للسفينة بنفسه (بدلاً من إنزالها جاهزة) دلالات بالغة الأهمية في فلسفة العمل البشري وعلاقة الأرض بالسماء. إن هذا الإلزام الإلهي ليس "مشقة" لنوح، بل هو "تربية" للأجيال، وإليك الرسائل والتوجيهات العميقة المستنبطة من ذلك:

1. الصناعة كفعل "مشاركة" في صناعة القدر

أراد الله لنوح أن يكون شريكاً بالجهد في عملية النجاة، لا مجرد متلقٍ سلبي للمعجزات.
* الرسالة: الله سبحانه يريد منا أن "نستحق" النصر ببذل الوسع. إنزال سفينة جاهزة يكرس "عقلية التواكل"، أما بناؤها مسماراً بمسمار يكرس "عقلية البناء".
* التوجيه: النجاح الذي لا تضع فيه عرقك وجهك لا يغير شخصيتك؛ فالمقصود من الابتلاء هو صناعة "الإنسان" قبل صناعة "السفينة".

2. السفينة كـ "مختبر" للثبات النفسي
لو نزلت السفينة جاهزة، لانتهدت سخرية الكفار فوراً برؤية المعجزة. لكن بقاء نوح مئات السنين يبني السفينة في الصحراء جعل السخرية تستمر.
* الرسالة: الأخذ بالأسباب الطويلة هو "تمحيص" للصادقين. الصبر على "مطرقة البناء" أصعب من الصبر على "مواجهة العدو".
* التوجيه: الاستمرار في مشروعك النافع وسط استهزاء (المال) هو الذي يصقل شخصيتك الصامدة.

3. دلالة "الصناعة" كمشروع نجاة (فقه المهنة)
اقتران النجاة بـ "الصناعة" (اصْنَعِ الْفُلْكَ) يرفع من شأن العمل اليدوي والاحترافي.
* أهمية الاحتراف: الوحي لم يعط نوحاً "سحراً"، بل أعطاه "هندسة". هذا يدل على أن التمكين في الأرض يحتاج إلى علم وصناعة وتكنولوجيا.
* دلالة النجاة: لا نجاة للأمة التي لا تصنع "سفيتها" (سواء كانت سفينة العلم، أو الاقتصاد، أو القوة). الصناعة هي التي تحمي القيم من "طوفان" التبعية.

4. الرسائل والتوجيهات العملية لحياتنا
أ- النصر "تراكمي" وليس "فجائياً"
كما أن السفينة بُنيت لوحاً بعد لوح، فإن التغيير الإصلاحي في المجتمع يحتاج إلى "تراكم" الجهود الصيرة. لا تنتظر "معجزة" تغير واقعك المهني بضغطة زر، بل ابدأ بـ "صناعة" نجاحك يوماً بيوم.
ب- "بأعيننا" .. الرقابة التي تمنح الإتيقان
إلزام نوح بالبناء تحت الرقابة الإلهية (بأعيننا) يعلمنا "فقه الإحسان".

* التوجيه: اعمل في مهنتك وكأن الله يراقب كل "مسمار" تضعه في قضيتك أو مشروعك. الإتيقان هو الذي يجعل السفينة تصمد أمام الأمواج الجبال.
ج- تحويل "المواد الخام" إلى "أدوات نجاة"
الله أعطى نوحاً (الخشب والسامير) وأمره هو بالبناء.
* الرسالة: الله يعطيك "المواهب" و"الإمكانات" (المواد الخام)، والنجاة تكمن في قدرتك على "صياغتها" وتحويلها إلى مشروع ناجح. العيب ليس في قلة الإمكانات، بل في العجز عن "الصناعة" بها.

5. دلالات التجويد في (اصْنَعِ الْفُلْكَ)
* فعل الأمر (اصْنَعِ): همزة الوصل فيه تسقط عند الوصل، مما يوحي بـ "المسارعة". بمجرد انتهاء الوحي، يبدأ العمل فوراً دون فواصل زمنية.
* قوة حرف الصاد (اصْنَعِ): حرف استعلاء وإطباق، صوتياً يوحي بالصلابة والقوة المطلوبة في "الصناعة". هكذا يجب أن يكون مشروع نجاة المصلح: صلباً، قوياً، ومتقناً.
الخلاصة :

إلزام نوح بالصناعة هو تكريم لـ "الإرادة البشرية". الله أراد أن يسجل التاريخ أن نوحاً نجى بـ "صدق دعائه" و "إتيقان يده". النجاة ليست "منحة" للعاجزين، بل هي "مكافأة" للعاملين الواثقين بربهم.

الدرس الرابع

العناية والرعاية الإلهية للمؤمنين
تعد جملة {بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيُنَا} في الآية 27 من سورة المؤمنون هي "ميثاق الرعاية الإلهية" للمصلحين . هي الكلمات التي تحول العمل الشاق من "عبء بدني" إلى "تواصل روحي" مع الخالق.
إليك التحليل العميق لهذه المفاهيم والدروس المستنبطة لحياتنا الإيمانية والعملية:
أولاً : ماذا تعني {بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيُنَا}؟
{بِأَعْيُنِنَا}: تعني الرعاية، والحفظ، والرقابة المباشرة. الله سبحانه لا يراقب نوحاً ليحصى عليه الأخطاء، بل يراقبه ليحميه ويؤيده. إنها "عين المحبة" التي تكلأ المؤمن وهو يكدح في بيئة معادية.
{وَوَحْيُنَا}: تعني التسديد، والتعليم، والإلهام. نوح لم يكن نجاراً بالمهنة، فجاء الوحي ليعلمه "هندسة النجاة".

* المفهوم: الله يعطيك "الأمان" بعينه، ويعطيك "الخطة" بوحيه.
ثانياً: قاعدة استشعار "عين الله" وأثرها النفسي
استشعار أن "عين الله تنظر إليك" هو أقوى علاج لـ (الشخصية المهزوزة) (وأكبر دافع لـ) الإتيقان

المهني):

* عزة المؤمن: عندما يعلم الداعية أن الله يراه، لا يعود يبالي بنظرات السخرية من المألأ. (فمراقبة "الخالق" تغنيه عن ملاحظة "الخلق").

* دقة الأداء: من يعمل "بعين الله" لا يمكن أن يغش أو يهمل؛ لأن جودة "صناعة السفينة" هنا هي تعبير عن عبادته لربه.

* المدد الفكري: الاستشعار يفتح باب الإلهام؛ فالله يلهم المؤمن "حلولاً" إبداعية "لأزماته القانونية أو المهنية لا تخطر على بال القابعين في الحسابات المادية وحدها.

ثالثاً: فلسفة المدد) للعاملين لا للقاعدين)

تؤصل الآية لقاعدة ذهبية: "المدد الإلهي لا ينتزل على الفراغ".

* المدد مكافأة الجهد: الله لم يوح لنوح بكيفية النجاة وهو نائم في بيته، بل أوحى إليه وهو يمسك المطرقة. النصر ليس "هدية" للمتقين، بل هو "عون" للمبشرين.

* قاعدة "الحركة تجلب البركة": عندما تبدأ في الأخذ بالأسباب (بناء السفينة)، يتدخل المدد الإلهي لسد الفجوات التي يعجز عنها جهدك البشري. الله يكمل لك "ما عجزت عنه" لا "ما تكاسلت عنه".

رابعاً: بذل الجهد كأداة لـ "تطهير الأرواح"

لماذا ألزم الله نوحاً بالتعب والصبر 950 سنة ثم بصناعة السفينة؟

* استخراج الكوامن: الجهد البدني والذهني يخرج الإنسان من "مرض العجز" و"مرض الكبر".

* التطهير بالبذل: الصبر على طول أمد البناء في بيئة مستهزئة يطهر الروح من (العجب، والرياء، والاستعجال). (الروح التي عانت في "صناعة السفينة" هي الروح المؤهلة لقيادة "العالم الجديد" بعد الطوفان.

* العطاء يداوي الروح: الداعية الذي يبذل جهده لنجاة قومه (رغم كفرهم (يكتسب "رحمة" و"صلابة" تنزه روحه عن الأحقاد الشخصية.

خامساً: الدروس المستنبطة للمؤمنين) دليل العمل)

* قاعدة "العزيمة والمدد": اعزم على الأخذ بكل الأسباب القانونية والعلمية الممكنة، واستبشر بأن "مدد الله" سيأتيك في صورة) توفيق، إلهام، أو تسخير قلوب (ما دمت في حركة دائبة.

* لا تنتظر "نصراً مجانياً": الأمة التي لا تصنع "سفنهما" اقتصادها، سلاحها، فكرها (لا يحق لها أن تطلب من الله الفرق لأعدائها. النصر نتيجة لـ) إيمان + إعمار.

* الرقابة الذاتية: حول مفهوم "الإحسان" أن تعبد الله كأنك تراه (إلى ممارسة يومية في مكتبك وعملك؛ ستجد أن نتائجك أصبحت "مباركة" ومحمية بـ) أعيننا.

الخاتمة

إن قوله تعالى {بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيُنَا} هي رسالة لكل مؤمن صامد: "لست وحدك في الميدان". جهذك المنظور خلفه رعاية غير منظورة، وتعبك في الأرض يواكبه توفيق من السماء. فاصنع سفينتك بكل قوتك، واترك لرب العيون والوحي تدبير الطوفان والرسو.

الأمر الثاني

الفقرة الثانية: {فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ} (ساعة الصفر والعلامة الكونية)

* التفسير والمدلول: تحديد لحظة الانطلاق بعلامة غير مألوفة (فوران الماء من الفرن/التنور). انقلبت موازين الطبيعة (النار أصبحت ماءً)، إيذاناً بانفجار الطوفان.

* اللمسات البيانية والبلاغية:

* الفعل (فار): يوحي بالغليان والاندفاع المفاجئ والقوي الذي لا يمكن رده.

* الرسائل والدروس:

* لأعداء الإسلام: الله يمهّل لكنه لا يهمل؛ عندما تأتي "ساعة الصفر" (أمرنا)، لن تنفع الحصون و لا التبرص.

الدرس الاول

اهميه الاستعداد لمواجهة الازمات والتقاط الاشارات والتنبيهات كمفهوم مستنبط من هذه الايه الربط بين التخطيط المسبق) و(إدارة اللحظة الحاسمة).

تعد الآية 27 من سورة المؤمنون في قوله تعالى: {فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ...} مدرسة متكاملة في "فقه إدارة الأزمات" و**الإنذار المبكر** فهي تنقلنا من مرحلة "بناء السفينة" (الإعداد المادي) إلى مرحلة "ساعة الصفر" (الاستجابة للحدث)، وتؤصل لمفاهيم إدارية وإيمانية غاية في الأهمية:

1. مفهوم "نقطة التحول" والتقاط الإشارات (فار التنور)

لم يترك الله نوحاً عليه السلام ليفاجئه الطوفان بغتة، بل جعل له "علامة" أو "إشارة إنذار مبكر" وهي غليان الماء وفورانهِ من "التنور" (وهو موقد النار الذي لا يتوقع خروج الماء منه).

* الرسالة: المصلح والمدير الناجح هو من يمتلك الحساسية لـ "النقاط الإشارات" قبل وقوع الأزمة الشاملة. "فوران التنور" هو إيدان بانتهاء وقت "الاستعداد" وبدء وقت "التنفيذ".

- * التطبيق العملي: في حياتك المهنية والقانونية، عليك رصد التغيرات البسيطة أو "الإنذارات المبكرة" في بيئة العمل؛ فالفشل في التقاط الإشارة يعني الغرق في الأزمة عند وقوعها.
- 2. أهمية التخطيط المسبق للأزمات
- الاستعداد لم يكن وليد اللحظة، بل سبقه سنوات من صناعة السفينة. "فوران التنور" لم يربك نوحاً لأنه كان يملك "خطة طوارئ" جاهزة.
- * المفهوم: التخطيط المسبق هو الذي يحول الأزمة من "كارثة مدمرة" إلى "حدث مدار". السفينة صُنعت في وقت الرخاء لتستخدم في وقت الشدة.
- * الدرس: لا تبدأ في البحث عن حل للأزمة وقت وقوعها؛ بل ابحث عن "سفينةك" التي بنيتها في أيام السكون.
- 3. الالتزام بالمنهج الإلهي لك "مسطرة" للعمل
- نوح عليه السلام لم يتحرك بناءً على انفعال شخصي، بل بناءً على توقيت إلهي دقيق (فإذا جاء أمرنا).
- * الرسالة: النجاح في مواجهة الأزمات يتطلب انضباطاً عالياً بالمنهج. الالتزام بالقيم والمبادئ الإلهية في خضم العاصفة هو الذي يضمن النجاة.
- * التوجيه: المصلح لا يغير مبادئه تحت ضغط الأزمة، بل "منهجه الإلهي" هو الذي يحدد له متى يركب، ومن يصطحب، وكيف يتصرف.
- 4. مفهوم "الاستجابة الفورية" وتركيبه القرار
- بمجرد فوران التنور، جاء الأمر بـ (فاسلك فيها). الفاء هنا للسرعة.
- * الدرس: في إدارة الأزمات، هناك لحظة فاصلة بين "النجاة" و"الهلاك" تسمى (سرعة الاستجابة). التردد في هذه اللحظة يضيع مجهود سنوات من البناء.
- * التوجيه العملي: إذا التقطت "إشارة الأزمة" (التنور)، فلا تتردد في تفعيل "خطة النجاة" (السفينة) فوراً، لأن الوقت في تلك اللحظة لا يُقدر بثمن.
- المفاهيم والدروس المستنبطة لمذكرتك:
- * الوعي بالواقع: القدرة على قراءة المتغيرات وتوقع النتائج قبل وقوعها.
- * الاحترافية في التنفيذ: تنفيذ خطة النجاة بدقة وهدوء (احمل فيها من كل زوجين اثنين).
- * الثبات تحت الضغط: اليقين بأن المدد الإلهي مرتبط باتباع الإشارة (أمرنا).
- * تطهير الصفوف: الأزمة هي اللحظة التي يتم فيها الفصل بين (المؤمن الناجي) و(المكذب الغارق).

الخلاصة:

إن قوله تعالى {فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ} هو تعليم لكل مؤمن أن "النصر بالاستعداد، والنجاة بالاقتناع". الله لا يحمي الغافلين، بل يحمي الذاكرين المستعدين الذين يقرأون إشارات القدر ويتحركون بوعي المنهج.

الدرس الثاني

أهميته التوقيت بالنسبة للداعية بالمرحلية وعدم الاستعجال في الانتقال من مرحله الى اخرى قبل أوانها لما لها من تهديد للفرد والجماعة

تعد هذه الجزئية من أهم الركائز في "فقه التدرج والمرحلية" عند المصلحين؛ حيث تضع الآية 27 من سورة المؤمنون حداً فاصلاً بين "العاطفة المندفعة" و"الحكمة الاستراتيجية". إن ربط الانتقال للمرحلة الحاسمة بعلامة {فَارَ التَّنُّورُ} يورث الداعية والمصلح عدة مفاهيم حيوية لضمان سلامة البناء ونجاح الرسالة:

1. فقه التوقيت: النضج قبل الانطلاق
- نوح عليه السلام لم يركب السفينة لمجرد أنه سئم من قومه، ولم يبدأ "عملية الإنقاذ" بمجرد انتهاء البناء، بل انتظر "الإنذار الإلهي" المتجسد في العلامة الكونية.
- * الدرس: لكل مرحلة "زمن نضج" لا يمكن القفز فوقه. الاستعجال في الانتقال من مرحلة (بناء الكوادر والمؤسسات) إلى مرحلة (المواجهة أو التمكين) قبل أوانها يؤدي إلى ارتدادات عكسية قد تنهي المشروع بالكامل.
2. قاعدة "العلامات" (التقاط الإشارات السياسية والاجتماعية)
- جعل (فوران التنور) علامة هو توجيه لضرورة وجود "مجسات" لدى المصلح يقرأ بها واقعها.
- * المفهوم: الداعية الذكي هو من يراقب "تنور الواقع"؛ فإذا رأى غليان الأحداث أو نضج الظروف (السياسية، الاجتماعية، أو الاقتصادية)، أدرك أن وقت "الانتقال للمرحلة التالية" قد حان.
- * التطبيق: الانتقال غير المحسوب هو "مغامرة"، أما الانتقال المبني على "إشارة" فهو "استجابة واعية".
3. تجنب المغامرة لضمان سلامة "الصف المؤمن"
- لو استعجل نوح بالركوب قبل فوران التنور، لربما استهلك الموارد قبل الأوان. ولو تأخر بعد الفوران،

لغفر الجميع.

* الرسالة: التوقيت الدقيق هو ضمان لسلامة "السفينة" (المشروع) ومن فيها. المغامرة في العمل إلا صاحبي ليست شجاعة، بل قد تكون "تهورا" يُببّد الجهود السابقة.
* التوجيه: المصلح الحكيم يوازن بين (الحزم) في التنفيذ و(التأني) في الانتظار حتى تكتمل العلامات.

4. مفهوم "الانضباط التنظيمي" تحت ضغط الأزمة

بمجرد ظهور العلامة، جاء الأمر: {فاسلك فيها}.

* الدرس: التخطيط المسبق وتحديد "ساعة الصفر" يمنع الارتباك. عندما تظهر "إشارات المرحلة الجديدة"، يجب أن يكون الصف المؤمن على أهبة الاستعداد للانتقال السلس والمنضبط خلف القيادة الواعية، دون تخلف أو استعجال.
المفاهيم المستنبطة لمذكرتك البحثية:

* المرحلة المتزنة: الالتزام بمتطلبات كل مرحلة (دعوة، ثبات، بناء، ثم نجاة) وعدم حرق المراحل.
* اليقظة الاستراتيجية: القدرة على تحويل "العلامات الكونية أو الواقعية" إلى "قرارات حركية".
* شرعية الانتظار: الانتظار ليس عجزاً، بل هو جزء من "خطة العمل" حتى تأتي الإشارة المناسبة.
* الحسم بعد الإشارة: إذا جاءت الإشارة، ينتهي وقت "التنظير" ويبدأ وقت "التنفيذ" الحاسم.
الخلاصة:

إن قوله تعالى {فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنْوُّرُ} هو ميثاق "الاحترافية الدعوية". هو يعلمنا أن القائد الناجح لا يتحرك بـ "هواه" أو "انفعاله"، بل بـ "رؤيته" التي تلتقط إشارات القدر. فسلامة السفينة ومن فيها مرهونة بكلمة واحدة: "التوقيت".
الأمر الثالث

الفقرة الثالثة: {فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك} (إدارة الحشد وحفظ الحياة)

* التفسير والمدلول: الأمر بجمع أصول الحياة (التنوع الحيوي) والأسرة المؤمنة. (فاسلك) تعني إلا دخل برفق ونظام.

* الأنغام الصوتية وأحكام التجويد:

* السين والكاف في {فاسلك}: حروف فيها "همس" توحى بـ "الانسيابية والسرعة المنظمة" في دخول السفينة قبل فوات الأوان.

* تنوين العوض في (كل): يغني عن ذكر المحذوف (من كل صنف)، مما يعطي إيجازاً يخدم سرعة المشهد وضيق الوقت الدروس والمفاهيم من الآيه

تُكمل الآية 27 من سورة المؤمنون في قولها {فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك...} رسم الملامح النهائية لخطة "إدارة الأزمة الشاملة"، وتضعنا أمام مفاهيم حضارية وبيئية وإدارية تتجاوز مجرد النجاة الفردية إلى "حفظ الوجود الإنساني والكوني".

إليك التحليل الاستراتيجي لهذه المفاهيم:

1. فقه المبادرة والمصارعة عند "ساعة الصفر"

جاء الأمر بـ {فاسلك} (والفاء هنا للتعقيب والسرعة) مباشرة بعد ظهور الإشارة (فوران التنور).

* المفهوم: المبادرة هي الفارق بين النجاة والهلاك. في اللحظات التاريخية الفاصلة، لا يوجد وقت لـ "إعادة النقاش" أو "التردد". القائد الناجح هو من يحول خطته النظرية إلى "هجوم تنفيذي" كاسح بمجرد اكتمال الظروف.

* التطبيق: التأخر في التنفيذ بعد ظهور العلامات هو نوع من "التواكل" المدمر. المصارعة هنا تعني احترام "التوقيت الإلهي" الذي لا يتكرر.

2. إدارة "الحشد" وضبط التوازن

لم يقل الله لنوح "اركب ومن معك" بشكل عشوائي، بل حدد له فئات بدقة: (من كل زوجين اثنين، أهلك، المؤمنين).

* المفهوم: إدارة الحشود في الأزمات تتطلب "نظاماً صارماً". نوح عليه السلام قام بعملية "فرز وتسكين" لآلاف الكائنات في مساحة محدودة (السفينة) وفي وقت قياسي.

* الدرس: النجاح في الأزمات ليس في "الهروب الجماعي"، بل في "التنظيم الجماعي". القدرة على استيعاب الفئات المختلفة وتسكينها في مكانها الصحيح هو ذروة الكفاءة القيادية.

3. استباق "حفظ الحياة" وإعادة الإعمار

أمر نوح بحمل الأصناف الحية (من كل زوجين اثنين) يكشف عن رؤية استراتيجية لما بعد الأزمة.

* الرسالة: المصلح لا يفكر فقط في "تجاوز المحنة"، بل يفكر في "تأسيس ما بعد المحنة". السفينة لم تكن "ملجأ مؤقتاً"، بل كانت "مستودعاً للحضارة" القادمة.

* التوجيه: عند معالجة أي أزمة (قانونية أو مهنية)، لا تبحث عن حل ينتهي بانتهاء المشكلة، بل

ابحث عن حل يحفظ "أصول العمل" ويسمح بالاستمرارية والنمو المستقبلي.

4. الريادة في "حماية البيئة" وبذور الحياة

هذا النص القرآني هو أول "ميثاق بيئي" في تاريخ البشرية:

* الحفاظ على التنوع البيولوجي: الاهتمام بالحيوان والنبات (من كل زوجين) يؤصل لضرورة الحفاظ على التوازن البيئي. النجاة الإنسانية لا تكتمل بدون "نظام بيئي" سليم.
* بذور الحياة: الإشارة إلى (زوجين اثنين) تعني استبقاء "أصل النوع" لضمان التكاثر. وهذا يعلمنا في حياتنا العملية أهمية "حفظ الأصول"؛ فإذا عصفت الأزمت بمشروعك، فاحرص قبل كل شيء على حماية "النواة" التي تضمن لك البدء من جديد.
المفاهيم المستنبطة :

* المبادرة التنفيذية: الانتقال الفوري من "التخطيط" إلى "الحركة" عند تحقق الشروط.

* الشمولية في الإصلاح: الإصلاح الحقيقي لا يغفل عن "البيئة" و"الكون" و"الكائنات" المحيطة بالإنسان.

* فقه الاستخلاف: الإنسان مستأمن على الأرض بكل ما فيها، وعمله الصالح يشمل حماية بذور الحياة بكل أشكالها.

* التنظيم تحت الضغط: القدرة على قيادة مجموعات متنوعة وتسكينها وفق نظام محكم في أصعب الظروف.

الخلاصة النهائية:

إن قوله تعالى {فاسلك فيها} هو نداء لكل مصلح: "كن مبادراً، كن منظماً، وكن حريصاً على كل ذرة حياة حولك". فالنصر الذي لا يحفظ "أصول الوجود" هو نصر ناقص، والنجاة الحقيقية هي التي تحمل في طياتها بذور "العالم الجديد".

الأمر الرابع .

الفقرة الرابعة: {إِذَا مَنِ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ... وَلا تَخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِقُونَ} (قانون العدل المطلق)

* التفسير والمدلول: استثناء من كفر حتى لو كان من الأهل. (ولا تخاطبني) أي انقطع وقت الشفاعة، وصدر الحكم النهائي (إنهم معرقون).

* اللامات البيانية والبلاغية:

* الجملة الاسمية المؤكدة (إنهم معرقون): تفيد الثبات والتحقق؛ الغرق أصبح حقيقة واقعة في علم الله قبل أن يقع في الحس.

* الأنغام الصوتية وأحكام التجويدية:

* الغنة المشددة في (إنهم معرقون): غنة النون والميم المشددة تعطي رنيناً طويلاً يشبه "صدى الانغلاق"؛ كأن باب التوبة أغلق تماماً، وصوت الماء غطى على كل صوت آخر.

تجسيد الصورة الكلية للسامع:

تخيل المشهد بعينيك: نوح عليه السلام يعمل بجهد تحت نظر السماء (بأعيننا)، وفجأة ينفجر الماء من قلب النار (فار التنور)، يهرع المؤمنون والحيوانات في نظام دقيق إلى السفينة (فاسلك)، يحاول نوح بعاطفة الأب أن ينظر للخلف، فيأتيه الزجر الإلهي الحاسم (ولا تخاطبني)، ليسدل الستار بصوت (معرقون).

هذه الآية هي "فصل الخطاب"؛ حيث تنتهي الكلمات ويبدأ "الفرق" لمن ظلم، و"النجاة" لمن عمل.

الدروس والمفاهيم المستنبطة من الفقرة الرابعة

تعد هذه الجزئية من الآية 27 في سورة المؤمنون: {وَأَهْلَكَ إِذَا مَنِ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلا تَخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِقُونَ}، حجر الزاوية في بناء "العقيدة القيادية" والولاء والبراء. فهي تضع حداً فاصلاً بين "العاطفة الفطرية" و"الرابطة المبدئية"، وتؤسس لمنهج الحزم في الممارك الفاصلة.

إليك التحليل الاستراتيجي والإيماني لهذا المفهوم وتجلياته في حياتنا:

1. الحزم القيادي: الولاء للإيمان لا للنسب

جاء الأمر لنوح عليه السلام باستثناء من "سبق عليه القول" (أي من كفر وظلم) حتى لو كان من أقرب الناس إليه رحماً.

* المفهوم: القيادة الصامدة هي التي تدرك أن "رابطة الهدف والمبدأ" أقوى وأبقى من "رابطة الدم والجغرافيا". في اللحظات المصيرية، لا مكان للمحاباة أو "المحسوبية" على حساب سلامة المنهج.

* الدرس: "الأسرة الحقيقية" للمصلح هي تلك التي تشاركه الإيمان والعمل الصالح وبناء السفينة. هؤلاء هم "فريق العمل" الذي يستحق الرعاية والاهتمام والحماية، لأن بقاءهم هو بقاء للمشروع ذاته.

2. استئصال "المحاباة" لضمان سلامة الصف

قوله تعالى {وَلا تَخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا} هو حسم إلهي يمنع حتى مجرد "الشفاعة" أو

"المراجعة" فيمن اختار طريق الباطل.

* الرسالة: المداينة في أوقات الأزمات هي "ثغرة" قد تغرق السفينة كلها. إذا سمح القائد لـ "ظالم" بالركوب لمجرد أنه (قريب أو صديق)، فإنه يخون الأمانة ويعرض "الصف المؤمن" للخطر.

* التوجيه: الحزم في استبعاد "العناصر المعطلة" أو "الخائنة للمبادئ" هو رحمة بالبقية الصالحة، وضمان لوحدة الصف وقوة السفينة.

3. مفهوم "الحب والبغض في الله" ودلالاته

تجسد الآية هذا المفهوم في أبهى صورته؛ فهو ليس "كرهاً شخصياً"، بل هو "موقف مبدئي".

* ماذا يعني؟: هو أن تحب الإنسان لدرجة استقامته وصلاحه (أثره في بناء السفينة)، وأن تبغض فعله وانحرافه لدرجة استبعاده من "مشروع النجاة" إذا أصر على الظلم.

* دلالة التطهير: الحب والبغض في الله هو "فلتر" يظهر القلب من الانحيازات الجاهلية. نوح عليه السلام قدم "أمر الله" على "عاطفة الأبوة"، وهذا هو قمة الصدق مع الذات ومع الرسالة.

4. الدروس والتوجيهات العملية للمؤمنين

* بناء "أسرة المنهج": ابحث في حياتك المهنية والدعوية عن مشاركونك القيم، واجعلهم هم "بطانتك" وأسرتك التي تحوطها بالرعاية. القرب المعنوي والفكري أوجب من القرب المادي.

* العدل فوق العاطفة: بصفتك قانونياً أو قائداً، لا تدع "علاقاتك الشخصية" تحول بينك وبين إحقاق الحق أو استبعاد المقصر. المحاباة هي أول مسمار في نعش العدالة.

* الحسم في "ساعة الصفرة": عندما تحين المعركة الفاصلة (فوران التنور)، يجب أن تكون القلوب قد حُسمت ولولاءات قد وُجّهت. التردد في استبعاد "الظالمين" في تلك اللحظة هو مغامرة بمصير الناجين.

* تزكية الروح بالولاء لله: إن تطهير الروح من أمراض المحاباة والتبعية العمياء للأشخاص هو شرط أساسي لركوب "سفينة النجاة".

خلاصة (الفصل الختامي):

إن قوله تعالى {إِنَّهُمْ مَغْرَقُونَ} هو إعلان بنهاية عصر "المجاملات" وبدء عصر "الاستحقاق". النجاة لمن آمن وعمل صالحاً، والفرق لمن ظلم وكذب، ولو كان ابن نبي أو قريب ملك. هذا هو القانون الذي يحفظ السفن من الغرق، ويحفظ الأمم من التيه.

الفصل السادس

"أدب التمكين"؟

إليك التحليل العميق للآية (28) من سورة المؤمنون، وهي آية "الاستواء والتمكين"، حيث تنجلي الغمة، ويهدأ صخب الطوفان، ليبدأ المصلح فصلاً جديداً من الأدب مع الله في مقام النصر.

{إِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ فَقُلِ الصَّمَدُ لِلَّهِ الَّذِي تَجُنَّانَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}

الأمر الأول

الفقرة الأولى: {إِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ} (الاستقرار بعد الاضطراب)

* التفسير والمدلول: (استويت) تعني الاستقرار والتمكن والجلوس في توازن. هي لحظة انتهاء رحلة الخطر وبداية رحلة الأمان. (أنت ومن معك) تؤكد على "الجمعية"؛ فالنجاة ليست فردية بل لكل من آمن وعمل.

* اللامسات البيانية والبلاغية:

* الفعل (استويت): يوحي بالسكينة والوقار بعد "فوران" التنور و"اضطراب" الموج.

* التعبير بـ (ومن معك): تكريم للتابع، وبيان أن معيار النجاة هو "المعية" (الإيمان والعمل الصالح) لا الحسب والنسب.

* الأنغام الصوتية وأحكام التجويد:

* حرف السين في (اسْتَوَيْتَ): حرف فيه "صغير ورخاوة" يصور هدوء الريح بعد العاصفة، وصوت استقرار السفينة على مرافئ الأمان.

* التاء المهموسة في (اسْتَوَيْتَ): تعطي صوتاً خفياً يشبه "تنهيدة الراحة" بعد عناء طويل.

* الرسائل والدروس:

* للمصلحين والدعاة: لحظة النصر ليست لحظة فخر بل لحظة "استواء" واتزان نفسي. لا تجعل النصر يطغيك، بل اجعله يثبتك.

الدرس الأول .

يمثل مفهوم "الاستواء" في قصة نوح عليه السلام (الآية 28 من سورة المؤمنون) قمة التوازن بين الجهد البشري والسكينة الإلهية. هو ليس مجرد "جلوس"، بل هو حالة من التمكين والاستقرار الذهني والمادي فوق أسباب النجاة.

إليك التحليل العميق لهذا المفهوم وعلاقته بأداب المنتصر وفق النطاق الذي تدارسه:

أولاً: مفهوم الاستواء وفقه التمكين

الاستواء لغةً: هو الاعتدال، والكمال، والاستقرار في أعلى الشيء.

فقه الاستواء: هو الحالة التي تلي "الاضطراب". بعد تعب البناء وسخرية المأثم ركوب السفينة وسط الأمواج، جاء الاستواء كعلامة على "السيطرة والتحكم".

* علاقته بأداب المنتصر: الاستواء يعلم المصلح أن النصر ليس "فوضى" أو "تشفر"، بل هو "مسؤولية وانضباط". المنتصر الحقيقي هو من "يستوي" على الحق فلا يطغى، ويستقر على المبدأ فلا ينحرف. ثانياً: لماذا الأمر بالحمد "بعد الاستواء" وليس قبله؟

أمر الله نوحاً بالحمد في قوله: {فَإِذَا اسْتَوَيْتَ... فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ} لعدة أسرار استراتيجية وتربوية: * تمام النعمة: قبل الاستواء كانت هناك مرحلة "المكابدة" والبناء والركوب. الحمد بعد الاستواء هو شكر على "الاستقرار"؛ لأن النجاة الحقيقية ليست في ركوب السفينة فحسب، بل في ثباتها على الماء. * الفصل بين "السبب" و"المُسبب": أثناء صناعة السفينة، كان التركيز على "الجهد". بعد الاستواء، أراد الله لنوح أن يلتفت للقدرة الإلهية التي جعلت الخشب والمسمار يصمدان أمام طوفان يغمر الجبال. * قطع دابر العجب: عندما يستقر حال المصلح ويشعر بالتمكين، قد يتسلل لقلبه أنه نجا "بذكائه" أو "تخطيطه". فجاء الأمر بالحمد فور الاستواء ليذكره بأن النجاة منحة وليست استحقالاً محضاً.

ثالثاً: ماذا يعلمنا هذا من آداب؟ (بروتوكول النصر)

* الأدب مع الله: نسبة النصر لصاحبه الحقيقي (الذي نجانا).

* الأدب مع الصف المؤمن: إشراك الجميع في الفضل (أنت ومن معك). النصر الجماعي يحتاج إلى لغة (نحن) لا لغة (أنا).

* الأدب في توصيف الخصم: (القوم الظالمين)؛ فنحن لا نبغض الأشخاص لذواتهم، بل لظلمهم. الحمد هنا هو إعلان بانتصار "منهج العدل" على "منهج الظلم".

رابعاً: سر الحمد "قبل الوصول التام" (فقه الخطوة الوسطى)

لماذا يحمد نوح الله وهو لا يزال وسط الأمواج ولم يصل للجودي بعد؟

* الحمد على "المؤشر": الاستواء على السفينة هو "مؤشر" النجاح. المؤمن يشكر الله على بواكير الفرج ولا ينتظر النهاية. هذا يمنح النفس طاقة للاستمرار في الرحلة الطويلة.

* عبادة اليقين: الشكر وسط الطوفان هو اعتراف بأن من ثبتت السفينة عند الركوب هو من سيرسيها عند الجودي. هو "شكرٌ على ما سيأتي" بيقين ما حدث.

* تطهير المسار: الحمد في منتصف الطريق يظهر مسار الرحلة من القلق والخوف، ويحول "الهروب من الطوفان" إلى "هجرة إلى الله".

خامساً: شكر الله على كل خطوة من خطوات الفرج

توصل الآية لقاعدة قانونية ودعوية هامة: "الشكر الجزئي يولد النعمة الكلية".

* وجوب الشكر على كل محطة: في مذكرتك القانونية أو مشروعك الإصلاحي، لا تنتظر "الحكم النهائي" لتسجد شكراً! اشكر الله على (قبول الدعوى)، ثم على (قوة الحجة)، ثم على (ثبات الشاهد).

* دلالة الفرج المتتابع: الفرج في قصة نوح جاء (وحياً) ثم (صناعة) ثم (فوراناً) ثم (ركوباً) ثم (استواء). في كل خطوة كان هناك مدد إلهي يستحق حمداً مستقلاً.

الدرس الثاني

إن إشراك نوح عليه السلام لمن معه في صيغة الحمد في قوله تعالى: {فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا} (بصيغة الجمع "نجاناً" وليس "نجانِي")، يضعنا أمام منظومة أخلاقية وإدارية رفيعة تسمى "فقه النصر الجماعي".

إليك الدروس المستفادة من هذا الإشراك المبارك:

1. ترسيخ "روح الفريق"

إن النجاح لم يكن لنوح بمفرده رغم كونه القائد والنبى، بل كان لـ "المؤسسة" المؤمنة التي اشتغلت معه في بناء السفينة وصبرت على الأذى.

* الدرس: القائد الناجح لا يستأثر بالثناء لنفسه. إن قولك (نحن نجحنا) بدلاً من (أنا نجحت) عند إتمام مشروع قانوني أو مهني، هو الذي يبني الولاء ويجعل الفريق يشعر بقيمته وشراسته في المصير.

2. العدالة في توزيع "الاستحقاق المعنوي"

لقد عانى المؤمنون مع نوح من السخرية والاضطهاد والعمل الشاق.

* الدرس: الحمد الجماعي هو "مكافأة معنوية" لكل من بذل جهداً. هو اعتراف من القائد بأن نجاة السفينة كانت بفضل تكاتف الجميع تحت رعاية الله، وهذا يمنع تسلل شعور "التهميش" لدى الأفراد لأقل رتبة في الفريق.

3. وأد "الأنا" وكسر صنم القائد

عندما يحمد القائد الله بصيغة الجمع، فإنه يهدم فكرة "البطل الواحد" التي قد تؤدي إلى الديكتاتورية أو الغرور.

* الدرس: إشراك الآخرين في الحمد هو حماية للقائد نفسه من "العجب". هو تذكير دائم بأن التمكين هو حالة جماعية، وأن "يد الله مع الجماعة".

4. توحيد "المرجعية الوجدانية"

عندما يصحح الجميع بالحمد معاً، تتوحد قلوبهم على شكر المنعم وحده.
* الدرس: هذا التوحيد يمنع الصراعات الداخلية بعد النصر. فبدلاً من أن يمتنّ أحدهم على الآخر بجهد، يتجه الجميع بالفضل لله، مما يصفى النفوس ويجعل (المنزل المبارك) القادم بيئة خالية من الأحقاد.

5. الدلالة التجويدية والبيانبة للجمع (نحن):

* بيانياً: اختيار ضمير العظمة المتصل (نا) في {نَجَانًا} يوحي بالقوة والترابط. وكأن المؤمنين بكلمة "نا" صاروا كتلة واحدة لا يمكن فصلها، تماماً كما كانت السفينة كتلة واحدة في مواجهة الأوج.

* تجويدياً: المد في كلمة (نجان-ا) يعطي صدىً صوتياً طويلاً "يشترك فيه الجمع في نفس واحد"، مما يعكس حالة "الانسجام الصوتي والقلبي" عند لحظة الرسو والتمكين.
تطبيق عملي للدرس:

هذا الدرس يعلمك أنه عند النجاح في أي مشروع أو إنجاز ملف شاق:
* اجعل أول عبارة رسمية هي الثناء على الله بضمير الجمع (الحمد لله الذي وفقنا).
* أبرز دور المساعدين، معك وزملائك في العمل وزوجتك وابنائك الذين صبروا معك.
* حول "فرحة الإنجاز" إلى "ثقافة مؤسسية" يشعر فيها الجميع أنهم شركاء في السفينة وفي النجاة.

هذا المفهوم يكمل عقد "أدب المنتصر" الذي بدأناه

الأمر الثاني

الفقرة الثانية: {فَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا} (بروتوكول الشكر والاعتراف بالفضل)
* التفسير والمدلول: (فقل) أمر فوري؛ أول كلمة يجب أن تنطق بعد النجاة هي "الحمد". اعتراف بأن الفضل لله (نجاناً) وليس لمهارة نوح في التجارة أو قيادة السفينة.
* اللامسات البيانبة والبلاغية:

* صيغة (الحمد لله): جملة اسمية تفيد الثبوت والاستمرار؛ أي أن الحمد صفة دائمة لله، سواء في المحنة أو المنحة.

* استخدام "نا" الفاعلين في (نجاناً): تعزيز لروح الجماعة والامتنان الجمعي للخالق.

* الأنغام الصوتية وأحكام التجويد:

* اللام المغلظة في (الله): تعطي صوتاً فخيماً يملأ القلب بالهيبة، ليكون أول ما يطرق الأذان بعد النجاة هو "تعظيم المنعم".

* المد الطبيعي في (نجاناً): يمد الصوت بالرحمة والسكينة، عكس المدود المتصلة التي كانت تعبر عن المماطلة أو العذاب في الآيات السابقة.

* الرسائل والدروس:

* للعوام والتلاميذ: تعلموا أن "نسبة النعمة للمنعم" هي صمام أمان لاستمرارها. الغرور بعد النصر هو بداية السقوط، والحمد هو بداية التمكين

المفهوم الأول

ثقافة الحمد عند الانجاز والاعتراف بفضل المنعم
تعد هذه المفاهيم في الآية 28 من سورة المؤمنون {فَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا} بمثابة "الدليل السلوكي" لتحويل النجاح المادي إلى فوز روحي وأخلاقي. إنها لحظة الانتقال من "أنا فعلت" إلى "الله وفق"، وهي قمة العبودية والاحترافية في أن واحد.
إليك التحليل العميق لهذه الثقافة وتوظيفها الإيجابي:

1. ثقافة "الحمد عند الإنجاز" (بروتوكول القمة)

ثقافة الحمد تعني ألا يكون النجاح سبباً في الطغيان أو الغضب، بل سبباً في الانكسار لله.
* النسبة للمسبب: عندما تنتهي مشروعاً كبيراً أو سفرًا شاقاً، فإن أول كلمة "الحمد لله" هي اعتراف دستوري بأن القوى البشرية (الذكاء، المال، الوقت) كانت مجرد "أدوات" حركها توفيق الله.
* كسر صنم الذات: نسب الفضل للنفس هو "قارونية" (إنما أوتيته على علم عندي)، أما نسبته لله فهو "نوحية" (الذي نجاناً). هذا يحميك من الإحباط عند الفشل، ومن الغرور عند النجاح.

2. أدب الشكر عند الأمن من المخاطر

الآية تعلمنا أن "الأمان هو الوقت الأمثل للشكر".
* الاعتراف بالفضل: النجاة من "أعداء الدين" أو المنافسين غير الشرفاء في العمل ليست مجرد حظ، بل هي رعاية إلهية تستوجب صياغة "بيان شكر" قلبي وعملي.

* ترسيخ الأدب: الشكر عند الأمن يضمن استمرار النعمة (لئن شكرتم لأزيدنكم). المؤمن لا ينسى "يد الله" التي انتشلته من الغرق بمجرد أن تطأ قدماه اليابسة.

3. تحويل "الخوف والتوتر" إلى "موطن شكر وثناء"

كيف نحول تلك اللحظات الصعبة إلى وقود للنماء عند النجاح؟
* الذاكرة الانفعالية: استحضار لحظة الخوف (وسط الطوفان) أثناء لحظة النماء (الاستواء) يجعل للحمد "طعماً" مختلفاً. كلما كان التوتر سابقاً كبيراً، كان الشكر لاحقاً أعمق.
* التوظيف النفسي: اليقين بأن الله الذي سمع دقات قلبك المضطربة وقت الخوف هو الذي يستحق أن يسمع صوت لسانك الذاكر وقت الطمأنينة. هذا يحول "الأزمة" إلى "ذكرى إيمانية" تقوي علاقتك بالخالق.

4. التوظيف الإيجابي لـ "فرح الفرج"
الفرج قد يطغى (فرح بطر)، وقد يبني (فرح استبشار). الآلية توجهنا للتوظيف البناء:
* الفرح بالمنعم لا بالنعمة: (فقل الحمد لله): الفرح الحقيقي هو بـ "معية الله" التي ظهرت في النجاة.

* توجيه الطاقة: بدلاً من صرف طاقة الفرج في الاحتفالات الغافلة، يتم توجيهها فوراً لـ (الحمد) و(العمل للمرحلة القادمة). الفرج هو "محطة وقود" للانطلاق نحو (المنازل المباركة)، وليس نهاية المطاف.

5. الدلالات اللغوية والبيانية والتجويدية الخادمة للمفاهيم
أ- الدلالة التجويدية (نبذة الاعتراف):

* الجهر في "الحمد": حروف كلمة "الحمد" كلها مجهورة ما عدا الحاء. الجهر هنا يخدم "إعلان الشكر" وقوته. نطق (ال-) التعريف في "الحمد" بوضوح يعطي شعوراً بحصر كل المحامد لله وحده.
* المد في "نجاناً": يمثل مساحة زمنية للتفكير في عظمة الفرج بعد ضيق الطوفان.

ب- الدلالة البيانية (سر "فقل"):
* الأمر بالقول {فقل}: الفاء تفيد السرعة. أي: لا تدع فاصلاً زمنياً بين "الاستقرار" وبين "الشكر". تأخير الشكر يبرد حرارته في القلب ويسمح للشيطان أن ينسب النصر لـ (الصدفة).

ج- الدلالة اللغوية (شمولية "الذي"):
* الاسم الموصول {الذي}: يربط النجاة بالفعل الإلهي المستمر. الله هو "الذي" فعل ذلك بك، وسيفعل ذلك دائماً. هذا يرسخ الثقة في كل مشروع قادم.
الأمر الثالث

الفقرة الثالثة: {من القوم الظالمين} (توصيف الخصوم وتطهير الأرض)
* التفسير والمدلول: لم يقل "من أعدائي" أو "من قومي"، بل قال (الظالمين). فالحمد هنا ليس على هلاك "أشخاص"، بل على هلاك "الظلم" وتطهير الأرض منه.
* اللمسات البيانية والبلاغية:

* التعريف بـ (ال-) في (الظالمين): للعهد الذكري؛ أي أولئك الذين عرفتم ظلمهم واستكبارهم.
* الأنغام الصوتية وأحكام التجويد:
* المد العارض للسكون في (الظالمين): سكون هاءٍ وممتد، يغلق مشهد "الصراع" ويفتح صفحة "السلام". الباء والنون في النهاية تعطي صوتاً رقيقاً يجسد خفاء صوت الباطل وانقطاعه تماماً من الأرض.

* الرسائل والدروس:
* لأعداء الإسلام والظلمة: الظلم هو "الوصف" الذي استحقوا به الهلاك. زوالكم ضرورة لنجاة الصالحين واستقامة ميزان الكون.

تجسيد الصورة الكلية للسامع:
تخيل المشهد بعينيك: السفينة ترسو بسلام، الأبواب تفتح، نوح عليه السلام يخرج بوقار (استويت)، يلتفت إلى المؤمنين من حوله، ترتفع الأصوات الجماعية بنبرة خاشعة ومفخمة (الحمد لله)، تنظر الأعين إلى البحر الهائئ الذي ابتلع الظلم (الظالمين)، فيشعر الجميع ببرد اليقين أن "العاقبة للمتقين". هذا هو "أدب النصر"...

ماذا يعنى مفهوم النجاه وهل النجاه محصورة بالنجاه من الغرق ؟
يعد مفهوم "النجاة" في الآية 28 من سورة المؤمنون {الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين} مفهوماً محورياً يتجاوز البعد المادي الضيق (النجاة من الغرق) إلى أبعاد عقديّة، نفسية، واجتماعية عميقة.

إليك التحليل التفصيلي لهذه المفاهيم
1. مفهوم النجاة: من "حفظ البدن" إلى "حفظ المبدأ"

النجاة في الآية ليست مجرد بقاء الروح في الجسد، بل هي "انفصال وجودي" عن منظومة باطلة.

* النجاة من العمل: هي العصمة من الانخراط في آثام القوم الظالمين ومشاركتهم في طغيانهم.

* النجاة من العذاب: هي السلامة من العقوبة القدرية التي حلت بهم.

* النجاة من "البيئة": الخروج من حيز جغرافي واجتماعي موبوء لا يمكن فيه إقامة الحق.

* التطبيق المعاصر: نجاة المصلح والقانوني اليوم هي في اعتزال "بيئات العمل الفاسدة" أو "الأ

أفكار السلبية" التي تميت الطموح وتلوث الضمير المهني. هذه نجاة معنوية لا تقل أهمية عن النجاة من الهلاك المادي.

2. ترسيخ عقيدة "البراءة" والاعتزاز بفضل الله
تظهر الآية عقيدة البراءة من خلال وصفهم بـ {الظالمين}؛ فالوصف بالظلم يقطع حبال الود والموالاة.

* لماذا نُسبت النجاة لله وحده {نجّانا}؟
* اعتراف بالعجز البشري: السفينة (السبب) لا تنجي بذاتها في طوفان يغمر الجبال، بل الله هو الذي أجرى الأسباب.
* تحقيق التوحيد: لقطع أي شعور بالامتنان لغير الله، أو الزهو بالذات.
* الأمان النفسي: عندما تنسب نجاتك لله، تشعر بعزة الانتماء لـ "القوي" الذي نصرّك حين خذل الخلق.

3. نوع الظلم وكيفية تدبر النجاة منه معاصراً
الظلم المقصود هنا هو "الظلم الشامل": (ظلم العقيدة بالكفر، وظلم النفس بالآثام، وظلم الخلق بالاغتصاب والسخرية).

* في حياتنا المعاصرة: الظلم يتمثل في "المنظومات التي تسحق القيم"، "أصدقاء السوء الذين يغرقونك في التفاهة"، و"البيئة المهنية التي تحارب النزاهة".
* استشعار النجاة: عندما تخرج من علاقة سامة أو تترك وظيفة تجبر فيها على الباطل، فأنت في حالة "استواء على الفلك" تستحق أن تقول فيها "الحمد لله الذي نجاني من القوم الظالمين".
4. الدلالات اللغوية والبيانية والتجويدية الخادمة للمفاهيم
أ- الدلالة التجويدية (فقه الصوت والحال):

* النون الممدودة في {نجّانا}: المد الطبيعي في النون الأخيرة يعطي مساحة من "النفس والراحة" والاعتزاز. صوت النون المجهور المفتوح يوحي بـ "إعلان النصر" والبوح بالنعمة بعد كتمان وضيق.
* صفة "الاستعلاء" في الظاء {الظالمين}: حرف الظاء حرف مستعل ومطبق، صوته قوي وثقيل. ختام الآية بهذا الصوت يصور ثقل "منظومة الظلم" التي تخلص منها المؤمنون، وكأنهم ألقوا عن كواهلهم حملاً ثقيلاً.

ب- الدلالة اللغوية (دقة المصطلح):
* الفعل {نجّانا} (بتضعيف الجيم): التضعيف في اللغة يفيد المبالغة والتكرار. أي نجاة بعد نجاة؛ نجاة من التكذيب، ثم نجاة من السخرية، ثم نجاة من الغرق. الله لم ينجهم مرة واحدة، بل كانت رعايته متكررة بتكرار الأزمات.
ج- الدلالة البيانية (نظم النجاة):

* التعريف بـ "أل" في {الظالمين}: تفيد الاستغراق، أي نجاة من "كل" أنواع الظلم وأهله.
* تقديم {نجّانا} على ذكر الظالمين: البدء بالمنحة (النجاة) قبل المحنة (الظالمين) لتطمين قلب المؤمن أن رعاية الله سابقة على مكر أعدائه.
الفصل السابع

التحليل العميق للآية (29) من سورة المؤمنون، وهي آية "التأسيس والبركة"، حيث ينتقل المصلح من شكر النجاة إلى طلب التوفيق في الخطوة التالية، ليعلمنا أن المؤمن دائماً في حركة مستمرة من استقرار إلى بناء.

{وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُّبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ}

الأمر الأول

الفقرة الأولى: {وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُّبَارَكاً} (طلب البركة في المسكن والعمل)
* التفسير والمدلول: (رَبِّ) عودة للنداء بصفة الربوبية الراحية. (أَنْزِلْنِي) طلب للمأوى الجديد بعد رحلة السفينة. (مُنْزَلاً مُّبَارَكاً) لا يكفي أن يكون المنزل واسعاً أو جميلاً، بل المطلوب هو "البركة"، وهي ثبوت الخير الإلهي في الشيء ونماؤه.

* المفاهيم المستفادة: "الاستشراف للمستقبل"؛ المصلح لا يقف عند حد النجاة، بل يخطط للبركة في المرحلة القادمة.

* الدروس في الحياة العملية: عند البدء في مشروع جديد، أو الانتقال لوظيفة جديدة، أو سكن جديد، يجب أن يكون همك الأول هو "البركة" لا "المظاهر"، فالبركة هي التي تجعل القليل كافياً و الصعب سهلاً.

* اللامسات البيانية والبلاغية:

* التنكير في (مُنْزَلاً مُّبَارَكاً): يفيد التعظيم والتعظيم؛ أي أنزلني منزلاً لا يُعرف قدر بركته وعظمته إلا بفضلك.

* تكرار مادة (نزل): (أنزلني، منزلاً، المنزلين) يعطي إيقاعاً منسجماً يرسخ فكرة "الحلول و

التمكين" في الأرض.

* الأنغام الصوتية وأحكام التجويد:

* الغنة في (مُنْزِلًا مُبَارَكًا): إدغام التنوين في الميم يعطي صوتاً رخيماً ممتداً، يجسد "دوام البركة" واستمرارها، فالغنة صوت لا ينقطع فجأة، بل يتلاشى بجمال.

* النون المخففة في (أُنْزِلِي): صوت الإخفاء هنا يوحي بـ "اللفظ والرفق" في عملية الإنزال و التمكين، وكأن يد الرحمة الإلهية تضعك في مكانك الجديد بسلام الدروس من الآيه

فقه التأسيس

تعد الآية 29 من سورة المؤمنون: {وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلِي مُنْزِلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ}، هي القاعدة الذهبية لـ "فقه التأسيس". فبعد أن نجا نوح عليه السلام من العاصفة، لم يكن المطلوب مجرد "مكان" يأوي إليه، بل كان المطلوب "نوعية" ذلك المكان وأثره.

إليك التحليل العميق لمفهوم البركة وكيفية تمثيلها في حياتك المعاصرة:

1. مفهوم البركة: (النماء، الثبوت، والخير الإلهي)

البركة في اللغة تعني "الزيادة والنماء" و"ثبوت الخير الإلهي في الشيء".

* أهمية طلبها قبل الإنجاز: أن تطلب البركة يعني أنك لا تكتفي بـ "الكم" بل تبحث عن "الكيف". فكم من بيت واسع لا راحة فيه، وكم من عمل ذي دخل مرتفع لا بركة في وقته ولا أثره. طلب البركة هو طلب لـ "القيمة المضافة" التي يجعلها الله في عملك وسكنك.

2. لماذا لم يقتصر الدعاء على طلب "المسكن" فقط؟

تعليم الله لنوح أن يدعو بـ {مُنْزِلًا مُبَارَكًا} يحمل دلالات استراتيجية:

* شمولية البركة: "المنزل" (بفتح الميم والزاي) قد يعني المكان، وقد يعني "الإنزال" نفسه (أي الفعل). فنوح يسأل الله أن تكون لحظة النزول مباركة، والمكان مباركاً، والنتائج المترتبة على هذا النزول مباركة.

* امتداد الأثر: طلب "الجمال والكرم" في السكن هو طلب مادي، أما طلب "البركة" فهو طلب "مادي ومعنوي مستمر". البركة هي التي تجعل هذا المكان الجديد نقطة انطلاق لبناء حضارة، لا مجرد ملجأ للنوم.

3. مفهوم "المنزل المبارك" في حياتك المعاصرة

المنزل المبارك ليس بالضرورة هو الأغلى ثماناً، بل هو:

* في السكن: البيت الذي تسكن فيه النفس، ويذكر فيه الله، ويخرج منه جيل صالح.

* في العمل: المكتب أو الوظيفة التي تقضي فيها وقتك وتثمر فيها نفعاً للناس، وتكتسب منها رزقاً حلالاً يظهر أثره في صحتك وأهلك.

* في القضية القانونية: أن يكون كسبك للقضية "مباركاً" بحيث يفتح لك أبواباً من الثقة والسمعة الطيبة، لا مجرد أتعاب مادية تنتهي بانتهاء العقد.

4. كيف تجعل بيتك أو عملك مباركاً؟

البركة "تستجلب" ولا تأتي صدفة، وذلك عبر:

* الإخلاص والنية: أن يكون القصد من العمل والسكن إقامة شرع الله ونفع خلقه.

* ذكر الله فيه: الآية تبدأ بـ {وَقُلْ رَبِّ}؛ فكمرة الدعاء والذكر تطرد الشياطين وتجلب السكينة.

* الرزق الحلال: لا بركة في حرام؛ فالمال الحلال هو وقود البركة في البيوت والمكاتب.

* بذل النفع: البيت الذي يكرم فيه الضيف، والمكتب الذي يُنصف فيه المظلوم، هي أماكن تنزل عليها البركات قسراً.

5. أهمية استحضار الآية عند البدء بأمر جديد

استحضار {رَبِّ أَنْزِلِي مُنْزِلًا مُبَارَكًا} عند بداية (قضية جديدة، وظيفة جديدة، زواج، أو سفر) يعمل على:

* برمجة العقل على التفاؤل: أنت تبدأ بطلب "الخير والزيادة" من "خير المنزلين".

* تحقيق التوكل: تفويض اختيار "جودة المكان والزمان" لله عز وجل، مما يزيل عنك قلق الاختيار البشري القاصر.

6. الدلالات البيانية والتجويدية الخادمة للمفهوم:

* بيانياً (التنكير للعظيم): جاءت كلمة {مُنْزِلًا} و {مُبَارَكًا} نكرة، لتفيد الشمول والتعظيم. أي أيّما منزل وأيّما بركة تفوق خيالك يا نوح.

* تجويدياً (الإدغام في "منزلاً" مباركاً): التنوين في (منزلاً) يُدغم في ميم (مباركاً) بغنة أكمل ما تكون. هذا التداخل الصوتي السلس بين الكلمتين يصور في الأذن "التحام البركة بالمكان"؛ فلا ينفك أحدهما عن الآخر، وكأن المكان خلق والبركة مغروسة في نسيجه.

توصية تطبيقية :

اجعل هذه الآية "شعار التأسيس" في مكتبك في مدرستك في بيتك فكلما أنجزت عملاً وانتقلت

إلى عمل جديد ، استشعر أنك تطلب من الله أن "يُنْزِلَكَ" في هذه المرحلة "منزلاً" مباركاً يختصر عليك المسافات ويمنحك التوفيق الأمر الثاني

الفقرة الثانية: {وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ} (الفناء بالكمال والاعتماد الكلي)
* التفسير والمدلول: حصر الخيرية في الإنزال والتمكين لله وحده. فالبشر قد ينزلونك منزلاً فيه ضيق أو من، أما الله فينزل عباده بكرامة وإحسان.
* اللغات البلاغية: أسلوب (اسم التفضيل: خَيْرُ) المضاف لـ (الْمُنْزِلِينَ) يقطع الطريق على أي تطلع لغير الله؛ فهو سبحانه أكرم من آوى، وأعظم من مكن.
* الأنغام الصوتية وأحكام التجويد:
* الخاء في (خَيْرُ): حرف رخو ومهموس، يعطي صوتاً فيه "هواء" يجسد السعة والفرجة بعد الضيق.

* المد العارض للسكون في (الْمُنْزِلِينَ): ينتهي المشهد بنبرة هادئة ومستقرة تماماً، تعبر عن "الاستقرار النهائي" والرضا التام بما قسم الله.
التوجيهات والرسائل والفوائد:

* للمصلحين والدعاة: النصر ليس نهاية المطاف، بل هو بداية لمسؤولية جديدة. اطلب البركة في "منزلك الجديد" (موقعك الجديد في المجتمع) ليكون منطلقاً لإصلاح أكبر.
* للمعلمين والتلاميذ: العلم هو "منزل" مبارك. فادعُ الله أن يبارك في علمك وعملك ليكون نافعاً مستمراً.

* التوجيه المهني (القانوني): في عالم القانون، "المنزل المبارك" هو الموقف القانوني السليم والنزيه الذي يضعك في موضع القوة الأخلاقية أمام القضاء، حيث تكون "خيراً" للناس ومباركاً في قولك.
تجسيد الصورة الكلية للسامع:

تخيل المشهد: نوح عليه السلام يخطو أولى خطواته على الأرض اليابسة بعد الطوفان، الأرض طاهرة من الظلم، الهواء نقي، يرفع يديه للسماء برفق ووقار، وبصوت تملؤه الغنن الجميلة والمدود الساكنة يقول: (رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً). إنها لحظة "إعادة تأسيس العالم" على قواعد التقوى والبركة الدروس والمفاهيم من هذه الفقرة .

يُعد ختم الآية (29) بقوله تعالى: {وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ} ذروة "التسليم الاستراتيجي" الذي يختم به المؤمن مرحلة الانتقال ويبدأ بها مرحلة الاستقرار. هذا الحصر (أنت وحده) والوصف (خير) يمثلان إعلاناً بانتهاء الاعتماد على التدبير البشري والارتقاء إلى فقه "الاختيار الإلهي".
إليك التحليل العميق لهذا المفهوم وتجلياته في حياتك العملية:

1. دلالة الحصر والوصف (أنت خير المنزلين)
* الحصر العقدي: تقديم الضمير {أنت} يفيد الحصر والقصر؛ أي لا منزل حقيقة ولا واهب للاستقرار إلا الله. نوح عليه السلام يقر بأن السفينة أنزلته، والماء أنزلته، لكن "المنزل" الحقيقي الذي اختار التوقيت والمكان هو الله.

* الإقرار بالفضل: الوصف بـ {خَيْرُ} هو اعتراف بأن كل ما يأتي من الله هو الأفضل والمصلح للعبد، حتى لو خالف ظاهر المكان توقعات البشر.

2. مفهوم التفويض والرضا عند ابن القيم (كتاب الفوائد)
لقد أفاض الإمام ابن القيم في كتابه "الفوائد" عند الحديث عن (الرضا بمر القضاء) و(التفويض)، ويمكن استلهام رؤيته في هذا المقام كالتالي:

< "إذا فوض العبد أمره إلى ربه، فإنه قد استراح من الهموم والغوم، لأنه علم أن ربه يختار له الأفضل، وإن كرهته نفسه في البداية." (بتصرف من الفوائد).

<
* الاختيار النافع: يرى ابن القيم أن العبد جاهل بمصالح نفسه، والله عليم بها. فقول نوح {وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ} هو تطبيق عملي لقاعدة ابن القيم: "ارضَ عن الله فيما فعله بك، فإنه لا يفعل بك إلا ما هو خير لك".

* السكنة في التفويض: التفويض ليس عجزاً، بل هو "قمة الذكاء الإيماني"؛ لأنك تربط سفينة حياتك بركن شديد لا يخطئ في اختيار "الموقع" ولا "التوقيت".

3. المنهج العملي في حياتك (شكراً وتوكلاً)
تحويل هذه الآية إلى "منهج حياة" لمؤمن يسعى للنجاح (كقانوني أو مصلح) يتطلب:

* أدب "الخطوة الأولى": عند البدء في أي عمل، قل: "يا رب، أنزلي منزلاً مباركاً في هذا العمل". فوض الله في النتائج، واعلم أن ما سيختاره لك في نهاية القضية أو المشروع هو "الخير" المطلق.

* التحرر من "هوس الاختيار": نحن نقلق كثيراً: (هل هذا المكتب مناسب؟ هل هذا الشريك موثوق

؟). الآية تقول لك: افعَل سببكَ (اصنع السفينة)، ثم قل (أنت خير المنزلين)، لترتاح من عناء القلق النفسي.

* قبول "المنزل" المتاح: أحياناً ينزلك الله في مكان لم تخطط له (وظيفة مختلفة، أو نتيجة قضية مغايرة). هنا استتضر (خير المنزلين)؛ فربما كان في هذا المسار حماية لك من شر لم تره، أو فتح لأبواب لم تتخيلها.

4. الدلالة البيانية واللغوية (فقه التفويض)

* استخدام اسم التفضيل {خَيْرُ}: يدل على أن الله يتجاوز في جوده وإحسانه كل ما يمكن أن يقدمه البشر أو الأسباب.

* صيغة الجمع {الْمُنْزِلِينَ}: مع أن الله واحد، إلا أن العرب تستخدم الجمع للتعظيم، أو للإشارة إلى أن كل من يسعى لإنزالك (كالأصدقاء، الوسطاء، القوانين) هم مجرد وسائط، والله فوقهم جميعاً هو "خيرهم" وأحقهم بالثبات.

توصية ختامية:

اجعل هذه الجملة {وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ} هي "كلمة الختام" في كل عمل تنجزه أو مذكرة تكتبها أو مرافعة أو تقرير بحثي. إنها تنهي ملفك بتفويض الأمر لله، مما يمنحك مهابة القوي بالله، وسكينة الوثائق بجميل قدره.

بهذا اكتمل التحليل (من التوحيد، إلى صناعة السبب، إلى حزم القيادة، إلى الحمد عند البواكر، وصولاً إلى التفويض المطلق).

الفصل الختامي

{إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ}

بهذه الآية، تنتهي قصة نوح في هذا السياق بعد ذكر تمام التمكين وبركة السكن.. يخبرنا الله لماذا قص الله علينا كل هذا؟ وما هي "الآية" الكبرى التي تركها لنا في هذه القصة من خلال هذه الآية "آية الخواتيم" التي تضع النقاط على الحروف، وتكشف الغاية الكبرى من سرد هذه الملحمة الإلهية، ليرجع السامع من رحلة "التاريخ" إلى واقع "الاختبار" واليك تحليل هذه الآية .

{إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ}

الأمر الأول

الفقرة الأولى: {إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ} (قانون العبرة الكونية)

* التفسير والمدلول: (ذلك) إشارة بعيدة لكل ما سبق من حوار، وصراع، وصناعة سفينة، وطوفان، ونجاة. (لآيات) أي علامات ودلالات وعبر لا تحصى. إنها تخبرنا أن قصة نوح ليست "قصة" للتسلية، بل هي "قانون" يسري على كل من يطلب الحق أو يمارس الظلم.

* اللمسات البيانية والبلاغية:

* التوكيد بـ (إِنْ) واللام في (لآيات): أسلوب "توكيد مزدوج" لقطع دابر الشك؛ فالمعنى ليس مجرد "أخبار"، بل هو "حقائق قطعية" تلمس العقل والوجدان.

* التنكير في (آيات): يفيد التعظيم والتكثير؛ أي أن في القصة آيات عظيمة في الصبر، وفي السياسة، وفي الهندسة، وفي الإدارة، وفي العقيدة.

* الأنغام الصوتية وأحكام التجويد:

* الكسرة القوية في (إِنْ): تبدأ الآية بنبرة حازمة توحى بـ "اليقين" والقطع.

* المد الطبيعي في (آيات): يمد المعنى في ذهن السامع ليتفكر في تلك العلامات، والوقوف عليها بـ "التنوين المكسور" يورث نوعاً من الرهبة والوقار.

الدرس الأول

تعد الآية (30) من سورة المؤمنون: {إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ} هي "القفل الذهبي" و المحصلة النهائية لهذه التجربة الإنسانية والربانية الكبرى. هي تنقل القارئ من الاستغراق في تفاصيل "سفينة نوح" إلى استنباط "القوانين الكلية" التي تحكم الكون. إليك التحليل العميق والمفاهيم المستنبطة لختام مذكرتك البحثية:

1. ما هو "ذلك" المشار إليه في الآية؟

اسم الإشارة {ذلك} هنا لا يعود على مفرد، بل هو "إشارة جامعة" لكل ما مرَّ في المشهد السابق (آيات 23-29):

* إشارة إلى صبر الداعية رغم استهزاء الملأ (آية 23-25).

* إشارة إلى عظمة الرعاية الإلهية في الصناعة (بأعيننا ووحينا) (آية 27).

* إشارة إلى دقة التوقيت القدرى (فوران التنور) والنجاة اللوجستية (أحمل فيها من كل زوجين) (آية 27).

* إشارة إلى هلاك الظالمين ونجاة المستضعفين الصابرين (آية 28).

2. المفهوم المستنبط: القصص كـ "حجج ودلالات قاطعة"

توصل الآية لمفهوم أن قصص الأنبياء ليست "سيرة ذاتية" أو "تسليية تاريخية"، بل هي "براهين

عقلية وقوانين سننية":

* حجج على صدق الرسل: كيف لرجل وحيد بلا إمكانيات أن يصنع سفينة تنجو من طوفان ع المي؟ إنها اليد الإلهية التي تثبت صدق دعواه.

* دلالة على علم الله: الإخبار بالحدث قبل وقوعه، وتحديد إشارة البدء (التنور)، يثبت إحاطة علم الله بكل ذرة في الكون.

* قدرة الله الشاملة: تسخير الماء (أضعف العناصر) ليكون جندياً يهلك الأقوياء، وتسخير الخشب (أبسط الصناعات) ليكون ملاذ النجاة.

3. فلسفة الابتلاء المستمر {وإن كنا لمبتلين}

هذا الجزء من الآية هو "رسالة طمأنة" وتنبيه لكل مصلح

* حتمية الاختبار: الابتلاء ليس "عقوبة" بل هو "مختبر". الله يبتلي المؤمن بصره على التكذيب، ويبتلي الظالم بإعطائه الفرصة ثم أخذه، ويبتلي البشرية بآياتها لتتعض.

* دوام السُّنة: الآية تقول لك: "ما حدث لنوح ليس استثناءً"، فنحن دائماً في حالة ابتلاء (اختبار). السفينة والطوفان قد يتغير شكلهما في عصرنا، لكن "جوهر الصراع" و"قانون النجاة" ثابتان.

4. الدلالة البيانية والتجويدية (فقه الخاتمة)

* بياناً (التأكيد بـ إن واللام): قوله {إن في ذلك لآيات}؛ استخدمت أدوات التأكيد (إن) و(اللام المزلحقة) لقطع أي شك في أن هذه القصة هي قانون كوني مطرد، وليست واقعة عابرة.

* تجويداً (المد في "لآيات"): المد البدل في (آيات) يعطي نبرة من "التعظيم والتفخيم". وكأن الصوت يمتد ليفتح بصيرة المستمع ليرى "الآيات" الكثيرة المودعة في ثنايا القصة.

* الخاتمة بـ "لمبتلين": القلقة في الباء (مبتلين) تعطي شعوراً بـ "الاهتزاز والتحريك"، وهو ما يتناسب تماماً مع معنى "الابتلاء" الذي يهز النفس ويمحصها قبل أن تستقر على شاطئ اليقين.

كيف نستفيد من ذلك في حياتنا العملية؟

، هذه الآية تعلمك:

* قراءة "الآيات" في حياتك : كل يوم يمر عليك، وكل أزمة مهنية، هي (آية) تحمل درساً، وهي (ابتلاء) يختبر نباهتك وقدرتك على "صناعة سفينتك" الخاصة.

* اليقين في النتيجة: طالما أنك تتبع "منهج نوح" في الإتيان والتوكل، فإن "الآية" النهائية ستكون في صالحك، لأن قوانين الله لا تحابي أحداً.

* الوعي بالابتلاء: عندما تواجه "ملاً" يتربص بك، تذكر قوله (وإن كنا لمبتلين)؛ فاهدأ نفساً، واعلم أنك في "اختبار" مقصود لرفع درجتك وتجويد عملك

الدرس الثاني

تعد صياغة الجمع في قوله تعالى: {إن في ذلك لآيات} هي "مفتاح البصيرة" الذي ينقل المؤمن من نظرة "الحدث العابر" إلى نظرة "القانون الشامل". إنها دعوة لعدم الاكتفاء بمشاهدة "السفينة" أو "الطوفان"، بل استخراج منظومة كاملة من الدلائل.

إليك التحليل العميق لدلالة الجمع وكيفية تحويلها إلى منهج للنظر في أحداث التاريخ والكون:

1. دلالة الجمع (لآيات) في السياق البياني والتجويدي

* تعدد الوجوه: الجمع هنا آيات (وليس) آية (يوحي بأن الواقعة الواحدة ليست درساً واحداً، بل هي "حزمة من الرسائل". فنفس الواقعة) الطوفان (هي: آية عذاب للكافرين، وآية نجاة للمؤمنين، وآية قدرة في تسخير العناصر، وآية حكمة في حفظ الأنواع) زوجين اثنين).

* تنوع المجالات: "الآيات" جمع يشمل آيات نفسية (صبر نوح)، وآيات اجتماعية (طغيان الملأ)، وآيات كونية (انفجار التنور).

* تجويداً (مد البدل والفتح): المد في {لآيات} يعطي اتساعاً صوتياً يوحي بـ "الامتداد والانتشار". وكأن الصوت يفتح آفاق العقل ليرى أن هذه الدلائل ممتدة في الزمان والمكان، وليست محصورة في قصة نوح وحدها.

2. كيف تجعلك "آيات" تنظر للأحداث التاريخية كتدبير إلهي؟

عندما تستحضر صيغة الجمع، يتحول نظرك للتاريخ من "سرد قصصي" إلى "مختبر سنني":

* قانون "عاقبة الظلم": حين تنظر لتاريخ الإمبراطوريات التي طغت ثم بادت، لا تراها مجرد "سقوط سياسي"، بل تراها آية (تجسد قوله تعالى عن قوم نوح. التاريخ يُعيد إنتاج "الطوفان" بأشكال مختلفة)

* قانون "نصر الفئة القليلة": التاريخ مليء بلحظات انتصر فيها الحق بإمكانيات "خشبية" بسيطة أمام باطل يملك "جبالاً" من القوة (هذه آية (تخبرك أن "التدبير" الإلهي ينحاز دائماً لمن يصنع سفينته بـ) أعيننا ووحينا).

* رؤية "اليد الخفية" في التفاصيل: الأحداث التاريخية الكبرى غالباً ما تغير مسارها "إشارات بسيطة" (مثل فوران التنور). هذا يعلمك أن تدبير الله لشؤون الكون يكمن في "التوافه" التي يغفل عنها البشر ولكنها تقلب موازين القوى.

3. التحول من "المشاهد" إلى "المستدل"

تطبيق هذا المفهوم في حياتك) خاصة كقانوني وباحث (يجعلك:

* تقرأ "ما وراء الخير": عند سماع حدث تاريخي أو معاصر، تسأل نفسك: "أين آية الله هنا؟"، "أي سنة من سنن نوح تتكرر الآن؟".

* اليقين في العدالة: عندما ترى الظلم يستشري، لا تيأس؛ لأنك تعلم أن التاريخ "آيات" والآية تخبرك (أن) الطوفان (له) موعد محدد لا يتخلف، وأن الاستهزاء بالحق هو "مؤشر الزوال".

* الاعتزاز بالمنهج: تنظر للتاريخ كشهادة موثقة على صدق الرسل، مما يجعلك تعتز بكونك امتداداً لهذه السلسلة من المصلحين الذين "استووا على الفلك" بفضل الله.
خاتمة المذكرة (الآيات 23-30):

لقد بدأنا بـ (ب) التكليف (في الآية 23 ، وانتهينا بـ (ب) الآية والابتلاء (في الآية 30. هذه الرحلة تؤكد أن: >"من ركب سفينة التوحيد، وصنع أسباب الإتيان، وصبر على سخرية الأقران، وحمد الله عند أول بوادر الأمان، وفوض أمره لخير المنزلين؛ فلا بد أن يجعل الله قصته) آية (تتلى، وذكرنا ينمو، وفلاحاً لا ينقطع".

الأمر الثاني

الفقرة الثانية: {وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ} (فلسفة الوجود والامتحان المستمر)

* التفسير والمدلول: (الابتلاء) هنا يعني الاختبار والامتحان. الله يخبرنا أن الغاية من إرسال الرسل، ومن هلاك الظلمة ونجاة المؤمنين، هي امتحان الناس: كيف سيتصرفون؟ وهل سيؤمنون؟

* المفاهيم المستفادة: "ديمومة الاختبار"؛ الحياة ليست نعيماً مطلقاً ولا عذاباً مطلقاً، بل هي "قاعة امتحان" كبيرة.

* الدروس في الحياة العملية: كقانوني أو مصلح، كل قضية تواجهها هي "ابتلاء" (اختبار) لأمانتك وجراحتك في الحق. النجاح ليس في كسب القضية دائماً، بل في النجاح في "الاختبار الأخلاقي" المرافق لها.

* اللامسات البيانية والبلاغية:

* استخدام (إن) المخففة من الثقل واللام الفارقة: تعطي وزناً ثقيلاً للجملة، وكأنها "خلاصة الحكمة" التي يجب أن يخرج بها الإنسان من الدنيا.

* الأنغام الصوتية وأحكام التجويد:

* النون المشددة في (كنا): صوت الغنة هنا يجسد "الاستمرارية"؛ أي أن الابتلاء سنة مستمرة ممتدة في الزمان والمكان.

* المد العارض للسكون في (لمبتلين): سكون هاءٍ يختم السورة، يترك السامع في حالة من "التأمل العميق" في حاله: أين هو من سفينة نوح؟ وأين هو من ابتلاءات الحياة؟

* القلقل في (ب) من (لمبتلين): القلقل في وسط الكلمة تعبر عن "الاهتزاز والاضطراب" الذي يصاحب الابتلاء والاختبار قبل الوصول إلى نتيجة النجاح أو الفشل.
الرسائل الجامعة لجميع الفئات:

* للدعاة والمصلحين: قصتكم هي جزء من هذا الابتلاء. ثباتكم آية، وصبركم آية، والنجاة في النهاية هي الوعد المحقق.

* للتلاميذ والباحثين: ابحثوا في طيات التاريخ (في ذلك) لتجدوا القوانين التي تحكم الحاضر والمستقبل.

* لأعداء الحق: اعتبروا بمصير "الملا" الذين كانوا قبلكم؛ فأنتم أيضاً تحت مجهر الابتلاء، والفرصة لا تزال قائمة قبل "ساعة الصفر".

تجسيد الصورة :

تخيل المشهد: بعد أن سكن كل شيء، ونجا من نجا وهلك من هلك، يرتفع صوت الوحي ليقول للكون كله: انظروا.. هذه هي العلامات (لآيات)، وهذا هو سر الوجود (لمبتلين). وكأن الستار يُسدل على مشهد نوح ليُفتح على "مشهدك أنت" في حياتك اليومية، فالسفينة لا تزال تبنى، والابتلاء لا يزال قائماً

الدرس الأول

ماذا تعني وأنا كنا لمبتلين ؟

تعد خاتمة الآية (30) {وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ} هي "القاعدة الكلية" التي تفسر سر الصراع البشري، وهي التعقيب الذي ينقل القصة من "حدث تاريخي" إلى "سنة جارية" لا تتخلف.

إليك التحليل العميق لمعنى الابتلاء ودلالة مجيئه كتعقيب نهائي:

1. المعنى الدقيق لـ {وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ}

* اللغوي: الابتلاء من (البلاء) وهو الاختبار والتمحيص. قوله (وَإِنْ كُنَّا) بصيغة التعظيم والتحقيق (إن) المخففة من الثقل (تفيد أن هذا الاختبار هو "قانون إلهي أصيل".

* المفهوم: الله يخبرنا أنه لم يغرق القوم الظالمين ولم ينج نوحاً عبثاً، بل كان ذلك "امتحاناً"

للفريقين. فالله يبتلي الطغاة بـ (الإمهال) ليرى هل يتوبون؟ ويبتلي المؤمنين بـ (الأذى و السخرية) ليرى هل يصبرون؟
* الشمولية: الابتلاء هنا يشمل "الخير والشر"؛ فالسفينه نجاه (ابتلاء شكر)، والطوفان هلاك (ابتلاء صبر وعقوبة).

2. دلالة التعقيب على قصة نوح (لماذا هنا؟)
مجيء هذه الجملة تحديداً بعد ذكر النجاه والرسو (الآيات 23-30) يحمل أبعاداً استراتيجية وتربوية:

* نزع فتيل "الاستثناء": لكي لا يظن القارئ أن ما حدث لنوح هو "معجزة لمرة واحدة"، جاء التعقيب ليقول: "هذا ديدنا مع عبادنا دائماً". نحن نختبركم بالظالمين، ونختبر الظالمين بآياتنا، و النتيجة مرتبطة دائماً بمدى نجاحكم في (صناعة السفينة) والتوكل.
* تثبيت المصلحين: التعقيب يمنح "الحصانة النفسية" للمؤمن؛ فإذا واجهت (ملا) يسخر منك أو (طوفان) أزمات، تذكر أنك في "حالة ابتلاء" مقصودة من الله لرفع درجتك، وليست حالة "تخل" منه سبحانه.

* تفسير "تأخر النصر": قصة نوح استمرت 950 عاماً؛ والتعقيب بـ (لمبتلين) يفسر هذا الطول الزمني. الله لم يكن عاجزاً عن إهلاكهم في يوم، لكنه كان "يبتليهم" و"يبتلي" نوحاً ليستخرج أقصى طاقات الصبر واليقين.

3. الدلالة البيانية والتجويدية (فقه الصمود)
* بياناً (اللام المرحلة): في قوله {لمبتلين}؛ اللام هنا للتوكيد، لتأكيد حتمية وقوع الاختبار. فلا توجد نجاه بلا بلاء، ولا تمكين بلا تمحيص.

* تجويدياً (قلقلة الباء): حرف الباء في {مبتلين} حرف مقلقل (اهتزازي). هذا الاهتزاز الصوتي يصور تماماً معنى الابتلاء؛ فهو "هزة" تصيب النفس والمجتمع لتسقط الزائف وتثبت الصادق.
* الخاتمة بالياء والنون: المد العارض للسكون في نهاية السورة (المؤمنون، مبعوثون، لمبتلين) يعطي إيقاعاً من "الاستقرار والختام"، وكأن الابتلاء هو النتيجة النهائية التي يجب أن يستقر عليها وحي المؤمنين.

4. كيف نستفيد من هذا التعقيب في حياتنا العملية؟
، هذا التعقيب هو "بوصلة الأداء":

* إدارة التوقعات: لا تتوقع طريقاً مفروشا بالورود عند المطالبة بالحق. استشعر دائماً (وإن كنا لمبتلين) لتقابل الصعوبات بهدوء الواثق بالنتيجة.

* الوعي بـ "الاختبار المهني": فإذا كنت قاضياً فعليك أن تدرك أن كل قضية شائكة أو ضغط خارجي هو "مادة اختبار" لنزاهتك وقوتك. النجاه هي أن تخرج من الابتلاء وأنت لا تزال "مستوياً على سفينة المبدأ".

* تحويل "المحنة" إلى "مختبر": بدلاً من قول "لماذا يحدث لي هذا؟"، قل: "هذا هو الابتلاء الذي ذكره الله، فكيف سأنجح فيه؟".

الدرس الثاني

فهم الحياة على أنها "دار ابتلاء" (كما ختمت الآية 30: {وإن كنا لمبتلين}) ليس مجرد فكرة دينية عابرة، بل هو "نظام تشغيل ذهني" يغير طريقة تعاملك مع كل حدث في حياتك المهنية والشخصية. إليك الأهمية الاستراتيجية والنفسية لهذا الفهم، وكيف يحولك من "ضحية للظروف" إلى "قائد للموقف".

1. التحرر من "صدمة الواقع" (إدارة التوقعات)
أكبر مسبب للقلق والاحترق النفسي هو توقع أن تكون الحياة "مستقرة" أو "مثالية".
* الأهمية: عندما تدرك أنك في (مختبر)، لن تتفاجأ بوجود "خصوم" أو "عقبات" أو "أزمات طارئة".

* النتيجة: تتحول هذه العقبات من "مصيبة غير متوقعة" إلى "جزء من مادة الاختبار". هذا يمنحك بروداً أعصاباً وثباتاً في اتخاذ القرار، تماماً كما كان نوح عليه السلام يصنع سفينته وسط سخرية الملاح؛ لأنه يعلم أن السخرية (جزء من الابتلاء).

2. تحويل "المحنة" إلى "مهمة استكشافية"
فهم الابتلاء يغير السؤال من "لماذا يحدث لي هذا؟" (سؤال الضحية) إلى "ماذا يراد مني في هذا الموقف؟" (سؤال المصلح).

* الأهمية: الابتلاء يستخرج "الكبوز المخبوءة" فيك. لولا الطوفان لما عرفت عظمة صناعة نوح، ولو لا الابتلاء لما ظهر صدق توكلك.

* النتيجة: في عملك عندما تصادف مشاكل عليك أن تفهم أن ذلك "ابتلاء لكألك ونزاهتك". النجاح فيها ليس فقط في تجاوزها بل في "كيفية إدارتك لها" وأنت مستمسك بمبادئك.

3. التوازن بين "شكر النعمة" و"صبر المحنة"

الابتلاء في القرآن ليس شراً محضاً، بل هو (اختبار) بالخير والشر ((وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً)).
* الأهمية: الغنى نفوذ وابتلاء (هل ستطغى؟)، والفقر والضيق ابتلاء (هل ستسخط؟).
* النتيجة: هذا الفهم يجعلك متوازناً؛ فلا يطير بك النجاح زهواً (لأنك تخشى الفشل في اختبار الشكر)، ولا يسحقك الإخفاق يأساً (لأنك تعلم أنه اختبار للصبر سيعقبه فرج).

4. ترسيخ "اليقين في العدالة الإلهية"
ختم قصة نوح بالابتلاء يعطي طمأنينة بأن "الله يراقب الأداء".
* الأهمية: قد ينتصر الظالم مؤقتاً (هذا ابتلاء له وللمظلوم)، لكن "نهاية الاختبار" دائماً ما تكون لصالح أصحاب (السفينة).

* النتيجة: بصفتك محامياً، هذا يجعلك تنام قريح العين؛ فأنت تبذل جهدك في "صناعة السبب"، وتفوض النتيجة لمن يعلم غيب الابتلاء، موقناً أن (العاقبة للمتقين).

كيف تطبق مفهوم "دار الابتلاء" في يومك؟
* عند الاستيقاظ: استشعر أن اليوم هو "ورقة امتحان" جديدة، والمطلوب هو الإتقان في الإجابة (العمل).

* عند مواجهة "ملاء" معاصر: (زميل حاسد أو مدير متسلط)؛ قل في نفسك: "هذا هو الابتلاء المقصود، سأنجح فيه بصبري وترفعي".

* عند إتمام "سفينة": (مشروع أو قضية ناجحة)؛ لا تركز للراحة المطلقة، بل استعد للابتلاء القادم في (المنزل المبارك).

هذا المفهوم هو "الخلاصة المركزية" التي تربط بها كل آيات سورة المؤمنون التي تدارسناها.
القسم الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
{ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ (31) فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (32) وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِلقاءِ الْآخِرَةِ وَأَتَرَفْتَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (33) وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ (34) أَيْعِدْكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ (35) هِيَئَاتِ هِيَئَاتِ لِمَا تُوعَدُونَ (36) إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَتَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (37) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ (38) قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ (39) قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ (40) فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ عَتَاءً قَبْعَاءً لِقَوْمِ الظَّالِمِينَ (41)}

إليك تحليل موضوعي ومنهجي للآيات الكريمة من (31-41) من سورة المؤمنون، والتي تتناول قصة "الجيل التالي" بعد نوح عليه السلام (والمقصود بهم غالباً قوم عاد ونبيلهم هود عليه السلام)، وذلك وفق الأبعاد التحليلية التالية:

1. الدلالات اللغوية والمفردات
* "أنشأنا": تدل على الإيجاد من عدم مع التربية والرعاية، وفيها إشارة إلى عظمة القدرة الإلهية في تعاقب الأمم.

* "قرناً آخرين": القرن هم الجيل من الناس الذين يجمعهم زمن واحد، وُصفوا بـ "آخرين" لتمييزهم عن سبقهم من قوم نوح.

* "المترفين": هم الذين أفسدتهم النعمة والرفاهية، فأصبحوا ينظرون للحق من خلال مصالحهم المادية فقط.

* "هيهات هيهات": اسم فعل ماضٍ بمعنى "بَعْدَ جداً"، وتكرارها يفيد المبالغة في الاستبعاد والإنكار لبعث الأجساد.

* "كذاب": صيغة مبالغة استخدمها القوم لرمي النبي بالافتراء، وهي تعكس شدة جحودهم.
2. البناء التحليلي للقصة

تتبع الآيات مساراً تكرارياً لسنن الاستكبار البشري:

* وحدة الرسالة (31-32): تبدأ القصة بإرسال رسول من "أنفسهم" يدعو للتوحيد المحض، وهو ما يعكس رحمة الله بأن جعل الحجة تأتي ممن يعرفون صدقه ونسبه.

* منطق الاستعلاء الطبقي (33-35): نجد أن المعارضة بدأت من "الملاء" وهم سادة القوم و المترفون. حجتهم كانت "بشرية الرسول"؛ ففي نظرهم لا يمكن لمن يأكل ويشرب مثلهم أن يمتلك سلطة روحية أو معرفية عليهم.

* الفلسفة المادية والدهرية (36-38): ينكر القوم البعث والجزاء (إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا)، وهو إنكار نابع من الانغماس في المحسوسات، واعتبار الموت نهاية الوجود.

* الاستنصار والدعاء (39): بعد اليأس من استجابة القوم، يلجأ الرسول إلى ربه بطلب النصر (رب انصُرني بما كذبون).

3. التطبيقات العملية والرسائل السلوكية

* خطر الترف على الوعي: تبين الآيات أن الرفاهية الزائدة قد تتحول إلى حجاب يمنع الإنسان من رؤية الحقائق المجردة، وتجعله يقيس القيم بمقياس المادة.

* الصبر في مواجهة التشكيك: الثبات الذي أظهره الرسول أمام سخرية قومه (هيهات هيهات) يمثل نموذجاً للمتمسك بمبادئه أمام التيارات الفكرية المادية.

* سنة التغيير (40-41): تنتهي الآيات ببيان سرعة زوال الأمم المستكبرة (عما قليل ليصبحن نادمين)، حيث جاءت "الصيحة" كفعل قانوني عادل (بالحق) ليتحولوا إلى "غثاء" (بقايا السيل لا قيمة لها)

اولا

(ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين)

تقدم لنا الآيات تفسير دقيقاً لدليل الحدث التاريخي في حركة الناس والحضارات مبينا أن لكل شيء سنن وقوانين فالحياء والانسان والكون يخضعون في السنن ونواميس وقوانين في الحياه وما فيها لا يمكنك فهمها ولا التعرف على أسباب أزمتها ومواطن اصاباتها الا بعد ادراك هذه السنن التي هي أشبه بمعادلات رياضية مقدمات تورث نتائج كما لا يمكن التعامل معها دون استيعاب هذه السنن وامتلاك قدره على تسخيرها والوصول إلى مغالبه القدر بقدر ولهذا فإن قراءه احداث التاريخ في مجالى الخير والشر وقراءه سقوط الحضارات ونهضتها أو اندثارها لها نوعين من القراءه

*القراءه الماديه التى القراءه الماديه البحتة التى لا تنتفع بمآلات الأمم السابقه فهى قراءه تفتقر إلى فقه السنن التى تدلنا عليه معرفه الوحى

*القراءه الشرعيه وهى القراءه التى تربط موقف الحضاره من النبي المرسل اليها المنهج المنزل من الله اليهم هذه القراءه تجعلك تربط بين بين سقوط الحضاره ونهضتها لان الله سبحانه وتعالى يمنح الناس فرصه الامتحان ويمكنهم من الارض ويغدق عليهم بالنعم وهو يختبرهم ولهذا يرسل إليهم رسلا يبينوا لهم ما يجب عليهم فعله وما يجب عليهم تركه فان هم قبلوا دعوه الرسل اغدق عليهم بالنعم وأنهم كذبوا الرسل وجحدوا آيات الله اهلاكمهم وانشا بدلا عنهم قوما آخرين فهذه هى سنه الله فى الاستخلاف ولهذا سوف نتناول بالشرح مدلول مفاهيم الايات مع الربط بين مفردات الآية وأحكامها التجويدية على مفاهيم التجديد، والدروس الحضارية المستفادة من تعاقب الأمم والسنن لما فى فقه السنن من اهميه فى قراءه الأحداث وأخذ الدروس والعبر :

الدرس الاول

تحمل الآية (31) من سورة المؤمنون {ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين} فلسفة عميقة في فقه التاريخ والاجتماع البشري، فهي تؤصل لثبات المنهج الإلهي رغم تغير الوجوه والازمنة. إليك التفصيل التكاملي لهذا المفهوم:

1. "قانون التكرار التاريخي" والدعوة للتوحيد

* الدلالة اللغوية والبيانية: استخدام "ثم" للترتيب والتراخي، مع لفظ "قرناً آخرين"، يشير إلى أن التاريخ ليس أحداثاً عشوائية، بل هو "دورات حضارية" متكررة. فكلما هلكت أمة، جاءت أخرى لتواجه نفس الاختبار: (التوحيد أم الشرك؟).

* ثبات المنهج: الآية تبين أن "السبيل الوحيد للنجاح" في معادلة الاستخلاف هو طاعة الرسل؛ لأن الله في كل "إنشاء" جديد يرسل نفس المنهج، مما يعني أن "الحل" لمشكلات البشرية واحد لا يتغير بتغير العصور.

2. الثبات على الحق في وجه "فتن العصر"

* وحدة المصدر والهدف: كون الله هو الذي "أنشأ" هذا القرن الجديد، فهذا يعني أن المنهج يظل واحداً لأنه صادر عن "الخالق الواحد".

* الرسالة التربوية: يقتضي ذلك علينا ألا نتأثر بـ "موديلات" الفكر المعاصر أو الفتن المتغيرة؛ فالحق قديم وأصيل. الثبات هنا يعني استحضار أننا جزء من سلسلة "المؤمنين" عبر التاريخ، ولسنا نبأ شيطانياً مقطوع الجذور.

* الدلالة البيانية: تنكير كلمة "قرناً" تفيد العموم؛ أي أن أي جيل في أي عصر يخضع لنفس القوانين الإلهية، مما يستوجب اليقظة الدائمة.

3. مسؤولية الإنسان عن الاستخلاف (الأمانة المتجددة)

* مفهوم "قرناً آخرين": إبراز هذا المفهوم يوضح أن الله يمنح البشرية "تفويضاً" لإدارة الأرض. أنت كإنسان لست مجرد عابر سبيل، بل أنت "مستخلف" مسئول عن عمارة الأرض بالصالح.

* العلاقة بين "الإنشاء" والإنتاج: الإنشاء الإلهي يقابله "عمل إنساني". فإذا أنشأك الله، وجب عليك أن تنتج وتصلح، وهذا هو جوهر "مسؤولية الاستخلاف". و"توريث القيم" لا هدمها.

الخلاصة التوجيهية:

الآية (31) تخبرنا أننا في "رحلة استخلاف" مستمرة. الإخفاء في نشأتنا يعلمنا التواضع في البدايات ، والبيان في تعاقبنا يعلمنا الثبات على الحق القديم. نحن "قرن" مُطالب بأن يكون "آخر" في التميز

والإصلاح، لا مجرد رقم يضاف لسجل الغابرين

الدرس الثاني.

دلالة "أنشأنا" على سنة التجديد بعد الفناء

عليك أن تدرك أن كلمة "أنشأنا" في هذا السياق ليست مجرد مرادف لـ "خلقنا"، بل تحمل أبعاداً عميقة في التنمية والبناء:

*** مفهوم النشوء والاستمرارية:-**

الإنشاء في اللغة هو الابتداء مع التربية والرعاية. تدل الآية على أن الله لا يترك الأرض فراغاً بعد هلاك الظالمين، بل هناك "خطة إمداد" مستمرة للحياة البشرية، مما يعزز مفهوم "المرونة الحضارية"؛ أي قدرة الحياة على الانبعاث من جديد مهما كانت الكوارث.

*** مفهوم التدرج والنمو:**

الإنشاء يوحى بأن الجيل الجديد يبدأ صغيراً ثم ينمو ويشهد عوده، وهو درس في "التخطيط طويل الأمد"؛ فالحضارات لا تقفز فجأة، بل تنشأ نشوءاً وتبنى لبنة لبنة. لتفهم أن النجاح يحتاج إلى خطوات مدروسة فالقفز يتولد عنه الانحراف أما بالتشدد والتطرف أو السقوط المبكر ولهذا تربي الأيّه المؤمنين على التدرج والنمو ليفهموا أن معاناتهم في مكة هي جزء من الأعداد والتربيّه حتى ينموا سليماً

*** مفهوم تجاوز الماضي:**

عبارة "من بعدهم" تفصل تماماً بين مرحلة الفناء (قوم نوح) ومرحلة التجديد. هي دعوة للجيل الجديد ألا يترهن لأخطاء من سبقه، بل يبدأ صفحة بيضاء، مما يرسخ مبدأ "التغيير الجذري" وعدم تكرار الأنماط الفاشلة.

ثانياً: الدروس المستفادة من تعاقب الأجيال (من قوم نوح إلى من بعدهم)

هذا التعاقب يمثل "مختبراً بشرياً" نستخلص منه دروساً تعليمية وتربوية:

* الوقت والفرص المحدودة: ذهاب قوم ومجيء آخرين يذكّرنا بأن "الزمن مورد غير متجدد"؛ فكل أمة لها "أجل"، وهذا يحفز الأفراد على الإنجاز السريع قبل فوات الأوان.

* قانون التداول (الاستخلاف): السيادة في الأرض ليست حكراً على عرق أو جيل. الدرس هنا هو "التواضع المؤسسي"؛ فالقوة التي تملكها اليوم قد تذهب لغيرك غداً إذا لم تحافظ على أسباب بقائها (الإيمان والعمل الصالح).

* التراكم المعرفي: مجيء "قرن آخرين" يعني أن لديهم فرصة للتعلم من تاريخ من سبقهم. في التنمية البشرية، يُسمى هذا "الاستفادة من التجارب السابقة"؛ فالعاقل من اتعظ بغيره.

* تجدد الأمل: ذهاب القوم الظالمين وبداية جيل جديد هو رسالة بأن "الشر ليس أبدياً"، وأن الخير دائماً لديه فرصة للانبعاث من جديد.

ثالثاً: دلالة "الإخفاء" في {أنشأنا} وخدمتها لهذه المعاني

حكم التجويد (الإخفاء الحقيقي للنون عند الشين) في كلمة "أنشأنا" يضيف لمسة صوتية خادمة للمعنى التربوي:

* مرحلة التكوين الصامت (الخفاء): الإخفاء صوتياً هو حالة بين الإظهار والإدغام. هذا يحاكي مرحلة "النشوء الأول" للجيل أو الحضارة؛ حيث تبدأ الفكرة أو الأمة في طور "الخفاء" والهدوء بعيداً عن الأضواء، ثم تظهر تدريجياً لتصبح واقعاً مشهوداً.

* اللطف الإلهي في التغيير: ستر النون (الإخفاء) يوحى بأن تدبير الله في إحلال جيل مكان جيل يتم بلطف وحكمة، وقد لا يشعر الناس ببدايات التغيير إلا بعد أن تكتمل، وهو درس في "العمل الصامت المثمر".

* التهيئة النفسية: الغنة المصاحبة للإخفاء تعطي القارئ وقتاً (حركتين) لاستشعار عظمة "الإيجاد من العدم"، مما يربط اللسان بالقلب في استحضار هيبة الخلق والتجديد.

الخلاصة التربوية:

الآية تعلمنا أن الفناء ليس نهاية الطريق، بل هو إفساح مجال لمشروع إنساني جديد. وكلمة "أنشأنا" بصوتها (إخفاؤها) ومعناها (بنائها) تدفعنا لنكون "جيلاً ببناءً" يستفيد من أخطاء الماضي ليصنع مستقبلاً يرضي الله.

الدرس الثالث

أن أشد ما يلفت الانتباه "الإقلاّب" في قوله تعالى {من بعدهم} كيف أنه يربط بين الأداء الصوتي والمفاهيم الحضارية والتربوية التي تتحدث عنها الآية فهو يعطيك لمحة تدريبية عميقة؛ ف الإقلاّب في التجويد هو قلب النون ميماً مخفاة عند لقائها بالباء، وهذا "التحول" الصوتي يحمل في طياته دلالات وجودية وحضارية هائلة:

1. دلالة "الإقلاّب" على التجدد وتبدل الحضارات

* التحول من حال إلى حال: كما تنقلب النون (الساکنة الممتدة) إلى میم (محكمة ومنغلقة) عند لقاء الباء، تنقلب أحوال الأمم. فالآية تشير إلى أن الفناء ليس نهاية محضة، بل هو "نقطة تحول"؛

حيث تذهب أمة وتأتي أخرى، مما يعزز مفهوم "المرونة الكونية" وبقاء جوهر الرسالة الإلهية رغم تغير الوجوه والحضارات.

* بقاء "الأصل" وتحول "الشكل": في الإقلاّب، تبقى صفة "الغنة" (جوهر النون) رغم تحول النون إلى ميم. هذا يشبه تماماً "دعوة الله"؛ فهي باقية في جوهرها (التوحيد والصالح) عبر العصور، بينما تتبدل الأقوام والأشكال الحضارية التي تحملها.

2. فرصة الإصلاح المستمرة (الاستخلاف التبادلي)

* الفرصة الممنوحة: قوله {من بعدهم} مع حكم الإقلاّب يوحي بلطف الانتقال؛ فالله لا ينهي الحياة بهلاك أمة، بل يمنح البشرية "فرصة تعويضية". الإقلاّب هنا يمثل "إعادة الضبط" للمسار البشري، لتبدأ أمة جديدة بفرص إصلاحية جديدة، بعيداً عن روااسب الماضي.

* حث على العمارة والإنتاج: تعاقب الأمم يقتضي ألا يتوقف العمل. فإذا كان الله يخلف الأمم ببعضها، فإن الدور المنوط بكل جيل هو "تراكم البناء" لا هدمه. الإقلاّب الصوتي المتصل يوحي بأن عمارة الأرض هي سلسلة متصلة؛ حيث يسلم جيل الراية لجيل آخر ليوصل الإنتاج والصالح.

3. توريث القيم وتداول الأمانة

* انتقال القيمة: كما تنتقل في النطق من النون إلى الميم بسلاسة، يجب أن تنتقل "القيم الطيبة" من الأجيال السابقة إلى اللاحقة. هذا التوريث هو الذي يضمن بقاء "المعنى" في الأرض حتى لو فُتيت "الأجساد".

* المسؤولية الجيلية: دلالة الإقلاّب هنا تذكرنا بأننا "مؤمنون" لفترة محددة؛ فنحن نعيش في "زمن مابعد" (بعد من سبقونا)، وسنكون "سابقين" لمن يأتي بعدنا، مما يفرض علينا تجويد "المنتج القيمي" الذي سنورثه.

4. حتمية الرحيل واستثمار الوقت

* تذكير بالزوال: لفظ {يُغْدِهِم} يحد ذاته هو "ناقوس خطر" يذكرنا بأن صفة "البعديّة" ستنتطبق علينا يوماً ما. الإقلاّب هنا يعمل كمحفز للوعي؛ فالحياة قصيرة والرحيل حتمي كما رحلت الأمم السابقة (قوم نوح وغيرهم).

* استغلال الوقت (فقه الاستعجال): ما يقتضيه هذا الإدراك هو الانتقال من "الأمل الطويل" إلى "العمل الصالح" الفوري. في التنمية الإيمانية، يُعتبر تعاقب الأجيال أعظم دافع لترك "الأثر الخالد" قبل أن نصبح نحن مجرد "قصة" تروى لمن يأتي "من بعدنا".

خلاصة تربوية وتنموية:

إن حكم الإقلاّب في {من بعدهم} يعلمنا "أدب الاستخلاف"؛ فالحضارات تهلك والأجساد تتبدل، لكن المبادئ الإلهية ثابتة. والذكي هو من يستغل "نوبته" في عمارة الأرض ليصنع صوتاً (عملاً) طيباً يبقى أثره كبقاء الغنة في الإقلاّب، حتى بعد أن يرحل هو عن عالم الظهور.

الدرس الرابع

إن استنباط مفاهيم الجدية في العمل واقتناص الفرص من الآية (31) من سورة المؤمنون: {ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين} يفتح لنا آفاقاً في "فقه الاستخلاف" وإدارة "الزمن الحضاري"، وذلك من خلا ل النقاط التكميلية التالية:

1. مفهوم "النوبة الحضارية" (إدارة الوقت المحدود)

* الدلالة من الآية: قوله تعالى {من بعدهم} يؤصل لمبدأ "تداول الأيام". الوجود البشري ليس عبثاً مستمراً بلا نهاية، بل هو "نوبات" وأدوار محددة.

* الاستنباط التربوي: الجدية تنبع من إدراكك أنك "خلف" لمن سبقك، وسيكون هناك "خلف" لك. هذا يقتضي استغلال كل ثانية في العبادة والإعمار قبل أن يُسحب منك "ملف الاستخلاف" ويُسلم لغيرك. في التنمية البشرية، هذا يسمى "ذهنية الأثر الخالد"؛ أي العمل وكأنك تسابق لحظة سلب الدور.

2. الربط بين "الإنشاء" و"الإنجاز" مبدأ المبادرة

* الدلالة اللغوية والتجويدية: الفعل {أنشأنا} يوحي بالإيجاد لهدف وبناء متدرج. (وحكم) الإخفاء الحقيقي (في نطق النون عند الشين يرمز صوتياً لمرحلة "الإعداد الصامت" والجاد بعيداً عن الصخب). الرسالة التنموية: استغلال الفرصة يعني أن تدرك أن الله "أنشأك" لتضيف بصمة في بناء الكون. الجدية هنا هي الانتقال من طور (طور) النشوء والخفاء (إلى طور) الظهور والإنجاز (بأقصى سرعة ممكنة، فالفرصة الممنوحة لهذا "القرن" لها أمد معلوم).

3. فقه "القرن الآخر" استغلال الفرصة التعويضية

* الدلالة من الآية: وصفهم بـ {قرناً آخرين} (أي جيلاً جديداً بفرصة جديدة).

* الاستنباط العملي: كل يوم يعيشه الإنسان هو "فرصة تعويضية" عما فاتته أو عما فات من سبقه. الجدية تقتضي ألا يكرر الإنسان أخطاء القرون السابقة، بل يستغل "ميزة المجيء آخراً" ليتعلم من تجاربهم ويسبقهم في الإعمار والتقوى.

4. حتمية "انتقال الدور" كدافع للإنتاج

* الدلالة البيانية: تقديم الجار والمجرور {من بعدهم} يشعر القارئ بحركة الزمن المتسارعة؛ فبمجرد

ذهاب أمة، يُنشئ الله أخرى.
 * التوجيه السلوكي: إن استحضار مشهد "الرحيل" وتورث الأرض لغيرك هو أكبر محفز على "الإ تقان". الموظف أو العامل أو العابد الذي يعلم أن مكانه سيشغله غيره عما قليل، يجتهد في أن يترك "نموذجاً" يُحتذى به، ويستغل طاقته القصوى في الإعمار قبل فوات الأوان.

5.التحول من "العدد" إلى "القيمة"
 * الرسالة الجوهرية: الله لم يسمِ هؤلاء الأقوام) إبهام مقصود(، ليوصل رسالة مفادها أن القيمة ليست في "اسمك" أو "نسبك"، بل في "ماذا فعلت في نوبتك؟".
 * الخلاصة: استغلال الفرصة في العبادة هو "تأمين للمستقبل الحقيقي"، واستغلالها في الإعمار هو "وفاء بعهد الاستخلاف". والآية تحذرننا بصمت: إن لم تعمروا وتعبدوا بجديّة، فالله قادر على إنشاء "قرن آخرين" غيركم.
 الخلاصة العملية:

الآية (31) هي نداء لكل جيل: "أنتم الآن في دوركم، والزمن يركض، فإما عمارة وعبادة تبقي ذكركم، وإما إهمال يجعلكم مجرد محطة عابرة في تاريخ الغابرين".

الأمر الثاني

دلاله عدم تسميه الأقوام في الآية
 إن عدم تسمية الأقوام في قوله تعالى: {ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ} (المؤمنون: 31) ليس مجرد إيجاز لغوي، بل هو "إبهام مقصود" يحمل دلالات تربوية وحضارية عميقة، تخدم الغرض الأسمى من القصص القرآني وهو "العبرة والقياس".
 إليك تحليل دلالات هذا الإبهام والرسائل الإلهية من ورائه في نقاط منهجية:

1. دلالة "العموم والشمول" (القانون الكوني)
 * الغرض: لو سَمَى الله القوم (كقوم عاد مثلاً)، لظنَّ البعض أن الكلام خاص بهم وبزمانهم فقط. لكن عدم التحديد يجعل الآية "قانوناً عاماً" ينطبق على كل جيل يأتي بعد جيل.
 * الرسالة: الله يريدنا أن نعرف أن "سنة الاستخلاف" لا تحابي جنساً ولا لوناً؛ فكل (قرن) يُنشأ هو تحت الاختبار، والنتيجة مرتبطة بالعمل لا بالاسم أو النسب.

2. غرض "التركيز على المنهج" لا على "الأشخاص"
 * الغرض: الإبهام هنا هو أداة تركيز. فالعبرة ليست في "من هم هؤلاء؟" بل في "ماذا فعلوا؟ وكيف استقبلوا الرسالة؟".

* الرسالة: الحق سبحانه وتعالى يوجه انتباهنا إلى "النموذج السلوكي". الأسماء تذهب وتبقى الأفعال؛ لذا فإن التركيز على (القرن الآخر) كفكرة مجردة يعزز مفهوم "المسؤولية الجماعية" للأجيال.
 3. إبراز مفهوم "الوحدات الزمنية" (القرن)

* الدلالة اللغوية والبيانية: كلمة "قرناً" توحي بالقوة والافتتان والمدة الزمنية. الإبهام هنا يبرز فكرة "تداول الأيام"، فالبشرية عبارة عن (وحدات زمنية) متتابعة.
 * الرسالة: إنها دعوة للتأمل في "قصر عمر الحضارات". فكونهم مجهولين بالاسم ومعلومين بوصفهم (قرناً آخرين) يرسخ في النفس أن الأمم مهما بلغت من القوة فهي "عابرة"، وأن البقاء لله وحده وللمنهج الذي أنزله.

4. الربط التكاملي (تجويداً وبياناً) في خدمة الإبهام
 * التنكير في {قرناً}: التنكير في اللغة يفيد (التعظيم) أو (التحقير) أو (الشيوع). هنا يفيد "الشيوع والتعظيم"؛ أي جيل عظيم القوة والعدد، لكنه يظل "نكيرة" ومجهولاً إذا لم يتصل بمنهج الله.

* الإخفاء في {أنشأنا}: كما ذكرنا سابقاً، الإخفاء الصوتي يخدم هذا "الإبهام"؛ فالبدائيات الحضارية غالبة ما تكون "خفية" وغير محددة المعالم، ثم تظهر وتنتشر.

5. الرسالة المستفادة: "أنت المعني بالخطاب"
 * الرسالة الجوهرية: إن عدم تحديد القوم هو دعوة لكل قارئ للقرآن في كل زمان أن يضع نفسه مكان هذا (القرن الآخر).

* التطبيق: "أنت" الآن جزء من (قرن) أنشأه الله بعد قرون غابرة، فهل ستكون (قرناً) يبني ويعمر بالتوحيد؟ أم ستتحول إلى (غناء) كما وصف الختام في الآية 41؟
 خلاصة الجدول التحليلي للإبهام:

العنصر	الغرض من الإبهام	الرسالة التي يريدنا الحق
التاريخ	نزع الخصوصية الزمانية و المكانية.	أن السنن التاريخية ثابتة ومستمرة (القياس)
التربية	التحذير من مصير مجهول (الإ بهام يثير الرهبة).	ألا تضع الفرصة التي مُنحت لك كما ضاعت ممن سبقك.
التنمية	التركيز على "الفعل الحضاري".	الأهمية ليست في (من أنت؟)

بل في (ماذا أحدثت في نوبتك	

إن هذا الإبهام هو قمة البلاغة التي تجعل النص القرآني "حياً" يخاطب الحاضر والمستقبل بنفس القوة التي خاطب بها الماضي.

ثانياً

تنتقل الآيات إلى بيان سنة الله في إرسال الرسل من نفس القوم رحمه بهم فقال تعالى {فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} أَفَلَا تَتَّقُونَ،

الأمر الأول

رحمه الله بالبشرية

تخبرنا الآية أن رحمه الله اقتضت أن يرسل للناس رسولا منهم يحمل المنهج الرباني الذي يحدد ما الذي يعملون وما يتركون ولهذا تعد هذه الآية هي الدستور العملي والمنهج التشغيلي لهذا الجيل الجديد (القرن الآخر) الذي أنشئ بعد فناء من سبقه.

إليك التفصيل التكاملي لهذه الآية بربط اللفظ بالمعنى، والتجويد بالمفهوم، والتربية بالتنمية:

1. اللامسات البيانية والبلاغية (هندسة الرسالة)

* الفاء في {فَأَرْسَلْنَا}: "فاء" التعقيب والسرعة؛ تدل على أن رحمة الله لم تترك الجيل الجديد يتخبط في التيه، بل جاء التوجيه فور الإنشاء. وهذا درس في "سرعة التوجيه القيادي"؛ فلا يُترك الموظف أو الجيل دون "كتالوج" عمل.

* تقديم الجار والمجرور {فيهم}: لم يقل "أرسلنا رسولا إليهم"، بل "فيهم"؛ للدلالة على شدة الاختلاط والملازمة، وكأن الرسالة نابعة من صميم واقعهم.

* كلمة {رَسُولًا مِنْهُمْ}: تنكير "رسولا" للتعظيم، وكلمة "منهم" هي مفتاح "القبول النفسي". فالإصلا ح ينجح حين يكون المصلح شريكاً في اللغة والبيئة والهموم.

* الاستفهام في {أَفَلَا تَتَّقُونَ}: حذف "المفعول به" (تتقون ماذا؟) ليفيد العموم؛ أي أفلا تتقون غضب الله، أو أفلا تتقون تكرار مصير من سبقكم، أو أفلا تتقون ضياع عقولكم؟

2. الدلالات التجويدية في خدمة المعنى التربوي

* الإدغام في {رَسُولًا مِنْهُمْ}: (تنوين يليه ميم) إدغام كامل بغنة؛ صوتياً يتلاحم التنوين بالميم تماماً، وهو تجسيد صوتي لمفهوم "الاندماج الاجتماعي" للرسول في قومه. الرسالة ليست غريبة عنهم، و الرسول ليس أجنبياً، بل هو مدمج في نسيجهم.

* الإظهار في {إِلَهٍ غَيْرُهُ}: (تنوين يليه غين) النطق الواضح والحازم للتنوين يعكس "وضوح المنهج". التوحيد لا يقبل الغموض أو "المنطقة الرمادية"؛ فالمنطق العقلي يقتضي فصلاً حازماً بين الخالق والمخلوق.

* المد الطبيعي في {تَتَّقُونَ}: حركتان في الواو عند الوقف (مد عارض للسكون)، تعطي القارئ وقتاً للتفكير في السؤال المطروح، وهي وقفة "محاسبة ذاتية".

3. مفاهيم التنمية البشرية والقيادة

* القيادة بالقدوة (منهم): أعظم درس في القيادة هو أن القائد الفعال هو من يعيش تجربة أتباعه. "منهم" تعني أنه يدرك نقاط ضعفهم وقوتهم، مما يجعل أمره مطاعاً لقرب المسافة النفسية.

* تحديد الرؤية والهدف: قوله {اعْبُدُوا اللَّهَ} هو اختصار استراتيجي لكل المهام البشرية. في الإدارة، "وضوح الهدف" هو نصف النجاح. الرسول لم يشتهم بالتفاصيل أولاً، بل حدد الغاية الكبرى.

* الذكاء العاطفي والتحفيز: قوله {أَفَلَا تَتَّقُونَ} هو استثارة لدافع "الحماية الذاتية". الإنسان بطبعه يخشى الخسارة؛ لذا استخدم الوحي هذا الاستفهام لدفعهم نحو "الوقاية" (التقوى) من الفشل الحضاري.

4. الفوائد والرسائل التربوية والسلوكية

* وحدة المنهج رغم تغير الأجيال: رغم أنهم "قرن آخر"، إلا أن الرسالة هي ذاتها (اعبدوا الله). هذا يعلمنا أن "القيم العليا ثابتة لا تتغير بتغير الموضة أو العصر".

* المسؤولية الفردية والجماعية: {أَفَلَا تَتَّقُونَ} خطاب للجمع، مما يعني أن حماية المجتمع من الهلاك هي مسؤولية تضامنية، تبدأ بوحي الفرد وتنتهي بصلاح الجماعة.

* الرحمة قبل العقاب: الآية تبين أن الله لا يعذب حتى يبعث رسولا يوضح المنهج؛ وهذا درس للمربين والآباء في "التوضيح قبل الحساب".

5. دلالة "الإخفاء" و"الإظهار" في ميزان العمل والاعمار

* الإخفاء في {أَنْشَأْنَا}: (الآية السابقة): كان يمثل مرحلة التكوين الخفي للجيل.

* الإظهار والوضوح في (الآية 32): يمثل مرحلة "البيان والعمل". فبعد أن أنشئ الجيل (في خفاء ولطف)، جاء الرسول ليضع النقاط على الحروف بـ (إظهار وحسم). هذا يعلمنا أن "التخطيط قد يكون صامتاً، لكن التنفيذ والعمل يجب أن يكون واضحاً ومعلنًا".

الخلاصة التوجيهية للآية (32):

تخبرنا هذه الآية أن كل جيل جديد يُمنح "فرصة ذهبية" للإصلاح من خلال:

- * قائد قريب: (رسولا ً منهم).
- * هدف واضح: (اعبدوا الله).
- * حجة عقلية: (ما لكم من إله غيره).
- * تحذير وقائي: (أفلا تتقون).

الأمر الثاني

قواعد التغيير الحضاري والقيادة الراشدة كما ترسمها الآية

تعد الآية (32) من سورة المؤمنون { فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ^ط أَفَلَا تَتَّقُونَ } مرجعاً مكثفاً لقواعد التغيير الحضاري والقيادة الراشدة. إليك شرح القواعد الأربعة التي استنبطتها بكامل تفاصيلها:

القاعدة الأولى: القائد القريب (رسولا ً منهم)

تؤسس هذه القاعدة لمبدأ "المشكلة النفسية والاجتماعية" بين المصلح والمجتمع:

- * أهمية القدوة في إحداث التغيير: الإنسان كائن يقلد بالمحاكاة أكثر مما يتعلم بالتلقين. القدوة هي "تجسيد حي" للفكرة؛ فحين يرى الناس المنهج يمشي على قدمين، يتحول المستحيل إلى ممكن. غياب القدوة يخلق فجوة "انفصام" في المجتمع، حيث تصبح القيم مجرد شعارات لا رصيد لها في الواقع، مما يؤدي إلى اليأس والإحباط.
- * لماذا من البيئة المستهدفة) منهم(؟):

- * اللغة المشتركة: ليس فقط لسان الكلام، بل لغة المعاناة والأمل والتحديات.
- * قطع المعاذير: وجود قدوة "بشرية" من نفس الظروف يقطع الطريق على من يقول "هذا مذهب لا يطيقه إلا الملائكة".

- * الثقة المسبقة: المجتمع يعرف تاريخه، صدقه، وأمانته قبل الدعوة، مما يسهل استجابة الجماهير.
- * صيغة الامتنان { مِنْهُمْ } وردت لبيان تكريم الله لهذا الجيل؛ فالله لم يرسل لهم ملكاً جباراً ولا غريباً مستعلاً، بل جعل الرحمة في أن يكون من جنسهم، يشعر بضعفهم ويألم لألمهم، وهو ما يوجب الشكر والقبول.

القاعدة الثانية: وضوح الهدف الاستراتيجي) أن اعبدوا الله(

هذه القاعدة هي "البوصلة" التي تمنع التشتت الحضاري:

- * العلاقة بوحدة الرسالة: اتفقت كلمة الأنبياء جميعاً على هذه الجملة لأن التوحيد هو الأساس الهيكلي. لا يمكن بناء تشريعات) صلاة، زكاة، عدل (على أرضية فكرية هشة. البدء بالتوحيد هو "تحرير للعقل" أولاً ً من التبعية لغير الخالق، ليكون مهياً لتنفيذ بقية الأوامر.

- * تجسيد التوحيد الخالص: جملة { مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } تنفي الشرك الصغير والكبير. هي تعني سقوط كل "الأصنام" المعاصرة) الهوى، المادة، السلطة الجائرة (أمام عظمة الخالق.

* التطبيق في حياتنا:

- * توحيد الوجهة: ألا يكون هم الإنسان مشتتاً بين إرضاء الناس، بل يركز على إرضاء الله.
- * الاستغناء بالله: اليقين بأن النفع والضرر بيد الله وحده، مما يمنح الإنسان شجاعة واستقلالية.

القاعدة الثالثة: حصر المصدرية) مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ(

هذه القاعدة هي "قاعدة التميز والاستغناء":

- * نفي البدائل: بعد الأمر بالعبادة، جاء النفي القاطع لكل "إله" آخر. في عالم اليوم، "الإله" قد يكون أيديولوجية مادية أو شهوة مهيمنة. هذه الجملة تنظف العقل من "المشتتات" التي تعيق النهضة.
- * الرسالة التنموية: لكي تنجح في أي مشروع، يجب أن تحصر مصادرك وتحدد مرجعيتك. التخبط بين المرجعيات يؤدي إلى الفشل. والآية تحصر المرجعية العليا في "الله" وحده لتنطلق النفس بقوة وثبات دون التفات للوراء.

القاعدة الرابعة: الإنذار الوقائي) أَفَلَا تَتَّقُونَ(

هذه هي قاعدة "الرقابة الذاتية" و "الذكاء الوجداني":

- * الاستفهام التحفيزي: قوله { أَفَلَا تَتَّقُونَ } لم يأت بصيغة "اتقوا" المباشرة، بل جاء كاستفهام استنكاري يستحث العقل. هو دعوة للإنسان لكي "يفكر" في العواقب.

- * مفهوم التقوى الوقائي: التقوى هنا ليست مجرد شعور قلبي، بل هي "اتخاذ وقاية" من الفشل و السقوط كما سقط الأولون. هي سؤال يتردد في أذن الجيل: "ألا تخشون من تكرار نفس الأخطاء التي أدت لهلاك من سبقكم؟".

- * علاقتها بالجدية: هذا التساؤل يزرع "الجدية" في التعامل مع الفرصة الممنوحة للجيل، ويحول الخوف من المستقبل إلى "طاقة عمل" إيجابية لتجنب الندم.

ملخص القواعد في نموذج التغيير:

- 1/قاعده :قائد قريب (منهم)الاثـر في المجتمع بناء الثقة والقـدوة العملية .
- 2/قاعده هدف واضح(اعبـدوا الله)الاثـر فى المجتمع منع التشتت وتوحيد الجهود .
- 3/قاعده حصر المرجعيه(غيره) الاثر في المجتمع الاستقلال الفكري والتحرر من التبعية .
- 4/قاعده إنذار وقائي(تتقون) الاثر في المجتمع اليقظة الدائمة ومحاسبة الذات .

الدرس الامر

كيف نحول الآية (32) من نص تاريخي إلى "خطة عمل استراتيجية" للحياة.
بناءً على القواعد الأربعة المستنبطة من الآية(32) ، يمكننا صياغة "نموذج التغيير الإيجابي" وتطبيقه على واقعنا المعاصر) سواء في إدارة المؤسسات، أو الإصلاح الاجتماعي، أو التربية الأسرية (على النحو التالي:

- 1.تطبيق قاعدة "القائد القريب") النموذج الواقعي)
في واقعنا، يواجه المصلحون مشكلة "البرج العاجي"؛ أي التنظير من بعيد.
* التطبيق: لإحداث تغيير في حيّ سكني أو شركة، يجب أن يكون القائد "منهم"؛ أي يشاركونهم تفاصيل العمل، يواجه نفس تحدياتهم، ولا يتميز عنهم بامتيازات مادية مبالغ فيها.
* الأثر: غياب القدوة "المشابهة" يجعل الناس يشعرون أن المثالية "مستحيلة". حضورها يجعل التغيير "معدياً" بالقدوة الحسنة.
* لماذا "الامتنان"؟: لأن وجود شخص ناجح وصالح من نفس بيئتك المتواضعة هو أكبر دليل على أنك "أنت أيضاً" تستطيع النجاح.
2.تطبيق قاعدة "وضوح الهدف") الرؤية الموحدة)
التشتت هو آفة العصر الرقمي؛ حيث تضع الأهداف الكبرى في الزحام.
* التطبيق: أن اعبـدوا الله (في سياقنا تعني "رد الأمور إلى مرجعيتها الكبرى". في أي مشروع، يجب البدء بـ "لماذا نفعل هذا؟". إذا كان الهدف هو إرضاء الله ونفع الخلق، توحدت الجهود.
* لماذا البدء بالعبادة؟: لأن العبادة هي "ضبط المصنع" للإنسان؛ هي التي تمنحه الأمانة في العمل، وإتقان في الإنتاج، والعدل في التعامل. بدون هذا الرابط الإلهي، تتحول التشريعات إلى قوانين جافة يُحتال عليها.
3.تطبيق قاعدة "حصر المرجعية") الاستقلال الفكري)
نعيش في عصر "تعدد الآلهة المعنوية") المادة، الشهرة، آراء الناس، التريند.
* التطبيق: ما لكم من إله غيره (تعني في واقعنا "التحرر من ضغط القطيع". أن تمتلك الشجاعة لتقول "لا" لكل ما يخالف مبادئك، حتى لو كان "الإله المادي" يغريك بالربح السريع.
* الاستخدام المعاصر: تطبيق التوحيد الخالص يعني عدم الخوف من "قوات الرزق" أو "كلام الناس"، مما يمنح المصلح ثباتاً انفعالياً هائلاً لا يتوفر لغيره.
4.تطبيق قاعدة "الإنذار الوقائي") إدارة المخاطر)
الذكاء في استشعار العواقب قبل وقوعها.
* التطبيق: أفلا تتقون (هي صيغة "الرقابة الذاتية". في العمل المعاصر، تسمى هذه القاعدة "تقييم المخاطر".
* الرسالة: هل تريدون تكرار تجارب الشركات الفاشلة؟ أو الأمم التي هلكت بالظلم؟ التقوى هنا هي "الذكاء الوقائي" الذي يحمي المؤسسة أو الأسرة من الانزلاق نحو "الفساد" الذي أهلك من سبقهم.

ثانياً

ننتقل إلى تحليل كيف كان رد "الملا" أصحاب المصالح (على هذه القواعد الأربعة في الآيه السابقه) في الايات (٣٣-٣٤)

وكيف وصف الله حال هؤلاء المستكبرون وأسباب هلاكهم رغم قوتهم قال تعالى
وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِلقاءِ الْآخِرَةِ وَأَتَرَفْتَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (33) وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ (34)}}

ففى هذا المشهد في سورة المؤمنون، نجد المواجهة الفكرية والاجتماعية التي قادها "المترفون" ضد النبي المبعوث فيهم. و إليك تحليل الآيات(33) - (34)وفق القالب التكاملي) بيان، تجويد، تنمية، وتربية):
قال تعالى: { وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِلقاءِ الْآخِرَةِ وَأَتَرَفْتَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (33) وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ(34)}

1.اللمسات البيانية والبلاغية في خدمة المفهوم

* "وَقَالَ الْمَلَأُ " : الملا هم الأشراف والوجهاء الذين "يملؤون" العيون هيبة والصدور رهبة .تقديمهم هنا يشير إلى "الاستعلاء الطبقي"؛ فالمقاومة دائماً تبدأ من أصحاب المصالح الضيقة الذين يخشون فقدان نفوذهم.

* "وَأَتَرَفْتَاهُمْ": الواو هنا عاطفة، لكن المعنى يربط بين "التكذيب" و"الترف" .الترف) الرفاهية الزائدة (أصبح حجاباً كثيفاً منعهم من رؤية الحق .وفي هذا درس في "مخاطر الرفاهية" إذا تجردت من القيم

، حيث تتحول النعمة إلى أداة للطغيان.
* التكرار في "بَشَرٌ مِّثْلَكُمْ": تكرار هذه العبارة في الآيتين يعكس "الجمود الفكري"؛ فهم حصروا النبوة في المظهر المادي (الأكل والشرب) وعجزوا عن إدراك الجوهر الروحي والعقلي.

2. الدلالات التجويدية وأثرها المعنوي
* الإدغام الكامل في {بَشَرٌ مِّثْلَكُمْ}: إدغام التنوين في الميم إدغاماً كاملاً يصور صوتياً محاولة هو لاء "دمج" مقام النبوة في مقام البشرية العادية تماماً. هم يريدون "تذويب" الفارق الروحي والميزة الرسالية ليوهموا الناس أن النبي مجرد نسخة كربونية منهم، لا فضل له عليهم.
* المد المتصل في {بلقاء}: المد الطويل (4) - 5 حركات (يعطي فسحة زمنية لاستشعار عظمة "اللقاء الأ كبر" الذي كذبوا به. هذا المد يخدم المعنى التربوي في "التذكير بالأمد البعيد" والمسؤولية الأخروية التي غفل عنها المترفون.
* الإظهار في {إنكم إذا لخاسرُونَ}: النطق الواضح والقوي يخدم "نبذة التهديد" التي استخدمها الملاء لتخويف العامة. هم استخدموا الحسم اللفظي لبث الرعب من اتباع الحق، وهو ما يعرف في التنمية بـ "التخويف من التغيير".

3. مفاهيم التنمية البشرية والرسائل السلوكية
* مغالطة "القياس المادي": المترفون وقعوا في فخ تقييم الناس بناءً على "ما يملكون" أو "ما يأكلون" لا بناءً على "ما يحملون" من أفكار وقيم. الدرس هنا هو "التحرر من المظاهر" عند تقييم القادة والمصلحين.

* صناعة "الوهم الجماعي": قوله "إنكم إذا لخاسرُونَ" يمثل ذروة التلاعب النفسي؛ حيث قلبوا الحقائق فجعلوا "اتباع الهدى" خسارة، و"البقاء على الضلال" ربحاً. هذا يعلمنا "الوعي الناقد" وعدم الانجرار خلف البروباغندا الإعلامية للمصالح الضيقة.
* عائق الترف الآلة توضح أن الانغماس في "منطقة الراحة" (الترف) يمنع الإنسان من قبول التحديات الجديدة أو الأفكار التي تتطلب جهداً أخلاقياً.
4. الفوائد التربوية والتعليمية

* تربية "عقلية التمحيص": الآلة تحذرنا من أن نكون "إمعة" نتبع الملاء لمجرد قوتهم المادية. التربية هنا تهدف لبناء "شخصية مستقلة" قادرة على رؤية الحق وإن خالف السادة والوجهاء.
* خطورة الجحود بالنعم: وأترفناهم (تدل على أن الله هو المعطي، لكنهم استخدموا عطاء الله لمحاربة شرع الله. هذا درس تربوي في "شكر النعمة" وتسخير الموارد في البناء لا في الهدم وتكذيب الحقائق.

* تزييف الوعي: هؤلاء لم يكتفوا بالكفر، بل مارسوا دور "المعلم المضلل" لغيرهم. المعلم والمربي يستخلص من ذلك أهمية "الأمانة العلمية" وعدم استغلال المكانة لتضليل الآخرين.
خلاصة القالب التكاملي للآيتين:

تظهر هذه الآيات كيف يتحول الترف (إلى) عصى بصيري، وكيف يُستخدم البيان الجازم (و) التكرار اللفظي (لتنبيت باطل مادي ضد حق روحي). الإدغام التجويدي يخدم فكرة "المماثلة" التي أرادوا بها الحط من قدر الرسالة، بينما المد في "اللقاء" يذكر المؤمن بالبعيد الذي نسيه الغافلون بمجرد أن طرح الرسول قواعد الإصلاح الأربعة (القدوة، الهدف، المرجعية، والوقاية)، ظهرت مباشرة "المقاومة" من الفئة المتضررة من التغيير، وهم "الملاء" المبحث الأول

بمجرد أن طرح الرسول قواعد الإصلاح الأربعة (القدوة، الهدف، المرجعية، والوقاية)، ظهرت مباشرة "المقاومة" من الفئة المتضررة من التغيير، وهم "الملاء". الآلة (33) التي تكشف لنا "استراتيجية الثورة المضادة" ومنطق الاستعلاء المادي:

{وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَتَبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتَرَفْتَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلَكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ}
1. القواعد الأربعة لـ "الصد عن الحق" (منطق الملاء)

في مقابل قواعد الإصلاح وضع الملاء قواعد للاحباط والتبعيه نوضحها بالآتي:

أولاً: قاعدة الاستعلاء الطبقي (الملاء)
* المفهوم: "الملاء" هم النخبة التي تملأ العيون بمظاهر القوة والمادة. في علم الاجتماع، هؤلاء هم أصحاب المصالح الذين يخشون أن تؤدي "المساواة" التي يدعو إليها التوحيد إلى فقدان امتيازاتهم.
* الرسالة: المعارضة هنا لم تكن "فكرية" بل "مصلحية". هم يدافعون عن كراسيهم لا عن الحقيقة. ثانياً: قاعدة "الحاضر المبتور" (وأترفناهم في الحياة الدنيا)
* المفهوم: الترف ليس مجرد غنى، بل هو غنى أفسد الفطرة وجعل الإنسان يظن أن "المادة" هي المقياس الوحيد للحق.
* الخطر التربوي: الترف يخلق حالة من "البلادة الحسية"؛ فالمترف يرى أن أي دعوة للزهد أو العدل هي تهديد لرفاهيته، لذا كان التكذيب بقاء الآخرة نتيجة طبيعية لشدة التعلق بالدنيا.

ثالثاً: قاعدة "التحجيم المادي" (بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ)
 * المفهوم: حاول المأ ضرب قاعدة "القائد القريب" (رسولا ً منهم). وبدلاً ً من رؤية "المشابهة البشرية" كعامل نجاح، استخدموها كأداة "للتحقير".
 * الرسالة: هم يقولون للناس: "لماذا تتبعونه وهو يأكل ويشرب مثلكم؟". هذا يسمى في التنمية البشرية بـ "التركيز على القشور" لإخفاء الجوهر (الرسالة).
 رابعاً: قاعدة "المماثلة الاستهلاكية" (يَأْكُلُ.. وَيَشْرَبُ)
 * المفهوم: حصروا قيمة الإنسان في "الاستهلاك" (ماذا يأكل؟). إذا كان يأكل مثلنا فهو مثلنا، ولا فضل له علينا.
 * الدرس: هذا الفكر المادي يلغي تماماً "الجوانب الروحية والعقلية" التي يتميز بها البشر، ويحول المجتمع إلى مجرد "قطيع استهلاكي".
 2. الربط التكاملي (بيان وتجويد وتنمية)
 * اللمسة البيانية في {وَأَثَرَفْتَاهُمْ}: استخدام صيغة "أفعل" (أثرفنا) يسند الفعل لله؛ ليبين أن نعمهم من الله، لكنهم استخدموها "سلاحاً" ضد شرعه. هذا قمة الجحود بالنعمة.
 * الدلالة التجويدية في {مِثْلُكُمْ}: الإدغام الكامل يعكس محاولتهم "تذويب" التميز الرسالي في العادية البشرية.
 * مفهوم التنمية البشرية (تحطيم الرموز): ما فعله المأ هو عملية "اغتيال معنوي" للرمز. لكي تمنع الناس من التغيير، يجب أن تقنعهم أن "المصلح" ليس أفضل منهم، بل هو مجرد طالب سلطة أو بشر عادي لا يملك حلاً ً .
 الرسالة العميقة:
 تكشف الآية أن العائق الأكبر أمام الإصلاح ليس "نقص المعلومات"، بل هو "الترف الذي يغلق العقول" و "المصالح التي تزيّف الحقائق".

المبحث الثاني

نتقل الآن إلى الآية (34)، وهي مرحلة "الحرب النفسية" و**"قلب الموازين"**. بعد أن حاول المأ "تحجيم" الرسول مادياً في الآية السابقة، انتقلوا هنا إلى سلاح "التخويف من الخسارة" لضمان تبعية الجماهير لهم.
 قال تعالى: {وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِّثْلُكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ}
 1. قاعدة "صناعة الوهم بالخسارة" (قانون التخويف)
 هذه الآية تمثل ذروة التلاعب بالعقول، ويمكن تحليلها من خلال الأبعاد التالية:
 * قلب المفاهيم (الخسارة والربح): في منطق الوحي، اتباع الرسول هو "الفلاح" والنجاة. هنا، يقلب المأ الصورة تماماً ويصفون الاتباع بأنه "خسارة". في التنمية البشرية، يُسمى هذا "إعادة التأطير السلبي" أي إظهار الحق في صورة عبء ومغرم.
 * اللعب على وتر الكبرياء (بشراً مثلكم): كرروا عبارة "بشراً مثلكم" ليدغدغوا كبرياء العامة؛ وكأنهم يقولون: "كيف ترضون لأنفسكم التبعية لشخص يأكل ويشرب مثلكم؟". هم يصورون "الطاعة للحق" على أنها "ذل للبشر"، بينما الحقيقة أن اتباع الرسول هو تحرر من عبودية المادة.
 * استخدام "أدوات التوكيد" في الباطل: الآية محاطة بمؤكدات (اللام الموطنة للقسم، إن، إذن، الا م في لخاسرون). هذا الحشد من التوكيدات يهدف لبث "اليقين الزائف" في قلوب المترددين.
 2. الدلالات التجويدية والبيانية في خدمة "نبذة التهديد"
 * الإظهار الحلقى في {إِذَا لَخَاسِرُونَ}: (تنوين يليه لام إدغام بغير غنة). النطق السريع والقوي للإدغام هنا يعطي نبذة "حاسمة وحازمة". المأ لا يتحدثون باحتمالات، بل يتحدثون بلهجة "الخبير الاقتصادي والاجتماعي" الذي يقطع بأن النتيجة هي الخسارة المحضة.
 * المد العارض للسكون في {لَخَاسِرُونَ}: الوقوف على النون مع مد الواو يعطي فرصة لصوت "الخسارة" أن يتردد في الأذان، مما يترك أثراً من الرهبة في نفوس السامعين من اتباع الرسول.
 * اللمسة البيانية في {أَطَعْتُمْ}: استخدموا لفظ "الطاعة" بدلاً ً من "الاتباع"؛ لأن الطاعة توحى بالاقتداء الكامل، وهم يريدون تصوير الأمر كأنه "استسلام" لبشر عادي، مما ينقر النفوس الحرة.
 3. دروس في التنمية البشرية والوعي الاجتماعي
 * مقاومة التغيير: المأ يستغلون "خوف الناس من المجهول". أي تغيير في المنظومة (التوحيد بدلاً ً من الشرك) قد يعني تغيير الموازين المالية والاجتماعية، لذا يستخدمون فزاعة "الخسارة" ليبقي الناس تحت سيطرتهم.

* تزييف الوعي الجمعي: هذه الآية تعلمنا كيف يمكن للنخبة الفاسدة أن تقود الجماهير ضد مصلحتها الحقيقية، بمجرد إقناعهم أن "المصلح" هو عدو لمكتسباتهم البسيطة.
 * الثبات أمام التمرر الفكري: الداعية والمصلح اليوم يواجه نفس المنطق؛ "إذا التزمت بالقيم ستخسر الفرص، ستخسر الشهرة، ستخسر المال". الآية تفضح هذا المنطق لكي يثبت المؤمن ويعلم

أن الخسارة الحقيقية هي في طاعة المأل. الرسالة التربوية: لا تجعل أحداً يحدد لك مفهوم "الربح والخسارة" بناءً على معايير المادية الضيقة؛ فالخسارة الكبرى هي أن تباع بصيرتك لخوف زرعه فيك مستكبر.

ثالثاً

"فلسفة المنطق المادي"

ننتقل الآن إلى تحليل المواجهة المنطقية (بمفهومهم المادي) التي طرحها المأل في الآيات (35-38)، حيث يبلغ الاستكبار ذروته بمحاولة "عقلنة" الكفر وإنكار البعث، وإليك التفصيل التكاملي: قال تعالى: {أَيَعِدْكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ} (35) هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (36) إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَتَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (37) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ (38)

1. اللمسات البيانية والبلاغية (فلسفة الإنكار)

* الاستفهام الإنكاري {أَيَعِدْكُمْ}: استخدموا الهمزة لغرض السخرية والتعجيب، وكأن فكرة البعث خرافة لا يقبلها عقلهم المادي.

* تكرار {هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ}: "هيهات" اسم فعل ماضٍ بمعنى (بَعْدَ جداً)، وتكرارها يفيد "المبالغة في الاستبعاد". وفي هذا درس في "سيكولوجية التشكيك": حيث يستخدم المنكرون عبارات رنانة لإضفاء هيبة كاذبة على باطلهم.

* الحصر في {إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا}: أسلوب قصر (نفي وإثبات) يعبر عن "الفلسفة الدهرية" التي تحصر الوجود في المادة والمحسوس، وهي قمة التفكير المحدود الذي يرفض ما وراء الطبيعة

2. الدلالات التجويدية في خدمة المعنى التربوي

* المد الطبيعي في {تُرَابًا وَعِظَامًا}: حركتان متساويتان تعكسان "الجمود المادي" في تفكيرهم؛ فهم توقفوا عند شكل "التراب" و"العظام" ولم ينفذوا بعقولهم إلى قدرة الخالق.

* النبر والضغط الصوتي في {هَيْهَاتَ}: نطق الهاء والياء بقوة يعبر عن "نبرة الاستعلاء والثقة الزائفة" التي يظهرها المترفون عند محاربة الحق.

* الإخفاء الشفوي في {أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ}: الميم المشددة (إدغام متماثلين) تعطي غنة قوية، وهي هنا تخدم -من باب التهكم في سياق قولهم- فكرة "الخروج" المستبعد عندهم، وكأن الصوت نفسه يجسد ثقل الإنكار في نفوسهم.

3. مفاهيم التنمية البشرية والذكاء العقلي

* مغالطة "الاستبعاد العقلي": اعتمد هؤلاء على قياس قدرة الخالق بقدراتهم البشرية المحدودة (إذا متنا فكيف نعود؟). الدرس التنموي هنا هو "توسيع مدارك العقل": فعدم رؤيتك للشيء أو عدم قدرتك على تصويره لا يعني عدم وجوده.

* العيش في "الآن" المبتور: قولهم {نَمُوتُ وَتَحْيَا} يعكس ضيق الأفق الزمني. في التنمية، من يعيش ليوومه فقط دون رؤية لمستقبل بعيد (الآخرة) يسهل انحرافه الأخلاقي لأنه لا يخشى "المساءلة الختامية".

* صناعة "التهمة" وصفوا النبي بـ {رَجُلٌ افْتَرَى}. هذا أسلوب تنموي سلبى يُستخدم لتشويه سمعة المصلحين لعزلهم عن المجتمع.

4. الفوائد التربوية والرسائل السلوكية

* الوقاية من "العدوى الفكرية": الآيات تحذرننا من أثر "اللغة القوية" للمشككين؛ فقد يظن الجاهل أن قوة اللفظ (هيهات هيهات) دليل على قوة الحجة، بينما هي مجرد ضجيج بلا دليل.

* تربية "المسؤولية": إنكار البعث يؤدي حتماً إلى الانفلات الأخلاقي (إذا لم يكن هناك حساب، فلأ فعل ما أشاء). لذا، فإن الإيمان بالآخرة هو "الضابط السلوكي الأكبر" للإنسان.

* خطورة "التنميط": حصروا النبي في كونه "مجرد رجل" (إن هو إلا رجل) لإلغاء قدسيته. التربية الصحيحة تعلم احترام "التخصص" والاعتراف بفضل ذوي الفضل.

المبحث الأول

سوف نبدأ بتحليل مرحلة "الاستهزاء العقلي"؛ حيث حاول المأل ضرب الركن الثاني من دعوة الأ نبياء بعد التوحيد، وهو "الإيمان بالبعث"، مستخدمين منطقاً مادياً حسياً لإقناع العامة بسخافة فكرة الحياة بعد الموت.

قال تعالى: {أَيَعِدْكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ}

1. استراتيجيات التشكيك بالاستحالة (المنطق المادي المبتور)

في هذه الآية، استخدم المأل أسلوباً ذكياً لتزييف الوعي لدى الناس:

* الاستفهام الإنكاري للسخرية {أَيَعِدْكُمْ}: الهمزة هنا ليست للاستفهام الحقيقي، بل للتعجيب و السخرية. هم يصورون "وعد" النبي وكأنه "وهم" أو "أكذوبة" لا يصدقها عقل، لإحراج المؤمنين و التشكيك في قواهم العقلية.

* التركيز على "المشاهدة الحسية" (تراباً وعظاماً): المأل يعطلون قدرة العقل على "التجريد" والإيمان

بالقدرة الإلهية المطلقة، ويحصرونه في "المشاهد الحسي". يقولون: انظروا إلى القبور، لا ترون إلا تراباً وعظاماً نخرة، فكيف يعود هذا للحياة؟

* تحريف مفهوم "الخروج" {مُخْرَجُونَ}: استخدموا صيغة اسم المفعول "مخرجون" للتدليل على العجز؛ وكأنهم يقولون: "أين القوة التي ستخرجكم من هذا العدم؟".

2. اللمسات البيانية والتجويدية في خدمة "الاستبعاد"

* تكرار {أنكم}: كرر الملائكة كلمة "أنكم" مرتين في جملة واحدة (أبعدكم أنكم.. أنكم مخرجون)؛ وهذا في البلاغة يسمى "طول الفصل"، واستخدموه هنا لتصوير "بُعد المسافة" بين الموت والبعث، ليوهمو السامع أن الفجوة زمنياً وعقلياً لا يمكن جسرهما.

* الإظهار في {تراباً وعظاماً}: (تنوين يليه واو - إدغام ناقص بغنة). صوت الغنة الممتد هنا يخدم في سياقهم "التأكيد" على الحالة المزرية التي يؤول إليها الجسد، وكأنهم يطيلون الوقوف عند منظر التراب لترسيخ اليأس في القلوب.

* المد المتصل في {أبعدكم}: النبرة الاستفهامية في بداية الآية مع المد الطبيعي في الكلمة يعطي نغمة "الاستهجان" التي يترفع بها المستكبر عن قبول الحق.

3. مفاهيم التنمية البشرية والوعي العقلي

* فخ "القياس على الذات": سقط الملائكة في أكبر خطأ عقلي، وهو قياس "قدرة الخالق" على "قدرة المخلوق". هم استبعدوا البعث لأنهم هم لا يستطيعون فعله، وهذا يسمى في التنمية "محدودية الإطار الذهني".

* التنميط والقبولية: حاولوا قبولية دعوة الرسول في إطار "الوهم المالي أو السلطوي" (أبعدكم لكي يسيطر عليكم؟).

* خطورة "المنطق الظاهري": تعلم لغة العلم والمنطق لا يعني بالضرورة الوصول للحقيقة؛ ف المترفون هنا استخدموا "منطقاً تشريحيًا" (تراب وعظام) لإنكار "حقيقة وجودية" (البعث)، وهذا تنبيه لنا بألا نخدع بالمصطلحات العلمية إذا كانت تصادم ثوابت الفطرة.

4. دروس تربوية في الثبات الفكري

* لا تهيب من سخرية "النخبة": قد يمتلك الخصم لساناً ذليلاً ومنطقاً يبدو قوياً، لكنه يفتقر للعمق. الآية تفصح أن سخرية الملائكة نابعة من "جهل" بطلاقة القدرة الإلهية.

* الإيمان بالغائب هو قمة العقل: البعث ليس "خرافة"، بل هو مقتضى "العدل الإلهي". فبدون بعث وحساب، ستكون الحياة عبثاً، والملائكة يريدون إقناع الناس بالعبثية لكي لا يُحاسَبوا على ترفهم وظلمهم.

الرسالة: إن إنكار البعث ليس "تحرراً عقلياً" كما زعم الملائكة، بل هو "سجن داخل المادة".

المبحث الثاني

نتقل الآن إلى صرختهم المدوية في الآية (36) {هَيِّئْ لَنَا تَوَدُّونَ}، لنرى كيف استخدموا "الضغط النفسي" لتثبيت إنكارهم؟

فالآية (36)، تمثل ذروة "الاستبعاد الوجداني" والحرب الكلامية التي شنها الملائكة لقطع الطريق على أي أمل في البعث.

قال تعالى: {هَيِّئْ لَنَا تَوَدُّونَ}

1. قاعدة "المبالغة في الاستبعاد" (سيكولوجية اليأس)

استخدم الملائكة في هذه الآية قصيرة المبنى، عظيمة المعنى، أسلوباً نفسياً حاداً:

* اسم الفعل {هَيِّئْ}: في اللغة هو اسم فعل ماضٍ بمعنى "بَعْدُ بُعْدًا شديداً". اختيار هذا اللفظ دون غيره يوحي بأن المسافة بين "الموت" و"البعث" في عقولهم مسافة يستحيل قطعها، وكأنهم يضعون حاجزاً كونياً أمام قدرة الله.

* التكرار {هَيِّئْ لَنَا تَوَدُّونَ}: التكرار هنا ليس للتوكيد اللفظي فقط، بل هو "تكرار إحباطي"؛ يهدف لغرس شعور الاستحالة في نفوس السامعين. في التنمية البشرية، يُسمى هذا "التلقيح السلبي"؛ أي تكرار الكلمة المحبطة حتى تصبح حقيقة داخل العقل الباطن للناس.

* اللام في {لَنَا تَوَدُّونَ}: تسمى "لام البيان" أو لتقوية العامل، وهي تشير بإصبع الاتهام والتهكم إلى "الوعد" الذي جاء به الرسول، وكأنهم يسخرون من محتوى الوعد ذاته.

2. الدلالات التجويدية والبيانية في خدمة "نبرة السخرية"

* النبر والسدة في "الهاء" و"الياء" {هَيِّئْ}: نطق الهاء بفتحة متبوعة بياء ساكنة يتطلب "نبراً" (ضغطاً صوتياً) يوحي بـ "الاستعلاء والترفع". الصوت نفسه يخرج وكأنه زفير استهزاء، مما يعزز الحالة النفسية للمتحدث المستكبر.

* المد الطبيعي في نهاية الكلمتين: يعطي مساحة زمنية لتردد صدى "الاستبعاد" في الأذن، مما يخدم غرض الملائكة في إحداث "هزة ثقة" لدى المؤمنين الضعفاء.

* البناء الفني للجملة: الآية جاءت قصيرة جداً ومقطوعة عما قبلها وبعدها، لتمثل "حكماً نهائياً" من وجهة نظرهم المادية، وكأنهم يغلقون ملف النقاش تماماً.

3. مفاهيم التنمية البشرية والذكاء الاجتماعي
* الضغط النفسي بالجزم: عندما يقول شخص "مستحيل" مرة واحدة قد لا نصدقه، لكن عندما يقول "هيهات هيهات" بنبرة خبير واثق، فإنه يمارس "سلطة معرفية زائفة". الدرس التنموي هنا: "لا تنجرف خلف جزم المنكرين؛ فقرة صوتهم لا تعني صحة منطقهم".
* عائق "الاستبعاد العقلي": الملاء سجنوا أنفسهم في "دائرة المألوف". في تطوير الذات، يُعتبر قول "هيهات" لأي فكرة خارج الصندوق هو العائق الأول أمام الإبداع والنمو. هؤلاء قالوا "هيهات" للآخرة، فخسروا الدنيا والآخرة معاً.

* التلاعب بالمصطلحات: وصفوا البعث بأنه مجرد "وعيد" (لما توعدون) ليربطوا بينه وبين التخويف، بينما هو في الحقيقة "وعد" للمؤمنين بالعدل والكرامة.

4. دروس تربوية وسلوكية
* الثبات أمام "صباحات الإحباط": الداعية والمربي يواجه في كل عصر من يقول له "هيهات أن تصلح هذا الجيل" أو "هيهات أن يتغير المجتمع". الآية تعلمنا أن "هيهات" هي كلمة المفلسين من اليقين، والرد عليها يكون بالعمل والثبات.
* الفرق بين "بعد المسافة" و"انعدام القدرة": الملاء ظنوا أن بُعد المسافة الزمنية (الموت) يعني انعدام قدرة الخالق، وهذا قصر نظر تربوي وعقلي.
* اليقين في مواجهة الشك: المؤمن يقابل "هيهات" المادية بـ "يقين" إيماني بأن الذي أنشأ أول مرة قادر على الإعادة، وأن "بعد" البعث عند البشر هو "قرب" عند الله (إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً).

الرسالة:

احذر من "هيهات" المرجفين؛ فهي كلمة تخرج من أفواه "أترفناهم" لتخدير العقول ومنعها من التطلع لما هو أسمى من التراب والعظام.

المبحث الثالث

نتقل الآن إلى "الفلسفة المادية الكاملة" في الآية (37) {إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا}، لنرى كيف حصروا الوجود في دائرة "الأكل والنسل" فقط؟

تعد الآية (37)، وهي "البيان الختامي للفلسفة الدهرية"؛ حيث لخص الملاء رؤيتهم للوجود في جملة واحدة حصرت الإنسان في قفص المادة، وألغت أي بعد روحي أو أخروي.
قال تعالى: {إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ}

1. قاعدة "الحصر المادي" (سجن اللحظة الراهنة)
في هذه الآية، نجد ثلاث ركائز اعتمدها الملاء لتثبيت عقيدتهم المادية:

* أسلوب القصر والحصر {إِنْ هِيَ إِلَّا}: (إن) نافية و(إلا) أداة حصر. هذا الأسلوب البلاغي يهدف إلى "إغلاق المنافذ العقلية". هم يقولون: لا تبحثوا عن معنى للحياة، ولا عن حساب، ولا عن إله؛ الوجود كله محصور في هذه الـ (دنيا) فقط.

* فلسفة "التعاقب الطبيعي" {نَمُوتُ وَنَحْيَا}: يقصدون بها (يموت الآباء ويحيا الأبناء) أو (نموت كأفراد وتحيا الطبيعة). هي رؤية ميكانيكية للحياة ترى الإنسان مجرد حلقة في سلسلة بيولوجية، لا قيمة لروحه ولا خلود لذاته.

* النفي المطلق للمسؤولية {وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ}: الجملة الاسمية المؤكدة بـ (الباء) الزائدة في خبر (ما). هذا ليس مجرد شك، بل هو "يقين جازم بالعدم". الغرض منه هو "التحلل من الالتزام الأخلاقي"؛ فإذا لم يكن هناك بعث، فلا داعي للتقوى أو العدل.

2. اللامسات البيانية والتجويدية في خدمة "الفلسفة الدهرية"
* المد المنفصل في {إِنْ هِيَ إِلَّا}: (إلا) تنتهي بمد طبيعي يليه همزة (عند الوصل). هذا المد يمنح المتحدث وقتاً لاستجماع نبرة "النفي القاطع"، وكأن الصوت يقطع الطريق على أي احتمال آخر للحياة.

* التقديم والتأخير في {نَمُوتُ وَنَحْيَا}: قدموا الموت على الحياة؛ إما إشارة إلى (العدم قبل الوجود) أو إشارة إلى (موت جيل ليحيا جيل). صوتياً، الكلمتان متوازنتان (حركاتان لكل منهما)، مما يعكس رؤيتهم "الرتيبة" للحياة بأنها مجرد دورة مكررة بلا هدف أسمى.

* المد العارض للسكون في {بِمَبْعُوثِينَ}: الوقف على الياء والنون الممدودة يعطي انطباعاً بـ "السكون النهائي" والعدم الذي يؤمنون به؛ فالصوت يخمد تماماً، كما يؤمنون أن الإنسان يخمد تماماً بعد الموت.

3. مفاهيم التنمية البشرية والذكاء الوجودي

* فخ "الدينيوية المفرطة": حصر الحياة في (الدنيا) يؤدي إلى "التكالب المادي". عندما يعتقد الإنسان أن هذه هي فرصته الوحيدة، فإنه سيطلم ويسرق ويبغى ليعيش مترفاً. الدرس التنموي: "سعة الأفق الزمني (الإيمان بالآخرة) هو شرط الأخلاق المستدامة".

* فلسفة "الاستهلاك والنسل": رؤية {نَمُوتُ وَنَحْيَا} تجعل غاية الإنسان هي "البقاء البيولوجي" فقط.

في تطوير الذات، هذا يسمى "العيش في مستوى البقاء" بينما يدعو الوحي للعيش في "مستوى السمو والرسالة".

* الهروب من المساءلة: إنكار البعث هو في الحقيقة "هروب نفسي" من الحساب. المستكبر يكره فكرة أن هناك قوة ستحاسبه على ترفه، فيلجأ لإنكار الحقيقة ليربح ضميره مؤقتاً.

4. دروس تربوية وسلوكية
* خطورة "العدوى الدهرية": هذه الفلسفة تتسلل اليوم عبر الماديات الصارخة والإلحاد العملي (العيش كأن لا إله ولا آخر). الآية تحذرننا من تبني هذا المنطق حتى لو لم ننطق به بلساننا.
* الاعتزاز بالبعد الروحي: المؤمن يرى الحياة (دنيا) وممر، بينما يراها المترف (مستقراً ومقراً). التربية الصحيحة توازن بين عمارة الدنيا والتعلق بالآخرة.
* الفرق بين "الوجود" و"المعنى": المألأ أثبتوا "الوجود" (نموت ونحيا) لكنهم نفوا "المعنى" (البعث). الوحي يربط الوجود بالمعنى؛ فنحن نحيا لنختبر، ونموت لنبعث ونجزى.
الرسالة:

عندما يقول المألأ {إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا}، فإنهم يحاولون سرقة "الأمل" من قلوب الضعفاء، وتحويلهم إلى مجرد أدوات في آلة إنتاجهم. فاحذر أن تسجن في زنزانة "المادة" وتنسى أنك كائن سمي (إنساناً) لأنه يمتلك روحاً لا تليق بها إلا الجنة.

المبحث الرابع

نتقل الآن إلى استراتيجية "الطعن في شخصية الرسول" من قبل الكفار في كل زمان كما تبين الآية (38) {إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى}، لنرى كيف ختم الكفار مرافعتهم الباطلة بالاغتيال المعنوي بعد أن شككوا في الرسالة (الآيات 33-34)، وشككوا في اليوم الآخر (الآيات 35-37)، انتقلوا الآن إلى "الاغتيال المعنوي" لشخص الرسول نفسه، لينموا إغلاق منافذ التأثير به.
قال تعالى: {إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ}

1. قاعدة "الحط من قدر المصلح" (استراتيجية الشخصية)
استخدم المألأ في هذه الآية أسلوباً هجوماً مباشراً:
* التنكير في {رَجُلٌ}: لم يقل "رسول" بل "رجل"، والغرض هنا "التحقير" وسلب صفة التمييز الروحي عنه. هم يريدون إقناع الناس بأنه شخص عادي، لا يملك ميزة تجعل قوله حجة عليهم.
* تهمة "الافتراء" {افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا}: الافتراء هو أشنع أنواع الكذب لأنه كذب متعمد ومنظم. نسبوا الكذب لـ "الله" ليوهموا الناس بأنهم يدافعون عن "قدسية الألوهية" ضد هذا الشخص "المفتري"، وهي حيلة سياسية قديمة (التمسح بالدين لمحاربة الدين).
* إعلان "المقاطعة الفكرية" {وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ}: ختموا كلامهم بقرار جماعي حاسم بالجملة الامة المؤكدة بـ (الباء). هذا ليس مجرد رأي، بل هو "إغلاق باب الحوار" تماماً، وفرض "وصاية فكرية" على المجتمع لمنعهم من مجرد التفكير في كلامه.

2. اللمسات البيانية والتجويدية في خدمة "الحسم بالباطل"
* الإخفاء في {رَجُلٌ افْتَرَى}: (تنوين يليه همزة - إظهار حلقى). النطق الواضح للتنوين هنا يعطي نبرة "التحديد والتعيين"؛ فهم يوجهون إصبع الاتهام بوضوح تام، بلا تردد، لترسيخ التهمة في أذهان العامة.

* المد الطبيعي في {افْتَرَى}: حركتان في الألف المقصورة تعطي المتحدث وقتاً لاستحضار "بشاعة التهمة" في نفوس السامعين، وكأنهم يشددون على كلمة "الكذب" لتحويل الأمر.

* الإظهار في {لَهُ بِمُؤْمِنِينَ}: (إظهار شفوي للميم الساكنة). هذا الوضوح الصوتي يجسد "وضوح الموقف" الذي اتخذهُ المألأ؛ فهم لا يتركون مجالاً للشك في أنهم لن يؤمنوا به أبداً، وهذا يسمى في لغة الجسد والصوت "الرفض المطلق".

3. مفاهيم التنمية البشرية والذكاء الاجتماعي
* الاغتيال المعنوي: عندما تعجز النخبة الفاسدة عن دحض "الفكرة"، فإنها تهاجم "صاحب الفكرة". تشويه السمعة هو السلاح الأخير لمنع الناس من سماع الحق.

* قوة "القرار الجماعي": استخدموا صيغة الجمع (نحن) ليوهموا الفرد البسيط بأنه إذا آمن فسيخرج عن "إجماع النخبة والوجهاء"، وهو ضغط اجتماعي هائل يُمارس لكسر إرادة الأفراد.

* الوهم بالدفاع عن القيم: المألأ يتهمون النبي بالافتراء على الله وكأنهم "حراس العقيدة"، وهذا يعلمنا "الوعي الناقد"؛ فلا تنخدع بمن يدعي الدفاع عن القيم وهو في الحقيقة يدافع عن مصالحه المادية.

4. دروس تربوية وسلوكية في "المناعة الفكرية"
* الصدق هو الدرع الحصين: رغم اتهامهم له بالافتراء، إلا أن تاريخ الرسول وصدقه كانا يدمغان كذبهم. التربية الصحيحة تبني "رصيداً من الصدق" للفرد بحيث لا تزغعه اتهامات المغرضين.

* خطورة "القفل الذهني": قوله {وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ} هو قمة الجمود الفكري. المربي الناجح يربي طلابه على "الإنصاف" وسماع الحجة قبل الحكم، بينما المألأ ربوا أتباعهم على "التبعية العمياء"

لقرار السادة.

* الثبات على الحق: الآية تخبر المصلحين: "توقعوا أن تتهموا في أعز ما تملكون (صدقكم)"، فاجعلوا تعاملكم مع الله لا مع "اعتراف" الناس بكم.

الخلاصة:

انتهت مرافعة الباطل بالاتهام والرفض المطلق. لقد أعطاهم الله "قائداً منهم" و"هدفاً واضحاً" و "فرصة للإصلاح"، لكنهم اختاروا "الترف" و"المادة" و"الاستكبار".

خامسا

ماذا كان رد الرسول بعد هذا الإغلاق التام؟

بعد أن استنفذ الرسول كل سبل الهداية، وقابل "الملا" قواعده الأربعة للإصلاح (القدوة، الهدف، المرجعية، الوقاية (بقواعدهم الأربعة للصد) الاستعلاء، الترف، التشكيك، الاغتيال المعنوي)، وصلنا إلى "لحظة الحسم".

في الآية (39)، يغلق الرسول ملف "المناظرة مع البشر" ليفتح ملف "الاستنصار بخالق البشر" (قال رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُون)

قاعدة "التفويض واللجوء للركن الشديد" (فقه النصر)

توصل هذه الآية لمفهوم "الصلة بالله" عند انسداد الحلول الأرضية:

* "قَالَ رَبِّ: حذف حرف النداء) يا (يدل على "قرب الإجابة" وشدة الصلة. هو لا ينادي غائباً، بل يناجي قريباً يسمع ويرى. وفي هذا درس في "الثبات الانفعالي" للقائد؛ فهو لم يدخل في شجار لفظي معهم، بل رفع القضية لصاحب الملك.

* "انصُرْنِي": طلب النصر هنا ليس تشفياً شخصياً، بل هو طلب لـ "نصرة الفكرة" وإظهار الحق. في التنمية البشرية، عندما تصل لمرحلة "الإغلاق التام" مع العقول المتحجرة، فإن ذكاءك يكمن في "تغيير الاستراتيجية" من الإقناع إلى التفويض.

* "بِمَا كَذَّبُون": الباء للسببية. وكأنه يقول: يا رب، لقد استنفدتُ وسعي في إكرامهم بالحق، فكذبوني؛ فاجعل هذا التكذيب هو "السبب القانوني" لاستحقاق النصر عليهم.

2. الدلالات التجويدية والبيانية) صوت الاستغاثة واليقين)

* المد الطبيعي في { قَالَ: حركتان من الألف المفتوحة، توحى بـ "الهدوء والوقار"، فالرسول يتحدث بيقين لا بصرير أو غضب طائش.

* الكسرة المشبعة في { رَبِّ: ياء المحذوفة للتخفيف (تدل على "التواضع والانكسار" بين يدي الله . صوتياً، الكسرة توحى بـ "الانجذاب نحو الداخل" والتركيز على الروحانية في مواجهة ضجيج المادية (الملا).

* الإظهار في { انصُرْنِي: نطق النون بوضوح قبل الصاد) إخفاء حقيقي (يعطي هدوءاً يسبقه حرف "الصاد" القوي) حرف استعلاء وصغير. (هذا التباين الصوتي يجسد "الهدوء الذي يسبق العاصفة"؛ ف الدعاء هادئ، لكن وقعه على الظالمين سيكون كالصاعقة.

3. مفاهيم التنمية البشرية) إدارة الإحباط المهني)

* تجاوز "الاحتراق النفسي": المصلح قد يصاب بالإحباط حين يُتهم بالكذب (الآية . 38) دعاء {انصُرْنِي {هو علاج نفسي يحول طاقة "الألم" إلى طاقة "أمل" واتصال بمصدر القوة.

* قانون "الاستحقاق": النصر لا يأتي للمرء وهو جالس، بل جاء بعد أن "بذل" الرسول كل ما يملك من حجج وقواعد. الدرس: "ابذل مجهودك البشري كاملاً"، ثم فوّض النتائج لرب البشر.

* الوضوح في الطلب: لم يطلب الرسول هلاكهم فوراً، بل طلب "النصر". وفي هذا تعليم لنا بضرورة "تحديد الغاية" من الدعاء والعمل.

4. دروس تربوية وسلوكية) أدب الدعاء)

* الشكوى لله لا لغيره: لم يذهب الرسول ليشتكى "الملا" للناس أو يطلب الدعم من قبائل أخرى في هذه اللحظة، بل جعل "شكواه" هي "سلاحه". التربية الإيمانية تعلمك أن "أقصر الطرق للحل هو باب السماء".

* عاقبة "التكذيب": الآية تحذر الظالمين بلسان الحال؛ فكلما زاد تكذيبكم للمصلح، اقتربت لحظة "النصر" عليه لصالح الحق.

* ربط السبب بالنتيجة: بما كذبون (تعلم المربي أن يربط عقابه لطلابه أو أبنائه بـ "السبب الواضح" لكي يكون العقاب تربوياً لا انتقامياً.

الرسالة:

عندما تغلق في وجهك أبواب "الخلق"، تذكر أن باب "الخالق" يُفتح بكلمة واحدة: { رَبِّ انصُرْنِي {ف اليقين هو السلاح الذي لا يملكه "الملا" مهما بلغت ثرواتهم.

سادسا

ننتقل الآن إلى "لحظة الاستجابة الإلهية" في الآية (40)، وهي آية قصيرة في معناها، لكنها مرعبة في معناها لمن كان له قلب؛ إذ تمثل "نقطة التحول" من حلم الترف إلى كابوس الحقيقة.

قال تعالى: {قَالَ غَمًا لِّقَلِيلٍ لِّيُصْخَرْنَ نَادِمِينَ}

1. قاعدة "قصر عمر الباطل" (فلسفة الزمن الإلهي)
تضع هذه الآية قانوناً زمنياً صارماً في مواجهة غطرسة "الملا":
* {عَمَّا قَلِيلُ} (عن) حرف جر، و(ما) هنا زائدة للتوكيد والتقليل. هذا التعبير يوحي بأن "المهلة" التي يظنها الظالمون طويلة (حياتنا الدنيا) هي عند الله "قليل" جداً. وفي هذا درس في "إدارة التوقعات"؛ فلا يغرنك استمرار الباطل، فموعد زواله محدد بكلمة (قليل).
* {لِيُصْبِحَنَّ} استخدام "اللام" الموطئة للقسم ونون التوكيد المشددة يعطي حتمية مطلقة للوقوع. المترفون كانوا يقولون {وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ}، فرد الله عليهم بقسم مقدر: "والله لتصبحن...".
* {نادمين}: الندم هو "ألم نفسي" ناتج عن ضياع الفرصة. والآية تصف حالهم بـ (الإصباح)، وكأن العذاب سيأتيهم "صباحاً" وهم في قمة غفلتهم، أو أنهم سيستيقظون على حقيقة ضياعهم.
 2. الدلالات التجويدية والبيانية (صوت الحسم والندم)
* الإدغام بغير غنة في {قَلِيلُ لِيُصْبِحَنَّ}: (تنوين يليه لام). الإدغام بغير غنة هنا يعطي "سرعة صوتية"؛ فالنون تذوب في اللام بسرعة، وهذا يجسد سرعة وقوع العذاب وانقضاء زمن المهلة (عما قليل).
* نبرة "النون المشددة" في {لِيُصْبِحَنَّ}: الغنة القوية في النون المشددة (حركتان) تعطي طينياً في الأذن يشبه "جرس الإنذار". هي صوت الحقيقة الذي سيصم آذانهم التي استكبرت عن سماع الرسول.
 - * المد الطبيعي في {نادمين}: الوقوف على الياء (مد عارض للسكون) يعطي نغمة "الكسرة و الحسرة". الصوت ينخفض وينكسر في النهاية، تماماً كما ستنكسر كبرياء الملا ويتحول صراخهم إلى ندم صامت لا ينفع.
 3. مفاهيم التنمية البشرية (فقه "الندم العقيم")
* الفرق بين "الندم التوبوي" و"الندم الجزائي": في تطوير الذات، الندم المحمود هو الذي يدفعك للتصحيح "الآن". أما ندم هؤلاء فهو ندم "رد الفعل" بعد فوات الأوان. الدرس: "لا تنتظر حتى تصبح نادماً، بل بادر قبل أن يقلّ القليل".
* وهم "الأمان الزائف": المترفون بنوا أمنهم على المادة، والآية تضرب هذا الأمن في مقتل. التنمية الحقيقية هي بناء أمن "قيمي" لا يتزعزع بزوال المادة.
 - * قيمة "المبادرة": الاستجابة جاءت لرسول الله لأنه بادر بالبلاغ والصبر. النجاح هو "استعداد" يقابله "فرصة"؛ والرسول كان مستعداً، فجاءت فرصة النصر الإلهي.
 4. دروس تربوية وسلوكية (أدب انتظار الفرج)
* اليقين في نصر الله: الآية تربي المؤمن على أن كلمة الله هي العليا دائماً، وأن "الصمت الإلهي" مؤقتاً ليس إهمالاً، بل هو "إمهال" ليزداد الظالم إثماً والمؤمن صبراً.
 - * التربية بالعواقب: المربي الناجح يذكر طلابه دائماً بـ "لحظة الندم" التي تعقب الإهمال. (عما قليل) هي صرخة في أذن كل مقصر: "الوقت يداهمك، فلا تكن من النادمين".
 - * الحق لا يضيع: (بما كذبون) كانت الدعوة، و(ليصبحن نادمين) كانت الإجابة. العدل الإلهي يقتضي أن لكل فعل جزاءً من جنسه.
- الرسالة:
- عندما يستكبر عليك "ملا" زمانك بمآلهم أو نفوذهم، تذكر قول الله {عَمَّا قَلِيلُ}. فالعظمة ليست في "البدايات" المترفة، بل في "النهايات" الناجية.
- سابعاً
- فماذا حدث عندما انتهى هذا "القليل"؟ وكيف تجسد العذاب في الآية (41) بقوله {فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ} بالحق؟
- بهذا نصل إلى "لحظة الانفجار الكوني" ونهاية المشهد الدرامي في الآية (41)؛ حيث تتلاشى غطرسة "الملا" وتتحوّل قوتهم المادية إلى حطام تذروه الرياح.
- قال تعالى: {فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً ۖ قَبْعُدَا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}
1. قاعدة "الحسم الإلهي" سقوط صنم المادة)
تضع هذه الآية نهاية لكل أوهام "الملا" التي بنوها في الآيات السابقة:
{فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ}: "الفاء" هنا للسرعة والتعقيب) استجابة فورية لدعاء الرسول. (ولفظ "الصيحة" يوحي بقوة صوتية مدمرة تفوق طاقة البشر، وهي ردّ مباشر على "ضجيج" باطلهم وسخريتهم.
- * {بالحق}: هذه هي الكلمة المفصلية؛ فالعذاب ليس انتقاماً عشوائياً، بل هو "استحقاق عدلي". هم كفروا بالحق، فأخذهم الحق. وفي هذا درس في "جزاء العمل"؛ فالكون محكوم بقوانين أخلاقية صارمة لا تحابي أحداً.
- * {فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً}: الغثاء هو ما يحمله السيل من حطام الشجر والزبد والنفايات التي لا قيمة لها. هذا التشبيه البليغ يسلب منهم كل "الهبة" التي كانوا يملؤون بها العيون (الملا)، ليصبحوا "نفايات" تاريخية.

2.الدلالات التجويدية والبيانبة) صوت الفناء والطرْد)
 * قوة "الصاد" و"الحاء" في {الصَّيْحَة: حرف الصاد) حرف استعلاء وصغير (مع الحاء المهموسة يعطي صوتاً حاداً يشبه "الانفجار". النطق بحد ذاته يجسد "المباغطة" التي حدثت لهم وهم في قمة ترفهم.

* المد الطبيعي في {غثاء:} مد متصل 4 - 5 حركات (يليه همزة. هذا المد يطيل أمد "التحول" من الوجود إلى الفناء، وكأن القارئ يرى بأذنه كيف يتلاشى هؤلاء المترفون ويتحولون إلى حطام متفرق.
 * الإظهار في {قُبْعْدًا لِلْقَوْمِ:} تنوين يليه لام - إدغام بغير غنة .(السرعة في النطق هنا تعكس "سرعة الطرد" من رحمة الله ومن الذاكرة الطيبة للبشرية .كلمة "بعداً" هي "لعنة تاريخية" تلاحق الظالمين.
 3. مفاهيم التنمية البشرية) نهاية "الاستعلاء الزائف")

* تحطم "مركزية الذات": المترفون ظنوا أنهم "مركز الكون" أترفناهم)، والآية حولتهم إلى "هامش" (غثاء). (الدرس التنموي: "القيمة الحقيقية ليست فيما تملكه، بل فيما تمثله من حق".
 * سقوط "الأمن المادي": لم تغن عنهم قصورهم ولا أموالهم من "الصيحة". التنمية الحقيقية هي بناء "حصانة قيمية" تحمي الإنسان في الأزمات الكبرى.
 * فلسفة "الأثر الباقي": الغثاء لا أصل له ولا جذور، لذا ذهب مع السيل. المؤمن الذي يبني ويصلح يكون كـ "الشجر الراسخ". استغلال الفرصة) الآية (31 غايته ألا ينتهي بك المطاف لتكون مجرد "غثاء".

4.دروس تربوية وسلوكية) ميثاق الخلود)
 * العدل هو ميزان الكون: بالحق (تعلمنا أن الظلم هو أسرع طريق للفناء. المربي يعلم طلابه أن "البقاء للأصلح" والأُنفع، لا للأقوى مادياً.
 * الدعاء المظلوم مُستجاب: الآية هي "بُشرى" لكل مصلح يُكذب ويُحارب؛ فنهاية الظلم حتمية حتى لو بدت قوته كالجبال.
 * الطرد من القلوب) فبعداً: الظالم لا يُطرد من الجنة فقط، بل يُطرد من قلوب الناس وتاريخهم .
 التربية تهدف لبناء إنسان "قريب" محبوب، لا "بعيد" ملعون.
 جدول المقارنة النهائي: رحلة القرن الآخر

المرحلة	الايه	البدايه	النهايه
الانشاء	31	فرصه جديده (قرنا آخرين)	امانه الاستخلاف
التكليف	32	منهج واضح (اعبدا الله)	مسؤوليه العمل
الاختبار	33-38	فتنة الترف والتكذيب	السقوط بالفخ المادي
الحسم	41	استجابته وعدل	فناء وتحول الى غثاء

الخلاصة الكبرى:

بدأت القصة بـ "فرصة للعمل والإعمار" الآية(31) ، وانتهت بـ "ضياع الأثر والهلاك" لمن استعلى بـ الترف. لقد كان بين "الإنشاء" و"الغناء" فرصة واحدة (هي) طاعة الرسول والتقوى، فمن أضاعها فقد أضاع نفسه.

القسم الثالث

{ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرُونًا آخَرِينَ (42) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلُهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ (43) ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا نَتَرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (44)}

إليك تحليل موضوعي ولغوي للآيات(42) - (44) من سورة المؤمنون، والتي تتناول سنن الاستخلاف والهلاك في الأمم السابقة:-

الآية(42): {ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرُونًا آخَرِينَ}

* المعنى العام: تشير الآية إلى استمرارية الخلق والابتلاء؛ فبعد هلاك الأقبام السابقة) مثل قوم نوح أو عاد)، أوجد الله أجيالا " وأمما جديدة لتعمر الأرض وتختبر بعبادته.

* التحليل اللغوي:

* "ثم": حرف عطف يفيد التراخي والترتيب، مما يدل على وجود فواصل زمنية بين الأمم المهلكة والأمم الناشئة.

* "أنشأنا": اختيار هذا اللفظ يوحي بالإيجاد من العدم والتربية والرعاية لتلك الأمم في بدايتها.

* "قرونا": القرن هنا لا يعني مائة عام بالضرورة، بل يقصد به الأمة أو الجيل من الناس الذين يعيشون في عصر واحد.

الآية(43): {مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلُهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ}

* المعنى العام: تقرر هذه الآية قاعدة إلهية ثابتة وهي "قانون الأجل". فكل أمة لها عمر افتراضي

ونهاية محددة في علم الله، لا يمكن تعجيلها بالتمرد ولا تأخيرها إذا حان وقت الحساب.

* التحليل اللغوي:

* "ما تسبق" ...وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ": نفي قاطع لأي قدرة بشرية على التحكم في القدر الإلهي المتعلق ببقاء الدول أو زوالها.

* "أجلها": الأجل هو الوقت المضروب لانتهاه الشيء، وفي هذا إشارة إلى أن الظلم والظغيان له نقطة نهاية حتمية.

الآية (44): {ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلًّا مَا جَاءَ أُمَّةً رُسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ}

* المعنى العام: تبين الآية تتابع الرسل تترا (كحجة بالغة من الله على خلقه، لكن النتيجة كانت تكرار مشهد التكذيب من كل أمة، مما استوجب عقوبة الإهلاك المتتابع حتى صاروا مجرد قصص تروى للعبرة.

* التحليل اللغوي:

* "تتراً": أي متتابعين، واحداً بعد الآخر بانتظام لإقامة الحجة.

* "فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا": تعبير بليغ عن الهلاك المتلاحق، حيث يلحق المتأخر بالمتقدم في الدمار بسبب تشابه أفعالهم.

* "وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ": من أشد أنواع العقوبة المعنوية؛ أي لم يبقَ منهم أثر مادي (قوة، مال، حصون)، بل صاروا مجرد "سمر" وقصص يتحدث بها الناس للاتعاض بخرابهم.

* "فَبُعْدًا": دعاء عليهم بالطرد من رحمة الله، وهو تأكيد على استحقاقهم للعقاب.

الامر الاول

المفاهيم المركزيه من الايات (٤٢-٤٤) من سورة المؤمنين

يمكن استخلاص مجموعة من المفاهيم المركزية التي تشكل الهيكل الموضوعي لهذا النص القرآني:

1. مفهوم الاستخلاف والنشوء الإنشاء)

* المعنى: يشير قوله تعالى {أَنْشَأْنَا} إلى أن الأمم والحضارات لا تولد صدفة، بل هي إرادة إلهية تعطي الفرصة لكل جيل ليقوم بدوره في الأرض.

* التطبيق: هذا المفهوم يبرز فكرة "الفرصة المتاحة"؛ فكل أمة تنشأ هي مشروع جديد للاختبار و العمل.

2. مفهوم الأجل الحضاري (حتمية الزمن)

* المعنى: يتجلى في قوله {مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا}. للأمم أعمار محددة كالأفراد تماماً، تنتهي حين تستنفد أسباب بقائها أو حين يكتمل طغيانها.

* التطبيق: يعطي هذا المفهوم طمأنينة بأن الظلم له نهاية محددة زمنياً، وبأن التغيير الكوني يخضع لنظام دقيق لا يقبل العشوائية.

3. مفهوم التواتر الرسالي (تترا)

* المعنى: مستمد من لفظ {تتراً}، وهو إرسال الرسل والمنهج بشكل متتابع ومنتظم.

* التطبيق: يعكس هذا المفهوم "رحمة الله" وإقامة الحجة؛ فالله لا يترك البشرية دون توجيه مستمر، وتتابع الرسل يعني تتابع رسالة الحق بأساليب تناسب كل أمة.

4. مفهوم التراكم التكديبي (وحدة الموقف الاستكباري)

* المعنى: يظهر في قوله {كُلِّ مَا جَاءَ أُمَّةً رُسُولُهَا كَذَّبُوهُ}. {هنا نجد "مفهوم التشابه" في ردود أفعال المنكرين رغم اختلاف أزمانهم وأماكنهم.

* التطبيق: يشير إلى أن جذور الكبر والجحود واحدة في النفس البشرية، وأن التاريخ يعيد نفسه في الصراع بين الحق والباطل.

5. مفهوم الهلاك المعنوي (التحول إلى أحاديث)

* المعنى: يبرز في قوله {وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ}. {الهلاك ليس مجرد فناء مادي، بل هو زوال الأثر والقوة والتحول إلى "قصة" للعبرة فقط.

* التطبيق: هذا أقسى أنواع العقوبات؛ أن تسلب الأمة سيادتها وحضورها لتصبح مجرد نص تاريخي يحكى للآخرين للاتعاض بخرابها.

6. مفهوم الإقصاء البعد)

* المعنى: يتمثل في قوله {فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ}.

* التطبيق: البعد هنا هو الطرد من الرحمة ومن دائرة الفعل الحضاري، وهو نتيجة طبيعية لرفض المنهج الإلهي.

الامر الثاني

عليك ان تدرك ان القرآن الكريم عندما يتحدث عن الامم السابقه فانه يقدم لنا نماذج للتدرب والا قتداء ويعطينا معرفه الضروريه لفقه السنن فالانساني بحاجه الى المنهج السنني واذا ضاع العقل هذا المنهج فانه يقع في التيه ومن هنا تبرز اهميه معرفه الوحي لان معرفه هذه السنن لاتتاني الا من خلال معرفه الوحي نرى كيف ان العقل المسلم عندما اضاع البوصله معرفه الوحي وقع في

التيه وكيف نرى صور التدين المغشوش وادى اما الى المروق من الدين او الانسحاب من الدنيا ولهذا قمنا بتحليل تفصيلي وشامل للآيات (42) - (44) من سورة المؤمنون، بأسلوب يجمع بين الجوانب البيانية، التربوية، والفكرية، وكيفية صياغتها لبناء الإنسان وتنمية وعيه:

- أولاً: المعاني والمفاهيم المركزية
- * مفهوم "الإنشاء المتجدد": أنشأتنا {يوحي بأن لكل جيل فرصة وجودية كاملة للابتكار والتغيير، وليست مجرد تكرار آلي للماضي.
 - * مفهوم "الحتمية الزمنية": أجلها {يعزز فكرة أن لكل نظام} سواء كان فكرياً، سياسياً، أو اجتماعياً (دورة حياة تنتهي بانتهاء صلاحيته وقدرته على العطاء.
 - * مفهوم "التواتر المعرفي": تترا {تعني استمرارية تدفق الهداية والمعرفة، وعدم انقطاع الحجة الإلهية على العقل البشري.
 - ثانياً: الجوانب البلاغية واللمسات البيانية
 - تخدم البلاغة هنا "فكرة المآلات" وعاقبة التكذيب:
 - * المقابلة والتقابل: في قوله { ما تسبق... وما يستأخرون }؛ طباق يبرز دقة الميزان الإلهي وانضباط الكون، مما يغرس في الإنسان احترام "الوقت" والنظام.
 - * صيغة المبالغة والتكثير: في قوله {قرونا} {و} {رسلنا} {و} {تترا}؛ تنكير "قرونا" للتعظيم والكثرة، وجمع "رسلنا" يدل على سعة الرحمة ببيان الحق بكل لسان.
 - * الاستعارة والتمثيل: وجعلناهم أحاديث: من أبلغ صور الإهانة المعنوية، حيث شُهِت الكيانات المادية العظيمة (حضارات، جيوش، حصون) بمجرد كلام يتناقله الناس، مما يحطم صنم القوة المادية الزائفة.
 - * حرف العطف (الفاء): في قوله {فأتبعنا}؛ تفيد السرعة والترتيب، لبيان أن العقوبة هي نتيجة منطقية وفورية لاكتمال أسباب الهلاك.
 - ثالثاً: أحكام التجويد ودلالاتها المعنوية
 - أحكام التجويد في هذه الآيات تخدم الحالة الشعورية للنص:
 - * المد المتصل في: جاء: يمد بمقدار 4 أو 5 حركات، وهذا المد الصوتي يعطي ثقلاً وهيباً لحظة وصول الرسول والمواجهة مع الأمة
 - * التنوين والإدغام في: أمة رسلها: إدغام بغير غنة) النون في الراء (يوحي بالاتصال المباشر و السرعة، وكأن المواجهة بين الحق والباطل مواجهة حتمية لا فاصل بينها.
 - رابعاً: بناء الإنسان والتنمية البشرية) التوعية الفكرية)
 - تقدم الآيات منهجاً لبناء "الإنسان الواعي" من خلال:
 - * الوعي التاريخي: الآيات تدعو الإنسان ألا ينغلق على حاضره، بل يدرس "الأحاديث" تاريخ الأمم ليفهم سنن الصعود والهبوط.
 - * إدارة الوقت والأجل: إدراك أن لكل عمل "أجلاً" يحفز الإنسان على الإنجاز السريع قبل فوات الأوان، وهو جوهر التنمية الذاتية.
 - * التحرر من التقليد الأعمى: وصف الأمم بأنها كذبت لأنها اتبعت بعضها في الخطأ؛ فأتبعنا بعضهم بعضاً، يحذر من "عقلية القطيع" ويدعو للاستقلال الفكري.
 - خامساً: الرسائل والفوائد التربوية
 - * التواضع الحضاري: مهما بلغت قوة الإنسان أو أمته، فإنه قد يتحول إلى مجرد "حديث" إذا تجرد من القيم الأخلاقية.
 - * قيمة الثبات: استمرار الرسل تترا {رغم التكذيب يعلم المربي والداعية والمصلح "الصبر" الاستراتيجي} وعدم اليأس من النتائج.
 - * العدل الإلهي: الهلاك لا يأتي عشوائياً، بل بعد إرسال الرسل وتوضيح المنهج، مما يربي في النفس مراقبة الله والمسؤولية عن القرار الشخصي.
 - بهذا التكامل، تظهر الآيات كخارطة طريق فكرية تحمي الإنسان من الغرور، وتدفعه للتعلم من التاريخ، وتعلي من قيمة الالتزام بالمنهج الحق.

الدرس الاول

الايه تبين ان كل امه تخلق وحضاره تنشأ لها ما قدر الله لها من النعم والارزاق المكتوبه في كتابه وان لها نهايه محدوده وبعدها تكون المؤاخذه لها بحسب ما اعطاها الله وبقدر ما مكنتها من امكانيات والامم تموت مثلما الافراد يموتون والحضاره تموت وتسقط وتنتهي وتنتهي وفي ذلك

المفهوم الاول

تحذير للدول بان الله يعطيها اموال وعلوم وقوه ولهذا فعليها ان تدرك ان لها نهايه تنتهي وتسلب منها جميع النعم التي اعطاها الله وتزول فالموت ليس لافراد بل هو للدول والحضارات مبينا ان سقوط الحضارات واندثارها وهلاك الدول وزوالها ونهايتها مرتبطا بما عملت فالجزء من جنس الامل فما اعطاها الله انما هو ابتلاء واختبار فيجب عليها عدم الغرور او التناول والجحود بنعم الله لان بطش

الله سيكون قويا بقدر ما اعطاها ولهذا في الدول التي رزقها الله وفرة في المال والنفط ينبغي عليها ان تدرك ان هذه النعم هي اختبار من الله وان تقوم بانفاقها في أوجه الخير وخدمه الاسلام لا ان تعطى لاعداء الاسلام لضرب الاسلام والمسلمين كما حدث في طوفان الاقصى وغيرها اذ تم استهداف قوه الاسلام باموال عربييه واسلاميه للاسف الشديد فهذه مؤشرات على زوال هذه النعم تستوجب على اهلها ان يراجعوا انفسهم قبل فوات الاوان وسنه الله تستوجب منهم الوقوف امامها فلا يغترون بما لديهم من اموال ويستغلوها في محاربه ائمه المساجد كما حدث من المارقين في عدن وغيرها ابان الاحتلال الاماراتي فما في القران من قصص هي للتحذير ولأجل أخذ العبر

المفهوم الثاني

في هذه الفقره سوف نتناول مفهوم الاجل وكيفيه استخدامه في بناء الانسان و اقامه الحضارات كاداه إدارية وفكرية في عمله البناء للانسان واداره المشاريع والمؤسسات بناء على الرؤية الاسلاميه اذ ان ذلك يمثل قمة الاستفادة من النص القرآني في واقعنا العملي .إليك كيف يمكن صياغة هذا المفهوم في إطار بناء الإنسان و الإدارة الحديثة:

1. مفهوم الأجل كقاعدة في "الإدارة الاستراتيجية"

في الآية { مَا تَسْقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلُهَا } نجد دلالة على أن المؤسسات والحضارات لها "دورة حياة * الوعي بالنهاية: الإنسان الناجح يدرك أن الموارد، والوقت، والفرص لها "أجل". هذا يدفع نحو التخطيط الزمني الدقيق وعدم التسويف.

* مؤشرات الهبوط: كما أن للأمم أجلا ً ينتهي بالطغيان، فإن المشاريع تنتهي بالإهمال وعدم التجديد. الآية توجهنا لرصد "العلامات" قبل حلول الأجل الحتمي.

2. التوعية الفكرية: التحرر من "وهم الخلود"

من أخطر العوائق الفكرية هي ظن الإنسان أو المؤسسة أنها "أكبر من السقوط". * الدرس التربوي: الآيات تكسر غرور القوة المادية. التنمية البشرية الحقيقية تبدأ من التواضع المعرفي؛ أي الإدراك بأن البقاء مرتبط بالقيم) الحق (وليس فقط بالإمكانات) المادة(. * التغيير حتمي: إدراك "الأجل" يجعل الإنسان مرناً فكرياً، مستعداً للتغيير والتطوير المستمر لكي لا يدركه "أجل" الفشل أو الركود.

3. الرسائل العملية في "بناء الإنسان"

* رسالة المسؤولية: { أنشأتنا من بعدهم } تعني أنك "خلف" لمن سبقك. التنمية البشرية هنا تفرض عليك سؤالاً: ما هو الأثر الذي ستتتركه قبل أن تصبح "حديداً"؟

* رسالة التواتر) الاستمرارية: { تترا } تعلمنا أن النجاح لا يأتي من ضربة واحدة، بل من تراكم الجهود واستمرار المحاولة والتعلم من الأخطاء السابقة.

4. اللمة البيانية وأثرها في "التوعية الفكرية"

* الدقة في التوقيت: استعمال "ما" النافية مع "من" الاستغراقية في { مَا تَسْقُ مِنْ أُمَّةٍ } يعطي طابعاً من الحسم والصرامة. فكرياً، هذا يربي في الإنسان احترام "القانون" سواء كان قانوناً إلهياً، طبيعياً، أو وضعياً، فلا محاباة في سنن الكون.

* التحول من "فاعل" إلى "محكي عنه": { جَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ }. هذه الصورة البيانية هي "هندسة عكسية" لبناء الإنسان بيني حياته ليكون "قدوة" لا مجرد "قصة" تروى للتحذير منها.

5. تطبيق تربوي: صناعة "الأثر المستدام"

بدلاً من أن نكون "أحاديث" بمعنى العبرة السلبية، توجهنا الآيات ضمناً لتكون "أثراً باقياً" بالصالح والإصلاح.

* تنمية التفكير الناقد: عندما تقرأ عن الأمم التي "أُلحق بعضها ببعض" بسبب التقليد الأعمى، ينمو لدى الفرد الوعي النقدي الذي يجعله يرفض الأفكار الهدامة حتى لو اتبعها الجميع. خلاصة التوجيهات:

* استثمر في "القيم" لأنها الأجل الوحيد الذي يمتد ولا ينقطع.

* كن "تترا" في عطاءك؛ لا تتوقف عن المحاولة والإصلاح مهما كان حجم التكبذب أو الإحباط حولك.

* احترم "الزمن"؛ فلكل فرصة أجل، ومن ضيعه ضاع أثره.

الدرس الثاني

سوف نتنقل لتطبيق هذه المفاهيم على "تحليل الشخصية القيادية" وكيف يمكن استلهام صفات القائد الناجح من ثبات الرسل في هذه الآيات من خلال هذه الآيات (٤٢-٤٤) فهي تكشف لنا عن نموذج "القيادة الرسالية" التي تصمد أمام أعظم التحديات.

و إليك استلهام صفات القائد الناجح وكيفية تطبيقها في التنمية البشرية والإدارية:

1. الثبات الاستراتيجي) مبدأ "تترا"

* الصفة القيادية: الصبر والمثابرة رغم المعوقات.

* التحليل: إرسال الرسل "تترا" متتابعين (رغم علم الله بتكبذب الأمم السابقة، يعلم القائد أن الاستمرارية في طرح الرؤية هي مفتاح إقامة الحجة وتحقيق التغيير. القائد الناجح لا يتوقف عند

فشل المحاولة الأولى، بل يكرر المحاولة بأساليب متجددة.
* التطبيق: في إدارة المشاريع، يسمى هذا "التكرار التصحيحي"؛ حيث لا يثنى النقد أو الرفض القائد عن مواصلة الرسالة.

2. استشراف المآلات) وعي الأجل)

* الصفة القيادية: الرؤية البعيدة والقدرة على تقييم المخاطر.
* التحليل: القائد الذي يفهم قوله تعالى {أجلها} لا يغتر بالنجاح اللحظي. هو يدرك أن لكل منظمة "عمر افتراضي" إذا لم تجدد نفسها.

* التطبيق: القيادة الواعية تضع "خطط طوارئ" وتدرك متى يجب تغيير الاستراتيجية قبل أن يصل المشروع إلى مرحلة "الأجل" أو الانهيار) الجمود التنظيمي).

3. النزاهة الفكرية ومواجهة "عقلية القطيع"

* الصفة القيادية: الاستقلال الفكري والشجاعة الأدبية.

* التحليل: الآيات تدم الأمم التي اتبعت بعضها في التكذيب {فأتبعنا بعضهم بعضاً} {القائد الحقيقي هو من يكسر "دائرة التقليد" ويقدم حلولاً خارج الصندوق، حتى لو عارضه "الملا" أصحاب النفوذ}.
* التطبيق: التوعية الفكرية للقائد تجعله يحمي فريقه من "التفكير الجماعي المنغلق" الذي يؤدي عادة للفشل الحضاري أو المؤسسي.

4. إدارة السمعة والأثر) صناعة الحديث)

* الصفة القيادية: بناء العلامة الشخصية والمؤسسية المستدامة.

* التحليل: التحذير من التحول إلى {أحاديث} سلبية هو دعوة غير مباشرة للقائد لصناعة "إرث" إيجابي. القائد العظيم يهتم بكيف سيذكره التاريخ وما هو الأثر الذي سيتركه بعد رحيله.

* التطبيق: التركيز على القيم الأخلاقية في العمل لضمان بقاء "السيرة الحسنة" للمنظمة، وليس فقط الأرقام والمكاسب المادية الزائلة.

5. التواصل الفعال وإقامة الحجة

* الصفة القيادية: الوضوح والشفافية.

* التحليل: مجيء الرسل بالبينات تلو الأخرى يمثل قمة التواصل القيادي. القائد لا يترك مجالاً للغموض، بل يوضح الأهداف) المنهج (والنتائج المتوقعة) العواقب (بكل شفافية.

* التوجيه التربوي: هذا يربي في الإنسان القائد روح "المسؤولية"؛ فهو لا يحاسب أحداً إلا بعد بيان المنهج وتوفير الأدوات اللازمة للنجاح.

الخلاصة القيادية من الآيات:

القائد الناجح هو "رسول فكرة"؛ يمتلك ثبات الرسل في المواجهة، وحكمة الحكماء في فهم السنن الكونية، وحرص المصلحين على ترك أثر لا يمحوه الزمن.

الدرس الثالث

دلالة استخدام أنشأنا

تحمل كلمة "أنشأنا" في السياق القرآني، خاصة عند الحديث عن تعاقب الأمم بعد الهلاك، دلالات عميقة تجمع بين القوة الوجودية والتربية الإلهية، ويمكن تفصيل هذه الدلالات فيما يلي:

1. الإيجاد من العدم والابتكار) دلالة البداية الجديدة)

في اللغة، "الإنشاء" ليس مجرد إيجاد، بل هو إيجاد الشيء وتربيته ورفعته.

* الدلالة: استخدامهما هنا يوحي بأن هذه الأمم الجديدة لم تكن مجرد "تكملة" لما سبق، بل هي نشأة مستأنفة وخلق جديد كلياً. الله يبين قدرته على استبدال أمة كاملة بأمة أخرى دون أدنى عناء، مما يعطي شعوراً بعظمة الخالق وهوان الخلق المكذبين عليه.

2. الرعاية والتربية) دلالة الإمداد)

كلمة "أنشأنا" مشتقة من "النشوء"، وهو النمو والارتفاع.

* الدلالة: تشير إلى أن الله لم يخلق هذه الأمم ويتركها، بل أنشأها ومدّها بأسباب البقاء والقوة و (النمو) أعطاهم الحضارة، القوة، والوقت. (هذا يزيد من حجم "الحجة" عليهم؛ فمن أنشأكم ورعاكم حتى استويتم قروناً وأممًا، هو المستحق للعبادة وحده.

3. السيادة والقدرة المطلقة) دلالة الاستخلاف)

* الدلالة: في سياق هلاك المكذبين، تأتي "أنشأنا" لتعطي انطباعاً بـ الاستعلاء الإلهي فوق أحداث التاريخ. فبينما يرى البشر الهلاك نهاية للعالم، يقرر القرآن أنها مجرد مرحلة "طبيعية" لإفساح المجال لنشوء جديد. هذا يرسخ في الوعي الفكري أن الأرض لله يورثها من يشاء، وأن الاستبدال سنة كونية.

4. التباين بين "الإهلاك" و"الإنشاء"

* اللمسة البيانية: الآيات السابقة تحدثت عن الصاعقة والهلاك) الفناء، وجاءت "أنشأنا" البناء (لتمثل التوازن الكوني.

* الدلالة: هي تبعث برسالة طمأنينة للمؤمنين وتخويف للكافرين؛ فالحق لا ينقطع بموت جيل، والبناء الإلهي مستمر، فالله "يُنشئ" دائماً بيئة جديدة للاختبار.

5. دلالتها في التنمية البشرية وبناء الإنسان

* مفهوم الفرصة: "الإنشاء" يعني أن كل جيل يبدأ بصفحة بيضاء وفرصة كاملة للتغيير. لا يوجد جيل محكوم عليه بالفشل بسبب أخطاء من قبله، بل هو "منشأ" ليكون مسؤولاً عن قراراته.
* التوعية الفكرية: تدعو الكلمة الإنسان للتأمل في أصله؛ فهو لم يوجد صدفة، بل "أنشئ" لغاية وهدف.

الخلاصة:

كلمة "أنشأنا" تخدم فكرة "القدرة على الاستبدال" و**"عناية الإيجاد".** فهي تصور خروج الأمم الجديدة إلى الوجود كعملية بناء محكمة ومنظمة، وليست مجرد تكاثر عشوائي، مما يعزز فكرة المسؤولية الفردية والجماعية أمام الخالق

المفهوم الثاني

الربط بين هذا "الإنشاء" وبين مفهوم "التزكية" وكيف يمكن للإنسان أن يُنشئ نسخته الجديدة من نفسه بعد الانهيار؟

تحويل مفهوم "الإنشاء" من السياق الكوني (خلق الأمم (إلى السياق الذاتي (بناء النفس (هو جوهر التنمية البشرية بمرجعية إيمانية. إليك كيف يمكن للإنسان أن يستلهم من هذه الآيات منهجاً لـ "الإنشاء الذاتي" و "التزكية المعرفية":

1. "الإنشاء من بعد الهلاك": فلسفة النهوض بعد الفشل

كما أن الله أنشأ قروناً جديدة بعد هلاك المكذبين، يمكن للإنسان أن يُنشئ "نسخة جديدة" من نفسه بعد الانهيارات أو الأخطاء.

* التطبيق التربوي: لا يوجد "هلاك" نهائي للطموح أو الروح ما دام الإنسان حياً. "الإنشاء الذاتي" يبدأ بقرار التخلي عن العادات "المكذبة" للحقائق، والبدء في بناء عادات "مصدقة" ومنتجة.

* التوعية الفكرية: الإيمان بأنك "منشأ" من الله يعطيك القوة لتجاوز ماضيك؛ فأنت لست أسيراً لما حدث، بل أنت مشروع مستمر للإنشاء والتطوير.

2. التزكية كعملية "إنشاء" مستمرة (تترا)

مفهوم {تترا} (التتابع (هو السر في التزكية والنمو الشخصي.

* بناء العادات: التزكية لا تحدث بـ "ضربة واحدة"، بل هي رسائل وتوجيهات وتدريبات يرسلها الإنسان لنفسه بشكل متتابع.

* النمو التراكمي: القائد الناجح أو الإنسان المزكى هو من يراكم الإنجازات الصغيرة (تترا (حتى يصنع "إنشاء" عظيمًا لشخصيته.

3. "أجل" العادات القديمة و"ولادة" القيم الجديدة

استلها من { ما تسبق من أمة أجلها }:

* إدارة الذات: لكل صفة سلبية فينا "أجل" يجب أن تنتهي عنده. التزكية الحقيقية هي تعجيل "أجل" الكسل، الغرور، أو الجهل، وإحلال "نشأة" جديدة مكانها تتسم بالعلم والتواضع.

* الوعي بالوقت: الإنشاء الذاتي يحتاج لاحترام "الأجل" الممنوح لنا في هذه الحياة؛ فالفرصة ليست أبدية.

4. حماية "النشأة الجديدة" من أن تصبح "أحاديث"

خطر التحول إلى { أحاديث } (مجرد ذكرى للفشل أو العبرة (هو المحفز الأكبر للتزكية.

* بناء الأثر: بدلاً من أن تكون حياتك "قصة" تحكى عن ضياع الفرص، تجعل التزكية من حياتك "منهجاً" يُحتذى به.

* اللمسة البيانية: كما أن "الإنشاء" فيه معنى الارتفاع والظهور، فإن التزكية ترفع قدر الإنسان وتجعله "ظاهراً" بالحق في مجتمعه، وليس مجرد "خبر" عابر.

5. دلالة "أنشأنا" في صناعة العقل النقدي

الإنشاء الإلهي للأمم كان يهدف لإعطاء فرصة للعقل البشري ليتدبر.

* التنمية البشرية: الإنشاء الذاتي يتطلب "غسل" العقل من الموروثات الفكرية الخاطئة (عقلية التكذيب والتقليد (والنشوء على أساس البحث عن البرهان والحقيقة.

خارطة طريق "الإنشاء الذاتي":

* الاستئناف: آمن أن كل يوم هو "نشأة" جديدة وفرصة استخلاف.

* التواتر: لا تنقطع عن تهذيب نفسك (تترا)، فالتوقف هو بداية الهلاك.

* الأثر: اعمل ليكون "حديثك" بعد رحيلك منارة، لا مجرد عبرة لخراب

المفهوم الثالث

تبرز هذه الآيات من سورة المؤمنون حقيقة كبرى وهي أن إرادة الله ومشيئته في استمرار الحياة وتدفعها لا تتوقف بسبب جحود البشر، بل إن السنن الكونية تعمل بدقة متناهية لتجاوز "العقبات البشرية".

إليك كيف تبرز الآيات استمرار الحياة وسنن الله برغم الكفر:

1. سنة الاستبدال والنشوء المتجدد { ثم أنشأنا }

* الدلالة: استخدام حرف العطف "ثم" واللفظ "أنشأنا" يوضح أن حركة الحياة لا تتوقف عند نقطة

الهلاك. عندما يختار قومٌ ما الكفر والتكذيب ويصلون إلى طريق مسدود حضارياً، يتدخل القانون الإلهي بـ "النشوء" الجديد.

* الرسالة الفكرية: الكفر لا يعطل الكون؛ فالله غني عن العالمين، واستمرارية الخلق دليل على أن "مشروع الاستخلاف" في الأرض أكبر من أي فئة جاحدة.

2. سنة التوقيت والانضباط) أجّلها(

* الدلالة: توضح الآية أن الكفر لا يعجل العقوبة عشوائياً، والإيمان لا يمنع الموت الحتمي. هناك "نظام زمني" صارم يحكم الأمم.

* الرسالة الكونية: الحياة مستمرة لأنها محكومة بـ "مواقيت" دقيقة. الكافر يظن أن بقاءه دليل على صحة منهجه، بينما الحقيقة أنه يعيش ضمن "أجل" مرسوم، وبانتهاء هذا الأجل تفرغ الساحة لجيل جديد يكمل مسيرة الحياة.

3. سنة التراكم المعرفي والهداية) تنزراً(

* الدلالة: كلمة "تنزراً" تبرز أن الله لا يقطع مدد الهداية عن الأرض بسبب كفر السابقين.

* الرسالة التربوية: هذه السنة تؤكد أن "الحق" تيار مستمر لا ينقطع. فكلما كذبت أمة، جاء رسول آخر ليحمل الشعلة، مما يضمن بقاء "منهج الحق" متاحاً للبشرية عبر العصور، وهو ما يضمن بقاء الروح والجوهر الإنساني حياً.

4. سنة التطهير الحضاري) فأتبعنا بَعْضَهُمْ بَعْضاً(

* الدلالة: استمرارية الحياة تتطلب أحياناً "التطهير". الآية تظهر أن الأمم التي تتحول إلى "عالة" على القيم الإنسانية وتكذب بالحقائق تزال لتفسح المجال لغيرها.

* الرسالة البيانية: التعبير بـ "أتبعنا" يوحي بأن الهلاك هو عملية تنظيف للمسرح التاريخي، لكي لا يفسد الكفر جوهر الحياة المستمرة.

5. سنة العبرة والتحول إلى "أثر") وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ(

* الدلالة: حتى في هلاك الكافرين، هناك خدمة لاستمرار الحياة؛ حيث يتحولون إلى "أدوات تعليمية" (أحاديث) للأجيال القادمة.

* التوعية الفكرية: التاريخ لا يضيع، بل يُعاد تدويره كدروس وعبر. استمرار الحياة هنا ليس فقط في الأجساد، بل في "الوعي التاريخي" الذي يتشكل من قصص الغابرين. اللبنة البيانية والجمالية في خدمة الفكرة:

* الارتباط بين أحكام التجويد والمعنى: عند قراءة {مع التنوين، نجد صوتاً متصلاً} يخدم فكرة "التتابع" الذي لا ينقطع.

* الفوائد التربوية: تربي هذه الآيات في المؤمن "اليقين بانتصار المنهج"؛ فالحياة ليست ملكاً للكافرين وإن ملكوا القوة، بل هي ملك لخالقها الذي يجددها بكلمة "أنشأنا" كلما فسدت. بهذا المعنى، تظهر الآيات أن الكون ليس ساحة للفوضى، بل هو "بناء" محكم، يُرمم نفسه بالاستبدال، ويحمي نفسه بالسنن، ويستمر بالهداية المتواترة.

المفهوم الرابع

أن ربط هذه السنن الكونية بكيفية بناء "المجتمعات الحيوية" التي تتجنب الوصول إلى "الأجل" المهلك من خلال الوعي الفكري هو من أهم ما تدعونا إليه الإله حيث أنه بناءً على هذا التسلسل الفكري، يمكننا صياغة نموذج لـ "المجتمع الحيوي" الذي يتجنب الوصول إلى "الأجل المهلك" (الانهيار الحضاري) (من خلال استلهام السنن الواردة في الآيات، وتحويلها إلى استراتيجيات وعي مجتمعي:

1. استمرارية التجديد) ضد الركود(

المجتمع الحيوي هو الذي يمارس "الإنشاء" الذاتي المستمر ولا ينتظر "الاستبدال" الكوني.

* الوعي الفكري: بدلاً من التمسك بالأنماط القديمة التي أثبتت فشلها، يتبنى المجتمع عقلية {أنشأنا}، أي القدرة على ابتكار حلول جديدة، وتطوير المؤسسات، وتحديث الخطاب المعرفي بما يتناسب مع تحديات العصر.

* التنمية البشرية: رعاية الأجيال الجديدة وتدريبهم على "النشوء" المستقل والفعال، وليس مجرد التبعية للماضي.

2. اليقظة لـ "مؤشرات الأجل") الوقاية من الانهيار(

كما أن للأمم أجلاً ينتهي بالطغيان والتكذيب، فإن المجتمعات الذكية ترصد "الأعراض" قبل الوصول للنهاية.

* الإدارة المجتمعية: مراقبة مؤشرات الفساد، والظلم، والجمود الفكري. قوله تعالى {ما تسبق من أمة أجّلها} يعلمنا أن الوقت عامل حاسم؛ فالمجتمع الذي لا يصلح نفسه يستهلك وقته المسموح به تاريخياً.

* التوعية الفكرية: بناء "نظام إنذار مبكر" قيمي وأخلاقي يحذر المجتمع عندما يبدأ في اتباع مسارات الأمم التي صارت "أحاديث".

3. الانفتاح على "تواتر الهداية") التعلم المستمر(

مفهوم {تنزراً} يعني أن الحقائق والفرص تأتي متتابعة.

* النمو المعرفي: المجتمع الحيوي لا يغلق أبوابه أمام "الرسائل" التنويرية أو المصلحين. التواتر هنا يعني الانفتاح على الحكمة والعلم أينما وجدا، واعتبار أن كل "رسالة" هي فرصة للنجاة والارتقاء.
* التطبيق: تشجيع البحث العلمي، وحرية الفكر المسؤول، والاستماع لصوت العقل والحكمة في إدارة الشؤون العامة.

4. التحرر من "عقلية الأتباع" الاستقلال الحضاري

الآية ذمت الذين أتبع بعضهم ببعض في الضلال { فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا }.
* التنمية الاجتماعية: بناء فرد يمتلك "الوعي الناقد"، لا يساق خلف الإشاعات أو الموضات الفكرية الهدامة. المجتمع الحيوي يتكون من أفراد واعين بمسؤوليتهم الفردية، مما يمنع "السقوط الجماعي" الذي حدث للأمم السابقة.

دليل العمل للمجتمع الواعي) قائمة تفقد:

* التجديد: هل تطور أدواتنا المعرفية والإدارية بانتظام؟ مفهوم الإنشاء.
* التوقيت: هل نستثمر "أجلنا" الزمني في البناء أم في الهدر؟ مفهوم الأجل.
* الاستجابة: كيف نتعامل مع المصلحين والأفكار التصحيحية؟ مفهوم تترا.
* الأثر: هل نحن "قدوة" للعالم أم نكاد نحول إلى "عبرة"؟ مفهوم الأحاديث.
بهذا نكون قد حولنا النص القرآني من "قصص تاريخي" إلى "منهج حياة" لبناء الإنسان والمجتمع ثانياً .

ترسخ الآية 43 من سورة المؤمنون: { مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ } {عقيدة "الأجل المسمى" بأسلوب بياني قاطع، يحرر النفس البشرية من أوهام القلق المادي والوجودي.
إليك تحليل دقيق لكيفية ترسيخ هذا المفهوم وأثره التربوي والنفسي:

أولاً : دلالة الآية على انفراد الله بالأجل

* صيغة النفي والاستغراق { مَا ... مِنْ }:

* دخول حرف الجر الزائد "من" على كلمة "أمة" يفيد الاستغراق الشمول؛ أي لا توجد أمة واحدة، مهما بلغت قوتها أو ضعفها، تشذ عن هذا القانون. هذا يقطع الطريق أمام أي اعتقاد بأن "المصادفة" أو "التدبير البشري المحض" يمكن أن يغير موعد النهاية.
* المقابلة بين "تسبق" و"يستأخرون":

* هذا التقابل اللغوي يحصر الحركة الزمنية في نقطة واحدة ثابتة هي "الأجل الإلهي". فلا المعصية والطغيان) رغم استحقاقهما للعقوبة (يُعجلان النهاية قبل وقتها المقدر لحكمة الله، ولا الطاعة أو الترف يحميان الأمة من السقوط إذا جاء أجلها.

* اللمسة البيانية في "أجلها":

* إضافة الأجل إلى "الأمة" تشير إلى أن لكل كيان فرد، أو مؤسسة، أو أمة ("شفرة زمنية" خاصة به في علم الله، لا تتبدل بتبدل الأحوال المادية.

ثانياً: أثر هذا اليقين في نفس المؤمن) التنمية الذاتية)

هذا اليقين ليس مجرد معلومة ذهنية، بل هو "قوة تحريرية" تؤثر في سلوك المؤمن تجاه المستقبل و الرزق:

1. تحطيم صنم الخوف من المستقبل

* السكينة النفسية: حين يدرك المؤمن أن "الأجل" محكوم بقانون إلهي لا يخضع للأهواء البشرية، يزول عنه القلق الوجودي. فلا يخشى تقلبات السياسة أو الحروب أو الأزمات خشية تقعده عن العمل، بل يطمئن إلى أن بقاءه مرهون بمراد الله وحده.

* الشجاعة في الحق: هذا اليقين يمنح المؤمن "شجاعة أدبية"؛ فهو لا يخشى من قول الحق أو اتخاذ مواقف مبدئية خوفاً على حياته، لأنه يعلم أن أحداً لا يملك تقديم أجله ثانية واحدة.

2. التحرر من ذل الخوف على الرزق

* الرزق قريب الأجل: في الفكر الإسلامي، الرزق والأجل توأمان؛ لا ينتهي أحدهما قبل الآخر. اليقين بـ { مَا تَسْبِقُ } ... يجعل المؤمن يوقن أن رزقه المكتوب سيصله طالما أن أجله باق.

* النزاهة والكرامة: هذا اليقين يمنع الإنسان من التنازل عن مبادئه أو سلوك طرق غير مشروعة (كظلم الآخرين أو الرشوة (طلباً للرزق، فما قدر له سيأتيه في أجله المرسوم.

3. التوازن بين العمل والتوكل) بناء الإنسان)

* بدلاً من "الهلع" من المستقبل، يتحول المؤمن إلى "التخطيط" للمستقبل. هو يدرك أن الأجل بيد الله، لكن "عمارة الأرض" مأمور بها. هذا اليقين يصنع شخصية "هادئة ومنتجة" في آن واحد؛ تعمل بجد وكأنها تعيش أبداً، وتطمئن للقدر وكأنها تموت غداً.

ثالثاً: الرسائل التربوية والتوعوية الفكرية

* توجيه فكري: الآية تربّي فينا "عزة النفس"؛ فمن آمن بأن أجله بيد الله، سجد قلبه لله وحده وتحرر من السجود للأسباب المادية أو الأشخاص.

* فائدة تربوية: تعلم الشباب أن النجاح والفشل، والبقاء والفناء، ليست بأيدي البشر مهما تجبروا، مما ينمي لديهم روح المبادرة والابتكار دون خوف من الفشل.

بهذا اليقين، يتحول المؤمن من "ريشة في مهب الريح" إلى "جبل راسخ" يواجه تقلبات الحياة بقلب مطمئن وعقل مفكر.

الدرس الثاني

كيف تطبيق هذا المفهوم في مواجهه ضغوط الحياه اليومية، بناءً على هذه القيم الإيمانية؟

إليك "برنامج اليقين العملي" المستنبط من الآية 43 من سورة المؤمنون، وهو مصمم ليكون تدريباً يومياً للعقل والنفس لمواجهة ضغوط الحياة) المستقبل والرزق (بروح إيمانية صلبة: 1.تمرين "تحرير الإرادة") صباحاً)

عند بداية يومك، استحضر حقيقة { ما تسبقُ من أمة أجلاًها):

* القناعة الذهنية: قل لنفسك: "سأبذل قصاري جهدي اليوم في عملي وسعيي، لكنني أوقن أن أحداً في الكون لا يملك تقديم موعد نهاية رزقي أو حياتي ثانية واحدة".

* الأثر التربوي: هذا يمنحك "شجاعة المبادرة". بالخوف من الفشل أو الفقر غالباً ما ينبع من وهم أن البشر يملكون مفاتيح أقدارنا.

2.تقنية "إدارة القلق") عند الأزمات)

عندما تواجه تهديداً في رزقك أو قلقاً من تقلبات الواقع:

* الاسترجاع البياني: تذكر المقابلة في الآية { ما تسبقُ ...وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ.}

* التطبيق الفكري: اسأل نفسك: "هل يملك هذا التحدي أن يغير القدر المكتوب؟". إذا كانت الإجابة (لا)، فإن القلق الزائد هو طاقة مهددة. وجه هذه الطاقة نحو "البحث عن الحلول" بدلاً من "اجترار المخاوف".

3.بناء "الأثر المستدام") التوعية الفكرية)

بناءً على مفهوم تحول الأمم إلى {أحادية:}

* المهمة اليومية: اجعل هدفك ألا يمر يومك دون غرس قيمة أو إنجاز عمل يبقى أثره.

* الفائدة التربوية: بدلاً من الانشغال بـ "متى ينتهي الأجل؟"، انشغل بـ "كيف سأملأ هذا الأجل؟". هذا يحول التركيز من "الخوف من الموت" إلى "إتقان الحياة".

4/اللمسه البيانية كورد يومي

ردد الآية بتدبر وتوقف عند حرف) من (في قوله) من أمة:}

* استشعر أن هذا الحرف "يستغرق" كل مخاوفك ويشملها بالرعاية الإلهية. لا يوجد استثناء لقانون الله. هذا يمنحك "الحصانة الفكرية" ضد الإشاعات والمخاوف الجماعية التي تسيطر على المجتمعات في الأزمات.

الخلاصة للنمو الشخصي:

>من استقر في قلبه أن الآجال مضروبة، وأن الأرزاق مقسومة، استراح من عناء التدبير الزائد، وتفرغ لجميل العبودية وعظيم الإعمار"

بهذا البرنامج، نكون قد حولنا "علم العقيدة" إلى "فن للعيش" بكرامة وطمأنينة.

الدرس الثالث

الحكمه من ارسال الرسل متتابعين ؟ ودلاله ذلك على. رحمه الله بالعباد

تنجلي الحكمة الإلهية في تتابع الرسل) تترا (كواحدة من أعظم سنن الله في خذلان الباطل وإقامة الحجة، وهي تحمل في طياتها أبعاداً تربوية وفكرية عميقة:

1.الحكمة من إرسال الرسل متتابعين) تترا(}

* تجديد العهد: طبيعة النفس البشرية تميل إلى النسيان والغفلة، فكان تتابع الرسل "تترا") واحداً تلو الآخر بانتظام (يعمل كعملية "صيانة روحية وفكرية" مستمرة للمجتمعات.

* إقامة الحجة البالغة: لكي لا يكون للناس على الله حجة، فإن تتابع الرسل يقطع كل المعاذير. فإذا كذبت أمة رسولا ، جاءها آخر ليؤكد نفس الحق بأسلوب أو معجزة تناسب تطورها العقلي.

* تراكم المنهج: كل رسول كان يضع لبنة في بناء الأخلاق والتشريع حتى اكتمل البناء، مما يعلم الإنسان قيمة "التراكم المعرفي" في البناء الحضاري.

2.دلالة التتابع على رحمة الله

* عدم العجلة بالعقوبة: من رحمة الله أنه لم يهلك الأمم فور أول تكذيب، بل أرسل الرسل تترى ليعطي الناس فرصاً متكررة للتوبة والمراجعة.

* مراعاة الفروق الزمانية: الله يرسل لكل أمة رسولا منها بلسانها وبيانها، وهذا القرب والتتابع يجسد رعاية الخالق لخلقهم وعدم تركهم يتخبطون في ظلمات الجهل.

* الإمداد المستمر: كما يمد الله الأبدان بالأرزاق المادية بانتظام، يمد الأرواح بالأرزاق الإيمانية (الرسل) بانتظام، فالرحمة تقتضي ألا ينقطع "نور الهداية".

3.وصف مشهد الهلاك المتتابع) فأتبعنا بعضهم بعضاً(}

يرسم القرآن هنا مشهداً مهيباً يسمى في علم الاجتماع بـ "تداعي الانهيار":

* التتابع القهري: لفظ "فأتبعنا") مع حرف الفاء الذي يفيد السرعة والترتيب (يصور الهلاك وكأنه

سلسلة متصلة؛ بمجرد أن تكتمل أسباب السقوط في أمة، تلحق بالأمة التي قبلها.
* وحدة المصير: تشابهت قلوبهم في التكذيب، فتشابهت نهايتهم في الإهلاك. المشهد يبرز أن القوة المادية) حصون، جيوش (لم تستطع كسر هذه السلسلة أو تأخير "الأجل".
* التلاشي المعنوي: ينتهي المشهد بقوله { وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ }، وهو وصف بليغ للتحويل من "كيان فاعل ومؤثر" إلى "أثر بعد عين"، حيث تمحى هيبتهم ولا يبقى منهم إلا قصص تروى، وهذا قمة الإذلال للهالكين.

4. العبرة المستفادة من كفر الأمم رغم وضوح الحق
لماذا كذبوا والرسول تنرا والحق واضح؟ هنا تكمن التوعية الفكرية العميقة:
* خطر "عقلية المستفيد": غالباً ما كان "الملا" أصحاب النفوذ (هم المحرضين على التكذيب لأن الحق يهدد مصالحهم الظالمة. العبرة هي أن المصلحة الشخصية قد تعمي العقل عن أوضح الحقائق.
* التقليد الأعمى (التبعية): اتباع الأجيال لبعضها في الضلال دون فحص أو نقد يعلمنا أن "الأغلبية" ليست دائماً على صواب، وأن الاستقلال الفكري هو طوق النجاة.
* الغرور بالمادة: ظنت تلك الأمم أن قوتها المادية ستحميها من السنن الكونية. العبرة المستفادة هي أن الارتقاء التقني دون ارتقاء أخلاقي هو انتحار حضاري حتمي.
خلاصة تربوية وقيادية:

الرسالة الموجهة إليك اليوم من هذه الآيات: "لا تكن حديثاً للعبرة، بل كن أثراً للقدوة". الحق واضح، و الفرص تنرا، والزمن) الأجل (محدود، فالسعيد من اتعظ بغيره ولم يتبع "سنن الهالكين".
الدرس الرابع

كيفية تحويل هذه العبر إلى "خارطة قيم" يمكن غرسها في الجيل الناشئ لحمايتهم من الوقوع في فخ التبعية الفكرية؟
إليك "خارطة القيم الحضارية" المستخلصة من تتابع الرسل وهلاك الأمم، وهي مصاغة بأسلوب تربوي ومنهجي يهدف لحماية الوعي الفكري وبناء الشخصية المستقلة:
1. قيمة "البقظة الفكرية" ضد التقليد الأعمى)
* المنطلق: ذم الله للأمم التي اتبعت بعضها في التكذيب { فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا }.
* الرسالة للجيل: "لا تكن مجرد صدى لغيرك". شجعهم على التفكير الناقد وسؤال) لماذا؟ (قبل اتباع أي موجة فكرية أو سلوكية سائدة.

* الهدف: حماية الإنسان من "عقلية القطيع" التي تؤدي للهلاك الجماعي.
2. قيمة "الاستجابة للمصلحين" فقه تنرا)
* المنطلق: إرسال الرسل { تنرا } دلالة على تجدد فرص الإصلاح.
* الرسالة للجيل: "الحق لا يغيب، لكنه يحتاج لقلب يستمع". علمهم أن يقدرُوا قيمة النصيحة و المصلحين في حياتهم، وألا يرفضوا فكرة لمجرد أنها تخالف هواهم.
* الهدف: غرس التواضع المعرفي والقدرة على التعلم المستمر من "رسائل" القدر والحياة.

3. قيمة "المسؤولية عن الأثر" صناعة القدوة)
* المنطلق: التحذير من التحويل إلى { أَحَادِيثَ } للعبرة السلبية.
* الرسالة للجيل: "أنت تبني سيرتك الذاتية للتاريخ منذ الآن". اسألهم: كيف تحب أن يتحدث الناس عنك؟ هل كبناء ومصلح أم كعابر بلا أثر؟
* الهدف: ربط السلوك الشخصي بسمعة الإنسان وأثره الباقي، مما يعزز الرقابة الذاتية.

4. قيمة "احترام القوانين الكونية" فهم الأجل)
* المنطلق: حتمية الأجل { ما تسبق من أمة أجلها }.
* الرسالة للجيل: "الكون محكوم بنظام، والنجاح له قوانين". علمهم أن القوة المادية والذكاء لا يكفيان إذا لم يقترنا بالأخلاق والعدل، لأن غياب القيم يعجل بـ "أجل" المشاريع والدول.
* الهدف: بناء جيل يحترم النظام ويؤمن بأن العدل هو أساس البقاء الحضاري.

5. قيمة "الأمل والعمل" رحمة النشوء)
* المنطلق: قوله تعالى { أنشأنا } بعد الهلاك.
* الرسالة للجيل: "الحياة دائماً تمنح فرصة للبداية من جديد". مهما فشل السابقون، فلديك القدرة (بإذن الله (على "إنشاء" واقع أفضل.
* الهدف: محاربة اليأس والإحباط، وزرع روح المبادرة في مواجهة التحديات الكبرى.

كيفية غرس هذه الخارطة) توجيهات عملية):
* المناقشة القصصية: استخدم قصص الأمم السابقة كحالات دراسية لتحليل أسباب السقوط وعوامل النجاح.

* ربط السنن بالواقع: عند رؤية انهيار مؤسسة أو نجاح شخص، اربط ذلك بسنن "الأجل" و"الأثر" و"لاستجابة للحق".

* القدوة الحية: كن أنت النموذج في "الاستقلال الفكري" و"احترام الوقت" و"الصدق"، ليرى الجيل هذه القيم متجسدة في سلوكك.

بهذا نكون قد حولنا دروس "سورة المؤمنون" إلى درع فكري يحمي الجيل الناشئ ويبني فيه روح القيادة والإصلاح

الأمر الخامس

يعتبر مفهوم "ثبات السنن الإلهية" من أهم القواعد الكونية التي أرستها الآيات (42) - (44) من سورة المؤمنون. فالله سبحانه وتعالى لا يدير الكون بالمصادفة أو العبث، بل وفق قوانين (سنن) صارمة، لا تحابي أحداً، ولا تتغير بتغير الأزمان.

إليك شرح هذا المفهوم والدروس المستفادة منه على ضوء الآيات:

أولاً: مفهوم ثبات السنن لا تتبدل ولا تتخلف)

* حتمية الأجل المسمى ما تسبق من أمة أجلها:

* الآية تؤكد أن سقوط الحضارات أو بقاءها ليس أمراً عشوائياً. هناك "قانون للأجل"؛ فمتى استوفت الأمة أسباب هلاكها) بالظلم والتكذيب، حان أجلها. لا يمكن للقوة المادية أن "تؤخر" هذا القدر، ولا يمكن للعدوان أن "يعجله" قبل أوانه الذي قدره الله بعلمه المحيط.

* ارتباط النتائج بالمقدمات {فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا}:

* هنا تبرز سنة "التماثل"؛ فما دام التكذيب واحداً، فإن النتيجة) الهلاك (ستكون واحدة. هذه السنة لا تتبدل؛ فكل من سلك طريق المستكبرين سيصل حتماً إلى مآلهم، مهما اختلف شكل التكنولوجيا أو القوة التي يمتلكها.

* التواتر وسقوط الحجة {تثراً}:

* سنة الله في "الإعذار قبل العقوبة" ثابتة؛ فلا إهلاك إلا بعد إرسال البينات. هذا التواتر يقطع أي ادعاء بالجهل، ويثبت أن قانون المحاسبة الإلهي قائم على العدل المطلق الذي لا يتخلف.

ثانياً: الدروس والعبر المستفادة

1. التحرر من الانبهار بالقوة الزائلة

* العبرة: رؤية الأمم القوية وهي تتحول إلى {أحاديث} {تعلم المؤمن ألا يندفع ببريق القوة المادية الظالمة. فالثبات الحقيقي ليس لمن يملك السلاح أو المال، بل لمن يتبع "المنهج" الذي يضمن البقاء الحضاري.

2. زرع روح الطمأنينة واليقين

* العبرة: عندما تعلم أن السنن "لا تتخلف"، فإنك تطمئن إلى عدل الله. المظلوم يوقن أن للظالم "أجراً" لا "لا يسبقه، والمصلح يوقن أن جهده) وإن كذب (هو جزء من سلسلة {تثراً} التي لا يضيع أجرها عند الله.

3. فقه المسؤولية الفردية والجماعية

* العبرة: السنن الإلهية تضع الإنسان أمام مسؤوليته. إذا أردنا النجاة من "الأجل المهلك"، فعلينا ألا نتبع خطوات من صاروا "أحاديث". السلوك الجماعي للمجتمع هو الذي يحدد سرعة اقترابه أو ابتعاده عن منطقة الخطر.

4. الاعتبار بالتاريخ كعلم ضروري

* العبرة: تحول الأمم إلى "أحاديث" يجعل من دراسة التاريخ ضرورة شرعية وعقلية. المؤمن الحقيقي هو "قارئ جيد للتاريخ" ليستنبط منه مواضع الزلل ويتجنبها في حاضره ومستقبله.

ثالثاً: التنمية الفكرية) التنمية المستدامة بالقيم)

* الآيات توجهنا إلى أن "التنمية الحقيقية" ليست في تكديس الأموال أو الحصون، بل في بناء أمة "تؤمن" وتتبع الحق. فالأمة المؤمنة هي التي "تنشأ" لتبقى وتعمر، بينما الأمة المكذبة هي التي تنشأ لتمهد الطريق لغيرها بعد زوالها.

>الخلاصة: السنن الإلهية هي "بوصلة" الإنسان في هذا الكون؛ فمن سار معها ارتقى، ومن صادمها تحطم وتحول إلى "حديث" يروى للانعاط.

القسم الرابع

تنتقل سياق النصوص من الحديث العام عن الأمم إلى قصة موسى وهارون عليهما السلام مع فرعون وملئه:

فقال تعالى

{ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (45) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ (46) فَقَالُوا أَأَتُومِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ (47) فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ (48) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (49)}

اولاً نظرة تحليلية أولية (تمهيد للبحث):

* مفهوم "السلطان المبين": تبرز الآية 45 أن القوة الحقيقية ليست في السلاح أو الجاه، بل في "الحجة والبرهان" المؤيد من الله، وهو ما يخدم بناء الشخصية القيادية الواثقة بمبادئها.

* سيكولوجية الاستكبار: في قوله {وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ}، إشارة إلى أن العلو النفسي والطبقية الا اجتماعية (الاستعباد) هما أكبر عوائق الهداية والتنمية البشرية.

* المنطق المادي القاصر: قوله {أَتُومِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا} يعكس تكرار نفس الفكر المنحرف الذي مر في ا

لآيات السابقة (التركيز على المادة وإهمال الجوهر)، وهو ما نحاربه في التوعية الفكرية.
ثانياً :- التحليل التفصيلي ولمنهجي للآيات (45-49) من سورة المؤمنون، حيث تفكك كل آية إلى فقراتها ومفاهيمها، ونربطها بالبناء الإنساني واللمسات البيانية وأحكام التجويد :

الآية (45): {ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبينٍ}

1. مفهوم "البعثة التكاملية" (موسى وأخاه هارون):

* المفهوم والرسالة: تجسد الفقرة أهمية "العمل الجماعي" وتكامل المهارات في القيادة. موسى (صاحب الحزم) وهارون (صاحب الفصاحة والبيان).

* بناء الشخصية: تعطي درساً في التواضع القيادي؛ فالقائد الناجح يطلب الدعم ويقدر كفاءة الآخريين لضمان نجاح الرسالة.

* اللمسة البيانية: ذكر هارون مع موسى بلفظ "أخاه" يضفي لمسة نفسية من الحنو والسكينة في مواجهة الطغيان، مما يبرز أهمية "الدعم النفسي" في المهام الشاقة.

* التجويد والمعنى: المد في {بِآيَاتِنَا} يمد الصوت، مما يعطي إيحاءً بعظمة الأدلة واتساع نطاقها، وكأن الصوت الممدود يهيئ النفس لاستقبال الحقائق الكبرى.

2. مفهوم "السلطان المبين" (الشرعية والحجة):

* المفهوم والرسالة: السلطان هنا ليس القوة العسكرية، بل هو "قوة المنطق والبرهان".

* التنمية الفكرية: بناء الإنسان يعتمد على "الحجة الواضحة" (مبين). الإنسان الواعي هو من لا يقبل الأفكار إلا بسلطان وبرهان لا يقبل الشك.

* اللمسة البيانية: تنكير {سُلْطَانٍ} للتعظيم، ووصفه بـ {مُبينٍ} (اسم فاعل) يوحي بأن الحق هو الذي يبين نفسه بنفسه، لا يحتاج لتكلف.

* التجويد والمعنى: إدغام التنوين في الميم في {سُلْطَانٍ مُّبينٍ} بـ (غنة كاملة) يحدث صوتاً رخيماً متصلاً، يخدم فكرة استقرار الحجة وهدوئها الذي يسبق العاصفة.

الآية (46): {إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ فَأَسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ}

1. مفهوم "الاستكبار المؤسسي" (فرعون وملئه):

* المفهوم والرسالة: التحذير من تحالف (القوة والبطانة الفاسدة). الاستكبار هنا هو "مرض فكري" يمنع الإنسان من رؤية الواقع.

* الدرس النفسي: الاستكبار ناتج عن شعور بالنقص يغطي بـ "العلو الزائف". التزكية تقتضي التخلص من هذا الشعور لقبول الحق.

* اللمسة البيانية: استخدام الفاء في {فَأَسْتَكْبَرُوا} تدل على سرعة استجابة هؤلاء للباطل بمجرد رؤية الحق، وهو ما يسمى في علم النفس بـ "الدفاعات النفسية الراضية للتغيير".

2. مفهوم "العلو المقيت" (قوما عالين):

* المفهوم والرسالة: العلو هنا هو الطبقية والاستعلاء على الناس.

* بناء الشخصية: التنمية البشرية الإسلامية تقوم على "التواضع المثمر"؛ فالعلو الحقيقي هو علو القيمة لا علو الجاه.

* التجويد والمعنى: المد الطبيعي في {عَالِينَ} يعطي نبرة صوتية حادة في النطق، تتناسب مع صفة "التعالي" والغطرسة التي اتسم بها هؤلاء.

الآية (47): {فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ}

1. مفهوم "السطحية المعرفية" (لبشرين مثلنا):

* المفهوم والرسالة: حصر التقييم في "المادة والجسد" وإهمال "الرسالة والفكر".

* التوعية الفكرية: التحذير من تقييم الأفكار بناءً على (قائلها) بدلاً من (محتواها). فرعون قيد نفسه في حدود "البشرية" ولم ينفذ إلى "الحقيقة".

* اللمسة البيانية: الاستفهام في {أَتُؤْمِنُ} هو استفهام إنكاري استعلائي، يظهر مدى ضيق الأفق المعرفي لديهم.

2. مفهوم "الاستعباد والاستعلاء الطبقي" (لنا عابدون):

* المفهوم والرسالة: استعباد الناس يفسد فكر المستعبد والمستعبد.

* التنمية الاجتماعية: المجتمع المنتج هو الذي يتحرر من "التبعية المذلة". فرعون استدل باستعباده لبني إسرائيل على بطلان رسالة موسى، وهذا قمة التضليل الفكري.

الآية (48): {فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ}

1. مفهوم "نتيجة الحتمية" (التكذيب والهلاك):

* المفهوم والرسالة: الربط بين القرار (التكذيب) والمصير (الهلاك).

* بناء الشخصية: الإنسان مسؤول عن اختياراته. الهلاك هنا ليس قدرًا مفاجئًا، بل هو نتيجة طبيعية لاختيارات فكرية خاطئة.

* اللمسة البيانية: {فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ} لم يقل "فأهلكناهم" مباشرة هنا، بل "كانوا منهم"، وكأنهم بقرارهم التكديبي حجزوا مكاناً مسبقاً في زمرة الهالكين بسنن الله التي لا تتبدل.

الآية (49): {ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون}

1. مفهوم "الهداية المرجعية" (آتينا موسى الكتاب):
 - * المفهوم والرسالة: أهمية وجود "دستور أو مرجع" (الكتاب) لضبط حركة المجتمع.
 - * التنمية الفكرية: الوعي يحتاج لمرجعية علمية وأخلاقية. "الكتاب" هو الأداة التي تنقل الإنسان من الفوضى إلى الهداية والنظام.
 - * اللمة البانية: {ولقد} لتحقيق والتوكيد، مما يرسخ فكرة أن العطاء الإلهي (الكتاب) هو الحقيقة الباقية بعد هلاك الطغاة.
 - * أحكام التجويد والمعنى: الوقف على {يَهْتَدُونَ} بمد عارض للسكون يوحى بالاستقرار والسكينة، فالهدف النهائي من كل هذا الصراع هو "الاستقرار في الهداية".

ملخص بنائي لهذه الآيات:

هذه الآيات تبني الإنسان من خلال:-

تحذيره من "ثلاثي السقوط الحضاري":

* الاستكبار النفسي (فرعون).

* الجمود الفكري (النظر للبشرية وترك الرسالة).

* الظلم الاجتماعي (استعباد الناس).

وتقدم "ثلاثي النجاح":

* العمل الجماعي المتكامل (موسى وهارون).

* قوة الحجة والبرهان (السلطان المبين).

* المرجعية الأخلاقية الثابتة (الكتاب).

المبحث الأول

في هذا المبحث سوف نقوم بتحليل الآية ٤٥ من سورة المؤمنون وربطها بالواقع الحضاري والسنن الإلهية في مواجهة الظلم:

أولاً: دلالة {ثم} التراخية في إرسال الرسل (البعد الزمني والمكاني)

* التراخي كفترة "اختبار وإمهال":

* حرف {ثم} في قوله {ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى} يفيد الترتيب مع التراخي الزمني. هذا التراخي ليس "فراغاً"، بل هو "زمن الاستخلاف" الذي يُعطى للأمم (مثل قوم نوح وهود وصالح) لتمحيص قدرتها على الإصلاح الذاتي قبل تدخل السماء برسول جديد.

* التدرج في الحجة:

* الانتقال بـ {ثم} من نوح وهود وصولاً إلى موسى، يشير إلى أن الله لا يعاجل البشرية بالرسالات دفعة واحدة، بل يرسلها وفق "سياق نضج العقل البشري". فكل فترة "تراخٍ" هي مساحة زمنية لترسيخ ما سبق، وتهينة النفس لما سيأتي من شرائع أكثر تفصيلاً (مثل الكتاب الذي أوتي لموسى).

ثانياً: مواجهة الظالمين بين "الإمهال" و"الإهمال"

ترتبط الآية بين حتمية المواجهة وبين سعة الصبر الإلهي من خلال مفهومين:

* قانون "تراكم الطغيان":

* دلالة {ثم} توضح أن الله يمهّل الظالمين (فرعون وملأه) لتقوم عليهم الحجة تلو الحجة. هذا الإمهال ليس إهمالاً، بل هو لاستنفاد كافة فرص الهداية، حتى إذا جاء العقاب كان عدلاً محضاً.

* التراخي كفرصة للنجاة:

* الفاصل الزمني بين الرسل يعطي الأمم فرصة للاتعاظ بمصير من سبقهم (قوم نوح وعاد). فإذا أصروا على التكذيب رغم "التراخي" الزمني الذي سمح بنشر أخبار الهالكين، استحقوا الهلاك التلقائي وفق سنة {فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا}.

ثالثاً: أقسام الحضارات على ضوء استقبال الوحي

وفقاً للسياق القرآني في هذه الآيات، تنقسم الحضارات إلى قسمين جوهريين:

1. الحضارة "الشرعية" (حضارة الهداية والمنهج)

* تعريفها: هي التي تستقبل الوحي بـ "التصديق العملي" وتعتبر "الكتاب" مرجعاً حاكماً لسلوكها.

* سماتها:

* تقوم على {سلطان مبين} (قوة الحجة لا حجة القوة).

* تهدف إلى {يَهْتَدُونَ} (الاستقرار النفسي والاجتماعي).

* توازن بين "بشرية" الرسول وعظمة "الرسالة".

2. الحضارة "المادية" (حضارة الاستكبار والعلو)

* تعريفها: هي التي تستقبل الوحي بـ "القياس المادي" وترفضه لتعارضه مع مصالح "الملا".

* سماتها:

* الاستكبار: {فَاسْتَكْبَرُوا}؛ أي رؤية الذات فوق القانون الإلهي.
* العلو المادي: {قَوْمًا عَالِينَ}؛ الاعتماد على القوة العسكرية والاقتصادية كبديل عن الأخلاق.
* السطحية الإدراكية: {لَيْشَرَيْنْ مِثْلُنَا}؛ العجز عن رؤية ما وراء المادة، مما يحول الحضارة إلى جسد بلا روح.

الدروس والعبر (البناء الفكري):
* للفرد: تعلم أن "التأخير" في النتائج (دلالة ثم) ليس حرماناً، بل هو "زمن إعداد".
* للمجتمع: الحضارة التي ترفض "سلطان العلم" (الوحي) وتتمسك بـ "سلطان الجاه" (فرعون) هي حضارة محكوم عليها بالتحول إلى "أحاديث" للتاريخ.
* للقائد: السلطة التي لا تستند إلى "كتاب" (منهج قيمي) تنتهي حتماً إلى "استعباد" الناس ((لَنَا عَابِدُونَ))، وهو مؤشر السقوط الوشيك.
ثالثاً: ربط هذه الشخصيات (موسى وفرعون) بنماذج معاصرة في الإدارة والقيادة من منظور "علم النفس الاجتماعي"؟

أن دراسة الصراع بين موسى (القائد الرسالي) وفرعون (القائد المتسلط) من منظور علم النفس الاجتماعي تكشف لنا أبعاداً مذهلة في إدارة المؤسسات والمجتمعات المعاصرة. إليك الربط التحليلي:
1. نموذج "القيادة التكاملية" (موسى وهارون) مقابل "القيادة الأحادية" (فرعون)
* التحليل النفسي: موسى عليه السلام طلب هارون وزيراً له لأنه أدرك فجوة مهارية (الفصاحة و البيان)، وهذا ما يسمى في الإدارة الحديثة بـ "الذكاء الاجتماعي وتكامل الكفايات".
* المفهوم المعاصر: القائد الناجح اليوم لا يمتلك كل الحلول، بل يحيط نفسه بمن يكمل نقصه. في المقابل، يمثل فرعون "القيادة النرجسية" التي لا ترى إلا رأيها ((مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى))، وهي قيادة تقتل الابتكار وتؤدي لانحياز المنظمة.
* الرسالة التربوية: علموا الأجيال أن "قوة الفريق" أهم من "قوة الفرد"، وأن الاعتراف بنقاط الضعف هو قمة القوة القيادية.

2. سيكولوجية "الملا" (البطانة والبيئة التنظيمية)
* التحليل النفسي: قوله تعالى {إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَتْهُ} يبرز دور "الحاشية" في تعزيز الاستكبار. في علم النفس الاجتماعي، يُسمى هذا "تفكير القطيع" حيث يوافق الفريق القائد الطاغية لتجنب الصدام أو طمعا في المكاسب.
* التنمية البشرية: المؤسسات الفاشلة هي التي تمتلك "ملا" يُنافق القائد، بينما المؤسسات الحيوية هي التي تفتح باب النقد البناء.
* اللمسة البيانية: تقديم فرعون على ملئه في الذكر يوضح مسؤولية القائد عن صناعة بيئة العمل؛ فالقائد المستبد يصنع بطانة مستبدة أو مهزوزة.

3. عائق "الإدراك المادي" (النظر للبشرية وترك الرسالة)
* التحليل النفسي: قولهم {أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا} يمثل "الانحياز الإدراكي"؛ حيث يتم الحكم على الفكرة بناءً على القشور (المظهر، المنصب، الثروة) وليس على الجوهر (البرهان).
* التوعية الفكرية: في عصرنا، هذا يشبه رفض الأفكار العلمية أو الإصلاحية لأن صاحبها لا يملك "لقباً" أو "ثروة". هذا الجمود الفكري يحرم المجتمعات من الكفاءات الحقيقية.

* 4. مفهوم "العلو الاجتماعي" والتبعية المذلة ((لَنَا عَابِدُونَ))
* التحليل النفسي: فرعون بنى شرعيته على "استحقاق الآخرين". علم النفس الاجتماعي يوضح أن النظام الذي يقوم على "الطبقة" و"الاستعباد" يحمل بذور هلاكه في داخله، لأنه يقتل دافعية العمل والإبداع لدى الأفراد.

* التنمية المستدامة: المجتمعات التي "تعيد" (تخضع) للأفراد لا يمكن أن تتطور. التنمية الحقيقية هي تحرير الإنسان ليكون "خالقاً للقيمة" لا "أسيراً للمنصب".

5. "الكتاب" كإطار مرجعي للثقافة المؤسسية ((أَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ))
* المفهوم المعاصر: الكتاب هنا يمثل "الدستور" أو "القيم الحاكمة". بعد زوال الطغاة، لا بد من "نظام" يجمع الناس.

* الرسالة القيادية: القائد العظيم هو من يترك "نظاماً" يحكم من بعده، وليس "فراغاً" يؤدي للصراع. الهداية في الآية {لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ} هي الوصول لحالة الاستقرار الفكري والاجتماعي. الخلاصة للنمو الشخصي والمهني:
الآيات تقدم لنا "دليل النجاة المهني":

* كن "موسوياً" في تكامل فريقك ووضوح سلطانك (حجتك).
* احذر من "الفرعونية" في رؤيتك لنفسك أو تعاملك مع مرؤوسيك.
* اجعل "الكتاب" (القيم والمبادئ المكتوبة) هو مرجعك، وليس المزاج الشخصي.
رابعاً

بناءً على هذا الاستخلاص العميق للصراع بين المنهج الرسالي والمنهج الفرعوني، إليك "الخطة

التدريبية لتطوير الذكاء القيادي"، وهي مصممة لتكون دليلاً عملياً يُحول المفاهيم القرآنية إلى مهارات يومية:

برنامج: "القيادة بالآيات والسلطان"

المرحلة الأولى: هندسة التكامل) مفهوم موسى وهارون)

* المهارة: "تحديد الفجوات المهارية والاستعانة بالكفاءات".

* التطبيق العملي: قم بإجراء تحليل لشخصيتك. حدد نقطة ضعف تواصلية) مثل فصاحة هارون).

* التمرين: ابحث عن شريك عمل أو "وزير" يمتلك ما ينقصك. لا تحاول أن تكون "الرجل الخارق"، بل كن "القائد المكتمل بفريقه".

* الرسالة التربوية: التواضع القيادي هو أول خطوات "السلطان المبين".

المرحلة الثانية: بناء "السلطان المبين") مفهوم البرهان)

* المهارة: "الإقناع القائم على المنطق والحجة لا على المنصب".

* التطبيق العملي: في اجتماعاتك القادمة، استبدل جملة "أنا القائد وهذا قراري" بتقديم "آيات" (بيانات، أرقام، منطق سليم).

* اللبسة النفسية: السلطان المبين يمنع "الاستكبار" لدى الطرف الآخر؛ لأنه يواجه "حقيقة" ولا يواجه "شخصاً".

* الهدف: أن يكون كلامك {مُبين}؛ أي يفرض بوضوح الهداية على السامع.

المرحلة الثالثة: مكافحة "نرجسية العلو") مفهوم قوماً عالين)

* المهارة: "تفكيك النخبوية وبناء الجسور".

* التطبيق العملي: طبق سياسة "الباب المفتوح". فرعون كان في برج عاجي مع "ملئه". أنت انزل للقاعدة) الموظفين، الطلاب، الأهل).

* التوعية الفكرية: حطم مفهوم {لنا عابدون} {في بيتك}. اجعل المحرك للعمل هو "الإيمان بالفكرة" وليس "الخوف من العقاب".

* النتيجة: تحويل "التبعية المذلة" إلى "ولاء مؤسسي" قائم على الكرامة.

المرحلة الرابعة: المرجعية المعيارية) مفهوم الكتاب)

* المهارة: "الحوكمة والشفافية".

* التطبيق العملي: ضع "ميثاقاً" مكتوباً (دستوراً) للعمل أو للأسرة. لا تجعل القرارات مزاجية فرعونية.

* الرسالة القيادية: عندما يكون هناك "كتاب" (نظام)، يقل الجدل ويصبح الجميع {يَهْتَدُونَ} إلى مصلحة العمل المشتركة.

* الربط البياني: استخدام {ولقد} للتحقيق يعني أن النظام المكتوب هو "الحق المحقق" الذي يحمي الجميع.

المرحلة الخامسة: رصد "الاستكبار المؤسسي") مفهوم الملاء)

* المهارة: "إدارة البطانة والنقد البناء".

* التطبيق العملي: شجع "محامي الشيطان" (في فريقك) الشخص الذي ينقد الأفكار. (احذر من "الملاء" الذين يقولون لك "نعم" دائماً).

* التحليل النفسي: تذكر أن {فَاسْتَكْبَرُوا} كانت جماعية. احم نفسك من "عدوى الغرور الجماعي". قائمة التدقيق اليومية للقائد الواعي:

* هل طلبت المساعدة اليوم في أمر لا أجيد؟) منهج موسى).

* هل بنيت قراري على حجة واضحة أم على "أنا القائد؟) منهج السلطان المبين).

* هل تعاملت مع الآخرين كشركاء أم كأتباع؟) ضد منهج عابدون).

* هل التزمت بالنظام المكتوب اليوم؟) منهج الكتاب).

هذه الخطة تحولك من قائد "فرعوني" ماله الفشل، إلى قائد "موسوي" يحمل الكتاب ويهدي الناس إلى الحق والنجاح.

الدرس الثاني

دور الوحي كاداه تقويم للحضارات

يمكننا تحديد دور الوحي كأداة "تقويم حضاري" شاملة، وليس مجرد نصوص تعبدية.

إليك تحليل دور الوحي في إصلاح انحرافات الحضارة المادية ودلالة كونه رحمة:

أولاً: دور الوحي في إصلاح انحرافات الحضارة المادية

تعاني الحضارة المادية) نموذج فرعون وملئه (من ثلاثة انحرافات كبرى، يأتي الوحي بـ "سلطان مبين" لإصلاحها:

* إصلاح "انحراف الاستكبار") التواضع المعرفي):

* الانحراف: الحضارة المادية تكتفي بعلمها الظاهر وتستكبر عن الحق {فَاسْتَكْبَرُوا}.

* دور الوحي: يعيد الإنسان إلى حجمه الطبيعي أمام عظمة الخالق، ويقدم "مطلقاً" إلهياً يكسر "نسبية" الأهواء البشرية. الوحي هنا هو "المعيار الخارجي" الذي يمنع الحضارة من الانفلاق على ذاتها

وتأليه قوتها.

- * إصلاح "انحراف السطحية الإدراكية" النفاذ إلى الجوهر):
- * الانحراف: قصر النظر على المادة والوسائل {أُثْمِنُ لِيَشْرَيْنِ مِثْلًا}.
- * دور الوحي: ينقل الوعي من "عالم الأشياء" إلى "عالم الأفكار والسنن". الوحي يعلم الحضارة أن سر البقاء ليس في "بشرية" الحاكم أو قوة السلاح، بل في "قيم" الرسالة وحيوية المنهج.
- * إصلاح "انحراف الاستعباد" التحرير والعدالة):
- * الانحراف: تحويل الطاقات البشرية لخدمة النخبة {وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ}.
- * دور الوحي: يقرر أن "العبودية لله وحده" هي الضمانة الوحيدة لـ "حرية الإنسان". الوحي يفكك الأغلال الطبقية ويجعل "الكتاب" النظام والقانون الإلهي (فوق الجميع، مما يعيد الكرامة للإنسان كمحرك للتنمية لا كأداة استهلاك).
- ثانياً: دلالة اعتبار الوحي "رحمة" مفهوم لعلهم يهتدون)
- الوحي في الآية {49} لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ {ليس مجرد "أوامر"، بل هو "رحمة وقائية وعلاجية":
- * الرحمة في "التوقيت"} ثم {إرسال الرسل بعد فترات التراخي هو رحمة؛ لأنه إنقاذ للبشرية قبل أن تصل إلى "الأجل المهلك". الله لا يترك الحضارة لتدمير نفسها ذاتياً، بل يتدخل بالوحي كـ "حبل نجاة" متكرر.
- * الرحمة في "البيان"} سلطان مُبين {من رحمة الله أنه لم يترك الحق غامضاً، بل أيده بالبراهين الواضحة التي تحترم العقل البشري، مما يجعل الهداية اختياراً واعياً قائماً على القناعة لا الإكراه.
- * الرحمة في "المرجعية"} الكتاب {وجود "كتاب" مرجعي هو رحمة؛ لأنه ينهي التخبط الفكري والا اجتماعي. الكتاب يوفر "البوصلة" التي تمنع الحضارة من التيه في صحراء الماديات الجافة.
- ثالثاً: التوجيهات الفكرية لبناء الشخصية) تطبيق عملي)
- * نفسياً: المؤمن يدرك أن الوحي هو "أمانه النفسي"؛ فبقدر استمساكه بالوحي، يتحرر من الخوف من تقلبات المادة) رزقاً أو مستقبلاً .
- * بنائياً: عليك عند القيام بأي مشروع ان تبحر عن أداة لإصلاح انحرافات العشوائية. فكما أن الوحي ينظم الحضارة، فإن المنهج المنضبط ينظم الفكر والورق وينظم الأعمال في كافة المجالات.
- * اجتماعياً: الرحمة تقتضي أن ننشر هذا الوعي؛ فالمجتمع الذي يغيب عنه الوحي يتحول إلى "غابة مادية" يتسيد فيها الفرعون ويضيع فيها العابدون.
- خلاصة تربوية قيادية:
- > "إن الحضارة التي تملك الأدوات (وتفتقد) الغايات (هي حضارة ميتة؛ والوحي هو الذي يمنح الأ دوات المادية غاياتها الروحية السامية".
- الدرس الثالث
- سنقوم بتفكيك الآية 45 من سورة المؤمنون كبنية هندسية تكشف عن رحمة الله، ونحلل من خلالها صراع "المادة والقيمة" في الحضارات الإنسانية:
- أولاً : استنباط "مفهوم الرحمة" من بنية الآية 45
- تتجلى الرحمة الإلهية في الآية من خلال ثلاثة محددات بنيوية:
- * رحمة "الإمهال والتراخي" {ثم}:
- * دلالة "ثم" التراخية تعني أن الله لا يعاجل البشرية بالعقوبة، بل يعطيها مساحات زمنية للمراجعة. الرحمة هنا هي "فرصة الاستدراك"؛ فبين كل رسول ورسول زمنٌ كافٍ لتأمل مصير السابقين واختيار طريق النجاة.
- * رحمة "التتابع النظير" {أَرْسَلْنَا}:
- * إرسال الرسل بصفة الجمع والاستمرارية يدل على أن الله لا يقطع "مدد الهداية" عن عباده. فكلما انحرفت البشرية، تداركها الله برحمته وأرسل لها مَنْ يجدد لها معالم الطريق.
- * رحمة "الوضوح والبيان" {بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ}:
- * لم يترك الله الناس للتخمين، بل أيد رسله بـ "سلطان مبين". الرحمة هنا هي "احترام العقل البشري"؛ فلا تكليف بلا تبیین، ولا محاسبة بلا حجة قاطعة تزيل اللبس والغموض.
- ثانياً: دور الوحي في إصلاح "انحرافات المادية"
- عندما تطفئ المادة، تتحرف البوصلة الحضارية نحو "تأليه الوسيلة" ونسيان "الغاية". يأتي الوحي ليقوم بدور "المصحح المرجعي":
- * إعادة التعريف: المادية ترى الإنسان "آلة إنتاج"، بينما الوحي يراه "خليفة مكرماً".
- * ضبط التوازن: الوحي لا يلغي المادة، بل يضعها في إطارها الصحيح كخادمة للقيم وليست سيدها لها.
- * التحرر من المركزية البشرية: الوحي يكسر غرور "الملا" (النخبة المادية) ويخضع الجميع لقانون أخلا قي واحد (الكتاب).
- ثالثاً: جدلية "التقدم المادي والانحطاط القيمي" (الواقع المعاصر)
- تثبت سنن التاريخ أن الانغماس في المادة دون وازع قيمي يؤدي إلى "تآكل الروح الحضارية".

أمثلة واقعية:

- * ثورة الاتصالات وعزلة الإنسان: تقدمنا تقنياً في سرعة التواصل، لكننا انحططنا في "جودة الروابط الإنسانية"؛ فزاد التفكك الأسري والشعور بالوحدة والاكئاب.
- * التطور العسكري وغياب الأمن: امتلكت البشرية أفنك الأسلحة (سلطان مادي)، لكنها فقدت "الأمان العالمي"؛ لأن القوة لم تقترب بـ "سلطان أخلاقي" يكبح جماح الظلم.
- * الاستهلاك البيئي: التقدم الصناعي المذهل أدى إلى تدمير البيئة (أجل كوني)، لأن الحضارة المادية فضلت "الربح السريع" على "أمانة الاستخلاف".
- رابعا: كيف نواجه هذا الانحطاط؟ (استراتيجية المواجهة)
- لمواجهة هذا السقوط القيمي، يجب تفعيل ثلاثة مسارات مستمدة من الآيات:
- * تفعيل "المرجعية القيمية" (العودة للكتاب):
- * يجب أن تخضع التقنيات الحديثة والسياسات المادية لمواثيق أخلاقية (دستور قيمي) لا يحيد عن فطرة الإنسان وكرامته.
- * بناء "الوعي الناقد" (ضد عقلية التبعية):
- * تربية الأجيال على عدم الانبهار بـ "بريق المادة" ووزن كل تقدم بمدى خدمته للإنسان لا استعباده له ({لَنَا عَابِدُونَ}).
- * القيادة التكاملية (نموذج موسى وهارون):
- * دمج "العلم التقني" مع "الوازع القيمي". لا يكفي أن نكون "عالمين" في المادة، بل يجب أن نكون "مهتمين" في الغاية.
- الخلاصة للوعي الفكري:
- إن الحضارة المادية بغير وحي هي "عَمَلَق تقني بقلب بدائي"، والوحي هو الوحيد القادر على أن يمنح هذا العملق بصيرة أخلاقية تقيه شر نفسه وشر الأجل المهلك.

المفهوم الثاني

استراتيجية النجاة الحضارية

- أن هذا المبحث ينقلنا من المادة إلى القيمة فهو ينقلنا ، بما حواه من تفاصيل فنية ومباحث فكرية، تنتهي بنا إلى ضرورة الوعي بـ "قانون التوازن الكوني" الذي أرسنه سورة المؤمنون .فلا قيمة لتقدم مادي يفتقر إلى سلطان القيمة، ولا بقاء لحضارة تستكبر عن مراجعة منطلقاتها.ولهذا علينا اليوم ان نقف مع أنفسنا وفقا لهذه الاستراتيجية
- أولا : نقاط النقاش الجوهرية) للباحث والقارئ)
- * جدلية الوسيلة والغاية:
 - * هل تحولت أدواتنا المادية (التقنية، المال، النفوذ (من "وسائل إعمار" إلى "أصنام استعباد"؟ إن انحطاط القيم يبدأ حين تصبح المادة هي الغاية والمبتدأ، والوحي مجرد هامش تاريخي.
 - * أثر "الاستكبار العلمي" في تعجيل الأجل:
 - * إن تكرار نموذج "فرعون وملئه" في المؤسسات المعاصرة (المركزية المطلقة، تهميش الكفاءات كهارون، ازدراء النقد (هو الفيروس الذي ينخر في جسد الاستقرار الاجتماعي ويقربه من لحظة الهلاك.
 - * الرحمة في "التواتر المنهجي":
 - * إن وجود هذه الكتاب وبين يديك الآن هو جزء من "تراكم الهداية" {تثرا}. (فالحق لا يموت بموت الرسل، بل يبقى حيا في "الكتاب" والمنهج، ورحمة الله تقتضي منا إحياء هذا المنهج في واقعنا العملي.

ثانياً: ميثاق المواجهة) كيف نستعيد التوازن؟)

لمواجهة الانحطاط القيمي الناتج عن التغول المادي، نقترح المسارات التالية:

- * المسار المعرفي: الانحياز لـ "السلطان المبين"؛ أي الحجة والبرهان، ورفض التبعية العمياء للأنماط الاستهلاكية التي تسطح الوعي الإنساني) {لِبَشَرَيْنِ مِثْلًا}.
- * المسار التنظيمي: تبني "القيادة التكاملية" التي تجمع بين قوة الأداء) موسى (وفصاحة الرؤية و البيان) هارون، لضمان بيئة عمل تخلو من "العلو المقيت".
- * المسار الأخلاقي: اعتبار "الكتاب" المنظومة القيمية المكتوبة (هو المرجع النهائي، بحيث لا يطغى رأي فرد أو مصلحة "ملا" على مصلحة المجموع والعدل العام.

المبحث الثاني

من خلال الاستقراء العميق لآيات سورة المؤمنون، ، يمكننا الاستدلال على أن الآية 45 ليست مجرد سرد تاريخي، بل هي "إعلان المبادئ العسكرية والفكرية" في المعركة ضد "الوثنية السياسية".

إليك كيفية الاستدلال على أن هذه الآية هي المقدمة المؤسسة لهذه المواجهة الكبرى:

1. مفهوم "التفويض الإلهي" ثم أرسلنا

- * الاستدلال: تبدأ المواجهة بكلمة { أرسلنا } وهي تدل على أن المعركة بين الحق والباطل ليست صراعاً شخصياً بين أفراد، بل هي "إرادة إلهية" لتفكيك منظومات الظلم.
- * الدلالة: الوحي لا يهادن الظلم، بل "يرسل" له مَنْ يَقْضُ مضجعه. التراخي في {ثم} يشير إلى أن

الله أعطى "الوثنية السياسية" الفرصة الكاملة للمراجعة، فجاء الإرسال كمرحلة أخيرة من مراحل الحسم.

2. مواجهة "القوة المادية" بـ "القوة الفكرية" (بآياتنا وسلطان مبين)

* الاستدلال: فرعون يمثل "الوثنية السياسية" التي تعتمد على هيبة القصور، الجيوش، والمال. في المقابل، يرسل الله موسى بـ {سلطان مبين}.

* الدلالة: هذه هي "المقدمة" الحقيقية للمواجهة؛ وهي كسر "قدسية" الطاغية بالبرهان. الوثنية السياسية تعيش في الظلام والتغيب، والوحي يأتي بـ "المبين" الذي يفضح زيف هذه القوة. السلطان هنا هو "سلطان الحجة" الذي يسبق "سلطان القدرة".

3. تفكيك "هيكل السلطة الوثنية" إلى فرعون وملئه.

* الاستدلال: حددت الآية "رأس الأفعى" فرعون ("أدوات التنفيذ") ملئه.

* الدلالة: الوثنية السياسية ليست شخصاً واحداً، بل هي "منظومة مصالح" (الاستدلال هنا أن المواجهة يجب أن تكون "شاملة"، تخاطب الطاغية وتواجه البطانة الفاسدة التي تشرعن له استكباره.

4. تشخيص "مرض الاستكبار" (كعائق للمواجهة) فاستكبروا.

* الاستدلال: الآية تشخص رد فعل الوثنية السياسية فور مواجهتها بالحق.

* الدلالة: الاستكبار هنا هو "الآلية الدفاعية" للظالم. عندما يرى الظالم {آياتنا} الواضحة ولا يملك رداً منطقياً، يهرب إلى الاستكبار النفسي والتعالي. هذا الاستدلال يعلمنا أن المعركة مع الباطل هي معركة "نفسية" قبل أن تكون مادية؛ فالحق يحاصر الظالم منطقياً، والظالم يحتمي "بالكبر" وجودياً.

5. رمزية "العلو" مقابل "الخضوع" (وكاثوا قوماً عالياً).

* الاستدلال: الوثنية السياسية تقوم على مفهوم تأليه الحاكم وعلوه على القانون الإلهي.

* الدلالة: الآية تضعنا أمام التناقض الصارخ؛ الحق يدعو للخضوع لله (العدل المطلق)، والوثنية السياسية تدعو للعلو الشخصي. هذه المقدمة توضح أن المعركة هي معركة "قيم": هل الحكم للحق المبين أم للهوى العالي؟

خلاصة تربوية قيادية:

> إن المعركة مع الباطل تبدأ بامتلاكك السلطان المبين (في قلبك وعقلك، فإذا استبان لك الحق، سقطت هيبة) الوثنية السياسية (في عينك قبل أن تسقط في الواقع).

الدرس الثالث

ميثاق المواجهة وحتمية البيان

"إن المتأمل في هندسة الآية الخامسة والأربعين من سورة المؤمنون، يدرك أنها لا تؤرخ لحدث مضي فحسب، بل تضع) البروتوكول التأسيسي (لمعركة الحق مع) الوثنية السياسية (عبر التاريخ. فبينما تحتمي المنظومات الظالمة بأسوار الاستكبار وهيبة) المالأ، يقتحم الوحي هذا الجمود بـ) سلطان مبين؛ وهو القوة الفكرية والبرهانية التي تسبق وتؤسس لكل مواجهة مادية.

إن جوهر هذا الصراع ليس صراعاً على الموارد أو المناصب، بل هو صراع بين علو الذات المتألهة (وبين علو المنهج الرباني). (فرعون وملؤه لا يمثلون مجرد شخوص، بل يمثلون) الحضارة المادية (التي ترى في) البشرية (قيداً، وفي) الآيات (تهديداً لمركزيتها. ومن هنا، تأتي هذه المخطوطة لتكشف - عبر ال- 128 صفحة - كيف يتهاافت استكبار الباطل أمام سطوع الحقيقة، وكيف تتحول القوة التي لا تستند إلى) كتاب (إلى محض) أحاديث (يُعتبر بها، بينما يظل) المنهج القيمي (هو المرجعية الباقية ل- هداية) (السائرين). قال تعالى {ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ}.

وهذا فيه

المفهوم الاول

تعتبر الآية 45 من سورة المؤمنون قاعدة ذهبية في بناء العقلية المسلمة المتفاوضة والمحاورة، حيث يقول الله تعالى: {ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ}. هذه الآية لا تسرد حدثاً تاريخياً فحسب، بل تضع المنهج العملي لكيفية مواجهة الباطل وإقناع الآخرين.

أولاً: مفهوم "السلطان المبين" في العقلية المتفاوضة

السلطان في اللغة هو القوة والسيطرة، وفي السياق القرآني يعني الحجة القاهرة التي تتسلط على العقول والقلوب بوضوحها.

* الاستعداد بالحجة: إرسال موسى وهارون لم يكن مجرد تبليغ شفهي، بل كان مدعوماً بـ "آيات" و "سلطان"، مما يعلم المسلم أن دخول أي حوار أو تفاوض دون إعداد مسبق للبيانات هو نوع من العبث.

* وضوح الدليل (مبين): كلمة "مبين" تعني الظاهر في نفسه والمظهر لغيره. المحاور الناجح هو من يملك أدلة لا تحتاج لشرح معقد، بل تفرض نفسها بوضوحها وقوتها.

ثانياً: الدلالة البيانية لإدغام النون في الميم (سلطان مبين)

في علم التجويد، نجد إدغام التنوين في الميم في قوله "سلطان مبين" هو إدغام بغنة كاملة. هذا الحكم اللفظي يحمل دلالات معنوية تخدم مفهوم القوة والإقناع:

* الامتزاج والوحدة: الإدغام هو دمج حرفين ليصيرا حرفاً واحداً مشدداً. هذا يوحي بأن "السلطان"

(الحجة (**"البيان") الوضوح **) (لا ينفصلان. فالحجة القوية بلا بيان تضع، والبيان بلا حجة مجرد سفسطة.

* التوكيد والقوة: الغنة الملازمة للإدغام تعطي رنيناً وصوتاً قوياً يملأ الفم والأذن، وهذا يتناسب مع طبيعة "السلطان" الذي يهدف لـ "قهر الباطل".

* الانسيابية في الإقناع: الإدغام يسهل النطق ويجعل الكلام متصلاً بمرونة، وهو ما يجب أن يكون عليه حال الداعية والمفاوض؛ قوة في الطرح مع سلاسة وانسيابية في الأداء (لين القول مع قوة الحجة).

ثالثاً: التطبيقات العملية في مجالات الحياة

1. في بيئة العمل والمهنة

* التفاوض المهني: عند عرض مشروع أو فكرة، لا تكتفِ بالرأي الشخصي. تسلح بـ "سلطان مبین" وهو الأرقام، الإحصائيات، والدراسات الميدانية. الوضوح هنا يفرض احترام رؤسائك وزملائك.

* حل النزاعات: استخدم الأدلة القاطعة (محاضر الاجتماعات، المراسلات الرسمية (لإنهاء الخلافات بدلاً من الدخول في جدالات بيزنطية).

2. في نطاق الأسرة

* تربية الأبناء: الحوار مع الأبناء اليوم يحتاج إلى "بيّنات" بدلاً من القول "افعل هذا لأنني والدك"، استخدم الإقناع العقلي المرتكز على أدلة منطقية أو شرعية واضحة (سلطان مبین (لتبني قناعاتهم لا لإجبارهم.

* العلاقة الزوجية: الشفافية والوضوح في طرح المشكلات يمنع التأويلات الخاطئة.

3. في الدعوة للقيم والتعامل مع الفتن

* التسليح بالعلم: الداعية الذي يواجه الشبهات بغير "سلطان مبین" قد يسيء للدين أكثر مما ينفعه.

* قوة الحجة هي التي "تقهر الباطل" وتزيل الغش.

* مواجهة الفتن: في زمن اختلاط الأمور، يكون "السلطان المبین" هو الرجوع للمحكم من القول والعمل بالدليل الثابت، مما يحمي العقل من الانجراف وراء العواطف أو الشائعات.

الخلاصة

إن الآية تعلمنا أن الحق لا يكفي وحده لينتصر، بل يحتاج إلى إعداد واستعداد وتعبير عنه بـ سلطان مبین يجمع بين قوة المضمون وجمال العرض.

المفهوم الثاني

إن مفهوم المواجهة المستنبط من قوله تعالى {بِآيَاتِنَا} يمثل الركيزة الجوهرية في تكوين شخصية الداعية والمفاوض المسلم، حيث إن "الآيات" ليست مجرد نصوص تتلى، بل هي حقائق وجودية وقوة أخلاقية ومعرفية يستند إليها المرء ليواجه العالم بصلابة وصدق.

إليك تفصيل هذا المفهوم وكيف يتحول الاستناد للمبادئ الإلهية إلى قوة دافعة:

أولاً: مفهوم المواجهة بصدق وقوة (بآياتنا)

كلمة {بِآيَاتِنَا} تشير إلى أن موسى وهارون عليهما السلام لم يذهبا إلى فرعون) أعتى جبار في عصره (بآرائهما الشخصية أو بطلب سلطة دنيوية، بل ذهبا وهما "متلبسان" بالآيات. وهذا يمنح المواجهة بُعدين:

* قوة المصدر (تجاوز الرهبة البشرية): عندما يدرك المحاور أو الداعية أنه ينطلق من "آيات الله" (وهي الحق المحض)، تسقط من عينه هيبة الأشخاص والمناصب. المواجهة هنا لا تعني الصدام الجسدي، بل تعني المواجهة المعرفية والنفسية التي لا تنهزم أمام الباطل مهما علا ضجيجها.

* الصدق مع الذات ومع الآخر: الآيات هي "علامات" واضحة لا كذب فيها. المواجهة بصدق تعني مطابقة القول للحق الواقعي والشرعي. الداعية الذي يواجه بالآيات لا يحتاج للمراوغة أو الكذب أو تزييف الحقائق، لأن قوة الآية في ذاتها تغنيه عن الحيل التفاوضية الضعيفة.

* اليقين القلبي: "بآياتنا" تعني الاستظهار بعظمة الخالق، مما يولد شجاعة أدبية تجعل الداعية ينطق بالحق في أصعب الظروف، واثقاً أن النتائج بيد الله وليست بيد الخصم.

ثانياً: الاستناد للمبادئ الإلهية كقوة دافعة

تحويل المبادئ الشرعية إلى "محرك" للمواجهة يتم عبر عدة نقاط:

1. التحرر من عقدة النقص:

كثير من المفاوضين أو الدعاة قد يشعرون بالضعف أمام الطرف الآخر بسبب تفوقه المادي أو التقني. لكن الاستناد إلى المبادئ الإلهية (العدل، الصدق، الأمانة (يعطي الداعية علواً أخلاقياً. هو يدرك أنه يمثل منظومة قيمة خالدة، بينما يمثل الخصم مصالح مؤقتة أو أهواء زائلة.

2. الوضوح المنهجي (الرؤية الكلية):

المبادئ الإلهية تقدم إجابات قاطعة وتحدد "الخطوط الحمراء". هذا الوضوح يمنع التردد؛ فالمفاوض المسلم يعرف متى يلين ومتى يشدد، لأن مرجعيته ليست "المزاج" بل "النص" و"المبدأ".

3. "السلطان المبین" كأداة قهر للباطل:

كما ذكرنا في الآية، اقتران الآيات بالسلطان المبین يعني أن المبادئ الشرعية ليست مجرد "وعظ"، بل

هي حجج عقلية وقوانين فطرية تقهر الباطل بداخل الخصم نفسه. الصدق في المواجهة يجعل الطرف الآخر يحترم طرحك حتى لو خالفك، لأن القوة المنبعثة من المبدأ قوة "تفرض احترامها". الخلاصة:

إن المواجهة بـ "آياتنا" تعني أن تذهب للآخر وأنت مسلح بالحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. هي القوة التي تجعل "هارون" وزيراً لـ "موسى" لشد أزره، مما يعلمنا أهمية العمل الجماعي القائم على المبدأ الواحد المفهوم الثالث

سوف نضع "خطة عمل" تطبيقية لتحويل لغة الخطاب من مجرد "عرض وجهة نظر" إلى خطاب يتسم بـ "الصدق والقوة" المستمدة من مفهوم (بآياتنا وسلطان مبين)

ليكون نموذجاً عملياً للحوار بصدق يمكنك استخدامه في أي مواجهة (عمل، أسرة، دعوة): نموذج "السلطان المبين" لصياغة الخطاب القوي

لكي يكون كلامك "قاهراً للباطل" ومفرضاً للاحترام، يجب أن يمر عبر هذه المحطات الأربع: 1. محطة "بآياتنا": الاستناد للمرجعية الصلبة)

* الفكرة: لا تبدأ بـ "أنا أرى" أو "أعتقد"، بل ابدأ بالمبدأ الكلي المتفق عليه) سواء كان آية شرعية، قيمة أخلاقية، أو حقيقة علمية/قانونية).

* التطبيق: "بناءً على مبدأ الأمانة المهنية الذي يحكم عملنا..." أو "انطلاقاً من الحق الشرعي الذي كفله الله لكل ذي حق..."

* القوة الدافعة: هنا أنت لا تتحدث باسمك، بل باسم "الحق"، وهذا يمنحك هيبة نفسية فورية. 2. محطة "السلطان": صياغة الحجة القاطعة)

* الفكرة: حول المبدأ إلى "دليل ملموس".

* التطبيق: إذا كنت في العمل وتواجه تقصيراً، لا تكتفِ بالوعظ، بل قل: "هذا التقصير أدى لخسارة بنسبة 20 %، وهو ما يخالف العقد المبرم".

* في الدعوة: لا تقل "هذا خطأ" فقط، بل قل "هذا الفعل يفكك الروابط الأسرية ويؤدي لضياع الأبناء، والواقع يثبت ذلك في الحالات) أ، ب، ج".

3. محطة "مبين": الوضوح والبيان - دلالة الإدغام)

* الفكرة: تذكر "إدغام النون في الميم"؛ تدخل القوة مع السلاسة.

* التطبيق: استخدم لغة واضحة، جمل قصيرة، ونبرة هادئة لكنها "حازمة". الوضوح يمنع الطرف الآخر من "المراوغة" أو التستر وراء الغموض.

* نصيحة: تجنب الكلمات العاطفية الزائدة) أرجوك، ربما، عذراً (إذا كنت في موضع حجة، واستبدلها بكلمات) يتحتم، الثابت، الواضح).

4. محطة "المواجهة بصدق": قهر الباطل بالاستقامة)

* الفكرة: أن يكون سلوكك في الجلسة مطابقاً لكلامك.

* التطبيق: الثبات على الموقف، النظر في العين، وعدم التنازل عن "المبدأ" مقابل "المصلحة". الصدق هنا هو "القوة القاهرة" التي تجعل الخصم يشعر بضالة باطله أمام حَقِّك.

تمرين تطبيقي

هذا المثال متعلق بالحوار بين أفراد الأسرة .

لنفترض أن الموقف هو إقناع "ابن أو أخ" بضرورة الانضباط والصدق في التعامل، أو ترك رفقاء السوء:

أولاً: هيكل الخطاب) تطبيق المنهج)

1. الاستهلال بـ "بآياتنا" الاستناد للمبدأ)

لا تبدأ بالهجوم الشخصي، بل ابدأ بقيمة عظمى يقدها الطرفان.

* القول: "يا بني، نحن أسرة قامت على قيمة العزة والصدق، والله تعالى جعل المؤمن عزيزاً لا يضع نفسه في مواطن الشبهات) هذه هي الآية/المبدأ الذي تنطلق منه".

2. تقديم "السلطان" الحجة القاطعة)

هنا نضع الدليل الملموس الذي يقهره الباطل ويفرض الاحترام.

* القول: "انظر إلى النتائج؛ هذا السلوك أدى إلى) تراجع دراسي/ فقدان ثقة الناس/ توتر نفسي . الحقائق أمامنا واضحة، والمقدمات الخاطئة لا تؤدي إلا لنتائج خاسرة. القوة ليست في مسaire الأخرين، بل في القدرة على قول 'لا' للخطأ".

3. تفعيل الـ "مبين" الوضوح والسلاسة - دلالة الإدغام)

هنا نطبق "إدغام النون في الميم"؛ دمج الحزم) السلطان (مع اللين والمحبة) البيان).

* الأسلوب: لا تصرخ، بل تكلم بنبرة واضحة ومسترسلة. "أنا أتحدث معك لأنني أراك أكبر من هذا الفعل، ووضوحي معك اليوم هو أقصر طريق لحمايتك". هنا دمجت مصلحته مع الحجة القوية).

4. المواجهة بصدق) حسم الموقف)

* القول: "قراري بالتدخل ليس تسلطاً، بل هو قيام بالمسؤولية التي أمرني الله بها. الصدق يقتضي أن أصارحك بأن هذا الطريق مسدود، والقوة تقتضي أن نتخذ خطوة للتغيير الآن".

ثانياً: نص مقترح للحوار سيناريو عملي)
الأب/المربي: "يا) اسم الشخص(، أريد أن أتحدث معك بكلمات لها سلطان مبین، أي واضحة لا لبس فيها. نحن نعتز بكوننا مسلمين، والإسلام يعلمنا أن المرء على دين خليله".
الابن: لكنهم أصحابي ولا يفعلون شيئاً كبيراً!

الأب) بالمواجهة بصدق وقوة(): الصدق يقتضي أن ننظر للواقع؛ 'آيات' فشل هذا الطريق بدأت تظهر في) اذكر أمثلة ملموسة (أنا لا أمنعك من الصداقة، بل أدعوك لـ سيادة نفسك؛ فالمؤمن له 'سلطان' على هواه، ولا ينقاد لمن يضره. وضوح معك اليوم نابع من محبتي) سلاسة (وحرص على مستقبلك) قوة(، تماماً كما اندمجت الغنة في الحرف، يندمج حزمي معك برحمتي بك".
ثالثاً: كيف تفرض الاحتقار للباطل في هذا الموقف؟

* عدم التذبذب: عندما يرى الطرف الآخر أنك تستند لمبدأ إلهي) بآياتنا(، يدرك أنك لا تتحدث عن "هوى شخصي" فيصعب عليه الجدل.

* الثبات البصري: انظر إليه بنقطة وهدوء) سلطان مبین(.
* تقديم البديل: "السلطان المبین" ليس فقط للمنع، بل لإظهار الطريق الصحيح. "قوة شخصيتك تظهر في اتباع الحق، لا في تقليد المخطئين".

المفهوم الرابع

إن استنباط مفهوم "وجوب التسليح بالعلم والتعلم" من إرسال موسى وهارون عليهما السلام يضعنا أمام منهج نبوي متكامل في "صناعة الوعي"، حيث لم تكن الدعوة مجرد عاطفة أو ادعاءات مرسلة، بل كانت عملية "إعداد استراتيجي" تقوم على العلم والبيان.
إليك تفصيل هذا المفهوم وكيفية تطبيقه في نشر القيم المجتمعية:
1. العلم كأداة للتمكين) لماذا موسى وهارون(؟

عندما أرسل الله موسى، لم يرسله وحيداً بل أيده بهارون الذي وصفه موسى بـأنه) أقصَحُ مِنِّي لساناً (، هذا الاستنباط يعلمنا:

* التخصص والاحترافية: "الفصاحة" هنا ليست مجرد بلاغة، بل هي القدرة على تحويل العلم إلى خطاب مفهوم ومقنع. الداعية أو المصلح الاجتماعي يجب أن يتسلح بعلم "البيان" وعلم "النفس" ليعرف كيف يخاطب كل فئة بما تعقله.

* نفي الادعاء: الباطل يعتمد على "الضجيج" و"الادعاءات"، بينما الحق يعتمد على "الآيات". التسليح بـ العلم يجعل الداعية قادراً على تفكيك ادعاءات الباطل بالحجة العلمية، تماماً كما أبطلت عصا موسى سحر السحرة) الذي كان ادعاءً وتخبيلاً (.

2. "السلطان المبین" هو العلم النافع

في سياق نشر الوعي، يتحول "السلطان المبین" من معجزة حسية إلى "سلطان معرفي":

* قوة الحجة: المجتمع لا يقتنع بالشعارات، بل يقتنع بالنتائج والبرهان. عندما تدعو لقيمة) مثل الأمانة أو العمل(، يجب أن تملك "سلطان الوعي" بنتائج هذه القيمة على اقتصاد المجتمع وأمنه.

* الوضوح) المبین(: العلم الذي لا يفهم لا يغير مجتمعا. التعلم الحقيقي هو الذي يمنحك القدرة على تبسيط القيم العميقة لتصبح "بيانات" واضحة يراها العامي والمثقف على حد سواء.

3. وجوب التعلم المستمر للدفاع عن الحق

إرسال رسولين يؤكد أن مواجهة الفساد المجتمعي تحتاج إلى "تراكم معرفي" وتكاتف:

* التسليح بالمعلومات: في عصرنا الحالي، نشر القيم يحتاج لتسلح بالبيانات والإحصائيات وفهم الواقع. مواجهة "الفتن" الفكرية لا تنجح بالصراخ، بل بتقديم بديل معرفي أقوى) سلطان مبین(.

* التعلم كفريضة دعوية: لا يجوز لمن يتصدى لإصلاح الناس أن يكون جاهلاً بـ آليات الحوار أو بطبيعة المشكلات التي يعانون منها. العلم هو الذي يمنحك "الهيبة" التي تقهر الباطل دون حاجة للعنف.

4. كيف نطبق هذا في حياتنا العملية؟

* في العمل: إذا أردت نشر قيمة "الشفافية"، تسلح بالقوانين المنظمة والنماذج الناجحة، واجعل حجتك) سلطانك (هي الأرقام والنتائج، لا الشكوى والأمان.

* في الأسرة: إقناع الأبناء بالقيم لا يكون بكلمة "عيب" فقط، بل بـ "سلطان العلم"؛ أي ببيان أثر هذه القيمة على بناء شخصيتهم ومستقبلهم بوضوح تام) مبین(.

* في المجتمع: نشر الوعي الصحي أو الاجتماعي يتطلب أصحاب تخصص) مثل هارون في فصاحته (يملكون الحجة العلمية التي تسكت المشككين وتزرع اليقين.

الخلاصة:

إن منهج "موسى وهارون" يعلمنا أن الحق الضعيف) الذي لا يملك بياناً وعلماً (قد يهزم أمام الباطل المسلح بالحيلة؛ لذا أوجب الله التسليح بـ "الآيات والسلطان المبین" ليكون الحق قوياً في ذاته، قوياً في عرضه، وقاهراً لكل ادعاء باطل.

المفهوم الخامس

أهميه العمل بروح الفريق الواحد والتعاون لتحقيق النجاح
تعتبر الآية 45 من سورة المؤمنون في قوله تعالى: {ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ}، أصلاً منهجياً في تقرير أهمية العمل الجماعي والرفقة الصالحة كضرورة لتحقيق النجاح في مواجهة الباطل ونشر قيم الحق.

ويمكن استنباط هذه الأهمية من خلال النقاط التالية:

1. تكامل الأدوار وتوزيع المهام (موسى وهارون)
لم يرسل الله موسى وحيداً لمواجهة فرعون، رغم كونه كليماً لله ومؤيداً بالمعجزات، بل أرسل معه أخاه هارون. هذا يعلمنا:
* الاعتراف بالنقص البشري: مهما بلغت قوة الفرد العلمية أو القيادية، فإنه يبقى بحاجة إلى "عضد" يشد أزره.

* استثمار الكفاءات: موسى ملك "الهيبة والمبادرة"، وهارون ملك "الفصاحة والبيان"، واجتماعهما شكل "قوة تفاوضية" متكاملة. في حياتنا العملية، النجاح يتطلب فريقاً متكامل فيه التخصصات (الإدارة، التنفيذ، التواصل).

2. الرفقة الصالحة كـ "قوة دافعة" السلطان المشترك

الآية ذكرت "بآياتنا وسلطان مبين" بصيغة الجمع الملحقة بإرسالهما معاً، مما يوحي بأن:

* تعظيم الأثر: الحجة السلطان (تصبح أقوى وأبين عندما يتبناها أكثر من شخص صادق. الرفقة الصالحة في العمل أو الدعوة تمنح الفرد ثباتاً نفسياً يجعله يواجه التحديات بيقين أكبر.
* البيئة الحاضنة: الرفيق الصالح (هارون لموسى) هو مرآة لأخيه، يسد ثغراته، ويذكره بالحق إذا غفل، ويقويه إذا ضعف.

3. "الإدغام" المعنوي في العمل الجماعي

كما أشرنا سابقاً لدلالة إدغام النون في الميم في "سلطان مبين"، يمكن استنباط مفهوم "الاندماج" الجماعي:

* العمل الجماعي الناجح هو الذي يذوب فيه "الأنا" الفردي لصالح "نحن" الجماعية، لتخرج النتيجة صوتاً واحداً قوياً (كحرف الميم المشدد).

* هذا الاندماج بين أفراد الفريق أو أفراد الأسرة هو الذي "يقهر الباطل"؛ لأن الباطل غالباً ما يراهن على تفنيت الصفوف واختراق الثغرات الفردية.

4. التطبيق العملي لمفهوم الرفقة والتعاون:

* في بيئة العمل: لا تحاول التفرد بالنجاح. ابحث عن "هارونك" (الزميل المخلص صاحب الكفاءة) ليكون لك "سلطاناً مبيناً" أمام العقبات المهنية. التعاون يحول العمل من مجرد وظيفة إلى "رسالة" قوية الأثر.

* في الأسرة: التعاون بين الزوجين كفريق واحد (هو الذي يبني "سلطان" القيم في نفوس الأبناء). غياب التعاون يجعل الخطاب التربوي متناقضاً وضعيفاً أمام فتن المجتمع.

* في الدعوة ونشر القيم: الداعية المحاط برفقة صالحة متعلمة يمتلك "حصانة" ضد اليأس والفتن. العمل المؤسسي الجماعي هو الذي يترك أثراً باقياً، أما العمل الفردي فغالباً ما يزول بزوال صاحبه. الخلاصة:

إن منهج الآية يؤكد أن "الحق القوي" يحتاج إلى "صف مرصوص". فوجود الرفيق الصالح والتعاون الجماعي ليس مجرد خيار اجتماعي، بل هو استراتيجية ربانية لتمكين الحق وفرض احترامه في الأرض، وتحويل "الآيات" إلى واقع ملموس يغير حياة الناس.

المفهوم السادس

أهميه التخطيط الاستراتيجي للمواقف

تشير الآية 45 من سورة المؤمنون إلى مرحلة جوهرية في بناء العقلية الإسلامية، وهي عقلية التخطيط الاستراتيجي للمواقف. فإرسال موسى وهارون عليهما السلام لم يكن حركة عشوائية، بل كان "موقفاً مخططاً له" بعناية إلهية لضمان تحقيق النصر والقهر للباطل. إليك استنباط أهمية التخطيط من هذه الآية الكريمة:

1. تحديد الأهداف واختيار الوسائل (بآياتنا وسلطان مبين)

التخطيط يبدأ بتحديد الأدوات المناسبة للموقف. في الآية، نجد أن "الآيات" و"السلطان المبين" هما الوسائل المخطط لها لمواجهة فرعون.

* الدروس المستفادة: لا تدخل أي مواجهة (سواء في العمل أو الأسرة) دون "خطة أدوات". اسأل نفسك: ما هي الحجج (الآيات) التي سأستخدمها؟ وما هي القوة النظامية أو المنطقية (السلطان) التي تدعم موقفتي؟

* التطبيق: التخطيط للموقف يعني استباق الأحداث بتجهيز "البيئات" الواضحة التي لا تترك مجالاً للشك.

2. التخطيط البشري (اختيار فريق العمل)

استجابة الله لطلب موسى بإشراك هارون (كما ورد في سياقات مشابهة وتؤكد هذه الآية بإرسالهما معاً) هي قمة التخطيط للمواقف.

* توزيع الأدوار: التخطيط الناجح للموقف يتطلب معرفة من هو الشخص الأنسب لكل دور. موسى للقيادة والمواجهة، وهارون للبيان والفصاحة.

* سد الثغرات: التخطيط يعني دراسة نقاط الضعف الشخصية وتغطيتها برفقاء أو شركاء يكملون هذا النقص، ليكون الموقف في النهاية "سلطاناً مبيناً" متكاملًا.

3. دراسة "بيئة الموقف" وتوقع ردات الفعل
إرسال "سلطان مبين" (أي دليل قاهر وواضح) يوحي بأن التخطيط شمل دراسة شخصية الخصم (فرعون). ففرعون المتكبر لا يكسره إلا "سلطان" يفوق سلطانه المدعى.

* الواقعية في التخطيط: التخطيط للمواقف في حياتنا يتطلب فهم "نفسية الطرف الآخر". هل يحتاج للين القول؟ أم يحتاج لقوة الحجة القانونية؟ أم يحتاج لبيان المصالح المشتركة؟ نموذج التخطيط للمواقف (مستوحى من الآية)

يمكننا تلخيص عملية التخطيط للمواقف في هذه الخطوات الثلاث التي تضمن لك "قهر الباطل" بالحق:

* المرحلة التحضيرية (بآياتنا): جمع المعلومات، التأكد من صحة الموقف شرعاً وقانوناً، وتجهيز المستندات أو الحجج.

* المرحلة التنفيذية (سلطان مبين): اختيار الوقت والمكان المناسبين، وتحديد طريقة العرض (وضوح البيان وسلاسة الأداء - الإدغام المعنوي).

* مرحلة الإسناد (وهارون): تأمين الدعم الاجتماعي أو المهني لضمان عدم التفرد بالقرار ولزيادة القوة الإقناعية.

تطبيقات عملية في حياتنا العملية:
لكل مهنة مهارات وخبرات متعلقة بالتخطيط فمثلاً

المحامى عند كتابته المرافعات عليه التخطيط للموقف القانوني لا يعتمد على الكلام المرسل، بل على "السلطان المبين" (نصوص المواد القانونية والأدلة المادية) التي تفرض احترامها على المنصة وتقهر الادعاءات الباطلة

كذلك فإن الداعية عند مواجهة الفتن: التخطيط وهو يتطلب عدم الاندفاع بالعاطفة، بل بالتعلم و التبصر (بآياتنا) حتى لا يؤخذ المسلم على غرة، فيكون خطابه "مبيناً" يفكك الشبهات بوعي.

ثانياً
تمثل الآية {إلى فرعونَ وملئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ} تشخيصاً دقيقاً لما يمكن تسميته بـ "الوثنية السياسية"، وهي منظومة لا تقوم على شخص الطاغية وحده، بل على شبكة معقدة من المصالح والأركان التي تركز الاستبداد.

إليك التحليل المفصل لهذا المفهوم برؤية بيانية وتجويدية وعقدية:
أولاً: مفهوم "الوثنية السياسية" وأركانها (إلى فرعون وملئِهِ)
الوثنية السياسية هي تحويل "الحاكم" أو "النظام" إلى إله يُعبد من دون الله من خلال الطاعة المطلقة وتأييده القرارات.

* رأس الهرم (فرعون): يمثل "الأنا" المتضخمة التي تغذت على (حب العلو) والاغترار بالجاه، حتى توهم أنه مصدر الرزق والحياة والموت.

* أركان الدولة العميقة (الملا): "الملا" في اللغة هم الذين "يملؤون" العيون والقلوب هيبة، وهم كبار القادة، والوزراء، والمنتفعون.

* دورهم: هم "البطانة" التي تمنع وصول الحق، وتزين للطاغية سوء عمله.

* دعم الفساد: الملا هم المستفيدون الأوائل من بقاء الاستبداد؛ لأن مصالحهم مرتبطة بوجود "الوثن السياسي"، لذا فهم يساهمون في (تثبيت أركان الفساد) دفاعاً عن امتيازاتهم.

ثانياً: اللامسات البيانية والبلاغية (فاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ)
* الفاء في (فاسْتَكْبَرُوا): هي فاء التعقيب والسببية، وتوحي بأن الاستكبار كان رد فعل فوراً وتلقائياً بمجرد وصول الحق. وهذا شأن "الوثنية السياسية"؛ فهي لا تقبل الحوار لأنها ترى في "البيئة" تهديداً لعلوها.

* تكرار صفة العلو (عَالِينَ): قوله {قَوْمًا عَالِينَ} أبلغ من قوله "مستكبرين" فقط؛ فالعلو هنا صفة لا زمة لهم (اسم فاعل)، تدل على الترفع على الخلق، واحتقار الناس، والغطرسة النابعة من (المال و المنصب).

* تقديم فرعون على ملئه: للدلالة على أن رأس الهرم هو المتبوع، لكن "الملا" هم الأداة التنفيذية التي لولاهما لما طغى.

ثالثاً: الربط بأحكام التجويد (المدود والصفات)
تتجلى قوة المعنى في طريقة النطق بالألفاظ، ومن ذلك:

* مد الصلة الكبرى في (وَمَلَّئِهِ فـ): عند الوصل، يمد الهاء مد صلة، وهذا التمديد الصوتي يعطي إيحاءً بـ "الامتداد والتضخم" في هذه الحاشية وتغلغلها في مفاصل الدولة.
* المد الطبيعي في (عَالِينَ): حرف العين حرف مرقق، لكن وقوعه قبل الألف الممدودة في كلمة "عَالِينَ" يعطي صوتاً يرتفع في الفم ثم يهبط. هذا الارتفاع الصوتي يصور حالة "العلو الزائف" الذي ينتهي بالسقوط.

* توالي حروف الاستعلاء في (اسْتَكْبَرُوا): حرف (الراء) في سياق الكلمة، والاستعلاء في التجويد هو اتجاه ضغط الحرف إلى الحنك الأعلى؛ وهذا يتناسب تماماً مع معنى "الاستكبار" النفسي و السياسي، وكان جرس الكلمة نفسه يجسد حالة "التعالي" على الحق.
رابعا: أثر "الدولة العميقة" في الفتن والاستبداد

* تزييف الوعي: "الملا" هم من يقومون بـ "صناعة الوهم" للمجتمع، فيصورون الطاغية في صورة المنقذ (الاغترار بالجاه).

* مقاومة التغيير: لأنهم "قوم عالون"، فإن أي دعوة للعدل والمساواة (بآياتنا) تمثل "تهديداً وجودياً" لمكانتهم، لذا يكونون أشد شراسة من الطاغية نفسه في قمع المصلحين.

* تحالف المال والسلطة: "الوثنية السياسية" تكتمل عندما يتحالف أصحاب الجاه مع السلطة لتطويق المجتمع بـ "فتنة" التبعية.
الخلاصة التربوية والعملية:

الآية تحذرننا من أن الاستبداد ليس "شخصاً" بل "ثقافة ومنظومة" (قوم). لذا، فإن مواجهة الفساد تتطلب:

* الوعي بأدوات الدولة العميقة: وعدم الانخداع بالواجهات البراقة للملا.
* التسلح بالحق (السلطان المبين): لأن الوثنية السياسية تخاف من "الوضوح" و"البيّنات" التي تكشف زيف علوّها.

* عدم الاغترار بالعلو الزائل: فالله وصفهم بأنهم {عَالِينَ} في الدنيا، لكن العقاب كانت الغرق، مما يعلمنا أن "قوة الحق" أبقي من "حق القوة".

الدرس الثاني

كيفية تفكيك "حجج الملا" السياسية بناءً على ردود موسى وهارون في الآيات التالية؟
ننتقل إلى المرحلة الأعمق في تحليل النص القرآني، وهي "الاستراتيجية التفكيكية" التي استخدمها موسى وهارون لمواجهة منظومة "الوثنية السياسية" (فرعون وملئه).

إن مواجهة الاستبداد المدعوم بـ "دولة عميقة" (الملا) لا تحتاج فقط لشجاعة، بل تحتاج إلى خارطة طريق فكرية تبطل مفعول سحر السلطة والمال.

أولاً: استراتيجية تفكيك "حجج الملا" الرد على العلو الزائف)
عندما واجه موسى وهارون فرعون وملأه، نجد أن الحوار القرآني كشف عن ثلاث أدوات يستخدمها "الملا" لدعم الطاغية، وكيف تم تفكيكها:

1- حجة "التشكيك في النوايا" (الإرهاب الفكري):

عادة ما يتهم الملا المصلحين بأنهم يسعون لـ "الفساد في الأرض" أو "تغيير دين الناس".

* التفكيك: واجه موسى ذلك بـ (السلطان المبين)؛ وهو تحويل المعركة من "نوايا غيبية" إلى "حقائق مشاهدة". فالدعوة للحق والعدل هي دعوة لمصلحة "الناس" وليست لمصلحة "الداعية" الشخصية.

2- حجة "الاستعلاء بالتاريخ والجغرافيا":

(أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي؟).

* التفكيك: الاستناد إلى (آياتنا)، وهي الآيات الكونية التي تثبت أن المالك الحقيقي هو "رب العالمين". هذا الرد يسحب البساط من تحت "الوثنية السياسية" بتحويل الانتماء من "الأرض والحاكم" إلى "خالق الأرض والسماء".

ثانياً: اللمسات البيانية في تصوير السقوط) الربط بأحكام التجويد)

تأمل قوله تعالى في نهاية هذه المواجهة: {فَأَخَذَتْهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذَتْهُمْ فِي الْيَمِّ}.

* حرف) الفاء (للسرعة: كما بدأ طغيانهم بـ) فـ استكبروا)، جاء عقابهم بـ) فـ أخذناه). (سرعة العقاب تتناسب مع غرورهم بالعلو.

* سكون الميم (في) في اليم: الانتهاك بميم مشددة مكسورة توحى بالانغلاق والغرق التام. الصوت هنا ينخفض ويغوص، تماماً كما غاص "رأس هرم الوثنية" في قاع البحر بعد أن كان يدعي العلو.

ثالثاً: كيف يساهم "الملا" في طغيان الرأس) التحليل النفسي والسياسي)

* صناعة "الإله": الملا ليسوا مجرد موظفين، بل هم "صناع الطاغية". كلما زاد نفاقهم، زاد اغترار فرعون بمنصبه.

* الخوف المتبادل: الملا يخافون على "امتيازاتهم"، وفرعون يخاف من "فقدان ولائهم"، وهذا التحالف (الوثنية السياسية) يجعل الفساد "هيكلياً" وليس مجرد سلوك فردي.

* تطبيق عملي: في عصرنا، قد يكون "المال" هم منصات إعلامية، أو تكتلات اقتصادية، أو قوى أمنية تعمل على تبرير "العلو" وتهميش "البيئات".
 رابعاً: الاستناد للمبادئ الإلهية كقوة "قاهرة"
 لكي يقهر الداعية أو المصلح هذا "العلو" الزائف، يجب أن يتسلح بـ:
 * قوة "الاسم الحقيقي": تسمية الأشياء بمسمياتها. فرعون ليس "نصف إله"، بل هو "بشر مستكبر".
 الفساد ليس "وجهة نظر"، بل هو "ظلم مهلك".
 * الثبات النفسي: إدراك أن المال والمنصب والجاه (هي أدوات "اختبار" وليست صكوك "تملك").
 * التوعية الجماعية: مخاطبة المجتمع ليفهم أن "الوثنية السياسية" تعيش على جهل المحكومين، وأن (السلطان المبين) (كفيل بكسر أصنام الوهم).
 المفهوم الثالث

ضرورة الاستقلال الفكري والشرعي؟
 يبدأ هذا من خلال نشر الوعي لدى الجماهير وهو يحتاج بذل جهد كبير وجبار واول هذه الخطوات تفكيك مفهوم "التبعية العمياء" للملأ الدولة العميقة (وتعزز قيمة "السلطان المبين") الحجة والبرهان (كأداة للتحرر ولهذا فإن الإيه تقدم لك .
 وثيقة: تحرير العقل من الوثنية السياسية والتبعية للملأ
 أولاً : تشخيص واقع "العلو الزائف"
 إن قوله تعالى {وكانوا قومًا عَالِينَ} (ليس مجرد وصف تاريخي، بل هو تنبيه لكل زمان ومكان. العلو الزائف يبدأ عندما يظن "الملأ" ومن خلفهم "رأس الهرم" أن حيازة المال، المنصب، الجاه (تمنحهم الحق في تجاوز القوانين الإلهية والفطرية).
 * التبعية العمياء: هي استقالة العقل عن التفكير وتسليم القياد لمن يملكون "بريق السلطة" دون "حقيقة الحق".

ثانياً: أركان المواجهة بـ "السلطان المبين"
 لكي يستعيد المجتمع وعيه، لا بد من التسليح بثلاثة أركان استراتيجية:
 * الاستقلال المعرفي (بآياتنا):
 * عدم قبول أي ادعاء لا يستند إلى دليل (بينه).
 * العلم والتعلم هما "عصا موسى" في هذا العصر؛ فكلما زاد وعي المجتمع بالحقائق والشرائع، تأكلت هيبة "الأصنام السياسية".
 * كشف تزييف "الملأ" تفكيك الدعاية):
 * الحاشية الفاسدة تعيش على "الغموض" و"إرهاب الناس بالمنصب".
 * الرد يكون بـ "البيان؛ أي بجعل الأمور "مبينة" وواضحة للعامة، وكشف كيف يضحى الملأ بمصالح الشعوب من أجل "علوهم" الخاص.
 * القوة الأخلاقية (المواجهة بصدق):
 * إن "الوثنية السياسية" تنهار أمام شخص واحد يملك صدق موسى وثباته.
 * الصدق يمنح "المداهنة"؛ فالمداهنة هي الوقود الذي يغذي استبداد فرعون.
 ثالثاً: لمسات بيانية في الصمود والتحرر
 تأمل الفرق بين "صوت" الطغيان وصوت الحق في القرآن:
 * صوت الطغيان: يتسم بـ "الاستعلاء" والتفخيم الكاذب (فاس-ت-كبروا)، وهو صوت ينتهي دائماً بـ "اليم") (الفرق والانغلاق).
 * صوت الحق: يتسم بـ "الوضوح" والسلاسة) سلطان مبين، وهو صوت ينتهي دائماً بـ "النجاة" و التمكين.

* إدغام القوة باللين: في خطابنا التوعوي، يجب أن ندمج بين "قوة الحجة" و"لين الأسلوب" (سلطان مبين)، لكي نصل لقلوب الناس وعقولهم دون تنفير، تماماً كما تندمج النون في الميم بسلاسة وقوة في أن واحد.
 الختام: عاقبة "القوة الغاشمة" مقابل "قوة الحق"
 إن التاريخ، كما تصوره الآية، يؤكد أن "الاستكبار" هو مرض القلوب الذي يسبق السقوط. فمن رأى نفسه) عالياً (بغير الحق، جعل الله عقابه من جنس عمله) النبذ والفرق. (أما من تسلح بـ "الآيات"، فقد ربط سببه بالسماء، ومن كان الله معه، فمن عليه؟
 المفهوم الرابع

بهذا نكون قد رسمنا الإطار الكامل لمنهج موسى عليه السلام في مواجهة الوثنية السياسية. من خلال التحليل العميق الايات (٤٥-٤٦) من سوره المؤمنون ولهذا سنقوم بتحويل هذا التحليل إلى "منهاج تربوي" يتضمن رسائل وتوجيهات ربانية مباشرة لنا في واقعنا المعاصر.
 هذا المنهاج مصمم لبناء "الشخصية الرسالية" التي تجمع بين قوة الحجة ولين الأداء، وتعرف كيف تواجه الاستبداد والفتن بوغي وبصيرة.
 منهاج "السلطان المبين": دروس في التربية والقيادة

الدرس الاول

فقه الإعداد) بآياتنا وسلطان مبين)

الرسالة الربانية: الحق لا ينتصر بمجرد كونه حقاً، بل لا بد له من "قوة حاملة" و"بيان كاشف".

* التوجيه التربوي: قبل أن تدخل في أي حوار) أسري، مهني، أو قيمي(، أعد "حقيبتك المعرفية". لا تتحدث بالعواطف المجردة، بل تسلح بالأدلة المادية والمنطقية والشرعية.

* التطبيق: "الآيات" هي مرجعيتك الصلبة، و"السلطان" هو حجتك القاطعة التي تفرض الاحترام.

الدرس الثاني: التربية الجماعية والشورى) وأخاه هارون)

الرسالة الربانية: العمل الفردي مظنة الخطأ والضعف، والعمل الجماعي بركة وقوة.

* التوجيه التربوي: ابحث عن "عضد" يشد أزرعك. في تربية الأبناء، الزوجان فريق واحد. في العمل، الزملاء المخلصون فريق واحد.

* التطبيق: استعن بمن يملك مهارة تفتقدها) مثل فصاحة هارون(، فالهدف هو "إظهار الحق" وليس "إظهار الذات".

الدرس الثالث: مواجهة "الوثنية السياسية" والتبعية) إلى فرعون وملئه)

الرسالة الربانية: الفساد منظومة) شبكة (وليس فرداً، والوعي هو أول خطوات التحرر.

* التوجيه التربوي: ربّ نفسك ومن حولك على عدم تقديس الأشخاص أو الاغترار بالمناصب والمال.

"العلو" الحقيقي هو علو المبدأ لا علو الرتبة.

* التطبيق: تعلم كيف تفكك خطاب "الملا" الحاشية أو الإعلام المضلل (من خلال عرض الحقائق الواضحة) المبينة (التي لا تقبل التأويل.

اللمسات البيانية والتجويدية كرسائل تربوية

| الحكم أو اللمة | المعنى التربوي المستنبط

١/ إدغام (سلطان مبين) رسالة الانسجام: ضرورة دمج القوة مع السلاسة، والحزم مع الرحمة، ليكون خطابك مقبولا " ومؤثراً في آن واحد .

٢/ فاء التعقيب (فـاستكبروا) رسالة الحذر: الكبر هو الحاجز الفوري الذي يمنع الإنسان من رؤية الحق .

احذر من "الأنا" التي تجعلك ترفض النصيحة فور سماعها .

٣/ توالي حروف الاستعلاء رسالة التواضع: مهما استعلى الباطل بصوته وضجيجته) كحروف الاستعلاء(، فإن مآله الانكسار أمام "الاستفال" (التواضع (لله وللحق .

التوجيهات الربانية الختامية لنا

* قهر الباطل بالوضوح: الباطل يعيش في الظلام والتعمية، فكن أنت "المبين" الذي يكشف الزيف بـ الصدق والقوة.

* الحذر من "الملا" الداخلي: داخل كل إنسان "ملا" هوى، غرور، حب ظهور، فجاهد "ملاك" الداخلي قبل أن تواجه "ملا" الخارج.

* العاقبة للمتقين: تذكر دائماً أن "فرعون وملأه" بكل مالههم وجاههم انتهوا "منبوزين" في اليم، وأن موسى وهارون ومن معهم) رغم ضعفهم المادي (بقوا نبراساً للهدى.

المبحث الثاني

إن تحليل قوله تعالى { فاستكبروا وكاثوا قوماً عالين } يكشف لنا عن "العائق النفسي والسياسي" الذي أبطل مفعول الآيات والمعجزات في قلوب فرعون وملئه، وهو الاستكبار واليك تفصيل طبيعة هذا العائق وأثره على القلب:

أولاً : لماذا كان "الاستكبار" هو العائق أمام دعوة موسى وهارون؟

لم يكن العائق "نقصاً في الدليل" لأن موسى جاء بسلطان مبين(، ولم يكن "غموضاً في العرض" لأن هارون كان أفصح لساناً(، بل كان العائق هو منظومة الاستقبال لدى الطرف الآخر:

* تهديد الامتيازات) الملا(: دعوة موسى كانت تعني المساواة والعدل، وهذا يضرب مصالح "الملا" الذين يعيشون على استعباد الناس. لذا، رفضوا الحق ليس لأنه غير واضح، بل لأنه "غير مريح" لمصالحهم.

* صراع الهوية) أنا ربكم الأعلى(: اعتاد فرعون أن يكون هو "المرجع الأعلى"، وقبول دعوة موسى يعني التنازل عن هذه الألوهية المزعومة والخضوع لرب العالمين.

* العلو المسبق) قوماً عالين(: الصفة السابقة لديهم كانت "العلو"، والمستعلي يرى نفسه دائماً فوق النقد وفوق التوجيه، مما جعلهم يغلقون منافذ الإدراك.

ثانياً: ما هو الكبر؟ التعريف النبوي والدلالة القرآنية)

الكبر في جوهره ليس مجرد إعجاب بالنفس، بل هو حالة انفصال عن الواقع وعن الحق.

* في السنة المطهرة: عرفه النبي ﷺ بدقة متناهية: "الكبر بطرُ الحق، وغمطُ الناس".

* بطر الحق: رده ورفضه بعد معرفته) وهذا ما فعله فرعون(.

* غمط الناس: احتقارهم وازدراؤهم) وهذا ما عبر عنه القرآن بـ "قوماً عالين".

* في اللمة البيانية) فـاستكبروا(: السين والتاء للطلب، أي أنهم "طلبوا الكبر" وتكلفوه ليغطوا به

ضعف حجتم أمام سلطان موسى المبين.

ثالثاً: هل يمنع الكبر القلب من قبول الحق الواضح؟

نعم، وبشكل قطعي. الكبر يعمل كـ "غشاء" أو "رين" يغلف القلب والعقل، ويؤدي إلى النتائج التالية:

* صرف الآيات: يقول الله تعالى: {سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ}. {المتكبر قد يرى المعجزة بعينه} كعصا موسى، لكن عقله يترجمها على أنها "سحر" أو "مؤامرة" ليحمي كبريائه من الانكسار.

* تعطيل الحواس: المتكبر يسمع الكلمات لكنه لا يفقه المعاني، ويرى الأدلة لكنه لا يبصر الحقيقة؛ لأن ن "الأنا" المتضخمة تحجب عنه الرؤية.

* الاستخفاف بالعواقب: الكبر يورث "الغفلة" والاعتداد بالمال والسلطان، مما يجعل الإنسان يسخر من التحذيرات) كما سخر فرعون وملؤه (حتى يقع العقاب.

رابعاً: أحكام التجويد واللمسة النفسية) غالين(عند نطق كلمة) غالين(، نجد الياء والمد الذي ينتهي بنون ساكنة عند الوقف. هذا الامتداد الصوتي يعكس حالة "التمدد الكاذب" للمتكبر.

* الرسالة: المتكبر يظن أنه في علو دائم) المد(، ولكن كما تنتهي الكلمة بسكون، ينتهي هذا العلو بسكون الموت أو السقوط المهين في اليم.

التوجيه التربوي لنا:

إن أكبر خطر يواجه الداعية، أو المفكر، أو حتى الأب في أسرته، هو "كبر المستمع".

* النصيحة: إذا وجدت من تحاوره متلبساً بصفة "العلو"، فلا ترهق نفسك بزيادة الأدلة فقط، بل حاول أولاً "كسر حاجز الكبر" باللين) قولاً ليناً (أو ببيان عواقب الكبر، لأن الحق الواضح لا ينفع قلباً أغلقه الكبر.

المفهوم الثاني.

إن تفكيك "عائق الكبر" لدى الآخرين هو أصعب مراحل الحوار، لأنك لا تتعامل مع "نقص معلومة" بل مع "تضخم ذات". ومنهج موسى عليه السلام في مواجهة "فرعون وملئه" يمنحنا استراتيجية نبوية لتفكيك هذا الكبر بذكاء وأدب، مستنديين إلى) السلطان المبين(. إليك الخطوات العملية المستنبطة لتفكيك الكبر دون تصادم مباشر:

1. استراتيجية "القول اللين") امتصاص الاستعلاء)

قبل أن تأتي بالسلطان والقوة، وجه الله موسى بقوله: {قُولُوا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لِّعَلَّهُ يَنصِتُ} أو يَخْشَى.} * الهدف التربوي: اللين ليس ضعفاً، بل هو "مخدر موضعي" لجرح الكبرياء. عندما تبدأ بتقدير الشخص أو بكلمات رقيقة، فأنت تخفض "دفاعات الأنا" لديه، مما يفتح ثغرة لمزج الحق.

* التطبيق: ابدأ بذكر القواسم المشتركة أو بمدح صفة إيجابية فيه قبل طرح النقد أو الحجة.

2. تحويل المعركة من "الأشخاص" إلى "الحقائق") سلطان مبين(

المتكبر يرى النصيحة "إهانة شخصية". الحل هو إخراج "ذاتك" و"ذاته" من المعادلة والتركيز على

البرهان الموضوعي.

* الأسلوب: لا تقل "أنا أعلم منك" أو "أنت مخطئ"، بل قل: "دعنا ننظر إلى هذه الحقائق/الأرقام/الآ

يات".

* النتيجة: عندما يواجه المتكبر "سلطاناً مبيناً" حجة قاهرة وواضحة، فإنه يجد نفسه أمام "الحقيقة" لا أمام "خصم"، مما يسهل عليه التراجع دون الشعور بالهزيمة الشخصية.

3. ربط المبدأ بالمصلحة) تفكيك اغترار الجاه)

فرعون وملؤه استكبروا بسبب المال والمنصب. (موسى عليه السلام حاول تفكيك هذا بربط النجاة و

الملك باتباع الحق.

* التطبيق: وضح للطرف الآخر أن اتباع القيمة الصحيحة) الأمانة، العدل، التواضع (سيعزز من مكانته الحقيقية ويحمي مصالحه الدائمة، بينما الكبر سيؤدي للغرق) الفشل المهني أو الأسري.

4. اللمسة التجويدية والبيانية في "التواضع القوي"

تأمل في قوله: {يَا أَيُّهَا سُلْطَانُ مُبِينٌ}.

* دلالة التنوين والإدغام: التنوين في "سلطان" يعطي جرساً قوياً، لكن إدغامه في "مبين" يجعله ينساب بسلاسة.

* الدرس التربوي: كن كـ "الإدغام"؛ حجة قوية كالسلطان، لكنها مناسبة وسلسة كالمبين. القوة في المحتوى، واللين في الوعاء. هذا المزيج هو الوحيد الكفيل باختراق حصون الكبر.

5. مخاطبة "الفطرة") تذكير العالي بأصله)

وصفهم الله بأنهم {قَوْمًا غَالِينَ}، والرد على هذا العلو يكون بتذكيرهم بالحقائق الوجودية) المرض،

الموت، الحاجة).

* التطبيق: في حوارك، استخدم قصصاً أو أمثلة تذكر بضعف الإنسان وحاجته للآخرين. هذا يعيد "المتكبر" إلى حجمه الطبيعي دون مواجهة مباشرة تجرح كرامته

الخلاصة التربوية:

تفكيك الكبر يحتاج إلى "نفس طويل" و**"صدق نية".** تذكر أن موسى لم يبأس من فرعون رغم علوه، واستخدم معه كل الأدوات (الآيات، اللين، السلطان). (إذا كان "الاستقبال" معطلاً، فاستمر في إرسال "الآيات" الواضحة، فالماء يفتت الصخر بـ الاستمرار لا بـ العنف.

المفهوم الثالث

الرابط بين العلو في الأرض والظلم وسقوط الحضارات
إن الرابط بين "العلو في الأرض" و**"الظلم" هو رابط بنيوي عضوي؛ فالعلو الذي ذكره الله في قوله {وكانوا قومًا عَالِينَ} ليس علواً بالحق أو الرفعة الأخلاقية، بل هو "استعلاء" استكباري يؤدي حتماً إلى اختلال موازين العدل.

إليك تفصيل هذا الربط وعلاقته بمصير الحضارات والميراث الأخروي:

أولاً: العلاقة بين العلو والظلم (طغيان الـ "أنا")

* العلو كتجاوز للحد: العلو في الأرض يعني رؤية النفس فوق القانون وفوق الخلق. هذا الشعور يرفع "الحاجز الأخلاقي" لدى المستعلي، فيستبجح حقوق الآخرين (وهو عين الظلم).

* احتقار "الآخر": وصفهم الله بـ "عَالِينَ"، والمستعلي لا يرى من هم دونه إلا أدوات لمصالحه. لذا، كان "فرعون وملاه" يظلمون بني إسرائيل لأنهم استعلوا عليهم عرقياً وطبقياً.

* الاستغناء المورث للطغيان: كما قال تعالى: {كُلًّا إِنَّا لَنَرِيكَ الْإِنْسَانَ لَسَفُوحًا} * أن رَأَهُ اسْتَقْنَى. الغنى و الجاه والمنصب (أركان العلو) توهم الإنسان بالاستغناء عن الخالق، ومن استغنى عن الخالق تجرأ على ظلم المخلوق.

ثانياً: مفهوم العلو وزوال الحضارات (سنة الاستبدال)

الحضارات التي تقوم على "العلو والاستكبار" تحمل بذور فنائها في داخلها، وهذا ما يسمى بـ "قانون الترف والظلم":

* التخلخل الداخلي: الظلم المترتب على العلو يؤدي إلى تفكك الجبهة الداخلية وفقدان الولاء، مما يجعل الحضارة هشّة أمام أي ريح (سلطان مبین).

* النهاية الحتمية (اليم): كما غرق فرعون وجنوده (الذين استكبروا بغير الحق)، فإن كل حضارة تتخذ "العلو" منهجاً تنتهي بـ "النبد" التاريخي. الاستكبار يعمي بصيرة القادة عن الأخطار، فيسيرون نحو حتفهم وهم يظنون أنهم "عالمون".

ثالثاً: وراثّة الأرض (من هم الورثة الحقيقيون؟)

هنا تبرز المفارقة القرآنية؛ العلو المؤقت هو للمتكبرين، لكن الوراثة الدائمة هي للمستضعفين الصابرين.

* الرسالة: الله لا يورث الأرض للمستعجلين بظلمهم، بل يورثها للذين يعمرونها بالعدل. قصة موسى تنتهي بتمكين المستضعفين لأنهم حملوا "الآيات" و"البينات" ولم يحملوا "كبر" فرعون.

* القاعدة: {أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ}. الصلاح هنا هو نقيض العلو والظلم.

رابعاً: الدار الآخرة وجنة الخلد (شرط الدخول)

وضع القرآن شرطاً صريحاً لدخول الدار الآخرة، وهو "نفي العلو" في الدنيا:

< {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ تَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا} وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ >

* نفي الإرادة: لاحظ أن الآية لم تقل "لا يعلون"، بل قالت "لا يريدون علواً". أي أن مجرد تمني العلو الاستكباري هو مانع من مواريث الآخرة.

* الارتباط بالفساد: ربطت الآية بين "العلو" و"الفساد"؛ فلا يمكن أن يوجد علو استكباري دون أن يتبعه فساد في الأرض.

* جنة الخلد: هي مأوى "المتواضعين للحق"، الذين عرفوا قدر أنفسهم أمام عظمة الخالق، فاستحقوا الخلود في علو حقيقي عند مليك مقتدر.

اللمسة البيانية والتجويدية الختامية

في كلمة (عَالِينَ)، نجد الياء ممدودة مد1 طبيعياً، وهو صوت يخرج بانسيابية.

* المعنى التربوي: المستعلون يظنون أن طريقهم "سالك" ومنساب (كما في صوت المد)، لكن الله وضع "النون" الساكنة في آخر الكلمة لتكون كـ "الجدار" الذي يصطدم به هذا العلو فيتوقف فجأة.

* المد هو الدنيا وبهرجها، والنون الساكنة هي الأجل المحتوم والحساب الذي لا مفر منه.

التوجيه الرباني لنا:

إذا أردت أن تكون من "ورثة الأرض" وجنة الخلد، فاحذر من "شهوة العلو" في عملك، أو أسرترك، أو مجتمعتك. اجعل "سلطانك" هو الحق، و"علوك" هو التقوى، وتذكر أن من تواضع لله رفعه، ومن نازع الله رداء الكبرياء (العلو) قصمه.

المفهوم الرابع

الايه تبين اهميه تحلى المسلم بالتواضع فهو منهج النجاح وتطهير النفس من افآت الكبر خاصه وإن الكبر من أخفى "أمراض القلوب" وأشدّها مكرًا، فقد يتسلل إلى الإنسان وهو يظن أنه "يأمر بـ

المعروف" أو "يتمسك بالحق". في قصة فرعون، لم يكن يرى نفسه ظالماً، بل كان يقول: {مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ}.

إليك كيف يخفى الكبر، وكيف تكتشف "فرعونك الداخلي" وتعالجه بمنهج (السلطان المبين):
أولاً: لماذا يخفى الكبر على صاحبه؟

* التخفي بزي "الحق": قد يوهمك الشيطان أن ردك لرأي الآخرين هو "دفاع عن المبدأ"، بينما هو في الحقيقة "دفاع عن ذاتك" التي لا تقبل أن تكون مخطئة.

* خداع "المنصب والجاه": الشخص الذي اعتاد أن يكون مطاعاً (كالملا) ينسى مع الوقت أن طاعة الناس له هي "وظيفة" وليست "استحقاقاً ذاتياً"، فيبدأ بالشعور بالعلو الطبيعي.

* المقارنة بالأسوأ: قد يرى المرء نفسه متواضعاً لأنه لا يعامل الناس بجفاء فرعون، لكنه يضرر في نفسه أنه "أعلم" أو "أتقى" أو "أرقى" من الآخرين.

ثانياً: علامات استكشاف "الاستكبار" في النفس

يمكنك إجراء "فحص ذاتي" من خلال المواقف التالية المستنبطة من الآية:

* اختبار "رد الحق": إذا ظهر الصواب على لسان شخص أقل منك (سناً، أو علماً، أو رتبة)، هل تشعر بضيق في صدرك؟ هل تحاول البحث عن "ثغرة" في كلامه لتسقطه؟ إذا فعلت، فهذا هو (بطل الحق) الذي هو ركن الكبر الأول.

* اختبار "النظر للآخرين": هل تنظر للمخالفين لك بوصفهم "جهلة" أو "أدنى شأنًا"؟ في الآية، وصفهم الله بأنهم {قَوْمًا غَالِينَ}؛ فإذا رأيت نفسك في "علو" وغيرك في "سفل"، فقد أصابك رشاش من كبر فرعون.

* اختبار "الاستغناء عن المشورة": هل تشعر أنك لا تحتاج لأخ (كه-ارون) يشد أزرعك؟ المتكبر يرى نفسه "وحدة كاملة" لا تحتاج لنقد أو توجيه.

* اختبار "الظهور والتميز": هل تحب أن يُشار إليك بالبنان، وتغضب إذا لم تحترم "مكانتك" بما تراه لائقاً؟

ثالثاً: العلاج بـ "سلطان" التقوى والوضوح

لكي تظهر نفسك من هذا العائق الذي يمنع قبول الحق، اتبع الآتي:

* تذكر "اليم": كلما شعرت بالعلو، تذكر أن فرعون الذي كان يقول "أنا ربكم الأعلى" انتهى جثة هامة لا تملك لنفسها نفعاً. العلو الحقيقي هو علو المنزل عند الله، وهذا لا ينال إلا بالسجود (أقصى درجات التواضع الجسماني).

* تفعيل "هارونك الداخلي": اجعل لنفسك صديقاً صدوقاً (رفقة صالحة) يملك الجرأة ليوضح لك عيوبك بـ (سلطان مبين)، واقبل منه ذلك بامتنان.

* التدريب على "البيان" المتواضع: تعتمد في حواراتك أن تقول: "أخطأت"، "أفدتني"، "رأيك أصوب من رأيي". هذه الكلمات تكسر "صنم الذات" وتدريب القلب على قبول الحق.

رابعاً: لمسة تجويدية (الهمزة في "أرسلنا")

في قوله {ثُمَّ أَرْسَلْنَا} تبدأ الكلمة بهمزة قطع قوية تخرج من أقصى الحلق.

* الرسالة: تماماً كما تقطع الهمزة الصوت بقوة، اقطع حبال الكبر في نفسك بقوة اليقين بأن العظمة لله وحده. لا تترك الكبر ينمو لك - "مد" طويل (غاليين)، بل اقطعه بـ "همزة" التواضع.

المفهوم الخامس

مفهوم العلو الحقيقي هو الطاعة والخضوع والعبودية لله هي بوابه الرفعه

فهذا هو "الجوهر" الذي تختمه به هذه الرحلة المعرفية، وهو النقيض التام لـ "العلو الاستكباري" الذي مارسه فرعون وملاؤه. فبينما كان علوهم "سقوطاً" في اليم، فإن علو الطاعة هو "ارتقاء" في درجات القرب من الله.

إليك الربط الختامي بين مفهوم "العلو الحقيقي" وبين الدلائل التي تدارسناها:

1. العلو بالعبودية (قمة الحرية)

في المنظور الفرعوني، العلو هو استعباد الآخرين، أما في المنظور الموسوي (بآياتنا)، فالعلو هو التحرر من عبادة العبيد إلى عبادة رب العباد.

* الرسالة: كلما زاد تذلل لك لله وخضوعك لآياته، زاد علوك الحقيقي وهيبتك في قلوب الخلق. العبودية لله هي "السلطان" الذي يمنحك القوة أمام الجبابرة.

2. التواضع: المحرك السري لـ "السلطان المبين"

المتكبر يرى التواضع ضعفاً، لكن القرآن يعلمنا أن "التواضع للحق" هو الذي جعل موسى (وهو بشر) يغلب فرعون (الذي ادعى الألوهية).

* التواضع المعرفي: أن تعترف بنقصك وتستعين بأخيك (هارون)، وهذا هو سر نجاح العمل الجماعي.

* التواضع القلبي: أن تجعل قلبك "أرضاً منخفضة" لتستقر فيها أمطار الوحي والآيات، فالمطر لا يستقر فوق القمم الشاهقة (المتكبرة) بل ينحدر للوديان (المتواضعة).

3. الفرق بين "العلو الزائل" و"الرفعة الدائمة"
* العلو الفرعوني (قوماً عالين): علوٌ مادي، حسي، منقطع بانتهاه الأجل أو زوال المنصب. صوت مده (عالين) ينتهي بسكون الموت.
* العلو الإيماني (ورفعت لك ذكرك): هو علوٌ معنوي، رباني، متصل بالدار الآخرة. هو علو "الذكر الحسن" في الدنيا و"الدرجات العلى" في الجنة.
المسلة البيانية الختامية (السجود)
أقرب ما يكون العبد من ربه (في أعلى مقامات القرب) وهو "ساجد" (في أدنى مقامات التواضع الجسماني).
* هذا هو "التناسب الطردي" في قانون الإيمان: كلما انخفضت جبهتك لله تواضعاً، ارتفعت روحك ومنزلتك عزةً وعلواً.
التوجيه العملي لك (رسالة الختام):

المبحث الثالث

تعد الآيتان (45-46) من سورة المؤمنون دستوراً متكاملًا في "هندسة النفس البشرية" وإدارة الطاقات، حيث تتجاوزان السرد التاريخي لتقدم نماذج في التنمية الذاتية والوقاية من الانحراف النفسي والمجتمعي.

إليك تحليل دور الآية في تربية المسلم على التواضع، ودورها في التنمية والارتقاء بالفرد:

أولاً: التربية على التواضع والقبول للحق

تعمل الآية على صياغة عقلية المسلم المتواضع من خلال ثلاثة مسارات نفسية:

* فك الارتباط بين "الحق" و"الذات": عندما يرسل الله موسى ومعه هارون، يتعلم المسلم أن الحق ليس حكراً على فرد، بل هو (آياتنا) المنسوبة لله. التواضع هنا يبدأ من الاعتراف بأنك "ناقل" للحق ولست "صانعاً" له، مما يسهل عليك قبوله من الآخرين.

* الاعتراف بالاحتياج (درس هارون): طلب موسى لأخيه هارون هو قمة التواضع التربوي؛ فهو اعتراف بالنقص البشري واستعانة بالكفاءة الأعلى (الفصاحة). المسلم المتربي بهذه الآية لا يجد غشاضة في القول: "أنا أحتاج إليك لتكمل نقصي".

* التحذير من صدمة "العلو الكاذب": بوصف فرعون وملئه بـ (قوماً عالين)، تنبه الآية المسلم إلى أن "العلو النفسي" هو حجاب يمنع الإدراك. التواضع هو "انفتاح القنوات" لاستقبال المعرفة، بينما الكبر هو "انسداد" يؤدي لضياع الفرص.

ثانياً: دور الآية في التنمية البشرية والارتقاء بالفرد

تمثل الآية "نموذج الكفاءة" في التنمية البشرية من خلال ركيزتين:

* بناء الكفاءة (الآيات والسلطان): التنمية الحقيقية للفرد تبدأ بالتسلح بـ "المحتوى الصلب" (الآيات/المبادئ) و**"المهارة التنفيذية" (السلطان المبين/الحجة). الارتقاء بالفرد لا يكون بالشعارات، بل بتمكينه معرفياً ومنطقياً.

* الإدارة الجماعية للطاقات: الآية تضع حجر الأساس لـ "تنمية الفريق"؛ فالفرد ينمو ويرتقي عندما يعرف دوره في المنظومة (موسى قائدًا، وهارون مبيّنًا). هذا يمنع "تبدد الطاقات" في الصراعات الداخلية أو محاولة القيام بكل الأدوار وحده.

ثالثاً: الجوانب النفسية وصيانة النفس من الانحراف

تهتم الآية بصيانة النفس البشرية وحمايتها من "الاحتراق" أو "الطغيان" عبر الآتي:

* الوقاية من "نرجسية السلطة": بوصف "الملأ" ودورهم في تعزيز طغيان فرعون، تحذر الآية الفرد من "بطانة السوء" أو الأصوات الداخلية التي تزين له الخطأ. صيانة النفس هنا تكون بـ "المراجعة الدائمة" للحق (البيانات).

* حماية الطاقات من التبدد:

* طاقة المستكبر: تَبَدّد في محاولة الحفاظ على "الصورة الذهنية" الكاذبة (العلو).

* طاقة المتواضع: تستثمر في البناء والإقناع وخدمة المبدأ.

* الآية توضح أن الاستكبار (انحراف نفسي) يؤدي لضياع الجهد (الفرق)، بينما التواضع للحق

يؤدي لترك أثر باق (الرسالة).

* التوازن النفسي (قوة بلا غطرسة): "السلطان المبين" يمنح المسلم ثقة بالنفس (قوة)، لكن نسبته للـ "آيات" الإلهية تمنع هذه الثقة من التحول إلى غرور (انحراف).

رابعاً: البناء والتنمية المجتمعية

تؤصل الآية لمبدأ "المؤسسية" ضد "الفردية الاستبدادية":

* الدولة العميقة (الملأ): تحذر الآية من أن الفساد المؤسسي يبدأ عندما تصبح مصلحة "الملأ" فوق مصلحة "الحق". التنمية المجتمعية تتطلب "شفافية" (مبين) و"مرجعية قيمية" (آياتنا).

* الارتقاء القيمي: المجتمع الذي يقدر "البينة" (السلطان) فوق "المنصب" (العلو) هو مجتمع محصن ضد الفتن وقادر على النهوض المستمر.

الخلاصة التربوية والتنموية:

الآية تبني "الإنسان المتكامل": القوي في حقه، المتواضع في ذاته، المتعاون مع غيره، الواعي بمخاطر النفس (الكبر) ومخاطر المجتمع (الملأ الفاسد). هي دعوة للارتقاء من "وهم العلو" إلى "حقيقة الرفعة" بطاعة الله وخدمة الإنسانية.

ثالثا

تنتقل سورة المؤمنون في الآية (47) إلى مرحلة "المواجهة الكلامية" وتقديم الحجج الواهية التي ساقها فرعون وملؤه لرفض الحق، حيث يقول تعالى: {فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ}. إليك تحليل الآية بفقراتها المفصلة، مبيها الأبعاد النفسية والتربوية واللمسات البيانية: الفقرة الأولى: {فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ}...

[محور الاستكبار المعرفي وحواجز التلقي]

* اللمسة البيانية والبلاغية: تبدأ الفقرة بـ "الفاء" العاطفة (التعقيبية)، مما يدل على سرعة الرد بـ الرفض دون تفكير. واستخدام "همزة الاستفهام" أنؤمن (ليس طلباً للفهم، بل هو استفهام إنكاري يحمل معنى الاستهزاء والاستبعاد.

* المفاهيم والدروس: تعبر هذه الفقرة عن "التبجح بالباطل". المستكبر لا يكتفي برفض الحق، بل يضع شروطاً للإيمان تجعل من "ذاته" هي المقياس لا "الحقيقة" ذاتها.

* الأمراض التي تعالجها: تعالج مرض "التسرع في الحكم" و**"الانغلاق الفكري".**

* التوجيه التربوي والنفسي: صيانة النفس من "الأحكام المسبقة". المسلم يتربى على أن "الإيمان" هو إذعان للحق أياً كان مصدره، وليس تفضلاً منه على صاحب الحق.

الفقرة الثانية: {...} لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا...

[محور الوثنية البشرية والمادية القاتلة]

* اللمسة البيانية وحركات الحروف: استخدام لفظ "بشرين" بصيغة التثنية، وكلمة "مثلنا" للتسوية. نلاحظ كسر الباء في بـبشر (والسين الساكنة؛ جرس الكلمة يوحي بمحاولة "تحقير" شأن الرسل وحصرهم في الجانب المادي الطيني فقط.

* المفاهيم والدروس: هذه هي عقبة "المماثلة". المستكبر يرى أن التميز لا بد أن يكون مادياً (ملائكة أو كنوز). (هو لا يرى "الآيات والسلطان" الذي يحمله الشخص، بل يرى "هيكل الشخص" فقط.

* الأمراض التي تعالجها: تعالج مرض "السطحية" و**"المادية" و**"قياس الأمور بالظواهر".**

* الرسالة الربانية: الحق سبحانه وتعالى يخبرنا أن "البشرية" ليست عائقاً عن النبوة أو الصلاح، بل هي وسيلة للناسي. العلو الحقيقي هو بالروح والوحي لا بالجنس أو النوع.

الفقرة الثالثة: {...} وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ

[محور الطغيان الطبقي والاستبعاد السياسي]

* اللمسة البلاغية الجملة الاسمية تفيد الثبوت والاستمرار. كلمة "عابدون" هنا لا تعني السجود فقط، بل تعني الخضوع والذل والتبعية العمياء (العبودية السياسية).

* المفاهيم والدروس: هذا هو "المنطق الطبقي الفاسد". فرعون وملؤه ربطوا الحق بـ "القوة والمكانة الاجتماعية". منطقهم يقول: "كيف نتبع من هم أقل منا شأنًا اقتصاديًا واجتماعيًا؟".

* الأمراض التي تعالجها: تعالج مرض "العنصرية" و**"الاستعلاء الطبقي" و**"تقييم الناس بمدى خضوعهم للسلطة".**

* التوجيه النفسي والارتقاء بالفرد: تحذر الآية من أن يتحول "النجاح المادي" إلى وسيلة لاحتقار الآخرين. صيانة الطاقات من أن تبدد في استعباد الخلق بدلاً من إعمار الأرض.

رابعاً: نظم الآية وخدمته للمقاصد الكلية

* التناقض الصارخ: بدأت الآية بإنكار "بشرية" (الرسل) أنؤمن لبشرين، وختمت بإثبات "عبودية" قومهم) لنا عابدون. (هذا النظم يكشف أن مشكلتهم ليست في "البشرية"، بل في "تضخم الذات". هم يرفضون بشراً مثلهم لأنهم يرون أنفسهم "فوق" البشر.

* صيانة النفس من الانحراف: الآية تضع مرآة أمام كل فرد؛ فإذا وجدت نفسك ترفض فكرة صحيحة لمجرد أن صاحبها "أقل منك رتبة" أو "أصغر سناً"، فاعلم أنك تمارس "منطق فرعون" في الاستكبار.

* التنمية البشرية والبناء: لا يمكن بناء مجتمع متطور إذا كان المقياس هو "من القائل؟" وليس "ماذا قال؟". التنمية الحقيقية تبدأ بكسر قيود التبعية العمياء (العبودية لغير الله) والتحرر من قيود الطبقة. الرسالة الختامية لنا من خلال هذه الآية:

إن الله سبحانه وتعالى يسجل هذه الحجج الواهية ليحذرننا من "أصنام العقل". الكبر والطبقية والاغترار بالمنصب هي "أغلال" تمنع الروح من الطيران في سماء الحق.

* الدرس التربوي الأهم: العظمة ليست في أن يخدمك الناس (عابدون)، بل العظمة في أن تخدم الحق وتخضع له، حتى لو جاءك على لسان "بشر مثلك".

المفهوم الأول

تعد الآية 47 من سورة المؤمنون {فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ} تشريحاً إلهياً دقيقاً لثالوث "السطحية، والمادية، وقياس الأمور بالظواهر". هذا الثالوث ليس مجرد خطأ فكري، بل هو "داء نفسي" يحجب الرؤية عن الحقائق الكبرى.

إليك الشرح المفصل لكل فقرة طلبتها، مستنبطاً الكنوز من ثنايا الآية:
أولاً: السطحية كداء (المفهوم، الأسباب، العلاج)

1. المفهوم: السطحية هي الاكتفاء بـ "قشرة" الأشياء وإهمال "لبابها". في الآية، تجلت السطحية في قولهم {لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا؛ فهم رأوا} البشرية (كجنس مادي، ولم يروا) الرسالة (كقيمة روحية).
2. الأسباب:

* الكسل العقلي: الاستسهال في إطلاق الأحكام بناءً على الشكل.
* سيادة التقليد: الانغلاق على المألوف (نحن سادة وهم عبيد) (يمنع العقل من الغوص في جوهر التغيير).

3. العلاج:

* التفكير والتدبر: الإسلام يربي المسلم على "النفاذ" إلى بواطن الأمور.
* شاهد الآية: رد الله عليهم بكلمة {بِآيَاتِنَا} (في الآية السابقة؛ فالآية تتطلب عقلاً "غواصاً" لا "سطحياً" يرى المعجزات مجرد أفعال بشرية).

ثانياً: المادية وقياس الأمور بالظواهر (الداء، الأسباب، العلاج)

1. المفهوم: هو حصر الوجود في "المحسوس" فقط، واعتبار القوة المالية والطبقية هي معيار الحق. قولهم- موسى وهارون {مِثْلِنَا} {و} لَنَا عَابِدُونَ {يعكس أن ميزانهم هو} الجسد (و) السلطة، وليس (و) الوحي (و) الهدى.

2. الأسباب:

* الاغترار بالتمكين المادي: المال والمنصب (يولد عُمىً بالألوان القيمة).
* الجحود الروحي: إماتة القلب تجعل الإنسان لا يؤمن إلا بما يلمسه بيده.

3. العلاج:

* الإيمان بالغيب: وهو الركن الأول الذي ينقل الإنسان من ضيق "المادة" إلى سعة "الروح".
* شاهد الآية: نبرة الاستعلاء في {عَابِدُونَ}؛ فعلاجها هو العلم بأن العبودية الحقيقية لله وحده، وأن القوة المادية زائلة) كما غرقوا في اليم لاحقاً).
ثالثاً: هل هو داء قديم أم متجذر؟ (علاقته بالهوى)
هذا الداء هو "طبيعة بشرية منحرفة" تظهر في كل زمان، وليست قاصرة على الأمم السابقة.
* علاقته بالنفس: عندما يسيطر (الهوى) على النفس، يصبح "معيار الحق" هو ما يوافق شهوتها في العلو والاستعلاء.

* محاربة الحق: النفس المستكبرة تحارب الحق لا لأنه غير واضح، بل لأنه "يكسر صنم ذاتها". فرعون وملؤه لم ينكروا المعجزات، لكنهم أنكروا أن يكون أصحابها (بشراً) مثلهم أو (عبيداً) لهم، لأن قبول الحق يعني ضياع مكاسبهم الطبقية.

رابعاً: المنهج الإسلامي في المعالجة (القصص كرسائل لا كحكايات)

الإسلام حين يسرد قصص الكفار واستكبارهم، لا يقصها للتسلية، بل يقدم "حقيقة علاجية" من خلال:
* المواجهة بالمصير: يذكر الله حوارهم الاستكباري ثم يتبعه فوراً بذكر إهلاكهم؛ ليوصل رسالة للفرد: "انظر أين أدى بهم هذا التفكير السطحي والمادي؟ إلى الهلاك".

* تفكيك المنطق الفاسد: القرآن يبرز "تهافت" عقولهم. قولهم {أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ} يظهر غباء المستكبر؛ فهو يرفض الحق لأن حامله بشر، وهذا قمة "الانحراف العقلي".

* توجيه النفس للبناء والارتقاء: الإسلام يربينا من خلال الآية على أن "كرامة الإنسان" ليست في استعباد الآخرين (عابدون)، بل في خضوعه للحق.

كنوز وشواهد من الآية 47 لتعزيز الفكرة:

{ * فقَالُوا: الفاء تدل على أن السطحية تؤدي لـ "الاستعجال" في الرد. المسلم المتزن "يتأنى" و"يفكر" قبل أن يرفض.

{ * أَتُؤْمِنُ: الهمزة للاستنكار؛ وهي تعبر عن "الاستغلاق القلبي". العلاج هو "الانفتاح" و"التساؤل" الصادق: "لماذا أرسلهم الله؟" بدلاً من "كيف يكونون بشراً؟".

{ * مِثْلِنَا: شاهد على داء "النديّة الكاذبة". المستكبر يرى نفسه نداً لكل حق، والمسلم يرى نفسه عبداً للحق.

{ * لَنَا عَابِدُونَ: قمة الانحراف النفسي؛ وهي رؤية الآخرين كأدوات. الإسلام عالج هذا بـ "الأخوة الإيمانية" التي تذيب الفوارق الطبقية.

الختام والتوجيه النفسي:

الآية تحذرننا: "إياك أن ترفض فكرة صحيحة لأن صاحبها لا يملك مالك، أو ليس من رتبته". فالحق سلطان بذاته، والسطحية والمادية هما قيود المكبلين في أغلال "الأنا".

المفهوم الثاني

اهمية المراقبة ذاتية" لتطهير النفس من بقايا السطحية والمادية في أحكامنا اليومية؟
 بناءً على هذا التسلسل المتعمق في تشخيص "أدواء النفس" (السطحية، المادية، والطبقية) من خلال الآية 47، إليك "خطة المراقبة الذاتية". هذه الخطة مُصممة لتكون أداة عمل يومية (قانونية وتربوية) تضمن لك "نقاء التلقي" وصيانة النفس من الانحراف الاستكباري.
 خطة "البرهان النفسي": لتطهير الوعي من السطحية والمادية
 مستوحاة من قوله تعالى: {فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ} الميدان الأول: معالجة "السطحية" (تجاوز القشور)
 الشاهد من الآية: حصرهم للرسالة في "البشرية" المادية {لِبَشَرَيْنِ}.
 * تمرين "النفاذ للجوهر": عند سماع فكرة أو رأي جديد، توقف عن تقييم "هيئة القائل" أو "طريقة عرضه". اسأل نفسك: "هل هذا الكلام حق في ذاته؟".
 * مؤشر الانحراف: إذا وجدت نفسك ترفض الفكرة لأن صاحبها "بسيط" أو "لا يملك كاريزما"، فأنت تعاني من "سطحية فرعونية".
 * العلاج العملي: تعمّد قراءة كتب أو الاستماع لأشخاص من خلفيات "بسيطة" تقنياً لكنها عميقة فكرياً، لتكسر صنم "الشكل والمظاهر".
 الميدان الثاني: معالجة "المادية" (ميزان الحق لا ميزان القوة)
 الشاهد من الآية: قياس الحق بـ "المماثلة المادية" {مِثْلِنَا}.
 * تمرين "تجريد الحق": في عملك القانوني أو التربوي، جرد القضية من "المناصب والجاه". تعامل مع "المادة القانونية" والآية الشرعية كـ سلطان مطلق لا يخضع لمكانة الخصوم.
 * مؤشر الانحراف: الشعور بأن الحق دائماً مع "الأقوى" أو "الأكثر نفوذاً".
 * العلاج العملي: استحضار "مشهد الفرق" لفرعون وملئه كلما بهرك بهرج المادة. تذكر أن {سلطان مبین} هو الحجة التي تكسر كل مادية زائفة.
 الميدان الثالث: معالجة "الطبقية والتبعية" (صيانة الكرامة الإنسانية)
 الشاهد من الآية: احتقار الآخرين بسبب تبعيتهم {وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ}.
 * تمرين "الأخوة الوجودية": انظر لمن هم دونك في السلم الوظيفي أو الاجتماعي كـ "شركاء في العبودية لله"، لا كـ "عابدين" لمصالحك.
 * مؤشر الانحراف: استخدام لغة "نحن" و"هم" (نحن السادة وهم العبيد/الأتباع).
 * العلاج العملي: "منهج التواضع الميداني". خصص وقتاً للجلوس والاستماع لمن تعتبرهم "بسطاء"، وتعلم منهم حكمة لا تجدها في بروج "الملا".

كنوز تربوية لصيانة الطاقات:

* قاعدة "النون" الساكنة: كما تنتهي الكلمات (عَالِينَ، عَابِدُونَ) بنون ساكنة توقف الصوت، تذكر أن كل طاقة تُبذل في "العلو" ستتوقف عند الموت، أما الطاقة المبذولة في "الآيات" فهي مدّ متصل في الآخرة.
 * صيانة النفس من "الهوى": الإسلام حين حكى أقوالهم، أرادك أن تحذر من "مرآة نفسك"؛ فكلما قلت "لا" لحقّ واضح، ابحث عن "فرعونك المختبئ" خلف كلمة {أَتُؤْمِنُ}.

المفهوم الخامس

نتنقل لتحليل الآية 48 {فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ} لنرى كيف تحول "الداء الفكري" (السطحية و المادية) إلى "نتيجة مادية" (الإهلاك)، وكيف يختم القرآن قصة الاستكبار بنهاية تربوية حاسمة؟
 فالله سبحانه وتعالى يقول {فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ}. فهذه الآية ليست مجرد نهاية قصة، بل هي "القانون الصارم" الذي يربط بين "الفساد الفكري" و"الانهيار المادي".
 إليك التحليل المفصل لهذه الآية بفقراتها ودلالاتها التربوية والنفسية:

الفقرة الأولى: {فَكَذَّبُوهُمَا}

[محور السلوك العملي الناتج عن الداء النفسي]

* اللمسة البيانية (الفاء التعقيبية): حرف "الفاء" هنا يربط بين "المنطق السطحي" في الآية السابقة (أَتُؤْمِنُ لبشرين) وبين "الفعل" (فَكَذَّبُوهُمَا). هي فاء السببية؛ فالتكذيب لم يكن صدفة، بل كان نتيجة حتمية لداء السطحية والمادية.

* المفاهيم والدروس: التكذيب هنا هو "إهدار الطاقات". فبدلاً من استثمار "آيات" موسى و "سلطانه" لبناء الأمة، بدد فرعون وملؤه طاقاتهم في التكذيب والمواجهة.

* الأمراض التي تعالجها: تعالج مرض "العناد" و**"الإصرار على الخطأ" رغم وضوح الحجة.

* اللمسة التجويدية: الوقف على "فَكَذَّبُوهُمَا" بمد طبيعي يوحي بامتداد زمن "الإمهال" الإلهي لهم قبل العقوبة، لكنهم لم يستغلوه.

الفقرة الثانية: {فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ}

[محور السقوط الحضاري والجزاء من جنس العمل]

* اللسة البلاغية (اسم المفعول): لم يقل "فهلكوا"، بل قال {مَنْ الْمُهْلَكِينَ} بصيغة اسم المفعول. هذا يدل على أن الإهلاك وقع عليهم بقوة قاهرة من خارجهم (قدر الله)، وأنهم صاروا "جزءاً" من قائمة طويلة من الطغاة عبر التاريخ.

* التحليل النفسي: المستكبر الذي كان يرى نفسه (عالياً) و(سيداً) على العابدين، انتهى به الأمر أن يكون (مُهْلَكاً) تافهاً لا يملك دفع الضر عن نفسه. هذا هو "انكسار صنم الأنا".

* أحكام التجويد: المد العارض للسكون في (المُهْلَكِينَ) مع النون الساكنة؛ صوت "الياء" المكسورة الممدودة ثم الانغلاق بالنون يصور مشهد "الغرق والانحباس"؛ حيث لا مخرج ولا علو بعد ذلك. ثالثاً: كيف يخدم النظم "صيانة النفس والبناء"؟

* قانون "السبب والنتيجة": القرآن يوجه رسالة لكل قيادي أو فرد: "انحرافك الفكري (سطحية ومادية) سيؤدي حتماً إلى فشلك العملي (إهلاك)". البناء والتنمية لا يمكن أن يستمر بغير "الصدق مع الحق".

* صيانة الطاقات من التبدد: الإهلاك في الآية ليس موتاً فحسب، بل هو "ضياع الأثر". فرعون بنى الأهرامات والقلاع، لكنه لم يبن "إنساناً"، فصار ذكره مقترباً باللعنة. التنمية الحقيقية هي التي تبقى ببركة "الحق".

* علاج "الاعتزاز باللحظة": فرعون كان يرى نفسه "عالياً" في لحظة الحوار، لكن الآية تذكره وتذكروا بأن "العاقبة" هي المعيار.

رابعاً: الفوائد التربوية المستنبطة (رسائل الحق لنا)

* الرسالة الأولى: "التكذيب" ليس مجرد كلمة، بل هو "منهج حياة" يبدأ باحتقار الآخرين وينتهي بضياع الذات.

* الرسالة الثانية: الله لا يهلك الأمم لأنها "بشرية"، بل يهلكها لأنها "مستكبرة" ترفض سلطان الحق. * التوجيه النفسي: طهر قلبك من "رواسب التكذيب" الخفي (وهو عدم العمل بما تعلم من الحق)، حتى لا تكون من "المهلكين" معنوياً بضياع بركة علمك وعملك. الختام التحليلي:

لقد بدأت الرحلة بـ (أرسلنا) وانتهت بـ (المهلكين). وما بين الإرسال والإهلاك كان هناك (سلطان مبین) تم رفضه بـ (سطحية ومادية).

المبحث الرابع

العنصرية والطبقية والاستكبار وعلاقته بالوثنية السياسية (وقومهما لنا عابدون) يُعد مفهوم "الطغيان الطبقي والعنصري" من أخطر الأمراض الاجتماعية والسياسية التي شخصها القرآن الكريم في قصة فرعون وملئه، حيث تجسد في قوله تعالى: {وَقَوْمُهُمْ لَنَا عَابِدُونَ}. هذا النص يختصر كيف تتحول الفوارق الاجتماعية إلى "دين سياسي" يبرر الاستبداد ويهدم الحضارات. إليك الشرح المفصل لهذا المفهوم وتداعياته التاريخية والواقعية:

أولاً: مفهوم الطغيان الطبقي والعنصري وعلاقته بـ "الوثنية السياسية"

* الطغيان الطبقي: هو اعتقاد فئة (المال) بأنها تملك الحق في السيادة المطلقة وتملك "رقاب الناس" بناءً على الجاه أو المال.

* الطغيان العنصري: هو تفضيل عرق على عرق (كما فعل فرعون مع بني إسرائيل)، وهو أول خطيئة في الكون (أنا خير منه).

* الاستعباد السياسي: هو تحويل الشعوب إلى "أدوات" لخدمة الحاكم وحاشيته، وتجريدتهم من حق الاعتراض أو "التفكير".

* الوثنية السياسية: هي النتيجة الحتمية؛ حيث يُرفع الحاكم أو "العرق القائد" إلى مرتبة "الإله" الذي لا يُسأل عما يفعل، وتصبح القوانين لخدمة "صنم السلطة" لا لخدمة "العدل".

ثانياً: أثر الطبقة والعنصرية على مفاصل الحياة ونهضة الحضارات

تشكل الطبقة والعنصرية "سرطاناً" ينخر في جسد الدولة، ويظهر أثره في:

* الحياة الاجتماعية: تورث "الأحقاد الطبقة" والتدابير؛ حيث يشعر المظلوم بالدونية والظالم بالاستعلاء، مما يفجر صراعات داخلية لا تنتهي.

* الحياة الاقتصادية: تؤدي إلى "احتكار الثروة" في يد المال، وتعطيل طاقات المبدعين لأنهم ليسوا من "الطبقة المختارة"، مما يسبب الركود والانحيار.

* الحياة السياسية: تنعدم "المواطنة" ويحل محلها "الولاء للأشخاص"، مما يجعل الدولة هشة أمام أي عدوان خارجي (كما غرق جيش فرعون لعدم وجود عقيدة إيمانية جامعة).

* الحياة الثقافية: تتركس ثقافة "النفاق" و"التبعية العمياء"، وتقتل الإبداع القائم على حرية الفكر (بآياتنا وسلطان مبين).

ثالثاً: دلالة ذلك على فساد "النظريات القومية" وإضعاف الخلافة

تمثل الحركات القومية (العربية، التركية، الكردية، وغيرها) المعاصرة نموذجاً للارتقاء بـ "الجنس و العرق" فوق "القيم والمبادئ"، وهو عين ما قاله فرعون وملؤه.

* فساد المنطق: القومية تحول "الرابطه العرقية" إلى وثن بدلا من "الرابطه القيمية/الإسلامية".

* إضعاف الخلافة: كان سقوط دولة الخلافة نتاجاً مباشراً لنمو النزعات الطورانية (القومية التركية) التي استعلت على العرب، والنزعات القومية العربية التي أرادت الانفصال. هذا "الاستعلاء المتبادل" مزق النسيج الواحد الذي كان يجمعه قوله تعالى: {إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ}.

* التبعية للخارج: عندما تخلت هذه القوميات عن "السلطان المبين" (الإسلام)، ارتمت في أحضان القوى الخارجية طلباً للعلو، فكانت النتيجة "الإهلاك" السياسي والتفتت الذي نعيشه اليوم.

رابعا: العدل والمساواة (سر النهضة والتقدم)

في المقابل، جاء الإسلام بمنهج "موسى وهارون" الذي يقدم العدل كقاعدة للبناء:

* القوة في الوحدة: المساواة تذيب الفوارق وتجعل الجميع يشعرون بـ "ملكية الدولة"، مما يحفزهم للدفاع عنها وبنائها بصدق.

* النهضة في الكفاءة: عندما يغيب "الاستعلاء الطبقي"، يصبح المقياس هو "الكفاءة والأمانة" (القوي الأمين)، مما يؤدي إلى انفجار الإبداع في شتى المجالات (الطب، الهندسة، الإدارة).

* الازدهار في العدل: العدل هو "مغناطيس الاستثمار"، فعندما يأمن الإنسان على جهده وحقه من تغول "المال"، يزدهر الاقتصاد وتتطور المجتمعات.

الكنز التربوي من الآية 47 :

لقد ذكر الله حجة فرعون وملئه {وَقَوْمُهُمْ لَنَا غَابُؤْنَ} ليوضح لنا أن "العقل المستبد" يرى في حرية الآخرين وكرامتهم "تهديداً" له.

* الرسالة الربانية: إن المجتمع الذي يبنى على "العبودية لغير الله" (سواء كانت لشخص أو لعرق) هو مجتمع محكوم عليه بـ {فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ}.

* التوجيه النفسي: صن نفسك من "درويشية القومية" أو "غرور الطبقة"، واعلم أن رفعتك الحقيقية هي في مقدار خضوعك للحق (التواضع لله) ومساواتك بالخلق (العدل).

المفهوم الثاني

بناءً على هذا التسلسل المعرفي العميق، ومن استقراء الآيات من سورة المؤمنون، نضع "ميثاق المواطنة القيمية". هذا الميثاق يتجاوز الأطر الضيقة (القومية، العرقية، والطبقية) ليؤسس لمجتمع "لاستخلاف والعدل"، وهو بمثابة دستور أخلاقي للفرد والمجتمع والدولة.

ميثاق "المواطنة القيمية" (دستور الاستخلاف والعدل)

مستنبط من منهج الأنبياء في مواجهة الطغيان الطبقي والعنصري

المادة الأولى: سيادة "السلطان المبين" (مرجعية الحق)

* القيمة: لا سيادة لفرد ولا لعرق ولا لطبقة (المال) فوق سيادة "الحق والعدل".

* التطبيق: القوانين تصاغ لخدمة "الآيات" (المبادئ الكلية للعدل) وليس لحماية مصالح "الفئة العالية".

* الهدف: صيانة الدولة من "الوثنية السياسية" وتأليه الأشخاص.

المادة الثانية: "الأخوة الوجودية" (تحطيم الأصنام العرقية)

* القيمة: الناس سواسية في "البشرية" (بشرين مثلنا)، والتفاضل يكون فقط بـ "التقوى والكفاءة".

* التطبيق: تجريم كافة أشكال العنصرية (القومية، القبلية، المناطقية). العربي والتركي والكردى وغيرهم هم "أعضاء" لبعضهم لك (موسى وهارون).

* الهدف: منع "تبديد الطاقات" في الصراعات العرقية التي أضعفت الخلافة قديماً وتضعف الأوطان حديثاً.

المادة الثالثة: "المواطنة التشاركية" (ضد الاستعباد السياسي)

* القيمة: الإنسان "خليفة" وليس "عابداً" لغير الله {وَقَوْمُهُمْ لَنَا غَابُؤْنَ}.

* التطبيق: ضمان حق "البيان والوضوح" (مبين) لكل مواطن. المشاركة في البناء والنقد البناء هي حق أصيل وليست تفضلاً من السلطة.

* الهدف: تحويل الشعوب من "أدوات مسخرة" إلى "عقول مبدعة" تشارك في التنمية والارتقاء.

المادة الرابعة: "الكفاءة والأمانة" (معيار النهضة)

* القيمة: تقديم "القوي الأمين" على "القريب أو الطبقي".

* التطبيق: محاربة "السطحية والمادية" في اختيار القيادات. المقياس هو "ماذا تملك من حلول؟" وليس "من أي طبقة أنت؟".

* الهدف: تحقيق "الازدهار الاقتصادي والسياسي" بوضع الرجل المناسب في المكان المناسب.

ثمار تطبيق الميثاق (الارتقاء والتمكين)

* الأمن النفسي والاجتماعي: يختفي "داء الأحقاد" وتذوب صراعات الطبقات، مما يخلق بيئة آمنة للنمو والاستثمار.

* القوة الحضارية: تجتمع طاقات الأمة (بمختلف أعراقها) في تيار واحد، مما يعيد بناء "دولة القيمة" التي لا تهزم أمام الأزمات.

* النجاة من الإهلاك: المجتمع الذي يقوم على "العدل" هو مجتمع محصن ضد سنة "الإهلاك" (من المهلكين)، لأن الظلم هو العلة الوحيدة لزوال الحضارات.
رسالة الختام لك:

لقد كشف لنا القرآن أن "القومية والطبقية" هي سجون فكرية تمنع الإنسان من رؤية "آيات الله" في الكون. وإن علاج "ضعف الأمم" يبدأ من العودة إلى (السلطان المبين)؛ حيث لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، وحيث الكرامة للجميع، والعدل للجميع.
المفهوم الثالث

إن الحفاظ على هذه المنظومة القيمية (التواضع، الأخوة، العدل، المساواة، المواطنة، الحرية، الشورى، سيادة القانون (ليس مجرد شعارات أخلاقية، بل هو "النظام التشغيلي" الوحيد القادر على إقامة حضارة شرعية مستدامة، وهو الضمانة الربانية لعدم تكرار نموذج "فرعون وملئه" في واقعنا المعاصر. إليك تحليل أهمية هذه القيم كركائز للبناء الحضاري والارتقاء الإنساني:
أولاً: قيم "الاستقامة النفسية" (التواضع والأخوة)

[دورها: تهيئة التربة لقبول الحق والابتكار]
* التواضع: هو نقيض العلو (الذي أهلك الأمم. التواضع يفتح نوافذ العقل لاستقبال "الآيات" و المعلومات الجديدة، وبدونه ينغلق المبدع على ذاته فيتوقف عن الابتكار.
* الأخوة: هي الرابطة التي تذيب الفوارق الطبقية والعنصرية. المجتمع الذي يشعر أفراداه أنهم "أخوة" (كموسى وهارون) يتبادلون الخبرات بصدق، مما يضاعف الإنتاجية القومية.
ثانياً: قيم "العدالة والمواطنة" (العدل والمساواة والحرية)

[دورها: صيانة الطاقات وضمان حقوق الناس]
* العدل والمساواة: هما "قانون الجاذبية" في الاجتماع الإنساني. بدون العدل، يشعر الفرد بالتهميش (الاستبعاد)، فتتحول طاقته من "البناء" إلى "الانتقام أو الإحباط". العدل يضمن أن ينال كل ذي حق حقه بناءً على كفاءته (السلطان المبين).
* المواطنة المتساوية: هي الرد الحاسم على وقومهما لنا عابدون. (المواطنة تعني أن "الكرامة" حق أصيل لكل فرد، وليست منحة من حاكم أو عرق.
* الحرية: هي البيئة التي ينمو فيها الإبداع. الإنسان "المستعبد" لا يبتكر، بل يقلد وينافق ليرضي "الملا".

ثالثاً: قيم "الحوكمة والسيادة" (الشورى وسيادة الشرع والقانون)
[دورها: منع طغيان الفرد أو السلطة]
* الشورى: هي الضمانة ضد "الاستبداد بالرأي". الشورى تشرك العقول (هارون مع موسى) وتوزع المسؤولية، مما يحمي الدولة من القرارات الانتحارية للفرد الواحد.
* سيادة الشرع والقانون: تعني أن الجميع تحت "سلطان مبين". القانون في الإسلام (الشرع) هو فوق الحاكم والمحكوم، مما يمنع تحول السلطة إلى "وثنية سياسية" تقس الأشخاص.
رابعاً: ثمار هذه القيم (ورثة الأرض والدار الآخرة)
إن اجتماع هذه القيم يؤدي إلى نتائج حتمية وعد الله بها:
* الإبداع والابتكار: لأن العقل المتحرر من "الكبر والظلم" هو وحده القادر على اكتشاف قوانين الله في الكون (الآيات).

* وراثة الأرض: التمكين في الدنيا لا يكون للظلمة، بل لمن يقيم القسط؛ فالدولة العادلة تبقى وإن كانت كافرة، والدولة الظالمة تفنى وإن كانت مسلمة.
* الفوز في الآخرة: تلك الدار الآخرة تجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً. {فالنجاح الدنيوي المرتبط بالقيم هو الجسر الوحيد لجنة الخلد.
الخلاصة: صيانة الحضارة من الانحراف
إن غياب قيمة واحدة من هذه المنظومة يفتح باباً لـ "الفساد"؛ فبدون شورى يطغى الحاكم، وبدون عدل تشتعل الأحقاد، وبدون تواضع ينغلق الفكر.

رابعاً

تأتي الآية (48) من سورة المؤمنون: {فَكَذَّبُوهُمْ فَكَاتُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ} لتمثل الصرخة المدوية والختام الرهيب لقصة الاستكبار. إنها آية "الحصاد المر"، التي تضع المراة أمام النفس البشرية لتريها عاقبة الانحراف الفكري والوجداني.

إليك التحليل المفصل والدقيق لهذه الآية العظيمة، لتبلغ أعماق الوجدان وتخطب جوهر العقل:
أولاً: تفسير التحليل ودقة الألفاظ (بناء العقل)

{ فَكَذَّبُوهُمْ } (السبب):

* الفاء العاطفة: هي فاء "السببية والمباشرة"، توحى بأن التكذيب لم يكن نتيجة نقص برهان، بل كان رد فعل فورياً نابعاً من ضيق الصدور بالحق.

* دلالة اللفظ: التكذيب ليس مجرد كلمة باللسان، بل هو "قرار إرادي" بإغلاق منافذ الإدراك أمام آيات (و) السلطان المبين.

{ * فكاثوا } التحول القديري):

* فعل "كان" هنا يفيد الثبوت والاستحقاق؛ أي أنهم دخلوا في "حالة" وجدانية ومادية جعلت الهلاك هو وصفهم الوحيد.

{ * من المهلكين } النتيجة):

* اسم المفعول: اختيار) المهلكين (ولم يقل "فهلكوا" يوحي بأن هناك "قوة عليا قاهرة" أوقعت بهم الهلاك، وأنهم كانوا عاجزين تماما عن الدفاع عن أنفسهم رغم ما كانوا يملكونه من) جاه وقوة).

* دلالة "من": تفيد التبعية والاندماج؛ أي أنهم صاروا مجرد رقم في قائمة "المنبوذين" تاريخياً، ولم يشفع لهم علوهم أن يستثنوا من سنن السقوط.

ثانياً: معالجة أمراض النفس) تزكية الوجدان)

تتعامل الآلة مع أشد أمراض النفس فتكاً، وتقدم لها الدواء المر المرير:

* علاج (الاغترار) القوة، المال، الجاه): تهمس الآلة في أذن كل ذي منصب: "أين قوة فرعون وملئه؟".

لقد تحول كل ذلك الجاه إلى سراب في لحظة الإهلاك. الآلة تكسر "صنم القوة المادية" في قلب المؤمن وتعلق قلبه بالقوة الباقية) قوة الحق).

* علاج حب الرئاسة والتسلط: المتسلط يرى الناس) عابدين (له، والآلة تربيته مصير هؤلاء المتسلطين: (مهلكين). (إنها تهذب شهوة التسلط بالخوف من "السقوط المهين".

* علاج العناد والغفلة: تصف الآلة سرعة الانتقال من "التكذيب" إلى "الإهلاك" لتوقظ الغافل من رقدته؛ فالعناد ليس قوة شخصية بل هو انتحار بطيء.

ثالثاً: السنن الكونية في قيام وسقوط الحضارات) التوعية الفكرية)

ترسم الآلة قانوناً صارماً للارتقاء والانهيار الحضاري:

* سنة الارتباط بين الفكر والمصير: الحضارات لا تسقط بضعف السلاح أولاً، بل تسقط بـ "التكذيب القيمي". عندما ترفض الحضارة قيم العدل والحق، تبدأ "آلة الإهلاك" في التحرك.

* سنة الاستبدال: بقاء الحضارات مرهون بمدى قبولها لـ) البيئات، فإذا تحول "الملا" إلى عائق أمام التطور القيمي، فإن الإهلاك يصبح ضرورة كونية لإفساح المجال لورثة الأرض الصالحين.

رابعاً: المسامات البيانية، البلاغية، وأحكام التجويد

* حركات الحروف:

* الفتحة (في) فـ: توحى بالخفة والسرعة؛ سرعة التكذيب أعقبتها سرعة العقوبة.

* الضمة (في) المهلكين): الميم المضمومة في بداية الكلمة توحى بـ "الانطباق" والإحاطة، كأن الهلاك أحاط بهم من كل جانب.

* أحكام التجويد ودقتها:

* المد الطبيعي (في) فكذبوهما): يعطي مساحة من الصوت تعكس "مهلة الإمهال" التي سبقت العقاب.

* المد العارض للسكون (في) المهلكين): الياء الممدودة المنتهية بنون ساكنة) عند الوقف (تصنع جرساً جنائزياً حزيناً. الصوت يمتد ثم ينقطع فجأة بالنون، تماماً كحياة الطغاة؛ تمدد في الاستكبار ثم انقطاع مفاجئ تحت أمواج الهلاك.

* بلاغة الحذف: لم تذكر الآلة "كيف أهلكوا" (الغرق)، بل ذكرت "النتيجة الكلية"، ليبقى ذهن منشغلاً بـ "عظمة المهلك" و"دلة المهلك".

خامساً: التنمية البشرية وبناء الإنسان المسلم

* التنمية من خلال "المسؤولية": الآلة تربي المسلم على أن لكل (فعل) (أثر). (أنت مسؤول عن "قرارك" تجاه الحق.

* الارتقاء الثقافي: الثقافة الإسلامية هنا ترفض "تقديس القوة الزائلة" وتغرس "تقديس الحق الدائم".

* تهذيب النفس: تجعل المسلم في حالة "يقظة دائمة"؛ فلا يغتر بنجاح مادي مؤقت يصحبه تكذيب لمبادئه، لأن النهاية) المهلكين (هي المعيار الحقيقي للفشل.

رسالة الحق سبحانه وتعالى لك:

يا أيها الإنسان، لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد، ولا يغرنك صعود المستكبرين على أكتاف المستضعفين. إن كلمة) فكذبوا (هي المفتاح الذي يفتح باب) المهلكين. (فكن مع) الآيات (و)السلطان المبين، لتكون من) الممكنين (لا من) المهلكين.

الأمر الثاني

تأتي الآلة) (48) فكذبوهما فكاثوا من المهلكين (كصاعقة معرفية تضرب جدران "الغفلة" لتحث في النفس زلزلاً يُسمى "المشاركة الشعورية". إنها لا تخبرك عن تاريخ مضى، بل تدعوك لتعيش "اللحظة" بكل ثقلها النفسي، لتنقذك من "المهلكة" قبل وقوعها.

إليك الشرح التفصيلي لهذا التحول الشعوري والمنهج القرآني في صياغة الوجدان:

أولاً: مفهوم "المشاركة الشعورية" (الارتحال عبر الزمن)

المشاركة الشعورية هي "قدرة الروح على تجاوز الحواجز الزمنية والمكانية لتتحد وجدانياً مع مشهد

القصة".

- * معناها: أن تكف عن كونك "قارئاً" محايداً، لتصبح "شخصية" داخل المشهد.
- * كيفية تحقيقها: القرآن لا يصف لك "شكل" الغرق، بل يصف لك "حالة" الهلاك. عندما تقرأ {المهلّكين} عليك أن تستشعر برودة الماء، وظلمة اليأس، وانكسار الكبرياء الزائف في لحظة الحقيقة.
- ثانياً: كيف استطاع النظم القرآني الانتقال بشعورك إلى ذلك الزمن؟
- استطاعت الآية عبر "نظمها المعجز" أن تجعلك تعيش الصراع كأنك تراه الآن:
- * سرعة "الفاء" الارتباط اللحظي: (في قوله) فكذبوهما فكانوا، تشعر وكأنك تراه الآن: المسافة بين "الخطيئة" و"العقاب" قصيرة جداً. هذا ينقل لك شعوراً بالرهبة؛ فكان التكذيب هو الذي استدعى الهلاك فوراً.
- * بناء "الفريق الشعوري": (بذكر) موسى وهارون (معاً، تدعوك الآية للانحياز لجانب "الأخوة والصدق". عندما تستحضر صورة موسى بآياته وهارون ببيانه، ثم ترى فرعون بكبره، يولد في داخلك "نفور فطري" من المستكبر و**حب عميق** للصادقين.
- * تجريد "الإهلاك": لم تقل الآية "فغرقوا"، بل قالت {من المهلكين}. (هذا التعبير العام يجعل الشعور بالخطر يمتد ليشمل كل "مهلكة" نفسية أو اجتماعية في واقعك، وكأنك تقف على حافة الهاوية معهم.
- ثالثاً: دور الآية في استشعار "المهلكة النفسية والاجتماعية"
- التكذيب بالحق لا يؤدي فقط إلى هلاك جسدي، بل يسبقه "هلاك معنوي":
- * المهلكة النفسية: هي حالة "التيه" و"القلق" التي يعيشها المستكبر. عندما تكذب بالحق، فأنت تقتل "الفطرة" داخل نفسك، وهذا هو الهلاك النفسي (موت الضمير).
- * المهلكة الاجتماعية: هي تمزق النسيج الواحد. عندما ترى فرعون يقول {لنا عابدون}، تستشعر بشاعة العنصرية؛ فهي "مهلكة" تحول المجتمع إلى سجن كبير، والآية تجعلك تبغض هذا النموذج لأنه يقود المجتمع حتماً إلى الزوال.
- رابعاً: كيف تعيش مشاعر "الحب والبغض" الإيماني في القصة؟
- لتحقيق هذه الاستفادة القصوى، عليك تفعيل المحركات التالية:
- * محرك "الإنصاف": أسأل نفسك: "لو كنت هناك، هل كنت سأخذع بذهب فرعون أم سأبتع نور موسى؟". هذا السؤال يجعلك تنحاز وجدانياً لموسى وهارون لأنهما يمثلان "جوهر الإنسان" الباحث عن الحق.
- * محرك "البغض الأخلاقي": عندما تتدبر كلمة {فاسْتَكْبَرُوا} {وَالْيَنَّا}، استشعر مرارة الظلم الذي وقع على المستضعفين. هذا الشعور يولد فيك بغضاً لـ "الفعل" العنصرية والطبقية (قبل "الشخص"، فتصبح محصناً ضد الانحراف).
- * محرك "اليقين": عندما تقرأ {من المهلكين}، استشعر الراحة النفسية لانحصار العدل. هذا الشعور يرسخ فيك أن العقوبة دائماً للحق، مهما طال أمد الباطل.
- الكنز التربوي لتهديب النفس:
- الآية (48) هي "مختبر للصدق الوجداني". هي تعلمك أن "التكذيب" ليس مجرد رأي، بل هو "هدم للذات". والمشاركة الشعورية في هذه الآية تهدف إلى:
- * تطهير القلب من حب "العلو" مرض فرعون.
- * تغذية الروح بحب "الوضوح" منهج موسى.
- * حماية المجتمع من "داء الطبقية" عبر استشعار عاقبتها الوخيمة.
- الخطوة القادمة التي عليك القيام بها ؟
- اللازم عليك وانت تقرا هذه الايات ان تستحضر مشهد الغرق مقابل مشهد النجاه لتستخدمه في تربية الوجدان لدى نفسك ولتنقله من صفحات التاريخ إلى نبضات القلب، لتعميق الفجوة الشعورية بين الباطل المستكبر والحق المتواضع من خلال :
- نداء اليم: بين كبرياء "العلو" ورفعة "السجود"
- قف للحظة..
- أغمض عينيك واستشعر الزمان يرتدّ بك إلى الوراء. أنت الآن لست مجرد قارئ، بل أنت روحٌ شاهدة تقف على ضفاف الحقيقة.
- انظر هناك..
- ترى "موسى" و"هارون"، يحملان في أيديهما نوراً يُسمى (الآيات (وقوة تُسمى) السلطان المبين. (تلمح في وجوههما سكينه اليقين، وتسمع في نبراتهما صدق المحبة للخلق والعبودية للخالق. هما يمدان يد النجاة لقلب تحجر بالملك.
- والآن ..انظر إلى الجهة المقابلة..
- ترى "فرعون" يحفه "الملأ" في بروجهم المشيدة. استشعر تلك الرائحة الخائقة لـ (الاستكبار) رائحة ا لأنا المتضخمة التي تملأ المكان. استمع إلى سخرية أصواتهم وهم يتهايمسون: {أَنْتُمْ لَبِشْرَيْنِ} مثلنا؟ استشعر بشاعة تلك النظرة التي تنظر للناس كأدوات: {وَقَوْمَهُمَا لَنَا عَابِدُونَ}.
- هل تشعر بضيق الصدر من هذا المنطق الطبقي المقيت؟

هذا الضيق هو بداية "الاستقامة النفسية". إنه النفور الفطري من العنصرية التي ترى "العرق" وتعمى عن "الحق".

لحظة الانكسار الرهيب) فكاثوا من المهلكين)

فجأة.. يتوقف كل شيء!

تلك القوة التي كانت تتبجح، والمال الذي كان يُطغي، والمنصب الذي كان يُعبد من دون الله.. كلها تلاشت في لحظة.

استشعر "المهلكة النفسية" قبل المادية:

انظر إلى وجوههم حين أدركوا أن السلطان المبین (قد غلب "السلطان الزائف". استشعر ذل النفس حين تعلم أنها كذبت بالحق وهي تستيقنه. هذا هو الهلاك الحقيقي: أن تموت الروح وهي محجوبة عن النور.

ثم اسمع صوت الأمواج وهي تنطبق على تلك الكلمات المتكبرة. لم يبقَ (من) أنا ربكم الأعلى (إلا صمت اليم. لم يبقَ (من) لنا عابدون (إلا أجساد لا تملك لنفسها نفعا).

رسالة إلى "هارونك وموساك" في الداخل:

يا صاحبي، انحز بقلبك لموسى؛ فالحق معه أجمل وإن كان فقيراً.

وانحز بلسانك لهارون؛ فالبيان في نصرته المظلوم أبهى.

وابغض في نفسك "نبرة فرعون" كلما حدثتك بالعلو على الناس، أو رؤية فضلك على من دونك. قل لقلبك الآن:

"اللهم إني أبرأ إليك من كبر يورث التكذيب، ومن مادية تحجب اليقين، ومن عنصرية تفرق بين الإخوة. اللهم اجعلني من ورثة (آياتك)، ولا تجعلني في زمرة (المهلكين (بظلمهم).
الأمر الثالث

أن قصه فرعون وهلاكه تعد أياته من آيات الله ولهذا فيجب قراءه أثاره من منطلق البعض و الكراهية له ولافعلة يجب أن تشاهده على سبيل البغض والكراهية

ولهذا فانه من المخالفه لمنهج قراءه آيات الله ان نرى من يتباهى بآثار الفراعنه ويتخذها ماله التفاخر بامجاد الفراعنه باعتبارهم أسلافه بالدم وهذا فيه تحريف لآيات الله من جهة ومن جهة اخرى فيه ولاء لاهل الكفر وفيه فساد التصور لحقيقه النسب وهو الايمان والعمل الصالح وليس الدم ولا النسب ولهذا فنحن أبناء موسى وهارون ونوح وإبراهيم وادم لأننا نتصل معهم بنسب الايمان والعمل الصالح وأعداء الحق من الصهاينة وغيرهم هم احفاد فرعون لانهم ينتسبون لمدرسه الشر والطغيان والكفر فهذا الطرح الذي قدمته لك يمثل "عمق الوعي القرآني" في قراءة التاريخ والواقع، وهو يفكك شفرات الصراع بين "مدرسة الوحي" و"مدرسة الطغيان". إليك الشرح المفصل لهذه المفاهيم العميقة:

أولاً: مفهوم الهلاك.. هل هو الفرق فقط؟

الهلاك في القرآن الكريم مفهوم شامل يتجاوز "الموت المادي" أو "الغرق"؛ فالغرق كان مجرد الوسيلة المادية، أما الهلاك الحقيقي فهو:

* الهلاك المعنوي: وهو موت القلوب بحجاب الكبر، بحيث يعيش الإنسان وهو "ميت الأحياء" لا يبصر حقاً ولا يسمع هدى.

* هلاك الذكر: انقطاع الأثر الطيب؛ ففرعون ترك أهرامات وقصوراً، لكنه أهلك بذكره الذي صار رمزاً لللعنة والطغيان، بينما بقي ذكر موسى وهارون حياً في صلوات المؤمنين.

* الهلاك الحضاري: وهو زوال "البركة" من الأمم؛ فالحضارة التي تبنى على "الاستعباد" هي حضارة هلكة وإن بدت شاهقة، لأنها خالية من الروح والقيم.

ثانياً: معركة "الثياب الرثة" ضد "العرش الذهبي"

دخل موسى وهارون على فرعون في مشهد يمثل قمة التباين المادي: فرعون بجبروته، وملئه، وذهبه، وقصوره.. وموسى بثيابه البسيطة وعصاه الخشبية.

* الرسالة: أراد الله أن يرينا أن "القوة في حامل الحق لا في الأدوات التي يحملها". موسى لم يواجه فرعون "بالندية المادية" بل واجهه بـ (السلطان المبین).

* الأثر النفسي على المسلم: هذا المشهد يمنح المسلم "عزة إيمانية" في أوقات الضعف. عندما تنظر إلى جبروت القوى العالمية اليوم (الصهاينة ومن عاونهم)، تذكر أنهم يحملون "سلاحاً" بينما يحمل المؤمن "حقاً"، والحق سلطان بذاته يكسر هيبة كل باطل مهما انتفخ.

ثالثاً: آثار الطغاة.. "آيات للعة" لا "مزارات للسياحة"

أن من الاخطاء الشائعه اليوم والتي تمس اصل العقيدة الاسلاميه نتيجته الغزو الثقافي والاستعماري لامتنا الاسلاميه اننا اصبحنا اليوم مثالا في اليمن نتباهى بأثار مملكه سباء التي أهلكها الله بسبب الترويج لها رغبه في جذاب السياحه اليها ونتيجته غياب الوعي بحقيقه الايه دليل الحدث التاريخي فهي لاجل العظه والعبره وليس للتفاخر بها وكذلك فاننا نشاهد للأسف الشديد من يتباهى بحضاره الفراعنه ويروج لها وهو بذلك يكون محرفاً لآيات الله التاريخيه وهو تحريف لا يقل جرماً عن تحريف اليهود للتوراه الحقيقه فالقرآن حين قال عن فرعون { فَالْيَوْمَ نَجْعَلُكَ لِبَدُنْكَ لِيَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ

آية}، لم يجعل جثته أو قصوره متاحف للتباهي "بالمجد الفني"، بل جعلها "مشرحة للغرور البشري".
* التحريف الشعوري: تحويل آثار الطغاة إلى أماكن سياحية ترفيهية هو نوع من "تميع العبرة". إلا
صل أن يقف الإنسان أمامها مستشعراً ذل من سكنها بعد استعلائه، ليعلم أبناءه أن هذه الحجارة
شهدت ظلماً أهلك أصحابه، لا أن يفخر بعظمة "أجداد" أهلكهم الله لكفرهم.

رابعاً: "نسب الإيمان" هو الرابط الحقيقي
الإسلام جاء ليحطم روابط "التراب والدم" التي تفتخر بالباطل، ويقيم رابطة "العقيدة والقيمة".
* نحن وموسى: نحن أولى بموسى من غيرنا؛ لأننا نلتقي معه في "مدرسة التوحيد". المصري المؤمن
لا تربطه بفرعون صلة وإن كان من سلالة، بل تربطه بموسى صلة الروح والمنهج.
* الصهاينة وفرعون: الصهاينة اليوم هم "الورثة الشرعيون" لمدرسة فرعون؛ لأنهم يمارسون (العنصرية
، الاستعلاء، ذبح الأبناء، والفساد في الأرض. (هم امتداد لمدرسة "إبليس" في الكبر، بينما المؤمنون
هم امتداد لمدرسة الأنبياء في العدل والتواضع.

خامساً: انتصار الحق كقانون كوني) سنة الله)
الآية} فكاثوا من المهلكين (ترسم نهاية حتمية لكل ظالم.
* التوجيه للمسلم: الباطل له "صولة" لكن ليس له "دولة" مستقرة. صولة الباطل هي "امتحان" لليقين
، ونهاية الباطل هي "مكافأة" للمستضعفين.

* العمل المطلوب: لكي نتنصر، يجب ألا نكتفي بانتظار هلاك الباطل، بل علينا أن نتمثل "شخصية
موسى" في ثباتها، و"شخصية هارون" في بيانها، ونتسلح بـ "الآيات والسلطان" العلم والقيم، وحينها
فقط تتدخل يد القدر لتحقيق الإهلاك للباطل.

الكنز الختامي:
نحن ننتمي إلى "مدرسة النور" التي بدأت بآدم ومرت بموسى وهارون ووصلت لمحمد ﷺ. إن شعورك
بالغضب لأعمال فرعون والصهاينة ليس مجرد عاطفة، بل هو "وعي حضاري" يفصل بين "الخير
المحض" و"الشر المحض".
بهذا الوعي، نربي أنفسنا وأبناءنا على أن العظمة ليست في "الحجر" ولا في "القوة الغاشمة"، بل في
"الخضوع للواحد القهار" ونصرة المستضعفين بالحق.

المفهوم الثاني
بناءً على هذه الرؤية العميقة أقدم لك "خلاصة تربوية" تهدف إلى إعادة صياغة الوعي الحضاري و
الولاء القيمي، لتكون مرجعاً في تربية النفس والأجيال على التمييز بين "مدرسة الأنبياء" و"مدرسة
الطغاة".

وثيقة "الولاء والبراء الحضاري"
منهج التمييز بين مدرسة النور (موسى ومدرسة الظلام) فرعون)
1. مفهوم الهلاك الشامل) أبعد من الغرق)
* الهلاك ليس موتاً فحسب: إنما الهلاك الحقيقي هو "انقطاع البركة والذكر الطيب".
* العبرة: قد يملك الظالم كفرعون أو الصهاينة اليوم (التكنولوجيا والقصور، لكنهم يعيشون "هلاكا
نفسياً" في القلق، و"هلاكا معنوياً" في قبح السمعة، وسينتهي بهم الأمر إلى "هلاك مادي" بزوال دولتهم
كما هي سنة الله.

2. معيار القوة الحقيقية) الثياب الرثة واليقين)
* القوة ليست في "الملك والذهب": دخل موسى بعصاه ووثابه البسيطة فغلب فرعون بجيشه وتاجه.
* الدرس: المسلم لا يستمد عزته من ممتلكاته المادية، بل من (السلطان المبين) الذي يحمله في قلبه .
القوة هي "قوة الحق" التي ترعد فرائص الظالمين ولو ملكوا القنابل والأساطيل.

3. آثار الطغاة: "مشرحة للغرور" لا "مفاخر للسياسة"
* موقفنا من الآثار: الأهرامات وتماثيل الطغاة ليست "مفاخر قومية" نتباهى بها، بل هي "آيات وعظ"
وبقايا أمم أهلكها الله لظلمها.

* التوجيه التربوي: نعلم أبناءنا أن هذه الأحجار تشهد بفقر الإنسان وعجزه أمام الله. السير فيها
يجب أن يكون بالاعتبار) آية لمن خلفك(، وليس بالاعتزاز بهوية من حاربوا الأنبياء واستعبدوا
الضعفاء.

4. نسبنا الحقيقي) رابطة العقيدة فوق رابطة التراب)
* نحن ورثة الأنبياء: علاقتنا بموسى وهارون هي علاقة "نسب إيماني" وهي أقوى من أي رابطة
عرقية.

* البراءة من مدرسة الشر: فرعون وملؤه) وكل من سار على نهجهم كالصهاينة المعاصرين (هم
أعداؤنا في القيمة والمنهج.

* الامتداد الإبليسي: الصهاينة اليوم هم النسخة المعاصرة لمدرسة فرعون) ذبح الأبناء، الاستعلاء،
الفساد في الأرض؛ لذا فنحن نبرأ إلى الله من أعمالهم كما برئ موسى من فرعون.

5. حتمية الانتصار) قانون الصولة والدولة)
* ثبات المبدأ: الباطل له "صولة" يختبر الله بها يقيننا، لكن الحق له "دولة" ووراثته في الأرض.

* اليقين في الضعف: عندما تشتد الأزمات ويقوى جبروت الأعداء، نستذكر لحظة وقوف موسى أمام اليمّ وقوله بملء اليقين: {كَلَّا ۚ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ} رسالة تربوية للأجيال:

"يا بني.. لا يغرك بريق الذهب في يد الظالم، ولا يخدعك عظم حجارته التي بنى بها ملكه. انظر دائماً إلى الروح (والمنهج. نحن ننتمي ل-) مدرسة الخير (التي تعمر الأرض بالعدل، ونبغض) مدرسة الشر (التي تفسد في الأرض بالكبر. كن مع الله بفقرك، يرزقك الله هيبه موسى التي سجد لها السحرة وانكسر لها فرعون." سادسا

تنتقل سورة المؤمنون في الآية (49) إلى مرحلة "التمكين المعرفي" بعد زوال الطغيان المادي، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ} الأمر الأول

هذه الآية هي "مفتاح النجاة" وبر الأمان، وهي الدستور الذي يقام عليه بناء الإنسان وتشييد به الحضارات. إليك التحليل الشامل والدقيق لهذه الآية العظيمة:

أولاً: التحليل اللفظي والبياني (لغة التمكين)

* {وَلَقَدْ}: الواو عاطفة تربط القصة بما قبلها، و"اللام" و"قد" حرفا قسم وتوكيد. هذا التوكيد يزلزل النفس ليبدد أي شك في أن "العلم والكتاب" هما المنحة الإلهية الأكبر بعد النصر.

* {آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ}: لم يقل "أعطينا"، بل "آتينا" التي توحى بالعظمة والتشريف. ونكر "الكتاب" (التوراة) لتعظيمه؛ فهو ليس مجرد ورق، بل هو "منهج حياة" ونظام تشغيل للمجتمع الجديد.

* {لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ}: "لعل" للرجاء في حق العباد، وهي تشير إلى أن الغاية من إنزال المنهج هي "الهداية"؛ والهداية هنا ليست صلاة فحسب، بل هي هداية لإدارة الأرض، وهداية لصيانة النفس، وهداية لبناء الدولة.

ثانياً: علاقة الآية بما قبلها (من الهلاك إلى الإرشاد)

* الترابط العضوي: في الآية (48) انتهى "فرعون وملؤه" بـ {المهلكين}، وفي الآية (49) بدأ "بنو إسرائيل" عهداً جديداً بـ {الكتاب}.

* الرسالة: الله يخبرنا أن زوال الظالم (القوة الغاشمة) ليس كافياً وحده؛ بل لابد من إحلال "القوة المنهجية" مكانها. القوة المادية تهلك الظالم، لكن "الكتاب" هو الذي يحيي الأمة المستضعفة.

ثالثاً: دور الآية في بناء الإنسان والتنمية البشرية

تعمل هذه الآية كخارطة طريق للارتقاء بمستوى الإنسان من خلال:

* الانتقال من "الفوضى" إلى "النظام": الكتاب يمثل "القانون". الإنسان لا يرتقي إلا إذا انضبط بمنهج، والتنمية البشرية الحقيقية تبدأ من "الوعي بالمنهج" قبل "امتلاك الأدوات".

* تنمية الشخصية المستقلة: الكتاب حرر بني إسرائيل من "ذهنية العبيد" التي غرسها فرعون، وأعطاهم "شخصية المكلفين". المسلم يتربى بهذه الآية على أن قيمته في "ما يحمله من هدى" لا في "ما يملكه من ذهب".

* الارتقاء المعرفي: الآية ترفع من شأن "القراءة والتعلم"؛ فالحضارة التي لا تقرأ كتابها، تسقط في مهالك التيه مرة أخرى.

رابعاً: إقامة الحضارات على منهج "الثبات والقوة"

تضع الآية قواعد ذهبية لتأسيس الدول:

* الدولة المنهجية: لا تقوم حضارة بغير "كتاب" (دستور/مرجعية). منهج الثبات الرباني يحمي الدولة من تقلب الأهواء البشرية.

* النجاة وبر الأمان: الهداية {لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ} هي "بوصلة الأمان". الدولة التي تضل عن منهج العدل الإلهي تغرق في الفساد، والدولة التي تهتدي بالكتاب تنجو من سنن الإهلاك.

* النهضة الشاملة: المنهج الرباني يجمع بين "تزكية الروح" و"عمارة الأرض"؛ وهذا هو التوازن الذي تفتقده الحضارات المادية اليوم.

خامساً: اللمسات البلاغية وحركات الحروف وأحكام التجويد

* حركات الحروف (دقة المعنى):

* فتحة "آتَيْنَا": الفتح يوحي بالانشراف والمدد؛ كأن الكتاب فتح من الله على القلوب المنكسرة.

* سكون "الكتاب": اللام الساكنة توحى بالثبات والاستقرار. المنهج الرباني ثابت لا يتزلزل.

* أحكام التجويد (خدمة المفهوم):

* المد الطبيعي في "آتَيْنَا": يمنح القارئ والسامع فرصة لاستشعار "عظمة العطاء". الله لم يعطهم

مال فرعون، بل أعطاهم ما هو أغلى: "الكتاب".

* الإظهار في "لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ": وضوح الميم الساكنة قبل الياء يعكس "وضوح الهدف". الهداية ليست غامضة، بل هي طريق بين لمن أراد النجاة.

سادساً: تهذيب النفس ومعالجة أمراض الاستغناء

* علاج الغرور بالانتصار: بعدما نصر الله موسى، لم يتركه للقوة المادية، بل ربطه بالكتاب. وهذا علاج لمرض "نشوة النصر" التي قد تتحول لطغيان جديد.

* تخاطب الوجدان والعقل:

* للعامي: "يا أخي، إن الله الذي أهلك الظالم، أعطاك (الكتاب) ليدلك على الطريق، فلا تضل بعد إذ نجاك".

* للمثقف: "إن البناء الحضاري لا يستقيم بالفورات فحسب، بل بالدساتير القيمة التي تضمن استقامة المسار (الهداية)".

الخلاصة والرسالة الختامية:

الآية (49) هي "طوق النجاة". هي تخبرنا أن القوة بلا منهج (فرعون) دمار، والمنهج بلا قوة (بني إسرائيل في البداية) استضعاف، أما "القوة بالمنهج" (موسى والكتاب) فهي الحضارة والرفعة والارتقاء الأمر الثاني.

تحويل هذه القواعد المنهجية إلى "خطة عمل تربوية" لتطبيق مفاهيم (الهداية المنهجية) في واقعنا المعاصر، سواء في الأسرة أو المؤسسة؟

بناءً على هذا التسلسل المنهجي من الاستخلاف إلى التمكين، إليك "خطة الهداية المنهجية". وهي خطة عمل تربوية ومؤسسية مستوحاة من قوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ}. هدف هذه الخطة هو الانتقال من "نشوة الانتصار أو التخلص من الظلم" إلى "مرحلة البناء القيمي والارتقاء الحضاري".

خطة "التمكين بالمنهج" (دليل البناء الحضاري)

مستوحاة من المرحلة الانتقالية بين هلاك الطغيان ونزول الكتاب المحور الأول: التأسيس المعرفي (آتيناً موسى الكتاب)

[الهدف: بناء المرجعية واليقين الذهني]

* صناعة الدستور القيمي:

* في الأسرة/المؤسسة: لا تكتفِ بمنع الخطأ، بل ضع "ميثاقاً مكتوباً" للقيم (الصدق، العدل، الإتيان).

الكتاب يمثل "النظام" الذي يمنع العودة للفوضى.

* الرسالة: الوضوح هو أول خطوات الهداية. غياب المنهج المكتوب يفتح باباً للتأويلات الشخصية والطغيان الفردي.

* الاستقلال الفكري (الارتقاء بالوعي):

* تحويل الثقافة من "ثقافة الأشخاص" إلى "ثقافة المنهج". نتبع الحق لأنه حق (الآية)، لا لأن فلاناً قاله.

* التطبيق: تخصيص وقت "للتدريس المعرفي" المستمر؛ فالحضارة التي لا تقرأ كتابها تفقد بوصلتها.

المحور الثاني: الهداية التشغيلية (لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ)

[الهدف: تحويل المبادئ إلى سلوك يومي وبر أمان]

* تحويل "النصوص" إلى "نفوس":

* الهداية في الآية جاءت بصيغة المضارع (يهتدون)، مما يعني الاستمرارية.

* التطبيق: أسأل نفسك في كل قرار إداري أو أسري: "هل هذا القرار يوافق هدى الكتاب؟". إذا وافقه، فأنت في "بر الأمان"، وإذا خالفه، فأنت تقترب من "المهلكة".

* معالجة "أمراض ما بعد النصر":

* بعد زوال "العدو المادي" (فرعون)، تبرز أمراض (الاستغناء، الغرور، التنازع).

* العلاج: التمسك بالكتاب كـ "ميزان" يفصل بين الخصوم ويجمع الكلمة، ويذكر الجميع أن الفضل لله (آتيناً).

المحور الثالث: التنمية البشرية والارتقاء بالإنسان

[الهدف: صناعة "إنسان المنهج" القوي]

* بناء الشخصية المستقيمة:

* التربية على أن "القوة" ليست في العضلات ولا في المال، بل في "مقدار الهداية" والالتزام بالحق.

* التطبيق: تكريم "الأمناء والملتزمين بالمنهج" في المؤسسة أكثر من تكريم "أصحاب النفوذ"، لترسيخ أن (الكتاب) هو المعيار.

* إدارة الطاقات (من التيه إلى التمكين):

* بدون الكتاب، تتبدد طاقات الأمة في "التيه" (كما حدث لبني إسرائيل حين خالفوا المنهج).

* التطبيق: وضع أهداف استراتيجية واضحة مستمدة من قيمنا العليا، لضمان عدم ضياع الجهود في معارك جانبية.

المسة الوجدانية للخطة (خاطرة للمصلح والقانوني والقاضي والمعلم):

يا من حملت لواء الإصلاح، تذكر أن الله لم يترك موسى لقوته بعد غرق فرعون، بل أنزل عليه "الكتاب".

- * القانون بغير روح: هو استبداد جديد.
- * والروح بغير قانون: هي فوضى وضياع.
- * أما (الكتاب): فهو الروح والقانون معاً؛ هو الذي يحمي القوي من طغيانه، والضعيف من ضياع حقه.

المفهوم الثالث

كيف يمكن استثمار "المنهج الرباني" في معالجة ثغرات القوانين الوضعية المعاصرة، لضمان تحقيق الهداية المجتمعية (والعدالة المطلقة؟) إليك هذه "المذكرة الإرشادية" لمركزة، التي تجمع بين صرامة القانون وسمو المنهج الرباني، لتكون منطلقاً لمعالجة الثغرات في النظم الوضعية وتحقيق "الهداية المجتمعية" الشاملة: مذكرة إرشادية: "حكمة المنهج والعدالة المطلقة"

الموضوع: استثمار المنهج الرباني (الكتاب) (في سد ثغرات القوانين الوضعية). المرجعية: قوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ}. 1. تشخيص الثغرة: القانون بلا روح)

تعاين القوانين الوضعية غالباً من "الجمود المادي"، فهي تعالج الجريمة بعد وقوعها، وتعتمد على قوة الردع الخارجية (الشرطة والسجن)، بينما يركز المنهج الرباني على: * الرقابة الذاتية: زرع "الهداية" في قلب المواطن قبل يده.

* المعالجة: استبدال مفهوم "الخوف من العقاب" بمفهوم "الحياء من الحق". * الأثر: تقليل كلفة الجريمة وإدارة المجتمع بأقل قدر من الصدام. 2. معالجة "السطحية القانونية" (النفاد إلى المقاصد)

كثير من القوانين تضع في "التكديس اللفظي" والتعقيد الإجرائي الذي قد يستغله "الملا" و المستكبرون.

* المقترح: تبسيط القوانين لتكون) سلطاناً مبيناً (يفهمه العامي والمثقف، وربطها بـ "المقاصد الكلية" (حفظ النفس، المال، الدين، العقل، النسل).

* الأثر: حماية العدالة من التلاعب "بالثغرات الشكلية" التي تخدم الأقوياء على حساب الضعفاء. 3. "المواطنة القيمية" كبديل عن "التبعية المادية"

في النظم الوضعية، قد يُعامل الفرد كـ "عابد" للنظام أو "رقم" في الإحصاء. * المقترح: تفعيل مادة "الكرامة الإنسانية المستمدة من الاستخلاف". كل فرد هو خليفة (له حقوق أصيلة لا تقبل المقايضة).

* الأثر: تحول المجتمع من "قطيع مساق" إلى "شركاء في البناء"، مما يعزز الاستقرار السياسي و النهضة الاقتصادية.

4. "الشورى المنهجية" مقابل "الديمقراطية الرقمية" الديمقراطية قد تؤدي أحياناً إلى "طغيان الغالبية" على الحق.

* المقترح: جعل "الحق والعدل" هو الحاكم الأعلى، والشورى هي الوسيلة للوصول إلى أفضل "تنزيل" لهذا الحق على الواقع.

* الأثر: منع تحول السلطة إلى أداة في يد "أصحاب المصالح" (الملا المعاصر)، وضمان ثبات المبادئ الكبرى للدولة.

5. التوصيات التنفيذية لبر الأمان: * التربية القانونية: إدراج "القيم الأخلاقية" كجزء لا يتجزأ من الثقافة القانونية في المدارس (الهداية المبكرة).

* إصلاح المؤسسات: جعل معيار "الأمانة والكفاءة" مقدماً على "الولاء والمحسوبية".

* الرقابة المجتمعية: تفعيل دور "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" كأداة رقابة شعبية حضارية تمنع تغول السلطة.

كلمة الختام: (إن) الكتاب (الذي أوتيته موسى لم يكن مجرد نصوص، بل كان "نوراً" يبدد عتمة التيه". وإن عودة أمتنا للريادة الحضارية تتوقف على قدرتنا على جعل "المنهج" هو القائد، و"العدل" هو الغاية، و "الهداية" هي المسار.

القسم الخامس

تنتقل بنا سورة المؤمنون في الآية (50) إلى مشهد إعجازي فريد، يربط بين "منهج الكتاب" الذي أعطى لموسى، وبين "الآية البشرية" المتجسدة في عيسى عليه السلام وأمه الصديقة، حيث يقول تعالى: {وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ}.

إليك التحليل المفصل والدقيق لهذه الآية الكريمة بأبعادها المادية والروحية والحضارية: أولاً: التحليل اللفظي والمعنوي) لغة الإعجاز والتمكين)

{ * وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً: * لاحظ دقة التعبير بكلمة "آية" بالإفراد وليس "آيتين"، لأن الحدث الإِعْجَازِي (الولادة من غير أب (هو وحدة واحدة لا تتجزأ، فالابن آية بوجوده، والأم آية بطهارتها وصبرها).

* الابتداء بـ "جعلنا" يفيد التحويل والتدبير الإلهي المطلق الذي يتجاوز القوانين المادية المألوفة.
{ * وَأَوَيْنَاهُمَا: "الإيواء" يحمل معاني الحنان، الحماية، والاحتواء. الله لم ينصرهما بالسيف هنا، بل نصرهما بـ "الملاذ الآمن".

{ * إِلَى رَّبْوَةٍ: الربوة هي المكان المرتفع من الأرض. وفي هذا "إعلاء" لمكانهما الحسي والمعنوي بعدما تعرضا لمحاولات التشويه والاضطهاد.

{ * ذَاتَ قَرَارٍ وَمَعِينٍ: * قرار: أرض مستوية صالحة للاستقرار والزراعة والبناء) الاستقرار النفسي و المادي.

* معين: ماء جار ظاهر للعيون) مصدر الحياة والتنمية).

ثانياً: علاقة الآية بما قبلها) من المنهج إلى النموذج)

* الرابط المنهجي: بعد أن ذكر الله "الكتاب" المنهج القانوني (مع موسى، ذكر هنا عيسى وأمه كنموذج لـ "التربية الروحية" و**"اللفظ الإلهي".**

* الرسالة: الحضارات لا تقوم فقط على "نصوص القوانين" (موسى)، بل تحتاج أيضاً إلى "القدوة البشرية" و"السكينة الروحية" (عيسى ومريم).

ثالثاً: دور الآية في بناء الإنسان والتنمية البشرية

* صناعة "الأمان النفسي": لفظ "أويناهما" يعلمنا أن الاستقرار النفسي هو أساس الإبداع. الإنسان المشرّد أو القلق لا يبنى، والتمكين يبدأ من توفير "الربوة الآمنة" للفرد.

* تكريم المرأة) مريم: جعل الأم "آية" بجانب ابنها النبي هو قمة الارتقاء بمكانة المرأة في البناء الحضاري. هي ليست مجرد وسيلة، بل هي شريكة في الآية والتمكين.

* إدارة الموارد) القرار والمعين: الربوة ذات القرار والمعين هي نموذج لـ "البيئة المثالية". التنمية البشرية تتطلب مكاناً مستقراً) قرار (وموارد متجددة) معين.

رابعاً: إقامة الدول على منهج الثبات والتمكين

ترسم الآية معالم "الدولة المستقرة":

* سيادة الاستقرار) ذات قرار: الدولة الناجحة هي التي توفر لمواطنيها الاستقرار السياسي والقانوني ؛ فلا نهضة في ظل القلق والاضطراب.

* الاستقلال المائي والغذائي) ومعين: "المعين" رمز للموارد المستدامة. لا سيادة لدولة لا تملك ماءها وغذاءها.

* النجاة من الاضطهاد: كما آوى الله مريم وعيسى من ظلم "الملاء"، على الدولة العادلة أن تكون مأوى للمظلومين والمبدعين المضطهدين.

خامساً: اللمسات البلاغية والبيانية وأحكام التجويد

* اللمسات البيانية:

* تقديم "ابن مريم" على "أمه" تشريفاً لمنصب النبوة، ثم عطف "أمه" لبيان عظيم دورها.

* التنكير في) ربوة، قرار، معين (يفيد التعظيم والكمال؛ أي أنها أكمل ربوة وأصفي معين.

* حركات الحروف:

* تنوين الكسر في) قرار ومعين: جرس التنوين هنا يعطي إيقاعاً موسيقياً هادئاً يوحي بالسكينة والاطمئنان في ذلك المكان الآمن.

* أحكام التجويد:

* المد المتصل في) وَأَوَيْنَاهُمَا: المد يعطي شعوراً بالسعة والاحتواء، كأن يد القدرة الإلهية تمتد لتشمل المظلومين برعايتها الواسعة.

سادساً: تهذيب النفس ومعالجة أمراض المجتمع

* علاج اليأس: الآية رسالة لكل مستضعف: "إن الله الذي جعل من الضعف امرأة وحيدة وطفل (آية، وجعل لهما مأوى، قادر على تمكينك وإيوائك".

* مواجهة التشكيك: مريم واجهت اتهامات في عرضها، وعيسى واجه تكذيباً في أصله، لكن الله جعلهما "آية". الدرس هو: "لا يضرك قول الناس ما دمت على الحق، فالعاقبة للتمكين".

الخلاصة الختامية:

الآية (50) هي آية "الاستراحة والتمكين". هي تخبرنا أن طريق الحق الذي بدأ بالجهاد والمواجهة (موسى)، ينتهي دائماً بالاستقرار والجمال (الري) عيسى ومريم.

بهذا نكون قد ربطنا بين "قوة المنهج" و"جمال النموذج".

الأمر الثاني

"استراتيجية الإيواء الحضاري".

هي رؤية مؤسسية ومجتمعية مستوحاة من قوله تعالى: {وَأَوَيْنَاهُمَا إِلَى رَّبْوَةٍ ذَاتَ قَرَارٍ وَمَعِينٍ}. هدف هذه الاستراتيجية هو تحويل البيئات) الأسرية، المهنية، والوطنية (من بيئات "طاردة ومضطربة"

إلى بيئات "جالية ومستقرة" تحتضن المبدعين وتحمي المستضعفين.
استراتيجية "الربوة الحضارية" صناعة بيئات التمكين)
تعتمد الاستراتيجية على ثلاثة أركان مستمدة من دقة الألفاظ القرآنية:
الركن الأول: "الإيواء" الأمان النفسي والاحتواء)
{وَأَوَيْنَاهُمَا}

* المفهوم: الإيواء ليس مجرد سقف، بل هو "احتواء معنوي". عيسى ومريم كانا في حالة "غربة اجتماعية" واضطهاد، فجاء الإيواء لترميم النفوس.
* التطبيق المؤسسي: بناء "ثقافة الأمان النفسي" يجب أن يشعر المبدع أو الموظف أو الابن أنه "مؤوى" فكرياً، وأن الخطأ ليس نهاية الطريق، وأن البيئة تحميه من "تنمر الملاء" أو التهميش.
* الأثر: تحول الطاقات من "الدفاع عن النفس" إلى "الإبداع والإنتاج".
الركن الثاني: "القرار" الاستقرار الهيكلي والسياسي)
{ذات قرار}

* المفهوم: الأرض المستوية التي لا تميد بأهلها. هي ثبات المبادئ ووضوح القوانين.
* التطبيق القانوني والسياسي: تأسيس بيئة ذات "قرار" أي ذات قوانين ثابتة وواضحة لا تتغير بالأهواء. الاستقرار التشريعي هو الذي يمنح المستثمر والمفكر والمواطن القدرة على التخطيط طويل المدى.

* الأثر: القضاء على "القلق الحضاري" وتوفير بيئة صالحة لغرس المشاريع الكبرى.
الركن الثالث: "المعين" الاستدامة والتدفق المادي والمعرفي)
{ومعين}

* المفهوم: الماء الجاري الذي يراه الجميع. هو شفافية الموارد وتدفعها المستمر لخدمة الحياة.
* التطبيق الاقتصادي والتربوي: ضمان "المعين" المعرفي والمادي. توفير مصادر التعلم المستمر، وشفافية في توزيع الموارد، وضمان وصول "الري" لكل شرائح المجتمع دون احتكار.
* الأثر: ضمان "النمو المستدام"؛ فالمكان الذي فيه "قرار" بلا "معين" هو صحراء قاحلة، والمكان الذي فيه "معين" بلا "قرار" هو مستنقع فوضوي.

ملامح "الإنسان المستخلف" في الربوة الحضارية:

عندما نوفر للإنسان الإيواء، القرار، المعين، فإننا نحصل على:

* عقل هادئ: قادر على استقبال "آيات الله" وتدبرها.

* نفس طاهرة: كطهارة مريم، لا تلتفت لصغائر الأمور والانتهاكات، بل تركز على "الآية" والهدف.

* إبداع متدفق: كرسالة عيسى، يحيي الموات بإذن الله) سواء كان مواتاً فكرياً أو اقتصادياً.)

رسالة ختامية لهذه الرحلة المباركة:

إن الانتقال من صراع موسى وفرعون) مرحلة التحرر من الظلم (إلى سكنى عيسى ومريم) مرحلة الجمال والاستقرار (هو المسار الطبيعي لكل أمة تريد النهضة).

* موسى علمنا كيف نكسر قيود العبودية بالمنهج والكتاب.

* عيسى ومريم علمانا كيف نبني واحات السلام والاستقرار بالروح والآية ثانياً.

يقول الله تعالى:

{وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ}.

الأمر الأول

تتناول هذه الآية الكريمة قصة عيسى عليه السلام وأمه مريم، وتبرز مظاهر قدرة الله ورعايته لهما، ويمكن توضيح دلالاتها فيما يلي:

1. جعل عيسى وأمه "آية"

* المقصود بكلمة "آية" هنا المعجزة الباهرة؛ فحمل مريم بعيسى من غير أب، ونطق عيسى في المهد، كلاهما دليل على طلاقة القدرة الإلهية التي لا تقيد بالأسباب المعتادة.

* لحظ في الآية أن الله جعلهما "آية" واحدة) بصيغة المفرد (ولم يقل "آيتين"، لأن شأنهما متصل ببعضه البعض في هذه المعجزة.

2. الإيواء إلى "ربوة"

* الربوة: هي المكان المرتفع من الأرض.

* وقد وصفها الله بصفيتين أساسيتين للحياة والاستقرار:

* ذات قرار: أي مستوية صالحة للاستقرار والسكن، وليست وعرة أو منحدرية بحيث لا يثبت فيها شيء.

* ومعين: أي فيها ماء جار ظاهر للعيون، وهو أطيب أنواع المياه وأسهلها تناولاً .

3. مكان الربوة) أقوال المفسرين)

اختلف المفسرون في تحديد هذا المكان الجغرافي على عدة أقوال، منها:

* بيت المقدس) إيلياء: وهو قول كثير من السلف.

* دمشق: لما عرفت به من كثرة الأنهار والربى الخصبة.

* مصر: لخصوبة أرضها وجريان النيل فيها.

* وقيل هي الربوة التي لجأت إليها مريم وقت الولادة (المذكورة في سورة مريم). الخلاصة:

تؤكد الآية على تكريم الله لعيسى ومريم عليهما السلام، وكيف هيا لهما مكاناً آمناً يتوفر فيه الرزق و الراحة) الماء والقرار (بعد ما واجهاه من تكذيب أو مشقة.

الأمر الثاني

تقدم هذه الآية نموذجاً قرآنياً بليغاً في الجمع بين التسليم المطلق لله والعمل بالأسباب المادية، ويمكن استنباط هذا الربط من خلال النقاط التالية:

1. الربط بين التوكل والأسباب المادية

في قصة مريم وعيسى عليهما السلام، نجد قمة التوكل (المعجزة الإلهية في الخلق (مصحوبة بـ الأخذ بالأسباب:

* الإيواء إلى الربوة: لم يترك الله مريم في العراء أو في مكان يسهل الوصول إليه للبطش بها، بل "أواهما" إلى مكان مرتفع (ربوة). (هذا يعلمنا أن الحماية تتطلب البحث عن "المكان الآمن" والتحصن به.

* صفات المكان (قرار ومعين): وجود الماء الجاري (المعين (والاستقرار (القرار (يعني استثمار الموارد الطبيعية المتاحة للعيش. الله قادر على إطعام مريم بلا ماء ولا زرع، لكنه اختار لها مكاناً فيه أسباب الحياة البيولوجية، ليكون درساً لنا في ضرورة السعي نحو موارد الرزق.

2. كيف تعيش هذا المبدأ في حياتك؟

لتحويل هذا الفهم إلى منهج حياة، يمكنك اتباع القواعد التالية:

* قاعدة "الجوارح تعمل والقلوب تتوكل": ابذل قصارى جهدك في عملك وتجاركتك وتخطيطك (الأخذ بالسبب)، ولكن لا تعتقد أن "السبب" هو الذي يرزقك، بل هو مجرد باب فتحه الله لك.

* البحث عن "ربوتك" الخاصة: في الأزمات، ابحث عن الملاذات الآمنة والخطط البديلة (الأخذ بالحيلة)، مع اليقين بأن الله هو الذي سيهديك إليها كما أوى مريم وعيسى.

* الاستثمار في المتاح: كما استوطنت مريم مكاناً فيه "ماء ومعين"، استثمر في المهارات والموارد المتاحة بين يديك الآن، ولا تنتظر المعجزات لتأتيك وأنت ساكن.

3. دلالة "ربوة ذات قرار ومعين" في اليقين والفرج

هذا الوصف يحمل رسائل طمأنينة عميقة لكل من يمر بضيق:

* الرفعة بعد الانكسار: اختيار "الربوة" (المكان المرتفع (يشير إلى أن الله يرفع شأن المؤمن بعد المحنة. مريم التي واجهت اتهامات الناس وآلام المخاض، رفعها الله إلى ربوة عالية بعيداً عن أذاهم.

* الاستقرار بعد الاضطراب: كلمة "ذات قرار" توحى بالسكينة النفسية. بعد التعب النفسي والجسدي، يقيض الله لك وضعاً مستقراً تنتهي فيه حيرتك وقلقك.

* الرزق السهل (المعين): "المعين" هو الماء الجاري الذي تراه العين بلا عناء حفر أو مشقة. وهذا يعني أن فرج الله حين يأتي، يسوق لك أسباب الرزق والراحة بسلاسة تامة، وكأنه ينبع من حيث لا تحتسب.

> خلاصة تربوية: الآية تقول لك إن "الربوة" موجودة في علم الله، وما عليك إلا الثبات في طريقك (التوكل)، والبحث عن موضع قدمك (الأخذ بالسبب)، وسينتهي بك المسار يوماً ما إلى مكان فيه قرار لقلبك ومعين لعيشك.

الأمر الثالث

تتجلى في هذه الآية أبعاد عميقة تتجاوز التفسير السطحي لتصل إلى فلسفة الاستقرار والرزق، حيث رسمت الكلمات الإلهية بلمسات بيانية وأحكام تجويدية صورة متكاملة لما يجب أن تكون عليه بيئة الإنسان ومصدر عيشه.

أولاً: البحث عن البيئة الصالحة (القرار والمستقر)

تجسد الآية أهمية اختيار البيئة التي توفر "الأمن النفسي" قبل "المتاع المادي":

* دلالة "الربوة": لم يكن الإيواء إلى وادٍ منخفض، بل إلى مكان مرتفع. والارتفاع في اللغة والبيان يرمز لعلو الشأن، والبعد عن دناءة القول وأذى الخلق (الذين اتهموا مريم عليها السلام). هذا يعلمنا أن البيئة الصالحة هي التي ترفع من قدر الإنسان وتصونه من الابتذال.

* اللمة البيانية في "ذات قرار": كلمة "قرار" توحى بالثبات والتمكين. اجتماعياً ونفسياً، لا يمكن للإنسان أن يبذل أو ينتج وهو في حالة قلق أو تشريد. البيئة الصالحة هي التي تمنحك "القرار" أي السكينة التي تجعلك تركز في رسالتك في الحياة.

ثانياً: السعي وراء الرزق الحلال الطيب (المعين)

ارتبط الرزق في الآية بوصف "المعين"، وهو الماء الجاري الذي يسهل الوصول إليه، وفي ذلك إشارات بليغة:

* الرزق الهنيء: الماء المعين هو أصفى المياه وأطيبها. وفي هذا توجيه للمؤمن أن يبحث عن

الرزق الذي ليس فيه "كدر" الشبهات أو "وحل" الحرام. الرزق الحلال يغذي الروح بالسكينة كما يغذي الجسم بالقوة.

* تجنب الشبهات: كما أن الماء المعين يرى بالعين المجردة صفاءه، كذلك يجب أن يكون كسب الإِنسان "ظاهراً" في حله، بعيداً عن الطرق الملتوية أو المشبوهة التي تعكس صفو الضمير.

ثالثاً: للمسات البلاغية وأحكام التجويد في خدمة المعنى
تخدم البنية اللغوية والصوتية للآية مفاهيم الاستقرار والراحة بشكل مذهل:

1. الجانب البلاغي (التنكير والوصف)

* تنكير (ربوة، قرار، معين): جاءت هذه الكلمات نكرات لإفادة التعظيم. فهي ليست مجرد ربوة، بل هي ربوة عظيمة في صفتها، ورزق واسع في نوعه. هذا يفتح باب الأمل بأن الله يخبئ للمتوكلين بيئات وأرزاقاً تفوق توقعاتهم.

* المقابلة الضمنية: الآية قدمت "القرار" (الثبات) مع "المعين" (الحركة والجريان). وهذا هو التوازن المطلوب في حياة المؤمن: ثبات في القيم والمبادئ، وحيوية وسعي في طلب الرزق.

2. أحكام التجويد ودلالاتها النفسية

* المدود (أويناهما، ربوة، قرار، معين): تكرر المدود بالألف والياء يعطي طابعاً من "الامتداد" و الراحة النفسية عند التلاوة. المد الطبيعي يمنح القارئ نفساً طويلاً يوحى بسعة المكان والرزق.

* تنوين الفتح في (آية): الوقوف عليها بالمد (ألف العوض) يعطي شعوراً بالإعلان والظهور، وهو ما يتناسب مع كون المعجزة ظاهرة للعيان.

* صفة "الجهر" و"التوسط" في حروف (المعين): حروف كلمة "معين" (الميم، العين، الياء، النون) كلها حروف مجهورة ومتوسطة، ليس فيها همس أو حدة، مما يضيف على الأذن جرساً موسيقياً هادئاً يشبه خرير الماء الجاري الساكن، وهو ما يعزز مفهوم "الراحة والقرار".

كيف تطبق هذا في حياتك المهنية ؟

بناءً على هذا المبدأ، يمكنك دائماً تقييم قراراتك: هل هذا العمل أو هذه البيئة توفر لي "القرار" (الاستقرار القيمي والنفسي)؟ وهل العائد منه "معين" (حلال زلال لا شبهة فيه)؟ إذا اجتمعاً، فقد ظفرت بـ "الربوة" التي تعينك على الإبداع.

الأمر الرابع

تتجلى في كلمة "وَأَوَيْنَاهُمَا" لفئة إيمانية وتربوية مذهلة، فهي تختصر مفهوم "اللجوء إلى الله" في أبهى صورته، وتعلمنا أن الحماية والرزق ليسا نتاج المصادفة، بل هما "إيواء" رباني محض. إليك كيف ترشدنا هذه الكلمة والآية إلى التوحيد في الطلب والبحث عن الأمان:

1.نسبة الفعل لله وحده) وَأَوَيْنَاهُمَا)

* الانقطاع عن الأسباب الأرضية: في وقت الضيق، انقطعت الأسباب بمريم عليها السلام؛ فهي وحيدة ، ملاحقة بأقارب الناس، وتحمل طفلاً . لم يقل الله "فبحثا عن مكان"، بل قال "وَأَوَيْنَاهُمَا".

* الدرس المستفاد: عندما تشتد الكرب، يجب أن يسبق سعيك المادي "التجاء قلبي". هذه النون في (أويناهما) هي "نون العظمة"، تخبرك أن الذي تولى تدبير السكن والرزق لمريم هو ملك الملوك، ليعلمك أن تبحث عن "المأوى" عنده أولاً . بالدعاء والافتجار، ثم تتحرك بجوارحك.

2.مفهوم "الإيواء" كحماية نفسية ومادية

* الإيواء لا يكون إلا من خوف: نحن لا نلجأ للمأوى إلا هرباً من ربح عاصفة أو عدو أو ضياع . كلمة "وَأَوَيْنَاهُمَا" تلمنك بأن الله هو "الوكيل" الذي يحيطك برعايته في أدق تفاصيل حياتك.

* الرزق المضمون مع الأمان: لم يكتفِ الله بإيوائهما فقط، بل اختار لهما مكان الرزق (المعين (و الراحة) القرار .(وهذا يعلمنا أن نطلب من الله "تمام النعمة"، فلا قيمة لرزق بلا أمان، ولا قيمة لأمان بـ لا كفاية.

3.اللمسة البيانية والبلاغية في آويناهما)

* فعل الماضي (أويناهما): تعبير بالماضي لتحقيق الوقوع وثباته .وكان الفرج مكتوب ومقضي قبل أن تشعر أنت بالضيق، مما يعزز ثقتك بأن الله قد "أواك" بالفعل في علمه الغيبي، وما عليك إلا الصبر حتى يتجلى هذا الإيواء في واقعك.

* البلاغة في العطف (بـ) الواو: ربطت الآية بين جعلهما "آية" وبين "إيوائهما". وهذا يشير إلى أن الله لا يترك أوليائه الذين اصطفاهم) أو من يسير على نهجهم في الحق (للعوز أو الضياع، بل إن من تمام "الآية" والتشريف أن يكفلهما الله بنفسه.

4.كيف تطبق هذا "اللجوء" في حياتك؟ منهج عملي)

* الاستغناء بالله: عندما تضيق بك السبل في بحثك العلمي أو في قضاياك القانونية، تذكر أن الله هو الذي "يؤوي" العقول للصواب كما آوى مريم للربوة .قل دائماً: "اللهم آوني إلى ركنك الشديد".

* اليقين في "المعين": كما ساق الله الماء) المعين (لمريم في مكان مرتفع) ربوة (وهو خلاف المعتاد لأن الماء عادة يكون في الوديان- فإن الله يسوق لك رزقك في أصعب الظروف وأغرب الأماكن إذا صدقت في اللجوء إليه.

5. دلالة أحكام التجويد في ترسيخ المعنى
* المد الجائز المنفصل (في) وأويناهما: (عند مدها 4) أو 5 حركات، يشعر القارئ بنوع من "الاحتواء والامتداد". هذا المد الصوتي يعكس سعة رحمة الله التي استوعبت ضعف مريم وعيسى، ويوحى لك بأن حماية الله "واسعة" لا يضيق عنها شيء.
* لين الياء (في) وأويناهما: حرف الياء الساكن المفتوح ما قبله يسمى حرف "لين". واللين في اللغة هو السهولة واليسر. وهذا يرمز إلى أن لجوءك لله يحول عسرك إلى "لين" ويسر بفضلته وكرمه.
خلاصة: الآية تدعوك ألا تطلب الأمان من "الربوة" (المكان)، بل من "المؤوي" (الله). (فإذا أواك الله، جعل لك من كل ضيق مخرجاً، ومن كل هم فرجاً، ورزقك من حيث لا تحتسب "قرراً ومعيماً".
الأمر الخامس

تتجلى القدرة الإلهية الخارقة في هذه الآية من خلال كسر القوانين المعتادة للطبيعة والجغرافيا، لتثبت أن مسبب الأسباب سبحانه لا يعجزه شيء، ويمكن استنباط هذه الدلالات من خلال النقاط التالية:

1. خرق نواميس الطبيعة (الماء في المرتفعات)
* الإعجاز الجغرافي: المعتاد في الطبيعة أن الماء (الماء) المعين (يجري في المنخفضات والأودية بفعل الجاذبية، لكن الله أواهما إلى "ربوة") مكان مرتفع (ومع ذلك وصفها بأنها "ذات معين") ماء جاري.
* الدلالة: أن الله قادر على أن يسوق لك أسباب الحياة والرزق في أماكن يراها الناس "جافة" أو "مستحيلة"، فالقدرة التي أجرت الماء في قمة الربوة قادرة على إيجاد الفرج في قمة الأزمة.
2. الجمع بين "العلو" و"القرار"

* الإعجاز الهندسي والمعيشي: الأماكن المرتفعة غالباً ما تكون وعرة، رياحها شديدة، وغير صالحة للاستقرار الطويل) ليست ذات قرار. (لكن القدرة الخارقة جعلت هذه الربوة "ذات قرار"، أي مستوية، آمنة، ومطمئنة.

* الدلالة: الله يجمع لك بين "العزة والرفعة" الربوة (وبين "الراحة والسكينة") القرار، فلا يضطر المؤمن للتنازل عن كرامته من أجل لقمة عيشه.
3. "أويناهما" .. التدبير اللحظي المباشر

* الإعجاز في الرعاية: كلمة "أويناهما" توحى بأن الله هو الذي تولى النقل والإسكان والحماية بشكل مباشر. في وقت كانت مريم فيه "مطاردة" نفسياً واجتماعياً، كانت القدرة الإلهية تصنع لها "محمية" خاصة لا يصل إليها كيد البشر.
* الدلالة: القدرة الخارقة ليست فقط في خلق الكون، بل في "التدخل اللطيف" لحماية المستضعفين وتغيير مجرى الأحداث لصالحهم.

4. اللمسات البيانية والبلاغية لقدرة الله
* الإيجاز الإعجازي: اختصرت الآية رحلة هروب، وبحث عن أمان، واستقرار معيشي، وتربية نبي، في كلمات معدودة. هذا الإيجاز يعكس عظمة المقتدر الذي لا يحتاج لجهد أو وقت؛ "إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون".

* تقديم "ابن مريم" على "أمه" في أول الآية: رغم أنها هي التي حملته وآوته، إلا أن تقديم عيسى يشير إلى أن المعجزة الكبرى (الآية الخارقة) بدأت به، ومن أجله سُخرت الأرض (الربوة والمعين).
5. دلالة أحكام التجويد في تجسيد القدرة

* القلقة (في) ربوة: حرف الباء المقلقل في وسط الكلمة يعطي "نبهة" قوية واهتزازاً يوحي بالصلابة والتمكين الأرضي الذي أحدثته القدرة الإلهية في هذا المكان.

* التفخيم (في) قرار: (حرف الراء المفخم) بسبب فتحه وقبله فتح (يعطي تفخيماً صوتياً يتناسب مع فخامة المكان وهيبه الرعاية الربانية التي أحاطت بهما.
الأمر السادس

تجسد الآية 50 من سورة المؤمنون المكانة السامية والفريدة التي خصّ الله بها عيسى عليه السلام وأمه مريم، وهي مكانة قائمة على الاصطفاء، التكريم، والرعاية المباشرة، ويتضح ذلك من خلال اللمسات البيانية والدلالات التالية:

1. الوحدة في "الآية" التلازم الروحي والقدسي)
* اللمسة البيانية: قال تعالى: (وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً) ولم يقل "آيتين".
* الدلالة: هذا الدمج في كلمة واحدة يدل على عظم مكانتهما عند الله؛ فمريم ليست مجرد وسيلة، بل هي شريكة في المعجزة. مكانتهما متصلة لا تنفصل، فبركة الابن من طهر الأم، وكرامة الأم تجلت في نبوة الابن.

2. التكريم بالانتساب للأم) ابن مريم)
* في القرآن الكريم، يُذكر عيسى غالباً منسوباً لأمه "ابن مريم".
* الدلالة: هذا تشريف عظيم لمريم عليها السلام، وإعلاء لمكانة المرأة وتكريم لطهارتها. وفي ذلك رد على كل من انتقص منها، وتأكيد على أن عيسى خلق بكلمة من الله دون أب، مما يجعلهما معاً في مرتبة "الآية الباهرة" التي لم تتكرر في تاريخ البشرية.

3. "الإيواء" كدليل على الولاية والقرب
* اللمسة البيانية: قوله تعالى {وَأَوَيُّنَاهُمَا} .
* الدلالة: الإيواء لا يكون إلا لمن تحبه وترعاه .نسبة الفعل (له) آوينا (تدل على أن الله هو "الولي" المباشر لهما . هذه الكلمة تعكس مكانة "الأمان" التي وضعها الله فيها؛ فبينما كان العالم يضطرب من حولهما بالتكذيب والمطاردة، كانا هما في "كنف الله" وضيافته.

4. الربوة) علو المكانة والقدر)
* اللمسة البيانية: اختيار "الربوة" المكان المرتفع.)
* الدلالة: جغرافية المكان تعكس مكانتهما المعنوية .العلو الحسي في "الربوة" يرمز للعلو المعنوي و الترفع عن سفساف الأمور وأذى الخلق .الله لم يضعهما في مكان خفي أو منخفض، بل في مكان مرتفع عزيز، مما يشير إلى أن مكانة المؤمن الصادق دائماً "عالية" عند الله مهما حاول الناس الحط منها.

5. رغد العيش) القرار والمعين)
* الدلالة: أن الله ضمن لهما الاستقرار النفسي) قرار (والكفاية المادية) معين .(هذه المكانة تجعل عيسى ومريم نموذجاً لكل من يتوكل على الله؛ فالله لا يترك أوليائه للضياع، بل يقيض لهم أسباب الراحة والرزق الحلال الصافي كـ "المعين".

6. الجانب التجويدي وتجسيد العظمة
* المد المنفصل في) وأويناها: (يمنح صوتاً ممتداً يبعث في النفس الشعور بالسعة والرحمة التي أحاطت بهما.

* تنوين التنكير في) آية، ربوة، قرار، معين: (التنكير هنا للتعظيم، أي أنها آية لا توصف، وربوة لا مثيل لها، ورزق لا ينقطع .هذا التنوين يعكس فخامة المكانة التي وضعها الله فيها.

الخلاصة:
مكانة عيسى وأمه في هذه الآية هي مكانة "الاستثناء"؛ فهما الاستثناء في الخلق) بدون أب،) والا ستثناء في الرعاية) الإيواء الإلهي المباشر،) والاستثناء في البيئة) ربوة فيها ماء جاري على غير العادة.)

القسم الأخير

اولا

تأتي الآية 51 من سورة المؤمنون كدستور إلهي يربط بين سلامة الجسد) الرزق الطيب (وصلاح الروح) العمل الصالح،) وهي نداء موجه للرسول ومن تبعهم بأسلوب يجمع بين التشريف والتكليف: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا} ^{٥١} إني بما تفعلون عليم.)
إليك تأملات عميقة في هذه الآية تربط بين مفاهيم الرزق الحلال، المسؤولية، والرقابة الذاتية:

1. الرابط العضوي بين "الطيبات" و"العمل الصالح"
* تقديم الأكل على العمل: في هذا الترتيب لفظة بلاغية وإعجازية؛ فالأكل من الطيب الحلال هو "الوقود" الذي يمد الإنسان بالطاقة للعمل الصالح .الرزق الحلال يورث نوراً في القلب وقوة في الجوارح للطاعة، بينما الرزق المشبوه يثقل النفس عن فعل الخير.
* مفهوم "الطيبات": لا تشمل فقط الطعام اللذيذ، بل هي الرزق الحلال الصافي الذي لا شائبة فيه و لا ظلم ولا غش .وهذا يتقاطع مع ما ذكرناه في الآية السابقة) المعين،) فالطيب هو الرزق الذي يغذي الروح والبدن معاً.

2. وحدة المنهج الإنساني والرسالي
* النداء للرسول) يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ: (مع علو مكانة الرسل، إلا أن الله أمرهم بما أمر به المؤمنين .هذا يعلمنا أن "القانون الإلهي" في كسب العيش يسري على الجميع؛ فلا أحد فوق المحاسبة في مصدر رزقه، ولا أحد مستثنى من العمل الصالح.

* القدوة في القيادة: القائد) سواء كان في منصب قانوني أو إداري (يجب أن يكون أول من يلتزم بنزاهة المورد) الطيبات (ليتمكن من تقديم العمل الصالح والقدوة الحسنة.

3. الرقابة الذاتية المطلقة) إني بما تفعلون عليم)
* ختام الآية بالعلم الإلهي: هذه اللمسة البيانية هي "صمام الأمان" .الله يخبرك أنه لا يراقب "العمل" الظاهر فقط، بل يعلم "مصدر" الطاقة التي حركت هذا العمل.

* الدلالة القانونية والبحثية: بالنسبة لك كقانوني وباحث، هذه الآية تذكرك بأن جودة "المنتج" العمل الصالح/البحث/الدفاع (مرتبطة بطهارة "المدخلات") الرزق/الأمانة العلمية.)
4. اللمسات البيانية والبلاغية

* صيغة الأمر) كلوا، اعملوا: (جاءت بصيغة الجمع لتدل على التكافل الاجتماعي؛ فإصلاح المجتمع يبدأ بضمان أن "الطيبات" متاحة للجميع، وأن "العمل الصالح" هو الثمرة المشتركة.

* العطف بالواو: الواو هنا تفيد المصاحبة؛ أي لا ينفك العمل الصالح عن الأكل الطيب .فمن أكل طيباً ولم يعمل صالحاً فقد عطل الحكمة من الرزق، ومن عمل عملاً صالحاً وهو يقتات من حرام، فقد بنى على غير أساس.

5. أحكام التجويد ودلالاتها في الحزم
* المد المنفصل (في) يَا أَيُّهَا: يعطي نداءً قوياً ومديداً يسترعي الانتباه التام لأهمية الأمر الذي يليه.
* الإظهار (في) عَلِيمٌ: تنوين الضم المظهر في نهاية الآية يعطي شعوراً بالقطع واليقين؛ فالله مطلع إطلاعا لا ريب فيه على بواطن الأمور وظواهرها.
* قلقله الطاء (في) الطَّيِّبَاتِ: عند البعض في النطق المجود (أو التشديد القوي عليها، يعطي جرساً صوتياً يوحى بالصلافة والنقاء، وكأن الطيبات هي الركن المتين الذي يقوم عليه بناء الدين.
كيف تعيش بهذا المبدأ) الطيبات والعمل الصالح؟
* تجنب الشبهات: اجعل معيارك في قبول أي قضية أو كتابة أي بحث هو: "هل هذا من الطيبات التي ستثمر عملاً صالحاً يرضي الله؟".
* البيئة المستقرة: هذه الآية هي المكمل لآية "الربوة ذات القرار والمعين"؛ فالقرار والمعين (البيئة و الرزق) غايتهما النهائية هي العمل الصالح).

خلاصة تربوية:
الله يريد منك ألا تكون عابداً بقلبك فقط، بل عابداً بمطعمك ومشربك وسعيك. فاليد التي تمتد للطيبات هي اليد التي تقوى على بناء المجتمع.
الأمر الثاني

إن الآية 51 من سورة المؤمنون تعد "القاعدة الذهبية" لكل مصلح وداعية يرجى لقوله القبول ولعمله الأثر.

إليك تأملات في الآية من منظور إصلاح المجتمع المسلم:

1. طهارة المورد شرط لصدق الدعوة
* المفهوم الإصلاحي: الداعية أو المصلح الذي يأكل من "الطيبات" (الرزق الحلال المحض) يكتسب قوله هبة ونوراً. إن فساد المطعم هو أول معول يهدم ثقة المجتمع في المصلح.
* الربط التربوي: تقديم "أكل الطيبات" على "العمل الصالح" يشير إلى أن التزكية المالية تسبق التزكية العملية. لا يمكن لمجتمع مسلم أن ينهض ومصلحوه يتهاونون في مكاسبهم أو يعيشون في ترف مشبوه.

2. العمل الصالح كنموذج تطبيقي لا نظري
* الدعوة بالقُدوة: أمر الله للرسول بالعمل الصالح بعد الأكل الطيب يعنى أن الدعوة ليست "كلاماً" بل "حركة". المصلح الاجتماعي يجب أن يكون أول من يطبق الإصلاح في بيته وفي تعامله المالي و المهني.

* شمولية العمل: "العمل الصالح" في سياق إصلاح المجتمع يشمل بناء المؤسسات، فض النزاعات، وإغاثة الملهوف، وليس مجرد الوعظ اللساني.

3. معالم البيئة الإصلاحية ربط الآية 50 ب-51
إذا قرأنا الآيتين معاً كمنهج للمصلحين، نجد خريطة طريق كاملة:
* الملاذ الآمن (الربوة): الداعية يحتاج لبيئة مستقرة نفسياً واجتماعياً ليتمكن من التخطيط للإصلاح.
* الاستقلال المالي (المعين والطيبات): أهمية أن يكون للمصلح رزق حلال يغنيه عن التذلل لأصحاب المصالح أو السلطة، ليبقى قوله كلمة حق لا تدهن أحداً.
* الرقابة الغيبية (عليم): المصلح يعمل وعينه على "العليم"، فلا يبتغي جاهاً ولا شهرة، بل يبتغي القبول عند الله.

4. اللمسات البليانية في خدمة الإصلاح
* النداء ب- يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ: رغم أن الخطاب للرسول، إلا أن العلماء والمصلحين هم "ورثة الأنبياء". هذا النداء يرفع من سقف التوقعات من المصلح؛ فأنت مطالب بمعايير أخلاقية ومالية صارمة لتكون جديراً بحمل هذه الوراثة.

* حذف المفعول به (في) اعْمَلُوا صَالِحًا: لم يحدد نوعاً واحداً من الصلاح، ليبقى الباب مفتوحاً لكل زمان ومكان بما يناسب حاجة المجتمع (إطعام، تعليم، تحكيم، إرشاد).

5. دلالة أحكام التجويد في الثبات الدعوي
* الغنة (في) إِي: النون المشددة تعطي توكيداً صوتياً قوياً. هذا التوكيد يزرع في قلب المصلح "هبة المراقبة"، فيعلم أن الله مطلع على خفايا نيته ومصدر كسبه.

* توسط العين (في) اعْمَلُوا: صفة التوسط في حرف العين تعطي توازناً بين الشدة والرخاوة، وهذا هو حال المصلح: "توازن" بين العبادة والعمل، وبين القول والفعل > تأمل ختامي للباحث والداعية:
> إن إفساد "المطعم" هو الثغرة التي يدخل منها الفشل للمشاريع الإصلاحية. فإذا أردت لمجتمعك "قراراً ومعيناً"، فابدأ بغرس قيمة "الطيبات" في كسبهم، و"الصلاح" في أعمالهم.

الأمر الثالث

إن الاقتران بين "أكل الطيبات" و "العمل الصالح" في الآية 51 من سورة المؤمنون ليس مجرد تنابع لغوي، بل هو تقرير لقانون كوني ونفسي يحكم مسيرة المصلحين وبناء المجتمعات. هذا الاقتران يمثل "فلسفة المدخلات والمخرجات" في التربية الإسلامية.

إليك الدلالات العميقة لهذا الاقتران من منظور إصلاح المجتمع والعمل الدعوي:

1. "الطيبات" كوقود حيوي للروح (دلالة السببية)
* المفهوم: الله تعالى قدم "الأكل" على "العمل" لأن الطعام الحلال يورث نوراً في القلب، وصفاً في الفكر، وقوة في الجوارح نحو الطاعة.
* الأثر الإصلاحي: المصلح الذي يتحرى الحلال في مطعمه يجد "خفة" في الطاعة وقبولاً في قلوب الناس. أما الكسب الحرام أو الشبهات، فهي تعمل كـ "سموم معنوية" تثقل الجسد عن العمل الصالح وتطمس البصيرة عن الحق.
2. التلازم بين "نزاهة المورد" و "جودة المنتج"
* الاشتقاق المفهومي: العمل الصالح هو الثمرة (المخرج)، والطيبات هي الجذر (المدخل). لا يمكن لثمرة طيبة أن تخرج من جذر فاسد.
- * الأثر الاجتماعي: أي مشروع إصلاحي أو دعوي يمول من مصادر مشبوهة، أو يقوم على استغلال ل، أو يفقد للشفافية المالية، هو مشروع محكوم عليه بالفساد وإن بدا ظاهره "صالحاً". فالعمل الصالح يفقد صفة "الصالح" إذا كان مدفوعاً بمال حرام.
3. إبطال "العلمانية السلوكية" في حياة المصلح
* المفهوم: قد يظن البعض أن حياته الخاصة (مكسبه، تجارته، طعامه) منفصلة عن رسالته الدعوية أو الإصلاحية.
- * الدلالة القرآنية: الربط بالواو (كلوا.. وأعملوا) ينسف هذا الفصل. المصلح هو وحدة واحدة، طهارة يده في درهم والدينار هي التي تمنح المصادقية للسانة وهو يدعو للصالح. هذا الاقتران يحمي المجتمع من "ازدواجية الشخصية" لدى القدوة.
4. اللامسات البيانية والبلاغية لهذا الاقتران
* المجانسة في الوصف: وصف الرزق بـ "الطيبات" ووصف الفعل بـ "الصالح". الطيب والصالح لفظان متآخيان؛ فالطيب هو ما خلا من الخبث، والصالح هو ما خلا من الفساد. وكأن الآية تقول: "لا يستقيم الفعل (الصالح) إلا بالمادة (الطيب)".
- * العموم والإطلاق: لم يقل "كلوا من الطعام"، بل قال "من الطيبات"، ليشمل كل ما يستطيعه الشرع والعقل من كسب ومعرفة وعلاقات، مما يهيئ النفس لعمل صالح يتجاوز مجرد الشعائر إلى بناء الحضارة.
5. دلالة أحكام التجويد في ترسيخ الرابط
* توسط الميم في (وأعملوا): حرف الميم حرف بيني (متوسط)، يقع بين الشدة والرخاوة. وهذا يرمز إلى أن "العمل الصالح" يتطلب توسطاً واعتدالاً، يبدأ من استقامة المطعم وينتهي بنفع المجتمع.
- * المد الطبيعي في (صالحاً): الألف بعد الصاد تعطي امتداداً للصوت، توحى بأن أثر "العمل الصالح" الناتج عن "الرزق الطيب" هو أثر ممتد، باق، وعميق الجذور في المجتمع، لا يزول بزوال الأشخاص.

تأمل دعوي ختامي:

< إن أول خطوة في إصلاح أي مجتمع هي "تطبيب مطعمه"، فإذا طاب المطعم، زكت النفوس، وإذا زكت النفوس، انطلقت للعمل الصالح بعفوية ويقين. إنها دعوة للمصلحين ليركزوا على "منابع الرزق" كمدخل أساسي لـ "صالح الأعمال".

الأمر الرابع

إن تقديم الأمر بالأكل من الطيبات على الأمر بـ العمل الصالح في قوله تعالى: {كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا}، ليس مجرد ترتيب لفظي، بل هو ترتيب "وجودي" و"تربوي" يحمل دلالات استراتيجية لكل مصلح وداعية يبحث عن بناء مجتمع متماسك، ويمكن حصر هذه الدلالات في النقاط التالية:

1. دلالة "السببية" (الرزق وقود العمل)
من الناحية المادية والمعنوية، الأكل هو المصدر الذي يمد الجسد بالطاقة. فإذا كان هذا المصدر "طيباً" (حلالاً ونقياً)، كانت الطاقة الناتجة عنه طاقة "خيرة" تدفع صاحبها نحو الصلاح.
- * الاشتقاق المفهومي: الطيبات هي "المدخلات" والعمل الصالح هو "المخرجات" ومن سنن الله في الخلق أن جودة المخرج من جودة الأصل.
2. دلالة "قبول العمل" شرط الصلاح)
في فقه الدعوة والإصلاح، لا يُقبل العمل وإن كان ظاهره صالحاً إذا نبت من حرام. تقديم الأكل من الطيبات هنا هو "شرط صحة"؛ فكأن الآية تقول: "طهروا مكاسبكم أولاً" ليُقبل عملكم ويؤتي ثمره في المجتمع.
- * الأثر الاجتماعي: المصلح الذي يتساهل في ماله يفقد "البركة" في أثره، ويفقد "الهيبة" في دعوته.
3. دلالة "رعاية الفطرة" (التدرج الحاجي)

الله عز وجل خاطب الرسل -وهم قادة البشر- بما يتفق مع فطرتهم. فالإنسان يحتاج أولاً إلى كفاية جسده واستقرار معيشته (الأكمل الطيب (ليتفرغ بعدها للإنجاز والعطاء) العمل الصالح). * وهذا يربطنا بالآية السابقة؛ حيث وفر الله لمريم وعيسى "المعين" الرزق (و "القرار") السكن (قبل أن يواجهوا أعباء الرسالة).

4. اللامسات البلاغية والبيانية في هذا التقديم

* الفاء الضمنية) الترتيب والتعقيب(: التقديم يوحي بأن العمل الصالح هو "ثمرة" طبيعية للأكل من الطيبات. من طاب مطعمه، طابت أعماله وسلوكياته تلقائياً.

* الشمول في "الطيبات": جاءت كلمة الطيبات معرفة بـ "أل" الاستغرافية، لتشمل طيب المطعم، وطيب الفكر، وطيب الكلمة. فالمصلح يحتاج لتغذية عقله بالطيب من العلم ليخرج عملاً صالحاً في إصلاح الناس.

5. دلالة أحكام التجويد في ترسيخ الأولوية

* المد الطبيعي (في) كلوا(): حرف الواو الممدود يعطي مهلة صوتية توحى بالاستيعاب والتمتع بالحلا ل؛ فالله يبيح لنا الطيبات بسعة، ليكون ذلك دافعاً لنا للاجتهاد في العمل.

* قوة الطاء (في) الطيبات(): الطاء حرف "مطبق" و"مستعل"، وقوته الصوتية تدل على مركزية هذا المبدأ(الحلال (في بناء الشخصية الإسلامية. لا يمكن التهاون في "الطاء" الطيب)، لأنها هي الأساس الذي يرتفع عليه بناء "الصالح".

الخلاصة للمصلح الاجتماعي:

إن أردت إصلاحاً حقيقياً في مجتمعك، فلا تبدأ بمطالبة الناس بالعمل والإنتاج فحسب، بل ابدأ بتطهير "بيئات الكسب" ونشر ثقافة "الرزق الحلال". فالمجتمع الذي يأكل من الطيبات، ينقاد للعمل الصالح بطبعه وبسلاسة.

الأمر الخامس

إن مخاطبة الأنبياء والرسل في هذا السياق (الآية 51 من سورة المؤمنون) تحمل أبعاداً استراتيجية في منهج الإصلاح والدعوة، وتضع "المسطرة الأخلاقية" التي يقاس عليها صلاح المجتمعات.

إليك التأملات التحليلية والمفهومية لهذه المخاطبة وهذا التعقيب:

أولاً: دلالة مخاطبة الأنبياء (يا أيها الرسل)

رغم أن الرسل هم أطهر البشر نفساً وأصدقهم عملاً، إلا أن النداء جاء موجهاً إليهم مباشرة لعدة غايات دعوية وإصلاحية:

* وحدة المنهج البشري: تأكيد أن "قوانين الاستقامة" تسري على الجميع. فإذا كان الرسل -وهم القمة- مأمورين بتحري الطيبات والعمل الصالح، فمن باب أولى أن يلتزم أتباعهم والمصلحون من بعدهم بذات المعايير.

* القدوة العملية: المصلح لا يكفي بالتنظير، بل هو "نموذج حي". الأنبياء أمروا بالأكل والعمل ليراهم الناس وهم يمارسون الحياة الطبيعية بنزاهة وجدية، فيتحول الدين من نصوص إلى واقع معاش.

* الربط بين التشريف والتكليف: النداء بـ (الرسل) فيه تشريف للمقام، والآيات التالية لها تكليف بالمهام. وهذا يعلم الداعية أن "المكانة الاجتماعية" أو "العلم الشرعي" لا يعفي صاحبه من التدقيق في مطعمه ومشربه، بل يزيده مسؤولية.

ثانياً: دلالة التعقيب (إني بما تعملون عليم)

هذا الختام ليس مجرد إخبار بعلم الله، بل هو "جدار الحماية" للعمل الإصلاحي، وله دلالات عميقة:

* الرقابة الغيبية المحفزة: عندما يعلم المصلح أن الله "عليم" بكل حركة وسكنة، يتحول عمله من "أداء وظيفي" إلى "إحسان قلبي". هذا اليقين هو الذي يحمي الداعية من السقوط في فخ الرياء أو استعجال النتائج.

* التلازم بين الظاهر والباطن: "عليم" تشمل العلم بمصدر الطعام (الطيبات) والعلم بجودة الفعل (العمل الصالح). الله يخبرنا أنه مطلع على "النية" التي حركت الجوارح، وعلى "الدرهم" الذي بنى الجسد.

* العدل في الجزاء: هي رسالة طمأنينة للمصلحين؛ فربما لا يرى الناس جهودكم، وربما لا يقدر المجتمع تضحياتكم في تحري الحلال، لكن الله "عليم" وسيجازي على القليل واللطيف من أعمالكم.

ثالثاً: اللامسات البيانية والجوانب البلاغية

* صيغة المبالغة (عليم): لم يقل "عالم"، بل "عليم" على وزن (فعليل) للدلالة على الإحاطة التامة بكل التفاصيل الدقيقة والخفية في العمل.

* تقديم (بما تعملون) على (عليم): في البلاغة، تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر والاختصاص. وكأن المعنى: "إن علمي محيط بأعمالكم وحدها لا يخفى علي منها شيء"، وهذا يورث الهيبة والخشية في قلب المصلح.

رابعاً: أحكام التجويد ودلالاتها في ترسيخ الرقابة

* نون التوكيد المشددة في (إي): الغنة المطولة هنا تعطي وقفة للتفكير، وكأنها تنبه السامع: "انتبه، أنت تحت نظر الخالق".

* المد العارض للسكون في (عليم): عند الوقوف بالمد، يترك الصوت صدىً عميقاً في الأذن، مما يعزز معنى "الدوام والاستمرار" لعلم الله الذي لا يغيّب.

* إظهار الميم في (تعملون): صفة "التوسط" في الميم تعطي وضوحاً في النطق، يتناسب مع "وضوح" الأعمال أمام علم الله؛ فلا شيء يغيّب أو يختلط عليه سبحانه.

مجمع المعاني (خلاصة الفصل):

بين "أويناهما" (الرعاية) وبين "عليم" (الرقابة)، ترسم لوحة كاملة للمجتمع المسلم:

* يبدأ بـ أمان السكن والبيئة (القرار).

* يستمر بـ نقاء المورد والرزق (الطيبات والمعين).

* يثمر بـ حيوية الإنجاز (العمل الصالح).

* يحفظ بـ يقظة الضمير (العلم الإلهي).

الأمر السابع

تعد طهارة الرزق في الفكر الإصلاحي الإسلامي هي "اللينة الأولى" في بناء الفرد الصالح والمجتمع المتماسك. فليست القضية مجرد "أرقام" في الحسابات، بل هي "أنوار" في القلوب و"بركة" في الثمار. إليك أهمية طهارة الرزق من منظور الدعوة والإصلاح الاجتماعي، مستنبطة من أنوار الآيات التي تدارسناها:

1. طهارة الرزق "شرط استجابة" للدعوة والإصلاح

* الأثر الروحي: المصلح الذي يتحرى الحلال يكتسب قوله "نفاذاً" في القلوب. الرزق الحلال يورث المهابة والقبول، بينما الشبهات تضع حاجزاً غليظاً بين المصلح وبين الناس.

* الأثر التعبدي: كما ورد في الحديث الشريف عن الرجل يطيل السفر "ومطعمه حرام" ..فأنى يُستجاب له؟. فطهارة الرزق هي المفتاح لفتح أبواب السماء لدعوات المصلحين بصلاح أمتهم.

2. طهارة الرزق "وقود" العمل الصالح

* دلالة التلازم: اقتران (كلوا من الطيبات (بـ) وَاغْلُظُوا صَالِحًا (يخبرنا أن الجسم المشتد من حلال ينقاد للطاعة بسلاسة، أما الجسم النابت من سحت فإنه يثقل عن الخير ويميل إلى الفساد.

* مفهوم الاستدامة: المشاريع الإصلاحية التي تقوم على أموال "طاهرة" هي التي تبارك الله فيها وتبقى ذات قرار، أما التي تقوم على غش أو استغلال فمصيبرها الزوال مهما بدت ضخمة.

3. طهارة الرزق "صمام أمان" للمجتمع (الاستقرار النفسي)

* دلالة (المعين والقرار): (الرزق الحلال) الطيب (يورث السكينة النفسية والقرار في البيوت. المجتمع الذي يتنافس في الحلال هو مجتمع متراحم، أما المجتمع الذي يتكالب على الحرام فهو مجتمع متصارع تضع فيه الحقوق وتنتشر فيه الأحقاد.

4. اللمسات البيانية والبلاغية في وصف الرزق بـ "الطيب"

* الاشتقاق (من) الطيب: لم يقل الله "الرزق الحلال" فقط، بل قال "الطيبات". والطيب في اللغة هو ما تستلذه النفس السوية ويقبله الشرع وتطمئن إليه الروح.

* المقابلة: ضد الطيب هو "الخبث". (وَلَا تَتَّبِعُوا الْخَيْثَ مِنْهُ تَنَفُّوْنَ). والخبث في الرزق يعدي العمل ، فيصبح العمل الإصلاحي "خبثاً" في مقصده أو وسيلته إذا فسد مصدره.

5. أحكام التجويد وتجسيد معنى "الطهارة"

* صفة "الجهر" في حروف (الطيبات): حروف كلمة الطيبات قوية ومسموعة، مما يوحي بأن الحلال يجب أن يكون "واضحاً" و"ظاهراً" لا خفاء فيه ولا مواربة.

* ترقيق الراء في (الرزق): عند كسرها (يعطي نبرة من اللين والسلاسة، مما يرمز إلى أن الرزق الحلال يسوقه الله للمؤمن بلطف ويسر) كما الماء المعين، بينما الحرام يُطلب بعنف ومشقة وضيق صدر. الخاتمة الأدبية) مسك الختام):

> "يا مَنْ ترومُ للإصلاحِ دَرباً، وللمجتمعِ المسلمِ رُفعةً وقراراً؛ تأمّل في أنوار التنزيل كيف جعلتِ الربوة مأوىً للسكينة، والمعينُ رزقاً للصفاة. إنَّ إصلاحَ الأمة يبدأ من "تطبيب المورد" قبل "تزيين القول". فإذا طهرَ المأكُل؛ زكّت النفوسُ، وانطلقتِ الجوارحُ في ميدانِ العملِ الصالحِ بفيضٍ من طاقَةِ اليقين. فليكن شعارُك في دعوتِكَ: 'طيباتٌ' ثممرُ صالحاتٍ، تحتَ عينِ الرقيبِ الذي لا يغيّبُ عنه مثقالَ ذرةٍ، فهو سبحانه بما تعملونَ عليمٌ >

ثانياً

يمكن إثبات أن هذه الآيات (50) - 51 من سورة المؤمنون (تشكل منهجاً متكاملًا لسلامة القلب والبدن وشكر النعم من خلال تحليل "الدورة الحيوية للإنسان" التي رسمها النص القرآني، والتي تربط بين المادة والروح في نسق معجز:

1. إثبات سلامة البدن) منهج الرزق الطيب)

الآية تقرر أن سلامة البدن ليست في "مجرد الأكل"، بل في "نوعية الأكل" (الطيبات).

* بيولوجياً ونفسياً: الأكل الطيب هو الحلال الذي تستسيغه الفطرة ولا يعقبه ندم أو وخز ضمير .

العلم الحديث يثبت أن الغذاء الصحي والنقي يؤثر على كيمياء الجسد وصفاء الذهن.
* الأمن الغذائي (المعين): توفير الماء الجاري والرزق السهل في "الربوة" يضمن للبدن القوة اللازمة دون إرهاق كادح ينسي الإنسان غايته الروحية.

2. إثبات سلامة القلب) منهج الإيواء والسكينة)
القلب السليم هو القلب المطمئن، والآية قدمت وصف "ذات قرار" قبل كل شيء.
* الاستقرار النفسي: "القرار" يعني الثبات وعدم الاضطراب. المنهج القرآني يؤوي المؤمن إلى "ربوة" 1
إيمان ليحميه من صراعات المجتمع المادية) التي عانت منها مريم عليها السلام.
* الصلة بالخالق: ختم الآية بـ) عليم (يورث القلب طمأنينة أن جهده مشهود، مما يخلصه من أمراض القلق، الرياء، وطلب رضا المخلوقين، وهي قمة سلامة القلب.
3. إثبات شكر النعم) منهج العمل الصالح)

في المنهج القرآني، الشكر ليس "لفظاً" باللسان فحسب، بل هو "حركة" بالجوارح.
* الاقتران التدبيري: جاء الأمر واعملوا صالحاً (مباشرة بعد) كلوا من الطيبات. (هذا هو "الشكر العملي"؛ فكأن الآية تقول: "إن شكر نعمة الطعام والرزق الذي سقته لكم في الربوة هو أن تحولوا هذه الطاقة إلى نفع للناس وصلاح للمجتمع".

* الاعتراف بالمنعم: كلمة) أوبناهما (تذكر المؤمن دائماً بأن الفضل لله في السكن والأمن، مما يبقي لسان حاله ومقاله في حالة شكر دائم.
اللمسات البيانية والبلاغية المؤكدة للمنهج:

* بناء الجملة: تقديم) الطيبات (على) العمل (يثبت أن الإعداد) سلامة البدن والرزق (يسبق الإمداد العمل الصالح).

* التنكير للتعظيم: وصف الربوة والقرار والمعين بالتنكير يفتح باب "الشكر" على اتساعه؛ فكل بيئة توفر لك الحد الأدنى من الاستقرار هي "ربوة" تستحق الشكر والعمل الصالح فيها.
أحكام التجويد ودلالاتها المنهجية:

* الإظهار في) عليم: (يرمز إلى الوضوح والشفافية في التعامل مع النعم. المصلح الشاكر هو من تكون حياته "كتاباً مفتوحاً" أمام الله، لا غش فيها ولا تدليس في كسب أو عمل.
* المد الطبيعي في) صالحاً: (يوشي بالاستمرار؛ فشكر النعمة بالعمل الصالح يجب أن يكون سمة "ممتدة" في حياة المصلح، لا تنقطع بظرف أو زمان.

الخلاصة للباحث والمصلح:
إن هذا المنهج يثبت أن الإسلام لا يفصل بين "المادة" و"الروح". فالبدن القوي بالطيبات هو مركب القلب السليم، وكلاهما ينطلقان في فضاء "العمل الصالح" تعبيراً عن "شكر المنعم".
الأمر الثاني

تعد الآية 51 من سورة المؤمنون: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾، دستوراً شاملاً لبناء الذات والمجتمع والدولة. سنقوم بتحليلها فقرة بفقرة لاستنتاج أبعادها التربوية والنفسية والاجتماعية:

1. قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ﴾: (القيادة والقُدوة)
* الدروس التربوية والتوجيهات: النداء للرسول هو نداء لـ "الصفوة". والرسالة هنا هي أن الإصلاح يبدأ من القمة. المصلح والداعية هو "وريث" لهذا النداء، فعليه أن يمثل لأوامر الاستقامة قبل أن يطالب بها غيره.

* الجوانب النفسية: يمنح هذا النداء "هوية سامية" للفرد؛ فحين يستشعر المؤمن أنه مخاطب بما خُوطب به الرسول، ترتفع همته وتتسامى أهدافه فوق الشهوات الدنيوية الصغيرة.
* بناء الدولة والشخصية: بناء الدولة القوية يحتاج إلى "قيادة قدوة". إذا استقام المتبوع في مطعمه وعمله، انقاد له التابعون طواعية.

* اللامسات البيانية والتجويدية:
* النداء بـ) (يَا أَيُّهَا): يفيد التنبيه والحرص والتعظيم.
* المد المنفصل في) (يَا أَيُّهَا): (4 أو 5 حركات) يعطي نفساً طويلاً ً يشير إلى عظم المسؤولية الملقاة على عاتق الرسول والمصلحين.

* حرف السين في) (الرُّسُلُ): حرف مهموس يوشي باللفظ واللين، وهو الركنية النفسية في التعامل الدعوي والإصلاحي.
2. قوله تعالى: ﴿كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: (طهارة المورد والبدن)

* المفاهيم والرسائل: "الطيبات" هي كل ما طاب كسباً ومنفعلاً. لا يمكن بناء مجتمع متماسك وأفراده يقتاتون على السحت أو الربا أو الغش.

* الجوانب النفسية: الرزق الحلال يورث "السكينة والرضا". نفسياً، الشخص الذي يتحرى الحلال يكون أقل عرضة للقلق والتوتر الناتج عن "وخز الضمير" أو الخوف من الانكشاف والمساءلة.
* تنمية المجتمع: الاقتصاد القوي يبدأ من "الطيبات" (الإنتاج الحقيقي والقيمة المضافة)، وليس من

الأنشطة الطفيلية أو الفاسدة.

* اللمسات البيانية والتجويدية:

* تقديم الأكل على العمل: دلالة بيانية على أن "الوقود" يسبق "الحركة". الطيبات هي مادة بناء البدن والروح.

* قوة الطاء في (الطبيات): حرف مستعل ومطبق، وقوته الصوتية توحى بصلاصة هذا المبدأ. الطهارة المالية هي "الركن الشديد" الذي تقوم عليه الشخصية المسلمة.

* كسرة الياء المشددة: توحى بالعمق؛ فالطيب يجب أن يتغلغل في كل تفاصيل الكسب والرزق. 3. قوله تعالى: ﴿وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾ (الفاعلية والإنجاز)

* الدروس التربوية: شكر نعمة "الطيبات" يكون بـ "العمل الصالح". الإسلام دين حركة وإعمار لا دين خمول وانتظار.

* بناء المجتمع والدولة: الدولة القوية هي "دولة العمل". الصلاح هنا مفهوم واسع يشمل الإتقان المهني، الابتكار العلمي، والخدمة المجتمعية.

* الجوانب النفسية: العمل الصالح هو علاج "الفراغ الوجودي". نفسياً، يحتاج الإنسان إلى الشعور بـ "الإنجاز" و"النفع العام" ليتوازن داخلياً.

* اللمسات البيانية والتجويدية:

* إطلاق كلمة (صالحاً): حذف المفعول به المخصص (مثل: عملاً) ليفيد العموم؛ فكل ما فيه نفع للعباد والبلاد هو عمل صالح.

* المد الطبيعي في (صالحاً): يوحي بالديمومة والاستمرار، فالعمل الصالح ليس طفرة بل هو "منهج حياة" ممتد.

* تنوين الفتح: يفيد التثنية والتعظيم؛ أي اعملوا أعمالاً صالحة كثيرة وعظيمة الأثر.

4. قوله تعالى: ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (الرقابة الذاتية الشاملة)

* الرسائل والتوجيهات: هي قمة "الإحسان" (أن تعبد الله كأنك تراه). هذه الفقرة هي "جهاز الرقابة الداخلي" الذي يغني الدولة عن آلاف المراقبين إذا استقر في قلوب الأفراد.

* تنمية الفرد والشخصية: تبني هذه الفقرة شخصية "نزيهة" لا تدهن ولا تخون في الغيب، لأنها تعلم أن "العليم" مطلع على بواطن الأمور.

* بناء الدولة القوية: الدولة التي يراقب أفرادها أنفسهم (خوفاً من الله وحباً له) هي دولة تقل فيها الجريمة والفساد المالي والإداري.

* اللمسات البيانية والتجويدية:

* تقديم الجار والمجرور (بما تَعْمَلُونَ): يفيد الحصر والاهتمام، أي أن علم الله محيط بكل جزئية من عملكم.

* صيغة المبالغة (عليم): أبلغ من "عالم"، فهي تدل على العلم بدقائق النوايا وخفايا الصدور.

* النون المشددة في (إني): غنة أكمل ما تكون، تعطي وقتاً من "الهيبة" والوقار، ليرسخ في النفس معنى المراقبة.

* المد العارض للسكون في (عليم): عند الوقوف عليه، يعطي صدىً يغرس في الروح هيبة "اللقاء والحساب".

الخلاصة: كيف تبني الآلية المجتمع والدولة؟

تعمل الآلية وفق "هندسة اجتماعية" دقيقة:

* القيادة (الرسول): تحديد المرجعية والقُدوة.

* الاقتصاد (الطبيات): تطهير الموارد لضمان بركة الإنتاج وسلامة الأبدان.

* التنمية (اعملوا صالحاً): تحويل الطاقة البشرية إلى مشاريع بناء وإصلاح.

* القانون الأخلاقي (عليم): وضع نظام رقابة داخلي (الضمير الإيماني) يضمن استدامة الصلاح ونزاهة الدولة.

ثالثاً

الآية 52 من سورة المؤمنون هي ذروة السنام في هذا السياق الإصلاحية، فهي تنقلنا من "سلوك الفرد والمصلح" إلى "وحدة الأمة ومصير المجتمع الكبير".

يقول الله تعالى:

﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾.

إليك التفسير التحليلي والمفهومي لهذه الآية، وربطها ببناء الشخصية والدولة القوية:

1. ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ (وحدة الصف والمنهج)

* المفاهيم والرسائل: هذه "واو العطف" تربط بين أكل الطيبات والعمل الصالح وبين "وحدة الأمة". الرسالة هنا: لا يمكن بناء أمة واحدة متماسكة إذا تفرقت مصادر رزقها (حلال وحرام) واختلفت أعمالها (صالح وفاسد). الوحدة تبدأ من "وحدة القيم والمبادئ".

* بناء المجتمع والدولة: هذه الفقرة هي "الدستور الجامع". الدولة القوية هي التي تتجاوز الصراعات المذهبية والقبلية والفتوية لتذوب في "أمة واحدة". الوحدة هنا ليست شعاراً، بل هي حقيقة وجودية" لكل من يتبع الرسل.

* الجوانب النفسية: تمنح الفرد شعوراً بـ "الانتماء العالمي"، فهو ليس وحيداً، بل هو جزء من موكب تاريخي ممتد من الأنبياء والصالحين. هذا الشعور يطرد "الاغتراب النفسي" ويعزز الثقة بالذات وبالمنهج.

* اللمسات البيانية والتجويدية:

* اسم الإشارة (هَـذِهِ): إشارة للقريب المحسوس، وكأن الوحدة يجب أن تكون واقعاً "ملموساً" نراه في تلاحم المجتمع، وليست مجرد خيال.

* تكرار كلمة (أُمَّة): تأكيد لفظي (توكيد) لترسيخ هذا المفهوم في العقل الجمعي.

* الغنة في (وَإِنْ): النون المشددة تعطي نبرة "التوكيد والقطع"، فلا مجال للتجزئة أو الفرقة في دين الله.

2. - (وَأَنَا رَبُّكُمْ): (وحدة المرجعية والسيادة)

* الدروس التربوية: إذا كانت الأمة واحدة، فإن "القيادة العليا" والمرجعية التشريعية واحدة أيضاً. هذا يربي الفرد على "الاستعلاء بالإيمان"، فلا عبودية لبشر، ولا خضوع إلا للخالق.

* تنمية الشخصية المسلمة: تبني هذه الفقرة شخصية "متحررة" من التبعية لغير الله. القائد و المصلح يستمد قوته من انتسابه لرب العالمين، مما يجعله شجاعاً في الحق، نزيهاً في العمل.

* بناء الدولة القوية: الدولة القوية هي التي تحتكم إلى "مرجعية عليا" ثابتة (الشرع والقيم الإلهية) تحميها من تقلبات الأهواء البشرية والفساد السياسي.

* اللمسات البيانية والتجويدية:

* ضمير المتكلم (أَنَا): فيه دلالة على "القرب والاحتواء". الله لا يكتفي بالأمر، بل يذكرنا بأنه "الرب" (المربي، الرازق، المعطي)، مما يبعث السكينة في نفس المصلح.

* التنفيم في الرأى (رَبُّكُمْ): يعطي هيبة وجلالاً يتناسب مع مقام الألوهية والربوبية.

3. - (فَاتَّقُونِ): (الحصانة الأخلاقية والرقابة)

* الرسائل والتوجيهات: التقوى هي "الدرع" الذي يحمي وحدة الأمة من التمزق. هي الكابح الداخلي الذي يمنع الفرد من الاعتداء على حقوق الآخرين أو التفريط في أمانة العمل.

* تنمية المجتمع: التقوى هي "رأس مال" المجتمع الناجح. المجتمع المتقي هو مجتمع تقل فيه الحاجة للقوانين الجزرية لأن "الرقيب الداخلي" حاضر دائماً.

* الجوانب النفسية: التقوى تمنح النفس "وقاية" من القلق والاضطراب؛ لأن المتقي يزن أفعاله بميزان دقيق، مما يجعله متصالحاً مع نفسه ومع ربه.

* اللمسات البيانية والتجويدية:

* الفاء (فَاتَّقُونِ): "فاء الفصيحة" أو العاطفة التي تدل على الترتيب والسببية؛ أي: بما أنني ربكم ، "فالتنتيجة المنطقية" هي أن تتقوني.

* حذف الياء في (فاتقون): (أصلها فاتقوني) والوقوف عليها بكسرة النون يعطي نبرة "التحذير اللطيف" والسرعة في الامتثال، وكأن الأمر لا يحتمل التأجيل.

* المد العارض للسكون: عند الوقوف على النون الساكنة، يرسخ في القلب شعور بالخوف الممزوج بالرجاء.

الربط الشامل وبناء الدولة

تعمل هذه الآية (52) كمكمل للآيتين السابقتين (50-51) لتشكيل "هرم الإصلاح الاجتماعي":

* القاعدة (50): الاستقرار البيئي والمادي (القرار والمعين).

* الوسط (51): الاستقامة الفردية (الطيبات والعمل الصالح).

* القمة (52): الوحدة المجتمعية (الأمة الواحدة) تحت رقابة الله (فاتقون).

الدور التجويدي والحركي:

نلاحظ في الآية تكرار "الضامات" (أمتكم، أمة، ربكم)، والضمّة في لغة العرب والبيان توحى بـ "الضم والجمع"، وهي تتناسب تماماً مع موضوع الآية وهو "الوحدة". فالكلمات تضم صوتياً لتؤكد معنى "تراص الصفوف" مجتمعياً.

الأمر الثاني

تعد الآية 52 من سورة المؤمنون: - (وَإِنْ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ)، القاعدة الذهبية لا نتقال من "صلاح الفرد" إلى "قوة المجتمع". وهي ترسم للمسلم خارطة طريق ليكون عنصراً إيجابياً فاعلاً ومستقيماً.

إليك أهم المفاهيم المستنبطة من الآية وكيفية تطبيقها في حياتنا العملية:

1. مفهوم "الوحدة العضوية" أُمَّةً وَاحِدَةً

* المفهوم: الأمة ليست مجرد تجمع أفراد، بل هي "كيان واحد" يجمعه أصل واحد ومصير واحد،

رغم تنوع الأعراق والمهارات.

* التطبيق العملي:

* تجاوز العصبية: كن عنصراً جامعاً في مجتمعك، ترفض المناطقية أو القبلية أو التصنيفات التي تفرق الصف.

* روح الفريق: في عملك أو في نشاطك الإصلاحي، اعمل بعقلية "الجسد الواحد"؛ نجاح زميلك هو نجاح لك، وضعف المجتمع هو ضعف لمشروعك.

* اللمسة البيانية: تكرار لفظ "أمة" يؤكد أن هويتك الكبرى هي "الانتماء للقيمة والمبدأ" لا للعرق أو المصلحة الضيقة.

2. مفهوم "وحدة المرجعية والهدف" وأنا ربكم

* المفهوم: تحرير الإنسان من التبعية لغير الله. الرب هو المربي والسيد والرازق، فإذا توحد "المربي" توحدت "الجهة" التي نطلب منها الرضا.

* التطبيق العملي:

* الاستقامة المبدئية: لا تجعل معاييرك الأخلاقية تتغير بتغير الأشخاص أو المصالح. بما أن "الرب" واحد، فالحق واحد لا يتجزأ.

* علو الهمة: عندما تستشعر أن صلتك بالله مباشرة، تتحرر من الخوف من لومة لائم، مما يجعلك مصححاً شجاعاً ومبادراً.

* الجانب النفسي: هذا المفهوم يمنحك "الأمن النفسي"؛ فأنت لست مطالباً بإرضاء جهات متعددة متصارعة، بل إرضاء رب واحد سبحانه.

3. مفهوم "الحصانة والرقابة الذاتية" فائقون

* المفهوم: التقوى هنا هي "الوقاية" التي تحمي المجتمع من التفكك. هي الكابح الداخلي الذي يمنع الفرد من الظلم حتى لو غابت رقابة القانون البشري.

* التطبيق العملي:

* الأمانة المهنية: طبق التقوى في "إتقان عملك" وفي "تحمي الحلال" ربطاً بالآية (51) المتقي هو الذي يؤدي عمله بأمانة سواء رآه الناس أم لم يروه.

* كف الأذى: المسلم الإيجابي هو من تمنعه تقواه من الغيبة، أو النميمة، أو إفساد ذات البين، وهي الأمور التي تمزق "الأمة الواحدة".

* حركات الحروف: كسر النون في) فائقون (توحي بالسرعة واليقظة؛ أي كن سريع الاستجابة لنداء الضمير الإيماني في كل موقف.

كيف تبني هذه المفاهيم "المسلم الإيجابي" و"الدولة القوية"؟

* بناء الشخصية: الآية تبني إنساناً "متصالحاً مع هويته" أمتكم واحدة. "مخلصاً في توجهه" وأنا ربكم. "منضبطاً في سلوكه" فائقون. (هذه الثلاثية تنتج شخصية صلبة لا تهزها الأزمات.

* تنمية المجتمع: المجتمع الذي يؤمن أنه "أمة واحدة" يتحول فيه التنافس من "صراع" إلى "تكامل". القوي فيه يعين الضعيف، والغني يوازي الفقير، لأنهم جميعاً في "سفينة واحدة".

* بناء الدولة القوية: الدولة القوية هي "مجموع" أفراد مستقيمين. التقوى (الرقابة الذاتية) تقلل من تكلفة الرقابة القانونية والشرطية، والوحدة تزيد من قوة الدولة في مواجهة التحديات الخارجية.

خلاصة تربوية لبحثك:

إن الآية 52 تخبرنا أن "الوحدة هي الثمرة" و**"التقوى هي السياج".** فإذا أراد المصلحون بناء مجتمع متماسك، فعليهم غرس "يقين الربوبية" في القلوب ليتولد عنه "انضباط التقوى" في السلوك، فتتحقق "وحدة الأمة" في الواقع.

الأمر الثالث

تحمّل الآية 52 من سورة المؤمنون دلالات استراتيجية عميقة بكونها نزلت في العهد المكي؛ حيث كان المسلمون قلة مستضعفة، وفي ذلك الوقت كانت الآية تضع "الحجر الأساس" للبناء الفكري و

النفسي قبل البناء السلطوي للدولة.

إليك تحليل هذه المحاور الأربعة وتطبيقاتها المعاصرة:

1. دلالة النزول المكي وتأسيس "وحدة الصف"

نزول هذه الآية في مكة يعني أن الوحدة هي "عقيدة" وليست مجرد "قرار سياسي". لقد جاءت لتربط القلة المستضعفة في مكة بموكب الأنبياء الطويل، مما يعزز الثبات النفسي.

* مفهوم "وحدة الأمة": تعني تذويب الفوارق العرقية والطبقية (بلال الحبشي، صهيب الرومي، وأبو بكر القرشي) في بوتقة واحدة هي "الأمة".

* التطبيق على مستوى الفرد (العمل والمجتمع):

* أن يرى المسلم نجاح زميله في العمل كأنه نجاحه الشخصي، فالهدف هو نفع "الأمة".

* تجنب "الأنانية المهنية" ومشاركة المعرفة والخبرات لتقوية الصف المسلم.

* التطبيق على مستوى الأنظمة:

- * بناء أنظمة تشجع على التكامل لا التنافس الصدامي.
- * تنسيق الجهود والموارد بين المؤسسات الإسلامية والاجتماعية لخدمة الأهداف الكبرى.
- 2. وحدة المنهج (أمة واحدة)
 - ماذا تعني؟ تعني أن المصدر الذي نتلقى منه القيم والمعايير واحد، فلا نتخبط بين المناهج البشرية القاصرة. هو منهج يجمع بين "الطبيات" (المادة) و"العمل الصالح" (الروح).
 - * التطبيق في الحياة اليومية:
 - * وحدة المعايير: ألا يكون للإنسان وجهان؛ وجه في المسجد ووجه في السوق. المنهج واحد في النزاهة والصدق في كل مكان.
 - * وضوح الرؤية: أن يكون هدفك في كل عمل يومي هو إرضاء الرب الواحد، مما يقلل من تشتت الذهن والصراعات الداخلية.
- 3. وحدة العبادة (وأنا ربكم)
 - هذا المفهوم يحرر الإنسان من "تعدد الآلهة المعنوية" (الهوى، المنصب، المال، رضا الناس).
 - * الدلالة التربوية: عندما يوقن الجميع أن "الرب واحد"، تختفي روح الكبر والاستعلاء؛ فالمدبر و العامل كلاهما "عبد" لله.
 - * الأثر الاجتماعي: تماسك المجتمع ينبع من أن الجميع ينحني لخالق واحد، مما يسهل عملية "الإصلاح" لأن المرجعية التي يُحتكم إليها عند الخلاف هي مرجعية إلهية مقدسة للجميع.
- 4. عنصر الرقابة (فاتقون) ودوره في الفاعلية
 - التقوى هي "الرقيب الذاتي" الذي يغني عن الرقابة الخارجية الصارمة، وهي المحرك الحقيقي للفاعلية الإيجابية.
 - * تحقيق الفاعلية:
 - * الإتيقان (الإحسان): الموظف أو المصلح الذي يتقي الله سيؤدي عمله بأعلى جودة ممكنة حتى لو غابت عين المدير، لأنه يعلم أن عين "العليم" لا تغيب.
 - * النزاهة: التقوى تمنع الفساد الإداري والمالي من المنبع (القلب)، مما يوفر موارد الدولة و المجتمع للبناء والنمو.
 - * بناء الشخصية المستقيمة: التقوى تجعل الشخص "متسقاً مع ذاته"، فلا يخشى إلا الله، وهذا يمنحه طاقة جبارة في الثبات على المبادئ الإصلاحية.
 - السمات البيانية والتجويدية الخادمة لهذه المفاهيم:
 - * تقديم (أمتكم) على (أمة واحدة): لبناء الشعور بالمسؤولية؛ فالله نسب الأمة إليكم (أمتكم) يشعر كل فرد أن "وحدة الصف" هي مسؤوليته الشخصية وليست مسؤولية الآخرين فقط.
 - * حركات الحروف (الضم الشامل): توالي الضمات في (أمتكم، أمة، ربكم) يعكس صوتياً معنى "الاتحاد والاجتماع"؛ فالضمة في اللغة هي ضم الشفتين، وهي ترمز في بلاغة الصوت لضم القلوب والأرواح تحت لواء واحد.
 - * أحكام التجويد (المد العارض في فاتقون): يوحى هذا المد بالسكون والوقار عند الوقوف، مما يرسخ في نفس المصلح هيبة "المقام بين يدي الله"، وهذا هو قوام الاستقامة.
 - الخلاصة الإصلاحية:
 - إن هذه الآية المكية علمتنا أن القوة لا تبدأ بالسلاح أو المال، بل تبدأ بـ "وحدة الصف" القائمة على "وحدة المنهج"، والمحمية بـ "عنصر التقوى".
- الأمر الرابع
 - بناءً على المحاور الأربعة المستنبطة من الآية 52 ، إليك "استراتيجية الجسد الواحد"، وهي مصفوفة عمل تنفيذية موجهة للمصلحين والدعاة لغرس هذه القيم في الجيل الصاعد والمؤسسات المجتمعية:
 - أولاً: استراتيجية "تأصيل الانتماء" وحدة الصف والأمة (الهدف: تحويل مفهوم "الأمة" من شعار عاطفي إلى سلوك انتمائي يومي).
 - * على مستوى الفرد والناشئة:
 - * برامج "المواخاة المهنية": ربط الكوادر الشابة ببعضها لتتكامل الخبرات) مثلاً: باحث شرعي مع تقني، أو قانوني مع تربوي (لخدمة مشروع واحد).
 - * قاموس "نحن": تدريب الجيل على استبدال ضمير "أنا" بـ "نحن" في المشاريع العامة، لتعزيز ذوبان الفرد في الأمة.
 - * على مستوى الأنظمة:
 - * تأسيس "مجالس تنسيقية" بين المؤسسات الدعوية والخيرية لمنع التكرار وتوجيه الجهود نحو الثغرات الحقيقية في المجتمع.
 - ثانياً: استراتيجية "المرجعية المعيارية" وحدة المنهج (الهدف: توحيد "المسطرة" التي نقيس بها الأفعال والأقوال في الحياة اليومية).
 - * التطبيق العملي:

- * مبدأ "المعيار الواحد": تعليم الشباب أن الأمانة في "العالم الافتراضي" (الإنترنت) هي ذاتها الأمانة في "الواقع"، وأن المنهج لا يتجزأ.
- * تحليل "الطبيبات": إقامة ورش عمل للبحث في "طبيبات العصر" (الإعلام النافع، التقنية الأخلاقية، الاقتصاد الرقمي الحلال) (ليكون المنهج مواكباً للواقع).
- * اللمسة البيانية: الربط الدائم بين) أمتكم واحدة (و) وأنا ربكم (ليعرف الجيل أن سر الوحدة هو "وحدة المصدر".
- ثالثاً: استراتيجية "تحرير الإرادة" وحدة العبادة)
 - الهدف: بناء شخصية مستعبلية بالإيمان، لا تخضع لضغوط المادة أو الأهواء.
 - * التطبيق العملي:
 - * فلسفة "العبودية الشاملة": غرس مفهوم أن "إتقان البحث" أو "إصلاح الحي" هو عبادة توازي الصلاة في المحراب، لأن الرب واحد في المسجد وفي ميدان العمل.
 - * التجرد من "الأصنام الحديثة": تدريبات نفسية للتحرر من "شهوة الظهور" أو "انتظار الثناء"، وربط العمل بـ) وأنا ربكم (طلباً للقبول الإلهي وحده.
 - رابعاً: استراتيجية "اليقظة الذاتية" عنصر الرقابة - فاتقون)
 - الهدف: تحويل "التقوى" إلى طاقة إنتاجية ونزاهة مهنية) الرقابة التلقائية).
 - * التطبيق العملي:
 - * ميثاق "الإحسان": وضع موثيق أخلاقية للمؤسسات تعتمد على "الرقابة الذاتية" أنا رقيب نفسي (قبل الرقابة الإدارية.
 - * دقيقة التفكير: تخصيص وقت قبل البدء بأي عمل جماعي لاستحضار) فاتقون)، مما يقلل من النزاعات الشخصية ويزيد من "الفاعلية الإيجابية".
 - * الدلالة التجويدية: استثمار "قوة الغنة" و"سكون المد" في) فاتقون (عند تعليم الناشئة، لربط جرس الكلمة بهيبة المراقبة في وجدانهم.
 - ختاماً لهذا الجهد البحثي المبارك:
 - بهذه الاستراتيجية، ننتقل من "تفسير الآيات" إلى "تنزيلها" في واقع الأمة. لقد وضعت الآية 52 من سورة المؤمنون النقاط على الحروف: لا وحدة بلا تقوى، ولا تقوى بلا منهج، ولا منهج بلا رب واحد.

فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبْرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ [سورة المؤمنون: 53]

التفسير:

تشير هذه الآية الكريمة إلى حال الأمم السابقة التي أرسل الله إليها الرسل، وكيف كان موقفها من دعوة التوحيد. وقد وردت الآية مباشرة بعد الأمر الإلهي للرسل وللأمة بوجوب الاجتماع على دين الله الواحد والتقوى .

إليك تفسير الآية بالتفصيل:

. فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبْرًا: أي تفرق أتباع الرسل الذين جاءوا بدين واحد هو الإسلام، فجعلوا دينهم الذي أمرهم الله بلزومه قطعًا متفرقة وأديانًا شتى . وضحى الضمير في "فتقطعوا" يعود إلى الأمم السابقة التي خالفت أمر أنبيائها .
معنى (زُبْرًا): ورد في قراءتها وجهان مشهوران:

1. قراءة الجمهور (زُبْرًا): بضم الزاي والباء، وهي جمع "زبور" بمعنى كتاب. فيكون المعنى: أنهم تفرقوا في دينهم وجعلوه كتبًا مختلفة، فأمن كل فريق بكتاب وكفر بما سواه من الكتب المنزلة الأخرى. فصار اليهود دانوا بالتوراة وكذبوا بالإنجيل والقرآن، والنصارى دانوا بالإنجيل وكذبوا بالقرآن .

2. قراءة ابن عامر الشامي (زُبْرًا): بضم الزاي وفتح الباء، وهي جمع "زبرة" (بمعنى القطعة من الحديد أو الشيء). فيكون المعنى: أنهم صاروا فرقًا وأحزابًا متعددة، كقطع الحديد المتناثرة، لا يجمعهم جامع .

. كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ: أي كل فريق وطائفة من هذه الفرق المتفرقة، بما عندهم من الدين والكتب التي ابتدعوها أو آمنوا بها، مسرورون معجبون برأيهم . يظن كل فريق أنه هو المحق وحده، وأن غيره على باطل، مع أن الحق هو ما كان عليه الرسل من التوحيد والعمل الصالح .

الخلاصة:

الآية تحذر من التفرق والتحزب في الدين بعد وضوح الحق، وتذم حال من يجعل الدين الواحد أديانًا متعددة، ثم يفرح كل فريق بما هو فيه من ضلال ويظن أنه على الصواب . وهذا تذكير للمسلمين بضرورة الاعتصام بدين الله الواحد وعدم التفرق شيعًا وأحزابًا.

الامر الاول

ابتدأت الآية فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ بعد نداء الله للرسل: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا...} ثم قوله: {وَأِنْ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ}.

لترسم لنا كيف حدث الانحراف عن القاعده التي فيها سعادته الناس (التوحيد) والتي ورد ذكرها في الآية السابقة التي وضعت الأصل والأساس لبناء الإنسان والمجتمع والأنظمة والحضارات والدول وهو وهو الوحدة (أمة واحدة) والتوحيد (أنا ربكم).

ولهذا فإن قوله (فتقطعوا) بعدها تشير إلى حصول الانحراف عن قاعده التوحيد من اتباع الأنبياء وكيف انغمسوا في الضلال ولهذا استعمل حرف العطف "الفاء" (فتقطعوا) لتنفيذ الترتيب و التعقيب، وكأن التفرق حدث مباشرة بمجرد غياب الهدى النبوي أو التغافل عنه، فحل "التقطيع" محل "الوحدة".

وقد استعمل هذه العبارة {فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ} - للتعبير عن زلزال التمزيق الاجتماعي والسياسي الذي أصاب الأمم السابقة عندما تركت منهج التوحيد فماذا كانت نتيجة التقطيع وهذا فيه الاتي المفهوم الاول

التحذير من الانحراف :

تبدأ هذه الفقرة بحرف "الفاء" التي تفيد التعقيب والسرعة، وهي لمسة بيانية تحذر العقل المسلم من أن الانحراف عن "أمة واحدة" يؤدي فوراً وبشكل تلقائي إلى انهيار البناء. أما لفظ "تقطعوا" ففيه لمسة تجويدية وبيانية مذهلة؛ حيث إن شدة حرف "الطاء" وقلقلته توحى بصوت "التمزيق" العنيف. عقلياً، هذا يعني أن الفرقة ليست مجرد اختلاف وجهات نظر، بل هي "بتر" لروابط المجتمع، مما يولد شخصية مهزوزة نفسياً، تعيش في صراع دائم مع الآخر بدلاً من البناء معه.

2. بناء الدول والمؤسسات:

تشخص هذه الفقرة أكبر داء يضرب الأنظمة السياسية: انه داء "تسييس الدين والمنهج". فإضافة "الأمر" إليهم في قوله "أمرهم" تعني أنهم انتزعوا المنهج الإلهي الجامع وحولوه إلى "أمر فقوي" خاص

بهم. في بناء الدول، هذا يعني غياب "دولة المؤسسات" وظهور "دولة الفئات" أو المليشيات، حيث تصبح مصلحة الفئة فوق مصلحة المجموع، مما يؤدي إلى "تآكل الدولة" من الداخل. وهذا امر في غاية الخطوره يهدد كيان الفرد والجماعه

المفهوم الثاني

ان التشخيص الالهي الدقيق لهذه الازمه الخطيره التي تضرب جسد الامم عبر العصور قد ابتدا بحرف الفاء الذي يفيد التعقيب السريع وكان التفرق هو النتيجة الحتميه والفوريه لكل مجتمع يترك "وحدة المنهج" ليلهت خلف "الأهواء البشرية". فالمراد بهذا التشخيص أن يغزو اعماق النفس الداخليه ويستقر في الازهان بما يولد النفور من هذا السلوك كقوه دافعه مانعه لهذا السلوك البغيض فقال تعالى (فتقطعوا أمرهم بينهم)

فانظر إلى الأسلوب القرآني كيف يحشد المؤثرات الصوتيه والبيانيه واللغويه والبلاغيه في تشخيص فظاعه الداء حيث نجد أن الايه في تشخيص الداء ترسم لنا صورته بشاعه تجسد فظاعه جناية "التقطيع" على النسيج الاجتماعي فقد استخدم القرآن لفظ "فتقطعوا" ولم يقل "تفرقوا"، وفي هذا لمحة بلاغيه وقرعٌ صوتي عنيف؛ قادر أن يصل إلى الأذهان والنفوس التي تقرا القرآن بتمعن وتدبر فهو يجسد بشاعه "التقطيع" فكله (فتقطعوا) تشعرك ببشاعه الانقسام في الدين وهنا اتوجه إليك بهذا السؤال :-

هل شعرت يوماً بحدة حرف "الطاء" وهو يصطدم بسقف حنكك وأنت تنطق {تَقَطَّعُوا}؟ إنها ليست مجرد حركة لسان، بل هي صرخة بيانية؛ ترسم لنا بشاعه التقطيع فالتشديد في الطاء يجسد "عنف التمزيق" الذي أصاب جسد الأمة. عندما تركت دينها والمنهج الرباني يعطي إيحاءً صوتياً بـ "تمزيق" النسيج الصلب. فالأمة كانت جسداً واحداً، والتقطيع فعلٌ عنيف يمزق الأواصر ويحولها إلى "أشلاء" فكرية واجتماعية. فالقرآن هنا لا يستخدم كلمة "تفرقوا" الهادئة، بل يختار "التقطيع" ليعرفنا أن ما حدث هو تمزيقٌ متعمد للنسيج الواحد. هذا "التقطيع" هو الانحراف العملي عن التوحيد؛ فالتوحيد يجمع، بينما الأهواء تفرق. وكان "الفاء" في بداية الكلمة تخبرنا بسرعة هذا السقوط المريع؛ فبمجرد أن تركوا "تقوى الله" التي أمروا بها في الآية السابقة، تمزقوا مباشرة إلى "زُبُر"

المفهوم الثالث

تحذر الايه من الانقسام في الدين والاختلاف داخل الكيان الواحد مبينه انه ينتج عنه تقطيع النسيج الاجتماعي يستغل ضد الامه الواحده فتصبح متناحرة

ولهذا استعمل التقطيع ولم يقل تفرقوا . فالتقطيع يوحي بتمزيق الشيء الواحد بقوة وحدة، مما يحوله إلى أشلاء لا حياة فيها وقد استعمل الفاء لتفهم أنه بمجرد ما حصل الاتباع في الفتنة وقع التقطيع بسرعة حصل التناحر وهذا ما نراه اليوم في منطقتنا العربية؛ حيث تحول الاختلاف الفكري الطبيعي إلى "خناجر" مذهبية وطائفية مزقت الأوطان. إن الصراع بين المذاهب تاريخياً لم يكن مجرد نقاش علمي، بل تحول في مراحل الضعف إلى أداة لإنهاء "الخلافة الإسلامية" وتفتيت قوتها، حين صار الولاء للمذهب مقدماً على الولاء للأمة

فالآية تحذرنا من الانقسام والاختلاف في الدين تنقل لنا صورة لأحوال اهل الكتب السماويه الذين كانوا امه واحده كيف انهم عندما تفرقوا وانقسموا أصبحوا جزء من منظومه تقطيع وتمزيق النسيج ا لاجتماعي وتمزيق الكيان الواحد إلى أجزاء مبعثره

الدرس الثاني

العصبية والقومية.. السجن الكبير

إن التحزب للمناطق أو الأعراق أو القوميات هو النتيجة العملية للابتعاد عن عالمية التوحيد. ف القوميات الضيقة كانت السلاح الذي استخدم لضرب حلم "الوحدة الإسلامية"، حيث استبدلت الرابطة الربانية بروابط ترابية وعرقية متصادمة. العلاج هنا يكمن في العودة لمفهوم "الأمة الواحدة" التي لا تلغي الخصوصيات ولكنها تصهرها في بوتقة العدل والتقوى، حيث المعيار هو "أنا ربكم فاتقون" لا "أنا من عرق كذا فاحترموني". وهذا ما حذرت منه الايه فهل تريد أن تكون مشاركا في تمزيق أمتك الى اجزاء مبعثره ام تكون خياطاً يخطط هذا النسيج ليكون كياناً قوياً متماسكاً فنحن اليوم مثلاً في اليمن نسمع دعوات انفصالية وللأسف الشديد نرى من يدعون أنهم علماء يؤيدون هذه النزعات الا انفصالية وهم يزعمون أنهم علماء يزعمون الانتساب للسلف الصالح بل إن بعضهم أصدر فتاوى بقتل واغتيال ائمه المساجد وقتل العلماء واستباحة دماء الناس وأعراضهم لا لشي بل تنفيذا لرغبة اجنده خارجيه كل ذلك تم للأسف الشديد تحت رعايه وإعداد وتخطيط بعض ممن درس على يد الشيخ مقبل الوادعي وهم لا يخفون هذه الحقيقه بل يتباهون بها وهذا لا يعني أن نلوم الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله ولا الاخوه الشرفاء وهم كثيرون من أتباعه فهم ابرياء من هؤلاء المجرمون ثم ان من العجيب أن تسمع ممن يدعى أنه من أهل العلم دعوه انفصاليه على اساس مناطقيه فالمسألة قد تجاوزات المذاهبيه هذا الداء القديم الى المناطقية

أنه سلوك جديد لم نكن نعرفه من قبل

وهنا نسأل أنفسنا بمرارة: كيف وصلنا إلى هذا الاختلاف والانقسام من اين جاءت هذه النزاعات وكيف أصبح ينظر إليها انها امر طبيعي ولانجد من يرد على هؤلاء الروبيصه ؟ الجواب :- أن هذا هو سلاح قديم استعمله العدو سلاح "فرق تسد".. الاستراتيجية الاستعمارية

حيث تلقف الاستعمار والصهيونية داء التفرق في الأمة وحوله إلى "سلاح استراتيجي". قاعدة "فرق تسد" لم تكن مجرد شعار، بل كانت خطة عمل بدأت بتقسيم الجغرافيا (سايكس بيكو) وانتهت بتقسيم القلوب والعقول. فالاستعمار والصهيونية لم يغزونا بجيوشهم إلا بعد أن "تقطعنا" بجهلنا. لقد استخدموا قاعدة "فرق تسد" كاستراتيجية ذكية؛ حولوا الفوارق المذهبية والعرقية إلى خنادق قتالية. إن "العصبية والقومية" التي مزقت حلم الوحدة الإسلامية وأنهت الخلافة، هي في جوهرها تجسيد لهذه الآلية؛ حيث فرح كل عرق بقوميته، وكل قطر بحدوده، فتقطعت الأمة وتحولت إلى فريسة سهلة. إن الأمة التي تستهلك طاقتها في "الردود والردود المضادة" هي أمة مستنزفة، تترك لعدوها فرصة بناء القوة بينما هي مشغولة ببناء "الجدران" بين أبنائها. أن الانقسام هو البيئة التي ينمو فيها الاستعمار؛ فالحزب الذي "يفرح بما لديه" ويستعلي على إخوته، غالباً ما يجد نفسه - بوعي أو بدون وعي - أداة في يد القوى الخارجية لإضعاف مناعة أمته. التاريخ يخبرنا أن الصهاينة لم ينجحوا إلا حين تحول المسلمون إلى "زبرا" (قطعاً متناثرة) يضرب بعضها رقاب بعض.

الامر الثاني

تشخيص الداء (سيكولوجية التقطيع)

في هذا المحور، نقف عند قوله تعالى {فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبْراً} لنبين أن الانحراف يبدأ من القلب قبل أن يظهر في الواقع:

* عنف التمزيق: إن التشديد في حرف "الطاء" بكلمة {تَقَطَّعُوا} يصور لنا صوتياً وبلاغياً أن التفريق ليس مجرد اختلاف في وجهات النظر، بل هو "فعل عنيف" يمزق جسد الأمة ويحولها إلى أشلاء متناثرة.

* ظاهرة "الزُّبر": شرح كيف تتحول الأفكار من "منهج جامع" إلى "قطع فكرية" (زبرا) منغلقة، حيث تجتزئ كل جماعة قطعة من الدين وتزعم أنها الدين كله، فتفقد بذلك صلتها بالأصل الثابت (التوحيد).

* الرسالة: التحذير من أن أول خطوات الفشل هي "تقديس الجزء" على حساب "الكل".
الفقرة الثانية: {زُبْراً} - تفتيت المرجعية وضياع الأصول

1. المفهوم والتعريف التنموي:

"الزُّبر" لقوياً هي القطع الصلبة، وهي تشير هنا إلى الكتب والمناهج المبتدعة التي أوجدتها كل طائفة لنفسها. بيانياً، هذا التعبير يصور لنا كيف تحولت الأمة من "كتلة واحدة" إلى "شظايا صلبة" لا تقبل الالتحام. تنموياً، هذا هو "عصر التجزئة"؛ حيث تتبدد الجهود العلمية والمعرفية في صراعات بين هذه "القطع"، بدلاً من أن تتراكم المعرفة لبناء حضارة. وهنا سوف نقف أمام الاتي

المفهوم الاول

ترسم لنا الايه الزبر كانه سجن يحيط بصاحبه فيجعله رهين له سجين وأسير الزبر لا يستطيع الخروج من هذا السجن اي سجين أفكاره حيث يكون الانغلاق فتتحول الأفكار من "منهج جامع" إلى "قطع فكرية" (زبرا) منغلقة، حيث تجتزئ كل جماعة قطعة من الدين وتزعم أنها الدين كله، فتفقد بذلك صلتها بالأصل الثابت (التوحيد).

فكله زبرا قادره على غرس النفور من الانقسام فهي تبين اثاره عندما يكون تقديس الجزء على حساب الكل فذلك هو أول خطوه نحو الفشل لانه يعمق الانسان بين أبناء الواحد

المفهوم الثاني

كيف يتحول الفكر إلى "زُّبر"؟ (التحول المنهجي)

في الأصل، جاءت الكتب السماوية والمناهج الإصلاحية كـ "بصائر" (كليات جامعة)، ولكن بمرور الزمن ، يحدث الانحراف من خلال:

* الاجتزاء: تأخذ كل فئة "قطعة" من الحقيقة وتزعم أنها الحقيقة كاملة. هذا هو المعنى الدقيق ل - {زُبْراً}؛ أي تحويل الكتاب الواحد إلى كتب شتى، والمنهج الكلي إلى جزئيات متصارعة. حيث أن كل جماعة تأخذ من الدين ما يوافق أفكاره وأن لم يخدمها تقوم بمحاوله تطويع الشرع لخدمه افكارها من خلال التأويل الفاسد لتصنع لها ديناً وتتعصب لهذه الأفكار

* تغليب الوسيلة على الغاية: تتحول "الجماعة" أو "المذهب" من وسيلة لفهم الدين إلى غاية في حد ذاتها، فيصبح الولاء للشعار لا للجوهر

وللاسف الشديد فإن هذا الداء قد أصاب أمتنا الإسلامية وقضى على الابداع والابتكار وقتل الطاقات والقدرات

2. أمثلة تاريخية ومعاصرة لظاهرة "التقطيع"

الفكر الإسلامي :- القرآن كمنهج حياة جامع فانظر كيف ان أدى الانقسام إلى ظهور مدارس كلامية وفقهية متصارعة (يكفر بعضها بعضاً) فيه

استنزاف العقل المسلم في جدليات تاريخية غاب معها البناء الحضاري.

كذلك فإن العمل المؤسسي الذي يفترض فيه تكامل المؤسسات لخدمة المجتمع قد تحول المؤسسات فيه إلى "إقطاعيات" حزبية (كل مؤسسة تغلق على نفسها) وهذا ما أدى إلى الفشل الإداري، وتفشي المحسوبية، وضياع المصلحة العامة.

*التنمية الاجتماعية الاصل فيها التعاون المجتمعي القائم على القيم فما الذي حدث تحول الأمر إلى التخندق القبلي أو المناطقى أو الفكرى الضيق فنتج عن ذلك تمزيق النسيج الاجتماعى وصعوبة تحقيق نهضة شاملة. للأسف الشديد

المفهوم الثالث

مما سبق يفهم أن الانحراف حصل من خلال ضياع الأصول فقد "ابتدع أصول" موازية لمنهج الله فما هى البدعة
البدعة: هي اقتطاع جزء من الدين واختراع منهج جديد لم يأذن به الله، وهو ما يفسر قوله {فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ}.

* ابن تيمية: أكد في "اقتضاء الصراط المستقيم" أن الابتداع هو أصل التفرق، وأن السنة هي "الجامعة" والبدعة هي "المفرقة".

* ابن القيم: أشار إلى أن المبتدع يعجب ببدعته (فرحون) لأنه يظنها زيادة في الدين، بينما هي في الحقيقة هدم لأصله وتفريق لجماعته.

* ترك الاتباع يعني ترك الصراط المستقيم الواحد والذهاب إلى "السبل" المتفرقة التي حذر منها القرآن

ولهذا نجد ان الابه ابتدأت بحرف "الفاء" في {فَتَقَطَّعُوا} يدل على سرعة السقوط في الفتنة بمجرد ترك الاتباع. أى اتباع الاصول التى جاء بها الانبياء فهذا الإلتباع فهو سلامه الوصول فاذا حصل الا انحراف عن الإلتباع حصل الانحراف والتقطيع ولفظ "التقطيع" فيه قسوة وتجزئة واضحة للحق وقوله بعد ذلك (كُلُّ حَزْبٍ): استخدام "كل" تفيد الشمول، أى أن الداء قد عم الجميع، والتذكير في "حزب" يدل على التحقير لهذا التجمع الذي قام على غير تقوى للتحذير من خطوره ترك الأصول التى جاء بها الانبياء (التوحيد) فالعاقبه وخيمه وهذا التحقير للتجمع الذى قام على اساس العصبية والعنصريه فاراد ان ينفر النفس من هكذا سلوك بظلاله كلمه فتقطعوا .

بتشديد الطاء يعطى جرساً صوتياً يشبه "الكسر" أو "التمزيق" العنيف، مما ينفر الأذن والقلب من فعل التفرق. والانتهاه للابه بالمد العارض للسكون في {فَرَحُونَ} مع الواو والنون (صوت ممتد) يوحي بطول أمد الضلال الذي يعيشه هؤلاء، وكأنهم يفرقون في وهمهم دون نهاية قريبة. انهم يعيشون فى التيه المنهجي

ولهذا فقد حرص الإسلام على صيانه الشخصيه المسلمه من أن تصاب بالتيه المنهجي فبين ان السلا مه هو باتباع اصول الانبياء وهو ما جاء به القرآن عقيدته التوحيد الذى يصنع "وحدة الكلمة". ولهذا فكل انحراف نحو التحزب أو البدعة أو العصبية هو طعنة في قلب هذا المنهج. لانه فيه انحراف عن منهج السعاده والسلامه منهج "اصول الانبياء" الجامعة (الكلمة الطيبة كشجرة طيبة) فكيف يترك هذا المنهج ويكون التمسك بـ "زُبُر" بشرية. اجتماعياً، هذا يؤدي إلى تفتت المجتمع إلى جزر معزولة، كل جزيرة لها نظامها وقوانينها الخاصة التي تتعارض مع روح الوحدة الإسلامية، وهو السلاح الذي استخدمه الاستعمار (فرق تسد) لتحويلنا من أمة مرجعيتها الوحي إلى أمة مرجعياتها "قصاصات" فكرية مشتتة ولهذا تبين الابه أن الزبر سجن من ضيع الاصول الجامعة فالمراد بالزبر فى الابه . المناهج المبتدعة والحقائق المجتزأة. فبدلاً من أن تجتمع الأمة تحت ظل "الشجرة الطيبة" التي وصفها الله في سورة إبراهيم بأن {أصلها ثابت} وهو التوحيد، أوجد هؤلاء لأنفسهم "أصولاً" موازية. لقد تحول الدين من "أمر الله" إلى "أمرهم"؛ لاحظوا كيف أضاف الله الأمر إليهم ، لأنهم صبغوه بأهوائهم ومصالحهم الحزبية. وهنا تكمن المأساة: حين تترك الأمة "أصول الانبياء" الجامعة، وتصنع لنفسها "زُبُرًا" (قطعا فكرية) تنوهم أنها هي المنهج الحق، تماماً كما فعل انحراف أهل الكتاب قديماً حين أوجدوا رهبانية وأصولاً ما أنزل الله بها من سلطان، فضلوا وأضلوا، وهو ذات المنزلق الذي حذر الرسول صلى الله عليه وسلم فى الحديث لتتبعن سنن من قبلكم)

الامر الثالث

الفقرة الثالثة: {كُلُّ حَزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} - سجن "الفرح الزائف" والعجب القاتل
هل تلمس معي أخى الحبيب ذلك المد العارض للسكون في كلمة {فَرِحُونَ}؟ إنه مدٌ طويل يوحي صوتياً بحالة "الاستغراق" في النشوة الزائفة. والتماهى بالوهم هؤلاء المتحزبون ليسوا قلقين على ضياع أمتهم، بل هم في "غيبوبة فرح" بما يملكونه من حقائق ناقصة. هذا "الفرح المذموم" هو عائق الهداية الأول؛ لأنه يحول دون قبول النصيحة. فالمتحزب يرى في "القطعة" (الزُبُر) التي بيده كنزاً لا يضاهى، ويرى في نقد حزبه "هجومًا" لا "هداية". البلاغة في تقديم الجار والمجرور {بِمَا لَدَيْهِمْ} تخبرنا بأن فرحهم محصورٌ في "قواقعهم الضيقة"، فهم لا يبصرون نور الحق إذا أشرق من خارج حدود حزبهم أو طائفتهم.

فهو فى غيبوبة نشوه زائفه لا يخرجون منها هكذا تصورهم الابه فقد جاءت بصيغة الجملة الاسمية لتدل على الثبات؛ أي أن هذا الفرح صار صفة دائمة لهم. وتقديم الجار والمجرور "بِمَا لَدَيْهِمْ" يفيد الحصر؛ فهم لا يفرحون بالحق العام، بل يفرحون فقط بـ "ما لديهم" من باطل أو حق منقوص.

2. البناء النفسي والاجتماعي:

هذا هو "مرض العجب بالرأي"؛ حيث يولد الشخص المنغلق الذي يرى في حزبه "الفرقة الناجية" وحدها. نفسها، هذا الفرح هو قناع يغطي على الشعور بالنقص، مما يمنع الشخص من قبول

النصيحة أو الحق إذا جاء من خارج دائرته. اجتماعياً، هذا هو "التعصب المقيت" الذي يدمر المؤسسات؛ فبدلاً من الكفاءة، يصبح "الانتماء للحزب" هو معيار التقييم، مما يؤدي إلى فشل المؤسسات وانتشار الفساد الإداري والولاءات الضيقة.

3/خطورة الانقسام إلى مذاهب متناحرة

تكمّن الخطورة في أن الحزب يحول الدين من "وسيلة للهداية" إلى "أداة للصراع".

* تغييب العقل: يصبح الفرد مسلوب الإرادة خلف رأي جماعته.
* استباحة الآخر: التناحر يؤدي إلى نزع صفة الإيمان أو الوطنية عن المخالف، مما يشرّع العنف والتهميش.

* إضعاف الأمة: بدلاً من مواجهة التحديات الكبرى، تستنزف الأمة طاقتها في "جدليات" مذهبية وصراعات تاريخية لا تنتهي.
الخلاصة:

إن الربط بين التوحيد والوحدة هو صمام الأمان لأي مجتمع. فبقدر تمسك الناس بحقيقة التوحيد، تلتنم جراحهم الاجتماعية، وبقدر ابتعادهم نحو الأهواء الحزبية، يسقطون في فخ "التقطيع" الذي يهدم الدين والدنيا معاً.

المفهوم الثاني

خطورة "الفرح المذموم" في الواقع المعاصر
قوله تعالى: {كُلُّ حَزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ قَرْحُونَ} يفسر لنا اليوم لماذا تفشل محاولات "التقريب" أو "الحوار".

* الانغلاق المعرفي: الحزبية تخلق "فقاعة" فكرية، حيث لا يقرأ الفرد إلا لرموز حزبه، ولا يسمع إلا ما يؤيد رأيه، مما يولد حالة من الاستعلاء الزائف.
* تعطيل النقد الذاتي: عندما يكون الفرّح بالذات هو السائد، يُعتبر نقد الحزب أو المذهب "خيانة"، مما يؤدي إلى موت المنهج وتآكله من الداخل.

المفهوم الثالث

العلاقة بين "التقطيع" وضياع القوة (رؤية سننية)
إن التقطيع الذي أشارت إليه الآية (فتقطعوا) ليس مجرد اختلاف في الرأي، بل هو "فعل تمزيقي" يؤدي بالضرورة إلى:

* تبديد الجهود: القوة التي يجب أن توجه للبناء توجه للهدم المتبادل.
* استدعاء التدخل الخارجي: المجتمعات "المقطعة" هي بيئة خصبة للاستقطاب الدولي، حيث تصبح كل "قطعة" (حزب) أداة في يد قوى خارجية.
* تزييف الوعي: يُصبح التمسك بـ "الفرعية" هو المعيار للإيمان أو الوطنية، بينما يُهمل "الأصل الجامع".

المفهوم الرابع

المخرج: العودة من "التقطيع" إلى "التوحيد"
العودة لا تكون بمجرد الشعارات، بل عبر:
* إعادة الاعتبار للكليات: التركيز على المساحات الجامعة (القيم العليا، التوحيد المطلق، المصلحة الوطنية الشاملة).
* تفكيك العقلية الحزبية: تربية الأجيال على أن "الحق" ليس حكراً على أحد، وأن الانتماء للأمة أو الوطن أوسع من الانتماء للمذهب أو الحزب.
* تحويل الاختلاف إلى تنوع: بدلاً من "التقطيع" (تمزيق الشيء)، ننتقل إلى "التكامل" (تعدد الوظائف في الجسد الواحد).

الأمر الرابع

الفقرة الرابعة: التوجيهات الختامية لبناء الشخصية والدولة

1. التوجيه النفسي والعقلي:
تدعو الآية المسلم إلى "التحرر من ضيق الحزبية إلى سعة الأمة". البناء العقلي الصحيح يتطلب جعل "الأصول الجامعة" (أصول الأنبياء) هي الميزان، لا "الرّؤى" المبتدعة. النفس المسلمة يجب أن تفرح بـ "فضل الله ورحمته" الجامعة، لا بـ "المكاسب الحزبية" المفرقة.
2. التوجيه لبناء الدولة والمجتمع:
تضع الآية قاعدة ذهبية للأنظمة السياسية: "الوحدة في الأصول، والتنوع في الفروع". إن انهيار الخلافة الإسلامية تاريخياً، وما تلاه من تمزق عربي، كان بسبب "الفرح بالقطرية" و"التعصب للقومية" على حساب الرابطة العقدية. بناء الدولة القوية يتطلب مؤسسات تقوم على "التقوى" (أفمن أسس بنيانه على تقوى) والعدل المطلق، بعيداً عن سياسة "فرق تسد" الصهيونية والاستعمارية التي تتغذى على هذه الفجوات.
الخلاصة المنهجية:

إن الآية تعالج "مرض التشردم" ببيان أسبابه (ترك الأصول، الابتداء، العُجب). المخرج هو في بناء شخصية "ربانية" تجمع ولا تفرق، ومجتمع "مؤسسي" يحترم التخصص والتنوع تحت سقف "الأصول الواحدة"، ودولة تحمي بيضة المسلمين من "التقطيع" الذي يجعله خصمهم غنيمة باردة.

المفهوم الثاني

الحصن الذي يحمي الامه من التاكل الداخلي

مفهوم "الاجتماع على الأصول" هو الحصن الذي يحمي الأمة من التآكل الداخلي، وهو النقيض المباشر لحالة "التقطيع" التي وصفها الآية 53 من سورة المؤمنون. إليك شرحاً معمقاً لهذا المفهوم وعلاقته بالتوحيد ومنهج الأنبياء:

أولاً: ماذا يعني الاجتماع على الأصول؟

الاجتماع على الأصول لا يعني إلغاء الاجتهاد في الفروع، بل يعني أن تتوحد المرجعية العليا (الكتاب والسنة) في القضايا الكلية التي لا تحتمل التأويل.

* الأصول التي يكون بها الوصول: هي أركان العقيدة، ومقاصد الشريعة الضرورية (حفظ الدين، النفس، العقل، النسل، المال)، والقيم الأخلاقية الكبرى.

* الوصول: لا يمكن للأمة أن تصل إلى التمكين أو النهضة وهي تفتقد "الأرضية الصلبة"؛ فالأصول هي التي تمنح الحركة الفكرية اتجاهاً واحداً مهما اختلفت الوسائل.

ثانياً: علاقة التوحيد بالأصول (شجرة الأنبياء)

التوحيد هو "الأصل الأصيل"، وهو الرابط الذي يجمع كل دعوات الأنبياء.

* كلمة طيبة كشجرة طيبة: كما في سورة إبراهيم، شبه الله "كلمة التوحيد" بالشجرة التي {أصلها ثابتٌ وفَرْعُها في السماء}. الثبات هنا يعني أن الأصول لا تتغير بتغير الزمان أو الأهواء. فإذا كان الأصل (التوحيد) ثابتاً، أنتجت الشجرة ثمار الوحدة والقوة. أما إذا تزلزل الأصل، ذبلت الفروع وتقطعت الأوصال.

* تأسيس البنيان: في قوله تعالى: {أَقْمِنَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَبِيرٍ أَمْ مَنَ أُسِّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شِقَاٍ جَزْفٍ هَارٍ...}. التقوى والتوحيد هما حجر الأساس. وكل بناء (حزب أو منهج) لا يقوم على هذا الأساس الموحد، فهو بناء آيل للسقوط والانهيار عند أول فتنة.

ثالثاً: انحراف أهل الأديان السابقة (منهج ابن تيمية)

يوضح شيخ الإسلام ابن تيمية في "مجموع الفتاوى" أن انحراف اليهود والنصارى لم يكن مجرد صدفة، بل كان بسبب "ابتداء أصول لم يأذن بها الله".

* إيجاد أصول موازية: بدلاً من اتباع "أصول الأنبياء"، أوجدوا لأنفسهم مرجعيات بشرية وقواعد ابتدعوها (كتحريف الكلم عن مواضعه أو اتباع الرهبانية المبتدعة)، وزعموا أنها هي "منهج الله".

* النتيجة: هذا الانحراف أدى إلى "التقطيع" المذكور في سورة المؤمنون؛ فكلما ابتعدوا عن "الأصل الواحد" انقسموا إلى شيع ومذاهب متناحرة، يلعن بعضها بعضاً، لأن كل فريق فرح بـ "الأصل المبتدع" الذي وضعه لنفسه.

رابعاً: انقسام أمة الإسلام (مماثلة الأمم السابقة)

حذر النبي ﷺ من اتباع سنن من كان قبلنا "حذو القذة بالقذة". وما نراه اليوم في أمة الإسلام هو تكرار لنفس السيناريو:

* ترك الأصول الجامعة: بدلاً من أن يكون القرآن والسنة الصحيحة هما الحكم، صار "كلام الشيخ" أو "أدبيات الحزب" أو "قواعد المذهب" هي الأصل الذي يوالى ويعادى عليه.

* التماثل في الانقسام: كما انقسمت الأمم السابقة إلى "زُبر" (قطع)، انقسمت الأمة إلى مذاهب كلامية وسياسية متناحرة. كل فرقة تدعي أنها "الناجية" وتفرح بما لديها، بينما هي تمزق النسيج الكلي للأمة.

* تبديل المفاهيم: تحول "التوحيد" من كونه قوة جامعة تحرر العباد، إلى "أدوات للتبديد والتكفير"، مما جعل المسلمين ينشغلون بصراعات داخلية أذهبت ريحهم ومكنت منهم عدوهم.

خامساً: العلاج (العودة إلى أصول الأنبياء)

الخروج من مأزق "التقطيع" لا يكون بمجرد التمني، بل بـ:

* تطهير الأصول: العودة إلى "الشجرة الطيبة" التي غرسها الأنبياء، وتجريد التوحيد من شوائب التحزب والبدع.

* البناء على التقوى: أن يكون هدف أي عمل جماعي هو "رضوان الله" ومصلحة الأمة، لا تقوية "الجماعة" على حساب "الدين".

* التوافق على المشترك: إدراك أن دائرة "أصول الأنبياء" أوسع بكثير من دائرة "فروع المذاهب"، و الاعتصام بالجامع وترك المفرق.

الخلاصة:

إن الآية التي بدأت بها رحلتنا (فتقطعوا أمرهم) هي النتيجة المرة لترك {أَقْمِنَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ}. العودة للأصول هي العودة لروح التوحيد التي تجعل الأمة جسداً واحداً في مواجهة عواصف الزمن.

الامر الخامس

كيف تحمي الأجيال الناشئة من فخ التحزب و"التقطيع" الفكري، يجب أن نطلق من جوهر الآية التي ناقشناها، لتحويل التعليم من "تلقين مذهبي" إلى "بناء قيمي موحد".

الخطوط العريضة لهذا المنهج التربوي :

أولاً : المرتكزات الفكرية للمنهج (التحصين المعرفي)

* ترسيخ فقه "الكليات" لا "الجزئيات":

* تعليم الناشئة أن الأصل هو (الأمة الواحدة) وأن الفروع والتفاصيل لا يجوز أن تمزق الأصل.

* التركيز على القيم العليا الجامعة (العدل، الصدق، الأمانة، التوحيد) كمعايير ثابتة للحكم على الأشخاص والأفكار، بدلاً من المعايير الحزبية.

* تفكيك مفهوم "الفرح الحزبي":

* شرح خطورة الانغلاق الفكري المذكور في الآية (بما لديهم فرحون)، وتعليمهم أن الحق ضالة المؤمن، قد يجدها عند من يخالفه في الرأي.

* غرس التواضع المعرفي: "رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب".

ثانياً: الأدوات التربوية والعملية

1. مهارة النقد الذاتي والتحليل:

* تدريب الجيل الناشئ على فحص الأفكار لا الأشخاص. فإذا تعارض قول "الرمز" أو "رئيس الحزب" مع المبادئ الكلية (التوحيد والعدل)، قَدِّم المبدأ على الشخص.

2. أدب الاختلاف مقابل ثقافة الصراع:

* تعليمهم أن الاختلاف في الفهم هو "ثراء وتنوع" وليس "تقطيعاً وتمزيقاً".

* استخدام أنشطة تحاكي "تكامل الأعضاء في الجسد الواحد" بدلاً من "تنافس الفرق في الحلبة".

3. تعزيز لغة "الجامع" في الخطاب:

* استبدال المصطلحات التي تفرق (نحن وهم) بمصطلحات تجمع (أمتنا، مجتمعنا، إنساننا).

* الحذر من إطلاق أحكام التفسير أو التخوين على المخالفين، وشرح أن "التقطيع" يبدأ باللسان قبل أن يتحول إلى واقع.

ثالثاً: دور المؤسسات (الأسرة، المدرسة، المسجد)

* الأسرة: حماية الأطفال من سماع النقد اللاذع أو التشويه للمخالفين فكرياً داخل المنزل.

* المدرسة: وضع مناهج تعليمية تعتمد على "المشاريع المشتركة" التي تجمع طلاباً من خلفيات فكرية أو اجتماعية مختلفة لتحقيق هدف واحد، مما يذيب الجدران النفسية.

* الإعلام والمنصات: تقديم نماذج لشخصيات تاريخية وعصرية كانت تمثل "الوعي الجامع" وترفض التخندق الحزبي.

رابعاً: ربط المنهج بكلمة "فتقطعوا" (تحذير صوري)

يتم تصوير "التقطيع" للأجيال الناشئة على أنه "هدم للمنزل الذي يؤوي الجميع".

* إذا تقطع النسيج، بردت الأمة وضاعت هيبتها.

* التأكيد على أن كل "قطعة" (زُبر) بمفردها لا تشكل صورة كاملة، بل هي مشوهة وناقصة ما لم تلحم بالكل.

الخلاصة التربوية:

الهدف هو صناعة "جيل رباني" (ينتمي للواحد الأحد وللمنهج الواحد) وليس "جيلاً حزبياً" (ينتمي للقطعة والجزء). فبالتوحيد تجتمع القلوب، وبالتحزب تنقطع الأواصر.

الامر السادس

إليك مجموعة من "الرسائل التوعوية المركزة" المستوحاة من ميثاق الأصول الجامعة، مصاغة بأسلوب قوي وجذاب يناسب النشر الرقمي لتعزيز الوعي الجمعي ونبذ التحزب:

مجموعة رسائل: "من ضيق التحزب إلى سعة الأمة"

* الرسالة الأولى (عن التوحيد والوحدة):

< "التوحيد ليس مجرد كلمات تنطق، بل هو قوة جامعة تصهر القلوب في جسد واحد. فبقدر إخلاصنا للواحد الأحد، تلتئم جراحنا الاجتماعية، وبقدر انحرافنا نحو 'الأصنام الحزبية'، نتمزق إلى قطع لا قيمة لها." >

* الرسالة الثانية (حول دلالة "فتقطعوا"):

< "القرآن وصف التفرق بـ 'التقطيع'؛ لأن التحزب المذهبي لا يفرقنا فحسب، بل يمزق نسيجنا الوطني والديني بعنف. لا تكن شريكاً في تمزيق أمتك بفرحك برأيك، بل كن خيطاً ينسج وحدة الصف." >

* الرسالة الثالثة (عن فخ العجب بالرأي):

< " {كل} حزب بما لديهم فرحون } .. هذا 'الفرح' هو السجن الكبير. عندما تظن أن جماعتك وحدها تملك الحق، فقد أغلقت عقلك عن الهداية. الحق أوسع من أن يحويه حزب، والأمة أكبر من أن يختصرها فصيل."

< * الرسالة الرابعة (تحذير من سلاح "فرق تسد"):
< "عدونا لا يفرق بين مذاهبنا عندما يستهدف وجودنا. الانقسام هو السلاح الاستراتيجي الذي يشرعه الاستعمار لإضعافنا. لن نتصر بـ 'زُبُر' متناحرة، بل بـ 'بنيان' مرصوص' أسس على التقوى."

< * الرسالة الخامسة (العودة للأصول):
< "الأصول هي 'الشجرة الطيبة' التي غرسها الأنبياء. إذا أردنا الوصول، فعلينا بالاجتماع على الثوابت الكبرى (الله، الكتاب، الأمة) وترك الاختلاف في القشور التي أذهبت ربحنا ومكنت منا خصوصنا."

< * الرسالة السادسة (الاتباع والابتداع):
< "الاتباع يجمع والابتداع يفرق. ترك منهج الأنبياء في 'الرحمة والجمع' وابتداع أصول موازية للولاء والبراء هو عين ما وقع فيه أهل الكتاب قديماً. كن 'ربانياً' يجمع الناس، ولا تكن 'حزبياً' يفرقهم."

< كيفية استخدام هذه الرسائل:
* يمكن نشرها كـ حالات على الواتساب أو منصات التواصل.
* تصلح لتكون خلفيات لصور تعبيرية تخدم المعنى.

الخاتمة الجامعة

من تبه التقطيع إلى نور الاجتماع
إن رحلتنا مع الآية الثالثة والخمسين من سورة المؤمنون ليست مجرد جولة في التفسير والبيان، بل هي إعلان دستوري لإعادة بناء الذات المسلمة. لقد كشفت لنا الآية أن "التقطيع" ليس مجرد اختلافاً عابراً، بل هو مرض عضال يبدأ بترك "الأصول الجامعة" والتعلق بـ "الأهواء الحزبية"، وينتهي بتمزيق النسيج الاجتماعي تحت ستار "الفرح بالذات".

خلاصة الدروس والمسارات:
* في المنهج: تعلمنا أن التوحيد هو "الأصل الثابت" الذي تتفرع عنه شجرة الوحدة، وأن كل انحراف عن أصول الأنبياء إلى أصول مبتدعة هو استنساخ لتجارب الأمم السابقة التي ضلت طريقها وتحولت إلى شيع متناحرة.

* في السياسة والواقع: أدركنا أن الانقسام هو "الثغرة الاستراتيجية" التي ينفذ منها الاستعمار الصهيوني لتطبيق قاعدة "فرق تسد"، وأن قوة الأمة تكمن في قدرتها على تجاوز "الزُبُر" (القطع المبعثرة) لتصبح بنياناً مرصوصاً.

* في التربية والسلوك: تبين لنا أن "العجب بالرأي" هو الحجاب الأكبر عن الحق، وأن حماية الأجيال الناشئة تبدأ بغرس "فقه الكليات" ونبذ التعصب للمناطق أو الأحزاب أو المذاهب، واستبدالها بروح الانتماء للأمة الواحدة.

* في اللغة والبيان: رأينا كيف أن جرس الكلمات القرآنية وحركاتها وأحكام تجويدها (مثل شدة الطاء في فتقطعوا) جاءت لتعالج أمراض القلوب وتصور بشاعة التفرق، وكان القرآن يصرخ فينا: "احذروا التمزق فإنه هلاك".

كلمة الختام

إن الخروج من مأزق التخلف الذي تعيشه الأمة يبدأ بالعودة إلى "كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة". ليس المطلوب إلغاء التنوع، بل تحويله من "تقطيع تصادمي" إلى "تكامل وظيفي" داخل الجسد الواحد. إن الأمة التي تتوحد على "أصول الأنبياء" وتؤسس بنيانها على "التقوى" هي وحدها القادرة على استعادة سيادتها الحضارية وتقديم نموذج الرحمة للعالمين.

إنها دعوة للتحرر من قيود "الحزبية الضيقة" إلى سعة "الأخوة الإسلامية"، وللانتقال من "الفرح بما لدينا" إلى "العمل بما يرضي خالقنا". وبذلك فقط، تتحول الكلمة الطيبة من مفهوم نظري إلى شجرة مثمرة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

ثانيا

قَدَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينَ يَخَاطَبُ اللَّهُ تَعَالَىٰ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، أَمَرَ إِيَّاهُ بِالتَّخْلِيقِ عَنِ الْمُشْرِكِينَ الْمُعَانِدِينَ بَعْدَ أَنْ أَدَّى الرِّسَالَةَ وَبَلَّغَهُم الْحَقَّ. وَقَدْ وَرَدَتْ الْآيَةُ فِي سِيَاقِ تَهْدِيدٍ وَوَعِيدٍ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

تفسير الآية: "قَدَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينَ".

- قَدَرَهُمْ: أَيِ ائْتَرَكُهُمْ يَا مُحَمَّدُ وَدَعَهُمْ.
- فِي غَمَرَتِهِمْ: كَلِمَةُ "الْغَمَرَةُ" مَأْخُوذَةٌ مِنَ التَّغْطِيَةِ وَالسُّتْرِ، وَهِيَ هُنَا تَعْبِيرٌ عَنْ حَالَتِهِمْ الَّتِي غَمَرَتْهُمْ وَغَطَّتْ عَلَىٰ عُقُولِهِمْ، وَفُسِّرَتْ بَعْدَهُ مَعَانٍ مُتَقَارِبَةٌ:
- الضَّلَالُ وَالْجَهْلُ بِالْحَقِّ.
- الْحَيْرَةُ وَالْغَفْلَةُ عَمَّا يَنْزِلُ بِهِمْ.
- الْغَيِّ وَالضَّلَالُ الَّذِي هُمْ مَنْغَمَسُونَ فِيهِ.
- حَتَّىٰ حِينَ: أَيِ إِلَىٰ وَقْتٍ مُّحَدَّدٍ عِنْدَ اللَّهِ، وَهُوَ وَقْتُ نَزُولِ الْعَذَابِ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا أَوْ عِنْدَ الْمَوْتِ.

الخلاصة

الآية تحمل رسالة تسليية وتنبهت للنبي ﷺ، وتفيد بأن سنة الله قد مضت بإمهال الظالمين والمعاندين وعدم معاجلتهم بالعذاب إلى أن يحين الوقت الذي حدده الله لهلاكهم، فهم غارقون في جهلهم وضلالهم وغفلتهم حتى يأتيهم أمر الله .

الموضوع الاول

كيف يغمر الانسان نفسه في الغفلة حتى يعصى عن الحق :-

هذا السؤال متعلق بطبيعته الضلال والغفلة في القرآن الكريم ولهذا سوف نحلل معنى "الغمرة" أولا ، ثم ننتقل إلى الكيفية التي يصل بها الإنسان إلى هذه الحالة الخطيرة.

الامر الاول

- كلمة "الغمرة" تحمل في طياتها معنى التغطية والستر والإحاطة.
- المعنى اللغوي: هي مشتقة من الفعل "غَمَر" أي غطى وستر وأغرق. ومنه سمي البحر "غمرًا" لأنه يغمر من يدخله ويغطيه. ويقال أيضًا "غمرة الموت" أي شدائده التي تغمر الإنسان وتستولي عليه.
 - المعنى في الآية: حين يقول الله تعالى عنهم { فِي غَمَرَتِهِمْ }، فهو يشبه حالهم بمن هو مغمور في مياه عميقة، لا يرى شيئًا ولا يشعر بأمان. هذه المياه هي:
1. الجهل المطبق: ليس مجرد عدم معرفة، بل هو جهل مركب يحجب عنهم رؤية الحق.
 2. الضلال والغي: الانغماس الكامل في طريق الخطأ، وكأنه أصبح الوسط الطبيعي الذي يعيشون فيه.
 3. الحيرة والغفلة: التخبُّط وعدم القدرة على تمييز الطريق الصحيح، مع نسيان تام لله والدار الآخرة.

4. الشهوات والأهواء: الانغماس في الملذات الدنيوية التي تغطي على بصيرة القلب.

الغمرة ليست مجرد وقوع في الخطأ، بل هي حالة من الاستغراق والانغماس بحيث يحيط الضلال بالإنسان من كل جانب، فلا يرى مخرجًا ولا يسمع ناصحًا.

الامر الثاني

كيف يغمر الإنسان نفسه في الضلال والغفلة حتى يعصى عن الحق؟

هذه العملية لا تحدث بين ليلة وضحاها، بل هي تراكمية وتدرجية. يمكن تشبيهها بمن يدخل في نفق مظلم خطوة بخطوة، حتى يبتعد عن النور تمامًا. الآلية النفسية والروحية لذلك تتلخص في مراحل:

1. البداية: الذنوب الصغيرة والهفوات (النقطة العمياء)

يبدأ الأمر بمعصية صغيرة أو هوى عابر يستجيب له الإنسان دون تفكير. يقول لنفسه: "هذه مرة واحدة ولن أعود". لكن هذه المعصية تترك نقطة سوداء في القلب، كما جاء في الحديث الشريف: "إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء..." رواه الترمذي).

2. التكرار: التراكم والتطبيع

عندما يكرر الإنسان الذنب، تتكرر هذه النكت السوداء، فتتكبر وتتراكم، حتى تغلف القلب بالكامل. هنا تبدأ مرحلة "الطبع" أو "الختم" على القلب التي ذكرها القرآن: { كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } [المطففين: 14] "الران" هو صدأ يغطي القلب فيحول بينه وبين رؤية الحق.

3. الاستمرار: الضلال والانغماس دخول الغمرة

بعد أن يصدأ القلب، يصبح الإنسان غير قادر على التمييز بين الحق والباطل. يصل إلى مرحلة يستحسن فيها القبيح، ويستقبح فيها الحسن. لم يعد يشعر بثقل المعصية، بل قد يجد فيها لذته وراحته. عندها يكون قد دخل "الغمرة"، فهو يسبح في بحر الضلال ولا يشعر بأنه يغرق.

4. النهاية: العمى والعناد

في هذه المرحلة، يصبح الإنسان أعمى عن الحق تمامًا. الآيات والنذر لا تنفعه، لأن وسيلة الاستقبال (القلب) قد ماتت. يقول تعالى: { فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ } [الحج: 46]

أسباب رئيسية لهذا الانغماس:

• اتباع الهوى: جعل الهوى هو القائد، والمعيار هو ما تهواه النفس، وليس ما أمر به الله.

. طول الأمل والأمن من مكر الله: الإحساس بأن الوقت طويل، وأن العذاب بعيد المنال، فيستمرئ الإنسان التأجيل والإمهال.
. الرفقة السيئة: البيئة المحيطة التي تطبع على الذنوب وتشجع عليها، وتستهيئ بالطاعات وأهلها.
. الجدل بالباطل: الدخول في مرحلة الدفاع عن الضلال ومحااجة أهل الحق، مما يزيد القلب قسوة وإصراراً على الخطأ.
باختصار، "الغمرة" هي الحالة التي يصل إليها الإنسان عندما يستسلم لزلزلاته الصغيرة حتى تتراكم فتغمر قلبه، فيعيش في ظلام الجهل والهوى، فلا يرى نور الحق

الموضوع الثاني

دلالة الامر بالترفع عن اضاعه الوقت في الجدل ودوره في الحفاظ على الطاقه والسلامه النفسيه
قال تعالى {فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ} [المؤمنون: 54]
الامر الاول: الدلالة البلاغية والبيانية للأمر بالترفع عن الجدل
الامر الإلهي "فَذَرَهُمْ" يحمل في طياته أكثر من مجرد معنى الترك. إنه توجيه بليغ يحمل رسائل عميقة:

1. الإيجاز والإعجاز: كلمة واحدة) فذرهم (تغني عن مئات الكلمات. لم يقل "لا تجادلهم" أو "لا تتعبهما معهم"، بل قال "فذرهم" التي تحمل معنى الترك والإبعاد والتخلي. هذا الأسلوب القرآني الفريد يوفر طاقة هائلة من الجهد والوقت.
 2. التوكيد بحرف الفاء: دخول الفاء على الفعل "ذرهم" يفيد الترتيب والتعقيب، وكأنه يقول: بعد أن أدت ما عليك من دعوة وتبليغ، فتوكل عليّ أنا واتركهم فوراً دون تردد.
 3. التصوير البياني بالغمرة: استخدام كلمة "غمرتهم" يرسم صورة حية لبحر عميق يغرقون فيه، وأنت على الشاطئ الآمن. هذه الصورة توضح أن محاولة إنقاذ من يريد الغرق بنفسه هي إهدار للجهد. فالحكيم هو من يدرك متى ينتهي دوره في الإنقاذ.
- الامر الثاني:** الجانب التجويدي وأثره في ترسيخ المعنى
علم التجويد ليس مجرد تحسين للأصوات، بل هو خدمة للمعنى وتوضيح له:
. السكت أو الوقف على "فذرهم": عند قراءة "فذرهم" ثم الوقف عليها، يشعر القارئ والسامع بقطع العلاقة ووضع حد نهائي. هذا الوقف يعطي القارئ فرصة لالتقاط الأنفاس استعداداً لمرحلة جديدة، وهي التركيز على الإصلاح الشخصي.
- . الإظهار: في كلمة "في غمَرَتِهِمْ" هناك تناسق حرفي يخلق جرساً موسيقياً يرسم في الأذهان حالة الا متزاج والانغماس التي يعيشونها في ضلالهم.
- . مد "حين" بالتنوين: المد في آخر الآية يعطي إحساساً بالامتداد الزمني، وأن هذا الإمهال له أمد معلوم عند الله، مما يبعث الطمأنينة في نفس المؤمن بأن العدالة الإلهية آتية لا محالة.
- الامر الثالث** دور الآية في التنمية البشرية وبناء الشخصية
هنا يظهر البعد التنموي العظيم لهذه الآية الكريمة:
1. إدارة الطاقة والوقت

تعلمنا الآية أن 20% من الناس (المكابرون والمعاندون) قد يستهلكون 80% من طاقتك إذا تركتهم. الأمر الإلهي "فذرهم" هو تطبيق عملي لمبدأ "الأولويات" حيث توجه طاقتك نحو من يستحقها ويريد الهداية. إنه تدريب على استثمار الوقت والجهد حيثما كان له عائده.

2. الحفاظ على السلامة النفسية) الصحة النفسية)

. التوقف عن الإرهاق الذهني: الجدل مع المعاند يستنزف الفكر والروح. الآية ترفع عنك هذا العبء.

. التحرر من عقدة المنقذ: بعض الشخصيات تعاني من إحساس مفرط بالمسؤولية تجاه إقناع الآخرين. الآية تحررك من هذه العقدة، فأنت مطالب بالتبليغ فقط، وليس الهداية التي هي بيد الله.

. الوقاية من الإحباط: كم من داعية أصيب بالإحباط لأنه لم يقنع فلاناً! الآية تعدل التوقعات، فتعلمك أن عدم استجابة البعض أمر متوقع، فلا تحزن.

3. التركيز على الإنتاجية والإصلاح الذاتي

إن توفير الطاقة والوقت الناتج عن التوقف عن الجدل العقيم يوجه إلى:

- . إصلاح النفس: تزكيتها وتقويمها.
- . الاهتمام بالصالحين: تنمية المجتمع من الداخل بدلاً من الانشغال بالخصوم.
- . الإنتاجية والعمل: تحويل الطاقة إلى عمل بناء ينفع الفرد والمجتمع.

الامر الرابع: الآية والتنمية البشرية الشاملة

التنمية البشرية الحقيقية لا تعني فقط النجاح المادي، بل تعني بناء الإنسان المتوازن. هذه الآية تقدم نموذجاً متقدماً في:

1. الذكاء العاطفي: القدرة على قراءة الموقف ومعرفة متى تنسحب، فهذا الانسحاب التكتيكي (فذرهم) هو أقوى أنواع الحضور.
2. إدارة الصراع: تعلم أن بعض الصراعات لا تحل بالكلام، بل بالصمت والانتقال إلى مرحلة أخرى.
3. المرونة النفسية: القدرة على تقبل فكرة أن هناك من لا يريد الهداية، والتعايش مع ذلك دون

اضطراب نفسي.

خلاصه ونتيجته

إن الأمر الإلهي {فَذَرَهُمْ} ليس مجرد أمر بالترك، بل هو منهج حياة متكامل:

· بلاغياً: يرسم حدود العلاقة مع المعاند بوضوح.

· نفسياً: يحمي المؤمن من الإحباط والاستنزاف.

· تنموياً: يعيد توجيه الطاقة نحو البناء والإنتاج.

· اجتماعياً: يصون المجتمع من الانشغال بالجدل العقيم.

هذه الآية دليل على أن الإسلام دين الواقعية، فهو لا يطلب منك المستحيل (إقناع المعاند)، بل يطلب منك ما تستطيع (التبليغ والإصلاح الذاتي). إنها دعوة للارتقاء من دائرة "الاستنزاف" إلى دائرة "الإنتاج والعطاء"

الموضوع الثالث

أن اللازم عليك أن تدرك أن الآية القران هي اداه بناء الانسان وهي ماده بناء المجتمع والنظام الاسلامى ولهذا فإن هذا الأمر يتطلب منا الانتقال من فهم معنى الآية إلى استخلاص الدروس والمفاهيم والرسائل والتوجيهات التي يريد منا الحق سبحانه وتعالى القيام بها ولهذا سوف نقف على دور هذه الآية في تقوية الإيمان والصمود أمام التحديات. بما تحمل من دلالات بناء النفس على اليقين بنصر الله وعدم الانهزام أمام القوه الماديه التي قد يملكها الباطل من خلال تأمل وتدبر الآية ندرك إن قوله تعالى {حَتَّىٰ حِينٍ} ليست مجرد نهاية زمنية، بل هي وعد إلهي وبشارة للمؤمنين. دعنا نحلل هذا المفهوم بعمق من خلال هذه المحاور :-

الامر الاول : دلالة "حتى حين" - بين الإهمال والاستدراج والنصر

كلمة "حين" في اللغة تفيد وقتاً غير محدد، وهذا الإبهام مقصود لذاته:

* الإهمال ليس إهمالاً : الآية تعلم المؤمن أن ما يراه من صولة الظالمين وقوتهم هو مجرد إهمال مؤقت، وليس دليلاً على رضا الله عنهم. إنها فترة اختبار للمؤمنين، وفرصة للظالمين ليرجعوا، أو استدراج لهم ليزدادوا إثماً.

* اليقين بالنصر الإلهي: في كلمة "حين" ضمان إلهي بأن لهذا الغمرة نهاية. إنها تغرس في نفس المؤمن اليقين المطلق بأن العقاب للمتقين، وأن النصر حليف الحق ولو طال الزمن. هذا اليقين هو الوقود الذي يحرك عزيمة المؤمن في أحلك الظروف.

* العدالة الإلهية: "حتى حين" تعني أن هناك ساعة مقررة عند الله يأخذ فيها الظالمين. هذا الإيمان بالعدالة الآجلة يمنح المؤمن من الانهزام النفسي أو الشعور بأن الدنيا تركت للظالمين بلا حساب.

فالآية تهدف إلى تقويته ثقفه بنصر الله وغرسه في نفس المؤمن حتى يرسخ باليقين الجازم ولهذا نجد ان القران يصور هذا المعنى بادق العبارات وهذا ما تصوره الآية حيث نجد

١/التعبير بـ "في غمرتهم" هذه الصورة البصرية للظالمين وهم يغرقون في ضلالهم تريح نفس المؤمن. أنت لست في حيرة، بل هم في حيرة. أنت على نور من ربك، وهم في ظلمات بعضها فوق بعض. هذا يقلب موازين القوة النفسية لصالح المؤمن.

الإبهام في "حين" عدم تحديد الوقت يبقي المؤمن في حالة ترقب إيجابي هو لا يعلم متى النصر، لكنه يعلم أنه آتٍ حتماً. هذا يغرس فيه الصبر والثبات.

الطباقي المعنوي هناك طباقي خفي بين حالة المؤمن (اليقين والصبر) وحالة الظالم (الغمرة والغفلة). هذا التضاد يعزز في نفس المؤمن هويته المختلفة والتميز.

الفصل بـ "فذرهم" الأمر بالترك هو فصل تام بين الفريقين. المؤمن له مشروعه، والظالم له غمرته. هذا الفصل يمنح الانهيار النفسي الذي يحدث عندما يحاول المؤمن مجاراة الظالم في ساحته أو بمنطقه.

٢/ الأثر التجويدي في ترسيخ الصمود

فالأداء الصوتي للآية يعمق هذا الإحساس :

· التفخيم في "غمرتهم": تفخيم الرأى يعطي ثقلاً وصورة صوتية لثقل الضلال الذي يعيشون فيه، في مقابل خفة روح المؤمن المطمئنة.

· المد في "حين": عندما يقرأ القارئ "حين" بالمد، فإن النفس تمتد مع الصوت، وكأنها تستشعر طول الأمد الذي يجب أن تبصر عليه. المد هنا يربي النفس على طول النفس في المواجهة والصبر.

· رأس الآية (حين): الوقوف عليها يخلق حالة من الرجاء والرهبة معاً، الرجاء في نصر الله، والرهبة من أن يكون هذا الأمد اختباراً لصبرنا.

الامر الثاني: دور الآية في تقوية الإرادة وبناء الشخصية المؤمنة الصامدة

هذه الآية بمثابة دورة تدريبية متكاملة لبناء الشخصية من خلال الاتي:

1. بناء العزيمة (الإرادة): اليقين بأن النصر آتٍ يمنح الوهن. عندما توفق أن النهاية لك، لا تتوانى في بذل الجهد. العزيمة هي ابنة اليقين. فالمؤمن الذي يقرأ "حتى حين" لا يسأل "هل سننتصر؟"، بل يسأل "كيف نستعد للنصر؟".

2. الصمود في وجه الأزمات: الأزمات تفقد قدرتها على تحطيمك عندما تعلم أنها مؤقتة. "حتى حين" تحول الأزمة من "كارثة دائمة" إلى "مرحلة عابرة". هذا الإدراك هو مفتاح الصمود النفسي .

3. عدم الانهزام أمام قوة الظالمين: عندما ترى صولة الظالم، تذكر أنه يلهو في "غمرته" بينما أنت تملك "البقين". القوة الغاشمة تخيف من لا يملك إلا قوته، أما من يملك يقيناً بالله فلا يخاف من قوة بشر.

الامر الثالث : دور الآية في تنمية وبناء الجماعة المؤمنة (إدارة الأمة)
الآية لا تبني الفرد فقط، بل تنظم عمل الجماعة:

1. وحدة الصف: عندما تدرك الجماعة أن العدو مؤقت وأن النصر آت، فإن خلافاتها الداخلية تتضاءل. تتجه كل الطاقات إلى البناء والثبات، بدلاً من الانشغال بالصراعات الجانبية.
2. استراتيجية الصبر الجماعي: "حتى حين" تعطي الأمة خارطة طريق استراتيجية. تعلمها أن الصبر ليس استسلاماً، بل هو تكتيك انتظار الفرصة الإلهية مع الإعداد لها. إنها تربية على الصبر الاستراتيجية.
3. التمكين في الأرض: الإيمان بأن "الحق ينتصر" يدفع الأمة إلى العمل لتحقيق هذا التمكين. لا ينتظرون النصر وهم قعود، بل يعملون وهم موقنون بأن الله معهم.
4. عدم التنازل عن المبدأ: في لحظات الضعف، قد تميل النفس إلى التنازل أو المساومة على الحق. الآية تذكر: "إلى متى نتنازل؟ إلى أن يرتفع الظلم؟" لا، بل "حتى حين" يريد الله. فالثبات على المبدأ هو عنوان النصر، والتنازل هو دخول في "غمرة" العدو.

خلاصه ونتيجه

إن قوله تعالى {فَدَرَّهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ} هو:
• دستور نفسي يحرر المؤمن من الخوف والقلق.
• ميثاق استراتيجي يضمن للأمة استمراريتها وثباتها.
• وعد إلهي يحول اليأس إلى أمل، والضعف إلى قوة، والهزيمة إلى نصر.
هذه الآية تعلمنا أن الزمن ليس في صالح الباطل، وأن كل لحظة تمر والظالم في غمرته هي لحظة تقرب من نهايته، وكل لحظة يمرها المؤمن بالصبر واليقين هي لحظة تقرب من تمكينه. إنها تنمية حقيقية للروح قبل الجسد، وللأمة قبل الفرد

الموضوع الرابع

كيف ينطبق توصيف المولى عز وجل احاطه الغمره على الكفار من جميع الجهات على اهل الباطل في عصرنا الحاضر وما علاقه الايه بما قبلها وكيف ان الايه تبين لنا ان هنالك نوعين من الكفار الفريق الأول الذين مزقوا دينهم شيعا وأحزاب وهؤلاء الذين تغمرهم الغفله من جميع الجهات وكيف أقي نفسى من الغمره؟

فالإجابة على هذه الاسئلة يدخل بنا إلى لبّ فهم السياق القرآني، وإسقاطه على واقعنا المعاصر لاستخلاص الدروس والعبر وهذا هو قمة الانتفاع بالقرآن أن نجعله نوراً لنا في الحاضر، ودليلاً لنا في المستقبل. ولهذا سوف نبدأ بذكر علاقة الآية بالتي قبلها، ثم ننتقل إلى التطبيق على عصرنا، وأخيراً نضع خطة عملية للوقاية من "الغمرة".

الامر الاول : علاقة الآية (54) بالآية التي قبلها (53)

السياق هو مفتاح الفهم. يقول تعالى قبلها: {فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبْراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} [المؤمنون: 53].

هناك علاقة سببية ونتيحية محكمة بين الآيتين:

1. الآية 53 (السبب): التفرق والتحزب. يصف الله حال الأمم السابقة وأهل الباطل عموماً: أنهم تفرقوا في دينهم، وجعلوه قطعاً متفرقة (زُبْراً)، كل فريق يفرح بما عنده من معتقد أو مذهب أو هوى، ويعتقد أنه هو على الحق وحده. هذه هي مرحلة الانهيار الداخلي والابتعاد عن منهج الله الموحد.

2. الآية 54 (النتيجة): الغمرة والإمهال. نتيجة لهذا التفرق والفرح بالباطل، ماذا كان مصيرهم؟ حلّ بهم ماذا؟ لم يعاجلهم الله بالعذاب، بل تركهم في غمرتهم (جهلهم وضلالهم وحيرتهم) حتى حين. ف الغمرة هي العقوبة الإلهية المناسبة لهم؛ لأنهم لما استحبوا العمى على الهدى، تركهم الله فيه. الخلاصة: الآية 53 تصف الفعل (تفرقهم وفرحهم بباطلهم)، والآية 54 تصف رد الفعل الإلهي (تركهم في هذا الضلال كعقوبة استدرجية). إنها سنة كونية: من أثر الباطل وفرح به، أغرق فيه.

الامر الثاني : كيف ينطبق توصيف الآية على أهل الباطل في عصرنا؟

التوصيف القرآني دقيق وخالد، ينطبق على كل من تتوفر فيه الصفات، في كل زمان ومكان. في عصرنا، تتجلى "الغمرة" بأشكال متعددة:

1. التفرق والتحزب (زُبْراً): نرى العالم اليوم وقد تقطع شيعاً وأحزاباً: قوميات متصارعة، أيديولوجيات متضاربة (رأسمالية، شيوعية، علمانية)، مذاهب متعصبة، وأحزاب سياسية تقدّم حزباها على الوطن والأمة. كل حزب فرح بما لديه، مقتنع تماماً أنه على صواب، حتى لو كان هذا الولاء على حساب الحق والعدل.

2. الغمرة التكنولوجية والإعلامية: نحن نعيش "غمرة" رقمية. الناس مغمورون في فيض من المعلومات (أو بالأحرى الضجيج) لدرجة أنهم لا يستطيعون تمييز الحق من الباطل. منشغلون

بموجات من الأخبار المزيفة، والمشتتات، والملهيات، حتى أصبحوا في حيرة وغفلة عن القضايا الجوهرية. إنها "غمرة" الشاشات.

3. الغمرة المادية والشهوات: الانغماس في الملذات والاستهلاك أصبح هو الهم الأكبر لكثير من الناس. الحياة الدنيا بزینتها "غمرتهم"، فأصبحت قيمة الإنسان بما يملك، وليس بما يعتقد أو يمثل.

4. الغمرة الفكرية: انتشار أفكار تدعي التحرر والعلمانية، وتغمر الناس بمنطقها المادي، فتخرجهم من الإيمان بالغيب إلى الإيمان بالمادة فقط، ومن العبودية لله إلى العبودية للشهوة والسلطة.

هؤلاء جميعاً، على اختلاف صورهم، يعيشون في "غمرتهم"، يظنون أنهم يحسنون صنعا، وهم على شفا حفرة من الهلاك المعنوي قبل المادي، يستدرجهم الله من حيث لا يعلمون، "حتى حين".

الأمر الثالث : كيف أقي نفسي من "الغمرة" في هذا الزمن؟
النجاة من "الغمرة" تتطلب وعياً وبقظة وجهاداً للنفس. إنها عملية بناء مستمرة للشخصية المؤمنة الصامدة. إليك خطة عملية متكاملة:

1. تحصين اليقين (الوقاية الروحية والفكرية)
· العودة إلى الواحد: أساس النجاة هو التوحيد. من تشتت مع المتفرقين غرق، ومن تمسك بحبل الله الواحد نجا. أثبت على أن مصدر الحق واحد هو الله، ودينه واحد هو الإسلام، ومنهجه واحد هو القرآن والسنة.

· طلب العلم الراسخ: لا تقف عند الظاهر. ادرس القرآن بتدبر، واقرأ في السيرة والتاريخ لترى كيف كانت نهاية المفسدين. المعرفة العميقة تخلق مناعة ضد الشبهات والشهوات.

· صحبة البقطة: اختر رفقة تعينك على الطاعة، وتذكرك بالله، وتناقشك بالحكمة. البيئة المؤمنة تحميك من تيارات الغمرة الجارفة.

2. إدارة الوعي (الوقاية الإعلامية والفكرية)
· الفترة الواعية: ليس كل ما يقال يقرأ، وليس كل ما يقرأ يُصدق. كن ناقداً للمعلومة، ومميزاً بين الخبر والرأي، وبين الجوهر والثثرة. قال تعالى: {الَّذِينَ يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ} [الزمر: 18].
هذه هي الآلية.

· التحكم في وقتك: الوقت هو عمرك، وهو رأس مالك. الغمرة المعاصرة تلتهم الوقت عبر وسائل التواصل والمشاهدة المتواصلة. نظم وقتك، واجعل لك ورداً يومياً للقرآن والذكر والفكر.

· الانفصال التكنيكي: تعلم متى "تذرهم" وتتركهم. هناك جدال عقيم، ونقاش لا طائل منه، ومشاهد مؤلمة لا تغني ولا تسمن من جوع. انسحب منها لتحافظ على سلامك النفسي وتركيزك.

3. البناء والإنتاج (الوقاية بالعمل الإيجابي)
· الانشغال بالبناء: أقوى وقاية من الغمرة أن تشغل نفسك ببناء ذاتك وأسرتك ومجتمعك. المؤمن المنتج المنشغل بإصلاح ما يلي به لا يجد وقتاً للغرق في وحل الضلال.

· تحديد الهدف: كن واضحاً في هدفك من الحياة: عبادة الله وعمارة الأرض. هذا الهدف الواضح يكون بمثابة المنارة التي تهديك في ظلمات الغمرة.

· الإيمان بدورك: تيقن أنك لست مسؤولاً عن هداية العالم، أنت مسؤول عن نفسك ومن حولك بقدر. هذا الإيمان يحميك من الإحباط الذي يصيب من يحاول إنقاذ الغارقين رغماً عنهم.

في النهاية، "الغمرة" هي مستنقع الضلال. النجاة منه تكون بالارتفاع إلى نور اليقين. ومن أراد النجاة، فعليه بسفينة الوحي، وقبطانها محمد ﷺ، ورفقتها الصالحون، واتجاهها نحو الله وحده.

ثالثاً

· بعد أن أمر الله نبيه ﷺ بتركهم في "غمرتهم" (الآية 54)، يأتي السياق في الآية 55 ليكشف عن سبب هذا الإهمال ويكشف حقيقة موقف هؤلاء المعاندين.

فقال تعالى {أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنٍ}

المعنى الاجمالي للآية

تستفهم الآية استفهاماً إنكارياً توبيخياً : أليظن هؤلاء المغرورون الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً ، أن ما نعطيههم ونزيدهم منه في الدنيا من أموال وأولاد، هو دليل على أننا نسارع لهم بتعجيل الخير والسعادة في الدنيا والآخرة، أو أن لهم منزلة خاصة عندنا؟ .

تفسير المفردات والمقصد الاساسي

· {نُمِدُّهُمْ} : نعطيههم ونزيدهم .
· {نسارع لهم في الخيرات} : أي نعجل لهم بأنواع الخير والنعيم تكريماً لهم .

· المقصد (الرد عليهم) : الرد يأتي في الآية التالية (56) وهي: {بَلْ لَا يَشْعُرُونَ} . أي ليس الأمر كما يظنون ، بل هم لا يشعرون بحقيقة الأمر. إن ما نمدهم به من نعم هو استدراج وإملاء من الله لهم ، وليس تكريماً. يُمهّلهم ويمدّهم بالنعم ليزدادوا إثمًا وطغيانًا ، فيستحقوا بذلك أشد العذاب، وهذا هو معنى "المكر" بهم كما قال قتادة: "مكر والله بالقوم في أموالهم وأولادهم".

هذا التفسير يوضح لنا أن نظرة المؤمن للأمور يجب أن تكون مختلفة؛ فلا يفتن بكثرة المال و البنين وحدها، لأنها قد تكون استدراجاً وليس دليلاً على رضا الله. الاعتبار الحقيقي يكون بالإيمان والعمل الصالح. ولهذا سوف نقف على الآتي

الدرس الاول

فتنه الاستدراج بالنعم

تبين الايه خطوره الاغترار بالنعم ووهم التكريم الالهى ولهذا سوف نقف على الاتي كيف يغتر الا نسان ويقع فى فخ الاستدراج ؟ وماهو الخطر الخفى الذى تمارسه النعم على قلب الإنسان وعقله عندما يغفل عن مصدرها وحقيقتها. وكيف ان ذلك يودى الى تبدل الأحاسيس وسوف نربط هذه الخطورة النفسية بالدقة البلاغية والتجويدية في نسق واحد متصل.

الامر الاول : التحليل النفسي - كيف يغتر الإنسان ويُفسد؟

1. سوء التفسير للأشياء (الخلل الإدراكي)

عندما يرى الإنسان المال والبنين يتدفقان عليه، يبدأ في بناء تصور خاطئ للواقع. الآية تصور هذا بدقة متناهية:

• الاستفهام الإنكاري {أَيَحْسَبُونَ}:

هذه الصيغة تفضح الجهل المركب. إنهم لا يخطئون فقط في التفسير، بل يبنون على خطئهم "حسابنا" أي ظناً راسخاً. الاستفهام هنا يهز كيانه، وكأنه يقول: "أبعد كل هذا البيان، تظنون هذا الظن السقيم؟!"

• الخلط بين الإمهال والتكريم:

المفسد الأول هو أن الإنسان يخلط بين الاستدراج (الإمهال) والتكريم. يصبح عنده مقياس خاطئ للقيمة: "من أعطى أكثر فهو أكرم عند الله". هذه هي "الغمرة" الجديدة التي يدخلونها.

2. فساد التقدير للأشياء (الخلل القيمي)

• {ثُمَّهُمْ} - اختيار هذا الفعل دون غيره:

لو قال "نعطيهم" لكان مختلفاً. لكن "ثُمَّهُمْ" توحى بشئئين:

1. الزيادة المطردة: المدّ ليس عطاءً لمرة واحدة، بل تدفق مستمر. هذا التدفق هو الذي يحدث "الغمرة" ويغرق صاحبه.

2. الاستدراج الخفي: "المدّ" في اللغة يكون غالباً للإصلاح (كالمَدِّ بالجند)، لكن هنا هو مدّ للهلاك. هذه مفارقة بلاغية تجعل القارئ يتوقف متسائلاً: لم يمدّ من سيهلكهم؟! الجواب: ليزدادوا طغياناً.

• {مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ}:

اختيار المال والبنين تحديداً له دلالة نفسية عميقة. هما قمة الزينة الدنيوية التي تملأ القلب وتلهي. عندما يفرق الإنسان فيهما، يصبح تقييمه للأشياء حسب مقدار ما يدرّان عليه من نفع مادي، فيفقد البوصلة الأخلاقية.

3. تبليد الإحساس والمشاعر (الموت الروحي)

هذا هو أخطر مراحل الاغترار. عندما تطول "الغمرة"، يحدث ما يسميه القرآن:

• {بَلْ لَّا يَشْعُرُونَ} (الآية 56):

هذه هي النتيجة الكارثية. "لا يشعرون" تعني أنهم فقدوا حاسة الإنذار الداخلية. مثل من فقد حاسة للمس، يضع يده على النار ولا يحترق! لم يعودوا يشعرون بمعنى النعم، ولا بغضب الله، ولا بالآلام الآخرين. إنها القسوة الروحية المطلقة.

• "بل" للإضراب: هنا تأتي "بل" لتصحيح لهم مفهومهم الخاطئ. "ليس ما تظنونونه صحيحاً، بل أنتم في حالة من فقدان الوعي الكامل".

الامر الثاني البلاغة والتجويد - رسم الصورة النفسية بالصوت والمعنى

1. حركات الحروف وأثرها النفسي

• الفتحة في {أَيَحْسَبُونَ}:

افتتاح الآية بهمزة الاستفهام المفتوحة (أ) يخلق صوتاً استفزازياً يوقظ السامع. وكأن الصوت يقول: "انتبه! هذا خطأ فادح!"

• المد بالألف في {مَالٍ}:

كلمة "مال" فيها مد طبيعي (الألف). هذا المد يرسم زمنياً امتداد النعمة. عند قراءتها، يحس السامع بامتداد الوقت الذي يعيش فيه المغرور بنعمته. المد هنا صوت زمني يصور طول الأمد.

• كسر النون وبعدها الياء في {بَنِينَ}:

كلمة "بنين" فيها كسرة طويلة. الكسرة تميل بالصوت إلى الأسفل. قد تكون هذه إشارة صوتية إلى انحدار القيمة الحقيقية لهذه النعم إذا لم تصاحبها شكر.

2. السكتة الوقفية بين الآيتين

عند قراءة الآية 55 ثم الوقف عليها والبدء بـ {بَلْ لَّا يَشْعُرُونَ}، هناك صمت مؤقت. هذا الصمت هو فترة الحيرة التي يعيشها المغرور قبل أن يدرك حقيقة نفسه. ثم تأتي الآية التالية لتصف حاله: "لا يشعرون".

الامر الثالث : الدروس المستفادة - كيف نحمي أنفسنا؟

1. إعادة تعريف "الخير":

تعلمنا الآية أن الخير ليس فيما نملك، بل فيما يبقى بعدنا من عمل صالح. المال قد يكون خيراً

وقد يكون شراً، حسب ما يصنعه صاحبه.

2. تصحيح ميزان التقييم:

لا تقيس رضا الله عنك بما أعطاك من دنيا. قسّه بقربك منه، وبطاعتك له، وبشعورك بالآخرين. إذا ازداد مالك فاسأل نفسك: هل ازدادت صدقتي؟ هل ازداد تواضعي؟ أم ازداد غروري؟

3. تنمية "الإحساس" (الشعور):

الآية تحذرننا من فقدان "الشعور". حافظ على مشاعرك حية تجاه الله وتجاه الناس. لا تدع النعم تبليدك. اجعل للنعم علامة: كلما ازداد مالك، ازداد خوفك من الحساب.

4. استشعار "الاستدراج":

كن خائفاً من أن تكون النعم التي تراها هي استدراج. كان النبي ﷺ يقول: "إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب، فإنما هو استدراج". هذه الخشية تحول النعمة إلى عبادة.

الخلاصة البليغة

الآية ترسم منحني سقوط الإنسان:

• يبدأ بـ "الحسبان" (ظن خاطئ).

• ينتقل إلى "التمدد في النعمة" (الإمداد).

• وينتهي بـ "الموت الشعوري" (لا يشعرون).

والقرآن بصوته ومعناه يهز هذا الكيان المائل للسقوط: يستفهم (أحسبون)، ويمد (نمدهم)، ثم يصعقهم (بل لا يشعرون). إنها رحلة صوتية ومعنوية تحذرننا من أخطر أمراض القلب: الغفلة عن الله في زمن النعم

الموضوع الثالث

أن مما ينبغي عليك أن تدركه عند قراءه الآية أن تبحث عن الثمرة التطبيقية للآية في واقع الحياة. هكذا يجب عند قراءه الآيات ألا أن نكتفي بفهم النص، فقط بل ينبغي أن نبني به أنفسنا ومجتمعاتنا من خلالها فهذا هو الغاية القصوى للقرآن الكريم ولهذا سوف نقوم بربط دلالات الآية (54-56) بمجالات بناء الشخصية والمجتمع، موضحاً الفروق الدقيقة بين المفاهيم المتشابهة. بين مفهوم الإمداد للابتلاء والإمداد التكريم

الأمر الأول : دور الآية في بناء الشخصية المسلمة المتكاملة

الآيات الثلاث (فذرهم... أحسبون... بل لا يشعرون) تقدم نظرية متكاملة في التربية والبناء:

1. البناء النفسي) السلامة الداخلية)

• تصحيح التعلق: الآية تحرر قلبك من الارتباط المرضي بالماديات. عندما تعلم أن المال والبنين قد يكونا استدراجاً، فإنك لا تنهار إذا حرمت منهما، ولا تطغى إذا أعطيتهما.

• الطمأنينة: قال تعالى: {كَيْتَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ} [الحديد: 23]. الآية تربي فيك هذا الاتزان. المال ليس مقياس القيمة، بل هو عارض.

• الوقاية من الحسرات: كم من أناس قضوا حياتهم في حسد من هم أكثر منهم مالا ؟ الآية تشفيك من هذا الداء.

2. البناء العقلي) تصحيح النظرة)

• منطق جديد للتقييم: الآية تعلمك أن تنظر إلى الأسباب والخلفيات. المال ليس مجرد "رقم"، بل هو أداة اختبار. العقلية المؤمنة تسأل: لماذا أعطاني الله هذا؟ هل هو تكريم أم استدراج؟ ماذا يريد مني؟ فهم سنة الاستدراج: هذه من أعظم المعارف العقلية. أن تعرف أن زيادة النعم مع زيادة المعاصي هي علامة خطر، وليست علامة نجاح.

3. البناء الاجتماعي) العلاقات)

• إعادة تعريف القيمة الإنسانية: في مجتمع تقوده الآية، لا قيمة للإنسان بماله، بل بتقواه وأعماله. هذا يقضي على الطبقة المقيتة التي تفرق الناس.

• التكافل الحقيقي: من يعلم أن ماله اختبار، يبذله بسهولة في سبيل الله، فلا يبخل على الفقراء.

4. البناء الاقتصادي) الإنتاجية)

• اقتصاد العبودية: المال عند المؤمن وسيلة للطاعة، لا غاية للاستمتاع. هذا يخلق اقتصاداً أخلاقياً يرفض الغش والربا والاستغلال.

• عدم الاغترار بالشراء: صاحب هذه العقلية لا يبني اقتصاده على الاستدانة والظهور، بل على العمل الحلال والقناعة.

5. البناء السياسي) القيادة)

• القيادة بالحق لا بالمال: القائد في هذا المنظور ليس من يملك أكثر، بل من يعدل ويؤذي. الآية تحذر الحكام من أن يظنوا أن كثرة الأموال دليل رضا الله عن حكمهم.

• الصمود أمام الإغراء: القائد المؤمن لا يبيع بالمال، ولا يخاف من مال أعدائه.

الأمر الثاني

كيف تبني الآية المجتمع المتماسك؟

المجتمع الذي تفهم هذه الآية يصبح مجتمعاً متكافلاً متحاباً.

- يزول التنافس المادي (التكاثر) ويحل محله التنافس في الخيرات.
- الغني يشعر أن ماله اختبار، فلا يتكبر.
- الفقير يشعر أن فقره قد يكون خيراً له، فلا يحسد.
- الكل يعمل لرضا الله، فينصلح حال الجميع.

الامر الثالث

• الفروق الدقيقة في المفاهيم
هذه من أدق المسائل التي تفرق بين نظرة المؤمن ونظرة المغرور:
1. الفرق بين الإمداد للابتلاء والإمداد للإكرام
الإمداد للابتلاء (الاستدراج) الإمداد للإكرام (العطاء الحقيقي)
يزداد معه الطغيان والبعد عن الله. يزداد معه الشكر والقرب من الله.
يشعر صاحبه بالأمن والغرور. يشعر صاحبه بالخوف والمسؤولية.
يكون عادة لأهل الدنيا. يكون عادة لأنبياء الله وأوليائه.
قربنته: المعصية والإعراض. قربنته: الطاعة والإقبال.
قال قتادة: "مكر والله بالقوم في أموالهم وأولادهم". قال تعالى: {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ} [الأنعام: 84]، فهذه عطية مقرونة بالنبوة.
مثال توضيحي:

- فرعون: أمده الله بالمال والسلطان والجنود، فكان ذلك سبب هلاكه (استدراج).
- سليمان عليه السلام: أمده الله بالملك العظيم، فكان ذلك سبب شكره وزيادة قربه (إكرام).
- 2. الفرق بين الإمداد بالنعيم والإمداد بالإنعام
الإمداد (المد) بالإنعام
عملية تدريجية متصلة. عملية منجزة تعطى دفعة واحدة.
قد يكون للاستدراج أو للاختبار. غالباً ما يراد به التكريم.
يحتمل أن يكون خالصاً أو مشوباً. الإنعام الحقيقي من الله لا يكون إلا بما هو خير محض.
في سياقنا (المؤمنون: 55) هو استدراج. في سياقات أخرى، كـ {أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} [الفاتحة]، هو الخير المحض.
العلاقة بينهما: كل إنعام هو إمداد، لكن ليس كل إمداد هو إنعام. الإنعام خاص بالخير الصافي، أما الإمداد فقد يكون بالخير (للمؤمن) أو بالاستدراج (للكافر).

الامر الرابع

- الخلاصة التطبيقية - كيف نعيش الآية؟
1. عندما يأتيك مال: أسأل نفسك: هل زادني هذا المال قرباً من الله؟ أم زادني بعداً؟ هذا هو الميزان.
2. عندما يحرمك الله مالا: لا تحزن، فربما كان حرمانه خيراً لك، لئلا تزل قدمك بعد ثبوتها.
3. في تربية أولادك: علمهم أن قيمتهم بأخلاقهم ودينهم، لا بملبسهم أو جيب أهليهم.
4. في مجتمعك: كن مقيماً للعدل بغض النظر عن غنى الخصم أو فقره.
الآية تريد أن تخرج إنساناً حراً، لا تستعبده النعم، ولا تكسره المحن. إنساناً همه الوحيد: محبة الله بأعمال الصالحة.

الموضوع الرابع

- عليك أن تدرك أن هنالك اسرار في ترتيب القرآن للنصوص والكلمات والحروف التقديم والتأخير ف التقديم والتأخير في القرآن ليس عشوائياً أبداً، بل له حكم بلاغية ونفسية وتربوية عظيمة.
في الآية الكريمة: {أَيُّحْسِبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنٍ} [المؤمنون: 55].
لقد قدم الله سبحانه وتعالى المال على البنين. هذا التقديم مقصود وله عدة دلالات عميقة:
1. التدرج في شدة الفتنة (الأهم فالمهم)
المال هو الفتنة الكبرى والأسرع تأثيراً في قلب الإنسان. قال تعالى: {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ} [التغابن: 15]. لكن لماذا قدم المال؟
• البنون قد يكونون مصدر قوة وعز، لكن المال هو عدة الحياة وعمودها. به تشتري الأشياء، وبه تبني البيوت، وبه تسيطر على مقدرات الدنيا.
• البنون هم زينة الحياة، لكن المال هو قوام الحياة. بدون المال، يصعب تربية البنين وإطعامهم وكسوتهم. فالبنون يحتاجون للمال، وليس العكس. لذلك كان المال أسبق في الذكر لأنه الأصل.
2. الإشارة إلى الاستدراج (الغمرة المالية)
سياق الآية يتحدث عن أناس في "غمرتهم" (جهلهم وضلالهم). أكثر ما يغمر الإنسان ويغرقه في هذه الدنيا هو المال.
• المال يذهب بالعقل أسرع من البنين. كم من إنسان عاقل خسر عقله وتواضعه وإنسانيته حين كثر ماله!
• البنون قد يكونون قسوة قلب، لكن المال قد يكون استدراجاً أخفى وأشد. الإنسان قد يرى ماله يتكاثر فيظن أن الله راض عنه، فيتماد في غيه.

3. الجانب النفسي والزميني
· المال يأتي أولاً في حياة الإنسان (التربية، الوظيفة، التجارة) ثم تأتي البنون كامتداد طبيعي للحياة.

· المال هو أول ما يفتن به الإنسان في شبابه، والبنون قد يأتون بعده. التقديم هنا يراعي التسلسل الزميني الطبيعي للحياة.

4. ربطه بالآية السابقة (فذرهم في غمرتهم)
"الغمرة" التي هم فيها هي غمرة الجهل والضلال. والمال هو السبب الأكبر في هذه الغمرة. فالغني الطاعى أشد غمرة من الفقير الطاعى، لأن ماله يغطي على عيوبه ويجعل الناس من حوله يسبحون بحمده فيظن أنه على حق.

5. البلاغة في التقديم (الاهتمام)
في اللغة العربية، التقديم يقتضي الاهتمام. تقديم المال هنا يدل على أن الله ينبهنا إلى أن المال هو أخطر الفتنين وأكثرهما إغراءً واستدراجاً. البنون فتنة عظيمة، لكن المال هو الذي يقلب الموازين ويجعل الإنسان يحسب أن ما عنده هو الخير المطلق.

خلاصة

قدم الله المال على البنين لأنه:

1. أصل الفتنة الذي بدونه لا تقوم فتنة البنين.
 2. أسرع إلى قلب الإنسان وأشد تغطية على العقل.
 3. أكثر استدراجاً لأنه يوقع الإنسان في "الحسبان" الخاطئ (أيحسبون).
 4. يراعي التدرج الطبيعي للحياة (المال ثم البنين).
- هذا التقديم هو إشارة تحذيرية من الله للمؤمن: انتبه! المال هو أول ما سيفتن به قومك، وهو أول ما يغرقهم في الغمرة، فكن منه على حذر.

الموضوع الخامس

أن ثمره التدبر الحقيقية، لئلا هو الانتقال من فهم النص إلى العيش معه وتحويله إلى واقع سلوكي ونفسي واجتماعي. فينبغي أن تستلهم وتبحث عن التطبيق العملي لئلا من خلال الاسئلة التي تطرحها على نفسك بحيث يكون القرآن نوراً يضيء لك الطريق في كل لحظة. ولهذا سوف نتناول بالشرح الآتي:

الامر الاول : استشعار مسؤولية النعم - كيف أحافظ عليها من الشرود؟

ما معنى مسؤولية النعم؟

يعني أن تؤمن أن كل نعمة هي أمانة في عنقك، وليست مجرد حق لك. قال ابن القيم: "النعمة إذا شكرت قررت واستقرت، وإذا كفرت فرت واستمرت".

كيف أحافظ عليها من الشرود (الضياع)؟

1. إدراك المصدر: أول خطوة أن تعلم أن المال والبنين من الله لا من كدك وذكاك. {وَمَا بِكُمْ مِّنْ نَّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} [النحل: 53].

2. الخوف من الزوال: قال ابن القيم: "من علامات الشكر: الخوف من زوال النعمة". ليس خوفاً مرضياً، بل خوفاً يدفعك للحفاظ عليها بالطاعة.

3. استخدامها في مرضاته: تحافظ على النعمة بأن تصرفها في ما خلقت له. المال خلق للإنفاق في سبيل الله، والبنون خلقوا لتربيتهم تربية صالحة. إذا صرفتها في المعصية، فقد عرضتها للزوال.

الامر الثاني ما الشعور الذي يجب أن يملأ قلبك عند زيادة الرزق بعد تدبر هذه الآية؟
بعد فهم الآية (55-56)، يجب أن يمتزج في قلبك شعوران متناقضان ظاهرياً، لكنهما متكاملان في حقيقة الإيمان:

1. الخوف (الوجل): أن تتذكر أن هذه الزيادة قد تكون استدراجاً. كان النبي ﷺ يقول: "إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب، فإنما هو استدراج". فتزداد خوفاً من أن تكون من هؤلاء.

2. الرجاء (الطمع في رحمة الله): أن ترجو أن تكون هذه الزيادة عطية حقيقية من الله لكي تشكره وتتقوى بها على الطاعة. فتسأل الله أن يجعلها في ميزان حسناتك.

هذا الخوف المقرون بالرجاء ينتج شعوراً ثالثاً هو التوازن. لا يجعل منك إنساناً متشائماً (تكره الزيادة)، ولا مغروراً (تطغى بها). بل يجعلك عبداً شكوراً بين الخوف والرجاء.

الامر الثالث: كيف أتعامل مع الاستدراج؟

الاستدراج هو أن يمد الله العبد بالنعم وهو مستمر في المعصية، ليزداد إثماً ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر.

خطوات عملية للتعامل معه:

1. محاسبة النفس: إذا رأيت مالك يزداد وحالك مع الله في تراجع، فاعلم أن هذا ناقوس خطر. قف فوراً واسأل نفسك: أين أنا من الله؟

2. التوبة والاستغفار: قال ابن القيم: "الذنوب كالسهم، والاستغفار كالترس". أكثر من الاستغفار لترد

عنك هذه السهام.

3. الصدقة: من أعظم ما يدفع البلاء ويكسر حلقة الاستدراج. الصدقة تطهر المال وتزكّيه.
4. تغيير المسار: اجعل نيتك في هذه النعمة الجديدة أن تكون خالصة لوجه الله. مثلاً: إذا زاد رزقك، خصص جزءاً منه لوجه الله قبل أن تلمسه نفسك.

الامر الرابع تصحيح النظرة لمفهوم النجاح (الأموال والبنون وسيلة لا غاية) هذا هو القلب النابض لهذه الآيات. الآية تصحح مفهوم النجاح من أساسه: المقياس الخاطئ (الدنيا):

منظور الدنيا: الناجح هو من جمع أكثر (مالاً، بنين، جاهاً).
القرآن يقول: هذا حساب خاطئ.

المقياس الصحيح (الآخرة):

النجاح الحقيقي هو: من عمل صالحاً فاز.

- المال وسيلة لتعمل به خيراً: تنفق، تنفق على أهلِكَ، تبني مسجداً، تدعم محتاجاً.
- البنون وسيلة لتربيتهم تربية صالحة، فيكونوا ذخراً لك بعد موتك (كما في الحديث: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: ولد صالح يدعو له...").

كيف تحول الوسيلة إلى نجاح؟

- المال في يدك: إذا أنفقته في طاعة الله، صار قربة.
- المال في يدك: إذا منعته أو أنفقته في معصية، صار وبالاً.
- الابن: إذا ربّيته على الدين، صار نوراً لك في الدنيا والآخرة.
- الابن: إذا أهملته، صار فتنة وهماً.

الامر الخامس كيف يحمي المؤمن نفسه من الاغترار بالنعم؟

1. كثرة الدعاء: كان النبي ﷺ يعلم أصحاب الدعاء: "اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا". هذا الدعاء يقي من الاغترار.

2. ذكر الموت: من تذكر الموت هانت عليه الدنيا. قال ابن القيم: "أعقل الناس من كان الموت نصب عينيه".

3. النظر إلى من هو أقل: انظر إلى من هو أقل منك في المال، لا إلى من هو أكثر. هذا يجعلك تشكر نعمك ولا تغتر بها.

4. تذكير النفس بأنها مستخلفة: أنت مستخلف في هذا المال، وستسأل عنه: من أين اكتسبته وفيم أنفقته؟

الامر السادس دور الآية في بناء المجتمع القوي (المعيار الحقيقي للنجاح) الآية تضع ميزاناً دقيقاً للمجتمع القوي، وتدمر المقاييس الخادعة:

1. المقياس الخادع (الذي يدمر المجتمع)

إذا كان معيار النجاح في المجتمع هو كثرة المال والبنين، يحدث الآتي:

- الطبقة: ينقسم المجتمع إلى أغنياء (ناجحين) وفقراء (فاشلين).
- الحسد والكراهية: الفقراء يحسدون الأغنياء، والأغنياء يتكبرون على الفقراء.
- تفكك الأسرة: الأولاد يُربون ليصبحوا أغنياء، لا ليصبحوا صالحين.
- الفساد الأخلاقي: الكل يبحث عن المال بأي طريقة (حلال أو حرام).

2. المقياس الصحيح (الذي يبني المجتمع)

الآية تقول: النجاح الحقيقي هو الأعمال الصالحة.

- التنافس في الخير: الناس يتنافسون في بناء المدارس، المساجد، المستشفيات، لا في بناء القصور.
- التكافل: الغني يشعر أنه مسؤول عن الفقير، والفقير يشعر أن الغني أخوه.
- العدالة الاجتماعية: القيمة الحقيقية للإنسان بتقواه، لا بماله.
- التماسك: المجتمع يلتف حول القيم والمبادئ، لا حول المصالح المادية.

الخلاصة الذهبية

الآية تريد أن تبني لك شخصية:

- نفسياً: متزناً لا يغتر ولا ييأس.
- اجتماعياً: متكافلاً مع المجتمع.
- اقتصادياً: منتجاً لا مستهلكاً فقط.
- روحياً: متعلقاً بالله لا بالمادة.

وهذا هو النجاح الحقيقي الذي تعنيه الآية..

رابعا

تأتي الآية 56 من سورة المؤمنون وهي بمثابة كشف الحساب الإلهي لهؤلاء المغرورين، وتفسير حاسم لما سبقها: {نَسَارِعْ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ}

المبحث الاول

الامر الاول : التفسير وعلاقتها بالآية السابقة (55)

الآية السابقة (55) صورت ظنهم الخاطئ: {أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنٍ}. هذه الآية (56) تأتي لتكشف حقيقة هذا الإمداد فـ تكمل المعنى وتصحح الظن.

• معنى {نَسَارِعْ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ}:
هذا ليس خبراً من الله بأنه يعطيهم خيرات حقيقية، بل هو حكاية لظنهم الفاسد نفسه. أي: أيظنون أن إمدادنا لهم بالأموال والبنين هو مسارعة منا لهم في الخيرات، وتعجيل للثواب في الدنيا، وإكرام لهم وتقدير؟ .

• المسارعة هنا تعني التعجيل والإعطاء السريع .
• "الخيرات" في زعمهم هي ما هم فيه من نعيم دنيوي. لكن القرآن يضعها بين قوسين كعلامة استفهام كبيرة .

• معنى {بَلْ لَا يَشْعُرُونَ}:
هنا يأتي الرد الإلهي القاطع والإضراب عن ظنهم الفاسد .
• "بَلْ": حرف إضراب، معناه: ليس الأمر كما يظنون.

• "لَا يَشْعُرُونَ": أي لا يعلمون ولا يحسون بحقيقة ما نحن فاعلون بهم . هذه هي الخاتمة للأساوية لمسار الغفلة. إنهم فقدوا القدرة على الإحساس الصحيح، فأصبحوا كالبهائم بل أضل، لا يدركون أن هذه النعم هي استدراج من الله ليزدادوا إثماً ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر .
إذا، العلاقة بين الآيتين هي علاقة الظن الفاسد بنتيجته الكارثية: ظنوا أن الإمداد تكريم، فكان جزاؤهم أن طمس الله على بصائرهم فـ لم يشعروا بحقيقة الأمر .

الامر الثاني اللمسات البيانية واللغوية

1. {نَسَارِعْ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ}:
• "في" الظرفية: جعلت "الخيرات" كأنها طريق أو ميدان يسرعون فيه . هذا يدل على تمكنهم من هذه النعمة وانغماسهم فيها، وكأنهم يركضون في حلبة الدنيا يلهثون وراء المال والولد.

2. {بَلْ لَا يَشْعُرُونَ}:
• "بَلْ" الإضرابية: تفيد الانتقال الحاسم من وصف ظنهم إلى بيان حقيقتهم. إنها نقطة التحول التي تقلب الموازين.

• "لَا يَشْعُرُونَ": اختيار فعل "يشعرون" دون "يعلمون" له دقة بالغة. "الشعور" هو الإحساس المفضي إلى العلم . فنفيه عنهم يعني أنهم فقدوا حاسة الإنذار الداخلية لديهم. إنهم يسمعون الآيات ولكن لا يشعرون بخطورة ما هم فيه، يرون النعم ولكن لا يشعرون أنها فتنة. إنها الغفلة المطبقة التي تسبق نزول العذاب .

الامر الثالث اللمسة التجويدية في {لَا يَشْعُرُونَ}

عند قراءة {لَا يَشْعُرُونَ}، هناك مد عارض للسكون على كلمة "يَشْعُرُونَ" عند الوقف عليها في نهاية الآية. هذا المد يزيد من تأكيد حالة فقدان والانقطاع. الصوت يمتد قليلاً ليترك في النفس أثراً حسياً لانقطاع هؤلاء القوم عن الحق، وانقطاع رحمة الله عن قلوبهم بسبب غفلتهم. إنه مد يصور المدة التي سيبقون فيها في غمرتهم حتى يأتيهم العذاب

المفهوم الاول

الخطر الأعظم: مفهوم "لا يشعرون" وكيف يخدع العبد نفسه هذه أخطر نقطة في الآية. كيف يخدع الإنسان نفسه بالنعم؟

1. فساد الميزان: المغرور يجعل المال والبنين هو مقياس النجاح ودليل المحبة الإلهية. كلما زاد ماله ، ظن أن الله راض عنه، فيتمادى في غيه. إنه يخلط بين الإمهال والإكرام .
2. وهم التكريم: يصل إلى درجة من الغرور أنه إذا حُرِم من النعم، اتهم الله بسوء الظن، وإذا أعطي، ظن أنه يستحق التكريم. قال قتادة في تفسير هذه الآية: "مكر والله بالقوم في أموالهم وأولادهم". هذه النعم التي يظنونها تكريماً هي في الحقيقة حبال الاستدراج التي يمددهم الله بها ليزدادوا طغياناً.

3. الموت الروحي: نهاية هذا الطريق أن يصل إلى حالة "لا يشعرون"، وهي حالة من العمى البصري، فلا يفرق بين النعمة والاستدراج، ولا بين الخير الحقيقي والخير الوهمي. قال ابن القيم: "فكم من مُسْتَدْرِجٍ بِالنِّعَمِ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ مَقْتُونٌ بِثَنَاءِ الْجَهَالِ عَلَيْهِ، مَقْرُورٌ بِقَضَاءِ اللَّهِ حَوَائِجَهُ وَسْتَرْه عَلَيْهِ!" .

المفهوم الثاني

الخيرات الحقيقية: ما الذي يجب أن نَسَارِعَ إليه؟
المؤمن لا يغتر بخيرات الدنيا، بل يسارع في الخيرات الحقيقية التي ذكرها الله في آيات أخرى من السورة نفسها: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} [الأنبياء: 90].
هذه الخيرات هي:

• الأعمال الصالحة (الصلاة، الزكاة، الصدقة، بر الوالدين).

• المسارعة إلى مغفرة من الله وجنة [آل عمران: 133] .

• الدعاء بخشوع ورغبة ورهبة.

· الإيمان والعمل الصالح الذي يقرب إلى الله .

المفهوم الثالث

** كيف تقيني التقوى من فتنة الاستدراج؟
التقوى هي المانعة الوحيدة من الوقوع في هذه الفتنة. قال تعالى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا} [الطلاق: 2]. وهنا "المخرج" هو الخروج من كل فتنة، ومنها فتنة النعم .

"**كيف تحميك التقوى؟

1. تصح النظرة: تقوى الله تجعلك تنظر إلى النعمة على أنها اختبار وابتلاء، وليس مجرد متعة .
2. تطلق إنذاراً داخلياً: عندما يزداد مالك وأنت مقيم على معصية، تشعر بالخوف والوجل، وتسال: هل هذا استدراج؟ .
3. تدفعك للشكر: التقوى تدفعك لشكر النعمة بطاعة الله، فتستقيم على أمره، وبذلك تتحول النعمة من استدراج محتمل إلى عطاء حقيقي يزيدك قرباً من الله. قال ابن القيم: "النعمة إذا شكرت قرت واستقرت، وإذا كفرت فرت واستمرت" .

الخلاصة الذهبية

الآية 56 هي كاشفة الحقيقة:

- ظنوا أن الإمداد تكريم، فرد الله عليهم بأنه استدراج.
 - ظنوا أن المال والبنين غاية، فبين لهم أن الخيرات الحقيقية في المسارعة إليه بالأعمال الصالحة.
 - ظنوا أنهم على بصيرة، فكان جزاؤهم أن طمس على قلوبهم فصاروا "لا يشعرون"، وهي أشد درجات الغفلة.
- إنها آية تصح ميزان القيم، وتجعل المؤمن في حالة يقظة دائمة: احذر أن تغتر بما أعطيت، واخش أن تكون من "لا يشعرون"

المبحث الثاني

ان اخطر القضايا التي تواجه الأمم والحضارات عبر التاريخ. يعود الى فساد وانحراف التصور والزيغ عن فتنه الانخداع بالجاه والمنصب والمال (الغنى والاقتدر) وهو ما يحتاج معه المؤمن التحصن من اساءه تفسير انعام الله على العباد ولهذا سوف نقوم بتحليل مافى هذه الايه تحليلًا تكامليًا يربط النص القرآني بالواقع النفسي والاجتماعي، ويكشف عن جذور الانحراف وأشكاله، وكيف يبني القرآن المناعة لدى المؤمن. مستنداً إلى الآيات الكريمة من سورة المؤمنون (53-56) ومستعيناً بنماذج من القصص القرآني كقصة موسى مع فرعون.

الامر الاول

: الآيات وتقسيم المنحرفين إلى نوعين (تحليل تكاملي)

يقول الله تعالى:

{فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۚ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (53) فَذَرَهُمْ فِي غَفْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ (54) أَيُحْسِبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ (55) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ (56)}

هذه الآيات الأربع ترسم لنا خريطة كاملة لأنواع الانحراف والضلال، وكيف أن كلا من النوعين يدعي أنه على دين الله:

النوع الاول: المنحرف فكرياً (فساد القوة العقلية) - الآية 53

- وصفهم: {فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا} أي تفرقوا في دينهم، وجعلوه قطعاً متفرقة (كتباً أو مذاهب أو أحزاباً). كل فرقة منها تفرح بما هي فيه من ضلال، وتعتقد أنها وحدها على الحق.
- سبب الانحراف: ترك منهج التوحيد الجامع. عندما يبتعد الناس عن الوحي، يبدأ العقل البشري في الاجتهاد بلا ضابط، فينتج تعدد الآلهة المعنوية (الأيديولوجيات، القوميات، المذاهب المتصارعة).
- خطورة هذا النوع: هم مصدر التشردم والتمزق في الأمة. يلبسون لباس الدين وهم أبعد ما يكونون عن روجه.

النوع الثاني المنحرف المستكبر (فساد القوة المادية) - الآيات 55-56

- وصفهم: أهل الغنى والمال والبنين، الذين يعتبرون هذه النعم دليلاً على منزلتهم عند الله، وأنها بشارات لهم في الدنيا. يظنون أن إمداد الله لهم بالمال هو مسارعة في الخيرات وتكريم لهم .
- سبب الانحراف: حب الشهوة والاعتزاز بالدنيا. أهملوا واجب النعمة (الشكر والإنفاق في سبيل الله) ، فانقلبت النعمة إلى استدراج {بَلْ لَا يَشْعُرُونَ}، فهم لا يشعرون أن هذا الإمداد هو إمداد ليزدادوا إثمًا .

· خطورة هذا النوع: يمثلون القوة الطاغوتية التي تستغل المال والجاه لقمع الحق وأهله.
الجامع بينهما: كلاهما يدعي أنه على دين الله. الأول يدعي أن تفرقه هو عين الدين (كل حزب بما لديهم فرحون)، والثاني يدعي أن غناه دليل رضا الله عنه (أيحسبون...).

الامر الثاني

كيف يفسد هذان النوعان الحياة والحضارات؟

عندما يسيطر هذان النوعان على المجتمع، تنتشر الأمراض الاجتماعية التي تدمر الحضارات:

1. الحسد والبغضاء: بين الفرق المتناحرة (النوع الأول)، وبين الفقراء والأغنياء (النوع الثاني).
2. العلو والاستكبار: أهل الغنى يتكبرون على المستضعفين بحسبان أنفسهم خيراً منهم

- وأعلى مكانة . قال قارون: {إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي} [القصص: 78].
3. الاستبعاد والاستضعاف: يتم تهيمش الصالحين وأهل الحق لأنهم لا يملكون المال والجاه. المقياس المادي الخادع يحكم العلاقات.
4. الشره والطمع: التنافس على الدنيا يتحول إلى صراع البقاء، فتضيع القيم وتفسد الأخلاق.

الامر الثالث

تحدي العزة والمقياس الخادع
هذه الآيات تقدم درساً عظيماً في مصدر العزة:
العزة الباطلة: يظن أصحاب المال والسلطان أن عزتهم بما يملكون. قال فرعون: {أَلَيْسَ لِي مَلِكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ} [الزخرف: 51]. هذا هو المقياس الخادع الذي يسقط عند هبوب العاصفة.
العزة الحقيقية: قال تعالى: {الْعِزَّةُ لِلَّهِ جَمِيعًا} [يونس: 65]، وقال: {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} [المنافقون: 8]. العزة بالحق والإيمان، لا بالمظاهر الزائلة.
التوعد الإلهي {فَدَرَّهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ} هو إعلان أن كل هذه المظاهر ساقطة لا محالة. إنها كفقاقيع الصابون، تعلق قليلاً ثم تختفي.

الامر الرابع

نموذج فرعون - استدراج المستكبرين بالمستضعفين
هذا هو التطبيق العملي للآية، وكيف يختبر الله المستكبرين بالمستضعفين:
القصة كما وردت في سورة الزخرف:
جاء موسى عليه السلام إلى فرعون يدعوه للإيمان. ماذا كان رد فرعون؟ لم يناقش الحقيقة، بل لجأ إلى القيم المادية الواهية التي كانت سائدة في المجتمع .
قال فرعون لقومه مستنكراً:
. {أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَآلَا يَكَادُ يُبِينُ} [الزخرف: 52]. أي: أنا خير من هذا الفقير الحقير الذي لا يكاد يفصح عن مراده.
. {قُلُوبًا أَقْفَىٰ عَلَيْهِ أَسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ} [الزخرف: 53]. أي: هلا زينته بأساور الذهب إن كان صادقاً؟!

هنا يتجلى الاستدراج الإلهي:

- فرعون يرى نفسه في "غمرة" النعيم والملك.
- ينظر إلى موسى عليه السلام بثيابه الرثة وعصاه، فيزداد استكباراً وغروراً.
- هذا الغرور هو الذي سيزداد به إثماً، ثم يأخذه الله أخذ عزيز مقتدر.

الدروس المستفادة من القصة

- سخرية فرعون من موسى بسبب فقره تكشف عن عمق المادية في نفسه. إنه لا يرى قيمة إلا فيما يلمسه الذهب.
- الانتفات إلى من حوله {أَفَلَا تُبْصِرُونَ} [الزخرف: 51] محاولة منه لحشد التأييد الجماهيري بقيمه المنحطة.
- الدرس للمؤمن: لا تضعف أمام غطرسة هؤلاء. موسى عليه السلام دخل على فرعون بثيابه الرثة وبرسالته العظيمة، فكان هو العزيز بالله، وكان فرعون هو الحقير بذنبه.

الامر الخامس

: مقياس النجاح الحقيقي
الآيات ترسم لنا المعيار الصحيح:
ليس النجاح بكمرة المال والبنين (فهذا قد يكون استدراجاً).
ليس النجاح بكمرة الأتباع والفرق (فهذا تفرق وضلال).
بل النجاح بالغبات على منهج الله، وتحمل الغربة في سبيله، واليقين بأن العزة لله جميعاً.
كما قال فتادة في تفسير الآية: "مكر والله بالقوم في أموالهم وأولادهم". فالله أجعلنا ممن إذا أعطيتهم شكروا، وإذا حرمتهم صبروا، واجعلنا من عبادك الصالحين الذين يستمدون عزتهم منك وحدك

القسم الثاني..

المقدمة التفسيرية للآيات 57-61 من سورة المؤمنون
بعد أن رسمت الآيات السابقة (53-56) صورة قاتمة للمحرفين بنوعيتهم:
النوع الأول: المتفرقون في الدين، الذين جعلوا عقيدتهم شيعاً وأحزاباً، كل حزب بما لديهم فرحون.
النوع الثاني: المغرورون بالنعيم، الذين حسبوا أن الأموال والبنين دليل منزلتهم عند الله، فاستدرجوا من حيث لا يشعرون.
بعد هذا المشهد الكئيب للمكذبين المعاندين، تأتي الآيات (57-61) لتحدث انتقالاً هائلاً في المشهد القرآني، تماماً كما تنتقل الكاميرا من ظلمات الغمرة إلى أنوار اليقين. إنه الانتقال من وصف

أهل الباطل إلى وصف أهل الحق، ومن الحديث عن الاستدراج إلى الحديث عن الفوز والسبق. ما الذي نتحدث عنه هذه الآيات؟ هذه الآيات الخمس ترسم الصورة المقابلة تمامًا للصورة السابقة. إنها تقدم النموذج المؤمن الذي ينجو من فتنه التفرق وفتنة النعم، وتكشف عن السمات الخمس التي يتصف بها أولئك الذين يستحقون وعد الله الحق.

الأمر الأول: المقابلة المحورية بين المجموعتين

المنحرفون (53-56) المؤمنون (57-61)
{فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا} {تَفَرَّقُوا} {إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ} {اجْتَمَعُوا عَلَى الْخَشْيَةِ} {كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ قَرْحُونَ} {غُرُورٌ بِمَا عِنْدَهُمْ} {وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ} {إِذْعَانٌ لِمَا عِنْدَ اللَّهِ} {أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنٍ} {اغْتَرَارٌ بِالْمَادِيَّاتِ} {وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ} {إِخْلَاصٌ لِلَّهِ وَحْدَهُ}

{تُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ} {ظَنَّهُمْ الْفَاسِدُ} {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ} {خَوْفُهُمْ مَعَ الْعَمَلِ} {بَلْ لَا يَشْعُرُونَ} {فَقْدَانُ الشُّعُورِ} {أَوَلَيْكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ} {الْمَسَارَعَةُ الْحَقِيقِيَّةُ}

الأمر الثاني: البناء التصاعدي للصفات

الآيات لا تذكر الصفات اعتباطاً، بل تبنيها بشكل تصاعدي لتصل إلى الذروة في الآية 61:
1. الآية 57 - الخشية والإشفاق: البداية من القلب، لأنه أساس كل عمل. يبدأون بخوف الله وخشيته، وهذا هو المحرك لكل حركة إيمانية .
2. الآية 58 - الإيمان بآيات الله: ثم ينتقلون من الخشية القلبية إلى التصديق العملي بآيات الله الكونية والشرعية .
3. الآية 59 - التوحيد الخالص: ثم يتعمق الإيمان ليصل إلى التوحيد ونبذ الشرك كله، جليبه وخافيه .

4. الآية 60 - العطاء مع الوجل: ثم يترقى العمل إلى العطاء والبذل، لكنه عطاء مقرون بخوف أن لا يقبل. إنه قمة الإحسان مع قمة الخوف .
5. الآية 61 - المسارعة والسبق: هذه هي القمة، حيث يصبحون هم السابقين إلى الخيرات، و المبادرين إليها، والفائزين بالسباق الإيماني .

الأمر الثالث: دلالة الانتقال البلاغية

هذا الانتقال من الحديث عن المنحرفين إلى الحديث عن المؤمنين يحمل دلالات عميقة:
1. التبشير بعد الإنذار: بعد أن هدد الله المنحرفين بأن يذرههم في غمرتهم، بشر المؤمنين بأنهم هم الفائزون. إنه نموذج القرآني الدائم: الرحمة تسبق الغضب، والبخشة تعقب الإنذار لمن أراد.
2. تصحيح الميزان: الآيات السابقة كشفت عن الميزان الخادع الذي يستخدمه أهل الباطل (المال و البنين). هذه الآيات تضع الميزان الحقيقي (الخشية، الإيمان، التوحيد، العمل الصالح مع الخوف).
3. العلاج بعد التشخيص: الآيات السابقة شخّصت داء التفرق والاعتزاز، وهذه الآيات تقدم العلاج في صفات المؤمنين التي تجمع ولا تفرق، وتخشى ولا تغتر.

الأمر الرابع: المفارقة العجيبة

أجمل ما في هذا الانتقال هو المفارقة بين "لا يشعرون" و "يسارعون":
• المنحرفون: {بَلْ لَا يَشْعُرُونَ} لا يشعرون أنهم مستدرجون، ولا يشعرون بخطر ما هم فيه.
• المؤمنون: {أَوَلَيْكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ} يشعرون بقيمة الوقت، ويشعرون بفضل الله، فيبادرون ويسارعون.

إنها حياة الشعور مقابل موت الإحساس. الأولى موت للقلب وعمى للبصيرة، والثانية حياة للروح ويقظة للضمير.

خلاصة المقدمة

الآيات 57-61 هي اللوحة المقابلة للوحة المنحرفين. إنها ترسم لنا الهوية الإيمانية الحقيقية التي

تنجو من فخ التفرق ومن فخ النعم. هي تصف الذين:

• قلوبهم خاشعة (خشية)

• عقولهم مؤمنة (بآيات الله)

• جوارحهم مخلصه (لا يشركون)

• أيديهم معطاء (يؤتون)

• وكل ذلك مع خوف وجل، لا مع اغترار وأمن.

هؤلاء هم الذين يستحقون وصف {أَوَلَيْكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ} [المؤمنون: 61] .

هذه هي المقدمة التي تؤهلك للغوص في تفسير كل آية على حدة.

أولاً

الآية 57 تتحدث عن الخشية والإشفاق،

{إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ}

تمهيد: موقع الآية في السياق القرآني
بعد أن رسمت الآيات السابقة (53-56) صورة المنحرفين بنوعيتهم:
· المتفرقين في الدين الذين جعلوا عقيدتهم شيعاً وأحزاباً
· المغرورين بالنعم الذين حسبوا الأموال والبنين دليل منزلة عند الله
تأتي هذه الآية لتبدأ رسم الصورة المقابلة، صورة المؤمنين الذين جمعوا بين الإحسان والخوف، و
الذين يستحقون وعد الله الحق . إنها انتقالة عظيمة من حديث الاستدراج إلى حديث الفوز والسبق.

المبحث الأول

التحليل التفصيلي للآية فقرة فقرة

الامر الاول : {إِنَّ الَّذِينَ}

الدلالة اللغوية والبيان:

· "إِنَّ" حرف تأكيد ونصب، يفيد التأكيد والاهتمام بالخبر الذي سيأتي . وكأن الله يلفت انتباه السامع إلى أمر عظيم سيذكره.

· "الذين" اسم موصول للدلالة على العموم والشمول، لكنه هنا يختص بطائفة معينة لها صفات محددة سيتلوها القرآن.

الدلالة التفسيرية:

هذا الأسلوب التوكيدي (إِنَّ) مع الموصول (الذين) يفيد أن هؤلاء القوم لهم منزلة خاصة عند الله، وأن ما سيذكر عنهم من صفات هو محل عناية واهتمام . إنه مقابل قوله عن المنحرفين {أَيَحْسَبُونَ} التي تحمل معنى الإنكار والتوبيخ، أما هنا فالتعبير بالتوكيد والثناء .

الامر الثاني : {هُمْ}

الدلالة اللغوية والبيان:

ضمير الفصل "هم" هنا يفيد الاختصاص والحصر . معناه: هم دون غيرهم من المغرورين والمتفرقين .
الدلالة التفسيرية:

هذا الضمير يقيم حاجزاً بين فريقين:

· فريق الأمن والغرور المنحرفون)

· فريق الخوف والإشفاق المؤمنون)

قال الحسن البصري رحمه الله: "إن المؤمن جمع إحساناً وشفقة، وإن المنافق جمع إساءة وأمناً" . ف
الضمير "هم" يفصل بين هاتين الفئتين

الامر الثالث: {مَنْ خَشِيَ رَبَّهُمْ}

تحليل المفردات:

1. الخشية:

· لغة: هي خوف مقرون بمعرفة وتعظيم . قال ابن القيم رحمه الله: "الخشية أخص من الخوف، فإن الخشية للعلماء بالله" . واستدل بقوله تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [فاطر: 28]
· شرعاً: هي خوف ممزوج بتعظيم ومهابة ومعرفة بالله . إنها خوف العارف بالله، وليس مجرد خوف العامي.

2. الفرق بين الخوف والخشية:

الخوف الخشية

اضطراب القلب وهربه من المكروه انجماع وانقباض وسكون

عام لجميع المؤمنين خاصة بالعلماء العارفين

قد يكون من غير تعظيم مقرونة بالتعظيم والمهابة

3. "ربهم":

· إضافة الخشية إلى "ربهم" دون اسم آخر فيه دلالة على أنهم يخشونه لكونه المربي والمتولي لأمرهم، الذي بيده الخلق والتدبير والأمر . والرب هو المالك المتصرف المربي.

الدلالة التفسيرية:

قوله {مَنْ خَشِيَ رَبَّهُمْ} تحمل معنى التعليل، أي: بسبب خشيتهم من ربهم . هذه الخشية هي الدافع و المحرك لكل أعمالهم الصالحة . ليست خشية عابرة، بل هي خشية مقرونة بمعرفة تامة بالله وأسمائه وصفاته .

الامر الرابع : {مُشْفِقُونَ}

الدلالة اللغوية:

· الإشفاق في اللغة: هو الخوف مع شدة الرقة في القلب والعناية.

· الأصل اللغوي من "الشفقة" وهي رقة القلب والعناية بالمشفوق عليه.

· قال الراغب الأصفهاني: "الإشفاق: عناية مختلطة بخوف، وأصله من الشفق وهو رقة الشيء".

الفرق بين الإشفاق والخوف العادي:

· الإشفاق أعمق من الخوف العادي، لأنه خوف مصحوب بشعور بالمسؤولية ورقة قلب.

· قال الشعراوي رحمه الله: "الإشفاق خوف يُمدح ولا يُذم؛ لأنه خوف يحمل صاحبه ويحثه على تجنب أسباب الخشية بالعمل الصالح".

الدلالة التفسيرية:

· {مُشْفِقُونَ} {أي: خائفون حذرون وجلون.
· إشفاقهم ليس يأساً من رحمة الله، بل خوف مقرون برجاء، وخوف يدفعهم للعمل وليس للقنوط.
· هم مع إحسانهم وإيمانهم وعملهم الصالح، مشفقون من الله، خائفون منه، وجلون من مكره بهم.
تحليل "من" في قوله {مَنْ خَشِيَهُ}
حرف "من" هنا له دلالة دقيقة:

· قيل: هي للتعليل، أي بسبب خشيتهم من ربهم.
· وقيل: هي لابتداء الغاية، أي أن إشفاقهم نابع من خشيتهم ومتولد عنها.
· والأقرب: أنها تجمع المعنيين، فالإشفاق مسببه الخشية، ومبعثه منها.
البلاغة في ترتيب الجملة
قدمت الآية الخشية على الإشفاق مع أن الإشفاق هو النتيجة، وذلك لعدة حكم:

1. الاهتمام بالسبب (لأنه هو الأصل).
2. التدرج من الباطن (الخشية القلبية (إلى الظاهر) الإشفاق السلوكي).
3. الإشارة إلى أن الإشفاق الحقيقي لا يكون إلا عن خشية صادقة.
العلاقة مع الآيات السابقة (المقابلة)
هذه الآية هي المقابل المباشر لوصف المنحرفين :

المنحرفون المؤمنون
{بَلْ لَا يَشْعُرُونَ} {فقدان الشعور} {مُشْفِقُونَ} {شعور مرهف بالخوف}
{فَرَحُونَ} {فرح بالباطل} {مُشْفِقُونَ} {خوف من الحق}
اغترار بالأمن إشفاق مع الإحسان
قال السعدي رحمه الله: "لما ذكر تعالى الذين جمعوا بين الإساءة والأمن، ذكر الذين جمعوا بين الإحسان وحسان والخوف".

الدلالة النفسية والتربوية للآية
1. بناء الشخصية المتزنة:
الآية تقدم نموذجاً للشخصية الإيمانية المتوازنة: لا يغتر بعمله (فهو مشفق)، ولا ييأس من رحمة الله (فهو يعمل). قال ابن القيم: "الخوف حارس والرجاء زاجر".
2. وقاية من العجب والرياء:

الإشفاق مع العمل يقي من داء العجب، فالمؤمن لا ينظر إلى عمله بعين الرضا، بل يخاف أن لا يقبل منه .
3. دافع للعمل والإتقان:

الإشفاق ليس خوفاً مشلولاً ، بل هو خوف منتج يدفع للعمل والإتقان، كما قال الشعراوي: "كتلميذ يذاكر ويجتهد خوفاً من الرسوب".

الخلاصة
الآية 57 من سورة المؤمنون تضع اللبنة الأولى في بناء الشخصية المؤمنة: الخشية المقرونة بالمعرفة التي تثمر إشفاقاً منتجاً. إنها تصف الذين:
· يعلمون الله حق العلم (خشية)
· يخافون منه خوفاً ممزوجاً بتعظيم (إشفاق)
· يدفعهم هذا الخوف للعمل والطاعة
هؤلاء هم الذين يختلفون عن المنحرفين الذين آمنوا واغتروا، وهؤلاء هم الذين سيصفهم القرآن في آيات التالية بصفات أخرى تكمل هذه الصورة المشرقة.

المبحث الثاني

تحليل العلاقة بين الخشية والإشفاق وتطبيقاتها الحياتية

الأمر الأول :

لماذا جمع الله بين الخشية والإشفاق؟ وماذا يعني الإشفاق؟ ألا يكفي الخوف؟

1. الفرق الجوهرى بين الخشية والإشفاق
لفهم سبب الجمع، يجب أن ندرك الفرق الدقيق بين المفهومين:
الخشية:
· هي خوف خاص مقرون بالمعرفة والتعظيم . قال تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} {فاطر: 28}.

· مصدرها العقل والإدراك، فهي ثمرة معرفة العبد بربه وأسمائه وصفاته.
· تتعلق بالله مباشرة، فهي خوف جلال الله وكبريائه.
الإشفاق:

· هو رقة القلب مع خوف وعناية ومحبة.
· أصله من "الشفقة" وهي الرقة والحنان والعناية بالمشفوق عليه أو منه.
· الإشفاق فيه معنى الرعاية والحرص، فهو خوف يدفع للعمل والعناية.

2. لماذا لا يكفي الخوف وحده؟

لأن الخوف وحده قد يكون:

- . خوفاً جامداً لا يحرك صاحبه للعمل.
 - . خوفاً قاسياً يخلو من الرقة والمحبة.
 - . خوفاً طبيعياً لا يستند إلى معرفة عميقة بالله.
- أما الإشفاق فهو:

- . خوف متحرك يدفع للعمل والإتقان.
- . خوف رقيق ممزوج بالمحبة والعناية.
- . خوف العارف الذي يعلم قدر من يخافه.

3. الجمع بينهما: لماذا؟

الخشية بلا إشفاق قد تكون جافة قاسية، والإشفاق بلا خشية قد يكون ضعيفاً هشاً. الجمع بينهما ينتج:

- . خوفاً عارفاً (يمنح الصلابة والقوة).
 - . خوفاً رقيقاً (إشفاق) (يمنح الحساسية والحيوية).
- قال ابن القيم رحمه الله: "الخوف المحمود: ما حال بين صاحبه وبين محارم الله". والإشفاق هو الذي يجعل هذا الخوف حارساً يقظاً على القلب والجوارح.

الامر الثاني

ثانياً: التطبيق العملي للجمع بين الخشية والإشفاق في حياتنا

1. في معاملاتنا اليومية مع الناس

الخشية تمنحني:

- . عدم الخوف من الناس، لأن خشية الله تطرد خشية المخلوقين.
- . الثبات على الحق ولو خالفت الناس.

الإشفاق يمنحني:

- . الرفق في المعاملة: أتعامل مع الناس برقة وحنان، لأن الإشفاق مصدره رقة القلب.
 - . العدل والإنصاف: أشفق على الناس فلا أظلمهم، وأشفق على نفسي فلا أكون سبباً في ظلمهم.
 - . العطاء والبذل: أشفق على المحتاجين فأعطيهم، وأشفق على نعمتي فلا أضيعها.
2. عند سماع أوامر الله

الخشية تجعلني:

- . أستشعر عظمة الأمر (الله) (فأستعد للامتثال).
- . أدرك أن الأمر ليس مجرد نص، بل تكليف من العظيم.

الإشفاق يجعلني:

- . أبادر بالتنفيذ: لا أؤجل الطاعة خوفاً من الفوات.
 - . أتقن العمل: أشفق من أن يكون عملي رديئاً فلا يقبل.
 - . أبحث عن السنة: أشفق من أن أعبد الله بغير ما شرع.
3. في تصرفاتي اليومية

الخشية:

- . تمنعني من المعصية في الخفاء، لأنني أستشعر رقابة الله.

الإشفاق:

- . يجعلني أتجنب الشبهات، لأنني أشفق على ديني أن ينقص.
- . يجعلني أحسن النية في كل عمل، حتى المباحات أنوي بها التقرب.
- . يجعلني أتفقد نواياي باستمرار، هل هي خالصة لوجهه؟

4. في الخلوات

هنا يتجلى أعلى درجات الإيمان:

الخشية في الخلوة:

- . أن تستحي من الله أن يراك حيث نهاك.
- . أن تعلم أن الله يراك، فتترك المعصية لا خوفاً من الناس بل خوفاً منه.

الإشفاق في الخلوة:

- . أن تخاف من عدم قبول العمل، فتجاهد نفسك على الإخلاص.
- . أن تراقب خواطرك وأفكارك، فتطرد ما يغيظه وتستحضر ما يرضيه.
- . أن تظن بعلمك السوء (التقصير) وتظن بالله الكرم والقبول.

الامر الثالث

الخشية والإشفاق كمحرك أساسي للأفعال والقرارات

كيف تصبح هاتان الصفتان محركاً يومياً؟

1. قبل أي عمل:

- . الخشية تذكرني بعظمة من سأعمل له.

• الإشفاق يدفعني لأبحث عن أفضل طريقة للعمل.

2. أثناء العمل:

• الخشية تمنعني من الغش أو التقصير.

• الإشفاق يجعلني أتقن العمل وأخلص النية.

3. بعد العمل:

• الخشية تجعلني أخاف من الرياء والعجب.

• الإشفاق يجعلني أدعو الله أن يتقبل عملي.

الامر الرابع

دور الخشية والإشفاق في بناء الشخصية المتكاملة

1. البناء النفسي

• الخشية تمنح الإنسان ثباتاً نفسياً، فلا يتزعزع بمدح الناس أو ذمهم.

• الإشفاق يمنحه حساسية مرهفة تجاه الخطأ، فلا يتمادى في الغفلة.

• المحصلة: شخصية متوازنة بين القوة والرقّة، بين الثبات والمراقبة.

2. البناء العقلي

• الخشية تدفع للتعلم والمعرفة، لأن الخشية الحقيقية لا تكون إلا بالعلم.

• الإشفاق يدفع للتدبر والتفكير، خوفاً من أن يقع في الخطأ.

• المحصلة: عقلية نافذة متعلمة، لا تقبل المعلومة بلا تمحيص.

3. البناء الاجتماعي

• الخشية تمنع الظلم والاعتداء على الآخرين.

• الإشفاق يدفع للعطف على الفقراء والمساكين.

• المحصلة: مجتمع متماسك، تقوم علاقاته على العدل والرحمة.

4. البناء الاقتصادي

• الخشية تمنع الكسب الحرام والربا والغش.

• الإشفاق يدفع للإنفاق في سبيل الله ومساعدة المحتاجين.

• المحصلة: اقتصاد أخلاقي، قائم على الإنتاج الحلال والتكافل الاجتماعي.

5. البناء السياسي

• الخشية تجعل الحاكم يخاف الله في رعيته، فلا يظلم ولا يستبد.

• الإشفاق يجعله رحيماً بشعبه، حريصاً على مصالحهم.

• المحصلة: دولة عادلة، تقوم على الشورى والعدل والرحمة.

6. البناء الثقافي

• الخشية تدفع للحفاظ على الهوية الإسلامية وعدم الذوبان في الثقافات الأخرى.

• الإشفاق يدفع للانفتاح الحضاري الواعي، خوفاً من الجمود والتخلف.

• المحصلة: ثقافة أصيلة متطورة، تجمع بين الثوابت والمتغيرات.

الامر الخامس

دور الآية في بناء المجتمع المتماسك والدولة المسلمة

1. المجتمع المتماسك

الآية تبني مجتمعاً تقوم علاقاته على:

• العدل: مصدره الخشية من الله.

• الرحمة: مصدرها الإشفاق والرقّة القلبية.

• الثقة المتبادلة: لأن الناس يخافون الله في معاملاتهم.

• التكافل: لأن الإشفاق يدفع لمساعدة الضعفاء.

2. الدولة المسلمة

الآية تقدم نموذجاً للدولة التي:

• يحكمها القانون الإلهي، لأن الحكام يخشون الله.

• يرفع فيها الضعفاء، لأن الأقوياء يشفقون عليهم.

• تزدهر فيها الأخلاق، لأن الخشية تمنع الفساد.

• يؤمن فيها الناس على أموالهم وأعراضهم.

الامر السادس

أهمية استشعار وجود الله وعلاقتها بالفاعلية الإيجابية

استشعار وجود الله يمنح:

1. الرقابة الذاتية: عندما تستشعر أن الله معك، تراقب نفسك حتى في غياب الناس.

2. الفاعلية الإيجابية: تشعر أنك تعمل لرب عظيم، فتبذل أقصى جهدك.

3. الاستمرارية: لا تتوقف عن العمل حتى مع غياب المكافأة المادية.

الفرق بين المجتمع المسلم والمجتمع الكافر

(المجتمع المسلم) بالخشية والإشفاق (المجتمع الكافر) بدونها)

يقوم على الرقابة الذاتية من الله يقوم على الرقابة الخارجية) القوانين والشرطة)
الناس أمناء في غياب الرقيب يحتاجون لرقيب دائم
التكافل والتراحم الفردية والصراع
الاقتصاد الأخلاقي الاقتصاد الجشع
الاستقرار النفسي والاجتماعي التوتر والقلق

الامر السابع

الدلالات اللغوية والبيانية والبلاغية والتجويدية
الدلالة اللغوية

- {إن الذين}: تفيد التوكيد والاهتمام بهذه الفئة.
- {هم}: ضمير الفصل يفيد الحصر والاختصاص.
- {مَنْ خَشِيَتْ}: "من" للتعليل أو ابتداء الغاية.
- {رَبَّهُمْ}: إضافة الخشية إلى "ربهم" فيها معنى التربية والرعاية.
- {مُشْفِقُونَ}: صيغة مبالغة تدل على الكثرة والثبوت.

2. الدلالة البيانية

- . التصوير بالحركة: الإشفاق يوحي بحركة القلب وانقباضه، وكأنه يتحرك خوفاً ورقة.
- . المقابلة: مقابل قوله في المنحرفين {بَلْ لَا يَشْعُرُونَ}، فهؤلاء {مُشْفِقُونَ} أي شديدو الشعور.
- 3. الدلالة البلاغية
- . التقديم والتأخير: قدم {مَنْ خَشِيَتْ} على {مُشْفِقُونَ} لأن الخشية هي السبب والإشفاق هو النتيجة.
- . الإيجاز: جمع في كلمة "مشفقون" معاني الخوف والرقّة والعناية والحرص.
- 4. الدلالة التجويدية

- . المد في {رَبَّهُمْ}: عند الوصل، المد الطبيعي يعطي إحساساً بامتداد معنى الربوبية.
- . الغنة في {مُشْفِقُونَ}: الغنة في الميم المشددة تعطي صوتاً فيه رقة تناسب معنى الإشفاق.
- . السكون والحركة: تتابع الحركات يعطي إيقاعاً متناغماً يعبر عن حالة الطمأنينة مع الخوف.

الامر الثامن

الخلاصة التطبيقية

كيف نعيش بهذه الآية؟

1. في الصباح: استحضر خشية الله قبل الخروج للعمل.
2. في العمل: أتقن عملك إشفاقاً من أن يكون رديئاً.
3. في المعاملات: عامل الناس برفق وعدل، خوفاً من الله وشفقة عليهم.
4. في المساء: حاسب نفسك، وخاف من عدم قبول عملك.
5. في الخلوة: استحضر وجود الله، وراقب خواطرك ونواياك.

الآية تريد أن تخرج إنساناً:

- . قوياً بخشيته لا يهاب الناس.
- . رقيقاً بإشفاقه لا يقسو على الخلق.
- . منتجاً بعمله لأنه يخاف من التقصير.
- . مخلصاً بنيته لأنه يخاف من الرياء.

المبحث الثالث

ان اللازم عليك عند قراءه القران ان تنظر إليه ك دستور حياه وليس مجرد نصوص تتلوها بحيث تجعل من الايه الواحدة نواة لنظام متكامل يصلح الفرد والمجتمع والدولة. ولهذا سأقدم لك رؤية متكاملة تبين كيف تقدم هذه الآية نظاماً للحياة، وكيف تساهم في التنمية والفاعلية الإيجابية. لتكون نموذجاً عملياً لقراءه آيات القران القراءه العميقه

الامر الاول

الآية كنظام متكامل للحياة

{إن الذين هم مَنْ خَشِيَتْ رَبَّهُمْ مُشْفِقُونَ}

هذه الآية القصيرة تحتوي على بذرة نظام كامل يغطي جميع مستويات الحياة:

1. مستوى العقيدة (المنطلق)
 - . الخشية تقوم على المعرفة بالله (ربهم). فبدون معرفة الله بأسمائه وصفاته، لا تكون خشية حقيقية.
 - . الإشفاق يقوم على مراقبة الله واستشعار وجوده في كل لحظة.
 - . هذه المعرفة والمراقبة هما أساس العقيدة الصحيحة، التي تنطلق منها كل التصرفات.
2. مستوى السلوك الفردي (البناء الداخلي)
 - . الخشية تمنع الفرد من المعصية في السر والعلن.
 - . الإشفاق يدفعه للإتقان والإحسان في كل عمل.
 - . المحصلة: إنسان متوازن نفسياً، لا يعرف التقلب بين طغيان النعمة ويأس المحنة.
3. مستوى المجتمع (العلاقات)

- الخشية من الله تجعل الفرد أميناً في تعاملاته، فلا يغش ولا يخون، حتى لو غاب القانون.
- الإشفاق يجعله رحيماً بالناس، عطوفاً على الضعفاء، حريصاً على مصلحة الجماعة.
- المحصلة: مجتمع متماسك، تقوم علاقاته على الثقة والعدل والتراحم.
- 4. مستوى الدولة (النظام العام)
 - الخشية تجعل الحاكم يخاف الله في رعيته، فلا يظلم ولا يستبد.
 - الإشفاق يجعله راعياً حريصاً على مصالح المحكومين.
 - المحصلة: دولة عادلة، تطبق القانون على الجميع، وترعى الضعفاء، وتحقق الأمن والاستقرار.
- 5. مستوى النظام الاقتصادي
 - الخشية تمنع الاقتصاد الجشع (الربا، الغش، الاحتكار، استغلال حاجة الناس).
 - الإشفاق يدفع للاقتصاد التكافلي (الزكاة، الصدقة، الوقف، القرض الحسن، مراعاة ظروف المدينين).
 - المحصلة: اقتصاد أخلاقي منتج، لا يقوم على الاستهلاك فقط، بل على التنمية المستدامة والتوزيع العادل.

الامر الثاني

كيف تساهم الآية في الفاعلية الإيجابية والتقدم والازدهار؟

1. إعادة تعريف النجاح والإنتاجية
 - في المجتمعات المادية، النجاح هو من جمع أكثر. في نظام هذه الآية:
 - النجاح هو أن تكون من الذين {مَنْ خَشِيَ رَبَّهُمْ مُشْفِقُونَ}.
 - الإنتاجية لا تقاس بكم الإنتاج فقط، بل بجودته وإتقانه، وبالنية التي تقف خلفه.
 - الازدهار ليس وفرة في المال فقط، بل أمن اجتماعي وسلام نفسي وعدالة يشعر بها الجميع.
2. تحويل الطاقة من الصراع إلى البناء
 - المجتمعات التي تفتقد الخشية والإشفاق تعيش في صراع دائم:
 - صراع طبقي بين الأغنياء والفقراء.
 - صراع سياسي على السلطة والمناصب.
 - صراع أخلاقي بين القيم والمصالح.
 - أما مجتمع الخشية والإشفاق، فتتحول طاقته إلى بناء وعمران:
 - لأن الخشية تمنع العدوان على الآخرين.
 - والإشفاق يدفع للتعاون والتكافل.
 - فبدلاً من أن يحارب الناس بعضهم، يتعاونون على عمارة الأرض.
3. خلق دافع داخلي للإتقان
 - العامل الذي يخشى الله يتقن عمله، حتى لو لم يراقبه مدير.
 - التاجر الذي يشفق على الناس لا يغشهم، حتى لو كان الغش مربحاً.
 - المسؤول الذي يخاف الله لا يسرق المال العام، حتى لو كان الرقابة ضعيفة.
 - هذه الفاعلية الإيجابية لا تحتاج إلى رقيب خارجي، لأن الرقيب داخلي (الخشية والإشفاق).

الامر الثالث

دور الآية في إخراج الإنسان من دائرة الأنانية

1. توسيع دائرة الاهتمام
 - الإنسان الطبيعي أناني، يهتم بنفسه وأهله فقط. لكن هذه الآية توسع دائرة اهتمامه تدريجياً:
 - الخشية تجعله يهتم برضا الله، فيتجاوز رغباته الشخصية.
 - الإشفاق يجعله يهتم بالآخرين، لأن الإشفاق هو شعور بالمسؤولية تجاه الغير.
 - النتيجة: إنسان كوني، يهتم بمجتمعه وأمته، بل بالبشرية كلها، لأنه يعلم أن الله سيسأله عن تقصيره في حق الآخرين.
2. الشعور بالمسؤولية عن سلامة المجتمع
 - من يخشى الله ويراقبه، يشعر أن المجتمع أمانة في عنقه:
 - لا يسكت عن منكر يرتكب أمامه.
 - لا يبخل بعلمه أو ماله عن المحتاجين.
 - يشارك في المبادرات المجتمعية.
 - يحافظ على الممتلكات العامة لأنها حق للجميع.
3. المساهمة في البناء والعمار
 - القرآن جعل عمارة الأرض مهمة الإنسان (استخلافاً). والخشية والإشفاق هما المحرك الأساسي لهذه المهمة:

- الخشية تمنع التخريب والفساد في الأرض.
- الإشفاق يدفع للإصلاح والبناء.
- فالمؤمن لا يرضى أن يرى أرضاً مهملة أو مجتمعاً متخلفاً، بل يساهم في نهضته.

الامر الرابع

كيف يثمر الإشفاق رعاية وحذراً يساعد في التنمية البشرية؟

1. الإشفاق ينتج رعاية
الرعاية هي أساس التنمية البشرية:
 - رعاية الذات: الإشفاق يجعلك ترعى صحتك ووقتك وعقلك، لأنها نعم ستسأل عنها.
 - رعاية الأسرة: الإشفاق يجعلك حريصاً على تربية أبنائك وتعليمهم.
 - رعاية المجتمع: الإشفاق يجعلك تهتم بالفقراء والمرضى والمهمشين.
 - رعاية البيئة: الإشفاق يجعلك تحافظ على الموارد الطبيعية للأجيال القادمة.
2. الإشفاق ينتج حذراً
الحذر هنا ليس خوفاً سلبياً، بل يقظة إيجابية:
 - حذر من المعاصي: فلا تقع في ما يفضب الله.
 - حذر من الفساد: فلا تساهم في إفساد المجتمع.
 - حذر من التقصير: فلا تهمل واجباتك.
 - حذر من الرياء: فلا تفسد عملك بالعجب وحب الظهور.
3. كيف يساعد هذا في التنمية البشرية؟
 - الرعاية تنتج الاستثمار في الإنسان (تعليم، صحة، تأهيل).
 - الحذر ينتج الجودة والإتقان (لا تقصير، لا فساد، لا غش).
 - المحصلة: مجتمع منتج متطور، أفراده متقنون لعملهم، حريصون على مصلحة الجماعة.

الامر الخامس

الفرق بين المجتمع المسلم والمجتمع الكافر (بناء على هذه الآية)
المجتمع المسلم (بالخشية والإشفاق) المجتمع الكافر (بدونها)
الرقابة الذاتية: الناس يخافون الله في السر والعلن. الرقابة الخارجية: لا يردع الناس إلا القانون و الشرطة.
الثقة: عالية، لأن الغش والخيانة قليلان. انعدام الثقة: يحتاجون لعقود وضمانات وتوثيق لكل شيء.
التكافل: الأغنياء يشفقون على الفقراء فيعطونهم. الصراع الطبقي: كل يريد أن يأخذ حقه بالقوة.
الاستقرار: نفسي واجتماعي. القلق: دائم، حتى الأغنياء خائفون على أموالهم.
الازدهار: شامل (مادي ومعنوي). الازدهار: مادي فقط، وقد يكون على حساب القيم.
العدالة: يشعر بها الجميع. العدالة: شكلية، وقد يفلت الأقوياء.

الامر السادس

الآية والتنمية البشرية المستدامة
التنمية البشرية الحقيقية هي التي تبني الإنسان الكامل:

1. جسدياً: بصحته وعافيته (الإشفاق يدفع للاهتمام بالصحة).
2. عقلياً: بعلمه وفكره (الخشية تدفع للتعلم، لأنها لا تكون إلا بالعلم).
3. نفسياً: باستقراره وسلامته (الخشية تمنع القلق على الرزق، والإشفاق يمنع الحقد والحسد).
4. اجتماعياً: بعلاقاته مع الآخرين (الإشفاق يقوي الروابط).
5. روحياً: بعلاقته مع الله (الخشية تغذي الروح).

هذه الآية تقدم نموذجاً للتنمية لا يعرفه الغرب:

- التنمية الغربية: تركز على المادة، دخل الفرد).
- التنمية في هذه الآية: تركز على القيم التي تنتج المادة وتضبطها.
- الفرق: التنمية الغربية قد تنتج أخلاقاً منحطة مع تقدم مادي. أما تنمية هذه الآية فتنتج تقدماً مادياً بأخلاق عالية.

الامر السابع

خلاصة - كيف نعيش بهذه الآية؟

1. كفرد: اجعل الخشية رقيبك الداخلي، والإشفاق دافعك للعمل والإتقان.
2. كأسرة: ربّ أبنائك على الخشية من الله والإشفاق على الناس.
3. كمجتمع: عزز قيم الرقابة الذاتية والتكافل بدلاً من الأنانية والصراع.
4. كدولة: ابن نظامك على مبادئ العدل والرحمة المستمدة من الخشية والإشفاق.
5. كأمة: اجعل من هذه القيم أساساً لنهضتك وتقدمك، وليس مجرد شعارات.

الآية تقدم لنا "نظام تشغيل" للحياة:

- المعالج (القلب) يعمل بـ الخشية.
- البرامج (السلوكيات) تعمل بـ الإشفاق.
- الناتج (الحياة) هو الازدهار والسلام.

المبحث الرابع

ان ثمرة الإيمان وغاياته الكبرى: الوصول إلى التوازن النفسي والروحي الذي يقى الإنسان من الانحراف ويجعله يعيش في الدنيا كأنه يرى الآخرة. الآية 57 من سورة المؤمنون هي بوابة الدخول

إلى هذا التوازن العظيم. كما يتضح من خلال الآتي

الامر الاول

أهمية ألا يأمن المؤمن مكر الله - لماذا؟
قال تعالى: {أَقَامُوا مَكَرَ اللَّهِ قُلًا يَأْمَنُ مَكَرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ} [الأعراف: 99].
• الأمان من مكر الله هو أن يعيش الإنسان واثقاً بنفسه، معتمداً على عمله، غافلاً " عن فضل الله ومغفرته، أو أن يرى النعم فتدله على رضا الله عنه وهو مقيم على معصيته. هذا هو عين الغرور الذي حذرت منه الآيات السابقة .
• الآية 57 تأتي لترسم الطريق المقابل: الذين هم من خشية ربهم مشفقون، أي مع إحسانهم وإيمانهم، هم خائفون وجلون من أن يَخْتَمَ لهم بسوء، أو أن يُرد عملهم، أو أن يكونوا ممن استدرجوا بالنعم . هذا هو اليقظة الدائمة التي تمنع الوقوع في مكر الله.

الامر الثاني

معنى الخوف والرجاء ودورهما في التوازن النفسي
الخوف:

• تعريفه: هو انزعاج القلب وتألمه من توقع حصول مكروه (عقاب الله، فوات الثواب، سوء الخاتمة)
• دوره: هو الزاجر الذي يمنع الإنسان من المعصية، ويحمله على الاحتراز. إنه السوط الذي يسوق النفس إلى الطاعة ويكفها عن الشهوات. قال تعالى: {قُلَّا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران: 175].
الرجاء:

• تعريفه: هو طمع القلب في فضل الله ورحمته ومغفرته، وتطلع النفس إلى ثوابه وجنته .
• دوره: هو الجاذب الذي يحمل الإنسان على العمل والاستمرار في الطاعة، ويدفعه للتوبة والإنابة. قال تعالى: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا} [الكهف: 110].
لماذا التوازن بينهما ضروري؟
شبه الإمام ابن القيم رحمه الله القلب في سيره إلى الله بالطائر:
• المحبة هي رأسه.
• الخوف والرجاء هما جناحاه .
فإذا فقد الطائر أحد جناحيه، لم يعد قادراً على التحليق، بل يصبح نهبا لكل صائد أو كاسر .
تطبيق ذلك على النفس:
الخوف بلا رجاء الرجاء بلا خوف الخوف والرجاء معا
يأس وقنوط، قد يترك العمل ويظن أن رحمة الله بعيدة. أمن وغرور، قد يتمادي في المعصية متكلا على الرحمة. توازن وثبات، يدفعه الخوف لترك المعصية، ويدفعه الرجاء للعمل والتوبة .

الامر الثالث

الآية 57 - تجسيد التوازن بين الخوف والرجاء
الدلالات البيانية والبلاغية التي تخدم هذا المفهوم:
1. تقديم الخشية على الإشفاق (البلاغة):
• قال تعالى: {مَنْ خَشِيَ اللَّهَ جَعَلْنا لَهُ مَخْرَجًا} [البقرة: 217].
• {مَنْ} هنا للتعليل، أي إشفاقهم سببه خشيتهم . هذا يبني قاعدة مهمة: الإشفاق (وهو نوع من الخوف الممزوج برقة) لا يأتي من فراغ، بل من علم ومعرفة (الخشية) بالله وأسمائه وصفاته.
قال تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [فاطر: 28]. إذا، العلم يثمر الخشية، والخشية تثمر الإشفاق.
2. الفرق بين الخشية والإشفاق (البيان):
• الخشية: خوف خاص بالعارفين، يوجب الهرب من عذاب الله إلى رحمته .
• الإشفاق: هو الخوف نفسه لكن مع رقة قلب وعناية وحرص . قال الرازي: "الإشفاق يتضمن الخشية مع زيادة رقة وضعف".
• اللمسة البيانية: الجمع بينهما يؤكد كمال الخوف في قلوبهم، وأنه ليس مجرد خوف جامد، بل خوف منتج يحرك المشاعر ويبعث على الرقة والاحتياط .
3. اختيار صيغة {مُشْفِقُونَ} (البلاغة):
• صيغة المبالغة (مفعولون) تدل على ثبات وكثرة هذا الخوف في قلوبهم، ليس خوفاً عابراً، بل هو سجية وصفة ملازمة لهم.
الدلالات التجويدية التي تخدم المعنى:
• الإخفاء في {مَنْ خَشِيَ}: عند قراءة {مَنْ خَشِيَ}، يتم إخفاء نون "من" الساكنة عند ملاقاتها حرف الخاء (الخاء حرف من حروف الإخفاء). الإخفاء يعطي نغمة وسطية بين الإظهار والإدغام. هذا الصوت الوسطي يرمز إلى وسطية واعتدال حال هؤلاء المؤمنين، بين الخوف والرجاء.
• تفخيم الراء في {رَبِّهِمْ}: الراء المفخمة في لفظ الجلالة تعطي إحساساً بالعظمة والجلال، مما يثير

في القلب الخشبية.
· الغنة في {مُشْفِقُونَ}: الغنة (صوت الميم المشددة) هي صوت رقيق يخرج من الخيشوم. هذا الرقة الصوتية تجسد معنى الإشفاق، ذلك الخوف الممزوج برقة القلب وعنايته.
· المد في {مُشْفِقُونَ}: المد العارض للسكون عند الوقف على الكلمة يترك في النفس أثراً لامتداد هذا الخوف واستمراره في قلوبهم.

الامر الرابع

دور هذا التوازن في بناء الشخصية المسلمة القوية
1. الشخصية المتزنة نفسياً:
· لا يصيبه اليأس لأنه يرجو رحمة الله.
· ولا يصيبه الغرور لأنه يخاف عذاب الله.
· فهو يعيش في الدنيا بين الخوف والرجاء، كمسافر يخاف الطريق لكنه يرجو الوصول.
2. الشخصية المنتجة عملياً:
· الخوف يمنعه من التقصير، فيتقن العمل.
· الرجاء يدفعه للمبادرة، فيسارع في الخيرات .
3. الشخصية الصامدة في الشدائد:
· إذا أصابته مصيبة، لم ييأس، بل رجا الفرج من الله.
· إذا أذنب، لم يتماد، بل خاف عقاب الله فبادر بالتوبة.
4. الشخصية المتواضعة:
· لا يرى لنفسه فضلاً على غيره، فهو خائف وجل من أن يكون عمله غير مقبول، كما وصف الله المؤمنين: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ} [المؤمنون: 60] .

الخلاصة

الآية 57 ترسم المنهج النفسي والروحي للمؤمن:
· انطلاقاً من العلم والمعرفة (الخشية).
· يصل إلى خوف ممزوج برقة وعناية (الإشفاق).
· هذا الخوف لا يصل به إلى اليأس، بل يقتزن بالعمل الصالح، ويدفعه للرجاء في قبول هذا العمل.
· فيتحقق له التوازن الذي يقي من الانحراف إلى الغرور أو القنوط.
· إنه النموذج القرآني للصحة النفسية والروحية: أن تعبد الله بين الخوف والرجاء، لا أمناً ولا يأساً، كما كان الأنبياء عليهم السلام: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} [الأنبياء: 90] .

ثالثاً

ينتقل بنا سياق إلى الصفة الثانية من صفات عباد الرحمن، وهي صفة الإيمان بآيات الله، وكيف يكون هذا الإيمان راسخاً في القلب، منطلقاً للعمل، ومصححاً للمسار. الآية 58 هي الامتداد الطبيعي للخشية والإشفاق، فهي تضع المحتوى العلمي والمعرفي الذي يغذي تلك المشاعر ويوجهها. سأقدم لك تحليلاً شاملاً للآية يربط التفسير بالدلالات اللغوية والبلاغية والتجويدية، مع بيان كيف تبني هذه الآية منهجاً عملياً للحياة.

تفسير الآية: {وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ}

الامر الاول : المعنى الإجمالي

بعد أن وصف الله المؤمنين بالخشية والإشفاق (الآية 57)، يصفهم هنا بالإيمان الراسخ بآياته. والآيات تشمل نوعين:

1. الآيات الكونية: وهي المخلوقات والدلائل في الكون التي تدل على قدرة الله ووحدانيته وحكمته. قال تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ} [آل عمران: 190] .

2. الآيات الشرعية: وهي ما أنزله الله من كتب وشرائع، وفي مقدمتها القرآن الكريم، وما فيه من آيات بينات، وحجج واضحة، وأوامر ونواهي .

فالمؤمنون يصدقون بهذه الآيات جميعاً، ويؤمنون إيماناً راسخاً لا شك فيه، ويعملون بمقتضاها .

الامر الثاني: تفسير الآية بالتفصيل

1. {وَالَّذِينَ هُمْ} : العطف على الآية السابقة: عطفت هذه الصفة على التي قبلها، لتؤكد أن المؤمنين الكاملين هم من يجمعون بين الخوف (الإشفاق) والإيمان بالآيات. لا يكفي الخوف وحده بلا علم، ولا العلم وحده بلا خشية. الإيمان يغذي الخشية، والخشية تدفع للإيمان .

2. {بِآيَاتِ رَبِّهِمْ}

· إضافة الآيات إلى الرب {رَبِّهِمْ}: فيها دلالة على أن هذه الآيات صادرة عن ربهم وخالقهم ومتولي أمورهم. فهي ليست مجرد نصوص أو مخلوقات عابثة، بل هي رسائل من الرب إلى عباده لهدايتهم ورعايتهم.

• "بآيات":

• الآيات الكونية: هي الدلائل المشاهدة في الأنفس والآفاق، كالشمس والقمر، والليل والنهار، و المطر والنبات، وفطرة الإنسان نفسه. الإيمان بها يعني التفكير فيها والاعتبار، والاهتمام بها إلى معرفة الخالق .

• الآيات الشرعية: هي الوحي المنزل، وآيات القرآن المتلوة، والأحكام والشرائع. الإيمان بها يعني التصديق بأنها من عند الله، والعمل بها، والانقياد لأوامرها .

3. {يُؤْمِنُونَ}

• الفعل المضارع {يُؤْمِنُونَ}: يدل على التجدد والاستمرار. ليس إيماناً في الماضي فقط، بل هو حالة متجددة كلما تليت عليهم آية ازدادوا بها إيماناً، وكلما تفكروا في آية كونية ازدادوا بها يقيناً. قال السعدي: "إذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً، ويتفكرون أيضاً في الآيات القرآنية ويتدبرونها".

المفهوم الأول

كيف ترشدنا الآية لترسيخ الإيمان والعمل بالقرآن؟
الآية تقدم منهجاً عملياً متكاملًا لترسيخ الإيمان وجعله دافعاً يومياً:

1. التفاعل مع الآيات الكونية (التفكير)

ترسيخ الإيمان: حين يتأمل المؤمن في خلق السماوات والأرض، وفي دقة نظام الكون، وفي تعاقب الليل والنهار، يزداد يقيناً بأن لهذا الكون خالقاً عظيماً حكيمًا. هذا التفكير ليس ترفاً فكرياً، بل هو عبادة قرآنية .

• التطبيق العملي: أن تمضي وقتاً يومياً تتأمل فيه مخلوقات الله، وتقرأ آياته الكونية بعين البصيرة، فتزداد إيماناً.

2. التفاعل مع الآيات الشرعية (التدبر)

• ترسيخ الإيمان: حين يتدبر المؤمن آيات القرآن، ويرى اتساقها وعدم اختلافها، ويرى ما تدعو إليه من معرفة الله وأسمائه وصفاته، ومن الوعد والوعيد، يزداد إيماناً وتصديقاً .
• التطبيق العملي: أن تجعل لك ورداً يومياً من تلاوة القرآن مع التدبر، تسأل نفسك: ماذا تريد هذه الآية مني؟ وكيف أعمل بها؟

3. مراقبة الآيات في الحياة اليومية

• تصحيح المسار العملي: الإيمان بالآيات يعني الالتزام بحدود الله. فمن يؤمن بأن القرآن كلام الله، وأن أوامره هي الحق، يلتزم بها في كل شأنه. قال ابن كثير: "ما شرعه الله فهو إن كان أمراً فمما يحبه ويرضاه، وإن كان نهياً فهو مما يكرهه ويأباه، وإن كان خيراً فهو حق".
• التطبيق العملي: عندما تواجه فتنة أو شهوة، تذكر آيات الله التي تنهى عنها، فيحجزك الإيمان ويصحح مسارك.

4. الإيمان كدافع يومي وليس شعاراً

• الآية تصف حالة "يؤمنون" بالمضارع، أي أن الإيمان عندهم عمل يومي متجدد، وليس مجرد شعار يرفع أو عقدة في القلب بلا أثر.
• التطبيق العملي: اجعل إيمانك محركاً لقراراتك اليومية: في عملك، في تعاملك، في إنفاقك، في غضبك. كل موقف هو اختبار لإيمانك.

المفهوم الثاني

كيف يثمر هذا اليقين زيادة الإيمان وتصحيح المسار؟

الآيات القرآنية والكونية هي مصادر اليقين:

• اليقين بالله: التفكير في الآيات يزيد معرفتك بالله (العلم). والمعرفة تنمى الخشية (كما في الآية السابقة). والخشية تنمى العمل الصالح.

• اليقين بالجزاء: الإيمان بالآيات التي تتحدث عن اليوم الآخر تجعلك تخاف من لقاء الله، فتحرص على تصحيح مسارك والبعد عن الفتن.

• اليقين بالحق: الإيمان بآيات الله يجعلك تميز بين الحق والباطل، فلا تنخدع بمظاهر الدنيا الخادعة.

الأمر الثالث اللامسات البيانية والبلاغية في الآية

1. تقديم الجار والمجرور {بآيات رَبِّهِمْ} على الفعل {يُؤْمِنُونَ}

هذا التقديم يفيد الاختصاص والحصر، وكأن المعنى: بآيات ربهم وحدها يؤمنون، لا بغيرها من خرافات أو أوهام. كما أن فيه الاهتمام والعناية بالآيات نفسها، فقدمت لكي تلفت انتباه السامع إلى أهميتها .

2. تعريف "الآيات" بالإضافة إلى "ربهم"

إضافة الآيات إلى "ربهم" فيها دلالة على:

• التشريف والتكريم: هذه الآيات صادرة عن مربيهم وخالقهم.

• التربية: أن هذه الآيات هي وسيلة التربية الإلهية لعباده، يربيههم بها ويزكّيهم.

3. اختيار صيغة الجمع {آيات}

جمع "آية" يدل على الشمول والتنوع، فأيات الله لا تحصى، كونية وشرعية، في الأنفس والآفاق، كلها تدعو إلى الإيمان.

4. الفعل المضارع {يُؤْمِنُونَ} للدلالة على التجدد كما ذكرنا، هذا أجمل لمسة بلاغية في الآية، حيث ترسم صورة متحركة للإيمان المستمر المتجدد، وليس صورة ثابتة جامدة.

الأمر الرابع أحكام التجويد وحركات الحروف التي تخدم المعنى {بآيات}

• المد في كلمه (آيات): عند كلمة {بآيات} نجد مداً متصلًا (حرف الأتي بعد همزة). هذا المد يزيد الصوت امتداداً، وكأنه يرسم اتساع وعظمة آيات الله التي لا حدود لها. كلما مددت الصوت، استشعرت عظمة ما تتلو.

• تفخيم الراء في {رَبَّهُمْ}: تأتي بعدها مباشرة، تفخيم الراء يعطي جلالاً وهيبه، وكأن الصوت يقرن عظمة الآيات بعظمة الرب.

{يُؤْمِنُونَ} 2.

• حركة الضم في الياء {يُؤْمِنُونَ}: الضمة تدل على الرفع والعلو، إشارة إلى علو شأن المؤمنين وارتقاء درجاتهم بسبب إيمانهم.

الأمر الخامس الدعوة العملية - كيف نجعل الإيمان دافعاً يومياً؟

1. اجعل لك ورداً يومياً من القرآن مع التدبر: لا تكن ممن يقرأ القرآن كالعادة، بل اقرأه وأنت تبحث عن الهداية.

2. اجعل لك ورداً يومياً من التفكير: تأمل في خلق الله، وفي نعمه عليك، وفي آلاءه التي لا تعد.

3. عند سماع آية أو رؤية آية كونية، اسأل نفسك: ما الذي تريده هذه الآية مني؟ هل هي دعوة لشكر؟ أم تخويف من معصية؟ أم تحفيز لطاعة؟

4. راقب إيمانك: هل يزداد عند سماع الآيات أم يظل كما هو؟ إن كان لا يزداد، فاعلم أن في قلبك خللاً. الخلاصة الذهبية

الآية 58 ترسم الهوية الإيمانية للمؤمن الصادق:

• إيمان بالآيات الكونية: يدفعه للتفكير والاعتبار.

• إيمان بالآيات الشرعية: يدفعه للعمل والالتزام.

• إيمان متجدد: يزداد كلما تليت عليه آية، وكلما تدبر وتفكر.

• إيمان مصحح للمسار: يحجزه عن الفتن، ويلتزم بحدود الله.

هذا الإيمان ليس مجرد شعار، بل هو برنامج حياة يبني إنساناً قوياً، ومجتمعاً متماسكاً، وأمة راقية.

اللهم اجعلنا من الذين يؤمنون بآياتك، وارزقنا تدبرها والعمل بها.

المبحث الثاني

بهذا الفقره سوف ننتقل الى جوهر الإيمان وعلاقته بالكون والكتاب، وكيف يكون الإيمان حقيقة عملية لا مجرد نظرية. من التعمق في ربط العلاقة بين آيات الله المرئية (الكونية) والمسموعة (القرآنية)، وكذلك الربط بين الإيمان بآيات الله وزوجره ونواحيه وبين التوكل والاستعانة بالله ووصو لا إلى قمة العبودية المتجسدة في {إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ تَسْتَعِينُ}. فهذا هو قلب الرسالة الإسلامية. والدلالات التي تتحدث عنها الآية (والذين هم بآيات ربهم يؤمنون) كما يتضح من الآتي

المفهوم الاول

العلاقة بين الإيمان بآيات الله المرئية (الكونية) وآيات القرآن (الشرعية)

الآية 58 من سورة المؤمنون {وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ} تشمل النوعين معاً، والعلاقة بينهما علاقة تكامل وتوافق:

1. آيات الله الكونية (المرئية)

طبيعتها: آيات مشاهدة في الأنفس والآفاق، في خلق السماوات والأرض، في تعاقب الليل والنهار، في خلق الإنسان، في المطر والنبات.

• وظيفتها: تدعو إلى التفكير والاعتبار، وتقود العقل إلى الإيمان بوجود الخالق وقدرته وحكمته. قال تعالى: {سَتَرْنَاهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ} [فصلت: 53].

• دورها: هي الدعوة الأولى للعقل السليم، وهي متاحة لكل إنسان في كل زمان ومكان.

2. آيات الله الشرعية (القرآنية)

طبيعتها: آيات متلوة في الكتاب المنزل، فيها الأمر والنهي، الوعد والوعيد، القصص والأحكام.

• وظيفتها: تدعو إلى التصديق والعمل، وتفصل ما أجملته الفطرة، وتبين طريق العبادة والقرب من الله.

• دورها: هي الهداية التفصيلية التي تبين للإنسان كيف يعبد ربه، وكيف يسير في الحياة وفق مراده.

3. العلاقة بينهما

• التوافق والتطابق: لا تعارض بين آيات الكون وآيات القرآن، فكلاهما من عند الله. الكون يقرأ

بمنظار العلم والعقل، والقرآن يُقرأ بمنظار الوحي والتدبر، وكلاهما يشهد للآخر.
 . التكامل: آيات الكون تثبت وجود الخالق وقدرته، وآيات القرآن تبين مراده وشرعه. الأولى توظف الفطرة، والثانية ترشدها.
 . الغاية المشتركة: كلاهما يدعو إلى الإيمان بالله والعمل الصالح.

المفهوم الثاني

الفرق بين التصديق النظري والتصديق الحقيقي
 1. التصديق النظري (إيمان القول والعقل)
 . هو مجرد الإقرار بالشئ من حيث الجملة، دون أن يترك أثراً في السلوك.
 . مثاله: إيمان بعض المشركين بوجود الله الخالق، كما قال تعالى: {وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ} [لقمان: 25]. لكن هذا الإيمان لم يمنعهم من الشرك، ولم يغير من سلوكهم شيئاً.
 . نتيجته: لا يثمر خشية ولا عمل. صاحبه كمن يعلم أن الدواء نافع لكنه لا يتناوله.
 2. التصديق الحقيقي (إيمان القلب والعمل)
 . هو أن يصدق القلب تصديقاً جازماً يثمر الانقياد العملي والالتزام بما جاءت به الآيات.
 . هو الإيمان الذي يحرك الجوارح، ويمنع المعصية، ويدفع للطاعة.
 . نتيجته: يثمر الخشية والإشفاق (الآية 57)، والعمل الصالح، والتوكل على الله.
 3. كيف نفرق بينهما في ضوء الآية؟
 الآية 58 وصفت المؤمنين بأنهم {بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يَتَذَكَّرُونَ} بالفعل المضارع الذي يدل على التجدد والاستمرار. هذا يعني أن إيمانهم:
 . ليس حدثاً ماضياً (آمنوا ثم انتهي).
 . ليس مجرد عقدة في القلب بلا أثر.
 . بل هو حالة متجددة كلما تليت عليهم آية ازدادوا بها إيماناً، وكلما تفكروا في آية كونية ازدادوا بها يقيناً، وهذا اليقين يدفعهم للعمل.

المفهوم الثالث

نموذج مريم عليها السلام {وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا} لماذا اختار الله هذا الوصف لمريم؟
 قال تعالى في سورة التحريم: {وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أُخْصِنَتْ فَرْجَهَا فَتَقَحَّضْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا} [التحريم: 12].
 تحليل الوصف:
 1. {صَدَقَتْ} اختيار فعل "صدقت" دون "آمنت" فيه دقة بالغة:
 . "صدقت" تفيد التصديق العملي الذي يوافق القول بالفعل. مريم لم تؤمن فقط، بل صدقت بما جاءها من الله، فأنقادت لأمره لما جاءها جبريل عليه السلام، وتحملت أعباء الحمل والولادة والمعجزة الخارقة للعادة.
 . التصديق أعلى من الإيمان المجرد، لأنه يتضمن التسليم والانقياد.
 2. {بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا}:
 . "كلمات ربها" تشمل الشرائع والأوامر الإلهية، وتشمل أيضاً الكلمات الكونية (كن فيكون) التي نفخ بها جبريل فيها.
 . "وكُتِبَ" تشمل الكتب المنزلة على الأنبياء، وكانت مريم مؤمنة بالتوراة وبما سبقها من كتب.

الدرس المستفاد:

مريم نموذج للمصدقة التي:
 . صدقت بما لم تره (الوحي والملائكة).
 . صدقت بما سمعته (كلمات الله).
 . صدقت بما حملته من أمانة عظيمة.
 . وكانت من القانتين (المطيعين الخاضعين).
المفهوم الرابع: العلاقة بين التصديق وبين {إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ تَسْتَعِينُ}
 1 معنى الآية الكريمة
 . {إِيَّاكَ تَعْبُدُ}: أي نخصك وحدك بالعبادة، من توحيد وخضوع وخشوع وإخلاص.
 . {وَأِيَّاكَ تَسْتَعِينُ}: أي نطلب العون والتوفيق منك وحدك في أداء هذه العبادة وفي كل شؤوننا.
 2. لماذا لا تكفي العبادة وحدها ولا الاستعانة وحدها؟
 أ. العبادة بلا استعانة:
 . العبادة وحدها قد تؤدي إلى العجب والغرور، حيث يظن الإنسان أنه بقوته وقدرته يقوم بالطاعة.
 . قد تؤدي إلى اليأس عندما يواجه صعوبات في العبادة، لأنه اعتمد على نفسه لا على الله.
 . هي كمن يريد السفر لكنه لا يطلب دليلاً ولا وسيلة.
 ب. الاستعانة بلا عبادة:
 . الاستعانة وحدها قد تكون دعوى كاذبة، لأن من يستعين بالله لا بد أن يطيعه.

• قد تؤدي إلى الاتكال السلبي (التواكل) وترك العمل، ظناً أن الله سيفعل كل شيء دون جهد من العبد.

3. التكامل بينهما:

- العبادة هي الغاية التي خلقنا من أجلها.
- الاستعانة هي الوسيلة التي نؤدي بها هذه الغاية.
- لا غنى لأحدهما عن الآخر. فالمؤمن يعبد الله ويخلص له، وفي نفس الوقت يستعين به على أداء هذه العبادة والتوفيق فيها.
- قال ابن القيم رحمه الله: "فـ {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} تبرؤ من الشرك، و{إِيَّاكَ تَسْتَعِينُ} تبرؤ من الحول والقوة، والتفويض إلى الله".

المفهوم الخامس: كيف يرتبط هذا كله بالإيمان بآيات الله؟

1. الإيمان بآيات الله يثمر العبادة
- عندما تؤمن بأن القرآن كلام الله، وأن آياته هي أوامره ونواهيه، لا بد أن تترجم هذا الإيمان إلى عبادة والتزام.
- هذا هو التصديق الحقيقي الذي يثمر {إِيَّاكَ نَعْبُدُ}.
2. الإيمان بآيات الله يثمر الاستعانة
- عندما تؤمن بأن الله هو الخالق المدبر، وأن كل شيء بيده، وأن آياته الكونية تشهد بقدرته، عندها تطلب العون منه وحده.
- هذا هو التوكل الذي يثمر {وإِيَّاكَ تَسْتَعِينُ}.
3. التصديق الحقيقي يجمع بينهما
- المؤمن الذي {يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ} إيماناً حقيقياً:
- يصدق بآيات القرآن، فيعبد الله بمقتضاها.
- يصدق بآيات الكون، فيستعين بالله خالقها.

المفهوم السادس

الخلاصة في علاقة كل هذه المفاهيم

المفهوم علاقته بالإيمان

- آيات الله الكونية تثبت وجود الله وقدرته، وتدعو للتفكير.
- آيات الله القرآنية تبين مراد الله وشرعه، وتدعو للتصديق والعمل.
- التصديق النظري إقرار باللسان أو العقل بلا أثر عملي.
- التصديق الحقيقي تصديق القلب الذي يثمر الانقياد والعمل (كنموذج مريم).
- {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} ثمرة التصديق بآيات الله الشرعية.
- {وإِيَّاكَ تَسْتَعِينُ} ثمرة التصديق بآيات الله الكونية (قدرته وتدبيره).
- الجمع بينهما هو كمال الإيمان، فلا عبادة بلا استعانة (عجب)، ولا استعانة بلا عبادة (تواكل).

الخاتمة

الآية 58 من سورة المؤمنون تضع اللبنة الثانية في بناء الإيمان:

• الأولى: الخشية والإشفاق (الآية 57) - حركة القلب.

• الثانية: الإيمان بآيات الله (الآية 58) - غذاء العقل والروح.

وهذا الإيمان بالآيات هو الذي يقود إلى:

• التصديق الحقيقي على طريقة مريم عليها السلام.

• العبادة الخالصة (إياك نعبد).

• الاستعانة الدائمة (إياك نستعين).

فيكتمل بذلك بناء الإنسان المؤمن الذي يعيش لله، وبه، ومع الله.

المبحث الثالث

، ان ما يلفت الانتباه عند التأمل الدقيق للآية الكريمة هو أنه يصف فيها المؤمنون بانهم بآيات ربهم يؤمنون وهو ما يدعونا إلى التساؤل هل الإيمان يزيد وينقص. فهذا السؤال يكشف عن علاقة عضوية بين تلاوة القرآن بالتدبر وزيادة الإيمان، وبين التأمل في الكون ورسوخ اليقين. ولهذا سأقدم لك شرحاً مفصلاً لهذه المفاهيم مستنداً إلى الآية 58 من سورة المؤمنون وما يحيط بها من دلالة تـمـن خلال الآتي

المفهوم الاول : هل الإيمان يزيد وينقص؟ (مفهوم زيادة الإيمان ونقصانه)

1. معنى زيادة الإيمان ونقصانه عند أهل السنة
- الإيمان عند أهل السنة والجماعة هو:
- قول باللسان (النطق بالشهادة).
- وتصديق بالقلب (اليقين الجازم).
- وعمل بالجوارح (الطاعات وترك المعاصي).
- وبناءً على هذا التعريف، فإن الإيمان يزيد بزيادة الأعمال الصالحة، وينقص بنقصها أو بالوقوع في

المعاصي. قال تعالى: {لِيَزِدَّاؤُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ} [الفتح: 4]، وقال: {وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا} [المدثر: 31].

2. كيف تفهم الآية 58 هذا المفهوم؟
الآية 58 تصف المؤمنين بأنهم {بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ} بصيغة الفعل المضارع {يُؤْمِنُونَ}، وهذا الفعل المضارع يدل على التجدد والاستمرار. أي أن إيمانهم ليس حدثاً ماضياً انتهى، بل هو حالة متجددة تزداد كلما:

- تليت عليهم آية فتدبروها.
 - رأوا آية كونية فتفكروا فيها.
 - عملوا بطاعة فازدادوا بها يقيناً.
- المفهوم الثاني** : كيف تزيد قراءة القرآن بالإيمان؟ (التلاوة بالتدبر)

1. الفرق بين قراءة العامة وقراءة المؤمنين المذكورين في الآية قراءة العامة (الغافلين) قراءة المؤمنين (الذين يؤمنون) قراءة بلا فهم ولا تدبر. قراءة بتدبر وتفهم وتفكر. تلاوة كالعادة، قد يقرأ ولا يشعر. تلاوة كأن الآية تخاطبه شخصياً. لا تترك أثراً في السلوك. تترجم إلى أفعال والتزامات. يمر على آيات الوعد والوعيد فلا يتأثر. يبكي عند الوعد ويخاف عند الوعيد. لا تزيد إيمانه بشكل ملحوظ. تزيد إيمانه يقيناً وخشية وعملًا .
2. كيف تتم الزيادة من خلال التدبر؟
عندما يقرأ المؤمن القرآن بتدبر:
 - يفهم معنى الآية فيزداد علماً.
 - يتأثر بمعناها فيزداد خشية (كما في الآية 57).
 - يعزم على العمل بها فيزداد طاعة.
 - يطبقها في حياته فيزداد إيماناً.
 - يجد حلاوة الإيمان في قلبه فيطلب المزيد.هذه سلسلة متصلة: تدبر ← علم ← خشية ← عمل ← إيمان ← حلاوة ← مزيد من الطلب.

3. مثال تطبيقي
عندما يقرأ المؤمن قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ} [النحل: 90]:
 - يفهم أن العدل واجب والإحسان مستحب.
 - يخشى من التقصير في هذين الأمرين.
 - يعزم على أن يكون عادلاً " محسناً في تعاملاته.
 - يطبق في عمله ومعاملاته.
 - يجد طعم الإيمان ولذته.
 - فيزيده ذلك إيماناً إلى إيمانه.

المفهوم الثالث

- كيف تزيد الآيات الكونية الإيمان؟ (التأمل والتفكير)
1. نظرة المؤمن للكون تختلف عن نظرة غيره
نظرة الغافل أو الملحد نظرة المؤمن (الذي يؤمن بآيات ربه)
يرى الكون مجرد مادة صماء. يرى في كل شيء آية تدل على خالقها.
تمر به الظواهر الكونية بلا عبرة. يتوقف عند كل ظاهرة متأملاً .
يرى الجبال مجرد كتل صخرية. يرى الجبال أوتاداً ودلائل على القدرة.
يرى المطر مجرد ماء ينزل. يرى المطر رحمة ونعمة وآية.
لا يزداد إلا حيرة (إن تأمل). يزداد يقيناً وتعظيماً وخشوعاً.
 2. كيف تتم الزيادة من خلال التأمل في الكون؟
عندما يتأمل المؤمن في خلق الله:
 - يرى الإتقان والتناسق فيزداد يقيناً بحكمة الله.
 - يرى العظمة والقدرة فيزداد تعظيماً لله.
 - يرى الرحمة والنعمة فيزداد شكراً لله.
 - يرى التدبير والإحكام فيزداد توكلًا على الله.
 - كل هذا يزداد إيمانه ويجعل قلبه معلقاً بخالقه.
 3. شاهد من القرآن

قال تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ} [آل عمران: 190] ثم وصفهم: {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} [آل عمران: 191].
هذا هو حال المؤمن: تفكر ← يقين ← دعاء ← خشية ← عمل.

المفهوم الرابع

كيف يحصن هذا اليقين القلب من الشبهات؟

1. الإيمان المتزايد يبني مناعة المؤمن الذي يداوم على:
 - تدبر القرآن يومياً.
 - التأمل في الكون باستمرار.
 - العمل بالطاعات وإتقانها.يكون إيمانه في حالة نمو وازدياد، وهذا الإيمان القوي يبني مناعة ذاتية في القلب ضد الشبهات، لأن:

- الشبهة هي سؤال يطرح على القلب.
 - اليقين هو الجواب الحاضر الذي يملكه القلب.
- فإذا كان القلب ممتلئاً باليقين، لم تجد الشبهات مكاناً تستقر فيه. قال ابن القيم: "إن الشبهة إذا وردت على قلب ممتلئ بالإيمان، نبت منها ما ينبت العشب على المزبلة، وإن وردت على قلب فارغ، نبت فيها ما ينبت الزرع في الأرض الطيبة".
2. القرآن يحصن من الشبهات المؤمن الذي يتدبر القرآن يجد فيه:
 - إجابات عن كل تساؤل.
 - براهين على وحدانية الله.
 - قصص عن الأمم السابقة وما حل بالمكذابين.
 - وعد ووعد يثبتان القلب.
 3. الكون يحصن من الشبهات المؤمن الذي يتأمل في الكون يجد فيه:
 - آيات لا تحصى على وجود الخالق.
 - دلائل على الإتقان والتدبير.
 - شواهد على البعث والنشور (إحياء الأرض بعد موتها).

المفهوم الخامس

نموذج تطبيقي من الآيات نفسها

- لنأخذ الآيات من 57-60 في سورة المؤمنون:
- الآية 57: {الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ} → هذه ثمرة الإيمان بالآيات.
 - الآية 58: {وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ} → هذا هو المنع الذي يغذي الخشية.
 - الآية 59: {وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ} → هذه ثمرة الإيمان بالآيات (التوحيد).
 - الآية 60: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ} → هذه ثمرة الإيمان بالآيات (العمل مع الخوف).
- إذا، الإيمان بالآيات هو المحرك الأساسي لكل هذه الصفات.

المفهوم السادس

خلاصة - كيف يكون المؤمن في زيادة يومية؟

1. اجعل لك ورداً يومياً من التلاوة مع التدبر:
 - اقرأ قليلاً ولكن بتفكير.
 - اسأل: ماذا تريد هذه الآية مني؟
 - سجل ما فهمت وما عزمت على فعله.
2. اجعل لك ورداً يومياً من التأمل في الكون:
 - انظر إلى السماء، إلى النجوم، إلى المطر، إلى النبات.
 - قل: {رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا}.
3. ترجم ما تتعلمه إلى أفعال:
 - إذا قرأت آية عن الصدقة، تصدق.
 - إذا قرأت آية عن الصبر، اصبر.
 - إذا رأيت آية في الكون، اشكر.
4. راقب إيمانك:
 - هل تشعر بحلاوة الطاعة؟
 - هل تجد في قلبك خشية عند سماع القرآن؟
 - هل تزداد قرباً من الله مع الأيام؟

الخاتمة

الآية 58 ترسم منهجاً يومياً لزيادة الإيمان:

- بالقرآن يزداد العلم والخشية والعمل.
- بالكون يزداد اليقين والتعظيم والتوكل.
- بالعمل تترجم هذه الزيادة إلى واقع.

• فيحصن القلب من الشبهات والفتن.
وهذا هو الإيمان الحي الذي لا يبقى نظرياً، بل يتحرك في القلب والجوارح كل يوم، فيزيد صاحبه قرباً من الله، وثباتاً على الحق، وقدرة على مواجهة التحديات.
اللهم اجعلنا من الذين يزدادون إيماناً مع كل آية يتلونها، ومع كل مخلوق يتأملونه.

رابعاً

ننتقل إلى الآية 59 حيث أن هذه الآية تكشف عن جوهر الرسالة الإسلامية وعلى مقاصدها : تحرير الإنسان من كل عبودية لغير الله، وتخليص قلبه ونفسه وجوارحه ليكون أهلاً " لاستقبال أنوار الله وفيضه. الآية 59 من سورة المؤمنون هي دستور هذا التحرير، وقاعدة الإخلاص التي عليها مدار قبول الأعمال.

ولهذا سوف نقف على مدلولاتها من خلال الآتي
تفسير الآية 59: {وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ}

تحليل دلالات المفردات

1. {وَالَّذِينَ هُمْ}

• العطف على الآيات السابقة: هذه هي الصفة الثالثة لعباد الرحمن بعد:

• الخشية والإشفاق (الآية 57) - حركة القلب.

• الإيمان بآيات الله (الآية 58) - غذاء العقل.

• وهنا التوحيد والإخلاص (الآية 59) - ثمرة القلب والعقل معاً، وهو القاعدة التي تبنى عليها العبادة .

2. {بِرَبِّهِمْ}

• تقديم الجار والمجرور {بِرَبِّهِمْ} على الفعل {يُشْرِكُونَ} يفيد الاختصاص والحصص، أي: لا يشركون ربهم أحداً غيره، فهم يخصونه وحده بالعبادة .

• {بِرَبِّهِمْ} دون غيره من أسماء الله: فيه إشارة إلى أنهم يخلصون لمن ربّاهم ورعاهم وأنعم عليهم، فهو أولى بالعبادة ممن لا يملك لهم نفعاً ولا ضراً .

3. {لَا يُشْرِكُونَ}

• الفعل المضارع {يُشْرِكُونَ} يدل على الاستمرار والثبات، أي أنهم لا يقع منهم شرك لا في الماضي ولا في الحاضر ولا المستقبل، وهذه صفة ملازمة لهم .

• {لَا يُشْرِكُونَ} تشمل نوعي الشرك:

• الشرك الجلي: عبادة الأوثان والأصنام، أو دعاء غير الله، أو الاستغاثة بالأموات.

• الشرك الخفي: وهو الرياء والسمعة، قال السعدي: "لا شركاً جلياً، كاتخاذ غير الله معبوداً، يدعوه ويرجوه ولا شركاً خفياً، كالرياء ونحوه، بل هم مخلصون لله، في أقوالهم وأعمالهم وسائر أحوالهم".

الامر الثاني معنى الآية عند المفسرين

• الطبري: "والذين يخلصون لربهم عبادتهم، فلا يجعلون له فيها لغيره شركاً لوثن، ولا لصنم، ولا يراءون بها أحداً من خلقه، ولكنهم يجعلون أعمالهم لوجهه خالصاً، وإياه يقصدون بالطاعة والعبادة دون كل شيء سواه".

• ابن كثير: "لا يعبدون معه غيره، بل يوحدونه ويعلمون أنه لا إله إلا الله أحداً صمداً، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً".

المفهوم الاول

الإخلاص - تطهير القلب لاستقبال أنوار الله

1. معنى الإخلاص في ضوء الآية

الإخلاص هو تخليص القلب من كل شائبة، وتنقية النية من كل ما سوى الله. وهو أن يكون الله هو المقصود بالعمل وحده، لا شريك له ولا ند.

قال الدكتور محمد راتب النابلسي في تفسيره لهذه الآية: "من فتش سره، فرأى فيه شيئاً أعظم من ربه أو أجل، فقد أشرك به". وهذا تعريف عميق، فكل من:

• يقدم طاعة مخلوق على طاعة خالق.

• يخاف مخلوقاً أكثر من خالقه.

• يرجو مخلوقاً أكثر من ربه.

• يعظم مخلوقاً في قلبه أكثر من الله.

فقد جعل هذا المخلوق في قلبه أعظم من الله، وهذه هي حقيقة الشرك الخفي .

2. الإخلاص شرط قبول الأعمال

الإخلاص هو روح العمل وليته، فبدونه يصير العمل هباء منثوراً. قال تعالى: {وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُوراً} [الفرقان: 23]. هذه الآية تهدد الذين يعملون أعمالاً " صالحة لكنها مشوبة بالرياء وحسب الظهور .

3. الفرق بين العمل الخالص والعمل المشوب

العمل الخالص العمل المشوب بالرياء

يقصد به وجه الله وحده يقصد به مدح الناس أو ثناؤهم
صاحبه لا يفرح بمدح الناس ولا يحزن بذمهم صاحبه يعيش على أقوال الناس
يبقى عند الله ويناب عليه يذهب هباء ولا قيمة له
يورث صاحبه الطمأنينة يورث صاحبه القلق والتعب النفسي

المفهوم الثاني

الآية ومحاربة الرياء وطلب الشهرة

1. الرياء هو الشرك الخفي
الآية تنفي الشرك بنوعيه الجلي والخفي، والرياء هو أخطر صور الشرك الخفي، لأنه:
• يفسد العمل ويحبطه، كما قال النبي ﷺ في الحديث القدسي: "أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه".
• يضيع الأجر، لأن صاحبه طلب الأجر من غير الله فخاب وخسر.
• يمرض القلب، ويجعله متعلقاً بثناء الناس بدلاً من التعلق بالله.

2. الرياء يهلك قيمة الأعمال

قال أحد الصالحين: "ربما قال الرجل: سبحان الله، لا إله إلا الله، فأخشى عليه من النار، قال: كيف ذلك؟ قال: يغتاب بين يديه رجل، فيعجبه ذلك، ويقول: سبحان الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله، هو يقول هذا تعجباً وراحة". هذه دقة متناهية في كشف خفايا النفوس.

المفهوم الثالث

الآية وتحرير الإنسان من التبعية لغير الله

1. تحرير العقل
الإخلاص لله يحرر العقل من الخرافات والعبوديات البشرية، فلا يعود العقل أسيراً لأفكار باطلة، ولا تابعاً لأهواء الناس، بل يصبح حراً في التفكير ضمن منهج الله.

2. تحرير النفس

من أخلص لله، تحررت نفسه من:

- الخوف من الناس: فلا يخاف لومة لائم.
- الطمع فيما عند الناس: فلا يرجو إلا ما عند الله.
- الحسد والغيرة: لأنه رضي بقضاء الله.
- التعلق بالمظاهر: لأنه يعلم أن القيمة الحقيقية عند الله.

3. الطمأنينة النفسية

الآية تربى في المؤمن الاعتماد على الله وحده، وهذا هو عين الطمأنينة. قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [الرعد: 28]. والإخلاص هو ذكر الله الخالص، الذي لا يشوبه التفات إلى غيره.

المفهوم الرابع: دور الآية في بناء الشخصية المسلمة

1. البناء النفسي

- التحرر من المخاوف: المؤمن المخلص لا يخاف إلا الله، وهذا يحرره من الرهاب الاجتماعي و الخوف من الناس.

- الاستقرار العاطفي: لا يتأرجح بين مدح الناس وذمهم، فهو ثابت على الحق.
- الطمأنينة: قلبه معلق بالله، فلا تقلقه تقلبات الدنيا.

2. البناء العقلي

- تحرير الفكر: لا يقبل أفكاراً باطلة لمجرد أنها صادرة عن شخصية مرموقة.

- الاستقلال الفكري: يعتقد ما أمر الله به، ولا يتبع كل ناعق.

- النقد الذاتي: يراقب نواياه وأفكاره باستمرار.

3. البناء الاجتماعي

- العدل والإنصاف: لا يحابي أحداً لمصلحة، ولا يظلم أحداً لعداوة.

- الثقة المجتمعية: الناس تثق فيمن أخلص لله، لأنه لا يغش ولا يخون.

- التكافل: يبذل لله لا للسمعة، فيكون عطاؤه خالصاً.

4. البناء الاقتصادي

- الكسب الحلال: لا يغش في تجارته، ولا يربى على أموال الناس.

- الإنفاق الخالص: يتصدق لوجه الله، لا رياء ولا سمعة.

- الاقتصاد الأخلاقي: يتحرى الحلال في كل معاملاته.

5. البناء السياسي

- القيادة بالحق: الحاكم المخلص لا يستغل سلطته لمصلحته الخاصة.

- العدل: لا يظلم رعيته لمحاباة قريب أو صديق.

- الشورى: يتخذ القرارات ابتغاء مرضاة الله لا ابتغاء شعبية زائفة.

6. البناء الثقافي

- الهوية المستقلة: لا يذوب في ثقافات الآخرين، بل يحتفظ بهويته الإسلامية.
- الانفتاح الواعي: يتعامل مع الثقافات الأخرى بنقد وتمييز.
- الإبداع: يبدع لوجه الله، لا لطلب الشهرة والظهور.

المفهوم الخامس

دور الآية في بناء المجتمع القوي والنظام القوي

1. مجتمع الإخلاص
المجتمع الذي يتربى على هذه الآية يكون:
• متماسكاً: لأن العلاقات فيه تقوم على الإخلاص لله، لا على المصالح.
• نزيهاً: الفساد والرشوة والمحسوبية لا مكان لها فيه.
• قوياً: أفراده لا يخافون إلا الله، فلا يتراجعون أمام الباطل.
2. نظام الحكم العادل
• الحكام المخلصون: لا يستغلون مناصبهم.
• القضاء العادل: لا تأخذه في الله لومة لائم.
• المساءلة والمحاسبة: الجميع يخاف الله، فيراقبون أنفسهم قبل أن يراقبهم الناس.

اللمسات البيانية والبلاغية وأحكام التجويد وعلاقتها بما سبق

1. اللمسات البيانية
أ. تقديم الجار والمجرور {بَرَّيْهِمْ}
هذا التقديم يفيد الاختصاص والحصص، وكأن المعنى: بربهم لا يشركون، أي أنهم خصوه وحده بـ العباداة دون كل من سواه. هذا يؤكد أن التوحيد هو قضيتهم الأولى .
ب. تعريف "رب" بالإضافة {رَبِّهِمْ}
إضافة الرب إليهم فيها معنى التربية والرعاية، فهم يخلصون لمن رباهم ورعاهم، وهذا أدعى للإخلاص من لو قيل "بالله" فقط.
ج. نفي الشرك بصيغة الجمع {يُشْرِكُونَ}
صيغة الجمع تدل على شمول النفي، فهم لا يشركون لا في الذات، ولا في الصفات، ولا في العباداة، ولا في الأقوال، ولا في الأفعال.
2. البلاغة
• الإيجاز: جمعت الآية في كلمات قليلة معنى عظيماً هو أصل الدين كله.
• التوكيد بالنفي: {لَا يُشْرِكُونَ} أبلغ من لو قال "يخلصون"، لأن النفي يؤكد البراءة من الشرك بكل صوره.
• المقابلة: هذه الآية هي المقابل المباشر لأوصاف المنحرفين في الآيات السابقة (53-56)، فهم الذين أشركوا وفرقوا دينهم.
3. أحكام التجويد وحركات الحروف
أ. {بَرَّيْهِمْ}
• الباء مكسورة: الكسرة تميل بالصوت نحو الأسفل، وقد ترمز إلى انكسار القلب لله وخضوعه له.
• الراء مفخمة: تفخيم الراء يعطي جلالاً وهيباً، وكأنه يصور عظمة الربوبية.
• ب/ {لَا يُشْرِكُونَ}
• المد في {لَا}: المد بالالف يخلق توكيداً صوتياً للنفي، وكأنه يقول: لا... ولا... ولا.
• الضمة في الياء {يُشْرِكُونَ}: الضمة ترفع الصوت، وقد ترمز إلى رفعة من نزه الله عن الشرك.
ج. السكون والحركة
تتابع الحركات في الآية يعطي إيقاعاً متناغماً، يعبر عن ثبات المؤمنين على التوحيد، واستقرار قلوبهم بالإخلاص.

المفهوم السادس

الخلاصة - كيف نعيش بهذه الآية؟

الآية 59 من سورة المؤمنون هي دستور التحرر:

1. تحرر القلب: من عبادة غير الله، ومن التعلق بالمخلوقين.
2. تحرر العقل: من الخرافات والأفكار الباطلة.
3. تحرر النفس: من الخوف والطمع والحسد.
4. تحرر الجوارح: من العمل لغير الله.

من عاش بهذه الآية:

- أصبح حراً لا يستعبده أحد.
- أصبح قوياً لا يهزمه خوف.
- أصبح كريماً لا يذله الطمع.
- أصبح عزيزاً بالله لا بغيره.

اللهم اجعلنا من الذين هم بربهم لا يشركون، وظهر قلوبنا من الرياء والسمعة، واجعل أعمالنا خالصة

لوجهك الكريم.

المبحث الثاني

في هذه الفقرة سوف نقوم بتحليل الايات من خلال اسئله تديره حول المفاهيم التي تتحدث عليها الابه في تطبيقها في واقعنا العمل كيف تجعل من الابه ميزانا دقيقا توزن به اعمالك ونواياك في كل يوم فالابه والذين هم بربهم لا يشركون) ليست مجرد خبر عن قوم صالحين بل هي دستور حياه ومن العمل لبناء حياتك الفرديه والبناء المجتمع ودوله التوحيد وربط كل حركات تقوم بها بالتوحيد سأقدم لك خطة عملية متكاملة لتطبيق هذه الآيه في حياتك اليومية، مع بيان أهمية الأسئلة التي يجب أن نطرحها على أنفسنا لتفتيش وتفحص النية حتى لا نقع في الشرك الخفى وضرورة محاسبه النفس ودورها في بناء الشخصية المسلمة القوية والمستقرة نفسياً. وذلك من خلال الاتي

المفهوم الاول: لماذا هذه الأسئلة مهمة في حياتنا اليومية عندما تسأل نفسك هل عندما أقوم بعمل أريد الثناء من الناس أم من الله وعندما انتهى هل أشكر الله على توفيقى لذلك وتنسب الفضل لله أم انسبه لنفسى وعندما تحاسب نفسك كل يوم ؟

1. لأن النوايا هي أساس الأعمال قال النبي ﷺ: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى". هذا الحديث العظيم يؤكد أن قيمة العمل ليست في حجمه أو شكله، بل في النية التي تقف خلفه. فالعمل الواحد قد يكون عبادة وقد يكون عادة، بل قد يكون معصية، حسب النية.
2. لأن الرياء أخفى من ديبب النمل الرياء من أخطر الآفات القلبية، لأنه يفسد العمل ويهلك ثوابه. وقد وصفه النبي ﷺ بأنه "الشرك الأصغر"، وهو أخفى ما يكون، لذا يحتاج منا إلى مراقبة دائمة وتفتيش مستمر.
3. لأن تفتيش النية يحقق الاستقرار النفسي عندما تعلم أنك تعمل لله وحده، تتحرر من تقلبات الناس ومدحهم وذمهم. هذا يمنحك سلاماً داخلياً وطمأنينة لا تعرفها النفوس المتعلقة بغير الله.

المفهوم الثاني

اهميه اسئله قبل العمل لماذا تفعل الفعل وماذا تفعل

قبل أن تبدأ أي عمل، توقف لحظة واسأل نفسك هذه الأسئلة:

1. لماذا أقوم بهذا العمل؟
 - هل هو لله وحده، ابتغاء مرضاته وثوابه؟
 - أم هو للناس، أريد مدحهم وثناءهم؟
 - أم هو خليط بين هذا وذاك؟
- مثال تطبيقي: قبل أن تتصدق، اسأل نفسك: أتصدق لأن الله أمرني وأريد وجهه، أم لأن الناس يرونني ويعتبروني كريماً؟
2. هل أخاف كلام الناس أكثر من خوف الله؟
- هذا السؤال يصحح مفهوم الرقابة في قلبك. المؤمن الصادق يخاف الله في السر والعلن، ولا يبالي بلوم الناس ما دام على حق.
- مثال تطبيقي: أنت في مكان لا يراك فيه أحد، هل تفعل المعصية لأنك لا تخشى إلا أعين الناس؟ أم تتركها لأن عين الله تراك؟
3. هل أطلب ثناء الناس؟
- حب الثناء من أخطر مداخل الرياء. اسأل نفسك: لو لم يمدحني أحد على هذا العمل، هل كنت سأفعله؟
- علاج ذلك: أن تستشعر أن الله وحده هو الذي بيده الثناء الحقيقي، وأن ثناء الناس لا يقدم ولا يؤخر في ميزانك عند الله.

المفهوم الثالث

أسئلة أثناء العمل – كيف تراقب قلبك؟

1. هل أشعر برقابة الله في هذه اللحظة؟
- الاستشعار الدائم بمراقبة الله هو أعلى درجات الإحسان، كما قال النبي ﷺ: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك". هذا الشعور يطرد الرياء ويحفظ الإخلاص.
2. هل أتخذ أسباباً غير الله في النفع والضرر؟
- هذا سؤال عميق يتعلق بالتوحيد. عندما تمرض، هل تثق في الدواء وحده أم تثق بالله ثم بالدواء ؟ عندما تسعى للرزق، هل تثق في عملك فقط أم تثق بالله ثم في عملك؟
3. هل أفوض أمري لله في الشدائد؟
- عندما تواجه أزمة، إلى من تلجأ أولاً ؟ هل تفزع إلى الناس قبل الله؟ أم ترفع يديك إلى الله أولاً ثم تأخذ بالأسباب؟

المفهوم الرابع

أسئلة بعد العمل – كيف تحاسب نفسك؟

1. هل أنسب التوفيق لله أم لنفسى؟

بعد إنجاز أي عمل ناجح، اسأل نفسك: هل تذكرت أن هذا النجاح بتوفيق من الله، أم نسبت الفضل لنفسك وذكائك وقدرتك؟
الخطر هنا: أن يصاب الإنسان بالعجب، فيظن أن العمل بكفاءته الشخصية، وينسى أن الله هو الموفق والمسد.

2. هل أدخل الرياء على عملي بعد إنجازه؟
بعض الناس يخلص في العمل، لكنه بعد إنجازه يحب أن يتحدث عنه أمام الناس ليثبوا عليه. هذا أيضاً من الرياء، وقد يهلك العمل.
3. هل أشعر بالطمأنينة أم بالقلق؟
العمل الخالص يورث صاحبه طمأنينة وسكينة، لأنه واثق أن الله سيتقبله. أما العمل المشوب بالرياء فيورث قلقاً واضطراباً، لأن صاحبه يعيش على أقوال الناس، والناس تتقلب.

المفهوم الخامس

أهمية هذه الأسئلة في تحقيق الاستقرار النفسي
1. تحرير من عبودية الخلق

من يخاف الناس ويرجوهم ويحب مدحهم، يصبح عبداً لهم في قرارة نفسه. هذه الأسئلة تحرك من هذه العبودية المقنعة، وتعيدك إلى عبودية الله وحده، وهي عبودية عز وشرف.

2. تحرير الإنسان من عبودية الأسباب
عندما تفتش في اعتقادك: هل تعتقد أن الدواء هو الشافي، أم الله هو الشافي؟ هل تعتقد أن عملك هو الرزاق، أم الله هو الرزاق؟ هذا التفتيش يحرك من التعلق المذل بالأسباب، ويجعلك متعلقاً بمسبب الأسباب.

3. تحقيق الطمأنينة
القلب الذي يعلم أنه يعمل لله، وأن الله يراه ويعلم نيته، يجد راحة لا توصف. هو لا يهتم بمدح الناس ولا يبالى بدمهم، لأنه واثق أن الذي يعمل له هو خير من يقدر ويجزي.

4. بناء الشخصية القوية
الشخصية التي تمتلك هذا الوعي تكون:
· نفسياً: مستقرة، لا تتأثر بتقلبات الناس.
· عقلياً: حرة، لا تتبع كل ناعق.
· اجتماعياً: محترمة، لأن الناس تثق فيمن لا يطلب منهم شيئاً.

المفهوم السادس

نموذج تطبيقي يومي
صباحاً:

· قبل أن تبدأ يومك، اسأل نفسك: لماذا أذهب إلى العمل اليوم؟ لله لاكسب رزقاً حلالاً وأعيل أهلي، أم للمنافسة والتفاخر؟
في العمل:

· قبل أن تنجز مهمة، اسأل: هل سأتمكنها لأن الله أمرني بالإتقان، أم لأن المدير سيمدحني؟
في التعامل مع الناس:

· عندما تساعد أحداً، اسأل: هل أساعده لوجه الله، أم لاكسب وده وثناءه؟
مساءً:

· حاسب نفسك: كم عملاً أخلصت فيه لله اليوم؟ وكم عملاً دخلته شائبة؟

المفهوم السابع

خلاصة - كيف تكون من {الذين هم بربهم لا يشركون}؟

1. اجعل هذه الأسئلة عادة يومية: لا تترك عملاً إلا وتوقفت عنده قليلاً لتسأل عن نيته.
2. جاهد نفسك على الإخلاص: الإخلاص ليس سهلاً، بل هو جهاد مستمر، قال الله: {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا} [العنكبوت: 69].

3. راقب قلبك باستمرار: الرياء يدخل من مداخل خفية، فالزم مراقبة قلبك.
4. استشعر رقابة الله: تذكر دائماً أن الله يراك، وأنه مطلع على سريرتك.
5. لا تنتظر ثناء الناس: تعود أن تعمل الخير في السر، وتستشعر أن الله يراك، فهذا أعظم جزاء.

الخاتمة

الآية 59 تريد أن تخرج إنساناً:

· حراً: لا تستعبده المخلوقات.

· قوياً: لا يهزمه خوف من الناس.

· نقياً: قلبه طاهر من الشوائب.

· سعيداً: لأنه وجد الطمأنينة في القرب من الله.

اللهم اجعلنا من المخلصين، وظهر قلوبنا من الرياء والسمعة، وأعنا على مراقبتها وتصحيح نوايانا

المبحث الثالث

ان مما ينبغي عليك ان تدركه ان ثمة اسرار في التقدم والتأخير في كتاب الله. فالترتيب في القرآن

ليس اعتباطياً، بل هو تنزيل من حكيم علیم یراعي أعماق النفس البشرية وطريقة بنائها. وهو ما یلفت انتباهنا لبحث عن أسرار تقديم الإيمان والخشية على نفي الشرك، ودلالة تقديم الجار والمجرور {بِرَّهْمَ} على الفعل. من خلال الآتي:-

أولاً : لماذا قدم الله الإيمان والخشية (الآيات 57-58) على نفي الشرك (الآية 59)؟

1. الترتيب الطبيعي لبناء الإيمان في القلب
الآيات الثلاث جاءت مرتبة ترتيباً تربوياً محكماً:
- الآية 57: {مَنْ خَشِيَ رَبَّهُمْ مُشْفِقُونَ} - تبدأ بالخشية، وهي الثمرة الأولى للإيمان، وهي حالة قلبية شعورية.

- الآية 58: {بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ} - تنتقل إلى الإيمان بالآيات، وهو المدخل المعرفي الذي يغذي الخشية ويدعمها.

- الآية 59: {بِرَّهْمَ} لا يُشْرِكُونَ} - ثم تصل إلى النتيجة والقمة: التوحيد والإخلاص.
هذا الترتيب يشبه بناء المنزل:

- الخشية هي الأساس.

- الإيمان بالآيات هو الجدران والدعائم.

- نفي الشرك هو السقف الذي يحمي البناء كله.

2. الإيمان الحقيقي يثمر الإخلاص
الإخلاص ليس مجرد ترك للشرك، بل هو ثمرة للإيمان الحي. من لم يخش الله حقاً، ولم يؤمن بآياته إيماناً راسخاً، لا يمكن أن يصل إلى درجة الإخلاص الكامل. قال ابن القيم: "الإيمان يبعث على الإخلاص، والإخلاص يثمر الإيمان، فهما متلازمان".

3. التدرج من الظاهر إلى الباطن
الآيات تبدأ بما هو أقرب إلى الظهور (الخشية والإشفاق تؤثر في السلوك الظاهر) ثم تنتقل إلى ما هو أعمق وأخفى (نفي الشرك الذي هو عمل قلبي خالص). هذا التدرج يساعد على الفهم والتطبيق.

4. المقابلة مع صفات المنحرفين

هذا الترتيب يأتي في مقابل ترتيب صفات المنحرفين في الآيات السابقة (53-56):

- المنحرفون بدأوا بالتفرق والفرح بالباطل (ظاهر).

- ثم انتقلوا إلى الاغترار بالنعم والاستدراج (باطن فاسد).

- فجاء وصف المؤمنين بالعكس:

- بدأوا بالخشية والإشفاق (باطن سليم).

- ثم الإيمان بالآيات (عقل سليم).

- ثم نفي الشرك (نتيجة الجمع).

الامر الثاني

لماذا قال {بِرَّهْمَ} لا يُشْرِكُونَ} ولم يقل "بالله لا يشركون"؟

اختيار لفظ {رَبَّهُمْ} دون غيره من أسماء الله له دلالات عميقة:

1. استحضر معنى التربية والرعاية

- الرب هو المربي والمنعم والمتولي لأمر عباده. بإضافة الرب إلى المؤمنين {رَبَّهُمْ}، يذكرهم الله بأنه الذي رباهم ورعاهم وأحسن إليهم، فمن الطبيعي أن يخلصوا لمن رباهم ولا يشركوا به أحداً.

- هذا الاستحضار يحرك فيهم مشاعر الحب والامتنان، فيكون إخلاصهم نابعاً من حب المعبود لا من خوف العقاب فقط.

2. الرد على من يشركون به وهم يعترفون بربوبيته

المشركون في الجاهلية كانوا يعترفون بأن الله هو الرب الخالق الرازق المدبر، كما قال تعالى: {وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} [لقمان: 25]. ومع ذلك كانوا يشركون به في العبادة.

فالآية تؤكد أن المؤمنين الصادقين يخلصون للرب الذي يعترفون بربوبيته، ولا يشركون به كما فعل المشركون الذين أقروا بالربوبية وأشركوا في العبادة .

3. إضافة "رب" إلى المؤمنين تشريف وتكريم

قول {رَبَّهُمْ} فيه معنى الاختصاص، فهم ليسوا بأي قوم، بل هم عباد اختصهم الله بربوبيته الخاصة التي تقتضي رعاية وتوفيقاً وهداية.

الامر الثالث

لماذا قدم الجار والمجرور {بِرَّهْمَ} على الفعل {لا يُشْرِكُونَ}؟

هذا التقديم له دلالات بلاغية عميقة:

1. الاختصاص والحصر

تقديم المفعول (الجار والمجرور) على عامله (الفعل) يفيد الاختصاص والحصر، وكأن المعنى: بربهم وحده لا يشركون، لا بأحد سواه. فهم لا يشركون به أيّ معبود آخر، ولا يجعلون معه إلهاً غيره .

2. الاهتمام والعناية

التقديم يفيد الاهتمام بالمقدم. هنا قدم ذكر الرب سبحانه وتعالى للدلالة على أن شأنه جل وعلا هو الأهم، وأنهم إنما نفوا الشرك عن غيره تعظيماً له وإجلالاً .

3. التبرؤ من كل معبود سواه.
تقديم {رَبِّهِمْ} يوحي بأنهم بدأوا بتعظيم الله وإفراده، ثم أتبعوه بنفي الشرك عن غيره. إنه تأكيد على أن التوحيد هو الأصل، والشرك هو النفي والاستثناء.

4. تحقيق معنى "لا إله إلا الله"
هذا التقديم يحقق معنى كلمة التوحيد:
{رَبِّهِمْ} - تحقيق الإثبات إله حق.
{لَا يُشْرِكُونَ} - تحقيق النفي لا إله.
فجاءت الآية كأنها تفسير مصغر لكلمة الإخلاص.

الامر الرابع

: للمسة البيانية في الجمع بين الآيات الثلاث
الآيات الثلاث (57-59) تشكل وحدة متكاملة في بناء الشخصية المؤمنة:

الآية الصفة دورها في البناء

57 الخشية والإشفاق المحرك الشعوري الذي يدفع للعمل
58 الإيمان بآيات الله المدخل المعرفي الذي يغذي الإيمان
59 نفي الشرك الثمرة العملية والنتيجة
العلاقة بينها:

. الإيمان بالآيات (58) يغذي الخشية (57) ويزيدها.
. الخشية (57) تدفع للإخلاص ونفي الشرك (59)
. الإخلاص (59) يثمر إيمانا أعمق وخشية أكبر.
إنها دائرة إيمانية متصلة، كل حلقة تقوي الأخرى.

الامر الخامس

التطبيق العملي من هذا الترتيب

هذا الترتيب يعلمنا منهجا في تزكية النفس:

1. ابدأ ببناء الخشية في قلبك عبر التفكير في عظمة الله وجلاله.
2. غرّ هذه الخشية بالإيمان بآيات الله، بالتدبر في القرآن والتأمل في الكون.
3. ستثمر هذه الخشية وهذا الإيمان ثمرة طبيعية هي الإخلاص ونفي الشرك.
4. حينها يصير الإخلاص سجية لك، لا تحتاج إلى تكلف فيه.

الخلاصة الذهبية

تقديم الخشية والإيمان على نفي الشرك يعلمنا أن:

. الإخلاص ثمرة لا يمكن أن تنبت في قلب خال من الإيمان والخشية.
. من أراد الإخلاص فعليه أولا " أن يعمر قلبه بخشية الله والإيمان بآياته.
. نفي الشرك ليس مجرد ترك للأصنام، بل هو نتيجة طبيعية لامتلاء القلب بالله.
وتقديم {رَبِّهِمْ} على {لَا يُشْرِكُونَ} يعلمنا أن:
. البداية تكون بتعظيم الله وإثبات ألوهيته وربوبيته.
. ثم يأتي نفي الشرك تبعاً لذلك.

. الإخلاص ليس مجرد نفي، بل هو إثبات لله أولا .

اللهم اجعلنا من الذين هم من خشيتك مشفقون، وبآياتك مؤمنون، وبك وحدك لا يشركون.

خامسا

الآية 60 من سورة المؤمنون هي ذروة الصفات الإيمانية، وهي التي تجمع ثمرات ما قبلها من خشية وإيمان وإخلاص، لتخرج لنا الإنسان الرباني المتوازن الذي جمع بين بذل الجهد في العمل، واستشعار التقصي والمراقبة لله، واليقين بالعودة إليه. إنها آية الموازنة الدقيقة التي تشكل قلب الشخصية المسلمة السوية.

تفسير الآية: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ}

1. شرح المفردات

. {يُؤْتُونَ مَا آتَوْا} : أي يعطون ما أعطوه ويبذلون ما يبذلونه من الأعمال الصالحة والطاعات و الصدقات، ويفعلون ما يفعلونه من الخيرات . قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: "يعطون ما أعطوا من الصدقة وأعمال البر، وهم خائفون".

. {وَجَلَةٌ} : الوجل هو الخوف الممزوج برقة القلب واستشعار الهيبة، وهو أخص من مطلق الخوف .
. {أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ} : أي خوفهم نابع من يقينهم التام بأنهم سيعودون إلى الله للحساب و الجزاء .

2. المعنى الإجمالي

هؤلاء المؤمنون الصادقون، الذين اتصفوا بالصفات السابقة، يفعلون الطاعات ويبذلون المعروف، ومع ذلك قلوبهم خائفة وجلّة. إنهم لا ينظرون إلى أعمالهم بعين الرضا أو الكبر، بل يرون تقصيرهم فيها، ويخافون ألا تقبل منهم. إنهم يخافون أن ترد عليهم حسناتهم يوم القيامة بسبب خلل في الإخلاص أو تقصير في الشروط .

وقد ورد الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أنها سألت النبي ﷺ عن هذه الآية: "أهو الرجل يزني ويسرق ويشرب الخمر ويخاف الله؟" فقال النبي ﷺ: "لا يا بنت الصديق، ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه". هذا هو الفهم العميق للآية: إن الخوف المحمود ليس خوف العصاة المجرمين فحسب، بل هو خوف المطيعين من عدم قبول طاعتهم.

الامر الثاني

فقه الموازنة (الخوف والرجاء) وأسسها في الآية
الآية تضع حجر الزاوية في بناء الشخصية المتوازنة: الجمع بين بذل الجهد (الأخذ بالأسباب) واستشعار التقصي (الخوف من عدم القبول).

1. معنى الوجل والخوف المحمود
الوجل هنا ليس يأساً ولا قنوطاً، بل هو دافع للعمل وليس مثبطاً عنه. إنه الخوف الذي يجعل المؤمن لا يتكل على عمله، بل يتكل على فضل الله ورحمته. هذا الخوف يمنعه من العجب و الغرور بعمله، فيظل يشعر بالتقصي والحاجة إلى الله.

2. التواضع وتجنب العجب
عندما يبذل الإنسان ما يستطيع من جهد، ثم يظل خائفاً من عدم القبول، فهذا يزرع فيه التواضع لله. فهو يعلم أن العمل مهما عظم فهو نعمة من الله، وأنه عرضة للآفات والرياء. هذا يمنع داء العجب الذي يهلك الأعمال.

3. اليقين بالعودة إلى الله (أساس التوازن)
قوله {أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ} هو التعليل الموجب لهذا الوجل. هذا اليقين بالرجوع إلى الله هو أساس الفاعلية الإيجابية. فالمؤمن الذي يعلم أنه سيقف بين يدي الله للحساب:
• لا يغرق في الدنيا، بل يجعلها مزرعة للآخرة.
• لا ييأس من روح الله، لأن رجوعه إلى رب رحيم.
• لا يقنط من رحمة الله، ولكن في نفس الوقت لا يأمن مكر الله.
• يتوازن في حياته بين الخوف والرجاء، كما قال تعالى: {أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ} [الإسراء: 57].

4. تشبيه ابن القيم
شبه الإمام ابن القيم القلب في سيره إلى الله بالطائر: فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه. فإذا فقد القلب أحد الجناحين، لم يستطع التحليق في سماء الطاعة والقرب من الله. الآية 60 تجسد هذا المعنى: جناح الرجاء في قوله {يُؤْتُونَ مَا آتَوْا} (أي يبذلون ويرجون الثواب)، وجناح الخوف في قوله {وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ}.

الامر الثالث

اللمسات البيانية والبلاغية وأحكام التجويد في خدمة المعنى
1. البناء اللغوي والإعرابي (دلالة على الحال)
• الجملة الحالية {وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ}: الواو هنا واو الحال. أي أنهم يؤتون ما آتوا في حال أن قلوبهم وجلة. هذا يعني أن الوجل والخوف ملازم لهم أثناء أدائهم للعمل وبعده، وليس مجرد حالة عابرة.

• تقديم الجار والمجرور {إِلَىٰ رَبِّهِمْ} على الخبر {رَاجِعُونَ}: يفيد الاختصاص والحرص، أي أنهم إلى ربهم لا إلى غيره راجعون. وهذا يؤكد أن الرجوع إلى الله هو ما يخيفهم، وليس رجوعاً إلى أحد سواه.

2. التصوير البياني
• {وَجَلَةٌ}: هذا اللفظ يحمل في طياته صورة ارتعاد القلب واضطرابه من شدة الخوف والمراقبة. إنه ليس خوفاً جامداً، بل خوفاً حياً متحركاً يدفع صاحبه لمراجعة نفسه.
• {رَاجِعُونَ}: الفعل بصيغة الجمع والمبالغة يدل على أن هذا الرجوع أمر حتمي لا محيد عنه، وأنه يتكرر باستمرار في وعي المؤمن.

3. أحكام التجويد (تأثير صوتي)
• المد في {آتَوْا} و {رَاجِعُونَ}: المد في هذه الكلمات يمنحها امتداداً صوتياً، وكأنه يرسم في الأفق امتداد الزمن الذي يعيش فيه المؤمن بين الخوف والرجاء، واستمرارية هذه الحالة حتى الممات.
• الغنة في {وَقُلُوبُهُمْ}: الغنة صوت رقيق يخرج من الخيشوم، وهذا الرقة في الصوت تتناغم مع رقة القلب في حالة الوجل والخوف، وتجسد معنى الإشفاق والرقة التي تميز مشاعر هؤلاء المؤمنين.

• الوقف على {وَجَلَةٌ}: الوقف هنا يعطي فرصة للقلب أن يتدبر هذا المعنى العظيم، ثم يأتي التعليل بعد ذلك {أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ}، وكأنه إجابة عن سؤال: لماذا هم وجلون؟

الامر الرابع

دور الآية في بناء الإنسان والمجتمع (التنمية البشرية الحقيقية)
هذه الآية ليست مجرد وصف، بل هي منهج بناء الإنسان والحضارة.

1. بناء الإنسان نفسياً (التوازن والاستقرار)
 - التحرر من عبودية الذات: عندما يخاف المؤمن من عدم قبول عمله، فإنه لا يرى لنفسه فضلاً على ربه، فيتحرر من عُجب النفس وكبرها. وهذا هو الاستقرار النفسي الحقيقي.
 - الوقاية من الاضطراب: من يعمل ويخاف، لا يصيبه خيبة أمل إذا لم يَرِ ثمرة عمله في الدنيا، لأنه يعلم أن الأمر كله لله في الآخرة. ومن رجا رحمة الله، لا يصيبه اليأس والقنوط.
2. بناء الإنسان فكرياً وعملياً (الإتقان والإنتاج)
 - الإتقان كقيمة إيمانية: من يخاف ألا يقبل عمله، سيبذل قصارى جهده في إتقانه وإحسانه، لأنه يعلم أن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً صواباً. هذا يخلق مجتمعاً متقناً منتجاً.
 - الإخلاص وطلب رضا الله: الآية تربي المؤمن على أن يكون دافعه للعمل هو طلب رضا الله وحده، لا طلب ثناء الناس. وهذا هو الإخلاص الذي قال عنه ابن القيم: "الإخلاص: ما لا يعلمه ملك فيكتبه، ولا عدو فيفسده، ولا يعجب به صاحبه فيبطله".
3. بناء المجتمع والدولة (الاستقرار والتماسك)
 - مجتمع لا تنافس فيه مدمر: عندما يكون التنافس على مرضاة الله، وليس على المال أو الجاه، يتحول التنافس إلى تكامل. الجميع يعمل لله، والجميع يخاف من تقصيره، فيسامح بعضهم بعضاً، ويتعاونون على البر والتقوى.
 - دولة القانون والضمير: في دولة تقوم على هذه القيم، الرقيب الداخلي (الوجل والخوف من الله) هو الحارس الأعلى، فلا يحتاج الناس إلى شرطي في كل شارع. هذا يحقق الأمن والاستقرار بتكلفة أقل وفعالية أعلى.
 - العدالة الاجتماعية: من يبذل ماله وهو خائف من عدم القبول، سيبذله في وجوه الخير الحقيقية التي تعالج مشكلات المجتمع، وليس لمجرد الظهور الإعلامي أو الشهرة.
4. دور الآية في التنمية البشرية والحضارية
 - التنمية الشاملة: الآية تقدم مفهوماً متكاملًا للتنمية لا يقتصر على الجانب المادي، بل يشمل الروح والنفس والعقل والجسد. إنها تنمية الإنسان من الداخل ليصبح قادراً على عمارة الأرض.
 - الازدهار الحقيقي: الازدهار في هذا المنظور ليس مجرد زيادة في الناتج المحلي، بل هو مجتمع تطمئن فيه النفوس، وتحترم فيه الحقوق، وتثقن فيه الأعمال، وتبنى فيه الحضارة على أسس أخلاقية راسخة.
 - الابتعاد عن الفوضى والتمزق: مجتمع الخوف من الله لا يعرف الفوضى، لأن كل فرد يعرف حدوده ويلتزم بها. وهو لا يعرف التمزق، لأن الكل يعمل تحت مظلة التوحيد ومراقبة الله.

الامر الخامس

الخاتمة: الآية غذاء الروح وأداة بناء الحياة

الآية 60 من سورة المؤمنون هي قاعدة ذهبية في التربية والبناء. إنها:

- تزرع في القلب الخوف المقرون بالرجاء، فتجعله حياً يقظاً.
- تعلم الإنسان التواضع مع كل عمل صالح، فلا يغتر بعمله.
- تجعله متقناً في عمله، خوفاً من ربه.
- تحرره من طلب ثناء الناس، فلا يعمل إلا لوجه الله.
- تبني مجتمعاً متماسكاً، يقوم على الثقة المتبادلة والرقابة الذاتية.
- تضع أساساً للدولة القوية، التي تحكم بالعدل والقانون المستمد من القيم الإيمانية.
- إنها آية تجعل من الدنيا مزرعة للآخرة، ومن العمل عبادة، ومن الخوف دافعاً لا مثبطاً، ومن الرجاء محركاً لا مهدئاً كاذباً.
- اللهم اجعلنا من الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجة أنهم إلى ربهم راجعون، واجعل أعمالنا خالصة لوجهك الكريم، وتقبلها منا بقبول حسن

المبحث الثاني

سوف ننتقل في هذه الفقرة من تفسير اللفظ إلى استكناه حقيقة الإيمان في القلب، وكيف تكون هذه الحقيقة دافعاً للإتقان والإحسان، لا مثبطاً عن العمل. الآية 60 تحمل سرّاً عظيماً من أسرار الصدق مع الله. كما يتضح من خلال بيان العلاقة بين الوجل والإتقان، وتصحيح الفهم الخاطئ لهذا الخوف المبارك.

الامر الاول

ماذا يعني "الوجل" في الآية؟

1. تعريف الوجل

الوجل في اللغة هو: شدة الخوف والفرع، مع رقة القلب واضطرابه. وهو أخص من مطلق الخوف، لأنه خوف ممزوج باستشعار الهيبة والمراقبة.

2. الوجل في الآية

الوجل هنا هو: خوف القلب من عدم قبول العمل، مع بذل الجهد فيه وإتقانه. قال القرطبي: "الوجل نحو الإشفاق والخوف، فالتقي والتائب خوفه أمر العاقبة وما يطلع عليه بعد الموت".

3. الفرق بين الوجل المحمود والوجل المذموم
· الوجل المحمود (في الآية): خوف يدفع للعمل والإتقان، ويمنع العجب والغرور، ويصحح المسار.
· الوجل المذموم (اليأس والقنوط): خوف يشل الحركة، ويدفع لتترك العمل، ويُسِيء الظن بالله.

الامر الثاني

حديث عائشة رضي الله عنها - المفتاح لفهم الآية

نص الحديث

عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ} [المؤمنون:60]، قالت عائشة: أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: "لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون ألا تقبل منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات".

دلالة الحديث

هذا الحديث هو أصل عظيم في فهم الآية:

- السر في خوفهم: ليس خوفهم من أن يضيع ثوابهم، فالله وعد بإيتائهم أجورهم وزيادتهم من فضله. بل السر أن القبول متعلق بالقيام بالعبادة كما أمر الله، وهم لا يستطيعون الجزم بأنهم قاموا بها على مراد الله، بل يظنون أنهم قصرُوا في ذلك .
- الفرق بين المؤمنين والمجرمين: عائشة رضي الله عنها فهمت أولاً أن الخوف قد يكون من العقاب على الذنوب، فبين لها النبي ﷺ أن هذا الخوف أرقى وأعمق، إنه خوف المطيعين لا خوف العصاة .

الامر الثالث

لماذا يخاف الصادقون مع أنهم يقدمون الطاعات؟

هذا هو موطن العجب! كيف يجتمع العمل الصالح مع الخوف في قلب واحد؟

1. لأنهم يعرفون قدر الله

المؤمن الصادق كلما ازدادت معرفته بالله، ازداد خشية وإجلالاً . قال تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [فاطر:28]. معرفة جلال الله وعظمته تملأ القلب خشية أن يكون العمل دون ما يليق بجلاله .

2. لأنهم يرون تقصيرهم في حق الله

هم يرون أن نعمة الله عليهم بالتوفيق للطاعة أكبر من طاعتهم هم. فهم يعلمون أنهم لو اجتهدوا ما استطاعوا أن يؤديوا حق الله كما ينبغي. قال أحد السلف: "إن العبد ليعمل الحسنة فيدخل بها النار، وذلك أنه يعجب بها". فهم يخافون من آفات العمل الخفية كالعجب والرياء.

3. لأنهم يخافون من سوء الخاتمة

هم يعلمون أن الأعمال بالخواتيم، وأن الإنسان قد يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها . هذا الخوف يبقئهم على حذر دائم.

4. قول الحسن البصري

قال الحسن البصري رحمه الله: "لقد أدركنا أقواماً كانوا من حسناتهم أن ترد عليهم أشفق منكم على سيئاتكم أن تعذبوا عليها". هذا هو الفرق بين جيل الصحابة والتابعين وبين من بعدهم.

الامر الرابع

العلاقة بين الوجل وإتقان العمل وإحسانه

1. الوجل دافع للإتقان وليس مثبطاً

الشخص الذي يخاف من رد عمله، لن يقدمه إلا وهو متقن له، مجود له، محسن له. إنه يبذل قصارى جهده ليخرجه في أحسن صورة، لأنه يعلم أن العمل الرديء أولى بالرد.

2. حديث الإتقان

قال النبي ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ - يُحِبُّ إِذَا عَمَلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقَنَهُ". والوجل هو المحرك الداخلي الذي يجعل المؤمن يسعى للإتقان، ليس خوفاً من رقيب بشري، بل خوفاً من رذ الرب الرحيم.

3. الإحسان والإتقان

الإحسان في العمل هو أن تعمله كأنك ترى الله، فإن لم تكن تراه فإنه يراك . هذه المراقبة (الوجل) تنتج عملاً متقناً لا تشوبه شائبة.

4. الوجل يمنع العشوائية

من يخاف من عدم قبول عمله، لا يمكن أن يعمل بعشوائية أو فوضى. بل يخطط، ويتقن، ويراجع، ويحاسب نفسه. هذا هو أساس الجودة والإنتاجية في المجتمع.

الامر الخامس

دور الوجل في زيادة الإنتاجية في المجتمع

1. مجتمع المراقبة الذاتية

عندما يسود هذا الشعور في المجتمع، يصبح كل فرد رقيباً على نفسه. العامل يتقن عمله ليس خوفاً من المدير، بل خوفاً من الله. الطالب يدرس بجد ليس خوفاً من الامتحان، بل خوفاً من تضييع الوقت الذي سيسأل عنه.

2. مجتمع الجودة والإتقان
الوجل ينتج مجتمعا لا يرضى بالدون، لا في عباداته ولا في معاملاته ولا في صناعاته. هذا هو المجتمع الذي يمكنه بناء حضارة راقية.

3. مجتمع بلا فساد
من يخاف ألا يقبل عمله، كيف يغش أو يسرق أو يرتشي؟ إنه يعلم أن هذه الأعمال مشبوهة، وأن الله لا يقبل إلا طيبا.
الامر السادس

العلاقة بقوله تعالى {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ}
هذه الآية من سورة النحل [الآية 128] تضع معية الله الخاصة لأهل التقوى والإحسان.

1. الوجل ثمرة التقوى
الذين يتصفون بالوجل هم من المتقين، لأنهم يخافون من الله، ويخافون من رد أعمالهم. وهذه التقوى هي سبب معية الله.

2. الإتقان هو الإحسان
الإحسان في العمل هو أن تؤديه على أكمل وجه، متقنا له، متقيا الله فيه. والله مع المحسنين بتأييده ونصره وتوفيقه .

3. المعية الخاصة

هذه المعية تقتضي:

- التوفيق: يوفقهم الله لإتقان أعمالهم.
- القبول: يتقبل الله أعمالهم الصالحة.
- النصر: ينصرهم على أنفسهم وعلى الشيطان.
- البركة: يبارك في أعمالهم وأوقاتهم.

الامر السابع

خلاصة - كيف يكون الوجل أساسا للفاعلية الإيجابية؟

الآية 60 تقدم لنا نموذجا فريدا للإنسان المنتج:

1. يعمل بجد: {يُؤْتُونَ مَا آتَوْا} يبذلون ويعطون ويجتهدون.
2. يخاف من الرد: {وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ} لا يغتر بعمله، بل يخاف من التقصير.
3. يوقن بالرجوع: {أَتُهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ} يعلم أن كل شيء محسوب، فيراقب نفسه.
4. يسارع في الخيرات: {وَأُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ} هذا الخوف لا يثبطه، بل يدفعه للمزيد .

الفرق بين المؤمنين وغيرهم

- المؤمنون الصادقون: يخافون من رد أعمالهم، فيتقنونها، فيقبلها الله منهم.
- الغافلون: لا يخافون، فيهملون أعمالهم، فترد عليهم.

الوجل ليس يأسا

أكد العلماء أن هذا الوجل لا يعني اليأس من رحمة الله، بل هو خوف مقرون برجاء. المؤمن يخاف ويرجو، وبهذا التوازن تسير حياته .

المبحث الثالث

الآية 60 تضع ميزانا دقيقا للقبول عند الله، ليس بكثرة العمل فقط، بل بخشية القلب ووجله أثناء العمل وبعده. كما يتضح من الآتي

الامر الاول

كيف ترشدنا الآية إلى أن العبرة بخشية القلب لا بكثرة العمل فقط؟

1. معنى الآية في ضوء الحديث النبوي

الآية تقول: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَتُهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ} [المؤمنون: 60].
الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها يوضح المعنى تماما: سألت النبي ﷺ: "أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟" قال: "لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون ألا تقبل منهم".

هذا الحديث هو مفتاح فهم الآية:

- ليس الخوف من العقاب على الذنوب (فهذا خوف العصاة).
- بل الخوف من عدم قبول الطاعات (وهذا خوف المطيعين).

2. العبرة بخشية القلب

الآية تقدم لنا معادلة جديدة في القيمة عند الله:

• ليس المهم كم تقدم من عمل.

• بل المهم ما هي حالة قلبك وأنت تقدمه وبعده.

قال الحسن البصري رحمه الله: "لقد أدركنا أقواما كانوا من حسناتهم أن ترد عليهم أشفق منكم على سيئاتكم أن تعذبوا عليها". هذا هو الفرق بين جيل الصحابة والتابعين وبين من بعدهم.

3. لماذا يخافون مع أنهم يقدمون الطاعات؟

لأنهم يعلمون أن:

- . العمل قد لا يُقبل إذا كان فيه خلل في الإخلاص أو المتابعة .
- . نعمة التوفيق للطاعة أكبر من الطاعة نفسها، فهم يخافون من تقصيرهم في شكر هذه النعمة.
- . سوء الخاتمة قد تحبط العمل، وهم لا يأمنون مكر الله .

الامر الثاني

ماذا يعني {يُؤْتُونَ مَا آتَوْا}؟ وهل هي الزكاة فقط؟

1. شمول المعنى لجميع الأعمال الصالحة {يُؤْتُونَ مَا آتَوْا} تعني: يعطون ما أعطوا، وهي تشمل: الصدقات والزكوات (المعنى الخاص) .
 - . جميع أعمال البر والطاعة (المعنى العام): الصلاة، الصيام، الحج، الصدقة، الأمر بالمعروف، النهي عن المنكر، كل قرينة يتقرب بها العبد إلى الله .
 - وهذا هو المعنى الذي اختاره أكثر المفسرين، ويدل عليه قراءة عائشة وابن عباس {وَالَّذِينَ يَأْتُونَ مَا آتَوْا} أي يفعلون ما فعلوا من الأعمال الصالحة .
 2. لماذا حذف المفعول به في {آتَوْا}؟
- هذا سؤال بلاغي دقيق. في قوله {مَا آتَوْا}، حذف المفعول به الثاني (أي: لم يقل "ما آتوا الناس" أو "ما آتوا الفقراء"). هذا الحذف له دلالات عميقة:
- أ. قاعدة عبد القاهر الجرجاني في حذف المفعول به يقول الجرجاني في دلائل الإعجاز: "إن الفعل المتعدي قد يذكر والغرض منه إثبات المعنى للفاعل، من غير أن يتعرض لذكر المفعول". ومثال ذلك قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي يُخَيِّبُ وَيُمِيتُ} [غافر:68]، لم يقل "يخيب من يشاء" ليكون المقصود إثبات صفة الإحياء لله، لا تخصيصه بمفعول معين.
 - ب. تطبيق القاعدة على الآية

في {مَا آتَوْا}:

- . لو قال "آتوا الأموال" أو "آتوا الصدقات" لكان التركيز على نوع المعطى.
- . لكنه قال {مَا آتَوْا} مبهمه عامة، فصارت تعني: كل ما أعطوه من أي شيء كان، من مال أو جاه أو وقت أو جهد، ومن أي عمل صالح .
- ج. فوائد الحذف هنا

1. الشمولية: تشمل كل عمل صالح، ظاهر أو باطن، قليل أو كثير.
2. التوسعة: لا تقتصر على نوع معين من العطاء.
3. الإشارة إلى أن العبرة بالقلب لا بالكم: لم يهتم القرآن بتحديد المقدار أو النوع، بل اهتم بحالة القلب مع العطاء.
4. التواضع: حذف المفعول فيه إشارة إلى أن المؤمن لا ينظر إلى عطائه بعين الكبر، فلا يحدده و لا يفاخر به.

الامر الثالث

علاقة الخوف بالرجوع إلى الله

1. لماذا ربط الخوف بالرجوع؟

قوله {أَتَاهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ} هو تعليل الوجمل، أي أنهم يخافون لأنهم سيرجعون إلى الله . هذا الربط يعلمنا:

- . الخوف ليس مرضياً؛ بل هو خوف نابع من اليقين باللقاء.
- . الاستعداد للقاء الله: من أيقن أنه سيلقى الله، استعداد لذلك اللقاء، وكان من تمام الاستعداد الخوف من عدم القبول.
- . مراقبة الخاتمة: لأن الرجوع إلى الله هو نهاية المطاف، وهم لا يدرون بأي حال يلقونه.

2. التوازن بين الخوف والرجاء

الآية تجمع بين:

- . العمل: {يُؤْتُونَ مَا آتَوْا} (رجاء).
- . الخوف: {وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ} (خوف).
- . اليقين بالرجوع: {أَتَاهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ} (الدافع).
- وهذا هو التوازن القرآني الذي يمنع الغلو:
- . لا خوف يقعد بهم عن العمل.
- . ولا عمل ينسيهم الخوف.
- . بل هم بين الخوف والرجاء .
- قال ابن القيم: "القلب في سيره إلى الله بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران".

الامر الرابع

كيف يكون الخوف محفزاً للإخلاص لا مثبطاً للعمل؟

1. الخوف المحمود يدفع للعمل ويمنع العجب
الفرق بين الخوف المحمود والخوف المذموم:
· الخوف المذموم: يأس وقنوط، يدفع لترك العمل (كما قال إبليس: {رَبِّ بِمَا أُغْوَيْتَنِي}).
· الخوف المحمود: وجل وإشفاق، يدفع لإتقان العمل والإخلاص فيه .
2. كيف يحفز الوجل على الإخلاص؟
عندما يخاف المؤمن من رد العمل:
· يبحث عن أسباب القبول: فيجتهد في الإخلاص، ويتفقد نواياه، ويتجنب الرياء.
· لا يفتر بعمله: فلا يرى لنفسه فضلا ، ولا يتكل على حسناته.
· يسأل الله القبول: فيظل بين الخوف والرجاء، وهذا يدفعه للمزيد من العمل والدعاء .
3. الوجل يمنع العجب
العجب من المهلكات، لأنه يحبط العمل. قال الغزالي: "من آفات العجب أن يفتر في السعي لظنه أنه قد فاز وأنه قد استغنى، وهو الهلاك الصريح". والوجل هو المانع الطبيعي من العجب، لأنه يذكر العبد بتقصيره وحاجته إلى قبول الله.

الامر الخامس

ملخص العلاقات في الآية

العنصر دلالتة

- {يُؤْتُونَ مَا آتَوْا} بذل العطاء (صدقات وأعمال صالحة) مع حذف المفعول للشمولية
{وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ} الخوف من عدم القبول، وهو خوف المطيعين لا العصاة
{أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ} تعليل الخوف، ويقيهم بالمعاد
الحديث النبوي توضح أنهم المصلون الصائمون المتصدقون الخائفون من الرد
الامر السادس

التطبيق العملي - كيف نعيش بهذه الآية؟

1. اجمع بين العمل والخوف
· لا تترك العمل خوفاً من الرد، فترك العمل أعظم جرماً من العمل مع الخوف.
· لا تغتر بعملك فتحسبه سبباً لدخول الجنة، بل هو سبب مع فضل الله ورحمته.
 2. تفقد نواياك باستمرار
· قبل العمل: هل هو لله؟
· أثناء العمل: هل أخلصت فيه؟
· بعد العمل: هل أدخلته آفة الرياء أو العجب؟
 3. ادع الله بالقبول
· كما كان الأنبياء يدعون: {رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا} [البقرة:127].
· أتبع العمل بالدعاء، فهو علامة الإخلاص والخوف.
 4. لا تياس ولا تأمن
· لا تياس من رحمة الله فتقنط.
· ولا تأمن مكر الله فتغتر.
 5. تفكر في عظمة الله
· الوجل الحقيقي يأتي من معرفة الله.
· كلما ازدادت معرفتك بالله، ازداد خوفك ووجلّك.
- الخلاصة الذهبية
الآية 60 تقدم لنا نموذج المؤمن الكامل:
· يعمل بجد وإخلاص.
· ويخاف من عدم القبول.
· ويرجو رحمة الله.
· ويستعد للقاء الله.
- إنها آية التوازن العظيم، التي تجمع بين بذل الجهد واستشعار التقصي، وبين العمل الصالح والخوف من الرد، وبين الرجاء في الله واليقين بلقائه.

سادسا

- الآية 61 من سورة المؤمنون هي قمة الصفات الإيمانية وثمرتها النهائية. بعد أن وصف الله المؤمنين بالخشية والإشفاق (57)، والإيمان بآياته (58)، والإخلاص ونفي الشرك (59)، والخوف من رد العمل مع بذل الجهد (60)، جاءت هذه الآية لتخبر عن جزائهم العاجل في الدنيا قبل الآخرة: إنهم أهل المسارعة والسبق إلى الخيرات.
- ولهذا سوف نقوم بتحليل الآية تحليلًا شاملاً يبين كيف ترسم هذه الآية منهج حياة متكاملًا ، مع استجلاء دلالاتها المعنوية والبلاغية والبيانية والتجويدية.

الامر الاول

تفسير الآية {أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ}

1. المعنى الإجمالي
هؤلاء المؤمنون الذين اتصفوا بتلك الصفات الجليلة (الخشية، الإيمان بالآيات، الإخلاص، الوجل من رد العمل) هم الذين يبادرون بكل رغبة ونشاط إلى فعل الخيرات والطاعات، وهم السابقون إلى نيلها والفوز بثوابها .

2. تحليل المفردات

أ. {يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ}

. {يُسَارِعُونَ} من المسارعة، وهي المبادرة مع النشاط والرغبة، وهي أبلغ من "يسرعون". فالسرعة قد تكون مع تردد، أما المسارعة ففيها معنى المنافسة وبذل الجهد .
. {فِي الْخَيْرَاتِ} : دخلت "في" على الخيرات، ولم تقل "إلى الخيرات". هذا فرق بلاغي دقيق جداً.
"إلى" تفيد أنهم كانوا بعيدين ثم يقتربون، أما "في" فتفيد أنهم داخل دائرة الخيرات أصلاً ، وهم يسبحون فيها ويسارعون وهم في قلب الميدان . إنها صورة من هو في قلب الحدث، لا على الهامش.

ب. {وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ}

. {سَابِقُونَ} : هم الذين يسبقون غيرهم إلى هذه الخيرات، فهم في المقدمة والصف الأول . قال السعدي: "قد بلغوا ذروتها، وتباروا هم والرعيّل الأول".
. اللام في {لَهَا} : قال الزجاج: اللام بمعنى "إلى"، أي هم إلى الخيرات سابقون. وقيل: هي لام لأجلها، أي من أجلها ومن أجل ثوابها سابقون .

الامر الثاني

كيف ترسم الآية منهج حياة للمؤمنين؟

1. المنهج يقوم على المبادرة إلى الأعمال الصالحة
الآية تربي المؤمن على اغتنام الفرص قبل فواتها. كل خير يسمع به، أو تتاح له فرصة فعله، يبادر إليه ولا يؤجله. قال السعدي: "فكل خير سمعوا به، أو سنحت لهم الفرصة إليه، انتهزوه وبادروه".
هذه المبادرة تشمل:

. الفرائض: أداؤها في أول وقتها .

. النوافل: اغتنام مواسم الخير (رمضان، عشر ذي الحجة، ...).

. خدمة الناس: التفاني في قضاء حوائجهم.

. كل قرينة: لا يفرق بين خير وآخر.

2. المنافسة في الطاعات (التنافس الشريف)

الآية تشرع التنافس في الخير، وهو تنافس محمود يدفع الأمة للتقدم والازدهار. قال تعالى: {وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ} [المطففين: 26].
هذا التنافس:

. لا يحسد فيه، بل يغبط فيه المؤمن أخاه.

. لا يبغي ولا يظلم، بل يكون بالاجتهاد في العمل.

. يخلق حركة دائمة في المجتمع نحو الأفضل.

3. التفاني في خدمة الناس

من أعظم الخيرات التي يسارع فيها المؤمنون: خدمة الناس وقضاء حوائجهم. النبي ﷺ قال: "أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس". هذه روح الآية: المؤمن لا يعيش لنفسه فقط، بل يسارع في كل ما ينفع الناس.

4. معيار السبق الحقيقي: الإخلاص والتشمير

الآية تصحح مفهوم السبق:

. ليس السبق بكمثرة المال أو الولد (كما في الآيات السابقة عن المنحرفين).

. ولا السبق بالمنصب أو الجاه.

. بل السبق الحقيقي: هو السبق في الخيرات، بالإخلاص لله، والتشمير في طاعته، وطلب رضاه.

الامر الثالث

اللمسات البيانية والبلاغية وأسرارها

1. دقة اختيار {في} بدل "إلى"

هذه أجمل لمسة بلاغية في الآية. دراسة أكاديمية متخصصة بينت أن القرآن لم يقل في أي موضع "يسارعون إلى الخيرات" وصفاً للمؤمنين، بل قال {يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ} .

. الفرق العميق: "إلى" تفيد الانطلاق من خارج الدائرة، أما "في" فتفيد الاستغراق والتمكن. المؤمنون ليسوا في بداية الطريق، بل هم في قلب الميدان يركضون. إنها صورة المؤمن الذي أصبحت الخيرات بيئته الطبيعية التي يعيش فيها ويتنفسها.

. قال أحد الباحثين: "المسارعة إلى الشيء تكون لمن هو بعيد عنها وخارج عن دائرتها".

2. اسم الإشارة {أُولَئِكَ}

اسم الإشارة للبعيد يفيد رفعة المكانة وعلو المنزلة. هؤلاء المؤمنون قد بلغوا مرتبة عالية جداً، حتى أن القرآن يشير إليهم إشارة البعيد تعظيماً لشأنهم .

3. صيغة المبالغة {سابقون}

صيغة "فاعل" هنا تدل على الثبوت والاستمرار. ليسوا سابقين مرة واحدة، بل هم أهل السبق دائماً، السبق صفة ملازمة لهم .

4. تناسق الآيات (الربط مع ما قبلها)

اسم الإشارة {أولئك} يعود على الذين وردت صفاتهم في الآيات الأربع السابقة (57-60). هذا الربط المحكم يؤكد أن هذه الصفات هي طريق المسارعة والسبق:

• خشية وإشفاق ← تدفع للعمل.

• إيمان بآيات الله ← تضيء الطريق.

• إخلاص ونفي شرك ← تصحح الوجهة.

• وجل وخوف من رد العمل ← تضبط الجودة والإتقان.

• النتيجة ← مسارعة وسبق .

الامر الرابع

أحكام التجويد التي تخدم المعنى

1. المد في {أولئك}

مد متصل (الواو ثم الألف والهمزة)، هذا المد يلفت الانتباه إلى عظمة من يُشار إليهم. الصوت يمتد ليترك في النفس أثراً يليق بمكانتهم العالية.

2. المد في {يسارعون}

المد الطبيعي في الألف والواو يعطي إيقاعاً حركياً، وكأنه يرسم سرعة حركتهم في الخيرات. كلما مد القارئ الصوت، استشعر امتداد هذه المسارعة في حياتهم كلها.

3. المد في {الخيرات}

المد بالألف يعطي اتساعاً، وكأنه يرسم سعة الخيرات وكثرتها وتنوعها. ليس خيراً واحداً، بل خيرات لا تحصى.

4. السكتة بين الآيات

الوقف على الآية 60 {زاجفون} ثم البدء بـ {أولئك} يخلق فاصلاً زمنياً بين وصفهم وبين جزائهم. وكأنه يقول: بعد أن عرفت صفاتهم، استعد لسماع الخبر العظيم.

الامر الخامس

الدروس التربوية والتطبيق العملي

كيف نعيش بهذه الآية؟

1. كن داخل الميدان: لا تكن متفرجاً على الحياة. ادخل في دائرة الخيرات، واجعلها بيئتك التي تعيش فيها.

2. اغتنم الفرص: كل خير يمر بك، بادره فوراً. قال النبي ﷺ: "بادروا بالأعمال الصالحة".

3. نافس بالخير ولا تحسد: انظر إلى السابقين وتعلم منهم، وسابقهم بالخير. هذه منافسة شريفة ترفع الجميع.

4. أخلص النية: تذكر أن السبق الحقيقي هو بالإخلاص. فلتكن نيتك في كل عمل خالصة لوجه الله.

5. لا تغتر بسبقك: مع أنك سابق، كن خائفاً وجلالاً كما في الآية السابقة. هذا هو توازن المؤمنين. الخلاصة الذهبية

الآية 61 من سورة المؤمنون ترسم منهج حياة متكامل:

• المنطلق: صفات إيمانية راسخة (خشية، إيمان، إخلاص، وجل).

• الحركة: مسارعة دائمة في الخيرات (مبادرة، اغتنام فرص، تنافس شريف).

• الغاية: سبق حقيقي بالتقوى والإخلاص، لا بزخارف الدنيا.

• النتيجة: مجتمع متحرك بالإيجابية، يبني ويعمر، ويتفانى في خدمة الناس. الآية تجمع بين:

• الروح (الإخلاص والخوف).

• والجسد (العمل والمسارعة).

• والغاية (السبق إلى رضوان الله).

إنها نموذج الإنسان الرباني الذي لا يقف عند حدود العبادة الشخصية، بل يسارع في كل خير، وينافس في كل فضيلة، ويسبق إلى كل طاعة، فيكون قدوة لغيره، وقائداً لأمتة، وخيراً لنفسه.

المبحث الثاني

سؤالنا اليوم يدور حول الآية 61 من سورة المؤمنون، والتي تمثل ذروة الصفات الإيمانية بعد أن وصف الله المؤمنين بالخشية والإيمان والإخلاص والوجل. إنها آية تضع منهجاً متكاملًا لبناء الإنسان والمجتمع والدولة. سنحاول تفكيك هذه الآية لاستخراج دلالاتها العميقة في بناء الشخصية

السوية والمجتمع القوي والحضارة الراقية.
تفسير الآية: {وَأُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ}
أولئك: اسم إشارة للبعيد، يدل على علو منزلة هؤلاء المؤمنين الذين اتصفوا بالصفات السابقة:
الخشية، الإيمان بالآيات، الإخلاص، والوجل من رد العمل.
يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ: المسارعة هي المبادرة مع النشاط والرغبة، واستخدام "في" دون "إلى" يدل
على أنهم يعيشون داخل الخيرات، يسبحون فيها، وليسوا في بداية الطريق. الخيرات هنا تشمل كل
عمل صالح ينفع الفرد والمجتمع.
وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ: هم السابقون إلى نيل الخيرات والفوز بثوابها، والسبق هنا ليس للتفاخر بل ليكونوا
قدوة ومحركين للخير في المجتمع.
الامر الاول

دور الآية في بناء الإنسان السليم نفسياً وقوياً عقلياً
1. البناء النفسي: تحقيق التوازن والطمأنينة
الإنسان الذي يمارس المسارعة في الخيرات يعيش حالة من الرضا النفسي لأنه يشعر بأنه يحقق
غايته في الحياة. يقول تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ
الْمُسْلِمِينَ} [فصلت:33]. المسارعة في الخير تمنح الإنسان إحساساً بالهدفية، وهذا أساس الصحة
النفسية.
كذلك، فإن المسارعة تقضي على الفراغ النفسي الذي هو مصدر كثير من الأمراض النفسية. عندما
يكون الإنسان مشغولاً بالخير، لا يجد فراغاً للقلق والوساوس.
2. البناء العقلي: تنمية التفكير الإيجابي والإبداع
المسارعة في الخيرات تدفع العقل إلى التفكير الدائم في مجالات الخير المتنوعة: كيف أساعد هذا
المحتاج؟ كيف أحسن علاقتي مع جاري؟ كيف أقدم مشروعاً نافعاً للمجتمع؟ هذا يطور القدرات
العقلية ويحفز الإبداع.
كما أنها تشجع على التخطيط والتنظيم، فالخيرات تحتاج إلى ترتيب وأولويات، وهذا ينمي العقلية
المنظمة.
3. البناء الثقافي: تكوين شخصية موسوعية

المسارعة في الخير تشمل كل جوانب الحياة: العبادات، المعاملات، العلم، الدعوة، الإصلاح الاجتماعي.
هذا يجعل الإنسان موسوعياً، مهتماً بكل ما ينفع، مما يثري ثقافته ووعيه.
4. البناء الاجتماعي: الإنسان الخدم
الآية تربي الإنسان على أن يكون عنصراً فعالاً في مجتمعه، لا متلقياً سلبياً. المؤمن الذي يسارع
في الخيرات يبحث عن فرص الخدمة والعطاء، فيصبح محبوباً ومؤثراً.
5. البناء السياسي: القيادة بالقدوة
هذا الإنسان المؤهل يصبح قائداً بالفطرة، لأنه سباق للخير، فيتبعه الناس. القيادة في الإسلام ليست
بالمُنصب فقط، بل بالسبق في العمل الصالح. النبي ﷺ كان قدوة في المسارعة: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي
رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} [الأحزاب:21].
الامر الثاني

الآية وأسس التنمية المجتمعية
1. الانضباط الداخلي بدلاً من الرقابة الخارجية
عندما يتربى المجتمع على المسارعة في الخيرات، يصبح الأفراد رقباء على أنفسهم، لا يحتاجون إلى
شرطي يراقبهم. كل واحد يسارع في الخير طواعية، وهذا هو أعلى درجات الانضباط. قال عمر بن
الخطاب رضي الله عنه: "إنما يحفظ المرء من الله في نفسه".
2. القضاء على النوازع الإجرامية
المجتمع الذي يسارع أفراداه في الخيرات يشغلهم عن الشر. قال النبي ﷺ: "إذا أراد الله بعبد خيراً
استعمله"، قيل: كيف يستعمله؟ قال: "يوفقه لعمل صالح قبل الموت". فالانشغال بالخير يطرد التفكير
في الجريمة والانحراف.
3. تحويل التنافس المدمر إلى تنافس بناء
بدلاً من التنافس على المال والجاه والسلطة (وهو ما يسبب الصراعات)، يحول الإسلام التنافس
إلى تنافس في الخيرات. قال تعالى: {وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ} [المطففين:26]. هذا النوع من
التنافس يرفع الأمة ولا يهدمها، لأنه يوجه الطاقات إلى البناء والتعمير.
4. تهيئة البيئة لنشوء الحضارات والدول
الحضارات لا تبنى بالأفراد الأنانيين، بل بالأفراد الذين يقدمون المصلحة العامة على المصلحة
الخاصة. الآية تربي هذا المبدأ: المؤمن يسارع في الخيرات العامة، ويسعى لمصلحة المجتمع. يقول
ابن خلدون: "إن الحضارة تقوم على التعاون والعمل".
5. تقديم المصلحة الآجلة على العاجلة
المؤمن الذي يسارع في الخيرات يقدم ما يبقى على ما يفنى. هذا يخلق استدامة في العمل، لأنه

لا يعمل من أجل منفعة عاجلة فقط، بل من أجل ثواب دائم. هذا المبدأ يجعل الإنسان يعمل بإخلاص حتى لو لم يَرِ نتيجة سريعة، وهذا أساس الإتيقان والجودة.

6. صمود المجتمع أمام الأزمات
المجتمع المبني على المسارعة في الخبرات يتماسك وقت الأزمات. الجميع يسارع لمساعدة المتضررين، وتقديم العون، وتجاوز الصعوبات. نرى ذلك في نماذج الصحابة: في غزوة تبوك، بادروا بـ الإنفاق حتى قال النبي: "ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم".
الامر الثالث

الفرق بين العمل الصالح والمسارعة في الخيرات
العمل الصالح هو الفعل نفسه، أما المسارعة في الخيرات فتشمل:
1. المبادرة: ليس انتظاراً للتكليف، بل بحث دائم عن فرص الخير. قال النبي ﷺ: "بادروا بالأعمال الصالحة".

2. النشاط والحيوية: {يُسَارِعُونَ} فيها معنى السرعة مع الرغبة، لا كسلاً ولا تناقلاً.
3. التنافس: فيها معنى السباق مع الآخرين في الخير، كما قال تعالى: {سَابِقُوا إِلَى مَقَرِّكُمْ} [الحديد:21].

4. الشمول: {فِي الْخَيْرَاتِ} تشمل كل الخير، بخلاف العمل الصالح الذي قد يكون محدداً.
5. الاستمرارية: صيغة المضارع {يُسَارِعُونَ} تدل على التجدد والاستمرار، بخلاف العمل الذي قد ينقطع.

الامر الرابع
رابعاً: دور الآية في بناء الهممة العالية والجدية في العمل
1. الهممة العالية: البحث عن المعالي
الآية تدفع المؤمن إلى أن يكون همته عالية، لا يرضى بالدون. هو يسارع إلى الخيرات، ويبحث عن أفضل الأعمال وأعظمها أجراً. قال النبي ﷺ: "إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفاسفها".

2. الجدية وعدم التأجيل
{يُسَارِعُونَ} تعني أنهم لا يؤجلون العمل الصالح. التسويف من الشيطان، كما قال بعض السلف: "إياك والتسويف، فإنه جند من جنود إبليس". المسارعة تقضي على هذه الآفة.

3. عدم التكاثر عند القدرة
عندما يكون الإنسان قادراً على العمل، لا يتكاسل. الآية تحارب الكسل الذي يمنع من اغتنام الفرص. قال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانْشُزُوا} [المجادلة:11].

4. الإتيقان: نتيجة الهممة العالية
الهممة العالية تقود إلى الإتيقان، لأن صاحب الهممة لا يرضى بالعمل الرديء. والإتيقان مطلوب شرعاً: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمَلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا} "أَنْ يُتَّقَنَهُ".

الامر الخامس
اللمسات البيانية والبلاغية وأحكام التجويد
1. اسم الإشارة {أُولَئِكَ}

استخدام اسم الإشارة للبعيد يدل على رفعة المكانة. هؤلاء المؤمنون قد وصلوا إلى درجة عالية جداً، حتى أن القرآن يشير إليهم كأئمة بعيدون عنا في علو منزلتهم.

2. الفعل المضارع {يُسَارِعُونَ}
يدل على التجدد والاستمرار. ليسوا يسارعون مرة واحدة، بل هي صفة ملازمة لهم في كل زمان ومكان.

3. {فِي الْخَيْرَاتِ} بدلاً من "إلى الخيرات"
هذه أروع لمسة بلاغية. "في" الظرفية تدل على أنهم متمكنون من الخيرات، يعيشون في داخلها، يتحركون فيها، يبحثون عن وجوهها، وكأن الخيرات هي الفضاء الذي يعيشون فيه.

4. صيغة المبالغة {سَابِقُونَ}
صيغة "فاعل" هنا تفيد الثبوت والاستمرار. هم سابقون دائماً، ليسوا مرة واحدة.

5. اللام في {لَهَا سَابِقُونَ}
قال الزجاج: اللام بمعنى "إلى"، أي هم إلى الخيرات سابقون. وقيل: هي لام لأجلها، أي من أجلها ومن أجل ثوابها سابقون.

6. أحكام التجويد
• المد في {أُولَئِكَ}: مد متصل يعطي جلالاً وهيباً، يليق بمكانتهم.

• المد في {يُسَارِعُونَ}: مد طبيعي يعطي إيقاعاً حركياً، يرسم سرعة حركتهم.

• المد في {الْخَيْرَاتِ}: مد بالآلف يعطي اتساعاً، يرسم سعة الخيرات وتنوعها.

• الغنة في {وَهُمْ لَهَا}: رقة تتناسب مع حالهم.

الامر السادس

التطبيق العملي - كيف نعيش بهذه الآية؟

1. ابحث عن الخير أينما كان: لا تنتظر أن يُطلب منك، بل كن مبادراً. في بيتك، في عملك، في شارعك، في مجتمعك.
2. نافس بالخير ولا تحسد: إذا رأيت من هو أسبق منك، فاحمد الله وابذل جهدك لتلحق به. قال النبي ﷺ: "لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا " فسلطه علىهلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها".
3. لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد: كل خير تستطيع فعله اليوم، فبادر به. الغد قد لا يأتي.
4. أخلص نيتك: تذكر أن السبق الحقيقي هو بالإخلاص، فاجعل كل عملك لله.
5. تذكر الجزاء: من يسارع في الخيرات في الدنيا، سيجدها أمامه في الآخرة.

الخلاصة

الآية 61 من سورة المؤمنون هي دستور بناء الإنسان والمجتمع. تبني إنساناً:

- نفسياً: سعيداً، راضياً، متوازناً.
 - عقلياً: مبدعاً، مفكراً، منظمًا.
 - اجتماعياً: خدوماً، فعالاً، محبوباً.
 - سياسياً: قائداً، مؤثراً، صالحاً.
 - وتؤسس مجتمعاً:
 - منضبطاً برقابة ذاتية.
 - خالياً من الجريمة والانحراف.
 - متعاوناً متكافلاً.
 - متنافساً في الخير لا في الشر.
 - قوياً أمام الأزمات.
- إنها آية تجعل من الدنيا ميدان سباق إلى الجنة. وفقنا الله جميعاً لتكون من السابقين

سابعاً

تفسير الآية 62 من سورة المؤمنون
{وَلَا تَكُلِفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}
الامر الاول : التفسير الشامل للآية

1. المعنى الإجمالي

بعد أن وصف الله المؤمنين بالمسارعة في الخيرات والسبق إليها، جاءت هذه الآية لتؤكد أن هذا التكليف بالخيرات إنما هو في حدود الطاقة البشرية، لا يكلف الله نفساً فوق طاقتها. وهذا من تمام رحمته ولطفه بعباده . ثم أخبر أن عنده كتاباً محفوظاً (اللوح المحفوظ أو صحائف الأعمال) ينطق بالحق في شأنهم، فيجازيهم بعدله، فلا يظلمهم مثقال ذرة .

2. تحليل المفردات

- {وَلَا تَكُلِفْ}: التكليف هو الأمر بما فيه مشقة، مع الإلزام به. ونفي التكليف فوق الوسع يدل على رفع الحرج .
- {وُسْعَهَا}: الوسع هو الطاقة التي يسعها الإنسان ويقدر عليها من غير حرج ولا مشقة زائدة. وهو أوسع من الطاقة، فالطاقة أقصى ما يمكن، والوسع ما يسع الإنسان فعله براحة وسعة .
- {وَلَدَيْنَا كِتَابٌ}: هو اللوح المحفوظ، أو صحائف الأعمال التي تسجل على الإنسان كل شيء .
- {يَنْطِقُ بِالْحَقِّ}: يخبر بالصدق والعدل، لا يحيف ولا يظلم .
- {وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}: تأكيد للعدل الإلهي، فهم لا ينقص من حسناتهم، ولا يزداد على سيئاتهم .

الامر الثاني : دلالة الآية في سياقها

لماذا جاءت هذه الآية بعد الحديث عن المسارعة والتنافس في الخيرات؟

1. لئلا يظن المؤمنون أنهم مطالبون بما لا يطيقون، بعد أن سمعوا عن علو منزلة السابقين و المسارعين، فيصابوا بالإحباط أو اليأس .
2. لتؤكد أن الأعمال الصالحة كلها في حدود الطاقة، فالمؤمن مطالب ببذل جهده ووسعه، لا بما لا يقدر عليه .
3. لترسيخ مبدأ الرفق والسماحة في الدين، وأنه لا تكليف شاق ولا حرج فيه .
4. للتنبيه على أن الجزاء سيكون بالعدل، فلا ظلم ولا بخس، فمن بذل وسعه نال جزاءه كاملاً .

الامر الثالث

مفهوم التكليف في حدود الوسع ورفع الحرج

1. من أهم سمات هذا الدين

قاعدة {لَا يَكُلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} [البقرة:286] هي من أعظم قواعد الدين، تدل على:

- اليسر والسماحة: قال النبي ﷺ: "إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه".
- رفع الحرج: لا تكاليف شاقة تخرج عن الطاقة البشرية.
- مراعاة الظروف والأحوال: فالمريض له رخصته، والمسافر له رخصته، والمضطر له حكمه.
- 2. دعوة للعمل في إطار الممكن

الآية تدفع المؤمن إلى أن:

- يباشر ما هو ممكن ومتيسر، ولا ينتظر المستحيل.
- يستثمر طاقته المتاحة في الخير، مهما كانت محدودة.
- لا يعطل العمل بحجة أن الكمال غير متاح، فما لا يدرك كله لا يترك كله.

الامر الرابع

الإشكالية - كيف نفرق بين الاستحالة الحقيقية وتوهم الصعوبة؟

1. المشكلة: الخلط بين العجز الحقيقي والتوهم بعدم القدرة كثيراً ما نعتقد أن بعض الأعمال مستحيلة أو فوق طاقتنا، بينما هي في الحقيقة في حدود قدرتنا لو استفرغنا وسعنا. هذا التوهم ينشأ من:

- ضعف الإرادة والعزيمة.
 - الخوف من الفشل أو التعب.
 - الاعتناء على الراحة.
 - النظر إلى الآخرين العاجزين بدل النظر إلى الناجحين.
 - وساوس الشيطان الذي يثبط عن العمل.
2. المعيار والمقياس لمعرفة الاستحالة الحقيقية أ. الاستحالة الحقيقية (المعذور فيها):

- العجز البدني الدائم: كالمريض مرضاً مزمناً لا يرجى برؤه.
- عدم وجود الوسائل الضرورية: كمن لا يملك مالاً لينفق في سبيل الله.
- الظروف القاهرة: كالإكراه أو الخوف على النفس أو العرض.
- ما ثبت شرعاً أنه غير مطلوب: كتكليف الأعمى بالجهد.

ب. توهم الصعوبة (غير المعذور فيه):

- كل ما يدخل تحت طاقة الإنسان لو صمم وجد واجتهد.
- ما فعله غيرك ممن هم في مثل ظروفك أو أصعب.
- ما أمر الله به والأمر لا يأتي إلا بمقدور.
- ما حث عليه النبي ﷺ مع علمه بأحوال الناس.

3. كيف نمنع الاختلاط بين الوهم والحقيقة؟

1. استشارة أهل الخبرة والصلاح: هم أقدر على تقييم قدراتك.
 2. النظر في تجارب الآخرين: من نجحوا في نفس المجال.
 3. التدرج في العمل: ابدأ باليسير ثم تصاعد.
 4. التوكل على الله والاستعانة به: فإذا صحت النية أعان الله.
 5. محاسبة النفس: هل هذا العذر حقيقي أم كسل وتوهم؟
 6. قراءة سير السابقين: كيف حملوا ما لا نتصور حمله.
- قال بعض السلف: "إنما هي همم الرجال، وما قام به الأولون لا يعجز عنه الآخرون".

الامر الخامس

كيف تربى الآية المؤمن على تجاوز مرحلة توهم العجز؟

1. تعلمه أن التكليف بالوسع لا بما يتوهمه
- الآية تخبر أن الله لا يكلف إلا بالوسع، فإذا شعرت أن عملاً ما مطلوب منك شرعاً، فهو في حدود وسعك قطعاً. هذا يدفعك للبحث عن الطريق لا عن الأعذار.
2. تحوله من الأمنيات إلى العمل
- كثير من الناس يتمنون الخير ولا يفعلونه. الآية تذكرهم بأن المطلوب هو العمل في حدود الطاقة، لا الأماني العاطلة. قال الحسن البصري: "ليس الإيمان بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل".

3. تدفعه للأخذ بالأسباب

- من علم أن التكليف بقدر الوسع، سيبحت عن كل سبب يعينه على العمل، ولا يتعلل بعدم وجود شيء من الأسباب.
4. تعالجه من الإحباط
 - إذا علم أن الله لا يكلفه بما لا يطيق، زال عنه الإحباط إذا قصر أو عجز عن بعض الكماليات. المطلوب هو بذل الجهد، لا بلوغ الكمال المطلق.
 5. تمنعه من التذرع بالأعذار الواهية
 - الآية حجة على من يتعلل بأعذار غير حقيقية، لأن الله بين أن التكليف بالوسع، وهو يعلم حقيقة الوسع.

الامر السادس

وقفة مع المنافقين - {وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُوا لَهُ عُدَّةٌ}

1. الآية في سورة التوبة

قال تعالى: {وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُوا لَهُ عُدَّةٌ وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ} [التوبة:46].

2. دلالتها في سياقنا
· المنافقون لم يريدوا الخروج حقاً، لذلك لم يعدوا العدة.
· المؤمن الذي يريد العمل حقاً يبحث عن الأسباب والعدة.
· الفرق بين الإرادة الصادقة والأمنية الكاذبة: الإرادة تصحبها حركة واستعداد، والأمنية تبقى في الخيال.

3. كيف نطبقه على مسألتنا؟
· من يقول: "أريد أن أكون من السابقين" ثم لا يتحرك، فإرادته كاذبة.
· من يقول: "لا أستطيع" وهو لم يحاول، فعذره مردود.
· الإرادة الحقيقية تدفع للاستعداد والتجهيز.

الامر السابع
كيف نمثل أمر الله على قدر طاقتنا ووسعنا؟
1. نبدأ بالممكن
قال النبي ﷺ: "إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم". هذا هو الميزان: نفعل ما نستطيع، ولا نعطل الكل لتعذر البعض.

2. نخطط ونسعى
لا ننتظر الظروف المثالية، بل نعمل بما تيسر، ونسعى لتحسين الظروف تدريجياً.
3. نستعين بالله
الاستعانة بالله تفتح لنا طاقات لم نكن نتوقعها. قال تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} [العنكبوت:69].

4. لا نياس
إذا عجزنا عن بعض العمل اليوم، لا نياس، بل نعود غداً. المؤمن لا يياس من روح الله.
5. نتعلم من تجارب السابقين
ننظر كيف استطاع الصحابة حمل أعباء الدعوة والجهاد، ونعلم أننا على طريقهم.

الامر الثامن
الخلاصة والدروس المستفادة
الآية 62 من سورة المؤمنون:

1. تخبرنا برحمة الله ولطفه: فلا تكليف فوق الطاقة.
2. تدعونا للعمل ضمن حدودنا: بلا إفراط ولا تفريط.
3. تحذرننا من التواكل: فلا نتعلل بغير عذر.
4. تعدل بين الخوف والرجاء: فالجزاء بالعدل، والعمل بالوسع.
5. تعالج الإحباط: فمن بذل وسعه فقد أدى ما عليه.
6. تفرق بين الإرادة الصادقة والكاذبة: الإرادة الحقيقية تصحبها الاستعدادات وصية أخيرة

لا تدع توهم الصعوبة يمنعك من السبق في الخيرات. جرب، وسل الله المعونة، وانظر إلى من سبقوك، واعلم أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً. قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا} [الكهف:30].

المبحث الثاني

تفسير الآية 62 من سورة المؤمنون
{وَلَا تَكُلِفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}

الامر الاول: تفسير الآية وبيان مفهوم الغلو

1. المعنى الإجمالي للآية
بعد أن وصف الله المؤمنين بالمسارعة في الخيرات والسبق إليها، جاءت هذه الآية لتضع الضابط المنهجي لهذه المسارعة: إنها في حدود الطاقة البشرية، لا تكليف فوق الوسع، ولا إرهاق للنفس، ولا غلو في الدين. ثم أخبر أن عنده كتاباً محصياً للأعمال (اللوح المحفوظ) ينطق بالحق، فهم لا يظلمون شيئاً.

2. تحليل المفردات في ضوء مفهوم الغلو
· {تَكْلِفُ}: التكليف هو الأمر بما فيه مشقة مع الإلزام. نفي التكليف فوق الوسع يعني رفع الحرج ومنع المغالاة.

· {وُسْعُهَا}: الوسع هو الطاقة التي يسعها الإنسان من غير حرج ولا مشقة زائدة. وهو أوسع من الطاقة، فالطاقة أقصى ما يمكن، أما الوسع ففيه سعة ويسر.
· الغلو: هو تجاوز الحد والمغالاة في الدين، سواء بالتشديد في العبادة، أو بتكليف النفس ما لا

تطبيق، أو بترك الرخص مع وجود أسبابها .

الامر الثاني

كيف تأمر الآية الإنسان بعدم الغلو؟

1. يربط التكليف بالوسع لا بالطاقة القصوى
الآية لم تقل "طاقتها" بل قالت "وسعها" . والفرق كبير:
· الطاقة: هي أقصى ما يمكن للإنسان فعله مع المشقة الشديدة.
· الوسع: هو ما يسعه الإنسان بسهولة ويسر من غير حرج ولا انقطاع.
فالآية تطلب من الإنسان أن يعمل في حدود ما يسعه، لا أن يرهق نفسه حتى تنقطع. هذا هو الغلو بعينه.

2. بتحريم تكليف النفس ما لا تطبيق

- الغلو أن يحمل الإنسان نفسه ما لا تحتمل من العبادات، فينقطع ويترك الأصل. قال النبي ﷺ: "إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه". فمن غلا في الدين غلبه الدين وانقطع.
3. بالتنبيه على أن الجزاء بالعدل لا بالظلم

{وَهُمْ لَا يَظْلُمُونَ} أي لا ينقص من أجرهم شيء. فالذي عمل في حدود وسعه، لا ينقص أجره لأنه لم يقصر. هذا يمنع الإنسان من الغلو خوفاً من نقص الأجر .

الامر الثالث

أهمية العمل بالرخص الشرعية عند الحاجة

1. الرخص الشرعية تجسيد لمعنى اليسر
الرخص هي أحكام شرعية خففها الله عن عباده في حالات معينة (كالقصر والفطر للمسافر، والجمع للمريض). الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه . تركها مع وجود سببها من الغلو.
2. الدين بني على اليسر لا على المشقة

قال تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} [البقرة:185]. فالغلو هو الخروج عن هذه الإرادة الإلهية.

3. أخذ الرخصة عبادة

إذا أخذ الإنسان الرخصة بنية اتباع الشرع والتخفف للعبادة، كان مأجوراً. قال ابن عباس: "لأن أخذ بـ الرخصة أحب إلي من أن أخذ بالعزيمة".

الامر الرابع

كيف أدى سوء فهم هذه المسألة إلى الغلو في الدين؟

1. فهم بعض الناس أن الدين كله مشقة
تصور بعض الناس أن التقوى معناها حمل النفس على المشاق دائماً، وأن الأجر على قدر المشقة. هذا فهم خاطئ، لأن الأجر على قدر الإخلاص والاتباع، لا على قدر المشقة . وقد خالفوا قوله ﷺ: "إن هذا الدين متين، فأوغلوا فيه برفق".
2. ترك الرخص ظناً أن الأكمل الأخذ بالعزيمة
هذا من الغلو. الأكمل ما وافق السنة في كل حال. ففي مواطن الرخص، الرخص هي السنة.
3. إرهاق النفس حتى تمل وتترك الدين
كثير من الشباب يبدأ بداية قوية جداً، فيصوم النهار ويقوم الليل، ثم ينقطع بالكلية. هذا من الغلو المنهي عنه. قال ﷺ: "إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه".

4. النظر إلى من هم أشد عبادة دون النظر إلى الطاقة

بعض الناس ينظرون إلى السابقين الأولين فيحملون أنفسهم ما لا يطيقون، متناسين أن السابقين كانوا على طاقتهم لا متكلفين. وقد قال الله فيهم: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا}.

الامر الخامس

دور الآية في بناء الأمة القوية المتماسكة

1. الأمة القوية تحتاج إلى طاقة مستدامة
الغلو يحرق الطاقة بسرعة، فينقطع الناس عن العمل. أما الوسطية والرفق فتتمكن من الاستمرارية. قال ﷺ: "أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل". الأمة التي تعمل بدوام أقوى من الأمة التي تعمل بانقطاع.
2. وحدة الأمة لا تتحقق مع الغلو
الغلو سبب للفرقة، لأن المغالي يحتقر غيره، ويكفره أحياناً. أما الوسطية فتجمع الناس على كلمة سواء.
3. الرفق بالأمة أساس قوتها
الرفق لا يضعف الأمة بل يقويها. قال ﷺ: "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه". الأمة التي ترفق بأفرادها تكون أقوى وأكثر إنتاجاً.

4. مراعاة أحوال الناس وأعدائهم

الآية تعلمنا أن نراعي اختلاف الناس في الطاقات والظروف. هذا يخلق مجتمعاً متكافلاً ، لا يثقل القوي على الضعيف.

5. المنافسة في الخير لا في التشدد
الأمة القوية تتنافس في الخيرات (كما في الآية السابقة) لا في التشدد والغلو. التنافس في الغلو يهلك الأمة، والتنافس في الخير يبينها.

الامر السادس للمسلمات البيانية والبلاغية التي تخدم هذا المعنى
1. {وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا}

. استخدام صيغة النفي المؤكد يدل على أن هذا من الثوابت التي لا تتخلف.

. تقديم الجار والمجرور {عَلَيْهَا} مقدر، يفيد الحصر: لا تكليف إلا بالوسع.

. {نَفْسًا} نكرة في سياق النفي تفيد العموم، أي كل نفس من جميع الناس.

2. {وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ}

. {يَنْطِقُ بِالْحَقِّ} تصوير بديع، فالكتاب ينطق، وهذا أبلغ في الدلالة على الوضوح والعدل.

. {بِالْحَقِّ} أي بالصدق والعدل، لا ظلم ولا حيف.

3. {وَهُمْ لَا يَظْلِمُونَ}

. تأكيد ثان للعدل، بعد ذكر الكتاب الناطق بالحق.

. نفي الظلم عنهم فيه تطمين للنفوس أن أعمالها الصالحة لن تضيع.

الامر السابع

أحكام التجويد التي تخدم المعنى

1. المد في {تَكَلِّفُ}

المد الطبيعي يعطي ثباتاً، وكأنه يؤكد قاعدة ثابتة لا تتغير.

2. السكون في {نَفْسًا}

التنوين بالفتح مع السكون يعطي خفة، وكأنه يصور خفة التكليف ويسره.

3. الغنة في {وَلَدَيْنَا}

الغنة في النون المشددة تعطي توكيداً، وكأنه يؤكد أن الكتاب عنده حقاً.

4. المد في {كِتَابٌ}

المد الطبيعي يعطي امتداداً، وكأنه يمتد مع امتداد الأعمال المسجلة.

5. التفخيم والترقيق

تنوع التفخيم والترقيق في الكلمات يعطي توازناً صوتياً يناسب معنى التوازن في التكليف.

الامر الثامن

كيف نعيش بهذه الآية؟

1. اعرف قدر نفسك

لا تحملها ما لا تطيق. ابدأ باليسير، ثم تدرج.

2. خذ بالرخص

إذا كان لك رخصة، فخذ بها. لا تتشدد بلا داع.

3. لا تنظر إلى غيرك

كل نفس لها وسعها. لا تحاسب نفسك بما يحاسب به الآخرون أنفسهم.

4. استمر ولا تنقطع

الدين يسر، فاعمل ما تستطيع الاستمرار عليه.

5. تذكر أن الله لا يظلمك

كل عمل تعمله في حدود وسعك، لن يضيعه الله.

الخلاصة الذهبية

الآية 62 من سورة المؤمنون هي ميثاق الوسطية في الدين:

. تمنع الغلو، وتأمّر بالاقتصاد.

. تبيح الرخص، وتحب الأخذ بها.

. ترفع الحرج، وتيسر التكليف.

. تعدل الجزاء، فلا ظلم لأحد.

. تبني أمة قوية، متماسكة، مستمرة.

قال ابن القيم: "الدين كله في حدود الوسع، والغلو كله في تكليف النفس ما لا يسعها".

المبحث الثالث .

الآية 62 من سورة المؤمنون ومفهوم العدل الإلهي المطلق

{وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}

أولاً : مفهوم العدل الإلهي المطلق في الآية

1. العدل الإلهي يتجلى في شقين

الآية الكريمة تجمع بين جانبين عظيمين من جوانب التعامل الإلهي مع عباده:
• الجانب الأول: العدل في التكليف {وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا}: أي أن الله لا يكلف عباده إلا ما في حدود طاقتهم واستطاعتهم، فلا تكليف بما لا يطاق، وهذا من تمام عدله ورحمته .
• الجانب الثاني: العدل في الجزاء {وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}: أي أن هناك سجلاً " دقيقاً مسجلاً " فيه كل شيء، وسيكون الفصل بالحق يوم القيامة، فلا يظلم أحد .

2. معنى العدل المطلق
العدل الإلهي ليس كمثله شيء، فهو عدل:
• مطلق: لا يشوبه ظلم ولا حيف.
• دقيق: لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.
• شامل: يشمل كل نفس من جميع الخلق.
• مبني على العلم الكامل: لا يخفى عليه شيء.
قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُمْضِئْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا} [النساء:40].

ثانياً: دلالة {وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ}
1. ما هذا الكتاب؟
• اللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه مقادير كل شيء قبل خلق السموات والأرض .
• صحائف الأعمال التي تسجل على الإنسان كل أعماله، وهي التي تعطى يوم القيامة باليمين أو بـ الشمال .

• الكتاب الجامع لكل ما جرى في الكون، قال تعالى: {وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ} [يس:12].
2. لماذا وصفه الله بأنه {يَنْطِقُ بِالْحَقِّ}؟
أ. النطق هنا كناية عن الظهور والبيان
ليس المقصود أن الكتاب يتكلم كالكلام البشري، بل أن ما فيه من الحق سيكون واضحاً جلياً، وكأنه ينطق بذاته. يوم القيامة، سينطق هذا الكتاب بما فيه، ويكون شاهداً على الإنسان.
ب. النطق يعني عدم القابلية للجدل
عندما ينطق الكتاب بالحق، لا يستطيع أحد أن ينكر أو يجادل. قال تعالى: {هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ} [الجاثية:29].

ج. النطق يدل على الحياة والحضور
الكتاب ليس مجرد أوراق جامدة، بل هو كائن ناطق في ذلك اليوم، يشهد على كل إنسان بما فعل.
د. الحق يعني العدل المطلق
{بالحق} أي بالصدق والعدل الذي لا ظلم فيه. فالكتاب لا يحابي أحداً، ولا يزيد ولا ينقص.

3. دقة الحساب يوم القيامة
هذا الكتاب ينطق بالحق يعني:
• لا زيادة في السيئات.
• لا نقصان في الحسنات.
• لا نسيان لشيء.
• لا ظلم لأحد.
• لا محاباة لأحد على حساب آخر.

قال القرطبي: "يخبر تعالى أنه لا يظلم أحد، بل يجازي كل إنسان بعمله، محصى عليه في كتابه، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها".
ثالثاً: الضمان الإلهي {وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}

1. معنى لا يظلمون
أي لا ينقص من حسناتهم، ولا يزداد في سيئاتهم، ولا يحمل عليهم ذنوب غيرهم، ولا يعذبون بغير جريمة . هذا هو الضمان الإلهي الذي يطمئن به المؤمنون.
2. دلالة التوكيد

الآية تؤكد هذا المعنى بثلاث طرق:
• ذكر الكتاب الناطق الذي يمنع الظلم.
• وصف الكتاب بالحق الذي لا يحيد.
• نفي الظلم صراحة {لَا يُظْلَمُونَ}.

3. لماذا هذا الضمان مهم؟
• للطمأنينة النفسية: يعلم المؤمن أن كل عمل صغير لن يضيع.
• للعدل المطلق: لا ظلم في ملك الله.
• للتحذير: من يعمل سوءاً سيجده مسجلاً .
رابعاً: كيف نستشعر دقة التسجيل في حياتنا وسلوكنا؟
1. استشعار المراقبة الدائمة

عندما نعلم أن هناك كتاباً ينطق بالحق، وأن كل شيء مسجل، نعيش في حالة من المراقبة الذاتية. قال النبي ﷺ: "اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن".

2. دقة في الأقوال
كل كلمة نقولها مسجلة. قال تعالى: {مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} [ق:18]. استشعار ذلك يجعلنا نتحرى الصدق والكلام الطيب.

3. دقة في الأفعال
كل حركة وسكنة مسجلة، حتى في الخفاء. قال النبي ﷺ: "إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك".

4. دقة في النوايا
حتى النوايا مسجلة، بل هي الأساس. قال النبي ﷺ: "إنما الأعمال بالنيات".

5. استشعار المسؤولية
من يعلم أن لديه كتاباً ينطق بالحق، يشعر بمسؤولية عظيمة عن كل تصرفاته، فيحرص على أن تكون في مرضات الله.

خامساً: كيف تكون الآية ميزاناً دقيقاً بين الرحمة والعدل؟

1. الميزان الأول: الرحمة في التكليف
{لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا}:

• رحمة من الله بعدم تحميلنا ما لا نطيق.

• تخفيف وتيسير في الأحكام.

• مراعاة للظروف والأحوال.

2. الميزان الثاني: العدل في المحاسبة

{وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}:

• عدل في الجزاء.

• دقة في التسجيل.

• ضمان بعدم الظلم.

3. التوازن العظيم

الآية تجمع بين:

• الرحمة التي تمنع اليأس (لأن التكليف في حدود الوسع).

• والعدل الذي يمنع التفريط (لأن كل شيء مسجل).

هذا الميزان هو ما يجعل المؤمن:

• لا يغتر بعمله، لأن الحساب دقيق.

• لا ييأس من رحمة الله، لأن التكليف ميسر.

• لا يفرط في العمل، لأن كل شيء مسجل

سادساً: اللمسات البيانية والبلاغية التي تخدم هذا المفهوم

1. {وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ}

• {لَدَيْنَا}: تعظيم وتشريف، فالكتاب عند الله في أعلى مكانة.

• {يَنْطِقُ}: تشخيص بديع، جعل الكتاب كأنه إنسان ناطق، ليدل على شدة وضوحه وصدقه.

• {بِالْحَقِّ}: مصدر الحق، وهو الله تعالى، فالحق صفة ملازمة لهذا الكتاب.

2. {وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}

• تقديم الضمير {هُمْ} على الفعل للاختصاص، أي هم دون غيرهم لا يظلمون، أو هم لا يظلمون أبداً.

• نفي الظلم بصيغة المضارع {يُظْلَمُونَ} ليدل على الاستمرار والثبات.

سابعاً: أحكام التجويد ودلالاتها

1. المد في {كِتَابٌ}

المد الطبيعي يعطي امتداداً، وكأنه يمثل امتداد الكتاب ليشمل كل شيء.

2. الغنة في {يَنْطِقُ}

الغنة في النون الساكنة عند إدغامها تعطي رنة تلفت الانتباه، وكأنها تنبه السامع إلى أهمية النطق.

3. التفخيم في {بِالْحَقِّ}

تفخيم اللام والحاء والقاف يعطي جلالاً وهيباً، تناسب عظمة الحق الإلهي.

4. السكون في {وَهُمْ}

السكون على الميم يعطي ثباتاً، وكأنه يؤكد ثبات عدم الظلم.

ثامناً: كيف نبني على هذا المفهوم في حياتنا؟

1. الثقة في عدل الله

نعلم أن الله لا يظلم أحداً، فلا نياس إذا رأينا ظلم الناس في الدنيا، فالعدل الآجل آتٍ لا محالة.

2. تحري الدقة في أعمالنا

كما أن الله دقيق في حسابه، علينا أن نكون دقيقين في أعمالنا، لا نغش ولا نكذب ولا نهمل.

3. التوازن بين الخوف والرجاء

نخاف من دقة الحساب، ونرجو رحمة الله التي وسعت كل شيء.

4. استغلال كل لحظة

كل لحظة مسجلة، فلا نضيعها في غير طاعة.

5. تطمين الآخرين

ننشر هذا المفهوم بين الناس، ليطمئنا إلى عدل الله ورحمته.

الخلاصة الذهبية

الآية 62 من سورة المؤمنون تقدم:

. عدلاً في التكليف: لا تكليف فوق الطاقة.

. عدلاً في الجزاء: كتاب ناطق بالحق، لا ظلم فيه.

. ضماناً إلهياً: {وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}.

. ميزاناً دقيقاً: يجمع بين الرحمة والعدل.

. دعوة للاستشعار: بمراقبة الله في كل لحظة.

قال ابن القيم: "العدل الإلهي هو الذي جعل التكليف بالوسع، والجزاء بالحق، والكتاب ناطقاً بذلك كله".

القسم الثالث أولا

{بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ}

المبحث الأول

الامر الاول : التفسير الإجمالي للآية:

تبين الآية أن قلوب الكفار في غمرة أي في غفلة وجهل وغطاء يمنعهم من فهم الحق الذي جاء به القرآن، بسبب انغماسهم في الشهوات والذنوب والشرك. ثم تخبر أن لهم أعمالا أخرى غير ما هم فيه من الكفر، يعملونها باستمرار من سيئات وموبقات، جزاء لاستحبابهم العمى على الهدى.

الامر الثاني

دلالة ابتداء الآية بحرف "بل" في سياق الرد على الكفار:

. حرف "بل" هنا للإضراب الانتقالي، أي للانتقال من كلام إلى آخر بغرض تأكيد معنى جديد.
. جاءت "بل" لترد على شبهة الكفار الذين تذرعو بأن أوامر القرآن ونواهيه ثقيلة عليهم، فيبين الله أن السبب الحقيقي لكفرهم ليس ثقل التكليف، بل هو أمراض قلوبهم وانغماسها في الغمرة (الجهل و الغفلة والذنوب).

. فحرف "بل" دلّ على أن العلة الحقيقية هي فساد القلوب، لا مشقة التكليف، إذ أن التكليف في ميزان الفطرة السليمة يسيرة، لكن الفطرة إذا فسدت صار الحق ثقيلا عليها.

الامر الثالث

تحليل أسباب الكفر بين ثقل التكليف وأمراض القلوب:

1. نفي عذر ثقل التكليف:

. القرآن فيه أوامر ونوام، لكنها ليست فوق طاقة البشر، بل هي في حدود الفطرة التي خلق الناس عليها.

. التكليف الشرعية جاءت لضبط شهوات الإنسان وتوجيهها لا لإلغائها، فهي صمام أمان للفرد و المجتمع.

2. أمراض القلوب كسبب حقيقي للكفر:

. الشرك: جعل القلب في غمرة، فلا يرى الحق.

. الكبر: يمنع صاحبه من الانقياد للحق.

. الحسد: يدفع لمعاداة الرسل.

. حب الدنيا: يغري بالتمرد على التكليف.

. الجهل: نتيجة انطماس الفطرة.

3. الغفلة والجهل كأغشية على القلوب:

. "غمرة" تعني الغطاء الكثيف الذي يغمر القلب، فيصبح محجوبًا عن الحق.

. هذه الأغشية تتكون نتيجة تراكم الذنوب والانشغال بالشهوات، فتفسد القلب والعقل والروح.

الامر الرابع

فقدان القوام الحسن للإنسان بسبب هذه الأمراض:

. القوام الحسن: هو الهيئة المستقيمة التي تميز الإنسان، وتشمل العقل السليم، والخلق القويم، والروح المتزنة.

. الفساد الذي أصابهم:

. تحكم الشهوات في الإرادة، فصار الإنسان عبداً لشهواته.

. فقدان القوى الأخلاقية التي تضبط السلوك.

. الهبوط إلى مرتبة الحيوانات: {أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ} (الأعراف: 179)

. نتيجة الفساد:

. فقدان الرعاية الإلهية.

. العيش في ظلمات الجهل والشبهات.

. تدنس الفطرة بقاذورات الذنوب، فلا ترى إلا القاذورات.

الامر الخامس

صلاحية القلب (المكان (لاستقبال نور الله:

. القلب كالأرض، إن كانت طيبة نبت فيها البذور، وإن كانت سبخة لم تنبت.

. القرآن نور وهداية، لكن لا ينتفع به إلا من كان قلبه نقيًا.

. {إِن فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرٌ لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ} (ق: 37)

. من أصلح قلبه بالتقوى والإيمان استعداد لقبول الحق.

الامر السادس:

الجوانب البلاغية والتجويدية في الآية:

الجوانب البلاغية:

1. الاستفهام التقريري المحذوف: تقديره "أيظنون أنا لا نكلفهم إلا وسعهم؟ بل قلوبهم في غمرة".

2. الإضراب بـ"بل": للانتقال من دفع شبهة إلى بيان علة أعمق.
3. الاستعارة التصريحية: "في غمرة" شبهت الغفلة والجهل بالماء الغامر الذي يغطي الشيء.
4. التنكير في "غمرة" للتفخيم والتهويل: أي غمرة عظيمة لا يعلم مداها إلا الله.
5. الإظهار في "هذا" بدل الإضمار: تعظيماً للقرآن وتهويلاً لشأنه.

الجوانب التجويدية:

1. إظهار النون الساكنة: في {مِنْ هَذَا} لإظهار وضوح النطق.
2. المد الطبيعي: في {هَذَا} (مدتين).
3. إخفاء النون الساكنة: في {وَلَهُمْ أَغْمَالٌ} عند الإخفاء.
4. تفخيم الراء: في {غَمْرَةٌ} لأنها مفتوحة.
5. ترقيق اللام: في {بَلْ} لأنها ساكنة وقبلها فتحة.

خاتمة:

الآية الكريمة تكشف عن سبب الكفر الحقيقي: ليس ثقل التكليف، بل أمراض القلوب التي تمنع رؤية الحق. ولذلك فإن علاج الكفر يبدأ بعلاج القلب، وتنقيته من الأدران، ليكون صالحاً لاستقبال نور الله . والله أعلم.

المبحث الثاني

انه من خلال التأمل والتدبر لآية 63 من سورة المؤمنون {بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَغْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا غَامِلُونَ}

نجد انها تضمنت الاتي

المفهوم الاول

مفهوم الغفلة القلبية كما تصورها الآية

الغفلة القلبية في هذه الآية ليست مجرد نسيان عابر أو عدم انتباه مؤقت، بل هي حالة وجودية مركبة تصف:

- انسداد منافذ الإدراك: حيث يصبح القلب مغلقاً أمام الحقائق الكبرى (الوحي، الآخرة، عظمة الله).
- انغماس في الشهوات: بحيث تستولي الملذات على مدارك الإنسان فلا يرى ما وراءها.
- مرض مزمن: يعطل وظيفة القلب الأساسية وهي الفقه والتدبر، قال تعالى: {لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا} (الأعراف: 179).

أسباب الغفلة القلبية في الآية:

1. الشرك: وهو أصل الانتكاس الفطري، إذ يصرف القلب عن التوحيد.
2. الكبر: يمنع الانقياد للحق {سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ} (الأعراف: 146).
3. الحسد: يحجب رؤية الحقائق كما حدث مع إبليس.
4. حب الدنيا: {بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} (الأعلى: 16).
5. الذنوب المتتابة: التي تترين على القلب كما في الحديث: "إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكت في قلبه نكتة سوداء..."

المفهوم الثاني

المقصود بـ "الغمرة" في الآية

الغمرة لغة: ما يغمر الشيء ويغطيه من ماء أو غيره. وفي الاصطلاح القرآني: هي حالة من التغطية الكلية للقلب: بحيث يصبح كالمغمس في الماء لا يرى إلا ما حوله من دوامات الجهالة.

• درجات الغمرة:

- غمرة الجهل: حجب العلم.
- غمرة الهوى: حجب الإرادة الصحيحة.
- غمرة الذنوب: حجب النور.
- الفرق بين غمرة القلب وغمرة العقل:
- القلب هو الملك، والعقل جنوده. فإذا غمر القلب تعطل العقل، لأن العقل أداة بيد القلب، كما في قوله: {أَقْلَمُ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا} (الحج: 46).

المفهوم الثالث

دلالة جعل الغمرة للقلوب لا للعقول

هذه دقة قرآنية بالغة:

1. القلب هو مركز الإدراك الكلي: العقل مجرد أداة، لكن القلب هو الذي يوجه الأداة.
 2. الغمرة تصيب المصدر لا الأداة: العقل السليم في القلب السليم، فإذا فسد القلب بالغفلة صار العقل خادماً للشهوات.
 3. مثال ذلك: العقل كالمصباح، والقلب كمصدر الطاقة. إذا انقطعت الطاقة انطفأ المصباح.
- المفهوم الرابع : دلالة اسم الإشارة "هذا" في "مِنْ هَذَا" اسم الإشارة للقريب {هَذَا} له دلالات:
1. تعظيم شأن القرآن: كأنه حاضر بين أيديهم معجز قائم.

2. تقريرهم: أن هذا القرآن الواضح القريب منهم هم في غمرة عنه، أي أن السبب فيهم لا فيه.

3. تحقير أمرهم: أنهم مع قربه منهم لم ينتفعوا به.

المفهوم الخامس

كيف يكون القرآن سبباً لزيادة غفلة الكافرين؟

هذه المفارقة القرآنية تفسرها الآية نفسها:

• القرآن في ذاته هدى ونور، لكنه ينعكس على القلب المريض فيزداد مرضه، كما في قوله: {وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا} (الإسراء: 82).

• السبب:

• القلب الطاهر يمتص النور فيزداد إشراقاً.

• القلب المغطى بالغمرة يزداد ظلاماً لأن النور يكشف قبحه فيحاول الهروب منه.

• مثال حسي: الشمس تذيب الشمع وتفسّي الطين.

المفهوم السادس

علاقة ذلك بطهارة المحل (القلب)

الانتفاع بالقرآن يتطلب شرطاً أساسياً: طهارة القلب، لأن:

1. القرآن كالمطر: يحيي الأرض الطيبة، ويزيد السبخة قفراً.

2. القلب النقي: هو الذي يتقي الله، قال تعالى: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} (البقرة: 2).

3. أهمية التطهير:

• تطهير القلب من الشرك بالتوحيد.

• تطهيره من الذنوب بالتوبة.

• تطهيره من الأهواء باتباع السنة.

المبحث الثالث

تفسير "وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ"

المقصود بالأعمال الأخرى:

1. ليست أعمالاً أشد كفرة بالضرورة، بل:

• أعمال سيئة مستمرة يغمسون فيها.

• أعمال تصدر عنهم باستمرار دون خوف أو وجل.

2. أنواعها:

• أعمال الشرك الظاهرة.

• المعاصي والموبقات التي اعتادوها.

• الإصرار على الذنوب دون توبة.

3. دلالة "من دون ذلك":

• أي من دون ما هم فيه من الغمرة.

• أو من دون القرآن والتكاليف، أي أعمال أخرى غير ما كلفوا به.

العلاقة بين الغمرة والأعمال:

• الغمرة هي الأصل (المرض القلبي).

• الأعمال الأخرى هي الثمرة (السلوك الفاسد).

الامر الثاني :-دائرة الذنوب التي تطوق الإنسان

الآية تصور حقيقة مرعبة:

1. الغمرة كالحاجز المائي: تحيط بالقلب فلا يدخل إليه نور.

2. الأعمال كالدوامات: كل ذنب يزيد من كثافة هذا الحاجز.

3. النتيجة:

• يعيش الإنسان في ظلمات بعضها فوق بعض (النور: 40).

• لا يستطيع الخروج لأنه فقد البوصلة (العقل السليم).

• يصبح كمن يسبح في بحر مظلم، كلما حاول الخروج جرفته تيارات الذنوب.

4. مثال قرآني: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} (المطففين: 14).

خلاصة وتوصيات

1. الغفلة ليست عذراً بل هي نتيجة تراكمات ذنوب.

2. القلب النقي هو شرط الانتفاع بالقرآن.

3. الاستمرار في الذنوب يخلق حاجزاً لا يمكن اختراقه إلا بتوبة صادقة.

4. القرآن شفاء لمن أراد الشفاء، ووبال على من أعرض عنه.

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} (ق: 37).

أعمال من دون ذلك: الأعمال الخفية في زمن العادات الرقمية

اهم المفاهيم

المفهوم الاول

قوله {وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ} يشمل نوعين من الأعمال تنطبق على واقعنا المعاصر:

1. الأعمال الخفية (العادات السيئة المستمرة):
 - التصفح بلا هدف: ساعات طويلة على وسائل التواصل دون فائدة.
 - مشاهدة المحرمات: بشكل معتاد حتى تفقد حرمتها في النفس.
 - الغيبة الإلكترونية: في المجموعات والتعليقات.
 - إضاعة الوقت: كالمسلسلات والألعاب التي تستنزف العمر.
 - التسويف في الطاعات: تأجيل الصلاة، تأخير التوبة، مسوفة الأعمال الصالحة.
 2. السلوكيات المعاندة للشرع:
 - الاستهزاء بالدين: في بعض المنشورات أو النكات.
 - نشر الشائعات: دون تثبت.
 - التفاخر بالمحرمات: كالسفر للخارج للشرب والزنا ثم التفاخر به.
 - التشبه بالكافرين: في الملبس والكلام والعادات.
- هذه الأعمال هي التي تبني طبقات من الصدأ على القلب، حتى يصبح في غمرة لا يشعر معها بالحق.

المفهوم الثاني

دلالت ذلك على الوقت المعاصر: من الغمرة إلى اليقظة

1. مظاهر الغمرة المعاصرة:
 - غمرة المعلومات: الكم الهائل من المحتوى يجعل العقل مشتتاً.
 - غمرة الصور: الإعلانات والمقاطع تغطي على المعاني.
 - غمرة السرعة: الحياة السريعة تقتل التأمل.
 - غمرة المادة: سباق الثراء والمظاهر.
 - غمرة الشهوات: الإباحة المفتوحة في الإعلام والإنترنت.
2. آلية الانتقال إلى اليقظة:

- اليقظة تعني: استيقاظ القلب من سبات الغفلة، وتكون عبر:
 - قطع الملهيات: ولو لساعة يومياً للخلوة مع النفس والقرآن.
 - التفكير في آيات الله: الكونية (في السماء والأرض) والقرآنية.
 - محاسبة النفس اليومية: وقفة مساءة مع الذات.
 - تذكر الموت: زيارة المقابر، التأمل في نهاية الدنيا.
 - الصحبة الصالحة: من يذكرونك بالله إذا غفلت.
 - الدعاء المستمر: {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا}.

المفهوم الثالث

الرسائل العملية للآية في مواجهة تحديات العصر

1. تحذير من السطحية
 - السطحية هي آفة العصر، والآية تدعو إلى:
 - الانتقال من القراءة السريعة إلى التدبر العميق.
 - التركيز على الجوهر لا المظهر.
 - عدم الاكتفاء بالظاهر من الأعمال دون الإخلاص.
2. محاربة الغفلة
 - الغفلة عدو الإيمان الأول، ومحاربتها تكون بـ:
 - الذكر المستمر (بالقلب واللسان).
 - المراقبة الدائمة (أن الله يراك).
 - الاستفادة من أوقات النشاط قبل الخمول.
3. التحذير من أعمال السوء
 - الآية تذكر أن للكافرين أعمالاً سيئة يعملونها باستمرار، وفيه تحذير للمسلم من:
 - الاستمرار في المعاصي الصغيرة التي تتراكم.
 - العادات السيئة التي تصبح طبيعة ثانية.
 - الإصرار على الذنب دون توبة.
4. الدعوة إلى المبادرة والجدية
 - {هُمْ لَهَا عَامِلُونَ} تدل على جدهم في الباطل، فيجب أن نكون أجدر في الحق:
 - المبادرة إلى الخيرات.
 - عدم التسويف.
 - الاستفادة من الوقت.
5. فحص القلوب وتصحيح المسار
 - الآية تدعو إلى:

- فحص دوري للقلب: هل هو سليم أم عليل؟
- تصحيح المسار: إذا وجدت ميلاً " فبادر بالتوبة.
- استشارة أهل العلم والصلاح لمعرفة العيوب.
- 6. التحذير من الاستدراج
- الاستدراج هو: أن يملئ الله للعاصي ويمد له في النعم حتى يظن أنه على خير، ثم يأخذه بغتة.
- علاماته: الاستمرار في المعصية مع دوام النعمة.
- علاجه: الخوف من مكر الله، قال تعالى: {فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ} (الأعراف: 99).
- 7. الأخذ بالقرآن كمنهج حياة
- الآية تدعو إلى:

- جعل القرآن دستوراً في كل شيء: العقيدة، العبادة، السلوك، المعاملات.
- تعظيم آيات الله: بتلاوتها وفهمها وتطبيقها.
- الاحتكام إليه عند الاختلاف.

المفهوم الرابع

دور الآية في بناء الإنسان المتكامل

1. البناء النفسي:
 - تطهير النفس من: الغفلة، قسوة القلب، التعلق بالدنيا.
 - زرع: اليقظة، الخشية، الطمأنينة.
 2. البناء العقلي:
 - تنمية مهارة: التفكير، التدبر، التحليل.
 - حماية العقل من: التشتت، السطحية، التقليد الأعمى.
 3. البناء الجسدي:
 - ضبط الشهوات ينعكس على صحة الجسد.
 - العبادات البدنية (الصلاة، الصيام) تقوي الجسد.
 4. البناء الاجتماعي:
 - اليقظة الفردية تؤدي إلى مجتمع متماسك.
 - محاربة الأنانية والتعاون على البر.
 5. البناء الثقافي:
 - ثقافة التدبر بدل ثقافة الاستهلاك.
 - تقديم القيم على المظاهر.
 6. البناء السياسي:
 - الحاكم اليقظ يكون عادلاً.
 - المحكوم اليقظ يكون رقيباً على الحاكم.
 - الأمة اليقظة لا تستضعف.
- اللمسات البيانية والبلاغية والتجويدية في خدمة هذه المعاني
1. اللمسات البيانية:
 - غمرة: كناية عن التغطية الكلية، تناسب عصر التغطية الإعلامية والرقمية.
 - هذا: للقرب، يذكّرنا بقرب القرآن رغم بعده عن قلوب الغافلين.
 - بل: للإضراب، تفيد أن العلة في القلوب لا في التكليف.
 2. اللمسات البلاغية:
 - الطباق: بين الغمرة والهدى، بين القلب الحي والقلب الميت.
 - المقابلة: بين حال الكفار في الغمرة وحال المؤمنين في النور.
 - الإيجاز: التعبير عن قضية الغفلة بكلمتين {في غمرة}.
 3. اللمسات التجويدية:
 - المد في {هَذَا}: يطيل الصوت ليلفت النظر إلى أهمية المشار إليه.
 - الإخفاء في {وَلَهُمْ أَغْمَالٌ}: يصور خفاء الأعمال وتراكمها.
 - تفخيم الرأى في {غَمْرَةٌ}: يعطي ثقلاً يصور جسامته الغمرة.
 - الوقف على {غَامِلُونَ}: بالتأني ليدل على الاستمرارية.
- خلاصة عملية وتوصيات
1. اجعل لك ورداً يومياً من التدبر، ولو آية واحدة تتأمل معانيها.
 2. راقب قلبك يومياً: هل هو في يقظة أم غفلة؟
 3. تخلص من العادات السيئة الرقمية، ولو بالتدريج.
 4. تذكر الموت يومياً، فإنه أبلغ واعظ.
 5. اصحب الصالحين، فهم خير معين على اليقظة.
 6. ادع الله دائماً: {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا}.

والله نسأل أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.
ثانياً

الترف والغفلة: دروس تربوية واجتماعية من الآية ٦٤ من سورة المؤمنون
تمهيد: مشهد المترفين عند نزول العذاب

الآية التي نحن بصدها تأتي في سياق سورة المؤمنون التي ترسم مشاهد دقيقة لحال الأمم السابقة، خاصة المترفين (الأغنياء المتنعمين الذين ألهتهم النعمة عن الشكر). وقد صور القرآن حالهم عند نزول العذاب في آيات أخرى، كقوله: {حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ} (المؤمنون: 64).

هذا المشهد يحمل دروساً عظيمة في التربية والبناء الاجتماعي، سنستخلصها في هذه المذكرة.
المفهوم الأول : مفهوم الترف والغفلة في الميزان القرآني

1. الترف: ليس غنى، بل طغيان النعمة
الترف في القرآن ليس مجرد الثراء أو التوسع في المباحات، بل هو:
• الانغماس في الملذات حتى تصبح هي الغاية.
• استخدام النعمة في معصية المنعم.
• الأمن من مكر الله بسبب الخيلاء بالنعمة.
• الاستكبار عن الحق بحجة الغنى والمكانة.

2. الغفلة: نتيجة طبيعية للترف

الغفلة هنا ليست نسياناً عابراً، بل:

- غمرة تغطي القلب فلا يرى الآخرة.
- شهوة تطمس البصيرة فلا يميز بين الحق والباطل.
- غرور بالدنيا ينسي الموت والحساب.

المفهوم الثاني: مشهد المترفين عند نزول العذاب: دروس في التربية والاجتماع

1. المشهد كما صورته القرآن:
{حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ} (64) لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تَنْصُرُونَ} (65)
(المؤمنون).

- يجأرون: يصرخون بأعلى أصواتهم كالبهائم، بعد أن كانوا في نعمة و صلف.
- لا تجأروا اليوم: النداء بالتوبيخ، أي فات الأوان.
- لا تنصرون: لا أحد ينقذكم، لا أموالكم ولا جاهكم ولا أولادكم.

2. الدروس التربوية:

أ. التربية على اليقظة:

- المشهد يوقظ في النفس الخوف من سوء العاقبة.
- يذكر أن النعمة قد تكون استدراجاً، كما قال علي بن أبي طالب: "إنما أخاف عليكم اثنتين: طول الأمل واتباع الهوى".

ب. التربية على التواضع:

- المترفون كانوا متكبرين، فإذا بهم يصرخون كالأطفال.
- الدرس: لا تغتر بقوتك اليوم، فغداً قد تكون أضعف من ذباب.
- ج. التربية على الشكر:

- النعمة مسؤولية، وليست للتفاخر.
- من لا يشكر على النعمة، يسلبها ويُعذب.

د. التربية على الاستعداد:

- المشهد يدعو إلى الاستعداد ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون.
- المبادرة بالتوبة قبل فوات الأوان.

3. الدروس الاجتماعية:

أ. تحذير الأمة من الترف:

- الأمم التي أهلكها الله كانت بسبب ترفها، كقوم عاد وثمود وفرعون.
- الترف يفسد الضمير الجمعي، فيصبح المجتمع أنانياً لا يتعاون.
- ب. خطورة التفكك الاجتماعي:

- المترفون يعيشون في أبراج عاجية، منفصلين عن معاناة الفقراء.
- هذا التفكك يؤدي إلى هشاشة المجتمع أمام الأزمات.

ج. أهمية التكافل:

- المجتمع الصالح هو من يعضد فيه القوي الضعيف.
- الترف يقتل روح التضامن.

المفهوم الثالث

دور القرآن في البناء والتنمية من خلال مشهد المترفين

1. البناء النفسي:
 - تصحيح الرؤية: القرآن يعيد تشكيل نظرة الإنسان للعالم، فهي دار ممر لا دار مقر.
 - تطهير النفس: من حب المال والجاه والاستعلاء.
 - زرع الخوف والرجاء: خوف من عذاب الله، ورجاء في رحمته.
 2. البناء السلوكي:
 - الانتقال من الأنانية إلى العطاء: الترف يربي الأنانية، والقرآن يربي على البذل.
 - التحرر من عبودية المادة: المترف عبد لماله، والمؤمن عبد لله وحده.
 - الالتزام بالمنهج: سلوكيات محددة في الإنفاق والادخار والتواضع.
 3. البناء الاجتماعي:
 - مجتمع متوازن: لا طبقة حادة، بل تضامن وتعاون.
 - قيادة رشيدة: الحاكم المترف يهلك الأمة، والحاكم الزاهد يعمرها.
 - اقتصاد أخلاقي: المال وسيلة لا غاية، والربح لا يكون على حساب القيم.
 4. البناء الحضاري:
 - الترف يهدم الحضارات: التاريخ يثبت أن الأمم تسقط بالترف قبل السقوط العسكري.
 - القرآن يبني حضارة: بالعمل والإتقان والتوازن بين الدين والدنيا.
- المفهوم الرابع
- التربية النفسية والسلوكية المستفادة من الآية
1. تقوية العزيمة والهمة:
 - مشاهد المترفين يذكر أن الحياة قصيرة، فلا وقت للكسل.
 - المؤمن الحق صاحب همّة عالية، لا يرضى بالدون.
 - اليقظة الدائمة تدفع للعمل الجاد.
 2. المبادرة بالطاعة وترك التسويف:
 - المترفون سوفوا التوبة حتى جاءهم العذاب.
 - الدرس: {فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ} (البقرة: 148).
 - لا تؤجل توبة، ولا صلاة، ولا صدقة.
 3. عدم الاغترار بالنعمة:
 - النعمة قد تكون اختباراً: {وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ} (الأعراف: 168).
 - من اغتر بالنعمة نسي المنعم، فسلبت منه.
 4. مراجعة الذات باستمرار:
 - {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلِتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ} (الحشر: 18).
 - محاسبة يومية قبل الحساب الأكبر.
 5. الحذر من التماس في الترف:
 - التماس: هو البحث عن مزيد من الرفاهية دون ضابط.
 - خطورته: أنه يجر إلى الغفلة ثم إلى الهلاك.
 - الحل: القناعة، والاقتصاد في المعيشة، وتذكر أن هناك من هو أقل.
- المفهوم الخامس
- كيف نحمي أنفسنا ومجتمعنا من داء الترف؟
1. على المستوى الفردي:
 - تذكر الموت يومياً: زيارة المقابر، التأمل في نهاية الأغنياء والبطالة.
 - النظر إلى من هو أقل: في الصحة والمال، لحديث: "انظروا إلى من هو أسفل منكم".
 - إخراج الزكاة والصدقات: تطهير للمال والنفس.
 - تقليل الكماليات: والاكتفاء بالضروريات.
 - الصحبة الصالحة: من يعينون على الطاعة وينهون عن الترف.
 2. على المستوى الأسري:
 - تربية الأبناء على القناعة: لا على الاستهلاك.
 - تعويدهم على المسؤولية: وتحمل تكاليف المعيشة.
 - عدم تلبية كل الرغبات: حتى لا ينشأوا مدللين.
 - قصص السابقين: تعليمهم كيف عاش الأنبياء والصحابة.
 3. على المستوى المجتمعي:
 - محاربة ثقافة الاستهلاك: في الإعلام والمدارس.
 - تشجيع الإنتاج والعمل: بدل الاتكال على الثروات.
 - الزكاة والضمان الاجتماعي: لسد حاجة المحتاجين.
 - مراقبة السلع الكمالية: ومنع التبذير.
 - قدوة المسؤولين: بأن يكونوا متواضعين في معيشتهم.

اللمسات البيانية في الآية التي تخدم هذه المعاني

1. {بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ}:
 . الإضراب بـ"بل" ينقلنا من عذر التكليف إلى علة القلوب.
 . "غمرة" تعني التغطية الكلية، كناية عن انغماسهم في الترف.
2. {مَنْ هَذَا}:
 . اسم الإشارة للقريب يدل على أن القرآن حاضر، لكن قلوبهم غافلة.
 . الترف حجبهم عن القريب منهم.
3. {وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ}:
 . "من دون" تدل على أن أعمالهم غير القرآن، أي بعيدة عن منهجه.
 . "أعمال" نكرة للتنويع والتهويل.
4. {هُمْ لَهَا غَامِلُونَ}:
 . الجملة الاسمية تفيد الثبوت، وتقديم الضمير يدل على الاختصاص، وصيغة اسم الفاعل تدل على الاستمرارية.

- . كل هذه المؤكدات تصور إصرارهم على الباطل.
5. في سياق العذاب (آية 64):
 . "أخذنا" تدل على القوة والعزة.
 . "مترفيهم" تخصيص المترفين لأنهم سبب الفساد.
 . "يجارون" تصوير صارخ لذلتهم بعد العزة.
خاتمة: رسالة الآية للمسلم المعاصر
1. احذر من الترف: فقد يكون سبب هلاكك وهلاك مجتمعك.
2. لا تغتر بالنعمة: فهي اختبار وليست تكريماً.
3. بادر بالتوبة: قبل أن تجار حين لا ينفع الجوار.
4. راقب قلبك: فإن صلاحه صلاح لك وفساده فساد.
5. اجعل القرآن منهج حياة: فهو الواقي الوحيد من الغفلة والترف.
{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} (الأعراف: 96).
والله نسال أن يجعلنا من الشاكرين، لا من المترفين الغافلين.

ثالثاً

تفسير الآية 65 من سورة المؤمنون:

النص القرآني:

{لَا تَجَارُوا الْيَوْمَ ۖ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنصَرُونَ} [المؤمنون: 65]

شرح المفردات

- . لا تجاروا: لا تصرخوا ولا تستغيثوا بصوت عالٍ وتضجروا.
- . مِنَّا لَا تُنصَرُونَ: لا تمنعون من عذابنا، ولن يدفع عنكم أحد هذا العذاب، ولن تجدوا لكم ناصرًا أو مغيثًا.

تفسير الآية

بعد أن يذكر الله تعالى حال الكفار والمجرمين عندما يحل بهم العذاب الشديد والبأساء، فيفزعون ويصرخون ويستغيثون، تأتي هذه الآية لتوبيخهم وتقريعهم على هذا الصراخ الذي لا ينفع. هذا النداء موجه إليهم على سبيل التأنيب والزر: "لا تصرخوا وتستغيثوا اليوم، فهذا الوقت قد فات فيه الأوان، وهذا الصراخ لا ينفعكم". ويُقال لهم ذلك في الوقت الذي نزل بهم فيه العذاب المباغت. فمعنى الآية الكريمة: عند ما يأخذهم الله بالعذاب المفاجئ، ويضجون بالاستغاثة، يقال لهم زجراً: لا تجاروا اليوم، فإنكم إن جأرتكم أو سكتكم سواء، فلن ننجيكم مما حل بكم، ولن تجدوا من يمنعكم أو يدفع عنكم هذا العذاب.

وقد ذكر الإمام الطبري في تفسيره عن الربيع بن أنس قوله: "لا تجزعوا الآن حين نزل بكم العذاب، إنه لا ينفعكم، فلو كان هذا الجزع قبل نفعكم". وهذا يؤكد أن وقت الجزع والاستغاثة قد فات، وأن العذاب واقع لا محالة.

كما أضاف الإمام القرطبي في تفسيره قول الحسن البصري في معنى "لا تنصرون" أي: "لا تنصرون بقبول التوبة"، لأن التوبة إنما تقبل قبل نزول العذاب أو قبل معاينة الموت. الخلاصة

الآية تصور مشهداً مهيباً يوم القيامة أو عند نزول العذاب بالكافرين، فهم يصرخون ويستغيثون، فيؤنبهم الله ويخبرهم أن صراخهم اليوم لا ينفعهم، وأنه لا ناصر لهم ولا مغيث، وأن عذابه واقع بهم لا محالة، وقد فات أوان التوبة والنجاة ولهذا سوف نقف عليها من خلال الاتي

الدرس الاول

سوف نتناول تناول دلاله فوات الأوان الورد في الايه وعلاقته باهميه اغتنام الوقت وكيف ان الا

ايه تربط النصر باراده الله لمن خضع لله في الدنيا وكيف ننقل هذه المفاهيم في الايه (لا تجأروا اليوم) إنكم مئاً لا تنصرون من مشهد العذاب الأخرى إلى حياتنا العملية، نستخلص دروساً عميقة في المسؤولية الشخصية وإدارة الأزمات. إليك شرح هذه المفاهيم وتطبيقاتها:

1. مفهوم "فات الأوان": أهمية اغتنام الوقت قبل الضيق في الآيه، يقال لهم "لا تجأروا اليوم" لأن وقت الاستغاثه قد فات. في حياتنا: التطبيق: لا تؤجل حل مشاكلك أو معالجة أخطائك إلى أن تتفاقم. مثلاً: لا تنتظر حتى تتراكم الديون لتتعلم إدارة الميزانية، أو حتى يفشل مشروعك لتسأل عن أسباب النجاح. الاستبصار و التخطيط المسبق هما الحل، وليس الفرع في اللحظة الأخيرة.

الحكمة: "درهم وقاية خير من قنطار علاج". العمل الوقائي (كالتوبة، والتخطيط، والتعلم) أنفع من الصراخ عندما تكون النتائج كارثية.

2. مفهوم "لا تنصرون": تحمل المسؤولية الكاملة المعنى أنهم لن يجدوا من ينقذهم أو يتحمل عنهم العواقب. التطبيق: في العمل والحياة، عندما تقع في مشكلة بسبب إهمالك أو تقصيرك، لا تنتظر من الآخري أن "ينصروك" ويتحملوا عنك الخطأ. النجاح الحقيقي يأتي من تحمل المسؤولية والبحث عن حلول، وليس من لوم الظروف أو الآخرين.

المثال: إذا قصرت في أداء واجباتك الوظيفية حتى تراكم العمل وقصلت، فلا جدوى من الصراخ وقتها. لقد فات وقت الجد والاجتهاد.

3. مفهوم "اليوم": التركيز على النتائج المترتبة على الأفعال الآيه تشير إلى لحظة الحصاد، حيث يرى الإنسان نتيجة أفعاله. التطبيق: كل قرار نتخذه اليوم له "يوم" أو لحظة نحصد فيها نتائجه.

الطالب الذي يهمل دروسه طوال العام: عندما تأتي الامتحانات ويوجد صعوبة في الإجابة، قد يصرخ ويتوسل للنجاح، ولكن يقال له عملياً: "فات الأوان، لقد ضيقت وقت المذاكرة". المدخن الذي يهمل صحته: عندما يمرض بمرض مزمن، قد يصرخ نادماً، ولكن الوقت قد فات للوقاية.

الرسالة: عش بلحظة "اليوم" وكأنك تستعد ليوم النتيجة. كن مسؤولاً عن أفعالك قبل أن تتحول إلى نتائج لا تستطيع تغييرها.

4. مفهوم "لا تجأروا": استبدال الفرع بالعمل "الجوار" هو الصراع والاستغاثه بصوت عال وهو تعبير عن الذعر والعجز. التطبيق: عندما تواجه أزمة مالية أو عملية، هل أول رد فعل هو الصراخ والفرع ولوم الآخرين؟ أم أنك تهدأ وتسأل: "ما العمل الآن؟" الإسلام يحث على الأخذ بالأسباب، والهدوء عند المصيبة. الفرع لا يحل المشكلة، بل يعطل التفكير السليم.

خلاصة حياتية من الآيه

الآيه تضعنا أمام مبدأ كوني: لكل فعل نتيجة، ولكل وقت حساب. الحياة العملية الناجحة تبني على هذا المبدأ:

1. لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد: لأن "الغد" قد يكون هو يوم "لا تجأروا".

2. لا تعتمد على المنقذ: اعتمد على عملك وإتقانك، فالتناس قد يعجزون عن نصرتك إذا كنت أنت السبب في مشكلتك.

3. الندم لا يكفي: الندم النافع هو الذي يسبق الفعل ويمنع الخطأ، أما الندم بعد فوات الأوان فهو عذاب بلا فائدة.

4. استعد ليوم الحساب العملي: في مشاريعك، في دراستك، في صحتك، اسأل نفسك: إذا جاءت لحظة الحصاد غداً، هل سأكون راضياً عن عملي اليوم؟

الدرس الثاني

دلاله تخصيص كلمة "اليوم" ونفي النصر بهذه الطريقة يحملان حكماً بالغة الأهمية تتعلق بطبيعة الحياة والجزاء. دعنا نفكك هذين المفهومين:

المفهوم الاول : لماذا قيل "اليوم"؟ (دلالة التوقيت)

تحديد الوقت بـ "اليوم" له دلالات عميقة، ولو كان المقصود هو الآخرة أو ساعة العذاب:

1. التأكيد الفجوة بين زمن العمل وزمن النتيجة: "اليوم" هو يوم الحصاد. كان بإمكانهم "الأمس" أي في الحياة الدنيا (أن يعملوا، وأن يتوبوا، وأن يستغيثوا بالله. فلما جاء "اليوم"، انتهى زمن العمل وحل زمن الجزاء. إنه تذكير بأن لكل شيء وقتاً، فكما أن للزرع وقتاً وللحصاد وقتاً، لا يمكنك أن تحصد قبل أن تزرع، ولا يمكنك أن تزرع في يوم الحصاد.

2. لإضفاء صفة المفاجأة والحسرة: كلمة "اليوم" تجعل المشهد حاضراً أمام الأعين. إنهم يعيشون العذاب الآن، في هذه اللحظة. وهذا يزيد من حسرة الندم، لأنه يقال لهم في نفس اللحظة التي يتمنون فيها النجاة: "الآن تريدون النجاة؟ الآن تبكون؟ لقد فات الوقت".

3. لربط الماضي بالحاضر: "اليوم" هو نتيجة طبيعية لكل الأيام السابقة التي قضاها الإنسان في غيه وجهله. إنه يذكرهم (بأن كل يوم نعيشه هو إما بناء ليوم النجاة أو ليوم الحسرة).

المفهوم الثاني

ماذا تعلمنا الآية عن مفهوم "النصر"؟

الآية تقطع الأمل في نصر خارجي عندما يكون السبب من الإنسان نفسه. إنها تعيد تعريف النصر الحقيقي:

1. النصر الحقيقي هو نصر الله: الآية تقول "مَنَّا لَا تَنْصَرُونَ". أي أن النصر الحقيقي يأتي من عند الله وحده. فإذا تخلى الله عن العبد، وأقفل عليه باب النصر، فجميع قوى الأرض لن تستطيع أن تنصره. هذا يغرس في المؤمن معنى الاعتماد على الله وحده، والالتجاء إليه قبل الشدة، لأنه هو الناصر الحقيقي.

2. النصر مشروط بالاستحقاق: لا أحد ينصرك إذا كنت على باطل ولم تتب. النصر ليس مجرد أمنية، بل هو نتيجة لإيمان وعمل واستقامة. الكافر يطلب النصر عند العذاب، لكنه لا يستحقه لأنه لم يعمل بأسبابه.

3. النصر ليس مجرد تخليص من الضيق: في مفهوم الآية، النصر هو حالة من الرضا والقبول والقرب من الله. الكافر "لا يُنصر" لأنه فقد الشعور بمعية الله ورحمته. أقصى درجات الخذلان أن يتركك الله لنفسك، وهذا هو عكس النصر الحقيقي.

4. الفرق بين النصر والاستدراج: أحياناً يظن الإنسان أن تأخير العذاب أو النجاة من موقف صعب هو "نصر"، لكنه قد يكون استدراجاً من الله) أي يمهلهم ليزدادوا إثماً. (النصر الحقيقي هو ما كان معه توفيق وصلاح، وليس مجرد خروج من أزمة.

الخلاصة البليغة:

الآية ترسم لنا طريق النجاة: النصر الحقيقي هو أن تكون مع الله قبل أن يأتي "اليوم" الذي تحتاج فيه إلى نصر. من كان مع الله في أوقات الرخاء (بذكره وشكره وطاعته)، كان الله معه في أوقات الشدة (بنصره وتأنيده). أما من أعرض عن الله طوال حياته، فسيأتي عليه "يوم" يصرخ فيه فلا يُجاب، ويطلب النصر فلا يُنصر

الدرس الثالث

تجلى في قوله تعالى: {لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ} ﴿١٠﴾ {إِنكُمْ مِّنَّا لَا تَنْصَرُونَ} مدرسة متكاملة في بناء الذات و الحضارة، حيث تربط الآية بين السلوك الأخلاقي والقدرة التاريخية على تحقيق النصر. إليك تحليل لهذه المفاهيم العميقة مدمجة بالدلالات اللغوية والتجويدي نأخذك فيه برحله لفهم هذه العلاقات المتشابكة، وكيف أن آية واحدة يمكن أن تكون نواة لبناء شخصية إنسانية متكاملة المسؤولية، ومجتمع راق، وحضارة عظيمة.

الامر الاول

العلاقة بين المعصية والحرمان من نصر الله (تحليل وصفي)

الآية تقول: {إِنكُمْ مِّنَّا لَا تَنْصَرُونَ}. هنا تكمن دلالة لغوية دقيقة في حرف الجر "من" الذي يدل على ابتداء الغاية. أي أن أصل النصر ومصدره هو الله وحده. فإذا انقطع هذا المصدر، انقطع النصر قطعاً.

العلاقة هنا ليست عقوبة اعتباطية، بل هي علاقة سبب ونتيجة كونية:

- المعصية هي انقطاع للاتصال بالله، وابتعاد عن منهجه الذي فيه النجاة.
- الحرمان من النصر هو النتيجة الطبيعية لهذا الانقطاع. فكما أن من يقطع السلك عن الكهرباء لا تضيء له غرفته، فمن يقطع صلته بمصدر النصر الحقيقي (الله) لا يمكن أن يُنصر.
- التطبيق في حياتنا: الإنسان الذي يعتاد الكذب في تعاملاته، أو يظلم الناس، أو يرتكب الفواحش، يبني حياته على أساس هش. عندما تأتية الأزمة (مالية، صحية، اجتماعية)، يبحث عن نصر، لكنه يجده مستحيلاً " لأن أساس بنيانه لم يكن متيناً. هو لم يقطع صلته بالله فقط، بل قطع الأسباب التي تجعل الناس يثقون به أو ينصرونه. هنا نتحقق فيه "لا تَنْصَرُونَ" من الله ثم من الناس.

الامر الثاني

الإخلاص واجتناب المعاصي: استعداد ليوم "لا ناصر فيه إلا هو" الآية ترسم لنا يوماً "فاصلاً" هو يوم العذاب أو يوم القيامة. هذا اليوم يتميز بأن جميع الأسباب الدنيوية تنقطع، ولا يبقى إلا سبب واحد هو الإخلاص لله.

• دور الإخلاص: الإخلاص هو أن يكون الله هو غاية العبد في كل حركة وسكون. من كان مخلصاً لله في وقت العمل (الدنيا)، كان الله له ناصرًا في وقت الشدة. الإخلاص يبني جسراً من العبودية في الرخاء يوصلك إلى النصر في البلاء.

• دور اجتناب المعاصي: المعاصي تشبه "الثقوب" في سفينة النجاة. كل معصية هي ثقب يدخل منه الماء. يوم العذاب، عندما تتور أمواج البحر، السفينة المثقوبة تغرق ولا تنصر. أما السفينة السليمة (القلب السليم من الإجرام) فتنجو.

الامر الثالث

مفهوم استغلال وقت العمل: (الدنيا مزرعة الآخرة)

الآية بذكرها للكلمة "اليوم" تقسم الزمن إلى قسمين:

1. زمن العمل (الدنيا): وهو زمن الاختيار والاكْتِسَاب. يمكن للإنسان فيه أن يغير وضعه، وأن يتوب،

وأن يبني صرح نجاحه أو فشله.
2. زمن الجزاء (الآخرة أو لحظة العذاب): وهو زمن الحصاد، وفيه تتوقف الأعمال.
دلالة "اليوم" البلاغية: تكرار كلمة "اليوم" في القرآن (مثل "اليوم" في هذه الآية) له وظيفة "الحضور". إنها تجعل المستقبل حاضراً أمام العين. عندما تقرأ "لا تجأروا اليوم"، كأنك ترى المشهد لأن، مما يخلق في النفس استعداداً دائماً.
مفهوم "الوقت الضائع" من الآية:
الوقت الضائع ليس هو الوقت الذي لم تعمل فيه فحسب. الوقت الضائع الحقيقي هو الوقت الذي عملت فيه عملاً لا ينفع في "ذلك اليوم".
• من يجمع المال بالحرام يضيع وقته، لأن ماله لن ينصره "اليوم".
• من يبني علاقات على المصالح المحرمة يضيع وقته، لأن هؤلاء سيتخلون عنه "اليوم".
الآية تعلمنا أن الوقت الضائع هو كل وقت لم نستثمره في بناء علاقة مع الله ونفع الناس.
الامر الرابع

بناء الإنسان المسؤول والجاد (التطبيق العملي)
هذه الآية تصنع وعياً متقدماً يؤدي إلى:
1. المسؤولية الفردية: عندما يدرك الإنسان أنه لن ينصر إلا من الله، وأن نصر الله مرتبط بصلاحه هو شخصياً، فإنه لا يلوم المجتمع أو الظروف على إخفاقاته. يصبح إنساناً "محاسباً لنفسه" قبل أن يحاسب.
2. الجدية: الحياة ليست لعبة. الآية تنزع من النفس الأمنيات الكاذبة. المؤمن الجاد هو من يعيش وكأنه يرى "اليوم" الذي يقال فيه "لا تجأروا"، فيستعد له بالعمل الصادق.
الامر الخامس

بناء المجتمع والحضارة (من الفرد إلى الأمة)
عندما يتربى أفراد الأمة على هذه المفاهيم:
• تنتفي ثقافة "النهب والاستغلال": لأن الجميع يعلم أن هناك يوماً لا ينفع فيه مال ولا بنون، فيتحرى الحلال في عمله.
• ينتشر الإتيقان: لأن العمل يراد به وجه الله ونفع الناس، لا مجرد المظهر. والإتيقان أساس الحضارة.
• تقوى الروابط الاجتماعية: عندما يبني الناس علاقاتهم على الإخلاص ومساعدة بعضهم البعض ابتغاء وجه الله، تصبح هذه الروابط متينة. لن يتخلى الغني عن الفقير لأنه يعلم أن نصر الله قد يأتيه على يد هذا الفقير، ولن يظلم القوي الضعيف لأنه يخشى "اليوم" الذي يترك فيه بلا ناصر.
الحضارة هنا: هي بناء بيئة متكاملة يشعر فيها الجميع بالأمان، لأن مصدر النصر الحقيقي (الله) حاضر في وجدانهم، فيتعاونون على البر والتقوى، ويدعون في العمل لخدمة الإنسان.
الامر السادس

دمج الدلالات اللغوية والبلاغية في بناء المفهوم
لنعد إلى النص الكريم مرة أخرى بعين المتدبر:
• {لا تجأروا} :
• اللغة: "الجوار" هو رفع الصوت بالتضرع والاستغاثة، وهو صوت الضعفاء المذعورين.
• البلاغة: التصوير هنا دقيق. إنهم كانوا في الدنيا متكبرين متجبرين، فلما نزل العذاب أصبحوا يصرخون كالبهائم. هذا التباين (الطباق المعنوي) بين العزة السابقة والذل اللاحق يزيد الموقف بشاعة.

• الدور في بناء الإنسان: يربي هذا التعبير في المؤمن التواضع لله في الرخاء، حتى لا يضطر للصراخ في البلاء.
• {اليوم} :

• اللغة: اسم إشارة للوقت الحاضر.
• البلاغة: فيه الالتفات، كأن الخطاب يوجه لهم الآن وهم يعذبون، مما يخلق جواً من الرهبة والحضور. كما أنه يفيد قصر المدة، أي أن هذا العذاب سيستمر ولن يزول، لأن "اليوم" هنا قد يعني الاستمرار (يوم القيامة).
• {إنكم مَتَّاء تَنْصَرُونَ} :

• اللغة: "منا" تقديم الجار والمجرور (مِثْلًا) يفيد الحصر والاختصاص. أي: النصر مختص بنا، وأنتم ممنوعون منه.

• البيان: في هذه الجملة إشارة إلى عدالة مطلقة. ليسوا مظلومين، بل هم من حرموا النصر لأنهم حرموا أنفسهم من سببه في الدنيا.
• التجويد: لو طبقت أحكام التجويد في قراءة هذه الآية، ستجد:

• الغنة في "إنكم" تجعل للإنذار رنيناً في الأذن.
• المد في "لا تنصرون" يعطي إحساساً بطول الحرمان واستمراره، مما يترك أثراً عميقاً في النفس.

الخاتمة: الآية كمنهج حياة
إذا أردنا اختصار كل ما سبق، فإن الآية تقدم لنا "نظرية المعادلة الإيمانية":
· المدخلات: الإخلاص + اجتناب المعاصي + استغلال الوقت.
· المخرجات: (نصر من الله في الدنيا والآخرة) وبناء إنسان مسؤول.
· النتيجة الحضارية: مجتمع قوي، متماسك، منتج، لا ينهار عند الأزمات.
الآية ليست مجرد خبر عن قوم هلكوا، بل هي نافذة يطل منها المؤمن على حقيقته، ليرى أن نجاحه الحقيقي يبدأ من داخله، بصلاح نيته وعمله، قبل أن يبحث عن نصر خارجي..

رابعا

الآية 66 تكمل فهمنا لسياق الآية السابقة (65) التي تناولت الحرمان من النصر، ليُصبح المعنى متكاملًا، وكأنه قصة ذات فصول. إليك تفسير الآية مع بيان ما فيها من كنوز المعاني.

نص الآية الكريمة

{قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُثَلِّىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَغْقَابِكُمْ تَنْكَبُونَ} [المؤمنون: 66]

التفسير التفصيلي

1. الربط بما قبلها (سبب النزول المعنوي): بعد أن ييأس الكفار من النصر ويصبحون في العذاب، يُوبخهم الله توبيخاً على ما فرطوا فيه. كأنه يقال لهم: "هذا الذي نزل بكُم اليوم ما هو إلا نتيجة طبيعية لأفعالكم السابقة، فقد كان السبب الأكبر هو إعراضكم عن آيات الله".
2. شرح المفردات:

· آياتي: المقصود بها آيات القرآن الكريم التي أنزلها الله هداية ورحمة .
· على أعقابكم: "الأعقاب" هي مؤخرة القدم. الرجوع على العقب كناية عن الرجوع إلى الخلف و التراجع والهروب .

· تنكبون: من "النكوص"، وهو الرجوع إلى الخلف والارتداد على الدبر. قال مجاهد: "تستأخرون"، وقال ابن عباس: "تدبرون".

3. المعنى الإجمالي: تخبرنا الآية أن سبب العذاب والخذلان هو أن آيات الله كانت تتلى عليهم في الدنيا، فكان رد فعلهم هو النفور والهروب منها وعدم الرغبة في سماعها أو التصديق بها، وكأنهم يركضون إلى الخلف هاربين منها .

المفاهيم والدروس المركزية

1. مفهوم "الآيات المتلوة" (رحمة مهددة): الآية تقدم لنا مفهوم أن القرآن ليس مجرد كتاب يُقرأ، بل هو "آيات" من الله، أي رسائل مباشرة إلينا. تلاوتها علينا هي أعظم نعمة، وإهمالها هو أعظم جريمة.
2. مفهوم "النكوص" (التراجع الحضاري والفكري): أبلغ وصف لموقف الإنسان من الحق. "النكوص على الأعقاب" يعني أن الإنسان خلق ليتقدم بالإيمان، لكنه حين يعرض عن آيات الله فإنه لا يقف مكانه فقط، بل يتراجع إلى الخلف. يقول السعدي: "لأن باتباعهم القرآن يتقدمون، وبالإعراض عنه يستأخرون وينزلون إلى أسفل سافلين". إنه قانون كوني: الإيمان تقدم، والإعراض تراجع.
3. مفهوم "كبر الذنوب": الآية تضع على "أكبر ذنوبهم". ليس الذنب مجرد فعل سيء، بل الذنب الأكبر هو الإعراض عن كلام الله وعدم الرغبة في الاستماع إليه. هذا هو أصل كل بلاء.

التوجيهات والرسائل العملية

1. الرسالة الأولى: استثمار وقت "التلاوة": الآية توجهنا إلى أن فترة وجود القرآن بين أظهرنا هي فترة "العمل". فإذا نحن أعرضنا عنه، فسيأتي يوم "لا تجاروا" حيث لا ينفع الندم. قال الضحاك: "قبل أن تعذبوا". الوقت الآن هو وقت الاستماع والامتثال، وليس وقت الهروب.

2. الرسالة الثانية: خطورة "النفور" من الحق: الآية تحذر من حالة النفور والاشمئزاز من سماع القرآن أو النصيحة. هذه الحالة هي التي توصل الإنسان إلى أن يقال له يوم القيامة: "اخشأوا فيها ولا تكلمون". إنها تذكير بأن نربي أنفسنا على تقبل الحق، حتى لو كان ثقيلاً على نفوسنا في البداية.

3. الرسالة الثالثة: اتخذ موقفاً: الآية ترسم صورة لموقفين: موقف الهارب (النكوص) وموقف المستقبل (الإيمان). أنت في كل لحظة تخير: إما أن تستمع لآيات الله فتتقدم، وإما أن تنكص على عقبيك فتتراجع. لا يوجد موقف محايد.

الدلالات اللغوية والبيانية التي تخدم المعنى

1. استخدام الفعل الماضي "كانت" و "فكنتم":

· الدقة البلاغية: الفعل الماضي هنا يدل على أن هذا الأمر قد وقع وانتهى. إنه تصوير للموقف يوم القيامة كأنه حقيقة واقعة لا رجعة فيها. يقولون لهم: "قد كان" أي في زمن الدنيا الذي فات، كانت آياتي تتلى، وكنتم أنتم تفعلون كذا. هذا يخلق شعوراً بالحسرة على وقت ضاع لا يعود .
· الربط بالآية 65: الآية 65 قالت "اليوم" (زمن الجزاء)، وهذه الآية قالت "قد كانت" (زمن العمل).

الربط بينهما واضح: ما جنيتموه اليوم هو ما زرعتموه بالأمس.

2. تصوير "النكوص" (الصورة الحركية):

· التحليل البياني: الآية ترسم صورة حركية مذهلة. كلمة "تنكبون" تعطي إحياء بالحركة

السريعة إلى الخلف (الارتداد والهروب)، وكلمة "على" أعقابكم" تعطي صورة دقيقة لهذه الحركة، وكأنهم يمشون على أعقابهم (مؤخرة أقدامهم) في مشية مضطربة غير طبيعية. هذا تصوير لحالة من الذهول والرفض والعناد .

• القراءة الأخرى: قرأ علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- "على أديباركم" بدل "على أعقابكم"، مما يؤكد أن المعنى هو الانهزام والفرار من ساحة الحق .

3. صيغة "تثلى" (الاستمرارية والتجدد):
• اللمسة البيانية: استخدام الفعل المضارع "تثلى" مع أن الكلام عن الماضي، يدل على استمرارية التلاوة وتجديدها. لم تكن مرة واحدة، بل كانت الآيات تتلى عليهم مراراً وتكراراً، ومع ذلك كانوا في كل مرة ينكصون. هذا يزيد من قبج جرمهم وإصرارهم على الباطل .
الخلاصة: الآية في حياتنا

الآية 66 هي "آية التشخيص" لمشكلة الإنسان. إنها تقول: المشكلة ليست في العذاب، المشكلة في السبب الذي أدى إليه. والسبب هو موقفك من آيات الله. هي دعوة دائمة لنا للتأمل: كيف نستقبل القرآن؟ هل نستقبله بقلوب مفتحة مشتاقة، فننصت له ونتقدم؟ أم نستقبله بالهروب والنفور، فننكص على أعقابنا ونتقهقر؟ إنها معادلة دقيقة: كلما ابتعدت عن القرآن، تراجعت. وكلما اقتربت منه، تقدمت.

المبحث الثاني

، لنستكمل رحلتنا مع هذه الآية العظيمة، ونسقطها على واقعنا لنستخلص منها منهجاً متكاملًا للنجاح والتقدم، ونفهم كيف تبني فينا شخصية الصامد الثابت.
مقدمة: النجاح في ميزان القرآن

عندما نتحدث عن النجاح في مفهوم هذه الآية، فإننا لا نتحدث عن نجاح مادي زائل، بل عن النجاح الحقيقي الذي يجمع بين الفلاح في الدنيا والفوز في الآخرة. الآية 66 من سورة المؤمنون تضع لنا بوصلة دقيقة تحدد اتجاه حركتنا في الحياة: إما أن نتجه إلى الأمام باتجاه الحق (وهو النجاح)، أو ننكص على أعقابنا إلى الخلف (وهو الخسارة). إنها تقدم لنا نظرية متكاملة في "الحركة الإيمانية".

الأمر الأول: مفهوم الطريق إلى النجاح والتقدم (الاستقامة على منهج الله)
الآية تقول: {قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُثَلَّى عَلَيْكُمْ}. هذا هو نقطة البداية. النجاح يبدأ عندما تتعرض لآيات الله (القرآن، أو آياته الكونية، أو النصيحة) فتتخذ منها منهجاً.
ما هو النجاح في هذا السياق؟

النجاح هو "الاستقامة على منهج الله"، أي الثبات على ما جاءت به الآيات، وعدم النكوص عنه. إنه تحويل التلاوة إلى تطبيق، والعلم إلى عمل. كما قال تعالى: {فَاسْتَقِمُّ كَمَا أُمِرْتَ} [هود: 112]. الاستقامة هنا تعني التقدم المطرد نحو الله، وهي عكس النكوص تماماً.

الآية ترسم لنا طريق النجاح في خطوات:
1. التعرض للآيات: لا نجاح بغير هدى. لا يمكنك أن تسير في طريق مظلم. الآيات هي النور الذي يضيء لك الطريق.

2. الاستجابة: بمجرد أن تتلى عليك الآيات، يجب أن يكون رد فعلك هو الإصغاء والقبول. قال تعالى: {وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا} [الأنفال: 2].

3. الثبات (التقدم): أن تمضي قدماً على هذا الطريق، لا أن ترتد إلى الخلف.
دور الدلالات اللغوية:

• فعل "تثلى" بصيغة المضارع يدل على أن الآيات تتجدد باستمرار، والنجاح يحتاج إلى استجابة متجددة، وتجديد للإيمان، وتحديث للنية. ليس نجاحاً لمرة واحدة، بل هو حالة مستمرة من التلقي والتقدم.

الأمر الثاني

مفهوم النكوص والانحراف (الطريق إلى الخسارة)
في مقابل النجاح، تقدم الآية صورة مرعبة للفشل: {فَكَنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تُنكَصُونَ}. "النكوص" هو عكس التقدم.

ماذا يعني النكوص؟
• في اللغة: هو الرجوع إلى الخلف، والارتداد على الدبر. وقد ورد عن ابن عباس في تفسير "تنكصون" أي: "تدبرون".

• في المفهوم: هو الانحراف عن المنهج بعد معرفته، والإعراض عن الحق بعد سماعه، والتأخر عن تلبية نداء الله.

كيف يؤدي النكوص إلى الخسارة والندم؟

1. التراجع الحضاري: النكوص لا يعني التوقف فقط، بل العودة إلى الوراء. فمن كان على طريق الحق ثم أعرض، فإنه لا يعود إلى حيث كان فحسب، بل يهبط إلى أسفل. يقول السعدي: "لأن باتباعهم القرآن يتقدمون، وبالإعراض عنه يستأخرون وينزلون إلى أسفل سافلين". هذا هو الخسران

المبين.

2. الارتباط بيوم "لا تنصرون": النكوص في الدنيا يؤدي إلى الحرمان من النصر في الآخرة (الآية 65). الذي ينكص اليوم عن نداء الحق، سينكص غداً عن رؤية وجه الله الكريم. هذا هو الندم الحقيقي: أن ترى غيرك يتقدمون وأنت متخلف، لأنك فضلت الهروب على المواجهة.

3. الوقت الضائع: النكوص هو إهدار للزمن. فكل خطوة ترجعها إلى الخلف هي وقت ضاع من عمرك، وكان بإمكانك أن تستثمره في بناء مستقبلك الأبدي.

الامر الثالث

بناء الشخصية الصامدة الثابتة على المبدأ

الآية تقدم لنا وصفة متكاملة لبناء إنسان لا يهتز أمام المغريات ولا ينكص أمام التحديات:

1. اليقين بالعاقبة: من يدرك أن النكوص يؤدي إلى "يوم لا ينصرون" فيه، يصبح عنده دافع داخلي هائل للثبات. المؤمن الذي يفهم الآية جيداً يعلم أن أي متعة زائلة في المعصية لا تساوي شيئاً أمام حسرة "يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول".

2. الإحساس بالمسؤولية: الآية تجعل الإنسان مسؤولاً عن موقفه. لم تقل "فكنتم تكرهون" فقط، بل وصفتهم بـ "النكوص"، وهو فعل اختياري. أنت من تختار أن تتقدم أو تتراجع. هذا الإحساس بالاختيار يصنع شخصية مسؤولة لا تلوم الظروف، بل تعترف بخطئها وتصحح.

3. قوة المواجهة: صورة "النكوص" فيها معنى الجبن والهروب. الشخصية المسؤولة هي التي تواجه الحق ولا تهرب منه. هي التي تقول: "سمعنا وأطعنا"، حتى لو كان الثمن غالياً. هي شخصية "الصادق بالحق" الذي لا يخاف في الله لومة لائم.

الصمود أمام المغريات:

المغريات هي التي تجعل الناس "ينكصون". الإغراءات المالية، الشهوات، المكانة الاجتماعية، كلها تدعوك إلى ترك المبدأ والارتداد إلى الخلف. الآية تذكر بأن هذه المغريات مؤقتة، وأن ثمن النكوص هو خذلان الله لك. لذلك، فالثابت هو من يزن الأمور بميزان الآخرة، لا بميزان اللحظة العابرة.

الامر الرابع

دور الآية في بناء الثقافة المتميزة (المجتمع والحضارة)

عندما يتربى المجتمع على هذه الآية، تنشأ ثقافة متكاملة:

1. ثقافة التقدم المستمر (لا تراجع عن المبادئ): مجتمع لا يعرف النكوص، بل يعرف التطور والرقى في إطار الثوابت. هو مجتمع يبحث عن التجديد والتحسين، لكنه لا يتخلى عن هويته وأصوله.

2. ثقافة المسؤولية الفردية والجماعية: كل فرد يشعر أنه إذا نكص، فإنه لا يخسر نفسه فقط، بل قد يكون سبباً في تراجع الأمة. قال تعالى: {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً} [الأنفال: 25]. الانحراف الفردي قد يعم ضرره.

3. ثقافة العزة بالله: المجتمع الذي يستجيب لآيات الله هو مجتمع عزيز، لا يقبل الذل ولا الهزيمة النفسية. قال تعالى: {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} [المنافقون: 8]. النكوص هو طلب للعزة من غير الله، وهو عين الذل.

4. الحضارة الأصيلة: الحضارة التي تبنى على هذا الأساس هي حضارة أصيلة، لأنها تبنى على قيم ثابتة. لا تنهار عند أول عاصفة، ولا تذوب في الآخرين. هي حضارة تعطي وتبدع، لكنها لا تنسى منبعها وهدفها.

الخلاصة: أنت بين خيارين

الآية 66 تضعك على مفترق طرق:

• إما أن تكون من "المستمعين" الذين إذا تليت عليهم آيات الله ازدادوا إيماناً وتقدماً، فتفوز بنصر الله في الدنيا والآخرة، وتبني شخصية صلبة، وتسهم في بناء مجتمع قوي.

• وإما أن تكون من "النواكص" الذين يهربون من الحق، فيخسرون أنفسهم ويحرمون من نصر الله، ويعيشون الندم حيث لا ينفع الندم.

الآية تريد منا أن نكون كالنحلة: صامدة في وجه العواصف، ترتفع إلى الأعلى كلما زادت العناية بها، ولا تنكص على أعقابها أبداً. هذا هو سر النجاح الحقيقي: أن تثبت على المبدأ حتى تلقى الله.

المبحث الثالث

في هذه الفقره من التحليل للابه سوف نتقل من وصف الحالة (النكوص) إلى تحليل النفسية التي تنتجها (التردد). الآية لم تستخدم كلمة "تردد" بشكل صريح، لكنها صورت لنا التماثل العملي للتردد وهو "النكوص على الأعقاب". من خلال تحليل هذه الصورة، يمكننا استخلاص مفهوم عميق وخطير للتردد.

الامر الاول:

ماذا يعني "التردد" في ضوء الآية؟

التردد ليس مجرد تأخير في اتخاذ القرار، بل هو حالة نفسية وحركية تتسم بعدم الاستقرار وعدم القدرة على الالتزام. هو أن تكون بين أمرين: بين الحق والباطل، بين الإيمان والكفر، بين الاستقامة والانحراف، فلا تميل إلى هذا تماماً ولا إلى ذاك تماماً.

الآية تصف هؤلاء القوم بأنهم {على أعقابكم تنكصون}. النكوص هو حركة إلى الخلف، لكنها ليست حركة واثقة، بل هي حركة الهارب المذعور. إنها تعبير عملي عن حالة نفسية مهزوزة:
• سمعوا الآيات (النداء للحق) فكان يجب أن يتقدموا.
• لكنهم ترددوا، فلم يتقدموا، بل بدأوا يتراجعون.
• والتراجع هنا (النكوص) هو نتيجة التردد: لأنهم لم يستجيبوا للحق، وجدوا أنفسهم ينجرّفون إلى الخلف.

الامر الثاني

خطورة التردد كما تفهم من الآية
التردد ليس خطأ بسيطاً يمكن تداركه، بل هو مرض عضال يقود إلى الهلاك. الآية تكشف لنا هذه الخطورة من عدة زوايا:

1. التردد يؤدي إلى "النكوص" (الانتكاسة)
ليس هناك وقود في الحياة الدنيا. أنت إما تتقدم أو تتراجع. التردد يمنع التقدم، وفي غياب التقدم، تبدأ قوى الجذب إلى الخلف (الشهوات، الشهات، الضغوط) في العمل، فإذا بك تنكص على عقبيك دون أن تشعر. هذه هي الانتكاسة. يوم كنت تسمع القرآن وتحسن، واليوم بت تسمعه فتضجر. هذا هو النكوص.

2. التردد يحول "التلاوة" إلى "حجة عليك"
الآية تقول: {قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُثَلَّى عَلَيْكُمْ}. هذه الآيات التي تتلى هي رحمة لو استجيبت لها، ولكنها تتحول إلى وبال على المتردد. لأن التردد يعني أنك سمعت الحق ولم تتبعه. فيصبح القرآن شهيداً عليك، كما قال تعالى: {وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا} [الفرقان: 30]. التردد هو مقدمة الهجران.

3. التردد يحرمك من "النصر" (الآية 65)
لأن النصر الإلهي يكون للحازمين، للمستجيبين الفوريين. قال تعالى عن المؤمنين: {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا} [النور: 51]. أما المتردد، فيبقى يتأرجح حتى تأخذه الصيحة. التردد يقطع الطريق بينك وبين نصر الله.

4. التردد يضيع "الوقت" (مفهوم الوقت الضائع)
التردد هو أخطر أنواع إضاعة الوقت، لأنك في فترة التردد لا تنتفع بالحق ولا ترتاح بالباطل. أنت في "منطقة رمادية" تستنزف طاقتك وعمرك. الآية تشير إلى هذا بأنها تستخدم الفعل الماضي: "قَدْ كَانَتْ ... فَكُنْتُمْ". أي أن فترة التلاوة انتهت وهم ما زالوا في نكوصهم، ضاع عليهم زمن العمل كله وهم يترددون.

الامر الثالث

لماذا يتردد الناس؟ (من واقع الآية)
الآية تلمح إلى سببين رئيسيين للتردد:
1. التعلق بالأعقاب (الماضي): كلمة {على أعقابكم} تشير إلى أنهم متعلقون بماضيهم (عاداتهم، آباءهم، كبرياتهم). كلما دعاهم الحق إلى الأمام، تمسكوا بماضيهم إلى الخلف. هذا الصراع بين الماضي والحاضر يخلق تردداً.

2. الخوف من المجهول (الجبين): النكوص صورة من صور الجبن. هم يخافون من التزامات الإيمان، يخافون من ترك الشهوات، يخافون من رد فعل المجتمع. هذا الخوف يشل حركتهم ويجعلهم يتراجعون.

الامر الرابع

كيف تبني الآية شخصية غير مترددة؟
الآية تعطينا أدوات نفسية وإيمانية لاجتثاث التردد من جذوره:
1. اليقين بالعواقب: عندما تدرك أن التردد سيؤدي بك إلى "يوم لا تنصرون" (الآية 65)، فإن هذا الإدراك يخلق في نفسك حافزاً لاتخاذ القرار. الخوف من عاقبة التردد أقوى من الخوف من تحديات الإيمان.

2. وضوح الرؤية: الآية تقدم لك معادلة بسيطة: إما أن تتقدم بالاستجابة، وإما أن تنكص وتخسر. عندما يكون الخيار واضحاً بهذا الشكل، يزول التردد.

3. كسر الجمود: الآية تطلب منك حركة. المؤمن لا يقف، إما تقدم أو تراجع. الحركة الدائمة هي التي تقتل التردد. قال تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} [العنكبوت: 69]. الجهاد (الحركة) هو الذي يجلب الهداية، ويقتلع التردد.

4. تحمل المسؤولية: الآية تحملك مسؤولية موقفك: {فَكُنْتُمْ}. أنت من اخترت أن تنكص. عندما تشعر أنك مسؤول، لن تنتظر الظروف المثالية، بل ستبادر وتحرك.

الخلاصة: التردد قاتل

الآية ترسم لنا صورة "الإنسان المتردد" بأنه إنسان يمشي إلى الخلف على أعقاب، في مشية مضطربة قبيحة، تثير السخرية والشفقة. هذا المشهد البصري القبيح هو تحذير لنا من أن نكون

مثله.

التردد خطير لأنه:

- يمنع التقدم.
 - يضيع الوقت.
 - يحرم من النصر.
 - يحول النعمة (الآيات) إلى نقمة.
- علاج التردد في ضوء الآية هو: إذا تليت عليك آيات الله، فاثبت مكانك لا تنكص، بل تقدم خطوة نحوها، وقل: سمعنا وأطعنا.

المبحث الثالث

العلاقة بين الآيات الثلاث (65، 66، 67) ليست مجرد ترتيب رقمي، بل هي علاقة سببية عضوية، حيث تشرح كل آية سبب الأخرى وتفسرها. دعنا نبني هذا الربط بشكل متسلسل:

الامر الاول:

العلاقة المتكاملة: سلسلة السببية (من الجذر إلى الثمرة)

يمكننا تصور العلاقة على شكل شجرة:

- الآية 67 مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ (.... هي الجذور) السبب الخفي والكامن في النفس).
- الآية 66 فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تُنْكِرُونَ: (هي الجذع) السلوك الظاهر والموقف العملي).
- الآية 65 لَا تَجَاوَزُوا الْيَوْمَ (.... هي الثمرة) النتيجة الحتمية والعاقبة).

إليك تفصيل هذه العلاقة:

1. العلاقة بين الآية 67 والآية 66 (: السبب الخفي والسلوك الظاهر)
الآية 67 تصف الحالة النفسية والاجتماعية التي كانت سبباً في النكوص المذكور في الآية 66.
{مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ} {الاستكبار} (→) {تُنْكِرُونَ} {النكوص}:
• لماذا كانوا ينكصون على أعقابهم عند سماع آيات الله؟ لأنهم مستكبرون. الاستكبار يمنع الإنسان من الخضوع للحق، حتى لو اقتنع به عقلاً. المستكبر لا يريد أن يرفع رأسه لمن هو دونه في ظنه، فيفضل التراجع) النكوص (على الانحناء للحق.
• استكبارهم كان بسبب شرفهم المكاني) البيت الحرام)، فظنوا أن هذا الشرف يعطيهم حصانة ويعفيهم من اتباع محمد ﷺ. هذا الغرور جعلهم يتراجعون كلما سمعوا الحق.
{سَامِرًا} {مجالس السمر الباطلة} (→) {تُنْكِرُونَ}:
• هذه المجالس الليلية كانت بيئة لتغذية الاستكبار وتثبيت النكوص. كانوا يجتمعون ويتسامرون بـ الطعن في القرآن والنبي، مما يقوي عزيمتهم على الباطل ويمنعهم من الرجوع إلى الحق. إنها تشبه "غرف العمليات" التي يديرون منها حربهم النفسية ضد الدعوة.
{تَهْجُرُونَ} {الهجر والكلام الباطل} (→) {تُنْكِرُونَ}:
• "الهجر" هو نتيجة طبيعية للاستكبار والسمر. كانوا يقولون في القرآن: سحر، شعر، أساطير الأولين . هذا الكلام الباطل كان يبعدهم أكثر وأكثر عن الإيمان، فكلما قالوا كلمة باطل ازدادوا بعداً) نكوصاً (عن الحق.
الخلاصة: الآية 67 تصف "المرض" (الاستكبار ومجالس الباطل)، والآية 66 تصف "أعراض هذا المرض" (النكوص عن الحق).

الامر الثاني

العلاقة بين الآية 66 والآية 65 (: السلوك والنتيجة)

- هذه علاقة مباشرة بين فعل الإنسان في الدنيا وعاقبته في الآخرة.
- {تُنْكِرُونَ} {النكوص} (→) لَا تَجَاوَزُوا ... لَا تُنْصَرُونَ} {الحرمان من النصر):
• من كان ديدنه في الدنيا النكوص عن آيات الله كلما تليت عليه، فجزاؤه الطبيعي أن يُخذل يوم العذاب، فلا يُنصر ولا يُستجاب لصراخه.
 - النكوص هو اختيار للتراجع، فجزاؤه أن يتركوا في العذاب ولا يتقدمون إلى النجاة. إنه تجسيد لقوله تعالى: {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} [الصف: 5]. لما نكصوا هم، صار جزاؤهم أن يُنكص عنهم النصر.

الامر الثالث

العلاقة بين الآية 67 والآية 65 (: الجذر والثمرة)

- الآية 65 تقول عنهم يوم القيامة: {إِنَّمَا هُمْ دُحْرُورٌ}. لماذا حُرموا هذا النصر؟
- الجواب في الآية 67: لأنهم كانوا في الدنيا {مُسْتَكْبِرِينَ}. والاستكبار هو الذي يحرم الإنسان من نصر الله. قال النبي ﷺ: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر". الاستكبار على الله وعلى آياته هو الذنب الذي يخرج الإنسان من دائرة نصر الله ورحمته.
 - وأيضاً: لأنهم كانوا {سَامِرًا تَهْجُرُونَ}، يعمرون لياليهم بالباطل والطعن في الدين. فكيف يُنصر من قضى عمره في هجر الحق والعدوان عليه؟

الامر الخامس

صورة متكاملة: قصة في ثلاث آيات

إذا أردنا قراءة الآيات الثلاث كقصة واحدة متكاملة، فستكون كالتالي:

1. المشهد الأول) الآية 67 - الحياة الدنيا: قوم أعجوبوا بأنفسهم وبمكانياتهم) مستكبرين. (اجتمعوا في مجالسهم الليلية) سامراً (يتبادلون الأحاديث الباطلة والسخرية من الدين) تهجرون. (هذه هي التربة الفاسدة التي نشأ فيها موقفهم).

2. المشهد الثاني) الآية 66 - لحظة المواجهة: عندما يأتيهم الحق) آيات الله تتلى عليهم، لا يتفاعلون معه إيجاباً. بدلاً من ذلك، تجدهم يهربون إلى الخلف) ينكصون على أعقابهم، (غير قادرين على مواجهة الحق أو حتى الاستماع إليه. هذا هو رد فعلهم الطبيعي لأن الاستكبار ملاً لقلوبهم).

3. المشهد الثالث) الآية 65 - يوم العذاب: عندما يحل بهم العذاب ويصرخون مستغيثين) تجأرون، (يقابلون بالتوبيخ والخذلان) لا تجأروا اليوم. (ويُخبرون أن مصدر النصر الحقيقي) الله (قد انقطع عنهم) إنكم منا لا تنصرون، لأنهم كانوا قد انقطعوا عنه بأنفسهم في الدنيا.

الدروس المستفادة من هذه العلاقة

1. العواقب ليست عشوائية: ما يحدث للإنسان في الدنيا والآخرة هو نتيجة طبيعية لأفعاله واختياراته. من استكبر في الدنيا خذل في الآخرة.

2. الخطورة في "التراكم": الاستكبار وحده خطير، لكنه حين يتحول إلى ثقافة جماعية) سامراً (وكلام متبادل) تهجرون، يصبح جبلاً من الصدا على القلب لا يمكن اختراقه.

3. الوقاية قبل العلاج: الآيات تدعونا لتفقد قلوبنا من الاستكبار، ومجالسنا من الله، وألسنتنا من الهجر، قبل أن يأتي يوم نتمنى فيه الرجعة فلا نستطيع.

4. قانون الاستبدال: كما استبدلوا الحق بالباطل في الدنيا) نكصوا عنه، استبدلهم الله بالخذلان في الآخرة) لا ينصرون.

الخلاصة البليغة:

العلاقة بين الآيات هي علاقة "الانعكاس". ما كان في الداخل (الاستكبار) انعكس على الخارج (النكوص)، ثم انعكس على المستقبل (الخذلان). الآية 67 هي المرأة التي تريهم حقيقتهم التي أدت إلى نكوصهم في الآية 66 وخذلانهم في الآية 65. الآية 66

خامساً

هذه وقفة تأمل مع مشهد من مشاهد القيامة، أو من مشاهد التوبيخ الإلهي، الذي ساقه المولى سبحانه وتعالى في محكم كتابه، وتحديدًا في سورة المؤمنون، لنعيش معه وتندبر دلالاته ورسائله التي تتجاوز الزمان والمكان لتصل إلى قلوبنا اليوم.

يقول تعالى مخاطبًا الطغاة والمجرمين، ومذكّرًا إياهم بما كان منهم في الدنيا: {حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْزُونَ} (64) لَا تَجْزُوا أَلَيَّ يَوْمَ ۖ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنصَرُونَ (65) قَدْ كَانَتْ ءَايَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰٰ غَعَقٍ بِكُمْ تَنكُصُونَ (66) مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجَرُونَ (67) {المؤمنون: 64-67}.

إن نقل هذا المشهد إلينا ليس لمجرد حكاية تاريخ، بل هو لفظة كريمة من الله تعالى لعباده المؤمنين، ليُرِيهم سننه في خلقه، وليكشف لهم حقيقة الصراع بين الحق والباطل، وليحذرهم من مسالك الغفلة والكبر التي توردها أصحابها موارد الهلكة. إنه لوحة مرسومة بأبلغ عبارة، تظهر تحول الإنسان من حالة الغرور والاستكبار في الدنيا إلى حالة الذل والانكسار والجوار عند نزول العذاب.

لنتأمل هذا النداء الإلهي، وكأننا نسمعه اليوم موجهاً إلى كل من تصدى للحق وتكبر عن اتباعه: "يا من آمنتم بزيّف قوتكم، وغرقتم في نعيم الدنيا وترفها، حتى إذا حل بكم البأس، وأخذناكم بالعذاب، إذا بكم تننون وتستغيثون وتجأرون كالذبيح! أين كانت تلك الجأرة حين كانت آياتي تتلى عليكم؟ أين كانت تلك الصرخات حين كان الهدى يُعرض أمامكم؟ اليوم لا تجأروا، فلن ينفعكم الصراخ، ولن تجدوا من دون الله ولياً ولا نصيراً."

ثم ينتقل السياق القرآني ليرسم ملامح ذلك الموقف الذي كانوا عليه، ليكون درساً وعبرة:

1. النكوص على الأعقاب: {فَكُنْتُمْ عَلَىٰ غَعَقٍ بِكُمْ تَنكُصُونَ}

هل تذكرون؟ لقد كنتم حين تتلى عليكم آيات الله، لا تستقبلونها بوجوهكم، بل كنتم ترتدون على أعقابكم إلى الخلف. النكوص على الأعقاب ليس مجرد رفض، بل هو حركة ارتدادية إلى الوراء، إلى الماضي، إلى الموروث الفاسد، إلى الجاهلية الأولى. إنه رفض للتقدم والنماء الذي يبشّر به الإيمان. كنتم ترفضون الاستجابة، وتمنعون أنفسكم من الاستماع الواعي، بل وتحملون غيركم على النكوص أيضاً، وتصدون عن سبيل الله. إنها صورة حية لمن يخاف المستقبل فيتمسك بالجماد.

2. الاستكبار: {مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ}

ما الذي كان يملؤكم بهذا الغرور؟ هو الاستكبار. كنتم ترفضون الإيمان استكباراً وعناداً، وتتعاظمون على قبول الحق. وقد اختلف المفسرون في معنى الضمير في (به):

• فقيل هو استكبار بالبيت الحرام. كانت الكعبة بين أظهركم، نعمة من الله ومئة، تتوجهون إليها في عباداتكم وتعظمونها، لكنكم جحدتم بها نعمة الهدى، واستكبرتم بها على الناس، وقتلتم: نحن أهل حرم الله وسدائنه، فكيف يخرج منا النبي؟ فكان اجتماعكم حول البيت الأقصى، ليس للذكر والدعاء، بل للقول الفاحش والاستهزاء بالنبي صلى الله عليه وسلم، وتحولت القبة المباركة إلى منتدى للطعن في

الحق وأهله.

• وقيل هو استكبار بالقرآن نفسه فبدلاً من أن يكون القرآن هداية ورحمة، كان محل استكباركم وتكذيبكم، كما قال تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ} [فصلت: 26].

3. السمر والهجر: سَمَرًا تَهْجُرُونَ

وما هي ثمرة هذا الاستكبار؟

لقد كنتم تسمرون الليل كله، تجتمعون في مجالسكم (السامر)، لا لذكر الله وتلاوة آياته، بل للهجر. و الهجر هنا له عدة معانٍ، كلها كانت فيكم:

• هجر القرآن: كنتم تعرضون عنه، لا تتلونه ولا تدبرونه ولا تعملون به.

• هجر القول: كنتم تهجرون أي كلام نافع، وتنشغلون بالملاهي واللغو والأباطيل والسمر الفاسد الذي يلهي عن ذكر الله.

• الهجر بمعنى الفحش: كنتم تردون على دعوة الحق بالاستهزاء والقول الفاحش، وتتناولون الرسول صلى الله عليه وسلم بالسب وكلمات السوء، وتملؤون مجالسكم بالنيل منه والغمز واللمز.

4. الخوف على المصالح الوهمية:

وباطن كل ذلك أنكم كنتم ترون في الإيمان خطراً يهدد مصالحكم المزعومة. لم يكن الجهل بالحق هو دافعكم، بل كانت المصالح. قال تعالى على لسانهم: {وَقَالُوا إِن تَتَّبِعِ الْهْدَىٰ مَعَكَ تَخْتَطِفُ مِنَّا أَرْضَنَا} [القصص: 57]. أنتم تدركون أن القرآن فيه الهدى، لكنكم خشيتهم على زعامتكم، على نفوذكم، على تجارتكم، على مكانتكم الاجتماعية. استبدلتم الهدى بالخوف، والله يعطيكم الأمن، {أَوَلَمْ تَمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَبِّئُ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رَّزَقًا مِّنْ لَّدُنَّا} [القصص: 57].

الرسائل والتوجيهات المستخلصة:

إن هذه الورقة القرآنية المباركة تحمل في طياتها دروساً عظيمة لكل مسلم:

1. التذكير بسنن الله: أن سنة الله ماضية في إمهال الظالمين والمستكبرين حتى إذا أخذهم لم يفلتهم، وأن العاقبة للمتقين. لا تغرنك الحياة الدنيا ولا ترف المترفين.

2. الخطر العظيم للكبر: الاستكبار هو حجاب كثيف يحول بين القلب وبين الهدى. إنه أصل كل بلاء، وسبب طرد إبليس من الجنة. فالحذر الحذر من أن يكون في القلب ذرة منه.

3. اليقظة من الغفلة: مجالس السمر واللهو واللغو التي تشغل عن القرآن وعن ذكر الله هي بعينها ما كان يفعله أولئك الطغاة. لننظر في مجالسنا: هل هي مجالس هجر للقرآن أم تدبر له؟ هل هي مجالس ذكر أم لغو؟

4. الاستهزاء بالحق والمؤمنين: إن الاستهزاء بأهل الحق واتباع الرسل هو ديدن المترفين عبر التاريخ. يجب على المؤمن أن يصبر على أذاهم وألا يلتفت إلى سخريتهم.

5. التمسك بالهدى رغم المغريات: لا تجعل مخاوفك من فقدان منصب أو مال أو جاه تحول بينك وبين اتباع الحق. من تمسك بالهدى، أمته الله ورزقه من حيث لا يحتسب.

6. الحرص على الاستماع الواعي للقرآن: يجب أن نستقبل آيات الله بوجوهنا وقلوبنا، لا على أعقابنا. أن نتأثر بها وتغيرنا، لا أن ننكص عنها ونهجرها.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن يباعد بيننا وبين صفات الطغاة والمجرمين، وأن يرزقنا الإيمان الصادق والعمل الصالح الذي يقربنا إليه زلفى. إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الدرس الثاني

دور الایه فی بناء الانسان والحضارة

الآية 67 تقدم لنا "مصفوفة التحرير"، حيث تحدد الأمراض (القيود القاتلة) وتصف الدواء (البديل المتحرر).

الامر الاول

دور الایه فی بناء الانسان

1. البناء النفسي: من التكبر إلى التواضع

المرض (الاستكبار): {مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ}. التكبر مرض نفسي خطير، يجعل الإنسان يرى نفسه فوق الآخريين وفوق الحق. هو شعور وهمي بالعظمة يؤدي إلى عقدة نفسية تمنع النمو والتطور.

• الدور التحريري للآية: الآية تحرر النفس من هذا الوهم بزرع التواضع.

• كيف؟ عندما تذكر الآية أن استكبارهم كان بسبب أمر ليس من صنعهم (البيت الحرام)، فإنها تلفت النظر إلى أن كل ما نملكه هو فضل من الله، فلماذا الكبر؟ التواضع هو الذي يحرر الإنسان من ثقل الأناني، ويجعله خفيفاً قابلاً للتعلم والنمو.

2. البناء العقلي: من الغفلة إلى الوعي

• المرض (السمر والهجر): {سَامِرًا تَهْجُرُونَ}. مجالس اللهو واللغو والكلام الباطل (الهجر) تعطل العقل وتشتته. العقل الذي يُعمر بالباطل يصبح غافلاً عن الحق.

• الدور التحريري للآية: الآية تحرر العقل من التشتت وتوجهه إلى التدبر.

• كيف؟ من خلال الذم الصريح لمجالس السمر والهجر، تنبه الآية إلى ضرورة استثمار العقل في

ما ينفعه. الوعي الحقيقي يأتي عندما يستبدل الإنسان "الهجر" بـ"ذكر الله"، و"السمر" بـ"تدبر القرآن".

3. البناء الاجتماعي: من التفاخر والغيبة إلى التكافل والاحترام
· المرض (التفاخر بالأنساب والمناصب): استكبارهم بـ"البيت الحرام" هو نموذج للتفاخر بالمزايا غير المكتسبة. هذا التفاخر يولد غيرة وحسداً ويقطع أوصال المجتمع.

· الدور التحريري للآية: الآية تحرر المجتمع من هذه الآفة بزرع ثقافة التقوى كميّار للتفاضل. قال تعالى: {إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات: 13].

· كيف؟ عندما تفصح الآية زيف التفاخر بالحرّم (الذي لم يحممهم من العذاب)، فإنها ترسي مبدأ أن القيمة الحقيقية للإنسان بعمله وإيمانه، لا بنسبه أو مكانته الاجتماعية.

4. البناء الاقتصادي: من اللهو والاستهلاك إلى الإنتاج والعمل
· المرض (السمر وإضاعة الوقت): مجالس السمر التي تمتد لساعات طويلة في اللهو واللغو تمثل استنزافاً للوقت والجهد، وهو رأس المال الحقيقي في الاقتصاد.

· الدور التحريري للآية: تحرير الوقت من اللهو وتوجيهه إلى العمل والإنتاج.
· كيف؟ الذم القرآني لإضاعة الوقت في الباطل هو حث ضمني على استثماره في النافع.

المجتمع الذي يقدر الوقت هو مجتمع منتج ومزدهر.

5. البناء السياسي: من الاستكبار والزعامة الباطلة إلى القيادة بالحق

· المرض (الاستكبار السياسي): كان سادة قريش يستكبرون ويترفعون عن اتباع محمد ﷺ خوفاً على زعامتهم. هذا هو الاستبداد السياسي الذي يرفض الحق حفاظاً على المصالح.

· الدور التحريري للآية: تحرير مفهوم القيادة من الجاه إلى العدل والاستقامة.

· كيف؟ الآية تعلن سقوط الشرعية عن القيادة المستكبرة. القائد الحقيقي في نظر القرآن هو من يتواضع للحق وللناس، لا من يتعالى عليهم.

6. البناء الثقافي: من ثقافة الهذيان واللغو إلى ثقافة القرآن

· المرض (تهجرون): كانوا يقولون في القرآن أساطير الأولين، وينعتون النبي بالشاعر والمجنون. هذه ثقافة "الهذيان" التي ترفض الحق وتنشر الباطل.

· الدور التحريري للآية: استبدال هذه الثقافة المنحطة بثقافة تعظيم القرآن وتدبره.

· كيف؟ الآية تضع معياراً للثقافة الراقية: هي تلك التي تبني على الوحي، لا التي تهذي بالباطل.
الامر الثاني

مفهوم "الغفلة الدنيوية" كما تصورها الآية
الغفلة في هذه الآية ليست مجرد نسيان، بل هي "انشغال مركب":

· الغفلة عن الآخرة بسبب الانشغال بالاستكبار والسمر والهجر.

· الغفلة عن الهدف من الحياة (العبادة والعمارة).

· الغفلة عن عواقب الأفعال (نكوص يؤدي إلى خذلان).

الآية تصور الغافل بأنه الذي يعيش في "فقاعة": فقاعة الكبر (مستكبرين)، وفقاعة اللهو (سامرا)، وفقاعة الكلام الفارغ (تهجرون). هو محبوس في هذه الفقاعات، لا يرى ما وراءها من حقائق.

الامر الثالث

"التوازن بين الدنيا والآخرة" كما تفهم من الآية ودوره في علاج الغفلة
الآية تعالج الغفلة بتقديم نموذج "التوازن":

· ليست ضد السمر: الآية لم تدم السمر الليلي مطلقاً، بل زمت نوعاً معيناً منه: "سامراً تهجرون".

إذن، هناك سمر مباح ومحمود: مجالس العلم والذكر وذكر الله.

· الاستكبار المذموم: هو الاستكبار عن الحق. أما الكرامة والعزة في حدود الشرع فهي مطلوبة.

· القول: المذموم هو "الهجر"، أما القول الحسن فهو عبادة.

دوره في علاج الغفلة: يعيد التوازن بأن يذكر الإنسان بأن له دنياً عليه أن يعمرها، ولكن بطريقة لا تنسيه الآخرة. هو ليس انعزلاً عن الدنيا، بل هو انخراط فيها مع بقاء البوصلة نحو الله.

الامر الرابع

خطورة الخوض بالباطل والتفاخر ومجالس الغيبة
الآية تركز على ثلاثة مخاطر رئيسية:

1. الخوض بالباطل (تهجرون): خطورته أنه يقتل الحقيقة. عندما يكثر الكلام الباطل، يضيع الحق ويصبح الناس لا يميزون بينهما. قال تعالى: {لَوْ أَنَّهُمْ الرّٰتَّبِیُّونَ وَالْأَخْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السَّخْتِ} [المائدة: 63].

2. التفاخر بالأنساب والمناصب (مستكبرين به): خطورته أنه يخلق طبقات وهمية في المجتمع، ويمنع التكافل والتعاون.

3. مجالس الغيبة والهجر (سامرا): خطورتها أنها تضيع الوقت وتنشر الأحقاد. هي مظاهر "الهجر" التي أخبر النبي ﷺ أنها من علامات الساعة.

الامر الخامس

أهمية تعظيم القرآن وتدبره كمفاهيم تربوية

الآية تربيانا على:

- تعظيم القرآن: لأن الاستهانة به (تهجرون) هي بداية النهاية.
- تدبر القرآن: لأن مجرد التلاوة دون تدبر لا تكفي. قال تعالى: {أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ} القرآن أُمُّ عَلَى قُلُوبِ أَفْقَالِهَا} [محمد: 24].
- التربية بالقرآن: هي التي تجعل من القرآن "آيات تتلى" تؤثر في النفوس فتغيرها، لا مجرد كلمات تقال.

الامر السادس

كيف سعت الآية إلى تغيير الواقع المكي؟

الواقع المكي كان يقوم على:

1. الكبرياء القبلي (استكبار البيت).
 2. مجالس السمر والأدب الجاهلي.
 3. الهذيان في الكلام ضد النبي ﷺ.
- الآية هدمت هذا الواقع بثلاث ضربات:
- ضربت مصدر الكبرياء الوهمي (البيت لم ينفعهم).
 - فضحت مجالس السمر (بأنها مضيعة للوقت).
 - وصفت كلامهم بأنه "هجر" (لا قيمة له ولا وزن).
- ثم فتحت الباب لبناء واقع جديد: واقع التواضع لله، ومجالس الذكر، وتعظيم القرآن.

الامر السابع

أهمية إيجاد البدائل (منهجية القرآن)

الآية تمثل نموذجاً رائعاً لمنهجية "الاستبدال" في القرآن:

- لم تكتفِ بنهيهم عن الاستكبار، بل دلتهم ضمناً على أن التواضع هو البديل، وأن شرف الحرم الحقيقي يكون بطاعة صاحب الحرم.
 - لم تكتفِ بنهيهم عن السمر، بل فتحت الباب لسمر آخر هو التفكير في آيات الله.
 - لم تكتفِ بنهيهم عن الهجر، بل دلتهم على أن القول الحسن وذكر الله هو البديل.
- هذه المنهجية ضرورية في التربية: كلما نهيت عن شيء، قدم البديل.

الامر الثامن

دور الآية في بناء الإنسان وتأهيله لقيادة العالم

الإنسان الذي يتربى على هذه الآية:

- نفسياً: متواضع، متحرر من عقدة الكبر.
 - عقلياً: واع، مفكر، مدبر للقرآن.
 - اجتماعياً: محترم للآخرين، لا يتباهى بنسبه.
 - اقتصادياً: منتج، لا يضيع وقته.
 - سياسياً: عادل، يطلب الحق لا الجاه.
- هذا الإنسان هو المؤهل لقيادة العالم، لأنه يملك "القوة الناعمة" الحقيقية: التواضع مع الثبات، و الوعي مع العمل، والعدل مع الرحمة.

الامر التاسع

دور الآية في بناء الحضارة

الحضارة في مفهوم هذه الآية تقوم على أسس متينة:

1. العدل (نقيض الاستكبار): لا حضارة بلا عدل.
 2. العلم والمنتج الفكري (نقيض السمر): مجتمع السمر لا يبني، بل يهدم. مجتمع العلم هو من يبني.
 3. القول الحسن والاحترام (نقيض الهجر): الحضارة تحتاج إلى خطاب راق.
- الآية تقدم لنا "حضارة القيم": حضارة تبنى على تواضع النفوس، ونقاء المجالس، ورقي الكلام، وتعظيم الوحي. هذه هي الحضارة التي تخلد، لأنها تبنى في الإنسان قبل أن تبنى في الحجر.

الخلاصة النهائية

آية المؤمنون 67 ليست مجرد آية تتلى، بل هي "دستور النهضة". إنها تحدد الأمراض التي قتلت أ لأمم السابقة، وتقدم الدواء الشافي. هي تدعونا إلى تحرير أنفسنا من قيود الكبر واللغو والهذيان، إلى آفاق التواضع والوعي والقول الحسن. ومن هذا التحرير الفردي يبدأ بناء المجتمع، وتنطلق الحضارة، ويتأهل الإنسان لقيادة العالم بإذن الله.

الدرس الثالث

في هذه الفقرة سوف نتقل من الفهم النظري إلى التطبيق العملي لالايه ، من العلم إلى "مسألة النفس" أي جعل الآية جزءاً من نسيج حياتنا اليومية. تحقيق هذا التحول يتطلب منهجية متكاملة، أقترح أن نسميها "منهجية التمثل" أي جعل معاني الآية تتمثل في واقعنا.

أولاً: كيف نجعل تدبر الآية "مسألة نفس"؟

"مسألة النفس" تعني أن الآية لم تعد مجرد معلومة عقلية، بل أصبحت قضية وجودية تمس مشاعري،

سلوكي، قراراتي، وعلاقتي. تتحقق عندما:

1. تتحول المعاني إلى مشاعر: لا أقرأ "مستكبرين" ككلمة في كتاب، بل أشعر بنبض الاستكبار في قلبي إن وجد.

2. تتحول المشاعر إلى سلوك: لا أتوقف عند الشعور بالذنب، بل أتخذ قرارات عملية تغير واقعي.

3. يصبح القرآن مرآة: أرى نفسي في الآية، فأعرف مواطن الخلل وأعمل على إصلاحها.

ثانياً: خطوات عملية لتحقيق تدبر الآية في حياتنا اليومية

الخطوة الأولى: جلسة المصارحة (محاسبة النفس)

اجلس مع نفسك جلسة أسبوعية (أفضل وقت هو يوم الجمعة أو قبل النوم) واسألها بصدق: أسئلة للآية 67:

{مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ}:

. هل أشعر أنني أفضل من غيري بسبب وظيفتي، نسبي، شهادتي، أو حتى تديني؟ تذكر: استكبارهم كان بالبيت الحرام، بأقدس مقدساتهم.

. كيف أتعامل مع من هو أقل مني في المنصب أو المال؟ هل أتجاهلهم؟ أتكبر عليهم؟

. في نقاشاتي، هل أبحث عن الحق أم عن الانتصار للنفس؟

{سَامِرًا}:

. أين أقضي ساعات فراغي؟ في مجالس فيها ذكر وخير، أم في مجالس لغو وغيبة ونميمة؟

. ماذا عن وسائل التواصل الاجتماعي؟ هل أصبحت "سامراً" رقمياً أضيع فيه ساعات بلا فائدة؟

{تَهْجُرُونَ}:

. كيف أتحدث عن القرآن؟ هل أستمع له بخشوع وأتدبره، أم أشعر بالضجر إذا طالت تلاوته؟

. كلامي في المجالس: هل هو "هجر" كلام باطل، غيبة، نميمة، سخريه (أم كلام طيب؟

الربط بالآية 66:

{عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ}:

. هل أجد نفسي أراجع عن التزاماتي الدينية كلما زادت الضغوط أو المغريات؟

. عندما أسمع نصيحة أو آية، هل أتقدم نحو التطبيق أم أجد نفسي أتهرب وأبحث عن أعذار؟

الربط بالآية 65:

{لَا تَجَارُوا ... لَا تَنْصَرُوا}:

. هل أشعر أحياناً أنني وحدي في مواجهة مشاكلي، وأني لا أجد من ينصرني؟ هل فكرت أن هذا قد يكون بسبب انقطاعي عن ناصر حقيقي هو الله بسبب أفعالي؟

الخطوة الثانية: اتخاذ القرارات التصحيحية (الاستبدال)

بعد المصارحة، حدد قرارات عملية صغيرة قابلة للتنفيذ، مستلهماً منهجية "الاستبدال" في الآية:

المرض (الآية 67) الدواء (الاستبدال) تطبيق عملي يومي

الاستكبار التواضع 1. ابدأ يومك بقول: "اللهم اجعلني خفيفاً متواضعاً". 2. ابحث عن فرصة لخدمة من هو أقل منك (سائق، عامل نظافة، خادم في البيت). 3. إذا دُعيت لنقاش، استمع أكثر مما تتكلم، وقل "لا أدري" إذا لم تكن متأكداً.

السمر (مجالس اللهو) مجالس الذكر والعلم 1. حدد ساعة أسبوعية لمجلس علم (مسجد، أونلاين، مع أصدقاء). 2. استبدل نصف ساعة من التصفح العشوائي بقراءة ورد يومي من القرآن مع التفسير. 3.

خطط لزيارة صديق مريض أو التعزية، فهي مجالس خير.

الهجر (كلام الباطل) ذكر الله والقول الحسن 1. اجعل ورداً من الأذكار يومياً (صباح ومساء). 2. قبل أن تتكلم، اسأل نفسك: هل هذا الكلام ينفعني في الآخرة؟ إن لم يكن، فالصمت أولى. 3. إذا سمعت غيبة، غير الموضوع أو دافع عن المغتاب أو قم من المجلس.

النكوص (التراجع) الثبات والتقدم 1. اختر عبادة واحدة تريد تطويرها (مثل صلاة الفجر في وقتها) وثبت عليها 40 يوماً. 2. كلما شعرت برغبة في التراجع، اذكر نفسك بقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا

اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ} [فصلت: 30].

الخطوة الثالثة: بناء نظام يومي يعزز "الوعي" (نقيض الغفلة)

الغفلة هي العدو الأكبر، والآية تدعونا إلى الوعي. لبناء هذا الوعي:

1. صلاة الفجر في وقتها: هي بداية يوم مليء بالبركة والوعي.

2. الورد اليومي من القرآن مع التدبر: لا تقرأ بسرعة، بل اختر 5 - 10 آيات واقراً تفسيرها وتأمل فيها.

3. مراجعة اليوم قبل النوم: اسأل نفسك: كيف كان يومي مع آيات الله؟ هل تقدمت أم نكصت؟

4. الصحبة الصالحة: اختر أصدقاء يعينونك على ذكر الله، لا مجالس "السمر" التي تلهيك.

الخطوة الرابعة: تحويل المعاني إلى "حالة وجودية"

أي أن تعيش الآية في كل لحظة:

. عندما تشعر بغضب أو استكبار: تذكر {مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ} (وقل: "اللهم إني أبرأ إليك من حولي وقوتي،

والتجئ إلى حولك وقوتك").

. عندما تجد نفسك في مجلس لغو: تذكر {سَامِرًا تَهْجُرُونَ} (وقل: "اللهم لا تجعلنا من الغافلين" ثم

انسحب بلطف أو حاول تغيير الموضوع).

. عندما تسمع القرآن: لا تمر به مرور الكرام، بل تذكر أن هذه "آياتي" كما قال الله، وتوقف عند آية تسأل نفسك: ما رسالة ربي لي الآن؟
. عندما تواجه أزمة ولا تجد ناصراً: تذكر! لا تجأزوا ... لا تنصرون (واسأل نفسك: هل هناك معصية أو استكبار في حياتي قطع عني هذا النصر؟
ثالثاً: ثمرات هذا التدبر في حياتنا
عندما نجعل تدبر هذه الآية "مسألة نفس":

1. تتحرر من قيود النفس: تتحرر من الكبر، من إضاعة الوقت، من الكلام الباطل.
2. تصبح مسؤولاً: لا تنتظر من الآخرين تغييرك، بل تبادر أنت.
3. تتصل بالله: تجد في نفسك قوة ونصراً لم تكن تتوقع، لأنك سلكت طريق من يستحق نصر الله.
4. تصبح قدوة: الناس من حولك سيرون ثمرة هذا التدبر في أخلاقك وسلوكك، فتدعوهم بذلك إلى الله.

الخلاصة: تدبر الآية في حياتنا العملية يبدأ بخطوة بسيطة: أن نأخذ الآية على محمل الجد الشخصي. أن نقول لأنفسنا: "هذه الآية نزلت في قوم، لكن العبرة لي، فإن فعلت فعلهم حل بي عقابهم، وإن فعلت عكسهم نلت رضوان الله". بهذا يصبح القرآن الكريم كتاب حياة، وليس مجرد كتاب يتلى.

الدرس الخامس
الربط بين الأسباب (الاستكبار وإضاعة الوقت) والنتائج (العقاب والحرمان من النصر). دعنا نحلل هذه العناصر كما صورتها الآيات.

أولاً: ما هو "الاستكبار" المقصود في الآية؟
الاستكبار المذكور في قوله {مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ} له طبيعة خاصة، وقد اختلف المفسرون في تحديد المقصود بالضمير "به" على ثلاثة أقوال رئيسية:

1. القول الراجح والأكثر شهرة: الاستكبار بالحرم (البيت الحرام)
كان أهل قريش يفخرون على غيرهم ويقولون: "نحن أهل حرم الله وجيران بيته، فلا يظهر علينا أحد، ولا نخاف أحداً". هذا الاستكبار كان قائماً على "امتياز مكاني" ليس من كسبهم، بل هو فضل من الله، لكنهم حولوه إلى سبب للكبر والغرور والتعالي على الناس.

التحليل: هذا النوع من الاستكبار خطير لأنه:
. يستغل النعمة في غير موضعها: جعلوا شرف المكان وسيلة للفخر لا للشكر والتواضع.
. يخلق وهماً بالحصانة: ظنوا أن مجرد انتسابهم للحرم يحميهم من عذاب الله أو يجعلهم في منأى عن الحق.

2. القول الثاني: الاستكبار عن القرآن (أو به)
وقيل إن الضمير يعود على "الآيات" أو "القرآن". والمعنى: أنهم عندما تتلى عليهم آيات الله، يقابلونها بالاستكبار والتكبر، فلا يتواضعون لها ولا يستجيبون. قال ابن عطية: "يحدث لكم سماع آياتي كبراً وطغياناً فلا تؤمنوا به".

3. القول الثالث: الاستكبار عن النبي ﷺ
أي أنهم كانوا يستكبرون عن اتباع محمد ﷺ وطاعته.
الخلاصة: الاستكبار المقصود هو "الرفض المتعالي للحق"، سواء كان هذا الحق متمثلاً في آيات الله، أو في رسوله، أو كان هذا الاستكبار مبنياً على امتياز وهمي (كالانتساب لمكان مقدس) يظن صاحبه أنه يعفيه من الخضوع لله.

ثانياً: ما هي عقوبة الكبر كما تصورها الآية (في سياق سورة المؤمنون)؟
الآية 67 لم تذكر العقوبة مباشرة، لكنها جاءت في سياق ثلاث آيات متتالية (65-66-67) تشكل معاً "سلسلة العقوبة":

1. السبب (الجزء): {مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ} [آية 67] (الاستكبار ومجالس الباطل).
2. السلوك (الثمرة): {فَكَتَبْنَا عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ} [آية 66] (النكوص عن الحق والتراجع عند سماع الآيات).
3. العقوبة (النتيجة): {لَا تَجْأَزُوا الْيَوْمَ} ^ط {إِن كُنتُمْ مِنَّا لَا تَنْصُرُونَ} [آية 65] (الحرمان من النصر وعدم الاستجابة للصراخ).

إذن، عقوبة الاستكبار في هذه الآيات تتجلى في أمرين:
. عقوبة معنوية في الدنيا: "النكوص" أي أن الله يخذلهم ويردهم إلى الخلف، فلا يتقدمون في الخير ولا يهتدون. قال السعدي: "لأن باتباعهم القرآن يتقدمون، وبالإعراض عنه يستأخرون وينزلون إلى أسفل سافلين" [راجع تفسير الآية 66].
. عقوبة أخروية: "الحرمان من النصر" يوم القيامة، وعدم الاستجابة لصراخهم واستغاثاتهم.
عقوبات الكبر في النصوص الأخرى: يؤكد الحديث النبوي هذه العقوبة الشديدة: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر". ويحشر المتكبرون يوم القيامة "أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان".

ثالثاً: كيف يحول "السمر" أوقات الفراغ من نعمة إلى هجر وقول فاحش يستحق العذاب؟
هذه أخطر رسالة تربوية في الآية. "السمر" في أصله هو وقت فراغ، يمكن أن يكون نعمة إذا

استغل في طاعة الله. لكن هؤلاء القوم حولوه إلى نقمة.

1. ما هو "السامر" المذكور؟
• المعنى اللغوي: "سامرا" اسم جمع بمعنى "سُمار"، وهم القوم الذين يتحدثون بالليل . كانوا يجتمعون حول الكعبة في الليل ويتسامرون .
• وقت الفراغ: الليل عادة ما يكون وقت راحة وفراغ بعد انشغال النهار. استغلال هذا الوقت يحدد مصير الإنسان.

2. كيف تحول إلى "هجر"؟
كلمة {تهَجَرُونَ} تحمل عدة معانٍ متداخلة تشرح آلية التحول :
• الهجر بمعنى الهذيان: يتكلمون كالمجانين والمرضى، بكلام لا معنى له ولا قيمة. قال ابن زيد: "الهذيان، الذي يتكلم بما لا يريد ولا يعقل كالمريض الذي يتكلم بما لا يدري".
• الهجر بمعنى الفحش (قراءة نافع - تهَجَرُونَ): نطق بالكلام القبيح والخنا والسب . وذكر أنهم كانوا يسبون النبي ﷺ وأصحابه .
• الهجر بمعنى القطيعة والإعراض: يهجرون ذكر الله والحق، ويعرضون عن القرآن .

3. ما الذي كانوا يقولونه في سمرهم؟
كان حديثهم الليلي يدور حول ثلاثة محاور رئيسية :
• الطعن في القرآن: وصفه بأنه "سحر، شعر، كهانة، أساطير الأولين".
• سب النبي ﷺ: الكلام فيه بالأقوال الفاسدة.
• الخوض في الباطل: كما قال ابن زيد: "يتكلمون بالشعر والكهانة وبما لا يدرون".
4. لماذا يستحق هذا العذاب؟

لأنهم حولوا وقت الفراغ (السمر) إلى:
• منتدى لمحاربة الله ورسوله: لم يكن سمرهم مجرد لهو عادي، بل كان "غرفة عمليات" لتخطيط الطعن في الدين والاستهزاء به.
• وسيلة لتثبيت أنفسهم على الكفر: هذه المجالس كانت تغذي استكبارهم وتعزز نكوصهم عن الحق.
• إضاعة للنعمة في معصية المنعم: جعلوا الليل الذي سخره الله للسكن والراحة [راجع تفسير القرطبي]، مكاناً للهذيان والفحش.

الخلاصة: رحلة التحول من النعمة إلى النقمة

1. بدأوا بـ "الاستكبار" (مرض نفسي/روحي): شعور بالتفوق والامتياز (بسبب الحرم).
2. ثم "سَمَرُوا" (استغلال وقت الفراغ): جلسوا في مجالس ليلية.
3. فـ "هَجَرُوا" (تحول الكلام إلى قبيح): امتلأت مجالسهم بالطعن في القرآن والنبي والكلام الباطل.
4. فـ "نكصوا" (النتيجة السلوكية): كلما سمعوا الحق ازدادوا نفورا وتراجعا إلى الخلف.
5. فاستحقوا "الخذلان" (العقوبة): يوم القيامة يُقال لهم {لَا تَجَازُوا ... لَا تَنْصَرُونَ} [آية 65].
هكذا تعلمنا الآية أن "وقت الفراغ" ليس محايدا. إما أن يكون نعمة تستثمر في طاعة الله وذكرهمما يجعلك من الفائزين بنصره، وإما أن يتحول إلى نقمة إذا ملئ بالباطل والهجر، فيكون سببا في خذلان الله لك يوم لا ينفع مال ولا بنون .

القسم الرابع

تنتقل الايات تفنيد حجج الكافرين وكشف زيف مزاعمهم التي تصدهم عن الهدى.

اولا

يقول تعالى: {أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ} [المؤمنون: ٦٨]
ان اول ما الفت الانتباه هو هذا الالتفات من الخطاب المباشر إلى أسلوب الغيبة حيث كان السياق السابق لهذه الآية مباشراً وقوياً في خطاب الكافرين وتوبيخهم. قال تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ} (٦٤) لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ ۖ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنصَرُونَ (٦٥) قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُثَلِّىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكُصُونَ (٦٦) مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ} [٦٧] المؤمنون: ٦٤- ٦٧.
وهنا، في الآية ٦٨، يحدث "الالتفات" البلاغي العجيب، حيث ينتقل السياق فجأة من خطاب الكافرين مباشرة بكاف الخطاب: "عليكم"، "تنكصون"، "تهجرون" (إلى الحديث عنهم بصيغة الغيبة: "أفلم يدبّروا ... أَمْ جَاءَهُمْ")

وهذا الالتفات من الخطاب إلى الغيبة يحمل دلالات بلاغية عميقة:

1. الإضراب عن خطابهم وإعراضهم: إن العدول عن خطابهم إلى الغيبة فيه معنى اليأس من إيمانهم، وكأن الله تعالى يقول لرسوله ﷺ: دعهم وما هم فيه، وتحدث عن هؤلاء القوم بصفته غائبين عن الهدى، فقد بلغ بهم الإعراض مبلغاً لا يستحقون معه أن يخاطبوا.

2. التوبيخ والتحقيق: أسلوب الغيبة هنا يحمل معنى التوبيخ والتحقيق. فكأن الله تعالى يعرض عن خطابهم المباشر احتقاراً لهم، ويتحدث عنهم أمام الملائكة بصفته قوماً ضلوا وتاهوا، فيكون ذلك أشد في التقرير وأبلغ في التأنيب.

3. الانتقال بالمشهد: هذا الالتفات ينقلنا من مشهد الآخرة المهيبة) مشهد الجوار والعذاب (إلى مشهد الدنيا، لنطرح السؤال: ما الذي أوصلهم إلى هذا المصير؟ إنه موقفهم من القرآن في الدنيا. فكان الآية تقول: لننظر في حال هؤلاء القوم، أفلم يتدبروا هذا القرآن الذي بين أيديهم؟

الامر الثاني

بعد هذا الالتفات، يأتي الاستفهام الإنكاري ليكشف عن حقيقة موقفهم المتناقض، ويفند شبهاتهم الواهية.

1. قوله: {أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ}

. الإنكار والتعجب: تبدأ الآية بهمزة الاستفهام التي تفيد الإنكار والتعجب من حالهم . فكأن الخطاب إلهي يتعجب: كيف لهؤلاء أن يصلوا إلى هذا الحد من الإعراض بعد كل هذه الآيات؟ كيف لا يتدبرون هذا القول العظيم؟

. "القول": أي القرآن الكريم بما فيه من هدايات وبيّنات وحجج.

. "يدبّروا": التدبر هو التفكير الذي يصل إلى عواقب الأمور وغاياتها . والآية تحض على تدبر القرآن، لا ن التدبر الصادق يورث اليقين ويدفع إلى الإيمان.

. سبب عدم التدبر: لو تدبروا القرآن حق التدبر، لوجدوا فيه من البراهين والمواعظ ما يزيل الشبهات ويكسر حاجز الكبر . ولكن الذي منعهم هو ما ذكرته الآيات السابقة: النكوص على الأعقاب، والاستكبار، والهجر، والانشغال بالسمر الباطل . وهذه كلها أغلقت عليهم أبواب التدبر، وصار على قلوبهم أقفالها . قال قتادة رحمه الله: "إذا والله يجدون في القرآن زاجراً عن معصية الله لو تدبره القوم وعقلوه، ولكنهم أخذوا بما تشابهه، فهلكوا عند ذلك".

2. قوله: {أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ}

حرف "أم" هنا منقطعة بمعنى "بل" التي تفيد الإضراب والانتقال إلى توبيخ آخر . ويحتمل معنيين رئيسيين في تفسير هذه الجملة، وكلاهما يكشف عن حجة باطلة من حججهم:

المعنى الأول) وهو الأظهر: بل أ جاءهم كتاب ورسول ما جاء آباءهم الأولين، فأنكروا ذلك واستكبروا؟ . وهذا توبيخ لهم على تقليدهم الأعمى للأباء . فهم لم يرفضوا الإيمان لشبهة عقلية، ولكن لمجرد أن هذا الأمر جديد لم يألفوه في آبائهم.

ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى في آيات أخرى: {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ} [الزخرف: ٢٣] فكان جواب الله لهم: {أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ} [الزخرف: ٢٤]

المعنى الثاني: بل أ جاءهم أمن من العذاب لم يأت آباءهم الأولين؟ . والمعنى: آباؤهم الأولون المؤمنون (مثل إبراهيم وإسماعيل) كانوا يخافون الله ويتقونه، فأمنوا من عذابه . أما هؤلاء فقد آمنوا العذاب واستكبروا، مع أنهم ليسوا خيراً من آبائهم الصالحين، ولا يجوز لهم أن يأمنوا مكر الله.

الامر الثالث تفنيد الشبهات والمزاعم

من خلال هذه الآية، يتبين لنا أن ما يصدهم عن الإيمان ليس حججاً عقلية ولا شبهات موضوعية، بل هي أمراض في القلوب والعقول:

. ليس غموضاً في القول: فالقرآن قول بين واضح، ولو تدبروه لعرفوا صدقه.

. ليس جهلاً بالرسول: فالرسول قد جاءوا من قبل، وأنزلت معهم الكتب، فما جاء به محمد ﷺ ليس بدعاً من الرسالة.

. إنه التقليد الأعمى: حجتهم الوحيدة هي أن هذا الأمر لم يألفوه في آبائهم.

. إنه الاستكبار والخوف على المصالح: كما قال تعالى عنهم: {وَقَالُوا إِن تَتَّبِعِ الْهَدَىٰ مَعَكَ تَتَخَلَّفُ مِنْ

أَرْضِنَا} {القصص: ٥٧}

الرسائل والتوجيهات المستخلصة:

1. أهمية تدبر القرآن: الآية دعوة مفتوحة لكل إنسان إلى أن يتدبر القرآن، فهو الطريق إلى الإيمان و الثبات عليه.
2. الحذر من التقليد الأعمى: التحذير من أن يكون الموروث الفاسد هو الحكم على الحق، فليس كل قديم صحيحاً، وليس كل جديد باطلاً .
3. مرض الكبر والغفلة: الكبر والغفلة والانشغال بالباطل هي الحجب التي تمنع القلب من التدبر و الوصول إلى الهدى.
4. صدق الرسالة: ما جاء به النبي ﷺ متفق في جوهره مع ما جاء به الأنبياء من قبله، فهو امتداد لرسالة التوحيد الخالدة.

المبحث الثاني

دلالة التساؤلات الإلهية في الآية وما تهدف إليها
فإن التساؤل الإلهي في قوله تعالى: {أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ} [المؤمنون: ٦٨] هو استفهام إنكاري توبيخي، يحمل في طياته إبطاء لكل عذر يمكن أن يتعلل به الكافرون في رفضهم الإيمان. وهو يدق ناقوس العقل ليعمل، ويفتح نافذة الفطرة لترى النور.
أولاً: نفي أعذار الكفار من خلال التساؤل

الاستفهام هنا ليس استفهام طلب، بل هو استفهام تقرير توبيخي. معناه: "قد تدبروا، ولكن تدبرهم لم يفعلمهم" أو "ألم يتدبروا؟ هلا تدبروا؟". والتوبيخ إنما يكون على ترك شيء من شأنهم أن يفعلوه. فكان الآية تقول: ما الذي منعكم من الإيمان؟ هل هو قصور في الدليل؟ هل هو غموض في القول؟ كلا! فالقول بين واضح، وأنتم لديكم عقول تميز بها بين الحق والباطل، ولكنكم لم تستعملوها.
إن نفي التدبر عنهم مع وجود القرآن بين أيديهم ينفي عنهم أي عذر. فهم لا يستطيعون أن يقولوا: "ما فهمنا"، أو "ما وصلنا البلاغ"، لأن الله تعالى يقول: قد كان القول يتلى عليكم، ولكم عقول تتدبر به، فلم فعلتم ذلك؟

ثانياً: دلالة "القول" على أن كفرهم مخالف للمنطق
إن التعبير بـ "القول" دون "القرآن" أو "الآيات" له دلالة عميقة. القول هو الكلام الواضح المفهوم الذي يؤدي المعنى. فالقرآن قول عربي مبين، قول فصل، قول واضح لا غموض فيه. ولما كان القول واضحاً جلياً، فإن عدم الإيمان به مع عدم التدبر يكون خروجاً عن المنطق السليم.
فالمنطق الطبيعي يقول: إذا جاءك قول واضح يدعوك إلى الهدى، وكان هذا القول يحمل من البراهين ما يحمل، فإن العقل السليم يتدبره ويؤمن به. أما أن تتركه دون تدبر، ثم ترفضه، فهذا ليس من المنطق في شيء. إنه موقف غير عقلاني بالمرّة.

ثالثاً: أهمية أعمال العقل بالتأمل والتدبر
الآية تركز على "التدبر" وليس مجرد "القراءة" أو "السماع". التدبر هو أعمال العقل في النظر إلى عواقب الأمور وغاياتها . والقرآن يدعو الإنسان إلى استخدام عقله في التفكير والتدبر، لأن ذلك هو السبيل إلى الإيمان.

إن الانتقال من مجرد التلاوة (قراءة الآيات) إلى الفهم (التدبر) هو وظيفة العقل. والله تعالى خلق الإنسان وأعطاه العقل ليستعمله في معرفة الحق. لذلك فإن تلاوة القرآن دون تدبر لا تكفي، بل لا بد من العقل الذي يفقه ويفهم.

رابعاً: القرآن يتوافق مع الفطرة ولا غموض فيه
الفطرة التي خلق الله الناس عليها هي فطرة التوحيد والإيمان بالحق. يقول النبي ﷺ: "كل مولود يولد على الفطرة". والقرآن الكريم يتوافق مع هذه الفطرة تماماً. فهو لا يأتي بأمر تنكره العقول السليمة، بل يأتي بما تقره الفطرة.

وقوله "أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ" يشير إلى أن في القرآن من الوضوح والبيان ما يكفي لإقناع العقل السليم، وليس فيه أي قصور أو غموض. فلو كان فيه غموض لكان لهم عذر، ولكن لما كان واضحاً بيئاً، كان ترك التدبر هو سبب ضلالهم.

خامساً: لماذا تركز الآية على نفي الجهل المضاد للعلم؟
الآية لا تنفي الجهل فقط، بل تنفي عدم التدبر. ومعنى ذلك أنهم كانوا على علم بالقرآن وبما فيه، ولكنهم لم يعملوا هذا العلم. هم يعرفون أنه حق، لكنهم لم يتدبروه حق التدبر، أي لم يجعلوا هذا العلم يقودهم إلى الإيمان.

إن التركيز على نفي التدبر يعني أن المشكلة ليست في نقص الدليل (الجهل بالقرآن)، بل في كراهية الحق وعدم الرغبة في قبوله. فلو كانوا جاهلين حقاً لكان لهم عذر بالتعلم والبحث، لكنهم يعلمون ويعاندون. ولهذا قال الله عنهم في آيات أخرى: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُغْلًا} [النمل: ١٤].

سادساً: علاقة الفطرة بمعرفة الحق وموانعية العوارض
الفطرة الإنسانية السليمة تميل إلى الحق وتتوق إلى معرفة الله. ولكن هذه الفطرة قد تحجبها العوارض والموانع، مثل:

1. التقليد الأعمى: كما في قوله: {أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ.}
2.الكبر والاستكبار: كما في قوله: {مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ.}
3.حب الدنيا والترف: كما في قوله: {حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ.}
4.الغفلة والانشغال بالباطل: كما في قوله: {سَامِرًا تَهْجُرُونَ.}
إذا لم توجد هذه العوارض، فإن الفطرة وحدها كافية لمعرفة الحق. فالطفل إذا نشأ في بيئة سليمة، ولم يؤثر عليه أحد بالباطل، فإنه سيميل إلى الإيمان بالخالق، وهذا مشاهد في الفطرة. لكن هذه العوارض هي التي تصد القلب عن قبول الحق، وتحول بينه وبين الفطرة.

الخلاصة:
· الآية تنفي عذر الكفار بأنهم لم يتدبروا القول، مع أن القول واضح بين، مما يعني أن كفرهم ليس عن جهل بل عن عناد وإعراض.
· القرآن يتوافق مع الفطرة ولا غموض فيه، والله يدعو الإنسان إلى أعمال عقله في تدبره.
· الآية تركز على نفي التدبر لا على نفي الجهل، لأن الجهل قد يكون عذراً، أما عدم التدبر مع العلم فهو عناد.

· الفطرة وحدها كافية لمعرفة الحق إذا لم توجد عوارض تصد عنها، وهذه العوارض هي التي ذكرتها الآيات السابقة: الكبر، والغفلة، والتقليد الأعمى.
· المبحث الثالث

هذه الآية تعمل على مخاطبة العقل لقراءه القرآن وتدبر ما فيه في ذلك الخير لكل من قرا الآية وتدبرها تدبراً صحيحاً بقلب حاضر وليس مجرد قراءه سطحيه فان هذه فان القراءه العميقه هي مفتاح الخير كله مانع من الكفر والضلال كما يفهم من الآية
ومانع من الكفر والضلال. ولهذا سوف نتناول الآية من خلال ثلاثة محاور رئيسية لتتكامل لك الصورة حول اهمية التدبر :

أولاً : دلالة الآية على أن التدبر يمنع الكفر ويجلب الخير
الآية الكريمة تضع الإنسان أمام خيارين لا ثالث لهما: إما التدبر الذي يؤدي إلى الإيمان والخير، وإما وجود الأقفال على القلب التي تمنع وصول الهداية.

1. الاستفهام للتعجيب والتوبيخ: قوله {أَفَلَا يَدَّبَرُوا} هو استفهام إنكاري، بمعنى: أيهلكون أنفسهم ولا يتدبرون هذا القرآن العظيم؟ ففيه حث على ترك الغفلة والانطلاق في تأمل معانيه .
2. التدبر طريق الخير: التدبر يعني التأمل العميق في آيات الله للوصول إلى معانيها ومقاصدها. من ثمار هذا التأمل ما ذكره العلامة السعدي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: "فإنهم لو تدبروه، لدلهم على كل خير، ولحذرهم من كل شر، ولملأ قلوبهم من الإيمان، وأفئدتهم من الإيقان، ولأوصلهم إلى المطالب العالية، والمواهب الغالية". فالتدبر إذن هو الدليل العملي الذي يرشد الإنسان إلى الخير ويجنبه الشر.

3. التقليد مانع الخير: كما أوضحها الله تعالى في قوله {أَمْ لَمْ يَأْتِ بِمَا} الخ تصور الجمود الناتج عن التقليد وقد وصف الله قلوبهم في موضع آخر (أم على قلوب أقفالها) تصور مذهب للقلب وكأنه صندوق مغلق. هذه الأقفال هي الموانع التي تحجب الإيمان، مثل الكبر، اتباع الهوى، و الغفلة . فالآية تربط عدم التدبر بوجود هذه الأقفال، مما يعني أن من يتدبر يفتح قلبه، ومن لا يتدبر يبقى قلبه مقفلاً لا يدخله خير. وقد صح أن شاباً سمع هذه الآية من النبي ﷺ فقال: "بل عليها أقفالها، حتى يكون الله عز وجل يفتحها، أو يفرجها"، دلالة على أن فتح هذه الأقفال يكون بتوفيق الله لمن يسعى للتدبر .

ثانياً: تفصيل كيف أن التدبر علاج لأمراض القلوب (الأعراض)
القرآن وصف نفسه بأنه شفاء، والتدبر هو آلية أخذ هذا الدواء. أمراض القلوب نوعان رئيسيان، ولكل نوع علاجه في التدبر:

1. أمراض الشبهات (الجهل والشك):
· طبيعة المرض: هي أمراض تتعلق بالتفكير والعقيدة، مثل الشك في الله أو اليوم الآخر، أو اتباع الظنون الفاسدة .

· كيف يعالجه التدبر: القرآن مليء بالبراهين العقلية والحجج المنطقية التي تثبت وحدانية الله وقدرته وحكمة تشريعه. عندما يتأمل الإنسان في هذه الأدلة بقلب منفتح، تزول الشبهات ويحل اليقين محل الشك. قال ابن القيم: "القرآن شفاء للنوعين؛ ففيه من البراهين القطعية ما يبين الحق من الباطل؛ فتزول أمراض الشبه المفسدة للعلم والتصور والإدراك".

2. أمراض الشهوات (الانحرافات القلبية):
· طبيعة المرض: وهي أمراض تتعلق بإرادة الإنسان وميوله، مثل الكبر، الحسد، حب الدنيا، وقسوة القلب .

· كيف يعالجه التدبر:
· علاج الكبر: عندما يتدبر الإنسان آيات التذلل لله، وقصص الأمم السابقة التي أهلكت بسبب كبرها، يجد في قلبه رداً عن هذا الخلق الذميم .
· علاج الغفلة والقسوة: تلاوة القرآن بتدبر توقظ القلب من غفلته. يقول ابن كثير في تفسير

قوله تعالى {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ} إن القرآن كالمطر يحيي الأرض الميتة، كذلك يهدي القلوب القاسية . فتكرار سماع الوعد والوعيد والجنة والنار يلين القلب ويزيل قسوته . علاج التعلق بالدنيا: التدبر في آيات زوال الدنيا وسرعة انقضائها، مقابل الخلود في الآخرة، يعيد التوازن للقلب فلا تطغى الدنيا عليه .

بهذا، التدبر هو عملية تطهير شاملة للقلب من أمراضه، فإذا صلح القلب (وهو المضغة التي إذا صلحت صلح الجسد كله) صلحت حياة الإنسان كلها في الدنيا والآخرة .

الخلاصة:

دلت الآية على أن التدبر هو السبيل الوحيد لفتح القلوب المغلقة، وفيه يجد المؤمن الدليل على كل خير والتحذير من كل شر. كما أنه يعمل كدواء مباشر يعالج أمراض القلوب من شبهات وشهوات، فيعيد للقلب صحته واستقامته. وأخيراً، فإن أسلوب الآية نفسه، بتصويره الفريد وبلاغته العالية، هو مثال حي على جمال القرآن وكماله، الذي لا يمكن أن يأتي إلا من عند الله.

المبحث الرابع

إن الفهم العميق لهذه الآية يتطلب منا أن نفهم ما تدعونا إليه هذه الآية الكريمة بتحويل معنى الآية إلى واقع عملي. ولهذا فإن نعيش هذه الآية سنسير معاً في رحلة لفهم كيف تدعونا هذه الآية الكريمة لتكون من "أهل التدبر" الذين جعلوا القرآن منهج حياة، لا مجرد كلمات تتلى.

1. دعوة الآية لنعيش حياتنا بوعي وتدبر في ضوء كلام الله
الآية {أَقْلَمُ يَدْبِرُوا الْقَوْلُ} هي صيحة توقظ العقل والقلب معاً. إنها تدعونا إلى أمرين عظيمين في آن واحد:

• الوعي: كلمة "يدبروا" تعني النظر في أدبار الأمور وعواقبها. فالتدبر ليس مجرد فهم سطحي، بل هو تفكير عميق يصل إلى غايات الأشياء ومآلاتها. حين نتدبر القرآن، نكتسب وعياً بحقيقة الدنيا والآخرة، وبحكمة الأوامر والنواهي، وبسنن الله في الكون والنفوس. هذا الوعي يحول نظرنا للحياة من نظرة عابثة إلى نظرة هادفة.

• المنهجية: "في ضوء كلام الله" تعني أن نجعل القرآن هو البوصلة التي نوجه بها حياتنا. عندما نتدبر آياته، نستخرج منها مبادئ تصلح لكل زمان ومكان. مثلاً، حين نتدبر آيات النفقة، نتعلم كيف ندير أموالنا بموازنة بين العطاء والإمساك. وحين نتدبر آيات القصص، نتعلم كيف نتعامل مع الأحداث و

المحن.

بهذا، نعيش حياتنا ونحن نرى كل شيء من خلال "نظارة القرآن"، فنحكم على الأمور بمعياره، ونزن الأعمال بميزانه. هذا هو الوعي الحقيقي: أن ترى الدنيا كما يراها خالقها.

2. كيف تحدد الآية علاقتنا بالقرآن (تلاوة، فهم، تطبيق؟)
الآية ترسم علاقة متكاملة بالقرآن من خلال نقدها لمن ترك التدبر. هذه العلاقة تتكون من ثلاث مراحل متلازمة:

1. التلاوة (القراءة): هي البداية. لا يمكن التدبر بدون تلاوة. ولكن التلاوة في مفهوم القرآن ليست مجرد لفظ باللسان، بل هي ترديد يستحضر القلب. قال تعالى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ} {فحق التلاوة أن يتبع القارئ ما يتلوه.

2. الفهم (التدبر): هو المرحلة الثانية، وهي لب الآية. التلاوة تؤدي إلى التدبر، والتدبر هو التأمل للوصول إلى المعاني والمقاصد. هذا الفهم ليس عقلياً فقط، بل هو فهم القلب الذي يخشع ويلين . يقول الله عن المؤمنين: {وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا} . {الزيادة لا تحصل بدون فهم.

3. التطبيق (العمل): هو الثمرة الطبيعية والنتيجة الحتمية للتدبر الصحيح. من يفهم أن الله يحب المتقين، سيسعى للتقوى. من يتدبر قوله تعالى: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ}، سيحرص على فعل الخير ولو كان صغيراً. العمل هو الذي يحول الكلام المقروء إلى واقع معاش، وهو الذي يبرئ الإنسان من عتاب الآية.

الآية بذلك تحدد علاقتنا: تلاوة بقلب، تؤدي إلى تدبر بعقل وقلب، تثمر عملاً بالجوارح. هذه هي العلاقة الصحية التي تجعل القرآن ربيع المؤمن.

3. كيف يؤدي العيش مع القرآن بوعي إلى تغيير السلوك نحو الأفضل؟
العيش مع القرآن بوعي يشبه الجلوس في "ورشة إصلاح" للنفوس. التدبر هو عملية "تشغيل" لهذه الورشة، حيث:

• يكشف العيوب: عندما نتدبر آيات النهي عن الغيبة والنميمة، نرى نفسك فيها، فتدرك قبح هذا السلوك. هذا الإدراك هو بداية التغيير.

• يقدم النموذج الأعلى: القرآن مليء بالنماذج العليا (الأنبياء والصالحين) والنماذج السيئة (الظالمين والمكذبين). تدبر سيرهم يخلق في النفس رغبة في التشبه بالخير والنفور من الشر.

• يخلق الدافع الداخلي: ليس التغيير الحقيقي نابعاً من خوف خارجي، بل من دافع داخلي. عندما يتدبر المؤمن وصف الجنة ونعيمها، يشقاق إليها فتتحرك جوارحه لطلبها. وعندما يتدبر وصف النار، يخاف منها فيترك ما يغضب الله.

• يعظم كلام الله في القلب: كلما تدبر الإنسان آية ورأى فيها معنى جديداً، أو حكمة بالغة، أو علماً جماً، ازداد إيماناً بأن هذا الكلام ليس من بشر. هذه العظمة تترجم إلى تعظيم لله ولأوامره، فيصبح

الهوى تابعاً للحق، لا العكس. قال ابن مسعود رضي الله عنه: "من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن". أي يقرأه بتدبر وتفكر.

4. علاقة قرن الله التدبر بـ "القول" القرآن)

لم يقل الله "أفلا يتدبرون الآيات" فقط، بل قال القول هذا التخصيص له دلالات عظيمة:
· التحدي والإعجاز: القرآن هو "القول" الذي تحدى الله به الإنس والجن. ولأنه قول الله، فهو أسمى وأحكم وأعدل قول. فقرن التدبر به يدل على أن هذا القول بالذات هو أهل لأن يتدبر، لأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

· المصدر الوحيد للهداية: بتخصيص التدبر بالقرآن، يُعلمنا الله أن الهدى الحقيقي لا يأتي من أي قول آخر، ولا من الفلسفات البشرية، ولا من النظريات الوضعية. فمن أراد الهداية فعليه بهذا القول وحده.
· شمولية المنهج: القرآن ليس قولاً في جانب واحد، بل هو "قول" شامل يتحدث عن كل شيء: العقيدة، العبادة، الأخلاق، الاقتصاد، السياسة، القصص، العلم. ولذلك فهو يحتاج إلى تدبر مستمر لا استخراج هذا المنهج الشامل.

5. ما هي الأقفال التي تمنعنا من التدبر؟

يقول تعالى. في موضع آخر (أفلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها) الآية الكريمة تصور القلوب التي لا تتدبر بأن عليها {أقفالها} وهي أقفال معنوية متنوعة، حصرها المفسرون والعلماء في عدة أنواع:

· أقفال الغفلة والإعراض: وهي أن يكون القلب مشغولاً بالدنيا، لا يلتفت إلى آيات الله، فهي تمر عليه مروراً لا يؤثر فيه.

· أقفال الهوى والشهوات: حب الشهوات يغلف القلب، فإذا جاءته آية تأمر بترك محبوب، وجد القلب ثقلاً وصعوبة في تقبلها وتدبرها. قال تعالى: {أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ.}

· أقفال الذنوب والمعاصي: الذنب يترك نقطة سوداء في القلب، ومع تكرارها تطمس البصيرة، فلا يعود القلب قادراً على رؤية الحق. قال النبي ﷺ: "إن العبد إذا أخطأ خطيئة ثكت في قلبه نكتة سوداء".

· أقفال التقليد الأعمى: اتباع الآباء والأجداد بغير دليل ولا نظر، كما قال الكفار: {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ.} (هذا التقليد يسد باب التفكير.

· أقفال الجهل والتعصب: عدم العلم بأساليب التدبر، أو التعصب لمذهب أو رأي معين، يجعل القلب مغلقاً على أي معنى جديد يخالف ما تعود.

· أقفال الكبر والعناد: كما قال تعالى عن فرعون وقومه: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا.} هؤلاء عرفوا الحق لكن الكبر منعهم من تدبره وقبوله.

هذه الأقفال هي التي تجعل القلب لا ينتفع بالقرآن، وهي التي استحق بسببها من عاتبهم الله العتاب.
6. دعوة الآية للتدبر القرآن كمنهج حياة

الخلاصة التي تخرج بها من الآية هي دعوة صارخة لنا:

لا تجعل القرآن مجرد طقوس تتلى في المناسبات، أو هدية مؤقتة في رمضان، أو عزاء للموتى. اجعله دستور حياتك اليومية، منهجاً لعلاقاتك، ميزاناً لأعمالك، ونوراً تسير به في ظلمات الحياة.
إذا لم تفعل ذلك، فأنت معرض لأن تكون ممن عاتبهم الله بقوله: {أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ} القرآن أم على قلوب أقفالها. العتاب هنا شديد، لأنه يتعلق بأعظم نعمة أنزلها الله، فمن أعرض عن تدبرها والعمل بها، فقد أغلق على نفسه باب الخير كله.

الامر الرابع

الايه تعمل على تنميهِ مشاعر الحب للحق والخضوع له برغبه كامله من خلال هذا الاسلوب الوارد في الايه في ذم اولئك الذين لم يتبعوا الحق رغم وضعه اتمنى المتأمل في الايه مع الخطاب القراني يجد ان النصوص تغوص أعماق النفس البشرية لتغرس فيها النفور من سلوك أهل الكفر بهذا الأسلوب الرائع الى يجعل النفس السليمه تتفاعل مع الخطاب فمن يقف مع مدلولات الآية يجد أنها تمتلك طاقة هائلة لتنمية مشاعر حب الحق والخضوع له، وذلك من خلال مزيج فريد من الأساليب النفسية والبلاغية التي تخاطب العقل والقلب معاً. سنحلل هذا التأثير بالتفصيل:

أولاً: الآية النفسية والبلاغية لتنمية حب الحق

الآية لا تأمر مباشرة بـ "أحبوا الحق"، بل تستخدم أسلوباً غير مباشر يثير في النفس مشاعر النفور من ضده، وبالتالي التعلق به. كيف يحدث ذلك؟

1. أسلوب الاستفهام الإنكاري: إثارة العقل وتوبيخه

· اللمسة البيانية: تبدأ الآية بـ {أفلم يدبروا} . {همزة الاستفهام هنا للإنكار والتوبيخ، والفاء للعطف على مقدر يقتضيه السياق. والتقدير: أهملوا القرآن فلم يتدبروه؟ والفاء للربط تدل على أن عدم التدبر أمر مستغرب بعد وجود هذا الكتاب العظيم.

· كيف تنمي حب الحق؟:

· إيقاظ الفطرة: هذا الأسلوب يخاطب العقل الذي خلق الله فيه حب الاستفهام والبحث عن المعنى . حين يوجه الله اللوم لمن لم يتدبر، فإن ذلك يخلق في نفس المؤمن استنكاراً لهذا الموقف، ويدفعه تلقائياً ليكون من "المتدبرين" لئلا يقع في دائرة الذم.

· ربط الحق بالوضوح: الاستفهام يوحي بأن الحق الذي في القرآن واضح وجلي، ولا يحتاج إلا لمن يفتح عينيه وعقله. هذا يخلق في النفس ثقة بأن الحق ليس غامضاً، بل هو في متناول من يبحث عنه.

وقال تعالى في موضع آخر (أفلا يتدبرون القول ام على قلوب اقفالها)

وا التصوير الفني بالأقفال: استثارة النفور من الانغلاق
· اللمة البيانية: استخدام كلمة { أقفالها } هو تصوير استعاري بديع .شبه القلب الذي لا يتدبر بصندوق أو غرفة مغلقة بأقفال .وإضافة الأقفال إلى القلوب} أقفالها {تدل على أن هذه الأقفال ملازمة لها، وكأنها أصبحت جزءاً من طبيعتها.

· كيف تنمي حب الحق؟:

· خلق صورة ذهنية بغيضة: القفل يرمز إلى السجن والمنع والظلام .لا أحد يحب أن يوصف قلبه بأنه مسجون في ظلام .هذه الصورة تخلق في النفس رغبة شديدة في التحرر من هذه الأقفال، ولا تحرر إلا بالتدبر الذي يؤدي إلى الحق.

· جعل الحق هو الميزان: عندما تعلم أن الأقفال هي التي تمنعك من الحق، فإنك تبدأ في وزن الأ مور بميزان الحق، لا بميزان هواك .كل أمر يبعدك عن التدبر (كبرياء، شهوة، تقليد (تراه الآن "قفلا " يجب كسره، وكل ما يقربك من الحق تراه "مفتاحاً" يجب التمسك به.

3.استخدام "أم" للإضراب: فضح الحقيقة الداخلية

· اللمة البيانية: حرف { أم } هنا للإضراب والانتقال من الاستفهام عن التدبر إلى بيان السبب الحقيقي لعدم التدبر .كان الآية تقول: ليس السبب في عدم تدبرهم هو غموض القرآن أو عيبه، بل السبب أن على قلوبهم أقفالاً " تمنعها.

· كيف تنمي حب الحق؟:

· تحويل البوصلة إلى الداخل: هذا الأسلوب يجعل الإنسان يراجع نفسه ويتهمها .بدلاً من أن يلقي اللوم على النص أو الظروف، يضع يده على العلة الحقيقية: قلبه .هذا يخلق حالة من الصدق مع النفس، ويعمق الإرادة لتغيير هذه الحالة.

· الانتصار للحق: عندما تدرك أن الذي يعيقك هو قفل داخلي، وليس خلاً " في الحق نفسه، يصبح الحق هو الثابت والمعيار .عندها لا تقول "هذا الأمر لا يعجبني"، بل تقول "هذا هو الحق وإن خالف هواي"، فتناضل من أجله وتنتصر له.

ثانياً: الأثر التربوي للآية في بناء الفرد والمجتمع

الآية لا توقظ الفرد فقط، بل تبني مجتمعا راقياً بأكمله.

1.على مستوى الفرد) التنمية البشرية(:

· تحرير العقل: الآية تدعو إلى تحرير العقل من الجمود والتقليد .الفرد المتدبر هو إنسان مفكر، ناقد لذاته، باحث عن المعنى، لا يقبل الأمور لمجرد أنها موروثة أو موافقة لهواه .هذه هي أعلى درجات التنمية البشرية: بناء إنسان واع.

· التحكم في الهوى: عندما يصبح الحق هو الميزان، يصبح الهوى تابعاً .الإنسان الذي يتدبر القرآن يومياً يبني "مناعة ذاتية" ضد هوى نفسه .يرى خطأه بوضوح، وتحركه آيات الوعد والوعيد لتغيير سلوكه برغبة كاملة، وليس تحت تأثير ضغط خارجي .قال تعالى: { إن الصلوة تنهى عن الفحشاء والمفكر . } وإذا كانت الصلاة تفعل ذلك، فما بالك بتدبر القرآن كله؟!

· الاستقرار النفسي: التدبر يقدم إجابات شافية للأسئلة الوجودية الكبرى) لماذا نحن هنا؟ ما بعد الموت؟ (هذا الإدراك يمنح الفرد سلاماً داخلياً وطمأنينة لا يمنحه أي منهج آخر.

2.على مستوى المجتمع) بناء المجتمعات الراقية(:

· مجتمع قائم على الحق: مجتمع المتدبرين هو مجتمع لا يحكم بالهوى ولا بالمصلحة الضيقة .عندما يزن الأفراد والجماعات أمورهم بميزان الحق المستخلص من القرآن، فإنهم يبنون مجتمعاً عادلاً ، قوياً، و متماسكاً.

· توعية المجتمع: الآية تدعو المجتمع بكامله للتأمل في القرآن .يعني ذلك أن القرآن يصبح هو المرجعية العليا التي يرجع إليها الناس في شؤون حياتهم .هذا يخلق "وعياً جمعياً" مبني على أسس ثابتة، فيحمي المجتمع من التلاعب به من قبل الشائعات أو الأفكار الهدامة.

· مواجهة الفساد: التدبر يكشف زيف الباطل ولو تلبس بثياب الحق .فالمجتمع المتدبر لا يخدع ب الشعارات البراقة التي تخالف شرع الله، لأنه يملك "بوصلة الحق" التي تميز الغث من السمين.

ثالثاً:

بهذا الأسلوب، تزرع الآية في الفرد ميزاناً داخلياً للحق، وتحرره من عبودية الهوى، ليعيش برغبة كاملة في اتباع ما يرضي الله .وهذا بدوره ينشئ فرداً واعياً ومجتمعاً راقياً، تسوده قيم الحق والعدل، ويقوم على منهج إلهي متكامل، هو خير منهج للتنمية البشرية والحضارية

الامر الخامس

· الآية {أفلم يدبروا القول ام جاءهم ما لم يات ابائهم الاولين) ليست مجرد عتاب للأفراد، بل هي وثيقة تأسيسية لفهم كيفية تحول المجتمعات من حالة الجمود والتخلف إلى حالة الرقي والبناء الحضاري. سأحلل هذا من خلال الاتي

أولاً : كيف توحى الآلية بصعوبة التغيير نتيجة تمسك الناس بعاتات الجاهلية؟
الآلية تعكس واقعاً نفسياً واجتماعياً معقداً، هو واقع "الجمود المجتمعي" الذي يقاوم أي فكرة جديدة، حتى لو كانت هي الحق. هذا يظهر من خلال:

1. الاستفهام الإنكاري (أفلم يدبروا): صيغة الاستفهام هنا تفيد التعجب والاستغراب. تعجب الله من حالهم، مع أن الأمر كان ينبغي أن يكون سهلاً ، لكنه صعب بسبب تراكمات الجاهلية. هذا التعجب يشير إلى أن هناك حاجزاً نفسياً هائلاً ، يحول دون تقبلهم للحق.
 2. وصف القلوب بالأقفال: التصوير الاستعاري للأقفال يدل على أن الموروث الجاهلي لم يكن مجرد أفكار سطحية، بل تحول إلى "بنية صلبة" داخل النفس، تغلقها عن كل جديد. هذه الأقفال هي نتاج تربية اجتماعية وثقافية متراكمة عبر الأجيال، جعلت من "عادات الآباء" مسلمات لا تقبل النقاش.
 3. الإضراب بـ (أم): الانتقال من الاستفهام إلى الإضراب يدل على أن السبب ليس في الدعوة نفسها، بل في المتلقي. هو تشخيص دقيق لحالة "الرفض المسبق" التي يعاني منها المجتمع الجاهلي، حيث تكون العوائق ذاتية قبل أن تكون موضوعية.
- إذن، الآلية توحى أن التغيير ليس عملية سطحية، بل هي عملية "اقتحام" لهذه الأقفال، مما يتطلب جهداً استثنائياً وحكمة بالغة في التعامل مع هذه المقاومة.
- ثانياً: تنفيذ عقيدة التقليد والتعظيم للآباء والأجداد
- الآلية تشكل صفة قوية لعقلية "التقليد الأعمى" التي كانت سائدة في الجاهلية، وما زالت. التنفيذ يتم عبر:

1. تقديم العقل كبديل عن النقل الموروث: الآلية تدعو إلى التدبر، وهو عمل عقلي ومنطقي. بالتالي، هي تنقل مركز الثقل من "الجماعة" و"السلف" إلى "الفرد المفكر" و"الدليل". إنها هدم لفكرة أن "الأقدم هو الأصح".
 2. الكشف عن زيف قداسة الموروث: عندما يصف الله ضلاله هؤلاء بالتمسك بالمورث رغم فساده بأسلوب الاستفهام (أم جاءهم ما لم يات ابائهم الاولين) فهو يكشف أن تمسكهم بالعاتات الجاهلية ليس عن قناعة، بل عن انغلاق فكري. هذا يحذر الأتباع من عقدة النقص أمام الأسلاف.
 3. الرد الضمني على ذريعة "وجدنا آباءنا": الآلية ترد على المقولة الجاهلية التي حكى الله عنهم: ﴿وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهُتَدُونَ﴾ [الزخرف: 22]. فالآلية هنا تقول: مجرد وجود الآباء على حال ليس دليلاً ، على صحته، بل هو العائق نفسه الذي يجب كسره بالتدبر.
- ثالثاً: اللمة التاريخية والتربوية والتنموية في بناء الحضارة
- الآلية تقدم "لمحة تاريخية" عن صراع الحق مع الباطل، و"درساً تربوياً" في كيفية التعامل مع النفس البشرية، و"رؤية تنموية" لبناء المجتمعات:

1. اللمة التاريخية: تاريخ الأمم السابق مليء بالأقوام التي أهلكت بسبب تمسكها بالجاهلية (قوم نوح، عاد، ثمود، فرعون). كانوا جميعاً يرفضون دعوة الأنبياء بنفس الحجة: ﴿أَجِئْتَنَا بِتِلْكَ آيَاتِنَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آيَاتِنَا﴾ [يونس: 78]. الآلية التي نحن بصدها تذكرنا بهذا التاريخ، لئلا نكرر أخطاءهم.
 2. الدرس التربوي: التغيير الحقيقي يبدأ من "القلب" و"العقل". لا يمكن تغيير المجتمعات بالقوانين القسرية وحدها، بل بتحرير العقول من الأقفال. هذا هو الدرس التربوي الأعظم: ابدأ بتنظيف الداخل ، حتى يصلح الخارج.
 3. الرؤية التنموية: التنمية لا تعني فقط بناء المدن والمصانع، بل بناء "الإنسان المفكر". المجتمع الذي لا يتدبر هو مجتمع متخلف، لأن الجمود الفكري يمنع الابتكار والتطور. المجتمع المتدبر هو مجتمع "قائم على العلم"، يزن الأمور بميزان الحق، وهذا هو أساس أي حضارة راقية. الحضارة الإسلامية قامت على "اقرأ"، أي على العلم والتدبر.
- رابعاً: منهج متكامل لكيفية إحداث التغيير في المجتمعات الجامدة
- من الآلية يمكن استخلاص منهجية متكاملة للتغيير، تتكون من عدة مراحل:

1. المرحلة الأولى: التشخيص الدقيق (مرحلة "أم جاءهم ما لم يات ابائهم الاولين"):
• لا يمكن علاج المجتمع قبل تشخيص داءه. الداء ليس مجرد "جهل"، بل هو "انغلاق" و "تعصب" للموروث. الخطوة الأولى هي فهم طبيعة المقاومة، وأسبابها النفسية والاجتماعية.
2. المرحلة الثانية: إثارة التساؤل (مرحلة "أفلم يدبروا"):
• التغيير لا يبدأ بإلقاء الحقائق الجاهزة، بل بطرح أسئلة توقظ العقل. الاستفهام هنا هو أداة لخلخلة الجمود. يجب أن نبدأ بأسئلة مثل: لماذا نحن هكذا؟ هل ما نعيش عليه هو الصواب؟ ما البديل؟
3. المرحلة الثالثة: هدم المقدسات الزائفة:
• يجب كسر قداسة العادات والتقاليد التي تحولت إلى "أقفال". كما وصفها الله في موضع آخر وهذا يتم بإثبات أن هذه العادات بشرية قابلة للخطأ، وأن الدين الجديد (أو الفكرة الجديدة) لا يدعو للقطيعة مع الماضي، بل لتصحيحه وتكميله.
4. المرحلة الرابعة: تقديم البديل المقنع:
• بعد كسر الأقفال، يجب تقديم "القرآن" (المنهج الجديد) كبديل راق ومتقدم. الآلية تحرض على

تدبر القرآن لأنه هو الذي يقدم هذا البديل المتكامل: العقيدة الصحيحة، الأخلاق الفاضلة، النظام الاجتماعي العادل.

خامساً: الأسلوب الأمثل للخطاب في مرحلة الدعوة الجديدة
الآية تقدم لنا نموذجاً للخطاب الدعوي في مرحلة المواجهة مع المجتمع الجاهلي، وهذا النموذج يتميز بما يلي:

1. عدم المواجهة المباشرة العنيفة: الآية لا تبدأ بشتيم أو تكفير، بل تبدأ باستفهام (أفلم يدبروا) يحمل في طياته الرأفة والحزن عليهم، والتعجب من حالهم. هذا يخفف من حدة الصدام.
2. ترك مساحة للعقل: الخطاب يخاطب العقل، ويدعوه للتفكير. هو لا يقول "اسمعوا وأنقادوا"، بل يقول "فكروا وتدبروا". هذا يعطي الطرف الآخر احتراماً ويشعره بأنه حر في اختياره، مما يقلل من مقاومته.

3. كشف الموانع بلطف: بدلاً من أن يقول "أنتم كسالى"، يكشف عن الموانع بطريقة غير مباشرة عبر بيان أن ما جاء به القرآن من التوحيد هو المنهج الذي جاء به الرسل جميعاً وأن تعارض مع العادات والتقاليد فذلك لأن أبائهم واجدادهم لم يرسل إليهم رسل فهم محرومون من الرسائل منذ أن تصل إبراهيم عليه السلام ابنه إسماعيل عن بقيه ذريته ولهذا فإن الآباء والأجداد ليس لديهم الحق بالحديث عن مراد الرب فهم لأعلم لديهم بذلك هذا يجعل المدعو يتأمل في نفسه دون أن يشعر بأنه متهم مباشرة.

4. ربط الجديد بالأصل: الخطاب لا يأتي بشيء غريب عن الفطرة، بل يذكرهم بما في القرآن من آيات كونية ونفسية هي أقرب إلى عقولهم مما يعرفون. فهو لا يهدم هويتهم بالكامل، بل يصححها.
سادساً: استعمال أسلوب مخاطبة العقل والمنطق لاستئصال كراهية الناس للفكرة الجديدة
الآية تعالج "الكراهية المسبقة" للفكرة الجديدة من خلال:

1. تحويل القضية من "هوية" إلى "حقيقة": المجتمع الجاهلي كان يرفض الإسلام لأنه "دين جديد" يهدد هويتهم القبلية. القرآن هنا يحول النقاش من "الانتماء" إلى "التفكير". يقول لهم: لا تنظروا لمن جاء بالرسالة، بل انظروا إلى مضمونها، هل هو حق أم باطل؟

2. إزالة الخوف من الجديد: عندما يأمرهم بالتدبر، فهو يطمئنهم أن الحق لا يخاف من التفكير. الفكرة الجديدة (الإسلام) قوية بما فيه الكفاية لتحتمل النقد والتمحيص.

3. كشف أن ما يعتبرونه "حماية للموروث" هو في الحقيقة "تقليد الجهلاء": فالآية تعيد صياغة مفهوم "الولاء للأسلاف" فبدلاً من أن يكون الولاء لهم فضيلة، تصوره الآية على أنه رذيلة تمنع الوصول إلى الحق. هذا يخلخل الولاءات التقليدية ويحرر العقل ليبحث عن الحق بذاته.

4. إظهار أن الحق هو مصلحة العباد: التدبر يفضي إلى معرفة أن ما جاء به القرآن هو الخير لهم في الدنيا والآخرة. عندما يدرك الناس أن الحق ليس عدواً لهم، بل هو صديقهم ومصلحتهم، تزول كراهيتهم له.

سابعاً: دور الآية في بناء المجتمعات الراقية والتنمية البشرية
ختاماً، هذه الآية هي مشروع متكامل لبناء الإنسان والمجتمع:

- بناء الإنسان: تصنع إنساناً مفكراً، ناقداً، متحرراً من العبودية الفكرية، متعظماً بالحق لا بالبشر.
- بناء المجتمع: تصنع مجتمعاً يقوم على الشورى والعلم، لا على التقاليد العمياء. مجتمعاً يتخذ فيه القرارات بناء على التدبر في كتاب الله وسنة نبيه، لا على الأهواء والمصالح الضيقة.
- التنمية البشرية: التنمية الحقيقية تبدأ عندما يتحرر عقل الإنسان. الآية تفتح الطريق لهذه التنمية بكسر أغلال التقليد والتعصب، وإطلاق طاقات العقل والروح.
- وهكذا، فإن آية واحدة في كتاب الله تحمل في طياتها أعظم المناهج لتغيير الذات والمجتمع، وصناعة الحضارة الإنسانية الراقية

ثانياً

انه بتأمل وتدبر الآية (ان لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون) تجد انها قطعة ثمينة في نسيج هذه السورة الكريمة، وتحمل في طياتها دروساً عميقة في النفس البشرية ومنهج التغيير. سأقدم لك تفسيرها ثم استخراج الدروس والمفاهيم منها.

تفسير الآية

النص القرآني:

{أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ} [المؤمنون: 69]

شرح موجز:

الاستفهام هنا للإنكار والتوبيخ. المعنى: أليزعم هؤلاء المشركون أنهم لم يعرفوا محمداً صلى الله عليه وسلم، فيكون عدم معرفتهم به هو سبب إنكارهم لرسالته؟ كلا، فالأمر ليس كذلك. إنهم يعرفونه معرفة يقينية لا شك فيها. فقد نشأ بينهم أربعين سنة، وعرفوا صدقه وأمانته ووفاءه وكمال خلقه، حتى كانوا يلقبونه قبل البعثة بـ "الصادق الأمين". فهم يعرفون شخصه ونسبه وأخلاقه، ولكنهم مع ذلك ينكرون رسالته، لا عن جهل، بل عن عناد وكبر واتباع للهوى .
شهد بذلك أعداؤه قبل أصدقائه؛ فقد سأل هرقل (ملك الروم) أبا سفيان - وكان يومها مشركاً - عن

صفات النبي صلى الله عليه وسلم، فكان من جملة ما قاله أبو سفيان: "والله ما كنا نعتقد بالكذب، وما كان يَخْتَنُ الْعَهْدَ"، معترفاً بصدقه وأمانته رغم عداوته له .

الدروس والمفاهيم والرسائل والتوجيهات من الآية

الآية تحمل عدة رسائل محورية يمكن تفصيلها كالتالي:

1. درس في مفارقة المعرفة والإنكار (نقد التعنت الفكري)

الآية تكشف عن ظاهرة نفسية خطيرة هي: أن الإنسان قد يعرف الحق معرفة يقينية، ثم لا يتبعه، بل ينكره. هذا هو أخطر أنواع الجحود. ليست المشكلة في عدم وصول المعلومة أو وضوح الدليل، بل المشكلة في القلب الذي يختار الإنكار رغم المعرفة. إنها تفضح الذين يجحدون الحق ليس عن جهل، بل استكباراً واستعلاءً، لأن اتباعه سيكلفهم مكانتهم الاجتماعية أو مصالحهم أو أهواءهم .

2. رسالة في نقد التقليد الأعمى للأباء

تأتي هذه الآية (69) بعد آية مباشرة تقول: {أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ} [المؤمنون: 68] . هذا الترتيب القرآني يعلمنا أن التغيير يبدأ بـ"التدبر" (استخدام العقل)، ثم يكشف أن حجة "الأباء" ليست حجة، ثم ينتقل إلى توبيخهم لأنهم يعرفون الرجل حق المعرفة. الآية هنا تهدم العذر الأخير لهم: "نحن لا نعرفه". إنها تقول لهم: أنتم تعرفونه جيداً، وقد عرفتم أمانته وصدقه، فلماذا تتركون اليقين وتتبعون وهم الأباء؟ إنها دعوة لتحرير العقل من عبودية التقليد إلى حرية اتباع المبنى على البصيرة.

3. مفهوم عظيم: مسؤولية العلم (شهادة التاريخ)

الآية تبرز مبدأ عظيماً: المعرفة بالحق توجب الاتباع، وإنكار الحق بعد المعرفة هو جريمة أكبر من إنكار الجاهل. قريش لم تكن جاهلة بمحمد صلى الله عليه وسلم، بل كانت "خبرية" به. كانوا يثقون به ويأتمنونه على أموالهم وأرواحهم. هذه المعرفة السابقة كانت ستكون نعمة لو آمنوا، لكنها تحولت إلى نقمة وحجة عليهم يوم القيامة. إنها توجه كل إنسان: إذا عرفت الحق، فلا تخالفه، وإلا كنت ممن عناهم الله بهذه الآية.

4. توجيه خطير: الإنكار ليس سببه الدليل بل البغي والحسد

الآية تحدد السبب الحقيقي للإنكار. إنه ليس نقصاً في الدليل، بل هو داء في القلب. قال بعض المفسرين: "أي عرفوه بهذه الصفات فهم له منكرون بغياً وحسداً". هنا تكمن الخطورة: العلة في النفوس لا في النصوص. هذا توجيه لكل داعية ومصلح أن عليه أن يعالج القلوب والأهواء، لأن العقل قد يفتن لكن الهوى قد يمنع. وهو أيضاً توجيه لكل إنسان أن يتفقد قلبه: هل يمنعني من الحق حسد أو كبر أو حب للرياسة؟

5. مفهوم "معرفة الرسول" كأصل من أصول الإيمان

الآية تلفت النظر إلى أن معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم ليست ترفاً فكرياً، بل هي أساس لا يتاعه. الله يوبخهم لأنهم لم يعرفوه حق المعرفة، أو لأنهم تنكروا له بعد المعرفة . هذه "المعرفة" تشمل:

• معرفة صدقه وأمانته: ليطمئن القلب أن ما جاء به حق .

• معرفة شمائله وأخلاقه: ليكون قدوة وأسوة حسنة .

• معرفة سنته القولية والفعلية: لأن الله جعل التفصيل والبيان على لسانه، فمن لم يعرف سنة الرسول لم يستطع تطبيق القرآن تطبيقاً صحيحاً .

6. رسالة في منهج التغيير: ابدأ من المشترك

الآية ترشد الدعاة إلى منهج حكيم: استعمل ما تعرفه الجماهير فيك، كجسر لتوصيلهم إلى ما تنكره منك. أنت تعرف عند الناس بالصدق (أمر مشترك)، فإذا جئتهم بالرسالة (الأمر الجديد)، قل لهم: أنا الذي عرفتموني صادقاً أميناً، فلماذا لا تصدقوني فيما أقول لكم عن الله؟ هذه كانت طريقة النبي صلى الله عليه وسلم مع قومه.

7. الخلاصة: الآية ميزان للضمير

في النهاية، هذه الآية هي بمثابة ميزان للضمير الحي. تقول لك: إذا واجهت الحق وقلبك يعرف أنه حق، ثم أعرضت عنه لهوى أو مصلحة، فأنت على شفا حفرة من تيه قريش. المؤمن الصادق هو من إذا عرف الحق، سارع إليه، حتى لو خالف ما ألفه أو خالف آباءه أو كلفه الكثير.

الامر الثاني

هذه الآية تضع بين أيدينا منهجاً متكاملًا بالمواصفات التي يجب أن يتسم بها الخطاب فلا ينبغي أن يكون هذا الخطاب من الداعية للجماهير غير مفهوم بل ينبغي أن يكون واضحاً حتى تعمل فأنده ولهذا فإن الآية تضع بين أيدينا أصولاً ثابتة في التواصل مع الناس. حتى لا يكون الخطاب فاقداً لمعروفيته وذلك من خلال الاتي:

المسألة الأولى: أهمية "معروفية الخطاب" في الدعوة (مخاطبة الناس بما يعرفون)

الآية {أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ} [المؤمنون: 68] تحمل في طياتها منهجاً متكاملًا * للخطاب الدعوي:

1. مخاطبة الناس على قدر فهمهم (مراعاة مقتضى الحال)

الخطاب القرآني يبدأ بالاستفهام: {أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا}، وهو استفهام يحاطب العقل مباشرة. هذا الأسلوب يعلمنا أن أول مراحل الدعوة هي إثارة العقل لا إرهاقه. فالداعية الناجح هو من يبدأ مما

يعرفه الناس ويفرّون به، ثم يرتقي بهم إلى ما يريد تعليمهم إياه .
قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ} [إبراهيم: 4]. هذه الآية تؤصل قاعدة ذهبية: الخطاب بلغة القوم وبما يفهمونه هو شرط أساسي للتبيين والبلاغ . فالله لم يكلف عباده بما لا يطيقون، ولا يلزمهم بشرع لا يفهمونه .

2. التدبر يقتضي اللغة المشتركة
كلمة {القول} في الآية تشمل القرآن وما فيه من هدايات. والمطلوب تدبره، أي التأمل العميق للوصول إلى المعاني. وهذا لا يكون إلا إذا كان القول مفهوماً للمخاطبين، بلغة يعرفونها وأسلوب يالفونه . ف القرآن نزل بلغة العرب، لأنهم هم المخاطبون أولاً ، وهم أهل الفصاحة والبيان .
المسألة الثانية: أهمية "معرفية الداعية" حتى يكون المتلقي مهياً للقبول
الآية التي تليها مباشرة: {أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُكَرَّرُونَ} [المؤمنون: 69] تضع حجر الأساس في بناء الثقة بين الداعية والمجتمع.
لماذا كانت المعرفية ضرورية؟

لأن الناس لا يقبلون من لا يعرفون، والقلوب مجبولة على حب من تعرفه والخوف من المجهول. فإذا كان الداعية معروفاً بالخير والصدق، تهيات النفوس للسمع والقبول، وإذا كان مجهولاً أو سيئ السمعة، أغلق الناس آذانهم قبل أن يتكلم .
هذا المعنى يتجلى في قول جعفر بن أبي طالب للنجاشي: "إن الله بعث إلينا رسولا ً نعرف نسبه وصدقه وأمانته" . فجعله يبدأ بذكر ما يعرفه النجاشي من صفات النبي قبل الدعوة، ليكون تمهيداً لقبول الرسالة.

المسألة الثالثة: عناصر معرفية الداعية الثلاثة كما تفهم من الآية

1. معرفية الجنس) الانتماء القومي)

ماذا تعني؟

تعني أن الداعية من نفس بيئة المدعويين، يعرف عاداتهم وتقاليدهم، ويتكلم بلغتهم، ويفهم نفسياتهم .
لماذا أرسل الله الرسل من نفس القوم؟

لأن الداعية الغريب يتهم، أما القريب فيُصدق. ولأن معرفة الداعية للبيئة تمكنه من اختيار الأسلوب المناسب، وتجنب ما يثير النفور. وقد قال تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ} [التوبة: 128]، أي من جنسكم تعرفون نسبه ونشأته .
كيف نطبقها اليوم؟

عند دعوة مجتمع معين، الأفضل أن يكون الداعية من أبناء هذا المجتمع أو على الأقل متشبعاً بثقافته، عارفاً بمشكلاته، متحدثاً بلغته الدارجة، مراعيًا لعاداته التي لا تخالف الشرع.

2. معرفية السيرة) السمعة الطيبة قبل الدعوة)

ماذا تعني؟

تعني أن يكون الداعية معروفاً بين الناس بحسن الخلق، والصدق، والأمانة، والوفاء، والسلوك القويم، حتى قبل أن يبدأ دعوته .

أهميتها ودلالاتها:

. النبي ﷺ كان معروفاً بين قومه بـ"الصادق الأمين" قبل البعثة بأربعين سنة.
. شهد بذلك أعداؤه قبل أصدقائه: أبو سفيان لما سأله هرقل عن النبي، قال: "والله ما كنا ننتعنه بالكذب، وما كان يخينُ بالعهد".
. لما اختلفت قريش في وضع الحجر الأسود، رضوا بحكم النبي ﷺ وقالوا: "هذا الأمين".

حاجتنا اليوم:

في زمن كثر فيه من يتكلم باسم الدين وليس له سابقة خير، أو سمعته مشبوهة، تصبح "معرفية السيرة" شرطاً ضرورياً. الناس تنظر إلى سلوك الداعية قبل كلامه، فإذا كان معروفاً بالصلاح والصدق، كان كلامه مقبولاً .

3. معرفية اللسان) البيان والفصاحة)

ماذا تعني؟

تعني قدرة الداعية على التعبير عما في نفسه بلغة واضحة مفهومة، تتناسب مع مستوى المخاطبين، وتؤثر فيهم .

علاقتها بكمال معرفية الداعية:

لا يكفي أن يكون الداعية صالحاً، بل لا بد أن يكون مفصلاً مبيناً. وقد طلب موسى عليه السلام من ربه: {وَاحْطَلِ عَقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي * يَقْهُوا قَوْلِي} [طه: 27-28]، لعلمه أن الفصاحة أبلغ في البيان .

النبي ﷺ قال: «إن من البيان لسحراً» ، أي أن بعض البيان يؤثر في النفوس كالسحر في جذبها واستمالتها، لكنه سحر حلال لأنه يستخدم في الحق. وهذا البيان يحتاج إلى أمرين: فصاحة اللغة، وحسن اختيار الكلمات المناسبة للمقام .

المسألة الرابعة : كيف تبين الآية توفر هذه الشروط في شخص النبي ﷺ؟

1. إضافة "رسولهم" إليهم رغم تكذيبهم

قوله تعالى: {رَسُولُهُمْ} فيه إضافة عجيبة. هو رسول لهم، أي ينتمي إليهم، وهم يعرفون أنه منهم. رغم

أنهم كذبوه، إلا أن القرآن ينسبه إليهم، ليذكرهم بأنه ليس غريباً عنهم، بل هو واحد منهم يعرفون حسبه ونسبه .

2. دلالة الاستفهام "أم لم يعرفوا رسولهم"

الاستفهام هنا للإنكار والتوبيخ . معناه: ليس الأمر أنهم لا يعرفونه، فهم يعرفونه معرفة تامة، صغيروهم وكبيرهم، وعرفوا صدقه وأمانته ووفاءه . هذا النفي لنقص المعلومة لديهم يقطع عليهم كل حجة، ويثبت أن إنكارهم لم يكن عن جهل بل عن عناد .

3. دلالة السمعة الطيبة قبل البعثة

الآية تشير ضمناً إلى أن السمعة الطيبة التي اكتسبها النبي ﷺ قبل البعثة كانت رصيذاً هائلاً في دعوته. فلو كان معروفاً بالكذب، لقالوا: هذا كذاب. لكنهم عرفوه بالصدق، فلم يكن لديهم عذر . وقد كانت خديجة رضي الله عنها أول من استشعر هذا المعنى حين قالت له بعد الوحي: "كلا والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق".

خلاصة وتطبيق عملي

هذه الآية تقدم لنا معايير ثلاثة لاختيار الدعاة والمصلحين في كل عصر:

1. معروفة الجنس: أن يكون الداعية من البيئة التي يدعوها أو متبحراً فيها.

2. معروفة السيرة: أن يكون حسن السمعة، معروفاً بالصدق والأمانة والصلاح.

3. معروفة اللسان: أن يكون قادراً على البيان والإفهام، حسن الأسلوب، فصيح العبارة.

وإذا اجتمعت هذه العناصر في الداعية، تهيأت النفوس لقبول دعوته، لأن الناس لا يقبلون من لا يعرفون، ولا يصدقون من لا يتقنون به، ولا يفهمون من لا يحسن البيان. وهذا هو المنهج النبوي الذي يضمن وصول الرسالة بأحسن صورة.

الامر الثالث.

كيفية تحويل المعرفة النظرية (بشخص النبي وبالقرآن) إلى منهج حياة يضمن للمسلم الاستقامة ويمنعه من الزلل. لما ورد في الآية الكريمة {أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ} [المؤمنون: 69] فهي تحمل في طياتها أصولاً عظيمة في هذه الجوانب. نوضحها بالآتي :

أولاً : أهمية دراسة السيرة النبوية بعمق لمعرفة شخص النبي والافتداء به

الآية توبخ قريشاً لأنهم أنكروا رسولهم مع أنهم يعرفونه. هذا التوبيخ يحمل رسالة ضمنية للمؤمنين: أن معرفة الرسول ﷺ معرفة حقيقية هي السبيل الوحيد لئلا نكون من المنكرين.

1. لماذا دراسة السيرة النبوية؟ دورها في الإيمان والاتباع)

. معرفة القدوة لاتباعه: لا يمكن الاقتداء بشخص لا تعرفه. دراسة السيرة ترسم لنا صورة كاملة للنبي ﷺ: كيف كان يعامل أهله، كيف كان يتعامل مع أعدائه، كيف كان يصبر، كيف كان يتوكل على الله، كيف كان يضحك ويبكي. هذه التفاصيل تحول النبي من "شخصية تاريخية" نقرأ عنها، إلى قدوة حية نستلهم منها حلولاً لمشاكلنا اليومية. قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} [الأحزاب: 21]، والأسوة لا تكون إلا بعد المعرفة.

. تحصين الإيمان من الإنكار: قريش عرفت النبي بالاسم والنسب والصفات، لكنهم أنكروا رسالته. نحن اليوم، إذا لم ندرس سيرته بعمق، قد نقع في إنكار آخر، وهو إنكار سنته أو إنكار تطبيقها في حياتنا. فقد نقرأ القرآن ونؤمن به، ثم نهمل سنة النبي الذي جاء به، فنكون بذلك منكرين لرسولنا من حيث لا نشعر. دراسة السيرة تجعلنا نوقن أن اتباعه هو عين اتباع القرآن.

. بناء العلاقة العاطفية مع النبي: الإيمان ليس مجرد معرفة عقلية، بل هو ارتباط قلبي. عندما نقرأ كيف كان يحب المساكين، وكيف كان يبكي على الأمة، وكيف كان ينام على الحصر حتى يترك أثراً في جنبه، وكيف كان يدعو للمشركين بالهداية رغم أذاهم له، فإن قلبك يتعلق به حباً. وهذا الحب هو الدافع الأعظم للاتباع. قال ﷺ: « لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ». وهذا الحب لا يتحقق بدون معرفة عميقة.

2. كيف نحمي أنفسنا من الإنكار عبر دراسة السيرة؟

من خلال معرفة أن النبي ﷺ كان بشراً يوحى إليه. هذه المعرفة تحمي من تطرفين:

. التطرف الأول: رفعه إلى مرتبة الألوهية) وهذا إنكار لكونه عبداً ورسولاً .

. التطرف الثاني: هدم سنته بدعوى أننا نتبع القرآن فقط) وهذا إنكار لدوره كرَسُولٍ وَمُبَيِّنٍ).

دراسة السيرة ترسخ المعرفة المتوازنة: هو الرسول الذي لا ينطق عن الهوى، وهو البشر الذي نستطيع الاقتداء به.

ثانياً: أهمية السمعة الطيبة للدعاة

الآية تشير ضمناً إلى أن السمعة الطيبة هي رأس مال الدعوة. النبي ﷺ كان معروفاً قبل البعثة بـ "الصادق الأمين". هذه السمعة كانت:

1. جسراً للدعوة: عندما بدأ دعوته، لم يستغرب الناس منه الدعوة إلى الله، لأنه كان معروفاً بالصدق . لم يقولوا: هذا كذاب يدعي النبوة، بل كانوا يقولون: هذا الصادق، فما باله يدعي هذا الأمر؟! هذا جعلهم يتوقفون ويفكرون، وهذا هو المطلوب.

2. حجة عليهم يوم القيامة: لأنهم عرفوا صدقه في أصغر الأمور، فكان من المفترض أن يصدقوه في

أكبر الأمور) الرسالة. (ولذلك كانت معرفتهم به حجة تدينهم.

3. درس لكل داعية: السمعة الطيبة لا تبنى بين عشية وضحاها. هي ثمرة عمر من الصدق والأمانة وحسن الخلق. الداعية الذي لا يهتم بسمعته، أو تكون سمعته سيئة بين الناس، يكون كمن يبني قصراً على أساس مائل. كلماته قد تكون حقاً، لكن وزنه الاجتماعي الضعيف يمنع وصولها. قال بعض السلف: "إن الرجل ليكذب الكذبة فيحرم بها صدقة الدعاء".

ثالثاً: أهمية بناء الأحكام على المعلومات لا على الشائعات والأهواء

الآية {أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ} تقدم لنا أصلاً عظيماً في التعامل مع الأشخاص والأفكار: لا تحكم على شيء حتى تعرفه معرفة دقيقة.

1. الحكم على الأشخاص) النقد البناء)

قريش حكمت على النبي ﷺ بأنه ساحر أو كذاب أو مجنون، رغم أنهم يعرفونه جيداً ويعرفون أنه العاقل الأمين الصادق. هذا يعني أن أحكامهم كانت مبنية على:

- الهوى: لأن دعوته تهدد مكانتهم الاجتماعية وعبادة آبائهم.
- الشائعات: صدقوا بعضهم بعضاً في ترويح الأكاذيب.

الدروس المستفادة:

- لا تبني رأيك في إنسان على كلمة سمعتها عنه، أو موقف واحد رأيته منه. اسأل، وتحقق، واجتمع به، واعرف خلفياته.
- لا تتبع الهوى في الحكم على المخالفين لك. قد يكونون على حق وأنت على باطل، أو العكس.
- المهم أن تزن الأمور بميزان العدل والمعرفة.
- هذه الآية تضعنا أمام مبدأ "قرينة البراءة": لا تحكم على إنسان بأنه سيئ أو مخطئ حتى تتأكد.

2. الحكم على الأفكار والمناهج

قريش حكمت على القرآن بأنه شعر أو أساطير الأولين، مع أنهم يعرفون الفرق بين الشعر والنثر، ويعرفون أن محمداً لم يكن كاهناً ولا شاعراً. هذا كان حكماً باطلاً مبنياً على الجهل والهوى.

الدروس المستفادة:

- قبل أن ترفض فكرة أو منهجاً، ادرسه بموضوعية. لا ترفض الإسلام لأنك سمعت عنه شائعات. ولا ترفض فكرة إصلاحية أو دعوية لمجرد أنك لا تعرف صاحبها.
- قال تعالى: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} [الإسراء: 36] هذا نهى عن اتباع الظن والشائعات.
- التدبر الذي أمرت به الآية السابقة) أفلم يدبروا القول (هو الوسيلة لاكتساب هذه المعرفة الدقيقة.

3. خطورة الشائعات في عصر التواصل الاجتماعي

في زمننا، تنتشر الشائعات بسرعة الضوء، ويحكم على الأشخاص والمشاريع والأفكار بناءً على بوست أو خبر غير موثوق. الآية هنا تنقذنا من هذا الضياع. تقول لنا: توقف! هل أنت على يقين من معرفتك؟ أم أنك تردد ما لا تعلم؟

الخلاصة والتكامل بين العناصر

الآية الكريمة تقدم لنا منهجاً متكاملًا في التعامل مع الدين والناس:

1. معرفة النبي) بدراسة سيرته (تجعلنا نتبعه حق الاتباع، ونحمي أنفسنا من الإنكار.
2. السمعة الطيبة للداعية تجعل دعوته مقبولة ومؤثرة، وتجعل منه نموذجاً يُحتذى.
3. بناء الأحكام على المعرفة) لا على الشائعات والهوى (هو مبدأ العدل والإنصاف الذي يرضاه الله لعباده، وهو الذي يبني مجتمعاً واعياً متحضراً.

نسأل الله أن يرزقنا معرفة نبيه حق المعرفة، وأن يطهر قلوبنا من الهوى، وألسنتنا من الشائعات، وأن يجعلنا ممن يسمعون القول فيتبعون أحسنه

ثالثاً

نتنقل إلى الآية 70 من سورة المؤمنون والتي تمثل محطة حاسمة في سياق السورة، حيث تكشف عن التناقض الصارخ في موقف المشركين، وتضع أيدينا على الداء الحقيقي الذي يمنعهم من الإيمان:

قال تعالى {أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ ۚ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَارِهُونَ}

الشرح التفصيلي:

{أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ}: هذا انتقال إلى توبيخهم على اتهام آخر أشنع. الاستفهام هنا للإنكار والتعجب. المعنى: بل أقول هؤلاء المشركون إن بمحمد صلى الله عليه وسلم جنونا، فهو يتكلم بما لا يعقل أو يهذي؟

{بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ}: هذا إضراب عن اتهامهم الباطل، وإثبات للحقيقة. أي: ليس الأمر كما زعموا من أنه مجنون، بل الذي جاءهم به محمد هو الحق الثابت الواضح، وهو القرآن والدين القويم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

{وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَارِهُونَ}: هذا بيان للسبب الحقيقي لتكذيبهم. إنهم ليسوا بجهل أو شك في صدق النبي، بل لأنهم يعرفون الحق ولكنهم يكرهونه. يكرهون ما جاء به من إخلاص العبادة لله وحده، وترك ما كان يعبد آباؤهم، لأنه يتعارض مع أهوائهم ومصالحهم واستكبارهم.

الدروس والمفاهيم المستفادة من الآية

1. فضح أساليب المكذبين في التنقل بين التهم الباطلة
الآية تكشف ظاهرة نفسية خطيرة لدى أهل الباطل: عندما تنهار حجة، يخلقون حجة أخرى. في الآيات السابقة:

الآية 68 : اتهموا القرآن بأنه شيء جديد لم يأت أباهم.

الآية 69 : أنكروا الرسول مع أنهم يعرفونه.

الآية 70 : لما فشلت كل هذه الذرائع، انتقلوا إلى اتهام النبي بالجنون!

هذا يعلمنا أن المعاند لا يقف عند دليل، بل ينتقل من تهمة إلى أخرى حتى يجد مبرراً لرفضه.

2. مواجهة الاتهامات الباطلة بالحجج العقلية

الرد الإلهي {بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ} يحمل دليلاً عقلياً واضحاً على بطلان اتهامهم بالجنون . فالجنون ينتج كلاماً مختلاً غير مفهوم. أما القرآن الذي جاء به النبي فهو:

حق ثابت لا يأتيه الباطل.

حكمة بالغة لا تضاهى.

كلام منتظم محكم.

فكيف لمن به جنة أن يأتي بمثل هذا الكلام العظيم؟ هذا رد عقلي يدحض اتهامهم .

3. الكشف عن الداء الحقيقي: كراهية الحق لا الجهل به

أعظم ما تكشفه الآية أن مشكلة الكفار لم تكن في العقل بل في القلب. لم يكونوا يجهلون صدق النبي، بل كانوا يعرفونه ويعترفون صدقه، ولكنهم يكرهون ما جاء به لأنه:

يهدم مكانتهم الاجتماعية (الرئاسة).

يزيل ما كان عليه أبائهم.

يحرّمهم من متعهم وأهوائهم.

قال الطبري رحمه الله: "بل قد علموه صادقاً محقاً فيما يقول وفيما يدعوههم إليه، ولكن أكثرهم للإذعان للحق كارهون ولأتباع محمد ساخطون؛ حسداً منهم له وبغياً عليه واستكباراً في الأرض".

4. كراهية الحق دليل على مرض القلب

الآية تشخص حالة قلبية خطيرة: كراهية الحق. وهي عكس ما يجب أن يكون عليه المؤمن، الذي إذا جاءه الحق رضي به وانقاد له، حتى لو خالف هواه. قال تعالى: {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا} [النور: 51].

أما كراهية الحق فتدل على:

استكبار في الأرض.

تقديم الهوى على الهدى.

مرض في الفطرة السليمة.

5. التأكيد على عالمية الحق وثباته

قوله {والحق} فيه دلالة على أن ما جاء به النبي ليس مجرد رأي أو اجتهداء بشري، بل هو الحق المطلق الثابت الذي لا يتغير بتبدل الأهواء والأزمان . هذا الحق هو:

دين الله الخالد.

الصراط المستقيم.

المنهج الرباني القويم.

التوجيهات والرسائل الربانية من الآية

1. توجيه للمؤمنين: لا تحزن من تكذيب المعاندين

الآية تطمئن النبي ﷺ والمؤمنين بأن تكذيب الكفار ليس ناتجاً عن خلل في الدعوة أو ضعف في الحجة، بل هو ناتج عن كراهيتهم للحق . فهذا يخفف وطأة التكذيب على الدعاة، ويدفعهم للاستمرار في دعوتهم دون يأس.

2. رسالة في مجاهدة النفس: احذر من كراهية الحق

الآية تحذر المؤمن من أن يصاب بداء كراهية الحق. فكم من مسلم يعرف الحق ولكن هواه يمنعه من الالتزام به! التوجيه الرباني هنا: إذا جاءك الحق فاستسلم له، ولا تجعل هواك حاجباً بينك وبينه .

3. توجيه للدعاة: لا تتعجب من تنقل الخصوم بين التهم

الآية تعلم الدعاة ألا يستغربوا من المعاندين حين ينتقلون من اتهام إلى آخر. هذه طبيعتهم: إن لم يجدوا عيباً حقيقياً، اخترعوا عيباً وهمياً . على الداعية أن يواجه ذلك بالصبر والحجة والبيان.

4. رسالة في صدق النبوة

الآية تثبت صدق النبي ﷺ من خلال إبطال اتهامهم له بالجنون، وإثبات أنه جاء بالحق. وهذا أحد الأدلة على نبوته: استحالة أن يأتي مجنون بمثل هذا القرآن العظيم .

5. تذكير بعظمة القرآن

في الآية تذكير بأن القرآن هو الحق الذي لا ريب فيه. فهو الكلام الذي لا يأتيه الباطل، وهو المعجزة الخالدة التي تشهد بصدق من جاء بها .

التكامل مع الآيات السابقة

هذه الآية (70) تأتي مكمله للآيات من 68-69 :

الآية الموضوع الدرس
68 أفلم يدبروا القول الدعوة للتفكر والتدبر
69 أم لم يعرفوا رسولهم إثبات معرفتهم بالنبي ﷺ
70 أم يقولون به جنة كشف تناقضهم وكرهيتهم للحق
النتيجة: لا عذر لهم. هم يعرفون الحق، ويعرفون الرسول، ولو تدبروا لآمنوا، لكن الكراهية والهوى هما المانع.

الخلاصة
الآية 70 من سورة المؤمنون تكشف عن أعمق أسباب الكفر والإعراض: كراهية الحق. إنها تفضح أن المعاندين ليسوا ضحايا جهل أو غموض، بل هم ضحايا أهوائهم واستكبارهم. وهي ترسم للمؤمن طريق النجاة: أن يكون محباً للحق، منقاداً له، مجاهداً هواه حتى لا يكون من كارهي الحق.

الامر الثاني
بالوقوف على الآية الكريمة نجد انها تقدم منهجاً متكاملًا لتكوين الشخصية المؤمنة الصلبة القادرة على مواجهة التيارات المعادية. كما يتضح من الاتي المفهوم الاول : دور الآية في بناء الشخصية المسلمة الثابتة على الحق

1. التربية على عدم الاهتزاز عند الاتهامات الباطلة
الآية تقدم نموذجاً صارخاً لكيفية تعامل أهل الباطل مع أهل الحق. هم لم يجدوا عيباً حقيقياً في النبي ﷺ، فاختلقوا عيباً وهمياً وهو الجنون. هذا الاتهام هو قمة "التنمر الفكري" الذي يمارسه المغرضون ضد المصلحين.

الدرس التربوي:
المسلم الذي يتدبر هذه الآية يدرك أن اتهامات السفهاء ليست مقياساً للحق. بل هي دليل على أنك تسير في الطريق الصحيح، لأن الأنبياء والمصلحين من قبلهم اتهموا بمثل هذه التهم. قال تعالى: {كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ} [الذاريات: 52].

2. تثبيت اليقين بأن ما معك هو الحق
قوله {بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ} فيه تثبيت لقلب النبي والمؤمنين. إنه تأكيد إلهي أن ما يحمله المؤمن هو الحق الثابت، مهما حاول المغرضون تشويبه أو التقليل من شأنه. هذا اليقين هو الذي يجعل المؤمن لا يهتز مهما كثرت الاتهامات.

3. كشف حقيقة المغرضين: إنهم ليسوا ضحايا جهل بل أسرى كراهية
الآية تكشف أن الدافع الحقيقي لاتهاماتهم ليس الشك أو الحيرة، بل الكراهية. قوله: {وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ} يعني أنهم يعرفون الحق ولكنهم يكرهونه. هذا يحرر المؤمن من محاولة إرضائهم أو تغيير رأيهم بكل ثمن، لأنه يعلم أن المشكلة في قلوبهم لا في عقولهم.

المفهوم الثاني: أساليب الشائعات التي يلجأ إليها المغرضون (درس تاريخي)
الآية تظهر أن أساليب المغرضين لم تتغير عبر التاريخ. إنهم يستخدمون نفس التكتيكات:

1. التكرار:
• في آية 68: قالوا هذا شيء جديد (أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين)
• في آية 69: أنكروا الرسول مع معرفتهم به
• في آية 70: انتقلوا إلى اتهامه بالجنون

2. التصعيد:
عندما تفشل تهمة، يختلقون تهمة أشد. من "الجهل" إلى "الإنكار" إلى "الجنون".

3. التشويه:
لم يصفوه بما هو فيه، بل بما يخدم أغراضهم. هو الصادق الأمين، لكنهم يصفونه بالجنون.

4. التحريض الجماعي:
استخدام "يقولون" يدل على أنهم يصنعون رأياً عاماً مصطنعاً ضد الداعية.

الرسالة للمسلم:
لا تتعجب إذا واجهت اليوم من يصفك بـ "المتطرف" أو "الرجعي" أو "السلفي" أو أي تهمة أخرى. هذه هي نفس اللعبة القديمة. المهم أن تثبت كما ثبت النبي ﷺ.
المفهوم الثالث: كيف نحمي أنفسنا من التأثير بالشائعات؟
الآية تقدم لنا استراتيجية مناعية ضد الشائعات:

1. اليقين بأن الحق معك:
إذا كنت متأكداً أنك على الحق، فلن تؤثر فيك التهم. كان النبي ﷺ يسمع اتهامهم له بالجنون، فماذا كان يفعل؟ كان يواصل دعوته بثبات.

2. عدم الرهبة من الألقاب:
الجنون كلمة ثقيلة، لكنها مجرد كلمة. الألقاب التي يطلقها المغرضون على المصلحين لا تغير من حقيقة الحق شيئاً. قال ﷺ: «لَا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ»

وَلَا مَنَ خَذَلُهُمْ» .

3. النظر إلى مصدر الشائعة:

الآية تقول {وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ} . إذا عرفت أن مصدر الشائعة هو شخص يكره الحق، فلن تهتم بمايقوله، لأن كاره الحق لن يقول حقاً.

4. عدم التراجع عن المبادئ:

من أخطر آثار الشائعات أن تجعل الداعية يتراجع عن بعض الحق ظناً منه أن ذلك سيرضي الناس. الآية تعلمنا أن الرضا مستحيل، لأن المشكلة ليست في الطرح بل في الكراهية. المفهوم الرابع : تربية الآية لنا على النزاهة والموضوعية

1. مجاهدة النفس لقبول الحق ولو كان مرأ

قوله {للْحَقِّ كَارِهُونَ} يحمل رسالة عكسية للمؤمن: لا تكن مثلهم، أحب الحق واقبله ولو كان مرأ. هذا هو معنى النزاهة الفكرية: أن يكون الحق هو المعيار، لا الهوى ولا المصلحة. كيف نربي أنفسنا؟

. إذا سمعت نصيحة مؤلمة، تقبلها.

. إذا رأيت خطأ من نفسك أو من قريبك، اعترف به.

. إذا جاءك الحق من خصمك، اشكره عليه.

2. عدم كراهية الحق حسداً أو بغياً

الآية تشخص داء الكراهية الذي أصاب المشركين:

. حسداً: لأن النبي من غير الأغنياء أو السادة.

. بغياً: استكباراً في الأرض من غير حق.

الرسالة للمؤمن:

نقّ قلبك من الحسد. لا تكره نجاح غيرك. لا تكره من هو أفضل منك. الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

3. تطهير النفس من التعصب

التعصب هو تقديم المألوف على الحق. كانوا متعصبين لدين آبائهم. الآية تدعونا إلى:

. تحرير العقل من أغلال التقليد.

. تطهير القلب من رواسب الجاهلية.

. تقديم الدليل على العادة.

4. قبول الحق كما كان

قوله {إِلْحَاقُ} معرفة بـ"أل" تدل على أن الحق شيء معروف ثابت. ليس مطلوباً منا أن نخترع حقاً جديداً، بل أن نقبل الحق القديم المتجدد الذي جاء به الأنبياء.

المفهوم الخامس : الدعوة إلى الثبات في وجه المعارضة للحق

الآية ترسم صورة المعارضة الشرسة للحق، ثم تطلب منا ضمناً الثبات في وجهها:

1. المعارضة موجودة دائماً:

"أكثرهم للحق كارهون" يعني أن الحق دائماً له معارضون. هذه سنة الحياة.

2. الثبات مطلوب:

إذا كان أكثر الناس يكرهون الحق، فاتباع الحق يحتاج إلى شجاعة وثبات.

3. العبرة بموافقة الحق لا بموافقة الناس:

الآية تريح النفس من رغبة "إرضاء الجميع". رضا الناس غاية لا تدرك، لكن رضا الله غاية تدرك بـ الثبات على الحق.

4. تصديق الحق وإن خالف الهوى:

هذا هو الامتحان الحقيقي. كلنا نصدق الحق إذا وافق أهواءنا. لكن المؤمن الصادق من يصدق الحق حتى لو كان على حساب هواه.

المفهوم السادس : منهج متكامل لبناء الشخصية المسلمة من خلال الآية

المبدأ التطبيق

الثبات لا تهتز للاتهامات الباطلة (الجنون، السفه، التطرف)

اليقين الحق الذي معك هو الثابت مهما تشوشت الآراء

الصبر لا تتأثر بالشائعات ولا ترتد عن المبادئ

الموضوعية جاهد نفسك لقبول الحق ولو كان مرأ

النزاهة لا تكره الحق حسداً أو بغياً

التحرر طهر نفسك من التعصب والتقليد الأعمى

الشجاعة اثبت في وجه المعارضة للحق

الإخلاص أثر رضا الله على رضا الناس

الخلاصة

الآية 70 من سورة المؤمنون هي مدرسة تربوية متكاملة لبناء الشخصية المسلمة:

• تحصننا من الاهتزاز عند الاتهامات الباطلة.
 • تكشف لنا خداع أساليب المغرضين عبر التاريخ.
 • تربي فينا النزاهة والموضوعية والتحرر من الهوى.
 • تدعونا للثبات على الحق في وجه أشد المعارضة.
 إنها تريد منا أن نكون من الذين قال الله فيهم: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لِنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} [العنكبوت: 69].
 نسأل الله أن يجعلنا من الثابتين على الحق، الراغبين فيه، المبشرين به، الصابرين على الأذى في سبيله.

رابعاً

ننتقل إلى الآية ٧١ والتي تقدم لنا لب الرسالة الإسلامية وميزان الحياة والكون. لمن اراد ان يفهم منهج الله فهماً تكاملياً من خلال ربط النص القرآني بواقع الحياة ومتطلبات النهضة والإصلاح ولهذا سوف نقوم بتحليل وتفسير الآية مع بيان . ٧١ من سورة المؤمنون مع بيان المفاهيم و الدروس والرسائل الربانية التي تحملها
 يقول الله تعالى: {وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ} ٥ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ} [المؤمنون: ٧١].
 الأمر الأول : تفسير الآية:

• المراد بالحق: ذكر المفسرون في المراد بـ "الحق" قولين يتكاملان ولا يتعارضان:
 1. الحق هو الله سبحانه: قاله مجاهد وأبو صالح والسدي وابن جرير الطبري . والمعنى: ولو أن الله تعالى تبع أهواء هؤلاء المشركين فيما يطلبون، واستجاب لرغباتهم في جعل الشريك والولد، أو في إنزال القرآن على رجل عظيم حسب زعمهم، لاختل نظام الكون وفسد.
 2. الحق هو الدين والقرآن والتشريع: وهو ما رجحه التفسير الوسيط وغيره . والمعنى: ولو أن هذا الحق العظيم الذي جاء به النبي ﷺ، والمتمثل في التوحيد والعدل ومكارم الأخلاق، اتبع أهواء المشركين وآراءهم الفاسدة، لفسد الكون كله.
 • سبب الفساد: لأن أهواء المشركين قائمة على الظلم والشرك والجهل والكراهية للحق . ولو حكم بها في الأرض، لعم الظلم والفساد، ولتعطلت سنن الله في الكون القائمة على العدل والحكمة. ف الكون ما استقام ولا يستقيم إلا بالحق والعدل .
 • معنى "بذكرهم": أي: بل أنزلنا إليهم القرآن الذي فيه شرفهم وعزهم ومجدهم الدنيوي والأخروي لو اتبعوه . فهم معرضون عن هذا الشرف العظيم، وهذا غاية الخسران.
 الأمر الثاني : الدروس والرسائل الربانية:
 • رسالة في المصدرية والمنهج: مصدر التشريع يجب أن يكون هو الحق الإلهي وحده، وليس أهواء البشر. فالله تعالى هو وحده الذي يعلم ما يصلح خلقه، لأنه خالقهم والعالم بحقيقتهم.
 • رسالة في الموضوعية والإنصاف: الآية تدعو إلى نبذ الهوى وتحكيم ميزان الحق الموضوعي في تقييم الأمور. فالمرشكون رفضوا الحق ليس لضعفه أو غموضه، بل لكراهيتهم له، وهذا هو تقيض الموضوعية.
 • رسالة في عاقبة اتباع الهوى: لو حكم الهوى لفسد الكون. وهذا دليل على أن الهوى البشري القاصر لا يصلح لأن يكون أساساً للحياة، لأنه مبني على الجهل والظلم والعجز عن رؤية العواقب .
 • رسالة في قيمة القرآن: القرآن ليس مجرد كتاب يتلى، بل هو "ذكرهم" أي شرفهم ومنقبتهم وطريق عزتهم في الدنيا والآخرة. وإعراضهم عنه ليس جهلاً بـ "بقيمته"، بل هو اتباع للهوى.

الدرس الأول

شرح مفهوم أهمية تغليب منطق الحق على الأهواء والمصالح
 أولاً : تغليب الحق على الهوى:
 الهوى هو ميل النفس إلى ما تستميله من الشهوات واللذات والمصالح الذاتية، دون نظر إلى حكم الشرع أو العقل أو المصلحة العامة . أما الحق فهو الثابت الموضوعي المستقل عن الأهواء، وهو ما أنزله الله في وحيه، وما أقام عليه خلقه .
 تغليب الحق يعني تحكيم هذا الميزان الموضوعي الإلهي في كل شؤون الحياة، وتقديمه على الرغبات الشخصية والمصالح الضيقة.
 ثانياً: كيف يسبب اتباع الأهواء الفساد:
 اتباع الهوى يؤدي إلى الظلم، لأن صاحب الهوى يحكم بما يميل إليه قلبه لا بما تقتضيه العدالة. وقد بين القرآن أن اتباع الهوى يضل عن سبيل الله: {وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [ص: ٢٦].
 والهوى يتنوع في مجالاته:
 • في العقائد: يدفع الإنسان لاتخاذ إله هواه، فيعبد ما يهوى لا ما يستحق العبادة .
 • في الأخلاق: يجعل الإنسان أسير رغباته، فلا هم له إلا تحقيقها ولو على حساب القيم.
 • في الحكم والقضاء: يقوده إلى محاباة الأصدقاء والأعداء، والظلم للأبعد والأعداء.
 ثالثاً: الحق والعدل أساس استقامة الحياة (ربط بآيات الكون):
 الكون كله يسير بنظام دقيق لا يحيد، بناءً على سنن إلهية ثابتة هي تجلي للحق والعدل

في الخلق . يقول تعالى: {خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ} [لقمان: ٢٢]. فالكون لم يخلق عبثاً، ولا يسير فوضى، بل بقدر وحكمة. هذه السنن الإلهية (السببية) هي سنة الله في خلقه، وهي مطردة لا تتخلف في الأعم الأغلب .

رابعا: معنى الانسجام بين حركة الإنسان وحركة الكون:
الانسجام يعني أن يسير الإنسان في حياته وفق نفس المنهج الذي قامت عليه السماوات والأرض، وهو منهج الحق والعدل والخضوع لله. فالإنسان مأمور بإقامة الحق والعدل في الأرض، كما أن السماء والأرض قامت بهما. هذا الانسجام هو الذي يحقق الاستقرار والتنمية والعمارة الحقيقية التي هي غاية الاستخلاف . فالإنسان خليفة في الأرض ليعمرها بحسب منهج الله .

خامسا: وجوب الخضوع والاستسلام لمنهج الله:
كما أن الكون خاضع لله تسخييراً (طوعاً)، فإن على الإنسان أن يخضع لله اختيارياً (طوعاً) باتباع منهجه. فلا يجوز للإنسان أن يطالب بتطويع التشريع لرغباته، كما فعل المشركون الذين طلبوا أن يكون الحق وفقاً لأهوائهم. الاستسلام لله هو عين النجاح في الدنيا والآخرة.

الدرس الثاني

أهمية تقديم المصلحة العليا على الأهواء الشخصية
أولاً : بناء الشخصية المسلمة:

الآية تربي المؤمن على أن يكون همه الأكبر هو تحقيق مراد الله في الأرض (المصلحة العليا) وليس مراد نفسه. فالمؤمن الحق هو من يقدم ما يريده الله على ما يريده هو، حتى لو كان في ذلك تضحية ببعض مصالحه الشخصية. هذه التربية تخلق إنساناً متجرداً، أناانياً بالمعنى الإيجابي، همه الأكبر صلاح الأمة وعزتها ورفعتها.

ثانياً: دور المفهوم في بناء الأسرة والمجتمع والدولة والحضارة:

• في الأسرة: يقدم الزوجان المصلحة الأسرية (استقرار الأولاد، تماسك البيت) على الأهواء الشخصية والرغبات الأنانية، فتستقر الحياة.

• في المجتمع: يقدم أفراد المجتمع المصلحة العامة على المصالح الفئوية الضيقة، فيتعاونون ويتكاتفون.

• في الدولة: تضع الدولة المصلحة العليا للأمة (العدل، التنمية، الأمن) نصب أعينها، وتسن القوانين التي تحققها، بغض النظر عن أهواء الحكام أو النخب.

• في الحضارة: الحضارات لا تبنى بالأهواء المتقلبة، بل بالالتزام بمنهج الحق الثابت الذي يوجه الطاقات البشرية نحو البناء والعمران .

ثالثاً: تربية الشخصية المسلمة على الثوابت في مواجهة المتغيرات:

الآية ترسخ في النفس أن هناك "حقاً" ثابتاً لا يتغير (توحيد، عدل، قيم أخلاقية كبرى)، وهذا الثابت هو المرجعية التي نتعامل بها مع المتغيرات الحياتية. فالشخصية المسلمة لا تتخبط مع كل موجة أو موضة أو هوى، بل تزن الأمور بميزان الحق الثابت، فتعرف ما تأخذ وما تدع.

رابعا: بناء الأنظمة المؤسسية على أساس موضوعي:

في الإدارة والمؤسسات، الآية تعلمنا أن النجاح والديمومة لا يتحققان إلا ببناء أنظمة وقوانين موضوعية (تحتكم فيها إلى معايير الكفاءة والعدل والخبرة)، وعدم إخضاع هذه الأنظمة لهوى الأفراد أو مزاجهم. المؤسسة التي يحكمها هوى المدير تفشل، أما التي تحكمها أنظمة عادلة فتستمر وتنمو.

الدرس الثالث :-

ترسيخ المسؤولية الشخصية والجماعية ومحاربة الفساد

أولاً : المسؤولية الشخصية ورفض مقياس الهوى:

الآية تضع كل إنسان أمام مسؤوليته الفردية: هل أنت ممن يزن الأمور بهواه، أم ممن يزنها بالحق؟ إنها تحرر الإنسان من عبودية هواه، وتجعله مسؤولاً عن اختياراته أمام الله. فليس المقياس الصحيح هو "ما تشتهي نفسي"، بل "ما يريده الله مني".

ثانياً: سنة الفساد باستبدال الحق بالهوى:

الآية تؤسس لسنة كونية: فساد الأعمال والمجتمعات سببه الظلم وعدم العدل (أي اتباع الهوى)، واستقامة الحياة لا تكون إلا بالحق. فالفساد الإداري، والمالي، والسياسي، والاجتماعي، مرده الأخير إلى تقديم الهوى (المصلحة الشخصية) على الحق (المصلحة العامة والعدل).

ثالثاً: تنمية روح محاربة الفساد:

من يفهم هذه الآية يدرك خطورة الهوى على حياته وعلى مجتمعه. فيتربى على محاربة الفساد في نفسه أولاً (بمحاسبة هواه)، وفي محيطه ثانياً (بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، ويشعر بعظم المسؤولية في ذلك. إنه يشعر أن تقديم الهوى ليس خطأ عابراً، بل هو جريمة في حق الكون كله، لأنه يخل بالتوازن الذي أراده الله.

الدرس الرابع

تعزيز مراقبة الله وتقديم العدل الإلهي على الهوى البشري

أولاً : مراقبة الله (التقوى) هي الضامن لتقديم الحق: الآية تدعو ضمناً إلى تقوى الله، فمن يعلم أن الله مطلع عليه، وأنه سيسأله عن كل صغيرة وكبيرة ، يحرص على تقديم الحق ولو خالف هواه. مراقبة الله هي الرادع الداخلي الذي يمنع الإنسان من الانقياد لرغباته الذاتية التي تسبب الفساد. وقد أمر الله بالعدل وربطه بالتقوى: {اغدوا هو أقرب للتقوى} [المائدة: ٨] .

ثانياً: الحق الإلهي هو الأصلح لحكم البشر: العقل البشري قاصر، والإنسان مجبول على حب الذات والهوى. فلو ترك البشر ليحكموا بأهوائهم لفسدت الأرض. لذلك كان لابد من حكم إلهي عادل، هو "الحق" الذي جاءت به الرسل. هذا الحق هو الميزان العادل الذي يمنع الظلم ويحقق الاستقرار. الهوى البشري ناقص ومتقلب، أما الحق الإلهي فكامل وثابت .

ثالثاً: الحق هو الميزان الثالث واستقامة الكون به: الآية تقدم "الحق" كميزان ثالث، لا هو بالهوى البشري، ولا هو بالخلق المحض. بل هو تعبير عن إرادة الخالق العادل الحكيم في خلقه. وقد ربط الله في آيات كثيرة استقامة الكون بالحق، كما في قوله: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا} [ص: ٢٧].

رابعاً: المقصود بالحق وعظمته وتفردته: "الحق" في هذه الآية والسياقات المشابهة يشمل معاني عظيمة: . الله سبحانه: فهو الحق، وقوله الحق، ووعدته حق. . القرآن: هو الحق المنزل من عند الحق. . العدل: هو المبدأ الذي يقوم عليه الكون والشرع. . الثبات والوجود الموضوعي: الحق له وجود ثابت لا يتأثر بموقف الناس منه قبولاً أو رفضاً . . التفرد: لا حق معتبر سوى ما جاء من عند الله، فكل تشريع أو نظام أو قانون يخالف منهج الله فهو باطل، حتى لو قبله الناس وارتاحوا إليه مؤقتاً. عظمة الحق وتفردته تتجلى في أنه لو اتبع أهواء الخلق مجتمعين، مع اختلافها وتناقضها، لانهار الكون. أما الحق الإلهي فهو وحده القادر على حمل هذا الكون واستمراره واستقامته. إنه العمود الفقري للوجود كله.

الامر الثالث

ان المتأمل لقوله تعالى (بل أتيناكم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون) يجد أن القرآن يستعمل ألفاظاً قادراً على استماله النفوس وهو ما يجب علينا تحويل هذه الدقة إلى منهج حياة في تعاملنا مع الآخرين يعطينا الخيوط التي نستطيع بها الدخول إلى أعماق النفوس من خلالها وهذا ما سوف نتناوله من خلال الآتي .

المفهوم الاول دلالة قوله "بذكرهم" (إضافة الذكر إليهم) وفائدتها في استجلاب الإجابة أولاً : دلالة الإضافة (ذكرهم):

إضافة "الذكر" إلى الضمير "هم" في قوله تعالى: {بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ} تحمل دلالات عميقة: 1. دلالة الاختصاص والتشريف: إضافة الشيء إلى الإنسان قد تكون للتشريف، كقوله تعالى: {وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدُ الْأَمِينُ} أو {ثَاقَةُ اللَّهِ} . فالله هنا يضيف هذا القرآن إليهم، وكأنه يقول: هذا الكتاب العظيم جعلته لكم أنتم خاصة، فيه عزم وشرفكم ومجدكم، وكأنه ملك لكم لو أدركتم قيمته. إنه تشريف عظيم للأمة المحمدية أن يكون كتابها "ذكرها" الخاص.

2. دلالة التنبيه إلى أن مصلحتهم فيه: الإضافة هنا للبيان، أي ذكرهم الذي به تذكرهم وشرفهم. و المعنى: جئناهم بالقرآن الذي هو ذكر لهم، أي فيه ما يذكرهم بمصالحهم في دينهم ودنياهم، وما يرفع قدرهم ويخلد مجدهم. إنه ليس كتاباً غريباً عنهم، بل هو كتابهم الذي يبين لهم طريق الفلاح

3. دلالة الرد عليهم وإبطال دعواهم: كانوا يقولون للقرآن إنه "أساطير الأولين" أو "سحر" أو "شعر" ، فنفاوا نسبته إليهم ونسبوه إلى الباطل. فجاء الرد الإلهي: بل هو ذكركم، أي هو الكتاب الذي يخصكم وينسب إليكم، وهو خير ما تنسبون. إنه رد على إغراضهم بأنه ليس غريباً عنهم، بل هو أقرب إليهم من كل شيء.

المفهوم الثاني : فائدة هذا الأسلوب في استجلاب الإجابة:

هذا الأسلوب البديع يحقق عدة أغراض في استمالة نفوسهم (ونفوسنا) للإجابة والامتثال: 1. تحريك مشاعر الاعتزاز والانتماء: عندما يشعر الإنسان أن هذا الكتاب العظيم "كتابه" هو، و"ذكره" الخاص، فإن ذلك يحرك فيه مشاعر الفخر والانتماء، فيصبح أكثر استعداداً للالتزام به والدفاع عنه. إنه أسلوب يجعل المدعو يشعر بقيمة ما يدعى إليه.

2. إثارة التساؤل والندم: إذا كان هذا القرآن "ذكرهم" الخاص، وشرفهم الذي يليق بهم، فلماذا هم معرضون عنه؟ هذا الأسلوب يثير في نفوسهم التساؤل ويوقظ فيهم الندم، لعلهم يراجعون أنفسهم. إنه أسلوب لفت النظر إلى التناقض بين ما يفعلونه (الإغراض) وما ينبغي أن يفعلوه (الاعتزاز به).

3. إظهار شدة القرب والملاءمة: "ذكرهم" تعني أن هذا القرآن يناسب فطرتهم، ويجب عن تساؤلاتهم

، ويعالج مشكلاتهم، ويرفع من شأنهم. إنه ليس دخيلاً عليهم، بل هو ملائم لحقيقتهم الإنسانية، فما الذي يمنهم من الإقبال عليه؟ .

المفهوم الثالث: كيف يكون القرآن "ذكرهم" شرفاً وفخراً للمؤمنين بينما هم معرضون عنه؟ هنا تكمن المفارقة العظيمة التي تبين حقيقة قيمة الأشياء واستقلالها عن موقف الناس منها: 1. الذكر باق بقيمته الذاتية: قيمة الذكر (القرآن) ذاتية، نابعة من كونه كلام الله. فكما أن الذهب يبقى ذهباً له قيمته حتى لو تجاهله جاهل، فالقرآن يبقى "ذكرهم" وشرفهم وعزهم، سواء اعترفوا بذلك أم أعرضوا عنه. إعراضهم لا ينقص من قيمته، بل ينقص من قيمتهم هم. 2. المفارقة تظهر خسرانهم: هذا الأسلوب القرآني يظهر مدى خسرانهم وضلالهم. لقد جعل الله لهم شرفاً ومنقبة، لكنهم تركوه وراء ظهورهم، فصاروا في ذيل الأمم. إنه مثل رجل ورث كنزاً عظيماً ثم جلس يتسول. الكنز موجود، لكنه هو من حرم نفسه. 3. الشرف مشروط بالقبول والاتباع: إن كون القرآن "ذكرهم" معناه أنه في متناولهم وميسر لهم، لكنه يتحول إلى شرف فعلي لهم متى ما قبلوه واتبعوه ورفعوه. فمن آمن به صار من "أهل الذكر" حقاً، ومن أعرض عنه خسر شرفه وفخره. الآية تظهر أن الشرف موجود، لكنهم هم الذين حرموا أنفسهم منه.

٣/ أهمية التمسك بالمنهج الإلهي الذي يضمن الصلاح والرفعة (بذكرهم) والاعتزاز به نستخلص من هذه الآية الكريمة أن:

• منهج الله هو عنوان عزتنا: "ذكرهم" تعني أن العزة والرفعة الحقيقية للأمة مرتبطة بهذا الكتاب. فإذا أردنا العزة والتمكين، فعلينا بالتمسك به. قال تعالى: {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} [المنافقون: ٨]. وهذا العز مشروط بالإيمان. • الصلاح والفلاح في اتباعه: القرآن ليس مجرد كتاب يتلى، إنه "ذكرهم" أي تذكيرهم بمصالحهم ودستور حياتهم. من تمسك به صلحت أحواله في الدنيا والآخرة، ومن أعرض عنه ضلّ وخسر. • وجوب الاعتزاز به اعتزازاً عملياً: الاعتزاز بالقرآن ليس مجرد شعار، بل هو:

• التحاكم إليه في كل شؤون الحياة. • تقديره على كل قول وفكر وثقافة. • تطبيقه في السلوك الفردي والجماعي ليكون واقعاً حياً. • الاعتزاز بأننا أهله وأهل هذا المنهج دون خجل أو تردد. المفهوم الرابع: كيف نطبق هذه الفقرة من الآية في حياتنا اليومية؟ تطبيق "بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ" في حياتنا اليومية يعني تحويل القرآن من كتاب نتلوه في المناسبات فقط، إلى منهج حياة نشعر بأنه "ذكرنا" الخاص الذي نعتز به ونحيا به:

1. في علاقتنا الشخصية مع القرآن: • نشعر بأنه كتابنا: عندما نقرأ القرآن، لا نقرأه ككتاب غريب، بل كرسالة شخصية إلينا من الله، فيها ما يهمنا ويعيننا ويصلح شأننا. • نتخذ منه دستوراً: قبل أن نبحث عن حلول لمشاكلنا في الشرق أو الغرب، نبحث عنها أولاً في "ذكرنا" نحن. في القضايا الأسرية، والمالية، والتربوية، والأخلاقية، نجعل القرآن مرجعنا الأول. • نعتز به هويتنا: في مجالسنا ونقاشاتنا، نفتخر بأننا أصحاب هذا الكتاب العظيم، ونتحدث عن عظمته وأثره في حياتنا.

2. في علاقتنا مع مجتمعنا وأمتنا: • نعمل على جمع الأمة حوله: نتذكر أن القرآن هو "ذكرنا" جميعاً، وهو الجامع المشترك لهذه الأمة رغم تفرقها. فنسعى لنشر ثقافة التحاكم إليه، وجعله محور وحدتنا لا خلافتنا. • نقدمه نموذجاً حضارياً: إذا تحدثنا عن الحضارة والتنمية، نقدم منهج القرآن كأساس للنهضة الحقيقية التي تصلح الدنيا والآخرة. • ندافع عنه: إذا تعرض القرآن للهجوم أو التشويه، نشعر بأن شرفنا نحن هو الذي يهان، فندافع عنه بكل ما أوتينا من قوة، بالحكمة والموعظة الحسنة.

3. في اتخاذ القرارات: • نسأل: ماذا يريد مني "ذكرى"؟ عندما نواجه خياراً بين طريقين: طريق الهوى وطريق الحق، نسأل أنفسنا: ماذا يريد القرآن مني في هذه اللحظة؟ هذا يجعل القرآن رقيباً على قلوبنا وأعمالنا، فيمنعنا من الانزلاق وراء الأهواء التي تفسد الحياة

خامساً

نتنقل بعد هذا التحليل العميق للآيتين 70 و 71، إلى الآية ٧٢ التي بها يكتمل بناء التصور القرآني المتكامل، حيث تنتقل السورة الكريمة من تقرير أن الحق لا يتبع الهوى، إلى تنزيه الدعوة والداعية من أي شبهة مادية، مما يؤصل لقاعدة عظيمة في تربية الأنفس وإصلاح المجتمعات. يقول تعالى أم تسألهم خراجاً فخراج ربك خير وهو خير الرازقين

الامر الاول .

علاقة الداعية بالمدعوين والاعتماد على الله

يقول الله تعالى: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَجَ رَيْكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [المؤمنون: ٧٢].

أولاً: معاني المفردات والقراءات:

• "خَرْجًا" و"خَرَجًا": وردت قراءات متعددة للمصحف الشريف، فقرأ ابن عامر "خَرَجًا" في الموضعين، وقرأ حمزة والكسائي "خَرْجًا" في الأول و"خَرَجًا" في الثاني، وقرأ الباقون "خَرْجًا" في الأول و"خَرَجًا" في الثاني. والتحقيق أن اللفظين بمعنى واحد وهو الأجر والجزاء والجعل، وهما لغتان فصيحتان، فلا فرق بينهما في المعنى.

• المعنى الإجمالي: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا﴾. أي: أطلب منهم أجراً أو جعلاً على دعوتك إياهم إلى الإيمان والهدى؟ والاستفهام للإنكار والتوبيخ، أي: ليس الأمر كذلك، فأنت يا محمد لم تسألهم أجراً، وما أعطاك الله من الرزق والثواب (فَخَرَجَ رَيْكَ خَيْرٌ) مما يعطيه هؤلاء الضعفاء الفقراء المحاويج إلى الله.

ثانياً: اللامسات البيانية وأحكام التجويد:

1. اللامسات البيانية:

• الاستفهام الإنكاري: ﴿أَمْ﴾: هذا الحرف يدل على الانتقال من توبيخ إلى توبيخ آخر. كان التوبيخ السابق على كراهيتهم للحق، وهنا توبيخ لهم على ظنهم الباطل أن النبي يطلب منهم أجراً. إنه أسلوب يفصح حججهم الواهية ويكشف تناقضهم.

• التصغير المعنوي في ﴿خَرْجًا﴾: النكرة "خرجاً" تفيد التقليل والتحقيق، أي: أتسألهم شيئاً تافهاً من أموالهم الدنيوية الزائلة؟ ثم يقابله التعريف في ﴿فَخَرَجَ رَيْكَ﴾، بالإضافة إلى اسم الربوبية الدال على العناية والترية، ليبين عظمة هذا العطاء وشرفه وديمومته مقابل ذاك الشيء الحقير.

• المقابلة الرائعة: قابل سبحانه ﴿تَسْأَلُهُمْ﴾ بـ ﴿خَرَجَ رَيْكَ﴾، ليرسي قاعدة ذهبية: العطاء الإلهي لا يُطلب من الخلق، بل يُطلب من الخالق. هذه المقابلة تريح القلب من ذل السؤال، وترفعه إلى عز العطاء الرباني.

• وصف الرب بـ ﴿خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾: هذه الصيغة (أفعل التفضيل) تفيد أن رزق الله تعالى هو خير الأرزاق مطلقاً، لأنه دائم ورزق غيره منقطع، وهو حلال طيب وقد يكون رزق غيره مشبوهاً، وهو لا يتبع بمئة ولا أذى.

2. أحكام التجويد (أثناء التلاوة):

• الإخفاء: في قوله ﴿تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا﴾. نلاحظ حكم الإخفاء عند تنوين "خَرْجًا" مع حرف الفاء، مما يعطي نغمة خاصة تفيد سرعة إبطال هذا الظن الخاطئ.

• المد والتكبير: كلمة ﴿خَيْرٌ﴾ فيها مد لين (هو خير) تفيد التأكيد على أن خيرية عطاء الله مطلقة لا تقبل الشك. والوقف على ﴿خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ بصوت طويل يترك في النفس أثراً من الإجلال والتعظيم لهذا الاسم العظيم.

الامر الثاني

كيف تغرس الآية الاستغناء بالله والاعتماد عليه (تربية التوكل)

الآية تزرع في نفس المؤمن عدة معان عميقة:

أولاً: الاستغناء بالله عن الناس:

عندما يقرأ المؤمن ﴿فَخَرَجَ رَيْكَ خَيْرٌ﴾ يتولد في قلبه يقين جازم بأن ما عند الله خير وأبقى مما عند الناس. هذا اليقين يحرره من عبودية الطمع والتعلق بالمخلوقين. يقول سيد قطب رحمه الله في تفسيره: "ماذا يطمع نبي أن ينال من البشر الضعاف الفقراء المحاويج وهو متصل بالفيض اللدني الذي لا ينضب ولا يفيض؟ ... ألا إنه يوم يتصل القلب بالله يتضاءل هذا الكون كله، بما فيه وكل من فيه!"

ثانياً: التوكل الحقيقي القائم على الأخذ بالأسباب:

الآية لا تدعو إلى تواكل سلبى، بل إلى توكل إيجابى. فالنبي ﷺ كان يعمل بجد واجتهاد في دعوته، ولكنه كان معتمداً على الله في الرزق والثواب. التوكل الحقيقي هو عمل الجوارح بالأسباب، وتعلق القلب بمسبب الأسباب. كما في الحديث الشريف: "اغْلِظْهَا وَتَوَكَّلْ". فالؤمن يعمل ويكدح، ولكن قلبه معلق بالله لا بالراتب أو بالعمل أو بالنتيجة المادية.

ثالثاً: تربية النفس على اليأس مما في أيدي الناس:

عن لقمان الحكيم في وصيته لابنه: "وَعَلَيْكَ - يَا بُنَيَّ - بِالْيَأْسِ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ وَالْوُثُوقِ بِوَعْدِ اللَّهِ، وَاسْعَ فِيمَا قَرْضَ عَلَيْكَ، وَدَعْ السَّغْيَ فِيمَا ضَمِنَ لَكَ، وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ. فِي كُلِّ أَمْرٍ يَكْفُكَ". هذا هو عين ما تزرعه الآية في نفس المؤمن.

الامر الثالث

نفي المصلحة المادية عن الدعوة ودحض الشبهات

أولاً: شبهة المال قديماً وحديثاً:

الآية تتعامل مع شبهة قديمة جديدة، وهي اتهام الدعاة والمصلحين بأنهم يبتغون من وراء دعوتهم عرضاً من الدنيا أو مالا أو جاهاً. المشركون قالوا عن النبي ﷺ ما قالوا، وربما ظن بعض ضعفاء النفوس أن النبي يريد منهم أجراً، فجاءت الآية لتدحض هذا الظن جملة وتفصيلاً.

ثانياً: رد سليمان عليه السلام نموذجاً خالداً:
تجلى عظمة هذا المفهوم في موقف نبي الله سليمان عليه السلام عندما أرسلت له ملكة سبأ هدية من ذهب لفتنه عن دعوته، فقال بكل عزة وإيمان: {أَتَمْدُونَنِي بِمَا لَيْسَ لِي بِهِ مِنْ شَيْءٍ؟} [النمل: ٣٦].

• "أَتَمْدُونَنِي بِمَا لَيْسَ لِي بِهِ مِنْ شَيْءٍ؟" استفهام إنكار وتحقير، كأنه يقول: أَتظنون أنني أسكت عن الباطل أو أترك دعوة الحق من أجل حفنة من المال؟!
• "فَمَا أَتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا أَتَاكُمْ؟" تقرير لمبدأ أن العطاء الإلهي (النبوة، الحكمة، الملك العادل) خير وأعظم من كل زخارف الدنيا.
• "بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَقْرَحُونَ؟" بيان لفارق النفوس؛ فهم فرحون بالذهب لأنه أقصى أمانهم، أما هو ففرحه برسالة ربه .

ثالثاً: دلالة ربط {أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا؟} بقبول الدعوة:
الآية تكشف عن نفسية المدعويين الضعفاء الذين قد يظنون أن كل شيء يُفعل يُفعل من أجل المال. هذا الظن ينبع من ضعف نفوسهم هم. فالله ينفي هذا عن نبيه ليطمئن الناس أن الدعوة إلى الله لا تكلفهم شيئاً، بل هي هداية مجانية، وفضل من الله ورحمة .
رابعاً: الحذر من الوقوع في الشبهات (ربط بآية الأضغان):

الآية تحذر الدعاة عبر العصور من أن يكون المال أو المصلحة المادية مدخلاً لفساد الدعوة. ولهذا يقول تعالى في سورة محمد: {إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيَحْفَظْكُمْ تَبَخَّلُوا وَخَرَجَ أَضْغَانَكُمْ} [محمد: ٣٧]. المعنى: لو طلب الله منكم أموالكم كلها وألح في الطلب لبخلتم، وظهرت أحقادكم الدفينة. هذا يبين أن المال يختبر النفوس، ويكشف ما فيها. لذلك يجب على الداعية أن يكون نظيف اليد، نزيهاً، حتى لا يكون ماله سبباً في ظهور "أضغان" الناس أو في اتهام دعوته.

الامر الرابع

الفرق بين خراج الناس وخراج ربك
من تدبر الآية نرى فروقاً جوهرية بين الرزق الذي يأتي من الناس (الخراج البشري) والرزق الذي يأتي من الله (خراج ربك):

الخصائص خراج الناس (المادي) خراج ربك (الإلهي)
البركة قد يكثر المال ولكن تذهب بركته، فلا يشعر صاحبه بالرضا أو السعادة، وقد يجر عليه المشاكل والحسد. فيه بركة عظيمة، فالقليل منه يكفي، ويمتد نفعه، ويشعر صاحبه بالرضا والطمأنينة والسعادة .

الاستمرار رزق منقطع، قد يأتي اليوم ويذهب غداً، وهو مرتبط بأسباب دنيوية زائلة. رزق دائم لا ينقطع، سواء كان في الدنيا (استمرار النعمة) أو في الآخرة (الجنة) .
الراحة النفسية غالباً ما يكون محفوفاً بالمنة والطمع والذل، ويورث القلب قلقاً وخوفاً من الزوال. يورث القلب عزة وقوة وراحة، لأنه من الله وحده، فلا منة فيه لأحد ولا خوف من قطعه .

الامر الخامس

استشعار اسم الله الرزاق في تفاصيل الحياة
عندما نتدبر الآية ونقرأ {وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}، نستشعر هذا الاسم العظيم في حياتنا:
1. تفرد الله بالرزق: نؤمن أن الرزاق هو الله وحده، فلا يُطلب الرزق من سواه . فحين تذهب إلى عملك، تذهب متوكلاً على الله، عالماً أن الرزق بيده لا بيد مديرك.
2. سعة الرزق وشموله: الرزق ليس مالا فقط، بل هو: الصحة، والعافية، والأمن، والإيمان، والزوجة الصالحة، والولد البار، والوقت، والفهم، والهداية . هذه كلها أرزاق من الله، تدفعنا لشكره عليها كل يوم.

3. الطمأنينة وعدم القلق: معرفة أن الله هو الرزاق تزيل القلق والتوتر بشأن المستقبل، فالرزق مكتوب ومقسوم قبل أن نخلق . قال تعالى: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا} [هود: ٦].

الامر السادس

دور الآية في بناء الإنسان والمجتمع (التنمية البشرية الشاملة)
الآية ليست مجرد خبر، بل هي منهج بناء للإنسان والمجتمع على عدة مستويات:
• بناء الإنسان نفسياً: تغرس فيه العزة والكرامة، فتحرره من عبودية الطمع والخوف من الفقر .
• بناء الإنسان اقتصادياً: تعلمه الإنتاج والعمل بجِد وإتقان، ولكن دون تعلق قلبه بالمردود المادي فقط. فهو يعمل ليعمر الأرض ابتغاء وجه الله، والرزق يأتي من الله نتيجة لهذا العمل والإخلاص. هذا ينتج مجتمعاً منتجاً غير مستهلك.

• بناء الإنسان اجتماعياً: تربي في المجتمع روح التعاون والتكافل، حيث يقدم الناس الخير بعضهم لبعض دون انتظار مقابل مادي. فإذا تحررت القلوب من حب المال، سارعت إلى العطاء والتفاني في خدمة الآخرين. يقول ﷺ: "والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه".
• بناء الإنسان ثقافياً: تخلق ثقافة الإيثار بدل الأنانية، وثقافة العطاء بدل الأخذ، وثقافة الجودة والإ

إتقان لأن العمل عبادة قبل أن يكون مصدر دخل.

خلاصة وثمرات

إن الآية 72 من سورة المؤمنون تمثل ميزانا عظيماً للدعاة والمصلحين ولعموم المسلمين:

1. في العلاقة مع الله: نعتمد عليه في الرزق ونستغني به عن الناس.
 2. في العلاقة مع الناس: ننصحهم بلا مقابل، ونطمئنهم أننا لا نريد منهم مالا ولا جاهاً.
 3. في تربية النفس: نربيها على العزة بالقناعة، والغنى بالتوكل.
 4. في مواجهة الشبهات: نرد عليها بأسلوب قرآني محكم يفضح زيفها.
 5. في بناء المجتمع: نخلق مجتمعاً متماسكاً قائماً على العطاء لا على الطمع، على الإنتاج لا على الاستهلاك، على الأخلاق لا على المادة.
- وهذا هو الفهم القرآني العميق الذي يصلح الفرد ويسعد المجتمع، وينهض بالحضارة الإنسانية على أسس من الحق والعدل والإيمان
- خامساً

الآية 73 من سورة المؤمنون هي جزء من سياق قرآني يعرض مشهداً من مشاهد العناد البشري تجاه الوحي الإلهي، وفي الوقت ذاته تقدم تسليية وتثبيتاً للنبي ﷺ وللمؤمنين من بعده. يقول الله تعالى: {وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [سورة المؤمنون: 73].

هذه الآية القصيرة في مبناها، العميقة في معناها، تحمل في طياتها كنوزاً من الدروس والمفاهيم التي تشكل منهج حياة للأمة. سنقوم بتفكيك هذه الآية واستخراج دلالاتها المتعددة، مبينين كيف تساهم في بناء الشخصية المسلمة المتوازنة.

1. دلالة الخطاب للرسول ﷺ: تشريف وتكليف

الخطاب في الآية موجه من الله تعالى إلى نبيه محمد ﷺ: {وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ}. وهذا الخطاب يحمل في طياته أعلى مراتب التشريف للرسول ﷺ، حيث ينسب الله إليه فعل الدعوة، فيظهره بصورة القائد والهادي والمبلغ عن ربه. إنه تأكيد على مكانته وأنه هو المناط به تبليغ الرسالة. كما أن الخطاب يحمل جانباً من التكليف والصبر، فهو إعلام من الله لنبيه بأن مهمته هي الدعوة فقط، وأما الهداية فبيد الله وحده.

2. لطف الله في الدعوة: {وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ}

استخدام فعل "تدعوهم" بدلاً من "أمرهم" أو "تكرهم" يفيض بلطف الله ورحمته بالعباد. الدعوة تعني اللين والترجي والاستمالة بالحسنى، وليس الإكراه أو القهر. وهذا يبين أن أسلوب الأنبياء والمرسلين مع أقوامهم هو أسلوب الدعوة اللطيفة التي تخاطب العقل والقلب معاً، تأسيساً بقوله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ} [النحل: 125].

3. دلالة لام التوكيد وثبات الحق رغم كراهية الأكثرية

دخلت اللام على الفعل {لَتَدْعُوهُمْ} لتوكيد الخبر وتقديره. إنها تمثل قمة الثقة في صدق الدعوة وثبات الحق، بغض النظر عن موقف المستقبلين. هذا التوكيد الإلهي يعني أن الحق حق في ذاته، حتى لو كرهه الأكثرون. إنها رسالة تطمئن الداعية إلى أن معيار الحق ليس بعدد المؤيدين، بل بمطابقته لما أنزل الله. وهذا المعنى يتعزز بسياق الآية التي تسبقها: {بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ} [المؤمنون: 70].

4. تعزيز اليقين بصحة الحق

من خلال هذا التوكيد الإلهي، يترسخ في يقين المؤمن أن الحق لا يتحول بتحول الأهواء أو بكثرة المخالفين. فحقيقة أن الأكثرية تكره الحق لا تقدح في صحته أبداً. بالعكس، قد تكون دليلاً على صدقه، لأن الأنبياء دائماً ما واجهوا معارضة الأكثرية المستكبرة. هذا يعزز ثقة المؤمن بطريقه، ويجعله يعتمد في يقينه على مرجعية الوحي لا على استحسان الناس.

5. حاجة المشركين للمنهج الرباني والعناد مانع القبول

الآية تشير ضمناً إلى أن المشركين في حاجة ماسة إلى هذا الصراط المستقيم الذي يدعوههم إليه النبي ﷺ، لأنهم ضالون تائهون. هم المحتاجون وليس النبي ﷺ. ولكن ما يمنعهم من قبول الحق ليس نقصاً في وضوحه أو قصوراً في عقولهم، بل هو العناد واتباع الهوى. العناد هو الحاجز النفسي الذي يحول بين الفطرة السليمة وبين الإنعان للحق. وهذا يبرهن أن مشكلة البشر ليست في نقص الأدلة، بل في فساد الإرادة والميل عن الهوى.

6. حقيقة الدعوة وطبيعة الصراط المستقيم

• لا التواء فيه: الآية تصف الصراط بأنه "مستقيم"، أي لا اعوجاج فيه ولا التواء. إنه الطريق الواضح القويم الذي لا لبس فيه ولا غموض. من سلكه وصل إلى الله وإلى رضوانه وجنته.

• طبيعة الصراط المستقيم: وصفه العلماء بأنه "سهل على العاملين لاستقامته، موصل إلى المقصود من قرب، حنيفية سمحة، حنيفية في التوحيد، سمحة في العمل". فهو يجمع بين صفاء العقيدة (حنيفية) ويسر التكليف (سمحة). إنه الطريق الذي تشهد العقول السليمة والفطر النقية بحسنه وموافقته للمصالح الحقيقية للبشر.

• التركيز على الالتزام به: تم التركيز على الالتزام به لأنه الطريق الوحيد الذي يوصل إلى الله.

الدعوة إليه هي دعوة إلى غاية وجود الإنسان، وهي عبادة الله وطاعته. إنه ليس مجرد خيار، بل هو الصراط الذي لا سبيل سواه.

7. التثبيت على الحق ومواجهة كراهية الأكثرية

الآية تقدم وصفا متكاملة للتثبيت على الحق عندما يكون الأكثرون له كارهين:

1. اليقين بمصدر الدعوة: استحضار أن هذه الدعوة هي من عند الله، وأن الله هو الذي يشهد لها بالاستقامة.

2. التجرد من المنفعة الشخصية: كما في الآية السابقة (أم تسألهم خرجا) [المؤمنون: 72]، حيث ينزه الله نبيه عن طلب أي أجر دنيوي. عندما يعلم الداعية أن عمله خالص لله، لا يهمه قبول الناس أو رفضهم بقدر ما يهمه أداء الأمانة.

3. الموقف المناسب: هو الاستمرار في الدعوة بالتي هي أحسن، دون يأس أو قنوط. الإعراض لا يعني تغيير الرسالة أو تحريفها، بل يعني مضاعفة الجهد بأساليب الحكمة والموعظة الحسنة، مع التوكل على الله.

8. كراهية الأكثرية لا تنقص من الحق

هذه من أعظم الرسائل التربوية في الآية. فالحق ليس سلعة استهلاكية تخضع لقانون العرض و الطلب، ولا هو قرار يخضع لصناديق الاقتراع. الحق هو ما أنزله الله، حتى لو بقي وحيدا. وهذا يحزر المؤمن من عقدة النصر بالأعداد، ويجعله يركز على مرضاة الله أولا.

9. المشاعر التي تفرسها الآية

تفرس الآية في النفس شعورا جليا بـ الطمأنينة والفخر والعزة. فعندما يعلم المسلم أنه يدعو إلى الصراط المستقيم، يملؤه شعور بأنه على بينة من ربه، وأنه يحمل رسالة الخير والفلاح للبشرية، وأنه مع قلة سالقيه، فهو على الطريق الصحيح. يشعر بأنه وكيل عن الله في تبليغ كلمته، وهذا يشعره بالمسؤولية وبالشرف العظيم في آن.

10. هل يخاف الداعية من قلة الإتياع؟ وهل تفسير الحق مرهون بكثرة الأنصار؟

الآية تنفي هذا تماما. فالرسول ﷺ كان يدعو وحده، ثم معه قلة مستضعفة، ومع ذلك كان الحق معهم. كثرة الأنصار قد تكون فتنة واختبارا، ولكنها ليست دليلا على صحة المنهج. الداعية الصادق لا يخاف من قلة الإتياع، بل يخاف من أن يكون على غير هدى من الله. تفسير الحق ونجاح الدعوة ليس مرهونا بالكثرة العددية، بل بالتسليم والانقياد لله.

11. دلالة الآية في التربية الإسلامية

• خلو الدعوة من الأهواء: الآية ترتبط بالتي قبلها التي تنفي أجرا ماديا، لتؤكد أن الدعوة خالصة لله، خالية من الأهواء الشخصية والمكاسب الدنيوية. المربي والداعية يجب أن يكون قدوة في النزاهة وعدم طلب الجزاء.

• التحلي بالوسطية والاعتدال: الصراط المستقيم هو طريق الوسطية والاعتدال، لأنه الطريق الذي لا يميل يمينة ولا يسرة. إنه دين الله القيم الذي لا غلو فيه ولا تقصير.

• الوضوح والشفافية: وصف الطريق بالمستقيم يعني أنه واضح لا غموض فيه ولا احتيال. هذا يربي في الداعية والناس أهمية الصراحة ونبذ الملتويات والخداع في المعاملات والعقيدة.

• تقديم النصيحة باللين والمنطق: الدعوة إلى الله تتطلب بيان الحكمة والمنطق وراء الأحكام، لأن العقل السليم يشهد بحسن هذا الدين.

12. عقلانية الدعوة ومنطقيتها

تبرز الآية أن دعوة الله عقلانية ومنطقية، لأنها تخاطب الفطرة التي فطر الله الناس عليها. الإنسان بفطرته يميل إلى العدل والصدق والخير، وهذه كلها من مقومات الصراط المستقيم. فالدين الإسلامي ليس مجموعة من الطقوس المجردة، بل هو نظام متكامل للحياة، تستريح له النفوس وتزدهر به المجتمعات.

13. دور الآية في بناء الشخصية المسلمة (التنمية البشرية)

يمكن استقراء دور هذه الآية في بناء شخصية المسلم من جوانب متعددة:

• الصحة النفسية: تمنح الآية الإنسان طمأنينة نفسية، لأنه لا يرتبط راحته واستقراره بآراء الناس وتقلباتهم. إنه يعرف طريقه بوضوح، وهذا يقيعه من الحيرة والقلق والاضطراب الوجودي. الثبات على الحق يمنحه شخصية متزنة نفسيا.

• الثبات والتمسك بالحق: الآية تزرع في الشخصية مبدأ الثبات على المبادئ مهما كانت التحديات. المسلم الذي يستوعب هذه الآية لا يكون انتهازيا أو تابعا للموضات، بل يقف كالطود الشامخ أمام تيارات الباطل المتلاطمة.

• بناء الشخصية العقلية: تحفز الآية على استخدام العقل والتفكير في أدلة الحق وتمييزها عن الباطل. الدعوة إلى الصراط المستقيم هي دعوة لاستخدام البصيرة والعقل، وليس للتسليم الأعمى.

• بناء الشخصية اجتماعيا: تجعل المسلم في المجتمع عنصر إصلاح وقدوة. شخصيته واضحة وشفافة، لا يحابي ولا يداهن، وهو معروف بصدقه وأمانته لأنه على صراط مستقيم. كما تعزز لديه قيمة العدل والمساواة، لكونها من أسس هذا الصراط.

• بناء الشخصية اقتصادياً: تفرض عليه النزاهة والشفافية في معاملاته، فيبتعد عن الربا والغش والا حكار والرشوة، لأنها منافيه للصراف المستقيم. هذا يبني اقتصاداً أخلاقياً قوياً.
• بناء الشخصية ثقافياً: تفتح أمامه آفاق المعرفة النافعة التي تزيد قرباً من الحق، وتحصنه ضد أفكار الهدامة والمنحرفة. تجعله يزن الثقافات بميزان الشرع والعقل السليم.
• بناء الشخصية سياسياً: تجعل منه مواطناً صالحاً يسعى للإصلاح، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويحكم بالعدل، ويختار الأصلح، ويقف ضد الظلم والاستبداد. الآفة تربى فيه الوعي السياسي القائم على الحق والمسؤولية.
الخلاصة:

إن آفة "وإنك لتدعوهم إلى صراف مستقيم" ليست مجرد خبر، بل هي دستور حياة ومنهج تربية. إنها تثبت فؤاد الداعية، وتوضح له طريقه، وتربطه بمصدر الحق، وتحرره من عبودية الناس واستحسانهم. إنها تبني إنساناً قوياً، واضحاً، ثابتاً، عاقلاً، صالحاً، قادراً على العطاء والإصلاح في كل ميادين الحياة، ليكون خليفة الله في أرضه بما يرضيه
سادساً

تفسير الآفة 74 من سورة المؤمنون
يقول الله تعالى: {وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراف لناكبون} [سورة المؤمنون: 74].
هذه الآفة الكريمة تأتي في سياق تسليية النبي ﷺ وتأكيد أن دعوته إلى الصراف المستقيم هي الحق، ولكن هناك فريقاً من الناس يحددون عنه. وقد بين الله سبب هذا الحيدان وهو عدم الإيمان بالآخرة.

التفسير الإجمالي:
يقسم الله تعالى مؤكداً أن الذين لا يصدقون بالبعث والجزاء، ولا يستحضرون اليوم الآخر، هم قوم مائلون عن الطريق القويم، تاركون له، ضاربون في عماية من أمرهم. فهم لا يتبعون الهدى ولا يهتدون به.

المسامات البيانية والجوانب البلاغية:
1. أسلوب التوكيد: افتتحت الآفة بـ (إن) التي تفيد التوكيد، ودخلت اللام على خبر إن (لناكبون) لتوكيد الحكم وتقديره. وهذا يبين أن كونهم ناكبين عن الصراف حقيقة ثابتة لا ريب فيها.
2. اختيار كلمة (ناكبون):

• الدقة في الوصف: الفعل (نكب) يعني: مال وعدل عن الشيء. يقال: نكب عن الطريق: أي مال عنه وتركه. فهو أبلغ من مجرد (ضالون) أو (مخطئون)؛ لأن الناكب هو الذي كان على الطريق أو كان قريباً منه ثم تعمد الانحراف عنه، مما يدل على أن الحق قد وضح له ثم أعرض عنه عناداً واستكباراً.

• الإشارة إلى السببية: (عن) في قوله (عن الصراف) تفيد المجاوزة والترك، أي أنهم تجاوزوا الصراف وتركوه وراء ظهورهم، فلم يلتزموا به.
• صيغة المبالغة: اسم الفاعل (ناكبون) يدل على الثبوت والاستمرار، فهم ليسوا منحرفين مرة واحدة، بل صار الانحراف وصفاً ملازماً لهم.

3. الربط المحكم: الآفة ربطت بين الانحراف العقدي (عدم الإيمان بالآخرة) والانحراف السلوكي (النكوب عن الصراف)، مما يشكل قاعدة متينة في فهم طبيعة الاستقامة.
أحكام التجويد التي تخدم المعنى:

• المد في (بالآخرة): فيه تطويل في الصوت، مما يلفت الانتباه إلى أهمية الآخرة وثقل معناها.
• المفاهيم والدروس والتوجيهات المستفادة:

أولاً: العلاقة المحورية بين الإيمان بالآخرة والاستقامة:
الآفة تضع قاعدة ذهنية: الاستقامة في الدنيا مرهونة بالإيمان باليوم الآخر. فمن آمن بالآخرة أيقن أن هناك حساباً وجنة ونارا، فيكون هذا اليقين رادعاً له عن المعصية وحافزاً له على الطاعة. أما من أنكر الآخرة فقد فقد البوصلة التي توجهه، فانطلق وراء شهواته دون أي اعتبار للعواقب، فهو كمن يمشي في طريق يعلم أن نهايته هاوية، أو كمن يشرب عسلاً ممزوجاً بسم قاتل لاستلذذه به العسل دون اكتراث بالسم. فالعاقل لا يقدم على ذلك إلا إذا كان غير موقن بالخطر.
ثانياً: غياب القائد الحقيقي (الهوى قائداً):

عندما ينكر الإنسان الآخرة، فإنه يخلو من القيادة الربانية التي تضبط سلوكه. فيصبح قائده هو الهوى، والهوى قائد أعمى يقوده إلى التيه والضياغ والهاوية. قال تعالى: {أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ} [الجاثية: 23]. فمن لا يؤمن بالآخرة لا يكون له مرجعية عليا، فتتحكم فيه رغباته اللحظية، وهذا سبب رئيسي للانحراف الفكري والسلوكي.

ثالثاً: فحص النفس وتصحيح المسار:
الآفة تدعونا إلى فحص دقيق لأنفسنا: هل نحن على الصراف المستقيم أم ناكبون عنه؟ والنكبة عن الصراف قد تكون خفية، فقد نكون نؤمن بالله ورسوله، لكننا نكب عن الصراف باتباع بعض الأهواء أو تقليد بعض العادات المخالفة للشرع. علينا أن نسأل أنفسنا:

- هل نقدم رضا الله على رضا الناس؟
 - هل نستشعر الرقابة الإلهية في أعمالنا؟
 - هل نتعامل مع الدنيا على أنها مزرعة للآخرة، أم هي غاية وجودنا؟
- إذا شعرنا بأي انحراف، فالآية تدفعنا إلى تصحيح المسار فوراً بالتوبة والرجوع إلى الهدى.

رابعاً: دور الآية في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة:

1. بناء الإنسان (صحة نفسية وثبات):

- نفسياً: الإيمان بالآخرة يمنح الإنسان طمأنينة لا يجدها في المذاهب المادية. فهو يعلم أن للظلم نهاية وأن المظلوم وقفة عند رب العالمين، فيزداد صبراً وقوة. كما أن استحضر الآخرة يخفف من وطأة المصائب ويزهد في زخارف الدنيا.
- فكرياً: يدفع الإنسان إلى التفكير في خلق الله والغاية من الوجود، فيرتقي فكره من الماديات إلى المعاني الكبرى.
- سلوكياً: يجعله حريصاً على فعل الخير واجتناب الشر، لأنه يرى في كل عمل بذرة لحصاده في الآخرة.

2. بناء المجتمع (التربية على تجنب الانحراف):

- الآية تربي المجتمع على نبذ العناد والتقليد الأعمى. فالذين نكبوا عن الصراط غالباً ما كانوا مستكبرين أو مقلدين للآباء. المجتمع القوي هو الذي يبني أفراداً على مبدأ الاتباع للدليل لا للهوى.
- تخلق الآية يقظة مجتمعية تجاه أي انحراف، فالمجتمع المؤمن بالآخرة هو مجتمع متعاون على البر والتقوى، رقيب بعضه على بعض، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

3. بناء الحضارة (الوعي بأن الحق لا يطلب بغير هدى الله):

- الحضارة التي لا تقوم على الإيمان بالآخرة هي حضارة مادية جوفاء، تقدم الرفاهية على القيم، وتؤدي في النهاية إلى الانهيار الأخلاقي والانتحار الجماعي (كما نرى في المجتمعات المادية من تفكك أسري، واكتئاب، وانتحار). الآية تعلمنا أن أي نهضة حقيقية لا بد أن تنطلق من هدى الله، وأن الوعي بوجود حساب يضمن ضبط السلوك العام، ويحول الطاقات نحو البناء لا الهدم.

خامساً: قاعدة القضاء على الانحراف:

الآية تقدم لنا قاعدة ذهبية للقضاء على الانحراف: علاج الانحراف يبدأ بتقوية الإيمان بالآخرة. فكلما ضعف هذا الإيمان، ضعفت الرقابة الذاتية وزاد الانحراف. لذلك، فإن تربية النفس على استحضر الآخرة (بذكر الموت، والجنة، والنار، والوقوف بين يدي الله) هو السبيل الأقوى لاستقامة الفرد و المجتمع. فالذي يوقن بأن وراء هذا الطريق ناراً حارقة لا يمكن أن يسلكه.

- خلاصة وتطبيقات عملية في حياتنا:
1. اجعل الآخرة نصب عينيك: قبل أي عمل، اسأل نفسك: كيف سألقي الله بهذا العمل؟
 2. راجع قائدك: من يقودك في حياتك؟ هوى نفسك أم شرع الله؟
 3. لا تكن ناكباً: إذا شعرت بفتور في العبادة أو تهاون في المعصية، فاعلم أن إيمانك بالآخرة يحتاج إلى شحنة.
 4. تحلّ بالمرونة مع الحق: لا تكن عنيداً، فالحق هو ما جاء به الله ورسوله، حتى لو خالف هواك.
 5. ساهم في بناء مجتمع الآخرة: كن داعية إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، محذراً من عاقبة الانحراف، مبشراً بثمرات الاستقامة.
- بهذه الآية، يرسم لنا القرآن خريطة الطريق إلى الفلاح: إيمان بالآخرة يقود إلى استقامة في الدنيا، واستقامة في الدنيا تؤدي إلى فوز في الآخرة. إنها آية تحيي القلوب وتوجه البصائر...

أولاً:

بعد أن ذكر الله تعالى في الآيات السابقة حال الكفار مع الرسل، وإعراضهم عن دعوة التوحيد، واتباعهم لأهوائهم، بيّن سبحانه في هذه الآية سنة من سننه في معاملة المعاندين. لقد وصلوا إلى درجة من الغلظة والقسوة لا تنفع معها المواعظ ولا النعم. فهم لا يتأثرون بالرخاء إلا إلى طغيان، ولا يلجأون إلى الله إلا وقت الشدة والضراء. وهنا يكشف القرآن عن حقيقة صادمة: لو أن الله كشف عنهم البلاء الذي أصابهم بهم ليتراجعوا، لغادوا فوراً إلى ما كانوا عليه من الكفر والعناد، بل وأشد. قال تعالى:

﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾

المفردات الأساسية:

1. الضُرُّ: المقصود به هنا ما أصابهم من شدة وقحط وجذب وفقر، وهو العذاب الدنيوي الذي ابتلاههم الله به عسى أن يتضرعوا ويرجعوا. قال ابن عباس والضحاك: "كل ما في القرآن من "لو" فهو مما لا يكون أبداً". فالآية تخبر عن حقيقة ثابتة في علم الله، وهي أن هؤلاء لا أمل في إيمانهم.
2. للَجُّوا: من "اللجّاج"، وهو التمادي والعناد والإصرار على الشيء مع العلم ببطلانه. هو الإصرار على الباطل بعد وضوح الحق.
3. طُغْيَانُهُمْ: الطغيان هو مجاوزة الحد في الكفر والمعصية والظلم. هو تجاوز الحدود التي رسمها الله.
4. يَعْمَهُونَ: من "العمه"، وهو التردد والحيرة والضياع، ولكنه تردد في ظلام الكفر وعدم القدرة على تمييز الحق. وهو خاص بالقلوب، كما أن العمى خاص بالأبصار. قالوا: "العمه للقلب بمنزلة العمى للعين".

أهم الرسائل والمفاهيم في الآية

1. طبيعة النفس البشرية المعاندة

الآية تصور نموذجاً للنفس المريضة التي لا يردعها عن الباطل إلا الألم، فإذا زال الألم عادت إلى غيها. هؤلاء القوم لا يريدون الحق لذاته، وإنما يريدون كشف الضر فقط. هذا هو "اللجّاج" وهو صفة ذميمة، تدفع صاحبها إلى رفض الحق عناداً وكبراً، حتى لو تبين له.

2. دلالة الربط بين كشف الضر وزيادة الطغيان

هذه الآية تحمل تهديداً شديداً، وتبين أن استمرار النعمة مع الاستمرار في المعصية ليس دليل كرامة، بل قد يكون استدراجاً. فمن طبع هؤلاء أنهم لا يتعظون بالرخاء، بل يفسدون فيه. وهذه مصيبة أكبر من المصيبة نفسها، لأن العبد يستفيد من البلاء بالالتجاء إلى الله، أما الرخاء فقد ينسيه الله.

3. دلالة "للجّوا" و"يعمّهون" (التمادي والحيرة)

- اللجّاج يشير إلى العناد والإرادة الفاسدة: هم يريدون الباطل ويصرّون عليه.
- العمه يشير إلى فساد الإدراك: هم تائهون في ظلمات الكفر لا يبصرون طريق الهدى.
- فهم يجمعون بين فساد القصد (اللجّاج) (وفساد الطريق) (العمه)، وهذه أسوأ حال يمكن أن يصل إليها الإنسان.
- اللمسات البيانية والبلاغية والتجويدية

1. اللمسة البيانية (البلاغة):

- أسلوب الشرط بـ "لو": ولو رحمناهم (تفيد امتناع الوقوع بأي أن هذا الأمر مستحيل الحدوث في علم الله، لأن الله يعلم ما في نفوسهم من شر، ولو وقع لكانت النتيجة هي نفس النتيجة: ازدياد الطغيان).
- الربط بين الرحمة وكشف الضر: جعل الله كشف الضر من الرحمة. وهذا يشير إلى أن الله يعاملهم بلطف أنواع الرحمة، ومع ذلك فهم لا يستجيبون.
- التعبير بالفعل الماضي "لجّوا" بدل المضارع: قال "للجّوا" بصيغة الماضي، رغم أن الكلام عن المستقبل، وذلك لتحقيق الوقوع وتأكيده، كأنه أمر وقع وحدث بالفعل.
- تقديم الرحمة على الكشف: ولو رحمناهم وكشفنا (تقديم الرحمة يشير إلى أن أصل الفعل هو الرحمة، وأن كشف الضر ثمرة من ثمارها).

2. اللمسة التجويدية (الصوتية):

- مد اللين في "لو" و"الضرّ": في كلمة "الضرّ" حرف راء مشدد، وفيه غنة وتمكين، وكأن هذا الصوت يحاكي ثقل الضر وشدة الوقوع.
- تفخيم لفظ الجلالة والطغيان: في كلمة "طُغْيَانُهُمْ" نلاحظ التفخيم، مما يعطي إحياءً بضخامة هذا

الطغيان وعظمته في السوء.
· الغنة في "يَغْمَهُونَ": النون الساكنة في "يَغْمَهُونَ" مع الإدغام أو الإظهار تعطي جرساً يوحى بالتردد و الحيرة التي يعيشونها.

التوجيهات والدروس المستفادة

1. اللجاج صفة خبيثة: على المؤمن أن يكون "هَشًا" للحق، يبحث عنه، فإذا وجده سارع إليه. أما صفة "اللجاج" والعناد فتصد عن سبيل الله.
2. الرخاء اختبار: ليس كل من أنعم الله عليه بنعمة فهو يحبه. قد تكون النعمة استدراجاً وزيادة في الحساب، إذا لم تصحبها طاعة وشكر.
3. الضراء قد تكون رحمة: قد يكون المرض أو الجوع أو الخوف رحمة من الله، لأنه يرد العبد إلى ربه. يقول تعالى: "وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَاثُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ" [المؤمنون: 76] آية بعدها مباشرة).
4. القلب بين العمه والعمى: العمه أشد من العمى. العمى في البصر قد يكون جبلياً أو عارضاً، أما العمه فهو انغلاق القلب عن رؤية الحق مع وضوحه.

الخلاصة:

الآية ترسم صورة لواقع نفسي بشري منحرف، لا يصلحه إلا الخوف من الله. أما من استحكمت فيه دواعي الكبر والسلطان والعناد، فإن كل نعمة تنزل عليه تزيد طغياناً، وكل رخاء يزيده تمادياً. لذلك كان النبي ﷺ يستعيز بالله من "فتنة الغنى" كما يستعيز من "فتنة الفقر".

المبحث الثاني

استكمالاً لما سبق في تفسير الآية 75 من سورة المؤمنون، نضيف هذه اللمسات التربوية و التطبيقية التي تعمق فهمنا لهذه الآية الكريمة، وتجعل منها منهج حياة للمؤمن.

المفهوم الاول

الآية تحمل تحذيراً شديداً لفئة خاصة في المجتمع: الحكام والقادة وأصحاب الرياسة والجاه. هؤلاء الذين إذا منحهم الله سلطاناً أو مالا ً أو جاهاً، استغلوه في الطغيان في الأرض بدلاً ً من شكر النعمة.

لماذا هذه الفئة بالتحديد؟

1. تأثير قراراتهم: طغيان الحاكم لا يضر نفسه فقط، بل يضر الملايين من الرعية. لهذا كان خطرهم أعظم.
2. الابتلاء بالسلطان: القيادة اختبار عظيم، فهي نعمة كبرى، والنعم الكبرى إن لم تشكر تتحول إلى نقم كبرى. قال تعالى: "وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقَرْيَةَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۖ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ" [هود: 102].
3. الاستكبار عن الحق: الغالب في أصحاب الرياسة أنهم يرون أنفسهم أكبر من أن يخضعوا للحق، فيلجئون في طغيانهم.

المفهوم الثاني

مصير من يستغلون النعم في الطغيان

التاريخ الإسلامي مليء بالأمثلة: فرعون عندما قال "أَلَيْسَ لِي مَلِكٌ مُّصْرَ" [الزخرف: 51]، وقارون عندما قال "إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي" [القصص: 78]. هؤلاء جميعاً كانت النعم سبباً في هلاكهم لأنهم لم يشكروها.

الآية تقدم علاجاً لهذه الفئة بأن تذكرهم أن السلطان ليس دليل كرامة، والابتلاء قد يكون في النعمة كما يكون في المحنة. فالبلاء المالي والصحي قد يكون رحمة ليرتدع الطاعي، وكشف هذا البلاء قد يكون نقمة إذا لم يصحبه إصلاح.

المفهوم الثالث

دلالة كشف الضر: هل هو رحمة دائماً؟

الآية تقدم مفهوماً دقيقاً: كشف الضر ليس رحمة في كل الأحوال، بل قد يكون استدراجاً.

· الرحمة الحقيقية: هي التي تدفع العبد إلى الطاعة والقرب من الله.
· الاستدراج: هو أن يمد الله العبد بالنعم وهو مستمر في المعصية، فيغتر ويظن أن الله راض عنه. قال ﷺ: "إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج" ثم تلا: "فَلَمَّا تَسَاءَلُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرَحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْتَاهُمْ بَغْتَةً" [الأنعام: 44].

لهذا، فإن رحمة الله بالكافر أو الطاغى قد تكون في إبقائه تحت وطأة البلاء لعله يرجع، لأن كشف البلاء عنه سيزيده طغياناً. يقول ابن كثير في تفسيره: "أي لو فرجنا عنهم ما هم فيه من الشدة لعادوا إلى ما كانوا عليه من الضلال والتمرد". فالبلاء هنا رحمة مقنعة لأنه يحد من طغيانهم.

المفهوم الرابع

دور الآية في تربية المؤمن على حسن الظن بالله المؤمن يقرأ هذه الآية فيتعلم دروساً عظيمة في علاقته مع ربه:

١. احسن الظن بالله في البلاء
- إذا أصاب المؤمن ضرر أو شدة، لا يظن أن الله تخلى عنه، بل يتذكر أن هذا البلاء قد يكون رحمة:
 - قد يكون تكفيراً للسيئات.
 - قد يكون تنبيهاً من الغفلة.
 - قد يكون حماية من طغيان كان سيقع فيه لو استمر في الرخاء.
- يقول الحسن البصري: "إن الله ليمنع النعمة عن العبد لحكمة، كما يمنع الدواء عن المريض لحكمة".
٢. عدم التمادي في الطغيان
- المؤمن حين يرى حال الكفار الذين لا ينفع معهم لا ضر ولا رضاء، يخاف على نفسه من هذا الداء. فهو يسأل الله الثبات على الحق في كل حال: في السراء والضراء.
٣. عدم الركون إلى الدنيا
- الآية تذكر المؤمن أن الرضاء ليس هو الغاية. قد يظن الإنسان أن المشكلة هي في الضر فقط، لكن الآية تقول: حتى لو كشفنا الضر، فهم سيعودون. إذن المشكلة أعمق من الظروف الخارجية، إنها مشكلة قلب. فالمؤمن لا يربط إيمانه بالظروف، بل إيمانه ثابت مع تغير الأحوال.

المفهوم الخامس

- استقبال البلاء كرسالة: منهج المؤمن
- الآية تدعونا للتأمل: متى يكون البلاء رحمة ومتى يكون نقمة؟
- البلاء رحمة إذا:
- دفع العبد إلى التضرع والإنابة.
 - ذكره بضعفه وحاجته إلى الله.
 - كقر عنه خطاياهم.
 - رده عن المعصية.
- البلاء نقمة إذا:
- زاد العبد قسوة وبعداً عن الله.
 - جعله يتهم ربه أو يخطط على قدره.
 - إذا زال وعاد العبد أطفى مما كان.
- الرسول ﷺ علمنا هذا المعنى: "عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له". المؤمن يربح في كل الأحوال.

المفهوم السادس

طبيعة النفس عند الرضاء: اختبار الشكر

الآية تكشف حقيقة نفسية خطيرة: النعم قد تكون فتنة، والرخاء قد يكون أشد اختباراً من البلاء. لماذا؟

لأن الإنسان في البلاء يشعر بضعفه فيلجأ إلى الله. أما في الرضاء فيشعر بالقوة فيغفل. قال تعالى: "كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ * أَن رَّاهُ اسْتَفْتَىٰ" [العلق: 6-7].

المفهوم السابع

- كيف نتعامل مع النعم بعد البلاء؟
- عندما يرفع الله البلاء عنا، هذا ليس وقت الرجوع إلى الغفلة، بل هو وقت:
1. الشكر: اعتراف القلب بأن النعمة من الله، واستعمالها في طاعته.
 2. الثبات: الاستمرار على الطاعة التي كنا عليها في وقت الشدة.
 3. الاستغلال: استغلال فترة الرضاء في عمل صالح ينفع في الآخرة.
 4. الاستعداد: الإكثار من الأعمال الصالحة تحسباً لعودة البلاء.
- يقول أحد السلف: "من علامات قبول الطاعة في الشدة: الثبات عليها في الرضاء".

المفهوم الثامن

الضر كاشف لحقيقة الإنسان

الآية تشير إلى أن البلاء ميزان يكشف معادن الناس:

- منه من يزداد قرباً إلى الله.
- ومنه من يزداد بعداً وضيقة.

هذا يدفعنا لنسأل أنفسنا:

- عندما أمرض، هل أقترّب من الله أم أبتعد؟
 - عندما أفقد وظيفتي، هل أتذكر أن الله هو الرزاق أم أتسخط؟
 - عندما أتعرض للظلم، هل أصبر وأحتسب أم ألجأ إلى المعاصي؟
- البلاء يكشف حقيقة الإيمان في القلب، وليس مجرد دعاوى اللسان. لذلك كان السلف يفرحون بالبلاء لأنهم يرون فيه فرصة لإثبات صدق إيمانهم.

المفهوم التاسع

الوسيلة التي تجعلني لا أقع في هذا الابتلاء:
لكي لا يكون البلاء سبباً في تخبطي وابتعادي عن الله، لا بد من:
1. الإعداد القبلي: تقوية الإيمان في وقت الرخاء، فمن كان مع الله في الرخاء كان الله معه في الشدة.

2. التوحيد الخالص: معرفة أن الضار والنافع هو الله، فترجوه وتتوكل عليه.
3. الصبر: تدريب النفس على تحمل المصائب قبل وقوعها بالتذكر والتفكير.
4. الدعاء: سؤال الله الثبات عند الشدائد.

المفهوم العاشر

أهمية استغلال الرخاء قبل الضيق
الآية تدفعنا لمفهوم عملي مهم: اغتنم خمساً قبل خمس، ومنها: "حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك".
ماذا يعني استغلال الرخاء؟

1. العمل الصالح: الإكثار من الطاعات التي تعينك عند الشدة.
2. التوبة النصوح: تصحيح المسار قبل أن يحال بينك وبين التوبة.
3. تقوية العلاقة بالله: حتى إذا جاءت الشدة كنت قريباً منه.
4. تزكية النفس: تهذيب الأخلاق وكبح جماح الطغیان.

المفهوم الحادي عشر

كيف تترجم الآية لعمل؟

- عندما تكون في صحة وعافية، تذكر أن مرضاً قد يأتي، فاغتنم صحتك في طاعة الله.
- عندما تكون في غنى، تذكر أن فقراً قد يأتي، فاغتنم غناك في الصدقة والعمل الصالح.
- عندما تكون في أمن، تذكر أن خوفاً قد يأتي، فاغتنم أمنك في عبادة الله.

المفهوم الثاني عشر

البلاء رحمة مقنعة: إعادة تعريف المفهوم
الآية تعلمنا أن نعيد النظر في مفهومنا للبلاء:
البلاء رحمة:

- نفسياً: يكسر النفس ويذلها لله، فيزيل عنها الكبر والعجب.
 - جسدياً: يذكر الإنسان بضعفه وأنه ليس خالداً.
 - روحياً: يرفع الدرجات ويكفر الخطايا.
 - اجتماعياً: يجعل الإنسان أكثر تواضعاً وتعاطفاً مع الآخرين.
- الضيق والسعة كلاهما اختبار:
• في الضيق: اختبار الصبر والتضرع.
• في السعة: اختبار الشكر والثناء.
- الرسول ﷺ كان يتعوذ من فتنة الغنى كما يتعوذ من فتنة الفقر، لأن الغنى قد يكون أشد فتنة، فهو يطغى كثيراً من الناس.

المفهوم الثالث عشر

التضرع: في المحنة وفي الرخاء
الآية تدفعنا لأن نتضرع إلى الله في كل حال:
التضرع وقت المحنة:

نحن مضطرون إليه، فالمؤمن الحق لا ينتظر المحنة ليتضرع، بل يبادر.
التضرع وقت الرخاء:
هو أكمل وأفضل، لأن العبد يتقرب إلى الله في حال قوته واستغنائه، وهذا أصدق في الإخلاص.
وشكر الله على العافية هو أعظم أنواع التضرع. فالذي يشكر الله على نعمة العافية والأمن والرزق، يكون أحب إلى الله ممن يتذكر الله فقط عند الشدة.

المفهوم الرابع عشر

طبيعة القلب القاسي: صفات وعواقب
الآية ترسم صورة لقلب الكافر:
صفات القلب القاسي:

1. لا يتأثر بالرحمة: إذا كشف الله عنه الضر، لا يرجع إليه، بل يزداد طغياناً.

2. تجاوز الحد: الطغيان هو مجاوزة الحد، وهذا دليل على قسوة القلب.

3. العمى: "يعمّهون" أي تاهوا في الضلال، وهذا عمى بصيرة، لا عمى بصر.

كيف يصل القلب الى هذا الحال

بالمعاصي المستمرة، والإصرار على الذنوب، وترك الاستغفار. قال تعالى: "كَلَّا بَلْ سَ زَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ" [المطففين: 14].

المفهوم الخامس عشر

توجيه الآية للمؤمن:

على المؤمن أن يراقب قلبه:

. هل يلين عند ذكر الله؟ قال تعالى: "اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مّتَانِيًا تَقَشَعُ عَنْهُ غُلُودُ

الَّذِينَ يَخِشُونَ رَبَّهُمْ ثُمَّ لَقِينُوا غُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ" [الزمر: 23]

. هل يستكين لله عند البلاء؟ أم يزداد قسوة؟

. هل يغتر بالنعمة فيظن أنه يستحقها بذاته؟ أم يراها فرصة للشكر؟

الفرق بين المؤمن والكافر: المؤمن عندما تنزل به النعمة، يشكر فيزداد قرباً. والكافر عندما تنزل به النعمة، يطغى فيزداد بعداً.

المفهوم السادس عشر

ضرورة تجديد العهد مع الله عند رفع البلاء

من أعظم الدروس العملية المستفادة من الآية:

عندما يرفع الله عنا البلاء، يجب أن:

1. نقطع عهداً جديداً مع الله: أن لا نعود لما كنا عليه من غفلة.

2. نتربى على الاستقامة الدائمة: ليس الاستقامة وقت الشدة فقط، بل في كل وقت.

3. نتفكر في ضعف النفس البشرية: نحن بشر، ننسى ونغفل، فلنذكر أنفسنا دائماً.

4. لا نركع للدنيا: النعمة لا تستعبدنا، بل نستعملها في طاعة من أعطانا.

5. نفهم حقيقة البلاء والرحمة: كلاهما من الله، وكلاهما خير للمؤمن إذا أحسن التعامل.

كيف نستغل الأوقات الصعبة للرجوع إلى الله؟

. نجعلها محطات تأمل ومراجعة.

. نكثر فيها من الدعاء والاستغفار.

. نتذكر فيها ذنوبنا ونتوب منها.

. نعد العدة للثبات بعد زوالها.

برنامج عملي مستخلص من الآية

1. في وقت البلاء:

. تذكر أن هذا قد يكون رحمة.

. أكثر من الدعاء والتضرع.

. فتنش عن ذنوبك واستغفر.

2. في وقت الرخاء:

. اشكر الله بقلبك ولسانك وجوارحك.

. لا تغتر بالنعمة، فهي ابتلاء.

. استعد لوقت البلاء بالعمل الصالح.

3. في كل وقت:

. راقب قلبك، هل يلين أم يقسو؟

. تفكر في ضعفك وحاجتك لله.

. جدد التوبة دائماً.

خاتمة

الآية 75 من سورة المؤمنون ليست مجرد خبر عن قوم مضوا، بل هي منهج حياة، ومرآة للنفس،

ودستور للتعامل مع تقلبات الحياة. تعلمنا أن نكون أرقاء لله في السراء والضراء، وأن نستقبل النعم بـ

الشكر، والشدائد بالصبر، وألا نفتخر بحالنا، وألا نياس من رحمة الله.

نسأل الله أن يرزقنا قلوباً تخشعه، وأعيناً تدمع من خشيته، وألسناً تلهج بذكره، وأن يجعلنا ممن إذا

أنعم عليهم شكروا، وإذا ابتلاهم صبروا، وإذا أذنبوا استغفروا. إنه سميع مجيب.

المبحث الثالث

الآية 75 من سورة المؤمنون ليست مجرد آية تتحدث عن طبيعة النفس البشرية المعقدة، بل هي

آية تأسيسية تضع اللبنة الأولى في فهم كيفية بناء الإنسان الصالح، والمجتمع الفاضل، والحضارة

الراشدة، والدولة العادلة. إنها تقدم نظرية معرفية في التعامل مع النعم والنقم، وتكشف عن قانون

إلهي في استقرار الأمم وسقوطها.

المفهوم الأول : دور الالاه في بناء الانسان

١/ بناء الإنسان المتوازن (الإنسان الرباني)
الآية تقدم نموذجاً للإنسان الذي يريد القرآن بناءه: إنسان يعرف كيف يتعامل مع حالتي الضراء و السراء.

٢/ ملامح هذا الإنسان:

- إنسان يشكر في الرخاء: لا يغتر بالنعمة، بل يراها اختباراً وفرصة للقرب من الله.
- إنسان يصبر في البلاء: لا يتخبط ولا يبتعد عن الله، بل يراه رحمة مقنعة.
- إنسان ثابت المبادئ: إيمانه لا يتغير بتغير الظروف، فهو مؤمن بالله في السراء والضراء.

٣/ كيف تبني الآية هذا الإنسان؟

الامر الاول : تصحيح مفهوم النعمة والمحنة

الآية تعلم الإنسان أن النعمة قد تكون نقمة إذا لم تصبحها طاعة، وأن المحنة قد تكون نعمة إذا صبرها صبر وتضرع. هذا الفهم يحرر الإنسان من عبودية الظروف، ويجعله عبداً لله وحده.

الامر الثاني : كسر صنمية الأسباب

الإنسان الذي تقرأ هذه الآية يتعلم ألا يربط سعادته بالأسباب المادية فقط. قد يكون الفقر خيراً له، وقد يكون الغنى شراً له. هذا يحرره من العبودية للأسباب إلى العبودية لمسبب الأسباب.

الامر الثالث: تزكية النفس المستمرة

الآية تدفع الإنسان لمراقبة نفسه: "كيف أكون إذا زال عني البلاء؟ هل أعود كما كنت أم أكون أفضل؟" هذه المراقبة المستمرة هي جوهر التزكية التي هي هدف الرسالة المحمدية: "هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ" [الجمعة: ٢].

المفهوم الثاني : دور الآيه في بناء المجتمع

١/ بناء المجتمع المتضامن (مجتمع التكافل)

الآية تحذر من مجتمع يطغى أفراداه عندما تنعم عليهم النعم. المجتمع الصالح هو الذي تكون النعمة فيه سبباً للتراحم لا للطغيان.

٢/ كيف تحقق الآية هذا؟

الامر الاول : تحويل النعمة إلى مسؤولية مجتمعية

المجتمع الذي يفهم هذه الآية لا يجعل الأغنياء يطغون بغناهم، بل يدرك أن الغنى مسؤولية اجتماعية. قال تعالى: "كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةُ الْاَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ" [الحشر: ٧]. النعمة للجميع، وليست حكراً على فئة تطغى بها.

الامر الثاني : خلق ثقافة الشكر الجماعي

المجتمع المؤمن عندما تنزل به نعمة (نصر، رخاء، أمن) لا يطغى، بل يشكر الله جماعياً. وهذا الشكر يكون:

١/ باللسان: حمد الله والثناء عليه.

٢/ بالجوارح: استعمال النعمة في طاعة الله.

٣/ بالمال: الإنفاق في سبيل الله ومساعدة المحتاجين.

الامر الثالث: تحصين المجتمع من أمراض الترف

الآية تحذر من "طغيانهم" الذي يحدث عندما يزول الضر. هذا الطغيان هو نتيجة أمراض الترف التي تصيب المجتمعات الممنعة: البخل، الاستكبار، نسيان الفقراء، الانغماس في الشهوات. المجتمع القوي هو الذي يحصن نفسه من هذه الأمراض بتزكية أفراداه وتوعيتهم.

المفهوم الثالث :-دور الآيه في بناء الحضاره

١. الحضارة بين الازدهار والانهيـار (سنن الله في الأمم)

الآية تقدم لنا مفتاحاً لفهم صعود وهبوط الحضارات. كل حضارة تمر بمرحلتين:

المرحلة الأولى: مرحلة الشدة والبناء

في بداية أي حضارة، يكون الناس في حالة ضعف وحاجة، فيتضرعون إلى الله ويعملون بجد ويتمسكون بالقيم. هذه هي مرحلة التكوين.

المرحلة الثانية: مرحلة الرخاء والانهيـار

عندما تزدهر الحضارة وتنعم بالرخاء، يبدأ الناس في الطغيان:

• ينسون القيم التي بنوا عليها حضارتهم.

• يستغلون النعم في الفساد والظلم.

• يظنون أنهم يستحقون هذا الرخاء بذكائهم وقوتهم.

• هنا تبدأ مرحلة الانهيـار.

الآية تكشف هذا القانون الحضاري:

"وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُوا فِي طَغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ"

الرخاء ليس ضماناً لاستمرار الحضارة، بل هو اختبار أشد من اختبار الشدة. الحضارات التي تصمد هي التي تنجح في اجتياز اختبار الرخاء.

٢. كيف تبني الآية حضارة راشدة؟

الامر الاول : حضارة القيم لا المادة

الآية تعلمنا أن الحضارة ليست مجرد تقدم مادي، بل هي قبل كل شيء التزام بالقيم. فإذا انفصل التقدم المادي عن القيم الأخلاقية، تحول إلى طغيان وفساد.

الامر الثاني : حضارة الشكر لا الاستعلاء

الحضارة الإسلامية تقوم على مفهوم الاستخلاف لا الاستعلاء. الإنسان خليفة في الأرض يعمرها بطاعة الله، لا متسلط يفسد فيها. قال تعالى: "هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا" [هود: ٦١].

الامر الثالث: حضارة التوازن بين المادة والروح

الآية تدعو لحضارة لا تطفئ فيها المادة على الروح. الحضارة الغربية المعاصرة أصيبت بهذا الداء: تقدم مادي هائل، لكنه صاحبه فراغ روحي وطغيان أخلاقي. الآية تحذر من هذا المصير.

الامر الرابع: استمرارية الحضارة بالمراجعة الذاتية

الحضارة التي تفهم هذه الآية لا تنتظر حتى يأتئها البلاء لتراجع نفسها، بل تقوم بمراجعة ذاتية مستمرة في حال الرخاء. هذا ما يضمن لها الاستمرارية والتطور دون انهيار.

المفهوم الرابع : دور الآية في بناء الدولة

١. الدولة بين العدالة والطغيان (فلسفة الحكم)

الآية تقدم رؤية عميقة لفلسفة الحكم والدولة. الدولة ككيان، مثل الفرد، تختبر بالرخاء كما تختبر بالشدّة.

٢/الدولة التي تبنيها الآية:

الامر الاول : دولة القانون والعدل (لا دولة الطغيان)

الآية تحذر من طغيان الحكام عندما تزول عنهم الشدائد. الدولة العادلة هي التي:

- تحد من سلطان الحاكم حتى لا يطفئ.
- تطبق القانون على الجميع دون استثناء.
- تراقب أداء المسؤولين وتحاسبهم.

الامر الثاني : دولة المؤسسات لا الأفراد

الآية تكشف خطورة اعتماد الدولة على فرد واحد. عندما يكون الحاكم هو كل شيء، إذا طغى طغت الدولة كلها. لذلك تبني الآية مفهوم دولة المؤسسات حيث تكون القوانين والأنظمة هي الحاكمة، لا أهواء الأفراد.

الامر الثالث : دولة الشورى والمساءلة

الآية تدعو إلى نظام يحول دون طغيان الحكام. وهذا لا يتحقق إلا بـ:

- الشورى: إشراك الأمة في القرار.
- المساءلة: محاسبة الحاكم إذا انحرف.
- الشفافية: وضوح القرارات وعدم احتكار المعلومة.

الامر الرابع: دولة الرفاه والعدالة الاجتماعية

الدولة التي تفهم هذه الآية لا تترك الأغنياء يطفون بثرائهم على حساب الفقراء، بل:

- تفرض حقوقاً للمال (كالزكاة والصدقات).
- توفر شبكة أمان اجتماعي للفقراء.
- تمنع الاحتكار والاستغلال.

المفهوم الخامس:- تطبيقات معاصرة للآية في بناء الدولة والمجتمع

١/ في الإدارة والحكم

- مبدأ التداول السلمي للسلطة: يمنع تراكم السلطة في أيدي أفراد أو جماعات قد تطفئ.
- الرقابة والمحاسبة: وجود هيئات رقابية مستقلة تمنع الفساد والطغيان.
- شفافية القرارات: تمنع استغلال النفوذ والسلطة.

٢. في الاقتصاد

- الاقتصاد الأخلاقي: رفض النماذج الاقتصادية التي تشجع على الطغيان والاستغلال.
- التوزيع العادل للثروة: منع تركّز الثروة في أيدي قلة تطفئ بها.
- الاستثمار في الإنسان: جعل الرخاء وسيلة لتنمية الإنسان لا لاستعباده.

٣/ في التربية والتعليم

- تربية الأجيال على القيم: تعليم النشء أن النعمة مسؤولية لا امتياز.
- التوعية بمخاطر الطغيان: تعريف الأجيال بعواقب استغلال النعم في الفساد.
- تعزيز ثقافة الشكر والامتنان: جعلها جزءاً من المناهج التربوية.

٤/ في الإعلام والثقافة

- إعلام هادف: لا يشجع على ثقافة الاستهلاك والطغيان.
- نقد الذات: قدرة المجتمع على مراجعة نفسه ونقد أخطائه.
- تعزيز القيم: نشر ثقافة الشكر والتواضع والمسؤولية المجتمعية.

المفهوم السادس: الآيه كمنهج حياة للامه

١/. من الفرد إلى الأمة: وحدة المصير
الآية تبدأ بوصف حال أفراد ("ما بهم من ضر")، ثم تنتقل إلى وصف حال الأمة ("في طغيانهم يعمهون"). هذا يشير إلى أن صلاح الأمة يبدأ بصلاح الأفراد، وفساد الأمة يبدأ بفساد الأفراد.

٢/. استمرارية الاختبار
الآية تعلم الأمة أن الاختبار لا ينتهي. كل مرحلة لها اختبارها:
• مرحلة الضعف: اختبار الصبر والثبات.
• مرحلة القوة: اختبار الشكر والعدل.
• مرحلة الرخاء: اختبار عدم الطغيان.
٣/. الأمة بين النعمة والنقمة
الأمة التي تفهم هذه الآية تعلم أن:
• النعمة ليست دائماً دليل رضا الله، فقد تكون استدراجاً.
• النقمة ليست دائماً دليل سخط الله، فقد تكون رحمة وتنبية.
• المقياس الحقيقي هو: هل تقودنا النعمة إلى طاعة الله أم إلى معصيته؟ هل تقودنا النقمة إلى الرجوع إلى الله أم إلى البعد عنه؟

خاتمة: الآية كدستور للحياة
الآية 75 من سورة المؤمنون تقدم لنا دستوراً متكاملًا للحياة على المستويات كافة:
• على مستوى الفرد: تربية النفس على التوازن بين الخوف والرجاء، والصبر والشكر.
• على مستوى الأسرة: جعل النعم سبباً للتواضع والتفكير والتكاتف.
• على مستوى المجتمع: بناء مجتمع التكافل والتعاون، لا مجتمع الطغيان والاستعلاء.
• على مستوى الدولة: تأسيس دولة القانون والعدل والمؤسسات، لا دولة الفرد والبطش.
• على مستوى الحضارة: بناء حضارة القيم والروح، لا حضارة المادة والاستهلاك.
إنها آية تجمع بين علم النفس (طبيعة النفس البشرية)، وعلم الاجتماع (سلوك المجتمعات)، وعلم السياسة (إدارة الدولة)، وفلسفة التاريخ (صعود وهبوط الحضارات). كل ذلك في إطار القرآن الكريم الذي لا تنقضي عجائبه.
نسأل الله أن يجعلنا ممن إذا أنعم عليهم شكروا، وإذا ابتلاهم صبروا، وإذا أذنبا استغفروا، وأن يجعل من هذه الأمة أمة تقرأ كتابه وتعمل به، فتبني حضارة تليق بمبادئه وتعاليمه.

ثانياً

تفسير الآية 76 من سورة المؤمنون
"وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَاثُوا لَهُمْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ"
بعد أن بين الله سبحانه وتعالى في الآية السابقة (75) حقيقة نفسية خطيرة، وهي أن هؤلاء الكافرين لو كشف الله عنهم الضر لعادوا إلى طغيانهم وأشد، جاءت هذه الآية لتكشف عن مشهد أفسى وأعمق: لقد ابتلاهم الله بالفعل بالعذاب والشدة، فماذا كانت النتيجة؟ لم يخضعوا، ولم يتضرعوا، بل استمروا في عنادهم وكفرهم. إنها آية تفضح قسوة القلب التي تصل بالإنسان إلى درجة لا تنفع معها المواعظ ولا المصائب. فقال تعالى
نص الآية الكريمة

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَاثُوا لَهُمْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون: 76]

شرح المفردات اللغوية والمعاني الأساسية

١/ اخذناهم : الأخذ هنا بمعنى الإمساك بقوة والإيقاع ابتليانهم وأنزلنا بهم العقوبة

٢/ العذاب كل ما يؤلم الجسد أو النفس القحط والجوع والمصائب الدنيوية

٣/ استكاثوا مأخوذة من السكون والخشوع والتذلل ما خضعوا وما ذلوا لربهم

٤/ يَتَضَرَّعُونَ التذلل وإظهار الخضوع مع الدعاء والابتهاال ما دعوا بخشوع وانكسار

الامر الاول

تحليل دقيق لمفهوم "الاستكانة"
كلمة "استكانوا" تحمل في جذرها اللغوي دلالة عميقة: فهي مأخوذة من "السكون" والانتقال من حال إلى حال . وقد غلب استعمالها في القرآن للدلالة على الانتقال من حال التكبر والغرور إلى حال التذلل والخضوع لله . فالاستكانة هي سكون الجوارح وانكسار القلب أمام عظمة الله .
الفرق بين الاستكانة والتضرع في الآية

الآية الكريمة جمعت بين نفي الاستكانة ونفي التضرع، وهذا يجمع بين حالين:

1. الاستكانة: هي الخضوع والانقياد القلبي، وتذلل النفس لله.

2. التضرع: هو الدعاء والابتهاال بالقول والفعل، وإظهار الحاجة والفقر إلى الله.

فهم لم يخضعوا بقلوبهم (لا استكانة)، ولم يدعوا بألسنتهم (لا تضرع). وهذا أبلغ في بيان قسوتهم وعنادهم، فالقلب القاسي لا يلين، واللسان الجاف لا يدعو.

الامر الثاني

السياق التاريخي لنزول الآية (سبب النزول)
ترتبط هذه الآية بسبب نزول محدد يكشف عن حقيقة قريش في زمن النبي ﷺ:

الرواية المشهورة: دعا النبي ﷺ على قريش حين استعصوا وقال: "اللهم أعني عليهم بسبع كسيع يوسف". فأصابهم القحط والجوع الشديد حتى أكلوا "العلهز" (وهو الوبر والدم). جاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ وقال: "يا محمد، أنشدك الله والرحم، ألسنتك تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين؟" قال: "بلى". قال: "قد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع، فادع الله أن يكشف عنا هذا القحط".

فدعا النبي ﷺ فكشف عنهم، ثم أنزل الله هذه الآية تبين أنهم مع نزول العذاب بهم، لم يخضعوا لله، ولم يتضرعوا إليه، بل مضوا على تمردهم وضلالهم .

أهم المفاهيم والرسائل في الآية : المفهوم الاول

أهمية تزكية القلب لأن قساوته مانع من الاعتناز
الآية تكشف عن حقيقة مؤلمة: العذاب وحده لا يكفي لهداية القلب القاسي. فهؤلاء القوم أصابهم الجوع حتى أكلوا العلهز، ومع ذلك لم تلن قلوبهم.
القلب القاسي لا تؤثر فيه الآيات ولا العظات.
قسوة القلب تحول بين العبد وبين الاستجابة لله، حتى في أشد لحظات الضعف والحاجة.
قال تعالى في آية أخرى: "فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم الشيطان ما كانوا يعقلون" [الأنعام: 43]

المفهوم الثاني

أهمية تلقي المصائب والشدائد كرسائل إلهية
المصائب والشدائد في منظور القرآن هي رسائل من الله للعبد:
قد تكون تذكيراً بذنب يحتاج إلى توبة.
قد تكون تنبيهاً من غفلة استحوذت على القلب.
قد تكون تكفيراً للسيئات ورفعاً للدرجات.
الآية تعلمنا أن المصيبة تتحول إلى رحمة إذا دعنا إلى الاستكانة والتضرع، وتتحول إلى نقمة إذا قابلناها بالقسوة والإعراض .

المفهوم الثالث

حكمه الابتلاء: لماذا يبتلي الله عباده؟
الابتلاء سنة إلهية ماضية لها حكم عظيمة :
الحكمة الشرح
تحقيق العبودية الابتلاء يكشف حقيقة العبودية: هل هو عبد لله أم عبد للهوى والرخاء؟
تمحيص المؤمنين الابتلاء يخلص الصفوف ويميز الصادق من الكاذب
تكفير الذنوب المصائب تكفر الخطايا وتمحو الذنوب
رفعة الدرجات البلاء يرفع منزلة الصابرين عند الله
كسر النفس وقمع التمرد الابتلاء يذل النفس الأمارة بالسوء ويكسر شوكة الكبر

المفهوم الرابع

الاستكانة لله: قمة العقل والنجاة
الآية تعلمنا أن الاستكانة لله عند البلاء هي قمة العقل:
العقل من يقرأ رسائل ربه في الملمات.
العقل من يدرك أن التذلل لله هو طريق النجاة.
الأحمق من يستقبل نقمة الله بالحمية والعناد، كما قال الحسن البصري: "إذا أصاب الناس من قِبَل الشيطان بلاء، فإنما هي نقمة، فلا تستقبلوا نقمة الله بالحمية، ولكن استقبلوها بالاستغفار، وتضرعوا إلى الله".

المفهوم الخامس

التكبر والتمادي في المعصية رغم الشدائد: علامة الغفلة المهلكة
الآية تحذر من حالة خطيرة: أن يستمر الإنسان في طغيانه ومعصيته رغم نزول المصائب به. هذه علامة:

الغفلة المهلكة: غفلة عن ذكر الله، وعن الآيات، وعن الموت.
الختم على القلب: وصول القلب إلى درجة لا تؤثر فيه المواعظ.
الاستدراج: أن يكون البلاء الذي ينزل به إنذاراً، لكنه لا يرتدع، فيكون ذلك سبباً لهلاكه.
اللمسات البيانية والبلاغية والتجويديه في الآية وعلاقتها بالمفاهيم التي. تتحدث عنها الآية

اللمسات البيانية

أ. التوكيد بـ "لقد":

افتتحت الآية بالقسم المؤكد (ولقد) لتحقيق الوقوع والتأكيد على أن هذا الأمر قد حدث بالفعل، وليس مجرد افتراض.

ب. التعبير بـ "أخذناهم":

فعل "أخذ" يوحي بالقوة والإمساك بالعصاة، كما يقال "أخذ الظالم بعذاب شديد". وفيه إشارة إلى أن

اللَّهُ قادر عليهم، وأنهم تحت قبضته وسلطانه.

ج. نفي الاستكانة ونفي التضرع معاً:
الجمع بين النفيين (فَمَا اسْتَكَاثُوا وَمَا يَتَضَرَّعُونَ) يدل على أنهم بلغوا الغاية في القسوة والتمرد. فهم لم يخضعوا بقلوبهم (لا استكانة)، ولا دعوا بألسنتهم (لا تضرع).

د. تقديم الاستكانة على التضرع:
الاستكانة خضوع القلب، والتضرع دعاء اللسان. القلب هو الأصل، فالذي لا يخضع قلبه لا يتضرع لسانه. هذا الترتيب دقيق ويدل على أولوية تصحيح القلب.

٢. اللمسات البلاغية

أ. أسلوب القصر:

قصرهم على عدم الاستكانة وعدم التضرع، كأن هذين الأمرين هما ما كان ينبغي فعله، فلم يفعلوه.

ب. التكرار الدلالي:

نفي الاستكانة ثم نفي التضرع، مع أن كل منهما يتضمن الآخر في الجملة، للتأكيد على خلوهم من كل خير.

٣. اللمسات التجويدية

أ. مد اللين في "العَذَابِ":

مد العين في "العذاب" يعطي إيحاءً بطول زمن العذاب وشدته على نفوسهم.

ب. السكون في "اسْتَكَاثُوا":

الكلمة تحمل سكوناً في حرف السين والتاء، وهذا السكون الصوتي يوحي بالسكون والخشوع المطلوب، لكنهم لم يفعلوه.

ج. تفخيم الراء في "يَتَضَرَّعُونَ":

التفخيم في الراء مع تكررها يعطي إيحاءً بصوت التضرع والابتهال، لكنهم حرموا منه.

اهم الدروس من الابه

الدرس الاول

قاعده قرآنيه: قاعده تحويل الأخذ بالعذاب الى منطلق للتضرع

الآية تضع قاعدة ذهنية: العذاب ينبغي أن يكون مدخلاً للتضرع، لا باباً للتمرد.

كيف نحول الأخذ بالعذاب إلى تضرع؟

١. استحضار أن الله هو الفاعل: ندرك أن ما أصابنا هو بيد الله، لحكمة يعلمها.

٢. البحث عن الذنب: نتذكر أن المصائب قد تكون بسبب ذنوبنا، فتكون فرصة للتوبة.

٣. اللجوء إلى الله بالدعاء: لا نكتفي بالحزن، بل نرفع أكف الضراعة.

٤. الخضوع والانكسار: نستقبل البلاء بقلب خاضع، لا بقلب متكبر.

يقول وهب بن منبه عندما حُبس: "نحن في طرف من عذاب الله، والله تعالى يقول: وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَاثُوا لَهُمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ"، ثم صام ثلاثة أيام متواصلة، وقال: "أحدث لنا فأحدثنا".
يعني: أحدث الله لنا الحبس، فأحدثنا زيادة عبادة.

الدرس الثاني

التعلم من المحن

كيف نتعامل مع البلاء في حياتنا اليومية؟

١/ البلاء فرصة للمراجعة وليس مجرد انتظار لزواله

الآية تعلمنا أن نظرة الإنسان للمحنة تحدد مصيره:

• من ينتظر زوال المحنة فقط، قد تزول ويعود أسوأ مما كان.

• من يرى في المحنة فرصة لمراجعة المسار، قد تكون المحنة أعظم نعمة في حياته.

٢/ التفاعل مع البلاء: هل هو سوط يسوقنا إلى الله؟

البلاء يمكن أن يكون:

• سوطاً يسوقنا إلى الله: إذا جعلنا نهرع إليه بالتوبة والدعاء.

• حاجزاً يبعدنا عن الله: إذا قابلناه بالتسخط والغفلة.

المؤمن الذكي من يجعل كل بلاء محطة شحن روحي تزيد قرباً من ربه.

٣/ السرعة في الاستجابة: لا تؤجل التضرع

الآية تلفت النظر إلى سرعة الاستجابة المطلوبة عند نزول البلاء:

• كان ينبغي أن يتضرعوا فور نزول العذاب، لكنهم أخروا ففاتهم الفرصة.

• على المؤمن أن يبادر بالتوبة والاستغفار عند أول علامة.

٤/ التضرع في الرخاء قبل الشدة

الآية تعلمنا درساً عميقاً: من يتضرع في الرخاء، يستجاب له في الشدة. ومن لا يتضرع في الرخاء، قد يحال بينه وبين التضرع في الشدة.

الدرس الثالث

تقييم النفس: هل أسارع للاستجابة عند البلاء؟

الآية تدعونا لأن نسأل أنفسنا أسئلة صادقة:

السؤال للتأمل
عندما أمرض، هل أسارع إلى الله بالدعاء والاستغفار؟ أم أتجه أولاً للأطباء والدواء؟
عندما أفقد عزيزاً، هل أتذكر أن العودة إلى الله هي المخرج؟ أم أغرق في الحزن واليأس؟
عندما تضيق بي الدنيا، هل أرفع يدي بالدعاء بخشوع؟ أم ألجأ إلى البشر وأغفل عن رب البشر؟
هل أتضرع إلى الله في الرخاء كما أتضرع في الشدة؟ أم أذكره فقط عند الضيق؟

الدرس الرابع

الفرق بين الاستكانة والتضرع في الآية (تحليل أعمق)
لفهم الفرق بدقة، يمكننا تحليله من زوايا متعددة:
الوجه الاستكانة التضرع
المحل القلب والجوارح اللسان مع القلب
المعنى الخضوع والانقياد والذل الدعاء والابتهاال وإظهار الفاقة
العلامة سكون الجوارح، ترك المعاصي رفع اليدين، البكاء، الدعاء
الغاية الاستسلام لله طلب الرحمة وكشف الضر
العلاقة هي الأصل والمدخل هي الثمرة والنتيجة
فالاستكانة هي الخضوع القلبي الذي يتبعه التضرع باللسان. وقد نفت الآية كليهما عنهم، فهم لم يخضعوا بقلوبهم، ولم يدعوا بالسننهم.

الدرس الخامس

لماذا يربط الله العذاب بضرورة الاستكانة والتضرع؟
هذا الربط في الآية يحمل دلالات عميقة:
1/ لأن العذاب يكشف حقيقة الإنسان: في الرخاء قد يظهر الإنسان خاشعاً متواضعاً، لكن العذاب يظهر معدن الإنسان الحقيقي.
2/ لأن العذاب هو الوقت الأنسب للاستكانة: الإنسان في الشدة يكون أكثر استعداداً للانكسار والتذلل.
3/ لأن الاستكانة والتضرع هما العلاج: العذاب قد يكون بسبب الذنوب، والاستكانة والتضرع هما الدواء.
4/ لأنهما دليل الإيمان الصادق: المؤمن الحق هو من يلتجئ إلى ربه في الشدة، أما المنافق فإذا جاءته الشدة ولى مدبراً.

الامر الثالث

دور الآية في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة والدولة الإسلامية
1/ بناء الإنسان الفرد
الآية تربي في المؤمن صفات أساسية:
• مراقبة القلب: الاهتمام بتزكياته وتليينه، لأن قسوته مانع من الاعتاض.
• سرعة الاستجابة: عدم التسويف في التوبة عند نزول المصائب.
• التوازن بين الخوف والرجاء: الخوف من قسوة القلب، والرجاء في رحمة الله.
• التفكير في الاقدار: جعل كل حدث في الحياة فرصة للتأمل والمراجعة.
2/ بناء المجتمع المسلم
المجتمع الذي يقرأ هذه الآية ويتدبرها:
• مجتمع متضامن: لأن أفرادها إذا نزلت بهم مصيبة تضرعوا إلى الله، وتواصوا بالصبر والدعاء.
• مجتمع واع: يدرك أن المصائب الجماعية كالأوبئة والكوارث (هي رسائل إلهية تدعو للرجوع إلى الله).
• مجتمع ناقد لذاته: لديه ثقافة المراجعة والمحاسبة عند الأزمات، بدل البحث عن كبش فداء.

3/ بناء الحضارة

الآية تقدم للحضارة الإسلامية ركيزة أساسية:
• الحضارة المتوازنة هي التي تبني الإنسان روحياً ومادياً.
• الحضارة الراشدة هي التي تجعل من الأزمات فرصاً للتطور والنمو، لا للانهيال والتفكك.
• الحضارة القوية هي التي يحسن أفرادها قراءة رسائل الله في الكون والأحداث.
4/ بناء الدولة

الدولة في المنظور القرآني:
• دولة تربي شعبها على ثقافة التضرع واللجوء إلى الله عند الشدائد.
• دولة تحسن إدارة الأزمات لأنها تفهم سنن الله في الابتلاء.
• دولة تقوم على العدل فلا تدفع الناس إلى اليأس والقنوط، بل تفتح لهم أبواب الأمل والتوبة.

الامر الرابع

تطبيقات عملية في حياتنا اليومية
كيف نطبق الآية في حياتنا؟
1/ عند نزول المصيبة:
• نبادر بالدعاء: "اللهم إني أسألك حسن الخاتمة، وأعوذ بك من قسوة القلب".

- . نبحث عن الذنوب التي قد تكون سبباً.
- . نكثر من الاستغفار.
- 2. عند رفع البلاء:
- . نشكر الله ونعترف بفضلته.
- . لا ننسى درس البلاء فنعود أسوأ مما كنا.
- 3. في الرخاء:
- . نتضرع إلى الله، لا ندع الدعاء حتى ننساه.
- . نربي قلوبنا على الخشوع قبل الشدة.
- 4. في علاقاتنا الاجتماعية:
- . نذكر بعضنا بالرجوع إلى الله عند المصائب.
- . نعين بعضنا على الصبر والدعاء.

خاتمه

الآية 76 من سورة المؤمنون ليست مجرد خبر عن قوم مضوا، بل هي مرآة للنفس، وميزان للقلب، ومنهج حياة للأمة جمعاء. تعلمنا أن قسوة القلب هي أعظم مصيبة يمكن أن تصيب الإنسان، لأنها تحول بينه وبين الاستجابة لرسائل ربه. وتعلمنا أن البلاء ليس نهاية الطريق، بل هو بداية طريق جديد إذا أحسنا استقباله. فمن استكان لله وتضرع إليه، جعل من محنته منحة، ومن بلائه رحمة. نسأل الله أن يرزقنا قلوباً خاشعة، وألسناً ضارعة، وأعينا دامعة من خشيته، وأن يجعلنا ممن إذا ابتلا هم صبروا، وإذا أنعم عليهم شكروا، وإذا أذنبوا استغفروا. إنه سميع مجيب.

ثالثاً

تفسير الآية 77 من سورة المؤمنون
"حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ"

مقدمة: المشهد القرآني المهيّب

بعد أن رسمت الآيات السابقة صورة قاتمة لقلوب قاسية لا تلين، ونفوس متمردة لا تستكين، ونعم تترى لا تشكر، تأتي هذه الآية لتسد الستار على المشهد بضربة قاضية. إنها لحظة الحقيقة، لحظة المواجهة بين الغرور البشري والقدرة الإلهية، بين الأمانى الزائفة والواقع المرير. الآية ترسم ببضع كلمات مشهداً سينمائياً هائلاً: باب يُفتح، وعذاب ينهمر، وألسن تخرس، وآمال تتبدد، ونفوس تبلغ ذروة اليأس والإحباط. إنها صورة تستحق التأمل، وتحمل للبشرية جمعاء درساً لا يُنسى. نص الآية الكريمة: {حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ} [المؤمنون: 77]

الامر الاول

شرح المفردات اللغوية والمعاني الأساسية
حَتَّىٰ حرف ابتداء بمعنى "إلى أن" أو للغاية هنا تفيد انتهاء المدة والانتقال إلى مرحلة جديدة
فَتَحْنَا فتح الباب، أي جعلناه مفتوحاً كناية عن إنزال العذاب وإحلاله بهم
بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ باباً متصفاً بعذاب قوي عنيف العذاب الشديد: قيل هو القتل يوم بدر، وقيل عذاب الآخرة

إذا الفجائية تفيد المفاجأة والسرعة
هَمْ ضمير الكافرين تأكيد على حضورهم الكامل في المشهد
فِيهِ داخل ذلك العذاب دلالة على الانغماس والاحتواء
مُبْلِسُونَ من الإبلas، وهو اليأس والحيرة والسكوت من شدة الندم آيسون من كل خير، متحيرون لا يدرون ما يصنعون
ما معنى "الإبلas"؟

الإبلas حالة نفسية مركبة تجمع بين :

- . اليأس التام: انقطاع الرجاء من كل خير وفرج.
- . الحيرة والذهول: عدم القدرة على التفكير أو اتخاذ قرار.
- . السكوت المطبق: الخرس الذي يخيم على الألسنة من شدة الفاجعة.
- . الندم الموجع: التحسر على ما فات في وقت لا ينفع فيه الندم.
- . الانكسار الداخلي: تحطم النفس بعد طول كبرياء واستعلاء

الامر الثاني.

أغراض الآية وأهدافها الرئيسية
تأمل عاقبة الإعراض عن الهدى
الآية تدعو الإنسان إلى النظر في نهاية الذين أعرضوا عن دعوة الله واستكبروا عن عبادته. إنها صورة النهاية التي تنتظر كل متكبر جبار .
٢ / قوة العذاب المفاجئ الذي يقطع الآمال
الآية تركز على عنصر المفاجأة الذي يجعل العذاب أشد وقعاً وأعظم تأثيراً. إنه يأتي وهم في غفلة واطمئنان، فيقطع عليهم كل آمالهم .

٣/ تحذير الغافلين قبل فوات الأوان
الآية بمثابة صرخة إنذار لكل من يتمادى في غيه، تذكره بأن النهاية قريبة والباب قد يفتح في أي لحظة .

٤/ بيان خديعة الاستدراج
تكشف الآية عن حقيقة أن ما يعيش فيه الكافرون من نعم وأمان ليس دليل رضا، بل قد يكون استدراجاً يمهّد لعذاب مفاجئ .

٥/ كسر الغرور البشري
الآية تضع حداً لكل غرور، وتذكر الإنسان بحقيقته الضعيفة أمام قوة الله وبطشه.

الامر الثالث

الأفكار الرئيسية التي تتحدث عنها الآية

١/ سنة الاستدراج الإلهي
الآية تكشف عن سنة كونية: الفتح بالعذاب قد يسبقه فتح بالنعم. فمن يظن أن انفتاح الدنيا عليه دليل كرامة، قد يفاجأ بأنه انفتاح باب العذاب .

٢/ مفاجأة العذاب
عنصر البغته حاضر بقوة. العذاب لا يأتي بعد إنذار طويل في هذه المرحلة، بل يأتي وهم في قمة غفلتهم واطمئنانهم .

٣/ الانتقال من الأمل إلى اليأس
المشهد يرسم انتقالاً مأساوياً: من حالة الأمل والطموح إلى حالة البلس واليأس في لحظة واحدة .

٤/ عجز القوة البشرية
في لحظة العذاب تتهاوى كل القوى، ويظهر الإنسان على حقيقته الضعيفة العاجزة.

المفهوم الاول

ان اللمة البيانية العظمى التي تشد الانتباه هي : لماذا قال "فَتَحْنَا" ولم يقل "أغلقنا"؟
هذا السؤال هو مفتاح فهم جمال الآية وعمقها. لو تدبرنا لوجدنا أن اختيار كلمة "فَتَحْنَا" يحمل دلالات بالغة الدقة:

١/ التدرج من النعمة إلى النعمة
قبل هذه الآية، كانوا في نعم مفتوحة عليهم: "أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدَّهُمْ بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ" [المؤمنون: 55-56]. كان الله يفتح عليهم أبواب الدنيا، حتى إذا اغتروا وبطروا، فتح عليهم باب العذاب. نفس الفعل "فتح" ليربط بين المرحلتين .

٢/ الاستدراج (مكر الله)
الفتح هنا هو فتح استدراج، كما في قوله تعالى: "فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ" [الأنعام: 44] . هذا الربط مهم جداً: هو نفس الأسلوب، ونفس النتيجة (مبلسون)، مما يؤكد أن سنة الله واحدة.

٣/ السهولة واليسر
"فتحننا" توحى بأن العذاب ينزل عليهم بسهولة ويسر، كما يفتح الإنسان الباب ليدخل. لا يستطيعون منعه أو رده، فهو مفتوح أمامهم ولا مهرب منه.

٤/ التعميم والشمول
الباب المفتوح يعني أن العذاب محيط بهم من كل جهة، لا يستطيعون الإغلاق دونه.

٥/ مقابل فتح الدنيا
كانوا في فتح دنيوي (نعم، مال، بنون) فانخدعوا، فلما جاء الفتح الآخر (العذاب) أدركوا أن الأول كان خديعة. ولو قال "أغلقنا" لفات هذا المعنى البديع .

المفهوم الثاني

سر "باباً ذا عذاب شديد": ما هو هذا العذاب؟
اختلف المفسرون في تحديد هذا العذاب :
القول الأول: عذاب الدنيا (القتل يوم بدر)
قال ابن عباس ومجاهد: هو القتل يوم بدر . حيث سلط الله المسلمين على كفار قريش فقتلهم شر قتلة، وكان ذلك عذاباً شديداً لهم.

القول الثاني: عذاب الآخرة
قال آخرون: هو عذاب جهنم يوم القيامة، وهو الشديد حقاً .

القول الثالث: الموت
قيل: هو الموت الذي فجأهم.

الراجح
الآية تحتمل المعنيين معاً، فهي تشمل عذاب الدنيا (القتل والأسر) الذي كان مقدمة لعذاب الآخرة الأشد. وكلمة "شديد" توحى بأنه عذاب فوق المعتاد، لا طاقة لهم به .

المفهوم الثالث

دلالة "إِذَا هُمْ فِيهِ" (الفجائية والانغماس)

هذا التعبير يرسم لنا صورتين:

- ١ سرعة الوقوع: بمجرد الفتح يصبحون في داخله "إذا" الفجائية تفيد أن الأمر حدث بدون مقدمات وفي غمضة عين. بمجرد أن قُتِح الباب، إذا هم في وسطه. لا يوجد وقت للهرب أو التفكير أو التدارك. هذا يعلمنا أن العذاب الإلهي إذا جاء لا يؤخر.
- ٢ الانغماس التام: "فيه" وليس "عليه".
- "فيه" تدل على أنهم وسط العذاب، محاطون به من كل جانب، مغمورون فيه. ليس عذاباً خارجياً فقط، بل هو يحيط بهم ويغمر كيانه.

المفهوم الرابع

- صورة الإبلّاس: تحول العناد إلى يأس
الإبلّاس هو المشهد الختامي لهذه المأساة. إنه يمثل :
التحول النفسي الكبير
• قبل العذاب: كانوا في لجّاج وعناد وطغيان واستكبار.
• أثناء العذاب: تحولوا إلى مبلسين: يائسين، خرس، منكسرين، نادمين.
- ٢/ لماذا الإبلّاس تحديداً؟
لأنه يعكس حالة من الصدمة والانهيار الكامل:
• انهارت ثقتهم بأنفسهم.
• انهارت ثقتهم بقوتهم.
• انهارت ثقتهم بأموالهم وأولادهم.
• انهارت ثقتهم بكل شيء كانوا يعتمدون عليه.
- ٣/ مبلسون في الدنيا والآخرة
• في الدنيا: يوم بدر، أصابهم اليأس من النصر والغلبة.
• في الآخرة: يوم القيامة، يصيبهم اليأس من النجاة والرحمة.
- ٤/ كيف تتجنب عاقبة الإبلّاس؟
الآية تقدم لك طريق النجاة من هذا المصير:
* لا تنتظر فتح باب العذاب
بادر قبل أن يفتح الله عليك باباً لا يغلق. قال السعدي: "فليحذروا قبل نزول عذاب الله الشديد، الذي لا يرد".
- * افهم أن النعمة قد تكون استدراجاً
إذا رأيت نفسك في نعم وأنت مقيم على معصية، فاحذر أن يكون ذلك استدراجاً. قال ﷺ: "إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب، فإنما هو استدراج".
- * استجب لله قبل أن تحال بينك وبين الاستجابة
الاستكانة والتضرع (الآية السابقة) هما طريق النجاة. من استكان اليوم نجا غداً، ومن لم يستكن اليوم انتظرته المفاجأة.
- * كن من "المبلسين" في الدنيا ولكن بنوع آخر
الإبلّاس المذموم هو يأس من رحمة الله. لكن هناك إبلّاس محمود: أن تبلس نفسك أمام الله، أي تكسر كبرياءك وتذل له. هذا الإبلّاس هو الذي يقي من إبلّاس العذاب.

الامر الخامس

الدرس المستفاد:

الدرس الاول :- مراجعة علاقتنا مع الله

- ١/ سرعة التوبة: لا تؤجل
الآية تدعوك إلى المبادرة الفورية بالتوبة. لأنك لا تدري متى يُفتح باب العذاب. الفرصة متاحة الآن، فاعتنمها قبل فوات الأوان.
- ٢/ عدم الاغترار بالدنيا
لا تنظر إلى من أغدقت عليهم الدنيا فتحسدتهم. ربما هم في مرحلة استدراج. "أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ * نَسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخِزَاةِ" ٥٥ بل لا يشعرون [المؤمنون: 55-56].
- ٣/ اليقين بعظمة العذاب
استحضار عظمة العذاب الإلهي يدفع الإنسان إلى الخشية والمراقبة. المؤمن الحق يخاف من هذه المفاجأة.
- ٤/ تحويل النعم إلى شكر
عندما ترى النعم متوالية، اسأل نفسك: هل أنا شاكر أم غافل؟ هل هي نعم تستوجب الشكر أم استدراج يمهّد للنقمة؟

الدرس الثاني

- كيف تواجه الأزمات وتستعد قبل وقوعها؟
الآية تعلمنا منهجاً استباقياً في مواجهة الأزمات:
١/ التقاط الإشارات المبكرة

قبل العذاب الشديد كانت هناك آيات وإنذارات: الرسل، القرآن، المصائب الصغيرة. من يلتقط هذه الإشارات ويتعظ بها، ينجو من العذاب الكبير.
٢/ الاستعداد قبل أن يغلق الباب) أو يفتح!
الباب هنا قُتِح عليهم بالعذاب. الاستعداد يكون قبل هذا الفتح: بالعمل الصالح، والتوبة، والإقلاع عن الذنوب.

٣/ السباق بالعمل الصالح
الآية تدعو إلى المسارعة في الخيرات قبل أن يحال بينك وبينها.
٤/ مراجعة المسار باستمرار
لا تنتظر حتى تأتيك الصدمة لتراجع حياتك. راجع نفسك يومياً، أسبوعياً، شهرياً. هل أنت على الطريق الصحيح؟

الدرس الثالث

تنمية الوعي واليقظة لدى الإنسان
الآية تعمل على تنمية اليقظة الدائمة في نفس المؤمن:
١/ استشعار قرب وعيد الله
المؤمن لا يشعر بالأمان من مكر الله أبداً. قال تعالى: "فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ" [الأعراف: 99].

٢/ عدم الركون إلى الدنيا
الآية تحطم أي شعور بالاستقرار الدنيوي. لا شيء مستقر، ولا شيء مضمون. الباب قد يفتح في أي لحظة.

٣/ النظر في عواقب الأمم السابقة
النظر في مصير المكذبين السابقين يزيد اليقظة ويحفز على الاعتبار.

الدرس الرابع

تربية المسلم على مواجهة الأزمات
الآية تقدم للمسلم منهجاً متكاملًا في التعامل مع الأزمات:
مرحلة ما قبل الأزمة (الاستعداد)
• العمل الصالح: الذخيرة الحقيقية للأزمات.
• التوبة النصوح: تنظيف الماضي قبل حلول الجديد.
• اليقظة الدائمة: لا تغفل، فالحدث قد يأتي بغتة.
مرحلة الأزمة (التعامل)
• استشعار أن هذا من عند الله: "فَتَحَنَّنَا" أي أن الله هو الفاعل.
• التفكير في الرسالة: لماذا هذا العذاب؟ ما الدرس؟ ما الذنب؟
• العودة إلى الله: التضرع والاستكانة (الآية السابقة).
مرحلة ما بعد الأزمة (التعلم)
• الاعتبار وعدم العودة.
• تحويل المحنة إلى منحة.
• بناء مناعة أقوى للمستقبل.

الدرس السادس

دور الآية في بناء الإنسان والحضارة

١/ بناء الإنسان الواعي
الآية تخرج إنساناً:
• يقظاً لا يغتر بالدنيا.
• متواضعاً لا يستكبر عن الحق.
• متبصراً يقرأ الأحداث ويعتبر.
• مستعداً للمستقبل.
٢/ بناء المجتمع المتعظ
مجتمع يقرأ هذه الآية ويتدبرها:
• مجتمع ناقد لذاته: لا ينتظر المصائب ليراجع نفسه.
• مجتمع متضامن: يحذر بعضه بعضاً من الغفلة.
• مجتمع متعلم: يستفيد من أخطاء الماضي.
٣/ بناء الحضارة المتوازنة
الحضارة التي تبنيها هذه الآية:
• حضارة لا تأمن مكر الله، فلا تطغى ولا تستكبر.
• حضارة تعتبر بالتاريخ، فلا تكرر أخطاء السابقين.
• حضارة تضع الآخرة نصب عينها، فلا تفسدها الدنيا.

الدرس السابع

تزويد الإنسان بالمهارات الحياتية اللازمة

الآية تزود الإنسان بمهارات عملية:

المهارة كيف تغرسها الآية؟

التفكير الاستباقي تدفعك للتفكير في المستقبل والاستعداد له قبل وقوعه

قراءة الإشارات المبكرة تذكرك بأن هناك إنذارات قبل العذاب، فعليك التقاطها

إدارة المخاطر تعلمك أن الحياة لا تخلو من مخاطر، فعليك الاستعداد

التخطيط للمستقبل تحثك على العمل الصالح كاستثمار للمستقبل

المرونة النفسية تعدك لمواجهة الصدمات بقوة وإيمان

اتخاذ القرار السريع تعلمك أن الفرص قد لا تتكرر، فعليك المبادرة

التعلم من الأخطاء قصص السابقين دروس يجب استخلاصها

الدرس السابع

قوة الآية في التربية الروحية والنفسية

١/ علاج الغرور

الآية تكسر غرور الإنسان وتذكره بحقيقته الضعيفة. من يقرأها يشعر بهشاشته أمام قوة الله.

٢/ علاج التسويف

"حَتَّىٰ إِذَا" تفيد أن الغفلة قد تطول، ثم تأتي المفاجأة. هذا يقتل التسويف ويدفع للعمل الفوري.

٣/ علاج اليأس

العجيب أن الآية التي تتحدث عن اليأس (الإبلاس) تعالج اليأس! كيف؟

. لأنها تحذر من اليأس الذي يأتي بعد فوات الأوان.

. فتدفع الإنسان إلى عدم الوصول لتلك المرحلة بالعمل المبكر.

. فالمؤمن لا ييأس، لكنه يعمل قبل أن يحال بينه وبين العمل.

٤/ تعزيز التفاؤل والعمل

الآية تدفع للتفاؤل المشروط بالعمل:

. متفائل برحمة الله، لكنه لا يأمن مكره.

. يعمل للدنيا، لكنه لا يغتر بها.

. يخطط للمستقبل، لكنه يعلم أن الأمر بيد الله.

خاتمه عبره الآيه في حياتنا اليومية

الآية 77 من سورة المؤمنون ليست مجرد خبر تاريخي عن قوم مضوا، بل هي مرآة ناصعة لكل

إنسان في كل زمان:

. إذا رأيت نعمًا متوالية، فاحذر أن تكون استدراجًا، واسأل نفسك: هل أنا من الشاكرين أم من

الغافلين؟

. إذا شعرت بالأمان والاطمئنان، فتذكر أن المفاجأة قد تأتي في أي لحظة، فأعد عدتك.

. إذا رأيت ظالمًا متمتعًا، فلا تحسد حاله، فربما باب العذاب يفتح له في أي وقت.

. إذا أبطأت في التوبة، فتذكر أن الباب قد يفتح وأنت على غفلة، فتتفاجأ ولا ينفع الندم.

الآية نداء استيقاظ لكل نائم، وصفعة أمل لكل يائس، وتذكرة لكل غافل، وبشرى لكل عامل. نسأل الله

أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن يختم لنا بالحسنى، وألا يفاجئنا بعذابه ونحن

غافلون.

رابعًا :-

تفسير الآية 78 من سورة المؤمنون

"وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ"

مقدمة: الانتقال من مشاهد العذاب إلى مناظر النعم

بعد أن رسمت الآيات السابقة مشاهد قاسية للعذاب المهلك الذي فاجأ الكافرين فإذا هم فيه مبلسون

يائسون، تأتي هذه الآية لتأخذنا في رحلة تأملية عميقة إلى داخل ذواتنا. إنها دعوة للتفكير في أعظم

نعمة يملكها الإنسان: أدوات الإدراك التي بها يعي ويشعر ويتفاعل. إنها وقفة مع الذات قبل فوات الأ

وان، مع هذه الحواس التي نستخدمها كل يوم دون أن نتأمل في عظمتها وفي المسؤولية الملقاة

على عاتقنا بسببها.

الآية تنتقل بنا من مشهد العذاب الخارجي إلى مشهد النعمة الداخلية، لعل القلوب القاسية تلين، ولعل

النفوس المتمردة ترجع إلى رسلها.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [المؤمنون: 78]

الامر الاول

شرح المفردات اللغوية والمعاني الأساسية

أنشأ أوجد وخلق وابتدع من العدم خلق لكم هذه الحواس بقدرته وحكمته

السَّمْعَ حاسة الأذن التي تدرك بها الأصوات أسمعكم لتدركوا به المسموعات فتنتفعوا في دينكم

ودنياكم

الأَبْصَارَ جمع بصر، وهو حاسة العين التي تدرك بها المرئيات أبصاركم لتبصروا بها المبصرات فتنتفعوا

بها في مصالحكم
الأفئدة جمع فؤاد، وهو القلب والعقل معاً العقول التي تدركون بها الأشياء وتتميزون بها عن البهائم
قليلاً ما تشكرون شكرًا قليلاً ما تفعلونه تأكيد على قلة شكر الناس لهذه النعم العظيمة

الامر الثاني

أغراض الآية ومقاصدها الرئيسية
١/ تذكير الإنسان بأصل خلقه ونشأته
الآية تفتح أمام الإنسان نافذة على بداياته الأولى، وتذكره بأنه لم يوجد نفسه بنفسه، بل الله هو
الذي أنشأه وأوجده من العدم، ووهبه هذه الحواس التي بها يعيش ويدرك .
٢/ بيان مصدر هذه النعم العظيمة
في خضم الجدل حول الألوهية والوحدانية، تأتي الآية لتؤكد أن الله وحده هو المنشئ لهذه الحواس
، لا أحد سواه. وهي حجة دامغة على منكري البعث، فمن أنشأ أولاً قادر على الإعادة .
٣/ تحويل الأنظار إلى آيات الله في الأنفس
بعد أن تحدثت الآيات السابقة عن آيات الله في الأفاق (العذاب والاستدراج)، تنتقل إلى آيات الله في
الأنفس، ليتأمل الإنسان في ذاته ما يدل على عظمة خالقه .
٤/ عتاب الإنسان على قلة شكره
الآية تختم بعتاب لطيف ولكن عميق: "قليلاً ما تشكرون". إنه تذكير بأن الإنسان مقصر في حق ربه،
رغم توالي النعم عليه .
٥/ تحميل الإنسان مسؤولية هذه الحواس
الآية تمهد لمسؤولية كبرى: هذه الحواس ليست مجرد أدوات للمتعة، بل هي وسائل للابتلاء والاختبار،
وكل حاسة مسؤول عنها صاحبها .

الامر الثالث

الأفكار الرئيسية التي تتحدث عنها الآية
١/ دلالة الإنشاء التكويني: خلق الحواس من العدم
الآية تبدأ بفعل "أنشأ" الذي يحمل في طياته معنى الإبداع والخلق من العدم. هذا الفعل يشير إلى أن
هذه الحواس لم توجد صدفة، ولم تنشأ بتطور عمياء، بل هي صنعة إلهية محكمة .
الله لم يخلق هذه الحواس عبثاً، بل خلقها لغاية عظيمة. كل حاسة لها وظيفة محددة تؤديها، وهي
تعبيد الله بالقيام بهذه الوظيفة على الوجه الذي يرضيه .
٢/ وظيفة هذه الحواس: لماذا خلقها الله؟
أ. السمع: بوابة العلم الأول
السمع هو أول حاسة تعمل في الإنسان، حيث يبدأ الجنين بسماع الأصوات وهو في بطن أمه في
الشهر الخامس . وظيفته:
• إدراك الأصوات والكلمات.
• تلقي الوحي والرسالات.
• التعلم واكتساب اللغة والمعرفة.
ب. الأبصار: نافذة على العالم
البصر يبدأ بالعمل بعد الولادة بمرحلة، وهو وسيلة:
• رؤية آيات الله في الكون.
• التأمل في المخلوقات.
• التفاعل مع العالم المحيط.
ج. الأفئدة: مركز الإدراك والتمييز
الفؤاد هو العقل والقلب معاً، ووظيفته:
• التفكير والتدبر في الآيات.
• التمييز بين الحق والباطل.
• الفهم والعقل الذي يميز الإنسان عن الحيوان.
٣/ لماذا خص الله هذه الحواس الثلاث دون غيرها؟
الآية لم تذكر باقي الحواس كالشم واللمس والذوق، وخصت بالذكر السمع والبصر والفؤاد، وذلك لأن:
• السمع والبصر هما بوابة المعرفة الأساسية: أكثر ما يصل إلى القلب والعقل من معلومات يأتي عبر
هاتين الحاستين.
• الفؤاد هو المصنع الذي يعالج هذه المعلومات: السمع والبصر يجلبان المواد الخام، والفؤاد يصنع منها
المعرفة والإيمان.
• هذه الثلاثة هي محل التكليف والمسؤولية: بها يكون الإيمان أو الكفر، الطاعة أو المعصية.
٤/ سر تقديم السمع على البصر في القرآن
الآية قدمت السمع على البصر، وهذا الترتيب يتكرر في معظم آيات القرآن، وله حكم عظيمة:
أ. الحكمة التكوينية (في الخلق):
• السمع يبدأ عمله في الجنين قبل البصر بأشهر طويلة.

• الطفل يسمع قبل أن يرى، بل إن سماعه للأصوات وهو في الرحم يساعد في نمو جهازه العصبي.
ب. الحكمة الوظيفية:

• السمع يعمل في جميع الاتجاهات) أمام، خلف، يمين، يسار، فوق، تحت (وفي الظلام والنور.
• البصر لا يعمل إلا في اتجاه واحد وفي وجود الضوء.

ج. الحكمة في تلقي الهداية:

• الإيمان يبدأ غالباً بالسمع) سماع القرآن، سماع الدعوة (قبل الرؤية.
• كثير من الناس آمنوا بمجرد سماع القرآن دون أن يروا معجزة بصرية.

د. الإعجاز اللغوي:

السمع يأتي مفرداً (الستمع) بينما الأبصار تأتي جمعاً (الأبصار)، لأن:
• السمع يدرك صوتاً واحداً في اللحظة الواحدة.
• البصر يدرك آلاف المرئيات في اللحظة الواحدة، فكأنه جمع من الحواس.
هـ/العلاقة التكاملية بين السمع والبصر والفؤاد
هذه الثلاثة تعمل معاً في منظومة متكاملة للوصول إلى الهداية الكاملة:

الحاسة دورها مثال

السمع يتلقى الآيات المسموعة (القرآن، الذكر) "وَإِذَا تَنَلَّاهُمُ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا"
البصر يتأمل الآيات المرئية (الكون، المخلوقات) "سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ"
الفؤاد يعقل ويتدبر ويستنتج ويؤمن "إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ"
فلا هداية كاملة بدون تكامل هذه الثلاثة. ومن عطل واحدة منها فقد عطل طريقاً من طرق الهداية .
اللمسات البيانية والبلاغية والتجويدية في الآية

١/ اللمسات البيانية

أ. التعبير بـ "أنشأ" بدل "خلق"

"أنشأ" تفيد الإبداع والإنشاء من العدم، مع لمسة من التدرج والرعاية، كما ينشأ النبات وينمو. وهذا أنسب لأن الحواس تنمو وتتطور مع الإنسان .

ب. اللام في "لكم"

اللام للتعليل والمنفعة، أي خلق هذه الحواس لأجلكم ولصالحكم ولخدمتكم، لا لحاجة منه سبحانه إليها .

ج. تقديم السمع على البصر

كما شرحنا سابقاً، هذا التقديم يحكم بالغة تكوينية ووظيفية وتربوية .

د. إفراد السمع وجمع الأبصار

السمع مفرد لأنه يدرك جنساً واحداً هو الصوت، والأبصار جمع لأنها تدرك أشتاتاً من المرئيات المختلفة .

هـ. التنكير في "قليلاً"

"قليلاً" نكرة للتقليل والتقليل من شأن هذا الشكر، أي شكراً قليلاً " جداً في مقارنة مع عظمة النعم .

و. "ما" الزائدة للتوكيد

في "قليلاً ما تشكرون" جاءت "ما" لتؤكد قلة الشكر وتقرررها .

٢ اللمسات البلاغية

أ. أسلوب الامتنان

الآية جاءت بأسلوب الامتنان، وهو أسلوب يحرك المشاعر ويستجيش العواطف لشكر المنعم.

ب. الانتقال من التهديد إلى التذكير

بعد آيات العذاب الشديدة، جاءت هذه الآية كاستراحة تأملية، وهذا من فنون الانتقال في القرآن.

ج. العتاب اللطيف

"قليلاً ما تشكرون" عتاب ولكن بصيغة فيها رحمة وتذكير.

٣ اللمسات التجويدية

أ. تفخيم لفظ الجلالة "وهو"

التفخيم يعطي إيحاءً بعظمة من أنشأ هذه الحواس.

ب. مد السمع والأبصار والأفئدة

المد في هذه الكلمات يعطي فرصة للتأمل في كل نعمة على حدة.

ج. السكون في "قليلاً"

السكون يعطي إيحاءً بالسكون والهدوء الذي ينبغي أن يصاحب التأمل.

د. الوقف على "تشكرون"

الوقف هنا للتنفس وللتأمل في قلة الشكر، وكأن الآية تترك المجال للمستمع ليفكر في نفسه.

أهم المفاهيم والدروس

المفهوم الأول

مسؤولية الحواس: لماذا ورد هذا التسلسل؟

الآية تضع الإنسان أمام مسؤولية كبرى: هذه الحواس التي منحك الله إياها ستكون محل سؤال

ومسألة. قال تعالى في آية أخرى: "إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا" [الإسراء: 36]. ما هي هذه المسؤولية؟ الحاسة المسؤولية السؤال يوم القيامة السمع ماذا سمعت؟ هل سمعت الحق فأمنت به أم سمعت الباطل فاتبعته؟ فيم استعملت سمعك؟ البصر ماذا رأيت؟ هل نظرت إلى آيات الله فتدبرتها أم نظرت إلى المحرمات فانتهكتها؟ فيم استعملت بصرك؟ الفؤاد ماذا عقلت وفكرت؟ هل فكرت في قدرة الله وعظمته أم فكرت في المعاصي والمحرمات؟ فيم استعملت عقلك وقلبك؟ فالسمع مسؤول عن كل كلمة سمعها، والبصر مسؤول عن كل نظرة نظرها، والفؤاد مسؤول عن كل فكرة خطرت به .

المفهوم الثاني

"قليلًا ما تشكرون": لماذا وصف الشكر بالقلة؟
١/ معنى الشكر المطلوب
الشكر ليس مجرد قول "الحمد لله" باللسان، بل هو ثلاثة أركان:
• اعتراف القلب بأن النعمة من الله.
• ثناء اللسان بحمد المنعم.
• استعمال الجوارح في طاعة الله.
٢/ لماذا شكرنا قليل؟
• لكثرة النعم: نعم الله لا تعد ولا تحصى، فكيف يمكن للبشر أن يشكروها كلها؟
• لتقصيرنا: نحن نقصر في حق الله رغم توالي نعمه.
• لكفران الكثيرين: أكثر الناس في هذه الحياة كافرون بوحداية الله، فشكرهم منعدم أصلاً .
٣/ هل النعم ضرورية فليس عليها شكر؟
قد يقول قائل: السمع والبصر ضروريات للحياة، فلماذا نشكر عليها؟ والإجابة :
• النعم ليست واجبة على الله: الله لم يكن ملزماً بخلقك أو بإعطائك هذه الحواس، فهو يفعل ما يشاء.
• كان يمكن أن يخلقك بدونها: كم من إنسان خلق فاقداً للسمع أو البصر أو العقل.
• مجرد وجودك نعمة: هبة الحياة في ذاتها نعمة تستحق الشكر.
• الدوام نعمة أخرى: قد يخلقك الله سميعاً ثم يسلبك السمع، فدوام النعمة نعمة مستقلة.
قال ابن كثير: "وما أقل شكركم لله على ما أنعم به عليكم".

المفهوم الثالث

كيف نحول استخدام الحواس إلى شكر عملي؟
١/ شكر نعمة السمع
• استماع القرآن: قال تعالى: "وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ" [الأعراف: 204].
• استماع العلم النافع: مجالس الذكر والعلم.
• غرض السمع عن المحرمات: كالغيبة والنميمة والغناء المحرم.
• التفكير في عظمة الخلق: سماع أصوات الطبيعة التي تسبح بحمد الله.
٢/ شكر نعمة البصر
• النظر في آيات الله الكونية: قال تعالى: "أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِلَهِ كَيْفَ خَلَقَ" [الغاشية: 17].
• قراءة القرآن والمصحف: النظر في كتاب الله عبادة.
• غرض البصر عن المحرمات: قال تعالى: "قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَحْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ" [النور: 30].
• التأمل في جمال الخلق: رؤية المخلوقات تذكّر بعظمة الخالق.
٣/ شكر نعمة الفؤاد
التفكير والتدبر: قال تعالى: "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ" [آل عمران: 190].
• العلم النافع: تعلم ما ينفع في الدين والدنيا.
• حفظ الفكر من الوسواس: عدم الانشغال بما لا يفيد.
• توحيد الله وإخلاص العبادة: أعظم استعمال للعقل.

المفهوم الرابع

التطبيقات العملية للآية في حياتنا
١/ التطبيق الأول: الاستخدام الواعي للحواس
الآية تدعونا إلى أن نكون واعين لحواسنا، لا أن نستخدمها استخداماً سطحياً. كيف؟
• قبل أن نسمع، اسأل نفسك: هل هذا الكلام يرضي الله؟
• قبل أن ننظر، اسأل نفسك: هل هذه النظرة حلال أم حرام؟
• قبل أن تفكر، اسأل نفسك: هل هذا الفكر يقربني إلى الله أم يبعدني؟
٢/ التطبيق الثاني: تفعيل العقل في التخطيط النافع

- الفؤاد (العقل) أعظم نعمة، وعليها استخدامه في:
- التخطيط للدنيا: العمل والكسب الحلال، تنظيم الوقت، إدارة الموارد.
- التخطيط للآخرة: التفكير في الموت وما بعده، الاستعداد بالعمل الصالح.
- التفكير في آيات الله: النظر في الكون يؤدي إلى زيادة الإيمان.
- ٣/ التطبيق الثالث: تحويل الحواس إلى أدوات إيمان
- كيف نجعل من أعيننا وآذاننا وقلوبنا مصانع للإيمان؟
- السمع: استمع لآية تزيدك إيماناً.
- البصر: انظر إلى خلق يذكرك بعظمة الخالق.
- الفؤاد: اجمع الاثنين معاً ليزداد يقينك.

المفهوم الخامس

- دور الآية في تنمية الشعور بعظمة الإنشاء الخلق
- الآية تدفع الإنسان إلى التأمل في هذه الحواس التي هي أقرب شيء إليه:
- كيف يزداد خشوعي بهذا التأمل؟
- 1. أتأمل في عيني: هاتان الكرتان الصغيرتان كيف ترى هذا العالم الواسع؟ كيف تميز الألوان والأشكال؟ من الذي ركبها بهذه الدقة؟
- 2. أتأمل في أذني: هذه الغضاريف الصغيرة كيف تلتقط آلاف الأصوات وتحولها إلى إشارات يفهمها الدماغ؟
- 3. أتأمل في عقلي: هذا العقل الذي يفكر ويخطط ويبتكر، من الذي منحني إياه؟ كلما تعمقت في هذا التأمل، ازدادت خشوعاً لله، وازددت يقيناً بعظمته وقدرته .

المفهوم السادس

- دور الآية في بناء الإنسان والمجتمع المستقيم
- ١. بناء الإنسان
- الآية تبني إنساناً:
- شكوراً: يعرف قدر النعم فيشكر.
- مسؤولاً: يدرك أن كل حاسة مسؤول عنها.
- متفكراً: يتأمل في خلق الله فيزداد إيماناً.
- متزناً: لا يطفئ باستعمال الحواس في المعصية.
- ٢. بناء المجتمع
- المجتمع الذي يقرأ هذه الآية ويتدبرها:
- مجتمع الشكران لا الكفران: أفرادهم يشكرون النعم فيدومها الله.
- مجتمع الفضيلة: لأن أفرادهم يراقبون أبصارهم وأسماعهم.
- مجتمع العلم: لأنه يستعمل عقله في التفكير والتدبر.
- مجتمع الإتقان: لأنه يستعمل حواسه فيما يرضي الله.
- ٣. بناء الحضارة
- الآية تقدم للحضارة:
- منهجاً تجريبياً للاستدلال: فالنظر في الكون يؤدي إلى معرفة الخالق.
- رؤية جمالية للوجود: رؤية جمال الله وحسن إحسانه في كل مخلوق.
- توازناً بين المادة والروح: استعمال الحواس للمادة (العمل) وللروح (العبادة).

المفهوم السابع

- تنمية العقل البشري بالمنهج التجريبي القرآني
- الآية تفتح أمام العقل البشري آفاقاً واسعة للاستدلال على الغيبيات:
- المنهج التجريبي في القرآن
- 1. الملاحظة: استخدام البصر لرؤية الكون.
- 2. الاستماع: استخدام السمع لتلقي الوحي.
- 3. التفكير: استخدام الفؤاد للربط والاستنتاج.
- 4. الاستدلال: الوصول إلى معرفة الخالق من خلال المخلوق.
- قال تعالى: "سَتَرْنَاهُمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ" [فصلت: 53].

خاتمة: الآية نداء اليقظة

- الآية 78 من سورة المؤمنون هي نداء يقظة للإنسان الغافل، ودعوة تأمل للنفس الالهية، وتذكير بـ المسؤولية لكل من يملك سمعاً وبصراً وفؤاداً.
- إنها تقول لكل إنسان: توقف لحظة، تأمل في نفسك، في عينيك، في أذنك، في عقلك. من الذي أعطاك هذه النعمة؟ هل شكرته عليها؟ أم استعملتها في معصيته؟
- نسأل الله أن يجعلنا من الشاكرين، وأن يرزقنا استعمال هذه الحواس في طاعته، وأن يجعل السمع و البصر والفؤاد حجة لنا لا علينا، وأن يتقبل منا قليل الشكر ويعفو عن كثير التقصير.

خامساً

تفسير الآية 79 من سورة المؤمنون
"وَهُوَ الَّذِي تَرَأَوْنَ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ"
مقدمة: من نعم الحواس إلى نعمة الوجود والانتشار
بعد أن وقفنا في الآية السابقة (78) أمام نعمة السمع والبصر والفؤاد، وتأملنا في قلة شكر الإنسان لهذه النعم العظيمة، تأتي هذه الآية لتأخذنا في رحلة تأملية أوسع: من عالم الحواس الداخلي إلى عالم الوجود الخارجي. إنها تنتقل بنا من التأمل في خلق الحواس إلى التأمل في خلق الإنسان نفسه وبثه في الأرض، ثم تختتم بربط هذه النشأة الأولى بالغاية النهائية: الحشر إلى الله.
الآية تضع الإنسان على مفترق طرق: بين أصل الخلق (ذراكم في الأرض) ومصير العودة (وإليه تحشرون). وهذا الربط العجيب هو ما يجعل المؤمن يعيش في الدنيا بقلب معلق بالآخرة.
نص الآية الكريمة

﴿وَهُوَ الَّذِي تَرَأَوْنَ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المؤمنون: 79]

شرح المفردات اللغوية والمعاني الأساسية

تَرَأَوْنَ خلقكم وبثكم ونشركم وفرقكم في الأرض [المعجم الوسيط] أنشأكم وأوجدكم وفرقكم في أقطار الأرض وجهاتها
في الأرض ظرف مكان جعلكم تعمرون الأرض وتستقرون فيها
تُحْشَرُونَ تجمعون وتساقون تبعثون من قبوركم وتجمعون للحساب والجزاء
تحليل دقيق لمفهوم "الذرة"
كلمة "تَرَأَوْنَ" تحمل في طياتها معاني متعددة تتجاوز مجرد الخلق:
1. الخلق والإنشاء: أصل الذرة هو الإيجاد والخلق.
2. البث والانتشار: تفيد توزيع البشر في أرجاء الأرض، وعدم حصرهم في بقعة واحدة.
3. التكثير والتناسل: تتضمن معنى التكاثر والتناسل عبر الأجيال.
4. التمكين والتسليط: تفيد تمكين الإنسان من الأرض وتسخيرها له.
هذه الكلمة وحدها ترسم صورة متكاملة: الله خلق الإنسان، ثم بثه في الأرض، وكثره ومكنه منها، وسخر له ما فيها.

مقاصد الآية وأهدافها الرئيسية

١. بيان قدرة الله في الخلق والانتشار
الآية تلفت الأنظار إلى مشهد عظيم: هذا التنوع البشري الهائل في الألوان واللغات والأجناس، المنتشر في كل بقاع الأرض، كله من خلق إله واحد. إنها دعوة للتأمل في قدرة الخالق الذي أوجد هذا التنوع من أصل واحد.
٢. الاستدلال على وحدانية الله
الآية تقدم دليلاً عقلياً على وحدانية الله: الذي خلق كل هؤلاء البشر ونشرهم في الأرض هو وحده المستحق للعبادة، لا الأصنام التي لا تخلق شيئاً.
٣. الاستدلال على البعث والنشور
الآية تربط بين الخلق الأول والبعث الثاني: الذي قدر على خلقكم ونشركم في الأرض أول مرة، قادر على جمعكم وإعادةكم للحساب.
٤. تحقيق التوازن بين الدنيا والآخرة
الآية تضع الإنسان في موقعه الصحيح: هو في الأرض يعمرها، ولكن قلبه متعلق بالآخرة حيث المصير النهائي.
٥. تذكير الإنسان بمسؤوليته
الانتشار في الأرض ليس عبثاً، بل هو تكليف ومسؤولية، يتبعها حساب وجزاء.

الأفكار الرئيسية والمفاهيم الأساسية

المفهوم الأول

دلالة الذرة والبث: تنوع البشر وتكثيرهم
الآية تشير إلى حقيقة ديموغرافية كبرى: الله هو الذي بث البشر في الأرض ونشرهم فيها. هذا يحمل دلالات عميقة:
أ. وحدة الأصل وكثرة الفروع: كل هذا التنوع البشري يلتقي في أصل واحد، وهو الخلق من الله. قال تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ" [النساء: 1].
ب. سنن التكاثر والانتشار: الله جعل في الإنسان القدرة على التناسل والتكاثر والانتشار في الأرض.
ج. الحكمة من الاختلاف: الاختلاف بين البشر ليس عبثاً، بل هو آية من آيات الله، ووسيلة للتعارف والتكامل.

المفهوم الثاني

نعمة المكان: الأرض مستقر ومعاش
الآية تذكرنا بنعمة عظيمة قد تغفل عنها: الأرض التي جعلها الله مستقراً لنا. يقول السعدي: "وجعلها كافية لمعاشكم ومساكنكم". وهذا يشمل:
• السكن والاستقرار: الأرض التي تمشي عليها وتأوي إليها.

- المعاش والرزق: ما تخرجه الأرض من طعام وشراب وما فيها من كنوز ومنافع.
- التمكين والتسليط: سلطكم على استخراج مصلحتها ومنافعها.

المفهوم الثالث

- حتمية البعث: وإليه تحشرون
- ختم الآية بقوله "وإليه تحشرون" يحمل قوة رهيبة في التأثير:
- أ. التهديد والوعيد: تقديم الجار والمجرور "وإليه" يفيد الحصر، أي إليه وحده تحشرون لا إلى غيره، وهو تعريض بالتهديد بأنهم محشورون إلى الله فيجازيهم .
- ب. الرد على منكري البعث: الذي قدر على الخلق الأول قادر على الإعادة. والجمع بعد التفرقة أسهل من الإنشاء الأول .
- ج. طباق بديع: قال ابن عاشور: "وقبول الذرة بضده وهو الحشر والجمع، فإن الحشر يجمع كل من كان على الأرض من البشر. وفيه محسن الطباق".

المفهوم الرابع

- ٤. العلاقة بين الآية 79 والتي قبلها) قليلا ً ما تشكرون)
- الآية السابقة انتهت بقوله: "قليلا ً ما تشكرون". هذه الآية تأتي لتؤكد أن الشكر المطلوب لا يقتصر على شكر نعم الحواس فقط، بل يشمل أيضاً:
- شكر نعمة الوجود: أن أوجدك الله من العدم.
- شكر نعمة الانتشار: أن جعلك في هذه الأرض تعيش وتنقل.
- شكر نعمة الاستخلاف: أن مكنك في الأرض وسخرها لك.
- شكر نعمة الرجوع: أن أعدك للقاءه وجعل لك مصيراً.
- فمن شكر هذه النعم، آمن بالله واستقام على أمره، ومن كفرها، أنكر البعث وعاش في الدنيا كمن لا مصير له.

اللمسات البيانية والبلاغية والتجويديه ودلالاتها على هذه المفاهيم

- ١. اللمسات البيانية
- أ. التعبير بـ "ذُرَأُكُمْ"
- اختيار هذه الكلمة بالذات يحمل دلالات:
- توحى بالخلق مع الكثرة والانتشار والتكثير.
- فيها إشارة إلى أن الله لم يخلق الإنسان فرداً واحداً، بل خلقه ليتكاثر وينتشر.
- ب. "في الأرض" نكرة
- تكثير الأرض لتعميم الأماكن والأزمان، فالله ذرأكم في كل أرض، وفي كل زمان.
- ج. تقديم الجار والمجرور "وإليه"
- التقديم يفيد الحصر والاختصاص، أي إليه وحده تحشرون، وهذا تهديد ووعيد .
- د. الفعل المبني للمجهول "تحشرون"
- للدلالة على أن الحشر أمر لا مفر منه، وأن الله هو الفاعل وإن لم يذكر.
- ٢. اللمسات البلاغية
- أ. الطباق البديعي
- بين الذرة (التفريق والانتشار) والحشر (الجمع والضم). هذا الطباق يرسم الصورة كاملة: بدأت بالتفرق وتنتهي بالاجتماع .
- ب. المقابلة
- قابل بين الخلق في الأرض والحشر إليه، وهذا يقابل بين بداية الرحلة ونهايتها.
- ج. الاستدلال العقلي
- الآية تقدم استدلالاً ً منطقياً: من قدر على خلقكم ونشركم أول مرة، قادر على جمعكم ثانية .

٣. اللمسات التجويدية

- أ. تفخيم "ذُرَأُكُمْ"
- التفخيم في الذال والراء يعطي إيحاءً بقوة الخلق وعظمته.
- ب. مد الألف في "ذُرَأُكُمْ"
- المد يعطي فرصة للتأمل في معنى الذرة والانتشار.
- ج. السكون في "في الأرض"
- السكون يعطي إيحاءً بالاستقرار والسكن.
- د. التفخيم في "تحشرون"
- التفخيم يوحي بعظمة يوم الحشر وجلاله.
- هـ. الوقف على "تحشرون"
- الوقف هنا للتأمل في المصير النهائي، وكأن الآية تترك المجال للتفكير.

الاسلوب القرآني في مخاطبة القلب والعقل

- الآية تستخدم أسلوباً يجمع بين خطاب القلب وخطاب العقل:
- ١. خطاب العقل (المنطق)

- الاستدلال بالخلق على الخالق: من خلقكم ونشركم في الأرض؟ إنه الله، فكيف تشركون به غيره؟
- الاستدلال بالأول على الثاني: من قدر على الخلق الأول يقدر على الإعادة.
- ٢. خطاب القلب المشاعر
- الامتنان: تذكير بنعمة الوجود والانتشار في الأرض.
- التهديد: التذكير بيوم الحشر والعودة إلى الله.
- التأمل: دعوة للتفكير في تنوع البشر واختلافهم.
- هذا المزيج بين العقل والقلب هو ما يجعل الآلة قادرة على الوصول إلى أعماق النفس البشرية وإحداث الاستجابة المطلوبة.

الدرس من الآيه والمفاهيم

الدرس الأول

- مفهوم الاستخلاف في الأرض: ماذا يعني أن تكون مبعوثاً فيها؟
- الآية تضع الإنسان في موقع المستخلف في الأرض. ماذا يعني ذلك؟
- ١. معنى الاستخلاف
- الاستخلاف هو أن الله جعلك خليفة في الأرض تعمورها وتصلحها، لا أن تكون مجرد كائن عابر يأكل ويشرب ويموت
- ٢. كيف أستشعر أنني مبعوث في الأرض؟
- لكي تعيش معنى الاستخلاف، عليك أن تدرك:
- أ. أن وجودك ليس عبثاً: الله لم يخلقك عبثاً، ولم يبتك في الأرض بلا هدف. قال تعالى: "أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَتَّكُمْ إِلَّا نَا لَا تَرْجِعُونَ" [المؤمنون: 115].
- ب. أن الأرض مسخرة لك: الله سخر لك الأرض وما فيها لتستخرج منها خيراتها وتعمورها .
- ج. أنك مسؤول عما تفعل: كل ما تفعله في الأرض محسوب عليك.
- د. أنك جزء من منظومة: لست وحدك، بل أنت فرد بين ملايين البشر، ولك دور في هذه المنظومة.

الدرس الثاني

- كيف يغير الإيمان بالله الخالق النظرة إلى الرزق والسعي؟
- عندما تدرك أن الله هو الذي ذراك في الأرض، تتغير نظرتك إلى الرزق والعمل:
- ١. قبل الإيمان بهذه الحقيقة
- الرزق مجرد صدفة أو نتيجة جهد شخصي.
- السعي للدنيا فقط.
- القلق والخوف من الفقر.
- ٢. بعد الإيمان بهذه الحقيقة
- الرزق بيد الله: الذي خلقك ورزقك أول مرة، هو الذي يكفل رزقك دائماً.
- السعي عبادة: سعيك في الأرض عبادة إذا نويت به إعمار الأرض وإصلاحها.
- الطمأنينة: تثق بأن الله لن يضيعك.
- التوازن: تعمل للدنيا كأنك تعيش أبداً، وتعمل للآخرة كأنك تموت غداً.

الدرس الثالث

- مسؤولية العودة إلى الله: ربط الخلق بالحشر
- الآية تربط بين الخلق في الأرض (البداية) والحشر إلى الله (النهاية). هذا الربط يحمل دلالات عميقة:
- ١. العودة إلى الله حتمية
- كما أن خروجك إلى الدنيا كان حتمياً، فعودتك إلى الله حتمية أيضاً.
- ٢. الحياة الدنيا مرحلة انتقالية
- أنت في الأرض مرحلة، ثم ترحل إلى الله. هذه ليست نهاية، بل بداية جديدة.
- ٣. المسؤولية مضاعفة
- لأنك ستعود إلى الله، فأنت مسؤول عن كل ما فعلت في الأرض.
- ٤. الجزاء عادل
- الذي خلقك وركاك في الأرض، سيجازيك بعدلك إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

الدرس الرابع

- دور الآلة في ربط العقيدة بالواقع العملي
- الآية لا تترك العقيدة في عالم النظريات، بل تربطها بالواقع:
- ١. تحقيق الخشية
- عندما تعلم أنك ستحشر إلى الله، تخشاه في السر والعلن.
- ٢. تحقيق التوكل
- عندما تعلم أن الله هو الذي خلقك وبتك في الأرض، تتوكل عليه في رزقك وأمرك.
- ٣. تحقيق العمل
- عندما تعلم أنك مستخلف في الأرض، تعمل على إعمارها وإصلاحها.
- ٤. تحقيق المراقبة

عندما تعلم أنك ستحشر إلى الله، تراقبه في كل حركة وسكنة.

الدرس الخامس

كيف نطبق هذه المفاهيم في حياتنا العملية؟

١. أعلى مستوى استخلافي في الأرض: كيف أكون خليفة لله؟ لكي تكون خليفة حقاً، عليك:

المجال التطبيق العملي

العمل أتقن عملك، لأنه عبادة ومسؤولية

البيئة حافظ على الأرض، لا تفسد فيها

المجتمع ساهم في إصلاح مجتمعك

المال أنفق في وجوه الخير، لا تكن مستهلكاً فقط

العلم تعلم ما ينفع وعلمه غيرك

الأسرة ربي أبناءك على حب الله والمسؤولية

٢. أسأل نفسي: هل أعمر الأرض أم أفسد؟

كل إنسان يجب أن يسأل نفسه:

. في مجال عملي: هل أقدم خدمة حقيقية أم أتسبب في ضرر؟

. في تعاملاتي: هل أصلح أم أفسد؟

. في استهلاكاتي: هل أنا منتج أم مجرد مستهلك؟

. في علاقاتي: هل أبني أم أهدم؟

٣. على مستوى مراقبة الله: غاب الرقيب لكن الله يراقب

الآية تربي في الإنسان الضمير الحي:

. إذا غاب الرقيب البشري، تذكر أن الله يراك وسيحشرك إليه.

. إذا راودتك نفسك بمعضية، تذكر أنك ستعود إلى الله.

. إذا أردت ظلم أحد، تذكر أن هناك يوماً للحساب.

٤. القضاء على الجرائم: دور الإيمان الداخلي

الإيمان بيوم الحشر هو الرادع الحقيقي عن الجريمة:

. القوانين الوضعية تعاقب إذا ضبطك أحد.

. الإيمان يعاقبك حتى لو لم يراك أحد.

ولهذا كان المجتمع المؤمن أقل جرائم، لأن كل فرد فيه يحمل رقابة داخلية لا تنفك عنه.

الدرس السادس

كيف تحرر الآية المؤمن من التكاليف على الدنيا؟

عندما تعيش معنى "وإليه تحشرون"، تتغير نظرتك للدنيا:

١. الدنيا ليست دار قرار

أنت مسافر فيها، لا مقيم.

٢. المال ليس غاية

هو وسيلة للعبادة والعمل الصالح.

٣. المنصب مسؤولية لا تشريف

ستسأل عنه يوم القيامة.

٤. المتع الحسية مؤقتة

اللذة الحقيقية في لقاء الله.

٥. القلب معلق بالآخرة

تعيش في الدنيا بجسدك، وقلبك مع الله.

وهذا يجعلك أكثر انضباطاً، وأكثر إحساناً، وأكثر توازناً.

الدرس السابع

استشعار أمانة الدرب: الخلق والانتشار بعمارة الأرض

الآية تغرس في المؤمن الإحساس بالأمانة:

١. أمانة الخلق

أن الله اختارك من بين المخلوقات لتكون إنساناً.

٢. أمانة الانتشار

أن الله جعلك في هذه الأرض في هذا الزمان له حكمة.

٣. أمانة العمارة

أنت مسؤول عن تعمير الأرض وإصلاحها.

٤. أمانة الإنتاج

الإنتاج ليس لتكثير المال فقط، بل لخدمة البشرية وإعمار الأرض.

٥. أمانة الأجيال

ما تتركه للأجيال القادمة هو جزء من مسؤوليتك.

الدرس الثامن

دور الإحساس بالمسؤولية في بناء العزيمة والقضاء على الجريمة

١. بناء العزيمة القوية

• من يعلم أنه مسؤول أمام الله، يعمل بجدية.

• من يعلم أنه محاسب، يتقن عمله.

• من يعلم أن له جزاء، يصبر على الصعاب.

٢. القضاء على الجريمة

• الجريمة تبدأ عندما يغيب الإحساس بالمسؤولية.

• من يعلم أنه محشور إلى الله، لا يجرؤ على الظلم.

• من يعلم أن الله يراه، لا يخون الأمانة.

٣. حركة الإنسان الدفاعية الإيجابية

المؤمن الذي يفهم هذه الآلية لا يكون سلبياً، بل:

• يبادر بالخير.

• يقدم النفع للمجتمع.

• يسعى في الإصلاح.

• ينشر الفضيلة.

الدرس التاسع

ترسيخ المسؤولية الشخصية: بناء الشخصية الواعية المنتجة

الآلية تربّي في الإنسان شخصية متكاملة:

الصفة و كيف تغرسها الآلية

١/ الوعي: تعلم أن وجودك له هدف

٢/ المسؤولية: تدرك أنك محاسب على كل شيء

٣/ الإنتاجية: تفهم أنك مستخلف لتعمر الأرض

٤/ الانضباط: تلتزم لأنك تحت رقابة الله

٥/ الإحسان: تعمل بإتقان لأنك تطلب جزاء الله

٦/ التوازن: تجمع بين الدنيا والآخرة

المبحث الثاني

دور الآلية في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

١. بناء الإنسان

الآلية تبني إنساناً:

• واعياً بوجوده وهدفه.

• مسؤولاً عن أفعاله.

• منتجاً يعمر الأرض.

• منضبطاً بمراقبة الله.

• متوازناً بين الدنيا والآخرة.

٢. بناء المجتمع

المجتمع الذي يقرأ هذه الآلية ويتدبرها:

مجتمع الإنتاج والعمل: لأن أفراده يعلمون أنهم مستخلفون ليعمروا.

مجتمع الأمانة: لأن أفراده يخافون الله.

مجتمع العدل: لأن الظالم يعلم أنه سيلقى جزاءه.

مجتمع التكافل: لأن الكل يعلم أنهم إخوة في الإنسانية.

٣. بناء الحضارة

الآلية تقدم للحضارة:

• رؤية متكاملة للحياة: الدنيا مزرعة الآخرة.

• منهجاً في التنمية: العمارة والإصلاح هما الهدف.

• ضوابط أخلاقية: مراقبة الله هي الضامن للاستقامة.

• توازناً عالمياً: لا إفراط في المادية ولا تفريط في الروحانية.

الامر الثاني

التنمية البشرية في ضوء الآلية

الآلية تزود الإنسان بمهارات حياتية:

١. التخطيط للمستقبل

أنت ذاهب إلى الله، فخطط للقاءه.

٢. إدارة الموارد

الأرض مسخرة لك، فاستخدمها بحكمة.

٣. بناء العلاقات

الناس جميعاً مخلوقون لله، فتعامل معهم بإنسانية.

٤. حل المشكلات

أنت خليفة في الأرض، فعليك إصلاح ما فسد.

٥. اتخاذ القرار

اختياراتك اليوم ستسأل عنها غداً.

خاتمه : الآية نداء اليقظة والمسؤولية

الآية 79 من سورة المؤمنون ليست مجرد خبر عابر، بل هي دستور حياة ومنهج عمل وميزان مسؤولية. إنها تقول لكل إنسان:

. أنت هنا لهدف: الله ذراك في الأرض لحكمة.

. الأرض لك لكنك لست مالكها: أنت مستخلف فيها.

. الرزق بيد الله: فلا تقلق، ولكن اعمل.

. المسؤولية كبيرة: فاحذر التقصير.

. الرجوع إلى الله حتمي: فاستعد للقائه.

فيا أيها الإنسان، تذكر من خلقك، ومن بثك في الأرض، وإلى من ستعود. عش حياتك بهذا الوعي، تكن من الفالحين.

نسأل الله أن يجعلنا ممن يدركون حقيقة وجودهم، ويؤدون أمانة استخلافهم، ويلقونه وهو راض عنهم.

خامساً

الآية (وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) {المؤمنون: ٨٠}

المقدمة: السياق العام للآية

تأتي الآية 80 من سورة المؤمنون في سياق حوار الكون مع الإنسان. فقد عدد الله سبحانه وتعالى في الآيات السابقة نعمه العظيمة على البشر؛ فذكرهم بأنه هو الذي أنشأ لهم السمع والأبصار والأفئدة، وهو الذي ذرأهم في الأرض وإليه يحشرون. ثم يأتي هذا الخطاب ليؤكد حقيقتين كونيتين كبيرتين: الربوبية المطلقة لله في الخلق والتدبير، وذلك من خلال تفردة بالإحياء والإماتة، وإدارته لنظام الليل والنهار الهدف من هذا كله هو دعوة العقل البشري إلى التفكير والاعتبار، للوصول إلى الإيمان بوحدايته وقدرته على البعث والنشور.

التفسير اللفظي والمعنى الإجمالي

النص القرآني:

{وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} {المؤمنون: ٨٠}

التفسير اللفظي:

١. {يُحْيِي وَيُمِيتُ}: يُحْيِي الخلق من العدم، أو يُحْيِي النطفة الميتة بنفخ الروح فيها، وَيُمِيت بعد الحياة بانقضاء الأجل.

٢. {اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ}: تعاقبهما وتناوبهما، مجيء هذا وذهاب ذاك، واختلافهما في الطول والقصر، و النور والظلمة. وهو بذلك مظهر من مظاهر النظام الكوني الدقيق.

٣. {أَفَلَا تَعْقِلُونَ}: الاستفهام هنا للتعجيب والتوبيخ، أي: أفليس لكم عقول تستخدمونها فتدركون أن من فعل هذا هو الإله الواحد القادر الذي لا يعجزه شيء، ومنها قدرته على البعث وإحياء الموتى.

المعنى الإجمالي:

الله وحده هو المتصرف في الحياة والموت، فلا أحد يمنح الحياة أو يسلبها سواه. وهو وحده المدبّر لهذا النظام البديع في تعاقب الليل والنهار وتفاوتهما. أفبعد مشاهدة هذه الآيات الباهرة لا تستخدمون عقولكم فتدركوا وحدانيته وقدرته المطلقة وتخلصوا له العبادة؟

٢. دلالات الآية ومقاصدها التربوية في بناء الإنسان

مفهوم التغيير: من سنة كونية إلى بناء نفسي

الآية تقدم نموذجاً حياً للتغيير المستمر: الموت يتبع الحياة، والليل يخلف النهار، والنهار يخلف الليل. هذا المفهوم للتغيير كسنة من سنن الله في الكون له آثار عميقة في تربية الإنسان وتنمية وعيه:

1. الصمود وعدم الوحشة من تقلبات الحياة: إن إدراك أن التغيير بين يسر وعسر، صحة ومرض، اجتماع وفراق (هو سنة الله في خلقه، يمنح الإنسان طمأنينة نفسية فلا يصاب بالوحشة أو الانهيار عند الانتقال من حال إلى حال. فهو يعلم أن الدنيا دار تغير وليست دار قرار، فيأنس بالله ولا يتعلق بالدنيا) مستنتج من المضمون.]

2. تحقيق العبودية لله في كل حال: تتجلى عبودية العبد لله في الألوان المختلفة التي يمر بها. ففي السراء يكون شاكراً، وفي الضراء يكون صابراً، وفي المنشط والمكره يكون مستقيماً. هذا المفهوم يُنمي في الإنسان مقاومة الأهواء التي تتمسك بحال دون حال، ويُرَبِّيه على الرضا بقضاء الله والتسليم لحكمته.

3. النظر إلى التغيير كنعمة وحافز للعمل: عندما يرى الإنسان تعاقب الليل والنهار، يدرك أنها فرص متجددة للحياة والعمل. فالنهار يذهب بآماله وآلامه، والليل يتبعه بفرص جديدة. هذا الفهم يغيّر النظر إلى التغيير ليكون نعمة تستحق الشكر، مما يدفع الإنسان لاستثمار كل لحظة بالعمل الصالح، ويقوي

عزيمته على الصبر عند المتغيرات.

دور العقل والمنهج التجريبي
دعوة القرآن في ختام الآية {أَفَلَا تَعْقِلُونَ} هي دعوة صريحة إلى استخدام العقل والتأمل في الظواهر الكونية. هذا هو منهج النظر والتفكير الذي يفرضه الإسلام:

• الهدف المباشر: الوصول إلى معرفة عظمه الخالق وحسن تدبيره ورحمته. ففي تعاقب الليل والنهار راحة للأبدان) ليلاً (وسعي للمعاش) نهاراً. (

• الهدف غير المباشر: دفع الإنسان إلى طريق الاستكشاف والبحث في أسرار هذا الكون) المنهج التجريبي. (عندما يتأمل المسلم في سبب اختلاف الليل والنهار، فإن عقله يتجه تلقائياً لمعرفة خصائص الأشياء التي في متناول بصره. هذا يُرسخ مفهوم استخدام العقل كأداة للإيمان أولاً، وللتسخير والبناء في الأرض ثانياً، وليس فقط للتسليم الأعمى] مستنتج من دلالة الآية. [

3. التسليم بقدرة الله وأثاره الإيمانية
مقتضى قوله {وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ} هو التسليم المطلق بأن الأمر كله لله. وهذا المفهوم يحدث ثورة إيجابية في نفس المؤمن:

• التسليم في الرزق والمستقبل: من أيقن أن الموت والحياة بيد الله، أيقن أن الرزق والأجل بيده أيضاً، فيزول من قلبه الخوف من البشر والقلق على المستقبل] مستنتج. [

• الشجاعة والإقدام: عندما يعلم المؤمن أن أجله بيد الله وحده، وأنه لن يموت حتى يستكمل رزقه وأجله، فإنه يقدم على الحق ولا يهاب الناس. هذه المعرفة تبعث في القلب شجاعة لا تقهر، وتحرره من الخوف من المخلوقين.

4. إدارة الوقت والنظام: استلزام من نظام الكون

قوله {وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ} ليست مجرد خبر، بل هي دستور متكامل لتنظيم الحياة. دقة هذا النظام وتعاقبهما بلا خلل توجب على الإنسان أن:

• يحاكي هذا النظام في حياته: فيرتب أولوياته بين وقت للعمل ووقت للراحة، ووقت للعالمية ووقت لآخرته.

• يستثمر الوقت: تدبر اختلاف الليل والنهار يجعلك تعيش كل يوم وكل فرصة وكأنها فرصتك الأخيرة للطاعة واستثمار الحياة، فتسارع إلى الخير وتبتعد عن المظالم] مستنتج. [

• يحقق التوازن النفسي والعملي: استغلال نظام الليل) للسكن والهدوء (والنهار) للنشاط والعمل (يحقق توازناً نفسياً وعملياً كبيراً، ويمنع الاغتراب بالأسباب، لأن اليقين بأن المصير هو الله يمنع التعلق المفرط بأي سبب.

الخاتمة: العقل سبيل اليقين

الآية الكريمة تضع الإنسان أمام معادلة واضحة: النظر في الكون (آفاق) يوصل إلى معرفة الله، واستخدام العقل (أنفس) يحقق الإيمان. فالتعقيب بقوله {أَفَلَا تَعْقِلُونَ} هو تأكيد على أن العقل أداة الوصول إلى الحقائق الكبرى: قدرة الله، وتفرد، وضرورة الإيمان به. ومن خلال هذا الفهم، تتغير حياة الإنسان؛ فيصبح متصلاً بالله، منظماً لوقته، شجاعاً في مواجهة الحياة، صامداً أمام تقلباتها، عامراً للأرض بروح العبودية الخالصة لله عز وجل.

سادساً

تفسير الآية 81 من سورة المؤمنون: بل قالوا مثل ما قال الأولون

مقدمة: سياق الآية وارتباطها بما قبلها

لقد جاءت الآية 81 من سورة المؤمنون في سياق حاسم من خطاب القرآن مع المكذبين، حيث يقول الله تعالى: {بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالِ الْأَوَّلُونَ} [المؤمنون: 81].

هذه الآية تأتي بعد عرض متكامل لأدلة القدرة الإلهية في الآيات السابقة، وخاصة الآية 80 التي تحدثنا عنها سابقاً والتي تضمنت بيان تفرد الله بالإحياء والإماتة وتدبير اختلاف الليل والنهار. لقد كان مقتضى هذه الآيات الباهرة أن تؤدي إلى الإيمان، لكن الكفار قابلوها بالتكذيب والإعراض.

أولاً: دلالة الافتتاح بـ "بَلْ" وعلاقتها بما قبلها

حرف "بَلْ" هنا له دلالة بلاغية عميقة، فهو للإضراب الانتقالي، أي الانتقال من غرض إلى آخر. والمعنى التقديري للآية: لقد سقنا لهم ألواناً من النعم والأدلة على قدرتنا، ومع ذلك فلم يؤمنوا ولم يعتبروا، بل سلكوا مسلك الكفار السابقين وقالوا مثل مقالهم.

وهذا الإضراب يحمل في طياته معنى التوبيخ والتعجيب من موقفهم، حيث إن الأدلة كانت واضحة جلية، ولكنهم أعرضوا عنها واتبعوا منهج الأقدمين. إنه إضراب عن الإيمان بالحق إلى اتباع طريق الباطل السلوك.

ثانياً: مفهوم الطبيعة الواحدة للكفار في كل زمان ومكان

تقرر الآية حقيقة كونية ثابتة: وحدة المنهج والتكرار عبر التاريخ، فالكفار في كل عصر ينسجون على منوال من سبقهم. يقول السعدي في تفسيره: "أي: بل سلك هؤلاء المكذبون مسلك الأولين من المكذبين بالبعث".

أسباب هذه الوحدة في المنهج:

1. جحود النعم وعدم استعمال العقل: فكما أن الأولين قابلو النعم بالجحود، كذلك هؤلاء.
2. التقليد الأعمى: إنهم يرددون ما قاله السابقون دون نظر أو تفكير.
3. استبعاد البعث: يقولون كما قال الأولون: {أَيَّدَا مِثْنًا وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ} [المؤمنون: 82] هذه الظاهرة ليست عابرة، بل هي سنة إنسانية تتكرر، حيث يصر الكفار على تكذيب الرسل وإن اختلفت الأزمنة وتنوعت الأدلة. إنه تشابه في الأقوال ناتج عن تشابه في القلوب والعقول المعطلة .

ثالثاً: خطر التقليد الأعمى والتحذير منه

التقليد كسبب رئيسي للضلال
تكشف الآية أن ما يمنع هؤلاء من الإيمان هو تقليدهم للآباء والأسلاف. وقد تناول القرآن هذه الظاهرة في مواضع كثيرة، كما في قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَفْقَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا} [البقرة: 170].
يقول القرطبي: "قال علماؤنا: وقوة ألفاظ هذه الآية تعطي إبطال التقليد". فالقرآن يرفض أن يكون الإنسان مجرد صدى للآخرين دون وعي وبصيرة.

خطورة تبني الأفكار الجاهزة
في عصرنا الحاضر، يتجلى هذا الخطر في تبني الأفكار الإلحادية أو التشكيكية لمجرد أنها منتشرة على وسائل التواصل الاجتماعي. إن الإنسان المعاصر قد يقع في نفس الفخ الذي وقع فيه الأقدمون: اتباع السائد دون تمحيص، وتقليد المشاهير والمؤثرين دون نقد .

هل الحق يقاس بالكثرة؟
الآية ترد ضمناً على مفهوم خاطئ وهو أن الكثرة دليل على الحق. فالآباء والأجداد الذين يقلدهم الكفار كانوا كثرة، لكنهم كانوا على ضلال. يقول تعالى: {وَإِنْ تَطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [الأنعام: 116]. لذا، فالحق ليس مرتبطاً بالكثرة، بل بالدليل والبرهان .

كيف ننتفع من هذا المفهوم؟

نتعلم أن نكون نقديين تجاه السائد، وألا نقبل فكرة لمجرد شيوعها أو لأن شخصيات مشهورة تروج لها. قال ابن عبد البر: "التشبيه لم يقع من جهة كفر أحدهما وإيمان الآخر، وإنما وقع التشبيه بين التقليدين بغير حجة للمقلد... فكل ذلك تقليد يشبه بعضه بعضاً".
رابعاً: الوعي التاريخي وأهميته في بناء الإيمان

ماذا يعني الوعي التاريخي؟

الوعي التاريخي يعني فهم سنن الله في الأمم السابقة، واستخلاص العبر والعظات من قصصهم، وإدراك أن التاريخ ليس مجرد أحداث عابرة، بل هو مسرح لتطبيق سنن الله الثابتة . يقول تعالى: {قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ} [آل عمران: 137].

كيف تعزز الآية الوعي التاريخي؟

الآية تقول: {بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ}، وهذا يعني أن القرآن يربط الحاضر بالماضي، ويكشف عن استمرارية الصراع بين الحق والباطل. من يعي هذه الحقيقة لا يستسلم للشكوك عندما يرى كثرة الباطل أو تأخر النصر، لأنه يعلم أن هذه سنة الله التي جرت مع الأولين .
الثبات على الإيمان من خلال الوعي التاريخي

الوعي التاريخي يمنح المؤمن صموداً نفسياً، إذ يدرك أن ما يواجهه قد واجهه المؤمنون من قبله، وأن العقاب للمتقين. يقول ابن كثير: "ثم قال مخبراً عن منكري البعث، الذين أشبهوا من قبلهم من المكذبين". هذه المشابهة تمنح المؤمن طمأنينة بأن الطريق واضح ومعروف.
خامساً: تنمية التفكير النقدي ومحاكاة الباطل

التفكير النقدي في القرآن

القرآن يربينا على التفكير النقدي من خلال دعوته الدائمة إلى النظر والتدبر والتساؤل. يقول تعالى: {أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ} [القرآن: النساء: 82]، {أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [المؤمنون: 80] .

التفكير النقدي يعني:

- التمييز بين الرأي والحقيقة: لا نقبل كل ما يقال دون تمحيص.
- التحقق من المصادر: نتأكد من مصداقية المعلومات قبل تبنيها.

• التحليل والتفكيك: نفكك الأفكار إلى عناصرها الأساسية لفهمها فهماً عميقاً.

خطر محاكاة الباطل
محاكاة الباطل خطيرة لأنها تذيب الهوية وتجعل الإنسان تابعاً لا قائداً. وقد حذر النبي ﷺ من ذلك بقوله: "تَتَّبِعَنَّ سَنَنْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَدَّثَ الْفَقْدَ بِالْفَقْدِ". محاكاة الباطل تبدأ صغيرة ثم تستفحل حتى تصبح سلوكاً لا وعياً.

كيف نحمي أنفسنا؟

- بناء العقل الناقد: نطرح الأسئلة: لماذا؟ وكيف؟ وما الدليل؟.
- التمسك بالثوابت: هناك قيم ومبادئ لا تقبل المساومة.
- صحبة أهل الحق: البيئة الإيمانية تعين على الثبات.
- سادساً: تحرير العقل من التبعية وبناء الاستقلال الفكري

الإسلام وثقافة تحرير العقل

الإسلام جاء ليحرر العقل البشري من أغلال التقليد والخرافة والجهل. يقول الباحث يسري عبد الغني عبد الله: "لقد حرّر الإسلام الإنسان من أغلال الحجر العقلي، ورباه على حرية الفكر واستقلال الإرادة، كما حرّره من أصفاد الجهل وظلمته".
الاستقلال الفكري المبني على الإيمان

الاستقلال الفكري لا يعني القطيعة مع الماضي، بل يعني التمييز بين التراث الصالح والتراث الفاسد. نحن مأمورون باتباع الحق حيث كان، ورفض الباطل مهما كان مصدره. يقول تعالى: {الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ} [الزمر: 18].
منع الفكر: أخطر أنواع الجمود

"منع الفكر" يعني إغلاق باب الاجتهاد وتحريم التساؤل المشروع. وهذا يؤدي إلى:

- الجمود والتخلف: تتحول الأفكار إلى طابوهات لا تقبل النقاش.
- التبعية العمياء: يصبح الناس مجرد أتباع بلا وعي.
- فقدان القدرة على التجديد: لا يستطيع المجتمع مواكبة المتغيرات.
- الآلية ترفض هذا المنع ضمناً، لأنها تزدّم الذين قالوا مثل ما قال الأولون دون نظر أو تفكير.
- سابعاً: تغيير العادات والتقاليد الخرافية وبناء الشخصية العلمية

العادات والتقاليد: بين المحافظة والتطوير

الآية تدعونا إلى مراجعة عاداتنا وتقاليدنا على ميزان الشرع والعقل. يقول تعالى في آية أخرى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا} [المائدة: 104].
ليس المطلوب هدم كل قديم، ولكن تمحيصه:

- ما وافق الحق حفظ.
- ما خالف الحق لفظ.
- بناء الشخصية العلمية

الشخصية العلمية تقوم على:

1. البرهان أساس الإيمان: يقول تعالى: {وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ} {المؤمنون: 117}
2. النظر والتأمل في الكون: قال تعالى: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ} {العنكبوت: 20}
3. التعلم من تجارب الآخرين: قال تعالى: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} {يوسف: 109}

التحرر من التبعية الفكرية

التبعية الفكرية هي أخطر أنواع التبعية لأنها تؤدي إلى:

- فقدان الهوية.
- تدمير الثقة بالنفس.
- العجز عن الإبداع والابتكار.
- والخلاص منها يكون بـ:

• العودة إلى القرآن والسنة كمصدر أول.

• فهم الواقع فهماً عميقاً.

• الإسهام في بناء الحلول الإسلامية المعاصرة.

ثامناً: الأثر الحضاري للآية في بناء الإنسان والمجتمع والدولة
الآية {بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ} تحمل رؤية حضارية متكاملة:
على مستوى الفرد

- تربي العقل الناقد القادر على التمييز.
- تزرع الثقة بالنفس وعدم الانبهار بالآخرين.
- تحفز على طلب العلم والبرهان.
- على مستوى المجتمع

- تخلق مجتمعا واعيا لا ينخدع بالشعارات.
- تقضي على الخرافات والعادات البالية.
- تبني ثقافة نقدية ترفض التقديس الأعمى للأشخاص والأفكار.

على مستوى الدولة والحضارة

- تنتج دولة قوية قائمة على العلم والمعرفة.
- تصنع حضارة أصيلة لا مجرد تابع للآخرين.
- تحقق الريادة والقيادة بدل التبعية والانقياد.
- خاتمة: العقل أداة الإيمان وسبيل التحرر
- الآية 81 من سورة المؤمنون تمثل محطة فارقة في بناء الوعي الإنساني. إنها تدعونا إلى:
- 1. كسر دائرة التقليد الأعمى وعدم الرضى بأن نكون مجرد صدى للآخرين.
- 2. استخدام العقل كأداة للوصول إلى الحق، وليس كوسيلة للتمرد على الوحي.
- 3. الوعي التاريخي لاستخلاص العبر من تجارب السابقين.
- 4. الاستقلال الفكري المبني على الإيمان والعلم.
- 5. بناء الشخصية العلمية التي تميز بين الثابت والمتغير، بين الأصل والعارض.
- إن الآية تفتح أمام الإنسان آفاق التحرر الحقيقي: تحرر العقل من الخرافة، وتحرر النفس من التبعية، وتحرر الأمة من الانبهار بالآخرين. وهذا هو الطريق إلى بناء حضارة إسلامية أصيلة قادرة على العطاء والإبداع والريادة.

سابعاً

تفسير الآيتين 82 و83 من سورة المؤمنون: استبعاد البعث وجذور الإنكار
تمهيد: السياق العام للآيتين

بعد أن حكى القرآن في الآية 81 أن الكفار {قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ}، يأتي السياق ليفصل هذه المقالة التي تكررها الكفار عبر التاريخ [العنكبوت: 67]. الآيتان 82 و83 تسجلان نموذجاً للإنكار و التكذيب الذي واجه به المكذبون دعوة الرسل عبر العصور، ليكون ذلك عبرة للمؤمنين ومناذرة للعقلاء . يقول الله تعالى: {قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ} (82) لَقَدْ وَعِدْنَا تَحْنُ وَأَبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} [المؤمنون: 82-83].

الامر الأول

أولاً : تفسير الآية 82 - استبعاد البعث وجذوره النفسية والعقلية
التحليل اللفظي والمعنوي

{قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ} .
{أَئِذَا مِتْنَا}: الهمزة للاستفهام الإنكاري، أي استفهام يراد به التعجب والاستبعاد .
{وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا}: التراب هو النهاية بعد التحلل، والعظام هي أصلب ما يبقى من الجسد، فهم يذكرون الحالتين: حالة التلاشي الكامل (التراب) وحالة بقاء الأجزاء الصلبة (العظام) .
{أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ}: تكرار همزة الاستفهام للتأكيد على شدة الإنكار والاستغراب .
دلالة إنكارهم: هل هو جهل أم هوى؟

هذا السؤال المتكرر من الكفار يكشف عن أصل الإنكار ومصدره. وقد أشار الإمام ابن القيم في كتاب "الفوائد" إلى حقيقة مهمة حول هذا الموقف :

إنكارهم ليس جهلاً ، بقدرته الله في الأصل، فهم يرون خلق أنفسهم أول مرة، ويعاينون قدرة الله في إحياء الأرض بعد موتها، لكن المشكلة في اتباع الهوى والتعنت. يقول ابن القيم في معرض حديثه عن نظائر هذه الآيات: "إنهم إنما أنكروا المعاد استبعاداً مع علمهم بأن من قدر على البداء فهو على الإعادة أقدر، ولكن حملهم على الإنكار اتباع الهوى والتقليد للأباء" [مستنتج من مضمون كلامه في المصادر].

إن تكرارهم للسؤال {أَئِذَا مِتْنَا...} ليس طلباً للدليل، بل هو إنكار مبني على الاستكبار، ولذلك كان الرد عليهم بالتذكير بخلقهم الأول: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَغْيِ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُخْطِيَ الْمَوْتَى} [الأحقاف: 33] .

اللمسات البيانية والتجويدية في الآية

للآية إيقاع خاص يعبر عن حالة الإنكار:

1. تكرار همزة الاستفهام: {في} أَيْدَا... أَيْدَا {يعطي إيقاعاً متكرراً يحاكي لهجة المستنكر المتعجب.
2. المد في {مِثْنًا}: يجوز مده بمقدار حركتين، وفي الأداء القرآني يعطي فرصة للتأمل في معنى الموت والتحول إلى تراب] مستند إلى علم التجويد.
3. التفخيم في {لَمَبْعُوثُونَ}: حرف اللام مفخم، والواو حرف مد، يعطي ثقلاً في النطق يناسب ثقل معنى البعث على أسماعهم] مستند إلى علم التجويد.

الامر الثاني

الربط بين التراب والبعث: دروس وعبر

الآية تربط بين التراب (أصل الإنسان) والبعث (مصيره)، وهذا الربط يحمل دلالات عميقة: أولاً: التواضع والذكرى

كان المفروض أن تذكرهم هذه الآية بأن أصلهم من تراب فيتواضعوا ولا يستكبروا [غافر: 67]. لكن العقلية المادية التي تحصر الحياة في المأكَل والمشرب جعلتهم لا يرون في التراب إلا النهاية، لا البداية [الجاثية: 24].

ثانياً: الموت محطة انتقالية وليس فناءً مطلقاً

التراب ليس نهاية الإنسان، بل هو مرحلة في رحلته. قال تعالى: {مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى} [طه: 55]. هذه الحقيقة تغير نظرة الإنسان للحياة:

• الإعداد للرحيل: من يعلم أن الموت محطة لا نهاية، يستعد له بالعمل الصالح [البقرة: 45].
• التوازن بين عمارة الأرض والاستعداد للآخرة: المؤمن يعمر الأرض لأنه يعلم أنه خليفة فيها، ويستعد للآخرة لأنه يعلم أن فيها حسابه [القصص: 77].

ثالثاً: تجنب الاستخفاف بقدرة الله

إنكار البعث هو في جوهره استخفاف بقدرة الله، كأن الإنسان يقول إن الله لا يستطيع أن يعيد خلقه كما بدأه. وتكرار هذا الموقف عبر التاريخ يدل على مرض قلوب المنكرين لا على قصور الأدلة [الرعد: 5].

اليقين بالبعث وأثره في حياة المؤمن

الوقوف عند هذه الآية يدعو إلى:

1. اليقين المطلق بقدرة الله على الإحياء والإماتة، وهذا اليقين يورث الطمأنينة [الرعد: 28]
2. استشعار مراقبة الله في كل قول وعمل، لأن البعث يعني الحساب والجزاء [الزلزلة: 7-8].
3. العيش حياة واعية تدرك أن هناك ما يستحق الترقب بعد الموت، فلا تغتر بالدنيا [الحديد: 20]

ثانياً: تفسير الآية 83 - التقليد الأعمى وخطورته

التحليل اللفظي والمعنوي

- {لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ}:
- {لَقَدْ وَعَدْنَا}: اللام للقسم، وقد حرف تحقيق، وهذا أسلوب تأكيد يعبر عن ثقتهم الظاهرية بزعمهم.
 - {نَحْنُ وَآبَاؤُنَا}: إضافة الآباء للدلالة على طول المدة وتعدد الواعدين.
 - {هَذَا}: أي هذا البعث الذي تعدنا به.
 - {مِنْ قَبْلُ}: على أسنة الرسل السابقين.
 - {إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ}: الأساطير جمع أسطورة، وهي ما سطره الأولون من أكاذيب وأباطيل.

اللمسات البلاغية والتجويدية

1. اللام الموطئة للقسم في {لَقَدْ} تفيد التأكيد على أنهم بلغوا الغاية في الاعتقاد بأنه وعد كاذب.
2. الإضافة في {وآبَاؤُنَا}: إضافة تدل على الامتداد الزمني وكثرة المبلغين لهذا الوعد.
3. قصر الصفة على الموصوف في {إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ}، وهو أسلوب حصر يفيد أنهم لا يرون له حقيقة سوى أنه خرافات.
4. {الْأَوَّلِينَ}: ياء المد تفيد الامتداد في الزمن، وكأن أكاذيب الأولين ممتدة عبر العصور] مستند إلى علم التجويد.

جذور الإنكار: التقليد الأعمى والعناد

هذه الآية ترسم لنا فساد العقلية الكافرة التي تعتمد في ردها على:

1. المنطق الدائري الفاسد
- يقولون: لم نره مع آبائنا، إذن هو غير موجود. وهذا منطق فاسد، لأن عدم رؤيتهم للشيء لا ينفي وجوده. يقول تعالى: {بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ} [يونس: 39].
2. الاستدلال بالعدم
- هم يستدلون على نفي البعث بأنهم لم يروه مع آبائهم، وهذا أضعف أنواع الاستدلال. قال ابن كثير: "يعنون: أن الإعادة محال، إنما يخبر بها من تلقاها عن كتب الأولين واختلافهم".
3. السخرية والاستهزاء

وصفهم لوعده الله بأنه {أساطير} يدل على سوء أدبهم مع الله ورسله . السخرية من الحقائق الغيبية ليست دليلاً على بطلانها، بل على مرض قلوب الساخرين [الجاثية: 35].

4. التكرار عبر التاريخ
الآية تؤكد أن هذا الموقف ليس جديداً، بل هو منهج متكرر للمكذبين . وهذا يعطينا وعياً تاريخياً بأن الصراع بين الإيمان والتكذيب ليس وليد اليوم.

ثالثاً: الدروس والمفاهيم المستفادة من الآيتين
المحور الأول: بناء الإنسان عقلياً ونفسياً

1. محاربة التقليد الأعمى وبناء الاستقلال الفكري
الآيتان تدعوان إلى التحرر من عبودية الآباء والأجداد فكراً ومنهجاً. يقول السعدي: "هؤلاء المكذبون سلكوا مسلك الأولين من المكذبين بالبعث، واستبعدوه غاية الاستبعاد". ليس كل قديم صحيحاً، وليس كل موروث حقاً. قال تعالى: {وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَقُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُّقْتَدُونَ} [الزخرف: 23].

2. تنمية التفكير النقدي وتجنب التلقي السلبي
الآية تدعونا إلى تفحص الأفكار وعدم تبنيها لمجرد الشيوع أو لأنها منتشرة على وسائل التواصل. قال ابن عبد البر: "ليس كل ما قاله الأولون حقاً، وإنما الحق ما قام عليه الدليل". هذا المفهوم يربينا على:

• التساؤل الدائم: لماذا؟ وكيف؟ وما الدليل؟
• عدم الانبهار بالأفكار الوافدة لمجرد حداثةها.

• وزن الأفكار بميزان الشرع والعقل معاً.
3. الوعي التاريخي وأهميته في الثبات على الإيمان
معرفة أن المنكرين سلكوا نفس المسلك عبر التاريخ يمنح المؤمن صموداً نفسياً. عندما يرى كثرة الباطل أو تأخر النصر، يتذكر أن هذا ما جرى مع الأولين، وأن العقابة للمتقين [هود: 49].

4. اليقين بالله وعدم الاستخفاف بقدرته
التكذيب بالبعث هو في جوهره استخفاف بقدرته الله. المؤمن الحق يستشعر عظمة الله في كل شيء، فلا يستبعد شيئاً على قدرته. قال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ} [الإسراء: 99].

المحور الثاني: بناء المجتمع المتوازن

1. الانتباه لخطر التشدد في إنكار الغيبيات
الذين ينكرون الغيب يصبحون رهينة للحس المادي فقط، فيفقدون البوصلة الأخلاقية. مقال عن أثر الإيمان باليوم الآخر تبين أن "الذي لا يخاف هذا اليوم لا يتورع عن أي فعل تتوق له نفسه، مهما كانت فيه من الضرر على سواه". المجتمع الذي يفقد الإيمان بالغيب يتحول إلى غابة يأكل القوي فيها الضعيف.

2. خطورة التكبر والانصراف عن التفكير في آيات الله
الاستكبار عن قبول الحق هو سبب هلاك الأمم. قال الكفار ما قالوه استكباراً وتعتناً، مع أن الأدلة كانت واضحة . التكبر يمنع الإنسان من الاعتراف بالحق حتى لو رآه بعينه.

3. تجنب الاستخفاف بوعود الله
الاستهانة بوعده الله أو وعيده تؤدي إلى التماهي في المعصية. من لا يؤمن بالبعث يعيش وكأنه مخلد في الدنيا، فيظن ويأخذ من الشهوات ما يشاء دون رادع .
المحور الثالث: بناء الدولة والحضارة وفق الرؤية الإسلامية

1. بناء العقلية المستقبلية التي تعمّر الأرض وعينها على الآخرة
المؤمن الحق هو الذي يوازن بين عمارة الأرض والاستعداد للآخرة. إنه يعمر الأرض لأن الله استخلفه فيها، ويتقن العمل لأنه يعلم أن الله يحب الإتقان، ولا ينسى نصيبه من الدنيا، وفي الوقت نفسه عيّن على الآخرة [القصص: 77].

هذه العقلية هي التي تصنع الحضارة:

• الإتقان في العمل: لأنه عبادة ومسؤولية.
• العدل في التعامل: لأن الظلم سيحاسب عليه صاحبه يوم القيامة .
• الاستثمار في المستقبل: لأنه يعلم أن ما يقدمه من عمل صالح هو زاده الحقيقي.

2. التقدم والازدهار من خلال الإيمان
الإيمان بالبعث والجزاء هو أقوى دافع للعمل والإتقان. فالذي يعلم أن كل صغيرة وكبيرة ستعرض عليه يوم القيامة، لا يقبل من نفسه العمل الرديء. قال النبي ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمَلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتَّقَنَهُ".

3. الأمن المجتمعي من خلال الإيمان باليوم الآخر
"الساعي لتحقيق الأمن في الآخرة هو الساعي للأمن الحقيقي، وهو الذي يأمنه الناس في الدنيا على دمائهم وأعراضهم وأموالهم". الإيمان باليوم الآخر يخلق مجتمعاً آمناً:

. لأن المؤمن يخاف الله في السر والعلن.
. لأنه لا يظلم غيره خشية الحساب.
. لأنه يراعي حقوق الآخرين إيماناً بالجزاء.
4. عمارة الأرض: الهدف الحضاري للإيمان
المؤمن بالبعث لا ينعزل عن الدنيا، بل يعمرها لأنها مزرعة الآخرة. الحضارة الإسلامية قامت على أساس أن الدنيا دار عمل والآخرة دار جزاء، فكان هذا المفهوم دافعاً للعلم والبناء والابتكار.
رابعاً: الرسائل الكبرى التي ترسلها الآيتان
الرسالة الأولى: تجنب الاستخفاف بالحقائق الغيبية
الحقائق الغيبية ليست أقل واقعية من الحقائق المحسوسة، لكنها تحتاج إلى نوع آخر من الإدراك: إدراك الإيمان. من يستخف بها يخسر دينه وأخروته.
الرسالة الثانية: علاج التبعية الفكرية لعقلية الآباء
ليس كل ما وجدنا عليه آباءنا صحيحاً. الواجب عرض الموروث على ميزان الشرع والعقل، وما وافق قبل، وما خالف ردّه، مهما كانت مكانة القائلين به.
الرسالة الثالثة: خطورة التكبر عن التفكير في آيات الله
التكبر هو الذي منع الكفار من الإيمان مع وضوح الأدلة. التكبر يغطي العين فلا ترى الحق، والأذن فلا تسمع النصيح، والقلب فلا يعي الهدى.
الرسالة الرابعة: التحذير من التكذيب بلا دليل
الآيتان ترسمان نموذجاً لمن يرد الحق بلا حجة، لمجرد أنه لم يسمع به من قبل، أو أنه خالف ما اعتاده. هذا الموقف هو عين الجهل والتعنت.
خامساً: الآيتان في بناء الإنسان والحضارة - نظرة شاملة
البناء العقلي
الآيتان تدفعان العقل إلى التساؤل والتفكير، لا إلى التسليم الأعمى. تطرحان قضية البعث لتكون ميداناً لاستخدام العقل في أعظم قضايا الوجود. المؤمن الحق هو من يستخدم عقله ليدرك قدرة الله وعظمته.
البناء النفسي
اليقين بالبعث يمنح الإنسان طمأنينة وسكينة، لأنه يعلم أن هذه الدنيا ليست نهاية المطاف، وأن العدل الإلهي سيحقق لا محالة. لا ييأس من روح الله، ولا يقنط من رحمته، ولا يخاف ظلم أحد [غافر: 60].
البناء الجسدي
المؤمن يعتني بجسده لأنه أمانة، ويعمر الأرض بقوته الجسدية، لكنه لا يطغى بهذه القوة، بل يستخدمها في طاعة الله [البقرة: 22].
البناء الثقافي
الثقافة الإسلامية تنبني على التوازن بين المادة والروح، بين الدنيا والآخرة، بين العقل والغيب. هذا التوازن هو سر تميزها وعالميتها.
البناء الاجتماعي
الإيمان بالبعث يخلق مجتمعاً متماسكاً، أفراده يتحابون في الله، ويتعاونون على البر والتقوى، ويتناصحون بالحق والصبر.
البناء الاقتصادي
الاقتصاد الإسلامي يقوم على أساس أن المال مال الله، والإنسان مستخلف فيه، وأنه محاسب على كل قرش من أين اكتسبه وفيم أنفقه.
بناء الدولة والحضارة
الدولة في الإسلام تحمي العقيدة وتطبق الشريعة وتعمّر الأرض وفق منهج الله، والمواطن فيها يعيش آمناً مطمئناً، لأنه يعلم أن هناك يوماً سيلقى فيه ربه.
الخاتمة: دعوة للاستقلال الفكري المبني على الإيمان
الآيتان 82 و83 من سورة المؤمنون تفتحان أمامنا آفاقاً واسعة من التأمل والتدبر. إنهما تدعواننا إلى:
1. اليقين بقدرة الله وعدم استبعاد شيء على قدرته.
2. تحرير العقل من أغلال التقليد والتبعية الفكرية.
3. بناء الشخصية العلمية التي تمحص الأفكار قبل تبنيها.
4. الوعي التاريخي لاستخلاص العبر من تجارب السابقين.
5. عمارة الأرض مع استحضار الآخرة، لتحقيق التوازن المنشود.
إنها دعوة لأن نكون مؤمنين حقيقيين لا نتبع أهواءنا ولا تقاليدنا إذا خالفت شرع الله، وأن نكون مفكرين نقديين لا نقبل الأفكار لمجرد شيوعها أو رواجها، وأن نكون بناء حضارة يعمرها أرض وعيونهم على الآخرة.
رابعاً

تحليل وتفسير الآيتين 84 و85 من سورة المؤمنون

{قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (84) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} (85)

المقدمة: سياق الآيتين وموقعهما في الحوار القرآني
تأتي هاتان الآيتان الكريمتان في سياق الحوار الجدلي العميق الذي يخوضه القرآن مع المكذبين بالبعث، أولئك الذين قالوا في الآيات السابقة: {أَيُّدًا مِثْنًا وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظَامًا أَأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ} (82) لقد وعدنا نحن وأبائنا هذا من قبل إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ {المؤمنون: 82-83}.

بعد أن سجل القرآن مقالتهم التي تكرر الكفار عبر التاريخ، ينتقل الخطاب إلى منهجية جديدة في الرد عليهم، منهجية تقوم على إلزامهم بما يعترفون به في قرارة أنفسهم، وإقامة الحجة عليهم من خلال ما يقرون به من حقائق لا يستطيعون إنكارها. إنه الانتقال من دفع الشبهات إلى بناء اليقين على أسس متينة من الفطرة والعقل.

يقول السعدي في تفسيره: "قل لهؤلاء المكذبين بالبعث، العادلين بالله غيره، محتجا عليهم بما أثبتوه، وأقروا به، من توحيد الربوبية، وانفراد الله بها، على ما أنكروه من توحيد الإلهية والعبادة". -

أولا ٢: تفسير الآية 84 - السؤال الذي يوقظ الفطرة

التحليل اللفظي والمعنوي

{قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}

• {قُلْ}: أمر من الله لنبيه محمد ﷺ، وفيه توجيه لنا جميعاً بأن الحوار والمناقشة هما السبيل الأمثل للوصول إلى الحق.

• {لِمَنِ الْأَرْضُ}: استفهام عن المالك الحقيقي للأرض، أي من هو الخالق المالك المتصرف فيها؟

• {وَمَنْ فِيهَا}: أي جميع المخلوقات التي على الأرض من إنسان وحيوان ونبات وجماد.

• {إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}: شرط جوابه محذوف تقديره: "فأخبروني"، وفيه تحد لهم وإلزام بأن يأتوا بعلم إن كانوا يعلمون.

اللمسات البيانية في الآية

1. الاستفهام التقريري: الهمزة هنا للاستفهام لكنه استفهام تقريري، يهدف إلى إجبارهم على الاعتراف بحقيقة لا يستطيعون إنكارها.

2. التعميم بـ "من": استخدام "من" العاقلة للأرض نفسها، مع أنها جماد، فيه تشخيص بلاغي يرفع من شأن الأرض ويجعلها كأنها كائن واع له مالك [مستنتج].

3. الجمع بين "الأرض" و "من فيها": شمولية تغطي كل ما هو مادي ومخلوق على وجه الأرض، ليقرّوا بأن الكل لله.

4. التعليق بالشرط: {إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} فيه تحد واضح، وكأنه يقول: إن كنتم من أهل العلم والفهم، فأخبروني بهذا الأمر البسيط الواضح.

ثانياً: تفسير الآية 85 - الاعتراف الذي يتحول إلى حجة

التحليل اللفظي والمعنوي

{سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ}

• {سَيَقُولُونَ}: السين للاستقبال، وهي هنا تفيد تحقيق الوقوع، أي سيعترفون حتماً ولا مفر لهم من ذلك.

• {لِلَّهِ}: اللام للاختصاص والملك، أي هي لله وحده ملكاً وخلقاً وتديراً.

• {قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ}: أمر آخر بالرد عليهم بعد اعترافهم، والاستفهام للتعجب والتوبيخ، والتذكر هو استحضار ما يعلمونه بالفطرة.

اللمسات البيانية والتجويدية

1. دلالة "سيقولون" ولم يقل "يقولون": السين تفيد التحقيق والتأكيد، وكأن النتيجة محسومة مسبقاً. وهذا من تمام الحجة، حيث يخبر الله نبيه بما سيجيبون به قبل أن يسألهم [مستنتج].

2. "لله" باللام: اللام هنا للاختصاص والملك، وهي تفيد أن الملك خالص لله لا شريك له. ولو قال "الله" لكان خبراً، لكن "لله" تفيد معنى الاستحقاق والاختصاص [مستنتج].

3. الإدغام في {تَذَكَّرُونَ}: قرئت بإدغام التاء الثانية في الذال، وهو إدغام كامل يعطي نطقاً مؤكداً، يناسب معنى التذكر والاتعاظ.

4. الاستفهام الإنكاري: في {أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} استفهام يراد به التوبيخ والتعجب من عدم اتعاظهم بما يعترفون به.

ثالثاً: صياغة الحوار المنطقي في الآيتين

يمكن صياغة الحوار الذي ترسمه الآيتان على النحو التالي:

الرسول ﷺ (بأمر من ربه): أخبروني - أيها المكذبون - لمن هذه الأرض ومن فيها من المخلوقات، إن كنتم من أهل العلم والمعرفة؟

المشركون (باعتراف فطرتهم): لا نملك إلا أن نقول: إنها لله وحده، فهو خالقها ومالكها ومديرها.

الرسول ﷺ (موجهاً لهم النتيجة): إذا كنتم تعترفون بأن الأرض ومن فيها لله وحده، فكيف تعبدون غيره؟ وكيف تستبعدون قدرته على إحياكم بعد موتكم؟ أفلا تتذكرون أن من يملك هذا الملك كله

هو المستحق للعبادة وحده، وهو القادر على البعث والنشور؟

هذا الحوار يقوم على منطق محكم:

- المقدمة: تعترفون بأن الله مالك الأرض ومن فيها.
- النتيجة اللازمة: إذاً هو المستحق للعبادة (توحيد الألوهية).
- النتيجة اللازمة أيضاً: إذاً هو القادر على البعث والإعادة .

الأمر الاول

الربط بين الإقرار بتوحيد الربوبية ووجوب توحيد الألوهية

المفهوم الاول

الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية

- توحيد الربوبية: هو الاعتقاد بأن الله وحده الخالق الرازق المحيي المميت المدبر للكون. وهذا النوع كان المشركون يقرون به ولا ينكرونه .
- توحيد الألوهية: هو إفراد الله بالعبادة، وصرف جميع أنواع العبادة له وحده. وهذا هو الذي كان المشركون ينكرونه ويمتنعون عنه

المفهوم الثاني .

لماذا كان إقرارهم بالربوبية لا يكفي؟

يقول ابن القيم: "والإلهية التي دعت الرسل أممهم إلى توحيد الرب بها هي العبادة والتأليه، ومن لوازمها توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون فاحتج الله عليهم به، فإنه يلزم من الإقرار به الإقرار بتوحيد الإلهية".

المنطق هنا: من أقر بأن الله هو المالك وحده، لزمه أن لا يعبد مملوكاً. فكيف يعبدون من هم مملوكون لله؟ وكيف يشركون معه من لا يملك شيئاً؟ .

المفهوم الثالث

دور الآية في إبطال عقيدة المشركين

هذه الآية تبطل عقيدة المشركين من أساسها، لأنها تكشف التناقض الصارخ في موقفهم:

• يعترفون بأن الله خالق كل شيء.

• ثم يعبدون مخلوقات لا تخلق شيئاً.

• يقرون بأنه المالك وحده.

• ثم يتقربون إلى ممالئكه .

قال ابن كثير: "يقرر تعالى وحدانيته، واستقلاله بالخلق والتصرف والملك، ليرشد إلى أنه الذي لا إله إلا هو، ولا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له".

الأمر الثاني

دلالة "أفلا تذكرون" - تفعيل الفطرة والتأمل

المفهوم الاول

حقيقة التذكير التي غابت عنهم

التذكير المطلوب هنا هو استحضار ما هو كامن في الفطرة من الإقرار بأن الله هو الخالق المالك. لقد غاب عنهم هذا المعنى بسبب الإعراض والغفلة . يقول السعدي: "أفلا ترجعون إلى ما ذكركم الله به، مما هو معلوم عندكم، مستقر في فطركم، قد يغيبه الإعراض في بعض الأوقات".

المفهوم الثاني

الفرق بين التذكر والتفكير

• التفكير: هو نظر العقل في الأدلة للوصول إلى النتائج.

• التذكر: هو استحضار ما هو موجود أصلاً في الفطرة والعقل .

ولهذا قال {أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} ولم يقل "أفلا تتفكرون"، لأن الأمر هنا ليس بحاجة إلى تفكير عميق، بل هو أمر بديهي فطري، يحتاج فقط إلى إزالة غشاوة الغفلة .

المفهوم الثالث

فائدة التفعيل للتذكير في تربية النفس والأبناء

تفعيل التذكر في النفس والتربية له فوائد عظيمة:

1. ربط العلم بالسلوك: عندما ندرك أن الله هو المالك، يتحول العلم إلى سلوك عملي [مستنتج].
2. تحويل المعرفة النظرية إلى يقين قلبي: التذكر الدائم يجعل الإيمان راسخاً في القلب .
3. تربية الأبناء على التدبر: بتوجيه أسئلة كونية للأبناء: من خلق هذا؟ من رزقنا؟ فيتربون على استحضار الله في كل لحظة [مستنتج].
4. تثبيت العقيدة: كلما تذكر الإنسان أن الله هو المالك، ازداد إيمانه وثباته .

الأمر الثالث

الآثار الإيمانية والسلوكية للإقرار بملكية الله

المفهوم الاول

على الصعيد الإيماني واليقيني

1. الطمأنينة القلبية: من أيقن أن الملك لله، اطمأن قلبه وعلم أن كل شيء بيد الله .
2. الرضا بالقضاء والقدر: عندما تعلم أن المالك الحقيقي يفعل ما يشاء، ترضى بقضائه [مستنتج].
3. اليقين بقدرة الله على البعث: من ملك الأرض ومن فيها، قادر على إحياء الموتى، لأن الإعادة أهون من البدء

المفهوم الثاني.

على صعيد العمل والرزق

1. التوكل على الله: من علم أن الرزق بيد الله وحده، توكل عليه ولم يقلق من أسباب الرزق [مستنتج].
2. عدم الخوف من البشر: عندما تعلم أن النفع والضرر بيد الله، لا تخاف من مخلوق .
3. الشجاعة في طلب الرزق: لأن الرزق مضمون من المالك الحقيقي [مستنتج].

المفهوم الثالث

على صعيد العلاقات

1. التواضع: لأن الجميع ممالك لله، فلا تكبر على عبد من عباد الله [مستنتج].
2. العدل: لأن الله المالك أمر بالعدل [مستنتج].
3. العفو والتسامح: لأنك تعلم أن الحساب النهائي بيد المالك الحقيقي [مستنتج].

المفهوم الرابع

على صعيد المسؤولية

1. الإتقان في العمل: لأنك تعمل لمن يملك كل شيء ويرى كل شيء .
2. الاستخلاف في الأرض: تشعر بأنك مستخلف في ملك الله، فتعمره وتصلحه [مستنتج].
3. مراقبة الله: لأن المالك الحقيقي مطلع على كل تصرفاتك [مستنتج].

المفهوم الخامس

على صعيد النفس

1. عزة النفس: تشعر بعزة حقيقية لأنك عبد للملك الحق، لا عبد للبشر [مستنتج].
2. الاستغناء بالله: تستغني بالله عن خلقه [مستنتج].
3. تحرير النفس من التبعية: لا تتبع إلا من خلقك وملكك [مستنتج].

الامر الرابع

كيف نطبق مفهوم "الملك لله" في حياتنا؟

في اتخاذ القرارات

قبل أي قرار، نسأل: هل هذا القرار يرضي المالك الحقيقي؟ فالملك لله، وأنا مستخلف في ملكه، فلا أتصرف إلا بما يرضيه.

في التعامل مع النعم

كل نعمة هي عارية من المالك، سيسألني عنها. فلا أبخل بها، ولا أستعملها في معصيته.

في الرضا بالأقدار

إذا فاتني شيء، أتذكر أن المالك أعلم بمصلحتي، وأن ما أعطاه ليسرني، وما منعه لحكمة.

في العلاقات مع الناس

أتعامل معهم كـ ممالك لله، لهم حقوق وعليهم واجبات، والله سيفصل بيننا يوم القيامة.

في العمل والإنتاج

أتقن عملي لأنني أعمل لـ مالك الملك، وهو يحب الإتقان.

الامر الخامس

دلالة الآيات في بناء الإنسان والمجتمع

بناء الإنسان عقلياً

1. تنمية التفكير النقدي: الآية تعلمنا ألا نقبل الأفكار إلا بعد تمحيصها، وأن نستخدم العقل في الوصول إلى الحق .

2. التحرر من التقليد: لأن الآية توقفنا عند أسئلة توقظ العقل، لا تكتفي بما قاله الآباء [مستنتج].

3. بناء العقلية العلمية: تعتمد على البرهان والدليل، لا على الأهواء [مستنتج].

بناء المجتمع

1. مجتمع الحوار والمنطق: الآية ترسخ ثقافة الحوار بدل الغطرسة والإكراه. يقول تعالى: {اذع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن} [النحل: 125].

2. مجتمع قائم على الحق: لا على القوة أو الجاه أو المال [مستنتج].

3. مجتمع متسامح: لأن الجميع يعلمون أن الحكم لله وحده [مستنتج].

بناء الحضارة

عندما يدرك الإنسان أن الملك لله، وأنه مستخلف في الأرض، فإنه:

• يعمر الأرض لأنه مؤتمن عليها.

• يبتكر ويبذل لأن العقل أمانة من الله.

- يعدل ويحسن لأن الله يحب المحسنين.
- يتقدم ويتطور لأنه يسخر الكون لخدمة البشرية وفق منهج الله.

الامر السادس

الخاتمة: دعوة للاستيقاظ الفطري

الآيتان الكريمتان تضعاننا أمام مرآة فطرتنا، لتربينا التناقض بين إقرارنا بأن الله رب كل شيء، وبين واقعنا إن كنا نعبد غيره أو نخاف سواه.

إنهما دعوة لأن:

- نوقظ عقولنا بالتذكر الدائم.
 - نحرر قلوبنا من التعلق بغير الله.
 - نربي أنفسنا وأبنائنا على استحضار ملكية الله في كل لحظة.
 - نبني مجتمعاً يقوم على الحوار والمنطق والحق.
 - نعمر الأرض ونحن نوقن أننا سترجع إلى مالك الملك وحده.
- نسأل الله أن يجعلنا ممن {يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} [آل عمران: 191].

خامساً

تفسير الآيتين 86 و 87 من سورة المؤمنون

{قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (86) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ} (87)

المقدمة: الانتقال من الأرض إلى السماوات - تصاعد في الحجة وتربية للنفس

بعد أن ألزم الله المشركين في الآيتين السابقتين (84) - (85) بالاعتراف بأن الأرض ومن فيها لله وحده، ينتقل الخطاب القرآني في هاتين الآيتين إلى مرحلة أعلى وأوسع من الحجاج، فيصعد بالبصر والفكر من الأرض إلى السماء، ومن الملك المشاهد إلى الملكوت الأعلى الذي يشمل السماوات السبع والعرش العظيم.

هذا الانتقال يحمل في طياته منهجاً تربوياً عظيماً، حيث يبدأ القرآن مع الإنسان بما هو أقرب إليه وأكثر مشاهدة (الأرض)، ثم يصعد به إلى ما هو أبعد وأعظم (السماوات)، لتتسع دائرة التأمل ويزداد اليقين، فيصل الإنسان إلى قناعة راسخة بأن رب هذا الكون العظيم هو المستحق وحده للعبادة و الخضوع.

يقول الإمام الرازي: "لما ذكر تعالى الأرض وما فيها، ذكر بعد ذلك السماوات السبع والعرش العظيم، تنبيهاً على أن من قدر على خلق هذه الأجرام العظيمة، كان قادراً على البعث والإعادة، وكان هو المستحق للعبادة دون غيره".

أولاً ٢: تفسير الآية 86 - السؤال عن رب السماوات والعرش التحليل اللفظي والمعنوي

{قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ}

١. مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ: استفهام عن خالق السماوات ومالكها ومديرها. وتخصيص العدد سبع مع أن العرش ليس من السماوات، يدل على عظمة الخلق وتعدد طبقاته.

٢. وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ: العرش في لغة العرب هو سرير الملك، ويطلق على ملك الله الأعظم الذي لا يدرك كنهه. ووصفه بـ {العظيم} إشارة إلى سعته وعظمة خلقه، فهو أعظم المخلوقات وأوسعها.

المسامات البيانية والبلاغية

1. الانتقال من الاستفهام عن الملكية إلى الاستفهام عن الربوبية: في الآية السابقة قال {يَمَنُ الْأَرْضُ} (لمن الملكية)، وهنا قال {مَنْ رَبُّ} (من الرب المدبر). (وهذا ارتقاء في الحجة، لأن الربوبية أعم وأشمل من الملكية، فهي تتضمن الخلق والرزق والتدبير والتربية والتعهد.
 2. التدرج في السؤال: بدأ بالأرض، ثم بالسماوات، ثم بالعرش العظيم. هذا التدرج يجعل العقل يتصاعد في التأمل حتى يصل إلى أعظم المخلوقات، فيزداد إدراكاً لعظمة الخالق.
 3. الإضافة في {رَبُّ السَّمَاوَاتِ}: إضافة الرب إلى السماوات تفيد الاختصاص والملازمة، أي أنه ربها الذي لم تزل ولا تصلح إلا بتربيته وتدبيره.
 4. تكرار لفظ "رب" في {رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} مع أن الأصل "ورب العرش"، لكن التكرار يفيد التوكيد والتعظيم، وكأنه ينبه إلى أن ربوبية العرش مستقلة في عظمتها [مستنتج].
 5. وصف العرش بـ {العظيم}: ولم يقل "الكبير" أو "الواسع"، لأن العظمة تجمع معاني الكبر والعلو والجلال والهيبة. وهذا الوصف يهيئ النفس لاستشعار عظمة من استوى على هذا العرش.
- لماذا خص السماوات السبع والعرش العظيم بالذكر؟

1. للدلالة على عظمة الخالق: فكلما كان المخلوق أعظم، كان دلالاته على عظمة الخالق أوضح.
2. لإقامة الحجة على المشركين: لأنهم كانوا يعترفون بأن الله خلق السماوات، قال تعالى: {وَلَّيْنِ سَأَلْتَهُم مِّنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ لِلَّهِ} [لقمان: 25]
3. للإشارة إلى البعث: فالذي خلق هذه الأجرام العظيمة قادر على إعادة الخلق بعد موتهم.
4. لبيان سعة ملك الله: فمن ملك السماوات السبع والعرش العظيم، ملك كل شيء.

ثانياً: تفسير الآية 87 - الاعتراف الثاني والتوبيخ على عدم التقوى

التحليل اللفظي والمعنوي

{سَيَقُولُونَ لِلّٰهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ}

{سَيَقُولُونَ لِلّٰهِ}: نفس الإجابة السابقة، اعتراف منهم بأن رب السماوات والعرش هو الله وحده.
{قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ}: الاستفهام للتوبيخ والتعجيب، والتقوى هي اتخاذ وقاية من عذاب الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه.

اللمسات البيانية والتجويدية

1. تغيير صيغة التعقيب: في الآية السابقة قال { أَفَلَا تَذَكَّرُونَ }، وهنا قال { أَفَلَا تَتَّقُونَ }، وهذا تصاعد في المطالبة:

• التذكّر: دعوة للعقل أن يستحضر ما يعلمه.

• التقوى: دعوة للسلوك أن ينضبط بما علمه.

فبعد أن ذكرهم بالاعتراف العقلي، يطالبهم الآن بالانعكاس السلوكي لهذا الاعتراف.

2. السين في {سَيَقُولُونَ}: تفيد تحقيق الوقوع، وكأن الجواب محسوم لا مجال للتردد فيه.

3. الاستفهام الإنكاري: في { أَفَلَا تَتَّقُونَ } توبيخ شديد، يعني: كيف لا تخافون عقاب من تعترفون بأنه رب السماوات والعرش؟

ثالثاً: الأسلوب التربوي في الانتقال من الأرض إلى السماوات

الحكمة من هذا التدرج

1. التربية على التأمل المتدرج: لا يقتحم القرآن على الإنسان ما لا يطيق، بل يأخذه خطوة خطوة من القريب إلى البعيد، ومن المشاهد إلى الغائب، ليتعود عقله على التأمل والتفكير.

2. بناء اليقين على مراحل: كل مرحلة تضيف بعداً جديداً لليقين، حتى يصل الإنسان إلى الإيمان الراسخ الذي لا تتزعزعه الشبهات.

3. تنمية الشعور بعظمة الله: كلما اتسع أفق التأمل، ازدادت العظمة في القلب، فبعد أن رأى الأرض ومن فيها، يرفع بصره إلى السماوات السبع، ثم إلى العرش العظيم، ليدرك أن الله أكبر من كل شيء.

أثر هذا الانتقال في نفس المؤمن

هذا التصاعد في التأمل يحدث في نفس المؤمن آثاراً عميقة:

• تصغر في عينه المخلوقات مهما عظمت، لأنها كلها تحت ملكوت الله.

• يزداد خضوعه لله، لأنه أدرك عظمة من يستحق الخضوع.

• تتحرر نفسه من الخوف من البشر، لأنه يعلم أن من بيده السماوات والعرش هو ناصره وحافظه.
يقول ابن القيم: "ما استعظمت المخلوقات في عين من عرف الله، ولا هالته أقدارها، لأن الله أكبر منها وأعظم، وكيف يستعظم مخلوقاً من هو تحت ملكوته وقدرته؟!"

رابعاً: دلالة ذكر العرش العظيم وأثرها في النفس

العرش: أعظم المخلوقات

العرش العظيم هو أعظم مخلوقات الله وأوسعها، وهو سقف المخلوقات، وقد ورد في الحديث: "ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة".

لماذا وصف بالعظيم؟

وصف العرش بالعظيم يحمل دلالات:

1. عظمة الذات: فهو ضخم هائل لا يدرك البشر كنهه.

2. عظمة المكانة: فهو محل استواء الرحمن، ولهذا شرف وفضل.

3. عظمة الإحاطة: فهو يحيط بالكون كله.

أثر هذا الوصف في نفس المؤمن

عندما يتأمل المؤمن أن الله رب هذا العرش العظيم:

• يمتلئ قلبه إجلالاً ومهابة لله.

• يشعر بصغر نفسه أمام عظمة خالقه، فيتواضع ولا يتكبر.

• يزداد يقيناً بأن من هذا شأنه لا يعجزه شيء، فيطمئن قلبه.

قال ابن كثير: "وفي ذكر العرش العظيم تنبيه على عظمته سبحانه، فإنه رب العرش العظيم الذي هو أعظم المخلوقات، فكيف بمن هو خالقه وربّه؟!"

خامساً: من آثار استحضار عظمة الله في حياة المؤمن

1. تعظيم أوامر الله ونواهيه

من استحضر في قلبه عظمة الله، عظم أوامره، فكان همه الأول هو رضا الله لا رضا الناس. قال تعالى: {وَمَنْ يُعْظِمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ} [الحج: 32]

2. التوكل على الله والثقة به

عندما يعلم المؤمن أن الله رب السماوات والعرش، يثق بأنه كافيه وحافظه، فلا يلتفت إلى الأسباب الضعيفة عند الشدائد. يقول تعالى: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطلاق: 3]

تطبيق عملي: عندما أواجه مشكلة أو ضيقاً، أتذكر أن رب السماوات السبع هو ربي، فيطمئن قلبي،

والتجئ إليه أولاً قبل أي سبب.

3. التواضع والانكسار لله

من رأى عظمة الخالق، تواضع هو أمامه. قال رسول الله ﷺ: "وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ". كيف نطبق؟

. عندما ننظر إلى السماء، نتذكر أننا نقطة صغيرة في هذا الكون الفسيح.

. عندما نشعر بالكبر، نتذكر أننا خلقنا من تراب وسنعود إليه.

. عندما نتعامل مع الناس، نتواضع لهم لأن الجميع مخلوقون لله.

4. الطمأنينة والتحرر من المخاوف

من أيقن أن الله رب كل شيء:

. لا يخاف على رزقه، فالرزاق هو رب السماوات والأرض.

. لا يخاف من ظلم أحد، فالله ناصره.

. لا يقلق من المستقبل، فالأمر كله بيد الله.

5. الإخلاص لله

عندما تدرك أن الله رب كل شيء، تدرك أنه لا يستحق الثناء والعبادة إلا هو. فتخلص له في عبادتك،

ولا تطلب ثناء الناس. قال تعالى: {أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ} {الزمر: 3}

6. اليقظة واستشعار وجود الله

من استحضر عظمة الله، يستشعر وجوده قبل أي عمل، فيراقبه ويتقيه. قال ﷺ: "الإحسان أن تعبد

الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك".

سادساً: تطبيقات عملية من الآيتين في حياتنا

1. عند النظر إلى السماء

اجعل النظر إلى السماء عادة تأمل وتعبد، تقول: سبحان ربي الأعلى، رب هذه السماوات السبع، الذي

رفعها بلا عمد، وزينها بالنجوم، وأجرى فيها الشمس والقمر. هذا التأمل يورث الخشية والمحبة.

2. عند مواجهة المشكلات

قبل أن تبحث عن حلول بشرية، ارفع بصرك إلى السماء، وقل: رب السماوات والعرش العظيم، أنت

حسبي ونعم الوكيل. هذا يورثك قوة نفسية لا تهتز.

3. عند الشعور بالكبر

تذكر العرش العظيم، ثم انظر إلى نفسك، هل تستحق الكبر أمام من هو رب ذلك العرش؟ هذا يورث

التواضع.

4. في قراراتك اليومية

استحضر قبل كل قرار أن الله يراك، وأنه رب كل شيء، فاختر ما يرضيه. هذا يورث الاستقامة.

5. في التعامل مع الناس

تذكر أن الناس جميعاً عبيد لله، رب السماوات والعرش، فلا تظلمهم ولا تحتقرهم. هذا يورث العدل و

الرحمة.

سابعاً: دور الآية في بناء الإنسان والمجتمع والدولة والحضارة

بناء الإنسان

هذه الآية تبني الإنسان المتوازن:

. عقلياً: تعلمه التفكير والتأمل والانتقال من المشاهد إلى الغائب.

. نفسياً: تمنحه طمأنينة وثقة وتحرره من المخاوف.

. روحياً: تغرس في قلبه تعظيم الله ومحبته والإخلاص له.

. سلوكياً: تحثه على التقوى ومراقبة الله في كل أعماله.

بناء المجتمع

هذه الآية تبني مجتمع الموحدين الذي يقوم على:

. التواضع: لا تكبر فيه ولا تفاخر بالأنساب والأموال.

. العدل: لأن الجميع تحت ملكوت الله.

. التسامح: لأن الحساب عند الله.

. التعاون: لأن الجميع عباد الله.

بناء الدولة

الدولة التي تقوم على هذا الأساس هي دولة الموحدين التي:

. تحكم بشرع الله لأنه رب كل شيء.

. تقيم العدل لأنه أمر الله.

. تحمي الضعيف لأن الله ناصره.

. تزدهر بالعلم والعمل لأن الكون مسخر للإنسان بأمر الله.

بناء الحضارة

الحضارة الإسلامية قامت على أساس توحيد الله وتعظيمه. هذا الأساس:

. حرر العقل من الخرافة والأسطورة.
. أطلق طاقات الإبداع لأن الكون ميدان للتسخير.
. وازن بين المادة والروح لأن الله رب الدنيا والآخرة.
. أنتج علماً نافعا لأنه عبادة وطلب لمعرفة سنن الله.
ثامنا: لماذا {أفلا تتقون} {بعد} أفلا تذكرون؟
هذا الانتقال من التذكر إلى التقوى يحمل رسالة تربوية عميقة:
1. العلم وحده لا يكفي، بل لا بد من سلوك يتبعه.
2. التذكر مقدمة للتقوى، فمن تذكر عظمة الله خافه واتقاه.
3. الهدف النهائي من معرفة الله هو عبادته وتقواه، لا مجرد المعرفة النظرية.
يقول ابن تيمية: "العلم بالله وأسمائه وصفاته يوجب خشيته وتقواه، كما قال تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [فاطر: 28]".
الخاتمة: دعوة لاستحضار العظمة
الآيتان 86 و 87 من سورة المؤمنون تفتحان لنا نافذة على عظمة الله التي لا تحد، وتدعوانا لأن نعيش بهذه العظمة في قلوبنا، فتتواضع نفوسنا، وتطمئن قلوبنا، وتستقيم أعمالنا.
إنهما دعوة لأن:
. نرفع أبصارنا إلى السماء لتتذكر من رفعها.
. نغرق إيماننا بأن الله رب كل شيء.
. نحرر قلوبنا من الخوف من البشر.
. نخلص أعمالنا لله وحده.
. نبني مجتمعنا ودولتنا وحضارتنا على أساس توحيد الله وتعظيمه.
نسأل الله أن يرزقنا خشيته في الغيب والشهادة، وأن يجعلنا ممن {يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [النحل: 50]

سادسا

تفسير الآيتين 88 و 89 من سورة المؤمنون
{قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (88) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ
قُلْ فَأْتِيْ تَسْحَرُونَ (89)
المقدمة: ذروة الحجاج القرآني وغاية التوحيد
بعد أن سار القرآن بالمشركون في رحلة حجاجية متدرجة، بدأها بالسؤال عن الأرض ومن فيها (الآية 84)، ثم ارتقى بهم إلى السؤال عن رب السماوات السبع والعرش العظيم (الآية 86)، يصل بهم الآن إلى القمة والذروة في هذه السلسلة من الأسئلة الكونية: السؤال عن ملكوت كل شيء، وعن الإجارة المطلقة التي لا نظير لها .
هذه الآيات تمثل ختام المقطع الحجاجي في سورة المؤمنون، وهي تضع المشركون أمام الحقيقة الكبرى: أن الله وحده هو المالك الحقيقي لكل شيء، الحافظ المجير، الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء . وبعد كل هذه الإقرارات المتكررة منهم بأن الله هو الخالق المالك المدبر، يأتي السؤال التوبيخي الحاسم: {فَأْتِيْ تَسْحَرُونَ}، أي كيف تخدعون وتصرفون عن الحق بعد هذا البيان والوضوح؟
يقول الإمام الشوكاني: "لما تقدّم إقرارهم بأن الله رب السماوات والأرض وما بينهما، ورب العرش العظيم، أتبعه سبحانه سؤالا آخر يقرر به وحدانيته وينفي به الشراكة".
أولا : تفسير الآية 88 - سؤال الملكوت والإجارة

التحليل اللفظي والمعنوي

{قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}
. {مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ}: الملكوت هو الملك العظيم الشامل، زيادة الميم والواو والتاء للمبالغة في العظمة والشمول . فهو ملك خاص، وسلطان كامل، وتصرف مطلق بكل شيء .
. {بِيَدِهِ}: اليد هنا كناية عن القدرة والسلطان والتحكم الكامل، وليست جارحة، فهو تمثيل للقدرة المطلقة .
. {وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ}: الإجارة هي الحماية والمنعة والإغاثة . والمعنى: هو الذي يحمي من يشاء ممن يشاء، ولا يستطيع أحد أن يحمي أحداً منه إذا أراد به سوءاً .
. {إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}: شرط جوابه محذوف، وفيه تحدٍ لهم وإلزام بأن يأتوا بعلم إن كانوا يعلمون .
اللمسات البيانية والبلاغية
1. استخدام {مَلَكُوتُ} ولم يقل "ملك": لأن الملكوت أبلغ وأعظم، فهي صيغة مبالغة تدل على كمال القدرة وشمول السلطان .
2. {بِيَدِهِ}: التعبير باليد فيه إشارة إلى القدرة المطلقة، والتحكم المباشر، والتصرف الكامل دون وسيط .
3. {كُلِّ شَيْءٍ}: تعميم شامل يشمل كل المخلوقات، دقيقها وجليلها، ظاهرها وباطنها، ما نعلم وما لا نعلم .

4. الجملة الاسمية {وَهُوَ يُجِيرُ}: تفيد الثبوت والدوام، أي أنه دائماً وأبداً هو المجير وحده .
5. الطباق في {يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ}: هذا الطباق يبرز معنى التفرد والانفراد بهذه الصفة، فهو وحده الذي يملك الإجارة، ولا أحد يقدر أن يجير عليه .
6. {إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}: تعليق الجواب بالشرط فيه تحدّ واضح، وكأنه يقول: إن كنتم من أهل العلم فأخبروني بهذه الحقيقة الواضحة .

اللمسات التجويدية

- مد {ملكوت}: مد طبيعي حركتان، وفيه إعطاء الكلمة حقها من التمكين في النطق، ليشعر السامع بعظمة هذا الملكوت .
- تفخيم لفظ الجلالة: في قوله {لِلَّهِ} في الآية التالية، تفخيم يعطي الإجلال والمهابة .
- السكت على بعض الكلمات: في بعض القراءات، مما يعطي فرصة للتأمل في عظمة المعنى .

ثانياً: تفسير الآية 89 - الاعتراف الثالث والتوبيخ على السحر الفكري
التحليل اللفظي والمعنوي

- {سَيَقُولُونَ لِلَّهِ} ٥ قُلْ فَأْتِيْ تَسْحَرُونَ
- {سَيَقُولُونَ لِلَّهِ}: اعترافهم الثالث المتكرر بأن الملكوت والإجارة لله وحده .
- {فَأْتِيْ تَسْحَرُونَ}: "أتى" اسم استفهام بمعنى "كيف" و"من أين"، و"تسحرون" أي تخدعون وتصرفون عن الحق بعد وضوحه . والسحر هنا ليس السحر المعروف، بل هو سحر الباطل الذي يخدع العقول ويصرفها عن الحق .

اللمسات البيانية والبلاغية

1. تأكيد الاعتراف بـ {سَيَقُولُونَ}: السين تفيد تحقيق الوقوع، وكأن الجواب محسوم لا يحتاج إلى انتظار .
2. {فَأْتِيْ}: الفاء للعطف على مقدر، والتقدير: إذا أقررتم بذلك كله، فكيف تخدعون وتصرفون عن الحق ؟ .
3. {تَسْحَرُونَ}: استخدام فعل السحر للإشارة إلى أن الذي يصرفهم عن الحق هو تلبيس إبليس وتزيينه، وكان عقولهم قد سُحِرت فلم تعد ترى الحق حقاً .
4. الاستفهام التعجبي التوبيخي: في {فَأْتِيْ} استفهام للتعجيب والتوبيخ، يعني: كيف يخدعكم الشيطان وتخدعون به بعد هذا البيان ؟ .

اللمسات التجويدية

- مد {أتى}: مد طبيعي يعطي فرصة للتأمل في معنى الاستفهام .
- إدغام {تَسْحَرُونَ}: في بعض القراءات، إدغام يعطي سرعة في النطق تناسب معنى السحر والخداع الذي يحدث بسرعة .

الأمر الأول

دلالة الملكوت - تحرير الإنسان من الخوف

المفهوم الأول

ماذا يعني ملكوت كل شيء؟

ملكوت كل شيء يعني أن كل شيء في الكون - صغيره وكبيره، ظاهره وباطنه - تحت سيطرة الله المطلقة:

- الرزق: بيده وحده، قال تعالى: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا} [هود: 6].
- الحياة والموت: بيده وحده، قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ} [المؤمنون: 80].
- النفع والضر: بيده وحده، قال تعالى: {وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِقَضَائِهِ} [يونس: 107].
- المستقبل: بيده وحده، قال تعالى: {قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَقْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ} [الأعراف: 188].

المفهوم الثاني

كيف ينعكس ذلك على نفس المؤمن؟

عندما يدرك المؤمن أن كل شيء بيد الله:

1. الطمأنينة النفسية: يطمئن قلبه، ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه .
2. التحرر من الخوف على الرزق: لا يقلق من الغد، فالرازق هو مالك كل شيء .
3. التحرر من الخوف من البشر: لا يخاف من مخلوق، لأن كل مخلوق تحت ملكوت الله .
4. التوكل الحقيقي: يتوكل على الله حق التوكل، ويلتجئ إليه دون غيره .

المفهوم الثالث

التفرد الإسلامي في تحرير الإنسان

عقيدة التوحيد هي وحدها التي تحرر الإنسان حقاً من المخاوف:

- الديانات الوثنية: تجعل الإنسان خائفاً من آلهة متعددة، فيحتاج لاسترضاء هذا وذاك .
- الفلسفات المادية: تجعل الإنسان خاضعاً للطبيعة أو للتاريخ أو للدولة .

. النظم الاستبدادية: تخوف الناس من السلطان لتبقيهم خاضعين .
أما الإسلام فيحرر الإنسان من كل هذه المخاوف، فلا يخاف إلا من الله، وهذا هو العز الحقيقي و الحرية الكاملة . قال تعالى: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّتُكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ} [الزمر: 36].

الامر الثاني

دلالة الإجارة - القوة المطلقة والأمن الكامل

المفهوم الاول

معنى الإجارة في الآيه

الإجارة تعني الحماية والمنعة والإغاثة:

. يُجِيرُ: يحمي من يشاء ويغيثه وينصره .

. وثا يُجَارُ عَلَيْهِ: لا يستطيع أحد أن يحمي ممن أراد الله به سوءاً، ولا يمنع أحد من عذاب الله إذا نزل .

المفهوم الثاني

ماذا تعني هذه الحقيقة للمؤمن؟

1. عدم تعلق القلب بغير الله: من أيقن أن الإجارة كلها بيد الله، لا يتعلق قلبه بأحد سواه، ولا يطلب الحماية من غيره .

2. القوة في مواجهة الأزمات: عندما يعلم المؤمن أنه يستند إلى من لا يُجار عليه، لا تنكسر نفسه أمام المصائب، ولا يضعف أمام الأعداء .

3. تصحيح النظرة للمقادير المؤلمة: يدرك أن ما أصابه لم يكن ليُدفع بأحد، فيرضى بقضاء الله، ولا يحزن على ما فات .

المفهوم الثالث

كيف تنعكس هذه المعرفة على السلوك؟

. عند الخوف: يلتجئ إلى الله وحده، ولا يخاف من مخلوق .

. عند الظلم: يثق أن الله ناصره، ولا ييأس من نصر الله .

. عند الشدة: يعلم أن الفرج بيد الله، فيصبر ويحتسب .

يقول ابن تيمية: "من أيقن أن الله وحده هو الذي يضر وينفع، ويعطي ويمنع، لم يخف أحداً سواه، ولم يرج أحداً غيره".

الامر الثالث

تحقيق التوحيد في الخوف والرجاء والرضا

الآية تحقق في المؤمن أركان التوحيد العملية:

1. توحيد الخوف

لا يخاف المؤمن إلا من الله، قال تعالى: {فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران: 175].
من علم أن الإجارة كلها بيد الله، لا يخاف من مخلوق.

2. توحيد الرجاء

لا يرجو المؤمن إلا الله، قال تعالى: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا} [الكهف: 110]. من علم أن كل شيء بيد الله، لا يرجو من أحد سواه.

3. توحيد الرضا والتسليم

يرضى المؤمن بقضاء الله، قال تعالى: {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} [المائدة: 119]. من علم أن ملكوت كل شيء لله، يسلم له في كل شيء.

4. توحيد الثقة والتوكل

يتوكل المؤمن على الله وحده، قال تعالى: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطلاق: 3]. من علم أن الإجارة بيد الله، يثق به وحده.

5. طلب الجوار من الله وحده

الجوار (الحماية والأمان) لا يطلب إلا من الله، لأن من يطلب الجوار من مخلوق، فذلك المخلوق محتاج هو نفسه إلى من يجيره .

الامر الرابع

: {فَأْتِ تَسْحَرُونَ} - كشف خداع الباطل وتحرير العقول

المفهوم الاول

ما هو السحر الفكري؟
السحر المذكور هنا ليس السحر الشعوذي، بل هو تلبيس الباطل وتزيينه حتى يبدو في صورة الحق . وهذا هو أخطر أنواع السحر، لأنه يصيب العقل في مركز إدراكه، فيصبح لا يرى الحق حقاً ولا الباطل باطلاً .

المفهوم الثاني

كيف يزين الشيطان الباطل؟

1. تزيين عبادة غير الله: يجعل المشركين يرون أن أصنامهم تنفع وتضر .
2. تزيين الخوف من المخلوقين: يجعل الناس يخافون من سلطان أو جاه أو مال .
3. تزيين الأفكار الهدامة: يجعل الأفكار الإلحادية تبدو عصرية، والأفكار الإسلامية تبدو متخلفة .
4. تزيين المغريات الدنيوية: يجعل الإنسان يظن أن السعادة في المال والجاه والشهوات .

المفهوم الثالث

كيف تعمل الآية على تطهير العقول؟

1. كشف التناقض: تبين تناقض المشركين بين إقرارهم وإشراكهم .
2. إقامة الحجة العقلية: تقدم حججاً عقلية واضحة لا تقبل الجدل .
3. دعوة للتفكير: توقظ العقل من غفلته، وتدعوه للتأمل في ملكوت الله .
4. تحرير الوعي: تجعل الإنسان حراً لا يستعبده مخلوق .

المفهوم الرابع

شفقة الله على الإنسان

هذا الأسلوب الحوارى في القرآن يدل على رحمة الله وشفقته على عباده، حيث:

- لا يتركهم في ضلالهم دون تنبيه .
- يوقظ فيهم الفطرة التي نامت .
- يحررهم من عبودية المخلوقين ليعبدوا الخالق وحده .
- يبين لهم الطريق بوضوح، ثم يترك لهم حرية الاختيار .

الامر الخامس

الآية وبناء الإنسان الحر القوي

المفهوم الاول

بناء الإنسان نفسياً

1. الصحة النفسية: من لا يخاف إلا الله، يعيش مطمئناً، لا تقلقه مخاوف المستقبل، ولا تخيفه تهديدات البشر .
2. الطمأنينة القلبية: يعلم أن كل شيء بيد الله، فيرضى ويطمئن .
3. الشجاعة والإقدام: لا يخشى في الحق لومة لائم، لأنه لا يخاف إلا الله .
4. الثبات عند المصائب: لا ينهار ولا ينكسر، لأنه يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه .

المفهوم الثاني

بناء الإنسان عقلياً

1. تحرير العقل من الخرافة: لا يخاف من تطير أو تشاؤم أو أوهام .
2. تحرير العقل من التبعية الفكرية: لا يقلد أحداً لمجرد هيئته أو سلطانه .
3. تحرير العقل من الإعلام المضلل: لا ينخدع بالدعايات والشعارات .
4. بناء التفكير النقدي: يميز بين الحق والباطل، ولا يقبل الأفكار دون تمحيص .

المفهوم الثالث

بناء الإنسان اجتماعياً

1. الحرية في العلاقات: لا يخضع لأحد لمجرد الخوف منه .
2. العدل في المعاملات: لا يظلم أحداً لأنه يخاف الله، ولا يخاف مخلوقاً فيمتنع عن الحق .
3. التعاون الإيجابي: يتعاون مع الناس على البر والتقوى، لا بدافع الخوف منهم، بل بدافع الحب في الله .

الامر السادس

الآية وبناء المجتمع والدولة والحضارة

المفهوم الاول

بناء المجتمع المسلم

المجتمع الذي يعيش أفراداه بهذه العقيدة هو مجتمع الأحرار:

- لا طبقية: الجميع عبيد لله، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى .
- لا استبداد: لا يخضع الناس لحاكم ظالم خوفاً منه، بل يتهون عن المنكر ويأمرون بالمعروف .
- لا تبعية خارجية: لا يخضعون لقوى خارجية تهددهم، لأنهم لا يخافون إلا الله .
- تماسك وتراحم: يتراحمون لأنهم إخوة في الله، لا خوف يفرقهم ولا طمع يجمعهم على باطل .

المفهوم الثاني

بناء الدولة

الدولة التي تقوم على هذا الأساس هي دولة الموحدين:

- سيادة القانون الإلهي: الحكم لله وحده، لا للحاكم ولا للطبقة الحاكمة .
- العدل المطلق: الحاكم والمحكوم تحت القانون، الكل يخاف الله .
- القوة والعزة: لا تستعبد قوة خارجية، لأنها تستند إلى قوة الله .
- الاستقرار والتنمية: المواطنون آمنون مطمئنون، فيعملون وينتجون ويبدعون .

المفهوم الثالث

بناء الحضارة

الحضارة الإسلامية قامت على أساس تحرير الإنسان من الخوف:

- حرية البحث العلمي: العالم لا يخاف من سلطان يكبته، فيبدع ويكتشف .
- حرية الفكر والإبداع: المفكر لا يخاف من قيود تمنعه، فينتج ويبدع .
- حرية العمل والاقتصاد: التاجر لا يخاف من مصادرة أو ظلم، فيستثمر وينمي .
- حرية العقيدة والدعوة: الداعية لا يخاف من اضطهاد، فينشر الخير .

الامر السابع

التطبيقات التربوية من الآية

في تربية الأبناء

1. تعليمهم أن الله وحده هو النافع الضار: لا يخافون من الظلام، أو من الوحوش، أو من الناس .
 2. تربيته على الشجاعة: لا يخافون في الحق أحداً .
 3. تعويدهم على التوكل على الله: عند الشدائد يلجؤون إلى الله أولاً .
 4. تنمية ثقتهم بأنفسهم: لأنهم يعلمون أن معهم رب العالمين .
- في تربية الطلاب في المدارس

1. دمج هذه المفاهيم في المناهج: تعليم الطلاب أن العلم عبادة، وأن الكون مسخر لهم بإذن الله .
 2. تنمية التفكير النقدي: تعليمهم ألا يقبلوا الأفكار دون تمحيص .
 3. بناء الشخصية المستقلة: لا يخضعون لضغوط الأقران أو الإعلام .
 4. تحرير العقول من الخرافات: تصحيح المفاهيم الخاطئة حول الخوف من بعض المخلوقات .
- في تربية المجتمع

1. خطب الجمعة ووسائل الإعلام: نشر هذه المفاهيم لتتحرر النفوس .
2. البرامج التوعوية: تعريف الناس بحقيقة الإيمان وتأثيره في الصحة النفسية .
3. مواجهة الأفكار الهدامة: كشف زيف الدعوات التي تروج للخوف من البشر أو الخضوع لهم .

الامر الثامن

الآية والصحة النفسية - رؤية إسلامية

مصادر القلق النفسي

القلق النفسي غالباً ما ينبع من:

- الخوف من المستقبل
- الخوف على الرزق
- الخوف من المرض
- الخوف من الناس
- الخوف من المجهول

العلاج القرآني

هذه الآية تقدم علاجاً جذرياً لهذه المخاوف:

- الخوف من المستقبل: المستقبل بيد مالك الملكوت .
 - الخوف على الرزق: الرزق هو مالك كل شيء .
 - الخوف من المرض: الشافي هو الله .
 - الخوف من الناس: الناس كلهم تحت ملكوت الله .
 - الخوف من المجهول: كل شيء معلوم عند الله .
- يقول ابن القيم: "من عرف الله، هانت عليه مصائب الدنيا، ولم يخف من شيء سواه، ولم يرج أحداً غيره".

الامر التاسع

خاتمة - دعوة للتحرر واليقين

- الآيتان 88 و89 من سورة المؤمنون تختتمان أعظم حوار قرآني عن التوحيد، لتترك المؤمنين في أعلى درجات اليقين وأعمق مراتب الطمأنينة.
- إنهما دعوة لكل إنسان لأن:
- يوقن أن كل شيء بيد الله، فيطمئن قلبه .

• يعلم أن الإجارة كلها لله، فلا يخاف من أحد .
 • يدرك أن الخوف من غير الله هو سحر وخداع، فيتحرر منه .
 • يعيش حراً كريماً، لا تستعبده المخاوف ولا تهزمه الأزمات .
 • يبني مجتمعاً قوياً، لا يخضع إلا لله، ولا يرهب إلا قوته .
 هذا هو الإسلام: تحرير الإنسان من عبادة العبيد إلى عبادة رب العبيد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن الخوف من المخلوقين إلى الأمن بجانب خالقهم.
 نسأل الله أن يرزقنا يقيناً تطمئن به قلوبنا، وأن يحررنا من كل خوف سواه، وأن يجعلنا ممن {لَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ} [الأحزاب: 39].

القسم السادس

أولاً

تفسير وتدبر قوله الله تعالى في سورة المؤمنون: {بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} [المؤمنون: 90]، مستنبطين منه المفاهيم والدروس العظيمة التي تبني الفرد والمجتمع.

المقدمة: سياق نزول الآية وموقعها

تأتي هذه الآية في سورة المؤمنون، وهي سورة مكية تعنى بتقرير أصول العقيدة الإسلامية: التوحيد، والرسالة، والبعث والجزاء. وقبل هذه الآية، ساق الله تعالى سلسلة من الأدلة الكونية الباهرة على وحدانيته وقدرته، من خلق الإنسان، وتفجير الماء، وتسخير الرياح، وإحياء الأرض بعد موتها، ليصل إلى سؤال تقريرى للكفار: {قُلْ لِمَنْ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (84) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ...} [المؤمنون: 84-89]. فهم يعترفون في قرارة أنفسهم بأن الله هو الخالق المالك المدبر، ورغم ذلك يشركون به ويكذبون بالبعث.

فجاءت الآية محل حديثنا {بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} كحسم نهائي لهذا الجدل. "بل" هنا حرف إضراب يفيد الانتقال من مجرد الاستفهام التقريرى إلى إعلان الحقيقة الجازمة وإبطال دعواهم. لقد اتاهم الله بالحق المبين في هذا القرآن، الذي يتضمن الصدق في الأخبار والعدل في الأوامر والنواهي . ولكنهم، رغم وضوح هذا الحق وإشراقه، يصرون على كذبهم في ادعاء الشريك لله أو نفي البعث .

أولاً : المفاهيم والدروس المستفادة من الآية

1. وضوح القرآن وقطعية أدلته: الآية تؤكد أن ما جاء به النبي ﷺ هو الحق الذي لا مرية فيه .لقد أقام الله الأدلة الصحيحة الواضحة القاطعة على أنه لا إله إلا الله، وأن البعث حق . لم يترك الله مجالا " للشك، بل جعل دلائله في الأفاق وفي الأنفس تتلى وتثرى.

2.تقرير كذب المشركين: الآية تكشف زيف ما عليه المشركون .إنهم ليسوا على بينة من أمرهم، ولا يملكون دليلاً " على شركهم، إنما هم يتبعون الظن وما تهوى الأنفس، ويقلدون الآباء بلا هدى . فهم كاذبون في دعواهم، والكذب هنا شامل لقولهم وفعلهم واعتقادهم.

3.الرد على الشبهات بالحجة والمنطق: جاءت الآية بعد سياق طويل من عرض الأدلة الكونية . هذا أسلوب القرآني يعلمنا كيفية مواجهة الباطل، ليس بالصياح والعويل، بل بتقديم الحجة الواضحة والبرهان الساطع الذي يخرس الألسنة ويفحم المعاندين .إنه أسلوب "هاتوا برهانكم" الذي يحتاج العقول ويدعوها للتفكير.

ثانياً: اللسمات البيانية والبلاغية والتجويدية

اللمسات البيانية والبلاغية:

• الإضراب) بل(: تبدأ الآية بحرف الإضراب "بل"، وهو أسلوب بلاغي بديع يستخدم لرد كلامهم السابق وإبطاله، وإثبات الحق مكانه .كأنه يقول: ليس الأمر كما تزعمون من أن القرآن أساطير الأولين، بل الأمر الثابت الذي لا يقبل الجدل هو أننا أتيناكم بالحق.

• الفعل "أتيناهم" بإسناده إلى الله: فيه تشريف وتكريم لهذا الحق، وإظهار للعناية الإلهية به .فهو ليس من صنع بشر، بل هو هبة ومنة من الله للبشرية .وفيه أيضاً تهديد ضمني، فالله الذي اتاهم بالحق هو القادر على أن يحاسبهم على ردهم له.

• التعبير بـ "الحق": كلمة "الحق" تحمل معاني الثبات والصدق والعدل والواقع المطابق للواقع .هي نقيض الباطل الذي يزول ويهتز ويتلون .وضع الحق في مقابلة كذبهم مباشرة يظهر الفرق الشاسع بين الثبات والاضطراب.

• الجملة الاسمية) وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ(: تم التعبير عن كذبهم بجملة اسمية مؤكدة بـ "إن" واللام المزملة، مما يدل على ثبوت الكذب فيهم واستقراره، وأن الكذب صفة ملازمة لهم في هذا الشأن .فيه إفحام تام لهم.

• التعريف) الكاذِبُونَ(: جاءت بصيغة اسم الفاعل الدالة على الثبوت، وليس الفعل الماضي "كذبوا"، لتبقى الصفة لازمة لهم.

اللمسة التجويدية:

• الإظهار في) بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ(: عند قراءة) بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ(، يجب إظهار نطق حرف القاف في "بالحق" وعدم وصله بواو "وإنهم" .هذا الفصل بالوقف أو بالسكت يعطي كل كلمة استقلالها الصوتي، مما يخدم المعنى في إبراز التباين الكامل بين "الحق" و"كذبهم" .كان التلاوة تصور هذا الانفصال الحقيقي

بين طريق الحق وطريق الباطل.

• تفخيم الرأى فى) لكاذبون(؄ تفخيم الرأى يعطى جرساً قوياً يؤكد على قوة هذا الخبر وتوكيده؄ ويقرر أسماعهم بهذا الوصف.

ثالثاً: الرسائل والتوجيهات التربوية والإيمانية

هذه الآفة القصيرة تحمل فى طياتها برنامجاً تربوياً متكاملأ " لبناء الإنسان والمجتمع:

١. الثبات على مبادئ الحق ورفض الباطل:

الآفة تربى فى المؤمن يقيناً راسخاً بأن ما معه هو الحق؄ وما عليه المخالفون هو الباطل والكذب. هذا اليقين يجعله ثابتاً على مبدئه لا يتزعزع أمام العواصف؄ ويمنحه القوة لرفض الباطل مهما كان صاخباً أو مدعوماً بأعداد كبيرة. فالعبرة بالحق لا بالعدد؄ فالذين كذبوا النبى ﷺ كانوا أكثر منه عدداً وعدة؄ ومع ذلك كان الحق معه وحده. نتعلم ألا نفتر بكثرة المنحرفين.

٢. بناء المناعة النفسية والفكرية:

معرفة أن الباطل مصيره الزوال وأنه قائم على الكذب والوهم؄ تمنح المسلم مناعة نفسية ضد الخوف من أهله. عندما يعلم المؤمن أنه فى جوار الحق سبحانه؄ فإنه لا يخاف فى الله لومة لائم. فكرباً؄ الآفة تدفعه للتسلح ببصيرة نافذة تميز بين الغث والتمين؄ وتجعله واثقاً بدينه مدركاً لزيغ الشبهات. هذه المناعة تتعكس على سلوكه فيصير صادقاً فى أقواله وأفعاله؄ لا يجامل على حساب دينه؄ ولا يبيع الحق بمغرم زائل.

٣. التثبت من المعلومات وعدم الانسياق وراء الشائعات:

الآفة تضع معياراً واضحاً لكل خبر أو قول: هل هو "حق" أم "كذب"؟ هذا يعلم المؤمن ألا يقبل أى معلومة تمر عليه دون تمحيص. عليه أن يتحرى: هل تستند إلى دليل؟ هل توافق ما أنزل الله؟ بهذا يبنى مجتمعاً لا يروج للإشاعة ولا يندفع بالكاذب والدعايات المضللة.

٤. محاسبة النفس والتحري بالحق كمنهج حياة:

"أن تعيش بحقيقة الحق" يعنى أن تجعل الحق ميزانك فى كل صغيرة وكبيرة. الآفة تدفع الفرد إلى محاسبة نفسه باستمرار:

• فى الأقوال: هل أتيت بالصدق أم تورطت فى الكذب والغش؟

• فى الأفعال: هل تصرفاتى فى العمل والأسرة تستند إلى الحق والعدل؄ أم إلى الهوى والمصلحة؟

• فى المعاملات المالية: هل أموالى من حلال؄ وهل أعامل الناس بالحق فلا أظلم ولا أغش؟

• على وسائل التواصل: هل أنشر الحق أم أسهم فى نشر الزيف والشائعات؟

• فحص النوايا: هل نيتى فى العمل خالصة لله وللحق؄ أم فيها رياء وكذب على النفس والآخرين؟

أن تعيش صادقاً مع نفسك ومع الله معناه أن تكون متطابقاً ظاهرك مع باطنك؄ وقولك مع فعلك؄ مستنداً إلى الحق الذى جاء من عنده. تدبر صدق الحق مقابل الباطل يورث المؤمن طمأنينة وسكينة؄ ويعلمه أن عاقبة الصدق خير؄ وأن الباطل مهما تعاظم فهو زائف ومصيره الزوال.

• لماذا يصير المكذبون على الباطل؟ الأصنام المعاصرة)

الآفة تشير ضمناً إلى أن إصرارهم على الكذب ليس لعدم وضوح الحق؄ بل لأسباب أخرى كالكبر (كما قال فرعون)؄ والتعود على الباطل؄ واتباع الهوى؄ وتقليد الآباء. هذه هى "الأصنام المعاصرة" التى يشرك بها الناس اليوم؄ فهناك صنم الشهوة؄ وصنم المصلحة؄ وصنم المنصب؄ وصنم الشهرة؄ وصنم تقليد المشاهير والموضة بلا وعى. كل ما يقدّم على طاعة الله فهو صنم يعبد من دون الله.

رابعاً: دور الآفة فى بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

هذه الآفة هى بمثابة حجر الأساس لبناء الشخصية المسلمة السوية؄ وهى اللبنة الأولى فى صرح المجتمع الفاضل والحضارة الراشدة:

• بناء الإنسان الشجاع: الآفة تصنع إنساناً شجاعاً لا يهاب فى الحق لومة لائم؄ يشعر بعزة الانتماء للحق؄ ويعلم أن الله معه.

• بناء المجتمع العادل: المجتمع الذى يتحرى الحق فى أقواله وأفعاله هو مجتمع يسوده العدل والأمان. يستطيع أفراد استرداد حقوقهم؄ ويوقف الظالم عند حده؄ فتستقر الحياة وتزدهر. لا يتحقق الأمان والازدهار إلا إذا أمن الناس على حقوقهم وأيقنوا أن العدل هو السائد.

• بناء الدولة القوية: الدولة التى تقوم على الحق والصدق فى التعامل مع شعبها ومع غيرها؄ هى دولة قوية هيبتها مصانة؄ ويطمئن فيها المواطن. محاربة الزيف والكذب والباطل هى ضرورة لاستقرار الدول وبقائها.

خامساً: دور الأنبياء والعلماء فى إيضاح الحق

إن عمل الأنبياء عليهم السلام على مدار التاريخ هو إرشاد الناس إلى طريق الحق؄ ومساعدتهم على اكتشاف الحقيقة. هم سراج منير فى ظلمات الجهل والضلال. وجاءت هذه الآفة بعد عرض الأدلة الكونية لتؤكد أن حجة الله لا تقوم على الخلق إلا بعد أن يوضح لهم طريق الهداية من طريق الغواية؄ ليحيا من حيى بينة ويهلك من هلك عن بينة.

ثم ورث العلماء هذه المهمة النبيلة. هم القائلون على بيان الحق للناس؄ وتبسيط الأدلة؄ وتفنيد الشبهات؄ ليبقى الحق واضحاً متألّفاً يراه القريب والبعيد. إن السكوت عن بيان الحق أمام الباطل هو

خيانة للأمانة. كما قال الله في سورة العصر: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} [العصر: 3]. فالتواصي بالحق هو طريق الفلاح والنجاة، وهو مسؤولية جماعية. الخاتمة:

إن قوله تعالى {بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} ليست مجرد آية تتلى، بل هي دستور حياة، وميزان دقيق، ومنهج متكامل لبناء النفس والمجتمع. إنها توظف فينا حاسة التمييز بين الحق والباطل، وتجعلنا في حالة يقظة دائمة تجاه أنفسنا وتجاه ما يحيط بنا.

:

ثانيا

فهذا تفسير وتدبر لقول الله تعالى في سورة المؤمنون: {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ} [المؤمنون: 91]. مستنبطين ما فيها من كنوز عظيمة لبناء الفرد والمجتمع.

المقدمة: سياق الآية وردّها على مزاعم المشركين

تأتي هذه الآية الكريمة في سياق الرد على المشركين الذين زعموا أن الرسول ﷺ افترى القرآن من عنده، والذين تاهوا في مناهات الشرك والخرافات. فقد زعمت طوائف منهم أن الملائكة بنات الله، وادعوا أنهم على ملة إبراهيم ودين إسماعيل، بينما هم يعبدون الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا تنفع. وجاءت الآية لتفنّد هذه الأوهام والخرافات بالدليل العقلي والمنطقي القاطع.

هذه الآية تمثل قمة البرهان العقلي في إثبات وحدانية الله وتنزيهه عن كل نقص. فقد انتقلت من مرحلة تقرير الحق (في الآية السابقة "بل أتيناكم بالحق") إلى مرحلة تفنيد الباطل بالأدلة العقلية المحسوسة التي تدركها العقول السليمة.

أولا : تفنيد الأوهام والخرافات بالأدلة العقلية والمنطقية
فندت الآية مزاعم المشركين بعدة طرق:

1. نفي الولد عن الله تعالى ({مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ}): ردّ صريح على من زعم أن الملائكة بنات الله. والله تعالى منزّه عن صفات البشر وحاجاتهم، فهو الغني الحميد، لا يحتاج إلى ولد أو شريك.
2. نفي الشريك في الألوهية ({وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ}): فالله لم يكن له شريك في القدم، ولا في الخلق، ولا في التدبير.

3. الدليل العقلي (برهان التمانع) ({إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ}): هذا هو جوهر الإعجاز المنطقي في الآية. لو كان هناك آلهة متعددة، لانفرد كل إله بما خلق، ولتنازعا واستكبروا، ولسادت الفوضى والصراع في الكون. لكن الكون الذي نراه يسير بنظام دقيق محكم متسق، وهذا دليل قاطع على أنه مدبر واحد.

ثانياً: اللمسات البيانية والبلاغية والتجويدية

اللمسات البيانية والبلاغية:

• "ما" النافية: تفيد النفي القاطع المؤكد، وتؤكد أن الولد والشريك متنفيان انتفاءً مطلقاً لا يقبل الجدل.

• تقديم نفي الولد على نفي الشريك: قدم نفي الولد لأن شبهة عبدة الملائكة كانت أقوى من شبهة عبدة الأصنام، فالملائكة غير مشاهدين، والقول بأنهم بنات الله كان تمويهاً أخطر من عبادة الأصنام.
• "إن" وجوابها: "إن" حرف جواب وجزاء، وتقدير الكلام: لو كان معه آلهة، إذن لذهب كل إله بما خلق. حذف الشرط (لو كان) للعلم به، وللإيجاز ولتوجيه الذهن مباشرة إلى النتيجة المذهلة.
• اللام في "لذهب" و "لعل": اللام واقعة في جواب "لو" المقدرة، وتفيد التأكيد على أن هذا هو الـ لازم حتماً لو وقع هذا الفرض المحال.

• التعبير بـ "الذهاب" و "العلو": استعارة رائعة لتصوير الاستقلال والانفراد والصراع والغلبة، وهي صورة حسية تقرب المعنى العقلي إلى الأذهان.

• "سبحان الله عما يصفون": جملة تعجبية تذييلية تفيد التنزيه المطلق والتقديس، وهي نتيجة منطقية للدليل السابق، وإعلان ببراءة الله من كل ما افتراه المشركون.
اللمسة التجويدية:

• الوقف على رؤوس الآي: الوقف على {يَصِفُونَ} ثم البدء بـ {عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ} يعطي كل آية استقلالها، ويؤكد أن تنزيه الله عن الشرك هو نتيجة قاطعة، ثم يأتي وصفه بعلم الغيب والشهادة كتعبيل وتوكيد.

• تفخيم الرأى في "لذهب"، "لعل"، "سبحان": تفخيم الرأى يعطي قوة وجرساً مهيباً يتناسب مع عظمة الخبر وقوة الدليل.

ثالثاً: المفاهيم والمقاصد الرئيسية في الآية

1. الله هو القيمة العليا الوحيدة في حياة المسلم

الآية ترسيخ لمبدأ أن الله وحده هو المستحق للعبادة والخضوع، مما ينظم سلوك الفرد وتفكيره نحو الاتجاه الصحيح. فحين يعلم المسلم أن لا إله إلا الله، يصبح كل تصرفاته محكومة بهذا المبدأ، فلا يرضى بمعصية، ولا يخضع لبشر، ولا يتعلق إلا بالله.

٢. التوحيد بأنواعه وأثره في بناء المجتمع

الآية تجمع أنواع التوحيد الثلاثة:

• توحيد الربوبية: من خلال الاعتراف بأن الله هو الخالق وحده (لذهب كل إله بما خلق).

• توحيد الألوهية: من خلال نفي أن يكون معه إله آخر يستحق العبادة.

• توحيد الأسماء والصفات: من خلال تنزيهه ((سبحان الله)) عما لا يليق بجلاله.

أثر هذا التوحيد في المجتمع:

• المساواة وكرامة الإنسان: حين يعلم الناس أن لا معبود إلا الله، يرتفع الاستكبار بينهم، فلا يرفع إنسان نفسه على آخر بحسب النسب أو الجاه أو المال. فالكل عبيد لله، سواسية كأسنان المشط.

• منع استعباد البشر: لا يسمح التوحيد باستعباد البشر بعضهم لبعض، فالتحرر الحقيقي هو التحرر من عبادة غير الله. ومن عبد الله وحده، لا يخضع إلا له، ولا يقبل الذل من مخلوق.

• حماية الحقوق: حين يكون الله هو القيمة العليا، تكون حقوق الناس مصانة لأنها مستمدة من شرع الله، لا من أهواء الحكام.

٣. إخلاص العبادة والتحرر من التعلق بغير الله

نفي الشريك يلزم العبد بإخلاص العبادة لله وحده. وهذا الإخلاص يحرر القلب من التعلق بالأسباب والأشخاص، ويجعل العبد يعتمد على الله في كل أموره، فينطلق في الحياة حراً كريماً لا يرجو إلا الله ولا يخشى إلا الله.

٤. استقلال الإرادة الإلهية والثقة بالله

الآية تؤكد أن الله وحده هو المتصرف في الكون. هذا المفهوم يغرس في النفس الثقة المطلقة بـ الله، والإيمان بأن كل ما يجري في الكون بقدره وحكمته. فتسكن النفس وتطمئن، لأن الأمر كله بيد إله واحد رحيم حكيم، لا موزع بين قوى متعددة متناقضة. هذا يزيل القلق والاضطراب الوجودي.

٥. فهم نظام الكون والنظام الاجتماعي (دور القيادة الواحدة)

اشتملت الآية على دليل عقلي عظيم على وحدانية الله، يمكن استعارته لفهم النظم الاجتماعية:

• إدارة العمل والأسرة: كما أن تعدد الآلهة يؤدي إلى فساد الكون، فإن تعدد القيادات في العمل أو الأسرة يؤدي إلى الفوضى وتضارب القرارات. استقرار أي مؤسسة يحتاج إلى قيادة واحدة واضحة ورؤية موحدة.

• دور القائد الواحد: الآية تثبت أن نجاح أي منظومة (كالكون) يتطلب قائداً واحداً حكيماً يديرها، وإلا حدث التنازع والتصادم.

• تفسير جملة "إذا لذهب كل إله بما خلق": هذا هو عين الفوضى، حين ينفرد كل مسؤول بجزء من العمل ولا ينسق مع الآخرين.

• تفسير جملة "ولعلا بعضهم على بعض": هذه هي نتيجة التنازع، حيث يسعى كل طرف للغلبة على الآخر فتضيع المصالح وتتعطل الأعمال.

٦. بناء الصحة النفسية والعقلية للإنسان

• حماية العقل من التخبط: عقيدة التوحيد تحمي العقل من التخبط بين الأفكار والمبادئ المتناقضة.

المؤمن يعرف مصدر الحق (الله) فلا يحترق بين الفلسفات والأهواء.

• اليقين بضرورة المنهج الواحد: الآية تغرس في النفس اليقين بأن إدارة شؤون الحياة تحتاج إلى منهج واحد متكامل (شريعة الله) لتجنب التخبط والاضطراب.

• علاج خطر التنازع: الآية تثبت أن التنازع في القرارات يؤدي حتماً إلى الفشل، فالكون كله يسير بنظام دقيق، فكيف بحياة الإنسان إذا تعددت مصادر قراراته؟

٧. تنزيه الله عن كل نقص

جملة {سبحان الله عما يصفون} تنزيه لله عن كل ما لا يليق به. هذا التنزيه يظهر العقل من الخرافة، ويحرر الفكر من الأوهام. فالله ليس بحاجة لولد أو شريك، وهو أعظم وأجل من أن يوصف بصفات المخلوقين.

رابعاً: دلالة صلة الآية بما بعدها (عالم الغيب والشهادة)

الآية التي تليها: {عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون} [المؤمنون: 92] تأتي لتكمل الدليل. ذكر ابن عاشور أن وصف الله بـ "عالم الغيب والشهادة" هو رد على توهم يمكن أن يطرأ على الذهن، وهو: لعل الآلهة المتعددة لا يتصارعون لأن كل واحد منهم لا يعلم مقدار قوة الآخر وملكوته!

فجاءت الآية لتدفع هذا التوهم: الله عالم بكل شيء، يعلم الغيب والشهادة، فلا يمكن أن تخفى عليه حقيقة غيره.

خامساً: أثر الآية في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

1. بناء الإنسان: تصنع الآية إنساناً موحداً لله، لا يرجو إلا الله، ولا يخاف إلا الله، متحرراً من كل أشكال العبودية لغير الله، شجاعاً في الحق، مستقراً نفسياً.

2. بناء المجتمع: تخلق الآية مجتمعاً يقوم على المساواة والعدل، لا فرق فيه بين غني وفقير، ولا بين قوي وضعيف إلا بالتقوى. مجتمع لا يسمح باستعباد الإنسان لأخيه الإنسان.

3. بناء الحضارة: الحضارة الحقيقية تقوم على العدل والنظام. الآية تقدم لنا نموذجاً للكون القائم

على قيادة واحدة ونظام دقيق، وهذا النموذج يجب أن نستلهم منه في بناء حضارتنا القائمة على التوحيد، والتي تنتج علماً متطوراً (لأن الكون منتظم بقوانين ثابتة)، وتنتج نظاماً اجتماعياً قائماً على القيادة الرشيدة والشورى والعدل.

الخاتمة:

إن قوله تعالى: {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ} ليست مجرد آية نخبرنا بعقيدة التوحيد، بل هي دستور متكامل للحياة، ومنهج لبناء النفس، وميزان لاستقرار المجتمعات، وأساس لقيام الحضارات.

ثالثاً

فهذا تفسير وتدبر لقول الله تعالى في سورة المؤمنون: {عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [المؤمنون: 92]، مستنبطين ما فيها من دروس عظيمة تغرس في النفس الإيمان الراسخ، وتنعكس على السلوك الفردي والجماعي.

المقدمة: سياق الآية وارتباطها بما قبلها

تأتي هذه الآية الكريمة لتكمل الأدلة السابقة على وحدانية الله وتنزيهه. فيعد أن أقام الله الدليل العقلي على بطلان تعدد الآلهة في الآية السابقة (٩١) بقوله: {إِذَا لَدَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ} جاءت هذه الآية لتقدم دليلاً آخر على وحدانيته وقدرته، وهو إحاطة علمه بكل شيء. فهي بمثابة تعليل ونتيجة للدليل السابق، وكأنها تقول: كيف يكون معه إله آخر وهو العالم بكل شيء، الظاهر والخفي، الذي لا تخفى عليه خافية؟ فمن كان بهذه الصفة، لا يمكن أن يشاركه أحد في علمه أو ملكه.

كما أن هذه الآية هي رد مباشر على المشركين الذين وصفوا الله بصفات لا تليق به، فجاءت لترفع من شأنه وتنزهه عما يصفون.

أولاً: دلالات الآية وأهدافها ومقاصدها

١. اتفرد الله بعلم الغيب والشهادة

الآية تبدأ بوصف الله بـ {عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ}، وهذا يدل على أن علم الله محيط بكل شيء: الغيب: هو ما غاب عن حواسنا ووعينا، من أمور المستقبل، وحقائق الآخرة، وما في الصدور، والأمر التي لا ندركها. الإيمان بأن الله يعلم الغيب يحرر القلب من الخوف على المستقبل، ومن القلق المجهول، ويدفع الإنسان إلى التوكل على من بيده مفاتيح الغيب.

٢. الشهادة: هو ما نشاهده ونعاينه من الأمور المحسوسة والظاهرة. إيماننا بأن الله يعلم الشهادة يذكرنا بأن كل أعمالنا العلنية مسجلة عنده.

دلالة الجمع بينهما: أن علم الله ليس مقصوراً على نوع دون آخر، بل هو شامل للظاهر والخفي، للسر والعلن، للماضي والمستقبل. وهذا الكمال في العلم يقتضي أن يكون هو وحده المستحق للعبادة، وأن أي شريك مفترض لا يمكن أن يحيط بهذا العلم.

٣. تنزيه الله عن الشرك

الجزء الثاني من الآية {فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ} يدل على علو الله وتنزهه عن كل شرك. "تعالى" تفيد الترفع والتنزه المطلق. فالله تعالى أعظم وأجل من أن يكون له شريك في ملكه أو علمه أو عبادته.

٣. المقصد الرئيسي: تثبيت التوحيد وترسيخ المراقبة

المقصد الأسمى من الآية هو تثبيت عقيدة التوحيد في النفوس، ليس فقط كفكرة نظرية، بل كواقع حي يشعر به المؤمن في كل لحظة. إنه يعيش في محضر الله، الذي يعلم سره ونجواه، فلا يجرؤ على معصيته، ويسارع إلى طاعته.

ثانياً: اللمسات البيانية والبلاغية والتجويدية

اللمسات البيانية والبلاغية:

١. الوصف بـ "عالم": صيغة اسم الفاعل "عالم" تدل على الثبوت والاستمرار، فهي ليست مجرد خبر عابر، بل صفة ذاتية لازمة لله تعالى. العلم ليس طارئاً عليه، بل هو وصفه الدائم الأزلي.

٢. التنكير في "الغيب والشهادة": التنكير هنا للتعظيم والشمول. أي عالم الغيب العظيم الذي لا يعلم كنهه أحد، وعالم الشهادة كلها بما فيها من دقائق وجزئيات.

٣. الجمع بين "الغيب والشهادة": هذا الأسلوب (الجمع بين الضدين ظاهرياً) يسمى "طباقاً" وهو يبرز كمال قدرة الله وإحاطته، فهو الذي يجمع في علمه ما غاب عنا وما نشهده.

٤. الفاء في "فتعالى": الفاء هنا للسببية والترتيب، أي: بسبب أن الله عالم الغيب والشهادة، فهو متعال عما يشركون. فكمال علمه يستلزم تنزهه عن الشرك، لأنه لو كان معه آلهة لكانوا يعلمون الغيب، أو لا يعلمون، وكلا الأمرين محال.

٥. التعبير بـ "تعالى": صيغة "تفاعل" تدل على المبالغة في العلو والتنزه، وهي أقوى من "علا" و "تعلّى".

٦. الالتفات من الغيبة إلى التكلم (في سياق السورة): هذه الآية تأتي في سياق حديث الله عن نفسه بصيغة الغيبة (أتيناها، اتخذ الله)، وهذا مناسب للمقام، لأنه مقام تقرير وتثبيت للعقيدة.

اللمسة التجويدية:

٧. الوقف على {يُشْرِكُونَ}: الوقف هنا تام، لأنه نهاية الآية، وهو وقف على كلمة توحى بالانتهاء والقطع.

مع ما بعدها، مما يعطي المستمع فرصة ليتدبر معنى التنزيه والعلو.
• ترقيق الراء في "فتعالى" وتفخيمها في "يشركون": في "فتعالى" الراء مرققة لأنها مكسورة، وفي "يشركون" الراء مفخمة، وهذا التنوع الصوتي يضفي جمالا " على التلاوة ويعبر عن دقة الأداء.
الامر الاول

دلالة الآية وأثرها في حياة المسلم
١. دلالة تفرد الله بعلم الغيب والشهادة وأثرها الإيماني والسلوكي
الإيمان بأن الله {عالم الغيب والشهادة} له آثار عميقة على النفس البشرية:
• مراقبة النوايا: عندما يوقن المسلم أن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فإنه يحرص على إخلاص نيته لله، فلا يراني بعمله، ولا يضمّر سوءاً لأحد. النية هي من علم الغيب الذي لا يطلع عليه إلا الله، فيصبح حريصاً على طهارة قلبه كما يحرص على طهارة جسده.
• إتقان الأعمال السرية والعلنية: سواء كان العمل في الخفاء أو في العلن، يعلم المؤمن أن الله رقيب عليه. هذا يدفعه لإتقان عمله، والصدق في تعاملاته، حتى في غياب الرقابة البشرية. فهو لا يغش، ولا يخون الأمانة، ولا يظلم أحداً، لأن الله يراه ويسمعه ويعلمه.
• الاستحياء من الله: يستحي المؤمن أن يراه الله حيث نهاه، أو يفقده حيث أمره. هذا الحياء يردعه عن المعاصي ويحفزه على الطاعات.

٢. ترسيخ مفهوم المراقبة الذاتية وتطبيقاتها العملية
الآية ترسخ مفهوم الشعور بوجود الله الدائم، وهذا هو جوهر الرقابة الذاتية (الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك).
• تعريف الرقابة الذاتية: هي شعور داخلي دائم بأن الله مطلع على العبد في كل أحواله، مما يجعله يلتزم بطاعة الله ويجتنب معصيته، لا خوفاً من عقاب دنيوي، بل حياءً من الله وإجلالاً له.
كيفية تطبيقها في حياتنا العملية:

• في المعاملات المالية: حين تتعامل بالبيع والشراء، وتكتب العقود، وتدفع الضرائب... تذكر أن الله يعلم الغيب والشهادة، فلا تغش ولا تكذب ولا تأكل أموال الناس بالباطل.
• في النوايا: قبل أن تبدأ أي عمل، اسأل نفسك: ما نيتي؟ أهي خالصة لله أم فيها حظ للنفس؟ وتذكر أن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.
• في السلوك اليومي: في تعاملك مع أهلك، جيرائك، زملائك، وحتى مع من تخالفهم، تذكر أن الله شاهد عليك، فلا تظلم، ولا تؤذ، وكن خير قدوة.
• في الخلوات: أعظم امتحان للرقابة الذاتية هو الخلوة. من يستشعر مراقبة الله في خلوته، لا يقدم على معصية مهما كانت مغرياتها.

٣. دلالة التسليم لله في كل شؤون الحياة
• الإيمان بالغيب وعلاج القلق: الإيمان بأن الله {عالم الغيب} يريح النفس من التفكير المقلق في المستقبل. المستقبل غيب لا نعلمه، لكننا نعلم أن من بيده الغيب هو الله الرحيم الحكيم، فنسلم له أمورنا، ونتوكل عليه، ونعمل بالأسباب، ونترك النتائج له. هذا يزيل القلق النفسي والاضطراب الوجودي.
• تحويل العقيدة إلى سلوك دافع للنزاهة والصدق: عندما تعيش تحت رعاية {عالم الغيب والشهادة}، يصبح الصدق والنزاهة هما العنوان. أنت صادق لأن الله يعلم كذبك لو كذبت، أنت نزيه لأن الله يعلم خيانتك لو خنت. هذه العقيدة تثمر في حياتك السكينة والطمأنينة، لأنك تعيش في محضر من لا تخفى عليه خافية، وتشعر بالأمان لأنه لا يضيع عنده شيء.

الامر الثاني

دور الآية في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة والتنمية البشرية
(بناء الإنسان) الصحة النفسية والفكرية:
• استقرار نفسي: الإنسان المؤمن بأن الله عالم بكل شيء لا يشعر بالوحدة أو الاغتراب. هو دائم الصلة بالله، يشكو له همه، ويسأله حاجته، ويستشعر قربيه. هذا يمنحه قوة نفسية هائلة ويحميه من الانهيارات العصبية.

• نضج فكري: عقيدة المراقبة تدفع الإنسان للتفكير قبل الفعل، ومحاسبة النفس، والتخطيط السليم. يصبح إنساناً عاقلاً " رزيناً، لا يندفع وراء الشهوات، ولا يغامر بمستقبله.
• تحرر من العبودية لغير الله: من أيقن أن الله رقيب عليه، لا يخاف من سلطة بشر، ولا يرجو إلا الله، فيتحرر من العبودية للمخلوقين.
٢. بناء المجتمع العدل والثقة والأمان:

• مجتمع النزاهة: في مجتمع يسوده الإيمان بأن الله {عالم الغيب والشهادة}، تقل الجرائم والفساد. الناس لا يسرقون لأن الله يراهم، لا يظلمون لأن الله شاهد عليهم، لا يغشون لأن الله مطلع على غشهم. هذا يخلق مجتمعاً نظيفاً أميناً.

• الثقة المتبادلة: حين يعلم الناس أن بعضهم يخاف الله، تتعاملاتهم تصبح أكثر شفافية وثقة. فلا يحتاجون إلى مراقبات دائمة وأجهزة رقابة معقدة، لأن الرقيب الأعظم موجود في القلوب.
• العدالة الاجتماعية: الإيمان بالرقابة الإلهية يحد من الظلم، فالظالم يعلم أن الله سيقصص منه إن لم يستطع المظلوم أن يأخذ حقه.

٣. بناء الحضارة والتنمية البشرية:

. الابتكار والإتقان: الحضارة لا تبنى بالكسل والفساد، بل بالعمل الجاد والإتقان. الإيمان بالرقابة الإلهية يحفز الإنسان على الإتقان في عمله، سواء كان مهندساً أو طبيباً أو معلماً أو عاملاً، لأن الله يأمره بالإتقان وبراقبه.

. التنمية البشرية المستدامة: التنمية الحقيقية تحتاج إلى أخلاق. مجتمع لا يسرق فيه الناس، ولا يفسدون، ولا يظلمون، هو مجتمع مؤهل للتنمية والازدهار. الأموال تذهب للاستثمار لا للرشوة، و الجهود تذهب للبناء لا للصراعات.

. القوانين الرادعة: العقيدة الإيمانية هي الرادع الأول والأقوى. القوانين الوضعية يمكن الانتفاف عليها، أما من يخاف الله فلا يمكن أن يخادعه. لذلك، المجتمعات المؤمنة هي أكثر المجتمعات قابلية للتطور والبناء الحضاري.

ختام وتدبر

إن قوله تعالى: {عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ} ليست مجرد آية نقرأها، بل هي عقيدة تحيا في القلب، تنظم العلاقة مع الله، وتضبط السلوك مع الناس، وتصنع الإنسان المتوازن، والمجتمع الفاضل، والحضارة الراقية.

ثالثاً

فهذا تفسير وتدبر لقول الله تعالى في سورة المؤمنون: {قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ (93) رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} (94) المؤمنون: 93- [94]، مستنبطين ما فيهما من دروس عظيمة في العقيدة والسلوك وبناء الشخصية المسلمة.

المقدمة: سياق الآيتين وارتباطهما بما قبلهما

بعد أن قرر الله سبحانه وتعالى في الآيات السابقة وحدانيته وتنزيهه عن الشريك، وإحاطة علمه بـ الغيب والشهادة، وجاء الرد على المشركين وتفنيذ مزاعمهم، يأتي هذا الخطاب للنبي ﷺ ليؤكد له وللمؤمنين أن العقاب للمتقين، وأن الله منتقم من المجرمين. إنه تحويل لبوصلة الهممة من الجدل النظري إلى الدعاء العملي والتوكل على الله في مواجهة الباطل.

هاتان الآيتان تمثلان ذروة الثقة بالله والتسليم له، وتعلمان المؤمن كيف يتعامل مع تهديدات الظالمين واستهزائهم، وكيف يلجأ إلى الله وحده في الشدائد.

أولاً : تفسير الآية 93: {قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ}

الدلالات والأهداف والمقاصد:

1. التسليم لله والاعتراف بالعبودية: افتتحت الآية بكلمة "رب"، وهو أسلوب أدب في الدعاء، يعترف فيه العبد بربوبية الله عليه، وبأنه المالك المتصرف. إنها ليست مجرد طلب، بل هي اعتراف بالحاجة والافتقار.

2. طلب رؤية العذاب ليس استعجالاً " بل تثبيتاً: فرق كبير بين استعجال الكفار للعذاب) كما قالوا: ربنا عجل لنا قسطنا قبل يوم الحساب (واستعجال المؤمنين. المؤمن يطلب رؤية العذاب ليتبين له صدق وعد الله، وليثبت قلبه، وليرى نصر الله على أعدائه. إنه طلب منطلق من الثقة بوعد الله، لا من الشك أو الجزع.

3. تقوية القلب والثقة بنصر الله: هذا الدعاء يربي في المؤمن يقيناً راسخاً بأن الله سينجز وعده، وأن العذاب واقع لا محالة بالظالمين. فطلب رؤيته إنما هو استحضار لهذا اليقين وتقوية للقلب. المسامات البيانية والبلاغية والتجويدية:

. "إِمَّا تُرِيدُنِي": "إن" الشرطية دخلت عليها "ما" الزائدة، وأدغمت فيها فصارت "إِماً". وهي تفيد التوكيد والتحقيق، أي: إن أرني ذلك حقاً و يقيناً. وفيه استحضار لصورة المشاهدة والعيان.

. "تُرِيدُنِي": الفعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والنون للتوكيد. فالفعل مؤكد بنونين) نون التوكيد الثقيلة المشددة، وهذا أقصى درجات التوكيد في اللغة العربية، ليعبر عن قوة الرغبة في تحقيق هذا المشهد.

. "مَا يُوعَدُونَ": الإبهام في "ما" للتهويل والتعظيم. أي: ذلك العذاب العظيم الهائل الذي يوعدون به.

. النداء "رب": حذف حرف النداء) يا (للدلالة على قرب العبد من ربه، وأنه يناجيه دون وساطة أو تكلف.

. اللامسة التجويدية: إدغام "إن ما" في "إِماً" يقرأ بإظهار النون الأولى عند بعض القراء وإدغامها عند آخرين، وكلها وجوه صحيحة. النون المشددة في "تُرِيدُنِي" تبرز قوة التوكيد والرجاء.

المفاهيم والدروس والرسائل:

. الغيرة على دين الله: المسلم الحق يغار على دينه، ويتمنى أن يرى الحق منتصفاً، وأن يذل الظالمون. هذه الغيرة تدفعه للدعاء والاجتهاد.

. مواجهة الظلم: الآية تعلمنا ألا نياس أمام ظلم الظالمين، بل نرفع أكف الضراعة إلى الله، ونثق بأن العذاب واقع بهم، سواء عجل أم أجل.

. الدعاء عند انتشار الفساد: عندما يرى المسلم الفساد والمعاصي، عليه أن يدعو الله ألا يعهمم بعذاب، مع ثقته بأن الله سيعاقب المفسدين.

. تنمية مشاعر الخوف والرجاء: الآية تربي في المؤمن الخوف من عذاب الله، والرجاء في رحمته ونصره في آن واحد.

ثانياً: تفسير الآية 94: { رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ }

الدلالات والأهداف والمقاصد:

1. البراءة من الظالمين: بعد طلب رؤية العذاب، يأتي طلب النجاة منه. فيه تأكيد على أن المؤمن يجب أن يكون مبايناً للظالمين، منفصلاً عنهم، لا يشاركهم في أعمالهم ولا في مصيرهم.

2. الاعتراف بالضعف البشري والاتجاء إلى الله: الإنسان ضعيف، وقد تجره الظروف أو البيئة أو الأصدقاء إلى الظلم. فالدعاء "لا تجعلني في القوم الظالمين" هو اعتراف بهذا الضعف، وطلب من الله أن يعصمه ويحفظه.

3. طلب السلامة من الفتن: الظلم فتنة عظيمة. الدعاء بأن لا يجعلنا الله في زمرة الظالمين هو طلب للسلامة من فتنة الظلم، سواء وقع منا أو وقع علينا.

اللمسات البيانية والبلاغية والتجويدية:

. تكرار النداء "رب": تكرار "رب" في الآيتين يدل على تكرار التضرع وإلحاح الدعاء، وأن العبد يستشعر حاجته إلى الله في كل خطوة.

. الفاء في "فلا تجعلني": الفاء هنا للدعاء والطلب، وهي رابطة لجواب الشرط المقدر، أي: إن أريتني ما يوعدون، فلا تجعلني فيهم. وهي تفيد التعقيب والاتصال بين طلب الرؤية وطلب النجاة.

. "لا تجعلني في القوم الظالمين": التعبير بلفظ "في" وليس "مع" يشير إلى الانغماس والاندماج. أي: لا تجعلني داخلاً في زميرهم، ومنسوباً إليهم، سواء بفعل أو بقول أو برضا.

. التنكير في "القوم الظالمين": التعريف بـ "ال" للجنس، للدلالة على أن الظلم صفة ملازمة لهم، وأنهم قوم مستحقون لهذا الوصف.

. اللمسة التجويدية: الوقف على "يُوعَدُونَ" في الآية الأولى، ثم البدء بـ "رب" في الآية الثانية، يعطي فرصة للتأمل والتدبر، ويؤكد أن كل آية مستقلة في معناها مع ارتباطها بما قبلها.

المفاهيم والدروس والرسائل:

. أهمية البراءة من الظالمين: المسلم الحق يتبرأ من الظالمين، لا يواليهم، ولا يرضى بأعمالهم، ولا يصمت عن منكرهم. هذه البراءة واجبة شرعاً، وهي جزء من عقيدة الولاء والبراء.

. فصل النفس عن أهل الباطل: لا يكفي أن نبتعد عن الفعل الخاطئ، بل يجب أن نبتعد عن فاعليه أنفسهم، خاصة في مواطن الشبهات والفتن، حتى لا يصيبنا ما أصابهم.

. الاتجاء إلى الله في أوقات الضعف والشدة: الآية تعلمنا أن نلجأ إلى الله في كل أحوالنا، سواء في الرخاء أو الشدة، وأن نطلب منه أن يحفظنا من الزلل والانحراف.

. الاعتراف بالضعف البشري: الإنسان بطبعه ضعيف، وقد تؤثر عليه البيئة والأصحاب. لذلك يحتاج دائماً إلى توفيق الله وعصمته.

. التوكل على الله: بعد الأخذ بالأسباب واجتناب مواطن الظلم، يبقى التوكل على الله في النجاة.

ثالثاً: التطبيقات العملية المستفادة من الآيتين

1. التربية على الصبر والنجاة:

الآيتان تربي المؤمن على الصبر على أذى الظالمين، وعدم الاستعجال في طلب النجاة، مع اليقين بأن الله سينصر دينه ويعلي كلمته. كما تربي فيه روح النجاة بالاتجاء إلى الله.

2. تجنب بيئة السوء:

الآية 94 تحذرننا من خطر البيئة السيئة. الظلم معد، والفساد ينتشر كالعدوى. لذلك يجب على المسلم: . تجنب الأماكن التي ينشر فيها الفسق والزيلة: سواء كانت أماكن حقيقية (كماهي الليل، وأوكار المخدرات (أو افتراضية) كمواقع التواصل التي تنشر الفاحشة والإلحاد. (من يدخل هذه الأماكن يتعرض للفتنة، وقد يصيبه ما يصيب أهلها من عذاب أو قسوة قلب.

. اختيار البيئة الصالحة: الحرص على الصحبة الصالحة، والمساجد، ومجالس العلم، فهي تحمي من الانزلاق في الظلم.

. الهجرة من بيئة الفساد: إذا كان الإنسان في بيئة تغلب عليها المعاصي والظلم، ولا يستطيع تغييرها، فعليه بالهجرة منها إلى بيئة أفضل، كما هاجر المسلمون الأوائل.

3. استشعار المسؤولية الفردية:

الآية تربي الفرد على أنه مسؤول عن اختياراته. الدعاء "لا تجعلني" لا يعني إلقاء المسؤولية على الله فقط، بل يعني طلب العون مع بذل الجهد. فالمؤمن يختار بيئته، ويختار أصدقاءه، ويختار طريقته في الحياة، ثم يسأل الله التوفيق والثبات.

4. الوعي والتمييز بين مواطن الرضا ومواطن السخط:

الآية تربي في المسلم حاسة تمييز قوية، تجعله يفرق بين أماكن الرضا وأماكن السخط، بين مجالس الخير ومجالس الشر، حتى لا يقع في مواطن الهلاك.

5. القاعدة: الابتعاد عن الظالمين أنفسهم:

الآية لا تكتفي بالابتعاد عن الفعل الخاطئ، بل تطلب الابتعاد عن الظالمين أنفسهم. هذا يعني:

. عدم مجالستهم.

- عدم مؤازرتهم.
- عدم الرضا بأعمالهم.
- إنكار منكرهم بالقول أو بالقلب.
- ٦. لماذا طلب النبي أن لا يجعله معهم، ولم يقل "لا تجعلني منهم"؟
- لأن "في" تفيد الظرفية والمخالطة. النبي ﷺ يطلب من الله ألا يجعله في زميرتهم، وألا يخالطهم، وألا يكون محشوراً معهم، لأنه يعلم أن المخالطة قد تؤدي إلى المصير نفسه. وهذا تأكيد على خطورة الصحبة والبيئة.
- ٧. الدعاء عند حلول النقم:
- الآيتان تعلمنا أن الدعاء والاستعانة بالله هما أساس النجاة عند نزول العذاب بالظالمين. كما في قصة نوح عليه السلام عندما دعا ربه فقال: {رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق، وقصة لوط عندما قال: {رب نجني وأهلي مما يعملون.}
- ٨. التواضع وإظهار الحاجة لله:
- تكرار كلمة "رب" وإظهار الافتقار إليه فيه تنبيه للمسلم بأنه لا حول له ولا قوة إلا بالله، وأنه دائماً بحاجة إلى رعاية الله وحفظه.
- ٩. موقف المسلم من المستهزئين:
- عندما يسمع المسلم كلاماً فيه استهزاء بالدين أو بالله أو بالرسول، يجب عليه:
- إنكاره بلسانه إن استطاع، وإلا بقلبه.
- أن تهتز مشاعره ويخاف من غضب الله.
- أن يتبرأ من هذا الكلام ومن قائله.
- أن يلتجئ إلى الله بهذا الدعاء: "رب لا تجعلني في القوم الظالمين" أي لا تجعلني منهم ولا معهم، و لا تصنني بما يصيبهم.
- ١٠. الدعاء يمنع العذاب:
- الاستغفار والدعاء من أسباب رفع العذاب، كما قال تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} [الأنفال: 33]، وقال: {لَوْ أَن تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [النمل: 46] فالدعاء والتوبة والاستغفار هي أسباب النجاة من عذاب الله.
- رابعا: دور الآيتين في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
- 1. بناء الإنسان: تصنع الآيتان إنساناً متوكلاً على الله، شجاعاً في الحق، متبرئاً من الظلم والظالمين، حريصاً على سلامة دينه، دائم الصلة بربه في السراء والضراء. هذا الإنسان هو لبنة صالحة في المجتمع.
- 2. بناء المجتمع: مجتمع أفراده يتربون على هذه الآيات يكون مجتمعاً نظيفاً من الظلم، متعاوناً على البر والتقوى، بعيداً عن الفساد، لأن كل فرد يحاسب نفسه ويخاف من سوء العاقبة.
- 3. بناء الحضارة: الحضارة الحقيقية لا تبنى بالظلم، بل بالعدل والأخلاق. مجتمع يخاف أفرادهم الله، ويتبرعون من الظلم، ويتجنبون الفساد، هو مجتمع صالح للبناء والتنمية والازدهار. الأموال تذهب للاستثمار لا للظلم، والجهود تذهب للبناء لا للصراعات.
- الخاتمة
- إن قوله تعالى: {قُلْ رَبِّ إِنَّمَا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ (93) رَبِّ قُلْ أَتَجْعَلُنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (94)} ليست مجرد دعاء نبوي، بل هي منهج حياة للمسلم. تعلمنا الثقة بوعده الله، والبراءة من الباطل وأهله، والاتجاه إلى الله وحده في كل الأحوال، واختيار البيئة الصالحة، ومحاسبة النفس.
- خامسا
- فهذا تفسير وتدبر لقول الله تعالى في سورة المؤمنون: {وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ تُرِكَ مَا نَعِدُهُمْ لِقَادِرُونَ} [المؤمنون: 95]، مستنبطين ما فيها من كنوز عظيمة لبناء النفس البشرية وصناعة الأجيال الربانية.
- المقدمة: سياق الآية وارتباطها بما قبلها
- تأتي هذه الآية الكريمة في سياق الرد على المشركين الذين كذبوا بالحق واستهزؤوا بالوعد. بعد أن أرشد الله نبيه ﷺ إلى الدعاء في الآيتين السابقتين: {قُلْ رَبِّ إِنَّمَا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ (93) رَبِّ قُلْ أَتَجْعَلُنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (94)}، تأتي هذه الآية لتكون جواباً من الله لهذا الدعاء، ولتقرير حقيقة عظيمة: أن الله قادر على إنجاز وعيده في أي وقت يشاء، ولكن التأخير لحكمة بالغة.
- إنها آية المواساة الإلهية، وبناء الثقة، وتثبيت الفؤاد، وإزالة الحزن عن قلب النبي ﷺ والمؤمنين من بعده.
- أولاً: تفسير الآية ومعانيها الأساسية
- يقول الله تعالى: {وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ تُرِكَ مَا نَعِدُهُمْ لِقَادِرُونَ}.
- معنى الآية: أي: وإنا - يا محمد - لقادرون على أن نريك عذاب هؤلاء المشركين الذي نعدهم به، ونحل بهم النقم والمحن في حياتك، ولكننا نؤخره لحكمة نعلمها، ولغاية عظيمة يريد بها الله. قال الإمام الطبري: "فلا يحزنك تكذيبهم إياك بما نعدهم به، وإنما نؤخر ذلك ليبليهم الكتاب أجله".
- ثانياً: اللمسات البيانية والبلاغية والتجويدية
- اللمسات البيانية والبلاغية:

1. التوكيد بثلاث أدوات: اجتمع في هذه الآية ثلاثة مؤكدات قوية تدل على يقينية الوعد وثبات القدرة :

• "إن": للتوكيد والاهتمام بالخبر.

• "اللام" المزلحقة في "لِقَادِرُونَ": وهي لام الابتداء دخلت على خبر "إن" لتوكيد الحكم.

• الجملة الاسمية "لِقَادِرُونَ": تدل على ثبوت القدرة واستمرارها، لا على مجرد حدوث الفعل.

2. التعبير بـ "على": في قوله {عَلَى أَنْ تَرِيكَ} حرف "على" يفيد الاستعلاء، مما يشير إلى علو القدرة الإلهية وسموها، وأن إرادة الله فوق كل إرادة.

3. "تَرِيكَ" دون "نفعل بك" أو "نعذبهم": اختيار هذا الفعل بالذات فيه إيماء إلى أن النبي ﷺ سيكون في منجاة من هذا العذاب، وسيراه رؤية عين من بعيد دون أن يصيبه منه شيء، كما حدث في غزوة بدر حيث وقف على القلب ينادي صناديد قريش.

4. "مَا تَعْدُهُمْ" بالإبهام: أتى بـ "ما" المبهمة للتوهيل والتعظيم، أي: العذاب العظيم الهائل الذي يوعدون به.

اللمسات التجويدية:

• الإظهار في "تَرِيكَ مَا": إظهار النون الساكنة عند الكاف في "تَرِيكَ" ثم البدء بـ "مَا" يفصل بين الرؤية والموعود، كأن التلاوة تعطي مسافة أمان بين النبي وبين العذاب.

• تفخيم الراء في "لِقَادِرُونَ": تفخيم الراء يعطي جرساً قوياً يؤكد على قوة القدرة الإلهية وهيبتها.

ثالثاً: المقاصد والأفكار الرئيسية في الآية

1. بيان كمال قدرة الله: الآية تثبت أن الله على كل شيء قدير، وأن وعيده للظالمين ليس تهديداً فارغاً، بل هو وعد محكوم بقدرة مطلقة لا يعجزها شيء.

2. تأكيد عدالة الله: التأخير في العقاب ليس عجزاً، بل لحكمة بالغة، منها إعدار وإنذار، ومنها اختبار المؤمنين.

3. مواساة النبي والمؤمنين: الآية تطمئن قلب النبي ﷺ وتخفف عنه ألم تكذيب المشركين واستهزائهم.

4. بيان سنة الله في الإمهال: ليس كل تأخير لعقوبة معناه عدم وقوعها، بل قد يكون لحكمة يريد بها الله.

رابعاً: المفاهيم والدروس والرسائل التربوية

1. التربية على الصبر وعدم الاستعجال

الآية تربي المؤمن على خلق عظيم: الصبر على أذى الظالمين، وعدم الاستعجال بنزول العقوبة. فالله قادر على إهلاك الظالمين في أي لحظة، لكنه يمهلهم لحكمة. هذا يعلم المؤمن ألا يجزع ولا ييأس، وألا يستعجل النصر، بل يصبر ويثق بوعد الله .

2. الثقة بنصر الله في الوقت المناسب

عندما يوقن المؤمن أن الله قادر على أن يريه عذاب الظالمين في أي وقت، فإن هذه الثقة تمنحه طمأنينة وسكينة. إنه يعلم أن النصر آت لا محالة، لكن قد يؤخره الله لحكمة يريد بها، قد تكون ليمتحن صبر المؤمنين، أو ليزيدهم قوة وتمكيناً.

3. ترسيخ مفهوم أن الله قادر على إحقاق الحق في أي وقت

هذا المفهوم يزيل اليأس من نفوس المؤمنين عندما يرون الظلم مستشرياً والباطل صاخباً. إنهم يعلمون أن الذي بيده ملكوت كل شيء قادر على تغيير المشهد في طرفة عين. قال السعدي: "ولكن إن أخرناه فلحكمة، وإلا، فقدرتنا صالحة لإيقاعه فيهم".

4. بناء الإنسان الصابر غير المستعجل

الآية تصنع إنساناً:

• صابراً: يتحمل الأذى ولا يضجر.

• واثقاً: بوعد الله لا يتزعزع.

• حكيماً: يعلم أن التأخير ليس إهمالاً بل لحكمة.

• مستمراً في العمل: لا يتوقف عن دعوته وعمله الصالح مهما بلغت قوة المفسدين.

خامساً: تنمية القوة النفسية والثبات في وجه التحديات

1. كيف تبني الآية القوة النفسية؟

عندما يقرأ المؤمن هذه الآية، تغرس في نفسه عدة معان:

• اليقين بقدرة الله: يعلم أن القوة كلها لله، وأن الظالمين وإن طغوا فهم تحت قبضة الله.

• التفاؤل: يوقن أن العقوبة للمتقين، وأن الغلبة لله.

• التحمل: يعلم أن الطريق طويل، وأن الأنبياء من قبله صبروا على أذى أقوامهم.

• الاستمرارية: لا يتوقف عن العمل بسبب الإحباط، بل يواصل طريقه بإيمان وثقة.

2. أثر استشعار قدرة الله عند تأخر النصر

عندما يتأخر النصر ويشتد البلاء، يتذكر المؤمن قوله تعالى: {وَإِنَّا عَلَى أَنْ تَرِيكَ مَا تَعْدُهُمْ لِقَادِرُونَ}، فيقول في نفسه: لو شاء الله لأرانا العذاب الآن، ولكنه يؤخره لحكمة، فلأصبر ولأثبت على ديني. هذا الاستشعار يمنع الانهيار النفسي، ويحول الإحباط إلى أمل، واليأس إلى ثقة.

سادساً: تطبيقات حياتية مستفادة من الآية

كيف أطبق هذه المفاهيم في حياتي اليومية؟

1. عند رؤية الظلم: لا تيأس ولا تحزن، بل تذكر أن الله قادر على إزالة هذا الظلم في أي لحظة، ولكن له حكمة في تأخير النصر. ادع الله للظالمين بالهداية أو بالقصاص العادل، واثقاً بأن الله لا يغفل عما يعمل الظالمون.

2. في العمل والدعوة: إذا واجهت صعوبات وتحديات، تذكر أن النتائج بيد الله، وأن تأخيرها لا يعني فشلك، بل قد يكون اختباراً لصبرك وإيمانك. استمر في العمل ولا تتوقف.

3. في التربية: علم أبناءك أن النصر لا يأتي بالاستعجال، وأن الصبر والثبات هما مفتاح الفرج. قصّ عليهم قصص الأنبياء الذين صبروا سنين طويلة ثم جاءهم نصر الله.

4. في العلاقات الاجتماعية: إذا أساء إليك أحد، لا تتعجل بالانتقام، بل تذكر أن الله قادر على أن يريك فيه ما تستحق، ولكن العفو والصفح أولى.

سابعاً: الفرق بين "نعدّهم" و"نريك"

• "نعدّهم" بضمير المتكلم (: تدل على أن الله هو الذي وعدهم بالعذاب. الوعد صادر من الله، وهو الحق الذي لا يتخلف.

• "نريك" بضمير المتكلم أيضاً (: تدل على أن الإراءة أيضاً من الله، وأنها ستكون بعينها التي وعدها. الفرق دقيق: الآية تجمع بين الوعد والإراءة، فالله هو الواعد وهو القادر على تحقيق ما وعد به. هذا الجمع يزيد من صبر المؤمن، لأنه يعلم أن من وعد هو نفسه من سيره، فكيف يتخلف الوعد؟! ثامناً: كيف استفيد من التوكيد في الآية؟

التوكيد بـ "إن" و"اللام" يمنح المؤمن يقيناً لا يتزعزع. عندما تقرأ "لقد أدركون" بهذا التوكيد القوي، يزداد إيمانك بأن الله:

• قادر على نصرك مهما طال الوقت.

• قادر على هلاك عدوك متى شاء.

• قادر على تغيير الواقع في لحظة.

هذا التوكيد يدفعك إلى:

• تصحيح علاقتك مع الزمن: لا تستعجل النتائج.

• تقوية ثقتك بالله: فهو القادر وحده.

• تحويل التحديات إلى فرص: لأنك تعلم أن من بيده الأمر هو معك.

تاسعاً: دور الآية في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

(بناء الإنسان) الصناعة الربانية للفرد)

هذه الآية كان لها دور عظيم في تربية الجيل الأول من الصحابة رضوان الله عليهم. لقد رباهم القرآن على هذه المعاني حتى أصبحوا قادة للعالم. كيف؟

• الإنسان الصابر: تعلموا الصبر على أذى قريش سنين طويلة، ولم ييأسوا.

• الإنسان الواثق: كانوا على يقين بأن النصر آت، لأن الله وعد به وهو القادر على تحقيقه.

• الإنسان العامل: لم يتوقفوا عن العمل والدعوة رغم التحديات، بل استمروا يزرعون ويبنّون.

• الإنسان المتوكل: تعلقوا بالله وحده، ولم يتعلقوا بالأسباب وحدها.

هكذا صنع القرآن من رعاة الغنم قادة للبشرية، ومن المستضعفين في مكة حكاماً للعالم في زمن يسير.

٢. بناء المجتمع

مجتمع يربى على هذه الآية يكون مجتمعاً:

• متماسكاً: لا يتفكك بسبب الإحباطات.

• صابراً: يتحمل الشدائد ولا ينهار.

• متعاوناً: لأن أفرادهم موصولون بالله.

• طموحاً: يطمح للنصر والتمكين لأنه يعلم أن الله قادر على ذلك.

٣. بناء الحضارة

الحضارة لا تبنى بين عشية وضحاها. بناء الحضارات يحتاج إلى:

• صبر طويل: عبر قرون من العمل المتواصل.

• ثقة بالله: تدفع للاستمرار رغم النكسات.

• يقين بالنصر: يمنع اليأس والإحباط.

• عمل دؤوب: لا يتوقف عند العقبات.

هذه الآية تقدم الدافع النفسي والمعنوي لبناء الحضارات. المسلم يعلم أن النصر قد يتأخر، لكنه قادم لا محالة، فيواصل العمل والبناء، جيلاً بعد جيل، حتى يتحقق وعد الله.

الخاتمة

إن قوله تعالى: {وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيكَ مَا نَعْدُهُمْ لَقَادِرُونَ} ليست مجرد آية نقرأها، بل هي دستور حياة، ومنهج تربية، ومصدر قوة نفسية، ومحطة إيمانية تمد المؤمن بالثقة والصبر واليقين. هي التي صنعت جيل الصحابة، وستظل تصنع الأجيال المؤمنة إلى يوم القيامة

سابعاً.

فهذا تفسير وتدبر لقول الله تعالى في سورة المؤمنون: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّبَّةَ} ٩٦ نحنُ أعلمُ بما يصِفون [المؤمنون: 96] ، مستنبطين ما فيها من كنوز عظيمة في التربية الأخلاقية وبناء الإنسان الرباني.

المقدمة: سياق الآية وارتباطها بما قبلها

بعد أن أرشد الله نبيه ﷺ إلى الدعاء بالنجاة من الظالمين، ووعد به بأنه قادر على إراءته ما يوعدون، يأتي هذا التوجيه الإلهي العظيم ليعلم النبي ﷺ والمؤمنين من بعده كيفية التعامل مع أذى المشركين وإساءاتهم. إنه ليس مجرد توجيه أخلاقي، بل هو "ترياق نافع في مخالطة الناس" كما وصفه ابن كثير ، ومنهج متكامل لبناء علاقات إنسانية راقية.

هذه الآية تمثل قمة المنهج القرآني في تربية النفوس، وتحويل الإنسان من الانفعالية والتهور إلى ضبط النفس والحكمة، ومن مقابلة الإساءة بمثلها إلى مقابلة الإساءة بالإحسان.

أولاً : تفسير الآية ومعانيها الأساسية

يقول الله تعالى: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّبَّةَ} ٩٦ نحنُ أعلمُ بما يصِفون [المؤمنون: 96] معنى الآية: أي: ادفع -أيها النبي- إساءة المسيء إليك بالصلة التي هي أحسن، وهي الصفح والإعراض والصبر والحلم والعفو . وقيل: هي السلام على من يلقاك، أو المصافحة، أو الإحسان إلى من أساء إليك . ثم يقول تعالى: {نحنُ أعلمُ بما يصِفون} أي: نحن أعلم بما يصفوننا به من صفات باطلة، وما يصفوك به من كذب وأذى، وسنجازيهم على ذلك بما يستحقون. وهذا الأمر كان قبل الإذن بالجهاد، ثم نسخ حكمه بآية السيف، وبقي المستحب من ذلك حسن العشرة والاحتمال والإغضاء.

ثانياً: اللغات البيانية والبلاغية والتجويدية

اللغات البيانية والبلاغية:

1. "ادفع": الفعل "ادفع" يوحي بوجود هجمة أو هجوم من الآخرين، وأن المؤمن مطالب بأن يتصدى لهذا الهجوم، ليس بهجوم مضاد، بل بأسلوب دفاعي راق. إنها صورة حربية ولكن بسلاح مختلف تماماً.

2. "بالتّي هي أحسن": لم يقل "بالحسنّة" بل أتى بصيغة التفضيل "أحسن"، لأن المطلوب ليس مجرد فعل حسن عادي، بل اختيار الأحسن والأجمل والأرقى في المقام. وهذا يشمل:

- العفو عند المقدرة
- الصبر عند الغضب
- الحلم عند الجهل
- الرفق عند العنف

3. "السبّة": نكرة في سياق النهي، للدلالة على أي سيئة مهما كانت صغيرة أو كبيرة، وعلى أي إساءة مهما بلغت.

4. "نحنُ أعلمُ بما يصِفون": جملة اسمية تفيد الثبات والاستمرار. فيها تأكيد على أن الله محيط علماً بكل ما يقولون، وأنه هو الذي سيتولى الحساب والجزاء، فلا داعي للانشغال بالرد والانتقام. اللغات التجويدية:

• الوقف على "السبّة": الوقف هنا جائز، ويعطي فرصة للتأمل في معنى الدفع بالأحسن قبل الانتقال إلى الجملة التالية.

• ترقيق الراء في "نحن" وتفخيمها في "أعلم": التنوع الصوتي يضيف جمالا ً على التلاوة، ويعبر عن دقة الأداء.

ثالثاً: المقاصد والأفكار الرئيسية في الآية

1. تربية الإنسان على ضبط النفس: الآية تهدف إلى بناء إنسان قادر على التحكم في انفعالاته، وكظم غيظه، وعدم الرد على الإساءة بمثلها.

2. تحويل الأعداء إلى أصدقاء: من مقاصد الآية العظيمة أن الإحسان إلى المسيء قد يكون سبباً في تحويل عداوته إلى صداقة ومحبة.

3. رفع المسلم إلى مستوى أخلاقي عال: الآية تهدف إلى أن يكون المسلم في مقام أخلاقي لا يصل إليه إلا الكرام، كما قال تعالى في آية فصلت: {وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} [فصلت: 35]

4. تفويض الأمر إلى الله: الجملة الأخيرة {نحنُ أعلمُ بما يصِفون} تريح القلب، وتعلم المؤمن أن حسابه مع الله، وأن الله عالم بما يقال عنه، وسيتولى هو الرد والجزاء.

رابعاً: المفاهيم والدروس والرسائل التربوية

١. القرآن يربي الرعيّل الأول: التحول العظيم

لفهم دور هذه الآية، يجب أن نستحضر حال الإنسان العربي قبل الإسلام. كان العربي يفتخر بالانتقام، ويعده شرفاً، وكان سريع الغضب، متهوراً، يعتدي على من أساء إليه بأشد ما أساء. كان الشتم و السب والضرب لغة سائدة في مجتمع الجاهلية.

ثم جاء القرآن بهذه الآية ومن يشبهها ليصنع أعظم تحول في تاريخ البشرية: تحويل الإنسان العربي

المتهور إلى إنسان هادئ حلیم متسامح .كيف؟
٢.علاقة هذه الآية بأية الأنعام) ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله (هذه الآية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بقوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: 108]

العلاقة بين الآيتين:
• آية الأنعام تعلمنا قاعدة درء المفساد، وهي ترك المصلحة) سب الأصنام (إذا كان يترتب عليها مفسدة أكبر) سب الله . (كان الصحابة يسبون أصنام المشركين، فكان المشركون يسبون الله جهلاً وعدواناً، فنهاهم الله عن ذلك.
• آية المؤمنون تعلمنا الدفع بالتي هي أحسن، أي مقابلة الإساءة بالإحسان. التكامل بينهما:

• الأولى: كف الأذى) لا تسبوا.(
• الثانية: بذل الإحسان) ادفع بالتي هي أحسن.(
هذا هو المنهج الرباني: لا تكتف بترك إيذائهم، بل أحسن إليهم.
٣.علاقة هذه الآية بسورة فصلت) ادفع بالتي هي أحسن(في سورة فصلت، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: 34]
هذه الآية تشرح النتيجة التي تترتب على تطبيق آية المؤمنون:
• إذا دفعت السيئة بالأحسن، يتحول عدوك إلى ولي حميم) صديق قريب.(
• وهذا لا يلقاه إلا الصابرون الذين صبروا على أذى الناس.
• ولا يلقاه إلا ذو حظ عظيم في الدنيا والآخرة.
خامساً: التربية على التعامل الراقي
الحفاظ على سلامة النقاش
الآية تربي المسلم على ألا ينجر إلى مستوى السب والشتم، لأن ذلك يسبب النفور والصدام. عندما تسب وتشتم، فإنك:

• تهبط إلى مستوى الجاهلين.
• تفقد موضوعية النقاش.
• تحول الخصومة الفكرية إلى عداوة شخصية.
• تغلق باب الحوار وتشعل نار الفتنة.
٢.التعامل مع مجالس أهل سوء
عندما يضطر المسلم إلى مخالطة أهل سوء، يجب أن يتأدب بآداب هذه الآية:
• لا ينحط إلى مستواهم.
• لا يقابل السب بالسب.
• يحتفظ برزائنه ووقاره.
• يرد الإساءة بالصمت أو بالكلمة الطيبة.
٣.علاج نفسي واجتماعي
الآية تحمل علاجاً نفسياً عميقاً:
• على المستوى النفسي: تجنب الانفعالات الضارة التي تسبب الندم، وتحفظ كرامة الإنسان بالترفع عن الدنيا.
• على المستوى الاجتماعي: تمنع تصاعد الصراعات، وتحول المشاحنات إلى فرص للتفاهم.

٤.لماذا "التي هي أحسن" وليس "بالحسنة"؟
لأن "أحسن" تعني اختيار الأفضل من بين الحسنات. أحياناً يكون العفو هو الأحسن، وأحياناً يكون الصبر، وأحياناً يكون الرفق، وأحياناً يكون السلام والمصافحة . المؤمن الحكيم هو الذي يختار الأسلوب المناسب في الموقف المناسب.
سادساً: التطبيقات العملية في حياتنا اليومية
١.تحويل مشاعر الغضب إلى قوة إيجابية
عندما يسيء إليك أحد:

• تذكر: أن الرد بالمثل سيزيد الموقف سوءاً.
• استحضر: أن الله أمرك بالدفع بالأحسن.
• تأمل: في عواقب الغضب كما جاء في السنة النبوية: "الغضب جمرة توقد في جوف ابن آدم".
• تذكر وصية النبي: "لا تغضب".
• استخدم الإستراتيجيات النبوية: الاستعاذة بالله من الشيطان، تغيير الهيئة) الجلوس إن كنت قائماً)، السكوت، الوضوء.

٢.حبس النفس عن الرد بالمثل
الآية تعلمنا الصبر، وهو أعلى مراتب ضبط النفس. قال الحسن البصري: "والله لا يصيبها صاحبها حتى يكظم غيظاً، ويصفح عما يكره".

٣. تحويل العداوة إلى فرصة للتآلف.
 عندما تحسن إلى من أساء إليك، فإنك:
 . تفتح باباً للتفاهم.
 . تذيب جليد العداوة.
 . تخلق فرصة جديدة للعلاقة.
 . تقدم نموذجاً عملياً لأخلاق الإسلام.
 سابعاً: {تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ} دعوة للتخلق بأخلاق الله
 هذه الجملة تحمل درساً عميقاً: الله يعلم ما يصفون به نبيه ﷺ وبالله من أكاذيب، وهو أعلم بهم
 وبما يستحقون. هذا يعلم المؤمن:
 1. التفويض إلى الله: لا تشغل نفسك بالرد على كل من أساء، فالله عالم وسيحكم بينكم.
 2. الابتعاد عن الحقد والانتقام: لأن الله هو الذي يتولى الحساب.
 3. ضبط النفس أمام الاستفزاز: لأن الغضب قد يوقعك في أخطاء تندم عليها.
 ثامناً: دور الآية في بناء الإنسان القائد والمجتمع والحضارة
 1. أبناء الإنسان الإيجابي الحكيم
 الآية تصنع إنساناً:
 . قادراً على ضبط انفعالاته: لا ينجرّف وراء الغضب.
 . حكيماً: يعرف كيف ومتى يرد.
 . إيجابياً: يحول السلبيات إلى إيجابيات.
 . قوياً: والعزیز الحليم هو الذي يملك نفسه عند الغضب.
 2. أبناء المجتمع المتماسك
 مجتمع يربي أفراداً على هذه الآية يكون:
 . آمناً: لأن الناس لا يتصارعون على كل إساءة.
 . متعاوناً: لأن الإحسان يولد الإحسان.
 . متحضراً: لأن أفراداً يتحلون بأرقى الأخلاق.
 3. تأهيل الأمة للقيادة
 هذه الآية كانت جزءاً من التربية الربانية التي أعدت الصحابة لقيادة العالم. كيف؟
 . عبدالله بن عمر مر به رجل فسابه، فلم يرد عليه، ثم قال لجليسه: "لا تدعه يسمع منا ما يكره".
 . أبو بكر الصديق قال لرجل نال منه: "إن كنت صادقاً فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك".
 هذا هو المستوى الأخلاقي الذي جعل المسلمين قادة للعالم. الأمم لا تقاد بالغلظة والفظاظة، بل بالحكمة والرفق والتسامح.
 تساعاً: كيف نطبق هذه الآية اليوم؟
 1. في الأسرة: إذا أساء إليك أحد أفراد أسرتك، لا تقابل الإساءة بالإساءة، بل اختر الأحسن (الصمت، الكلمة الطيبة، العفو).
 2. في العمل: إذا أخطأ زميل أو رئيس في حقك، حاول أن تدفع بالتي هي أحسن (التفاهم، الحوار الهادئ، تجنب المواجهة).
 3. في وسائل التواصل: إذا تعرضت لسب أو شتم، لا تنجر إلى مستوى المسيء، بل تجاوز أو اردد بالحسن أو اصمت.
 4. في الدعوة: إذا سخر منك أحد بسبب تدينك، قابله بالحسنى والابتسام والصبر، فقد يكون ذلك سبباً في هدايته.
 الخاتمة
 إن قوله تعالى: {اذْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ} ٢٥ تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ } ليست مجرد آية نقرأها، بل هي دستور أخلاقي، ومنهج تربوي، وعلاج نفسي، وطريق لبناء المجتمعات المتحضرة. هي التي صنعت من العربي المتهور إنساناً حليماً، ومن المجتمع الجاهلي أمة قائدة
 ثامناً
 فهذا تفسير وتدبر لقول الله تعالى في سورة المؤمنون: {وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ} (97) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ (98) {المؤمنون: 97-98}، مستنبطين ما فيهما من كنوز عظيمة في التحصين النفسي والسلوكي، وبناء الإنسان المتوازن القوي.
 المقدمة: سياق الآيتين وارتباطهما بما قبلهما
 بعد أن أمر الله نبيه ﷺ في الآية السابقة بدفع السيئة بالتي هي أحسن، وهي معالجة للعدو الخارجي (المشركين) بأسلوب راق، يأتي هذا التوجيه الإلهي لمعالجة العدو الباطني الأخطر: الشيطان ووساوسه. إنه انتقال من مواجهة الظاهر إلى مواجهة الأذى الخفي، ومن مقاومة العدو المرئي إلى مقاومة العدو غير المرئي.
 هاتان الآيتان تمثلان التحصين الإلهي للمؤمن، وتعلمنا أن المعركة مع الشيطان معركة مستمرة، سلا حها الأول والأخير هو اللجوء إلى الله والاستعاذة به .
 أولاً : تفسير الآيتين ومعانيهما الأساسية

يقول الله تعالى: {وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (97) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ (98)} [المؤمنون: 97-98].

معنى الآية الأولى: "وقل يا محمد:- رب إني أعتصم وألتجئ إليك وأتحصن بك من نزغات الشياطين ووساوسهم، ومن كل ما يهزمون به بني آدم من الدعاء إلى معصية الله، والصد عن سبيله". الهمزات جمع همزة، وهي الدفع بشدة، أو النخس، أو الطعن، أو الوسوسة التي تدفع الإنسان إلى الشر . معنى الآية الثانية: "وأعوذ بك رب -أيضا- من أن يحضروني في شيء من أموري، أو يقربوني في حال من أحوالي، فيفسدوا علي ديني أو دنياي". أي: أعوذ بك من حضورهم ومقاربتهم وإغوائهم . ثانياً: اللمسات البيانية والبلاغية والتجويدية

اللمسات البيانية والبلاغية:

1. النداء بـ "رَبِّ": بدأت الآية بالنداء "رب" بحذف حرف النداء (يا) (للدلالة على قرب العبد من ربه، وأنه ينجيه دون وساطة أو تكلف . و"رب" مشتقة من التربية والرعاية، ففيها طلب الرعاية الإلهية والحفظ الإلهي الذي يليق بالربوبية.

2. "أَعُوذُ بِكَ": فعل مضارع يدل على الاستمرار والتجدد . المؤمن لا يعوذ بالله مرة واحدة، بل هو في حالة استعانة دائمة متجددة.

3. "مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ": "همزات" جمع همزة، والجمع هنا للدلالة على الكثرة وتعدد أنواع الوسوسة وطرق الإغواء . وهي تشمل:

- وساوس الشيطان في الصدور .

- نزغاته التي تدفع للشر .

- تسويلاته التي تزين المعصية .

- تخويله من الفقر أو الناس .

4. "أَنْ يَحْضُرُونِ": الحضور هنا حضور إغواء وفساد، وليس مجرد حضور مكاني . أي: أن يحضروا عندي في حال غفلة فأغتر بوسوستهم .

5. التكرار في قوله "رَبِّ" ثم "رَبِّ": تكرر النداء "رب" في الآيتين يدل على تكرار التضرع وإلحاح الدعاء، وأن العبد يستشعر حاجته إلى الله في كل حال.

اللمسات التجويدية:

- الإظهار في "أَعُوذُ بِكَ": إظهار الذال الساكنة عند الباء يفصل بين الاستعانة والاسم الكريم، ويعطي كل كلمة استقلالها الصوتي .

- تفخيم الراء في "رَبِّ": الراء المكررة تفخم للدلالة على عظمة الربوبية وجلالها .

- الإدغام في "يَحْضُرُونِ": إدغام نون الوقاية في ياء المتكلم يعطي نغمة موسيقية جميلة تدل على الاتصال بين العبد وربّه .

ثالثاً: المقاصد والأفكار الرئيسية في الآيتين

1. التحصين من العدوين الخارجي والداخلي: الآية السابقة عالجت العدو الخارجي (المشركين) (بالدفع بالتالي هي أحسن، وهذه الآية تعالج العدو الباطني) الشيطان (بالاستعانة بالله .

2. الاعتراف بالضعف البشري: بدء الآية بـ "قل" أمر للنبي ﷺ بأن يقول هذا الدعاء، وفيه اعتراف بأن الإنسان ضعيف، وأنه بحاجة دائمة إلى قوة الله ورعايته .

3. الاستعانة كمنهج حياة: الآية لا تطلب الاستعانة مرة واحدة، بل تطلب جعلها دائمة متجددة، لأن خطر الشيطان دائم متجدد .

4. شمولية الحماية: الاستعانة شملت نوعين من شر الشيطان: همزاته) وساوسه الخفية(، وحضوره (إغوائه الظاهر .)

رابعاً: التحصين النفسي والسلوكي من الشيطان

القرآن يعطينا منهجاً علمياً لمقاومة الشياطين

هذه الآية تمثل المنهج القرآني في التحصين:

- التعرف على العدو: أول خطوة في المعركة هي معرفة العدو (الشيطان (وطرق هجومه) الهمزات والحضور).

- معرفة نقاط الضعف: الاعتراف بأن الإنسان ضعيف أمام وساوس الشيطان .

- الالتجاء إلى مصدر القوة: الاستعانة بالله القوي العزيز .

- الديمومة: جعل الاستعانة عادة دائمة، وليس مجرد كلمات تقال في أوقات الخوف فقط .

2. الاستعانة الواعية: أكثر من مجرد كلمات

الاستعانة ليست ترديداً للكلمات فقط، بل هي:

- اعتراف بوجود خطر حقيقي: الشيطان عدو مبين، يريد إغواء الإنسان وإضلاله .

- إعلان التبعية لله: أنا عبدك الضعيف ألتجئ إليك أنت القوي .

- طلب الحماية الفعلية: اللهم احمني وأعصمني .

- تفعيل اليقظة: عندما أستعيذ بالله، أكون في حالة يقظة من خطر الشيطان .

٣. التعرف على همزات الشيطان) كيف نكتشف وسوسته؟
الهمزات هي تلك الخواطر السريعة التي ترد على القلب، وتدفع إلى الشر أو تمنع من الخير.
كيف نتعرف عليها؟

1. الخواطر التي تدعو إلى معصية الله: فجأة يخطر ببالك فعل محرم، أو ترك واجب.
2. تزيين القبيح: أن ترى المعصية جميلة، والذنب هينا.
3. التسوييف: "سوف أتوب"، "لا يهم"، "وقتها سأفكر".
4. التخويف من غير الله: الخوف من الفقر إن تصدقت، أو من الناس إن أمرت بالمعروف.
5. الوسوسة في العقيدة: الشك في الله أو الدين أو الرسالة.
6. إثارة الغضب: حتى تدفعك للانتقام أو السب أو الظلم.
7. الحرص الزائد على الدنيا: حتى تنسيك الآخرة.

٤. كيف ندفع هذه الهمزات؟

هذه الآية تعطينا الطريقة:

• الاستعاذة الفورية: بمجرد أن تشعر بخاطرة سيئة، قل: "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم". كما أمر الله في سورة فصلت: {وَمَا يَزَعْنِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ تَزَعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [فصلت: 36].

• تذكر الله: قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ} [الأعراف: 201].

• مخالفة الهوى: لا تستجب للخاطرة، بل افعل عكس ما يدعوك إليه الشيطان.

• الاستمرار في الطاعة: الشيطان يفر من المؤمن القوي في عبادته.

خامساً: لماذا "همزات" بالجمع؟

جاءت "همزات" بصيغة الجمع لعدة حكم:

1. تعدد أنواع الوسوسة: وسوسة في العقيدة، وسوسة في العبادة، وسوسة في الأخلاق، وسوسة في المعاملات.

2. تعدد مصادرها: شياطين الجن وشياطين الإنس.

3. تعدد أوقاتها: في الليل والنهار، في اليقظة والنام، في الخلوة والجلوة.

4. تعدد طرقها: بالخواطر، بالأحلام، بالأشخاص، بالمواقف.

هذا التنبيه يعلم المؤمن أن يكون في حالة يقظة دائمة، لأن الهجوم متعدد الجبهات.

سادساً: دلالة اسم "رب" في الاستعاذة

لم يقل "اللهم إني أعوذ بك" بل قال "رب أعوذ بك". اسم "رب" له دلالات عميقة:

1. التربية والرعاية: الرب هو المربي والراعي، فكأن العبد يقول: يا من ترعاني وتعتني بي، احمني.

2. الملك والسلطان: الرب هو المالك المتصرف، فكأن العبد يقول: أنت المالك وأنا المملوك، فأحم مملوكك.

3. الإحسان والإنعام: الرب هو المنعم، فكأن العبد يقول: أنت الذي أنعمت عليّ، فأتم نعمتك بحمايتي.

4. القرب واللطف: استحضار الربوبية يذكر العبد بأن الله قريب منه، لطيف به، يرعاه في كل لحظة.

سابعاً: الاستعاذة نمط حياة وليس مجرد كلمات

هذه الآية تدعونا لجعل الاستعاذة عادة دائمة:

أعند استخدام وسائل التواصل الاجتماعي:

أنت معرض لهمزات الشيطان من كل جانب: صورة محرمة، فيديو فاضح، خبر كاذب، تعليق بذيء، جدال عقيم. قبل أن تفتح التطبيق، قل: "رب أعوذ بك من همزات الشياطين". وأثناء التصفح، كلما شعرت بخاطرة سيئة، كرر الاستعاذة.

٢. أعند الشعور بالضيق والغضب:

الشيطان حريص على إغضابك، لأن الغضب يفسد دينك وعلاقاتك. عندما تشعر بالغضب، استحضر قول النبي ﷺ: "إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم". قل: "رب أعوذ بك من همزات الشياطين" التي تثير غضبي.

٣. أعند اتخاذ القرارات المهمة:

الشيطان يريد أن يوقعك في اختيارات خاطئة. قبل أن تقرر في أمر مهم (زواج، عمل، شراء، سفر)، استعذ بالله من همزاته.

٤. في أوقات الفراغ والوحدة:

الشيطان حريص على إغواء الإنسان في فراغه. استعذ بالله واشغل نفسك بطاعته.

ثامناً: لماذا اقترنت هذه الآية بالآية السابقة (ادفع بالتي هي أحسن)؟

هذه الإشارة دقيقة جداً! عندما تحاول أن تدفع السيئة بالتي هي أحسن، وتتعامل مع الناس بالإحسان، فإن الشيطان:

• يحاول أن يفسد نيتك: يوسوس لك بالرياء أو العجب.

• يحاول أن يثبط عزيمتك: يقول لك: لماذا تحسن إلى من أساء إليك؟

- يحاول أن يدفعك للغضب: إذا لم يرد عليك الناس بالإحسان، قد تغضب.
- لذلك، بعد الأمر بدفع السيئة بالحسنة، جاء أمر الاستعانة مباشرة، كأنه يقول: إذا أردت أن تطبق هذا الخلق العظيم، فاستعذ بالله من الشيطان الذي يحاول إفساده عليك .
- تاسعاً: الشياطين: جن وإنس
- الشياطين في القرآن تشمل:
- شياطين الجن: وهم خلق مستتر، عدوهم لبني آدم قديم، مهمتهم الغواية والإضلال.
- شياطين الإنس: وهم البشر الذين يوسوسون لبني البشر ويدعونهم إلى الشر، كما قال تعالى: {وَكذلكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ} [الأنعام: 112]
- تطبيق ذلك في حياتنا:
- شياطين الإنس موجودون في وسائل التواصل، في أماكن العمل، في الشارع، في الإعلام. هم الذين يدعون إلى الفاحشة والرذيلة والإلحاد.
- الاستعانة تشمل التحصن من شر هؤلاء جميعاً.
- عاشراً: كيف تبني هذه الآية الإنسان القوي؟
- ١. القوة النفسية:
- تزيل الخوف والقلق: عندما تستعيز بالله، تشعر بأن القوي معك.
- تمنحك طمأنينة: أنت في حفظ الله ورعايته.
- تعالج الغضب: تذكر بأن الغضب من الشيطان، فتسكن.
- ٢. القوة العقلية:
- تحمي عقلك من الأفكار الضالة والشبهات.
- تصفي ذهنك من الخواطر السيئة.
- تجعلك قادراً على التركيز على ما ينفع.
- ٣. القوة الاجتماعية:
- تمنعك من الاستجابة لهزات الشيطان التي تفسد العلاقات.
- تمكنك من التعامل بالتي هي أحسن مع الناس.
- تجعلك قدوة حسنة في ضبط النفس.
- ٤. القوة الاقتصادية:
- تحميك من وساوس الشيطان في المال الربا، الغش، السرقة.
- تدفعك للكسب الحلال والإنفاق في سبيل الله.
- تمنعك من التعلق بالدنيا والخوف من الفقر.
- ٥. القوة الثقافية:
- تحمي فكرك من الغزو الثقافي والأفكار المنحرفة.
- تمكنك من التمييز بين الحق والباطل.
- تجعلك داعية إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.
- ٦. القوة السياسية:
- تمنعك من الخضوع لتهديدات شياطين الإنس في الحكم والسلطة.
- تدفعك للتمسك بالحق ولو كان ضد الطواغيت.
- تجعلك تعتمد على الله لا على قوة البشر.
- الحادي عشر: دور الآية في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
- ١. بناء الإنسان) الجيل الأول نموذجاً)
- الصحابه رضوان الله عليهم تربوا على هذه الآيات، فكانوا:
- أقوياء نفسياً: لا تهتز عزيبتهم أمام الإغراءات أو التهديدات.
- ثابتين على الحق: لا تتلاعب بهم شياطين الإنس والجن.
- صابرين محتسبين: يواجهون الإساءة بالإحسان، ويستعيزون بالله من الشيطان.
- قادة للعالم: لأنهم كانوا أحراراً من عبودية الشيطان، فقادوا الناس إلى الله.
- ٢. بناء المجتمع
- مجتمع يربي أفراده على هذه الآية:
- مجتمع آمن: لأن أفراده يتحصنون من شرور الشياطين.
- مجتمع نظيف: من الفواحش والرذائل.
- مجتمع متعاون: لأن شياطين الإنس لا يجدون فيه مكاناً.
- مجتمع واعٍ: يميز بين الحق والباطل.
- ٣. بناء الحضارة
- الحضارة الحقيقية لا تبنى بالشهوات والملذات، بل:
- بالأخلاق الفاضلة: التي تحمي من همزات الشيطان.
- بالعقول النيرة: التي لا تشوشها وساوسه.
- بالنفوس المطمئنة: التي تلتجئ إلى الله في كل وقت.

. بالقيادة الرشيدة: التي تستعيز بالله من شياطين الإنس.

الخاتمة

إن قوله تعالى: {وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (97) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ (98)} ليست مجرد آية نقرأها، بل هي حصناً حصيناً للمؤمن، ومنهج حياة يجعله في معية الله وحفظه، وسلاحاً فعالاً في معركة الوجود مع أعدى الأعداء. هي التي تربي الإنسان القوي، والمجتمع المتماسك، والأمة القائدة.

نسأل الله أن يجعلنا من المستعيزين به حقاً، المتحصنين بذكراه صدقاً، وأن يحفظنا من همزات الشياطين وحضورهم. والحمد لله رب العالمين.

المقطع الرابع

تنتقل آيات هذا المقطع لبيان حال الكفار من لحظة الموت الى ساحه الحشر وكيف أنه يتمنى العوده للحياه لإصلاح ما أفسده ويمنع من الكلام ويتردد من رحمه الله حيث لا ينفق الاعتراف بـ الذنب في ذلك الموقف فالتوبه تكون في الدنيا ولهذا سوف نتناول ذلك بالشرح والتفصيل من خلا ل الآتي

أولا

فهذا تفسير وتدبر لقول الله تعالى في سورة المؤمنون: { حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۚ وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ } (100) المؤمنون: 99-100، مستنبطين ما فيهما من أعظم الدروس في اليقظة والاستعداد للقاء الله.

المقدمة: سياق الآيتين وعلاقتهما بما قبلهما

بعد أن أمر الله نبيه ﷺ بالاستعاذه من هزات الشياطين وحضورهم، تأتي هاتان الآيتان لتصورا النتيجة النهائية لمن استجاب للشياطين وانخدع بغرور الدنيا. إنهما بمثابة الكشف عن المصير الذي ينتظر الغافلين والمكذبيين، بعد أن كانوا في غمرة لهوهم لاهم.

الارتباط وثيق: من استعاذ بالله من الشيطان نجا، ومن ترك نفسه لهزاته انتهى به الأمر إلى هذا المشهد المرعب من الندم والحسرة حيث لا ينفع الندم. إنها صاعقة اليقظة بعد فوات الأوان.

أولا : تفسير الآيتين ومعانيهما الأساسية

الآية 99 : { حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ }

حتى هنا ابتدائية، والمعنى: يستمرون في غفلتهم وطغيانهم إلى أن يأتي أحدهم الموت . إذا فجائية، أي: فجأة ودون سابق إنذار يأتي الموت أحدهم أي أحد الكافرين والمكذبيين) وقيل تعم كل غافل . (ق) ال رب ارجعون : عند معاينة الموت وسكراته ورؤية مآله من العذاب، يصرخ مستغيثا: يا رب ارجعوني إلى الدنيا . واستعمل ضمير الجمع "ارجعون" تعظيما لله، أو لأن الملائكة هم الذين يقبضون روحه.

الآية 100 : { لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۚ وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ }

لعلي أعمل صالحا : رجاء منه أن يمهل ليعمل صالحا فيما تركت أي: في المال الذي خلفه، أو في الدنيا التي تركها . كلا : حرف ردع وزجر، أي: لا رجوع ولا عودة، فقد انتهى زمن العمل . إنها كلمة هو قائلها : أي هذه المقالة) رب ارجعون (مجرد كلمة يقولها لا فائدة منها، ولا تغني عنه شيئا . ومن ورائهم برزخ : وأمامهم وبعد موتهم حاجز وحائل إلى يوم يبعثون : يحبسون فيه إلى يوم القيامة، لا عودة لهم إلى الدنيا.

ثانيا: اللمسات البيانية والبلاغية والتجويدية

اللمسات البيانية والبلاغية:

- 1."حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ": استخدام "إذا" الفجائية بعد "حتى" الابتدائية يرسم صورة الموت المفاجئ الذي يأتي بغتة وهم في غفلتهم.
- 2."قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ": النداء بـ "رب" فيه التفات إلى أن العبد يعترف بربوبية الله في أشد اللحظات، لكن بعد فوات الأوان .واستخدام الجمع في "ارجعون" للتعظيم، أو لأن الملائكة هم المنفذون.
- 3."لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا": "لعل" للرجاء والترجي، لكن رجاء لا فائدة منه، لأنه رجاء بعد انتهاء الفرصة . وخص العمل الصالح لأنه الذي كان ينقصه ويحتاج إليه الآن.
- 4."فِيمَا تَرَكْتُ": إشارة إلى ما كان سبب غفلته وطغيانه) مال، أولاد، جاه (أصبح الآن أمنية يعمل فيها صالحا.

5."كَلَّا": حرف ردع وزجر، تأتي في القرآن لقطع الطمع وإبطال الأمل الباطل .فيها قوة وحسم، كأنها صفة توقظه من حلمه المستحيل.

6."إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا": هذه الجملة تحمل معنى التهوين من شأن هذه المقالة، فهي مجرد كلمة تقال، لا تنفع صاحبها، ولا تغير من الواقع شيئا.

7."وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ": "من ورائهم" أي أمامهم، والبرزخ هو الحاجز بين الدنيا والآخرة .التعبير بالوراء هنا فيه معنى أنهم يتركون الدنيا خلف ظهورهم، وأمامهم حاجز لا يمكن اختراقه.

8."إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ": تحديد النهاية بيوم البعث، فيه إشارة إلى طول المكث في البرزخ، وأنه لا رجعة قبل ذلك اليوم.

اللمسات التجويدية:

- الوقف على "تركت": الوقف هنا جائز، يعطي فرصة للتأمل في أمنية الكافر ثم يأتي الردع "كلا".
- تفخيم الراء في "ارجعون" و"برزخ": تفخيم الراء يعطي جرسا قويا يعبر عن شدة النداء وشدة الحاجز.

• الوقف على "يُبْعَثُونَ": الوقف تام، وهو نهاية الآية، يعطي إحساسا بالانتهاء والقطعية.

ثالثا:

المقاصد والأفكار الرئيسية في الآيتين

1. تصوير مشهد الاحتضار: تهدف الآيات إلى تصوير اللحظة الحرجة التي تزول فيها الغفلة، ويرى الإنسان حقيقته، ويتمنى الرجوع.
2. بيان فوات الأوان: تأتي الندامة دائماً بعد فوات الأوان، لأن الغفلة تحجب الإنسان عن رؤية الحقيقة في الوقت الذي ينفعه فيه العمل.
3. كشف زيف الدنيا: الأموال والأولاد التي كان يظنها الكافر سندا له، يكشف أنها لا تنفعه، بل هي التي شغلته عن العمل الصالح.
4. تأكيد عدالة الله: الرد الإلهي "كلا" ليس ظلماً، بل هو عدل، لأن الفرصة كانت متاحة، والرسول أتوا، والإنذار بلغ.
5. بيان حقيقة البرزخ: هناك حاجز لا يمكن تجاوزه بين الموت والبعث، ولا رجعة فيه إلى الدنيا.

رابعاً

تصوير المشهد: الغفلة تزول والعين تبصر

اليقين عند الاحتضار

عند الاحتضار، يكشف للكافر الغطاء، فيرى مآله من العذاب، ويوقن بالحقيقة التي كان ينكرها. هنا تزول الغفلة، ويحل اليقين، لكن بعد أن انتهى زمن العمل. قال تعالى: {لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ} [ق: 22]

2. العلاقة بأية "فذرهم في غمرتهم"

في سورة المؤمنون) آية (54 قال تعالى: {فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ}. {الغمرة هي الغفلة والضلال والجهل المركب. كانوا في الدنيا يعتقدون أن ما هم فيه من أموال وأولاد وقوة هو الخير، وكانوا يظنون أن إمهال الله لهم دليل على رضاه، وأن لهم في الجنة منزلة. ولكن عند الاحتضار:

- يفقد سنده: يرى أن الأموال والأولاد التي كان يفتخر بها لا تنفعه.
- يرى الحقيقة: أن ما كان فيه كان غمرة وجهلاً، وأن العذاب هو مصيره.
- يتمنى الرجوع: لا ليعيش متعة، بل ليعمل صالحاً، لأنه أدرك أن الصالح هو ما ينفعه.
- 3. لماذا طلب العمل الصالح تحديداً؟

الملفت أنه لم يطلب الرجوع ليتمتع بالدنيا، بل ليعمل صالحاً. هذا يدل على:

- أنه أدرك أن المتعة انتهت ولا قيمة لها.
 - أنه أدرك أن العمل الصالح هو ما ينفع في الآخرة.
 - أن الندم الحقيقي على تفريطه في الطاعات وليس على فوات الملذات.
- خامساً: الدروس والرسائل والتوجيهات

1. أخطر الغفلة وطول الأمل

الغفلة هي سبب هذا المشهد المأساوي. طول الأمل يجعل الإنسان يعتقد أن أمامه فرصة لا تنتهي، فيسوف ويتأخر. الآية توقظنا من سبات الغفلة وتذكرنا بأن الموت قد يأتي فجأة.

2. أهمية المبادرة وعدم التسويف

أعظم درس في الآية: لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد. قال الحسن البصري: "إن المؤمن أصبح بين مخافتين: بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه، فليأخذ المؤمن من نفسه لنفسه".

3. قيمة الوقت واستثمار العمر

الآية تعلمنا أن الوقت هو رأس المال الحقيقي. من أضاع وقته في غير طاعة الله، ندم حيث لا ينفع الندم. العمر القصير يجب أن يكون مليئاً بالعمل الصالح.

4. الموت لا ينفع معه الندم

الندم في الدنيا ينفع إذا تبعه توبة وعمل صالح. أما الندم بعد الموت فلا ينفع، لأنه ندم على فوات الفرصة.

5. الأهل والمال لا ينفعون

الأموال والأولاد التي شغلت الكافر عن طاعة الله، تتخلى عنه في لحظة الاحتضار. قال تعالى: {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنُ اتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الشعراء: 88-89]

6. حقيقة البرزخ

البرزخ حاجز لا يمكن تجاوزه. من مات دخل في عالم جديد، لا عودة فيه إلى الدنيا. هذه حقيقة

يجب أن تستقر في قلوبنا.

سادساً: كيف نتدبر هذه الآلية في حياتنا العملية؟

١. اعش كل يوم وكأنه آخر يوم

الآلية تدعونا للعيش بذهنية الفرصة الأخيرة. كل يوم نستيقظ فيه هو فرصة جديدة للعمل الصالح، قد لا تتكرر.

٢. استعد للموت قبل أن يأتي

اسأل نفسك: لو مت اليوم، ماذا سأندم عليه؟ اعمل الآن ما ستتمنى لو عملته عند الموت.

٣. لا تسوّف التوبة

إذا هممت بمعصية، تذكر أن الموت قد يأتي قبل أن تتوب. وإذا هممت بطاعة، بادر بها فوراً.

٤. استثمر وقتك في العمل الصالح

كل لحظة يمكن أن تكون صدقة جارية، أو علماً ينتفع به، أو ولداً صالحاً يدعو لك، أو ذكراً لله.

٥. نظف قلبك من التعلق بغير الله

لا تجعل الأموال والأولاد تشغلك عن طاعة الله. اجعلهم عوناً لك على الطاعة، لا حاجباً عنها.

٦. استعد للبرزخ بالعمل الصالح

العمل الصالح هو الذي يصبح نوراً في القبر. قال النبي ﷺ: "إن الميت إذا وضع في قبره، إنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا عنه، فإن كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه، والصيام عن يمينه، والزكاة عن شماله، وفعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف عند رجله".

سابعاً: دلالات لغوية وتفسيرية عميقة

١. لماذا "ارجعون" بصيغة الجمع؟

لأن الكافر يخاطب الله تعالى، والله يرد عليه بصيغة الجمع تعظيماً، أو لأن الملائكة هم الذين يقبضون روحه، فيطلب منهم الرجوع. وقيل: هو تعظيم للملك الواحد بصيغة الجمع.

٢. دلالة "كلاً"

"كلاً" تفيد:

- الردع والزجر: لا ترجع ولا عودة.
- قطع الأمل: لا أمل لك في الرجوع.
- تكذيب الظن: الذي تظنه من إمكانية الرجوع كذب.

٣. "إنها كلمة هو قائلها"

أي: هذه المقالة مجرد كلمة تقال، لا تنفع ولا تغني. وفيه إشارة إلى أن الإيمان باللسان دون العمل لا ينفع.

٤. "ومن ورائهم برزخ"

البرزخ في اللغة هو الحاجز بين الشيئين. وهو هنا العالم بين الدنيا والآخرة، من الموت إلى البعث. قال ابن كثير: "وهو حائل بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا".

ثامناً: الفرق بين حسرة الكافر في الدنيا وحسرتة في الآخرة

- في الدنيا: كان يحسد غيره على المال والجاه، ويحزن على فوات متعة.
- في الآخرة: يحسر على فوات العمل الصالح، وعلى ضياع العمر في غير طاعة الله.

تاسعاً: دور الآيتين في بناء الإنسان والمجتمع

١. بناء الإنسان (الصناعة الربانية للفرد)

هذه الآيات تربي في الإنسان:

- اليقظة الدائمة: لا تغفل عن الموت.
- المسؤولية الفردية: أنت وحدك من ستحاسب على عملك.
- التخطيط للآخرة: استثمر وقتك في ما ينفعك بعد الموت.
- الاستعداد للموت: اجعل القبر نصب عينيك.

٢. بناء المجتمع

مجتمع يتربى على هذه الآيات يكون:

- منتجاً: لأن أفراده لا يضيعون الوقت.
- متعاوناً: على البر والتقوى.
- واعيّاً: لحقيقة الدنيا والآخرة.
- مستعداً: للموت بالعمل الصالح.

٣. بناء الحضارة

الحضارة الحقيقية لا تبنى بمن يلهثون وراء الدنيا فقط، بل بمن:

- يعملون للدنيا كأنهم يعيشون أبداً؛ بالبناء والإعمار.
- ويعملون للآخرة كأنهم يموتون غداً؛ بالإخلاص والتقوى.
- يوازنون بين العاجل والآجل: فينتجون حضارة راقية.

الخاتمة

إن قوله تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ} (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۖ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۚ وَمِنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ} (100) ليست مجرد آية تخبرنا عن مصير الكافرين، بل هي محطة توقف في رحلة حياتنا، تذكرنا بقيمة الوقت، وخطورة التسويف، وحتمية الموت، وضرورة الاستعداد. هي التي توقظ الغافل، وتحفز الكسول، وتذكر الناسي. نسأل الله أن يجعلنا من المستعدين للقائه، العاملين لرضاه. والحمد لله رب العالمين.

ثانياً

فهذا تفسير وتدبر لقول الله تعالى في سورة المؤمنون: {إِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ قُلَّا أُنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَكُلًّا يُتَسَاءَلُونَ} [المؤمنون: 101]، مستنبطين ما فيها من كنوز عظيمة في تقرير عقيدة المعاد، وبيان المعيار الحقيقي للتفاضل بين الناس، وبناء الشخصية المسلمة المتواضعة المسؤولة.

المقدمة: سياق الآية وارتباطها بما قبلها

بعد أن صور الله تعالى مشهد الكافر عند الاحتضار وهو يطلب الرجوع إلى الدنيا ليعمل صالحاً، ويردُّ عليه بأنه قد فات الأوان، وأن أمامه برزخاً إلى يوم يبعثون، تأتي هذه الآية لتصور اليوم الآخر بعد النفخ في الصور، وتكشف عن حقيقة جديدة تماماً تختلف عن كل ما كان سائداً في الدنيا. إنها آية القطيعة الكبرى بين كل ما اعتاده الناس من علاقات وأنساب ومصالح، ليظهر المعيار الوحيد الذي يبقى وينفع: العمل الصالح.

أولاً: تفسير الآية ومعانيها الأساسية

يقول الله تعالى: {إِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ قُلَّا أُنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَكُلًّا يُتَسَاءَلُونَ} [المؤمنون: 101]. معنى الآية: "إِذَا نَفَخَ الْمَلَكُ فِي الْقُرْنِ -وهو الصور- النفخة الثانية للبعث، فلا أنساب بين الخلائق يومئذ يتفاخرون بها، ولا يسأل القريب عن قريبه، ولا الأب عن ابنه، بل كل واحد منهم مشغول بنفسه". هذا اليوم يوم الرعب العظيم، لا ينفع فيه نسب ولا قرابة، ولا يسأل أحد عن أحد.

الصور: هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام. والنفخة هنا هي نفخة البعث (النفخة الثانية)، بعد نفخة الصعق التي يموت بها الخلائق .

لا أنساب بينهم: أي لا تنتفعون بالأنساب، ولا تيفعكم قراباتكم، كما كانت تنفعكم في الدنيا من منعة وعزة .

ولا يتساءلون: أي لا يسأل بعضهم بعضاً عن حاله، لاشتغال كل إنسان بنفسه، وقيل: لا يتناقلون الأنساب بالسؤال عنها .

ثانياً: اللامات البيانية والبلاغية والتجويدية

اللامات البيانية والبلاغية:

1. "فَإِذَا تَفَخَّ فِي الصُّورِ": "إذا" الفجائية أو الشرطية، تدل على هول المفاجأة وسرعة وقوع الأمر. النفخ في الصور يحدث فجأة وهم في غفلة، كما قال تعالى: {مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ} (يس: 49)
2. "فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ": نفي الجنس بـ "لا" النافية للجنس، تفيد النفي المطلق والكمال. "أنساب" اسم "لا" منصوب، والتذكير فيه للدلالة على أي نسب مهما كان عظيماً. "بينهم" ظرف، و"يومئذٍ" تأكيد للزمان.
3. "وَلَا يَتَسَاءَلُونَ": عطف جملة فعلية على جملة اسمية، لتنويع الأسلوب وتأكيد المعنى. الفعل المضارع "يتساءلون" يدل على الاستمرار في الزمن الماضي، أي أنهم لا يسألون في ذلك الوقت أبداً. وفيه إشارة إلى أن التساؤل لو كان ممكناً لكان في وقت آخر، لكنه في ذلك اليوم منتفراً تماماً.
4. الجمع بين نفي الأنساب ونفي التساؤل: نفي الأنساب يعني انقطاع العلاقة والمنفعة، ونفي التساؤل يعني انشغال كل إنسان بنفسه حتى عن السؤال، وهذا أبلغ في بيان الهول.

اللامات التجويدية:

- الوقف على "الصُّور": الوقف هنا جائز، ويفصل بين ذكر النفخ وذكر ما يترتب عليه.
- تفخيم الراء في "الصُّور" و"يَتَسَاءَلُونَ": تفخيم الراء يعطي جرساً مهيباً يتناسب مع عظمة المشهد.
- المد في "يَتَسَاءَلُونَ": مد لازم كلمي مثنى (سنة حركات بسبب اجتماع همزتين، وهذا المد الطويل يعطي إيحاء بطول المدة أو عظمة الأمر.

ثالثاً: المقاصد والأفكار الرئيسية في الآية

1. تقرير وقوع البعث: الآية تؤكد أن النفخ في الصور سيقع لا محالة، وأن بعده يوم عظيم.
2. إبطال التفاخر بالأنساب: يوم القيامة تنقطع كل الأنساب التي كانت في الدنيا سبباً للفخر والعزة.
3. بيان شدة الهول: الناس مشغولون بأنفسهم حتى عن السؤال عن أقرب الناس إليهم.
4. تحديد معيار النجاح الوحيد: العمل الصالح هو الذي يبقى وينفع، لا الأنساب ولا القرابات.

رابعاً: المفاهيم والدروس والرسائل التربوية

١. العمل الصالح هو المقياس الوحيد للنجاح

الآية تربّي المسلم على أن العمل الصالح هو الذي يثقل الموازين، وهو وحده النافع يوم القيامة. قال تعالى: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ} [الزلزلة: 7]. وفي الحديث: "لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على أسود، إلا بالتقوى".

هذه الآية تبطل كل التفاخر بالأنساب، فالنبي ﷺ نفسه قال لابنته فاطمة: "يا فاطمة بنت محمد، لا أغني عنك من الله شيئاً".

٢. تصحيح الأفكار الخاطئة

كثير من الناس يتصورون أن الانتساب إلى العلماء أو الصالحين أو إلى النبي ﷺ يمكن أن ينفعهم يوم القيامة دون عمل. هذه الآية تصحح هذا المفهوم الخاطئ. فالأعمال هي التي تنفع، لا الأنساب. قال تعالى: {إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات: 13].

٣. انقطاع الأنساب وتلاشي القرابات

في الدنيا، كان الناس يعتزون بأنسابهم، ويستنصرون بها، ويتعاونون على أساسها. أما في الآخرة:

- لا أنساب بينهم: أي لا تنفعهم أنسابهم، ولا يفتخرون بها.
- ولا يتساءلون: لا يسأل الأب عن ابنه، ولا الابن عن أبيه، ولا الأخ عن أخيه، ولا الزوج عن زوجته، لشدة الهول وانشغال كل إنسان بنفسه.

٤. لماذا هذا المشهد بعد النفخ الثاني (البعث)؟

هذه الآية تتحدث عن يوم القيامة بعد البعث، حيث يقوم الناس من قبورهم. في ذلك اليوم العظيم، يرون بأعينهم حقائق جديدة، ويعلمون أن كل ما كانوا يعتمدون عليه في الدنيا قد تلاشى.

أما في آيات أخرى، نجد أن أهل الجنة يتساءلون فيما بينهم، كما قال تعالى: {فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ} [الصفحات: 27]، وذلك بعد أن استقر بهم الحال في الجنة، وذهب عنهم الفزع الأكبر. فالتساؤل في الجنة هو تساؤل استثناس وتذاكر، أما في موقف الحساب فالتساؤل منفي لشدة الهول.

٥. تغيير نظرنا للمصالح الشخصية والخصومات

في حياتنا اليومية، كثيراً ما تحدث خصومات ونزاعات بسبب العصبية القلبية أو العائلية، أو بسبب المصالح الشخصية المرتبطة بالقرابة. هذه الآية تذكرنا بأن كل هذه الأنساب ستنتقطع يوم القيامة، وأن المعيار الوحيد هو العمل الصالح. هذا يدفعنا إلى:

- عدم الظلم لمجرد العصبية: لا تظلم أحداً لمجرد أنه من عائلة أخرى.
- تصفية الخصومات: نسعى لحل الخصومات بالعدل والحق، لا بالانتصار للقبيلة.
- تجاهل التعصب الجاهلي: لا ننخدع بدعاوى الجاهلية التي تفرق الناس.

٦. الموازنة بين صلة الرحم واليقين بالعمل الصالح

الآية لا تلغي صلة الرحم في الدنيا، بل تضعها في إطارها الصحيح. صلة الرحم واجبة، وهي من الأعمال الصالحة التي تثقل الميزان. لكن المطلوب:

- أن نصل أرحامنا لله، لا لمجرد النسب.
- ألا نعتمد على النسب في النجاة، فنقصّر في العمل الصالح.
- ألا نقدم مصلحة الأهل على الحق والعدل.

قال النبي ﷺ: "ليس منا من دعا إلى عصبية". وقال: "إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد".

٧. لماذا لا يلتفت الإنسان لأقرب الناس إليه يوم القيامة؟

لأن الهول عظيم، والانشغال بالنفس أشد. كل إنسان يرى ما أمامه من أهوال، فينسى حتى أعز الناس إليه. قال تعالى: {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (34) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (35) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (36) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ} [عبس: 34-37].

٨. تحمل المسؤولية الفردية

الآية تربي المسلم على أن كل إنسان مسؤول عن نفسه، ولا ينفعه نسب ولا قرابة. قال تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ} [المدثر: 38]. هذا يدفع الفرد إلى:

- الاهتمام بعمله الصالح: لا يتكل على آبائه أو أجداده.
- عدم التكبر: فالنسب لا يرفع قيمة الإنسان عند الله.
- التواضع: فكل الناس سواسية، التفاضل بالتقوى والعمل.

٩. رفض العنصرية والطبقية

الآية تقضي على كل أشكال العنصرية والطبقية والتفاخر بالأحساب والألقاب. الإسلام دين المساواة، لا فرق فيه بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى. هذه الآية تؤصل هذا المفهوم، فإذا كانت الأنساب تنقطع يوم القيامة ولا تنفع، فلماذا التفاخر بها في الدنيا؟!

خامساً: دور الآية في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

(بناء الإنسان) الصناعة الربانية للفرد)

هذه الآية تربي في الإنسان:

- الشخصية المستقلة: لا يعتمد على نسبه، بل يعتمد على عمله.
- التواضع: لا يتكبر على الناس بنسبه.
- المسؤولية: يعلم أنه مسؤول عن نفسه أمام الله.
- الوعي: يدرك أن التفاخر بالأنساب باطل زائل.
- الهمة العالية: يسابق في العمل الصالح، لأنه يعلم أنه هو الرابع.

٢. بناء المجتمع

مجتمع يتربي على هذه الآية يكون:

- متماسكاً بالتقوى لا بالعصبية: الناس يتعاونون على البر والتقوى، لا على العصبية القبلية.
- عادلاً: لا تفضل فيه لعائلة على أخرى.
- متصالحاً: تقل فيه النزاعات القبلية والعائلية.
- متكافلاً: كل فرد يعمل لآخرته، فينعكس ذلك إيجاباً على المجتمع.

٣. بناء الحضارة

الحضارة الحقيقية لا تبنى على العصبية والتفاخر بالأنساب، بل على:

- تكافؤ الفرص: كل الناس سواسية، الفرصة متاحة للجميع بالعمل والكفاءة.
- العدل والمساواة: أساس الحضارة الراقية.
- تقدير العمل: العمل الصالح (بمفهومه الواسع (هو معيار التقدم.
- وحدة الأمة: بدلاً من التفرق إلى قبائل وشعوب متعادية، تتحد الأمة على أساس العقيدة والعمل الصالح.

هذه الآية كانت سبباً في تحول المجتمع الجاهلي القبلي إلى أمة واحدة، تحت قيادة النبي ﷺ، تسير بمبدأ {إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ}.

الخاتمة

إن قوله تعالى: {فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ قُلْنَا أُنْسَابُ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ} ليست مجرد آية تخبرنا عن يوم القيامة، بل هي دستور تربوي يحرر الإنسان من عبودية النسب والعصبية، ويوجهه إلى عبودية الله وحده بالعمل الصالح. هي التي تصنع الإنسان المتواضع المسؤول، والمجتمع العادل المتكافل، والحضارة الراقية المتوازنة.

ثالثاً

فهذا تفسير وتدبر لقول الله تعالى في سورة المؤمنون: {فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (102) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ} (103) المؤمنون: 102 - 103، مستنبطين ما فيهما من أعظم الدروس في عقيدة الجزاء، وبناء مفهوم الفلاح الحقيقي في حياة المسلم.

المقدمة: سياق الآيتين وارتباطهما بما قبلهما

بعد أن صور الله تعالى مشهد النفخ في الصور، وانقطاع الأنساب والتساؤل بين الخلائق يوم القيامة، تأتي هاتان الآيتان لتبيننا النتيجة النهائية لذلك اليوم العصيب. إنهما آيتا الميزان والحساب، حيث توزن أعمال العباد، ويتحدد مصيرهم الأبدي بين جنة ونار.

هما بمثابة الحكم النهائي في قضية الخلق كلها، بعد أن انتهت الدنيا، وانقطعت العلاقات، وبقي الإنسان وحده أمام ربه ليواجه نتيجة ما قدمت يداه. قال ابن كثير: "يخبر تعالى عن حكمه العدل في عبادته يوم القيامة، وأنه يزن أعمالهم بالقسط، ويجازي كل عامل بعمله".

أولاً: تفسير الآيتين ومعانيهما الأساسية

الآية 102: {فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}

فمن ثقلت موازينه: أي رجحت كفة حسناته على كفة سيئاته. موازينه جمع ميزان، والمراد به الميزان الحقيقي الذي توزن به الأعمال يوم القيامة. فأولئك هم المفلحون أي الفائزون بالنعيم المقيم، الناجون من العذاب الأليم.

الآية 103: {وَمَنْ خَفَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ}

ومن خفت موازينه: أي خفت حسناته ورجحت سيئاته. فأولئك الذين خسروا أنفسهم أي أوقعوها في الهلاك، وأضاعوها حين عرضوها للعذاب الدائم. في جهنم خالدون أي ماكنون فيها أبداً لا يخرجون.

ثانياً: اللامسات البيانية والبلاغية والتجويدية

اللامسات البيانية والبلاغية:

1. "فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ": "من" شرطية تفيد العموم، أي كل من كان كذلك. "ثقلت" فعل ماضٍ يدل على التحقق والوقوع، وكأن الأمر قد حدث وانتهى.
2. "ثقلت" و "خفت": الطباق بين الثقل والخفة يبرز التباين الكبير بين الفريقين، ويؤكد أن المعيار واحد ولكن النتائج مختلفة.
3. التعبير بـ "مَوَازِينُهُ" بصيغة الجمع: قيل لأن لكل عمل ميزاناً، أو لأن الأعمال توزن بميزان، و الصحف توزن بميزان، وصاحبها يوزن بميزان. وقيل للتفخيم والتعظيم.
4. "فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ": اسم الإشارة "أولئك" للبعد، للدلالة على علو منزلتهم ورفعة مكانتهم. و"هم" ضمير فصل يفيد التوكيد والحصر، أي هم وحدهم المفلحون دون غيرهم.
5. "الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ": إضافة الخسران إلى النفس فيه غاية التوبيخ والتحسير، لأن النفس أغلى ما يملك الإنسان، فإذا خسرها فقد خسر كل شيء.
6. "فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ": تقديم الجار والمجرور "في جهنم" للاهتمام بالمكان وتفضيع المصير.

اللامسات التجويدية:

- تفخيم الراء في "ثقلت"، "مَوَازِينُهُ"، "خَسِرُوا": التفخيم يعطي جرساً قوياً يتناسب مع عظمة الموقف.
- المد في "أُولَئِكَ": مداً طبيعياً يلفت الانتباه إلى اسم الإشارة.
- الوقف على "الْمُفْلِحُونَ": وقف تام، يفصل بين ذكر الفريق الأول والفريق الثاني.
- الغنة في "أَنْفُسَهُمْ": إظهار الغنة في الميم المشددة يعطي نغمة تدل على التأكيد.

ثالثاً: المقاصد والأفكار الرئيسية في الآيتين

1. تقرير عقيدة الميزان: إثبات أن هناك ميزاناً حقيقياً يوم القيامة توزن به الأعمال، وأنه ميزان عدل لا يظلم أحداً.
2. بيان أن الوزن بالحسنات والسيئات: الفيصل في النجاة هو ثقل الحسنات ورجحانها على السيئات.
3. تحديد معيار الفلاح الحقيقي: الفلاح ليس بكثرة المال أو الولد أو الجاه، بل بثقل الميزان بالإيمان والعمل الصالح.
4. بيان معنى الخسران الحقيقي: خسارة النفس هو أعظم خسارة، لأنه خسارة أبدية في نار جهنم.
5. الحث على الاستعداد لذلك اليوم: الآيتان تدعوان الإنسان إلى محاسبة نفسه قبل أن يحاسب، ووزن أعماله قبل أن توزن.

رابعاً: المفاهيم والدروس والرسائل التربوية

١. عقيدة الميزان: أساس الجزاء العادل

الآيتان ترسخان في قلب المسلم عقيدة الميزان يوم القيامة، وهو ميزان حقيقي بكيفية لا يعلمها إلا الله، توزن به الأعمال والصحف. قال تعالى: {وَتَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا} [الأنبياء: 47]

هذا الميزان يعطي العدالة المطلقة، فكل عمل صغيراً كان أو كبيراً سيوضع في كفته المناسبة.

٢. مفهوم الفلاح الحقيقي) النجاح في ميزان الله)

الفلاح في اللغة هو الفوز والنجاة والبقاء في الخير. وفي الشرع هو الفوز بالجنة والنجاة من النار. الـاية تحدد أن الفلاح الحقيقي هو لمن ثقلت موازينه، أي لمن رجحت حسناته على سيئاته.

الفرق بين مفهوم النجاح لدى المسلم وغيره:

- النجاح في مفهوم غير المسلم: قد يكون بكثرة المال، أو الجاه، أو الشهرة، أو السلطة، أو المتعة.
- النجاح في مفهوم المسلم: هو الفوز برضا الله ودخول الجنة، وكل ما عداه وسيلة لا غاية.

هذا المفهوم يغير نظرة الإنسان للحياة تماماً. المسلم يسعى للنجاح في الدنيا ولكن ضمن إطار الآخرة، فهو يعمل لدنيائه كأنه يعيش أبداً، ويعمل لآخرفته كأنه يموت غداً.

٣. لماذا "ثقلت" وليس "كثرت"؟

استخدام كلمة "ثقلت" فيه دلالات عميقة:

- الثقل يدل على القيمة والوزن الحقيقي: ليس المهم كثرة الأعمال عدداً، بل ثقلها وقيمتها عند الله.
- الثقل يدل على الإخلاص: العمل الخالص لله هو الثقيل، أما العمل المرائي فهو خفيف لا وزن له.
- الثقل يدل على الأثر: الأعمال الثقيلة هي التي تترك أثراً في النفس والمجتمع.

نوعية العمل التي تثقل الميزان:

- الإخلاص: هو روح العمل وسبب ثقله.
- المتابعة للسنة: العمل على وفق الشرع.
- الإيمان: هو أساس قبول الأعمال.
- الصدقة الجارية والعلم النافع: من الأعمال التي تثقل الميزان بعد الموت.
- الأعمال الصالحة الكثيرة: مع الإخلاص والاحتساب.

٤. محاسبة النفس: أن نزن أعمالنا قبل أن توزن

الآيتان تدعواننا إلى محاسبة النفس ووزن أعمالنا في الدنيا قبل أن توزن في الآخرة. كيف؟

- المراجعة اليومية: في نهاية كل يوم، أجلس مع نفسي وأسألها: ماذا قدمت اليوم لآخرتي؟ ما هي الحسنات التي ثقلت بها ميزاني؟ ما هي السيئات التي خففت بها ميزاني؟
- تقييم الأعمال: قبل أن أقوم بأي عمل، أسأل نفسي: هل هذا العمل سيثقل ميزاني أم يخففه؟
- المبادرة بالتوبة: إذا وجدت سيئة في ميزاني، أبادر بالتوبة والاستغفار قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه الندم.

٥. ترتيب الأولويات وفق الميزان

عقيدة الميزان تجعل المسلم يرتب أولوياته في الحياة:

- الأعمال الثقيلة: يقدمها ويسارع إليها) كالصلاة، الصدقة، بر الوالدين، الأمر بالمعروف).
- الأعمال الخفيفة: لا يجعلها شغله الشاغل.
- الدنيا: يجعلها في يده لا في قلبه، وسيلة لا غاية.
- الوقت: يستغله في الباقيات الصالحات، لأن الوقت هو رأس المال الحقيقي.

٦. تطبيق ميزان الحق في الحياة العملية

كيف نطبق مفهوم الميزان في حياتنا اليومية؟

- . في العمل: أسأل نفسي: هل هذا العمل الذي أقوم به حلال أم حرام؟ هل هو مخلص فيه لله أم فيه رياء؟
- . في المال: أسأل نفسي: من أين اكتسبت هذا المال؟ وفيما أنفقته؟ هل سيثقل ميزاني أم يخففه؟
- . في العلاقات: أسأل نفسي: هل هذه العلاقة تقربني إلى الله أم تبعدني؟
- . في وقت الفراغ: كيف أقضي وقتي؟ هل هو في طاعة أم في معصية؟ في خير أم في شر؟
- . في النوايا: أفحص نيتي قبل كل عمل، فإن كانت خالصة أثقلت ميزاني، وإن كانت مشوبة خففت.

٧. قياس النجاح بالأعمال لا بالأموال

الآية تقرر قاعدة عظيمة: النجاح الحقيقي يقاس بنقل الميزان، لا بكثرة الأموال والأولاد. قال تعالى: {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا} [الكهف: 46]

هذا المفهوم يحرر المسلم من عبودية المال، ويجعله يركز على الأعمال التي تبقى وتنقل الميزان.

٨. بناء عقلية الفلاح الحقيقي

الآية تربى في المسلم عقلية الفلاح:

- . التركيز على كيف لا الكم: الإخلاص في العمل أهم من كثرته.
- . المبادرة بالأعمال الصالحة: لا يؤجل عمل اليوم إلى الغد.
- . البحث عن الأعمال المضاعفة: كالصدقة الجارية، والعلم النافع، والولد الصالح.
- . استشعار قيمة كل عمل: حتى الكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة إلى المسجد ترفع درجة.

خامساً: الوقفات العملية مع "من خفت موازينه"

١. كيف نكون مديرين لأعمالنا؟

الآية {وَمَنْ خَفَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ} تدعونا لأن نكون مديرين ناجحين لأعمالنا:

- . الموازنة الدائمة: نوازن بين حسناتنا وسيئاتنا باستمرار.
- . الرقابة الذاتية: نراقب أنفسنا قبل أن يراقبنا الله.
- . الخوف من خفة الميزان: نخاف من أن تأتي أعمالنا خفيفة لا وزن لها.

٢. معنى خسارة النفس

خسارة النفس هي أعظم خسارة، لأنها:

- . خسارة الجنة: التي هي أعظم مطلوب.
- . خسارة رضا الله: الذي هو أجل غاية.
- . خسارة النفس بعبوديتها للشهوات: في الدنيا قبل الآخرة.
- . خسارة الخلود في العذاب: شفاء النفس من الشهوات لا ينفعها يومئذ.

قال ابن القيم: "من خسر نفسه لم يربح شيئاً، ومن ربح نفسه لم يخسر شيئاً".

٣. لماذا الخلود في جهنم؟

الخلود في جهنم هو جزاء من خفت موازينه، لأنه:

- . استحب الحياة الدنيا على الآخرة.
- . لم يعمل للقاء الله.
- . اتبع هواه وكان أمره فرطاً.
- . كفر بالله أو أشرك به.

٤. كيف نستعد لهذا اليوم؟

الاستعداد لهذا اليوم يكون:

- بالإيمان والعمل الصالح: هما عماد الميزان.
- بالإخلاص والمتابعة: شرطاً قبول العمل.
- بمحاسبة النفس: قبل أن يحاسبنا الله.
- بالتوبة والاستغفار: من الذنوب والخطايا.
- بالإكثار من الباقيات الصالحات: كالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير.
- بالخوف من خفة الميزان: والخوف يدفع إلى العمل.

سادساً: العلاقة بين الآيتين (102) و(103)

الآيتان متكاملتان:

- الآية 102 : تذكر الفريق الأول) أصحاب الميزان الثقيل (ونتيجتهم) الفلاح.(
 - الآية 103 : تذكر الفريق الثاني) أصحاب الميزان الخفيف (ونتيجتهم) الخسران والخلود في النار).
- هذا التناظر يبرز العدل الإلهي، ويؤكد أن الجزء من جنس العمل .كما أنه يحفز المؤمن على السعي ليكون من الفريق الأول، ويحذره من أن يكون من الفريق الثاني.

سابعاً: دور الآيتين في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

١.بناء الإنسان) الصناعة الربانية للفرد(

هاتان الآيتان تربي في الإنسان:

- اليقظة الدائمة: لا يغفل عن محاسبة نفسه.
- المسؤولية: يعلم أن كل أعماله ستوزن.
- الطموح: يسعى للفلاح الحقيقي.
- الخوف والرجاء: يخاف من خفة الميزان ويرجو ثقله.
- الإخلاص: لأن الإخلاص هو سر ثقل الميزان.
- التركيز على الكيف: لا ينخدع بكمية الأعمال دون جودتها.

٢.بناء المجتمع

مجتمع يتربى على هذه الآيات يكون:

- ملتزماً بالطاعة: لأن أفرادهم يعلمون أن أعمالهم ستوزن.
- متعاوناً على البر: يساعد بعضهم بعضاً على ما يثقل الميزان.
- متناصباً: يذكر بعضهم بعضاً بالآخرة.
- نزيهاً: لا يغش ولا يظلم، لأنه يعلم أن ذلك سيخفف ميزانه.

٣.بناء الحضارة

الحضارة الحقيقية لا تبنى على المادة فقط، بل على:

- القيم والأخلاق: هي التي تثقل ميزان الأفراد والمجتمعات.
- العدل والإحسان: أساس الحضارة الراقية.
- العمل المتقن: الذي يثقل الميزان ويبني الأرض.
- الاستثمار في الآخرة: الذي يدفع للبناء والتعمير مع الإخلاص.

مجتمع يعمل أفراده لثقل موازينهم، لا يفسد في الأرض، ولا يظلم، ولا يعتدي، بل يعمر ويبني ويصلح. وهذا هو أساس الحضارة الإسلامية الراشدة.

الخاتمة

إن قوله تعالى: {فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (102) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ} (103) ليست مجرد آية تخبرنا عن يوم القيامة، بل هي دستور حياة يوجه مسيرة الإنسان كلها. هي التي تجعله يحاسب نفسه، ويحرص على أعماله، ويجعل الآخرة نصب عينيه. نسأل الله أن يثقل موازيننا بالحسنات، وأن يجعلنا من المفلحين، وأن يعيذنا من خفة الميزان وخسارة النفس. والحمد لله رب العالمين

رابعاً

تفسير الآية 104 من سورة المؤمنون

مقدمة عن الآية

الآية الكريمة {تَلْفَحُ وَجُوهُهُمْ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ} [المؤمنون: 104] هي جزء من مشهد الحوار بين الله تعالى والكفار يوم القيامة، حيث تأتي بعد قوله تعالى: {قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِينَ}. هذا الموقف يصور حالة الذل والهوان التي يمر بها الكفار عندما يسألهم الله عن مدة لبثهم في الدنيا، فيجيبون بجهل وارتباك، ليكون الجواب بعد ذلك بتقرير مصيرهم المحتوم .

المفردات اللغوية واللمسات البيانية

معنى "تلفح"

اللفح هو الإحراق الشديد أو المس بلهب النار، ويُقال: لفحته النار تلفحه لفحاً ولفحاناً إذا أحرقته. و الفرق بين اللفح والنفج أن اللفح أشد تأثيراً وأبلغ في الإحراق . وقد ورد عن ابن عباس أنه قال: "تلفح: تنفج"، إلا أن اللفح يحمل معنى أشد في الإحراق .

معنى "كالحون"

الكلوح هو أن تتقلص الشفتان وتتكشف الأسنان من شدة العبوس أو من أثر النار. قال ابن عباس: يعني "عابسون". ووصف ابن مسعود رضي الله عنه المشهد بقوله: "ألم تر إلى الرأس المشيط بالنار، وقد بدت أسنانه وقلصت شفتاه". وفي وصف آخر: هو "الذي قد تشمرت شفتاه وبدت أسنانه".

اللمسة البيانية: لماذا خص الوجه بالذكر؟

تخصيص الوجه باللفح مع أن النار ستحرق الأجساد كلها يحمل دلالات عميقة:

1. الوجه أشرف الأعضاء: الوجه هو موضع الكرامة الإنسانية، وفيه تظهر ملامح الشخصية وهيبة الإنسان. فإذلال هذا الجزء بالذات فيه من الإهانة ما ليس لغيره.
2. الوجه موضع التكبر: الذين تكبروا في الدنيا وصدوا عن سبيل الله وصرفوا وجوههم عن الحق، يجازون بإحراق وجوههم التي كانوا يتكبرون بها.
3. الوجه مرآة المشاعر: النار تلفح الوجوه فتفقد جمالها وبهاءها، وتجعلها في أقبح صورة، وهذا مناسب لحالهم القبيح في الباطن.

اللمسة البلاغية في تقديم المفعول

في قوله "تلفح وجوههم النار" تقدّم المفعول به (وجوههم) على الفاعل (النار)، وهذا التقديم يفيد الاختصاص والاهتمام، كأنه يقول: هذه الوجوه التي كانت معظمة في الدنيا هي المستهدفة بهذا العذاب المهيّن .

مشهد الرعب وتصوير عذاب الكفار

1. شدة الحرارة التي تحرق الوجوه

وصف النبي ﷺ شدة هذا اللفح في أحاديث متعددة:

- قال ﷺ: "تلفحهم لفحة فتسيل لحومهم على أعقابهم".
- وقال ﷺ: "إن جهنم لما سيق إليها أهلها يلقاها لهبها، ثم تلفحهم لفحة، فلم يبق لحم إلا سقط على العرقوب".

2. تشويه الوجوه وتغيير الملامح

الوصف النبوي الدقيق للكلوح يصور مشهداً مربعاً:

- قال ﷺ في تفسير "وهم فيها كالخون": "تشويه النار، فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرتة".
- هذا المشهد يمثل أقصى درجات التشويه والإهانة، حيث يفقد الإنسان صورته التي خلقه الله عليها.

3. حقيقة هوان الكفار على الله

الآية تصور هوان الكفار من خلال:

- التعبير بالفعل المضارع "تلفح": للدلالة على الاستمرار والتجدد، فالعذاب ليس لحظة ثم ينتهي، بل هو مستمر متجدد.
- حال "الكلوح": هذه الصورة البشعة التي صاروا إليها تظهر فقدانهم كل كرامة وهيبة.
- السياق الذي وردت فيه الآية: فهي تأتي بعد سؤال الله لهم عن مدة لبثهم، ليتبين جهلهم وارتباكهم، ثم يأتي العذاب المهين.

الحكمة من تخصيص الوجوه باللفح (عذاب الجوارح)

تخصيص الوجه بالعذاب يحمل حكمة "الجزاء من جنس العمل"، فالوجه هو:

- موضع النظر إلى المحرمات: الذين نظروا نظرات الغضب والاستكبار.
 - موضع التعبير عن التكبر: الذين كانوا يعرضون بوجوههم عن الحق وعن المؤمنين.
 - موضع السجود للطاغوت: الذي امتنعوا به عن السجود لله.
- قال بعض المفسرين: إنما تلفح وجوههم النار لأنها كانت تصرف عن سبيل الله وتتكبر على عباد الله، فجوزيت بالإحراق والتشويه .

دلالة الكلوح على تغير الملامح

الكلوح ليس مجرد عبوس عابر، بل هو:

- تقلص الشفتين وانكماشهما: بسبب ألم الحريق.
 - انكشاف الأسنان وبروزها: في منظر بشع يذكرنا بجماجم الموتى.
 - سواد الوجوه وتشوهاها: كما في وصف آخر "سود زرق خسر مقبوحون".
- يقول أحد العلماء في وصف الكلوح: "إذا رأى الإنسان في يوم القيامة نفسه خاسراً وموازينه خفيفة، يجد نفسه في وهن وضعف، فيصير إلى عبوس في وجهه، وهو الانقباض مع الحزن، وتكشف أسنانه بقلوص وانفتاح في شفتيه وفمه، وهذا عارض طبيعي لمن يبتلى بشدة وابتلاء".

أثر الآية في خشوع القلب والخوف من عذاب الله

هذه الآية تزرع في قلب المؤمن عدة معاني:

1. استشعار عظمة الله وهيبة الآخرة

عندما يتأمل المؤمن هذا المشهد، يخشع قلبه ويخضع لجلال الله، ويعلم أن هناك يوماً تجزى فيه الوجوه بما قدمت.

2. الخوف من سوء الخاتمة

المؤمن يخاف أن يكون من هؤلاء الذين تلفح وجوههم النار، فيحرص على تصحيح مساره قبل فوات الأوان.

3. شكر الله على نعمة الهداية

عند تصور حال الكفار، يزداد المؤمن شكراً لله الذي هداه للإسلام وجنبه هذا المصير.

ربط الآية بالواقع

1.تذكير بنعمة الوجه السليم

في كل صباح نرى وجوهنا في المرآة سليمة جميلة، وهذه نعمة عظيمة تستحق الشكر. الآية تذكرنا بقيمة هذه النعمة قبل أن تفقد.

2.تحذير من التعالي والتكبر على الناس

الوجه الذي يتكبر به صاحبه على عباد الله قد يكون سبباً في عذابه يوم القيامة.

3.الابتسامة والتواضع سلاح المؤمن

المؤمن الحريص على النجاة هو من يبتسم في وجه أخيه، ولا يعبس أو يتجهم، كما قال ﷺ: "تبسمك في وجه أخيك صدقة".

دور الآية في التحفيز للنجاة والعمل الصالح

1.استحضار الندم قبل فوات الأوان

الآية تدعو المؤمن إلى التفكير في مشهد الندم يوم القيامة، وتدفعه للعمل قبل أن يندم حيث لا ينفع الندم.

2.المسارعة إلى التوبة

إذا كان هؤلاء عوقبوا بسبب كفرهم ومعاصيهم، فالمؤمن يبادر بالتوبة من ذنوبه خوفاً من أن يصيبه شيء من هذا العذاب.

3.الاستعداد بالعمل الصالح

العمل الصالح هو الذي يحمي الوجه من لفح النار، كما قال تعالى: {وَجُوهٌ يَّوْمَئِذٍ تَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا تَاظِرَةٌ} [القيامة: 22-23].

دور الآية في استشعار الرقابة الإلهية

1.اليقين بأن الله يراقب الجوارح

الآية تذكرنا بأن الله سيعاقب الجوارح التي عصته، فمن استشعر هذه الرقابة حفظ جوارحه عن المعاصي.

2.مراقبة الوجه والنظرات

المؤمن الذي يتذكر أن وجهه قد يلفح بالنار يراقب نظراته وتعبيرات وجهه، فلا ينظر إلى محرم ولا يعبس في وجه مؤمن.

دور الآية في بناء شخصية المسلم المتواضع

1.تجنب العبوس والكلوح في وجه الناس

المسلم المتأثر بهذه الآية يحرص على أن يكون بشوشاً مع الناس، لأن العبوس صفة أهل النار يوم القيامة.

2.التواضع لله ولعباده

الذي يعلم أن الوجه المتكبر سيلفح بالنار يتواضع لله ولعباده، فلا يرى لنفسه فضلاً على أحد.

مفاهيم عملية من الآية في حياتنا اليومية

المفهوم التطبيقي العملي
استشعار النعمة شكر الله على نعمة الوجه السليم والجوارح العاملة
مراقبة الجوارح حفظ النظر واللسان والوجه عن المعاصي
التواضع عدم التكبر على الناس أو الاحتقار بهم
التبسم جعل الابتسامة شعارنا مع الآخرين
الاستعداد للآخرة العمل الصالح الذي ينير الوجوه يوم القيامة
التوبة المبادرة بالتوبة من الذنوب التي تغضب الله

خاتمة

الآية الكريمة {تلفح وجوههم النار وهم فيها كالخون} ليست مجرد خبر عن عذاب الكفار، بل هي:

- . عبرة للقلوب لتخشع وتخاف.
- . دافع للعمل الصالح قبل فوات الأوان.
- . مربب للأخلاق في التواضع وحسن المعاملة.
- . منبه على نعمة الله في سلامة الوجوه وجمالها.

نسأل الله أن يجعل وجوهنا ناضرة في الدنيا والآخرة، وأن يقينا عذاب النار، إنه سميع مجيب
خامسا ..

تفسير الآية 105 من سورة المؤمنون

مقدمة عن الآية

الآية الكريمة {أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تَتْلُو عَلَيْهِمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ} [المؤمنون: 105] تأتي في سياق الحوار المهيّب بين الله تعالى والكفار يوم القيامة، بعد أن وصفت الآية السابقة عذابهم الأليم: {تَلْفَحُ وُجُوهُهُمْ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالْخُونِ}. هنا يبدأ مشهد المحاكمة الإلهية، حيث يوجه الله إليهم سؤالاً "توبيخياً" يذكرهم فيه بالحجة التي قامت عليهم في الدنيا، فيقرّون بذنبهم ويعترفون أنهم لا عذر لهم .

دلالة الاستفهام وأغراضه البلاغية

الاستفهام للتوبيخ والتقريع

الاستفهام في قوله {أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تَتْلُو عَلَيْهِمْ} ليس استفهاماً حقيقياً يطلب إجابة مجهولة، بل هو استفهام تقريرى توبيخي غرضه:

1. التذكير بالحقيقة: يذكرهم بما كانوا يعرفونه في الدنيا ولا ينكرونه.
2. إلزامهم بالحجة: يجعلهم يقرّون بأن البلاغ قد وصلهم وأنذرهم.
3. قطع المَعذرة: يسلب منهم كل عذر يمكن أن يحتجوا به.
4. التوبيخ واللوم: توبيخ لهم على موقفهم من آيات الله بعد وصولها إليهم.

يقول الإمام ابن كثير في تفسيره: "هذا تقرير من الله تعالى لأهل النار، وتوبيخ لهم على ما ارتكبوا من الكفر والمآثم والمحارم والعظائم، التي أوبقتهم في ذلك".

دلالة صيغة النفي والاستفهام

صيغة {أَلَمْ تَكُنْ} تحمل دلالات بلاغية عميقة:

- . النفي + الاستفهام يفيد التقرير، أي أن الأمر ثابت لا يمكن نفيه.
- . الفعل المضارع "تتلى" يدل على الاستمرار والتجدد، أي أن الآيات كانت تتلى عليهم مراراً وتكراراً، فلم يكونوا يسمعونها مرة واحدة بل تتكرر عليهم الحجة.
- . الفعل "تكن" في صيغة الماضي يدل على أن هذا الأمر وقع وتحقق في الدنيا، فهم لا يستطيعون إنكاره.

مفهوم إقامة الحجة قبل العقاب (عدالة الله)

الأصل القرآني في إقامة الحجة

الآية تجسد مبدأ عظيماً من مبادئ العدل الإلهي: أن الله لا يعذب أحداً إلا بعد إقامة الحجة عليه. وقد ورد هذا المعنى في آيات متعددة:

{وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا} [الإسراء:15]
{رُسُلًا مَّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} [النساء:165]

يقول ابن كثير معلقاً على الآية: "أي: قد أرسلت إليكم الرسل، وأنزلت الكتب، وأزلت شبهكم، ولم يبق لكم حجة تدلون بها".

شروط قيام الحجة

الحجة لا تقوم بمجرد الوجود النظري للدين، بل بشروط بينها العلماء :

- 1.البلاغ: أن تصل الدعوة إلى الشخص.
- 2.البيان: أن تكون بلغة يفهمها أو بطريقة يتمكن من فهمها.
- 3.التمكن: أن يكون قادراً على العلم بها.

يقول ابن القيم: "حجة الله قامت على العبد بإرسال الرسول وإنزال الكتاب وبلوغ ذلك إليه وتمكنه من العلم به؛ سواء علم أو جهل، فكل من تمكن من معرفة ما أمر الله به ونهى عنه فقصر عنه ولم يعرفه فقد قامت عليه الحجة".

دلالة الآية على المسؤولية الفردية

الآية ترسي مبدأ المسؤولية الفردية الكاملة:

{تَثَلَّىٰ عَلَيْكُمْ}: الخطاب موجه لكل فرد، فكل واحد مسؤول عما سمع وعن استجابته.
{فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ}: التكذيب فعلهم هم، وليس فعل أسلافهم أو مجتمعهم.

هذا يعني أن الإنسان لا يستطيع يوم القيامة أن يلقي باللوم على غيره أو يتحجج بالتقليد أو البيئة، فالحجة قامت عليه شخصياً.

الآيات المقصودة: ما هي؟ وما أنواع التكذيب؟

المقصود بـ"آياتي"

الآيات هنا تشمل :

- 1.آيات القرآن الكريم: التي تتلى عليهم وتخوفهم بعذاب الله.
- 2.آيات الرسل: ما جاء به الرسل من بينات وهدايات.
- 3.آيات الله الكونية: الدالة على وحدانيته وقدرته.

يقول التفسير الوسيط: "ألم تكن آياتي الدالة على وحدانيتي وقدرتي وصدق رسلي تتلى عليكم في الدنيا على السنة هؤلاء الرسل الكرام".

التكذيب: قولي أم عملي؟

التكذيب نوعان، والآية تشير إلى كليهما :

أولاً : التكذيب القولي

- هو الإنكار باللسان، كقول الكفار: "هذا سحر" أو "أساطير الأولين".
- هذا النوع ظاهر، وصاحبه يعرف أنه مكذب.

ثانياً: التكذيب العملي (الأخطر)

. هو أن يصدق الإنسان بلسانه لكنه لا يعمل بمقتضى التصديق.
. مثال ذلك: {من يقرأ آية} وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ {ثم يزوج ابنته من فاسق غني ويدع المؤمن الفقير، فهذا تكذيب عملي للآية.

يقول الدكتور محمد راتب النابلسي: "التكذيب العملي أخطر من التكذيب القولي، لأن الذي يكذب بلسانه يُناقش، فتقيم عليه الحجة، أما الذي يكذب بعمله فلا تستطيع أن تناقشه".

اللمسات البيانية والبلاغية

تقديم الجار والمجرور "بها"

في قوله {فَكُنْتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ}، تقدم الجار والمجرور "بها" على الفعل "تكذبون"، وهذا التقديم يفيد:

. الاختصاص: أي أن تكذيبكم كان مقتصرًا على هذه الآيات دون غيرها.
. الاهتمام: الاهتمام ببيان المتعلق الذي وقع عليه التكذيب.

الفعل المضارع "تَكْذِبُونَ"

استخدام المضارع مع أن السياق عن الماضي يدل على:

. استحضر الصورة: كأنهم ما زالوا يمارسون التكذيب.
. التجدد والتكرار: التكذيب لم يكن مرة واحدة بل عادة وديدنًا.

حذف القول

في بداية الآية، حذف فعل "يقال" لدلالة السياق عليه، وهذا أبلغ في التقرير، كأن المشهد نفسه ينطق بهذا التوبيخ دون حاجة إلى تمهيد .

الربط مع الآية السابقة (104)

الآيتان تشكلان لوحة متكاملة:

الآية 104 الآية 105
تصف العذاب الحسي (لفح النار) تصف العذاب المعنوي (التوبيخ والتقريع)
تعذيب الأبدان تعذيب الأرواح والنفوس بالخزي
جزاء على التكبر والاستعلاء تذكير بالسبب (التكذيب)
مشهد مرعب للعيون مشهد محرّج للنفوس

مفهوم المحاكمة العادلة: القاضي يواجه المتهم بالأدلة

الآية تقدم نموذجاً للعدالة الكاملة:

1.مواجهة المتهم بالأدلة

الله تعالى لا يعذب عباده عبثاً، بل يواجههم بما فعلوا وبما سمعوا، فيقرون بذلك. هذا يشبهه في القضاء الدنيوي أن القاضي لا يصدر حكماً دون مواجهة المتهم بالأدلة وسماع أقواله.

2. إتاحة الفرصة للدفاع

الآية تتيح للكفار فرصة الرد، لكنهم لا يملكون إلا الاعتراف: {قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ} [المؤمنون: 106].

3.العدالة المطلقة

هذا المشهد يظهر عدالة الله المطلقة، فالعذاب ليس تعسفاً بل هو نتيجة طبيعية للتكذيب بعد قيام الحجة.

الدروس العملية والسلوكية من الآيات

1. استشعار الرقابة الإلهية

عند قراءة القرآن، يجب أن نستحضر أن هذه الآيات ستكون حجة لنا أو علينا يوم القيامة. قال النبي ﷺ: "والقرآن حجة لك أو عليك".

2. التدبر وعدم المرور الكرام

الآية تدعونا إلى التأمل في آيات الله عند تلاوتها، وعدم المرور عليها مرور الكرام. فكل آية نقرأها ستسأل عنها: هل آمنت بها؟ هل عملت بها؟

3. التفريق بين التصديق القلبي والعملية

الإيمان ليس مجرد كلام، بل هو تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح. من يقرأ القرآن ولا يعمل به فهو ممن كذب به عملياً.

4. النظر في آيات الله الكونية

إضافة إلى آيات القرآن، هناك آيات الله في الكون: السماء، الأرض، الليل والنهار، خلق الإنسان. هذه الآيات تقوم بها الحجة أيضاً، فالتأمل فيها عبادة، والإعراض عنها تفريط.

تطبيقات الآيات في الواقع المعاصر

1. في عصر الإعلام والاتصال

في زماننا، الحجة أبلغ من أي وقت مضى، فالقرآن مترجم بكل اللغات، والدعوة الإسلامية متاحة للجميع، وهذا يزيد المسؤولية.

2. في التربية الأسرية

يجب على المربي أن يقيم الحجة على أولاده بالبيان والتعليم قبل أن يؤاخذهم على التقصير.

3. في الدعوة إلى الله

الآية تعلمنا أن نبدأ بالتبليغ ثم نترك الناس وحسابهم على الله، فلا عنف ولا إكراه.

العلاقة بين الآيات والبناء النفسي للمسلم

1. إيقاظ القلب

هذه الآيات توظف القلب من الغفلة، وتذكره بأنه مسؤول عن كل آية يسمعها.

2. تحفيز العمل الصالح

معرفة أن الآيات ستكون حجة تدفع المسلم إلى العمل بها قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه الندم.

3. التواضع

الآية تربي في المسلم روح التواضع، فهو ليس في منأى عن المساءلة، بل هو تحت طائلة هذه الآيات.

خاتمة

الآية 105 من سورة المؤمنون تمثل مبدأ العدل الإلهي في أبيه صورته: لا عذاب إلا بعد بيان، ولا عقاب إلا بعد حجة. إنها تذكرنا بأن القرآن ليس كتاباً يتلى فقط، بل هو رسالة تحمل في طياتها

المسؤولية. من استمع إليها وآمن بها وعمل، فله الفلاح، ومن كذب بها قولاً أو عملاً، فسيندم يوم لا ينفع الندم.

المبحث الثاني

إضافة تكميلية: المفاهيم والفوائد المستنبطة من الآية 105 من سورة المؤمنون

تأمل في الآية الكريمة

{أَلَمْ تَكُنْ أَتَايَ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ} [المؤمنون:105]

هذه الآية على قصرها تحمل كنوزاً من المعاني التربوية والإيمانية التي تبني الإنسان السوي وتنمي عقله وقلبه، وتضعه على طريق الاستقامة من خلال استحضار المسؤولية والرقابة الإلهية.

أولاً: تعزيز مبدأ المسؤولية الفردية

مفهوم المسؤولية الفردية في الآية

الآية تخاطب كل واحد على حدة: {عليكم}، ثم تنسب التكذيب إليهم مباشرة: {فكنتم بها تكذبون}، مما يعني:

1. لا أحد يحمل عنك وزرك: يوم القيامة لا ينفك أب ولا أم ولا زوجة ولا صديق.
2. لا حجة بالتقليد الأعمى: لا يمكنك القول "فلان أضلني" أو "البيئة أفسدتني"، فالحجة قامت عليك شخصياً.
3. لا مسؤولية جماعية تذهب بالفردية: كل نفس بما كسبت رهينة.

يقول تعالى: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ} [الأنعام:164].

تطبيق هذا المبدأ في حياتنا

- في التربية: نربي أبناءنا على أن كل واحد مسؤول عن أفعاله، ولا يلقي باللوم على غيره.
- في العمل: نؤدي واجباتنا بإتقان لأننا مسؤولون أمام الله أولاً.
- في العلاقات: نختار الصحبة الصالحة، لكننا لا نلقي عليها مسؤولية ضلالتنا إن ضللنا.

ثانياً: أهمية الاستجابة للنصائح والمواعظ

لماذا لم يستجيبوا؟

الآية تشير إلى أن الآيات كانت تتلى عليهم، لكنهم قابلوا التلاوة بالتكذيب. هذا يعلمنا:

1. النصيحة لا تنفع وحدها: لا بد من قلب متلقٍ يخشى الله ويستجيب.
2. العبرة ليست بكثرة السماع: بل بحسن الاستماع والتدبر والتطبيق.
3. الاستجابة تحمي من الندم: فلو استجابوا ما كانوا في هذا العذاب.

دروس عملية في تلقي النصح

- إذا سمعت موعظة أو قرأت آية، اسأل نفسك: "هل أنا ممن يستجيبون أم ممن يمرون مرور الكرام؟"
- استقبال النصيحة بالتواضع لا بالتعالي والرفض.
- المبادرة بالتغيير فور سماع الحق.

ثالثاً: التأمل في عواقب الأمور وتربية النفس على ذلك

الآية تدعو للتفكير في المصير

الآية تضع الإنسان أمام صورة ماثلة: "آيات تتلى ← تكذيب ← عذاب النار". هذه المعادلة تربوية فينا:

1. النظر في العواقب قبل الإقدام على الذنب.
2. التفكير في نتيجة التكذيب والاستكبار.

3. استحضار المصير الذي آل إليه المكذبون السابقون.

وسائل عملية لتربية النفس على التأمل

- التفكير في قصص السابقين وعاقبتهم.
- محاسبة النفس يومياً: ماذا قدمت؟ وإلام ستصير؟
- قراءة القرآن بتدبر والتفكير في وعيده ووعد.

رابعاً: الاستفادة من الوقت والفرص

الدنيا فرصة لا تعوض

الآية تذكرهم بأن الآيات كانت تتلى عليهم في الدنيا، أي أن الفرصة كانت سائحة للإيمان، لكنهم ضيعوها. هذا يعلمنا:

1. الدنيا مزرعة الآخرة: كل لحظة فيها فرصة للتوبة والعمل الصالح.
2. الفرص تمضي ولا تعود: ما فات من العمر لا يمكن استرداكه.
3. الموت مفاجئ: فلا نؤجل التوبة ولا العمل.

يقول النبي ﷺ: "اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك".

كيف نستثمر الوقت؟

- تنظيم الوقت بين العبادة والعمل والتعلم.
- اغتنام ساعات النشاط في الطاعات.
- عدم التسويف والتأجيل.

خامساً: تنمية الضمير الحي

الضمير هو الرقيب الداخلي

الآية تضعنا أمام حقيقة أن الله كان يرانا ويسمعنا، وتلاوة آياته كانت جهرًا علينا، فلم نعتبر. هذا ينمي:

1. شعور المراقبة الداخلية: الله معي، يراني، يسمعي، يعلم سري وجهري.
2. الخوف من الله لا من الناس: لأن الحساب عنده أشد.
3. الحساسية الأخلاقية: النفور من الذنب حتى لو لم يره أحد.

بناء الضمير الحي

- تربية النفس على أن الله مطلع في كل لحظة.
- الاستحياء من الله كما تستحي من رجل صالح من الناس.
- محاسبة النفس قبل أن تحاسب.

سادساً: مواجهة صريحة مع النفس في معزل الرقابة الذاتية

الرقابة الذاتية أعلى درجات الإيمان

الآية تضع الإنسان أمام مواجهة صريحة مع نفسه: أنت سمعت، أنت علمت، أنت كذبت. هذه المواجهة تنتج:

1. الصدق مع النفس: دون تبريرات أو أعذار واهية.
2. الاعتراف بالخطأ: أول خطوات الإصلاح.
3. الالتزام بالاستقامة حتى في الخفاء.

يقول الله في الحديث القدسي: "يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي".

كيف نحقق الرقابة الذاتية؟

- استشعار مراقبة الله في كل عمل.
- جعل السر والعلانية سواء في الطاعة.
- تجنب الأماكن التي تغيب فيها رقابة الناس، فالله لا يغيب.

سابعاً: أهمية تدبر القرآن وتطبيقه

القرآن ليس للتلاوة فقط

الآية تشير إلى أنهم كانوا يسمعون الآيات تتلى، لكن دون تدبر ولا عمل. هذا يوجهنا إلى:

1. القرآن كتاب هداية وعمل، لا كتاب تبرك فقط.
2. التدبر واجب شرعي، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القرآن] النساء: [82]
3. العمل بالقرآن ثمرة التدبر، وإلا كان حجة علينا.

خطوات عملية في تدبر القرآن

- قراءة التفسير لفهم المعاني.
- التوقف عند الآيات التي تخوف وترغب.
- تطبيق ما نتعلمه ولو كان قليلاً.

ثامناً: تجنب الاغترار بالدنيا

الدنيا دار غرور

الآية تذكر الكفار وهم في العذاب، وقد كانوا في الدنيا مغترين بها، مكذبين بالآخرة. هذا يعلمنا:

1. الدنيا قصيرة زائلة، فلا نفتر بطول الأمل.
2. المال والبنون لا ينفعان إلا من آمن وعمل صالحاً.
3. الاغترار بالدنيا يصرف عن الآخرة، ويجعل الإنسان يستهين بالتكذيب.

علاج الاغترار بالدنيا

- تذكر الموت وهدم اللذات.
- النظر إلى أحوال الفقراء والمرضى.
- استحضار نعيم الآخرة وجحيمها.

تاسعاً: خطورة التكذيب وأنه أساس الكفر

التكذيب قولاً وعملاً

الآية تذكر التكذيب كسبب رئيسي لدخول النار، وهذا يشمل:

1. التكذيب القولي: إنكار الآيات أو الاستهزاء بها.
2. التكذيب العملي: عدم العمل بها مع التصديق النظري.
3. الاستخفاف بالدين: كمن يصلي أحياناً ويترك أحياناً دون مبالاة.

يقول ابن القيم: "التكذيب نوعان: تكذيب القلب، وتكذيب العمل. فتكذيب العمل أعظم من تكذيب القلب عند كثير من الناس، لأن العامل بالمخالفة كأنه يقول: أنا لا أصدق بهذا الأمر".

خطورة التهاون بالشعائر

• الصلاة التي لا تنهى عن الفحشاء والمنكر قد تكون تكذيباً عملياً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ

القحشاء والمُنكر} العنكبوت: [45]

- الحج الذي لا يغير السلوك قد يكون مظهرًا بلا جوهر.
- قراءة القرآن دون تدبر وعمل قد تكون حجة علينا.

عاشرا: بناء الإنسان السوي من خلال الآية

كيف تبني الآية الإنسان السوي؟

الجانب ما تبنيه الآية في الإنسان
العقلي التفكير والتدبر والنظر في العواقب
النفسي الضمير الحي، الرقابة الذاتية، التواصل
السلوكي الاستجابة للحق، العمل بالآيات، استغلال الوقت
الاجتماعي تحمل المسؤولية، عدم إلقاء اللوم على الآخرين
الروحي استشعار مراقبة الله، الخوف من عذابه، الرجاء في رحمته

مواصفات الإنسان السوي المستفيد من الآية

1. يعلم أن الله مطلع عليه في كل لحظة، فيراقب نفسه.
2. يتدبر القرآن ولا يمر عليه مرور الكرام.
3. يستجيب للنصيحة ولا يتعالي عليها.
4. يحاسب نفسه قبل أن يحاسب.
5. يخاف من التكذيب العملي فيحقق ما يقول بفعله.
6. يستغل الفرص في الطاعات قبل الفوات.
7. يتفكر في مصير المكذبين فيعتبر بهم.
8. يحرص على أن تكون حجج الله عليه في الدنيا قائمة بالحق لا بالضلال.

خاتمة

الآية 105 من سورة المؤمنون هي بمثابة جرس إنذار يوقظ القلوب الغافلة، ويذكرها بأن الله لا يعذب أحداً إلا بعد إقامة الحجة، وأن التكذيب (قولا " أو عملا) هو الطريق إلى الهلاك. إنها تربي فينا المسؤولية الفردية، وتنمي فينا الضمير الحي، وتدفعنا إلى التدبر والعمل، وتبني فينا شخصية المسلم السوي الذي يعيش في الدنيا وهو مستشعر للآخرة، خائف من ربه، راج رحمته، محسن في عمله، داع إلى ربه بالحكمة والموعظة الحسنة.

سادسا

تفسير الآية 106 من سورة المؤمنون: "قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ"

مقدمة حول الآية

تأتي الآية الكريمة في سياق مشهد يوم القيامة، حيث يواجه الكفار والمجرمون بسؤال توبيخي: "ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون" (المؤمنون: 105). فيجيبون معترفين: "رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ".

هذه الآية تحمل دلالات عميقة تتعلق بطبيعة الإنسان وعلاقته باختياراته ومسؤوليته عن مصيره، وتقدم لنا نموذجاً للاعتراف المتأخر الذي لا ينفع، لتكون عبرة للمؤمنين في الدنيا قبل فوات الأوان.

المبحث الأول

1/ مفهوم تحمل مسؤولية الاختيارات ودوره في حياتنا

دلالات الآية في تحمل المسؤولية

الآية تظهر اعتراف الكفار بذنوبهم، لكنه اعتراف متأخر. هم يقولون: "غلبت علينا شقوتنا" - أي أن الشقاء الناشئ عن أعمالهم وأهوائهم هو الذي تغلب عليهم وقادهم إلى هذا المصير. هذا الاعتراف يحمل في طياته إقراراً ضمناً بأنهم هم المسؤولون عما وصلوا إليه، لأن الشقوة لم تأت من فراغ، بل هي نتاج اختياراتهم وأفعالهم.

المفهوم التربوي لتحمل المسؤولية

تحمل المسؤولية يعني: "التزام الشخص بأداء العمل المنوط به طبقاً لما هو محدد، وحالة يكون فيها الإنسان صالحاً للمؤاخذه عن أعماله". ومن منظور تربوي، هذا المفهوم يعني:

1. إدراك أن للإنسان حرية اختيار تحدد مصيره في الدنيا والآخرة
2. فهم أن النتائج ثمرة للأسباب التي يزرعها الإنسان بنفسه
3. استشعار أن المسؤولية أمانة - "إنا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ"

دور المفهوم في بناء المجتمع المسلم

غرس شجاعة الاعتراف بالخطأ في نفوس المسلمين يساهم في:

- بناء مجتمع ناضج قادر على تصحيح مساره باستمرار
- تعزيز الثقة المتبادلة بين أفراد المجتمع والمؤسسات
- خلق بيئة إصلاحية تدفع نحو التطوير والتحسين المستمر

فعندما يتربى المسلم على الشجاعة في الاعتراف بالخطأ، يصبح المجتمع كياناً حياً يتعلم من أخطائه ويتطور بدلاً من أن يبقى أسيراً لها.

خطورة إلقاء اللوم على الآخرين أو القدر أو الظروف

الخطبة المحورية حول "التحذير من إلقاء اللوم" تصف هذه الظاهرة بأنها "داء التلاوم" الذي "يزيد المحن اشتعالاً ولا يُطفئها، الناشئ بعد كل فشل أو خسارة أو محنة؛ لتغطية الفشل به، والهروب من الاعتراف بالخطأ والندم عليه، والعزم على عدم تكراره".

التلاوم هو "صورة من الإنكار السلبية؛ إذ ليس هو توبيخاً إيجابياً، ولا عتاباً محموداً، وإنما هو جزء من الأناية والأثرة؛ إذ كل شخص يلقي باللائمة على الآخر مع أنهما مُخطئان جميعاً، لكنها المكابرة، والهروب من المسؤولية، والتقاؤس عن الإصلاح".

تحول إلقاء اللوم إلى وباء اجتماعي

ما نراه اليوم هو تحول هذه الظاهرة إلى:

1. توارث اجتماعي بين الأجيال - حيث يتعلم الأبناء من الآباء أسلوب إلقاء اللوم
2. ثقافة مجتمع سائدة - أصبحت جزءاً من الخطاب العام
3. وباء معدٍ - يصيب الأفراد والجماعات والمؤسسات

وهذا رغم تحذير الله الصريح: "قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ" (آل عمران: 165). فالآية تؤكد أن ما يصيبنا من مصائب فيما كسبت أيدينا، وليس نتيجة مؤامرات خارجية أو ظروف قاهرة فقط.

الخطورة أن هذه الحالة "لم تعد مقتصرة على الجماعات والأحزاب والطوائف والمذاهب والمؤسسات، وإنما تجاوزت إلى الأفراد الذين يجهدون أنفسهم في إلقاء تبعة فشلهم فيما يظلمون به من مهام باللوم على الآخرين".

٢ / أهمية اكتشاف الخلل في حياتنا والعمل على إصلاحه

ثقافة التبرير: خطر يمنع اكتشاف الخلل

التبرير للأخطاء هو آلية دفاعية نفسية تمنع الإنسان من رؤية الحقيقة. كما يشير أحد المقالات: "مشكلتنا الإدارية تتلخص في أننا لا نعترف بالخطأ، حتى لو ثبت الأمر علينا، وظهر أمر المتسبب في الخطأ.. بل يظل المرء منا يدافع عن نفسه ويحاول التنصل والتبرير إلى آخر نفس فيه، ويظل يجادل ويظل متنقلاً في مواقع الدفاع من موقع التبرير إلى الجدل، ومن ثم إلى المراءى حتى ينتهي به الأمر إلى العناد!".

هذه الثقافة تؤدي إلى:

· نشر الخبال والتخلف - لأنها تمنع التعلم من الأخطاء
· تكرار الأخطاء - "الاهتمام هنا لابد أن يكون مركزاً على الأعماق والوصول إلى الجذور والأساسات، فإن الخلل في هذه المواضع كالسوس، ينخر فيها حتى مرحلة الخطر والانهيـار"

أهمية ترويض النفس وتمارين العقل

التربية على شجاعة الاعتراف بالخطأ تتطلب:

1. ترويض النفس على قبول النقد والنصح
2. تمارين العقل على التفكير الموضوعي
3. تربية الأجيال على "قيمة السمو على النفس في مواقف الأخطاء"

هذه التربية هي "أول خطوة لإصلاح الخلل قبل أن نقف أمام الله في الآخرة ونعترف ولا ينفع الاعتراف عندها".

الفرق بين الاعتراف الحقيقي والاعتراف الزائف

الآية تقدم نموذجاً للاعتراف الزائف - اعتراف لا يتبعه توبة، ولا يسبقه إصلاح. فالاعتراف في الآية جاء متأخراً جداً، بعد فوات الأوان.

الاعتراف الحقيقي هو:

- اعتراف يسبق الندم
- يتبعه توبة وعمل صالح
- يؤدي إلى تغيير السلوك

الاعتراف الزائف هو:

- اعتراف لمجرد التبرير
- لا يغير في الواقع شيئاً
- يأتي بعد فوات الأوان

"الإقرار بالخطأ، يزيل نصف الخطأ"، لكنه يزيل نصفه فقط، أما النصف الآخر فيزيله العمل على الإصلاح.

دور المفهوم في حياة المسلم والأمة

هذا المفهوم يجعل المسلم:

- يعيش حياة واعية - يدرك أخطائه فيصححها
- يعيش حياة مسؤولة - يتحمل تبعات اختياراته
- يمثل أمر الله - فيتجنب الشقاء

وعلى مستوى الأمة، استعادة فاعليتها ودورها تبدأ عندما:

- تتحلى بالشجاعة لمراجعة أخطائها
- تتوقف عن إلقاء اللوم على المؤامرات الخارجية وحدها
- تبدأ في إصلاح ما يمكن إصلاحه من أوضاعها

٣/ بناء الشخصية المسلمة القوية في مواجهة التحديات

نقطة الانطلاق: استشعار التحدي

الآية تقدم نموذجاً مضاداً للشخصية القوية. الكفار اعترفوا: "غلبت علينا شقوتنا" - أي استسلموا لأهوائهم وشهواتهم. الدرس المستفاد: نقطة الانطلاق في مواجهة الأزمات تبدأ باستشعار التحدي الذي تمثله الأزمة، والتحرك على ضوء ذلك.

خطورة اتباع الهوى

الآية تهدف إلى تنبيه المؤمنين إلى أن:

- اتباع الهوى يقود إلى الهلاك - كما حدث مع الكفار
- الاستسلام للشهوات هو بداية الطريق إلى الشقاء
- الوعي بخطورة الهوى هو أول خطوات النجاة

فالقوة الحقيقية ليست في إنكار وجود الأزمة أو التحدي، بل في:

- استشعار حجم التحدي
- الاعتراف بوجوده
- التحرك لمواجهة بإرادة واعية

٤/ مفهوم الشقاء ودلالة وصف "ضالين"

ما هو الشقاء؟

الشقاء في الآية ليس مجرد سوء حظ أو تعاسة مقدرة بغير سبب. المفسرون يوضحون أن "غلبت علينا شقوتنا" تعني: "غلبت علينا الشقاوة الناشئة عن الظلم والإعراض عن الحق، والإقبال على ما يضر، وترك ما ينفع". وفي قراءة أخرى "شقوتنا" وهي "التي كتبت علينا في سابق علم الله، أي غلبت علينا شقوتنا التي كتبت علينا فلم نهتد".

إذاً، الشقاء هو:

1. نتيجة طبيعية للاختيارات الخاطئة
2. حالة تغلب على الإنسان بسبب إغراضه عن الهدى
3. تقدير إلهي بناءً على علم الله بما سيفعله الإنسان

لماذا قالوا "ضالين" ولم يكتفوا بـ "كافرين"؟

اختيار كلمة "ضالين" له دلالة عميقة:

- الضلال يشير إلى التيه والانحراف عن الطريق، حتى لو كانوا يعلمون أنهم على باطل
- الضلال يتضمن معنى السير بلا هدى، حتى مع معرفة الحق أحياناً
- هم "فعلوا في الدنيا فعل التائه، الضال السفيه"، كما قالوا في آية أخرى: "لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ" (الملك: 10)

كيف نتجنب أن تكون شقوتنا هي الغالبة؟

لتجنب أن تغلب علينا شقوتنا (أعمالنا السيئة)، علينا:

1. الاستماع والإنصات للهدى - كما أشارت الآية الأخرى: "لو كنا نسمع أو نعقل"
2. استخدام العقل في التفكير والتدبر
3. مجاهدة النفس وعدم الاستسلام للهوى
4. محاسبة الذات باستمرار قبل أن يحاسبنا الله

٥/ ما نتعلمه من ربط الآية بين الشقوة والضلال

الآية تربط بين:

- الشقوة (السبب والمنطلق)
- الضلال (النتيجة والعاقبة)

هذا الربط يعلمنا:

1. الشقاء يقود إلى الضلال - فالانغماس في الشهوات والمعاصي يظلم البصيرة
2. الضلال يزيد الشقاء - فكلما ضل الإنسان، زاد شقاؤه
3. الدائرة المفرغة للانحراف - تبدأ بشقوة صغيرة تقود إلى ضلالة، ثم ضلالة تزيد الشقوة، وهكذا

العلاج هو كسر هذه الحلقة من خلال:

- التوبة النصوح عند أول خطأ
- الاستعانة بالله في مجاهدة النفس
- صحبة الصالحين الذين يذكروننا بالحق

خلاصة: دور المفاهيم في البناء والتنمية

على مستوى الفرد

- بناء شخصية مسؤولة تعترف بأخطائها
- تطوير قدرات النقد الذاتي والمحاسبة
- اكتساب شجاعة الإصلاح والتغيير

على مستوى المؤسسات

- خلق بيئة عمل تشجع على الاعتراف بالأخطاء كفرصة للتعلم
- تطوير آليات لتقييم الأداء بموضوعية
- الابتعاد عن ثقافة إلقاء اللوم وتوجيه الاتهامات

على مستوى الجماعات والمجتمع

- بناء ثقافة مجتمعية قائمة على المسؤولية المشتركة
- تجاوز عقلية المؤامرة والاتكالية
- خلق وعي جمعي بأهمية مراجعة الأخطاء وتصحيح المسار

على مستوى الأمة والحضارة

- استعادة فاعلية الأمة من خلال النقد الذاتي البناء
- النهضة الحضارية تبدأ بالاعتراف بالواقع كما هو، بكل إيجابياته وسلبياته
- التعلم من التاريخ وتجنب تكرار الأخطاء

إن الآية الكريمة تقدم لنا درساً عظيماً: الاعتراف وحده لا يكفي إذا جاء متأخراً. المطلوب اعتراف مبكر يتبعه توبة وعمل صالح، وهذا هو الطريق الوحيد لبناء فرد قوي، ومجتمع متماسك، وأمة فاعلة قادرة على استعادة دورها الحضاري.

المفهوم دللته في الآية دوره في البناء والتنمية
١/ تحمل المسؤولية: اعتراف الكفار بأن شقوتهم هي السبب هذا يعلمنا اهمية تحمل المسؤولية في حياتنا اليومية حيث وان ذلك أول خطوه لبناء مجتمع ناضج قادر على التصحيح الذاتي
٢/ شجاعة الاعتراف بالخطأ: مقابل اعترافهم المتأخر فان امتلاك المسلم شجاعه الاعتراف بالخطأ والا خفاق في الدنيا يساعد تطوير الأفراد والمؤسسات من خلال التعلم من الأخطاء
٣/ خطورة إلقاء اللوم: الآية تحمل نقداً ضمنياً لإلقاء اللوم على القدر والمراد بهذا تعزيز ثقافة المسؤولية ومنع ثقافة التبرير في حياتنا العملية
٤/ الشقاء والضلال ربط السبب بالنتيجة فاراد بهذا ان تفهم سنن الله في الجزاء، واستباق العلاج قبل فوات الأوان

٤/ مفهوم الشقاء ودلالة وصف "ضالين" (تكملة)

دلالة وصف "كنا قوماً ضالين" بدلا " من "كنا كافرين"

اختيار القرآن لكلمة "ضالين" له دلالات عميقة تتجاوز مجرد وصفهم بالكفر:

أولاً : بيان طبيعة الانحراف - الضلال يعني التيه والضياع وفقدان البوصلة، فهم لم يكونوا فقط كافرين بالله، بل كانوا تائهين في حياتهم، يمارسون أفعال الضالين السفهاء . كما قالوا في آية أخرى: "لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير" (الملك: 10) .

ثانياً: الإقرار بالجهل وليس مجرد العناد - وصفهم أنفسهم بالضالين يعني اعترافهم بأنهم كانوا يمارسون أفعال من فقد الهدى والبصيرة، "وإن كانوا يدرون أنهم ظالمون، أي: فعلوا في الدنيا فعل التائه، الضال السفيه". هذا يشير إلى أن ضلالهم لم يكن مجرد ، بل كان ضلالاً " اختاروه بأهوائهم. ثالثاً: العلاقة بين الشقاء والضلال - هم قدموا الشقاء كسبب (غلبت علينا شقوتنا) والضلال كنتيجة (وكنا قوماً ضالين). وهذا يعني أن الشقاء (الانغماس في الشهوات واللذات) قادهم إلى الضلال عن الهدى . فالعلاقة طردية: كلما زاد الشقاء (اتباع الهوى)، زاد الضلال (البعد عن الحق). كيف أتجنب أن تكون شقوتي (أعمالي السيئة) هي الغالبة؟ لتجنب أن تغلب علينا شقوتنا، نستلهم من الآية والتفسير عدة خطوات عملية:

١/ تصحيح العلاقة مع الهدى - ابن كثير يفسر قولهم: "قد قامت علينا الحجة، ولكن كنا أشقى من أن نقاد لها ونتبعها، فضلنا عنها ولم نرزقها". إذا، النجاة تكون بالانقياد للهدى واتباع الحجة، وعدم الاستكبار عنها.

٢/ السمع والعقل - الآية الأخرى تكمل الصورة: "لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير". ف النجاة تكون باستخدام حاسة السمع للإنصات للحق، واستخدام العقل للتدبر والفهم.

٣/ محاسبة النفس قبل فوات الأوان - هم اعترفوا حيث لا ينفع الاعتراف . المؤمن العاقل يعترف في الدنيا قبل أن يكون الاعتراف في الآخرة عديم الجدوى.

٤/ كسر دائرة الشقوة - الشقوة تبدأ صغيرة ثم تكبر. قال الإمام الصادق عليه السلام في تفسير الآية: "بأعمالهم شقوا". إذا، الشقاء ليس قدرًا محتوماً، بل هو نتاج تراكمي للأعمال. كلما تدارك الإنسان خطأه مبكراً، منع تراكمه وتحوله إلى شقوة غالبة.

٥/ ما نتعلمه من ربط الآية بين عاقبة الشقوة ونتيجة الضلال

الربط بين الشقوة (كسبب ومنطلق) والضلال (كنتيجة وعاقبة) يعلمنا دروساً عظيمة:

أولاً : قانون السببية في الجزاء

الآية تؤكد أن المصير ليس اعتباطياً، بل يتبع سنن الله في الكون. الشقوة (التي هي نتيجة لا خيارات الإنسان وأعماله) هي التي تغلب عليه وتقوده إلى الضلال. هذا يبطل فكرة أن الإنسان يمكن أن يكون ضالاً دون أن يكون له دور في ضلاله.

ثانياً: الشقاء يبدأ صغيراً ثم يغلب

تعبير "غلبت علينا" يشير إلى أن الشقاء لم يكن غالباً منذ البداية، بل تغلغل تدريجياً حتى أصبح هو المسيطر. وهذا تذكير بأن الانحراف لا يحدث بين عشية وضحاها، بل هو تراكم للصغائر قبل الكبائر، وللنفوس قبل السقوط الكبير.

ثالثاً: الاعتراف المتأخر لا ينفع

الآية تقدم نموذجاً للاعتراف الذي "لا ينفع" لأنه جاء بعد فوات الأوان . وهذا توجيه للمؤمن أن يبادر بالاعتراف والتوبة في الدنيا، حيث للاعتراف قيمة وحيث يمكن أن يتبعه عمل صالح.

رابعاً: الشقاء والضلال في علاقة تبادلية

ليست العلاقة أحادية الاتجاه فقط، بل هي علاقة تبادلية:

- الشقاء (اتباع الهوى (يقود إلى الضلال
- الضلال يزيد الشقاء
- وهكذا في دائرة مفرغة، يزداد الإنسان بعداً عن الله

خامساً: التمييز بين العاجز والمستكبر

الآية تكشف أن بعض أهل النار ليسوا جهالا ً بالحق، بل هم "أشقى من أن ينقادوا له". هذا يشير إلى أن المشكلة ليست في وضوح الحق، بل في استعداد النفس للانقياد له.

خلاصة شاملة لدور المفاهيم في البناء والتنمية

على مستوى الفرد

المفهوم التطبيق العملي ثمراته في البناء والتنمية
تحمل مسؤولية الاختيارات محاسبة النفس يومياً، عدم إلقاء اللوم على الآخرين بناء شخصية ناضجة
قادرة على القيادة واتخاذ القرارات
شجاعة الاعتراف بالخطأ المبادرة بالاعتراف عند الخطأ، طلب النصيحة التطور المستمر، التعلم من الأخطاء، بناء الثقة مع الآخرين
تجنب ثقافة التبرير الصدق مع النفس، رفض الأعذار الواهية الوصول إلى جذور المشكلات وحلها، لا مجرد تجميلها

على مستوى الأسرة

الأسرة هي النواة الأولى لتربية الأجيال على هذه المفاهيم:

- تعليم الأبناء أن الخطأ ليس نهاية العالم، بل فرصة للتعلم
- تقديم نموذج عملي من الوالدين في الاعتراف بالأخطاء أمام الأبناء
- خلق بيئة آمنة يعترف فيها الأبناء بأخطائهم دون خوف من العقاب المبالغ فيه

على مستوى المؤسسات

المؤسسات التي تتبنى ثقافة الاعتراف بالخطأ بدلا ً من إلقاء اللوم:

- تتعلم وتتطور باستمرار
- تبني فرق عمل متماسكة تقوم على الثقة لا الخوف
- تصل إلى حلول إبداعية لأنها تعترف بالمشكلة كما هي، دون تجميل أو تبرير

على مستوى المجتمع والأمة

المجتمع الذي يتبنى هذه المفاهيم:

- يتجاوز عقلية المؤامرة ويبدأ في الإصلاح الذاتي
- يبني خطاباً إعلامياً نقدياً بناءً، لا خطاب تبرير وإلقاء لوم
- يستعيد فاعليته لأن أفرادها يعترفون بالتحديات كما هي، فيواجهونها بواقعية

على مستوى الحضارة

الأمم التي تبني حضاراتها تقوم على:

- النقد الذاتي البناء كمنهج للتطور
- الاعتراف بالأخطاء التاريخية والتعلم منها
- تحمل المسؤولية عن واقعها بدلا ً من انتظار الخلاص من الخارج

خاتمة

الآية الكريمة "قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ" تقدم لنا نموذجاً للاعتراف المتأخر الذي لا ينفع، لتكون لنا عبرة في الدنيا قبل أن يحين وقت لا ينفع فيه الندم.

إنها تدعونا إلى:

1. الاعتراف المبكر بالأخطاء في الدنيا

2. تحمل المسؤولية عن اختياراتنا
3. عدم إلقاء اللوم على الآخرين أو الظروف
4. الانقياد للهدى قبل أن تغلب علينا شقوتنا
5. استخدام السمع والعقل في اتباع الحق

وهذا كله ليس مجرد وعظ نظري، بل هو برنامج عملي لبناء الفرد والأسرة والمجتمع والأمة، واستعادة الفاعلية الحضارية، وتحقيق التنمية الشاملة التي تبدأ من داخل الإنسان قبل أن تبدأ من خارجها.

"إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ" (الرعد: 11)

سابعاً

تفسير الآية 107 من سورة المؤمنون: "رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عَذَبْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ" مقدمة حول الآية

تأتي الآية الكريمة استكمالاً للمشهد المهيّب الذي صورته الآيات السابقة من سورة المؤمنون، حيث يقول تعالى مخبراً عن حال الكفار والمجرمين في النار: "رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عَذَبْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ" [المؤمنون: 107].

هذا النداء يصور لنا ذروة الندم والحسرة، حيث يطلب أهل النار الخروج منها معطين العهود و المواثيق أنهم لن يعودوا لما كانوا عليه. إنها لحظة انكشاف الحقائق، حيث يزول الغرور وتظهر الحقيقة العارية: أنهم ظلموا أنفسهم في الدنيا، وها هم يقرون بذلك حيث لا ينفع الإقرار.

المقاصد والأهداف العامة للآية

1. بيان حال المجرمين يوم القيامة عندما يرون العذاب حقيقة واقعة، فيطلبون الرجعة ويقطعون العهود.
2. التنبيه إلى كذب هذه العهود لأنهم لو رجعوا لعادوا لما ثهوا عنه، كما قال تعالى: "وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ" (الأنعام: 28)
3. تحذير المؤمنين في الدنيا من التسويف وتأجيل التوبة، فالعبرة ليست بالاعتراف المتأخر بل بالا عتراف المبكر المتبوع بالعمل.
4. إثبات عدل الله حيث قطع أعمارهم وأمهلهم في الدنيا ما يتذكر فيه المتذكر ويرتدع فيه المجرم.

الأفكار الرئيسية التي تتحدث عنها الآية

- . طلب الخروج من النار كتعبير عن أقصى درجات الندم والألم.
- . الوعد والعهد بعدم العودة إلى الكفر والمعاصي.
- . الإقرار بالظلم بعد الإنكار السابق في الدنيا.
- . إغلاق باب الرجعة حيث لا تنفع هذه الطلبات والعهود.

الدلالات اللغوية والبيانية والبلاغية

الدلالات اللغوية

- . "أخرجنا": صيغة طلب الخروج، وهي تفيد التوسل والضرعة، فالفعل "أخرج" يحمل معنى الإزالة من مكان بشدة أو مشقة، مما يدل على أن خروجهم من النار ليس بالأمر الهين.
- . "منها": الضمير يعود على النار المذكورة في الآية السابقة، وهي جهنم التي تفتح الوجوه.
- . "فإن عذبنا": أداة الشرط (إن) تفيد التعليق على أمر مستقبل محتمل، وهم هنا يقطعون وعداً مشروطاً بأنفسهم.
- . "فإننا ظالمون": جملة اسمية مؤكدة (بـ) إن (تفيد التوكيد، فهم يؤكدون أنهم إذا عادوا فسيكونون ظالمين لأنفسهم).

الدلالات البلاغية

1. النداء بالربوبية : بدأوا بقولهم "ربنا" مع أنهم كانوا في الدنيا لا يعترفون به رباً. هذا اختيار بلاغي بديع يصور أن الشدة تعيد الإنسان إلى فطرته، فينادي ربه حين يضيق به الأمر.
2. تقديم الطلب "أخرجنا" على الشرط "فإن عذبنا": هذا التقديم يدل على أن همهم الأول والأكبر هو

الخروج من العذاب، ثم يأتي بعد ذلك وعدهم بالإصلاح.
3. الطبايق المعنوي : بين حالهم في الدنيا حيث كانوا يكذبون وينكرون، وحالهم في الآخرة حيث يعترفون ويقرّون.
4. الإيجاز بالحذف : حذف المتعلق بعد "ظالمون" ليشمل كل أنواع الظلم: ظلمهم لأنفسهم، وظلمهم لله بالشرك، وظلمهم للرسول بالتكذيب.

اللمسات التجويدية في خدمة المعاني

عند تلاوة الآية، هناك وقفات تجويدية تخدم المعنى:

. الوقف على "منها": يجوز الوقف هنا ليظهر معنى التضرع والطلب الملح للخروج.
. الابتداء بـ "فإنّ غدّا": يبرز قوة الوعد والعهد.
. مد كلمة "ظالمون": مد عارض للسكون عند الوقف، يعطي امتداداً صوتياً يناسب معنى الظلم المستمر والممتد.

١/ أهمية استشعار الفرصة الحالية للعمل قبل فوات الأوان

المفهوم المستنبط من الآية

الآية تصور مشهداً مربعاً: قوم يطلبون الرجعة إلى الدنيا ليعملوا صالحاً، لكن هيهات! لقد فات الأوان. هذا المشهد يزرع في نفس المؤمن استشعار قيمة الفرصة الحالية التي بين يديه.

يقول السعدي في تفسيره: "ولم يبق لله لهم حجة، بل قطع أعذارهم، وعمرهم في الدنيا، ما يتذكر فيه المتذكر، ويرتدع فيه المجرم". هذه إشارة واضحة إلى أن طول العمر في الدنيا هو الفرصة الثمينة التي يجب اغتنامها.

دور هذا المفهوم في البناء والتنمية العملية

في حياة الفرد:

. تحويل الوقت إلى رأس مال مستثمر : عندما يستشعر الإنسان أن الفرصة الحالية هي الوحيدة المتاحة، فإنه يحرص على استثمار كل لحظة في طاعة الله وعمل الخير.
. التخطيط للمستقبل مع استحضار الآخرة : لا يعني ذلك إهمال الدنيا، بل العمل للدنيا كأنك تعيش أبداً، والعمل للآخرة كأنك تموت غداً.
. الإنتاجية العالية : الشعور بقيمة الوقت يدفع الإنسان إلى الإنجاز والعطاء.

في المؤسسات:

. إدارة الوقت بكفاءة : المؤسسات التي تدرك قيمة "الفرصة الحالية" تسارع في اتخاذ القرارات وتنفيذ المشاريع.
. التعلم من الأخطاء سريعاً : بدلاً من التسويف والمماطلة في تصحيح المسار.
. الابتكار والتطوير المستمر : لأن الوقت متاح اليوم، وليس غداً.

في المجتمع والأمة:

. استثمار فترات السلام والاستقرار في البناء والتنمية.
. عدم انتظار الظروف المثالية للبدء في الإصلاح، فالفرصة متاحة الآن.
. استعادة الفاعلية الحضارية من خلال العمل الدؤوب في الحاضر.

٢/ طبيعة النفس البشرية في ساعة العجز كما تصورها الآية

دلالة بدء أهل النار بطلب الخروج "ربنا أخرجنا منها"

هذا الطلب يكشف عن حقيقة نفسية مهمة: النفس البشرية عندما تصل إلى قمة العجز والألم، تعود إلى فطرتها، فتنادي ربها وتتوسل إليه، حتى لو كانت في الدنيا من الجاحدين المكذبين.

الآية تظهر أن:

- . الإنسان عند الشدة يتذكر الله ويعود إليه.
- . الألم يكسو حجاب الغرور والكبرياء.
- . العجز المطلق يولد التضرع الحقيقي.

دلالة قولهم "فإن عدنا فإننا ظالمون" بالإقرار عند مشاهدة العذاب

هذا الجزء من الآية يحمل دلالة عميقة: هم كانوا في الدنيا ينكرون أنهم ظالمون، بل كانوا يرون أنفسهم على حق، وكانوا يحتجون بأنهم اتبعوا سادتهم وكبراءهم، أو أنهم ضلوا الطريق.

لكن عندما واجهوا العذاب:

- . انكشفت لهم حقيقة أنفسهم.
- . أدركوا أن ظلمهم كان لأنفسهم أولاً .
- . اعترفوا بأنهم لو عادوا لعادوا لظلمهم) وهذا اعتراف ضمني بأن العيب فيهم هم، وليس في الظروف أو الآخرين.

يقول ابن كثير: "ردنا إلى الدار الدنيا، فإن عدنا إلى ما سلف منا، فنحن ظالمون مستحقون للعقوبة".

دور هذا المفهوم في تربية المؤمن

الشعور بالمسؤولية قبل الحساب:

- . المؤمن الذي يتدبر هذه الآية يدرك أن الاعتراف بالمسؤولية يجب أن يسبق يوم القيامة.
- . هو مدعو أن يقول في الدنيا: "رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي"، قبل أن يقولها في الآخرة فلا تغفر له.

المسارعة إلى التوبة والاستغفار:

- . من يعلم أن الندم المتأخر لا ينفع، يبادر بالتوبة عند أول خطأ.
- . من يدرك أن العبرة بالاعتراف المبكر، لا يؤجل التوبة.

استغلال الوقت الحالي والخروج من الغفلة:

- . الغفلة هي أن تعيش وكأنك ستبقى في الدنيا أبداً.
- . اليقظة هي أن تستحضر مشهد الآخرة وأنت في الدنيا، فتعمل لما بعد الموت.

٣/ أهمية تقييم حياتنا الآن وإصلاح مسارينا

المفهوم المستنبط من الآية

الآية تقدم نموذجاً للندم المتأخر الذي لا ينفع. الدرس المستفاد: قيم حياتك الآن قبل أن تندم حيث لا ينفع الندم، واصلح مسارك اليوم قبل أن تطلب الإصلاح غداً فلا تجد سبيلاً إليه.

إنها دعوة إلى:

- . محاسبة النفس قبل أن تحاسب.
- . وزن الأعمال قبل أن توزن.
- . تصحيح المسار قبل فوات الأوان.

استغلال كل لحظة في طاعة الله

المؤمن الواعي هو من يدرك أن:

- . اللحظة الحالية هي رأس ماله الحقيقي.
- . ما مضى قد ذهب بما فيه، وما سيأتي غيب لا يملكه.

. ما يملكه هو "الآن" فقط، فعلية استغلاله.

يقول تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ" (الحشر: 18). النظر فيما قدمت للغد هو عملية التقييم المستمرة.

٤/ مفهوم التسويف وخطورته

ما هو التسويف؟

التسويف لغة: التأخير والتواني. واصطلاحاً: تأجيل العمل الصالح أو التوبة إلى وقت لاحق مع توفر القدرة على فعله الآن.

خطورة التسويف وعواقبه كما تصورها الآية

الآية تصور أسوأ عاقبة للتسويف: أن يأتي يوم تريد فيه العمل فلا تجد سبيلاً إليه، وتطلب الرجعة فلا تستجاب لك.

التسويف خطير لأنه:

1. يضيع الفرص الثمينة : كل لحظة تمضي لا تعود.
2. يورث قسوة القلب : فالذنب إذا تكرر صار عادة، وإذا صار عادة صار طبعاً.
3. يؤدي إلى سوء الخاتمة : من عاش على التسويف قد يموت مفاجئاً قبل أن يتوب.
4. يكرس حالة الغفلة : فالمسوف يعيش في وهم أن الوقت طويل.

دور هذا المفهوم في بناء الإنسان والإنتاج والعمارة

على مستوى الفرد:

- . الابتعاد عن ثقافة "بكرة": وهي أخطر ما يقتل الإنتاجية.
- . اتخاذ القرارات بسرعة : وعدم تأجيل ما يمكن فعله اليوم.
- . بناء شخصية حازمة : لا تتردد في فعل الخير.

على مستوى المؤسسات:

- . إنجاز المشاريع في وقتها : التسويف الإداري يقتل المؤسسات.
- . سرعة اتخاذ القرارات : خاصة في الأزمات.
- . خلق ثقافة تنظيمية تقوم على "الآن وليس غداً".

على مستوى المجتمع والأمة:

- . النهضة لا تحتل التأجيل : كل أمة تسوف نهضتها تتخلف.
- . استثمار الموارد المتاحة : الآن، قبل أن تضيع أو تنضب.

٥/ مفهوم الجدية في التوبة والعهد

ما معنى الجدية؟

الجدية تعني: الصدق في القول والعمل، والمبادرة إلى الفعل دون توان أو تسويف، والالتزام بالعهد و الموثيق.

الجدية كمفهوم مستنبط من الآية

أهل النار في الآية يقولون: "فإن عدنا فإننا ظالمون". هم يقطعون عهداً وجدياً مع الله أنهم لن يعودوا. لكن المشكلة أن هذا العهد جاء متأخراً، كما أنهم في حقيقة أمرهم كاذبون فيه، لأنهم لو رجعوا لعادوا لما نهوا عنه .

الدرس للمؤمن:

- ليكن عهدك مع الله جدياً : لا وعود كاذبة، ولا نذور غير ملتزم بها.
- التوبة النصوح : هي توبة صادقة جادة، يتبعها عمل صالح واستقامة.
- الوفاء بالعهد : مع الله أولاً ، ومع الناس ثانياً.

أهمية الجدية ودورها في البناء والتنمية

جدية الفرد:

- تدفعه للالتزام ببرامجه وأهدافه.
- تجعله موضع ثقة الآخرين.
- تنمي شخصيته وتقوي إرادته.

جدية المؤسسات:

- تخلق بيئة عمل منتظمة ومنتجة.
- تبني سمعة طيبة للمؤسسة.
- تجذب الكفاءات والمستثمرين.

جدية الأمم:

- الأمم الجادة في مشاريعها تنهض وتتقدم.
- الأمم التي تلتزم بعهودها تكسب احترام العالم.

٦/ أهمية الاستفادة من المحن والأزمات في بناء الإنسان

المحن كدروس للمستقبل

الآية تصور قوماً مروا بالمحنة العظمى (النار) وتمنوا لو أتيحت لهم فرصة أخرى ليتعلموا من أخطائهم. لكن المحنة هنا جاءت بعد فوات الأوان.

الدروس المستفادة:

- المحن في الدنيا هي فرص للتعلم : قبل أن تأتي المحنة الكبرى التي لا ينفع معها تعلم.
- الأزمات تكشف الحقائق : كما كشفت نار الآخرة لهؤلاء حقيقة أنفسهم.
- الذكاء العاطفي : هو أن تتعلم من أزماتك دون أن تضطر لتجربة كل شيء بنفسك.

اكتساب المهارات لمواجهة التحديات

المؤمن الحكيم هو من:

- يتعلم من أخطائه : فيتحول خطؤه إلى خبرة.
- يتعلم من أخطاء الآخرين : كما في قصص القرآن والأمم السابقة.
- يستعد للمستقبل : بتطوير مهاراته وقدراته.

دور هذا المفهوم في البناء والتنمية

تربية الأجيال:

- تعليم الأبناء أن الفشل ليس نهاية العالم، بل بداية التعلم.
- تشجيعهم على تحليل أخطائهم وفهم أسبابها.
- تدريبهم على مواجهة التحديات بدلاً من الهروب منها.

بناء المؤسسات:

- خلق بيئة آمنة للخطأ، حيث يُنظر إلى الخطأ كفرصة للتعلم.
- توثيق الأخطاء والتجارب لتصبح مرجعاً للأجيال القادمة.

. تطوير آليات للتعامل مع الأزمات بناءً على الدروس المستفادة.

تنمية المجتمع:

- . الاستفادة من الأزمات التاريخية لبناء مستقبل أفضل.
- . تحويل نقاط الضعف إلى نقاط قوة بالتعلم والتطوير.

٥/ تكملة (أهمية تحويل الأمنية إلى إرادة

الآية تظهر أمنية أهل النار: الخروج والعودة للعالم. لكنها أمنية متأخرة لا تتحقق. الدرس: لا تكتف بالأمنيات، بل حولها إلى إرادة وعمل.

الفرق بين الأمنية والإرادة:

- . الأمنية: تمنى الشيء مع عدم بذل الجهد لتحقيقه.
- . الإرادة: تمنى الشيء مع بذل الجهد والعمل لتحقيقه.

المؤمن لا يعتد بالأمني، بل يحولها إلى:

- . خطط عملية.
- . أهداف واضحة.
- . خطوات تنفيذية.

يقول تعالى: "لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلُ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ" (النساء: 123). العبرة بالعمل بالأمني.

٦/ دور مشهد العذاب في بناء الإنسان القوي

استحضار مشهد الآخرة في كل لحظة

هذا المشهد القرآني المهيّب يهدف إلى:

- . تربية الإنسان على استحضار الآخرة : في كل قرار يتخذه، وفي كل عمل يعمل.
- . إيقاظ الضمير : من خلال تصوير عاقبة الغفلة والضلال.
- . تحفيز النفس : على العمل الصحيح قبل فوات الأوان.

استشعار حقيقة الدنيا: إنها مزرعة للآخرة

الدنيا في نظر المؤمن الواعي:

- . ليست دار قرار : بل دار ابتلاء واختبار.
- . ليست هدفاً بذاتها : بل وسيلة للوصول إلى الهدف الأسمى.
- . هي مزرعة : يزرع فيها اليوم ما يحصده غداً.

يقول النبي ﷺ: "الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر". المؤمن يعيش في الدنيا كأنه مسافر لا يستقر، يعد الزاد لرحلته الطويلة.

بناء الإنسان القوي

هذا المشهد القرآني يبني إنساناً:

- . قوي الإرادة : لا يؤجل عمل اليوم إلى غد.
- . ثابت المبادئ : لا يتزعزع عند الشدائد.
- . واضح الرؤية : يعرف هدفه في الحياة.
- . مسؤول : يتحمل تبعات اختياراته.
- . مستعد للآخرة : يعمل لها ولا ينسى نصيبه من الدنيا.

خلاصة شاملة: دور المفاهيم في البناء والتنمية

المفهوم دلالاته في الآية دوره في البناء والتنمية
استشعار الفرصة الحالية تصوير الندم على فوات الفرصة تحويل الوقت إلى رأس مال مستثمر، الإنتاجية العالية
الشعور بالمسؤولية إقرارهم بأنهم ظالمون المسارعة للتوبة، التربية على تحمل التبعات
تقييم المسار ندمهم على ما فات محاسبة النفس الدائمة، تصحيح الأخطاء فوراً
مكافحة التسويف طلب الرجعة بعد فوات الأوان الإنجاز الفوري، عدم تأجيل العمل الصالح
الجدية عهدهم بعدم العودة الالتزام بالعهد، الصدق مع الله والناس
الاستفادة من المحن تمنى فرصة للتعلم تحويل الأخطاء إلى خبرات، التعلم من التاريخ
استحضار الآخرة مشهد العذاب والعجز العيش بيقظة، جعل الدنيا مزرعة للآخرة

الخاتمة

إن الآية الكريمة "رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ" تقدم لنا درساً بليغاً في قيمة الوقت، وأهمية المبادرة بالعمل الصالح، وخطورة التسويف، وقيمة الجدية في العهد مع الله.

إنها دعوة لكل مسلم أن:

- يستشعر قيمة الفرصة الحالية.
- يبادر بالتوبة قبل فوات الأوان.
- يحول آمانياته إلى إرادة وعمل.
- يستحضر مشهد الآخرة في كل لحظة.
- يبني نفسه ومجتمعه وأمنته على أسس المسؤولية والجدية والإنتاج.

فالدنيا قصيرة، والفرصة متاحة الآن، والعمل اليوم هو الذي ينفع غداً. وما بعد الموت لا ينفع فيه عمل، ولا تقبل فيه توبة، ولا يسمع فيه رجاء.

"فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا" (الكهف: 110)
ثامناً

تفسير الآية 108 من سورة المؤمنون: "قَالَ اخْسِئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون"

مقدمة حول الآية

تأتي هذه الآية الكريمة لتختتم المشهد المهيّب الذي بدأ في الآيات السابقة من سورة المؤمنون، حيث يصور القرآن حال المجرمين في النار وهم يتضرعون إلى الله طالبين الخروج منها، معطين العهود والمواثيق أنهم لن يعودوا لما كانوا عليه. فجاء الرد الإلهي القاطع: "قَالَ اخْسِئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون" [المؤمنون: 108].

هذه الآية تمثل نقطة التحول الأخيرة في حوار أهل النار مع ربهم، حيث يتحول الرجاء إلى يأس، ويتحول الطلب إلى صمت أبدي، ويتحول الندم إلى حسرة لا تنفع. إنها الآية التي تغلق باب الرجاء إلى الأبد.

المقاصد والأهداف العامة للآية

1. بيان عدل الله في إغلاق باب الرجعة بعد استنفاد كل الفرص في الدنيا.
2. تصوير أقصى درجات الخذلان الإلهي للمجرمين بعد طول إمهال في الدنيا.
3. ترسيخ مفهوم أن يوم القيامة ليس دار عمل ولا دار توبة، بل دار جزاء وحساب.
4. تحذير المؤمنين من عاقبة التسويف والغفلة، وأن هناك لحظة يأتي فيها الرد الإلهي القاطع الذي لا رجاء بعده.

الأفكار الرئيسية التي تتحدث عنها الآية

- الرد الإلهي القاطع على طلب الكفار الخروج من النار.
- الإهانة والذل كعاقبة للاستكبار في الدنيا.
- قطع الكلام كأشد أنواع العذاب النفسي.

· انقطاع الرجاء إلى الأبد .

الدلالات اللغوية والبيانية والبلاغية والتجويدية

الدلالات اللغوية

أولا : لفظ "اخسئوا" :

هذا اللفظ يحمل دلالات عميقة:

- أصلها: خساً الكلب، أي زجره وطرده .
- المعنى اللغوي: البعد والذل والانزجار . يقال للكلب إذا طرد: اخساً .
- دلالة الصيغة: فعل أمر غليظ يدل على الإهانة والاحتقار، فهو خطاب لمن لا يستحق إلا هذا النوع من الرد.

ثانياً: "فيها":

الضمير يعود على النار المذكورة في الآيات السابقة، والتعبير يصور أنهم مغمورون فيها، لا مجرد دخول عابر، بل استقرار وملازمة للعذاب.

ثالثاً: "ولا تكلمون":

هذا النفي للكلام بأبلغ صورة، فهو:

- نفي للكلام مطلقاً، ليس فقط نفي الإجابة .
- الفعل مضارع مجزوم بلا الناهية، يفيد النهي عن الكلام.
- ياء المتكلم في "تكلمون" تدل على عظمة المتكلم (الله سبحانه).

الدلالات البلاغية

1. الإيجاز المعجز:

الآية مع قصرها تحمل أبلغ المعاني: الرد، الإهانة، الأمر بالبقاء، النهي عن الكلام. قال السعدي في تفسيره: "هذا القول - نسال الله تعالى العافية - أعظم قول على الإطلاق يسمعه المجرمون في التخييب، والتوبيخ، والذل، والخسار، والتأيبس من كل خير، والبشرى بكل شر. وهذا الكلام والغضب من الرب الرحيم، أشد عليهم وأبلغ في نكايتهم من عذاب الجحيم".

2. التصوير البياني بتشبيه الكفار بالكلاب:

قوله "اخسئوا" وهي الكلمة التي تقال للكلب عند طرده ، هذا تشبيه بليغ يصور أن هؤلاء القوم الذين استكبروا في الدنيا عن عبادة الله وتطاولوا على رسله وآياته، صاروا يوم القيامة في منزلة الكلاب المهانة المطرودة.

3. التدرج في الإهانة:

الآية تجمع بين نوعين من العقاب:

- العقاب الحسي: "اخسئوا فيها" أي البقاء في النار.
- العقاب المعنوي: "ولا تكلمون" أي الحرمان من الكلام مع الله.

والعقاب المعنوي أشد من الحسي، لأن الحرمان من مخاطبة الله تعالى يعني الحرمان من رحمته ورضوانه.

4. الطباق المعنوي:

بين حالهم في الدنيا وحالهم في الآخرة:

- في الدنيا: كانوا يتكلمون بالباطل والاستهزاء والتكذيب.
- في الآخرة: يُمنعون من الكلام بالكلية.

5. الالتفات:

الآية انتقلت من أسلوب الغيبة في الآيات السابقة إلى خطاب مباشر "اخسئوا"، وهذا يزيد في تصوير مواجهة الله لهم بهذا الرد القاطع.

اللمسات التجويدية في خدمة المعاني

1. الوقف على "اخسئوا":
يجوز الوقف هنا لإظهار قوة الأمر الإلهي وشدته، ثم الابتداء بـ "فيها" لبيان المكان الذي سيقون فيه.

2. مد كلمة "تَكْلُمُونَ":
مد عارض للسكون عند الوقف، يعطي امتداداً صوتياً يناسب معنى الصمت الأبدي الممتد الذي لا ينقطع.

3. إخفاء النون في "تَكْلُمُونَ":
عند الوصل، تختفي نون الرفع لالتقاء الساكنين، وهذا الإخفاء الصوتي يناسب معنى قطع الكلام وعدم وضوحه.

١/ مفهوم الجزء من جنس العمل: دلالة استخدام لفظ "اخسئوا"

ماذا تعني كلمة "اخسئوا" ولماذا استخدمت في هذا الموقف؟

كلمة "اخسئوا" تعني: ابعادوا في النار أذلاء، كما يقال للكلب إذا طرد: اخسأ . وهي تحمل معاني:

- الطرد والإبعاد مع الإهانة.
- الذل والصغار.
- الانزجار بعد محاولة التقرب.

استخدمت هذه الكلمة بالذات في هذا الموقف لأن الكفار في الدنيا كانوا:

- متكبرين عن عبادة الله وطاعة رسله.
- مستكبرين على آيات الله.
- متطاولين على الحق وأهله.

فكان الجزء من جنس العمل :

في الدنيا في الآخرة
تكبروا واستعلوا أذلوا وأهينوا
تطاولوا على آيات الله طردوا كما تطرد الكلاب
رفعوا رؤوسهم عن السجود لله خسئوا ورؤوسهم منكسة في النار

هذا هو مبدأ "الجزء من جنس العمل" الذي قرره القرآن في آيات كثيرة:

- "وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا" (الشورى: 40)
- "فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ" (الزلزلة: 7-8)

دور هذا المفهوم في بناء المجتمع المتواضع

بناء الفرد:

- استشعار عاقبة التكبر : عندما يعلم المسلم أن المتكبرين يخسئون في النار، يتواضع لله ولخلقه.
- تربية النفس على الخضوع للحق : التواضع ليس ذلاً ، بل خضوعاً لله وامتنالاً لأمره.

• التحلي بالأخلاق النبوية : كان النبي ﷺ "أشد تواضعاً من العذراء في خدرها".

بناء المجتمع:

- مجتمع متواضع : يسود فيه الاحترام المتبادل والتواضع.
 - مجتمع ملتزم بأوامر الله : يدرك أن الطاعة هي طريق الكرامة.
 - مجتمع خاضع للحق : لا يستكبر عن قبول النصيحة والحق.
- هذا المفهوم يقضي على التكبر بإدراك العقوبة، فمن عرف أن نهاية المتكبرين "اخسئوا" تواضع في الدنيا قبل أن يخسأ في الآخرة.

٢/ دلالة الآية على أن الكرامة للإنسان هي باتباع منهج الله

الخروج عن منهج الله يسلب الإنسان كرامته

الآية تظهر تحولا ً مربعاً: قوم كانوا في الدنيا يتكلمون بحرية، يتفاخرون بأموالهم وأولادهم، يستكبرون على عباد الله، يستهزئون بآيات الله. في الآخرة، يتحولون إلى مخلوقات:

- تطرد كما تطرد الكلاب .
 - يصير لها عواء كعواء الكلاب .
 - لا يتكلمون بعد ذلك بكلمة، وما هو إلا الزفير والشهيق .
- قال الحسن البصري: "هو آخر كلام يتكلم به أهل النار ثم لا يتكلمون بعدها إلا الشهيق والزفير، ويصير لهم عواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون".

وقال قتادة: "صوت الكفار في النار كصوت الحمار، أوله زفير وآخره شهيق".

ماذا يعني الأمر "اخسئوا فيها"؟

"اخسئوا فيها" تعني: اسكنوا في النار أذلاء مهانين . وهي تدل على:

- شدة العذاب : فهم في النار يعذبون.
- شدة الإهانة مع العذاب : ليسوا معذبين فقط، بل مهانون في هذا المكان .

قال ابن كثير: "أي: امكنوا فيها صاغرين مهانين أذلاء".

كيف يبني هذا المفهوم المجتمع والفرد؟

احترام الحق وتعظيم حدود الله:

- المسلم الذي يستحضر هذا المشهد يعظم حدود الله.
- يدرك أن الاستهزاء بالحق يقود إلى الذل والهوان.

الحذر من الاستهزاء بالدين وأهله:

- المستهزئون بالدين في الدنيا قد يجدون أنفسهم في الآخرة أذلاء مهانين.
- الكرامة الحقيقية في الدنيا والآخرة هي باتباع منهج الله.

بناء مجتمع قائم على الكرامة الحقيقية:

- المجتمع الذي يتبع منهج الله يحترم أفرادهِ ويعز بعضهُم بعضاً.
- المجتمع الذي يخرج عن منهج الله يفقد كرامته ويتحول إلى مجتمع منفسخ.

٣/ علاقة دلالة "ولا تكلمون" بمفهوم صيانة اللسان

أهمية صيانة اللسان من الباطل في الدنيا

قوله تعالى "وَلَا تَكْلُمُونَ" هو حرمان من الكلام مع الله. هؤلاء القوم الذين كانوا في الدنيا:

- يتكلمون بالباطل.
- يستهزئون بآيات الله.
- يسبون النبي ﷺ وأصحابه.
- يخوضون في أعراض المؤمنين.

في الآخرة، يُحَرِّمُونَ من الكلام مع الله، بل قد يُحَرِّمُونَ من الكلام أصلاً .

قال عبد الله بن عمرو: "فوالله ما نبس القوم بعدها بكلمة واحدة، وما هو إلا الزفير والشهيق في نار جهنم. قال: فشبهت أصواتهم بأصوات الحمير، أولها زفير وآخرها شهيق".

كيف تبني الآلة الإنسان والمجتمع الفاضل؟

تربية المؤمن على محاسبة نفسه:

- المؤمن الذي يقرأ هذه الآلة يسأل نفسه: هل أنا ممن يمنعون من الكلام يوم القيامة؟
- يحاسب لسانه قبل أن يحاسب: هل يتكلم بالخير أم بالشر؟

دعوة إلى ضبط اللسان:

- من عرف أن الكلام قد يُمنع عنه في الآخرة، ضبط لسانه في الدنيا.
- ابتعد عن الغيبة والنميمة والكذب والبهتان.

الغيبة:

- اغتيال الناس في الدنيا قد يكون سبباً في حرمان من الكلام مع الله.
- من حفظ لسانه عن أعراض الناس، حفظ الله كرامته يوم القيامة.

النميمة:

- نقل الكلام بين الناس لإفساد ذات البين، قد يؤدي إلى قطع الكلام يوم القيامة.

الكلام الباطل عامة:

- كل كلمة لا ترضي الله قد تكون سبباً في هذا الحرمان.

حالة الطرد من رحمة الله

هذه الآلة ترسم حالة الطرد النهائي من رحمة الله:

- لا كلام مع الله : هذا يعني الحرمان من رحمته ورضوانه.
- لا رجاء بعدها : عندما يقال "ولا تكلمون" ينقطع الرجاء إلى الأبد .
- العذاب النفسي : الحرمان من الكلام مع الله أشد من عذاب النار.

هذا المفهوم يغرس في النفوس:

- الخوف من الله : الذي يخاف أن يطرد من رحمة الله يحافظ على طاعته.
- الخشية من المعاصي : من يخشى أن يحرم من كلام الله يتجنب الذنوب.

٤/ خطورة الغرور بالدنيا والاستهانة بالفرص

المفهوم التربوي: استغلال الفرصة قبل فوات الأوان

الآية السابقة (107) كانت: "رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عَذَبْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ" [المؤمنون: 107]. هذا طلب ورجاء. ثم جاء الرد: "اخسئوا فيها ولا تكلمون" [المؤمنون: 108]. أي: لا رجعة، ولا عودة، ولا كلام.

هذا التحول المفاجئ من الرجاء إلى اليأس، ومن الكلام إلى الصمت، يعلمنا:

- الفرصة الحالية هي فقط المتاحة.
- الاستهانة بالفرص تؤدي إلى الحرمان الأبدي.
- الغرور بالدنيا يجعل الإنسان يظن أن الفرصة لا تنتهي.

دور هذا المفهوم في القضاء على الغفلة

بناء المسلم المتيقظ الجاد:

- اليقظة : المسلم الواعي لا يغفل عن حقيقة أن الوقت محدود.
- الجدية : لا يمازح في أمر دينه، ولا يستهين بالتكاليف الشرعية.
- المبادرة : يبادر بالخير قبل أن يحال بينه وبينه.

القضاء على الهزل والمراوغة:

- الهزل : الاستهزاء بالدين أو التهاون في أوامره يقود إلى هذا المصير.
- المراوغة : محاولة خداع الله أو خداع النفس بالتسويف.

بناء إنسان شاعر بالمسؤولية:

- يشعر أنه مسؤول عن كل لحظة.
- يتخذ مواقف جادة وحاسمة تجاه الحق.
- يبتعد عن الضلال والظلم.

٥/ مفهوم أن العمل هو الآن

التربية والبناء للعقل والقلب بالعمل

الآية تقطع الأمل في أي عمل بعد الموت. لا فرصة ثانية، ولا عودة للدنيا، ولا كلام مع الله. العمل هو الآن فقط.

هذا المفهوم:

- يبني العقل : على التفكير في العواقب قبل الإقدام على المعصية.
- يبني القلب : على التعلق بالله والخوف من سوء الخاتمة.
- يوجه الجوارح : إلى العمل الصالح قبل فوات الأوان.

التوجه إلى ما فيه النفع في الآخرة

الباقيات الصالحات:

- هي ما يبقى للإنسان بعد موته.
- قال النبي ﷺ: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له".

تجنب الغفلة:

- الغافل هو من يعيش وكأنه سيبقى في الدنيا أبداً.
- اليقظ هو من يعمل لآخرته كأنه يموت غداً.

بناء الإنسان على الحزم في طاعة الله

الحزم مع المعاصي:

- لا يسوف التوبة.

- لا يؤجل الإقلاع عن الذنب.
- يبادر بالاستغفار والتندم.

العمل الدؤوب:

- لا يتكاسل عن الطاعة.
- يبذل جهداً في عبادة ربه.
- يحرص على النوافل بعد الفرائض.

الحذر من التكذيب:

- من كذب بآيات الله في الدنيا، سيرى مصداقها في الآخرة حيث لا ينفع التصديق.

تربية النفس على زجرها عن الهوى

الآية تعلمنا:

- زجر النفس بقوة : عن اتباع الشهوات المحرمة.
- السيطرة على الهوى : قبل أن يسيطر الهوى على الإنسان ويقوده إلى الهلاك.
- استحضار الموت : فالموت قريب، والمشهد الحقيقي هو ما بعده.

بناء الأمل مع المبادرة بالتوبة

الآية لا تقطع الأمل في الدنيا، بل تقطعه في الآخرة. المعنى التربوي:

- الأمل موجود الآن : مادمت تتنفس، باب التوبة مفتوح.
- بادر بالتوبة : قبل أن يهجم عليك الموت فتندم حيث لا ينفع الندم.
- الفرصة متاحة اليوم : قد لا تكون متاحة غداً.

الرد الإلهي كأشد أنواع العذاب النفسي

قوله "اخسئوا فيها ولا تكلمون" يمثل:

- أشد العذاب النفسي : الحرمان من الكلام مع الله.
- دليل غضب الله : هذا الرد القاطع يدل على سخط الله عليهم.
- عدم استجابة الدعاء : كل دعواتهم السابقة لم تستجب، وهذا الرد الأخير يغلق الباب.

إنه درس للمؤمنين:

- احذروا عاقبة التكذيب.
- احذروا الاستهزاء بآيات الله.
- استغلوا الفرصة الحالية قبل أن يحال بينكم وبين العمل.

خلاصة شاملة: دور المفاهيم في البناء والتنمية

المفهوم دلالتة في الآية دوره في البناء والتنمية
الجزاء من جنس العمل "اخسئوا" جزاء التكبر بناء مجتمع متواضع، القضاء على التكبر
الكرامة باتباع منهج الله تحول المستكبرين إلى مخلوقات تطرد احترام الحق، تعظيم حدود الله
صيانة اللسان "ولا تكلمون" حرمان من الكلام تربية المؤمن على حفظ لسانه من الباطل
خطورة الغرور الرجاء انقطع بعد الفرصة الضائعة بناء إنسان جاد متيقظ، القضاء على الغفلة
العمل هو الآن لا عودة ولا فرصة ثانية استغلال الوقت، المبادرة بالتوبة، الحزم في الطاعة

الخاتمة

إن الآية الكريمة "قَالَ اخْسِئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُوا" تقدم لنا أبلغ درس في:

- عاقبة التكبر والاستكبار عن آيات الله.
- أهمية استغلال الفرصة الحالية قبل فوات الأوان.
- قيمة الكرامة الحقيقية التي لا تكون إلا بطاعة الله.
- خطورة إطلاق اللسان في الباطل.
- أن الجزاء من جنس العمل، فكما تدين تدان.

إنها دعوة لكل مسلم أن:

- يتواضع لله ولعباده قبل أن يخسأ في النار.
- يحفظ لسانه عن الباطل قبل أن يحرم من الكلام مع الله.
- يبادر بالتوبة والاستغفار قبل أن يقال له "اخسأوا فيها ولا تكلمون".
- يستغل الفرصة الحالية في طاعة الله قبل أن تغلق الأبواب ولا ينفع الندم.

فالدنيا دار عمل لا دار جزاء، والآخرة دار جزاء لا دار عمل. فمن زرع في الدنيا حصد في الآخرة، ومن ضيع الفرصة ندم حيث لا ينفع الندم.

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَسْأَلُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ" (الحشر: 18-19).

تاسعا

تفسير الآية 109 من سورة المؤمنون:

"إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ"

مقدمة حول الآية

تأتي هذه الآية الكريمة في سياق مشهد يوم القيامة، حيث يجري الله حواراً مع الكفار والمجرمين ويفزعهم على تكذيبهم واستهزائهم بالمؤمنين في الدنيا. بعد أن يئس الكفار من الخروج من النار وضدوا بالرد الإلهي القاطع "اخسأوا فيها ولا تكلمون" (المؤمنون: 108)، يلفت الله أنظارهم إلى حقيقة غابوا عنها: أن هناك فريقاً آخر من عباده كانوا في الدنيا مستضعفين، يتضرعون إلى الله ويطلبون مغفرته ورحمته، فكانت عاقبتهم الجنة ورضوان الله.

الآية 109 هي نموذج للثناء الإلهي على المؤمنين الصادقين، وفيها إشارة إلى أن الله لم ينس دعاءهم وتضرعهم، وسيكرمهم يوم القيامة. وهي تمثل جانباً مهماً من أسلوب القرآن في التربية والترغيب إلى جانب الترهيب.

المقاصد والأهداف العامة للآية

1. الموازنة بين مصير المؤمنين والكافرين: بعد عرض مشهد العذاب والخذلان للكافرين، تأتي هذه الآية لتظهر مشهد النعيم والكرامة للمؤمنين، ليكون المشهدين متكاملين في التربية على الخوف والرجاء.
2. بيان فضل الدعاء والاستغفار: الآية تبرز أهمية التوجه إلى الله بالدعاء والاعتراف بالإيمان، وطلب المغفرة والرحمة.
3. إظهار تكريم الله لعباده المؤمنين: بإضافتهم إليه "عبادي"، وهي إضافة تشريف وتكريم.
4. الرد على استهزاء الكفار بالمؤمنين في الدنيا: فالكفار كانوا يسخرون من هؤلاء المستضعفين، و الله يُظهر لهم يوم القيامة أن هؤلاء هم الفائزون.
5. تعليم المؤمنين آداب الدعاء: من خلال صيغة الدعاء التي يحكيها القرآن عنهم.

الأفكار الرئيسية التي تتحدث عنها الآية

- وجود فريقين من الناس: فريق مؤمن يدعو ربه ويتضرع إليه، وفريق كافر يُكذَّب ويستهزئ.
- صفات المؤمنين الناجحين: الإيمان بالله، طلب المغفرة والرحمة، الثناء على الله بأنه خير الراحمين.
- عناية الله بالمؤمنين: فهو يسمع دعاءهم ويكرمهم بإضافتهم إليه.
- التربية بالترغيب: بعد الترهيب في الآيات السابقة، يأتي الترغيب لتحفيز النفوس على الإيمان والعمل الصالح.

الدلالات اللغوية والبيانية والبلاغية والتجويدية

الدلالات اللغوية

- "إِلهٌ": ضمير الشأن يفيد التفخيم والتعظيم، أي أن الشأن والعجب من أمر هذا الفريق.
- "كَانَ": فعل ماضٍ يدل على أن هذا الفريق كان موجوداً في الدنيا واستمر على هذه الحال، أو أن أمرهم قد تحقق وثبت.
- "قَرِيبٌ": نكرة للتعظيم أو للدلالة على أنهم جماعة متميزة، وليس مجرد أفراد.
- "مِنْ عِبَادِي": "مِنْ" لبيان الجنس، و"عِبَادِي" إضافة تشريف وتكريم، فالله أضافهم إليه تشريفاً لهم.
- "يَقُولُونَ": فعل مضارع يدل على الاستمرار والتكرار، أي أنهم كانوا يدعون بهذا الدعاء باستمرار.
- "رَبَّنَا": نداء بالربوبية، فيه إقرار بأن الله هو المربي والمتصرف.
- "أَمَّا": فعل ماضٍ يدل على تحقيق الإيمان واستقراره.
- "فَاغْفِرْ لَنَا": الفاء للسببية، أي بسبب إيماننا فاغفر لنا.
- "وَارْحَمْنَا": عطف الرحمة على المغفرة، لأن المغفرة تمحو الذنب، والرحمة تجلب الخير.
- "وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ": جملة اسمية تفيد الثناء والتوسل بصفات الله.

الدلالات البلاغية

1. الإطناب بالثناء: الآية جاءت مطولة في وصف دعاء المؤمنين، مع أن الأصل يمكن اختصاره، ولكن الإطناب هنا للدلالة على أهمية هذا الدعاء وقيّمته عند الله.
2. الالتفات: الآية التفتت من خطاب الكفار إلى ذكر المؤمنين بصيغة الغيبة، وهذا الالتفات يلفت الانتباه إلى المفارقة بين الفريقين.
3. التكرار المعنوي: تكرار صيغ الدعاء (أما، اغفر لنا، ارحمنا) يؤكد على شمولية طلبهم وإلحاحهم.
4. التقديم والتأخير: قدّم الإيمان على طلب المغفرة، لأن الإيمان هو أساس قبول الدعاء.
5. التشبيه الضمني: في قولهم "وأنت خير الراحمين" فيه تشبيه ضمني برحمة المخلوقين، وأن رحمته تفوق كل رحمة.

اللمسات التجويدية

- الإظهار في "إِلهٌ": إظهار الهاء يُبقي على وضوح اللفظ، ويعطي قوة للجملة.
- الوقف على "عِبَادِي": الوقف بالياء يظهر تشريف الإضافة.
- مد كلمة "الرَّاحِمِينَ": مد عارض للسكون عند الوقف، يعطي امتداداً صوتياً يناسب معنى الرحمة الواسعة.
- الإخفاء في "مِنْ عِبَادِي": إخفاء النون الساكنة عند العين، يعطي نغمة موسيقية تخدم جمال التلاوة.

١/ أسلوب المدح والثناء للفريق الناجح كطريقة تربوية

دوره في بناء المجتمع وتربية الأجيال

الآية الكريمة تتبع أسلوباً قرآنياً عظيماً في التربية: الموازنة بين الترهيب والترغيب. فبعد أن عرضت الآيات السابقة مشاهد مرعبة لأهل النار (الترهيب)، تأتي هذه الآية لتعرض صورة مشرقة لأهل الجنة (الترغيب). هذا الأسلوب له فوائد تربوية ونفسية عميقة:

أولاً: دفع الناجح إلى المزيد من الاهتمام:

- عندما يُمدح المؤمنون ويثنى عليهم، تزداد ثقتهم بطريقهم، ويزداد حماسهم للاستمرار بل والارتقاء.
- المدح الإلهي هنا ليس مجرد كلمات، بل هو تشريف وتكريم ("عِبَادِي") يدفع المؤمن للاعتزاز بإيمانه.

ثانياً: توجيه المقصر إلى الانتباه:

- المقصر الذي يرى عاقبة المؤمنين الصادقين، يدرك أن الطريق لا يزال مفتوحاً، فيتوب ويُصلح.
- المقارنة بين مصير الفريقين تخلق نوعاً من "الغيرة الإيمانية" التي تدفع للتغيير.

ثالثاً: بناء الصحة النفسية للمجتمع:

- الترهيب وحده يُسبب القلق والاكتئاب، والترغيب وحده يُسبب الغرور والتهاون. الجمع بينهما يحقق التوازن النفسي.
- المؤمن الذي يعيش بين الخوف والرجاء يكون أكثر استقراراً نفسياً، لأنه لا ييأس من رحمة الله و لا يأمن مكره.

رابعاً: خلق ثقافة القدوة الحسنة:

- عرض صفات الفريق الناجح (الإيمان، الدعاء، طلب المغفرة) يجعل من هذه الصفات نموذجاً يُحتذى.
- الأجيال تتربى على حب هذه الصفات والسعي لتحقيقها.

خامساً: تعزيز الأمل في المجتمع:

- في مقابل مشاهد العذاب، يأتي مشهد الرحمة ليبقى باب الأمل مفتوحاً، وهذا ضروري لاستمرار الحياة والعمل.

٢/ مفهوم التفاضل بين العباد ودلالة "عبادي"

دلالة إضافة "عبادي" للمولى عز وجل

إضافة الله للمؤمنين إلى نفسه بقوله "من عبّادي" تحمل أعمق دلالات التكريم والتشريف:

1. التشريف بالانتساب: كما يُقال "هذا غلام الأمير" تشريفاً، فالله أضافهم إليه تشريفاً وتكريماً.
2. الإشارة إلى الاختصاص: هم عباد الله حقاً، الذين حققوا العبودية لله بصدق، بخلاف غيرهم ممن يدعون العبودية وهم كاذبون.
3. الإعلان عن المحبة: الإضافة هنا تدل على المحبة والقرب، فهم عباد أحبهم الله فأضافهم إليه.

كيف نستفيد من هذه الدلالة في حياتنا اليومية؟

- الاعتزاز بالعبودية لله: عندما نعلم أن الله يفتخر بنا ويضيفنا إليه، نشعر بقيمة العبودية لله، ونسعى لتحقيقها بأكمل وجه.
- التحرر من العبودية للبشر: من أضافه الله إليه، لا يرضى أن يكون عبداً لأحد سواه.
- استشعار الرقابة الإلهية: كوننا "عباد الله" يجعلنا نستحي أن نرتكب ما لا يرضيه.
- التواضع لله: العبودية تعني الخضوع والذل لله، وهذا يمنع الكبر والغرور.

دور الآية في تثبيت المؤمنين في الدنيا

المؤمنون في الدنيا قد يتعرضون للسخرية والاستهزاء من الكفار والمنافقين، كما كان يحدث للمستضعفين من أصحاب النبي ﷺ. هذه الآية تخاطبهم:

- لا تحزنوا مما تسمعون، فالله يعلم حالكم وسيظهر لكم كرامتكم يوم القيامة.
- استمروا في دعائكم، فهذا الدعاء مسموع عند الله.
- أنتم "عبادي"، وهذا أعظم تكريم.

التحذير من السخرية من العلماء والدعاة والضعفاء المؤمنين

الآية تحمل تحذيراً ضمناً لمن يسخر من المؤمنين:

- هؤلاء الذين تسخرون منهم هم "عبادي" كما يقول الله.
- من يسخر من عباد الله، فقد تعرض لسخط الله.
- تاريخ الأمم السابقة مليء بأمثلة من سخرؤا من المؤمنين فكانت عاقبتهم وخيمة.

دلالة تكرار "إن" المشددة في سياق الآيات

في الآيات السابقة (105-108) تكررت "إن" المشددة في قوله: "ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون * قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا ... * قال اخسثوا فيها وثا تكلمون * إنه كان فريق من عبادي ...".

هذا التكرار يفيد:

- تأكيد كل مشهد من مشاهد القيامة.
- المقابلة بين الفريقين، فكما أكد مصير الكفار بـ "إن" المشددة، أكد مصير المؤمنين بـ "إن" المشددة.
- لفت الانتباه إلى العدل الإلهي، فكل فريق أخذ جزاءه بعدل.

وعلاقة هذا بالتحذير من الاستهزاء بالمؤمنين: أن الاستهزاء بهم هو في الحقيقة استهزاء بمن أضافهم إليه (الله)، فمن استهزأ بهم فقد استهزأ بالله، وهذا ما أوقع الكفار في العذاب.

التعليل: السخرية والتكذيب أدبا إلى الانحراف والتعصب

الآيات السابقة ذكرت أن الكفار كذبوا بآيات الله واستهزأوا بالمؤمنين. هذا الاستهزاء والتكذيب:

- أدى بهم إلى الانحراف عن طريق الحق.
- أوقعهم في التعصب ضد المؤمنين.
- كان سبباً في عذابهم الأبدي.

عدم الاستغفار سبب لعدم رفع العذاب

المؤمنون في الآية يطلبون المغفرة والرحمة. أما الكفار:

- لم يستغفروا في الدنيا، بل استمروا في التكذيب.
- لم يتوبوا عن ذنوبهم.
- فلم ينالوا رحمة الله، بينما نالها المؤمنون المستغفرون.

٣/ بيان أن طريق الرحمة إلى الله هو الإيمان الصادق والدعاء

الآية ترسم الطريق إلى رحمة الله بوضوح:

1. الإيمان الصادق: "آمنّا" فعل ماض يدل على التحقيق والثبات.
2. الاعتراف بالربوبية: "ربنا" نداء يقر بأن الله هو المربي والمتصرف.
3. طلب المغفرة: "فاغفر لنا" اعتراف بالتقصير.
4. طلب الرحمة: "وارحمنا" طلب للخير والفضل.
5. الثناء على الله: "وأنت خير الراحمين" توسل بأسماء الله وصفاته.

دور هذا المفهوم في بناء الإنسان

بناء الإنسان نفسياً:

- الإيمان يمنح الطمأنينة النفسية (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله).
- الدعاء يفرغ الشحنات السلبية ويبعث الأمل.
- طلب المغفرة يخلص الإنسان من عقدة الذنب المزمنة.

بناء الإنسان جسدياً:

- الإيمان يحث على النظافة والطهارة والاعتدال في الأكل والشرب.
- الدعاء يقلل التوتر الذي يسبب الأمراض النفسجسمية.

بناء الإنسان عقلياً:

- الإيمان يدعو للتفكير والتدبر في آيات الله.
- الدعاء يعترف بقصور العقل البشري وحاجته إلى الهداية.

بناء الإنسان ثقافياً:

- الإيمان يكسب الإنسان رؤية كونية متكاملة عن الحياة والكون.
- الدعاء يربط الإنسان بتراث الأنبياء والصالحين في الدعاء.

بناء الإنسان اجتماعياً:

- المؤمنون فريق واحد يدعو بعضهم لبعض.
- التكافل الاجتماعي ثمرة الإيمان والرحمة.

٤/ آداب الدعاء المستفادة من الآية

الآية تقدم لنا نموذجاً متكاملًا لآداب الدعاء:

١. الابتداء بالربوبية (ربنا):

- الاعتراف بأن الله هو المربي والمدبر.
- التوسل إليه بصفة الربوبية التي تقتضي الرحمة والرعاية.

٢. تقديم الإيمان على الطلب (آمنا):

- الإيمان شرط لقبول الدعاء.
- تقديم ما لله (الإيمان) قبل طلب ما للنفس.

٣. الفاء في "فاغفر لنا":

- تفيد السببية، أي بسبب إيماننا فاغفر لنا.
- تدل على الإلحاح والطلب المباشر.

٤. طلب المغفرة قبل الرحمة:

- المغفرة تمحو الذنوب، والرحمة تجلب الخير.
- لا يمكن أن تنال رحمة الله ما لم تغفر ذنوبك أولاً .

٥. شمولية الطلب (لنا):

- الدعاء للنفس وللجماعة، وليس للفرد فقط.
- روح الجماعة في الدعاء.

٦. التوسل بصفات الله (وأنت خير الراحمين):

- الثناء على الله بما هو أهله.
- التوسل إليه بصفاته العليا.

٧. الاستمرار في الدعاء (يقولون):

- الفعل المضارع يدل على التكرار والاستمرار.
- الدعاء ليس مرة واحدة، بل هو دين المؤمنين.

٥/ أهمية الموازنة بين الخوف والرجاء

الآية تحقق التوازن بين الخوف والرجاء:

الخوف متمثل في:

- الاعتراف بالذنب (طلب المغفرة يدل على وجود ذنوب).
- الخوف من عدم قبول الدعاء (لذلك يلحون ويكررون).

الرجاء متمثل في:

- الثقة برحمة الله (وأنت خير الراحمين).
- الأمل في المغفرة والرحمة.

دور هذا المفهوم في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

بناء الإنسان:

- الخوف يمنعه من التماذي في المعاصي.
- الرجاء يمنعه من اليأس والقنوط.
- التوازن ينتج إنساناً سوياً لا يغلو ولا يجفو.

بناء المجتمع:

- مجتمع الخوف وحده يتحول إلى مجتمع متشدد كئيب.
- مجتمع الرجاء وحده يتحول إلى مجتمع متساهل منحل.
- التوازن ينتج مجتمعاً ملتزماً ومتفائلاً " في آن.

بناء الحضارة:

- الحضارة الإسلامية قامت على هذا التوازن: الخوف من الله يدفع للعدل والإتقان، والرجاء يدفع لـ الابتكار والعمل.
- المجتمعات التي فقدت هذا التوازن سقطت في التطرف أو الانحلال.

٦/ دلالة تقديم المغفرة على الرحمة

تقديم "فاغفر لنا" على "وارحمنا" له دلالة عميقة:

- المغفرة هي محو الذنوب وإزالة العقوبة، وهي ضرورة أولاً " لتطهير الإنسان.
- الرحمة هي منح الخير والفضل، تأتي بعد التطهير.
- كما أن الزرع لا ينبت في أرض سبخة قبل تطهيرها، فلا تنال رحمة الله قبل مغفرته.
- هذا الترتيب يعلمنا أن نبدأ بتصفية الحساب القديم (المغفرة) ثم نطلب المعونة للمستقبل (الرحمة).

٧/ استشعار خطورة السخرية من الضعفاء المؤمنين

الآية تحذر من السخرية بالمؤمنين، وخاصة الضعفاء منهم، لأن:

- السخرية منهم هي في الحقيقة سخرية من إيمانهم.
- السخرية من إيمانهم هي استهزاء بالله الذي أمرهم بهذا الإيمان.
- هؤلاء الضعفاء هم "عباد الله"، فمن يهينهم فقد تعرض لغضب الله.

الآيات السابقة (سورة المؤمنون ككل) تحكي قصة الكفار الذين سخروا من المؤمنين، وكانت عاقبتهم النار. الآية 109 تذكر مصير المؤمنين الذين سخر منهم الكفار.

رسائل تربوية من هذا المفهوم

كيف نتعامل مع من أساء إلينا؟

- لا نشغل بذكر عيوب الآخرين والانتقام منهم.
- نترك أمرهم لله، فهو خير الراحمين.
- نستشعر رحمة الله في كل زمان ومكان.

استشعار رحمة الله:

- حتى في أشد اللحظات، لا نياس من رحمة الله.
- نلجأ إليه بالدعاء، فهو خير الراحمين.

٨/ مفهوم العودة إلى الله وجوهر النجاح الحقيقي

الآية ترسخ مفهوم النجاح الحقيقي:

- النجاح ليس في المال أو الجاه أو القوة.
- النجاح هو أن تكون من "عباد الله" الذين آمنوا ودعوا واستغفروا.
- الخسران هو أن تكون من المكذبين المستهزئين.

جوهر النجاح: الفخر بالعبودية لله

- أعظم فخر للمؤمن أن ينسبه الله إليه: "عبادي".
- العبودية لله هي أعلى مقامات الإنسان.
- الأنبياء كانوا يفخرون بعبوديتهم لله: "عبي إذا دعوتني" (حديث قدسي).

الإيمان أساس العمل الصالح

الإيمان ليس مجرد شعور، بل هو:

- دافع للعمل الصالح.
- أساس قبول الأعمال.
- سبب لنيل رحمة الله.

أهمية الدعاء والمداومة على التوبة والاستغفار

- الدعاء في الآية كان مستمراً (يقولون).
- المداومة على الدعاء والتوبة والاستغفار هي صفة الفريق الناجح.

الدعاء يرفع العذاب

- المؤمنون استحقوا الرحمة بدعائهم واستغفارهم.
- الكفار لم يستغفروا، فاستحقوا العذاب.
- الدعاء سبب لدفع البلاء ورفع العذاب.

آثار هذا المفهوم في البناء والتنمية

بناء الإنسان:

- الإنسان المؤمن العابد هو إنسان منتج، لأنه يعلم أن الله يحب العمل.
- الإنسان المستغفر هو إنسان متجدد، لا يقف عند أخطائه بل يتجاوزها.

تعزيز الوعي الإنساني:

- الوعي بأن النجاح الحقيقي هو عند الله، لا عند الناس.
- الوعي بأن الحياة الدنيا اختبار، والآخره هي دار القرار.

إقامة المجتمع الموحد:

- المجتمع الموحد هو المجتمع الذي يعبد الله وحده.
- المجتمع الموحد لا يعرف التفرقة بين أفرادهِ على أساس المال أو النسب.
- المجتمع الموحد تكون رابطة الإيمان فيه أقوى من أي رابطة أخرى.

بناء الدولة:

- الدولة التي تقوم على الإيمان والعدل هي دولة قوية متماسكة.
 - الدولة التي تهمل الإيمان وتستهيئ بالدين تنهار كما انهارت أمم كثيرة.
- خلاصة شاملة

المفهوم دلالتة في الآية دوره في البناء والتنمية
التربية بالترغيب مدح المؤمنين بعد ترهيب الكفار بناء مجتمع متوازن، صحة نفسية، دفع للإنجاز
التكريم الإلهي "عبادي" إضافة تشريف تعزيز ثقة المؤمن، الاعتزاز بالعبودية
طريق الرحمة الإيمان ثم الدعاء بناء إنسان متكامل نفسياً وجسدياً وعقلياً
آداب الدعاء الابتداء بالربوبية، تقديم الإيمان، طلب المغفرة أولاً ً تربية روحية، صلة وثيقة بالله
التوازن الخوف (طلب المغفرة) والرجاء (خير الراحمين) استقرار نفسي، مجتمع معتدل، حضارة متوازنة

تقديم المغفرة فاغفر لنا ثم وارحمنا تطهير قبل العطاء، حكمة في الترتيب
تحذير من السخرية سياق الآيات يربط السخرية بالعذاب احترام المؤمنين، ترك الحساب لله
جوهر النجاح العبودية لله والإيمان والدعاء إعادة تعريف النجاح، بناء الإنسان والأمة
الخاتمة
الآية 109 من سورة المؤمنون هي لوحة إيمانية رائعة، تقدم نموذجاً للفريق الناجح في الدنيا والآخرة. إنها تعلمنا:

- أن الإيمان والدعاء هما مفتاح رحمة الله.
- أن الله لا ينسى عباده المؤمنين، وسيكرمهم يوم القيامة.
- أن الموازنة بين الخوف والرجاء ضرورية لحياة متوازنة.
- أن السخرية من المؤمنين توقع في الهلاك، فلا ينبغي للمؤمن أن ينشغل بذلك بل يترك أمرهم لله.
- أن العبودية لله هي أعلى مقام، والفخر الحقيقي هو أن ينسبنا الله إليه.

عاشرا

تفسير الآية 110 من سورة المؤمنون:

"فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمُ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ"

مقدمة حول الآية

تأتي هذه الآية الكريمة في سياق الخطاب الإلهي الموجه للكفار والمجرمين يوم القيامة، بعد أن ساق الله تعالى مشهد اعترافهم بذنوبهم وطلبهم الخروج من النار، ثم الرد الإلهي القاطع "اخشئوا فيها ولا تكلمون" [المؤمنون: 108]. ثم ذكر الله تعالى فريق المؤمنين الصادقين الذين كانوا يدعون ربهم ويطلبون مغفرته ورحمته [المؤمنون: 109]. والآن، في هذه الآية، يوجه الله الخطاب للكافرين موبخاً إياهم على موقفهم من أولئك المؤمنين في الدنيا .

إنها آية تكشف عن جريمة أخلاقية كبرى ارتكبتها الكفار بحق عباد الله الصالحين، وهي جريمة الاستهزاء والسخرية والضحك منهم، وقد تجاوزت هذه الجريمة حدود الأخلاق السيئة إلى كونها سبباً في انحرافهم الأكبر: نسيان ذكر الله.

المقاصد والأهداف العامة للآية

1. توبيخ الكفار على موقفهم من المؤمنين: تذكيرهم بأنهم في الدنيا كانوا يسخرون من عباد الله الصالحين ويستهزئون بهم .
2. بيان خطورة الاستهزاء بالمؤمنين: وأن هذه السخرية ليست مجرد هفوة أخلاقية، بل هي جريمة عقابية تقود إلى الكفر والضلال.
3. كشف العلاقة الخبيثة بين الاستهزاء والغفلة: كيف أن الانشغال بالسخرية من الناس يؤدي إلى نسيان الله وذكره .

4. التحذير من عاقبة الاستهزاء: وأن المستهزئين سيلقون جزاءهم العادل يوم القيامة.
5. تربية الأمة على احترام المؤمنين وتوقيرهم: وعدم الاستخفاف بهم أو الاستهانة بقدرهم.

الأفكار الرئيسية التي تتحدث عنها الآية

- اتخاذ المؤمنين موضع سخرية: "فاتخذتموهم سخرى".
- الاستهزاء يؤدي إلى نسيان الله: "حتى أنسوكم ذكري".
- الضحك من المؤمنين: "وكنتم منهم تضحكون".
- الجزاء العادل: ما سيأتي في الآيات التالية من عذاب مقابل هذا الاستهزاء.

الدلالات اللغوية والبيانية والبلاغية والتجويدية

الدلالات اللغوية

- "فاتخذتموهم": الفاء للعطف على ما سبق، والفعل "اتخذتم" يدل على التكلف والتصنع، أي أنهم بذلوا جهداً في جعل المؤمنين موضع سخرية. والضمير "هم" يعود على المؤمنين المذكورين في الآية السابقة.
- "سخرى": بضم السين، وهي قراءة نافع وغيره، ومعناها الهزاء والاستهزاء. وفي قراءة أخرى بكسر السين (سخرى) بمعنى التسخير والاستعباد. والقراءتان تدلان على أنهم سخروا منهم واستضعفوه واستعبدوهم.
- "حتى أنسوكم ذكري": "حتى" للغاية، أي أن استهزاءهم وصل بهم إلى نهاية سيئة هي نسيان ذكر الله. "أنسوكم" أي جعلوكم تنسون، والفعل "أنسى" يدل على التسبب في النسيان.
- "ذكري": إضافة الله الذكر إلى نفسه تشير إلى عظمة المذكور (الله) وأهمية الذكر.
- "وكنتم منهم تضحكون": الواو للحال، والجملة تبين حالتهم في الدنيا، والضحك هنا هو ضحك استهزاء وسخرية، وليس ضحك فرح وسرور.

الدلالات البلاغية

1. التوبيخ والتهديد:
الآية موجهة للكفار بصيغة الخطاب المباشر "فاتخذتموهم"، وهذا أسلوب توبيخي يهدف إلى تقييدهم وتأنيبهم على فعلتهم الشنيعة.
2. التصوير البياني للاستهزاء:
استخدام كلمة "سخرى" مع صيغة المبالغة في "اتخذتموهم" تصور مشهداً مقززاً لقوم جعلوا من عباد الله الصالحين مادة للتسلية والضحك، وكأنهم لا قيمة لهم سوى أن يكونوا أضحوكة.
3. ربط الأسباب بالمسببات:
الآية تربط بين سبب (الاستهزاء) ونتيجة (نسيان الذكر)، وهذا أسلوب قرآني في بيان سنن الله في تغيير أحوال الناس.
4. المقابلة بين الفريقين:
الآية السابقة [109] كانت عن فريق يدعو ربه ويطلب مغفرته، وهذه الآية عن فريق يسخر من ذلك الفريق. المقابلة تظهر الفرق الشاسع بين المؤمنين والكافرين.
5. الإيجاز المعجز:
الآية بجمالها القصيرة استوعبت معاني عظيمة: الاستهزاء، نسيان الذكر، الضحك، كل ذلك في آية واحدة.

اللمسات التجويدية

- مد كلمة "سخرى": مد عارض للسكون عند الوقف، يعطي امتداداً صوتياً يناسب معنى الاستهزاء الممتد والمستمر.
- الإخفاء في "أنسوكم": إخفاء النون الساكنة عند السين، يعطي نغمة موسيقية تخدم جمال التلاوة.
- الوقف على "ذكري": الوقوف بالياء يظهر تشريف الإضافة.
- الإدغام في "منهم تضحكون": إدغام الميم في التاء بعدها، يعطي اندماجاً صوتياً يناسب معنى الانشغال بالضحك حتى النسيان.

١/ حرمة الاستهزاء بالناس: مفهومه وأضراره ودوره في البناء المجتمعي

ماذا يعني الاستهزاء؟

الاستهزاء هو احتقار الآخرين والاستخفاف بهم والسخرية منهم، سواء بالقول أو بالفعل أو بالإشارة . قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُمْ" [الحجرات: 11] .

أضرار الاستهزاء على المجتمع عندما يتفشى

عندما يتحول الاستهزاء إلى ظاهرة اجتماعية، فإن آثاره تكون مدمرة:

أولاً: تفكك العلاقات الاجتماعية:

- الاستهزاء يقتل المحبة بين الناس ويحولها إلى بغضاء وشحناء .
- قال رسول الله ﷺ: "بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم" .

ثانياً: انتشار التنمر والعنف:

- السخرية تؤدي إلى التنمر، والتنمر يؤدي إلى العنف والانتقام .
- كثير من المشاكل الاجتماعية والعائلية تبدأ بسخرية بسيطة ثم تتطور إلى قطيعة وخصومة.

ثالثاً: تحطيم الثقة بالنفس للآخرين:

- المستهزأ به قد يعاني من آثار نفسية عميقة، قد تمتد لسنوات.
- قد يفقد ثقته بنفسه وقدرته على العطاء والإنتاج.

رابعاً: خلق ثقافة التسلط والاستعلاء:

- الاستهزاء يعزز ثقافة "الأنا" المتضخمة التي تحتقر الآخرين.
- يخلق مجتمعاً طبقياً يميز بين القوي والضعيف، الغني والفقير، الجميل والأقل جمالا .

خامساً: إلقاء الناس عن القضايا الجادة:

- الانشغال بالسخرية يصرف الناس عن القضايا المهمة، كما حدث مع الكفار الذين أنساهم استهزاؤهم ذكر الله .

دور الآية في تربية الإنسان والمجتمع الفاضل

هذه الآية تقدم منهجاً متكاملًا لبناء مجتمع سليم:

بناء الإنسان نفسياً:

- تربيته على تقدير الذات والثقة بها دون حاجة لتحقير الآخرين.
- تعليمه أن الكرامة الحقيقية ليست في السخرية من الآخرين، بل في احترامهم.

بناء الإنسان جسدياً:

- المجتمع الخالي من السخرية هو مجتمع صحي، خال من الضغوط النفسية التي تسبب الأمراض.
- الصحة النفسية تؤدي إلى صحة جسدية أفضل.

بناء الإنسان أخلاقياً:

- تربيته على الأخلاق النبوية: الرفق، التواضع، الاحترام.

• تعليمه أن خير الناس أنفعهم للناس، وليس أسخرهم منهم.

بناء الإنسان ثقافياً:

• ثقافة الاحترام والتقدير تنتج مجتمعاً مثقفاً واعياً.

• ثقافة السخرية تنتج مجتمعاً سطحياً هابطاً.

بناء الإنسان اجتماعياً:

• المجتمع المبني على الاحترام هو مجتمع متماسك متعاون.

• قال الإمام القرطبي: "ينبغي أن لا يجترأ أحدٌ على الاستهزاء بمن يقتحمه بعينه إذا رآه رثّ الحال ، أو ذا عاهة في بدن، أو غير لبق في محادثته، فلعله أخلص ضميراً أو أنقى قلباً ممن هو على ضد صفته؛ فيظلم نفسه بتحقيق من وفره الله، والاستهزاء بمن عظمه الله".

بناء الإنسان اقتصادياً:

• المجتمع المتماسك المتعاون يكون أكثر إنتاجية وابتكاراً.

• السخرية والتنمر تقتل الإبداع، لأن المبدع يحتاج إلى بيئة آمنة ليبدع.

بناء الإنسان سياسياً:

• المجتمع المبني على الاحترام هو مجتمع قوي موحد.

• المجتمع المليء بالسخرية والتنمر هو مجتمع متشرذم ضعيف.

٢/ أهمية محاسبة النفس والوعي الذاتي

ماذا يعني مفهوم محاسبة النفس؟

محاسبة النفس هي "عملية تقييم ومراجعة لأفعال الإنسان وأقواله؛ بهدف الوقوف على مواطن التقصير والخلل، ومحاولة الإصلاح للنفس". وهي عملية مستمرة، وليست حدثاً عابراً، تتطلب من المسلم أن يكون صادقاً مع نفسه، وأن يسعى جاهداً إلى إصلاحها وتزكيتها .

دلالة المفهوم في الآية

الآية تقدم نموذجاً مضاداً لمحاسبة النفس: قوم لم يحاسبوا أنفسهم في الدنيا، فاستمروا بالسخرية و الاستهزاء، حتى أنساهم ذلك ذكر الله. لو حاسبوا أنفسهم لانتبهوا إلى خطورة ما يفعلون، ولتداركوا الأمر قبل فوات الأوان.

دور محاسبة النفس في تربية الفرد المسلم

١. اكتشاف العيوب والنقائص:

محاسبة النفس تساعد على اكتشاف العيوب مثل حب السخرية والاستهزاء، فتعمل على علاجها .

٢. تعزيز الوعي الذاتي:

المحاسبة تجعل الإنسان أكثر وعياً بسلوكه وتصرفاته، فيضبط نفسه قبل أن يزل لسانه بسخرية تؤذي الآخرين .

٣. تحسين العلاقات مع الآخرين:

من يحاسب نفسه يدرك أثر كلماته على الآخرين، فيحسن التعامل معهم .

٤. تحقيق السلام الداخلي:

الرضا عن النفس يأتي عندما يعلم الإنسان أنه لم يظلم أحداً أو يستهزئ به .

٥. تقريب العبد من ربه:

محاسبة النفس تدفع إلى التوبة والاستغفار، وتزيد من خشية والتقوى .

أقوال العلماء في محاسبة النفس

- قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتأهبوا للعرض الأكبر".
- قال الحسن البصري: "المؤمن قوام على نفسه يحاسب نفسه لله، وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا".
- قال ميمون بن مهران: "لا يكون العبد تقياً حتى يحاسب نفسه كما يحاسب شريكه".

دور محاسبة النفس في إنشاء مجتمع متماسك

القضاء على التنمر:

- من يحاسب نفسه يتردد قبل أن يسخر من أحد، فيتجنب التنمر.
- المجتمع المحاسب لنفسه هو مجتمع خال من التنمر والتحقير.

القضاء على الشحناء والبغضاء:

- السخرية تسبب الشحناء، ومحاسبة النفس تمنع السخرية.
- مجتمع بلا سخرية هو مجتمع بلا أحقاد وضغائن.

بناء أخلاق الوقار والجدية:

- محاسبة النفس تربي الإنسان على الجدية والوقار، وتبعده عن الهزل والسخف.
- المجتمع الجاد هو مجتمع منتج وعامل.

ترك الضحك المبالغ فيه:

- الضحك المبالغ فيه على حساب حقوق الآخرين وواجباتهم هو ضحك مذموم.
- الآية تذم الذين "يضحكون" من المؤمنين، لأن ضحكهم كان استهزاءً وتحقيراً
- ٣/ مفهوم المحبة والتقدير لأهل الحق

ماذا يعني مفهوم محبة أهل الحق؟

محبة أهل الحق تعني: تقدير المؤمنين الصادقين، واحترامهم، والاقتداء بهم، والدفاع عنهم، وعدم الاستهانة بهم أو السخرية منهم. الآية تذم الذين اتخذوا المؤمنين سخرياً، مما يدل على وجوب عكس ذلك: محبتهم وتقديرهم.

كيف تعمل الآية على دفع التربية على محبة أهل الحق؟

١. التعرف على صفاتهم:
الآية السابقة [109] ذكرت صفات المؤمنين: إيمان، دعاء، طلب مغفرة، توسل برحمة الله. التعرف على هذه الصفات يزرع محبتهم في القلب.

٢. استشعار مكانتهم عند الله:
الله أضافهم إليه "عبادي" [109]، فمن أحبهم فقد أحب من أحبهم الله.

٣. التحذير من عاقبة بغضهم:
الآية [110] تذكر عاقبة الذين سَخَرُوا منهم، وهذا يدفع المؤمن إلى محبتهم خوفاً من أن يصيبه ما أصاب السآخرين.

دور المفهوم في الحفاظ على القدوة الصالحة

أهمية القدوة الصالحة:

- القدوة الصالحة هي "من يسير على نهج النبي ﷺ، فيكون في ذاته قدوة إلى الخير".
- الأمة بحاجة إلى قدوات تهيئها وتلهمها .

هدم القذوات كأداة حرب فكرية:
أعداء الدين يسعون إلى هدم القذوات في نفوس المؤمنين من خلال:

- تصوير العلماء والدعاة بصور غير لائقة.
- السخرية منهم في وسائل التواصل الاجتماعي.
- نشر الأكاذيب والشائعات عنهم.

دور المؤمن في مواجهة هذا الغزو الفكري:

١. الوعي بالمخطط: إدراك أن استهداف القذوات هو استهداف للدين نفسه.
 ٢. نصرة العلماء والدعاة: بالدفاع عنهم ورد الشبهات عنهم.
 ٣. عدم المشاركة في السخرية: حتى لو كانت على سبيل المزاح.
 ٤. نشر محاسنهم: التعريف بجهودهم وعلمهم وأخلاقهم.
 ٥. الاقتداء بهم: العمل بما يدعون إليه، ليقفدي الآخرون بنا كما نقفدي نحن بهم.
- قال تعالى: "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ" [الأحزاب: 21] . ومن سار على نهجه من العلماء والدعاة فهم قذواتنا بعد النبي ﷺ.

٤/ خطر الانشغال بالتفاهات والسخرية من الآخرين

الآية تحذر من الانشغال بالتفاهات

الكفار في الآية انشغلوا بالسخرية من المؤمنين واتخاذهم موضع ضحك، حتى أنساهم ذلك ذكر الله . هذا هو خطر الانشغال بالتفاهات: أنها تلهي عن الجاد والمهم.

خطر السخرية في وسائل التواصل الاجتماعي

في عصرنا، أصبحت وسائل التواصل الاجتماعي ساحة واسعة للسخرية والاستهزاء :

١. المحتوى الهابط:
انتشار "المحتوى الهابط" الذي يعتمد على السخرية من الناس للترفيه .
 ٢. التنمر الإلكتروني:
السخرية من الآخرين عبر التعليقات والمنشورات، مما يسبب أضراراً نفسية كبيرة .
 ٣. تصوير الناس دون إذن:
تصوير الآخرين في مواقف محرجة ونشرها للسخرية منهم .
 ٤. السخرية من المتدينين:
كما كان الكفار يسخرون من المؤمنين، نرى اليوم من يسخر من الملتزمين بالدين.
- كيف تحارب الآفة الضحك والتهمك؟

١. تذكير بعاقبة السخرية:
الآية تذكر بأن الذين سخروا في الدنيا سيجدون جزاءهم في الآخرة.
٢. ربط السخرية بنسيان الله:
الضحك من المؤمنين والاستهزاء بهم ليس مجرد تصرف غير لائق، بل هو سبب للغفلة عن الله.
٣. توجيه الانتباه إلى الهدف الأسمى:
بدلاً من الانشغال بالسخرية، يجب أن نركز على الهدف الأسمى: ذكر الله وطاعته.
٤. الارتقاء بالأخلاق:

الآية تدعو إلى الارتقاء بأخلاق المجتمع المسلم، بحيث لا يكون فيه مكان للسخرية والاستهزاء.

٥/ مفهوم بناء المجتمع المسلم على الاحترام والتقدير المتبادل

كيف تحقق الآية هذا المفهوم؟

الآية تقدم نموذجاً سلبياً (السخرية) ثم تدمّه، وهذا يعني أن النموذج الإيجابي المطلوب هو الاحترام والتقدير المتبادل.

تحويل العلاقات الاجتماعية من مصدر غفلة إلى عون على الذكر

العلاقات قد تكون غفلة عندما:

- تتحول إلى سخرية واستهزاء.
- تلهي عن ذكر الله وعن الطاعة.
- تضيع الوقت فيما لا يفيد.

العلاقات تصبح عوناً على الذكر عندما:

- تكون قائمة على الاحترام والتقدير.
- تذكر بالله وتدعو إلى طاعته.
- تكون وسيلة للتعاون على البر والتقوى.

لماذا ركزت الآية على "تضحكون"؟

تعبير "وكنتم منهم تضحكون" يحمل دلالة مهمة:

- الضحك هنا هو ضحك استهزاء وتحقير.
- التركيز على الضحك لأن الإحساس بالتفوق على الآخرين والضحك منهم هو ذروة الاستهانة بهم.
- هذا الضحك هو الذي أنساهم ذكر الله، لأنه ملأ قلوبهم بالكبر والغرور.

ماذا تعني "أنسوكم ذكري"؟

"أنسوكم ذكري" تعني أن الاستهزاء بالمؤمنين كان سبباً في نسيان الكفار لذكر الله . وهذه دلالة خطيرة:

- الانشغال بعيوب الناس ينسيك عيوب نفسك.
- الانشغال بالسخرية من الآخرين ينسيك طاعة ربك.
- الانشغال بالضحك على المؤمنين ينسيك ذكر الله.

عقوبة نسيان الذكر ودلالاتها بمفهوم الجزء من جنس العمل

الجزء من جنس العمل:

- في الدنيا: من أنساه الاستهزاء ذكر الله، عوقب بنسيان الله له في الآخرة.
- قال تعالى: "وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ" [الحشر: 19] .
- من استهزأ بالمؤمنين في الدنيا، أذله الله في الآخرة بين يدي هؤلاء المؤمنين.

خلاصة شاملة: دور المفاهيم في البناء والتنمية

المفهوم دلالاته في الآية دوره في البناء والتنمية

حرمة الاستهزاء اتخذتهم سخرية بناء مجتمع محترم، خال من التنمر والتحقير
محاسبة النفس عدم محاسبتهم أدى إلى نسيان الذكر تربية على الوعي الذاتي، القضاء على الغفلة
محبة أهل الحق مقابل بغضهم والاستهزاء بهم الحفاظ على القدوات، حماية التراث الديني
خطر التفاهات انشغالهم بالسخرية حتى أنساهم الذكر توجيه الاهتمام إلى الجاد والمهم
الاحترام المتبادل عكس السخرية والاستهزاء علاقات اجتماعية متينة، مجتمع متماسك

الجزء من جنس العمل أنسوكم ذكرى (نسيان الذكر جزء الاستهزاء) استشعار عظمة الله، الخوف من سوء العاقبة

الخاتمة

الآية 110 من سورة المؤمنون هي آية عظيمة تحذر من آفة الاستهزاء والسخرية بالآخرين، خاصة بالمؤمنين الصادقين. إنها تكشف عن العلاقة الخبيثة بين الاستهزاء والغفلة، وكيف أن الانشغال بعيوب الناس والسخرية منهم ينسي الإنسان ذكر الله وطاعته.

هذه الآية تربي فينا:

- احترام الآخرين وعدم الاستهانة بهم.
- محاسبة أنفسنا قبل أن نزل ألسنتنا بكلمة تؤذي مسلماً.
- محبة أهل الحق وتقديرهم، فهم عباد الله الذين أكرمهم.
- الابتعاد عن التفاهات والتركيز على ما ينفع في الدنيا والآخرة.
- بناء مجتمع متماسك قائم على الاحترام المتبادل، لا على السخرية والاستهزاء.

نسأل الله أن يجعلنا ممن يحترمون عباد الله، ويحبونهم، ويذكرون الله كثيراً، وألا يجعلنا من الذين اتخذوا المؤمنين سخرياً فضلو وأضلو.

"رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ" [الحشر: 10].

أحدى عشر

الآية 111، حيث يقول الله تعالى: {إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَتُهمُّ هُمُ الْقَائِرُونَ}. هذه الآية الكريمة تمثل تنويجاً ربانياً لمسيرة المؤمنين الصابرين، وفيها من المعاني والدلالات ما يستحق الوقوف والتأمل.

مقدمة عن الآية وسياقها

تأتي هذه الآية في سياق الحديث عن فريقين: فريق المؤمنين المستضعفين الذين كانوا يصبرون على أذى المشركين واستهزائهم، وفريق الكافرين المستعبلين الذين كانوا يسخرون منهم في الدنيا. يختم الله هذا المشهد بإعلان الحكم النهائي في الآخرة: لقد حان يوم الجزاء، وفيه يكرم الله عباده الصابرين، ويجازيهم على صبرهم أعظم جزاء .

تفسير الآية بشكل إجمالي

يقول الله تعالى مخاطباً الكافرين الذين كانوا يسخرون من المؤمنين في الدنيا: {إِنِّي جَزَيْتُهُمُ} أي إني أتيب وأكرم هؤلاء المؤمنين الذين اتخذتموهم سخرياً، {الْيَوْمَ} أي يوم القيامة، {بِمَا صَبَرُوا} بسبب صبرهم العظيم الذي تحملوه في الدنيا على طاعتي، وعلى أذاكم، واستهزائكم بهم، حتى وصلوا إلي . وجزاؤهم هو {أَتُهمُّ هُمُ الْقَائِرُونَ} أي أنهم هم الظافرون بالنعيم المقيم، الناجون من الجحيم، الفائزون بالجنة والكرامة الأبدية .

الدلالات البيانية والبلاغية والتجويدية في الآية

1.**الدلالات البلاغية:

· الإظهار في مقام الإضمار: قال تعالى: {إِنِّي جَزَيْتُهُمُ} بصيغة المتكلم وحده، بصيغة العظمة، ولم يقل "جزينا" أو "جزاهم الله". وهذا يحمل دلالة بلاغية عميقة على التشريف والتكريم، فالله سبحانه وتعالى بنفسه يتولى الإعلان عن مكافأة عباده الصابرين، مما يدل على عظم شأن هذه المكافأة وعلو قدر هؤلاء الصابرين.

· الاختيار الدقيق للفظ "صبروا": لاحظ دقة التعبير القرآني، فلم يقل "بما صلوا" أو "بما صاموا" أو "بما عملوا"، بل قال {بِمَا صَبَرُوا}. (هذا يشير إلى أن الصبر هو المدخل الأساسي والمحرك الرئيسي لجميع الأعمال الصالحة . فالصلاة تحتاج إلى صبر، والصيام صبر، والزكاة صبر، بل إن الاستقامة على الدين في وجه الأذى هي أعلى درجات الصبر. فذكر الصبر هنا يشمل جميع أنواع الطاعات التي تحققت بفضل هذا الصبر.

· قصر الفوز عليهم: في قوله {أَتُهمُّ هُمُ الْقَائِرُونَ}، استخدم أسلوب الحصر بـ"هم" و"أل"، ليفيد أن الفوز الحقيقي الذي لا يشاركهم فيه أحد قد تحقق لهم وحدهم، دون الساخرين منهم أو من سار على نهجهم.

2.**الدلالات التجويدية والقراءات:

. قراءة "أنهم" بالفتح والكسر: ورد في هذه الآية قراءتان مشهورتان :
. قراءة الجمهور) أهل المدينة والبصرة (بفتح الهمزة: { أَنَّهُمْ }، على أن تكون في محل نصب بدلا ً
من المفعول به الثاني للفعل "جزيتهم"، والتقدير: جزيتهم الفوز.
. قراءة حمزة والكسائي بكسر الهمزة: { إِيَّاهُمْ }، على الاستئناف، وكأن الله تعالى بعد أن أخبر بجزائهم،
استأنف كلاماً جديداً يمدحهم فيه ويخبر بأنهم هم الفائزون.
. كلا القراءتين متواترتان وتؤيدان معنى عظيماً، فالأولى تؤكد أن جزاءهم نفس الفوز، والثانية تؤكد
أنهم هم المستحقون الحقيقيون لهذا الوصف.

المقاصد والأفكار الرئيسية في الآية

1/ مفهوم الصبر على طاعة الله وأذى المستهزئين

لم يقل الله "بما صبروا على أذاكم" فقط، بل قال {بِمَا صَبَرُوا} مطلقاً، ليشمل نوعين عظيمين من
الصبر:

. الصبر على طاعة الله: وهو حبس النفس على أداء الفرائض والواجبات، والمحافظة على الأوامر الإلهية في السر والعلن.
. الصبر على أذى المستهزئين: وهو تحمل الإيذاء المعنوي والمادي من الكافرين والمنافقين، وعدم الالتفات إلى سخريتهم واستهزائهم.

دقة اختيار كلمة {صَبَرُوا} دون غيرها تعلمنا أن الصبر هو الركيزة الأساسية لكل عمل صالح . فالصلاة
تحتاج إلى صبر على الوضوء، وعلى الخشوع، وعلى أدائها في أوقاتها. الصيام صبر عن المفطرات. بل
إن مقاومة الضغوط الاجتماعية والنفسية من أجل الثبات على الدين تحتاج إلى أعظم أنواع الصبر.

أهمية هذا الصبر في حياة المسلم لا تقدر بثمن، فهو الذي يجعل العبد ثابتاً على مبادئه، غير متزعزع
أمام العواصف. وقيمة الصبر المضاعفة تتجلى في هذه الآية، حيث ربط الله الجزاء العظيم (الفوز) بـ
الصبر وحده، وكأن الصبر هو المفتاح الذي يفتح أبواب الجنان.

2/ طبيعة الصبر الذي يستحق الجزاء العظيم: الصبر الاختياري الإيماني

الآية تصور نوعاً خاصاً من الصبر يستحق هذا الجزاء. إنه ليس الصبر الطبيعي الموجود لدى كل
الناس، فهناك فرق جوهري بين:

. الصبر كحالة طبيعية: يمارسه غير المؤمن أيضاً، كالصبر على مشقة العمل لتحقيق مكسب دنيوي، أو
الصبر على المرض اضطراراً. هذا صبر اضطراري لا أجر فيه لأنه لم يقترن بالإيمان والاحتساب.
. الصبر كخلق إيماني: هو الذي تصوره الآية {بِمَا صَبَرُوا}. إنه الصبر الاختياري الذي يكون "ابتغاء وجه
الله". إنه صبر العبد وهو يعلم أن الله يراه، وأنه سيخلف عليه خيراً مما أخذ منه، وأن الجزاء عند
الله أعظم وأبقى.

الآية تربي المؤمن على هذا المفهوم الراقى؛ أن يصبر احتساباً للأجر لا يأساً من الحياة. الصبر هنا
ليس مجرد انتظار سلبي للفرج، بل هو ثبات على الطاعة وامتناع عن المحرم في وقت الشدة. هو
عمل إيجابي وبذل وجهاد .

هذه القاعدة تحول لحظات الضيق إلى صبر غذاء روحاني يقوي العزيمة والهمة. عندما يصبر المؤمن
على أذى الناس، أو على فوات محبوب، وهو موقن بأن هذه اللحظة مرهونة عند الله، تتحول الآلام
في حياته إلى آمال، وتتحول الشدة إلى منحة، والبلاء إلى عطاء.

وهذا المفهوم هو أساس بناء الإنسان القوي والمجتمع الناجح. فالمجتمع الذي يتحلى أفرادُه بالصبر الإيماني هو مجتمع لا ينهار أمام الأزمات، ولا يستسلم للظروف، بل يتعلم كيف يواجه التحديات
ويديرها بمهارة عالية، متكلاً ً على الله أولاً ً، ثم على ما وهبه الله من عزيمة وإرادة. إنه مجتمع
قادر على تجاوز الأزمات، والنهوض من جديد، وصناعة التقدم والتنمية البشرية الحقيقية.

3/ الصبر كمنهج حياة للثبات على المبادئ

الصبر في هذه الآية ليس خلقاً عابراً، بل هو منهج حياة متكامل. من يتأمل سيرة الأنبياء والدعاة و
المصلحين عبر التاريخ يجد أن الصبر كان درعهم الواقى وسلاحهم الفعال في مواجهة الصعوبات و

الظلم واستهزاء الآخرين .

الثبات على المبادئ في وجه تيارات الباطل الجارفة، وفي وجه ثقافة السخرية والاستهزاء التي يمارسها أهل الضلال، لا يكون إلا بصبر عظيم. الصبر هنا يعني:

- الاستمرار في بذل الخير والدعوة إلى الله رغم قلة المستجيبين.
- عدم اليأس أو القنوط عندما يرى المؤمن أن الطريق طويل والعقبات كثيرة.
- التيقن بأن النصر مع الصبر، وأن العاقبة للمتقين.

كما قال الله تعالى: {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا} [البقرة: 269]. ومن أعظم الحكمة التي يؤتاها العبد أن يتخذ من الصبر منهجاً له في كل أمور حياته.

4/ مفهوم الفوز الحقيقي: {أَتُهُمُ هُمُ الْفَائِزُونَ}

تختتم الآية بهذه العبارة العظيمة التي تحدد المفهوم الحقيقي للفوز. الفوز في الدنيا قد يكون مؤقتاً زائفاً، فقد يظن الكافر أنه فائز بماله أو جاهه أو سلطانه، لكنه في الحقيقة خاسر. أما الفوز الحقيقي فهو ما أعلنه الله في هذه الآية: أن يكون العبد من الفائزين برضوان الله وجنته .

إنه الفوز الذي تذلل دونه كل مفاخر الدنيا. إنه الفوز الذي يمحو كل ألم وشقاء عانى منه المؤمن في سبيل الله. كما قال تعالى: {وَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ} [المطففين: 34]. هذا الفوز هو الذي يستحق أن تبذل من أجله الأرواح، وأن تصبر على تحمل المشاق والمصاعب.

إن تربية المؤمنين على هذا المفهوم يغير نظرتهم للحياة تماماً؛ فيصبح همهم الأول هو الفوز بهذا المقام العظيم، ويتضاءل في أعينهم كل ما يلقونه من أذى في سبيل الوصول إليه. ويصبح شعارهم: "ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار". فهذا المفهوم مهم في التربيته وبناء الانسان فالايه تعيد تشكيل رؤية الإنسان للحياة والنجاح والا ستمار الحقيقي. وهذا ما يتضح من خلال الوقوف على الاتي

1. دلالة التأكيد على الفوز: {أَتُهُمُ هُمُ الْفَائِزُونَ}

هذا التركيب القرآني الفريد يحمل أبلغ معاني التوكيد والحرص:

- توكيد بضمير الفصل "هم": في قواعد اللغة العربية، دخول الضمير "هم" بين المبتدأ والخبر) أو بين اسم إن وخبرها (يفيد الحصر والتخصيص . والمعنى: أن الفوز الحقيقي مقصور عليهم وحدهم، لا يشاركون فيه أحد ممن سخر منهم أو تخلف عن ركب الإيمان.
- تعريف "الفائزون" بال: أدخل "أل" على "فائزون" يفيد الاستغراق والشمول، أي أنهم المستوفون لجميع صفات الفوز، الفائزون بكل شيء: فازوا بالجنة، فازوا برضوان الله، فازوا بالنعيم المقيم، فازوا بالأمن من العذاب.

من هم الفائزون في نظر الله؟ ليس الفائز من جمع مالا ً أو بنى مجداً أو نال جاهاً. الفائزون في نظر الله هم الذين صبروا . هذا التعريف الإلهي يصحح المفاهيم تماماً، فالميزان الإلهي يختلف عن الموازين البشرية.

2. الفوز الذي يغطي كل ما فاتهم في الدنيا

هذه الآية تحمل بشرى عظيمة للمؤمنين: هذا الفوز العظيم يعوضهم عن كل شيء فاتهم في الدنيا . تأمل:

كل ما حرموا منه في الدنيا بسبب صبرهم:

- ربما حرموا من متع الدنيا وشهواتها.
- ربما فاتتهم مناصب ومراكز كان يمكن أن ينالوها لو سايروا الباطل.
- ربما عانوا من الفقر والمرض والأذى.
- ربما سخر منهم واستضعفوا.

هذا الفوز الإلهي {أَتُهُمُ هُمُ الْفَائِزُونَ} يأتي ليعوضهم بكل شيء:

. حرموا من لذائذ الدنيا؟ فازوا بلذائذ الجنة التي لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.
. حرموا من الكرامة الاجتماعية؟ فازوا بالكرامة الإلهية العظمى.
. عانوا من السخرية؟ صاروا اليوم في مقعد صدق عند مليك مقتدر، والذين سخروا منهم يعذبون.
إنها معادلة إلهية عادلة: ما أخذ منهم في الدنيا، أعطاهم أضعافه في الآخرة، بل أعطاهم ما لا يخطر على بال.

3. التباين الصارخ بين حال المؤمنين والكافرين

الآية (111) تأتي في سياق الآية التي قبلها مباشرة (110): {فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمُ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ} {المؤمنون: 110}

هذا التجاوز بين الآيتين يرسم لوحة متكاملة من التباين المذهل:

في الدنيا في الآخرة
المؤمنون مستضعفون، يُسَخَّرُ منهم، يُضْحَكُ عليهم. المؤمنون هم الفائزون، في نعيم وكرامة.
الكافرون سادة مستكبرون، ساخرون ضاحكون. الكافرون خاسرون، في العذاب والنكال.
إنه قلب كامل للموازن. الذي كان في القاع يصعد إلى القمة، والذي كان في القمة يهوي إلى الهاوية. هذا المشهد القرآني يهدف إلى:

. تثبيت المؤمنين: لا تنظروا إلى وضعكم الحالي، فالنهاية لكم والنصر لكم.
. تحذير الكافرين: لا تغتروا بقوتكم اليوم، فالغد لغيركم.

4. تغيير مفهوم النجاح والفوز الحقيقي

هذه الآية تحدث نقلة نوعية في وعي الإنسان، حيث تعيد تعريف النجاح:

. النجاح في ثقافة الدنيا: غالباً ما يقاس بالمال، والجاه، والشهرة، والقدرة على تحقيق الملذات، و السيطرة على الآخرين.
. النجاح في ميزان الآخرة: يقاس بالصبر على الطاعة، والبعد عن المعصية، وتحمل الأذى في سبيل الله، والثبات على المبادئ.

هذا التحول الجذري يجعل المؤمن:

. لا يحزن على ما فاتته من متع الدنيا، لأنه يعلم أن النجاح الحقيقي في شيء آخر.
. لا يغتر إذا رأى الكفار في نعيم، لأنه يعلم أن هذا النعيم مؤقت وأن العاقبة للمتقين.
. يعيد ترتيب أولوياته، فيجعل رضا الله هو الهدف الأسمى، وكل إنجاز دنيوي هو وسيلة لا غاية.

5. مفهوم الاستثمار في الآخرة: {إِنِّي جَزَيْتُهُمْ}

لفظة {جَزَيْتُهُمْ} تحمل في طياتها مفهوم المعاملة المالية والمبادلة. الجزاء هو العوض مقابل العمل، وكان الله تعالى يقول: لقد استثمروا في، والآن أنا أدفع لهم أرباح استثمارهم.

هذه الصياغة تعلمنا أن الدنيا سوق الآخرة، وأن الصبر هو رأس المال الحقيقي:

. الاستثمار في الدنيا: المغامرة والتضحية ببعض المال اليوم للحصول على أرباح أكبر غداً.
. الاستثمار في الآخرة: التضحية بالشهوات والراحة العاجلة، وتحمل الأذى والمشقة، للحصول على الفوز العظيم في الآخرة.

الصبر هو العملة الحقيقية التي نشترى بها الجنة. كما قال النبي ﷺ: "حَقَّتْ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحَقَّتْ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ". الطريق إلى الجنة ليس مفروشا بالورود، بل بالصبر والمكاره. الآية تؤكد أن كل لحظة صبر هي بمثابة ودیعة استثمارية تضعها في بنك الآخرة، وسيأتي اليوم الذي تقبض فيه أرباح هذه الودائع مضاعفة.

6. علاقة هذا المفهوم بالثبات أمام المغريات والابتلاءات

اليقين بأن "الجزاء" مؤجل ولكن عظيم، وأن "النتائج الحقيقية تظهر يوم الجزاء لا يوم العمل" هو الضمان الوحيد للثبات:

- عندما تهجم عليك المغريات (شهوة، مال حرام، منصب عن طريق محرم)، يتذكر المؤمن أن ثمن الا ستسلام لهذه المغريات هو خسارة الاستثمار الكبير. فيختار الصبر عن المعصية.
- عندما تهجم عليك الابتلاءات (مرض، فقر، أذى من الناس)، يتذكر المؤمن أن هذه الابتلاءات تزيد من رصيده الاستثماري عند الله، فيختار الصبر على البلاء.

7. بناء الإنسان القوي: تطوير الذات رغم الصعوبات

هذه الآية تخلق شخصية إنسانية فريدة، قادرة على:

1. عدم الالتفات إلى المثبتين والساخرين: عندما يكون همك الأكبر هو "جزاء الله" و"الفوز عنده"، فإن سخرية الساخرين تصبح كصوت الريح، لا تؤثر في مسيرك. أنت تعلم أن معيار نجاحك عند الله، وليس عند الناس.
2. التركيز على الهدف النهائي: المؤمن الذي تفهم هذه الآية يعيش بهدف واضح: "أريد أن أكون من الفائزين". هذا الهدف يوجه كل سلوكه وقراراته، ويجعله لا يضيع الوقت في تفاصيل لا تخدم هذا الهدف النهائي.
3. تطوير الذات رغم الصعوبات: الصبر ليس جموداً، بل هو طاقة دافعة للتطوير. المؤمن يصبر على الأذى ليستمر في دعوته، يصبر على الجهد ليتعلم ويتطور، يصبر على الفقر ليبقى عفيفاً. الصبر يحرر الطاقة الإنسانية لتنصرف في البناء والتعمير، بدلاً من أن تنصرف في الجزع واليأس.
4. تخطي العقبات: من يمتلك هذا المخزون الإيماني من الصبر، يرى العقبات كفرص لاكتساب المزيد من الأجر، وتدريبه على قوة التحمل، وبالتالي يتجاوزها بسهولة.

الخلاصة: دور هذه المفاهيم في البناء والتنمية

إن المجتمع الذي يتبنى هذه الرؤية القرآنية هو مجتمع:

- مرن وقادر على التكيف: لا ينهار أمام الأزمات، بل يتعامل معها بمهارة عالية.
- منتج وفعال: لأن أفراده لا يستسلمون لليأس، بل يواصلون العمل والأمل.
- متماسك: لأن أفراده يتعاطفون مع بعضهم، فالقوي يصبر على الضعيف، والغني يصبر في مساعدة الفقير.
- متطور ومتقدم: لأن التقدم يحتاج إلى صبر على البحث العلمي، وصبر على بناء المؤسسات، وصبر على التعليم والتدريب. الصبر هو المحرك الأساسي لأي نهضة حضارية.

الآية تضع حجر الأساس لبناء الإنسان الرباني الذي يعيش في الدنيا بمنظور الآخرة، ويستثمر كل لحظة من عمره ليحصد ثمار هذا الاستثمار يوم يلقى ربه.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الصابرين، وأن يرزقنا الفوز العظيم في الدنيا والآخرة
اثنا عشر

تفسير الآية 112 من سورة المؤمنون: {قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ} مقدمة عن الآية وسياقها

تأتي هذه الآية ضمن مشهد المحاكمة الإلهية العظمى يوم القيامة، بعد أن استقر الكافرون في النار، وبعد أن بين الله تعالى جزاء المؤمنين الصابرين وفوزهم العظيم في الآية السابقة [111]. هنا يبدأ فصل جديد من فصول الحساب، حيث يوجه الله سبحانه وتعالى - على سبيل التوبيخ والتقريع و التبكيت - سؤالاً لأهل النار. إنه سؤال استفهامي غايته إيقاظ القلوب الغافلة، وإظهار مقدار خسارتهم وضلالهم. لقد ضيعوا عمرهم القصير في الدنيا في غير طاعة الله، ولو صبروا تلك المدة اليسيرة لفازوا كما فاز أولياؤه المتقون.

الدلالات البيانية والبلاغية والتجويدية في الآية

1. الدلالات البلاغية:

- الاستفهام التوبيخي: دخلت "كم" الاستفهامية على الجملة لتقرير معنى التوبيخ واللوم. فالله لا

يسأل استعلاماً لجهل بمقدار لبثهم، إنما يسأل سؤال من يعلم ليواجههم بحقيقتهم، وليجعلهم يعترفون بقصر المدة التي قضوها في الدنيا مقابل الخلود في العذاب. هذا السؤال يحمل في طياته أشد معاني الأسف على ما فرطوا فيه.

· التعبير بـ "قال" بصيغة الماضي: قرأ جمهور القراء {قال} بلفظ الماضي . وهذا يدل على تحقق الوقوع وثبوته، وكأن المشهد قد انتهى وحصل، مما يزيد من قوة التصوير القرآني ويجعل السامع كأنه يراه عياناً.

· التأكيد بالتمييز "عدد سنين": لم يقل "كم لبثتم في الأرض سنين" فقط، بل قال {عَدَّ سنين}. إضافة "عدد" إلى "سنين" تفيد التأكيد على حصر المدة وتحديدتها بالعد والحساب. إنه تذكير لهم بأن أعمارهم كانت معدودة ومحدودة، وأن كل سنة وكل يوم وكل لحظة كانت تحصى عليهم، وسيسألون عنها.

2. الدلالات التجويدية والقراءات:

· قراءة {قال} و{قل}: ورد في هذه الآية قراءتان مشهورتان :

· قراءة الجمهور {قال} بصيغة الماضي، والفاعل ضمير مستتر تقديره "هو" أي الله سبحانه وتعالى. وهذا القول يقع عند النفخ في الصور ويوم البعث .

· قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي {قل} بصيغة الأمر، والخطاب موجّه للملك الموكل بإحياء الأموات أو لخازن النار .

· كلا القراءتين متواترتان وتؤيدان معنى عظيماً، فالأولى تؤكد أن الله بنفسه يواجههم بهذا السؤال، والثانية تبين عظمة الموقف وهيبته المشهد حيث تنزل الأوامر الإلهية لتنفيذ.

المقاصد والأفكار الرئيسية في الآية

1/ دلالة السؤال في ترسيخ مفهوم الوعي بزوال الدنيا وحتمية الحساب

هذا السؤال الإلهي هو بمثابة صدمة إدراكية للغافلين. إنه يدفع الإنسان إلى إدراك أن الوقت مهما طال فهو قصير، وأن الإقامة في الدنيا - حتى لو بلغت مئات السنين - هي مجرد ومضة سريعة في عمر الزمان الطويل، خاصة عندما تقارن بخلود الآخرة.

هذا المفهوم القرآني يحفز المؤمن على:

· إدارة الوقت وحسن استثماره: عندما يدرك الإنسان أن عمره محدود، فإنه يصبح أكثر حرصاً على استغلال كل لحظة فيما ينفعه في دنياه وأخراه. الوقت في القرآن الكريم هو محور الحياة وميدان العمل، وقد أقسم الله به في مطالع سور كثيرة (والعصر، والليل، والضحى، والفجر) تأكيداً على قيمته وعظمته .

· استشعار قصر الدنيا: هذه الآية تغرس في القلب حقيقة أن الدنيا مهما طالَّت فهي قصيرة، وأن ما مضى منها لا يمكن استرجاعه. كما قال بعض السلف: "أنفاسك خطواتك إلى أجلك".

· تنظيم الأولويات: إدراك أن الوجود الدنيوي مؤقت يجعل الإنسان يعيد ترتيب أولوياته اليومية، فلا ينشغل بالتوافه واللغو، ويجعل طاعة الله ومرضاته هي البوصلة التي توجه يومه .

2/ دور السؤال في تنمية المدارك وأهمية التفكير

الاستفهام في الآية يدعو إلى التفكير والتأمل في حقيقة الحياة. إنه يدفع الإنسان إلى:

· مقارنة القصير بالطويل: عندما يفكر المؤمن في أن عمر الدنيا بالنسبة لعمر الآخرة هو لا شيء، فإنه يزهد في ملذاتها الفانية، وينفر من سلوك الكفار الذين استهانوا بهذا العمر القصير وضيعوه في غير طاعة الله .

· تنمية الوعي المستقبلي: هذا المفهوم يبني عقلية المؤمن المستقبلية التي تعمل للغد، وتنظر إلى العواقب. إنها عقلية تستثمر الحاضر من أجل مستقبل أبدي مشرق، مما يخلق روحاً من التنافس على طاعة الله والخير .

· مراجعة النفس باستمرار: الآية تدفع الإنسان إلى أن يسأل نفسه قبل أن يسأل: كم لبثت في الأرض؟ كم عمرك فيما أفنيته؟ هذا السؤال الداخلي المستمر هو من أعلى درجات المحاسبة التي تربيها الآية في نفس المؤمن.

3/ مفهوم "الدنيا مزرعة الآخرة" وإيقاظ الإنسان من غفلته

الآية تجسد أروع تصوير لمفهوم "الدنيا مزرعة الآخرة". فكما أن المزارع يبذر البذور في موسم قصير ليحصد المحصول طوال العام، فالإنسان يبذر الأعمال الصالحة في عمره القصير ليحصد ثمارها في الجنة الخالدة .

هذا المفهوم يؤدي إلى:

- إيقاظ الإنسان من غفلة الانشغال بالدنيا: الآية تنادي في أعماق كل إنسان: انتبه! هذه الدنيا التي انشغلت بها ليست دار قرار، هي مجرد معبر. فلماذا كل هذا التعلق بها؟
- العمل للآخرة: إذا كانت الدنيا مزرعة، فالواجب هو الحرث والزرع والسقي والعناية، لا اللهو واللعب فوق الأرض. المؤمن الحقيقي هو من يفهم هذه المعادلة فيجعل همه الأكبر هو ما يزرعه لآخرفته .
- مراجعة النفس: الآية تدفع إلى محاسبة منتظمة: ماذا زرعت اليوم؟ ماذا أعددت للغد؟ إنها تجعل الإنسان في حالة يقظة دائمة تجاه استثمار عمره.

4/ فلسفة الوجود والرؤية للدنيا: ليست دار قرار

تصوّر الآية الحياة الدنيا في مشهدها هذا وكأنها مجرد فترات لبث قصيرة، حتى أن الكافرين أنفسهم عندما يسألون يقولون: {لَيْسَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ} [المؤمنون: 113] . استقصوا مدة حياتهم لعظم ما هم فيه من هول وعذاب.

هذه الرؤية القرآنية تغير حياة الإنسان جذرياً:

- استحضار الآخرة في كل يوم: عندما يعيش الإنسان مستحضراً أن حياته القصيرة هذه سيترتب عليها حياة أبدية لا نهاية لها، إما في الجنة وإما في النار، فإنه يضبط سلوكه وتصرفاته .
- قياس الأعمال بميزان الآخرة: يصبح المؤمن يزن كل عمل يفكر فيه: ما قيمة هذا العمل في ميزان الآخرة؟ هل سينجيني أم سيهلكني؟ هذا هو الحصاد الذي سنجنيه يوم القيامة .
- تزكية النفس بعقيدة الخلود: الآية تربي في المؤمن أن الخلود الحقيقي هو في الآخرة، وأن الجنة هي دار القرار، فيشتاق إليها ويعمل لها.

دور هذه المفاهيم في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

هذه الآية تقدم رؤية متكاملة لبناء الإنسان والمجتمع على أسس متينة:

1. بناء الإنسان القوي المنتج:

- الإنسان الذي يدرك أن عمره قصير واثمين لا يضيعه في اللهو واللغو، بل يسعى لتعلم ما ينفع، وإتقان عمله، وتطوير ذاته، وخدمة مجتمعه. إنه إنسان يعيش حياة متوازنة بين إعمار الأرض والا استعداد للآخرة، لأن إعمار الأرض هو نفسه عبادة إذا نوى به وجه الله .
- إدراك أن الدنيا مزرعة يدفعه إلى الابتعاد عن المعاصي، لأن المعاصي كالأفات التي تفسد الزرع قبل الحصاد.

2. بناء المجتمع المتحضر:

- مجتمع يدرك أفرادَه قيمة الوقت يصبح مجتمعاً منضبطاً ومنتجاً. التأخر في المواعيد، وإضاعة الوقت في ما لا ينفع، والكسل، كلها آفات تزول عندما يتربى الناس على هذه الآية .
- الوعي بأن الدنيا ليست دار قرار يخلق مجتمعاً متكافلاً غير متعلق بالدنيا تعلقاً أعمى. الأغنياء فيه لا يبخلون، والفقراء لا ييأسون، والجميع يعملون للآخرة .

3. بناء الحضارة وفق الرؤية الإسلامية:

- الحضارة الإسلامية قامت على أساس أن الدنيا مرحلة عمل وبناء وإعمار. فالمسلمون الأوائل فتحوا البلاد وبنوا الحضارة وهم أشد الناس إيماناً بالآخرة. لقد فهموا أن إعمار الأرض جزء من الاستعداد للآخرة.
- الآية تدعو إلى استغلال العمر في ما ينفع الفرد والمجتمع والأمة. من اخترع واكتشف وبنى، لم يفعل ذلك ليخلد في الدنيا، بل ليقدم خدمة للبشرية ويكتب له أجرها إلى يوم القيامة.

إن الآية 112 من سورة المؤمنون هي بمثابة صياحة إنذار في غفلة الحياة، تذكر الإنسان بأن عمره

محدود، وأن الوقت رأسماله، وأن الدنيا مزرعته، وأن الحصاد هناك في الآخرة. من عقل هذا عاش منتجاً نافعاً، ومن غفل عنه عاش ضائعاً خاسراً.

ثلاثه عشر

تفسير الآية 113 من سورة المؤمنون
{قَالُوا لُبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِينَ}

مقدمة عن الآية وسياقها

هذه الآية هي استكمال للمشهد المهيّب الذي بدأ في الآية السابقة [112]، حيث وجه الله السؤال التوبيخي لأهل النار: {كَمْ لُبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ}. هنا يأتي الجواب المخزي من هؤلاء الكافرين، جواب يحمل في طياته اعترافهم بقصر مدة الدنيا، وارتيابهم الشديد أمام هول الموقف. إنه جواب المذنب الذي انكشفت له الحقيقة بعد فوات الأوان، فأصبح يرى الدنيا بأكملها كأنها يوم واحد أو أقل .

واللافت أنهم لم يجيبوا بيقين، بل جاء جوابهم بصيغة الشك والتردد: {يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ}. وهذا يدل على مدى اضطرابهم وحيرتهم، ثم أردفوا قائلين: {فَاسْأَلِ الْعَادِينَ} أي أسأل الملائكة الذين يحصون الأعمار ويعدون الأيام، فهم أعلم بذلك .
الدلالات البيانية والبلاغية والتجويدية في الآية

1. الدلالات البلاغية:

· الإتيان بـ "أو" الدالة على التردد: استخدم الكافرون حرف "أو" الذي يفيد الشك والتخيير. هذا الاختيار اللغوي الدقيق يرسم لنا حالتهم النفسية لحظة السؤال، فهم في ذهول وهول عظيم جعلهما لا يستطيعون الجزم بمدة بقائهم في الدنيا، ولو كانت حياتهم مئات السنين . وهذا من أبلغ التصوير لحالة الندم والخزي.

· التبعية في قوله "أو بعض يوم": لم يكتفوا بقولهم "لبثنا يوماً"، بل احتملوا أن تكون مدتهم أقل من يوم. هذا التعبير يصور لنا تفاهة الدنيا بأبلغ صورة، فحياتهم الطويلة التي قضوها في المعاصي واللهو والاستكبار، صارت في نظرهم لا تساوي أكثر من يوم أو أقل .
· الإلجاء إلى الله بقولهم "فاسأل العادين": لما عجزوا عن الجواب، أحالوا الأمر إلى الله أو إلى الملائكة (العداد). هذا يدل على اضطراب الحجة وانسداد طريق الكلام في وجوههم، فيلجأون إلى تحويل السؤال إلى غيره، لعلمهم أن إجابتهم لن تنفعهم شيئاً .

2. الدلالات التجويدية والقراءات:

· قراءة "العادين" بالقصر والمد: وردت قراءتان في هذه الكلمة:
· قراءة الجمهور (العادين) بتشديد الدال وصلًا ً ووقفًا، وهي اسم فاعل من "عد" بمعنى أحصى، والمراد بهم الملائكة الذين يعدون أيام البشر وأجالهم .
· قراءة ابن عامر وأبي جعفر (العادين) بتخفيف الدال، على وزن "فاعلين"، من "عدًا يعدو" إذا ظلم وتجاوز، ويكون المعنى: فاسأل الظالمين المعتدين (أي أنفسهم) لأنهم هم الذين ظلموا أنفسهم في الدنيا .
· كلا القراءتين متواترتان، فالأولى تبرز جهلهم بمقدار لبثهم، والثانية تزيدهم توبيخاً بأنهم هم الظالمون لأنفسهم، وهم أعلم الناس بمقدار أعمارهم التي ظلموا فيها .
المقاصد والأفكار الرئيسية في الآية

1/ إدراك سرعة الوقت وتفاهة الدنيا من خلال جواب الكفار

يقف المتأمل في هذا الجواب على حقيقة صادمة: الدنيا كلها في ميزان الآخرة لا تساوي شيئاً . هؤلاء الكفار عاشوا في الدنيا ربما عشرات السنين، يتمتعون ويأكلون ويشربون ويسخرون من المؤمنين، لكنهم عندما وقفوا بين يدي الله ورأوا هول العذاب، استقصروا عمرهم الطويل حتى صار عندهم كيوم أو بعض يوم.

هذا الإدراك المتأخر يحمل للمؤمن درساً عظيماً في إدارة الوقت:

· الاستثمار الأمثل للعمر: إذا كان الكفار أنفسهم يرون عمرهم الطويل قصيراً، فكيف بنا نحن المؤمنين؟ علينا أن نستثمر كل لحظة في ما يقربنا إلى الله، لأن الوقت هو رأس المال الحقيقي الذي لا يمكن استرجاعه .
· عدم الركون إلى طول الأمل: الآية توبخ من يظن أن له عمراً طويلاً ً فيماطل في التوبة والعمل

الصالح. فالיום الذي تعيشه قد يكون هو آخر أيامك، وغداً قد تندم حيث لا ينفع الندم.

2/ الزهد عن الدنيا وعدم الاغترار بطول العمر

هذه الآية تربي في المؤمن حقيقة الزمن، وأنه مهما طال فهو قصير. من هنا يتولد مفهوم الزهد الحقيقي:

- الزهد ليس ترك الدنيا، بل عدم التعلق بها: المؤمن يعمل في الدنيا ويبني ويعمر، لكن قلبه معلق بالآخرة. هو كالطائر يطير ويمشي على الأرض، لكنه لا يستقر عليها .
- عدم الاغترار بطول العمر: كم من إنسان اغتر بشبابه فلها، واغتر بماله فطغى، واغتر بعمره فنسي الموت. الآية تذكرنا بأن العمر كله مجرد ومضة، فلا تغرنك السنوات الطويلة.

هذا المفهوم يبني الإنسان الصامد أمام التحديات:

- لا يخاف من الأعداء، لأنه يعلم أن حياتهم أيضاً قصيرة، وأن النصر للصابرين.
- لا يخضع للضغوطات، لأن همه الأكبر هو الفوز في الامتحان الأبدي.
- لا تستهويه الإغراءات، لأنه يعلم أنها مؤقتة وزائلة.

المجتمع المتعاون هو من يبني على هذا الأساس، حيث يتعاون أفرادهم في الخير وهم يعلمون أن أيامهم محدودة، فلا يؤجلون فعل الخير، ولا يتنافسون على الدنيا فيتخاصموا، بل يتنافسون في طاعة الله وتعاونوا على البر والتقوى.

3/ دلالة الشك في المدة والدروس المستنبطة: {يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ}

لماذا شك الكفار في مدة حياتهم؟ هذا الشك يحمل عدة دلالات تربوية عميقة:

- هول الموقف ينسي الماضي: شدة العذاب وعظم الموقف جعلتهم ينسون كل تفاصيل حياتهم الدنيا ، فأصبحت في أذهانهم كالبرق الخاطف لا يكاد يذكر .
- اختلاف إدراك الزمن: الزمن في الدنيا يختلف عن الزمن في الآخرة. يوم في الآخرة كآلف سنة مما تعدون. وعندما يرون الخلود في العذاب، تستحقّر في أعينهم مدة الدنيا مهما طال.

الدروس المستفادة لحياتنا:

- شعور بمراقبة الله في كل لحظة: إذا كان هؤلاء قد نسوا أعمارهم لهول الموقف، فالمؤمن يعيش دائماً في يقظة، يشعر أن الله يراه في كل لحظة، فيحاسب نفسه قبل أن يحاسب، ويزن أعماله قبل أن توزن عليه .
- محاسبة النفس وعد الأعمال: الآية تدعونا إلى أن نعد أعمالنا قبل أن تعد علينا . فكما أن هناك ملائكة يعدون أيامنا وأعمالنا، علينا أن نعدّها نحن أيضاً، فنسأل أنفسنا كل يوم: ماذا قدمنا؟ ماذا أخرجنا؟ كيف قضينا هذا اليوم؟
- جعل كل يوم مشروعاً للآخرة: المؤمن الذي يفهم هذه الآية يجعل من كل يوم فرصة ذهبية لا تعوض. كل صباح هو مشروع جديد للفوز بالجنة، وكل مساء هو محطة للمراجعة والمحاسبة، فإذا أخطأ اليوم عالج غداً، وإذا أحسن اليوم شكر ربه واستزاد .

هذا المفهوم يبني الإنسان المنتج صاحب الجودة:

- من يحاسب نفسه باستمرار يحرص على الجودة في كل عمل، لأنه يعلم أن هذا العمل سيعرض على الله.
- من يدرك أن عمره قصير لا يرضى بأدنى مستويات الإنجاز، بل يسعى للأفضل والأكمل.

4/ دلالة الآية في التربية على الإيمان وتحسين النفس من الغفلة

الآية هي بمثابة جرس إنذار إيماني يوقظ القلوب النائمة:

- تربية على اليقظة الدائمة: عندما يقرأ المؤمن هذه الآية، يتذكر أن موقف الحساب آت لا محالة، فيعيش في الدنيا كأنه غريب أو عابر سبيل، كما أوصى النبي ﷺ: "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل". هذه الغربة لا تعني العزلة، بل تعني عدم التعلق والارتباط بها.

. تحصين النفس من الغفلة: الغفلة هي مرض القلوب. والآية تعالج هذا المرض بجرعة صادمة: تذكر أنك ستقف غداً وتُسأل عن عمرك فيما أفنيتَه. هذه التذكرة تجعل القلب حياً، خاشعاً، متوجهاً إلى الله .

. التفكير في الآخرة: الآية تربينا على التفكير في المصير الأخروي، وهذا التفكير يورث الخشية، و الخشية تورث العمل الصالح، والعمل الصالح يورث الجنة.

دور هذه المفاهيم في بناء الإنسان والمجتمع والتنمية

1. في بناء الإنسان:

. الإنسان المنتج: الذي يدرك قيمة الوقت يصبح أكثر إنتاجية، يرتب أولوياته، ينظم يومه، ويستغل كل دقيقة في طاعة الله أو عمل نافع للناس.

. الإنسان المتوازن: الذي يعرف حقيقة الدنيا لا يطغى إن أعطي، ولا ييأس إن مُنع. هو إنسان هادئ النفس، راض بقضاء الله، يعمل للدنيا كأنه يعيش أبداً، ويعمل للآخرة كأنه يموت غداً .

. الإنسان الصامد: لا تهزه التحديات، ولا تضعفه الابتلاءات، لأنه يعلم أن هذه الدنيا قصيرة وأن ما بعدها هو الأهم.

2. في بناء المجتمع:

. مجتمع متعاون: عندما يعلم الناس أن أيامهم معدودة، يتسابقون في الخير ويتعاونون عليه، ولا يتنافسون على الدنيا فيحقد بعضهم على بعض.

. مجتمع منتج: مجتمع يقدّر الوقت، يحترم المواعيد، يتقن العمل، يسعى للتطوير والبناء، لأن كل فرد فيه يعلم أنه مسؤول عن وقته وعمله.

. مجتمع متسامح: إدراك قصر الحياة يجعل الناس يتسامحون ويتصالحون، ولا يدخرون الأحقاد لبعضهم، فهم يعلمون أنهم سيلقون الله قريباً.

3. في التنمية البشرية والحضارية:

. مفهوم "الوقت هو الحياة" هو أساس أي تنمية. فالأهم المتقدمة أدركت قيمة الوقت، واستثمرته في العلم والبحث والبناء. والمؤمن الذي يربيه القرآن على هذا المفهوم سيكون سباقاً في مجالات التنمية كلها.

. الرؤية الإسلامية للتنمية تقوم على التوازن بين بناء الدنيا والاستعداد للآخرة. وهذه الآية تقدم الأساس النظري لهذا التوازن: الدنيا قصيرة، فاجعلها مزرعة للآخرة، لكن اعملها بما ينفعك وينفع الناس.

الخاتمة

إن الآية 113 من سورة المؤمنون هي نافذة يتأمل منها المؤمن حقيقة الزمن، وقيمة العمر، وضالة الدنيا أمام الآخرة. إنها تصور لنا مشهداً لن ينساه من تأمله: كفار كانوا في الدنيا مستكبرين، يقفون بين يدي الله محتارين لا يدرون كم لبثوا، ويحيلون السؤال إلى غيرهم عجزاً وخوراً.

لنتعلم من هذا المشهد أن نعيش أيامنا بيقظة، وأن نحاسب أنفسنا قبل أن نحاسب، وأن نستثمر كل لحظة في ما يقربنا إلى الله، وأن ننظر إلى الدنيا على أنها جسر نعبه لا دار نقيم فيه.

اربعه عشر

تفسير الآية 114 من سورة المؤمنون

{قَالَ إِنَّ لِبَيْتِكُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}

مقدمة عن الآية وسياقها

هذه الآية هي الخاتمة الإلهية للمشاهد المهيبة التي بدأت من الآية 112، حيث دار حوار بين الله تعالى وأهل النار. بعد أن سألهم عن مدة لبثهم في الدنيا، فأجابوا مضطربين: {لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ} [113]، يأتي الرد الإلهي الحاسم يقرر الحقيقة التي غفلوا عنها: {إِنَّ لِبَيْتِكُمْ إِلَّا قَلِيلًا} . إنه تأكيد من الخالق سبحانه على أن الدنيا كلها - بما فيها من سنوات طويلة وأعمار مديدة - هي في ميزان الآخرة مجرد ومضة عابرة، وقليل من الزمن لا يذكر .

ثم يختتم الله الآية بعبارة عميقة {لَوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}، ليبين أن سبب خسرانهم هو الجهل بهذه الحقيقة، وأنهم لو كانوا يعلمون حق العلم لتغيرت حياتهم كلها .

الدلالات البيانية والبلاغية والتجويدية في الآية

1. الدلالات البلاغية:

· أسلوب القصر بـ (إن النافية + إلا): قوله تعالى {إِنْ لُبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا} يفيد حصر مدة لبثهم في القلة . هذا التركيب البلاغي يؤكد أن الدنيا بكل سنواتها الطويلة ليست إلا زمناً قليلاً " وحقيراً أمام الآخرة. إنه قصر إضافي، أي أن لبثهم قليل بالإضافة إلى الخلود في الآخرة سواء في النعيم أو العذاب .

· التنكير في (قليلاً): جاءت كلمة {قليلاً} نكرة في سياق النفي، وهذا يفيد التحقير والتصغير . فليس المدة قليلة فقط، بل هي حقيرة وتافهة لا قيمة لها. إنها تحمل معنى التوبيخ لهم: كيف ضيعتم هذا العمر القصير التافه في معصيتي، وتركتم العمل لهذا الخلود العظيم؟

· التمني المستحيل في (لو أنكم كنتم تعلمون): أداة الشرط "لو" هنا تفيد التمني الذي لا يمكن تحقيقه في الآخرة . أي لو كنتم في الدنيا تعلمون حق العلم ما كان حالكم هذا، ولكنكم الآن وقد دخلتم النار تمنيتم لو أنكم كنتم تعلمون، والتمني لا ينفع . وفيه إشارة إلى أن العلم النافع هو الذي يغير السلوك ويقود إلى العمل، وإلا فالعلم بدون عمل وبال على صاحبه.

2. الدلالات البيانية:

· التكرار المعنوي: الآية أعادت التأكيد على قصر الدنيا بعد أن اعترف الكفار بأنهم لبثوا يوماً أو بعض يوم. هذا التكرار يهدف إلى تثبيت الحقيقة في الأذهان، وأن هذا القصر ليس مجرد إحساس ناتج عن هول الموقف، بل هو حقيقة يقرها الله سبحانه وتعالى.

3. الدلالات التجويدية:

· الوقف على (قليلاً): الوقف على كلمة {قليلاً} يعطي فرصة للتأمل في معنى القلة والتحقيق، ثم البدء بـ {لو} لبيان سبب هذا الموقف، وهو الجهل.

· لا قراءات مختلفة في هذه الآية، مما يدل على وضوح الحكم وثباته.

المقاصد والأفكار الرئيسية في الآية

1/ استقصار الدنيا واستعظام الآخرة: التوازن النفسي العملي في حياة المؤمن

الآية تقرر حقيقة قرآنية كبرى: الدنيا كلها قليلة. هذه الحقيقة تغير نظرة المؤمن إلى الحياة تغييراً جذرياً:

· استقصار الدنيا: عندما يقرأ المؤمن هذه الآية، يتأكد أن عمره مهما طال فهو قصير. سنوات الشباب، عقود العمل، كلها في نظر الآخرة مجرد لحظات عابرة .

· استعظام الآخرة: مقابل هذا القصر، تتجلى عظمة الآخرة وخلودها. المؤمن يدرك أن ما ينتظره إما خلود في الجنة أو خلود في النار، وهذا الاستعظام يجعله يزن أعماله بميزان مختلف.

هذا الإدراك يخلق توازناً نفسياً وعملياً في حياة المؤمن:

· التوازن النفسي: لا يفرح المؤمن بالدنيا فرح البطر، ولا يحزن عليها حزن اليأس، فهو يعرف قدرها الحقيقي. قال تعالى: {لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ} [الحديد: 23] .

· التوازن العملي: المؤمن لا ينقطع عن الدنيا بالكلية، فهو يعمرها ويعمل فيها، لكنه لا يركن إليها ولا يجعلها أكبر همه. إنه كالطائر الذي يطير في السماء ولكن قلبه معلق بالعليا.

2/ إدارة الوقت والوعي بالدنيا إلى ترتيب الأولويات

عندما يدرك المؤمن أن العمر قصير، فإنه يصبح أكثر حرصاً على إدارة الوقت واستثماره:

· ترتيب الأولويات: الأمور التافهة التي تشغل الناس تسقط من سلم أولوياته. الكماليات والترف الزائد والصراعات الوهمية تصبح لا قيمة لها. الأولوية القصوى تكون لطاعة الله ومرضاته .

· جعل العمر كله طاعة: ليس معنى هذا أن يقضي المؤمن يومه كله في الصلاة فقط، بل أن يجعل كل أنشطته - عمله، دراسته، علاقاته، حتى لهوه المباح - بنية العبادة وابتغاء وجه الله، فتصير كلها طاعة .

· اغتنام الوقت في الطاعة: المؤمن العاقل لا يؤجل التوبة، ولا يسوف العمل الصالح. يغتنم شبابه

قبل هرمه، وصحته قبل سقمه، وفراغه قبل شغله، وحياته قبل موته، كما في الحديث الشريف .

3/ دور الآية في بناء الإنسان ذي الهممة العالية

إدراك قصر الدنيا يرفع هممة المؤمن ولا يخفّضها. كيف؟

- عدم الركون إلى الدنيا: من يعلم أن الدنيا فانية لا يبني عليها آمالاً كبيرة، لا يرضى بالدون، لا يرضى بأن يكون إنساناً عادياً، بل يسمو بطموحه إلى أعلى الدرجات في الجنة .
- الاستهانة بمتاع الدنيا: متع الدنيا تصبح في عينه أقل من أن تبذل من أجلها الأوقات الثمينة. هو لا يزهّد في متع الدنيا الحلال، لكنه لا يجعلها هدفه الأسمى. هدفه الأكبر هو الفوز بالجنة ورضوان الله .
- الهممة العالية في الطاعة: يدفعه إدراك قصر الدنيا إلى البحث عن أعلى درجات الطاعة، وأفضل أنواع القربات، وأكثرها أجراً. هو لا يرضى بأدنى الدرجات، بل يسعى إلى معالي الأمور.

4/ القضاء على التنافس المذموم على الدنيا

الآية تعالج أحد أخطر أمراض المجتمعات: التنافس المذموم على الدنيا. عندما يوقن الناس أن الدنيا قليلة:

- يختفي الحسد: لماذا تحسد غيرك على قليل من الدنيا سيفارقه ويفارقك؟ الحسد يزول عندما تزول قيمة المحسود عليه في نظر الناس .
- يقل الصراع: الصراعات على المناصب والأموال والمكاسب تصبح غير مبررة عندما تدرك أن كل هذا سينتهي قريباً، وأن الخاسر الحقيقي هو من يخسر آخرته.
- يتحول التنافس إلى خير: بدلاً من التنافس على الدنيا، يتنافس المؤمنون في طاعة الله وفعل الخيرات. قال تعالى: {وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ} [المطففين: 26] .

بناء المجتمع المؤمن القوي والدولة القوية: هذا المفهوم هو أساس بناء المجتمعات القوية والدول الرشيدة:

- المجتمع الذي لا يتنافس أفرادُه على الدنيا هو مجتمع متعاون متماسك، تنصرف طاقاته نحو الإنتاج والبناء، لا نحو الصراعات الداخلية.
- الدولة القوية تحت القيادة الرشيدة تحتاج إلى مواطنين يضعون المصلحة العليا فوق مصالحهم الشخصية، ولا يتنافسون على المغانم، وهذا ما تزرعه الآية في النفوس.
- مواجهة التحديات: عندما يستهين المؤمن بالدنيا، لا تخيفه التحديات، ولا ترهبه قوة الأعداء. هو يعلم أن ما عند الله خير وأبقى، وأن النصر مع الصبر. هذا المفهوم يصنع أجيالاً لا تلين، ولا تنكسر أمام الصعاب.

5/ دلالة قوله تعالى {قليلًا}

كلمة {قليلًا} تحمل معاني عميقة:

- التقليل الكمي: الدنيا قصيرة زمانياً، مهما طالت.
- التحقير النوعي: الدنيا حقيرة تافهة في قيمتها الحقيقية، خاصة أمام الآخرة.
- التقليل الإضافي: هي قليلة بالإضافة إلى ما بعدها من خلود.

هذا المعنى يساعد المؤمن على:

- تجاوز المصائب: عندما تصيبه مصيبة في الدنيا، يتذكر أنها في الدنيا القليلة، وأن الصبر عليها يورث أجراً عظيماً في الآخرة الباقية.
- كسر التعلق المبالغ به: المال، الولد، الجاه، كلها أشياء قليلة زائلة، فلا داعي للتعلق بها تعلقاً مذموماً.

6/ دلالة قوله تعالى {لَوْ أَنكُم تَعْلَمُونَ} وعلاقته بالجهل

هذه العبارة تحدد السبب الجذري لخسران الكفار: الجهل.

- الجهل بحقيقة الدنيا: لو علموا أنها قليلة لما انشغلوا بها عن الله.
- الجهل بحقيقة الآخرة: لو علموا عظمة الآخرة وهولها لاستعدوا لها.
- الجهل بحقيقة أنفسهم: لو علموا أنهم مخلوقون لعبادة الله، وأنهم مسؤولون عن أعمارهم، لما ضيعوها.

العلم النافع: الآية لا تدم العلم مطلقاً، بل تمدح العلم الذي يورث العمل، ويغير السلوك، ويقود إلى الخشية. إنه العلم الذي يدفع الإنسان إلى:

- تغيير نظراته للوقت: الوقت هو الحياة، وكل لحظة تمضي لا تعود.
- الصبر على الطاعة: لأن الطاعة استثمار لهذا الوقت القصير في الحصول على الخلود السعيد.
- قياس الأعمال بميزان الخلود: يسأل نفسه قبل كل عمل: ما قيمة هذا العمل في الآخرة؟ هل سينجيني أم يهلكني؟

7/ كيف تؤثر الآية في تغيير نظرة الإنسان للمصائب والابتلاءات الدنيوية؟

المؤمن الذي يعيش بهذه الآية تنكسر في عينه المصائب:

- تصغير المصيبة: مهما عظمت المصيبة في الدنيا، فهي في الدنيا القليلة، وهي مهما طالت فهي قصيرة.
- النظر إلى الأجر: يتذكر أن الصبر على هذه المصيبة في هذه المدة القصيرة يورث أجراً لا ينقطع في الآخرة.
- تجاوز الألم: هذا الإدراك يساعده على تجاوز الآلام النفسية والجسدية، وتحويل لحظات الضيق إلى عبادة وصبر.

8/ كسر التعلق المبالغ فيه بالدنيا ومتاعها

الآية تعالج مرض حب الدنيا الذي هو رأس كل خطيئة:

- عندما تكرر الآية أن الدنيا قليلة، فإنها تضع حب الدنيا في حجمه الحقيقي، فما كان قليلاً حقيقياً لا يستحق أن نتعلق به تعلقاً مبالغاً فيه.
- المؤمن يتعامل مع الدنيا كما يتعامل المسافر مع محطات الطريق: يستريح فيها، ويتزود منها، لكنه لا يبني فيها قصراً، ولا يتخذها وطناً.

9/ تصحيح نظراتنا للوقت والصبر على الطاعة

الآية تقدم لنا مقياساً جديداً للزمن:

- كل فرصة تمضي لا تعوض: نحن لا نستطيع استرجاع دقيقة مضت. هذا الإدراك يجعلنا حريصين على استغلال كل لحظة.
- الصبر على الطاعة: إدراك أن الوقت قصير يسهل علينا الصبر على مشاق الطاعة، فهي أيام معدودات ثم ننعيم إلى الأبد.
- تحول إدراكنا لحجم الزمان: عندما ننظر إلى الآخرة، نرى أن الزمن الدنيوي ضئيل جداً، فيسهل علينا بذله في طاعة الله.

10/ انعكاس هذه المفاهيم على سلوكنا في الحياة الدنيا

هذه الرؤية القرآنية تنعكس على سلوك المؤمن في كل مجالات الحياة:

- على المستوى الفردي: يصبح الإنسان أكثر انضباطاً، أكثر إنتاجية، أكثر تسامحاً، أكثر صبراً.
- على المستوى الأسري: الأسرة التي تدرك أن الحياة قصيرة تتعاون وتتسامح، ولا تدع الخلافات التافهة تفسد علاقاتها.
- على المستوى الاجتماعي: مجتمع يقدر الوقت، يحترم المواعيد، يتعاون في الخير، يبني ويعمر.
- على المستوى الحضاري: أمة تؤمن بأن الدنيا مزرعة الآخرة تسعى للتفوق في كل المجالات، ليس من أجل التفاخر، بل من أجل خدمة الإنسانية ونيل رضا الله.
- دور هذه المفاهيم في بناء الإنسان والمجتمع المتماسك وفي قمة الحضارة وفق الرؤية الإسلامية

1. بناء الإنسان القوي المتوازن:

- الإنسان الذي يدرك أن الدنيا قليلة يصبح قويا لا تهزه النوائب، ولا تضعفه المصائب، ولا تفتنه المغريات.
- يصبح متوازنا لا إفراط ولا تفريط، يعمل للدنيا بقدر حاجته، ويعمل للآخرة بقدر خلوده.

2. بناء المجتمع المتماسك:

- مجتمع لا يتنافس على الدنيا، بل يتنافس في الخير، هو مجتمع متماسك، لا تمزقه الصراعات، ولا تفرقه المصالح.
- مجتمع متعاون، أفراده كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء.
- مجتمع قوي، لأن طاقاته تصب في البناء والعطاء، لا في الصراعات الداخلية.

3. بناء الحضارة وفق الرؤية الإسلامية:

- الحضارة الإسلامية تقوم على أساس أن الدنيا مزرعة الآخرة. المسلم يعمر الأرض ويبني الحضارة وهو يعلم أن هذا واجب ديني، وأنه سيُسأل عن هذا الإعمار .
- الآية تزيل العائق النفسي الذي قد يمنع الإنسان من البناء، وهو الخوف من الفناء. إذا علمنا أن كل شيء في الدنيا قليل، فإننا لا نبني للخلود في الدنيا، بل نبني ليستفيد منها الناس، وتكون صدقة جارية لنا.
- هذه النظرة تدفع إلى الإتقان والجودة، لأن العمل سيظل شاهدا لنا أو علينا.
- قمة الحضارة في الإسلام هي عندما يتحقق التوازن بين بناء الدنيا والاستعداد للآخرة، عندما يعيش الناس في رغد وعدل وكرامة، وهم في نفس الوقت متجهون بقلوبهم إلى الله، منيبون إليه، خائفون من عذابه، راجون رحمته.

الخاتمة

إن الآية 114 من سورة المؤمنون هي خلاصة المشهد الإلهي، تذكرنا بحقيقة قد نغفل عنها: الدنيا قصيرة، والآخرة هي دار القرار. هذا الإدراك هو مفتاح السعادة في الدارين. من عقل هذه الحقيقة عاش متوازنا قويا منتجا، ومن غفل عنها عاش في صراعات وهمية على أوهام زائلة.

الخامس عشر. تفسير الآية 115 من سورة المؤمنون

{أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ عَلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ}

مقدمة عن الآية وسياقها

هذه الآية تمثل القمة الإيمانية في سلسلة الآيات من 112 إلى 115، حيث تنتقل من الحديث عن قصر الدنيا وهول الآخرة إلى الحديث عن الحكمة من الخلق وغاية الوجود. بعد أن قرر الله تعالى في الآيات السابقة أن الدنيا قليلة وأن الآخرة هي دار القرار، يأتي هذا السؤال الاستنكاري ليوجه ضربة قاضية لكل من يعيش في هذه الدنيا بلا هدف أو غاية .

الآية تخاطب الذين يظنون أنهم خلقوا عبثا، وأنهم لن يرجعوا إلى الله للحساب والجزاء. إنه نفي قاطع للعبثية وإثبات للحكمة الإلهية العظيمة من وراء هذا الوجود .
الدلالات البيانية والبلاغية والتجويدية في الآية
1. الدلالات البلاغية:

• الاستفهام الإنكاري التوبيخي: دخلت همزة الاستفهام على الفعل "حسبتم" لتفيد الإنكار والتوبيخ . و المعنى: كيف تظنون هذا الظن الفاسد؟ إنه استفهام لا يطلب جوابا، بل يقرع العقول ويوبخ أصحابها على هذا الاعتقاد الخاطئ.

• الفاء للعطف والتفريع: الفاء في {أَفَحَسِبْتُمْ} للعطف على ما سبق، وتفيد الترتيب والتفريع . أي بعد أن تبين لكم قصر الدنيا وهول الآخرة، أظننكم أنكم خلقتهم عبثا؟ إنها تربط بين الحقيقة السابقة (قصر الدنيا وهذه الحقيقة) وجود الحكمة من الخلق.)

• صيغة "حسبتم" تدل على الظن والوهم: اختيار فعل "حسب" الذي يدل على الظن مع ميل إلى الخطأ، يشير إلى أن هذا الاعتقاد ليس يقينا، بل هو مجرد وهم وظن فاسد لا يستند إلى دليل.

• التنكير في (عبثا): نكرة في سياق النفي (المعنى: ما خلقناكم عبثا)، وهذا يفيد التحقير والتقبيح لهذا الظن، أي أن هذا الظن في غاية البطلان والقبح.

• الجمع بين نفي العبثية ونفي ترك الرجوع: الربط بين الأمرين في الآية يدل على تلازمهما . فمن

أنكر البعث والحساب، لابد أن يظن أن الحياة الدنيا عبث. ومن أيقن بالرجوع إلى الله، لابد أن يدرك أن للخلق حكمة وغاية.

2. الدلالات البيانية:

. التعبير بـ) خلقناكم (بصيغة الجمع للعظمة: فيه إشارة إلى عظمة الخالق وقدرته، وأن الذي خلق هذا الكون المتقن لا يمكن أن يخلق الإنسان عبثاً.
. تقديم الجار والمجرور (إينا): في قوله { وَأَتُكَّمُ إِيْنَا لَا تُرْجَعُونَ }، قدم "إينا" على الفعل "لا ترجعون" لإفادة الاختصاص والحصر، أي أن الرجوع إينا وحدنا لا إلى أحد سوانا.

3. الدلالات التجويدية:

. الوقف على) عبثاً: يعطي فرصة للتأمل في معنى العبث وبطلانه.
. لا قراءات مختلفة في هذه الآية، مما يدل على وضوح الحكم وثباته.
المقاصد والأفكار الرئيسية في الآية

1/ مفهوم نفي العبثية وإثبات الحكمة والغاية من الخلق

ما هو العبث؟ العبث في اللغة هو العمل الذي لا غاية له ولا فائدة منه، وهو اللعب الباطل الذي لا يقصد به شيء . والله تعالى منزّه عن العبث، لأنه الحكيم العليم الذي لا يفعل شيئاً إلا لحكمة بالغة.

معنى {أَفَحَسِبْتُمْ} أي أفظننتم وظننتم هذا الظن الفاسد؟ الخطاب موجه لمن يعتقدون أن الخلق عبث، سواء كانوا كفاراً ينكرون البعث، أو مؤمنين يعيشون في غفلة عن حقيقة وجودهم .

الآية تقرر حقيقة عظيمة: وجود الإنسان ليس صدفة، وليس عبثاً، وليس لمجرد الأكل والشرب والتمتع ثم الموت. بل هناك حكمة إلهية كبرى من وراء هذا الخلق، وهناك غاية عظمى يسعى إليها الإنسان.

هذا المفهوم يحدث نقلة نوعية في وعي الإنسان:

. الارتقاء بالإنسان: عندما يعلم الإنسان أنه مخلوق لغاية، فإنه يرتقي بنفسه عن مستوى الحيوان الذي يعيش للأكل والشرب والتكاثر ثم يموت . يصبح إنساناً بمعنى الكلمة، يحمل رسالة، ويسعى لتحقيق هدف.

. بناء المدارك: هذا الإدراك يفتح أمام الإنسان آفاقاً جديدة للتفكير والتأمل. يتساءل: لماذا أنا هنا؟ ما المطلوب مني؟ أين مصيري؟ هذه الأسئلة تدفعه للبحث عن الحق، والتفكير في آيات الله، وبناء رؤية متكاملة عن الحياة.

. تطوير النفسية: الإنسان بلا هدف إنسان قلق، حائر، تائه. أما من يعلم أن له غاية يسعى إليها، فإن نفسه تطمئن، وقلبه يستقر، ويصبح أكثر قدرة على مواجهة تحديات الحياة.

. تنظيم التفكير والسلوك: عندما يكون للوجود غاية، يصبح التفكير منظماً، والسلوك موجهاً. لا يعيش الإنسان فوضى فكرية أو سلوكية، بل يسير وفق خطة واضحة.

2/ مفهوم الاختبار والامتحان: الإنسان مخلوق لغاية

الآية تشير ضمناً إلى أن وجود الإنسان في الدنيا هو اختبار وابتلاء، وليس لعباً ولا لهواً. وقد صرح بذلك في آيات أخرى: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [المالك: 2] .

ما هي الغاية من الخلق؟ هي عبادة الله وطاعته، كما قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: 56]. العبادة هنا هي الخضوع لله بفعل أوامره واجتناب نواهيه، وهي تشمل كل عمل صالح يقصد به وجه الله .

هذا المفهوم يضع الإنسان أمام مسؤوليته:

. مسؤولية الوجود: وجودك ليس عبثاً، أنت هنا لمهمة، وستُسأل عن هذه المهمة.
. الابتلاء والامتحان: الحياة كلها اختبار، والموت هو نهاية فترة الاختبار. كل يوم هو صفحة جديدة في دفتر الامتحان.

دور هذا المفهوم في بناء الإنسان الجاد:

- الشعور بالمسؤولية: الإنسان الذي يعلم أنه سيُسأل عن كل صغيرة وكبيرة، يصبح جاداً في حياته، لا يستهين بشيء، ولا يضيع وقتاً.
- إدراك الغاية: يعرف لماذا هو هنا، وماذا يريد، وإلى أين يتجه. هذا الإدراك يمنحه بوصلة توجه حياته.
- تحويل الحياة من فوضى إلى نظام: الحياة بلا هدف فوضوي متخبط، أما مع الهدف فتصبح منظمة ، مرتبة، ذات أولويات واضحة.
- الاستعداد الدائم للآخرة: المؤمن يعيش في حالة استعداد، كطالب ينتظر نتيجة الامتحان، لا يدري متى يأتي الأجل، لكنه مستعد دائماً.

3/ استشعار الرقابة الذاتية: {وَأَتَكُمُ إِلَيْنَا لَا تَرْجِعُونَ}

- نفي الرجوع إلى الله هو نفي للحساب والجزاء. والآية تنفي هذا النفي، أي تثبت أن الرجوع إلى الله حق لا محالة. هذا الإثبات يخلق في نفس المؤمن رقابة ذاتية عالية:
- شعور دائم بالمراقبة: العبد يعلم أن الله يراه في كل لحظة، وأن كل تصرف وكل عمل محسوب عليه، مسجل في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة.
- توجيه الطاقات: هذا الشعور يوجه طاقات الإنسان نحو الإنتاج والعمل الصالح، ويصرفه عن تضييع الوقت فيما لا يفيد.
- التحفيز للتعلم والتطوير: الإنسان الذي يعلم أنه سيلقى الله ويُسأل عن علمه وعمله، يسعى للتعلم و التطور، ليقدم أفضل ما عنده.

4/ العيش حياة واعية منظمة ذات هدف

الآية تدعو إلى الحياة الواعية التي ترفض العشوائية والسطحية:

- ماذا يعني هذا المفهوم؟ يعني أن يكون للإنسان رؤية واضحة عن الحياة، وعن دوره فيها، وعن مصيره بعدها. يعني أن يعيش وفق خطة، ويسير نحو هدف.
- الدلالة من الآية: الآية تنفي العبث، والعبث هو ضد الهدف والغاية. فإذا نفي العبث، ثبت أن للحياة هدفاً وغاية.
- محاربة الفكر المادي: هذا المفهوم يحارب الفكر الذي يدعي أن الحياة مجرد متعة مادية، وأنه "كلما أكلت وشربت وتمتعت فذلك هو النجاح". الآية تقول: لا، هناك ما هو أبعد من ذلك، هناك غاية أسمى، وهناك حياة بعد هذه الحياة.

البعد الأخروي وبناء الشخصية المستقبلية:

- التركيز على منهج الله: المؤمن الذي يدرك أنه سيرجع إلى الله، يركز في قراراته على أن تكون موافقة لمنهج الله، حتى لو خالفت هواه أو مصلحته الدنيوية.
- الانقياد لأوامر الله: إدراك حتمية العودة إلى الله يدفع الإنسان إلى الانقياد لأوامر الله، والالتزام بشرعه، لأنه يعلم أن هذا هو الطريق إلى النجاح في الامتحان.
- تجنب العيش كالبهائم: الحيوان يأكل ويشرب ويتكاثر ثم يموت، ولا حساب عليه. أما الإنسان فله شأن آخر. الآية ترفع الإنسان عن هذا المستوى، وتدعوه للحياة التي تليق به ككائن مكرم عند الله.

5/ تغيير النظرة للحياة: من العينية إلى الحكمة

عندما يوقن الإنسان أنه لم يخلق عبثاً، بل خلق لحكمة، فإن نظرتَه للحياة تتغير جذرياً:

- من حياة سطحية: يلهث وراء الملذات، وينشغل بالصغائر، ولا يفكر في الغد.
- إلى حياة عميقة: يفكر في كل خطوة، يزن كل كلمة، يقدر كل لحظة، لأن كل ذلك سيسأل عنه.

غرس الجدية في نفس المؤمن:

- المؤمن الذي يقرأ هذه الآية يدرك أن الحياة جدّ لا لعبة. ليس فيها وقت للهو الباطل، أو الانشغال بما لا يفيد.
- الجدية لا تعني الكآبة وترك المباحات، بل تعني أن يكون للإنسان هدف يسعى إليه، وأن يكون وقته ثميناً لا يضيعه.

• هذه الجدية تغير أسلوب حياته بالكامل: في عمله يتقن، في علاقاته يخلص، في عباداته يخشع، في وقته ينظم.
دور هذه المفاهيم في البناء والتنمية للإنسان والمجتمع ودولة الموحدين والحضارة

1/ في بناء الإنسان:

- إنسان ذو شخصية متكاملة: يجمع بين الإيمان والعمل، بين الروح والمادة، بين الدنيا والآخرة.
- إنسان ذو همة عالية: لا يرضى بالدون، يسعى للأفضل، يطمح للجنة، ويعمل لها.
- إنسان مسؤول: يشعر بمسؤوليته تجاه نفسه، وتجاه أسرته، وتجاه مجتمعه، وتجاه الإنسانية كلها.
- إنسان منتج: وقته ثمين، فلا يضيعه، يستثمر كل لحظة في عمل نافع.

2/ في بناء المجتمع:

- مجتمع ذو هدف: ليس مجرد تجمع بشري عشوائي، بل أمة ذات رسالة، تسعى لتحقيق مراد الله في الأرض.
- مجتمع متعاون: أفرادها متعاونون على البر والتقوى، لأنهم يعلمون أنهم إخوة في الله، وأن تعاونهم يرضي الله.
- مجتمع متماسك: لا تمزقه الصراعات على الدنيا، لأن الدنيا في نظرهم ليست هدفاً، بل وسيلة.
- مجتمع آمن: انتشار الرقابة الذاتية يقلل الجريمة والانحراف، فالناس يخافون الله في السر والعلن.

3/ في بناء دولة الموحدين:

- دولة تقوم على العدل: لأن العدل أساس الحكم، والظلم محرم، والجميع سيُسألون عن رعيته.
- دولة تسعى للتمكين: تعمل على تمكين دين الله في الأرض، ونشر الخير والعدل بين الناس.
- دولة قوية: لأن أفرادها أقوياء بالإيمان، مترابطون بالعقيدة، متحدون في الهدف.
- دولة رشيدة: تقودها قيادة رشيدة تضع مصلحة الأمة فوق مصلحتها الشخصية، لأنها تعلم أنها مسؤولة أمام الله.

4/ في بناء الحضارة وفق الرؤية الإسلامية:

- حضارة ذات رسالة: الحضارة الإسلامية ليست مجرد بناء مادي، بل هي مشروع إنساني أخلاقي، يهدف لإسعاد البشرية في الدنيا والآخرة.
- حضارة متوازنة: تجمع بين المادة والروح، بين العلم والإيمان، بين الدنيا والآخرة.
- حضارة منتجة: لأن أفرادها يعملون بإتقان، ويبتكرون ويبعدون، وكل ذلك بنية العبادة وخدمة الإنسانية.
- حضارة خالدة: لأنها تترك للبشرية إرثاً من القيم والأخلاق والعلم والعمارة، ينتفع به الناس، ويكون صدقة جارية لأصحابه بعد موتهم.
- الفاعلية الإيجابية: المؤمن الذي يدرك أنه خلق لحكمة، لا يكون سلبياً متلقياً، بل يكون فاعلاً مؤثراً، يسعى لتغيير واقعه للأفضل، وإصلاح ما فسد، وبناء ما تهدم.

الخاتمة

إن الآية 115 من سورة المؤمنون هي دستور الوجود الإنساني، تذكر الإنسان بأنه ليس كائناً عابراً، ولا حشرة في هذا الكون، ولا نتيجة صدفة عمية. بل هو مخلوق مكرم، خلق لحكمة، ووجد لغاية، وسيُسأل عن هذه الغاية، وسيُرجع إلى الله ليُجزى بما عمل.

من عقل هذه الآية، عاش حياته بجدية وهدف، واستثمر وقته في ما ينفعه، وأخلص في عمله، وأحسن إلى الناس، واستعد للقاء ربه. ومن غفل عنها، عاش تائهاً حائراً، يلهث وراء سراب، ويجمع ما لا يأكل، ويبني ما لا يسكن، ثم يرحل كأنه لم يكن.

السادس عشر .

تفسير الآيتين 116 و 117 من سورة المؤمنون

{فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ} ١١٦ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (116) وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ١١٧ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (117)}
مقدمة عن الآيتين وسياقهما

هاتان الآيتان تمثلان الختام الرباني للمشهد الطويل الذي بدأ من الآية 112، حيث دار الحوار بين

الله وأهل النار عن مدة لبثهم في الدنيا، وانتهى بتقرير حقيقة أنهم لم يُخلقوا عبثاً [115]. بعد هذا التقرير، تأتي الآية 116 لتعلن تنزيه الله وتقديسه عما لا يليق به، وتثبت له صفات الكمال والجلال. ثم تأتي الآية 117 بمثابة التحذير الأخير والوعيد الشديد لكل من يصر على عبادة غيره، لتؤكد أن مصير الكافرين هو الخسران والحرمان من الفلاح.

أولاً: تفسير الآية 116: {فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ} ^ط لا إله إلا هو رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ

الدلالات البيانية والبلاغية والتجويدية

1. الدلالات البلاغية:

· الفاء للتعقيب والتفريع: الفاء في {فَتَعَالَى} تفيد أن هذا التنزيه الإلهي هو نتيجة طبيعية وخلاصة حتمية لما سبق. بعد أن تقرر أن الخلق ليس عبثاً، وأن هناك بعثاً وحساباً، يتبين أن الله منزّه عن كل نقص، وأنه المستحق وحده للتعظيم.

· صيغة "تعالى" للتنزيه المطلق: فعل "تعالى" يفيد البعد والارتفاع، أي تنزهه وتقديسه وتعالى علواً كبيراً عن كل ما لا يليق به. إنه ارتفاع ذاتي وقدري: ارتفاع في الذات عن مشابهة المخلوقين، وارتفاع في القدر عن أن يخلق شيئاً عبثاً أو أن يكون له شريك أو ند.

· تعريف "الملك" و"الحق" بأل: تعريف الصفتين بـ"أل" يفيد الشمول والكمال والثبوت. فهو الملك الحقيقي الكامل الذي لا يزول ملكه بخلاف ملوك الدنيا، وهو الحق الثابت الذي لا يحول ولا يزول، والذي يحق له الملك وحده.

· الربط بين الملك والحق: وصف الله بأنه {الملكُ الحقُّ} له دلالة عميقة. فالملك قد يكون بغير حق كما في الدنيا، وقد يكون حقاً لكنه زائل. أما الله فهو المالك الحقيقي الذي يملك ملكاً أبدياً لا يزول، وملكه قائم بالعدل والحكمة.

2. الدلالات البيانية:

· أفراد "العرش" بالذكر: خص الله العرش بالذكر مع أنه رب كل شيء، وذلك لعظمته وسعته، فهو سقف المخلوقات وأعظمها. فذكره يتضمن ذكر كل ما دونه.

· وصف العرش بـ"الكريم": وصف العرش بأنه {الكريم} إما لأنه كريم في ذاته حسن المنظر بهي الشكل، أو لأنه نسب إلى الله الكريم، فاكتمسب الكرم من نسبته إليه، أو لأن الخير والبركة والرحمة تنزل منه.

3. الدلالات التجويدية والقراءات:

· قراءة "الكريم": قرأ الجمهور {الكريم} بالجر نعتاً للعرش. وقرأ ابن محيصن وروى عن ابن كثير بـ الرفع {الكريم} على أنه نعت لله تعالى. وكلا القراءتين صحيحتان، فالله كريم وعرشه كريم.

المقاصد والأفكار الرئيسية في الآية 116

1/ علاقة الآية بما قبلها: من نفي العبث إلى إثبات الكمال

بعد أن قال الله {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا} [115]، جاءت هذه الآية {فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ} لتعقب على ذلك بأبلغ تعبير. العلاقة وثيقة جداً:

· من يكون ملكاً حقاً لا يمكن أن يخلق شيئاً عبثاً أو سفهاً.

· من يكون رب العرش الكريم الذي يدبر هذا الكون العظيم بحكمة، لا يمكن أن يترك الإنسان هملاً بلا حساب أو جزاء.

هذه الآية ترد على دعوى العبثية بأقوى برهان: صفات الله ذاته تنفي العبث. فالخالق الحكيم المتعالي لا يفعل العبث.

2/ دلالة التعقيب: التوحيد هو الغاية من الوجود

هذا التعقيب الإلهي يوجه المؤمن إلى أن تحقيق الغاية من وجوده لا يكون إلا بربط حياته كلها

بعقيدة التوحيد. الغاية من الخلق هي عبادة الله وحده، وهذه الآية تذكرنا بمن نعبد: الملك الحق، الذي لا إله إلا هو، رب العرش الكريم. فالتوحيد في ربوبيته (رب العرش) وألوهيته (لا إله إلا هو) هو أساس الوجود.

3/ وصف الله بالملك الحق: ماذا يتبادر إلى ذهن؟

عندما نقول {الملكُ الحقُّ}، يتبادر إلى ذهن عدة معان:

- السيادة المطلقة: هو المالك الحقيقي لكل شيء، فكل من سواه ممالك له.
- دوام الملك: ملكه لا يزول، بخلاف ملوك الدنيا الذين يزول ملكهم بموتهم أو بعزلهم.
- عدالة الملك: ملكه قائم بالحق والعدل، فهو لا يظلم أحداً.
- استحقاق العبادة: من كان ملكاً حقاً، فهو المستحق وحده للطاعة والخضوع.

هذا الوصف يزرع في قلب المؤمن اليقين بأنه تحت حكم من لا يظلم ولا يغفل ولا يعبت، فيطمئن قلبه ويسلم أمره لله.

4/ كيف تظهر عظمة الله في قوله {ربُّ العرش الكريم}؟

تظهر عظمة الله من خلال:

- عظمة المخلوق: العرش أعظم المخلوقات، وسع السماوات والأرض، وحملته من أعظم الملائكة. وكون الله رباً لهذا العرش يدل على عظمة الخالق سبحانه .
- وصف العرش بالكريم: الكرم صفة كمال، وكون العرش كريماً يدل على كرم الله الذي أبدع هذا المخلوق العظيم وجعله مصدراً للخير والبركة .

5/ تطبيق تدبر هذه الآية في الحياة اليومية

تدبر هذه الآية يغير نظرتنا للحياة:

- عند مواجهة الظلم: تتذكر أن الملك الحق موجود، وسينصفك ممن ظلمك.
- عند الإحساس بالضيق: تتيقن أنك تحت ملكوت رب العرش الكريم، وأن أمرك ليس مهماً .
- عند الاستعداد للقاء الله: تدرك أنك تمثل أمام الملك الحق، فلا تقدم على معصيته.
- في كل عمل: تعمل بإتقان لأنك تعلم أنك تعمل لملك لا يضيع عنده عمل عامل.

ثانياً: تفسير الآية 117: {وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ}

الدلالات البيانية والبلاغية والتجويدية

1. الدلالات البلاغية:

- الشرط للتهديد: استخدام أسلوب الشرط {وَمَنْ يَدْعُ} يفيد التهديد والوعيد، فهو يعم كل من يفعل هذا الفعل الشنيع، ويجعل جزاؤه معلقاً على فعله.
- التعبير بـ"يدع" لا "يعبد": فيه إشارة إلى أن مجرد الدعاء (وهو نوع من العبادة) لغير الله يعتبر شركاً، حتى لو لم يطلق عليه اسم عبادة. والدعاء هو لب العبادة وخالصها.
- الجملة الاعتراضية {لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ}: هذه الجملة وردت معترضة لتؤكد أن دعوى الألوهية لغير الله لا تستند إلى أي دليل أو برهان . وهي صفة ملازمة لكل من يدعي إلهاً غير الله، فالعبادة لا تكون إلا لله وحده.
- إسناد الحساب إلى الله {عِنْدَ رَبِّهِ}: فيه ترهيب وتخويف، لأن حساب الله ليس كحساب البشر. إنه حساب الملك الحق الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة.
- نفي الفلاح عن الكافرين {إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ}: جملة مؤكدة بـ"إن" تفيد القطع والجزم بأن الكافرين لن ينالوا الفلاح (النجاة والسعادة والبقاء في النعيم) أبداً .

2. الدلالات البيانية:

- التنكير في {إِلَٰهًا آخَرَ}: نكرة في سياق الشرط تفيد العموم والشمول، أي أي إله آخر مهما كان

صغيراً أو كبيراً.

3. الدلالات التجويدية:

· الوقف على {رَبِّهِ}: الوقف هنا يعطي فرصة للتأمل في معنى حساب الله، ثم البدء بالجملة التوكيدية {إِنَّهُ لَا يُقْلِحُ الْكَافِرُونَ} التي تقرر المصير النهائي.

المقاصد والأفكار الرئيسية في الآية 117

1/ أهمية الوعي الإنساني: الفرق بين وعي المؤمن ووعي الكافر

الآية تفرق بين نوعين من الوعي:

· وعي المؤمن: هو الوعي الذي يدرك أن العبادة لا تكون إلا لمن له البرهان والدليل، وهو الله وحده . هذا الوعي المتدبر يرى ما وراء المادة، ويدرك أن هذا الكون لا بد له من إله واحد حكيم.
· وعي الكافر: هو وعي مادي سطحي يتبع الظن وما تهوى الأنفس، دون برهان أو دليل . الكافر يعبد آلهة لا تستند عبادتها إلى أي دليل عقلي أو نقلي.

الوعي هو إدراك الإنسان لحقيقة وجوده، وغاية خلقه، ومن يستحق العبادة. المؤمن يتميز بوعيه المستنير بوعي الله، بينما الكافر يعيش في ظلمات الجهل.

2/ الوعي والاستخلاف: ضبط السلوك بالمسؤولية

إذا سقط الوعي عن الإنسان، عاش كما تعيش البهائم، يأكل ويشرب وينغمس في الشهوات دون تفكير في الغد أو حساب. الآية تدعونا للعيش حية واعية:

· نعيش بوعي أن هناك ملكاً حقاً عظيم القدرة، نستمد منه العون ولا نستطيع القيام بأمور أنفسنا بدونه.
· هذا الوعي يضبط سلوكياتنا اليومية ويجعلها في إطار الحق والمسؤولية، فنحن مسؤولون عن كل عمل أمام هذا الملك الحق.

3/ {لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ}: صفة ملازمة لكل معبود غير الله

هذه الجملة تحمل دلالة عميقة: كل عبادة لغير الله لا تستند إلى أي دليل. إنها مجرد أوهام وخرافات وتقليد أعمى. من يتأمل في عقائد الشرك عبر التاريخ يجدها كلها بلا برهان ولا بينة. قال قتادة في تفسير هذه الآية: "كلما عبد من دون الله فليس فيه برهان".

4/ {فَاتِمَا حِسَابَهُ عِنْدَ رَبِّهِ}: التهديد بالجزاء العادل

هذا هو مصير من يدعو مع الله إلهاً آخر: حسابه عند الله. والمعنى أن الله سيتولى بنفسه محاسبته، وهذا أشد التهديد، لأن حساب الملك الحق العادل سيكون دقيقاً عادلاً لا ظلم فيه. وفي الحديث النبوي الشريف الذي أورده ابن كثير، احتج النبي ﷺ على رجل كان يشرك بالله بأن النفع والضرر بيد الله وحده، فإذا كان الأمر كذلك فلماذا يعبد غيره؟ .

5/ {إِنَّهُ لَا يُقْلِحُ الْكَافِرُونَ}: نفي الفلاح عن الكافرين

الفلاح هو الفوز والنجاح والظفر بالمطلوب والنجاة من المرهوب. الآية تنفي هذا الفلاح نفياً قاطعاً عن الكافرين . قد يفلح الكافر في الدنيا، لكنه في الآخرة خاسر. الفلاح الحقيقي هو فلاح الآخرة، والكافر محروم منه. وهذا رد على كل من يظن أن النجاح هو جمع المال أو تحقيق الشهوات، ف النجاح الحقيقي هو الفوز برضا الله والجنة.
دور هذه المفاهيم في بناء الإنسان والمجتمع والدولة والحضارة

1/ في بناء الإنسان:

· الإنسان الموحد: الذي يعلم أن الله هو الملك الحق، يعيش حراً من عبودية البشر والأهواء. هذه هي الحرية النفسية التي يفرسها قوله {لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} .

- الإنسان الخاشع: عندما يتربى على قوله {رَبِّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ}، تزرع في نفسه مهابة الله وعظمته، فتورثه الاستقامة في السلوك، وتدفعه لمعالي الأخلاق .
- الإنسان المتوكل: من يعلم أن الأمور كلها بيد رب العرش الكريم، يتوكل عليه حق التوكل، ويسلم لقضائه، ويرضى بقدره.
- الإنسان المخلص: معرفة أنه لا إله إلا هو تربى في الإنسان الإخلاص في العمل، فلا يعمل ليراه الناس، بل يعلم أن المستحق للعبادة وحده هو الله.

2/ في بناء المجتمع:

- مجتمع متوحد العقيدة: أساسه لا إله إلا الله، وهذا يوحد ويجمع كلمته، ويزيل الفوارق الطبقية والعصبية الجاهلية.
- مجتمع عادل: لأن أفرادهم يعلمون أنهم سيحاسبون عند الملك الحق، فيحرصون على العدل في معاملاتهم.
- مجتمع متعاون: لأنهم يعلمون أنهم تحت تدبير رب واحد، فيتعاونون على البر والتقوى.
- مجتمع آمن: انتشار خشية من الله تردع الناس عن الظلم والعدوان.

3/ في بناء الدولة:

- دولة تقوم على الحق: لأن الحاكم والمحكوم يعلمون أن الملك الحق هو الله، وأن الحكم بما أنزل الله هو أساس الشرعية.
- دولة قوية: لأن أفرادها أقوياء بالله، متوكلون عليه، لا يخافون في الله لومة لائم.
- دولة رشيدة: تحكم بالعدل، وتدبر شؤونها بحكمة، وتستشعر المسؤولية أمام الله.

4/ في بناء الحضارة وفق الرؤية الإسلامية:

- حضارة متوازنة: تجمع بين المادة والروح، تعمّر الأرض وهي موصولة بالسماء.
 - حضارة ذات أخلاق: لأن أساسها الإيمان بالملك الحق الذي يأمر بالعدل والإحسان وينهى عن الفحشاء والمنكر.
 - حضارة منتجة: الإنسان الذي يعيش تحت مراقبة الله، ويعلم أنه مسؤول عن وقته وعمله، ينتج ويتقن ويبدع، لأن كل ذلك عبادة.
 - حضارة خالدة: لأنها تترك للبشرية إرثاً من القيم والعلم والعمران، ينتفع به الناس ويكون صدقة جارية.
- الخاتمة

إن هاتين الآيتين تمثلان قمة التوحيد في سورة المؤمنون. الأولى تعبت كمال الله وتنزيهه، والثانية تنفي الشرك وتحذر من عواقبه. من عقل هذه الآيات، عاش حياته في ظل الملك الحق، متحرراً من عبادة غيره، خاشعاً لعظمته، متوكلاً عليه، مخلصاً له العمل، مستعداً للقاءه. ومن غفل عنها، عاش في ضلال الشرك، وخسر الدنيا والآخرة.

المبحث الثاني

إضافة تحليلية تكاملية للآيتين 116-117 من سورة المؤمنون استكمالاً للتحليل السابق، نتعمق أكثر في الدلالات التربوية والعقدية والمنهجية في هاتين الآيتين الكريميتين، وما تحمّلانه من مفاهيم جوهرية لبناء الإنسان والمجتمع على أسس متينة من الوعي والتفكير النقدي والتوحيد الخالص.

1/ تربية التفكير النقدي والبرهنة: {لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ}

هذه العبارة القرآنية الموجزة تحمل في طياتها منهجاً تربوياً متكاملًا لبناء العقل الناقد والمفكر المنهجي:

أ. رفض التقليد الأعمى:

الآية تضع معياراً أساسياً لقبول أي فكرة أو معتقد: وجود البرهان والدليل. هذا يعني أن الإسلام لا يريد أتباعاً مقلدين يرددون ما ورتوه عن آبائهم دون وعي أو تدبر. بل يريد أتباعاً مفكرين، يسألون قبل أن يتبعوا: هل لهذا البرهان؟ هل له دليل؟ كما قال تعالى عن المقلدين: {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ} [الزخرف: 22]، فذمهم الله على هذا التقليد بغير برهان .

ب. تعزيز الوعي النقدي:

الآية تدرب المسلم على أن يكون واعياً ناقداً لكل ما يعرض عليه من أفكار ومعتقدات وعادات. لا يقبل شيئاً لمجرد أنه سائد في المجتمع، أو أنه تقليد متوارث، أو أنه يرضي هواه. بل يضعه في ميزان البرهان: هل ورد به دليل من كتاب أو سنة؟ هل يقبله العقل السليم؟ هل يتوافق مع الفطرة؟

ج. بناء الشخصية العلمية:

. التحقق قبل الاعتقاد: الآية تغرس فينا أن نتحقق من صحة معتقداتنا، وألا نتبع الخرافات والأوهام .
فكل معتقد لا يقوم على برهان فهو خرافة، حتى لو كان الناس يعظمونه.
. النقد الذاتي: المسلم الذي يربى على هذه الآية لا يكتفي بنقد معتقدات الآخرين، بل يبدأ بنقد معتقداته هو، ويتأكد أنها قائمة على البرهان والدليل.
. رفض الدعاوى بلا دليل: في عصرنا كثرت الدعاوى والأفكار والمناهج، والآية تمنحنا أداة لفرزها: كل فكرة أو دعوة لا تقدم برهاناً على صحتها، فهي مردودة.

د. منهج البرهنة في الإسلام:
الآية تسجّم مع المنهج القرآني العام الذي يدعو إلى الحجة والبرهان: {قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [البقرة: 111]. هذا المنهج يجعل من المسلم إنساناً منطقياً عقلياً، لا يتعصب لفكرة دون دليل، ولا يرفض فكرة دون حجة.

2/ الآية كخارطة طريق للمؤمن: القلب المعلق بالله والفلاح الحقيقي

هذه الآية ترسم للمؤمن خارطة طريق متكاملة ليعيش في الدنيا بقلب معلق بالله، موقناً أن الفلاح الحقيقي هو النجاة من عنده سبحانه:

أ. نقطة الانطلاق: التوحيد الخالص (لا إله إلا هو):
الآية تبدأ بتقرير التوحيد، وهو حجر الأساس في حياة المؤمن. القلب المعلق بالله هو قلب يعلم أن لا معبود بحق إلا الله، فلا يرجو غيره، ولا يخاف سواه، ولا يتوكل إلا عليه .

ب. الوعي بعظمة الله (رب العرش الكريم):
هذا الوصف يوسع أفق المؤمن، ويرفع همته. هو يتعامل مع رب العرش الكريم، أعظم مخلوقات الله. هذا الإدراك يمنحه الثقة والأمان، لأنه يعلم أن من يتولاه هو أعظم من أي قوة في الوجود.

ج. رفض الشرك بكل صوره (ومن يدع مع الله إلهاً آخر):
الآية تحذر من الشرك، ليس فقط في العبادة، بل في الدعاء والتوجه والطلب. المؤمن الذي يسير على هذه الخارطة يرفض أن يشرك مع الله أحداً، ويرفض أن يعلق قلبه ببشر أو حجر أو منصب أو مال.

د. التحقق بالدليل (لا برهان له به):
الطريق يحتاج إلى بصيرة، وهذه البصيرة تكون بالبرهان والدليل. المؤمن لا يسير في الظلام، بل يسير على نور من ربه.

هـ. الثقة في عدل الله (فإنما حسابه عند ربه):
المؤمن يطمئن إلى أن حسابه عند الله، وأن الله هو الملك الحق الذي لا يظلم أحداً. هذه الثقة تمنحه راحة نفسية، فهو لا يقلق من ظلم الناس، ولا يجزع من سوء معاملتهم، لأنه يعلم أن الحساب العادل عند ربه.

و. الهدف النهائي: الفلاح (لا يفلح الكافرون):
الآية تذكرنا أن الفلاح الحقيقي هو ما عند الله. الكافر قد يفلح في الدنيا، لكنه في الآخرة خاسر. المؤمن يعمل للفلاح الحقيقي الذي لا يزول، وهو رضا الله والجنة.

3/ التوحيد أساس كل دعوة: {لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ}

الآية تقرر مبدأ عظيماً: أي دعوة لا تستند إلى التوحيد فهي دعوة باطلة، حتى لو كانت مغلفة بغلاف ديني أو أخلاقي. لماذا؟

. لأن التوحيد هو أساس الدين: كل الرسل بدأوا دعوتهم بالتوحيد: {يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} [الأعراف: 59] فالدين كله مبني على هذه القاعدة.
. لأن الدعوة بلا توحيد لا سند لها: أي دعوة إلى فكرة أو منهج أو إصلاح، إذا لم تكن منبثقة من

عقيدة التوحيد، فهي دعوة بلا سند، لا من الكتاب ولا من السنة، وبالتالي مصيرها الفشل والزوال.
لأن التوحيد يضمن الإخلاص: المؤمن المخلص هو من يعمل لله وحده، لا يريد جزاءً من الناس ولا شكوراً. هذا الإخلاص لا يتحقق إلا بالتوحيد.

دور الآية في تربية المؤمن المخلص:

• ترسيخ عقيدة الدعاء لله وحده: المؤمن يعلم أن الدعاء عبادة، وهو لله وحده، فلا يدعو غيره، ولا يستغيث بسواه.
• الإخلاص والتوكل على الله وحده: هذه الآية تربّي في المؤمن أن يتوكل على الله حق التوكل، وألا يلتفت إلى غيره، وألا يعلق رجاءه إلا به.

بناء الإنسان القوي والمجتمع المتماسك:

• الإنسان القوي: هو من لا يستعبد لأحد، ولا يخضع لغير الله. هذا التوحيد يحرره من الخرافات، ومن الخوف من البشر، ومن التعلق بالدنيا.
• المجتمع المتماسك: مجتمع يوحد أفرادَه إلهاً واحداً، ويجمعهم كتاب واحد، ومنهج واحد، هو مجتمع متماسك قوي، لا تفرقه الأهواء والخرافات والانتماءات الضيقة.

4/ اختصاص الحساب بـالله: {فَاتِمَّا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ}

هذه العبارة تحمل دلالات عميقة:

أ. اختصاص الله بالحساب:
"إنما" أداة حصر، تفيد أن حساب هؤلاء المشركين عند الله وحده، لا عند أحد غيره. ليس لأحد أن يحاسبهم أو ينتقم منهم، الأمر كله لله. هذا فيه تهديد شديد لهم، لأنه حساب الملك الحق الذي لا يخفى عليه شيء.

ب. طمأنينة المؤمن بعدل الله:
المؤمن يقرأ هذه الآية فيطمئن قلبه. عندما يرى ظلم الكافرين واستكبارهم في الدنيا، وربما لا يجد من ينصفه منهم، يتذكر أن حسابهم عند ربه، وأن الله سينصفه منهم حتماً. هذا يمنحه صبراً وثباتاً.

ج. تحرير العقل والقلب:

• تحرير العقل: من التفكير في الانتقام الشخصي، أو اليأس من العدل، أو محاولة أخذ الحق باليد دون ضوابط شرعية. المؤمن يفوض أمر الظالمين إلى الله.
• تحرير القلب: من التعلق بالمخلوقين، سواء كانوا ظالمين أو منصفين. القلب يتعلق بالله، ويطلب حقه منه، ولا يرجو من الناس جزاءً ولا عدلاً كاملاً.

د. العمل بجد مع التوكل على الله:
هذا الإدراك لا يدعو إلى التواكل أو الكسل. بل المؤمن يعمل بجد، ويسعى في الأرض، ويدافع عن حقه، لكن قلبه معلق بالله، متوكل عليه، لا ييأس إن لم يجد العدل من البشر، لأنه يعلم أن العدل الكامل عند الله.

5/ مقابلة الخاتمة بالبداية: {ثَا يُقْلِحُ الْكَافِرُونَ} {وَقَدْ أَقْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ}

هذه المقابلة المتعمدة بين بداية السورة ونهايتها تحمل رسالة عظيمة:

أ. سورة المؤمنون تبدأ وتنتهي بالفلاح:

• البداية: {ثَا يُقْلِحُ الْكَافِرُونَ} [1] {إعلان فوز المؤمنين}.
• النهاية: {ثَا يُقْلِحُ الْكَافِرُونَ} [117] {تقرير خسارة الكافرين}.

هذا الإطار يوضح أن السورة كلها تدور حول هذه القضية المحورية: من هم الفائزون حقاً؟ الإجابة: المؤمنون بالله الموحدون، لا الكافرون به المشركون.

ب. معنى الفلاح وعدمه:

. الفلاح: هو الفوز والنجاة والبقاء في النعيم . وعدمه هو الخسارة والهلاك والخلود في العذاب.
. لا يفلح الكافرون: نفي مطلق للفلاح عنهم، أي أنهم لا ينالون شيئاً من الفلاح الحقيقي، حتى لو ذلوا بعض متع الدنيا.

ج. السعادة الحقيقية بعبادة الله وحده:
الآية تقرر أن السعادة الحقيقية لا تكون إلا بعبادة الله وحده. من عبد غيره، فقد ضل الطريق إلى السعادة. الكافر قد يظن نفسه سعيداً بما لديه من مال وجاه وشهوات، لكنه في الحقيقة خاسر، لأن سعادته مؤقتة وسرعان ما تزول، ويعقبها شقاء أبدي.

د. الخسارة في الدنيا والآخرة:
عبارة {لا يُفْلِحُ الكافِرُونَ} تشمل:

. الدنيا: الكافر يعيش في ضلال وقلق وحيرة، حتى لو كان مترفاً. فلاحه الدنيوي ناقص، لأنه بلا هدف ولا طمأنينة.
. الآخرة: هو الخاسر الأكبر، حيث يخلد في العذاب ويحرم من الجنة.

هـ. الدعوة إلى اختيار الطريق الصحيح:
بهذه المقابلة، تضع السورة الإنسان أمام خيار واضح: إما طريق المؤمنين الموحدين الذي ينتهي بالفلاح، وإما طريق الكافرين المشركين الذي ينتهي بالخسارة. العاقل من اختار الفلاح.
دور هذه المفاهيم في التنمية وبناء الإنسان والمجتمع

1/ تنمية التفكير النقدي والمنهجي:

مجتمع يربى أفراده على مبدأ {لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ} هو مجتمع يرفض الخرافات، ولا يقبل الأفكار دون تمحيص، ويبني قراراته على أسس علمية ومنطقية. هذا هو أساس التنمية الفكرية والنهضة العلمية.

2/ بناء الإنسان المتوازن القوي:

الإنسان الذي يعلق قلبه بالله وحده، ويتوكل عليه، ويوقن بحسابه العادل، هو إنسان قوي لا تنكسر عزيمته، ولا ييأس من روح الله، ولا يخاف في الله لومة لائم. هذا هو البناء النفسي السليم الذي تحتاجه الأمة.

3/ بناء المجتمع المتماسك:

مجتمع يوحد أفراده إلهاً واحداً، ويجمعهم كتاب واحد، هو مجتمع متماسك لا تفرقه الصراعات الفكرية أو العقائدية. هذا التماسك هو أساس البناء الاجتماعي القوي.

4/ تحقيق التنمية المستدامة:

- . التنمية الفكرية: بالتفكير النقدي والبرهنة.
- . التنمية النفسية: بالتوكل على الله والثقة بعهده.
- . التنمية الاجتماعية: بتماسك المجتمع حول التوحيد.
- . التنمية الحضارية: ببناء إنسان يعمل للدنيا بإتقان، ويستعد للآخرة بيقين.

الخاتمة

إن هاتين الآيتين تمثلان منهج حياة متكاملًا للمؤمن. تبدأ بتقرير عظمة الله وتنزيهه، ثم تحذر من الشرك وتدعو إلى التوحيد، ثم تضع معيار البرهان لقبول الأفكار، ثم تطمئن المؤمن بعهده في حساب، وتختتم بتقرير مصير الكافرين بالخسارة.

من عقل هذه الآيات وعاش بها، عاش حراً كريماً قوياً، متعلقاً بالله، متوكلاً عليه، مفكراً ناقداً، عاملاً بإتقان، مستعداً للقاء ربه. نسأل الله أن يجعلنا من المؤمنين الفالحين، وألا يجعلنا من الكافرين الخاسرين.

{وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ}
مقدمة عن الآية وسياقها

هذه الآية الكريمة هي خاتمة سورة المؤمنون، وهي بمثابة التاج الذي توجت به السورة، والخلاصة المركزة لكل ما ورد فيها من معانٍ عظيمة. بعد أن رسمت السورة مشاهد البعث والحساب، وقصص الأنبياء، وحوار أهل النار، وتقرير حقيقة أن الخلق لم يكن عبثاً، وأن الله هو الملك الحق، تأتي هذه الآية لتوجه المؤمن إلى الوجهة الصحيحة التي ينبغي أن يكون عليها في ختام هذا المشهد المهيّب .

هذا الدعاء الجامع هو وصية الله لنبيه محمد ﷺ وللمؤمنين من بعده، بأن يلجأوا إليه دائماً بطلب المغفرة والرحمة، معترفين بتقصيرهم، ومقررين بأنه وحده خير الراحمين . وقد تكرر هذا التوجيه مرتين في نهاية السورة، مما يدل على عناية خاصة بهذا المعنى وأهميته البالغة .
الدلالات البيانية والبلاغية والتجويدية في الآية

1. الدلالات البلاغية:

· صيغة الأمر {وَقُلْ}: الخطاب موجه في الظاهر للنبي ﷺ، ولكنه يشمل جميع المؤمنين. والأمر هنا للندب والاستحباب، أي الزم هذا الدعاء وداوم عليه . وفيه إشارة إلى أن الدعاء عبادة مأمور بها، وأن الله يحب أن يسأله عباده.
· النداء بـ {رَبِّ}: حذف ياء المتكلم وأصلها "ربي" للنداء، وفيه تلميح وتحبيب إلى الله تعالى . اختيار لفظ "رب" دون "إله" مثلاً ، فيه إشارة إلى التربية والرعاية، فالمؤمن يسأل ربه الذي رباه بنعمه منذ خلقه، وهو الأحق بالإجابة.
· تقديم المغفرة على الرحمة: قدم المغفرة لأنها تمهيد للرحمة وشرط لها . فالمغفرة هي إزالة أثر الذنب وستر القبيح، والرحمة هي إفاضة الخير والبركة بعد ذلك . لا يمكن أن ينال العبد رحمة الله ما لم يغفر له ذنوبه أولاً .
· الجمع بين المغفرة والرحمة: هذان الأمران يجمعان كل خير. المغفرة تدفع العقاب، والرحمة تجلب الثواب . من غفر له ورحم فقد سعد في الدارين.
· التذييل بـ {وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ}: هذه الجملة تذييل وتعليل للأمر. فهي بمثابة بيان للسبب الذي يجعلنا نطلب الرحمة منه وحده، لأنه خير الراحمين . وهو أبلغ من أن يقال "وأنت راحم"، لأن "خير الراحمين" تفيد أنه أرحم الراحمين، وأن رحمته سبقت غضبه، ووسعت كل شيء .
· التنكير في {خَيْرُ الرَّاحِمِينَ}: تعريف "الراحمين" بأل يدل على العموم والشمول، أي أنه خير جميع من اتصف بالرحمة من الخلق، ورحمته أعظم وأكمل وأوسع من رحمة أي راحم .

2. الدلالات البيانية:

· الإظهار في مقام الإضمار: كان الأصل أن يقال "وأنت خير الراحمين" بعد "رب اغفر وارحم" مباشرة، لكن الإتيان بضمير الفصل "أنت" يزيد التوكيد والتخصيص، ويكرر معنى الخطاب المباشر لله تعالى .

3. الدلالات التجويدية:

· الوقف على {وَارْحَمْ}: يجوز الوقف هنا، وهو وقف حسن.
· لا قراءات مختلفة في هذه الآية، مما يدل على وضوح المعنى وثباته.
المقاصد والأفكار الرئيسية في الآية

1/ دعاء جامع: المغفرة والرحمة

هذا الدعاء القصير يجمع خيري الدنيا والآخرة. المغفرة تمحو الذنوب وتستتر العيوب، والرحمة تجلب الخير والبركة والتوفيق في الدنيا، والنعيم المقيم في الآخرة. إنه دعاء شامل لكل ما يحتاجه العبد في حياته وبعد مماته .

دلالة هذا الختم: بعد أن تحدثت السورة عن حقيقة الحياة الدنيا وأنها قصيرة، وعن الآخرة وأنها

دار القرار، وعن التوحيد وأنه أساس الوجود، يأتي هذا الدعاء ليكون المنهج العملي للمؤمن. ليس المطلوب فقط أن تعتقد وتفهم، بل أن تتوجه إلى الله بلسان الحال والمقال، طالباً عفوه ورحمته.

2/ دلالة تكرار التوجيه في نهاية السورة

لقد ورد هذا التوجيه مرتين في نهاية السورة:

- المرة الأولى في سياق الحديث عن المؤمنين: {قُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ}.
- المرة الثانية بعد الحديث عن جزاء الكافرين وتوحيد الله .

هذا التكرار يدل على أهمية هذا الدعاء ومكانته. إنه بمثابة تثبيت للمؤمن وتأكيد على أن يستمر في هذا التوجه مهما كانت الأحوال. وكان السورة تقول: بعد كل هذه الحقائق، لا تنس أن تلجأ إلى الله، وأن تطلب منه المغفرة والرحمة، وأنت موقن بأنه خير الراحمين.

3/ معنى {رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ}

- ربّ: اعتراف بالربوبية والعبودية، وإقرار بأن الله هو المربي والمدير والرازق.
- اغفر: طلب ستر الذنوب ومحوها وعدم المؤاخذه بها.
- وارحم: طلب العطف والرفقة والإحسان والتوفيق والهداية والنعيم .

هذا الدعاء يقرن بين طلب المغفرة وطلب الرحمة، لأن المغفرة تظهر العبد من أدران الذنوب، و الرحمة تلبسه لحل الكرامة وتفيض عليه الخير.

4/ أثر الإقرار بالعبودية في هذا الدعاء

عندما يقول العبد {رَبِّ} فهو يقر بأن الله هو ربه، وأنه عبده . هذا الإقرار يحمل معاني عظيمة:

- الاعتراف بالضعف: العبد ضعيف، يحتاج إلى من يربيه ويرعاه ويقويه.
- الاعتراف بالحاجة: العبد محتاج إلى ربه في كل لحظة، لا غنى له عنه طرفة عين.
- الاعتراف بالتقصير: عندما يطلب المغفرة، فهو يعترف بأنه قصّر، وأنه أذنب، وأنه بحاجة إلى عفو ربه.
- التواضع والانكسار: هذا الدعاء يربي في المؤمن خلق التواضع، فلا يتكبر على ربه، بل يخضع له وينكسر بين يديه.

5/ تجديد التوبة والموازنة بين الخوف والرجاء

هذا الدعاء يعلم المؤمن أهمية تجديد التوبة يومياً. الإنسان خطاء، وخير الخطائين التوابون. و المؤمن لا يغتر بعمله الصالح، بل يظل بين الخوف من تقصيره والرجاء في رحمة ربه .

- الخوف: يأتي من طلب المغفرة، لأن المغفرة تحتاج إلى شعور بالذنب والخوف من العقاب.
- الرجاء: يأتي من طلب الرحمة والثناء على الله بأنه خير الراحمين، مما يبعث الأمل في النفس.

هذا التوازن بين الخوف والرجاء هو حالة المؤمن المثلى، لا يأمن مكر الله، ولا ييأس من روح الله.

6/ الشعور بالافتقار إلى الله

الآية تغرس في نفس المؤمن شعوراً دائماً بالافتقار إلى الله. المؤمن الذي يداوم على هذا الدعاء:

- يشعر أنه لا غنى له عن مغفرة الله ورحمته.
- يعترف بأنه بدون مغفرة الله هالك، وبدون رحمته شقي.
- يتوكل على الله حق التوكل، لأنه يعلم أن الأمر كله بيده.
- يخلص في عمله، لأنه يطلب رحمة الله، لا ثناء الناس.

هذا الشعور هو أسمى مراتب العبودية، وهو الذي يربط القلب بالله، ويجعله متعلقاً به في كل لحظة.

7/ توطين النفس على التواضع والاستغفار

الآية تدعونا إلى توطين النفس على خلقين عظيمين:

- التواضع: بالاعتراف بالذنب والتقصير، والخضوع لله بالدعاء.
- الاستغفار: بالمداومة على طلب المغفرة، لأن الاستغفار سبب الرزق والرحمة والرعاية الإلهية .

قال تعالى: {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلَ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِيَنَّ وَيَجْعَلَ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلَ لَكُمْ أَنْهَارًا} [نوح: 10-12]. فالاستغفار يجلب الخير في الدنيا والآخرة.

8/ أساس العلاقة مع الله: الحب والرجاء والمغفرة

الآية ترسم صورة للعلاقة المثلى بين العبد وربّه:

- الحب: يتجلى في النداء الحنون {رَبِّ}، وفي الثناء على الله بأنه خير الراحمين.
- الرجاء: في طلب الرحمة، والأمل في قبول الدعاء.
- المغفرة: في طلب العفو والصفح عن الذنوب.

هذه العلاقة تقوم على التوازن بين العمل والرجاء، بين الخوف والأمل، بين الطلب والثقة بالإجابة.

9/ ثقافة الاعتراف بالتقصير

الآية تفرس في المؤمن ثقافة الاعتراف بالتقصير، وهي ثقافة إسلامية أصيلة. المؤمن لا يدعي الكمال، ولا يبرر أخطائه، بل يعترف بذنبه ويطلب المغفرة. هذا الاعتراف:

- يظهر النفس من الكبر والعجب.
- يفتح باب التوبة والتغيير.
- يجعل المؤمن في حالة نمو وتطور دائم.

10/ المنهج العملي: التوازن بين العمل والانكسار

الآية ترسم منهجاً عملياً متكاملًا:

- العمل الصالح: هو ما ورد في السورة كلها من أوامر ونواهي وقصص وعبر.
- الانكسار لله: هو ما في هذه الآية من دعاء وتضرع وطلب مغفرة ورحمة.

المؤمن لا يكتفي بالعمل، ولا يكتفي بالدعاء، بل يجمع بينهما. يعمل بجد ويجتهد، وفي نفس الوقت يظل خاشعاً منكسراً بين يدي ربه، لا يغتر بعمله، ولا ييأس من رحمة ربه. هذا التوازن هو سر الفلاح في الدنيا والآخرة. دور هذه الآية في بناء الإنسان والمجتمع

1/ بناء الإنسان نفسياً:

- الطمأنينة النفسية: من يداوم على هذا الدعاء يشعر بالطمأنينة والأمان، لأنه يضع همه بين يدي خير الراحمين.
- التوازن النفسي: لا يصاب باليأس لأنه يرجو رحمة الله، ولا يصاب بالغرور لأنه يطلب المغفرة.
- الشفاء من الأمراض النفسية: كالقلق والاكتئاب واليأس، لأن الدعاء يربطه بالله مصدر الأمن والطمأنينة.

2/ بناء الإنسان جسدياً:

- الاستغفار سبب الرزق والصحة: كما في آيات نوح عليه السلام، فالاستغفار يجلب الخير والبركة.
- الالتزام بالمنهج الإلهي: يحفظ الجسد من الأمراض الناتجة عن المعاصي والانحرافات.

3/ بناء الإنسان عقلياً:

- تنمية الوعي: الدعاء يزيد وعي الإنسان بحقيقة نفسه وحقيقة ربه.
- تنمية التفكير: التكرار والمداومة على الدعاء يدفع للتفكير في معانيه ودلالاته.
- تنمية الحكمة: العبد الذي يكثر من هذا الدعاء يحصل على حكمة في التعامل مع نفسه ومع الناس.

4/ بناء الإنسان اجتماعياً:

- التواضع مع الناس: من يتواضع لله يتواضع لعباده.
- التسامح والعفو: من يطلب المغفرة من الله، يغفر للناس زلاتهم.
- الرحمة بالخلق: من يطلب الرحمة من أرحم الراحمين، يرحم عباد الله.

5/ بناء الإنسان ثقافياً:

- ثقافة التوحيد: الدعاء يرسخ في النفس عقيدة التوحيد.
- ثقافة التوبة: يرسخ ثقافة الاعتراف بالخطأ والعودة إلى الله.
- ثقافة الرجاء: يرسخ الأمل والتفاؤل في النفس.

6/ بناء المجتمع المسلم:

- مجتمع متسامح: أفرادها يسامحون بعضهم كما يرجون مغفرة الله.
- مجتمع متعاطف: أفرادها يرحمون بعضهم كما يرجون رحمة الله.
- مجتمع متواضع: لا كبر فيه ولا غرور، لأن الجميع يشعرون بالتقصير ويطلبون المغفرة.
- مجتمع متماسك: تسوده المحبة والرحمة والتسامح.

7/ بناء الأمة والحضارة:

- أمة قوية: لأن أفرادها أقوياء بالإيمان، متوكلون على الله، لا ييأسون من روجه.
 - أمة منتجة: لأنها تجمع بين العمل الجاد والانكسار لله، فتتقن العمل وتخلص فيه.
 - أمة رحيمة: تحمل رسالة الرحمة للعالمين، كما قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: 107].
- الخاتمة

إن الآية 118 من سورة المؤمنون هي خلاصة السورة وروحها. بعد كل ما ورد من حقائق عن الدنيا والآخرة، وعن التوحيد والبعث، وعن جزاء المؤمنين والكافرين، يأتي هذا الدعاء ليذكر المؤمن بأنه مهما بلغ من علم وعمل، فهو محتاج إلى مغفرة الله ورحمته.

هذا الدعاء يعلمنا:

- أن نعتز بتقصيرنا.
- أن نلجأ إلى الله وحده.
- أن نتوكل عليه حق التوكل.
- أن نداوم على الاستغفار.
- أن نعيش بين الخوف والرجاء.
- أن نبني حياتنا على التوازن بين العمل والانكسار لله.

من عاش بهذه الآية، عاش حراً كريماً قوياً رحيماً، متعلقاً بربه، متوكلاً عليه، راجياً رحمته، خائفاً من عذابه، عاملاً لدنياه كأنه يعيش أبداً، عاملاً لآخريته كأنه يموت غداً.

نسأل الله أن يغفر لنا ويرحمنا، إنه خير الراحمين..
المحامي احمد عبد الرزاق مربوش سلام العامري مدينة القاعده مديره ذى سفال اب اليمن
٢٧ رمضان ١٤٤٧هـ جريه

- قائمة المصادر والمراجع الشاملة
- كتاب "المفاهيم القرآنية" - سورة المؤمنون
- أولاً: كتب التفسير وعلوم القرآن
- * جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري): لتحقيق الروايات وتأصيل المعاني اللغوية و السياقات التاريخية للقصص.
- * الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): لاستنباط الأحكام الشرعية والفقهية والقيم الأخلاقية والا اجتماعية.
- * تفسير القرآن العظيم (ابن كثير): لبيان الوحدة الموضوعية للرسالات السماوية وربط الآيات ببعضها.
- * تفسير التحرير والتنوير (ابن عاشور): لتحليل المقاصد الكلية، والروابط المنطقية، وتحليل الخطاب الاستدلالي للملأ.
- * تفسير البحر المحيط (أبو حيان الأندلسي): للتدقيق في الإعراب، وتوجيه صيغ الأفعال ودلالاتها الاستمرارية.
- * فتح القدير (الشوكاني): للربط بين القدر الكوني والعلامات الحسية الموقظة للقلوب.
- * تفسير المنار (محمد رشيد رضا): لتحليل السنن الكونية وأهمية صناعة القوة المادية كواجب شرعي.
- * تفسير المراغي: لربط التوجيهات القرآنية بالواقع الاجتماعي المعاصر.
- * البرهان في علوم القرآن (الزركشي): لفهم بنية السورة، وأسرار الفواصل، وتسلسل القصص النبوي
- * كتاب الوسيط في التفسير
- * تفسير السعدي
- * تفسير البغوي
- * تفسير الرازي
- * تفسير الألوسي
- * تفسير روح البيان
- * تفسير أبو السعود
- * تفسير ابن عطية
- * المنتخب بالتفسير لجنة علماء الأزهر
- * تفسير البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل
- * تفسير المراغي
- * تفسير الصافي للفيض الكاشاني
- ثانياً: كتب الفكر والتحليل الحضاري
- * مشكلات الحضارة (مالك بن نبي): المرجع الأساسي في تحليل سيكولوجية الجماهير، وفهم "القابلية للاستعمار"، وكيفية كسر سجن التبعية للموروث.
- * في ظلال القرآن (سيد قطب): لاستلهاام الظلال التربوية، والتصوير المشهد، وحالة الاستعلاء الإيماني في مواجهة الطغيان.
- * فقه السيرة (محمد الغزالي): لتحليل تكتيكات المواجهة، وأساليب الاغتيال المعنوي، وثبات المصلحين.
- * دستور الأخلاق في القرآن (د. محمد عبد الله دراز): لتأصيل قيم التوكل والصبر الاستراتيجي والإخلاص المهني
- * سيكولوجية القصة في القرآن (دكتور التهامي نقره)
- * تربيته الاراده في الاسلام
- * احياء علوم الدين الامام الغزالي
- * كتاب النزكيه والرقائق
- * جامع العلوم والحكم ابن رجب الحنبلي
- ثالثاً: كتب اللغة والبلاغة وأسرار النظم
- * تفسير الكشاف (الزمخشري): العمدة في اللطائف البلاغية، وأسرار النظم، وأساليب القصر والتحقيق.
- * دلائل الإعجاز (عبد القاهر الجرجاني): لفهم نظرية النظم وأسرار التقديم والتأخير في بناء الجملة القرآنية.
- * خصائص اللغة العربية (ابن جني): لتحليل أثر الأصوات (مثل الصاد والسين) (وربط جرس الحرف بالمعنى الحركي والعمل).
- * معاني القرآن (الفراء): للوقوف على أسرار الحذف والإثبات وإيجاز الاستغناء في الخطاب القرآني.
- * المفردات في غريب القرآن (الراغب الأصفهاني): لضبط المفاهيم المصطلحيه الدقيقة واستراتيجية اللفظ.
- * دراسات في النظام القرآني لفهم التناسب
- * سر الفصاحة الخفاجي

- *الطراز لاسرار البلاغه يحيى بن حمزه العلوي
- *اسرار البيان في التعبير القراني الدكتور فاضل السامرائي
- *معجم مقاييس اللغة ابو الحسن احمد بن فارس بن زكريا توفي سنة ٥٣٩٥ هـ
- *مفتاح العلوم السكاكي
- رابعاً: مراجع التجويد والتحليل الصوتي
- * التمهيد في علم التجويد) ابن الجزري(: لربط المخارج والصفات بالحالة النفسية والشعورية) ك
- التفخيم للاستعلاء والكسر للافتقار).
- * النشر في القراءات العشر) ابن الجزري(: لاستلها م دلالات "الامتداد الصوتي" في المدود والغنات وأثرها في التلقي.
- * التحديد في الإتيان والتجويد) أبو عمرو الداني(: لضبط الصفات الصوتية التي تعزز اليقظة الذهنية عند التلاوة.
- * الدراسات الصوتية في كتب التجويد) د. غانم قدوري الحمد(: لتحليل أثر الجرس الموسيقي للآيات على النفس البشرية
- *جمال القراءات للامام السخاوي ت، ٦٤٣.
- *غايه المرید في علم التجويد عطيه قابل نصر
- *عروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح بهاء الدين السبكي
- *صفه مخرج الحروف وبيان صفاتها للامام الشاطبي
- *لطائف الاشارات لفنون القراءات للقسطلاني متوفي سنة ٩٢٣ هـ
- *من هدى القرآن كتاب تفسير بلاغي لسوره المؤمنون دكتور بسيوني عبد الفتاح فيود
- خامساً: مراجع التربية وعلم النفس والإدارة
- * مؤلفات ابن القيم) الفوائد، مفتاح دار السعادة(: لاستلها م فقه العبودية، والتأمل في الأنفس والافاق ، وكيفية كسر آفة الاعتیاد.
- * التفسير النفسي للقرآن الكريم) د. محمد عثمان نجاتي(: لتحليل الدوافع النفسية للمستكبرين و المؤمنين.
- * سيكولوجية الجماهير) غوستاف لوبون - برؤية إسلامية(: لفهم آليات توجيه الرأي العام ومواجهة التضليل.
- * إدارة الأزمات في المنهج الإسلامي: لتأصيل قواعد الإنذار المبكر واللوجستيات العملية في إدارة المواقف
- *كتاب منهج التربية الاسلاميه لمحمد قطب
- *مؤلفات مالك نبي يشيلوط النهضه والتحولات الاجتماعيه
- *علم النفس الدعوي والاداري
- *فقه الابتلاء والثبات الدراسات معاصره في فكر الازمات
- *فقه التدرج والمرحليه الدكتور يوسف القرضاوي
- *كتاب مدارك السالكين ابن القيم
- *الاخلاق والسيار في مداوات النفوس لابن حزم الاندلسي المتوفي سنة ٥٤٥٦ هـ
- *معالم في الطريق السيد قطب
- *كتاب دستور الاخلاق في القرآن دكتور محمد عبد الله دراز
- سادساً: المواقع الإلكترونية
- *محاسبه النفس موقع الدكتور محمد راتب النابلسي
- *موقع نور المكتبه
- *موقع التفاسير العظيمه
- *موقع الالوكه
- *مشروع المصحف الالكتروني بجامعة الملك سعود
- *موقع اسلام ويب
- *موقع اسلام وين
- موقع ابن باز
- *موقع طريق الاسلام
- *الدر السنيه موسوعه حديثه متكامله
- *موقع التفاسير العظيمه
- *موقع سوره قران
- سابعاً: كتب السيره النبويه والأحاديث النبويه لفهم سياق النزول
- *السيره النبويه لابن هشام
- *الرحيق المختوم لصفي الدين المباركفوري
- *صحيح مسلم
- *صحيح البخاري

ثامنا : مراجع الإعجاز العلمي والمعرفي
* المفاهيم القرآنية) أحمد عبد الرزاق مريوش: المرجع المنهجي للهيكلية الموضوعية والربط التحليلي.
* أطلس الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: لفهم الحقائق الفسيولوجية والبيولوجية الواردة في الآيات.